عدد ممتاز
كانون الثاني ١٩٨٤م
العربي
٢٥ عاما
في خدمة
الثقافة
العربية
مع العدد
هدية
العربي
الصغير
بالمجان

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمّد الرميحي

تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم

باسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
المد ب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

العدد ٣٠٢
يناير ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت : ٤٢٧١٤١ - ٤٦٨٣٤٣
برقيًا : «العربي» الكويت

الكويت	٢٥٠	فلسًا	السعودية	٥	ريالات
العراق	٢٥٠	فلسًا	اليمن الشمالي	٣	ريالات
الأردن	٢٠٠	فلس	قطر	٥	ريالات
البحرين	٣٠٠	فلس	لبنان	٣	ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠	فلسًا	سوريا	٣	ليرات
مصر	٢٥٠	مليمًا	الامارات	٥	دراهم
السودان	٢٠٠	مليم	المغرب	٤	دراهم
تونس	٤٠٠	مليم	ليبيا	٢٥٠	درهمًا
الجزائر	٤	دنانير	سلطنة عمان		ربع ريال
بريطانيا		جنيه استرليني	أوربا		دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥	فرنكًا	أمريكا		دولاران

AL-ARABI
Issue No. 302. Jan. 1984

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour

Published by :
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

بهذا العدد الذي بين يديك يكون قد انقضى على صدور مجلة العربي - مجلة العرب الأولى - ربع قرن ، عاشت فيه أحداثا جساما مرت على الأمة .

والعربي في الفترة السابقة ما فتئت تحمل مشعل الثقافة العربية الخالصة تقدمها للقارىء العربي في كل مكان . ولو نظرنا لكل هذه السنوات في المسيرة الطويلة ، لشاهدنا صفا من المفكرين والكتاب والرسامين والقصاصين والشعراء العرب ، ساهموا بجهد ثقافي عميق وواسع من أجل أن تظل هذه الشعلة منيرة . ولو حاولت أسرة العربي أن تشكر كل فرد منهم - أمواتا في رحاب الله ،وأحياء يواصلون حياتهم الفكرية الجليلة بكل اخلاص وتواضع - لاحتاجت الى مجلدات،فلهم جميعا في هذه الوقفة التاريخية كل العرفان بالفضل والشكر .

وما زالت العربي على العهد الأول تأمل أن تقدم المزيد في خدمة الثقافة العربية . ومن خططها الجديدة اصدار كتاب العربي . الذي سيتوفر في الأسواق بداية من منتصف شهر يناير الحالي - على أن يكون فصليا - حتى تنتقل العربي الى المطابع الجديدة فيتحول الى شهري باذن الله . ثم ان العربي الآن أصبحت مسجلة على ميكروفلم ، ومتوفرة للقراء بهذا الشكل الحديث ، حيث أن من غير المستطاع عمليا اعادة طبع ما نفد منها ، فكانت فكرة الكتاب - المختار من العربي - وفكرة الميكروفلم تكمل كلتاهما الأخرى . كما أن العربي تعد لندوة العربي الثقافية التي ستعقد في الكويت بين ١٧ - ١٩ مارس القادم . وقد دعي اليها نخبة من الكتاب والمفكرين العرب ، وستكون نتائجها ودراستها في متناول القارىء العربي في كل مكان

أما التحسينات الجديدة والتطوير في الأبواب فاننا لن نتحدث عنها تاركين لك أيها القارىء الكريم أن تنظر وتحكم لنا أو علينا ، ولا بد في هذه المناسبة أن نحيّ جميع العاملين في انتاج هذه المطبوعة التي أثبتت أصالتها ، ولولا توفيق الله واستقلال العربي الثقافي بتعضيد من المسؤولين في الكويت لم يكن لهذا العمل أن ينضج بمثل ما هو عليه الآن . ومن أجل ذلك فليعمل العاملون .

المحرر

◆ قصة العربي ◆

● في هذا العدد الذى تبدأ به العربي عامها السادس والعشرين يروى بدر خالد البدر وأحمد السقاف ذكرياتهما عن المجلة التي عاصرا مسيرتها عندما كـانت مجرد فكرة ، ثم بعد صدورها . . انها رحلة طويلة حافلة فقد كان للرجلين دور هام في تحقيق هذا الانجاز الذى تمثل في ظهور وانتشار هذه المجلة التي يعتز بها كل عربي (اقرأ ص ١٦ ، ص ٢٣) .

◆ الأمن الغذائي والثورة الزراعية ◆

● قضية الأمن الغذائي تشغل العالم كله والوطن العربي بصفة خاصة ، ان الغذاء هو صيحة العصر . . والأرقام تؤكد اننا مقبلون على أزمة في الغذاء اذا مضت الامور تسير على ما هى عليه . .

وقد خصصت العربي جانبا من صفحاتها للمشتغلين بالأمن الغذائي والاقتصاد الغذائي . . انهم يرسمون صورة مقلقة لما سيكون عليه الغد ، اذا لم نبدأ في العمل الجاد من أجل تأمين غذائنا . (اقرأ الصفحات من ٣٩ - ٥٣)
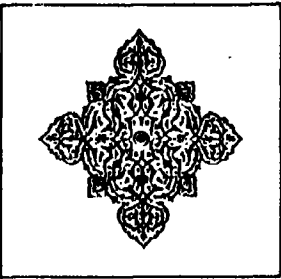
◆ على طريق الاسلام والأركان والبنيان ◆

● المسلمون اليوم يقفون على أعتاب صحوة جديدة ، ترصد بشائرها ، وترى بعض علاماتها ، ولكنها تولد في مرحلة من مراحل التطور الانساني بالغة التعقيد (اقرأ ص ٣٠) .

● البنيان الاسلامي يدرك أمره كل من عرف معرفة ايجابية لا سلبية ولا نظرية ، أن الاسلام دين شامل وان شموله يسع الحياة كلها . (اقرأ ص ٥٤)
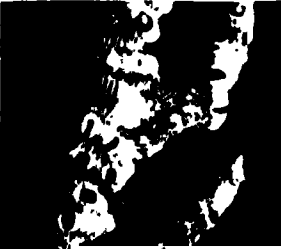
◆ رحلة كنوز الخليج وأرض النار والنور ◆

●الدكتور جاسم محمد الحسن قام بتنظيم رحلة علمية لمسح أعماق الخليج وتصوير ثرواته . . لقد استغرقت الرحلة عامين وكان لها ثمار تنفرد العربي بنقل بعضها (اقرأ ص ٦٨)

● وكان للعربي وقفة في جمهورية اذربيجان ، ضمن جولة واسعة بدأت من موسكو ثم لينينجراد وباكو وانتهت الى عالم اوزبكستان الحافل ، انها رحلة الى عالم مغاير تماما (اقرأ الاستطلاع ص ١٣٢)

قضايا عامة

عروبة واسلام

الغذاء « جزء خاص »

منتدى العربي

طب وعلوم

آداب وفنـــون

تاريخ واشخاص

استطلاعات مصورة

اجتمـــاع

أبواب ثابتـــة

حديث الشهر

تحرير الأمة العربي

في خريف القرن العشرين يعيش العربي عصراً يكتنفه القلق العميق على واقع الأمة العربية ، فلم يحدث من قبل ان عشنا ـ نحن العرب ـ في مثل هذا الواقع المر ، على الرغم مما حققناه من تقدم في اكثر من صعيد . فلم يعد هناك استعمار سياسي مباشر ومعركة الاستقلال الاقتصادي تدور رحاها في أكثر من موقع عربي ، ولقد تزايدت أعداد العرب الذين يجيدون القراءة والكتابة ويدخلون الجامعات ، الى جانب الاقبال المتزايد على استخدام التكنولوجيا الحديثة . وبرغم ذلك كله مازلنا نعيش ازمة هي في اساسها ، « أزمة العقل العربي » .

من مظاهر هذه الأزمة ما يمكن تسميته بالمرض العربي ، وبعض اعراض ذلك ، النقد العميق والجارح في بعض الاحيان للذات ـ ذاتنا العربية ـ حتى خيل للبعض منا أننا لم نعد راضين عن انفسنا وعن سلوكنا .

مظاهر الأزمة هذه ليست مقصورة على العرب وحدهم ، وعلى اوضاعهم ، فقد مرت بها شعوب اخرى في أوقات الهزائم والنكسات أو قل النكبات . فتارة كان « المرض الروسي » عندما كان مثقفو روسيا قبل الثورة البلشفية يصفون مجتمعهم بالكسل والثرثرة ، وكيف انه لم يعد يصلح لشيء ! وكذلك كان هذا المرض « مرضا فرنسيا » وبخاصة بعد هزيمة فرنسا امام جيوش الغزو الهتلرية في مطلع الحرب العالمية الثانية ـ فكان الأدب الفرنسي يعج بالنقد الجارح والعميق لكل مظاهر الحياة الفرنسية ، واستمر ذلك الى سنوات ما بعد التحرير .

ومن اعراض « المرض العربي » كما يجمع الكثير من الكتاب والنقاد العرب اليوم ، قبول العلاقات غير المتكافئة ، وتقديس الذات او احتقارها ، والشك والفردية ، والقبلية او الولاء للطائفة والعشيرة ، والعداوة المفرطة او الولاء بلا حدود ، والتنافس غير المقنن ، والتسلط والعزوف عن البحث عن المجهول ، وأخيرا تلك الهوة التي تفصل بين النظرية والتطبيق .

هذه العلل ليست جديدة فقد كانت سائدة لدى الكتاب والنقاد في أمم غيرنا مرت بمحن عميقة ، لهذا فان مظاهر الأزمة ليست فريدة ، واعراض المرض العربي ايضا ليست جديدة .

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

ونجد أنفسنا في حيرة . من أين نبدأ ؟ هل الأولى بنا البحث في اسباب هذا المرض العربي الذي ألم بنا ـ نحن العرب ـ فنتساءل هل هي مظاهر عارضة تزول بزوال اسبابها ، أم هي اعراض مقيمة باقية لافكاك منها ؟

العقل العربي مازال مقيدا

في تقدير البعض ان التحليل العلمي الرصين يوصلنا الى ان الأزمة التي يمر بها العقل العربي في وقتنا الحاضر لا يمكن ان تكون دائمة مقيمة . لأن ذلك ضد طبيعة الأشياء ، ولكن في نفس الوقت يجب ألا نتوقع زوالها بمرور الوقت فقط ، او بالتمني ، فبعد معرفة الاسباب لابد من العمل .

واذا نظرنا لأسباب تقييد العقل العربي ، عرفناها وفهمناها . فالعرب لم يتحرروا من الاستعمار العسكري المباشر الا منذ فترة قصيرة من الزمن . وقد خاضوا ومازال بعضهم يخوضون معركة التحرر الاقتصادي ، اما معركة استقلال العقل فلما تبدأ بعد .

والدعوة الحقيقية التي يجب ان تطرح اليوم على مجمل ساحة الوطن العربي هي « العمل على استقلال العقل العربي » . وفي هذا نحن لسنا وحدنا ، فالعالم الثالث الذي ذاق الاستعمار الحديث بعد الثورة الصناعية والتكنولوجية في اوروبا ، مر بما نمر نحن به الآن . ومن مظاهر هذا أن يأتي على العقل القومي حين من الدهر يتشرب فيه ثقافة المستعمر الذي يعتقد فيها التابع انها يجب ان تسود ، وانه لابد له ان يأخذ بها ومنها . لذلك تتبنى النخبة في العالم الثالث ثقافة هذا المستعمر وتعتقد انها هي الأعلى والأقوى . ولا ينطبق ذلك على نظام الحكم والادارة والشئون العامة فحسب ، ولكن يتجاوزه الى التقليد ايضا في المأكل والملبس والعادات ، وفي القيم العامة . حتى لنراها تصل في النهاية الى تغيير في اللغة والدين . ثم ما يلبث ان يستيقظ شيء من الضمير الثقافي القومي فيرتد الى الجذور الثقافية التقليدية مثل احياء بعض اللغات والقوانين القديمة في بعض اقطار افريقيا . ثم يأتي الدور الثالث الذي هو محصلة لتزاوج ثقافة

العقل الانساني الحديث مع الولاء للجذور الثقافية التقليدية . هذه المرحلة الأخيرة هي ما يسميه البعض بالمرحلة التّوية وهي ليست اندماجا وفقدانا للهوية مع المستعمر القديم ، كما حدث لبعض الشعوب والأقوام ، وليست بعداً عن الحاضر والعيش في قوقعة معزولة في الوقت الذي يتحول فيه العالم اكثر واكثر الى قرية كبيرة ! انها مرحلة سوية متوازنة عقلانية فأين نحن العرب من كل ذلك ؟ . .

الفترة الحرجة

يخيل اليَّ أن العقل العربي اليوم يعيش في الفترة الحرجة ، ومن هنا يأتي قولنا ان العقل العربي مازال مقيداً ، فنحن جزئيا لم نتخلص كعرب ، وكثقافة عربية شاملة ، من المرحلة الأولى . فمازال البعض يعتقد مثلا ان الكتابة بلغة اجنبية هي الطريق الى العالمية والانتشار . ليس في الدراسات العلمية والاقتصادية فحسب ، ولكن ايضا في الدراسات الفكرية والابداع الشعري او الروائي او القصصي .

وهناك قائمة طويلة من الكتاب العرب يمكن وضعهم في هذه الاطار . الا ان القول الآخر ايضا صحيح ، فهناك اغلبية تكتب بالعربية ولكن سقف ابداعها هو النموذج الغربي ايضا .

يعيش كذلك الكثيرون منا في المرحلة الثانية ، اي الرجوع الى الجذور الثقافية التقليدية الأولى ، وهي مرحلة صحية ومقبولة في فترة ما ، ولكنها اذا استمرت في قطيعتها للحاضر والابتعاد عن معظم خصائص المظاهر الحضارية ، والمتمثلة في الحيوية والتغيير ، تكون قد عزلت نفسها عن تيار الحضارة العالمية وهدَّدت بأن تتيبس على عروشها .

أما المرحلة الثالثة ، فهي لما تبدأ بعد ، ولا يبدو منها الا بصيص نور بعيد يثقلنا عن الوصول اليه التشتت بين المرحلتين الأولى والثانية ، ويوقعنا في اغتراب ثقافي تجاوزته بعض الأمم في العالم الثالث ، واستطاعت ان تنهض نهوضا جديدا في العقود الثلاثة او الأربعة الماضية .

مظاهر الفترة الحرجة

الواقع المعاش للعقل العربي الذي وصفناه سابقا يكاد يجمع عليه الكثير من الكتاب العرب ، ولكن بكلمات وتعابير اخرى ، ولو أنها تصل في النهاية الى نفس المحصلة (البنية التقليدية الموروثة تأبى ان تموت ، والبنية المتوخاة والتي نحن مقبلون عليها تأبى ان تظهر) ، مما يجعلنا نتعثر باستمرار في طريقنا الى المستقبل .

انتا نكاد نشعر بهذا الاتجاه لدى كتابنا في صدر ما اتفق على تسميته بعصر النهضة

العربية الحديثة فيما يسبق البداية كتاب من امثال رفاعة الطهطاوي ، خير الدين التونسي ، جمال الدين الافغاني ، عبدالرحمن الكواكبي ، زكي نجيب محمود ، طه حسين ، العقاد ، عبدالله العروي وفؤاد زكريا . على سبيل المثال لا الحصر . . وهناك كثيرون ، ولكن يأبى عقلنا العربي السائد اليوم ان يقبل التآلف والتناغم ، الحيوية والتغيير ، وهما من ضرورات التقدم الذي دعا اليه جمهرة من المثقفين العرب ، وحتى الآن لم يجد صداه العريض لدى الجمهور العربي ، او هو لم يتمكن بعد من العقل العربي المعاصر . بل يذهب البعض في رفض تلك الحقيقة العلمية ، فكرة التآلف ، لتسميتها بازدراء « توفيقية مقيتة » . . هذا الوصف يحمل في طياته رفض الفكرة من أساسها .

الآفات الثلاثة

لذلك نجد ان المكوّنات السائدة في العقل العربي المعاصر ثلاث ، القَطْعِيَّة ضد النسبية ، الاحادية ضد التعددية ، والانتقائية ضد المحصلة والتآلف .

والقَطْعِيَّة هي احد مظاهر الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي اليوم ، وهي قطعية تظهر في الاقتصاد والاجتماع وشئون اخرى في الحياة ، كما تظهر في السياسة . ولو اخذنا مظهرا واحداً من مظاهر العمل السياسي على سبيل المثال ، وقلنا « الوحدة العربية » لوجدنا ان القطعية تتمثل في الخطاب السياسي في هذا المجال افضل تمثيل ، فالوحدة تعني الوحدة الشاملة الفورية في كل المجالات ، اما ما عداها فهو تفكك . وعلى الرغم من الأصوات التي تنادي بالتدرج ، الا ان الخطاب العربي السياسي لهذا الموضوع مازال عند موقفه من اعتبار امكانية الوحدة العربية الفورية ، امكانية قائمة والواقع المعاش يقول لنا شيئا آخر تماما على عكس ذلك الخطاب . واذا ضربنا مثلا آخر قلنا « الاجتهادات الاقتصادية » المطروحة على الساحة العربية . فهناك قول بالاشتراكية وقول آخر بالاجتهاد الرأسمالي في اطار الخيارات الاقتصادية . ولكن لا هذا يحقق الحد الأدنى ولا ذاك .

وفي الوقت الذي تسقط في العالم خيارات من هذا النوع ، فلا الرأسماليون توقفوا عن احتضان افكار مثل تأميم وسائل الانتاج وتوفير الخدمات العامة من علاج وتعليم ، ولا الاشتراكيون غفلوا عن الحافز الشخصي والملكية الخاصة - نجد ان العقل العربي حتى الآن ينظر بقطعية تقليدية حادة ، فاما هذا واما ذاك .

ومن مظاهر الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي ، الأحادية ضد التعددية ، فهناك في الثقافة اقتباس أو ابداع . ولكن الواقع المعاش يقول لنا شيئا آخر ، فليس هناك ابداع مطلق كما انه ليس هناك اقتباس مطلق . ثقافة اثرية وثقافة جديدة ، والاثرية تعني هنا الرجوع الى الماضي واحيائه ، والجديدة تعني تجاوز القديم

واعدامه . والواقع المعاش ايضا يقول لنا ان الحاضر هو جزء من الماضي ، وكذلك المستقبل جزء من الحاضر ، ونصل الى قمة الثنائية عندما نفصل بين « الماورائيات والماديات » . وكأن لنا نحن البشر خيارا قطعياً في ذلك ، فنحاول ان نفصل بين العلم البحت وبين الانسانيات ، ولا نلتفت الى ما حدث في عصر النهضة في اوروبا ، فقد اخذت مظاهر هذا الصراع صورة حادة تمثلت في اقتفاء الكنيسة الكاثوليكية لأصحاب الفكر العلمي واعدامهم في اكثر الاحيان . الا أن التاريخ قد اثبت لنا ان اصحاب العلم البحت قد اثبتوا وجودهم ، وغيرت نتائج ابحاثهم من تصور الانسان لنفسه ولمحيطه وبيئته

واهمية ذلك تنحصر في ان حياة الانسان لا تستقيم حين يتشبث بالماديات ويفقد المعاني الروحية ، والعكس ايضا صحيح . والتزاوج بين العلم البحت الذي يُنمّي شخصية الانسان ويمهد له طريق التقدم وبين المعاني الروحية التي تحفظ للانسان انسانيته هو الذي يحقق التوافق الثقافي . اما تبني نظرية واحدة دون اخرى فهو الفصام الثقافي بعينه .

ومن مظاهر الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي ايضا ، مظهر الانتقائية ، فلقد زحفت آثار الموجة الصناعية الثالثة على الوطن العربي ووصفت بأنها أعظم تحول نوعي عرفه التاريخ البشري جلبت معها تقدماً هائلا في التكنولوجيا . فانبرى البعض منا الى القول بانه يمكن ان نحصل على نتائج التكنولوجيا دون ان نغير من قيمنا الاجتماعية . وكانت الانتقائية عندنا هي في امكان الحصول واستخدام نتاج التكنولوجيا الحديثة في المواصلات والاتصالات والتعليم والحرب دون ان نغير ما بأنفسنا عن طريق هضم هذه التكنولوجيا ، والاستعداد للتغيير وفقا لمتطلباتها . فالتكنولوجيا ليست انتاج ماكينات وادوات تستخدم ، ولكنها قبل ذلك وبعده ، استخدام للعقل واحترام للوقت وتقدير للعلم والتطور ، وتغير قيم اجتماعية وطرق جديدة في ادارة المجتمع . . . لا يمكن والأمر كذلك ان نقف منها موقف الانتقائي .

تجاوز الفترة الحرجة

تجاوز الفترة الحرجة التي وصفنا بعض مظاهرها ، ومظاهر أخرى لا يتسع المقام لذكرها ، أمر ممكن ، ولكن هذا التجاوز يصبح غير ممكن على ساحة التمني فقط ، حيث ان العمل الواقعي والمدروس هو الطريق الصحيح لهذا التجاوز .

ذلك ان اسباب ازدواج الثقافة او الانفصال الثقافي ظاهرة ليست عربية فقط ، ولكنها تكاد تكون ظاهرة شاملة في العالم الثالث في عصرنا هذا ، واسبابها كثيرة وعميقة ومعقدة تتصل بالتاريخ الاجتماعي للشعوب . واذا كان القول المشهور ان معركة

« واترلو » قد ربحت على ملاعب مدارس ايتن ETON* ، فان مدخلنا لتجاوز الفترة الحرجة التي يمر بها العقل العربي ، هو العمل على تحرير هذا العقل عن طريق التربية والتثقيف ، وفي اطار عمل ذلك لابد من دراسة مُكَوّنات الشخصية الثقافية العربية . ومكونات الشخصية - أية شخصية - ليست فطرية ، تولد مع الانسان وتموت معه ، وانما هي مكونات مكتسبة من خلال عملية تنشئة تشترك فيها المدرسة ، مع البيت ، مع البيئة الاجتماعية ، مع وسائل الثقافة العامة . لذلك فان الاهتمام بنمط النشأة الاجتماعية ومؤسساتها ومكوناتها هي التي تقدم المفاتيح الحقيقية لتجاوز هذه الفترة الحرجة .

والمداخل كثيرة ومتعددة وهي العلم والثقافة الجادة والحرية النسبية في التعبير الفكري والعمل الاجتماعي .

* * *

وعندما نحتفل نحن في العربي مع قراء العربي بصدور هذا العدد بمناسبة خاصة ، هي مضي ربع قرن على بدء صدور هذه المجلة الثقافية العربية ، فاننا نكرس في هذه المناسبة اهمية طرح مقولة تحرير العقل العربي واطلاق طاقته كي يعمل لتجاوز امراض الأمة التي نشكو جميعا منها منذ زمن غير قصير !

هذه الأمراض ليست خاصة بنا وحدنا ، بل ويشاركنا فيها العالم الثالث ، فقد دعت اليونسكو منذ زمن طويل (عام ١٩٥٢) الى مؤتمر دولي للمفكرين لبحث المشكلات التي يواجهها المشتغلون بالثقافة ، وظهر من خلال المناقشات ان ابرز المعوقات التي تقف في طريق الفكر الحر وانتشاره هي عجز التشريعات عن حماية المفكرين ، والضغوط الاقتصادية التي يعانون منها وتدخل السلطات العامة وامعانها في هذا التدخل في شؤونهم .

وقتها ، كما هو الآن ، كانت هناك دعوة لتحرير العقل . . ونحن من جديد في هذا المكان نعود الى طرح الموضوع . . ومجلتنا « العربي » التي خدمت الثقافة العربية في خلال ربع قرن مضى تعد مساحة ثقافية تضيف الى ما هو قائم وتساند وتعضد المشتغلين بالفكر العربي الحديث من أجل عصر يسود فيه العقل والفكر الحر في خدمة الثقافة العربية .

---

* من أقدم المدارس الخاصة المشهورة في بريطانيا ، والمعنى ان التربية الانجليزية هي التي مكنت للجيش الانكليزي بقيادة ولنجتون (ومعه حلفاؤه) ان يهزم الجيش الفرنسي بقيادة نابليون في موقعة « واترلو » .

رسالة الشيخ صباح الأحمد
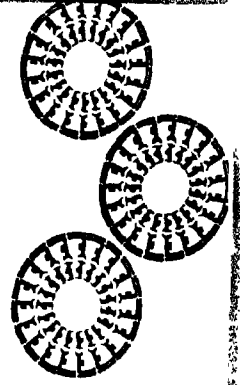
بوحي من انتماء الكويت للأمة العربية وتأصيلا لسياسة البلاد في اشاعة الفكر والثقافة العربية . . صدرت مجلة العربي منذ خمسة وعشرين عاما ، والذي يتابع المجلة عن كثب سيجد انها تجسد ـ بتوجهها الفكرى العربي ـ قومية الثقافة بحيث تكون المجلة في متناول القارىء العربي من المحيط الى الخليج .

ولعله من المفيد ان اذكر هنا ـ بهذه المناسبة الطيبة ـ انني لمست خلال جولاتي العديدة في شتى أنحاء العالم ، مدى النجاح الطيب الذي حققته المجلة . . الامر الذي يؤكد بأن الكويت لا تصدر النفط فحسب ، بل انها تسعى الى توظيف عائداتها توظيفا تنمويا يتجاوز حدود بلادنا . ومجلة العربي هي نموذج لهذا التوظيف التنموي الثقافي ، الذي تسعى حكومة الكويت الى اشاعته في شتى المجالات الثقافية .

ان سياسة الكويت نابعة من هذه الحقيقة . . حيث كان التعليم والثقافة من أهم المرتكزات التي تتكىء عليها هذه السياسة بعامة .

ولعلها مناسبة خيرة ، أدعو من خلالها الكفاءات العربية القادرة في أرجاء وطننا الكبير ، الى المساهمة بقدراتها ومجالات تخصصها ، اثراء لمادة « العربي » ومدها بمزيد من الزخم الثقافي والعلمي ، وصولا الى تحقيق المستوى الافضل دائما ، فهي مجلة « العربي » في كل ارض عربية . كما أنتهزها فرصة ، لأقدم لأسرة تحرير المجلة ، ولكل من عمل وساهم في اصدارها طيلة هذه السنين التهنئة والتقدير ، متمنيا لهم المزيد من النجاح لكي تواصل المجلة مسيرتها ، خدمة للثقافة العربية الخالصة ، في شتى ربوع وطننا العربي الكبير .

والله الموفق.

إلى مجلة العربي في يوبيلها الفضي

سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد خلال زيارة لمطابع مجلة العربي ، وفي استقباله الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الاعلام عندما كان رئيسا لدائرة المطبوعات والنشر .
وفي الصورة الدكتور أحمد زكي . صورة من الأرشيف التقطت عام ١٩٦٠

مجلة العربي

فكرة إصدارها .. وكيف ولدت ؟

بقلم : بدر خالد البدر

□ إن الصحف التي نراها اليوم في المكتبات والاكشاك في جميع انحاء العالم لم تظهر بتلك الصورة الا بعد فترات طويلة من الاعداد والتحضير والعمل الشاق ، ساهم فيه كثيرون.البعض برزت اسماؤهم والبعض عملوا من وراء الستار ولم يعرف عنهم أحد شيئا .

ومجلة العربي التي استغرق الاعداد لها قرابة اربع سنوات لم تشذ عن هذه القاعدة . وهذه قصة ولادتها من ألفها الى يائها ، فقد كنت بحكم عملي مع الذين ساهموا في إخراجها الى حيز الوجود .

وعند الحديث عن مجلة العربي لابد من المرور بسرعة الى اصدار الجريدة الرسمية (الكويت اليوم) في عام ١٩٥٤ فهي التي أوحت بفكرة اصدار مجلة العربي . بهذه المناسبة أجد نفسي مدفوعا إلى الحديث عن دوري في هذا المجال فبغير التطرق الى هذا الدور ستظل الصورة ناقصة وبعض المعلومات خافية على الكثيرين من القراء في ايامنا هذه ممن لم يدركوا تلك الفترة أو ادركوها في طفولتهم أو مقتبل شبابهم .
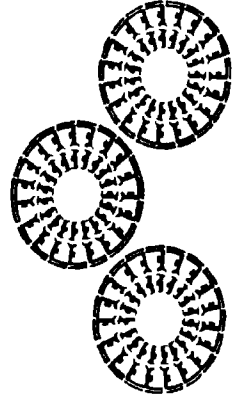
في منتصف تلك السنة أو في النصف الثاني منها بدأت في الكويت قفزة ادارية ضخمة وذلك بقصد وضع الأسس الحديثة للدولة التي ساعدها دخلها الوفير من النفط على التفكير في توسيع المرافق وفقا للاسس والمفاهيم الحديثة بقدر الامكان . وعلى هذا الاساس اصدر المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح امير الكويت مرسوما بتشكيل لجنة عليا تحت اشرافه تسمى « اللجنة التنفيذية العليا » مؤلفة من الشيخ جابر

في نفس الشهر الذي صدر فيه العدد الأول من مجلة العربي (ديسمبر ١٩٥٨) كان مؤتمر الأدباء العرب منعقدا في الكويت ، وكانت فرصة للقاء ، ويرى في الصورة الدكتور أحمد زكي ، وكامل الشناوي ، والدكتورة بنت الشاطىء وبدر خالد البدر ، والدكتور منصور فهمي والباجي التونسي ومحمد الفوزان .

العلي الصباح ، والشيخ صباح الاحمد الصباح ، والشيخ خالد العبدالله الصباح والسيد أحمد عبداللطيف مدير المالية والسيد عبداللطيف ابراهيم النصف - مدير مكتب سمو الامير ، والسيد عزت جعفر . وكان يقوم بأعمال السكرتارية كل من أحمد السيد عمر وحامد يوسف العيسى كما كان يحضر الاجتماعات أحد الخبراء في وزارة المالية ، المستر ستروفر*.

وفي خلال هذه الفترة كنت موظفا في دائرة المعارف (وزارة التربية) حاليا حيث كنت اقوم بأعمال السكرتارية في مكتب المدير الاداري والمالي المرحوم سليمان العدساني ، أما الدائرة الفنية فكان مديرها الاستاذ عبدالعزيز حسين وفي ذلك الوقت جرى انتخاب مجلس جديد للمعارف وكان من بين اعضائه السيد خالد عبداللطيف مسلم فتقرر تعيينه مكان سليمان العدساني الذي انتهت مدة خدماته .

الجريدة الرسمية

وحل شهر سبتمبر (أيلول) من ذلك العام وبدأت المراجعات تتكاثر على دائرة المعارف بقسميها الاداري والفني ومعظم المراجعين يطلبون معلومات عن اشياء معينة تتعلق بشئون المدارس واحتياجاتها وكانت الاسئلة كثيرة ومتعددة من المراجعين هذا يسأل عن مناقصة السيارات لنقل الطلاب وذلك عن تزويد المدارس لقرطاسيات وآخر عن الملابس وهكذا . وفي غمرة تلك الزحمة وارهاق العمل تناولت ورقة وحررت رسالة مؤرخة في ١١/ ٩/ ١٩٥٤ موجهة الى مدير الادارة المالية اقترح فيها اصدار جريدة رسمية ورجوته ان يرفع اقتراحي هذا الى اللجنة التنفيذية العليا . وبعد ان اطلع السيد خالد مسلم على الفكرة ←

* بهذه المناسبة أود أن أناشد الاخ أحمد السيد عمر بأن يكتب بحثا عنها نظرا لعمله مع اعضائها واطلاعه على كافة انجازاتها . كما أرجو ان تكون سجلاتها وملفاتها محفوظة في اماكن امينة بالنظر لاهميتها .
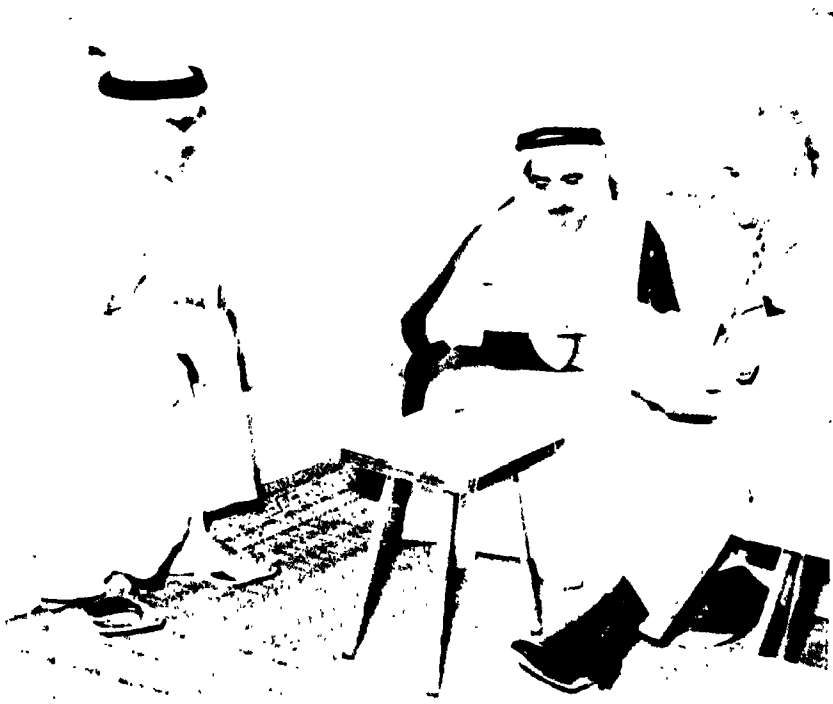
الشيخ صباح الأحمد يستمع ، والدكتور أحمد زكي يتحدث والموضوع « المولود الجديد » .

رحب بها وحرر رسالة بتاريخ ١٢/ ٩/ ١٩٥٤ موجهة إلى اللجنة التنفيذية المشار اليها مرفقا بها رسالتي التي تتضمن الاقتراح .

وفي اليوم الثاني أي ١٣/ ٩/ ١٩٥٤ ارسلت اللجنة التنفيذية خطابا موجها الى مدير ادارة ومالية المعارف مذيلا بتوقيع الشيخ صباح الاحمد عن اللجنة ، وهذا نص الخطاب : « تعرب اللجنة عن جزيل شكرها للسيد بدر خالد البدر لاقتراحه الموجه اليها بواسطتكم حسب كتابكم رقم م/ د/ ٧ المؤرخ ١٢/ ٩/ ١٩٥٤ حول اصدار جريدة حكومية رسمية وتؤكد له انها ستولي اقتراحه الوجيه بالغ العناية والاهتمام في أقرب فرصة مناسبة » .

« التوقيع عن / اللجنة التنفيذية العليا
صباح الاحمد الصباح »

وبعد ايام قليلة من الموافقة على الاقتراح وجهت اللجنة التنفيذية عدة رسائل الى دوائر الحكومة تخبرهم فيها بقرب اصدار الجريدة الرسمية وتقترح تعيين مندوب عن كل دائرة وذلك لبحث المواضيع المتعلقة باصدار الجريدة الرسمية . والاسماء مع الادارات كالآتي كما نشرت فيما بعد في العدد الاول من الجريدة الرسمية .

أحمد السيد عمر « عن ادارة المالية » ، بدر خالد البدر « ادارة المعارف » ، سعود الفوزان « الاشغال العامة » ، طلعت الغصيني « مجلس الانشاء » ، جاسم القطامي « الشرطة العامة » ، عبدالله النوري « المحاكم » ، أحمد زين السقاف « ادارة الاوقاف العامة » ، جاسم العنجري « ادارة الميناء » ، عبد العزيز الدوسري « الجمارك » ، سعيد يعقوب « البلدية » ، خالد النصرالله « الصحة العامة » ، يوسف مشاري الحسن « الكهرباء والماء » .

أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد عندما كان مديرا لدائرة المالية والنفط والشيخ صباح الأحمد ، وبدر خالد البدر ، والدكتور أحمد زكي وأحمد السقاف وبعض العاملين في المطبعة « الجديدة »

أسرة التحرير

وقد عقدت الجماعة أول اجتماع لهم بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤ ثم عقد الاجتماع الثاني في ٣٠/ / ١٩٥٤ وجرى انتخاب أسرة التحرير وهم يوسف مشاري الحسن ، طلعت الغصيني ، بدر خالد البدر . وفي نفس الاجتماع جرى الاقتراع على تسمية الجريدة « الكويت اليوم » كما تقرر بالاجتماع ضم السيد أحمد السيد عمر الى أسرة التحرير كما تقرر نقلي من ادارة المعارف لأتولى ادارة الجريدة ونقل السيد فاضل خلف ليتولى أعمال السكرتارية . وقد وافقت اللجنة التنفيذية العليا على كل ما جاء اعلاه . وبالفعل تم نقلي الى ادارة الجريدة الرسمية اعتبارا من ٢/ ١١/ ١٩٥٤ .

واستمرت اسرة التحرير تواصل اجتماعاتها من اجل اصدار العدد الاول من الجريدة الرسمية وذلك بجمع المعلومات والبيانات التي زودتنا بها دوائر الحكومة كما اتفقنا مع احدى المطابع التجارية الثلاث التي كانت موجودة في الكويت آنذاك على طبع الجريدة . وكل ما استطعنا جمعه من معلومات وبيانات لم يتجاوز الست عشرة صفحة ، وبناء عليه فقد اضطررنا لملء الفراغ بين الصفحات ببعض المقطوعات الادبية ! وصدر العدد الاول في اليوم السادس عشر من ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ الموافق الحادي عشر من شهر ديسمبر ١٩٥٤ . وفي الاعداد التي تلت ذلك أضفنا بابا جديدا في الجريدة أسميناه (الكويت في صحف العالم) ، كنا ننشر فيه اهم الموضوعات التي يأتي ذكر الكويت فيها وكان اكثرها يدور حول النفط .

وتدور الايام واذا بي أرى احد اعداد الجريدة الرسمية بحجم دليل التليفون وعدد صفحاته (١٠٤٠) صفحة وهو العدد رقم (١٣٤٥) !

كانت ادارة الجريدة واسرة التحرير تجتمع في بناية مجلس الشورى وهو مقر مجلس الانشاء واللجنة التنفيذية العليا ثم استأجرنا شقة في الشارع الجديد مؤلفة من ثلاث غرف ثم استأجرنا شقة ثانية ملاصقة لها واشترينا حروف طباعة وبدأنا نصف الحروف عندنا ونرسل الصفحات المصفوفة الى المطبعة لطبعها ووضعنا اثنين من الشباب العرب لهذه الغاية هما محمد الكالوتي وضياء الامام .

مولد فكرة اصدار مجلة ادبية

وفي الجلسة التي عقدتها أسرة التحرير بتاريخ ١٣/١٢/ ١٩٥٤ تم بحث موضوع اصدار ملحق أدبي يكون تابعا لادارة الجريدة الرسمية وفكرة الملحق الادبي هذه ظلت تتفاعل على مرور الايام وتتطور الى أن كان صدور العدد الاول من مجلة العربي في ديسمبر (كانون الاول) في عام ١٩٥٨ . فاتني ان اذكر ان السيد فاضل خلف الذي أشرت الى نقل خدماته من دائرة المعارف الى ادارة الجريدة الرسمية كان يحضر جلسات هيئة التحرير وأسرة التحرير ويسجل ماكان يدور فيها من أمور وكان حاضرا في هذه الجلسة التاريخية .

كذلك أود ان اشير الى حادثة اخرى مهمة وقعت في تلك الايام وذلك في يوم ١٢/١٢/١٩٥٤ أي ثاني يوم صدور الجريدة الرسمية اذ ارسل الشيخ جابر العلي الى وعند مقابلتي له ابدى سروره لصدور العدد الأول من الجريدة الرسمية فانتهزت الفرصة وشرحت له المتاعب التي لاقيناها ونلاقيها في طباعة الجريدة وخلال الحديث وعد الشيخ جابر باثارة هذا الموضوع في الاجتماع القادم للجنة التنفيذية العليا وفعلا صدر في اليوم التالي (القرار رقم ت ٦٢/ ٤٠ تاريخ ١٣/١٢/ ١٩٥٤ بانشاء دائرة حكومية تسمى (دائرة المطبوعات) تتولى طبع الجريدة وجميع المطبوعات الحكومية على ان تزود بمطبعة حديثة تجلب بطريق المناقصة) .

اعود الى موضوع المجلة الادبية أو مجلة العربي فيما بعد فأقول بأن الفكرة المطروحة ظلت تتفاعل ببطء عند المسئولين وعندما صدر قرار اللجنة التنفيذية العليا بتاريخ ٥/٢/ ١٩٥٥ بانشاء دائرة المطبوعات والنشر وتعييني مديرا عاما لها كان الشغل الشاغل للدائرة هو انشاء مطبعة الحكومة . وطرحت المناقصات اللازمة لجلب الآلات اللازمة ، ولم يكن ذلك بالامر الهين لعدم توفر الخبرة الفنية عندنا ولكننا تغلبنا على هذه المشكلة بالاستعانة بالخبرات الاجنبية والعربية ، ولن انسى ذلك اليوم الذي دخل على فيه وكيل اجنبي لإحدى الشركات المختصة بصنع مكائن الطباعة واخذ يعرض على انواع المكائن والمعدات فقلت له اني لا أعرف شيئاً عما تعرضه علي من هذه الآلات فرد علي قائلاً ما معناه « لا خوف عليك اذا حسنت الادارة أما الخبرات الفنية فعليك ان تستأجرها ! وفعلاً استأجرنا الخبرات الفنية وتم افتتاح المطبعة في شهر اكتوبر ١٩٥٦ وفي تلك السنة جرى نقل خدمات السيد أحمد السقاف من دائرة الأوقاف الى دائرة المطبوعات والنشر بصفته نائباً للمدير ومن المهمات التي عهدت اليه الإشراف على المطبعة وكنا قد ارسلنا بعثة كويتية الى المطبعة الأميرية بالقاهرة في صيف ذلك العام للتدرب على فنون الطباعة هناك .

اعرف بلدك أيها العربي

وبعد افتتاح المطبعة وتخصيص قسم منها لطباعة الالوان سهلت أمامنا الامور لزيادة

لقاء وحوار حول مستقبل العرب بين الدكتور عبد الرزاق السنهوري وعبد الخالق حسونة الأمين الأسبق للجامعة العربية والمستشار محسن عبد الحافظ والدكتور أحمد زكي

البحث في موضوع المجلة الادبية وبدأنا بالاستشارات واخذ رأي من كان يزورنا من صحافيين وادباء وناشرين وموزعي صحف، بعد ان اوضحنا لهم الهدف من اصدار مثل هذه المجلة وهو لتلافي النقص الظاهر في الصحافة العربية لمثل ذلك النوع من المجلات بعد ان اختفت من الميدان مجلات كان لها وزنها الادبي والعلمي مثل المقتطف والرسالة والثقافة وغيرها وقد كان أهم سبب لتوقف تلك الصحف عن الصدور هو الناحية المالية أي تكلفة الطبع وما الى ذلك. ولهذا رأت حكومة الكويت ان تساهم في ملء هذا الفراغ متبعة في ذلك اسلوبا يختلف عما اتبعته بعض الحكومات والمؤسسات بقصد الدعاية في غالب الاحيان. وهذا مانصحنا به الكثير ممن استشرناهم في هذا المجال فقد قالوا لنا اذا كنتم حقيقة تريدون خدمة القارىء العربي وتعويضه عن الصحف التي فقدها في الماضي فعليكم بالابتعاد عن الاسلوب الذي اتبعته صحف بعض الشركات التي تلقى مصيرها عادة في سلات المهملات!

ولذلك رأينا الابتعاد عن ذلك الاسلوب وبدأنا نبحث عما يهم القارىء العربي من مواضيع في شتى مجالات الثقافة والمعرفة وكان اهتمامنا مركزا بصورة خاصة على الاستطلاعات في مختلف البلاد العربية وذلك تحت عنوان «اعرف بلدك ايها العربي»

الدكتور احمد زكي

وفي أواخر عام ١٩٥٧ بدأنا نفكر بالمختصين لادارة المجلة وعلى رأسهم رئيس التحرير فتقرر ان يسافر السيد أحمد السقاف في جولة في البلاد العربية للبحث عن الشخص المناسب الذي تتوفر فيه الشروط اللازمة لمثل هذا المشروع الادبي الكبير.

وعاد الاستاذ السقاف بعد جولة قام بها في بعض البلاد العربية واطلع المسئولين عن الاتصالات التي قام بها مع نخبة من الادباء والكتاب ومن ابرز الجماعة الذين قابلهم وابدوا الاستعداد للعمل في المجلة العالم والأديب الكبير الدكتور أحمد زكي ، ولم ننتظر طويلا للموافقة حيث تم عرض الامر على رئيس الدائرة الشيخ صباح الاحمد الذي ابدى موافقته حالا وكلفني بالكتابة للدكتور احمد زكي أعرض عليه وظيفة رئاسة التحرير . فوجهت اليه رسالة بتاريخ ١/٢/١٩٥٨ وقد جاء الرد منه بالموافقة برسالة خاصة احتفظ بها مؤرخة في ١٢/٢/١٩٥٨ ثم فوضناه بعد ذلك باختيار مساعديه فاختار السيد سليم زبال مخرجا والسيد اوسكار مصورا والسيد عبد انوارث كبير سكرتيرا للتحرير ، والمخرج محمد حسني زكي ثم الرسام احمد الوردجي ، كما عين بعد ذلك المصور عبد الناصر شقره .

وعلى ذكر المخرج محمد حسني فانه هو الذي صمم لنا شعار الدولة الحالي بعد ان زودناه بالفكرة التي عمل على اثرها عدة نماذج ارسلناها في وقتها الى المجلس الاعلى الذي كان يقوم مقام الوزارة في ذلك الوقت حيث تم اختيار الشعار الحالي والموافقة عليه .

وكذلك أود ان اذكر المرحوم عبد الحفيظ يونس الذي كان يعمل عندنا كاتبا للطابعة كان يقوم بنفس الوقت بطبع ماتحتاجه ادارة المجلة حتى جرى نقله فيما بعد لجهاز المجلة بعد ان زادت اعمالها .

اختيار اسم المجلة

اما فيما يتعلق باسم المجلة فقد اجرينا مسابقة لانسب الاسماء ففاز بالجائزة النقدية مقترح الاسم (العربي) وقد اكتمل الاستعداد لاصدارها في أواخر عام ١٩٥٨ حيث صدر العدد الاول منها في شهر ديسمبر (كانون الاول) الموافق لشهر جمادي الاولى ١٣٧٨ هـ . ومن حسن الصدف ان وافق ذلك الوقت انعقاد مؤتمر الادباء العرب في الكويت والذي كان له صداه المدوي لوفرة عدد المشاركين فيه من كبار الادباء والشعراء من كافة الاقطار العربية .

وقد طبع من العدد الاول حوالى ثلاثين الف نسخة وزعت على مختلف البلاد العربية ونفذت جميعها منذ الايام الاولى من التوزيع وتوالت البرقيات على ادارة المجلة تطالب بالمزيد وبرقيات اخرى تعرب عن الاعجاب بالمجلة وتهنىء القائمين عليها . وكان للاستطلاعات التي قامت بها المجلة اهمية خاصة بالنسبة للقارىء العربي ولاتزال كذلك . ومن الامور المميزة للمجلة الابتعاد عن المسائل المثيرة وكان هذا المبدأ بمثابة دستور غير مكتوب للمجلة جعلها في مأمن من اجهزة الرقابة في بعض الدول العربية .

وقبل الانتهاء من هذا الحديث لابد من الاشادة ولو بكلمة موجزة عن دور الدكتور احمد زكي رئيس التحرير في رفع مستوى المجلة بحسن ادارته لها وما أسبغ عليها من وفرة علمه وسعة اطلاعه حتى اصبحت بحق المجلة الاولى في دنيا العالم العربي بالاضافة الى ذلك فقد كان رحمه الله مثالا للتواضع مكرسا معظم وقته لخدمة المجلة بمنتهى التجرد والاخلاص . كذلك اود ان أذكر بالخير الدكتور محمود السمره الذي عمل فترة من الوقت مساعدا للدكتور أحمد زكي حيث كان اثناء قيامه بعمله مثالا للنزاهة والاخلاص وقد ساهم كثيرا في رفع مستوى المجلة خلال فترة عمله معنا . وهنا أود الاشارة الى ان صلتي الرسمية بالمجلة انتهت بعد تقديم استقالتي كوكيل لوزارة الارشاد والانباء (الاعلام) حاليا وذلك في صيف ١٩٦٢ . وفي ختام هذا المقال اتمنى لمجلة العربي المزيد من الازدهار والانتشار ، ولجميع القائمين عليها كل التوفيق والنجاح والله ولى التوفيق .

قصة العربي

بقلم أحمد السقاف

☐ هذه هي القصة التي سبقت صدور مجلة العربي .. انها ذكريات يرويها الرجل الذي حمل عبء المهمة الكبرى التي كلف بها .. مهمة اصدار مجلة عربية ثقافية تكون هدية الكويت للوطن العربي .. القصة كاملة مازالت تعيش في مذكرات صاحبها . إنه الأديب الصحفي والشاعر المعروف الأستاذ احمد السقاف الذي يشغل حاليا منصب العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي . وهي هيئة تقدم العون الأخوي من الكويت لبعض الاقطار العربية الشقيقة .

توجهت صباح يوم الاثنين السادس عشر من نوفمبر « تشرين الثاني » عام ١٩٥٦ الى دائرة المطبوعات والنشر ملبيا رغبة رئيس الدائرة الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في انتقالي اليها نائبا للمدير ، ولقد وجدت أن الدائرة تفكر في اصدار مجلة ثقافية . وقد استكتبت بعض الكتاب والأدباء وتجمعت في الاضبارة عشرات المقالات ، وكانت دوائر الحكومة في ذلك الحين تتسابق في اصدار المجلات فدائرة المعارف لها مجلة ودائرة الشئون الاجتماعية لها مجلة ، ودائرة الشرطة لها مجلة ، ودائرة الصحة لها مجلة وهلم جرا ، وكانت تلك المجلات تعنى بالاشادة

بنشاطات تلك الدوائر - وقد تحولت الدوائر الى وزارات بعد استقلال البلاد عام ١٩٦١ - وفي الأشهر الأولى من عملي في دائرة المطبوعات والنشر قمت بمراجعة شاملة لحال العاملين في هذه الدائرة الناشئة وتقدمت بتقرير شامل في أوائل صيف ١٩٥٧ الى رئيس الدائرة فحظي بالموافقة السريعة ، ثم بدأت افكر في ثلاثة امور هامة اولها : تقوية المطبعة ببعض الخبراء في الطباعة وثانيها : رفع مستوى مصنع الزنكوغراف الى درجة تؤهله لانتاج الصور الملونة ، وثالثها : اصدار المجلة على نحو يختلف شكلا ومضمونا عن المجلات التي صدرت في الكويت ، فلا تكفي المقالات التي وردت من بعض البلدان العربية لاصدار مجلة يجب ان تؤدي رسالة العلم والأدب وفنون الثقافة العامة بشكل مثير جذاب الى كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير ، وانما يجب ان نحسن اختيار من يعهد اليهم النهوض بأعباء مثل هذه المجلة المتميزة .

حوار مع سليم اللوزي

وشاءت المصادفات أن يزور الكويت الصحفي اللبناني المعروف المرحوم سليم اللوزي ويحل ضيفا على رئيس دائرة المطبوعات والنشر في شهر نوفمبر عام ١٩٥٧ وحين علم بمشروع المجلة زار مدير المطبعة وطلب منه ان يصمم له « الماكيت » الذي تخيله للمجلة ثم زار الرئيس في مكتبه وأبدى استعداده للتعاون معي في اصدار العدد الأول على أن أتولى بعد ذلك الاشراف عليها ، ولم يشأ الرئيس أن يعارض رأي ضيفه ، فطلب حضوري الى مكتبه في دائرة الشئون الاجتماعية - فهو رئيس لدائرتين - ودخلت المكتب فوجدت لديه صاحب الاقتراح والمرحوم نصف اليوسف النصف ودار جدل طويل بيني وبين اللوزي - رحمه الله - ومما قاله سليم اللوزي في ذلك الاجتماع « ضع يدك في يدي ، وسنخرج العدد الأول معا ثم تتولى انت الاشراف عليها يساعدك من تراه مناسبا للعمل معك ، فلقد كلفت مدير المطبعة ان يعمل لي « الماكيت » اللازم للمجلة وستراه معي بعد قليل » . وكان من واجبي ان ارفض الاقتراح رفضا قاطعا وان اؤكد للرئيس ان مجلة ثقافية ضخمة كالمجلة التي افكر فيها يجب ان نجلب لها رجالها المتخصصين من خارج الكويت ، فاما ان تكون مجلة تتحدث بذكرها الأجيال او لا تكون ، وقد كان الاقتناع واضحا على قسمات وجه الشيخ صباح الأحمد غير ان مجاملة الضيف من اخلاق العرب ، وقد وجد في بعض كلمات نطق بها المرحوم نصف يوسف النصف - وهو من رجال الكويت المعدودين - منفذا لايقاف الجدل المحتدم بيني وبين اللوزي فقد قال نصف اليوسف رحمه الله « اني يا أبا ناصر أميل الى رأي السقاف » فقال الشيخ صباح قم يا أحمد أنت وسليم واتفقا على رأي ثم عودا الى غدا في مكتبي بدائرة المطبوعات .

•

وخرجت بصحبة اللوزي الى سيارتي ، وانطلقت به على غير هدى خارج سور الكويت ، وبقي اللوزي مصغيا لما اقول عن مشروع المجلة وبعد ان انتهيت قال هذا طموح صعب التحقيق ، فكيف تستطيع ان تجلب الى الكويت من ذكرت من الاسماء الكبيرة ، ان العيش في الكويت ما زال شاقا على هؤلاء ، ومثلهم لا يغريهم الراتب . وقلت للوزي لم لا أعطى الفرصة ؟ اني استطيع ان اتحمل مسئولية التعاقد مع القادرين على إنجاح هذا المشروع ، ولا اطلب منك غير التخلي عن المشاركة في مجلة لن تضيف فيها شيئا الى ما هو موجود من مجلات ، انك تحب ان تقرن اسمك بصدور العدد الأول من المجلة ولكنك ستؤدي للمشروع خدمة جليلة حين تتخلى عن هذه الرغبة ولن تخسر شيئا وكن واثقا مما اقول

في مكتب رئيس تحرير مجلة العربي المرحوم الدكتور أحمد زكي ـ ديسمبر ١٩٥٨ ويرى المرحوم أحمد زكي واقفاً خلف الاستاذ أحمد السقاف وعن يمين الاستاذ السقاف الاستاذ عبدالهادي التازي سفير المغرب ببغداد في ذلك الحين وعن يساره فضيلة العلامة الفاضل بن عاشور مفتي تونس وفي أقصى اليسار من الخلف الاستاذ محمد المزالي رئيس وزراء تونس اليوم وامام الاستاذ المزالي محمود شوقي الأيوبي والى يسار الأيوبي الدكتور محمود السمرة مساعد رئيس تحرير العربي والفرحة على الوجوه بالمولود الجديد « العربي »

بداية رحلة التحدي

وفي اليوم التالي غير اللوزي رأيه واقترح على الرئيس ان يحملني مسئولية اختيار موظفي المجلة ، وقد كان الرئيس مقتنعا بالرأي الذي دافعت عنه في دائرة الشئون الاجتماعية بحضور المرحوم نصف اليوسف ، ومتحمسا لاصدار مجلة تختلف عن بقية المجلات ، فوافق على سفري الى بعض العواصم العربية لتحقيق هذه الغاية ، وفي الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ١٩٥٧/١٢/١٤ غادرت الكويت الى بغداد وكان معي في هذه الرحلة زوجتي وولدي اسامة وفي صباح الأحد ١٩٥٧/١٢/١٥ زرت الأديب الكبير الاستاذ محمد بهجة الأثري ، كبير مفتشي اللغة العربية في مكتبه بوزارة المعارف

وقد بارك مشروع المجلة ووعد بالكتابة لها والاستكتاب من اجلها ثم قصدت جريدة الحرية فاستقبلني الاستاذ فيصل حسون وتحمس للمشروع وكتب عنه في اليوم التالي وفي يوم ١٦/١٢/١٩٥٧ زرت كلية الآداب وعقدت اجتماعا مع الدكتور يوسف عز الدين وزملائه في الكلية وفي المساء عقدت اجتماعا في فندق السندباد حضره نخبة من أساتذة الجامعة على رأسهم الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور يوسف عزالدين وبعده حضرت مأدبة عشاء بمنزل القاضي فالح القصاب حضرها بعض كرام القوم ومن بينهم الأديب المعروف حارث طه الراوي ودار الحديث حول مشروع المجلة وقد سئلت عن الاسم المقترح للمجلة فذكرت ثلاثة اسماء كانت في الذهن هي الخليج العربي ، والشاطيء العربي ، والعربي،وقد تذكر الأديب حارث طه الراوي ذلك المساء فكتب في الورود اللبنانية في العدد الصادر في شهري نوفمبر وديسمبر عام ١٩٨٢ يقول بالحرف الواحد: « وعلمت من ابي اسامة خلال اللقاء ان في نية المسئولين في الكويت اصدار مجلة راقية باسم « الخليج العربي » او « العربي » وهم يبحثون لها عن رئيس تحرير ، وقد طرح ابو اسامة على المسئولين هناك اسمين لاختيار احدهما لهذه المهمة الأدبية العلمية الثقافية الكبرى ، هما : العلامة فؤاد صروف والعلامة احمد زكي ، فهنأته على حسن اختياره وأخبرته بأن المفاضلة بين هذين العالمين الكبيرين ليست باليسيرة » .

لقاءات في بيروت

وفي صباح الثلاثاء ١٧/١٢/١٩٥٧ طرنا الى بيروت وكانت لي لقاءات واجتماعات مع السادة الأفاضل بهيج عثمان ومنير بعلبكي والدكتور نقولا زيادة والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور جبرائيل جبور والاستاذ فؤاد صروف والدكتور نبيه امين فارس والدكتور امين فريحه والدكتور سهيل ادريس والدكتور حسن صعب ، وقد شرح لي الاستاذ صروف ظروف عمله في الجامعة الامريكية وأثنى على الدكتور احمد زكي ، اما الدكتور سهيل ادريس فقد امتدح مشروع المجلة وابدى استعداده للعمل فيها ان كان التحرير والطبع سينفذان في بيروت، فرفضت الفكرة. وفي مساء الثلاثاء ٢٤/١٢/١٩٥٧ غادرنا بيروت الى دمشق وفيها اتصلت بالسادة الافاضل : الاستاذ علي الطنطاوي في محكمة التمييز العليا والاستاذ شفيق جبري عميد كلية الآداب بجامعة دمشق والدكتور امجد الطرابلسي والاستاذ سعيد الافغاني وغيرهم كثير ، ولقد اقترح الاستاذ سعيد الافغاني الاستعانة بالدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في اختيار ما يمكن طبعه من المخطوطات ، فهو مثله متخصص في

الدكتور محمد الرميحي يرأس اجتماعات مجلس تحرير مجلة العربي .

في الخمسينات كانت البساطة طابع الحياة في الكويت ، ولم يكن التحديث قد زحف بعد ، وكان كل شيء يتم بلا رسميات ، وفوق بساط المحبة والأخوة صنعت أطباق الطعام وجلس المدعوون حولها يفطرون بعد آذان المغرب في رمضان . . . . الشيخ صباح الأحمد والدكتور أحمد زكي والأستاذ السقاف وبقية المدعوين .

المخطوطات ، وكان ثناء الجميع عاطرا على التفكير الجاد في مشروع مجلة ثقافية ضخمة متميزة ، ووعدوا بتزويدها بمقالاتهم ، وفي مساء الاربعاء ١٩٥٧/١٢/٢٥ عدنا من دمشق وفي اليوم التالي زرت دار الكشاف للطباعة والنشر- وجماعة الدار اصدقائي-ثم دار العلم للملايين ، فاجتمعت بالاستاذ منير والأستاذ محمد توفيق حسين الأستاذ بالجامعة الأمريكية فرشحا لرئاسة تحرير المجلة الاستاذ المرحوم رئيف خوري فوعدت بالنظر في هذا الترشيح بعد زيارة القاهرة .

في بيت الدكتور احمد زكي

وفي صباح الاحد ١٩٥٧/١٢/٢٩ غادرنا بيروت الى القاهرة وفي صباح الاثنين ١٩٥٧/١٢/٣٠ اتصلت هاتفيا بالدكتور احمد زكي وطلبت مقابلته فعين الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي موعدا للمقابلة ثم توجهت لزيارة معهد المخطوطات وقابلت الدكتور المنجد وكان في زيارته الدكتور محمد يوسف نجم فتحدثنا في موضوع نشر الجيد من المخطوطات فأثنى على الفكرة وفي المساء زارني الدكتور المنجد فاتفقنا على البدء في اختيار ما يجب ان يتقدم على غيره في النشر وفي مساء الثلاثاء ١٩٥٧/١٢/٣١ زرت الدكتور احمد زكي ومعي زوجتي وولدي اسامة في منزله بالمعادي وبقيت في حوار معه حول مشروع المجلة اكثر من ساعة ونصف الساعة وكان متهيبا من ترك القاهرة والاستقرار في الكويت والحقيقة ان الحياة في الكويت في ذلك الحين كانت صعبة على المترفين من ابناء المدن الكبيرة والدكتور كان يعرف الكويت فقد زارها للمشاركة في الموسم الثقافي في مارس من عام ١٩٥٥ وقد طلب مني اسبوعا للبت في العرض وفي مساء الخميس

٢/١/١٩٥٨ قصدت الدكتور احمد زكي وشرحت له المشروع اكثر واكثر ، فوافق على ان يكون له الحق في الاعتذار خلال اسبوع فأعطيته الحق في الاعتذار في اي وقت يشاء ، وخرجت من منزله جذلا مطمئنا ، وكنت في الايام التي مضت قد زرت المطبعة الاميرية بكافة اقسامها ومطبعة المساحة وهي مختصة بطبع الاشياء الثمينة الدقيقة كالطوابع البريدية والنقود والخرائط وكان معي الاستاذان الكردي همام وعبد الفتاح الكليسلي مراقب الانتاج بالمطبعة الاميرية وزرت مطبعة ديكنسون وهي فرع لمطبعة ديكنسون بلندن كانت موضوعة تحت الحراسة ويشرف عليها مصريون وزرت مطابع اخبار اليوم وفي يوم السبت ٤/١/١٩٥٨ زرت دار الهلال وبحثت مسألة شراء « ارشيف » منها وطاف بي الاستاذ رمزي سعد على جميع أقسام المطبعة ووافقوا على تزويدنا « بالارشيف » المطلوب بثمن معتدل وفي التاسعة مساء ابرقت للرئيس وللمدير برقية بموافقة الدكتور احمد زكي هذا نصها : « صاحب السعادة رئيس دائرة المطبوعات والنشر ، السيد مدير المطبوعات ، الكويت ، تم الاتفاق مع الدكتور احمد زكي ، البقية سيتم اختيارهم قريبا ، مشروع المخطوطات انجزناه ، التفاصيل في كتاب مؤرخ ٤ منه ، السقاف » .

وقد اتفقت مع الدكتور احمد زكي على ان يكون راتبه أربعة الاف روبية او ثلاثمائة جنيه استرليني عدا الضرائب والامتيازات الاخرى ومن المطابع التي زرتها مطبعة الجمهورية واهم ما فيها مصنع الزنكوغراف و « مكنة المان » الكبيرة التي تطبع اربعة كتب او اربع جرائد دفعة واحدة وسرعتها مائتا الف نسخة في الساعة وثمنها مائة وعشرون الف جنيه استرليني اما مطبعة بنك مصر فقد كان التجليد بالبلاستيك والتجليد بالسلك اللولبي اهم ما فيها ، ولقد شاركني الدكتور احمد زكي منذ الاثنين ٦/١/١٩٥٨ ، في الزيارات والمقابلات فزرنا معا دار الهلال واتفقنا مع المسئولين فيها على شراء اربعة الاف صورة بألف جنيه وفي اليوم التالي اجتمعنا باحمد الوردجي الذي رشحته المطبعة الاميرية لي رساما للمجلة فوافق عليه الدكتور احمد زكي وزرنا بعد ذلك مسبك

أول مطابع وصلت الى أرض الكويت كانت من أجل مجلة العربي ، ثم أصبحت تستخدم في طباعة كل ما تصدره الكويت من مطبوعات ونشرات

الشرق لصناعة الحروف ومصنع زنكوغراف طوروس للوقوف على اسباب تأخر وصول « كليشيهات » المصحف الشريف وقد قصدت مساء يوم ١٢/ ١/ ١٩٥٨ الاستاذ احسان عبد القدوس وشرحت له موضوع المجلة فأعجب بالمشروع واثنى على الدكتور احمد زكي كما زرت طاهر الطناحي رئيس تحرير الهلال من قبل .

العودة الى الكويت

وفي يوم الاربعاء ١٥/ ١/ ١٩٥٨ زرت جريدة القاهرة فرحب بي الاستاذ حافظ محمود رئيس التحرير وكان لديه عبد الوارث كبير ، سكرتير التحرير وزرت مصطفى امين في دار اخبار اليوم وكان قد علم برغبتي في التعاقد مع المصور اوسكار متري والمخرج الفني سليم زبال فعاتبني برقة وكان ردي ان مصر تستطيع ان تجد البديل بسهولة وفي يوم الخميس ١٦/ ١/ ١٩٥٨ زارني في الفندق الاستاذ محمد البشلاوي كبير مصححي جريدة الشعب ومعه الاساتذة فوزي ابو الحسن وحسين وصيف ومحمد علي ابو كبشة للعمل مصححين لتجارب الطبع وكلهم يعملون في جريدة الشعب فاتفقت معهم ومازال الاستاذ وصيف رئيسا لقسم التصحيح . وفي صباح الجمعة ١٧/ ١/ ١٩٥٨ زارني الاستاذ جميل عارف من مجلة آخر ساعة ومعه الاستاذ سليم زبال وقد تم الاتفاق مع سليم زبال واوسكار متري بصورة نهائية وقد غادرنا القاهرة صباح الاحد ١٩/ ١/ ١٩٥٨ الى بيروت وفي صباح الاثنين ٢٠/ ١/ ١٩٥٨ قصدت دار العلم للملايين فاتصل الاستاذ بهيج عثمان بالاستاذ قدري قلعجي وقد تحدث معي بشأنه في القاهرة الاساتذة احمد محمد نعمان وعبدالله القصيمي وحمد الجاسر ومحمد محمود الزبيري فأثنيت على الرجل - وقد حضر الاستاذ قدري قلعجي ووافق على ان يكون سكرتيرا لتحرير المجلة وفي فجر الاربعاء ٢٢/ ١/ ١٩٥٨ غادرنا بيروت الى الكويت وقدمت تقريرا رفعته لسعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح عن المهمة الشاقة الموفقة وقد وافق على ما جاء فيه وذيله بعبارات كريمة .

العربي ماضية في رسالتها

وحين وصل من تعاقدت معهم وعلى رأسهم الدكتور احمد زكي وبدأوا يستعدون لتجارب خاصة للمجلة تخلف عن الحضور قدري قلعجي فقصدت القاهرة للاستجمام واتفقت مع الاستاذ عبد الوارث كبير ليكون سكرتيرا لتحرير المجلة فحضر الى الكويت وعمل مع المجموعة ليل نهار ، وقد رأيت بالاتفاق مع مدير الدائرة السيد بدر خالد البدر ان افاتح الدكتور محمود السمرة في الانتقال من التدريس في ثانوية الشويخ الى مجلة العربي نائبا لرئيس التحرير فوافق وانتقل الى المجلة ونشرت الصحف اعلانا لدائرة المطبوعات عن مسابقة لاسم المجلة فوقع اختيارنا على العربي وصدر العدد الأول كما تخيلته قبل القيام بالمهمة الصعبة وحمدت الله على ذلك التوفيق ، ولم تكن الزهور والورود مفروشة امام مجلة العربي ، فلقد هبت بعض الاقلام الساذجة تثير الغبار حولها وزعم الكارهون لرسالتها الكريمة انها غير مربحة ، فلقد نظروا اليها كما ينظرون الى دكان من الدكاكين غير ان وقوف وزير المالية حينئذ الشيخ جابر الاحمد الى جانبها قد خيب آمال تلك الاقلام ، وبعد الاستقلال تحولت دائرة المطبوعات والنشر الى وزارة الارشاد والأنباء - وزارة الاعلام - وصدر مرسوم بتعييني وكيلا للوزارة فازداد اهتمامي بهذه المجلة ، وكل ما ارجو ان تعلم العربي انها ليست وحدها في الميدان اليوم ، فليبذل القائمون عليها المزيد من السهر والتعب والله لا يضيع اجر من أحسن عملا . □□

خمس علامات على

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

☐ المفارقة بين « حقيقة الاسلام » و « واقع المسلمين » حقيقة حية لاتحتاج الى بيان ، كما لا يحتاج المسلمون معها الى اعتذار . . . فالاسلام وان يكن حقا خالصا ودينا نزل به الوحي من السماء . . . فانه يظل « دعوة » الى الهدى والخير يتلقاها الناس ، على امتداد العصور يقبلها بعضهم ويعرض عنها آخرون . . . . ولا تتغير بسببها أحوالهم الا بقدر ما يغيرون من أعمالهم وما يستقيمون عليه من معالمها ومبادئها . .

والمسلمون اليوم يقفون على أعتاب « صحوة جديدة » ترصد بشائرها . . وترى بعض علاماتها . . ولكنها تولد فى مرحلة من مراحل التطور الانسانى بالغة التعقيد .

وفي رحاب هذه « الصحوة » والتعبير عنها تمتلىء سوق الفكر والثقافة بالآف من الكتب والنشرات التي تحمل شعارات الاسلام وتنسب نفسها الى البعث الاسلامي الجديد بروافده وتياراته المختلفة . . . . ولكن أكثر هذه الكتب والنشرات تقدم لقرائها خليطا هائلا من الرؤى والأفكار تكاد تزيغ معه الأبصار والبصائر بين دعوات صوفية . . . . ودعوات سلفية . . . وحركات سياسية ونداءات للتجديد والثورة على القديم . . . حتى صرنا نخاف أن يشيح كثير من الناس بوجوههم عن تلك الثقافة الاسلامية كلها مهما حملت من أوصاف الصحوة ، والبعث ، والاحياء . . باحثين عن شيء واضح يسير المأخذ ، محدد المعالم ، يقيمون عليه حياتهم الفكرية والنفسية ، ويخوضون في ظلاله تجربة الحياة ، في عصر يضع على كواهل أهله أحمالا من القلق والحيرة . . . . لا تحتمل أن

تضيف اليها « الدعوة الى الاسلام » أحمالا جديدة . .

من أجل ذلك لن نتوقف أبدا عن الدعوة الى بذل جهد منظم متواصل الحلقات ، تحدد فيه للجيل كله ، وللشباب خاصة ، معالم الاسلام الرئيسية ، تحديدا يميز بين الأصول والفروع ، وبين الثوابت التي لا تقبل التبديل والمتغيرات التي يقتلها الجمود والتثبيت . .

ان الرؤوس التي تزاحمت عليها الشعارات المتناقضة ، والنفوس التي أرهقها الشد والجذب بألوان شتى من ألوان الغمز واللمز واللوم والاتهام قد آن لها أن تسمع من جديد ، بعيدا عن ضوضاء الاعلام الصاخب وشحناء المبارزات الكلامية المتشنجة اجابات واضحة عن أسئلة لاتزال تلح على العقول والنفوس . .

السؤال الأول . . . هذا الاسلام ، ما هو ، وماذا يريد من الانسان ؟ وكيف تصور مبادئه وقيمه وتعاليمه مهمة الانسان على هذه الارض ؟

السؤال الثاني . . . . هذا الكم الهائل الذي تركته لنا الأجيال السابقة من الأجداد والأسلاف من انجازات وعلوم الحضارة الاسلامية مما نسميه اليوم « التراث » . . . . ما هو ؟ وبأي أجزائه نلتزم ؟ . . . . ومن أي أجزائه نتحرر ؟

السؤال الثالث . . هل الاسلام حقيقة كيان « متميز تماما » ، ومنفصل عن كل ما عداه بحيث ينبغي على الجيل المعاصر أن يربط نفسه فكريا ونفسيا بالمسلمين وحدهم ، وأن يمتنع عن التفاعل مع كل تجربة انسانية تمت أو تتم خارج الاسلام « المكاني » و « الزماني » ؟ أم أن الاسلام في جوهره دعوة للرشد يوجهها خالق الناس للناس ، ثم يظل الناس قبلها ومعها « كلهم عيال الله » كما يقول الحديث الشريف ، بحيث يعتبر المسلم تراث الانسانية تراثا له ، يختار منه - في حرية وعلى بصيرة - ما ينفع الناس ، ما دام لا يعارض مبدأ من مبادىء الاسلام أو حكما ثابتا من أحكامه ؟

السؤال الرابع . . . . هذه الخصومة التي ورثناها عن عصور قديمة بين العقل والمنطق والتجربة الانسانية من ناحية ، وبين « النصوص » أو « النقل » كما يقول علماؤنا من ناحية أخرى . . . . هل يمكن أن تكون خصومة حقيقية . . . علينا في ظلها أن نختار بين طرفيها ؟وهل من الضروري أن تصحبنا هذه الخصومة في حاضرنا لننقسم جميعا حتى في ظلال الاسلام وتحت رايته الى دعاة « عقل » ودعاة نقل . . . . أو الى مجددين وسلفيين ؟ أم أن هذا كله اجترار خاطىء لمواقف تاريخية لا تلزم المعاصرين ؟؟

السؤال الخامس . . . . كيف يدعو المسلم الى الاسلام في هذا الزمان ؟

هل يصدع بما يراه الحق في « جرعة واحدة كبيرة » يطلقها على الناس ولا عليه بعد ذلك كيف تقع على عقولهم ونفوسهم وسط عالم يموج بالأفكار والرؤى والمذاهب . . . . وتخيم فيه على الناس طبقات بعضها فوق بعض من العادات والمألوفات وأنماط السلوك التي صنعها الألف والعرف والاعتياد ، وقد امتزج فيها الحق بالباطل والصحيح بالسقيم ؟؟

وهل يملك المسلم اليوم أن يتدرج في عرضه للاسلام وأن يرتب قائمة أولوياته قبل أن يخرج بها الى الناس ؟ أم أن هذا يدخل به في متاهات المداهنة ، وتجزئة الاسلام ، والاستدراك على الله ؟؟

هذه وأمثالها هي الأسئلة التي تلح على عقول الشباب وتصرخ في أعصاب الجيل كله تطلب الجواب . . . . جوابا واضحا صريحا بعيدا عن تعقيدات المتخصصين وحماسات الدعاة ، وحماقات بعض المتشنجين .

فلنجمع اذن أطراف شجاعتنا ، ولنتحرر - مرة واحدة - من الخضوع لابتزاز المزايدين ، ولنصدع بالحق في محاولة جادة مخلصة لتقديم الجواب . . . .

الأتقياء العقلاء

نعم .... ان الاجابة المقنعة الكاملة لايمكن أن يتسع لها مقال واحد أو كتاب .... وانما ينبغي ـ فيما نرى ـ أن تكون موضوعا لجهاد جماعي موصول الحلقات ، تندب نفسها له جماعات من الاتقياء العقلاء . يتحررون من السجن الرهيب الذى حبس فيه كثير من دعاة الاسلام أنفسهم .... سجن أقوال الرجال ومتون أصحاب المتون .... كما يتحررون من نقمة المبارزات الكلامية العقيمة ، حول قضايا مقطوعة الصلة بالمشاكل الحقيقية الكبرى لجماهير المسلمين ، وانتظارا لهذا الجهد العلمي الذي لم يعد يحتمل التأخير ، نسوق هذه الاجابات المختصرة ، إعلانا لموقف ، وأذانا ببدء حوار ، حول أمور نعتبرها شروط النهضة ومقومات الانبعاث الصحيح ، وبغيرها لا نرى لهذه الأمة رجاء في حاضر ولا أملا في مستقبل .

١ ـ ما هو الاسلام ؟ وماذا يريد من الانسان ؟؟

الاسلام دين الله المنزل على أنبيائه ورسله ، دعوة الى الايمان بالله وحده والتصديق برسله واليوم الآخر ، واقامة الحق والعدل بين عباد الله ... وهي دعوة توجتها بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وجمع القرآن الكريم أصولها ومبادئها .... عقيدة توحيد خالص ، وشريعة عدل ومساواة وتكافل ، وأخلاق بر وتواصل رحمة ، وشعائر يتميز بها المسلمون ، تحفظ عليهم رباطهم بعقيدتهم ودينهم .... وتجعل منهم « أمة واحدة » لها معالمها ..

والانسان في نظر الاسلام مخلوق مفضل مكرم ، اصطفاه الله من بين خلقه ، فنفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعله خليفة في أرضه .... وحمله أمانة تعمير الكون بسلطان العقل وقوة العمل ، وأمانة هداية الدنيا باقامة أمرها على قيم الاسلام ومبادئه .... وليس وراء هذين الأمرين مهمة لبشر ، وليس من دونهما فضل لأحد على أحد ...

ولا يحتاج المسلم ـ حتى يصبح مسلما ـ الى شهادة أحد أو وساطة أحد .... وانما يصبح المسلم مسلما اذا آمن بالله وصدق برسوله وشهد بذلك كله بلسانه ، وحسابه بعد ذلك على الله .

ولا يكفر مسلم بمعصية اذ كل بني آدم خطاؤون والله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ..

٢ ـ أما تراث الأقدمين ... فلا يخلو أن يكون نصا جاء به الوحي ونقل الينا بدليل يفيد القطع .... أو نصا جاءنا بدليل ظني .... أو اجماعا لأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أ[illegible] اجتهادا في أمور الدين والدنيا لرجال يصيبو[illegible] ويخطئون .... أو عملا لعامة المسلمي[illegible] وخاصتهم .... فيه الخطأ وفيه الصواب .. وبعضه ينفع وبعضه تجاوزته الأيام ، والر[illegible] بالنصوص الثابتة والاذعان لها هو علام[illegible] التصديق ودليل الايمان .... ولكن الرواية م[illegible] ذلك لا تغني عن « الدراية » ... وتطبي[illegible] النص على الوقائع المتجددة لا تحسمه قضي[illegible] « الورود القطعي » وحدها ، وانما يظل المجا[illegible] واسعا ومفتوحا للنظر في دلالات النصو[illegible] ووجوه تفسيرها .... وما اذا كان حكم[illegible] تشريعا عاما دائما ، أو حكما موقوتا يتغير بت[illegible] الأزمنة والأمكنة .. أما اجتهاد القدماء السلف فانه يظل تجربة غير ملزمة ... لا يك[illegible] القدم وحده مسوغا للالتزام بها .... ولا ي[illegible] ـ مع ذلك ـ لاستبعادها والاصرار على نبذه[illegible]

وتاريخ المسلمين منذ عهد الصحابة الى [illegible] هذا تاريخ أمة من البشر عامر بالخير و[illegible] معا .... فالى جوار أبي بكر وعمر و[illegible] وعلي ، عاش أبو جهل وأبو لهب وأم[illegible]

خلف .... والى جانب العدل الذي قام عليه الحكم في أيام الخلافة الراشدة .... وجدنا من يصف الحاكم بأنه ظل الله في الأرض .... وسمعنا مقالة الذي يقول لرعيته : لآخذن البريء منكم بالمذنب والصحيح بالسقيم ، والقاعد بالقائم .... فاذا قيل له ان الله علمنا غير هذا حيث قال : « وابراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى » أجاب قائلا : ولكنا لن نبلغ الحق فيك وفي أصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضا ....

وكما كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) « اشداء على الكفار رحماء بينهم » « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » .... خلف من بعدهم خلف رجعوا كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ... وصار بأسهم بينهم أشد من بأسهم على عدوهم ، وكما استطاعت أجيال من المسلمين أن ترتاد آفاق العلم والمعرفة وتثري التجربة الانسانية في اشاعة العدل والرخاء ، فان أجيالا أخرى من المسلمين قد ركنت الى التواكل والقعود واشتغلت بالخرافة ومارست البطالة .

تلك اذن أمم قد خلت .... لها ما كسبت ، ولنا ـ اليوم ـ ما نكسب ، والتراث تجارب ، واجتهاد السلف « سوابق » .... والحاضر لا يصلح له الا اجتهاد « جديد» .... ولا تصلح له أبدا بطالة يريد أصحابها أن يتدثروا بجهد غيرهم أو يلوذوا باجتهاد تم في غير عصورهم .

٣ ـ والاسلام ليس منفصلا عن تاريخ الانسانية وتجاربها .... وانما يتميز الاسلام بالنقاء المطلق لعقيدة التوحيد فيه ... كما يتميز بشعائر هي رموزه وعلاماته المميزة ، وشرائع تجسد رعاية مصالح الناس في اطار ما جاءت به . ولكنها تفتح الباب للأخذ بمزيد من تلك المصالح فيما يحدث للناس ـ بعد انقطاع الوحي ـ من أحوال جديدة ، وعلاقات مستحدثة ، وهموم لم تعرفها الأجيال السابقة ..

والذين يسرفون في الالحاح على تميز الاسلام والمسلمين تميزا شاملا مطلقا .... محجوجون بنصوص القرآن الكريم التي تصف أنبياء الله قبل نبينا(صلى الله عليه وسلم) بوصف الاسلام ... « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » .

وهم محجوجون كذلك بحقيقة وحدة الانسانية ووحدة مصدر الأديان السماوية ... وبأن العهد الذي أخذ بحمل الامانة انما أخذ على آدم ابي البشرية وعلى بنيه ، مسلمين وغير مسلمين « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .... قالوا : بلى » .

والذين يلحون هذا الالحاح الشديد على اختلاف الاسلام عن كل ما عداه ، يمنحون فرصة نادرة للذين يصورون المسلمين كما لو كانوا غرباء على حضارة العصر كلها .... وييسرون مهمة « الاعلام الصهيوني » الذي ملأ الدنيا صياحا بما سماه « الميراث اليهودي المسيحي » ليوهم العالم المسيحي كله ان المسلمين « غرباء » على هذا الميراث .... وأن اليهودية والمسيحية يجمعهما ـ وحدهما ـ ميراث مشترك ...

العقل والنقل

٤ ـ أما الخصومة بين « العقل والنقل » فانها تحتاج الى حديث مفصل يصفي هذه المأساة التي لا تزال موضوعا مفضلا لأبطال المبارزات الكلامية ، منذ صدر الاسلام الى يومنا هذا ، ولقد آن أن تسكت الأصوات المنكرة التي تدفع المسلمين دفعا الى خيار ظالم بين تمسك بالنقل وحده ،تدفن معه حضارتهم ، أو تحال الى رفوف المتاحف ... أو تمسك بالعقل وحده ، تختفي معه ذاتية المسلمين ، وتتآكل في ظله فرص الهداية والرشد التي تحملها نصوص الاسلام ومبادئه للبشرية كلها .

وقولنا الذي نردده في ذلك ان النقل رواية عن واهب العقل .... وان العقل نعمة مهداة من صاحب النقل .... وان صريح المعقول لايمكن أن يناقض صحيح المنقول .... اذ لا يمكن لليقينين أن يتصادم اليقين ... « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ..

واذا كانت آفة الدنيا من حولنا أن الأرض قد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وتصوروا أن « العقل » يستطيع ـ بغير النقل ـ أن يهدي الى الرشد فان آفتنا ـ نحن المسلمين ـ أننا عطلنا العقول ، وركنت عامتنا وخاصتنا الى المنقول ... فتوقف كثيرون عن السعي ، واختلط التوكل بالتواكل ، وامتزجت القناعة بالخمول ، كما اختلطت العفة بالعجز .... فتقدم الناس وتأخرنا .... وتحركت الدنيا وتجمدنا .... وأنزل العقل عن « عرشه » في حياتنا كلها ...

ولا أمل اليوم في صحوة ، ولا رجاء في بعث ... ولا جدوى من حديث عن تقدم أو تنمية الا اذا تحركت العقول في الرؤوس .... والا اذا ثاب المسلمون الى منهج العلم الذي بسلطانه يتمايز الناس وتتفاوت حظوظهم من الريادة والسبق ..

٥ ـ أما الدعوة الى الاسلام في هذا الزمان .... فانها هي الأخرى تحتاج الى حديث مفصل مستقل .... ولكن موقفنا الذي نعلنه على رؤوس الأشهاد قبل أن نبدأ جولات الحوار هو أن الدعوة قد صارت علما له أصوله ومناهجه . وان كلمة الحق لا تجاوز الأسماع الى القلوب الا اذا توجهت الى تلك القلوب بحكمة وموعظة حسنة .... وان دعاة الاسلام مطالبون اليوم بأمور ثلاثة :

○ بأن يرتبوا أولوياتهم في ضوء أولويات المبادىء والأحكام في التصور الاسلامي ... فالعقائد تسبق التكاليف .... وأساسيات الأخلاق والسلوك تسبق الآداب والكمالات ، وما يتصل بجماهير الناس وعامتهم يقدم على مايتصل بخاصتهم وصفوتهم .... والهموم الحادة العاجلة تقدم ـ عند العلاج ـ على القضايا النظرية والنادرة ..

○ والدعاة مطالبون بعد ذلك بأن يتقنوا علوم الاتصال وفنونه ... وأن يسخروا ذلك كله لتقريب الحق من النفوس حتى تستقبله راضية مرضية مقبلة غير مدبرة .... وحرام أن نرى رجال الاعلان والاعلام وأساتذة التحريض والتلقين السياسي يستعينون بهذه العلوم كلها لترويج سلعهم وأفكارهم ومذاهبهم وايحاءاتهم ، ويظل الدعاة المسلمون يكتفون بتلاوة النصوص ، وترديد أقوال الأقدمين .... والناس شاردون عنهم بعقولهم وقلوبهم ..

○ ان يسعى الدعاة ، من خلال حكوماتهم ومؤسساتهم الى حيازة أكثر التقنيات تقدما وأشدها فاعلية ، للوصول بالكلمة والصورة والفكرة والخبر والرأي الى ملايين الناس .... والا ضاع صوت الوعاظ وخطباء المساجد وهم يشقون حناجرهم فوق المنابر الخشبية التي تتصدر بيوت الله ... الى جانب صور وأصوات تقتحم على الناس بيوتهم ومدارسهم ومنتدياتهم في أسلوب بالغ التشويق عظيم التأثير ..

هذه مواقف لا بد من اعلانها في وضوح .... وجسارة .... حتى نعود بها الى دائرة حوار واسع يلتقي عليه أصحاب الرجاء في مستقبل أكثر اشراقا للاسلام والمسلمين وجدير بنا أن نتعاون ـ بهذا الحوار ـ على الخير ، وأن نوسع مساحة الاتفاق والالتقاء بدلا من أن نفني أعمارنا ـ وهي قصيرة ـ تراشق بالنصوص وتقاذف ـ غير كريم ـ للاتهامات ...... فتسقط كلها على الأمة الأمة كأنها حجارة من سجيل .

بقلم :

الدكتور : فؤاد زكريا

□ لم يعد التعريب ، في حياتنا المعاصرة ، مجرد هدف ثقافي ، وانما أصبح هدفاً حضارياً شاملاً ، ينطوي علي جوانب سياسية وقومية لا تقل أهمية عن جوانبه الثقافية .

في الأقطار العربية التي بدأت نهضتها منذ القرن التاسع عشر ، والتي مرت بتجربة الاستقلال الوطني منذ وقت أطول نسبياً ، يعد التعريب عنصراً لا غناء عنه من عناصر النهضة ، ومظهراً من مظاهر النضج والقدرة على التحرر من المؤثرات الخارجية الوافدة . وفي الأقطار التي لم تتحرر من الاستعمار الا حديثاً ، أصبح التعريب أعلى مظاهر استرداد الهوية التي سعى الاستعمار طويلاً الى طمس معالمها ،

واصطبغت معركة التعريب بطابع فريد تمتزج فيه العناصر السياسية والثقافية والتاريخية والتراثية والمستقبلية امتزاجاً لا نظير له ، وتجتمع فيه متناقضات التراث والمعاصرة بلا أدنى تعارض .

لقد أصبح التعريب في بلادنا موقفاً كاملاً من تراثنا التاريخي ، ومن العالم الخارجي ، ومن محاولات الاستيعاب والسيطرة الفكرية التي تقوم بها قوى استغلالية عاتية . وفي كل مرحلة يبدو

ففي ظل الجهل باللغات الأجنبية لدى الغالبية العظمى من أفراد الأجيال الحالية ، أصبح قدر لا يستهان به من التأليف أقرب الى النقل المباشر ، أو التلخيص ، أو حتى انتقاء الأسهل من المصادر الأجنبية . لقد أصبحت القلة القادرة على فهم اللغة الأجنبية تستغل هذه القدرة من أجل اعفاء نفسها من عناء البحث والتفكير المستقل ، وهي واثقة من أن أحداً لن يكتشف ما نقلته عن الغير ، حتى أصبح أقصى ما نتوقعه من المؤلف هو أن يكون قد أجاد « هضم » الأصول التي نقل عنها وأحسن فهمها ، وأشار الى المصادر التي نقل عنها ضمن مراجعه .

هؤلاء « المؤلفون »

وهنا نجد أنفسنا ازاء سؤال محير : هل أصبح التعريب بحق وسيلة لتحريرنا من سيطرة الثقافة الغربية ، أم أنه يزيدنا اعتماداً عليها ؟

ان أعداداً متزايدة من كتابنا تستغل قدرتها على فهم اللغات الأجنبية لكي تلخص كتب الغربيين وتقدمها كما لو كانت نتاجها الخاص . ولو كان نظام التعليم قد نجح في تكوين قاعدة عريضة من قراء اللغات الأجنبية لما استطاع هؤلاء « المؤلفون » أن يواصلوا السير في طريق الاتكال على الغير ، ولبذلوا الجهد اللازم للاسهام في خلق ثقافة قومية أصيلة .

وهكذا أصبحنا الآن نعيش في ظل أوضاع ثقافية تحتم علينا أن ندقق ونعيد النظر في المفاهيم التي اعتدنا أن نتداولها على ألسنتنا ، وأعني بها أن التعريب هو في كل الأحوال طريقنا الى خلق ثقافة قومية متميزة . ذلك لأن أموراً كثيرة تتوقف على الجو العقلي والثقافي الذي يتم فيه التعريب . ففي كثير من الأحيان قد يؤدي التعريب ، اذا ما حدث في اطار من التدهور الثقافي ، الى مزيد من الاعتماد على الثقافات الأجنبية . وأياً كان الأمر ، فليس من الحكمة ان نسارع الى تشبيه حركة التعريب في عصرنا الراهن بما حدث في فترة ازدهار الحضارة العربية ، وانما ينبغي علينا أن نضع حركة التعريب المعاصرة في اطارها الخاص ، ونتنبه الى الظروف المميزة التي تتسم بها هذه الحركة ، والتي تضع عقبات كأداء أمام تحقق الهدف المنشود للتعريف ، وأعنى به خلق ثقافة قومية أصيلة . □□

وصف الكتاب

* هذا بعض ما قاله الجاحظ في وصف الكتاب :

« ولا أعلم جارا أبر ، ولا خليطا أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحبا أظهر كفاية ، ولا أقل جناية ، ولا أقل املالا وابراما ، ولا أجمل أخلاقا ، ولا أقل خلافا واجراما ، ولا أقل غيبة . . . . من كتاب . ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وامكان وجوده ، يجمع من التدابير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، ومن الأخبار عن القرون الماضية والبلاد المنازحة ، والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمع لك الكتاب » .

الغذاء الغذاء ..
حياة او موت

● العالم ينفق ۷۰۰ مليار دولار سنويا على التسلح وعشرات الملايين من البشر يموتون من الجوع .

● الوطن العربي ينفق ۲۳ بليون دولار ثمنا للمواد الغذائية التي يستوردها من الدول الغنية .

● بعد خمسة عشر عاما لن يكون لدى العرب من المال ما يكفى لتأمين احتياجاتهم من الغذاء المستورد .

● التبعية الغذائية للعالم الخارجى تحمل في طياتها مخاطر التبعية السياسية .

● نحن نتساءل : هل يمكن لشعب جائع أن تكون له ارادة سياسية ؟!

● الحقائق تؤكد ان في العالم العربي كل الامكانيات لتحقيق أمنه الغذائى ، ما عدا الارادة الجادة والعمل الدؤوب .

● الدول النامية ما زالت بعيدة عن تحقيق ثورتها الزراعية ، وما زالت مشاكل الزراعة والغذاء تخيم بظلالها عليها وعلى العالم كله من ورائها .

● الثورة الزراعية هى العقبة التى لابد من تخطيها قبل الانتقال الى المجتمعات الصناعية وما بعدها .

● لم تعد قضية الزراعة والغذاء قضية فنية فقط ولكنها اصبحت ايضا قضية متعلقة بمستقبل العلاقات الاقتصادية والاستقرار السياسي العالمى .

نحن ننفق ٢٣ بليون دولار سنوياً ثمناً لغذائنا المستورد

عبد العزيز الصقر

الغذاء ، الغذاء صيحة كل يوم ، وفي الكثير من عواصم العالم . . . . العالم المتقدم والعالم النامي على السواء ، تعقد الندوات والمؤتمرات لبحث أزمة الغذاء التي تهدد الملايين من البشر . . . وهنا عندنا تهتم الأقطار العربية بدورها لبحث الأزمة التي تتفاقم عاما بعد عام . .

وفي الكويت عقدت عدة مؤتمرات في مقدمتها ، مؤتمر الغذاء العالمي ، ومؤتمر الغذاء الفنلندي ـ الكويتي ، ومؤتمر الغذاء في شهري أكتوبر ونوفمبر من العام الماضي

وفي المؤتمر الثاني ألقى السيد / عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت هذه الكلمة التي تنقل لنا صورة قاتمة لما نحن فيه ولما سنكون عليه :

في مطلع السبعينات كان ميزان تجارة السلع الزراعية للعالم العربي ككل متوازنا تقريبا ، إذ بلغت حصيلة الصادرات العربية الزراعية ٩٠ بالمائة ، من تكلفة المستوردات الزراعية التي لم تتجاوز آنذاك ١,٨ بليون دولار ، مخلفة عجزا لا يتجاوز ٢٠٠ مليون دولار .

في عام ١٩٨١ ، وخلال اثني عشر عاما فقط ، ارتفعت قيمة المستوردات الغذائية للعالم العربي الى حوالي ٢٣ بليون دولار أي اثني عشر مرة ، بينما لم تتضاعف قيمة الصادرات الزراعية العربية الا مرة واحدة فقط ، تاركة عجزا في ميزان تجارة السلع الزراعية للعالم العربي يزيد عن ٢١ بليون دولار .

ولاعطاء صورة بالغة التعبير رغم الاختصار عن أزمة الغذاء في العالم العربي يكفي ان أقول أن جميع التوقعات تؤكد انه في عام ٢٠٠٠ لن يكون لدى العرب من المال ما يكفي لتأمين احتياجاتهم الغذائية من المصادر الخارجية ، ولن يكون لدى هذه المصادر الكميات الكافية لتموين هذه الاحتياجات حتى لو توفرت القدرة المالية .

هذا المؤشرات وحدها ودون أي تعليق ، تبين لنا من وجهة النظر الاقتصادية البحتة ، مدى الخطر الذي تتعرض له الأمة العربية بسبب عجزها عن تنمية مواردها الزراعية ، رغم أن هذه الأمة . قادرة ـ لو أحسنت التعاون والتدبير ـ ليس فقط على تلافي هذا العجز ، بل على المساهمة أيضا في حل مشكلة الغذاء العالمية التي يموت بسببها ثلث أطفال العالم قبل بلوغ الخامسة من أعمارهم .

ان مشكلة الأمن الغذائي ، مثلها مثل كل المشاكل التي تواجهها الأمة العربية ، لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون والتكامل العربيين .

وإن تنمية الموارد الزراعية العربية في هذه الحقبة من تاريخنا هي ـ بالتأكيد ـ أفضل مجالات التعاون العربي في مجهودات مشتركة متكررة ، تعبر عن وحدة المصلحة والهدف بين الدول العربية ذات الموارد المالية وشقيقاتها ذات الامكانات الزراعية لتحقيق تنمية زراعية شاملة عن طريق التوسع الأفقي والتوسع الرأسي في آن واحد .

ومن هذه الحقيقة بالذات تنبثق أهمية ندوتكم هذه ، وأهمية مشاركة الخبرة الفنلندية فيها ، فالاستزادة بالمعرفة والتعرف على التطورات العلمية من أول شروط التنمية الزراعية ، والتعاون الدولي في هذا المجال أمر بالغ الأهمية في تسريع الخطى لسد الفجوة الغذائية ليس على المستوى الاقليمي فحسب ، بل وعلى المستوى الدولي أيضا ، ولعل « يوم الغذاء العالمي » الذي احتفلنا به قبل أيام قليلة أكبر تجسيد لهذا الواقع .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

□ ربما كان البحث عن الطعام هو الوظيفة الأولى التي مارسها الانسان في هذا العالم .

وربما احتاج الأمر آلاف السنين ، للانتقال من عصر التقاط الثمرات والمزروعات وما يقيم الأود ، الى عصر الزراعة المستقرة التي تقدم للانسان - بجهد متعمد - غذاء منتظما .

وفي تقرير أخير للجنة برانت عن الشمال والجنوب ، يقرر الخبراء عمر الزراعة المستقرة بعشرة آلاف سنة ، ويقولون انه في ذلك الوقت وحين بدأ هذا النوع من النشاط الانساني ، كان تعداد العالم خمسة عشر مليون نسمة . . بينما يبلغ الامر هذه الايام وفي بلد واحد هو الهند ان تكون الزيادة السنوية هي نفس الرقم : خمسة عشر مليونا !

وربما كان سباق الانسان والغذاء هو الدافع لأن يلتفت العالم للوراء ويعيد النظر في مسيرته ويقول : ليس بالمستحدث والجديد والمخترع يعيش الانسان . لقد قطعت الانسانية شوطا واسعا في الوفاء بالحاجات ، فأصبحت الكلمة تنقل عبر الأثير ، والآلة تقوم بعمل سيدة المنزل ومديري المشروعات في وقت واحد ، والعيون تجوب الكواكب الأخرى بحثا عن جديد ، والفضاء يجري تقسيمه والتنازع عليه بين الدول الكبرى ! . .

ورغم كل ذلك فالانسان يجد نفسه حيث وجد أجداده أنفسهم حين كان يجف المطر ، أو يبتعد النهر والسقى ، ويجف الزرع فلا يجد المرء ما يأكله !

الارقام تكشف الامر بصورة أوضح فتقول - كما جاء في تقرير برانت - ان هناك (٨٠٠) مليون نسمة من سكان العالم الثالث لا يجدون طعاما كافيا . صحيح ان انتاج الغذاء - على المستوى العالمي - قد زاد خلال الربع الثالث من هذا القرن بمعدل ٢,٥ ٪ سنويا . . لكن الصحيح أيضا ان السكان كانوا يزيدون بنسبة ٣٪ وان استيراد الحبوب في الدول النامية قد ارتفع بمقدار أربعة أضعاف خلال نفس الفترة .

عدالة التوزيع في الانتاج والثروة جزء من المشكلة ، لكن الامر في المستقبل سوف يكون أسوأ ، حين يواجه (٦٥) بلدا ناميا عجزا عن تدبير الغذاء . . وهو ما يتوقعه صندوق الامم المتحدة للأنشطة السكانية بعد دراسة عن أحوال التربة والزراعة في (١١٧) بلدا ناميا ، وبالنظر الى عام قريب هو عام : (٢٠٠٠) .

ويلخص أحد الخبراء مشكلة الغذاء في المستقبل فيقول : انها قضية التوازن بين احتياجات الانسان من الغذاء وتوافر هذا الغذاء . . وهو توازن سوف يحدث في كل الاحوال . . « اما بزيادة الغذاء . . أو يموت الانسان جوعا ! » . . .

وفي تقرير المنظمات الدولية المختلفة فان أسوأ الاحتمالات تواجه منطقتين : في افريقيا . . جنوب الصحراء ، وجنوب غرب آسيا حيث تواجه ١٢ دولة من ١٦ دولة - هي كل دول المنطقة - عجزا في الغذاء . .

و . . ، هنا تنتقل التقديرات للمنطقة العربية التي استوردت في السبعينيات نصف استهلاكها من القمح كما زاد استيرادها من السكر والزيوت النباتية واللحوم ومنتجات الألبان .

ووفقاً لتقديرات البنك الدولي فقد تدهور نصيب الفرد من الانتاج الغذائي العربي خلال السبعينيات ، حتى ان الثمانينيات قد بدأت وهناك دول عربية كثيرة قد تراجع انتاجها بالنسبة للسكان . . وبينما حدثت استثناءات محدودة زاد فيها نصيب الفرد من الانتاج المحلي للغذاء (سوريا وتونس واليمن الجنوبية والسودان وليبيا) فان معظم الدول العربية قد تراجع انتاجها ، واصبح نصيب الفرد من الغذاء المحلي في الجزائر ٨١٪ مما كان عليه في أول السبعينيات بينما بلغ الرقم ٧٤٪ في الأردن ، و ٩٠٪ في مصر و ٨١٪ في المغرب ، ٨٩٪ في العراق .

نصيب الفرد العربي من الانتاج الغذائي يتراجع اذن ومعه تزداد الحاجة للاستيراد حتى أصبح الغذاء يمثل نسبا تصل الى ثلث مجموع الواردات في بعض البلدان (حالة مصر .

هل هناك تفسير لهذا الامر ؟

المنظمة العربية للتنمية الزراعية تضع العديد من الاسباب . أولها : ضيق الرقعة الزراعية بالنسبة للسكان ، واعتماد ٧٨٪ من هذه الرقعة على مياه الأمطار التي لا توفر استقرارا أو إنتاجية عالية . في نفس الوقت فان هناك التخلف في أساليب الانتاج الزراعي وانماط التنظيم الاجتماعي والاقتصادي .

الخطر اذن قائم على المستوى العربي ، وهو ليس خطرا اقتصاديا فقط لكنه خطر سياسي أيضا حيث يحتكر معظم الفائض من الانتاج ثلاث دول في العالم هي كندا والولايات المتحدة واستراليا مما يجعل فرصة التحكم واردة .

وربما يكون اعطاء أولوية للزراعة ، واعطاء أولوية للغذاء في المجال الزراعي وتحسين اساليب الانتاج - هي وسائل مواجهة عربية مناسبة . . لكن الأكيد أن هذه الوسائل سوف تنجح أكثر اذا تمت في اطار تكامل عربي تتجمع فيه عناصر الانتاج : الارض والمياه والمال والبشر ، واذا كانت بعض الدول تحتاج الى المال ، فان الدول العربية المصدرة للأموال تحتاج الى الغذاء وتحتاج الى سوق لتصريف منتجاتها من السماد وبعض مستلزمات الزراعة .

إن المشكلة العربية وحلها يحتاجان إلى قرار سياسي وحماس سياسي . والقرار والحماس ينبعان من ادراك حجم الخطر ، فمشكلة المستقبل قد لا تكون ندرة الاموال اللازمة لاستيراد القمح (وهو قلب المسألة الغذائية) . . لكن المشكلة على الأرجح سوف تكون ندرة الامدادات ، فأغنياء العالم يزرعون ويرغبون في تقليل الزراعة حفاظا على الأسعار . والسؤال : هل يغير الاهتمام الدولي بمشكلة الغذاء من سياسة هذه الدول الغنية والمحتكرة والتي يمكن ان نعيش على فائضها ؟ . . لقد أنشأت منظمة الاغذية والزراعة نظاما عالميا للاعلام والانذار المبكر للتنبؤ ورصد مشكلة الغذاء . . وكونت ٩٧ دولة لجنة للأمن الغذائي ، وأنشأ صندوق النقد الدولي نظاما للتسهيلات ، لتمويل عجز الغذاء وتحقق عام ١٩٨١ ما طلبته الدورة الاستثنائية للامم المتحدة عام ١٩٧٥ ، من تكوين مخزون طوارىء من الحبوب .

. . كل ذلك قد تحقق ، بل بلغ عدد الدول التي تحتفل بيوم الغذاء العالمي (١٤٠) دولة . . وأخذ الاحتفال مظاهر خاصة في بعض البلدان ، فأعلنت كندا الصيام لمدة يوم لجمع الأموال لمكافحة الجوع . . بينما اقامت جاميا الصلوات الخاصة في المساجد والكنائس لكي يرحم الله هذا العالم . . ويوفر له لقمة عيش . .

كل ذلك قد حدث ، لكن التنبؤات العلمية تقول : الأزمة تتزايد ، وفي قلب الازمة يأتي العالم العربي ، وفي قلب العالم العربي دول جنوب غرب آسيا حيث يحل النفط مكان الزرع . . ويحل المال مكان ارادة التغيير .

ومع ذلك فان اجماع الخبراء يقول : لا بد من ثورة زراعية ليأمن انسان الوطن العربي . واذا كانت هناك كلمة مأثورة تقول : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » فان الكلمة المأثورة للسنوات القادمة سوف تكون : « وبدون الخبز لا يحيا الانسان » . □□

الأمن الغذائي العربي ..

هل أصبح أسطورة ؟

بقلم الدكتور : خالد تحسين علي

☐ ربما لم تستحوذ أية أزمة اقتصادية تواجه العالم العربي في وقتنا الحاضر على الاهتمام الذي استحوذت عليه قضية أمنه الغذائي . الا أن هذا الاهتمام ، على الأقل بالنسبة للعمل العربي المشترك ، مازال أغلبه ، للأسف البالغ ، على مستوى الكلام . وربما كغيره من شعارات الأمن الأخرى التي تدعو الأقطار العربية بالتعاون الكامل فيما بينها بهدف تحقيق ... التي نصت عليها وثيقة استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك التي أقرها مؤتمر القمة العربي الثامن في عمان عام ١٩٨٠ .
فأصبح الامن الغذائي اليوم أبعد عن التحقيق مما كان عليه عند اقرار تلك الالتزامات.

وأود أن اذكر بهذه المناسبة أن أول بوادر هذا الاهتمام بدأ في عام ١٩٧٧ عندما أخذت الجامعة العربية على عاتقها اعداد استراتيجية للعمل الاقتصادي العربي المشترك بما فيه قضية الامن الغذائي . كانت الفجوة بين الواردات والصادرات الزراعية العربية انذاك (احصاءات ١٩٧٦)

بحدود ٦ بليون دولار (لصالح الواردات) فماذا تمخضت عنه هذه « المنجزات » خلال السنوات الست الماضية ؟ ازدادت هذه الفجوة حتى بلغت ٢٠ بليون دولار في عام ١٩٨٢ .

يتضح من ذلك أن قضية الامن الغذائي العربي في حالة من التراجع المستمر والسريع ، اذ يتفاقم الانكشاف الغذائي ، وتتأصل جذور التبعية الغذائية للعالم الخارجي عاما بعد عام . واحدث هذه التبعية تقترب من مستويات تحمل في طياتها مخاطر بالغة . خاصة بالنسبة لعدد كبير من سلع الغذاء الاساسية

عنوان هذا المقال يسأل ان كان الامن الغذائي العربي قد أصبح فعلا في عداد الاساطير . ويحاول بذلك ان يقول للقارىء انه سيصبح كذلك ، على وجه التاكيد ، اذا كانت جهودنا الموجهة نحو هذه القضية ذات الاهمية الحيوية للاغنياء منا والفقراء ، سواء بسواء تبقى مستوياتها الحالية المخيبة للامال . ان التبعية

كاتب المقال .

● الدكتور خالد تحسين علي يعمل حاليا مستشارا زراعيا للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي

● حصل على بكالوريوس في الزراعة من جامعة القاهرة ، وماجستير في الانتاج الحيواني من جامعة كاليفورنيا ، ودكتوراه في علوم الوراثة الزراعية من جامعة منسوتا الامريكية

● تدرج بعمله في العراق من وظيفة باحث الى مدير عام ثم وكيل وزارة الزراعة ورئيسا للمؤسسة العامة للتنمية الزراعية

● عمل منذ ١٩٦٨ بوظيفة مدير في منظمة الاغذية والزراعة للامم المتحدة ، ثم في الصندوق العربي منذ عام ١٩٧٤

الغذائية اضافة الى استنزافها المستمر والمتصاعد للموارد الاقتصادية ـ تحمل لاشك في طياتها مخاطر التبعية السياسية .

نحن نسأل هل يمكن ان يكون لشعب جائع ارادة ذاتية ؟ . أي ارادة سياسية أم غير سياسية . وهل هنالك سلاح أكثر مضاء من سلاح التجويع ؟ هذا السلاح الذي لوحوا به مرارا ايام أزمة النفط في منتصف العقد الماضي .

كل ما فعلته الاقطار المصدرة للنفط انذاك انها قامت بتصحيح أسعار هذه السلعة الناضبة ، المستباحة التي كانت ومازال الطاقة المحركة لاقتصاديات العالم الصناعي . ورافدا أساسيا من روافد تقدمه وغناه على حساب الملايين من أصحابه الشرعيين . لكن هذا التصحيح كان درسا بليغا لهم . ففي حقبة سنوات قليلة بدأت اجراءاتهم في تقليل الاعتماد على النفط المستورد تأتي ثمارها ، سواء بالتوسع في استكشاف المصادر النفطية في بلادهم أو بترشيد استخداماته أو عن طريق تطوير المصادر البديلة كالطاقة النووية والشمسية .... الخ .

النفط والغذاء

ولقد قابل تصحيح أسعار النفط « تصحيح » أسعار الصادرات الغذائية من قبل الاقطار الصناعية وهي مصدر معظم فوائض الغذاء العالمية . فقفزت أسعار معظمها عدة أضعاف خلال سنوات قليلة في النصف الثاني من عقد السبعينات ولو أن الامانة هنا تقتضي الاشارة الى أن هذه الزيادات في أسعار المنتجات الغذائية لم تكن رد فعل مباشر لتصحيح أسعار النفط ، كما أنها لم تكن السبب الوحيد لهذه الزيادات . فماذا كانت النتيجة على أي حال ؟ النتيجة هي أن الاقطار الصناعية المستوردة للنفط هي الآن بالتأكيد في طريقها نحو التحرر من التبعية النفطية ، وبالمقارنة كانت استجابتنا لهذه التطورات نحن في العالم العربي بالذات ، على العكس من ذلك تماما . اخذنا نحث الخطى نحو المزيد من التبعية الغذائية . والمفارقة هنا أن حالة « الرخاء » المادي الجديد ، التي لم تقتصر على الاقطار المصدرة للنفط ، بل امتدت بصورة غير مباشرة الى اقطار عربية عديدة أخرى ، اصبحت اليوم عاملا اساسيا من عوامل تفاقم التبعية الغذائية لا التحرر منها ، وذلك بسبب التزايد السريع في الطلب على المتجات الغذائية ، وازدياد الدخول الفردية ، وما يترتب عليها من زيادة سريعة في الانفاق على الغذاء ، كما ونوعا ، اضافة الى معدلات النمو السكاني العالية . وفي المقابل عجزت محاولات زيادة الانتاج عن اللحاق بتزايد الطلب على منتجاته .

الحقائق والاوضاع

وبما أن الارقام دائما أكثر بلاغة من الكلمات في التعبير نورد هنا بعضا منها في محاولة لاعطاء القارىء صورة كمية لاوضاع الزراعة والغذاء

الحالية :

* حقق الانتاج الزراعي في العالم العربي ككل ـ منذ أول عقد السبعينات وحتى الآن (١٩٧٠ ـ ١٩٨٢) ـ متوسط نمو سنوى بحدود ٢٪ ـ ٢و٢٪ في المقابل حقق الطلب على هذه المنتجات متوسط نمو بحدود ٥و٥٪ . سبب هذا الفارق الكبير بينهما نموا في كلفة واردات السلع الزراعية بمتوسط تجاوز ال ٢٠٪ سنويا ، بسبب الزيادة في كل من المقادير المستوردة والأسعار . وبالمقارنة نمت حصيلة الصادرات الزراعية العربية بمستويات واطئة للغاية نسبيا بلغت ٦٪ خلال عقد السبعينات ، وتدنت الى أقل من ٢٪ سنويا خلال السنوات الماضية من هذا العقد .

* في اوائل عقد السبعينات كانت ستة من الأقطار العربية تتمتع بميزان موجب في تجارة السلع الزراعية ، أى أن حصيلة صادراتها فاقت كلفة وارداتها منها ، وهى موريتانيا والمغرب ومصر والسودان والصومال وسوريا . وفي خلال العقد نفسه اختل هذا الميزان في صالح الواردات ، الى أن أصبحت كافة الاقطار العربية ، عدا قطر واحد هو السودان ، ذات ميزان تجارى سالب .

* في أول العقد الماضي كانت هنالك حالة تقرب من التوازن بين حصيلة الصادرات وكلف الواردات الزراعية على مستوى العالم العربي ككل ، اذ كانت الاولى تمثل نسبة ٩٠٪ من الثانية في عام ١٩٦٩ ، انخفضت الى ٨٠٪ في عام ١٩٧٠ ثم استمرت بالانخفاض سنة بعد أخرى حتى وصلت الى ١٤٪ في عام ١٩٨٢ .

في هذه الفترة ازدادت كلفة الواردات من ٠ر٢ الى ٢٤ بليون دولار ، أى انها تضاعفت ١٢ مرة ، بينما ازدادت حصيلة الصادرات خلال هذه الفترة من ٧ر١ الى ٤ر٣ بليون دولار أى انها تضاعفت مرة واحدة فقط . وكانت هذه الزيادة المتواضعة بسبب تحسن الاسعار وحدها ، اذ أن مقادير الصادرات الزراعية انخفضت بصورة كبيرة لأغلب سلع الصادرات الرئيسية وهى القطن ومحاصيل الزيوت النباتية والفواكه والخضر التى تمثل حوالي ثلثى اجمالى حصيلة الصادرات الزراعية العربية .

* انخفضت مستويات الاكتفاء الذاتي تبعا لذلك ، في انتاج كافة السلع الزراعية الرئيسية دون استثناء . حيث اصبحنا نستورد الآن نصف ما نستهلكه من الحبوب (بحدود ٢٦ مليون طن واردات) وثلثي استهلاكنا من القمح ، سلعة الغذاء الاولى ذات الاهمية الاستراتيجية (١٨ مليون طن واردات) ، وثلاثة ارباع من حاجتنا من السكر (٥ر٣ مليون طن واردات) ، وأكثر من ٣ر١ مليون طن من اللحوم (ثلث الاستهلاك) و ٦ر٧ مليون طن من الالبان (ما يقرب من نصف الاستهلاك) وهلم جرا . ولم يبق لدينا فائض من أي من السلع الزراعية الرئيسية عدا سلعة واحدة هي القطن .

* في غمرة هذه التطورات أصبحت الواردات الزراعية أعباء مالية باهظة على عدد كبير من الأقطار ، فهى ، على سبيل المثال ، أصبحت تستنزف كافة حصيلة مصر من صادراتها السلعية ، الزراعية وغير الزراعية (٩٩٪ منها عام ١٩٨١) وتجاوزت ال ١٠٠٪ في اليمن الشمالى وجيبوتى ، وتراوحت بين ٤٥ الى ٩٠٪ في كل من الأردن والمغرب والصومال والسودان ولبنان .

* ومما تجدر الاشارة اليه أن مستوى الاكتفاء الذاتي الغذائي في العالم العربي حاليا اقل مما هو عليه في أى من مناطق العالم الرئيسية الاخرى دون استثناء . اذ انها لا تتجاوز ال٥٥٪ من اجمالى الطلب ، أى اننا نستورد الآن ٤٥٪ من اجمالى الغذاء الذى نستهلكه (مقاسا بالقيمة) . وفي منطقة أقطار مجلس التعاون الخليجي الستة (الكويت ، السعودية ، الامارات العربية ، قطر ، البحرين ، عمان) مثلت وارداتها الزراعية ٧٨٪ من اجمالى الاستهلاك . وبالمقابل لا يتجاوز متوسط الواردات الزراعية في اقطار العالم النامي ككل ٩٪ من اجمالى الطلب عليه .

مؤتمر الأمن الغذائى الذى عقد فى الكويت .

* وعلى الرغم من أن هذه الأرقام بمجملها واضحة الدلالة على أوضاعنا الزراعية والغذائية والمتفاقمة نجد أن الارقام الخاصة بالواردات الزراعية للفرد الواحد من السكان ، مقارنة بمناطق العالم الاخرى ، تحكي هذه القصة ببلاغة أكثر . اذ بلغت هذه الواردات (لعام ١٩٨١) ١٠٧ دولارات في العالم العربي ككل (٥٥٠ دولارا لأقطار مجلس التعاون الخليجي الستة) ، بينما لم تتجاوز ١٦ و ١٠ دولارات فقط في قارتي آسيا وأفريقيا على التوالي .

لماذا هذه الاوضاع

لا يسمح المجال في هذا العرض الموجز بالبحث بأى درجة من التفصيل في الاسباب الكثيرة والمعقدة التى تكمن وراء هذه الاوضاع المقلقة ، مما يضطرنا الى الاكتفاء باشارة سريعة الى أهمها :

* أولا ان التنمية الزراعية تعتبر شديدة البطء بالمقارنة مع قطاعات الاقتصاد الأخرى الانتاجية والخدمية . اذ انها تتطلب سلسلة من المداخلات ، منها استنباط وتطوير تكنولوجيا زراعية محلية تتلاءم مع البيئة السائدة ، الطبيعية منها والاقتصادية والاجتماعية ، وهى ، على عكس معظم قطاعات الاقتصاد الاخرى لا يمكنها أن تستخدم تكنولوجيات مستوردة . وتتطلب هذه الخصوصية قدرات علمية وتنظيمية عالية تفتقدها معظم الاقطار العربية . كما أن الزراعة كذلك أكثر القطاعات الاقتصادية حاجة الى البنيات التحتية الارتكازية ، وتتضمن هذه البنيات سلسلة طويلة من الاعمال ، منها ، شبكات الرى والصرف وخزانات المياه ، وتوفير البنيات الاساسية للمجتمعات الريفية ، ووسائل التخزين والنقل والصناعات الزراعية . . الخ . وهي مستلزمات باهظة الكلفة بطيئة التنفيذ . ومن أهم معوقات التنمية الزراعية العنصر الاجتماعي ، اذ أن تطبيق التكنولوجيا المتطورة الحديثة ، وهي المرتكز الاساسي لها ، يتطلب بالضرورة مستويات عالية من المعرفة والادراك والحوافز لدى المنتج الزراعي نفسه ، وهي عملية تنمية بطيئة لابد وأن تخضع لقانون التطور التدريجي . هذا من ناحية الانتاج أما من الناحية الاخرى فنجد أن الطلب الاستهلاكي سريع الاستجابة للمتغيرات المؤثرة عليه ، بالاضافة الى أن هنالك القليل مما يمكن عمله للحد من تأثير هذه المتغيرات وأهمها الزيادة السكانية ، وزيادة الدخل الفردي وقدرته على زيادة انفاقه الاستهلاكي والذي تتجه نسبة عالية منه ، في مستويات الدخول المنخفضة ، نحو زيادة استهلاك الغذاء كما وتطوره كيفا ، باتجاه المنتجات غالية الثمن

حالة الانفصام !

الا انه بالرغم من هذه المعوقات الهامة للتنمية

الزراعية ولتحقيق التوازن بين نمو العرض ونمو الطلب يوجد الاشكال الرئيسي في العالم العربي بالذات ، يتأتى من عامل آخر . ويتمثل هذا العامل في طبيعة توزيع موارد التنمية الزراعية ، المالية والطبيعية ، غير المتكافيء بين اقطاره المختلفة ، وهي حالة تقرب من الانفصام شبه الكامل بين هذه الموارد . وتكاد تقتصر هذه الظاهرة على العالم العربي ، على الاقل من حيث مدى هذا الانفصام ، مقارنة بمناطق العالم الاخرى ، وبالقطاع الزراعي بالذات مقارنة بقطاعاته الاقتصادية الاخرى .

ويكفي لايضاح هذه الحقيقة الجوهرية النظر الى المؤشرات التالية :

ا - يوجد اكثر من ٧٥٪ من الرقعة الزراعية العربية ومياه الري وسكان الارياف في الاقطار الأربعة عشر ذات الدخل المنخفض والمتوسط (١) ، فيما يمثل اجمالي الناتج المحلي لهذه الاقطار ٢٤٪ فقط من الناتج المحلي العربي ، وفي هذه الاقطار تبلغ حصة الفرد من هذا الناتج ٧١٠ دولار (لعام ١٩٨٠) .

ب - وفي الاقطار الستة منها ذات الدخل المنخفض يوجد ٢٥٪ من الموارد الزراعية العربية المستغلة ، ونسبة أعلى من ذلك لامكانات الانتاج الزراعي المستقبلية (الاراضي الصالحة المطرية ومياه الري) ، بينما لايتجاوز اجمالي ناتجها المحلي نسبة ٤٪ فقط من الاجمالي العربي ، وتبلغ حصة الفرد من هذا الناتج ٤٠٠ دولار .

جـ - في المقابل يوجد ربع الموارد الزراعية العربية في الاقطار الستة الباقية(٢) وهي الاقطار النفطية الرئيسة ، الا أنها تمتلك ٧٥٪ من اجمالي الناتج المحلي العربي ، وفي هذه الاقطار تبلغ حصة الفرد من هذا الناتج ٦٣٠٠ دولار . واذا استثنينا العراق والجزائر من هذه المجموعة لانها ذات موارد زراعية جيدة يمكنها أن تستوعب نسبة عالية من مدخراتها نجد أن الاقطار الخمسة الباقية تمتلك ٦٪ فقط من الموارد الزراعية العربية و٥٧٪ من اجمالي الناتج المحلي العربي .

د - هذه الحالة من الانفصام في توزيع الموارد تنعكس بصورة جلية في الموارد المالية التي خصصتها هذه المجموعات القطرية للتنمية الزراعية في خطط التنمية الحالية (١٩٨١ - ١٩٨٥) . اذ يتضح من دراسة هذه الخطط أن حصة الفرد الواحد من السكان الزراعيين من هذه الموارد في الاقطار الستة ذات الدخل المنخفض هي ١٣٥ دولارا ، وفي الاقطار الثمانية ذات الدخل المتوسط ٣٢٠ دولارا ، فيما يقفز في الاقطار الخمسة ذات الدخل العالي الى ٣٣٠٠ دولار . أي أن حصة الفرد في الاقطار الفقيرة من هذه الموارد لايتجاوز ٤٪ من حصة زميله في الاقطار الغنية . وعلى المستوى القطري يتراوح المدى الكامل لهذا التباين بين حد أعلى يبلغ ١٧٠٠٠ دولار (في ليبيا) ثم ينخفض الى رقم يصعب تصديقه اذ لايتجاوز ٧٠ دولارا في واحد من أهم الاقطار الزراعية العربية ومن اغناها في الموارد الزراعية غير المستغلة وهو السودان . الذي كثيرا ما وصفه المتفائلون بسلة غذاء العالم العربي المستقبلية (أي سلة هذه في مثل هذه الاوضاع ؟) .

ماهو السبيل ؟

في اعتقادي أن هذه الحقائق الاساسية التي تتسم بها أوضاع الزراعة والغذاء في الوطن العربي تكفي للوصول الى الاقتناع التام بأن

---

(١) ذات الدخل المنخفض : موريتانيا . الصومال ، السودان ، جيبوتي ، اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي . وذات الدخل المتوسط : البحرين ، عمان . الاردن ، سوريا ، لبنان ، مصر ، تونس ، المغرب ، وليبيا .

(٢) هي : السعودية ، الكويت ، الامارات العربية ، قطر ، العراق ، الجزائر .

الأمن الغذائي العربي سيبقى أملاً بعيد التحقيق ، ان لم يكن مستحيلاً ، وسيصبح فعلاً في عداد الاساطير ، ان لم نستطع أن نحقق مستويات من التفاعل والتكامل بين مواردنا الزراعية والمالية تتجاوز بكثير ما أمكن تحقيقه حتى الآن . وببساطة تامة يجب الاقرار بأن الاموال وحدها لايمكن أن تتحول الى غذاء ، كما أن الموارد الزراعية المعطلة وحدها بدون المال لايمكنها كذلك أن تتحول الى غذاء

الا أن ذلك ليس ، بأية حال ، دعوة لتدفق فوائض الاموال العربية نحو التنمية الزراعية في خارج الاقطار التي تمتلكها دون ضوابط أو حدود ، أو حتى بأساليب المعونة التقليدية المستندة على تقديم المنح والقروض الميسرة الشروط . اذ أن هذه الانواع من المعونة الانمائية محدودة الصلة بمقاييس مستلزمات الامن الغذائي الكبيرة ، وهي حدود لايمكن تجاوزها كثيرا اذ أن ذلك يمثل عبئاً ليس على الاقطار المانحة فحسب ، وكلها أقطار نامية بحاجة الى معظم مواردها لاستثمارها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها ، وانما كذلك على الاقطار المستفيدة اذ أن من شأن زيادة القروض فوق مستوى معين أن يؤدي الى ارتفاع أعباء خدمتها مما قد يضع أعباء لاقبل لها بها ، خاصة اذا كانت عوائد الاستثمارات المستخدمة فيها ذات طبيعة اجتماعية أو أن عوائدها الاقتصادية بطيئة . .

يقود حديثنا السابق بمجمله الى استنتاجات اساسية ، نعتقد أنها يمكن أن تكون حجر الزاوية في مسيرة جديدة وجادة نحو الأمن الغذائي العربي . أهم هذه الاستنتاجات

أ ـ ان تحقيق الامن الغذائي العربي يحتاج بداية الى القرار السياسي المخلص والمستند على اقتناع كاف ، فيفتح ابواب التعاون بين الاقطار العربية في هذا المجال على مصراعيه بهدف تحقيق التكامل بين موارده الزراعية والمالية الغزيرة

ب ـ ان اتخاذ مثل هذا القرار سيبقى كما كان حتى الآن بعيد المنال اذا استمر فشل الفنيين (التكنوقراطيين) في استنباط صيغ مستحدثة مصممة خصيصا لمثل هذا التعاون ، تتجاوز بالتأكيد وسائله التقليدية ، بالشكل الذي يتيح للاطراف المتساوية منافع مشتركة ملموسة

جـ ـ الا أن هذه الصيغ ستبقى بدورها عديمة الجدوى ، أو محدودة الأثر اذا لم يدرك اصحاب القرار بدورهم أن هذه الصيغ ، التي تستند في الاساس على فتح آفاق الاستثمار في الانتاج الزراعي والغذائي وغيرها من فرص الاستثمار الكثيرة المرتبطة بها والمكملة لها ، لايمكن أن تؤتي ثمارها الا بعد مرحلة حضانة طويلة نسبيا وباهظة التكاليف ، يتم خلالها انشاء القاعدة المادية والمؤسسية والتكنولوجية التي ترتكز عليها الزراعة الحديثة . وفي العالم العربي ـ خاصة في اقطاره الزراعية الرئيسية ـ ثغرات كبرى في هذه القاعدة الارتكازية وقفت حتى الآن حائلا امام تطوير الزراعة بانماطها المختلفة ، ومنها مشاريع الاستثمار الحديث . ومتى ما تحقق ذلك فان من شأن القطاع الزراعي أن يتيح افاقا غاية في الاتساع لاستقطاب وتوطين الاموال العربية في أصول ثابتة متنامية القيمة والعائد . وبعكس ذلك ستبقى محاولات الاستثمار الزراعي الحديث محدودة في مداها ومقتصرة على شريط ضيق من النشاطات كانتاج الدواجن وما أشبه

د ـ وباختصار تام نرى أن المطلوب اسلوب عملي رفيع في استطاعته أن يحقق الترابط العضوي بين مصادر التمويل الانمائي والتمويل الاستثماري العربي في اطار من البرامج التنموية الاستثمارية المتكاملة . وعلى الرغم من وضوح الحاجة الى هذا الاسلوب فان اصحاب القرار في مجالات التعاون العربي المشترك لم يجدوا حتى الآن سبيلهم الى ذلك

ان الحقائق الشاخصة للعيان تؤكد أن في العالم العربي كل ما يلزم لتحقيق امنه الغذائي ، ربما عدا الارادة الجادة والعمل الدؤوب المخلص . فهل سيستمر انزلاقنا السريع نحو هوة التبعية الغذائية الخانقة أم ماذا ؟؟؟

بقلم: الدكتور حازم الببلاوي

في محاضرة ألقاها الاقتصادي آرثر لويس في جامعة برنستون عام ١٩٧٧ ، تساءل عن أسباب انقسام العالم الى دول متقدمة ودول نامية . وكانت اجابته على ذلك هي أن الأولى قد نجحت في تحقيق ثورتها الزراعية وزيادة الانتاجية فيها قبل أن تنتقل الى الصناعة ، في حين أن الثانية فشلت في تحقيق هذه الثورة الزراعية . وأهمية آرثر لويس لا تعود فقط الى حصوله على جائزة نوبل في الاقتصاد لأبحاثه في قضايا التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية ، بل لأنه نفسه هو أحد أبناء المستعمرات الفقيرة (جامايكا) ، ومن ثم فهو تجسيد حي لقضية الفقراء .

وما يقال عن الثورة الصناعية في انجلترا ودورها في تحقيق التقدم الذي نشاهد آثاره الآن ليس سوى جزء من الحقيقة ، أما الجزء الآخر والذي لا نذكره عادة فهو تلك الثورة الزراعية التي عرفتها انجلترا والتي ترتب عليها زيادة الانتاجية الزراعية بشكل كبير . فانجلترا عرفت في الواقع سلسلة من الثورات الصناعية منذ القرن الثالث عشر . وعندما تحقق لها النجاح في الزراعة منذ القرن السادس عشر مع الحقول المفتوحة ، فقد بدأت الثورات الصناعية تؤتي ثمارها . وجاء القرن التاسع عشر مع تطبيقات الثورة العلمية في الزراعة خاصة في المانيا ـ مع نمو الصناعات الكيماوية والتوسع في استخدام المخصبات مما ساعد على تعميق آثار الثورة الصناعية في باقي الدول الاوروبية وفي أمريكا الشمالية . وفي القرن العشرين أخذت التطبيقات العلمية في الزراعة اتجاهات جديدة في علوم الأجنة وانتخاب البذور وتهجين السلالات الجديدة والتقدم في مقاومة الآفات الزراعية فضلا عن تحسين وسائل الري والصرف وظروف التربة . ولذلك فقد استمرت الانتاجية الزراعية في الارتفاع بشكل مستمر فتضاعفت انتاجية المحاصيل الزراعية خلال الاربعين سنة الاخيرة ، وجاوز ذلك الثلاثة أضعاف في بعض الحالات (القمح ، الأرز ، والذرة) . وعلى عكس الانطباع السائد ، فان أكثر القطاعات زيادة في الانتاجية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الأول من القرن العشرين ، كان قطاع الزراعة بحيث كان التقدم الصناعي الهائل نتيجة لما تم من انجاز في انتاجية الزراعة .

فالزراعة هي الجندي المجهول الذي سهل تحقيق انجازاتنا الصناعية .

الثورة الزراعية أولا

ولكن كل ذلك ظل وقفا على الدول الصناعية المتقدمة ، أما الدول النامية أو الفقيرة فانها لا زالت بعيدة عن تحقيق ثورتها الزراعية ولا زالت مشاكل الزراعة والغذاء تخيم بظلالها عليها وعلى العالم أجمع من ورائها . ووجه الغرابة هو أن الدول الفقيرة لا زالت دولا زراعية في الأغلب لفشلها في تحقيق ثورتها الزراعية ، في حين أن الدول الغنية انتقلت الى مرحلة الصناعة أو ما بعد الصناعة لأنها نجحت في ثورتها الزراعية . وهكذا فان نجاح الثورة الزراعية هو العقبة التي لا بد من تخطيها قبل الانتقال الى المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية .

واذا كان القس الانجليزي توماس مالتس قد حذرنا في فجر القرن التاسع عشر بأن العالم يواجه سباقا محموما بين الزراعة والسكان ، وأن خطر الزيادة السكانية ـ أو بالاحرى نقص المواد الزراعية ـ يكاد يهدد حياة البشر ، فاننا نجد أنفسنا ونحن في غروب القرن العشرين نواجه نفس الخطر . فاذا كانت الثورة الصناعية ـ ومن قبلها الثورة الزراعية ـ قد مكنت أوروبا من تجاوز مخاوف وتوقعات مالتس طوال القرن التاسع عشر ، فان نفس منجزات هذه الثورة الصناعية وخاصة في مجال حماية الصحة والمواصلات ، قد أطلقت عنان السكان في الدول النامية ، ومن ثم أعادت الينا من جديد شياطين مالتس . وقد بلغ سكان العالم حوالي بليوني نسمة في عام ١٩٣٠ ليصلوا الى حوالي ثلاثة بلايين في عام ١٩٦٠ وأربعة بلايين في عام ١٩٧٥ ثم لن ينقضي هذا القرن حتى يجاوزوا الستة بلايين والثمانية بلايين في نهاية العقد الاول من القرن القادم . وازاء هذا الضغط السكاني الهائل فان هناك ضرورة الى تضاعف انتاج الغذاء خلال الثلاثين سنة القادمة لمجرد الاحتفاظ بالمستوى الحالي للتغذية دون زيادة أو تحسين .

مواجهة التحدي

ومن هنا فان التساؤل الذي يطرح نفسه على العالم ، هو هل مثل هذه الزيادة أمر ممكن أم أن العالم يواجه عقبة يصعب تجاوزها ؟ ولكن وضع السؤال بهذا الشكل لا يساعد على معرفة الحقيقة كلها . ذلك أنه قد لا يكون من الصعب على العالم في مجموعه مواجهة هذا التحدي وزيادة الانتاج الزراعي والغذائي بصفة خاصة بما يتفق مع الاحتياجات . ولكن هذه الامكانية النظرية قد لا تساعد كثيرا من الناحية العملية نتيجة للاختلال في أوضاع البلدان . فامكانيات الزيادة في الدول الصناعية المتقدمة تبدو أكبر في حين أنها في الدول النامية لا تبدو كذلك في ظل الأوضاع القائمة . ولكن الدول الأولى قد حققت توازنا في بعض الأحوال وفائضا في معظم الأحوال مما يجعلها اقل اهتماما بالعمل على زيادة الانتاج الزراعي ، وعلى العكس فان الدول النامية والتي تحتاج أكثر من غيرها للزيادة في

انتاجية الزراعة فانها تبدو أقل قدرة على تحقيق هذه الزيادة المطلوبة . وهكذا فان القول بقدرة العالم في مجموعه على زيادة الانتاج الزراعي والغذائي بصفة خاصة قد لا تحول دون امكانيات قيام اختلالات واضطرابات نتيجة لعدم الترافق بين الحاجة الى الغذاء ، والقدرة على زيادة الانتاج الزراعي . فحتى قيام الحرب العالمية الثانية ، كانت مناطق العالم الاساسية - وباستثناء أوروبا الغربية - مصدرة للحبوب وتحقق اكتفاء ذاتيا في المواد الغذائية الأساسية . والآن فان أفريقيا وآسيا والاتحاد السوفيتي وأجزاء كبيرة من أمريكا اللاتينية تحولت الى مستوردة للحبوب . وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والارجنتين واستراليا هي المصدر الأساسي للحبوب الغذائية . ووجه الغرابة والخطورة هو أن نفس هذه الدول هي التي تملك أكثر من غيرها - في ظل الأوضاع القائمة . أكثر امكانيات التوسع في الانتاج الزراعي والغذائي .

قضية الدول النامية

وهكذا لم تعد قضية الزراعة والغذاء قضية فنية فقط ولكنها أصبحت أيضا قضية متعلقة بمستقبل العلاقات الاقتصادية والاستقرار السياسي العالمي . فقضية الزراعة والغذاء هي قضية الدول النامية بالدرجة الأولى ، وقد أصبحت مشكلة عالمية بالقدر الذي تفرض فيه مشاكل الدول النامية نفسها على استقرار العالم وتقدمه فبالنسبة لهذه الدول ازدادت فيها حصة الفرد من الانتاج الغذائي بشكل طفيف في الخمسينات والستينات ولكنها تراجعت في السبعينات مما أدى الى تزايد الواردات الغذائية بشكل كبير . فارتفعت واردات الحبوب من حوالي ٢٠ مليون طن في ٧٢/ ١٩٧٣ الى ٨٥ مليون طن في ٧٩/ ١٩٨٠ بلغت تكلفتها أكثر من ١٧ بليون دولار في ١٩٧٩ . وقد انعكس كل ذلك على مديونيات الدول النامية التي زادت من ٧٠ بليون دولار في ١٩٧٠ الى حوالي ٧٠٠ بليون دولار في ١٩٨٣ . واذا كانت العادة قد استقرت على اطلاق اسم « أزمة الطاقة والنفط » على عقد السبعينات ، فان ذلك لا يعدو أن يكون تعبيرا آخر عن الاهتمام بقضايا ومشاكل الدول المتقدمة . أما الدول النامية فانها عرفت في السبعينات « أزمة الغذاء » ، وهي لا زالت تعاني منها . واذا ترجمنا هذه الأرقام الى تقدير لحجم الآلام الانسانية نتيجة لنقص المواد الغذائية المتاحة للدول النامية ، فاننا نجد أن مصادر الأمم المتحدة تشير الى وجود حوالي ٥٠٠ مليون نسمة يعانون من نقص التغذية و ٥٠٠ مليون أخرى يعانون من سوء التغذية . وهكذا فان واحدا من كل أربعة تقريبا على هذه الأرض يواجه مشاكل الغذاء ، وهم كلهم يعيشون فيما يسمى بالدول النامية .

ان الحاجة الى ثورة زراعية جديدة في دول العالم الثالث لم تكن أكثر الحاحا مما هي عليه الآن . وبغير زيادة انتاجية الزراعة بشكل كبير ومستمر في هذه الدول . فان استقلالها في المستقبل سيكون أمرا مستحيلا هذا اذا كان وجودها المادي أمرا متحققا . وليس الأمر متعلقا بزيادة الانتاج الزراعي فحسب ، بل ولا بد وأن يأتي ذلك من زيادة انتاجية الارض وهو مما يتطلب تطويرا في وسائل الانتاج وفي العلاقات الاجتماعية . فأكثر من ثلثي الزيادة المطلوبة في الانتاج الزراعي والغذائي لن يمكن تحقيقها الا من خلال زيادة الانتاجية في الارض المزروعة فعلا وليس من أراضي جديدة مستصلحة .

عملية متكاملة

وينبغي أن يكون واضحا ان ثورة زراعية جديدة لا يمكن أن تقتصر على مجرد تطوير أساليب جديدة للانتاج ،وانما هي فوق ذلك وقبل ذلك عملية متكاملة تتطلب في نفس الوقت تعديلا في العلاقات الاجتماعية والسياسات

الاقتصادية . الثورة الزراعية ليست مجرد عملية فنية باحلال أساليب جديدة محل أساليب قديمة ولكنها تتضمن في نفس الوقت أسلوبا جديدا للحياة . فلقد لوحظ على سبيل المثال ان منطقة شمال غرب المكسيك - وهي موطن قيام ما يسمى بالثورة الخضراء في الخمسينات - أدت فيها زيادة الانتاجية الزراعية الى اتساع حجم المزارع من ٢٠٠ الى ٢٠٠٠ فدان في المتوسط مما حرم أكثر من ثلاثة أرباع اليد العاملة في نفس المنطقة من أراضيهم ومن ثم مصادر أرزاقهم . وهكذا أدت الزيادة في الانتاجية الزراعية الى مزيد من عدد الفقراء نتيجة لما ارتبط بالأساليب الانتاجية الجديدة من سوء في توزيع الثروة . وهكذا فان الثورة الزراعية تتضمن تعديلا كاملا في العلاقات وفي السياسات وليست مجرد تغيير في أساليب الانتاج .

كذلك فان الثورة الزراعية المطلوبة وهي تتطلب في الدرجة الاولى سياسات تنموية جادة وجديدة في الدول النامية ، الا أنها تقتضي في نفس الوقت تغييرا في نمط العلاقات الدولية . فالثورة الزراعية المطلوبة تقتضي أن تعيد الدول النامية النظر في سلم أولوياتها بمزيد من الاهتمام باشباع الحاجات الأساسية والاعتماد الذاتي والتركيز على تطوير الزراعة ومزيد من الاهتمام بعلاقات الانتاج وتوزيع الثروة وادخال أساليب الانتاج الحديثة والاهتمام بالبحوث والارشاد الزراعي . الا أن كل ذلك لا ينفي اننا نبدأ من ظروف غير مناسبة حيث ان الدول النامية لازالت ضعيفة كل على حدة وأغلبها في ظروف تابعة . ومن ثم فان تطوير علاقات أكثر تضامنا فيما بينها ووضع اطار لاستقرار أسعار الحاصلات الزراعية ونقل التكنولوجيا وزيادة موارد التمويل الخارجي يعتبر أمرا لازما لتحقيق مثل هذه الثورة الزراعية المطلوبة . وهكذا فان قضية التنمية الزراعية ورغم انها تتطلب في الأساس جهدا محليا في الدول النامية ، الا أنها تحتاج أيضا الى ظروف دولية مناسبة . وهذا مايوضح الى أي حد تمثل هذه القضية تحديا أساسيا لدول العالم الثالث وللعالم أجمع .

السودان وكندا

واذا نظرنا الى عالمنا العربي لوجدناأن مشكلة الزراعة والغذاء تبدو أكثر اختلالا وخطورة . فعجز المنطقة العربية في الغذاء يتزايد ولا يتناقص . فالعالم العربي في مجموعه - وكان يصدر من الحاصلات الزراعية ما يعادل ما يستورده من غذاء حتى ١٩٧٠ - قد عرف اختلالا متزايدا بعد ذلك . وفي نفس الوقت فان امكانيات المنطقة العربية من الموارد الطبيعية تجعلها مؤهلة للقيام بدور ملحوظ في المستقبل . فالى جانب الموارد الزراعية الهائلة في السودان ، هناك المغرب وسوريا والعراق . وقد غلبت في بداية السبعينات مقولات عن دور السودان في مستقبل الانتاج الزراعي في العالم واعتباره مع كندا الاحتياطي الاستراتيجي للغذاء العالمي في القرن الحادي والعشرين . ولكن تجربة التنمية الزراعية الهزيلة في السبعينات قد ألقت ظلالا من الشكوك حول هذه القضية . وأخيرا فان المنطقة العربية والتي تحتاج أكثر من غيرها لثورة زراعية والتي تملك بين ربوعها موارد طبيعية من المياه والاراضي القابلة للزراعة ، هي نفسها المنطقة التي عرفت سيلا من تدفق الاموال السائلة مع ثورة النفط على نحو لم يسبق له مثيل . ومع ذلك فقد انقضى عقد السبعينات والزراعة العربية على ما هي عليه ان لم تكن قد تدهورت ، وموارد السودان الطبيعية لم تزل كما كانت من قبل وان فقد معها التفاؤل والأمل . وأموال النفط تتناقص وبدأت الفوائض في الزوال ، وأصبح تخلف الدول عن الوفاء بديونها أكثر من مجرد احتمال بعد أن أصبح واقعا يوميا . فهل نتنبه لما ينتظرنا ونفيد من الفسحة الباقية بعد أن ضاعت أكثر الفرص الممنوحة لنا . هذا هو السؤال ، وهو أيضا التحدي . □□

للدكتور : حسان حتحوت

□ قد يعلم كل المسلمين أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال « بني الاسلام على خمس .. شهادة لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج لمن استطاع اليه سبيلا » .. فهذه أركان الاسلام التى يرتكن عليها ، ودعمائه التى تحمل بنيانه ، والعمد التى يقوم عليها صرحه كما يقوم البيت على عمده .

ولكن الخطأ الذي يقع فيه الكثير من المسلمين هو أن تصورهم لهندسة البناء الاسلامي والخرائط التصميمية والرسوم له قد وقف للأسف الشديد عند هذه الأركان .. أفقهم الاسلامي بلغها ولكنه لم يجاوزها .. أشبه شيء برجل أراد أن يبني بيتا فلما ارتفعت الأعمدة الخرسانية اذا به يقف عند هذا الحد وكأنه لايدرك أن هذه الأعمدة وحدها ليست خاتمة المطاف وأنها وحدها لاتفي بالغرض الأساسي من مشروع البيت أو العمارة وهو أن يأوي اليه سكانه فيجدوا فيه السكن والسكينة . وكما يأسف من يسير في بعض عواصمنا العربية فيجد مئات العمارات التي ارتفعت أعمدتها ووقف أصحابها عن تمام بنائها ، يأسف كذلك من ينظر في أحوال المسلمين فيرى أنهم في الغالب الأعم قد وقفوا بالاسلام عند الأركان دون البنيان . وما نتهم بذلك الناس في حسن نواياهم الاسلامية .. مانقول انهم يصدرون عن قلة حب للاسلام بل نجد في حالات كثيرة أن العكس هو الصحيح .. فالمسلم تأنس نفسه بالصلاة فيصلي أكثر ، وبالصيام فيصوم أكثر ، وبالحج فيحج أكثر ، وكل ذلك حسن وجميل لو عدل الناس بين الاهتمام بالأركان والاهتمام بالبنيان .. أما أن أنوى بناء بيت فأقيم الأعمدة ثم أقيم مزيدا من الأعمدة ثم مزيدا من الأعمدة فمعنى ذلك أنني سأبقي ساكنا في العراء وأنا أحسب أنني أحسن صنعا .

فماذا عن البنيان . .

والبنيان الاسلامي يدرك أمره كل من عرف ـ معرفة ايجابية لاسلبية ولانظرية ـ أن الاسلام دين شامل وأن شموله يسع الحياة كلها . فالعبادات فيه باب من أبواب وكما يحرم تعطيلها يحرم تعطيل غيرها . . في الاسلام مكارم الاخلاق وفيه كذلك شريعة الحكومة والمحكمة . . مركز الدائرة في الاسلام خصوصية مابين الفرد وربه ولكن الدائرة تشمل مابين الفرد والناس ومابين الأمة والحاكم ومابين الدولة والعالم . . ان الذين يريدون أن يخلو الاسلام من السياسة اما أنهم لايعرفون الاسلام وينظرون الى قصة الغرب فيحسبونها قصة الاسلام ، واما أنهم يعرفون الاسلام فيخشون منه قيدا على سلطتهم وتهديدا لهيمنتهم وكسرا لاحتكارهم . ان الحكم في الاسلام بيعة وتكليف،وطبيعي أن الذي أعطى البيعة وأصدر التكليف يملك أن يسحبها ان وجد الصالح في ذلك . وكان ينبغي أن تتعلم الأمة الاسلامية من زمان بعيد ايجاد صيغة تكفل هذا التغيير بغير عنف ولا دم ولامرارة ولاخصومة . . بل كان ينبغي أن يكون المسلمون روادا في ذلك . . وفي زمننا الذي تعلمت فيه دول العالم التي أفلحت أن تسليم دفة القيادة من يد ليد وبأمر الأمة أمر بالغ اليسر ، يظل العالم الاسلامي على ترامي اطرافه طرازا آخر . . بل أن شبه القارة الهندية تشهد تقسيمين منذ الحرب العالمية الثانية ، فاذا الهند وحدها هي التي تجلس أنديرا غاندي على مقعد الحكم ثم تنتزعها من فوقه ثم تجلسها عليه من جديد عن طريق الانتخابات الحقيقية وحدها وبدون اغتيال أو انقلاب أو حكم عسكري أو لجوء للانتخابات المظهرية أو غير الحقيقية .

وواضح أن البنيان الاسلامي على هذه الصورة أمر لايتأتي الا بمشقة بالغة والمسلم الجيد الذي رتب حياته على نصيب سخي من صلاة النوافل وصيام التطوع وانتظار الحج الى الحج والعمرة الى العمرة ونسج من ذلك رحلة حياته واستثمار دنياه لآخرته ، يصيبه الهول والذعر ان حاولت أن تقنعه أن يهجر هذا النمط الدافىء الوثير من الحياة الصالحة وأن يقتحم بحر الحياة العامة المتلاطم وأجواءها العاصفة . . انه يعزي نفسه بأنه فرد وأن هذا التغيير ليس مهمة فرد . . ثم يحاول أن يتعامي عن أن فردا وفردا وفردا وغيرهم وغيرهم هم الذين يشكلون بمجموعهم الأمة التي ان صحت سادت والرأي العام الذي ان وعي فلن يغرر به أو يقمعه أحد. ان على المسلم العابد القانت أن يمد ذراعيه يمنة ويسرة ويفرد أصابعه متحسسا ليتعرف على اخوته المؤمنين . . لا لتكوين جمعية سرية ولاللتآمر على قلب نظام الحكم ولا لتخزين الأسلحة والذخائر ، ولكن لتحقيق معنى الجماعة ولتصديق عنصر الاخاء وللتعبير عن فكرة الأمة . . آنذاك يكون الأفراد شبكة والخيوط نسيجا واللبنات بناء والخرزات مسبحة . . آنذاك يتكون في المجتمع تيار اسلامي غير هادر ولكنه مؤثر . . ليست العبرة عنده بالمظهرية في الزي ولا الجهارة في الصوت ولا الضراوة في الحكم على الناس بالكفر أو الاثم ومع ذلك فهو كالنهر يشق مجراه من منبع المصب ويتجه

بالمجتمع معه الى التعامل بالقيم الاسلامية في المعاملات المدنية اليومية أولا ثم من بعد ذلك بالضرورة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وقد يبدو أن هذا الترتيب تغلب عليه البساطة التي تقارب السذاجة . . ولكن ليصدقني القارىء ان قلت أنه السبيل الوحيد . لقد امتلأت الساحة بالمتحمسين ولكن حتى المتحمسون للاسلام كثير منهم لايتعاملون به ، ولو تصورنا ولو من باب الخيال أن مقاليد الحكم أصبحت في أيديهم غدا لما شهدنا الا دكتاتورية غاشمة دموية قاهرة قد تهدر أنبل القيم الاسلامية وان رفعت شعار الاسلام .

ومن الأمانة أن نذكر أن هذا الاقتراح السلمي البسيط الذي أوردناه لايعني اذن أن طريق الموكب الاسلامي سيكون مفروشا بالورود . . بل ان أعداء الاسلام لاشد منه قلقا وأعظم فرقا . . انهم أكثر ترحيبا بالاسلاميين الذين يكفرون الناس ويعتدون على الممتلكات ويطلقون الرصاص . . فهؤلاء يمهدون العذر واضحا لمحاربتهم واستئصال شأفتهم . . أما أن يكون الاسلام تيارا عاما وتحولا اجتماعيا ودعوة يحبها الناس فيقبلوا عليها ولايتبرموا به ، فهذا هو الخطر . . ولابد من وضع العراقيل في سبيله ولو افتعلت هذه العراقيل ، وقد شهدنا ذلك في التاريخ البعيد والقريب ، ولكن تبقى المعركة بعد ذلك معركة ذكاء بقدر ما هي معركة اخلاص فالاخلاص بلا ذكاء قطعا يضر ولاينفع . . والأمر من قبل ومن بعد بيد الله ، والله من ورائهم محيطا .

. . وحديث عن الأساس

وأعود فأزيد الصورة قتامة . . تحدثت عن الأركان وعن البنيان ولكن الاثنين ـ ولست أدري أأقول للأسف الشديد أم لا ـ محتاجان لأساس يحملها معا وبغيره يكون قيامهما أمرا بالغ الصعوبة . . هذا الأساس الضروري هو قسط معلوم من الحرية . . لايمكن أن تزدهر شجرة الاسلام وتثمر في غياب الحرية . . وفي مجتمع القهر والجبروت ، في مكة جاهد النبي ثلاث عشرة سنة كان مردودها عددا محدودا من المؤمنين . . فلما انتقل بالدعوة الى مناخ الحرية بالمدينة استطاع أن يحقق الاسلام أي أن يقيم دولته ويطبق شريعته ويتسع به من عقيدة ضمير الى سياسة مجتمع . ومن بعدها اتخذ الاسلام مساره ليبني خير حضارة عالمية . لم تكن الهجرة اذن هروب رجل على حياته ولكن نقلة للدعوة من جو قهر الى جو حرية !! وفي غير اطالة ندعو القارىء أن يبسط أمامه خريطة العالم الاسلامي ليرى في أي بقاعها يستطيع الداعية المسلم أن يمارس حرية الدعوة مطمئنا الى حماية القانون والعرف والحكم ، وفي اي بقاعها ينظر اليه بريبة وتوجس وتربص وخوف ولاتتعامل معه الا أجهزة الامن لا أجهزة الأمان . . ولن نستطرد في الاجابة على هذا السؤال فلا نريد لهذا العدد من المجلة أن يصادر في هذا القطر أو ذاك !!

من سنوات سمعت من يطرح فكرة شراء جزيرة تكون مهجرا لأمة مسلمة تضم من الكفاءات مايتيح قيام مجتمع بلغ الذروة في علوم العصر وتقنيته ولكنه يتعامل بالاسلام من أول

الأخلاق الشخصية لغاية السياسة الداخلية والخارجية ، والوشيجة الكبرى فيه الحب في الله وأخوة الاسلام ولتتعدد بعد ذلك وجهات النظر ولتكن هناك صيغة تبيح اختلاف الرأي ، فلقد كان من حول الرسول أبو بكر وعمر وعلي يختلفون في الرأي ولكن بغير فساد ذات بين . . وبين المجمع المحدود الذي سمع الفكرة ابتسم ناس جعلوها محمل الفكاهة ، وبين ناس رأوا أنها مستحيلة التحقيق ، على حين هاجمها آخرون لأسباب مختلفة أهون أطرفها قول من قال انها دعوة الى صهيونية اسلامية !

ومن قبل نصح رجل يكتم ايمانه فرعون أن يتخلص من هذه الفئة المتدينة المتعبة بأن ينفيها الى سيناء ويستريح منها ومما تثيره من بلبلة ، وكان من ضمن حججه انها ان انفصلت بمياه سيناء تكون حاجزا منيعا أمام أي هجوم على مصر من الشرق . ولكن فرعون ابتسم وقال « فماذا لو استعدوا وتحولوا الى الغرب وهاجمونا في مصر ؟ » على أنه يبدو لنا وقد أدركنا أنه لابد من استنبات زرعة الاسلام في جو من الحرية أن الظلام ليس على ما نعهد سورنا من دمس . . والظاهر أن الله في كرمه ما أغلق بابا الا فتح بابا فلقد كان من بركات جو التهور والبطش والتنكيل الذي تعرضت له الدعوة الاسلامية في العقود الأخيرة أن قامت هجرات اسلامية لا الى الحبشة ولا إلى المدينة ولكن على الأقل الى بلاد فيها من الحرية هذا القدر الذي نفتقده عندنا فلا نجده أصبح هؤلاء المسلمون في تلك البلاد مواطنين يحمي القانون حقوقهم في التعبير عن الرأي والمجاهرة بما يعتقدون . من ترائنا أن امرأة ردت رئيس الدولة وهو عمر بن الخطاب فلم يكن الرد سجنا أو تعذيبا أو رفع حصانة بل كان « أصابت امرأة وأخطأ عمر » . . ولو أردنا أن نستروح مثل ذلك في زمننا الحاضر لما وجدناه لدينا للأسف الشديد . . ولو وجدناه هناك بعيدا في الغرب . . حيث فقد رئيس أكبر دولة منصبه لأن من رجاله من تجسس على الحزب الآخر في الانتخابات . . وحيث من المشاهد المألوفة أن يقف رئيس الدولة أمام رجال الصحافة - ناهيك بأعضاء البرلمان - يحاصرونه وكأنه تلميذ أمام ممتحنين . . وحيث شاءت حكمة الله أن تشتل نبتة اسلامية صغيرة .

في أحشاء الغرب جنين اسلامي صغير . . وهناك جو الحرية الذي لابد منه . . فهل هي نقطة تحول ؟ نعلم أن من بين الاسلاميين هناك من يرى جهاده الاسلامي في الأكل على الأرض والطبلية وجوه السيدات . . ولكن نعلم كذلك أن منهم الأذكياء الفطناء الذين صح فهمهم للاسلام وأتقنوا أصول التعامل مع المجتمع الذي هم فيه باللغة التي يفهمها والأسلوب الذي يتأثر به . هل يجد الاسلام اذن فرصة كالتي وجدتها اليهودية فاستغلتها ؟

وهل يكون للاسلام دور في هذه البلاد وفيها رغم ذروة المدنية من الأدواء والعلل ما يكمن علاجه والوقاية منه في تعاليم الاسلام ؟

وهل يأتي يوم تتحمس فيه أمريكا لحقوق الانسان في الشرق الأوسط تحمسها لحقوق الانسان في روسيا ، وكما تحاول انصاف بولندا من روسيا تحاول انصافنا من اسرائيل ؟ أسئلة يحمل اجاباتها المستقبل . وكل آت قريب .

هردر [illegible] العرب في القرن الثامن عشر

بقلم : الدكتور عبد الرحمن بدوي

□ كان من أهم ثمار « نزعة التنوير » في أوروبا في القرن الثامن عشر إنصاف الشعوب غير الاوروبية وحضاراتها وآدابها وفنونها وعلومها .

وعلى رأس من أنصفوا العرب والاسلام والحضارة العربية بعامة : يوهان جوتفريد فون هردر Johann Gottfred von Herdier ١٧٤٤ - ١٨٠٣ الفيلسوف والشاعر ومؤرخ الحضارة الالماني - وذلك في كتابه الرئيسي : « أفكار في فلسفة تاريخ الانسانية » الذي كتبه بين سنة ١٧٨٤ وسنة ١٧٩١ .

اتسم هذا الكتاب بنزعة عالمية تحارب الاحكام السابقة القومية والعرقية ، وخصوصا الاستكبار الاوروبي تجاه سائر الشعوب . وهو ينعي على الاوروبين مواقفهم المزرية تجاه السود (الكتاب السادس ، الفصل الرابع) ويدين الرق ادانة دامغة (الكتاب السابع فصل ٢) ، ويدين الغزو الدامي لامريكا الجنوبية على أيدي الاسبان والبرتغاليين ثم سائر الاوربيين ، مدافعا عن الحمر ضد البيض . ويصيح مخاطبا الامريكيين : « ليس الاورانج اوتانج ولا النسناس أخاك ، بل الامريكي الزنجي . فلا ينبغي لك أن تضطهده ، أو تقتله او تسرقه ، لانه انسان مثلها انت تماما » (الكتاب السابع ، فصل ١ ، نشرة Suphan ص ٢٥٢) .

ويفيدنا هنا أن نقصر الحديث على موقفه من العروبة والاسلام ، وقد خصهما بالفصلين الرابع والخامس من الكتاب التاسع عشر من كتابه هذا .

محمد (ﷺ) والجزيرة العربية

ويبدأ الفصل الرابع بالكلام عن خصوصية شبه الجزيرة العربية الجرداء القاسية على أهلها ، وكيف أن « الشجيرة العطرة للمجد العربي الناشىء في تربة شديدة الجفاف » كانت معجزة طبيعية جدا ، لما أن ظهر الرجل الذي استطاع ان يجعلها تزهر ـ ويعني به النبي محمدا الذي كان « مزاجا فريدا من كل ماتستطيع أمته وقبيلته وزمانه وبلاده أن تعطي : لقد كان تاجرا ، ونبيا ، وخطيبا ، وبطلا ، ومشرعا وكل هذا على الطريقة العربية . ثم وصف ماتجلى من فضائل النبي قبل بعثته ، وذكر كراهيته الشديدة للوثنية بين قومه ، وأبدى حماسة نبيلة « لتوحيد الله الواحد الاحد ، وبين أن قوام رسالته كان عبادة الله الواحد والتقوى والقيام بالاعمال الصالحة .

ثم عرض لتاريخ الفتوح الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ، وأفضى من ذلك الى بيان أسباب انحلال الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف ، فقال ان دمارها يرجع الى تركيبها السياسي . وفصل ذلك على النحو التالي :

أسباب انحلال الامبراطورية الاسلامية

● ان فضائل الحماسة هي التي أوجدت القوة العربية ، وما كان يمكن لهذه القوة أن تبقي الا بفضل هذه الفضائل فيها . فلو كان الخلفاء بقوا في مكة أو الكوفة ، أو المدينة ، عائشين عيشة الخلفاء الراشدين الاربعة ، و؛ عيشة تجلد وتقشف ، ولو كانوا قد فرضوا على ولاتم وعمالهم وقوادهم نفس اللون من الحياة ، فأية قوة كانت تستطيع اذن ان تنال من هذا الشعب ؟
لكن لما كان فتح بلاد غنية جميلة مصحوبا بالتجارة ، قد أوجد الثراء والترف والرفاهية ، ووراثة العرش بين الخلفاء في دمشق ثم في بغداد ، فقد نجم عن ذلك مايشبه قصة من قصص « ألف ليلة وليلة » ، وتكرر المنظر الذي تمثل آلاف المرات على الارض ، مفاده أن الفخفخة تؤدي الى الرخاوة ، وأن الرقيق لايلبث أن ينهار أمام الخشن . يضاف الى ذلك استخدام الخلفاء لشعوب حربية خشنة مثل الترك والمغول والبربر والاكراد ، ومعظمهم كانوا ساهرين كالوحوش تترصد الفرصة للانقضاض على السيطرة العربية التي فرضت عليهم . « وهكذا حدث هنا ماحدث للامبراطورية الرومانية : فالوزراء والجنود المحترفون صاروا هم الحكام والطغاة » .
● اما كون الثورة قد حدثت بين العرب بأسرع ماحدثت بين الرومان ، فمرد ذلك الى التركيب السياسي للامبراطورية العربية . لقد كانت الخلافة تحكم . والخلافة مستبدة الى أعلى درجة : اذ اجتمع البابا والامبراطور في شخص الخليفة . فكم كان سهلا إذن ، خصوصا في الولايات البعيدة ، انتقال الاستبداد الذي يتم باسم أحداهما الى السلطان المطلق الذي تم بصفة شخصية ، ولهذا صار حكام الولايات النائية حكاما مستقلين : كل بولايته .
● وكان حكم الامبراطورية العربية مرتبطا بأسرة واحدة ، هي قبيلة قريش ، ولما كان « الوريث الشرعي » ـ على حد هردر ـ وهو الامام علي ـ قد أبعد منذ البداية عن الحكم ، فقد حدث الشقاق بين أنصار بيته ، وبين الاخرين مما أدى الى نزاع لايزال مستمرا حتى عصر هردر (القرن الثامن عشر) بين الترك والفرس . وفي بعض الاصقاع النائية ظهر أدعياء فرضوا انفسهم على الشعوب بدعوى أنهم من آل بيت النبي ، مستعينين اما بمظهر التقوى ، أو بالسيف في أيديهم .

تأثير الدول العربية

وينتقل هردر الى بيان ماكان للدول العربية من تأثير في العالم ، وهو تأثير يرجع ليس فقط الى موقع البلاد العربية بين بلاد العالم ، بل ويرجع أيضا الى طابعها القومي ، وقد بقي هذا التأثير بعد زوال ملك العرب ، ولايزال باقيا حتى يوم الناس هذا . ويتناول هردر دراسة هذا التأثير في مختلف الميادين :

أ ـ اولا في الدين واللغة : فقد كان للعرب تأثير ضخم في شعوب القارات الثلاث : أسيا ، وافريقية ، وأوروبا . فأما من حيث الدين « فلا سبيل الى انكار ان الدين الاسلامي ارتفع بمستوى الشعوب الوثنية التي اعتنقت الاسلام الى مافوق الوثنية الغليظة التي تعبد كائنات الطبيعة ، والكواكب السماوية والناس الأرضيين ، وجعل الاسلام من هذه الشعوب عبادا غيورين لله الواحد الاحد ، الخالق ، الحاكم القاضي بين الناس ، وهم يتعبدون بصلوات يومية ، وأعمال احسان ، ونظافة بدنية ، واستسلام لارادته . وبتحريمه الخمر ، أراد منع العربدة والمنازعات ، وبتحريمه الأطعمة النجسة ، اراد تقويم الصحة ونشر الاعتدال . كذلك حرم الربا والميسر والكثير من الخرافات ، ورفع كثيرا من الشعوب من حالة الشدة او الفساد الى درجة وسطى من الحضارة . . . . الاسلام يشيع في الناس طمأنينة النفس ، ووحدة الخلق ، اللتين ، وان كان من الممكن ان تكون لهما من الفائدة بقدر مافيهما من الخطر ، فانهما في ذاتيهما جديرتان بالتقدير والاحترام » .

● اما فيما يتعلق باللغة فيقول هردر : « لو كان عند الغزاة الجرمانيين في اوربا كتاب كلاسيكي بلغتهم مثل القرآن عند العرب ، لما كانت اللغة اللاتينية قد سادت ابدا ، ولما كان الكثير من قبائلهم قد ضل ضلالا شاملا لكن لم يحدث لهذه الشعوب الجرمانية ان يصير عندها او لـفيلاس Ulfilas ولا « كـدمـون » Kadon،ولا « اوتفريد » Ottfried (الاول ترجم الكتاب المقدس الى اللغة القومية ، وتوفى حوالي سنة ٣٨٣ ، والثاني هو اقدم شاعر انجليزي معروف الاسم حوالي سنة ٦٨٠ ـ ما صار اليه القرآن عند كل المسلمين ، أعني : ضمانا للغة الفصحى التي تمكنهم من الرجوع الى أقدم آثارهم ، مع البقاء على الارض في نفس الوقت . لقد كان العرب معتقدين أن لغتهم هي أنبل تراث لهم ، ولاتزال حتى اليوم تربط لهجات عربية برباط التبادل بين الناس وبين السلع التجارية على نحو لم تقدر عليه اية لغة أخرى حتى اليوم » .

● وبهذه اللغة الغنية الجميلة كتبت علوم ، دعا اليها الخليفة المنصور وهارون الرشيد والمأمون . فبدأت من بغداد ، عاصمة العباسيين ، واتجهت صوب الشمال والشرق ، وخصوصا صوب الغرب فازدهرت زمانا طويلا في امبراطورية العرب الشاسعة .

وصارت سلسلة من المدن : البصرة ، الكوفة ، سمرقند ، رشيد ، القاهرة ، تونس ، فاس ، مراكش ، قرطبة . . مدارس مشهورة امتدت علومها الى الفرس والهنود ، وبعض بلاد التتار ، بل والصين ، وحتى بلاد الملايو ، وكانت الوسائل لجعل آسيا وافريقية تبلغ حضارة جديدة » .

الشعر ابن الحرية

● وكان الشعر تراث العرب القديم ، وهو ابن الحرية ، وليس ابنا لرعاية الخلفاء . وقد ازدهر قبل النبي محمد ﷺ بفترة طويلة ، لان روح الامة كانت روحا شعرية ، ولأن الامور ايقظت هذه الروح فبلادهم وطريقهم في الحياة وحجهم الى مكة ، والمسابقات الشعرية في عكاظ ، وماكان يلقاه الشعراء الناشئة من تمجيد قبائلهم ، وافتخار هذه الامة بلغتها وأساطيرها ، وولوعها بالمغامرات ، والحب والمجد ، بل ووحدتها . ونزعتها الى الانتقام وحياتها الشاردة ، كل هذا شجعها على الشعر ، وعبقريتها الشعرية تميزت بصورة رائعة وعواطف سامية تياهة ، وآداب نفاذة ، ومبالغة في المدح والهجاء للاشياء التي تتغنى بها . وطرائقها في الشعور تشبه صخورا منفصلة نحو السماء . ان العربي الصامت يتكلم بشعلة الكلمة ، كما يتكلم بلمعان السيف ، وذلك بلمحات روحية نفاذة نفوذ طلعات سهامه وقوسه . وجواد النبيل هو الشعر ، ولربما بدا ضئيل المظهر لكنه ذكي ، مخلص ، لايكل . وعلى عكس ذلك نجد الشعر الفارسي مع أنه مأخوذ ، مثل الفارسية ، من العربية ، فانه على غرار بلاده وطباع امته : مأخوذ بالشكل الاكثر شهوانية ، وهو أكثر رقة وبهجة ، وصار ابنا للفردوس الأرضي . . ولايمكن لشعب من الشعوب أن يزهى بأن لديه من مشجعي الشعر المتحمسين مثلما كان للعرب في أيامهم الزاهرة ، لقد نشروا هذه الحماسة حتى عند امراء ونبلاء التتار في آسيا ، والنصارى في أسبانيا لقد فرض عليهم « العلم المسرور ، الذي تغني به شعراء « ليموج » أو انبيروفانص ، وقد فرضه عليهم أشعار اعدائهم ، أعني العرب المجاورين وهكذا تدريجيا ، ولكن على نحو خشن جدا وبيئة ، استردت أوربا أذنا حساسة للشعر الحي المهذب الرقيق » .

الاقصوصة الخيالية

ويرى هردر أن العنصر المتميز في الشعر الشرقي ـ وليس العربي بخاصة ـ هو الاقصوصة الخيالية . اذ أن الاسطورة القديمة غير المكتوبة مع الزمان اقصوصة خيالية . واذا كان خيال الشعب الذي يرويها مولعا بالمبالغة وباللامفهوم وبما هو سام ورائع ، فانه حتى الامور العادية

تصبح امورا عجيبة ، والمجهول يصير امرا خارقا للعادة يستهوى الشرقي المتبطل في خيمته او في نادي قومه .
وولع الفرس بما هو فخم رائع وهب - مع مرور الزمان - اساطيرهم العتيقة شكلا بطوليا رومانتيكيا خاصا بهم ، تجنحه مخلوقات خيالية مستمدة في الغالب من حيوانات الجبال المجاورة . وعلى هذا النحو ظهرت بلاد الجنيات ، وممالك البيرى والنيرى Peri Und Neri التي لم يعرف لها العرب اسما ، والتي شاع ذكرها كثيرا في قصص العصور الوسطى الاوربية . « والعرب هم الذين جمعوا هذه القصص الخيالية في وقت متأخر جدا ، لان مسرح الاحداث هو بخاصة أيام حكم الخليفة هارون الرشيد بأبهة ونخفخة . « وهذا الشكل قد صار لأوربا نموذجا جديدا لدن ستر الحقيقة الرقيقة وراء الثياب الخيالية لاحداث غير معقولة » ، وفن التعبير عن أرق تعاليم الحكمة بلهجة لتسلية البسيطة » .

وهكذا يمجد هردر قصص « ألف ليلة وليلة » التي كان انطوان جارن (١٦٤٦ - ١٧١٥) قد ترجمها الى الفرنسية ترجمة وإن لم تكن حرفية تماما ، فقد كانت من الاناقة بحيث ضمنت لها أوسع انتشار في أوربا ، وصارت مستند فخار الأدب العربي عند الاوروبيين ، وهي لا شك اعظم أثر عربي مكن للادب العربي من النفوذ الواسع والتأثير الخصب في أوروبا .

● وأما الفلسفة الاسلامية فيرى هردر انها « انما تكونت حقا حول القرآن ، ولم تتخذ شكلا علميا الا بفضل مؤلفات ارسطو المترجمة الى العربية . ثم يأتي برأي طريف فيما يتصل بعلم الكلام والفلسفة الاسلامية وهو أنه « وجد عند العرب مذاهب وفرقا مارست في مجادلاتها نقدا دقيقا للعقل المحض ، بل ولم تدع لفلاسفة العصور الوسطى الاوروبيين غير مهمة التدقيق في الأفكار والمعاني التي تركوها ، التدقيق فيها وفقا للعقائد المسيحية الاوروبية وكان التلاميذ الاوائل لهذه المتافيزيقا اللاهوتيه هم اليهود . وبعد ذلك انتقلت الى الجامعات المسيحية التي أنشئت حديثا ، وفيها ظهر ارسطو وفقا للنظرة العربية ، لا للنظرة اليونانية وقد أسهمت بدور هائل في تدقيق الفكر والجدل واللغة الاسكلائية وشحذها . واذن فان محمدا الامي قد شارك اعلم المفكرين ليوسان و أرسطو في اعطاء كل ميتافيزيقا العصور الحديثة اتجاهها [illegible] كثيرا من الفلاسفة العرب كانوا في الوقت [illegible] فان لدى المسيحية في العصور الوسطى كان التصوف [illegible] دائما جنبا الى جنب مع « الاسكولاستيك » ، لان حدودهما مشتركة » .

ثورة في تاريخ الفلسفة

وقول هردر هنا عن قيام الفلاسفة المسلمين ، من متكلمين وفلاسفة خلص ، بنقد العقل المحض يعد ذا اهمية خاصة اذا لا حظنا ان هردر كتب هذا الكلام في نفس الوقت الذى كان فيه امانويل كنت Kant أعظم فلاسفة العصر الحديث - قد أصدر كتابيه : « نقد العقل المحض » (سنة ١٨٨١) » ونقد العقل العلمي » (سنة ١٨٨٨) اللذين احدثا في تاريخ الفلسفة ثورة هائلة . ومن هنا يمكن ان نعد هردر اول من اشاد بأصالة الفلسفة الاسلامية وبجد دورها في شحذ التفكير الفلسفي في أوروبا في العصر الوسيط وما تلاه . وكذلك قوله أن النبي محمدا - وهو النبي الامي - قد شارك أرسطو في شرف توجيه الميتافيزيقا في أوربا في العصر الحديث - هو قول جدير بالتأمل والفخار ، ولم نجد لغير هردر من بين سائر المفكرين والمؤرخين الاوربيين تمجيدا للنبي محمد في ميدان الفكر الفلسفي من نوع هذا التمجيد .

● ثم أشاد هردر بعناية العرب بالنحو بوصفه مجدا للعنصر العربي ، وجعلوا من مهارة لغتهم وجمالها مصدرا لفخارهم . فعددوا كلماتها وصيغها ، الى حد أن أحد علماء اللغة حمل القواميس على ستين جملا [1] وهو يشير هنا الى ماروى في سيرة ابى على القالي .

ثم يؤكد ان اليهود كانوا في النحو التلاميذ الاوائل للعرب . « فسعوا الى وضع نحو للغتهم العتيقة ، بطريقة مصطنعة ، على غرار النحو العربي ، وبقى هذا النحو مستعملا عند المسيحيين حتى أحدث الأزمنة ، وفي أيامنا هذه اتخذت اللغة العربية نموذجا حيا يمكن من فهم الشعر العبرى بطريقة طبيعية ، ومن اعتبار ما هو مجاز مجازا ، والقضاء على الآلاف من أرشان النظام الفاسد للتفسير العبرى »

ولتقدير رأي هردر هنا ينبغي أن نلاحظ ان هردر - وهو عالم باللاهوت في المقام الأول - كان متبحرا في اللغة العبرية بوصفها لغة العهد القديم من الكتاب المقدس . وهو هاهنا يؤكد هذه الحقيقة المقدرة عند علماء اللغات السامية الا وهي أن اليهود لم يتصموا نحوا للغتهم الا بفضل النحو العربي وعلى نموذج النحو العربي . يقول جزينيوس Gesenius أكبر عالم بنحو اللغة العبرية (١٧٨٦ -

---

(١) ينسب هذا الى الصاحب بن عباد

١٨٤٢) وصاحب اوسع وأدق « نحو عبري » : (سنة ١٨١٣) « ومعجم للغتين العبرية والكلدانية » (سنة ١٨١٠ - ١٨١٢) : « لم يبدأ اليهود في وضع كتب في نحو اللغةالعبرية الا عند مستهل القرن العاشر الميلادي ، وهم في ذلك قد اقتدوا بالعرب » (جزنيوس : « النحو العبري » ص ١٩ ، ترجمة انجليزية ، اكسفورد سنة ١٩١٠) . وأوائل الكتب في نحو اللغة العبرية قد كتب باللغة العربية ، ونذكر منها : كتاب نحو اللغة العبرية لربي يهودا حيوج (ويسمى ايضا ، أبو زكريا يحيى ، وتوفي حوالى سنة ١٠٠٠ م) وأبو الوليد مروان بن جناح (توفي حوالى سنة ١٠٣٠م) .

والى جانب فضل العرب في ايجاد نحو اللغة العبرية ، اشاد هردر بفضل اللغة العربية في فهم الشعر العبري والنصوص العبرية المقدسة فهما صحيحا يطرح التفسير المفتعل الزائف الذي كان أحبار اليهود يقومون به حتى القرن الثامن عشر ، هم ومن تبعهم من مفسري أسفار العهد القديم من بين اللاهوتيين المسيحيين .

المؤرخون العرب

● اما في كتابة التاريخ فان هردر ينعى على المؤرخين العرب أنهم لم يفلحوا ابدا مثلما افلح المؤرخون اليونان والرومان « لانه كانت تعوزهم الدول الحرة ، وتبعا لذلك أعوزهم ممارسة التحليل الموضوعي للوقائع والحوادث العامة .

ان المؤرخين العرب لم يستطيعوا ان يكتبوا الا اخبارا قصيرة جافة ، أو اسرفوا في المدح الشعري لابطالهم حين كتبوا سيرهم او اسرفوا في ذم غير عادل لاعدائهم . ان الاسلوب التاريخي المعتدل لم يتكون ابدا عندهم ، وتواريخهم هي من الشعر ، أو محشوة بالشعر . وفي مقابل ذلك فان كتبهم في الأخبار والاوصاف الجغرافية للبلاد التي استطاعوا أن يعرفوها والتي لا نعرفها نحن حتى الآن ، مثل افريقيا الوسطى ، لا تزال مفيدة حتى الآن » .

وهردر محق في هذا التقدير لكتب التاريخ العربية ، ويكفي المرء ان يقارن تاريخ الطبري أو تاريخ ابن الأثير « بتاريخ الحروب البلوبونيزية » لثيوكيديدس أو « تواريخ » تاسيتوس - ليدرك الفارق الهائل بين الطريقتين في كتابة التاريخ .

● ويختتم هردر هذين الفصلين بابراز افضال العرب العظيمة على الرياضيات والكيمياء والطب ، وهي علوم « أغنوها بامدادات اصيلة شخصية ، وفيها صاروا اساتذة اوربا » . ويذكر شواهد لذلك : قياس درجة قوس الارض في عهد الخليفة المأمون ، وما وضعه الفلكيون العرب من زيجات وجداول فلكية وخرائط للسماء ، وما اخترعوه من الات او حسنوه من أجل الرصد . كذلك يذكر كيف طبق العرب الفلك على الجغرافية ، وكيف رسموا خرائط للارض ، وجمعوا احصاءات عن كثير من البلاد « قبل أن يفكر احد في اوروبا في ذلك . وبفضل الفلك حددوا الزمان ، واستخدموا معرفة مسار النجوم من أجل الملاحة ، وكثير « من مصطلحات هذا العلم عربية ، واسم هذا الشعب (العربي) منقوش بين النجوم بحروف اقدر على البقاء مما هو ممكن على سطح الارض وكتبهم في الرياضيات وخصوصا في الفلك لا تعد ولا تحصى ، وأغلبها لا يزال مجهولا أو لم يستفد منه ، وكمية هائلة منها قد دمرتها الحروب أو الحرائق او الاهمال والتوحش . وقد نفذت في بلاد التتار والمغول ، بل وفي الصين المغلقة انبل علوم الروح الانسانية بفضل العرب .

وفي سمرقند وضعت زيجات وحددت ازمنة لا تزال تفيدنا حتى الوقت الحاضر . وعلامات فن الحساب عندنا ، اعني الارقام ، نحن قد تلقيناها من العرب ، والجبر والكيمياء استمدا اسميهما من العربية . وهم آباء ذلك العلم الذي أعطى للجنس البشري مفتاحا جديدا لفتح أسرار الطبيعة ، ليس فقط في الطب بل وأيضا في كل أجزاء الفيزياء ، وذلك لعدة قرون . ولما كانت عنايتهم بعلم النبات أقل - ولمصلحته - ولم يكن ينبغي لهم أن يمارسوا التشريح بحسب شريعتهم فانهم تفننوا بقوة في تركيب الأدوية بوسائل الكيمياء ، وفي تشخيص الامراض والامزجة بواسطة الملاحظة شبه الخرافية لاعراضها وسماتها » .

● وفي بعض الفنون ، مثل المعمار ، « فان كثيرا من عناصر ما نسميه الذوق القوطي هي في الحقيقة ذوق عربي كونه العرب بطريقتهم الخاصة ، على غرار المباني التي وجدها هؤلاء الغزاة الجفاة في المناطق اليونانية التي فتحوها ، ونقلوا هذا الذوق العربي الى أسبانيا ومن هناك انتشر الى بلاد ابعد » .

تلك هي آراء هردر في العرب والاسلام والحضارة العربية والاسلامية ، وهي تكشف عن تقديره العظيم لها ، مما يبيض وجه المفكر العربي والاسلامي عند الاوربيين ، وكان له تأثير كبير في كبار الشعراء والمفكرين الاوربيين ، وعلى رأسهم جيته الذي كان شديد الاعجاب بهردر منذ أن التقى به ، حتى أنه كتب اليه يقول : « كياني قد اهتز كله .. هردر اهردر! كن لي دائما كما انت الان . ولئن قدر لي أن أكون كوكبا يدور حولك ، فأنا اريد بكل قواي ان اكونه ، وأن أكونه في سرور وباخلاص .. وداعا ايها الرجل العزيز لدي ، الأثير عندي! لن أغادرك عوض ، لا ، لن أغادرك »

□□

بقلم : منير نصيف

☐ انها لن تدعه يمر مثل أي يوم آخر . . هكذا كانت تحدث نفسها وهي تضع جسمها النحيل في الفستان الجديد الذي اشتراه له زوجها بالأمس ، بمناسبة بدء السنة الجديدة !

اليوم عندما ينتصف الليل سيودع العالم عاما ويستقبل عاما جديدا . . ولكن الوقت مازال مبكرا . . طفلتها الصغيرة لم تذهب الى المدرسة هذا الصباح . . انها في عطلة اليوم . . وهي تستعد من الآن لاستقبال العام الجديد ، وما سيحمله لها معه من هدايا . . هي ايضا كانت مشغولة في غرفتها بارتداء ملابسها الجديدة . . لقد كبرت . . انها ستكمل عامها السابع بعد بضعة شهور . . « أنا الآن سيدة صغيرة يا أمي . . أليس كذلك ؟»
ووقفت الأم ترقب طفلتها وهي تجلس أمام مرآتها الصغيرة تصفف شعرها وتتأمل وجهها الجميل البريء ، ثم تقف فجأة وتتجه الى أمها وتلقى بنفسها بين ذراعيها وتضمها الأم الى صدرها !
انها لحظات سعيدة لا يحس بها الا من كانت أما مثلها . . لقد شعرت وهي تلف ذراعيها حول صغيرتها انها تملك العالم كله . . والتقت الشفاه في قبلة تحمل كل معاني هذا الحب الكبير الذي يمتلىء به قلب الأم !

ولكنها في غمرة سعادتها ، لم تستطع ان تحبس الدمعة الحائرة التي بقيت تخفيها منذ طلوع شمس هذا اليوم . . ثمة شيء كان يدفعها الى ترك فراشها في الفجر ، وقامت في هدوء حتى لا توقظ زوجها ، وذهبت الى حيث تنام طفلتها في فراشها الصغير ، ومالت برأسها لكي تتمكن من ان تلتقي بجبينها وتلمسه بشفتيها ، ثم ما لبثت الأم ان عادت الى فراشها مرة اخرى ، ولكن لا لتغمض عينيها وتنام ، فقد كانت قد بدأت رحلة طويلة مع الذكريات . . ذكرياتها هي مع

طفولتها .. لقد وجدت نفسها فجأة تعيش الماضي ، وترى نفسها مع امها هي في مثل هذا ليوم من كل عام .. هي ايضا كانت طفلة كانت تستعد لهذا اليوم مع شقيقاتها قبل موعده سابيع وشهور عديدة ..
أسرع ما يمر الزمن .. ولكن أي زمن .. ؟

بالامس كان الاطفال - مثل طفلتها - يرونها ، الهدايا الصغيرة التي يحملها اليهم الآباء الاقارب والاصدقاء .. ولكنهم كانوا يرونها ضا في الابتسامات والضحكات السعيدة التي ستقبل بها الناس السنة الجديدة .. رغم لحروب التي لم تهدأ ، والتي عاشت أحلى سني مرها تحت سمائها التي امتلأت بسحب لدخان ، لقد عاشت ويلات هذه الحرب لقريبة والبعيدة ، وكانت تقرأ عنها عندما بدأت ى حقائق الحياة ، بعد ان عاشتها وهي طفلة بو وكانت تعود دائما الى والدها وتسأل لاتستريح الا بعد ان يجيبها على كل ما كانت ريد أن تعرفه ..

ما اليوم فقد اختفت الابتسامات .. عندما صبح القتال فى كل بيت بين ابناء الشعب لواحد .

حقيقة لم تطل فترة هذا الهدوء الذي عاشه العالم بعد الحرب الثانية ، فقد قامت حروب اخرى صغيرة وكبيرة ، ولكنها كانت عيدة عنها .. لم تكن تعرف منها اكثر مما كانت سمعه من ابيها او تقرأ عنه في الصحف عندما كبرت وتعلمت ، اما اليوم فقد اختفت لابتسامات .. لم تعد الشفاه تعرف الضحك !

***

وحاولت ان تخرج من هذه الرحلة الطويلة التي نقلتها الى طفولتها ، فقامت من سريرها ، واتجهت مرة اخرى الى حيث تنام طفلتها ، فوجدتها قد تركت فراشها ايضا وبدأت تستعد لاستقبال اليوم الجديد بما سيحمله لها ..

وشغلت الأم نفسها باعداد طعام الافطار .. ولكنها لم تستطع ان تطرد هذا الخاطر الذي كان يلح عليها منذ ان فتحت عينيها في الصباح .. ماالذي يمكن ان تقدمه لطفلتها في هذا اليوم الذي ظلت تنتظره منذ ان تعطلت الدراسة في المدارس بمناسبة قدوم العام الجديد .. الهدايا التي اشتراها لها والدها ؟ الفستان الجديد الذي ستلبسه في السنة الجديدة ؟ كل هذه الاشياء الصغيرة قد تسعد قلبها الصغير ، وسوف تدفعها الى مشاركة طفلتها سعادتها للحظات عندما ترى السعادة في عينيها الجميلتين .

ولكنها لن تلبث ان تعود الى هذا الاحساس بالألم الذي يعتصر قلبها ، وهي ترى وتسمع كل يوم عن مئات الاطفال الأبرياء الذين سالت دماؤهم في تراب الأرض التي لم تعرف السلام يوما والتي تحولت الى لغم ينفجر في وجه كل من يمشي عليها او يقترب منها . في هذه الحرب التي دارت وتدور بين ابناء الوطن الواحد والبلد الواحد .. لقد اصابهم مس من جنون !

وحاولت ان تنفض عن رأسها وتنزع من قلبها هذه الصورة المخيفة المؤلمة .. ولكنها فشلت .. فقد ارادت ان تقدم لطفلتها شيئا في هذا اليوم مع فستانها الجديد الذي كانت ترفل فيه سعيدة به ، ولكنها لم تستطع . ! لقد غلبتها الدموع ، عندما أحست بذراعيها الصغيرتين تلتفان حولها ، وانسابت من عينيها دمعة لم تنجح في اخفائها عنها . !

ولكنها لن تستسلم .. هكذا قالت .. لابد ان يبقى الأمل حيا .. فالحياة بلا امل هي الموت بعينه .. قالت وهي تمد اليها يدها : « والآن يا حبيبتي .. سوف نبدأ رحلتنا معا في هذا الجو الجميل .. ما رأيك .. من أين نبدأ ؟»

ـ كما تشائين يا امي
ونزلا الى الشارع . . ان الرغبة في الحياة
متمرارها اقوى من الاستسلام لليأس . .
ـ ان تبحث عن افق جديد نحلق فيه ـ طفلتي
صغيرة وانا ـ حتى يجيء المساء . .
وذهبا الى سوق المدينة . . ودخلا محلا يبيع
لابس الاطفال ولعبهم . . وراحت الام
تري ملابس جميلة للأطفال من احجام
لفة . . ولعبا كثيرة ، امتلأت بها ثلاثة
ناديق كبيرة . كانت الأم وحدها تعرف ماذا
فاعلة . . اما الطفلة فقد كانت تقف في

دهشة ، وتسأل نفسها عمن يكون اصحاب هذه الهدايا ، كلما وقع اختيار الأم على لعبة او فستان او بدلة جديدة . . وكانت تجد نفسها تمد يدها الصغيرة احيانا لتساعد امها في انتقاء مشترياتها . . حتى اذا ما احست ان الأم قد اكتفت بما جمعت من ثياب وهدايا ، قالت : « ألا ترين يا أمي انني لست في حاجة الى كل هذه الملابس ثم ان بعضها لا يناسبني !»

ـ اعلم يا عزيزتي . . انها لاخوتك وليست لك !

وسكتت الطفلة . . فقد كان كل همها في تلك اللحظة ان تعرف من هم اخوتها الذين تشتري لهم امها كل هذه الهدايا . . وكيف فاتها ان تعرفهم قبل اليوم !

وجاء من يحمل الصناديق . . ومشت الأم وطفلتها امامه وعبرا الطريق . . ودخلا بيتا . . وهناك عرفت الطفلة الاجابة على السؤال الذي كان يحيرها . . لقد التقت لأول مرة وجها لوجه باخوتها الصغار الذين حدثتها عنهم امها . . الأطفال اليتامى في الملجأ الذي افتتحه اهل الخير لايوائهم بعد ان دفنت الحرب المجنونة آباءهم تحت الانقاض . .

* * *

ولكن الرحلة لم تنته بعد . . قالت الطفلة تحدث امها : « لماذا لا نذهب الى اي مكان خارج المدينة يا أمي . . ما رأيك في المزارع الواقعة عند سفح التل . . هل تذكرينها ؟ ان الوقت مازال مبكرا ، ونستطيع ان ندعو « اخوتي الصغار » ونمضي بضع ساعات وسط البساتين في هذا الجو الجميل !

وراقت الفكرة للأم ، فنقلتها فورا الى مديرة الملجأ ، وتحركت سيارة تقل الاسرة الكبيرة ، الام واطفالها الى البساتين عند سفح التل . .

وانطلق الصغار يجرون ويلعبون . . وامتلأ المكان الهادىء بصدى ضحكاتهم البريئة السعيدة

هم يتنقلون بين اشجار الفاكهة .. لقد بدت الاشجار وكأنها تحنو عليهم عندما جلسوا تحتها يأكلون ثمارها التي تساقطت من أغصانها ، كما و كانت تقدمها لهم « هدية » منها بمناسبة العام الجديد !

* * *

وفجأة تذكرت الأم شيئا .. قالت لطفلتها : « لقد نسينا « العمة العجوز » التي تعيش في بيتها مع الوحدة التي لم يستطع احد ان يخرجها منها .. لقد كانت اخر مرة زرناها فيها منذ ثلاثة اسابيع بعد ان انتقلنا الى بيتنا الجديد .. ما رأيك ؟ »

وهزت الطفلة رأسها مؤيدة .. وذهبا .. وطرقا الباب وفتحته لهما .. وما كادت تلقاهما حتى اجهشت بالبكاء .. ومدت السيدة العجوز ذراعيها الضعيفتين تحتضن بهما الأم وطفلتها ، وقالت في صوت رقيق حزين :

« لقد طالت غيبتكما عني يا اعزائي الصغار ! »

وقدما اليها الهدية الصغيرة بعد ان دعتهما الى الدخول وذهبت لتعد لهما قدحين من الشاي .. وعلى المائدة الصغيرة امام المقعد الذي تجلس عليه دائما ، كانت صورهم هناك .. صور الأبناء الثلاثة الذين فقدتهم الأم في القتال الدموي الذي لاتعرف حتى هذه اللحظة مع من كان يدور ؟ وضد من كانوا يقاتلون !

مسكينة العمة العجوز ؟ .. انها تبكي ابناءها ليل نهار وهي تسأل : « أليس بينكم من يستطيع ان يقول لي مع اي جيش كان ابنائي يقاتلون ومن الذي قتلهم ؟! »

ودمعت عينا الأم وهي تلثم « يدي العمة » بشفتيها وتتمنى لها حياة هادئة في وحدتها مع ذكرياتها التي لن تموت ابدا !

وفي موعد العشاء .. وعلى المائدة الصغيرة ، جلست الأسرة ـ الأب والأم والطفلة ـ يتناولون الطعام في المطعم الذي احبوه دائما .. ثم بدأت رحلة العودة الى البيت .. وذهبت الصغيرة الى فراشها لتنام : « لقد كان يوما جيلا يا أمي .. وانت يا أبي لا تنسَ ان تضع لي هديتي بجوار فراشي .. اريد ان التقي بها عندما افتح عيني في الصباح ! »

وفي بيت صديق الأسرة وزوجته .. نفس البيت الذي امضيا فيه رأس السنة التي توشك ان تنقضي بعد ساعات .. ذهب الزوجان للاحتفال مع بقية اصدقائهم بانقضاء عام وبداية عام جديد .. لقد كان العام الذي اوشك على الانتهاء مليئا بالأحداث التي ادمت القلوب في كل مكان .. وكان احتفالهم صلاة صامتة من اجل مجيء سنة جديدة تحمل الخير للبشر في كل مكان ..

* * *

وفي ركن من القاعة الصغيرة التي امتلأت بالناس جلست الأم وحدها تفكر .. لقد احتواها في تلك اللحظة شعور غريب بالخوف والارتياح في الوقت نفسه .. الخوف من المستقبل المجهول الذي يزداد ظلاما يوما من بعد يوم .. ترى كيف سيكون الغد ؟ ماذا سيحمل المستقبل لاطفال هذا الجيل والاجيال القادمة ؟ وما هو شكل الحياة التي تنتظرهم ؟

وسرحت ببصرها طويلا في وجوه الناس امامها .. انها تعرفهم جميعا .. وأحست انها ليست وحدها .. واحتواها شعور بالارتياح بعض الشيء ، فقد كانت سعيدة برحلتها في النهار مع المبلغ الصغير الذي ادخرته لهذا اليوم واستطاعت بفضله ان تحول بعض الدموع الى ابتسامات على الشفاه .. وتاهت مع هذه الرحلة لتصحو فجأة على دقات الساعة معلنة الثانية عشرة عند منتصف الليل .. وتعانق عقربا الساعة .. وأحست بأصابع يد زوجها تلمس يدها النحيلة وصوته يتمنى لها سنة سعيدة وشفتاه تلثمان رأسها المتعب .. وعادت الى احلامها وآمالها من اجل غد بلا ألم وبلا دموع .

حل مسابقة العدد ٢٩٩

١ ـ الوثيقة العمرية حملت تواقيع أربعة شهود وهم :
خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن أبي سفيان . وذلك بالاضافة الى توقيع عمر بن الخطاب .
٢ ـ الأشعة السينية (أو أشعة اكس) هي الأشعة التي تفحص بواسطتها حقائب المسافرين في المطارات وذلك بقصد الكشف عما قد تحتويه من أسلحة وما الى ذلك .
٣ ـ أرخميدس هو الذى قضى على الأسطول الرومانى بواسطة أشعة الشمس .
٤ ـ مركاتور هو أول من أطلق اسم أطلس على مجموعة الخرائط الجغرافية وهو هولندى واسمه الأصلى هو جيرهارد كريمر وقد امتدت حياته أكثر من ٨٠ سنة (١٥١٢ ـ ١٥٩٤) .
٥ ـ الكتاب الذى يروى لنا تفاصيل رحلات ابن بطوطة هو « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . . » ومما يذكر أن اسم ابن بطوطة هو شرف الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجى .
٦ ـ جائزة أوسكار لا تعود على الفائزين بها بمكافآت مالية مباشرة . . .
٧ ـ كلتا العبارتين تفيد معنى « لمع البرق . . . » ذلك أن كلا اللفظين (خفا) و (خفي) يعني في اللغة لمع وظهر . . . وفي الحديث « أنه كان يخفي صوته بآمين » أى يظهر صوته .
أما معنى التوارى والاستتار فتفيده الألفاظ التالية (خفى ـ خفوة) و خفي ـ خفاء وخفية وخِفية فهو خاف وهي خافية والجمع خفايا . . وكذلك اختفى وتخفى واستخفى . .
٨ ـ المخترعان الألمانيان اللذان اخترعا السيارة هما : جوتليب ديملر **Daimler** وكارل بنز **Benz** ويذكر هنا أن الاسم الكامل لشركة سيارات مرسيدس هو مرسيدس ـ بنز .
٩ ـ كوستو ـ عالم الأحياء المائية الفرنسي الشهير ـ هو مخترع الرئة المائية .
١٠ ـ صح . . دانلوب هو الذى اخترع اطارات المطاط المنفوخة بالهواء .
١١ ـ مدينة بيت المقدس هى التى عرفت باسم ايلياء أيام السلف الصالح
١٢ ـ بريل مخترع طريقة بريل لقراءة المكفوفين ، فقد احدى عينيه في حادث ثم ما لبث أن فقد الثانية . .

الفائزون بجوائز مسابقة العدد ٢٩٩

الجوائز الثلاث الأولى

١ ـ محمد مروان ضيف الله مراد ـ ثانوية الرابية للبنين ـ الكويت .
٢ ـ غازى جميل الكحلوني ـ كلية الحقوق ـ جامعة دمشق ـ سوريا .
٣ ـ زاهد طاهر سعيد ـ الحى الجمهورى ـ قضاء المحاويل ـ بابل ـ العراق .

الجوائز الثماني التشجيعية

١ ـ لحلاح نور الدين ـ ص . ب ٢٣٩ ـ عنابة ـ الجزائر .
٢ ـ راغب مصطفى السمرى ـ ٢٠ شارع السمرى ـ أجا ـ دقهلية ـ ج.م.ع
٣ ـ الشرقي محمد ـ نيابة وزارة التربية ـ الرشيدية ـ المملكة المغربية .
٤ ـ أحمد محمد السوادحة ـ كلية الاقتصاد والعلوم الادارية ـ الجامعة الاردنية ـ عمان
٥ ـ سالم محمد عبدالله مسعود ـ ص . ب ١٠٠٣٢ ـ صنعاء ـ اليمن
٦ ـ هبة رشدى عبد الغنى المصرى ـ الدوحة ـ قطر
٧ ـ مروان سعيد معروف ـ ص . ب ٢١٢٠ ـ الدمام ـ المملكة العربية السعودية
٨ ـ منى محمد مروان ـ الكويت

1

١ سمـك السنجـاب الأحمـر يستوطن الشعاب المرجانية .

٢ سمك السبيتي أو السمك ذو شفـاة المطاط . يقطن الصخور المرجانية .

3

٣ حديقة مرجانيـة جميلة في قاع الخليج . اذ ان الشعاب المرجانية تضفي عـلى الخليـج الجمـال والحيـاة ، وتسـاهم في تـزويـده بالمخلوقات الحية المختلفة .

2
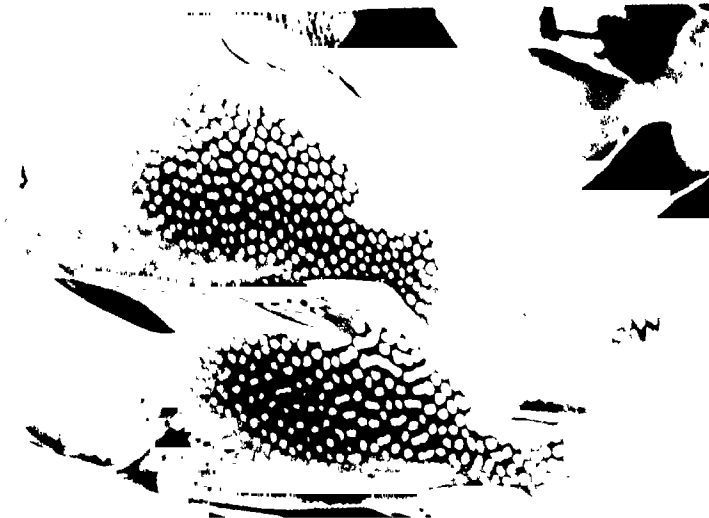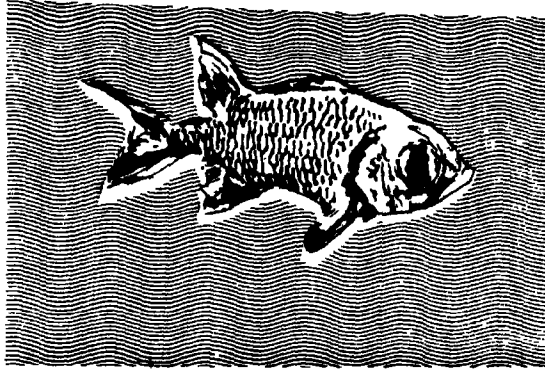
□ علماء ومصورون يغوصون الى أعماق مياه الخليج ويكشفون ما خفي من أحيائه وكنوزه

لا ريب أن الخليج اقليم فريد بين اقاليم البحار في العالم . فهو ضحل يصل في أغلبه الى عمق حوالي ٤٠ مترا كما أن أعمق مياهه لا تزيد على ١٠٠ متر عمقا ، الا عند مضيق هرمز ، أو جنوبا في خليج عمان ، حيث يصل العمق الى اكثر من ذلك بكثير .

وبسبب الصحارى الجافة والحارة التي تحيط به فان نسبة تبخر الماء فيه نسبة عالية . ويشكل مضيق هرمز همزة الوصل بين الخليج وبين المحيط الهندي . ويشكل كل من شط العرب ونهر كارون المصدر الرئيسي للمياه العذبة التي تصب في الخليج . الا ان هناك انهارا صغيرة وينابيع تقذف بالماء العذب في مياه الخليج ، ويوجد اهمها على الساحل الايراني . أضف الى ذلك الينابيع البحرية على ساحل المملكة العربية السعودية ، بالقرب من القطيف وتاروت والدمام ، وكذلك ينابيع البحرين البحرية وجداول الماء العذب العمانية التي تأتي من الينابيع القريبة من الساحل « الفلج » . فهذه كلها تضاف الى ماء الخليج ، ولو ان تأثيرها في تخفيف ملوحته لا يستحق الذكر .

والخليج يتكون من بيئات بحرية مختلفة . . . ويحوي بالتالي صنوفا كثيرة ومختلفة من الأسماك والمرجان والربيان ، وسائر المخلوقات المختلفة . . . ولا يخفى ان كل بيئة من بيئات الخليج تنفرد بأنواع أسماكها وحيواناتها . الا ان البيئة المرجانية تتميز على ما سواها . . . فهي تكاد تجتذب جميع انواع الاسماك اليها . . . كالاسماك الموسمية المهاجرة والاسماك القاعية والأسماك التي تعوم على سطح الماء . وهي موطن اسماك الشعاب المرجانية بالذات . . وهذه الاسماك هي بلا ريب اجمل اسماك العالم الوانا واشكالا واروعها تناسقا . . بخلاف اسماك مياه المسطحات الطينية . . . اذ يغلب على هذه الأسماك اللون الفضي . ولما كان هذا هو لون العوالق الطينية ، كان بالتالي وسيلة تلك الاسماك للاختفاء والحفاظ على حياتها .

على أن الأسماك ليست الثروة الوحيدة التي تزخر بها اعماق الخليج . . . فقد اثبتت

الأبحـاث الأخيـرة[1] أن الخليـج غني بمـواد كيماوية مختلفة ذات قيمة عـلاجية كبيـرة . . . وتسـاعـد عـلى الشفـاء من بعض الأمـراض المستعصية .

وتجدر الاشارة هنـا الى الجهود التي يبـذلها العلماء في الدول المتقدمة بحثا عن المواد الطبية في البحـار ، وذلـك لعـلاج السـرطـان والأورام وعلاج الجروح فضلا عن فصل مركبات عضوية دوائية وعضوية كيماوية وذلك بقصد الافادة منها في الابحاث العلمية وللاستعمال اقتصاديا .

لا عجب اذن ان كان الخليج ذا اهمية كبيرة لا بـالنسبة الى سكـانه فحسب وانمـا بـالنسبـة الى غيرهم ايضا . . فهو النعمة الكبرى التي افاء الله بها على شعوبه منذ آلاف السنين . . وهو الثروة التي تستوجب منهم كل حماية وعناية . . من هنا كان العمل على تدمير هذه النعمة سواء على نحو مباشر او غير مباشر ، جناية لا تغتفر . . فهـو يعني ضياعها وفقدانها الى الأبد . . ولا يخفى ان تلويث مياه الخليج ، ببقعة زيت تندلع فيها . . او مواد كيماوية صناعية او قاذورات ونفـايات تقذف اليها . . . فهذه وتلك كفيلة بتدمير بيئة الخليج والقضاء على ثرواته . .

بيئات الخليج : خصائصها وأحياؤها

تعتمد حياة الكائنات الحيـة في الخليج عـلى تعـدد بيئاتـه واختلافهـا وتكمل كـل بيئة منهـا الأخـرى في مد الخليـج بـالأسمـاك والقـواقـع والربيان والقنافذ البحرية والسرطان البحـري وغير ذلك من المخلوقات الكثيرة التي غلب ما خفي منها على ما ظهر . وهذه البيئات هي : -

- بيئة منطقة المد والجزر : هذه المنطقة تقع بين اعـلى حـد للمـد وأدنى مستـوى للجـزر . والمخلوقـات التي تعيش فيها تكـون عـادة من

اكتشـاف علمي تردد ذكـره في بعض المجلات العلمية العالمية . . نـذكر منهـا الـلانسـت (The Lancet) وجنـرال فارماكولوجي (General Pharma-cology) ومارين بيولوجي (Marine Biology) .

أما الاكتشاف فمتصل بافرازات بعض أسماك الخليج ، بل قل المزايا الفـريدة التي تتصف بها تلك الافرازات . . . فقد ثبت أنها ذات فاعلية كبيرة وتساعد على سرعة التئام الجروح . . . وهذه خاصية هامة ، ان لم نقل خطيـرة ، وقد تعتمـد عليهـا حيـاة الكثيـرين ممن تجـري لهم عمليـات جراحيـة . . . وخاصـة الذين يعانون من مرض السكر .

على أن اهتمامنا بصاحب الاكتشـاف فاق اهتمامنا بالاكتشـاف نفسه . . فهـو عربي كويتي . . . انه الدكتـور جاسم محمد الحسن (٤١ سنة) ، الحـائز عـلى الـدكتـوراة في الكيميـاء الحيـويـة ، من جامعة (ويلز في بريطانيا) سنة (١٩٧٢) والأستاذ المساعد في الكيمياء الحيـوية في جامعة الكويت . . .

وتضاعف اهتمامنا بالـدكتـور جـاسم حين عرفنا ما بـذله من جهـود في سبيل تنظيم الرحلة العلمية التي قامت مؤخرا بمسح اعماق الخليج وتصويـر ثرواتـه ، واستغرقت حوالي سنتين ، والتي تطلبت من الذين قاموا بها - ومن بينهم الدكتور جـاسم . . . القيـام بـأعمـال الغـوص والتصـويـر تحت المـاء . . . حتى كـانت الثمـار الـطيبـة التي جـادت بهـا تلك الـرحلة ، رحلة كنـوز الخليـج ، كمـا سميت .

---

(١) العربي . . كاتب المقال هو الذي قام بهذه الابحاث .

١ مرجان الزينة الأسود ، تغطيه براعم بيضاء على قاع المحيط ، ويعلوه سمك الراس ذو الذيل الهلالي الأصفر .

٢ سمك الحمام يحوم حول احدى هياكل آبار النفط بكثافة .
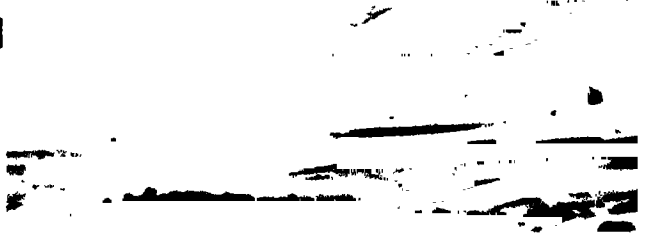
٣ احدى مناطق شجر القرم في سلطنة عمان .
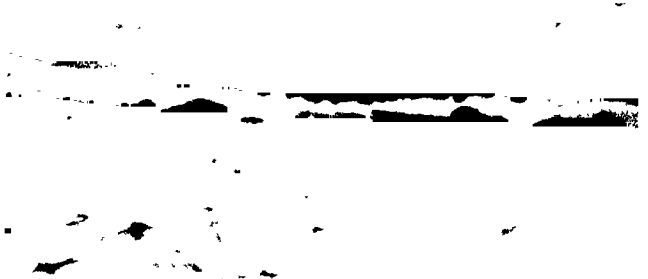
٤ سمك الصلور (ويسمى محليا الجمه) ويوجد ثلاثة أنواع منه في الخليج .
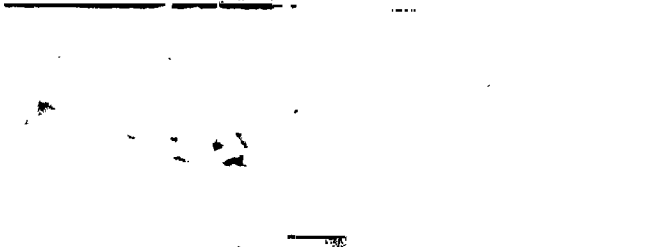
٥ جذور شجر القرم الهوائية وجذوعها تثبت التربة ، وتكسر الأمواج ، وهي مأوى للمخلوقات البحرية ، ودار تربية وغذاء ، وحضانة لكثير من الأسماك والسراطين والربيان ومحار اللؤلؤ .

٦ سمك الطبيب الجراح . أحد سكان الشعاب المرجانية في الخليج .

النوع الرحال الذي يأتي لكي يتغذى مع المد ويرحل عند اقتراب الجزر . كما ان اغلب مخلوقاتها من النوع الذي يجيد الهروب والاختفاء بسرعة كالسرطان الذي يدفن نفسه في الرمل او يختبيء تحت الصخور .

ـ بيئة المسطحات الطينية : وتوجد هذه البيئة في شمال الخليج وبسبب سعة رقعتها تعتبر مهمة جدا . فهي منطقة غذاء وتفريخ وحضانة لكثير من الاسماك الخليجية ، وكذلك الربيان والسراطين وكثير من المخلوقات الأخرى . وتوجد مناطق شاسعة من هذه البيئة ضمن منطقة المد والجزر .

ـ بيئة الشعاب المرجانية : وتوجد هذه الشعاب حول الجزر الخليجية ابتداء من جزيرة «كُبَّر» في المياه الكويتية شمالا حتى جزر السيب في خليج عمان جنوبا . كما انه توجد الكثير من الشعاب المرجانية القريبة من الساحل الغربي للخليج . وهناك كثير من الشعاب المرجانية بعيدا عن السواحل والجزر بعضها مغمور بمياه ضحلة وبعضها مغمور بمياه عميقة . وتعتبر هذه البيئة اجمل بيئات الخليج قاطبة ، كما انها مركز تجمع للأسماك ومأوى لها ومكان وغذاء لكثير من المخلوقات المختلفة . وبسبب كثرة الشعاب وتعدد رؤوسها والفجوات فيما بينها فهي ايضا مكان تزاوج وتفريخ وسكن آمن للصغار . . وهذه البيئة لها مخلوقاتها المستوطنة التي لا تستطيع العيش الا في المناطق المرجانية . حتى لو ان التلف اصاب المرجان فانها اما ان تهاجر الى اماكن مرجانية اخرى او انها تفنى وهي في مكانها .

ـ بيئة شجر القرم : وهذه بيئة غريبة على الخليج ، حيث يوجد شجر القرم عادة في المستنقعات التي لا تزول عنها المياه . اما في الخليج فيوجد شجر القرم على بعض شواطيء كل من المملكة العربية السعودية ودولة البحرين والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان

سمك الفراش الاصفر . يقطن الشعاب المرجانية ، ويتغذى على الطحالب .

وايران . وتنبت هذه الاشجار على حافة الساحل وفي منطقة المد والجزر ، حيث تقوم على ارض جافة اثناء الجزر ، كما ان مياه المد تغطي جذورها التي تمتص الهواء .وكذلك جذوعها الى ان تغمر جزءا كبيرا من الأوراق والغصون السفلى من الشجرة ، فتبدو للناظر اليها وكأنها شجرة شديدة الاخضرار ، وقد استقرت في بحر واسع من الماء ، حيث لا يظهر منها الا الاوراق والاغصان العلوية . وهذه الاشجار لها اهميتها في تغذية الحياة في الخليج ، فعلى جذورها الهوائية وجذوعها واغصانها السفلى يلتصق ويعيش كثير من يرقات الاسماك والربيان والمحار الصغار . كما ان الطير يلجأ اليها للغذاء والمأوى ، وتجد كثيرا من الأسماك الكبيرة واليافعة تأتي اليها للتزاوج وترك البيض لكي يفقس في مأمن في شجر القرم . وكان قدماء سكان الخليج يستعملون جذوع شجر القرم في بناء سفنهم . أما الآن فلم يبق من هذه الاشجار الا القليل .

- بيئة الخيران الخليجية وخليج سلوى : وهذه بيئة فريدة من نوعها في العالم . فبسبب ضيق مساحة مائها ، وضحالتها ونظرا لاحاطة الصحارى الجافة او الحارة بها ، فان مياهها تحتوي على اكبر تركيز للأملاح يوجد في أي بحر من بحار العالم (باستثناء البحار الداخلية والبحيرات) . وبالرغم من ذلك فهي مليئة بالكائنات الحية الحيوانية منها والنباتية . وقد تطور كل مخلوق فيها بحيث يقاوم شدة الملوحة وكذلك الحرارة العالية جدا في الصيف والحرارة المنخفضة في الشتاء ، واعطاه الباري عز وجل القدرة على العيش في هذه البيئة التي يعتبرها العلماء اصعب البيئات البحرية للعيش والتكاثر . فأصبحت هذه البيئة ليست فقط بيئة ذات املاح مركزة فحسب بل بيئة فريدة ، واسماكها تغير تركيبها الفسيولوجي لكي تقاوم وتعيش في هذه الدرجة العالية من الملوحة التي تصل الى ٧٠ جزءا من المليون او تزيد بينما تصل ملوحة عامة البحار الى ٣٠ جزءا من المليون .

- بيئة الجبال الساحلية : وهذه توجد في بعض سواحل دولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وايران ، وتتصف بعمق المياه المجاورة لها وتعرضها للرياح والأمواج العاتية . وفيها الكثير من المخلوقات الحية والأسماك التي تلتصق بجدران الجبال وصخورها المغمورة بالماء . كما ان الخلجان الجبلية تعتبر مهمة جدا كملجأ للأسماك ومأوى للغذاء والراحة .

هذا عن بيئات الخليج ، فماذا عن اعماقه ؟

سمكة الصّلّور
وافرازاتها الكيماوية الطبية

استأثرت هذه السمكة باهتمامنا وبحثنا منذ ان تبين لنا اثرها وفاعليتها الكيماوية الحيوية ، وثبتت لنا امكانية الافادة منها لاغراض طبية وعلاجية مختلفة .. وذلك منذ نحو ست سنوات ... ولنا اسوة حسنة في مسلك العلماء في الدول المتقدمة وقد انصبت جهودهم في الفترة الاخيرة على ابحاث البحار ، وذلك بقصد العثور على مواد كيماوية عضوية وحيوية ذات قيمة طبية وعلاجية ، وقد تفتح آفاقا صناعية .. وليس هنا مجال الحديث عن هذه المواد .. فهي كثيرةوفوائد بعضها خطيرة .

ويمكن ايجاز ما توصلت اليه ابحاثنا بأن سمكة الصّلّور الخليجية **Gulf Catfish**

١ حيوان شقائق النعمان . توجد منه أنواع كثيرة في الخليج .

٢ مجموعة من سمك القرش بالقرب من أحد شواطىء سلطنة عمان .

٣ مرجان المروحة بلونه الأحمر الجميل . يوجد على قاع الخليج الصخري ، وبالقرب من الصخور المرجانية .

٤ سمكة اللخمة الكهربية . بامكانها اصدار شحنة كهربية قوتها ٣٢٠ فولت للدفاع عن نفسها أو لشل حركة فريستها .

٥ مرجان السوط .

٦ نجم البحر ذو التاج الشوكي . يتغذى على لحم المرجان فيحيل المرجان الجميل الى مناطق خربة .

٢

١

٤

٣

و ، ان شئت الاسم العلمي ، Arius) Thallasinius وهي التي تفرز مواد ضارة بل سامة ، كما يعرف البحارة والصيادون ، وتفرز يضا مواد نافعة . . وهي تفرزها من خلاياها لجلدية Epidermal حين تتعرض لتهديد او تصاب بالأذى . . . ولكن افرازاتها هذه التي تدافع بها عن نفسها ذات فوائد طبية لبني الانسان (وكثير من الحيوانات الاخرى) . .

أما مادتها فبروتينية . . بعضها قابل للذوبان في الماء وبعضها غير قابل . . . والمحتويات القابلة للذوبان هي التي تخثّر دم الانسان ، وذلك بصرف النظر عن فصيلة دمه . . وتبين لنا انها ذات فاعلية عالية . . وهذه قيمة طبية يقدرها حق قدرها الجراحون . . وخاصة اذا كان مرضاهم من المصابين بمرض السكر . .

وكشفت الابحاث عن ان بعض محتوى المادة بروتين متخصص في تجلط الدم . . وبعضها متخصص في انقباض الجلد والعضلات على نحو يقرب طرفي الجرح احدهما من الآخر . . ثم لايلبث هذان الطرفان ان يلتحما بواسطة مادة لاصقة تكفل التحام اطراف الجرح بطريقة كيماوية وسريعة جدا .

والغريب ان هذه المواد تتداخل فيما بينها وتنسق وظائفها وتتعاون وكأنها واعية هادفة وتتعمد الوصول الى نتيجة واحدة بالذات هي : سرعة التئام الجروح . . . وقد ثبت لنا ان الجروح التي يحتاج التئامها الى عشرة أيام يمكن التئامها في غضون ايام اربعة ، لو عولجت بتلك المادة . .

وتجري البحوث حاليا في هذه المادة لتقصّي كيفية ادائها والاعراض الجانبية التي يمكن ان تتركها . . هذا بالرغم من ان ابحاث السنوات الست الماضية لم تدل على ان لتلك المادة اية اعراض جانبية .

رحلة كنوز الخليج

ظهرت على الخليج خلال السنوات الست الماضية ظواهر غريبة تبعث على القلق بقدر ما تشير الى ان مياه الخليج تمر في منعطف خطر . . فقد بدأت في الاختفاء انواع كثيرة من الاسماك . . وتعرضت للاختلال حركة هجرة الاسماك المهاجرة . . . لاحظنا ذلك وشعرنا ان ابسط ما يجب عمله قبل فوات الأوان هو القيام بمسح ما هو موجود في اعماق الخليج وتسجيله على شكل افلام علمية وثائقية .

واتفق ان كان الدكتور ريتشارد كريدل R.S.Criddle ، وهو من هواة البيئة البحرية والغوص في الأعماق ، موجودا في جامعة الكويت ، ويعمل استاذا زائرا في قسم الكيمياء الحيوية فيها . ولما كان الدكتور كريدل ذا خبرة وكفاءة في مثل الاعمال التي كنا بصددها ، كان لوجوده في الكويت وموافقته على المساهمة في مشروعنا العلمي الوثائقي قوة دفع كبيرة للمشروع . .

ثم كانت الخطوة الثانية . . خطوة تمويل المشروع . . وتنظيمه والعمل على تنفيذه . . فعرضنا فكرة المشروع على مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي ، وبخاصة على مديرها السيد ابراهيم اليوسف ، فكانت الموافقة المقترنة بالحماس والتأييد والاستعداد للتمويل . . وقل مثل ذلك في جامعة الكويت ومكتب التربية العربي في الرياض ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي . . على ان مسئولية الانتاج واخراج الافلام العلمية

سمك الراس يقطن الشعاب المرجانية في الخليج ويتغذى على قنافذ البحر والقشريات .

وكذلك مسئولية تنظيم عملية النفقات .. انيطت بمؤسسة الانتاج البرامجي ..

وشاءت الاقدار ان تبدأ البعثة رحلتها في الوقت المناسب .. قبل تلوث مياه الخليج بالنفط بنحو سنة ونصف ... ، الامر الذي اتاح للبعثة فرصة نادرة .. فرصة مسح بيئة الخليج وهي سليمة نظيفة ، وتصوير معالمها واحيائها ، قبل ان يلحق بها تلف التلوث ... من هنا كانت حصيلة رحلة الكنوز ذات قيمة كبيرة .. قيمة علمية فنية وقيمة تاريخية ايضا .

وقد شملت رحلة كنوز الخليج مناطق شاسعة ممتدة من منطقة الاهوار شمالا في العراق الى رأس (الحِدّ) جنوبي خليج عمان . وتم الغوص في اماكن مختلفة من الجزء الغربي من الخليج ... وقام الفريق الفني بالتصوير السينمائي .. فضلا عن تصوير الشرائح الملونة ... حتى اصبح لدى مؤسسة الانتاج البرامجي كنز وفير لمادة علمية نادرة تكشف عن اعماق الخليج وتصور شتى الوان الحياة فيه .

حصيلة الرحلة ومكتشفاتها

وهكذا تمكنت البعثة من رؤية اعماق الخليج وهي تعج بشتى الوان الحياة .. فوجدت الاسماك الكثيرة الاصناف المتنوعة الاشكال واكتشفت انواع من السمك نادرة جدا ... ووجدت الاسماك المرجانية التي تفوق كل ما سواها بجمالها وروعة الوانها واشكالها فضلا عن كثرة انواعها ... ووجدت البعثة ايضا صنوفا عديدة من المرجان نفسه ... منها الشعاب المرجانية الصخرية ومنها الانواع الناعمة الملساء ذات الألوان الزاهية ...

وتبين للبعثة ايضا ان مرجان الخليج قد طور قدرته على الحياة فأخذ يعيش ويتكاثر في بيئات

١ سمك الراس ذو ذيل المكنسة يقطن الشعاب المرجانية في الخليج ويتغذى على قنافذ البحر والقشريات .

٢ سمك الملاك الامبراطور من الأسماك الجميلة التي تستوطن الشعاب المرجانية في الخليج .

٣ سمك الدويلمي أو الجد (براكودا) يعوم عادة في مجموعات كبيرة .

٤ مرجان السوط . التف حوله نجم البحر الهش ، ويوجد هذا النوع من المرجان بشكل مكثف في مناطق عديدة من الخليج .

طالما اعتبرت غير صالحة لنموه ، كالمناطق الحارة البالغة الحرارة او المناطق الباردة الممعنة في البرودة . . . او تلك التي تملأ مياهها العوالق فتحجب عنها اشعة الشمس . . ولا يخفى ان هذه الاشعة ضرورية ولا غنى عنها للطحالب الوحيدة الخلية التي تتعايش مع المرجان وتتبادل معه المنفعة . .

ومما يذكر في هذا الصدد ان مرجان الخليج تمكن من النمو على الاجزاء المغمورة من هياكل آبار النفط البحرية . . وقد فوجئنا ببعض هذه الهياكل وقد تحولت الى جزر مرجانية اصطنعها المرجان بيئة جديدة له . . فنما عليها هو كما نمت عليها الطحالب ، وبات مأوى ومصدر غذاء لمختلف الاسماك والمخلوقات . . . وهكذا اضاف المرجان الى الخليج بيئة جديدة الى جانب بيئاته . . ولونا جديدا من الوان الحياة تزيده غنى وثراء . .

ولكن البعثة وجدت ايضا ان الكثير من المرجان قد مات . . . ونخص بالذكر المرجان الذي يحيط بجزر البحرين والمرجان الذي يوجد شرقي قطر . . . لقد اصابه التلوث ففقد الحياة وتلفت بيئته فهجرتها اسماكها . . وهجرتها ايضا شتى المخلوقات التي تعيش فيها . . ولاعجب . . فقد احدث التلوث اختلالا في توازن الحياة الدقيقة في الخليج . . والحق التلف الكامل بالكثير من بيئاته التي ما لبثت ان اخذت سبيلها الى الفناء . . . بكامل بنيتها وكافة الاحياء التي تستوطنها . . ولاحظت البعثة ان المناطق المرجانية الميتة انما تقع في مجرى التيارات البحرية القوية الآتية من المناطق الصناعية في الخليج . .

اما مياه الخليج الواقعة جنوب مضيق هرمز ، حيث الاسماك وفيرة وانواعها مختلفة كثيرة . . ويساعد على هذه الكثرة عمق المياه واتصالها بالمحيط ، وبالتالي وفرة الغذاء فيها . . اضف الى ذلك ان حكومة سلطنة عمان تقوم بالاشراف على اعمال الصيد هناك وتقدم الارشادات الوافية لشتى الصيادين . . وتطبق فوق هذا وذلك قانونا دقيقا لحماية البيئة .

ومع ذلك فان الثروة السمكية في خليج عمان معرضة للمخاطر . . فسفن الصيد الضخمة التي تحصد الثروة السمكية حصدا تشكل خطرا مؤكدا على هذه الثروة . .

وتجدر الاشارة هنا الى ان البعثة اكتشفت وجود نجم البحر في تلك المنطقة . وهذا مخلوق ذو تاج شوكي يتغذى على المرجان ولا يلبث ان يتركه جثة هامدة بلا حياة . . ولم يعرف عنه سابقا انه يعيش في تلك المناطق ويعيث فيها فسادا . واعدت البعثة فيلما يوضح هذا المخلوق ويكشف عن خطره على الثروة البحرية في المياه العمانية . . وتقدمت بذلك الفيلم الى الجهات المسؤولة في عمان . . وتقدمت ايضا بتوصيات حول كيفية مكافحته . .

وأولت السلطات المعنية في السلطنة موضوع نجم البحر اهتمامها . . . وقامت بحملة تطهير للأماكن الموبوءة بهذا المخلوق . . وبذلك تسنى لها انقاذ جزء هام من ثروتها البحرية . .

ووجدت البعثة ايضا حيوانا ضخم الجسم يسمى بقر البحر . . . ويوجد هذا الحيوان فيما بين جزر البحرين والساحل القطري على وجه التحديد . وقد تعرض هذا البقر الى الانقراض مؤخرا واصبح عدده لا يزيد على ٥٠ رأسا بالرغم من انه بلغ حوالي ٧٠٠ رأس قبل حوالي

١٥ سنة . هذا بالرغم من ان السكان المحليين لا يأكلون لحم هذا الحيوان . ولكن سمن الصيد الكبيرة التي تأتي الى الخليج من شرق اسيا هي التي تصيد بقر البحر بكثرة . وذلك لتصديره الى اقطار جنوب شرق آسيا . ومما يذكر عن هذا الحيوان انه يتنفس الهواء كالحيتان ويعيش على الاعشاب البحرية .. ولعل من المؤكد ان التلوث النفطي الآخذ بالتفاقم في الخليج سيقضي على البقية الباقية من بقر البحر ..

وهكذا تمخضت رحلة كنوز الخليج عن كنز آخر من المعلومات القيمة والأفلام والشرائح الملونة التي تروي قصة بيئة الخليج بتفصيل ، والتي تكشف عن المخاطر المحدقة بهذه البيئة وتبين التلف والاضرار التي حلت بها ومازالت تحل ..

ضرورة انقاذ الخليج

نخلص من هذا كله الى التأكيد على ضرورة العمل لانقاذ ما يمكن انقاذه من الخليج ، قبل فوات الأوان ... انقاذه من التلوث الحضاري والصناعي والتلوث البترولي بخاصة .. وانقاذه ايضا من الصيد الصناعي العشوائي الذي يحصد الاسماك حصدا والذي قضى بالفعل على بيئات بكاملها وفتك بأنواع كثيرة من السمك نظرا للاختلال الذي حل باقليم الخليج ككل ..

ولا تفوتنا الاشارة ، في هذا الصدد ، الى الجهود التي يبذلها معهد الكويت للابحاث العلمية . فقد تولت ادارة استزراع الاحياء المائية في هذا المعهد دراسة تحركات اربيان واماكن تكاثره . وقامت بتربية عدة اصناف من الاسماك التي تحظى بتفضيل السكان .. وراحت تراقب عن كثب الثروة السمكية في المياه الكويتية ... فهذه جهود طيبة ولا ريب وقد تسهم آخر الامر في اعادة التوازن البيئي الى اقليم الخليج ...

ولا يفوتنا ايضا التنويه بالاهتمام الكبير الذي يلقاه الخليج من مختلف دوله ... دول مجلس التعاون على وجه التحديد .. ولو ذكرنا مدى اعتماد هذه الدول على مياه الخليج ، لا من اجل الصناعة والطاقة فحسب ، ولا من اجل الغذاء فقط ... وانما من اجل تحلية تلك المياه وشربها ايضا ... لو ذكرنا ذلك لما عجبنا لعناية تلك الدول ببيئة الخليج ومياهه وثرواته . ولما عجبنا كذلك لقيام المنظمة الاقليمية لحماية بيئة الخليج البحرية ... ففي ذلك دليل على تفهم تلك الدول ما حل ببيئة الخليج من تلف ودمار ... وفيه دليل آخر على عزم دول الخليج على بذل الجهود الجادة في سبيل الحفاظ على الخليج حيا جيلا ومعطاء .

الا ان مهمة انقاذ بيئة الخليج وحمايتها مهمة ضخمة وخطيرة ، وتتطلب بذل قصارى الجهد والتضحية على كافة المستويات ... ذلك ان صالح الخليج البيئي يتخطى المصالح القومية الآنية جميعا ... ويتجاوز الحدود السياسية دون استثناء . □□

١ المرجان اللين من نوع السيناريان ذي الألوان الزاهية .

٢ ثعبان البحر السام يبحث عن غذائه في قاع الخليج .

٣ سمك العافي وسمك العنفوز المخطط . يوجد أنواع عديدة منه في المناطق الصخرية والمرجانية .

٤ سمك الهامور الشهير

٥ مرجان غرة ـزي ، ويستوطن القاع الصخري بالقرب من الشعاب المرجانية .

٦ مرجان لين تشاهد براعه متفتحة أثناء التغذية .
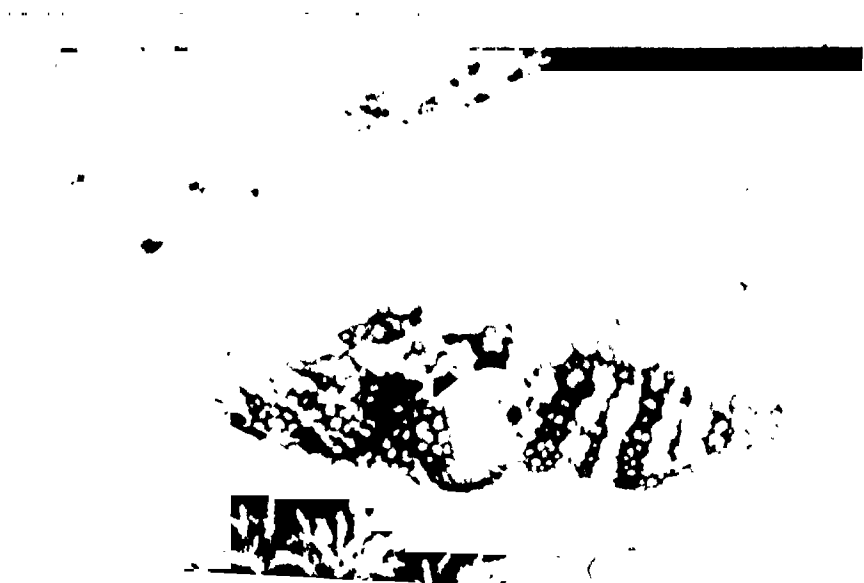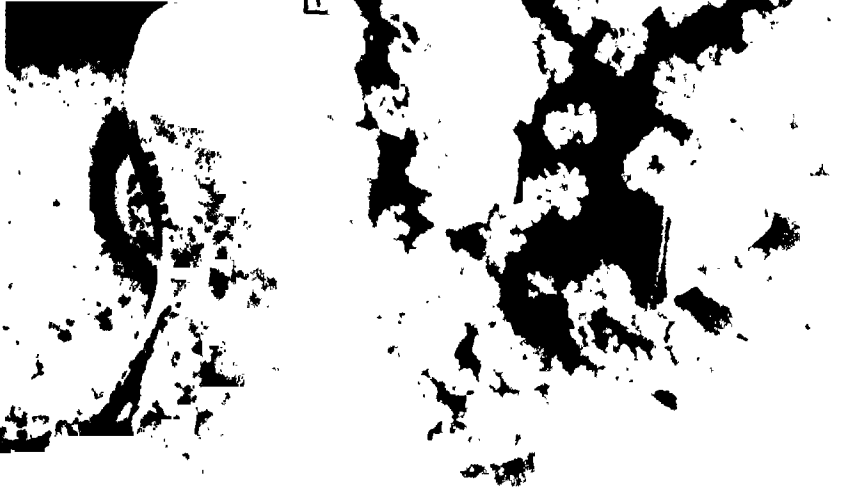
العربي الصغير

أنا الآن أعظم قارئ!

بنك المعلومات يفتح أبوابه لكل أصدقاء العربي الصغير كي يسحبوا منه المعلومات . . . وينتظر منهم ـ كما تفعل - البنوك ـ أن يودعوا معلوماتهم ليسحبها أصدقاء آخرون .

هل تعلم ! ؟

الفيل = ١٤٧ رجلا

ـ هل تعلم أن أول من شرب القهوة هم الاحباش
ـ وأن قوة الفيل تعادل ١٤٧ رجلا
ـ عند الكلام يستخدم الانسان ٤٤ عضلة
ـ تنقص مياه البحر الأبيض بمقدار مليون متر مكعب في الثانية الواحدة ؟

ـ أكبر قبر في العالم هو قبر الفرعون خوفو وهو هرم
ـ ان الصقر يرى على بعد عشرين مترا .
ـ اخطر الحرائق التى شهدها العالم هو حريق لندن والذى حدث في عام ١٦٦٦ واستمر ثلاثة أيام ودمر ١٣ ألف منزل .

علاء الدين حسن
الحكة ـ سوريا .

كلمات مثنيات

هذه الكلمات مثنيات لا مفرد لها . .

* الازهران . . الشمس والقمر
* الابيضان . . الماء واللبن
* الأصفران . . القلب واللسان
* الجديدان . . الليل والنهار
* الداران . . الدنيا والاخرة

أنور يوسف محمد عبد العزيز
الاردن

تاريخ

تخلصت كل من البلاد العربية التالية من الاستعمار في الاعوام التالية : ـ

* العراق في عام ١٩٣٢
* سوريا تخلصت من الاستعمار عام ١٩٤٦
* لبنان في عام ١٩٤٧
* الكويت في عام ١٩٦١
* مصر في عام ١٩٥٤
* الجزائر في عام ١٩٦٢

مصعب محمد العمود أبو الهيثم
حلب

سموم

يدخل النيكوتين في تركيب بعض المبيدات الحشرية ولمعرفة تأثيرها السيء على الانسان لا بد أن نعرف ان عشرة سنتيمترات منها تكفى لقتل كلب متوسط الحجم . كذلك تحوى لفائف التبغ سموما أخرى لا تقل خطرا عن النيكوتين .

وقد أظهرت التجارب التى اجريت على الارانب المسممة بالنيكوتين تأثير التدخين على المخ والمخيخ فضلا

ماهذا

هذه الصورة ليست لقطعة من الخشب ولا تنتمي لأى شجرة من تلك الاشجار الضخمة التى تعتبر مصدرا من مصادر الاخشاب .

أنها « بيضة » لحيوان كان يسيطر في يوم ما على سائر المخلوقات . هذه « البيضة » هى التى قادت العلماء لمعرفة المراحل الاولى من حياة « الدينصور » . وهو الحيوان الكبير الحجم آكل اللحوم والذى كان يعيش خلال عصر « الجوارس » . وقد أطلق عليه هذا الاسم لأول مرة عام ١٨٢٤ . بعد أن تأكدوا من أنه حيوان . فقد كانوا يشكون في أن يكون هيكلا لانسان ضخم .

ومنذ ما يقرب من العشرين عاما عثر العلماء فى منغوليا على عدد من بيض « الدينصور » . ويبلغ طول البيضة الواحدة خمسين سنتيمترا أى نصف متر .

والديتصور حيوان متعدد الانواع . . منه ما يأكل اللحوم . . ومنه ما يعيش على النباتات .

وقد عرف ذلك عن طريق شكل « الفك » فالدينصور آكل اللحوم له فكان كاملا النمو وغالبا ما كانا قويين يتناسبان مع وظيفتهما في تقطيع لحم الفريسة . كذلك كان تكوينه الجسماني على ضخامته يتلاءم وكونه صيادا ماهرا . . فقد كان سريع الحركة يمكنه أن يلحق بفريسته بسهولة .
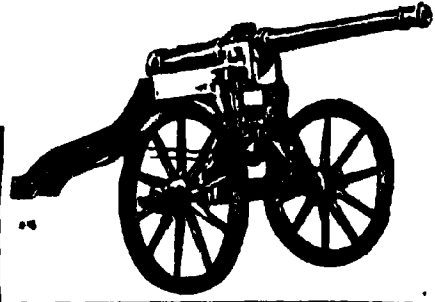
عن اضطراب العصب « السمبتاوى » للذلك يشكو مدمنو التدخين من الارق . . والقلق . . وضعف الذاكرة .

حكمة

بعشرة الاصدقاء أكثر حماقة من بعثرة الاموال بلا حساب . . فأنت تستطيع أن تستعيد مالك الضائع . . ولكن من الصعب أن تستعيد صديقك . . فان فترة الخصام تمزق حبل الصداقة وتخلق سدودا وهمية بين الروحين والعقلين .

عبدالله علي
السعودية

نادى العربي الصغير

يعلن العربي الصغير عن فتح ناديه ويعتبر كل الأصدقاء العرب أعضاء مؤسسين ولا يضع أى شروط مسبقة على العضوية ما دام الصديق يحمل الهوية العربية . فليس على الصديق الراغب في التعارف على صديق آخر إلا أن يرسل اسمه وعنوانه وبعض المعلومات عن البلد الذى ينتمى اليه حاول أن تتعرف على وطنك العربي من خلال اصدقاء جدد . ترسل الخطابات الى مجلة العربي - ويكتب على الظرف . نادى العربي الصغير . ص . ب : ٧٤٨ - الكويت .

النملة المتسائلة

تأليف : ابراهيم الشيمي

كانت نملة صغيرة تسير خلف أمها ، وهما تنقلان الطعام الذي جمعتاه الى قرية النمل المبنية تحت الارض .

مشت النملة الصغيرة ، وهي تجر بصعوبة قطعة البلح التى عثرت عليها ، وكانت مستغرقة في تفكير عميق ، لدرجة انها تأخرت كثيرا عن أمها .

نادت الام النملة الصغيرة قائلة : ما بك يا ابنتي تمشين على مهل ؟ هل أنت تعبة أم مريضة ؟

أسرعت النملة الصغيرة بصعوبة حتى قاربت امها التى واصلت كلامها قائلة : « هيا اسرعي الخطو يا عزيزتي فلقد تأخرنا اليوم ، ولم نجمع الا القليل من الطعام » سألت النملة الصغيرة أمها بلهجة جادة : لماذا يا أمي نحمل هذا الطعام ، الذي نشقى فى جمعه الى مخازن جارتنا الكسولة ؟

قالت الام : صه يا ابنتي ! لئلا يسمعك أحد .

ردت النملة الصغيرة متعجبة : ما الامر فى ذلك يا أمي ؟ انني أسأل سؤالا جادا .

وضعت الام قطعة البلح التى تحملها جانبا لتستريح قليـلا ،ثم قالت : يـا بنيتي ان بعض الاسئلة تجر الى المتاعب.

قالت النملة الصغيرة : لماذا يا أمي ؟ ان جارتنا لا تعمل شيئا ، كل ما تعمله هو اقامة الحفلات والمآدب .

قالت الام : أرجوك يا ابنتي ، لأجل خاطرى لا تسألى مثل هـذه الاسئلة . لم تقتنع النملة الصغيرة بأجوبة امها ، وتابعتا طريقهما الى قرية النمل ، وهى لا تزال غارقة في تفكير عميق .

وصلت النملتان الى القرية ، حيث مخازن الجارة ، لتضعا فيها الطعام ، ثم اتجهت الام الى المنزل ، بينما اتجهت النملة الصغيرة الى الساحة ، حيث يجتمع صغار النمل للعب .

وعندما التقت النملة الصغيرة باصدقائها ، سألتهم أول ما سألتهم قـائلة :أخبروني يـا أصدقائى بأى حق نجلب الطعام لجارتنا وهى كسولة .

قالت نملة صغيرة : ولدنا وشاهدناها كذلك .

قالت نملة أخرى : أنا لا اعلم ولم يخطر ببالي مثل هذا السؤال .ردت النملة المتسائلة : بينما كنت في طريقى الى القرية أجر قطعة ثقيلة من البلح ، فكرت في الارهاق والتعب الذي نعانيه ، بينما جارتنا جالسة فى مقرها لا تعمل شيئا .

سمعت الجارة بحديث النملة الصغيرة وأسئلتها الفضولية ، فاستدعتها وقالت لها : أيتها النملة الصغيرة ، ألا تعرفين أن هذه الاسئلة تثير لك المشاكل ؟ الافضل لك أن لا تسألى ثانية مثل هذه الاسئلة .

ردت النملة الصغيرة بشجاعة : انني نملة صغيرة أحب المعرفة . ويجب علينـا البحث عن أجوبة الاسئلة التى لا نعرفها مهما كلفنا الامر .

خرجت النملة الصغيرة من بيت الجارة الكسولة وهى أكثر تصميما على معرفة الجواب .

ذهبت النملة أول ما ذهبت الى بعض النملات الشغالات وسألتهن نفس السؤال الا أن النملات لم يجبن على سؤالها .

وذهبت بعد ذلك الى مجموعة أخرى من النمل وسألتهن نفس السؤال فهربن منها خوفا على أرواحهن .

لم تكف النملة عن الاسئلة فخافت الجارة الكسولة أن يجر عليها ذلك المتاعب فقررت التخلص نهائيا من تلك النملة كثيرة الاسئلة .

استدعت الجارة النملة بعد أن بيتت لها أمرا . استدعتها الى منزلها وعندما جاءت امسكت بها بعنف وما أن همت أن تلقى بها من النافذة حتى صرخت النملة فى وجهها . .

لا بد أن يعمل كل منا حتى يحصل على طعامه فلا الذ من طعام يصنعه أحدنا بيده . .

خجلت الجارة الكسولة . . وقالت . . نعم لك كل الحق . . لا الذ من الطعام الذي يصنعه كل منا بيده هيا الى العمل .

وفي اليوم التالي كان النمل كله يغني هيا الى العمل . . هيا الى العمل .

من الصندوق الخشبي إلى الدبابة ذات الأشعة فوق الحمراء
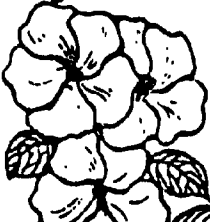
منذ مئات السنين وحلم الجيوش فى الوصول الى اختراع القلعة المتحركة التى تحمل مدفعا .. لم يتوقف . حاولوا ذلك أكثر من مرة ..

فى القرن السادس عشر تمكن العلماء الالمان من صناعة دبابة خشبية تجرها الجياد .

تطور الاختراع عبر العصور .. فأخذ مرة شكل صندوق متحرك على شكل خوذة رجال الاطفاء .. ومرة أخرى فى شكل دبابة بخارية .

لكن كل هذه المحاولات كان نصيبها الفشل .. فكثيرا ما كان الحلم يصطدم بمشكلة القوة التى يمكن أن تدفع بكل هذا الجسم الى الامام وبسرعة .. في أخطر الظروف وأحرجها .

الصندوق الخشبي المتحرك

القلعة الألمانية الخشب المتحركة التي ترجع إلى القرن السادس عشر

تصميم دبابة بخارية

تصميم مدرعة حربية

قناص الدبابات : مدفع
جبار فوق هيكل دبابة .

ظلت المشكلة قائمة حتى اختراع « المحرك البترولي » . . فتم الوصول الى الدبابة الحالية التى تخترق الحصون المنيعة . . وتسير على الاسلاك الشائكة .

استعملت الدبابة لأول مرة كسلاح فى الحرب العالمية الاولى . . حيث تمكنت ٣٠٠ دبابة بريطانية من اختراق خطوط العدو ، والتوغل ستة كيلو مترات داخل مواقعه . فى هذه الحرب . . ورغم حداثة صنع الدبابة الا انها لعبت دورا حاسما فى انهائها .

يومها . . اعتبر ذلك ثورة فى فن القتال . ويومها أيضا اطلق على هذه الدبابة اسم « دبابة تانك » . وكان لذلك قصة . . كان البريطانيون يريدون ارسال هذه الدبابة الى فرنسا . لكن حجمها الكبير كان المشكلة الصعبة . فلجأوا الى خدعة صغيرة لاخفائها . . وضعوها فى صناديق كتب عليها بالانجليزية « خزانات مياه » . . وبمرور الوقت التصقت بها هذه التسمية حتى أصبحت الآن لا تعرف الا بـ « تانك » .

بهرت الدبابة تانك أنظار العالم . . فلم يكن أحد يتصور ان الثورة الحقيقية فى هذا .

فى تطور هذا السلاح فى احضان المستقبل حيث جاءت أيام ما بعد الحرب الاولى وهى تحمل تطورا كبيرا فى هذا السلاح .

فى الحرب الثانية . . توصل الالمان الى الدبابة العملاقة وهي تزن ١٨٥ طنا وتحمل مدفعا ضخما لكن كان يعيبها بطء الحركة إذ لم تزد سرعتها عن تسعة عشر كيلومترا في الساعة . . وربما كان ذلك سببا في تسميتها الدبابة الفأرة !

بعد ذلك تمكن الفرنسيون من صناعة الدبابة الحديثة . . وهى دبابة مزودة بالاشعة فوق الحمراء لذلك فهى تستطيع أن تحدد الهدف بدقة غير قابلة للخطأ .

والدبابة الفرنسية أقل وزنا من الدبابة الالمانية (٣٤ طنا) فقط . . لكن تتفوق عليها بعدة ميزات . .

الاولى . . السرعة . . حيث تصل سرعتها الى ٦٥ كيلومترا فى الساعة . الميزة الثانية . . السير ليلا . .

الميزة الثالثة : . . يصل مدى مدفعها الى ٥٦ مترا . . هذا بالاضافة الى الميزة الرابعة . . وهى حماية من يركبها . . اذ تمنع دخول الاشعاع . . أو الغاز الخارجى بمجرد اغلاقها باحكام .

وكما تحمى الدبابة من يعمل بداخلها . . صنعوا لها وسائل حماية أيضا . . صفائح من الفولاذ الخاص يطلق عليه وصف « درع » . . ويكون مائلا حتى يحمى الدبابة من القذائف التى تلقى عليها .

ورغم كبر حجم الدبابة . . فان سائقها لا يجد صعوبة فى ادارتها . . اذ يكفى أن يعطل أحد الجنزيرين حتى تسير الدبابة . ويتم ذلك بواسطة محركات خاصة تشبه قيادة السيارة يطلق عليها اسم « القابض » و « الكابح » . فاذا أراد السائق أن يتجه يسارا فلا يوقف الجنزير الأيسر فيدير الجنزير الثاني الدبابة .

الطريف . . انه كما تطورت صناعة الدبابات تطورت معها وسائل مقاومتها . . وكما اخترع الالمان الدبابة « العملاقة » صنعوا سلاحا آخر مضادا للدبابات يدعى « قناص » الدبابات . وهو عبارة عن مدفع ضخم مركب فوق هيكل الدبابة بعد ازالة برجها . أي انه لكل سلاح . . سلاح آخر مضاد .

طلب جحا من ابنه أن يشترى له رأساً مشوياً..
فذهب الإبن وعاد برأس بلا عينين ولا لسان ولا مخ.

أين عيناه؟
كان أعمى
أين أذناه؟
كان أصم
أين مخه؟
كان معلم أطفال
لما ذهب رده لصاحبه.
لقد اشتريته بريئا من كل عيب!

الأمير .. والفتى الصغير

مر الامير بغلام صغير يقود حيوانا بعنف شديد . فقال له . . يافتى . . رفقا بهذا الحيوان .
فأجاب الصبي . . ان فى الرفق ضررا به يا سيدى .
فدهش الامير . . وسأله . . كيف ؟
رد الفتى . . اذا أبطأ يطول طريقه ويشتد جوعه . . واذا أسرع يخف حمله ويطول أكله .
أعجب الامير من بلاغة الصبي الصغير فأعطاه عشرة آلاف درهم .
فقال الفتى . . هو رزق مقدور . . من واهب كريم .
ازداد اعجاب الامير به وقال . . لقد دونت اسمك فى بطاقتى .
فقال الغلام . . كفيت مؤنة . . ورزقت معونة .
فقال الامير . . لولا صغر سنك لجعلتك وزيرا
فرد الفتى . . لن يعدم الفضل من رزق العقل .
فسأله الامير . . وهل تصلح لذلك أيها الفتى الصغير ؟
فأجابه الفتى . . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . . ولن يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها .

فضـــاء
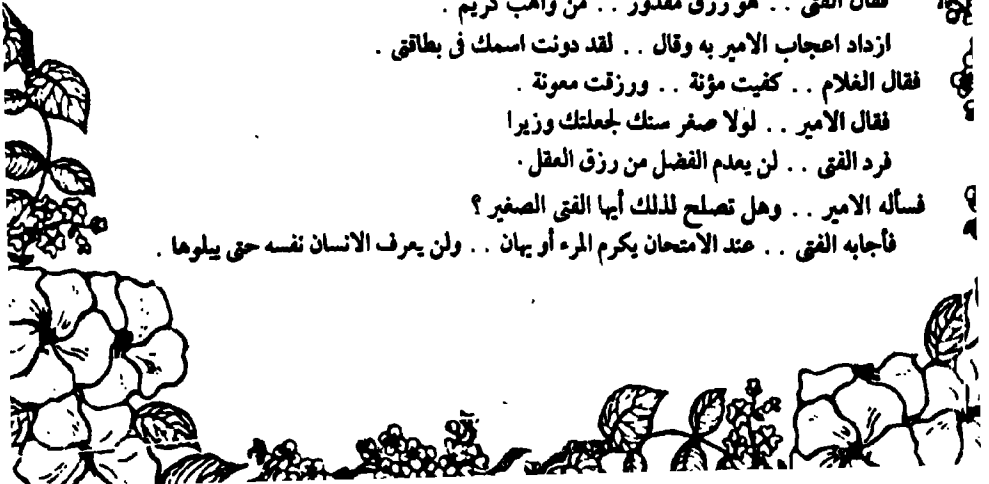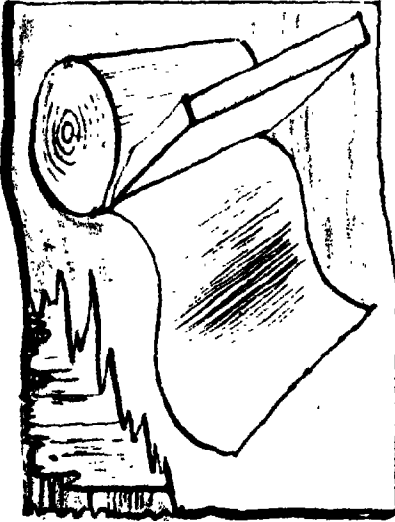
نظرا للونه البرتقالي الاحمر .. اطلق عليه الرومان اسم « اله الحرب » لكن علماء الفضاء يعرفونه اليوم « بالمريخ » .

وهو كوكب أصغر من الارض بكثير وان كان قريبا منها فيبعد عنها بمسافة لا تزيد عن ستين مليون كيلو متر .

ونظرا لقرب هذه المسافة !! يعتبر المريخ الكوكب الوحيد الذي يمكن أن نشاهده بالعين من الارض . وبعد اكتشاف « التليسكوب » وقبل أحد عشر عاما لم يكن يعرف للمريخ الا قمران .. « فوبوس » و « ديموس » لكن في نوفمبر ١٩٧١ أصبح للكوكب قمر ثالث هو مركبة الفضاء الأمريكية التي استطاعت ان تقترب على مسافة ٩٠٠٠ كيلو متر .. ثم أرسلت صورا ظهر فيها سطح الكوكب المجاور لنا .

وفي القرن الماضي ظن بعض علماء الفلك انهم شاهدوا على سطح هذا الكوكب علامات مستقيمة مثل تنوات اعتقدوا يومها أنها من صنع مخلوقات عاقلة .

لكن حتى الآن لم يتأكد شكل هذه الحياة ، ولا نوعها

نباتـــات

في افريقيا يوجد نوع من الاشجار .. سريع النمو . ما تكاد تقطع الشجرة حتى تستعيد نضارتها وزهورها مرة أخرى .

هذا الشجر يعرف باسم « الاوكومة » أو شجر الاخشاب المعاكسة .. ذلك أن الخشب الذي يؤخذ منها يقطع على شكل أوراق رقيقة جدا تستخدم في صنع الواح الخشب المعاكس أما لونه فهو زهري فاتح .

وللحصول على هذه الالواح يقطع الجذع قطعا بطول مترين للقطعة الواحدة .. ثم تبرى هذه الاسطوانة بواسطة الة حادة فتتحول قطعة الخشب الى شريط رقيق بشكل معاكس وبكبسها وضغطها يمكن الحصول على الالواح المعاكسة .

وهي بالاضافة الى الشكل الجميل متينة أيضا !! الطريف أن مثل هذه العملية الجراحية لا تؤثر على شكل الجذر ولا وظيفته فهو يستطيع أن يواصل الحياة من جديد .. ينمو .. ويزهر وكأن شيئا لم يكن .
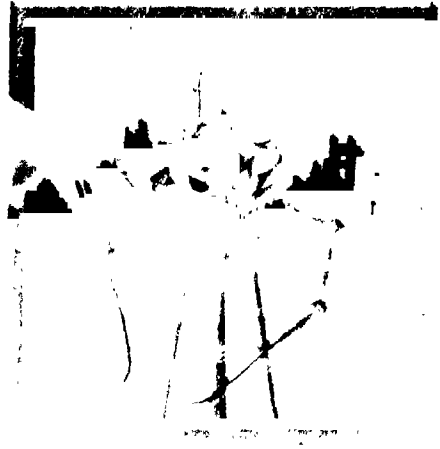
اكتشافات

وقف الانسان القديم امام النار حائرا .. باعتبارها قوة خارقة .. وقد وصل به الامر الى درجة التقديس . فعبدها تحت مسميات مختلفة .

أما انسان العصر الحديث .. فقد توصل بالعلم الى سر النار .. وعرف علاقة الحرارة بالنار .. ووصف عملية الاحتراق بانها تحلل مواد مستمدة من الاوكسجين الموجود في الهواء .. مخلفة وراءها مواد جديدة .. هى النور .. والرماد .

وتنتشر هذه الحراة بثلاث طرق : -

- الحمل .. ويحدث عندما يسخن الهواء القريب من النار فيخف وزنه فيرتفع الى أعلى ليحل محله هواء بارد وهكذا .
- التوصيل .. وتنتقل الحرارة عبر خلايا الاجسام المتأثرة بها ..
- الأشعاع .. وتنتقل الحرارة على شكل موجات تشبه موجات النور .

وبذلك كان مبدأ اطفاء الحريق يقوم على عزل النار من الاوكسجين .. وهنا يقوم بالاضافة الى تبريد الأجسام الساخنة بعملية طرد الهواء والوقوف حائلا بينه وبين النار وذلك عندما يتحول بالتعرض للحرارة الى بخار كثيف .

إنســـان

الاحساس بالجوع ليس حالة نفسية ولكنها تقلصات عضوية تقوم بها المعدة فى حالة خلوها من الطعام . فبعد ثلاث ساعات أو أربع من تناول الطعام تكون المعدة قد أصبحت فارغة أو كادت أن تكون كذلك . فما بقى من الطعام المهضوم لا يلبث أن يندفع الى الخارج .

والمعدة عبارة عن كيس بين المرىء والامعاء يتراكم فيه الطعام ليهضم هضما أوليا ، وعندما تكون المعدة فى أقصى اتساع لها يصل طولها خمسة وعشرين سنتيمترا وعرضها أثنى عشر سنتيمترا . وتستطيع استيعاب ما يقرب من الف وثلاثمائة سنتيمتر مكعب من المواد السائلة .

وتتغير هذه الابعاد تبعا لما يتناوله الانسان من طعام .

والمعدة عند معظم الناس قائمة .. بينما توجد أفقية عند البعض الآخر .. أو على شكل قرن عند أشخاص آخرين .

وتتكون جدران المعدة من عدة طبقات الواحدة فوق الاخرى . وفيها توجد غدد تصل الى خمسة ملايين غدة منتشرة فى قاع المعدة وهى على شكل انابيب طويلة متوازية .

والمعدة تقوم بافراز عصارتها قبل أن يدخلها الطعام حيث تكون مستعدة لاستقباله .
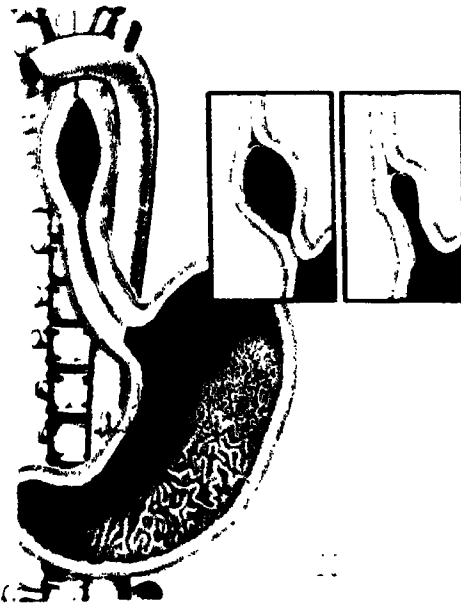
إن كنتم أذكياء

هذه مجموعة من الأسئلة تنتظر منكم الاجابة عليها . قد يكون بعضها صعبا ، لكن لا بأس من الرجوع الى من هم أكبر منكم لمساعدتكم . وسننشر اسم الفائز الأول أو الفائزة الأولى مع جائزة مالية قدرها عشرة دنانير كويتية أو ما يعادلها . يكتب حل المسابقة رقم -١٣-

مخترعون

* من هو مخترع الهاتف ؟
* من هو مخترع القنبلة الذرية ؟

شعر . . .

اكمل البيت الاتى .. واذكر اسم الشاعر صاحب القصيدة ..
وانما الأمم الاخلاق ما بقيت . . . . . .

هل . . . .

هل القطار الكهربائي سريع ؟
وما هي سرعته القياسية .. وفي أي الاعوام وصل اليها ؟
هل عرفت قديما قوة البخار ؟ كيف كان ذلك ؟

معادن

أذكر ثلاثة اسماء لمعادن سمعت بها وثلاثة أخرى تسمع عنها لأول مرة ؟
ماهو أول معدن شكله الانسان الى أشكال ؟

نفط

متى تم اكتشاف النفط لأول مرة في العالم ؟
اذكر اسم أكبر دولة عربية من حيث انتاج النفط ؟
ما هي أهم الصناعات التي تقوم على النفط ؟
النفط .. هل هو معدن .. غاز .. سائل ؟

أسماء مشتركة

أذكر أربعة أسماء مشتركة بين الانسان والحيوان ؟

توقيت

تؤخر ساعتك أم تقدمها عندما تكون على سفر من الكويت الى كل من العواصم الآتية : -

القاهرة .. بكين .. ليبيا .. بغداد .

وما هو الفيصل في فروق التوقيت ؟!

جائزة المسابقة

من بين الرسائل التي وردت الينا من أصدقاء « العربي الصغير » وباجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة فاز بجائزة الكلمات المتقاطعة الصديق فتحي الصادق الجماهيرية العربية الليبية . بني غازي - صندوق بريد ١٨١٧٤ . وبجائزة ان كنتم اذكياء الصديق « حسين صالح محمد المحفار » جدة . المملكة العربية السعودية - طريق مكة - كيلو ١١٠ عمارة السرور صندوق بريد ٢١٢٧ .

حل مسابقة العدد الماضى

■	■	ى	ر	و	ك	ى	ر	ا	م
■	ن	ج	ى	ب	■	ن	ا	ن	ع
■	و	ل	ج	ن	ا	ل	ك	ى	م
ى	م	د	ا	■	■	م	ى	س	و
د	■	■	ن	ب	ع	■	ل	م	د
ى	م	ا	■	■	ل	ا	و	ن	م
ن	■	ج	م	ر	■	ت	و	ص	ر
ه	ص	ن	و	ا	■	ف	ل	و	س
■	ن	ا	س	ك	■	ك	س	ر	ى
ا	ى	س	ى	د	و	ر	■	■	■

مسابقة الكلمات المتقاطعة

أفقى
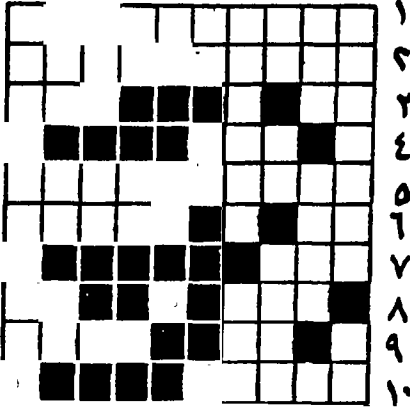
١ - مؤسس مجلة العربي وأول رئيس تحرير لها .
٢ - بلد عربي - أب
٣ - متشابهان - بدأ (معكوسة) - سائل حيوى
٤ - رغب (معكوسة) - كاتب (معكوسة)
٥ - لقب ممثل مصرى مصرى - نصاب (معكوسة)
٦ - من أركان الاسلام - عملة اسيوية (معكوسة)) - حق الاعتراض في مجلس الامن
٧ - متشابهات - شهر عربي
٨ - يكتب بيده اليسرى - ثلثي يود
٩ - يستخدم لارشاد السفن (معكوسة) - من الظواهر الطبيعية
١٠ - من الحشرات - عاصمة افريقية .

رأسى

١ - لقب رئيس تحرير مجلة العربي الحالى - من الاقارب (معكوسة)
٢ - مداد - يعمل بالاجرة
٣ - حرف جر - مانع مالى (معكوسة) - ممثلة مصرية معاصرة
٤ - صاحب نظرية النشوء والارتقاء - رجع
٥ - من أعضاء الجسم - سعير
٦ من الوالدين - الة موسيقية (معكوسة)
٧ الاحتفال بمرور ٢٥ سنة
٨ - الاسم الحركى لاحد قواد منظمة التحرير الفلسطينية (معكوسة)
٩ - تتناقش (معكوسة) - متشابهان
١٠ - أبو البشر - حرف موسيقى - في البحر .

ترسل الاجابات إلى مجلة العربي (العربي الصغير) ص ب ٧٤٨ الكويت

مدرسة

اليوم في المساء أدعوكم على مفاجئة جميله!!

يا هلا.. يا هلا بيكم!

ما رأيكم في المفاجئة حفلة اليوم بمناسبة اليوبيل الفضي للعربي.

عقبال الذهبي

٢٥ شمعة

٣
٦
٥
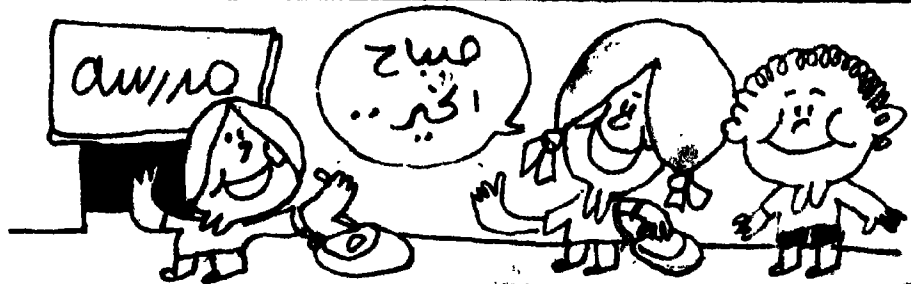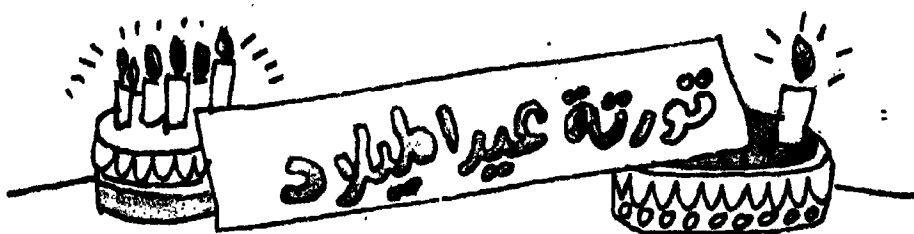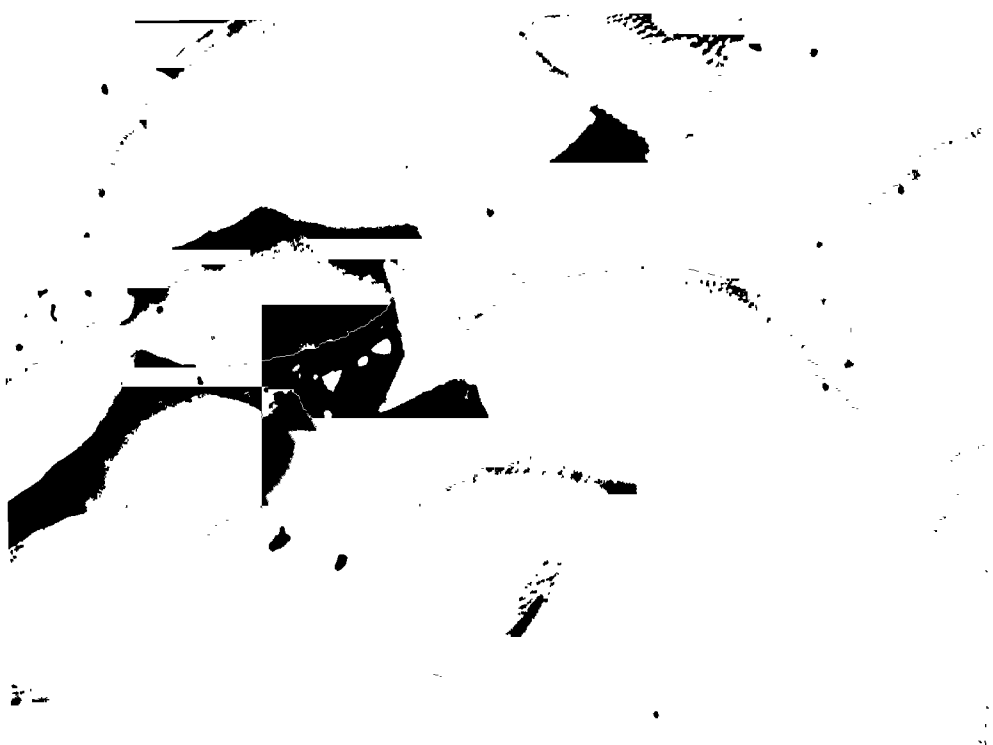
نحن معرّضون للإصابة بالصمم لماذا؟

الضوضاء ..
الصخب ..
الضجيج سمة
هذا العصر ،
إنها آفة تهددنا
بالصمم ..

□ « الانسان في عصرنا هذا قد عرض نفسه عمدا لمصادر الضجيج والازعاج ، وفي الاقطار الصناعية الكبرى في العالم يصعب على الانسان ان يجد مكانا لايصل اليه الضجيج الذي أصبح مصدر خطر ومشكلة عامة للسكان ، فأخذت بلدان كثيرة تصدر القوانين للحد من مصادر الضجيج . ترى كيف ينبغي لانسان هذا العصر ان يقاوم الضجيج ؟

قال جراح العيون بعد ان أجرى عملية جراحية دقيقة ، أعاد فيها نعمة البصر الى أحد المرضى : ان الضجيج ألد أعداء الجراح فهو ليس مصدر ازعاج فقط . بل انه قديصرف انتباهه عن العملية الجراحية ويعرض حياة المريض لأفدح الأخطار . ولذلك فهو يحرص على الهدوء التام ونراه قبل ان يشرع في العملية يبعد عنه كل مصدر من مصادر الضجة .

والحقيقة هي أنه ما من شيء يصرف الجراح عن مجال جراحته مثل الصوت ، حتى ولو كان لحنا موسيقيا ، فالعقل البشري يستطيع أن يركز اهتمامه في شيء واحد فقط ، فاذا دخل الضجيج فجأة العقل الواعي للجراح كان رد الفعل الفوري الخوف والتوتر . ان الزلل والحكم الخاطىء يعقب الضجيج المفاجىء بطبيعة الحال .

←

وفي عصرنا الحالي يصعب على الانسان أن يجد مكانا لايصل اليه الضجيج . . في الشوارع والقطارات والطائرات والفنادق والمكاتب والمصانع وفي كل مكان . . . يكون الانسان معرضا معظم الوقت للضجيج الهادىء او الصاخب ، ولقد اصبح الضجيج مشكلة عامة واخذت دول كثيرة تصدر القوانين للحد من الضجيج بقدر الامكان .

ان من واجب الانسان في هذا العصر ان يقاوم الضجيج مقاومته لتلوث الهواء والماء . اذ لم يحدث قط في تاريخ البشرية ان استقبلت شعيرات السمع من ألوان الضجيج المختلفة في تعدادها مثل ما تستقبله في هذا العصر . ان هذه الشعيرات تتأثر بأدق الأصوات وأعنفها . . . من الهمس الخفيف الى زئير المحركات النفاثة ، وبين هذين النقيضين انواع وانواع من الأصوات التي تصدر عن دوران العجلات ونباح الكلاب وزئير الكلاكسات وأصوات المناشير الكهربائية ، فضلا عما يصدر عن اجهزة الراديو والتلفيزيون وغير ذلك . . مئات من مصادر الضجيج .

ان نتيجة هذه البطاريات الرهيبة من مصادر الأصوات ليست فقط الاصابة بالعصبية والتوتر والأعراض النفسية ، وانما قد ينشأ عنها تلف في الأذن وربما صمم . وهنالك من الثقات في أمور الطب من يعزو أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة بل والضعف الجنسي الى الضجيج الزائد .

كيف يقاس الضجيج ؟

ولماذا يكون الضجيج الشديد خطرا فعليا على الانسان ؟ . . . ان الديسبل » هو وحدة قياس الضجيج ، و« الديسبل » هو أدنى فرق بين صوت وآخر تستطيع الأذن البشرية ان تحسه وفيما يلي بعض معايير الاصوات المألوفة :

صوت التنفس الطبيعي = ١٠ ديسبل ـ خشخشة اوراق الشجر اذا مر عليها النسيم = ٥٠ ديسبلا
صوت المطعم الهادىء = ٥٠ ديسبلا
حركة المرور الشديدة = ٧٠ ديسبلا
الشلال المائي الضخم = ٩٠ ديسبلا
صوت المدفع الرشاش القريب = ١٣٠ديسبلا
الطائرة النفاثة عند الاقلاع = ١٤٠ديسبلا
صاروخ الفضاء عند الانطلاق = ١٧٥ ديسبلا

والاسم المناسب للضجيج هو الصوت غير المرغوب فيه ، وهناك خطر بأن يسبب الضجيج الصمم كما قدمت . وهذه الآفة قد يصاب بها الانسان بصورة تدريجية بحيث أنه لايفطن الى احتمال اصابته بالصمم .

ان الأذن البشرية آلة متناهية في الدقة ، والأصوات الخفيفة الناعمة تحرك طبلةالأذن مسافة لاتتجاوز عشر مسافة عرض ذرة الهيدروجين . أما زئير الطائرة النفاثة فيساوي مليون بليون ضعف هذا الصوت الخفيف . ان الزئير المرتفع بهذا الشكل يسبب الألم العقلي . والانسان الذي يتعرض له بصورة مستمرة لابد أن يصاب بالصمم الدائم بعد مدة من الزمن . وفي العالم عشرات الملايين من الناس المصابين بالصمم التام او الجزئي .

ان الأذن البشرية تستطيع ان تتحمل ضجيج ٩٠ ديسبلا بدون ضرر ، فاذا تجاوز الضجيج هذا الحد كان لابد من حماية الأذن بالوسائل الصناعية كحشو الاذن بالسدادات . والموسيقا الصاخبة اذا رفعت الى الحد الاقصى في الراديو أو أجهزة التسجيل قد تنتج ١٣٥ ديسبلا ومعنى ذلك انها اذا استمرت مدة طويلة من الزمن فانها تلحق الاذى بالاذن . وكل صوت يحدث طنينا في الأذن قد يسبب الاصابة بالصمم .

وكثير من الأصوات التي تنتجها مدنية العصر الحاضر ، تتسبب في الحاق ضرر كبير بالانسان ، فالأحاديث المرتفعة عند الجيران ، وصوت التليفزيون المنبعث من الغرفة المجاورة وصوت الراديو القادم من المطبخ ونقر الآلة الكاتبة في الردهة ، والموسيقا التي تعلو فجأة ،

ونحن نحاول تركيز الذهن . كل هذه الاصوات تؤدي الى حدوث توتر عصبي . ان الضجيج آفة تصيب التفكير المبدع الأصيل .

هل حاولت مرة ان تجمع شتات ذهنك وسط هذا الضجيج ؟ لابد أنك فعلت وفشلت ! لاعجب اذن اذا كان موضع التفكير المبدع المنتج بعيدا عن ضجيج المدن . . . في منتجعات جبلية . فهناك يستطيع الانسان ان يبتكر المخترعات العظيمة ويكتب ويرسم اللوحات الجميلة ، ويجدد ماتصدع من ذهنه .

واذا كانت الأصوات العالية تزعج الأعصاب فان الهدوء يدغدغها . ان الهدوء يحمي الأذن ، ويقول الدكتور موبيرجان والدكتور روزين وهما أستاذان في مركز الكلام والسمع بكلية هنتر أن هناك قبائل بدائية في جنوب السودان لاتعرف الضجيج ولاتقرع الطبول . ولدى فحص افراد هذه القبائل تبين أنهم يتمتعون بسمع حاد لايعرفه غيرهم من الناس .

العقل والبذرة

وضجيج المدينة كما هو معلوم يحرم الكثير من نعمة النوم الهادىء ويجعلهم فريسة الأرق . والانسان قد يستطيع أن يزاول اعماله العادية في الجو المشبع بالضوضاء ولكنه يحتاج الى بذل الجهد في سبيل التركيز ، والارهاق الذي يصيبه في مثل هذه الحالة يجعل العضلات متوترة مما يزيد من مقدار الاكسجين الذي يحتاج الى استهلاكه ، وهكذا فانه عند انتهاء النهار يكون منهوك القوى . وقد دلت الاختبارات على أن الانسان يحتاج الى زيادة مقدارها ١٩ بالمائة في الطاقة التي يبذلها من أجل أداء عمل ما ، اذا كان هذا الاداء في جو من الضجيج . فأخطاء الطباعة مثلا يزداد عددها بمقدار ١٩ بالمائة في المحيط الصاخب عنها في الجو الهادىء . ولقد خفض الضجيج في احدى التجارب بمقدار ٤٠٪ فتبين ان الأخطاء انخفضت الى الثلث تقريبا .

ولقد كتب الدكتور « و . جروف » في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية عن ضجيج المدن والمصانع فقال : « ان الجملة العصبية لم تخلق لكي تتحمل هذا النوع من الضجيج ولذلك يصبح الانسان شديد التذمر والتوتر تحت تأثير الضجة المستمرة . والاضطراب العصبي الذي يحدث للانسان في مثل هذه الحالة قريب الشبه لما يحدث له في المعارك الجانبية » . وجود ضجة ما في مكان ينام فيه أحد الناس يؤدي الى انقباض عضلاته ، وتظل على هذه الحالة لمدة نصف ساعة ، فلا عجب والحالة هذه ان نرى سكان المدن الصاخبة يستيقظون من نومهم وهم يشعرون بالتعب .

ان الناس جميعا في حاجة الى وحدة هادئة . فالوحدة من الشروط الأساسية لراحة العقل اذا كان مطلوبا منه أن يفكر . وكما أن البذرة الصغيرة تنمو في التربة الخصبة التي تدفئها الشمس ، العقل يحتاج الى الهدوء لا الى الضوضاء لكي يتغذى وينتج الافكار . وعليك اذا كنت في حاجة الى حرية التفكير ان تنشد مكانا هادئا بعيدا عن الضجيج والصخب وعندئذ استغرق في التأمل . ان عقلك في حاجة الى هذا الدواء المقوي وكذلك جسمك .

بين ديوجين والاسكندر

هناك قصة تروى عن الفليسوف الاغريقي ديوجين المشهور بقنديله الذي اشعله ظهرا وخرج يبحث عن رجل لأن الرجال قليلون : لقد كان ديوجين ينعم بحمام شمس ذات يوم غير مبال بالاخطار الجسمية على حياته بسبب احتلال جيوش الاسكندر لمدينته ، وكانت جيوش الاسكندر قد احتلت مدن الاغريق كلها واسرت سكانها . وقد عجب الاسكندر لهذا الفليسوف الذي لايهاب الموت بل ظل مقيما في مدينته .

ووقف الاسكندر عند رأس الفليسوف المتمدد على الأرض وقال له : « انني معجب

بشجاعتك وأريد ان أساعدك ، هل هناك طريقة ما أستطيع أن اساعدك بها ؟ »

فقال ديوجين : « نعم . انني أنعم بحمام شمس ، فهل لك ان تنحرف عني قليلا ؟ ان ظلك يسقط على جسمي . »

وعندئذ ظهر الغضب على وجه الاسكندر وصاح قائلا : « الأ تعلم انني قد اخذت بلاد الاغريق كلها ؟ فسأله ديوجين : « وماذا عساك أن تفعل بعد ذلك ؟ »

« سآخذ ايطاليا واحتل روما . »

« ثم ماذا ؟ »

« سأحتل بلاد الفرنجة والهند . »
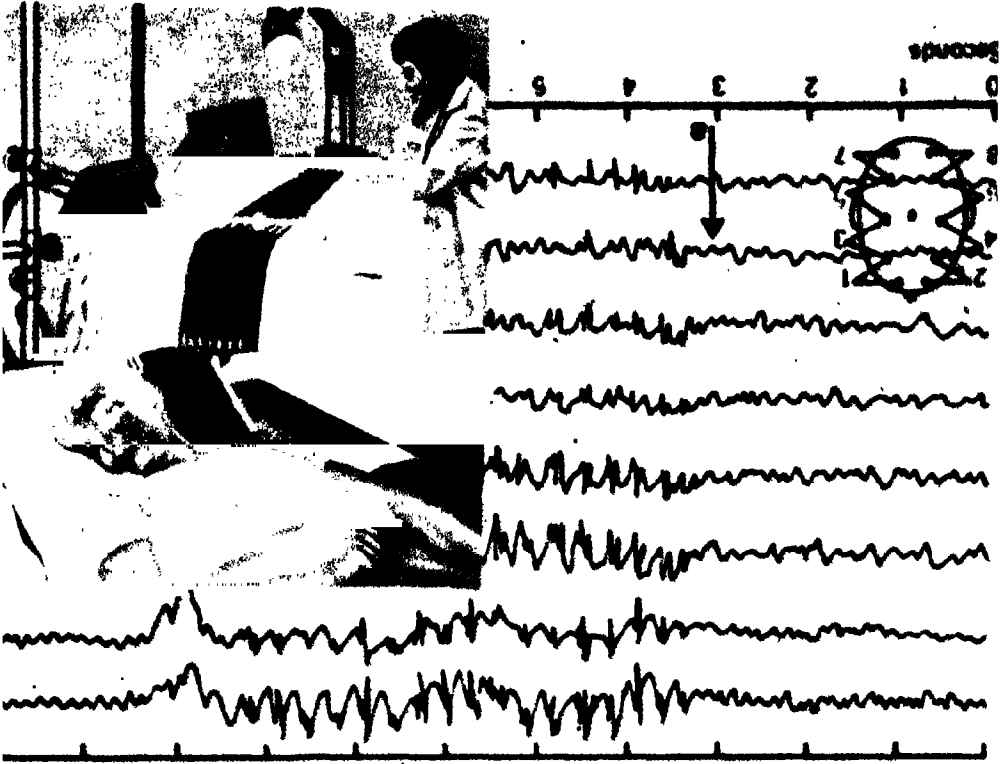
« وبعد ذلك ؟ »

« بعد ذلك سأعود الى وطني وأخلد الى الراحة وأنصرف الى التأمل في حديقة منزلي . »

وهنا قال ديوجين « ان هذا هو عين ما أفعله الآن . »

ومات الاسكندر الأكبر في الثالثة والثلاثين من عمره دون أن تتاح له فرصة التأمل الهادىء في حديقة منزله . ربما كان من الخير للكثير منا ان يتحلى بحكمة ديوجين في تخليه عن متاع الدنيا والتكالب على متاعها الرخيص والتنعم بالحياة الهادئة . ان التأمل شيء مريح لروح الانسان المتعبة . انه يجدد روح الانسان العصري ويهيىء له الأفكار العظيمة .

ابتعد عن الضجيج ، وفكر وأعمل وتأمل وأنعم بالحياة . □□

المغرور بقاء النسور

تعلق لقمان بن عاد بأستار الكعبة وتمنى . كانت أمنيته صعبة المنال وابتهالاته بالغة الحرارة . .

ـ اللهم يارب البحار الخضر
والارض ذات النبت بعد القطر
امنحني عمرا فوق كل عمر . .

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كان لقمان قد جاء من اليمن عبر الصحراء . ورأى الجبال باقية والانسان راحلا . فتمنى بقاء كبقاء الجبال . وظل يردد هذه الابتهالات حتى بكى ثم نام مؤرقا واستيقظ مفزوعا وأصوات غريبة تملأ الفضاء من حوله . تنبعث من خلال السحب ورؤس الجبال :

- يا لقمان بن عاد . أما الخلود فلا سبيل اليه . ولكن لك طول البقاء اختر عمرك . اما بقاء سبع بقرات عفر في جبل وعر . واما بقاء سبع نوايات تمر مستودعات في صخر لا يمسهن ندى ولا قطر . واما بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر أعقبه نسر . .

ولبث لقمان حائرا . بقر وتمور ونسور . فأين للبقر الحياة والمرعى في الجبال الوعرة وكيف ينبت النوى من الصخر . لم تبق اذن الا النسور حرة طليقة تملك الفضاء الرحب وتملك أيضا سنوات عمره . . هتف لقمان في حرارة :

- قد اخترت النسور . . قد أخذت أعماري . .

الموت . . . مصادفة تعيسة . .

عندما خاطبته الاصوات مرة أخرى أحس بها تسرى في عروقه قبل ان يسمعها بأذنيه :

يالقمان بن عاد . المغرور ببقاء النسور . ها هو عمرك الاول قد بدأ فاصعد الجبل . .

اسرع ملهوفا يتسلق الصخور الصعبة . ومنذ الآن لن يكف عن التسلق . لقد ربط عمره بالقمم الصعبة حيث تعيش النسور . كلما أضناه عمر جديد تاقت روحه الى سنوات أخرى اضافية .

كان عش النسور الشاهق فيه بيضتان . لم يفقسا الا في هذه اللحظة . كأنهما في انتظاره يطل منهما فرخان صغيران . الاكبر رأسا منهما هو الذكر وهو الاقوى والاطول عمرا . مد يده وأمسكه في قبضة يده كأنما يمسك قدره وهتف به :

- أنت المصون . الباقي بعد الحصون . من غدر الدهر الخؤون . .

وعقد في رحله رباطا ليعرفه به ثم بدأ رحلة العودة الى اليمن . .

كان لقمان قويا . فيه شيء من صلادة الجبال ووعورة الصخور . وعندما بدأ الزمان يتراجع أمامه تحول الى كائن اسطوري . كان واحدا من القلائل الذين نجوا من قوم « عاد » ولكن السماء لم تعط أحدا كما أعطته . . وسوف تدين له اليمن بالطاعة من أجل ذلك . .

لم يكن النسر يفارقه . كان يطير حول رأسه . أو يرتاح على كتفه ! ولا يأكل الا من يديه . وكان استقبال قبيلته من « حمير » جافلا . فالاخبار تنتقل من الصحراء مع هبوب العواصف . . وأعطوه الولاء الذي يستحقه والسيادة التي يطمح اليها . . ونما النسر . . واستطال ريشه . . وأصبح يغيب في السموات البعيدة . . . ولكنه كان يدرك بشكل أو بآخر انه مرتبط بهذا الرجل . . كان يعود اليه دائما ليأكل من يديه . . أو لينام على جدران بيته . .

وفي يوم موعود تجمعت القبائل اليمنية بين يدي لقمان . كانوا قد قرروا ان يعترفوا به ملكا عليهم جميعا . . وعرضوا عليه تاج « تبع » ملك ملوك اليمن . ولكنه رفض ان يغطى رأسه . . اراد ان يبقى ملكا عاري الرأس . وتوقف رجال القبائل مبهورين وهم يرونه يمد يده بقطع اللحم النيء . والنسر يهبط من السماء ليبتلعها ولكنه هذه المرة بدلا من أن يبتلع قطعة واحدة ابتلع قطعتين . واحتقن وجهه فجأة . . وفي نوبة من الفزع طار في الفضاء ودار عدة دورات سريعة وهو يهز رأسه بعنف . وصرخ لقمان يأمره بالنزول . . ولكن النسر صرخ في صوت متحشرج ثم هوى مرة واحدة . وأسرع لقمان إليه متأخرا . . اختلج جسد النسر لثوان ثم سكن وتراخت اجنحته . .

انسحبت وفود القبائل . وحل صمت الجبال المطبق . وهبت ريح عنيفة فأطاحت بالتاج الذي لم يتوج به من فوق الصخرة . وأخذت أصابع لقمان تغوص في الرمال تحفر قبرا لأول النسور الموتى . . ولأول السنوات الضائعة . .

وفي نفس الليلة . . أحس بالاصوات تسرى في عروقه :

ـ يا لقمان بن عاد المغرور ببقاء النسور دونك البدل . . فوق رأس الجبل . .

انها مرحلة الصعود الثانية . ولكن القلب أصبح مثقلا بالمخاوف من المحزن ان تأكل المصادفات غير المتوقعة اعمارنا بلا ثمن . كان العش في انتظاره . والفرخ قد قفز خارج بيضته . كان يبدو ضائعا مثله . أمسكه . وعقد في رحليه الرباط وانتظر حتى الصباح دون نوم . واخذ يتمتم كأنه يتلو تعويذة :

ـ أنت العوض المبرأ من تلف المرض أنت العوض . . .

واستيقظت اليمن في الصباح على لقمان وهو يحمل نسره الجديد

وعندما بدأ النسر ينمو أحس لقمان أن هذا تجسيد لقوته . لم يعد يسمح له بالطيران بعيدا . كان يقص ريشه باستمرار . . ورغم نمو النسر المتواصل فلم تكن مقدرته على الطيران تتجاوز الشجرة الصغيرة التي كان لقمان يجلس تحتها ليمارس حكمه . والنسر يرقب الفضاء الواسع في عجز . ويتأمل لقمان في خضوع .

كان وجه لقمان خاليا تقريبا من التجاعيد تركها كلها ترتسم على أجساد النسور وعندما صاح به قومه هيا بنا الى الغزو بالقمان . قادهم بتهور عبر آبه بطعنات السيوف ولا وخز الرماح أصبح رفاق شبابه شيوخا رحل منهم من رحل واصاب العجز من بقي واحتل مكانهم جيل جديد ليست لهم خبرته ولا جسارته فأضاف هذا مزيدا من الرهبة عليه

وفي إحدى المرات التي كان جالسا يمارس حكمه تحت الشجرة . كان النسر في أعلى وقد بلغت به حالة العجز عن الطيران حد الكآبة . لم يدر لقمان كيف فات عليه ميعاد اطعام النسر . وحين مد يده اليه . أقبل النسر ملهوفا فلم يفطن الى الغصن الضعيف الذي يقف عليه وفي لحظه انكسر الغصن . وسقط النسر على الارض في صوت مكتوم . . وحين هرع لقمان اليه . وجده قد فارق الحياة فصرخ في ألم

ـ يا للمصادفات التعسه

ولم يكن يدري ان معظم انواع الموت هي مصادفات تعيسه .

في عكاظ . . لمسة من الشعر . . ومن الموت . .

صعودا . صعودا في الليل حيث تتوالد الاعمار من رحم الظلمة . العمر الواحد قد يعني الامل الواحد ولكن هذه الاعمار المتعددة هي أيضا خيبات أمل متعددة . . صعودا لاهثا الى أعلى القمم . وهذا الفرخ الصغير في انتظاره . . بأي مصادفة سوف تموت أنت هذه المرة ؟

ولكن لقمان حين أمسكه وعقد الرباط في رحله أحس برعشة . فلم يدر أهي برودة الحبال أم دبيب السنوات الجديدة وهي تسري في عروقه ؟ . . كان الفرخ دافئا . ناعم الزغب . . لن يطير ولن يبتعد . ولن يتعرض للمخاطرة أو للمصادفات التعيسة سوف يصنع له بيتا آمنا لا يمنع عنه الهواء ولا الضوء . .

في صباح اليوم التالي أخذ لقمان يشذب غصون الشجر . ويشد الغصن الى الغصن حتى صنع منها قفصا محكما . أحاط بالفرخ المذعور تقبضه اليد وخرج لقمان الى الناس وهو يحمل رمز عمره الجديد . وبدأ يغير هذا القفص كل عام كلما نما الطائر صنع له قفصا أكبر .

كانت هذه هي أكثر فترات حياته احساسا بالامان . ماتت امرأته العجوز فتزوج من أخرى اكثر شبابا كانت تتطلع نحوه بانبهار ولكن النسر كان يتطلع نحوه بكراهية مكبوتة . يتطلع الى الجبال بحسرة وألم ويظل يلطم القفص بأجنحته طوال الليل حتى يدميها ثم يبقى عاجزا عن الحركة لأيام ولكن لقمان كان ينتصر في كل المعارك التي يخوضها . ويؤكد لحمير ولقبائل العرب ان الموت أبعد من أن يمد اظافره نحوه . ومات اخر الاصدقاء . وآخر الخلان . وكان الاصدقاء الجدد أقل عمرا وأقل خبرة . وكان هذا يعطيه احساسا غريبا بالتفرد أحيانا . وبالوحدة في احايين اخرى ولكن الذي ملأه زهوا هو انتشار صيته في كل قبائل العرب واصبحت

قصائد الشعراء لا تكف عن الاستشهاد بهذا الذي انتصر على الزمن وتمنى انتصارا كانتصاره .

وعندما كان موعد موسم عكاظ وجد نفسه يحمل القفص على ظهر ناقته .. ويسير به الى مكة .. وكان وصوله حدثا كبيرا . خلت الاسواق فجأة من البائعين والشارين واللصوص . وتجمعت كل الوفود من حوله .. ووقف هو يحكي لرؤساء القبائل وفطاحل الشعراء تجربته المتجددة مع الزمن . ولم يحس بالحلقة وهي تضيق بالناس . كل واحد يريد ان يرى النسر عن قرب . أو يلمس ريشه . والنسر ينظر اليهم في غضب وكراهية . وظلت الحلقة تضيق حتى أحس لقمان فجأة بالهواء يمتنع . والاصوات تعلو في هدير متصل والايدي تمتد كالرماح .. صرخ ..

- ابتعدوا . انتم تخنقوننا .. تمنعون عنا الهواء ..

ولكن دائرتهم الضخمة لم تتزحزح . حجبت الضوء ايضا . صرخ الطائر . حرك أجنحته فأمسكوها .. ونزعت كل يد منها ريشة للتذكار . ودار لقمان كالمجنون يدفعهم بعيدا . وتكسرت غصون القفص .. ولكن النسر كان عاجزا . يبحث عبثا عن نسمة من الهواء .. يبحث عن مخبأ بعيدا عن الاصابع التي تندس في لحمه .

ثم هدأت الضجة فجأة .. مثلما تهدأ دائما بعد كل كارثة . ولم يعد يدوي في عكاظ غير ريح الصحراء .. وغير صياح لقمان بن عاد وهو يقول في حسرة :

- قتلتم نسري .. اضعتم عمري .

كان يتهمهم ولكنه كان يعرف في قرارة نفسه .. انه هو الذي سعى به اليهم .

كانت سوداء العينين .. متألقة ..

بدأت حياته مع النسر الرابع بداية عادية . كان يدرك انه لن يستطيع الحصول على كل شيء . وان الحزن المتكرر هو شيخوخة مبكرة . كان قد عرف حكمة الايام . وباح له الدهر بسره . وسعت كل القبائل اليه من أجل المعرفة . ولكن كان مازال عليه ان يتعلم الكثير من يهود بني « كركر » ..

كانوا قبيلة غريبة تسكن في شمال اليمن . تسرى في عروقها دماء فيها مزيج من الغضب والفتنة والشقاق . حاربوا كل ما حولهم من القبائل . وحاربوا انفسهم وبغوا وخانوا . ونقضوا العهود كأن هناك حشرات غريبة تسرى في خيامهم تمنعهم من الراحة والاحساس بالحياة في أمن . كانوا أشبه بكتلة كابوسية سوداء رابضة فوق الرمل الاصفر متأهبة دوما لحرب ما .. أو لفتنة ما ..

ولأنه لم يكن من الممكن السكوت عليهم فقد تألبت القبائل كلها عليهم .. كان الحل الوحيد هو ان يبيدوهم ويتخلصوا منهم . وأحس بنو كركر بالفزع .. حاولوا كل طرقهم الملتوية للايقاع بين القبائل ولكنهم فشلوا .. ارسلوا نساءهم الفاتنات ولكن هذا الحل أيضا لم يجد شيئا . وأخيرا ذهبوا الى حكيمهم « يهودا » الذي كان عائدا لتوه من سوق عكاظ .. قال لهم :

استجيروا بلقمان بن عاد .. فان أجاركم .. أجارتكم قبائل حمير كلها ..

وليس هناك من يقدر على حمير ..

كان هذا هو أملهم الوحيد . أن يعلنوا توبتهم بين يديه .. وأن يبدوا الندم على كل ما فعلوه .. وهكذا هدموا خيامهم . وشدوا رحالهم ، وساقوا قطعانهم .. وساروا اليه في طوفان صارخ .

- أجرنا يا لقمان ..

كان يطعم نسره الرابع وهم يشكون هوان أمرهم والاخطار التي تحيق بهم . كانت وجوههم متشابهة . نفس السحنة اليهودية التي تشوبها صفرة الفزع . ولكنه خلال هذه الوجوه الكثيبة .. رأي عينين تتطلعان اليه . تومضان في داخله .. كانت امرأة وكانت جميلة . وبقدر الزمن الذي عاشه فلم ير مثل تلك الفتنة التي تشع من هذا الوجه . ولم يعلم أنه يوجد على جبال اليمن نجوم بهذا التألق . وكان شيوخ حمير يحذرونه من بني كركر :

- لا تجرهم فهم أهل فتنة وشقاق ..

ولكنه لم يستمع اليهم . أجارهم . وحدد المكان الذي سينزلون به . والأرض التي سيستخدمونها للرعي . وبينما هو يخط حدودهم بطرف رمحه وجد المرأة أمامه فهمس لها .. أتتزوجينني .. قالت هذا ما جئت إليك من أجله ..

كان اسمها « سوداء » أخذها وصعد بها الى كهف في أعلى الجبل . أقرب ما تكون الى نسره والى النجوم التي تتألق في عينيها . لم يكن صغيرا في العمر ولكنه أحس بالغيرة . وكانت هي تتطلع الى هذا العمر الذي يتراكم على كاهله دون شيخوخة .. ولم تملك الا أن قالت في حسرة ..

- سوف أتحول أنا الى عجوز .. وتبقى أنت كما أنت لتتزوج من امرأة أخرى كان يحبها حتى اعتقد أنه سوف يقاسمها أعمار النسور ..

- بل سوف تمتزج روحانا ويستطيل عمرنا معا .. ولكنهما كانا بعيدين . كل منهما ينتمي لعالم آخر . وزمن آخر .

حاکم

كانت تحلم بالسنوات القليلة الماضية لكنه كان يهذي بحكمة القرون الطويلة .

ولابد أن جمال « سوداء » قد ازداد بعد الزواج . فقد رآها « الهمسيع » ابن سيد بني كركر . . لعله لم يفطن الى وجودها بين نساء القبيلة الا بعد أن اختارها لقمان . . ولكنه عندما رآها ذات مرة وقد هبطت من كهفها العالي لتزور أهلها صمم على أن ينالها

جمع شيوخ القبيلة ودهاتها وقال لهم بصراحة :

ـ أريد امرأة لقمان . . صاحوا في فزع . . ماذا . . انه سيدنا . وحامينا . هو الذي أنقذنا من شر الابادة قال في تصميم

ـ اذا لم تساعدوني قتلته وجعلت حمير هي التي تبيدكم من على وجه الأرض هذه المرة

كانوا يعرفونه جيدا . أكثرهم شرا وألأمهم نفسا . . كانوا يعرفون أيضا مدى اضطرام رغباتهم عندما يقفون الى أشياء لا يستطيعون امتلاكها . كأن تهديد « الهمسيع » قد أزاح التراب عن كل الفتن التي حسبوا أنها ماتت فاذا بها تتلظى بداخلهم كالجمر ورغم أنهم انصرفوا من المجلس مترددين الا أنهم حين عاودوا الاجتماع مرة أخرى كان كل واحد فيهم يحمل في داخله فكرة ما . .

اعترض بعضهم . ذكرهم بفضل لقمان عليهم . لكن معظمهم لم يبالي نزعوا ثوب الخمول واستيقظت داخل كل منهم روح اليهودي القديم الذي يمكن أن يدمر المعبد فوق رأسه

وعندما وضعوا ملامح المؤامرة تقافزوا في نشوة . . ثم أسرعوا الى لقمان وهم يبكون :

ـ انقذنا يا لقمان لقد حميتنا من شر الآخرين فاحمنا من شر أنفسنا . . نظر اليهم في دهشة . قالوا انهم عندما كانوا يحاربون الآخرين كانوا قوة واحدة ولكنهم الآن مهددون بالحرب فيما بينهم وهتف شيخ كبير منهم .

ـ لقد جمعنا رماحنا وسيوفنا وجعلناها حزمة واحدة . احملها الى بيتك واحفظها بعيدا حتى نكون دائما عزلا لا نقوى على القتال . وكان هذا الاقتراح ادعي لزيادة اطمئنان لقمان . واطمئنان معارضيه من حمير

من يصدق ان بنى كركر في هذه المدة الوجيزة قد نبذوا القتال ؟

كانت حزمة الرماح كبيرة ولم يكن هناك مكان آمن الا مغارته في أعلى الجبل ورفعوها معه حتى أوصلوها الى باب المغارة . وكانت سوداء تتأمل هذا الحمل الثقيل في دهشة . وأدهشتها أكثر تلك الابتسامة الخبيثة التي رأتها على وجوه قومها وهم يؤكدون عليها أن تعتني بهذه الكومة من الاسلحة .

وغاب لقمان عن كهفه عدة ليال . . ثم عاد ذات مساء . . كان يحمل نسره فوق يده . وعندما وقف على باب الكهف رآهما معا على فراشه . كانت النار خابية . وحزمه السلاح مفكوكة . والخيانة مريرة . ودون أن يدري كان يضغط بيده . شيء حي يتقبض لحمه . . أم لحمها . . حدقت المرأة في رعب . وقفز الهمسيع وكان السر قد سكن في يده . . لم يكن لهما مهرب فقد كان لقمان يسد بجسده فتحة الكهف . . وصرخت المرأة فرفعها والقاها على جدران الكهف الصخري وأمسك الرجل واعاده الى حيث جاء الى حزمة الاسلحة وربطها بأحكام ثم رفعها والقاها بأقصى قوته من أعلى مكان في الجبل . . ولكنه كان قد فقد الكثير . .

لم يعد الغضب كافيا ولا الانتقام من بني كركر . كانوا يرتعدون كعادة اليهود . . في لحظة الضعف . بكوا . . لم نكن نعلم . . لقد خدعنا . . كانوا يكذبون . . ولكن لقمان لم يكن يريد المزيد من الدماء المسفوكة طلب منهم أن يرحلوا أن يحلوا خيامهم ولا يبقوا خلفهم أي أثر يذكره بتلك التجربة المريرة

وعندما نظر الى صفحة الماء رأى علامات الشيخوخة للمرة الأولى كأن وجهه جبل صلد قد تشققت صخوره فكر . . انني ما أزال على منتصف عمري الموعود باق من النسور ثلاثة . . ولكنه كان يدرك أن كل نسر من النسور الأربعة الماضية أخذ أمام سنواته شيئا من هدوء نفسه واستقرار روحه

ما أصعب البداية للمرة الخامسة . .

دفن النسر وتركهم يدفنون المرأة . هجر الكهف وعاد الى قومه من أهل حمير وظل ساهرا للفجر حتى جاءته الأصوات :

ـ يالقمان المغرور ببقاء النسور . . لك في الجبل الأيسر . بين منبت الشث والعرعر . فأخرجه واستبشر فبطاعتك قد أمر . والى الموت يسير البشر . . الموت . . الى متى يظل في ملاحقته . صعد الجبل الأيسر . . زادت الصعوبة وأصبح لهاثه ثقيلا . . الفرخ الصغير يطل عليه . . لم تعد هناك براءة في الاكتشاف . . أنت الميسر الباقي . . بقاء الدهر . . أمنيات . . وكم خدعته الأمنيات وهبط الى حمير وهو يحمل عمره الجديد على يديه . .

للمرة الخامسة يبدأ من جديد . . أقنع نفسه أنه مازال قويا فقاد قومه الى غزوات جديدة . ضد قبائل ضعيفة .

وتزوج امرأة غير جميلة . وبنى بيتا عاليا في مكان عال . ولم يدخل فيه رمحا واحدا .

وسقطت على اليمن أمطار كثيرة . . شربتها الأرض . . أو تحولت الى سيول في أحيان أخرى . وغابت في القبور وجوه كثيرة . وخرج من الأرحام خلق جديد وكلهم عاشوا في ظل اسطورته . والنسر الذي لايكف عن الحومان فوق رؤوسهم كان يكبر دون أن يعكر صفوه أي حادث . . ربما لأن لقمان هذه المرة لم يأخذ أي حيطة من أي نوع . . ولأول مرة يرى لقمان نسره وقد أصابه الهرم . . وقد تساقط ريشه وأصبح عاجزا عن الطيران . . وبدأ الزمان يمر ببطء قاتل . . كان يصيح حتى يأتي لقمان ويصعد به الى احدى القمم العالية . . ويجلسان سويا تحت السماء ساكنين . . يريان العصافير والطيور الصغيرة وهي تجوب في كل مكان .

وفي ذات مرة تحرك النسر من تلقاء نفسه . واعتقد لقمان ساخرا انه سوف يحاول الطيران مرة أخرى . . ولكن النسر كان يمضي الى حافة الجبل . حاول لقمان أن يلحق به ولكن النسر كان أسرع منه . القى بنفسه من فوق الحافة العالية . وصرخ لقمان . وهبط مسرعا . . ولكن الصخور الحادة كانت قد مزقت جسده . .

لم يأت أحد لتعزيته . ولم يأبه أحد بمصابه . سواء كان النسر قد مات أو انتحر فالسنوات الطويلة . والأجيال التي جاءت لم تعد تدهشها هذه الخوارق غير المبررة . ما جدوى أن يعيش فرد واحد كل هذه السنوات مهما كانت قيمة حياته . ولكن لقمان كان ما يزال يسعى . وعندما صعد ليجد نسره السادس كان ما زال قادرا على الحركة . ولكن لم يكن يعرف ان كانت اليمن تدين له بالولاء أم لا . . لم يعد أحد يسمع حكاياته القديمة . . أو يأبه بدرر حكمه . وعندما صحبهم للغزو ظل في المؤخرة . . لم تعد يده تقوى على مسك سيف أو حمل رمح . .

وعاش النسر السادس طويلا . . تساقط ريشه وتغضن بدنه . وانزوى في كهف بعيد . وظل لقمان يبحث عنه حتى وجده ميتا وقد قارب على التعفن . وظلت الاصوات تلح عليه لكي يصعد الى نسره السابع . ولكن سمعه قد أصبح ثقيلا فلم يعرف أين يوجد الفرخ الجديد بالضبط حتى الحت الأصوات عليه من جديد وصعد الجبل في مدة أطول بكثير مما كان يصعد في السابق . ووجد فرخا كبير الرأس مستدير العينين فهتف به . . أنت لبد الباقي المخلد الى الأبد . . وهبط به . وجوه غريبة لاتعرفه . . ولا تأبه به . . أصبحت القبائل غير القبائل . واليمن غير اليمن حاول الزواج مرة أخرى . ولكن امرأة واحدة لم توافق عليه . كانوا جميعا قد هجروا سكن الكهوف وبنوا البيوت والمدن . . وأصبح هو وحيدا مثل طلل قديم . . لا أحد يشاركه طعامه . . ولا أحاديثه ولا أحلامه . والنسر يطير فوق رأسه . . يخبره دوما انه يملك عمرا لم يعد في حاجة اليه . . وعندما هبط الى السوق ذات يوم ورأى موكبا ضخما في وسطه شاب على رأسه تاج من الذهب الخالص . . تساءل من هذا فقال له احدهم . . هذا ملك اليمن . . وصاح لقمان في استنكار . . ولكن . . أنا ملك اليمن . . فانفجر الموجودون جميعا بالضحك . . وضعوا على كتفيه عباءة قديمة . وعلى رأسه قشرة بطيخ . . وأخذوا يشيرون اليه في سخرية . . هذا هو ملك اليمن . . وأسرع لقمان يغادر السوق ويصعد الى الجبل . . لعله يختفي . . ينسى . .

وظل جالسا وحيدا حتى اليوم التالي . وجاء النسر وربض بجانبه . أخذا يطلان سويا على المدينة البعيدة والاقوام العديدين . . انقطع حبل التواصل واصبح الزمان غير الزمان . . تحسس ريش النسر الذي يوشك على التساقط . . كما أصبح عليلا متعبا مثله . . كيف تحمل كل هذه السنوات والتجارب . . كل تجعيدة هي حفرة من ألم . . ونبش من تجربة . . الى متى يمتد هذا العصر بلا فائدة . . الى متى ؟ كانت اصابعه تلتف حول عنق النسر . . والنسر مستكين . . مستسلم كالراضي ، الشمس تغرب كأنها تختنق أيضا . . الوداع ايتها الشمس الغربية . . ضغط . . الوداع ايتها البيوت الحجرية التي أنكرته . . ضغط . . كل شيء قد تغير . . ولا يوجد من يأخذ اكثر من قدره . . لم يصرخ النسر . . كان راضيا . . وظل هو يواصل الضغط . □□

العربي

من ربع قرن

جيال العرب منذ ٢٥ سنة

العدد الثاني يناير ١٩٥٩

وحده من وحدة الله

والعربي اسم
والعربي لفظ
وهو ككل لفظ له معناه بل معانيه .
ومن معانيه الأولى وحدة لكل من تسمى به من أهل الارض .
لقد وحدنا الله ، فكان التوحيد أكبر الايمان . والوحدة العربية يجب ان تنزل من قلوب العرب ، أينما كانوا ، منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين .

لقد مضت على العرب قرون وهم أذلة ، أذلهم من بني الناس أقوام اجتمع فيهم الجشع والـقوة ، والطمـع والأنانيـة ، وقسوا فكانـوا أقسى من ذئاب ، ومكـروا فكانـوا أخبث من ثعالب ، ومخضوا حلب العيش ، فأما الزبد فلهم ، وأمـا اللبن المخيض فللعرب .

وفلسطين لن تنسى أبدا

ومن « جزاء سنمار » وعدهم أن يجعلوا فلسطين لليهود وطنا .... وقصة فلسطين قصة حية ، وستظل حيـة الى آباد ، وستظل حية تلك الصور الشنيعة التي أخرج عليها نساء لنا ورجال وأطفال . أخرجوا من بيوتهم ، وحتى عن ملابسهم وملابسهن ، من مدن كاملة ، تنزع عن صدورهن القلائد ، ومن معاصمهن الأساور ، ويساقون جميعا ، كالبهم تماما ، ويقال لهم ، كما قيل لأخوة لهم من قبل : « الى الصحراء .... الى موطنكم الأول ، وهذا الجمل دابتكم ، سفينة الصحراء » !!

صور من الغدر الرفيع لا تنسى أبدا .... صور فضحت المدنية الحاضرة ، وفضحت رجالها ، بأنهم ليس لهم قلوب ، ولا لها .... صور من الغـدر جعلت النـاس تؤمن في كـل بقـاع الأرض ، انه ليس لما قد يأتيه الانسان من ظلم ـ على قذارة وعلى خسة ـ حد ، وسمعنا بظلامات القرون فتضاءلت الى جانب مـا رأيناه من ظلامـة هذا القـرن ظلامـات القرون ، وفي مـأسـاة فلسطين ، عرفنا لأول مرة ، وأبشع مرة ، معنى الأذناب ، تكون لاستعمار ومستعمرين .

« الدكتور أحمد زكي »

متى يبلغ العـالم رشده ؟

ان العـالم الآن في دور الطفولة ، على الرغم من أنه يغزو الفضاء يحاول أن يصل الى القمـر ، ويـوم يحكم العقـل العـالم ، فيعيش النـاس فيـه سواسية كأسنان المشط في حب واخاء ومساواة ، يومهـا يبلغ العالم سن الرشد . ولكن متى ؟

« أحمد لطفي السيد »

كفاح أربع سنوات

أربع سنوات مرت منذ ابتداء الثورة الجزائرية ، وهي سنوات عصيبـة في تـاريـخ الشعبـين الجـزائـري والفـرنسي عـلى السـواء .... واذا كـان أحـد الشعبين يكافح في سبيل المثل العليا : في سبيل شرف الجزائر وحـريتهـا واستقـلالهـا ، وكـرامتها ، فـان الشعب الآخر يساق الى الكفاح في سبيل القضاء على هذه المثل ، وفي سبيل تدعيم النزوات الفردية والعنصرية وفي سبيل استعباد الشعوب والقضاء على مقوماتها .

« نقلا عن جريدة العلم المغربية »
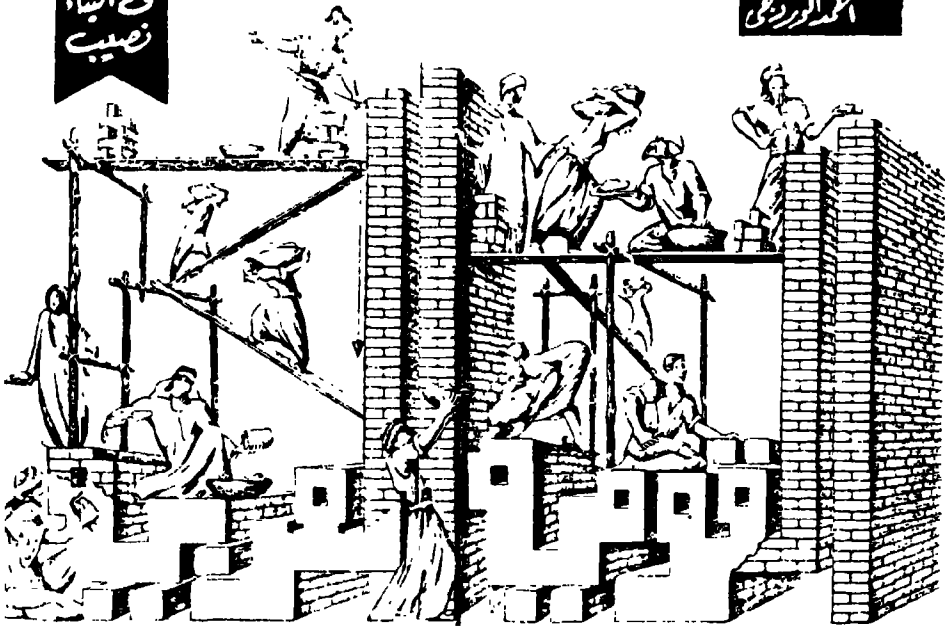
الوحدة العربية . . . . ولكن !

ماذا ينفع العروبة أن تتحرر من الاستعمار الأجنبي دون الاستعمار الداخلي ؟ ماذا تنفع العربي عروبته وبيته من خراب ؟ هذه النقمة العارمة على الاستعمار في دنيا العرب ، من ذا لا يباركها ؟ وأي الناس ـ الا الزنيم منهم والخسيس ـ لا ينقم على « ضيف » يغتصب بيته ، ويروح يتصرف فيه تصرف المالك الحر في ملكه ، ويعامل من فيه معاملة الأصيل للدخيل ، والسيد المطلق للعبد الذليل ؟

ولكن . . ولا بد من هذه الـ « لكن » ، ماذا ينفع العربي اذا هو استرد بيته ، وبيته يكاد يكون خربا ؟

الا مرحى وألف مرحى للوحدة العربية الشاملة . . . . ولكننا اذا شئنا لها الحياة ، فعلينا منذ الآن أن نتعهد العناصر التي ستتكون منها بالصقل والنحت والتشذيب كيما يجيء البناء متجانسا متماسكا ، لائقا بالحياة . .

فأين المهندسون ؟

وأين البناءون ؟

« ميخائيل نعيمة »

انطون تشيخوف

برتولت بريشت

سومرست موم

أطباء ..
ولكنهم أدباء

بقلم : الدكتور أنيس فهمى

☐ ما كادت الستائر أن تسدل على خاتمة المسرحية « اللصوص » التى مثلت في ألمانيا في عام ١٧٨١ حتى أصدر دوق فرتنبرج أمره باعتقال مؤلف المسرحية وايداعه السجن ومنعه من كتابة أى شيء الا ماكان متعلقا بالموضوعات الطبية . ولم يكن ذلك المؤلف سوى الطبيب يوهان كريستوف فريد ريسن فون شيلر الذى كان يعمل وقتئذ جراحا بالجيش الألماني ، ولم يكن قد تجاوز الثالثة والعشرين من عمره ، وكانت هذه المسرحية أولى تجاربه في ميدان الأدب . وقد رد شيلر على أمر دوق فرتنبرج بأن هجر الطب نهائيا وكرس باقى حياته للأدب التمثيلى حتى وصل الى مكانه رفيعة بين كتاب المسرحية العالميين .

يوسف ادريس

ابراهيم ناجي

سعيد عبده

وقد حذا حذو شيلر عدد ليس بقليل من الأطباء الذين سطع نجمهم في عالم الأدب وتلألأ حتى طغت شهرتهم في هذا الميدان على اسمهم في عالم الطب .

وعلى رأس قائمة أولئك الأطباء يتصدر اسم انطون تشيخوف الكاتب الروسي الكبير والذى يعتبر من أعظم كتاب القصة القصيرة في العالم أجمع ومن كتاب المسرح المبرزين . وتتميز كتاباته عموما بانعكاس ثقافته الطبية عليها كما تتميز أيضا بالتعمق في تحليل الجانب النفسي لشخوص مسرحياته وأنماط قصصه .

ومن الأطباء الألمان الذين مارسوا الكتابة للمسرح جورج بوشنر ، والكاتب الكبير برتولت بريشت الذى أرسى المسرح الملحمي ويعتبر أحد رواد المسرح الأوروبي الحديث .

كتاب القصة

ومن بين كتاب القصة العالميين تبرز أسماء الأطباء أوليفر جولد سميث ، وشارلي ليفر الانجليزيين ، والثانى منهما كان معاصرا لشارلز ديكنز ونالت مؤلفاته القصصية شهرة واسعة . ولا يقل عنهما في هذا المضمار وير ميتشيل الذى كان يعمل طبيبا للأمراض العصبية في فيلادلفيا . أما الطبيب الألماني الجنسية الفريد دوبلن الذى اختص بطب الأطفال وطب الأمراض العقلية والأمراض الباطنية واهتم اهتماما كبيرا بالبحوث الطبية في المعمل فيعتبر من كبار الأدباء الذين ظهروا في فترة ما بين الحربين العالميتين . وقد اهتم هذا الطبيب اهتماما خاصا بأدب القصة والمسرحية والرحلات وركز دراساته الأدبية حول الانسان لا بصفته كفرد ولكن باعتباره ظاهرة اجتماعية .

اذا انتقلنا الى ميدان الشعر وجدنا جون كيتس ، وأوليفر جولد وسميث وشيلر وروبرت بريد جز ، وابراهام كولز الذى أصاب شهرة كبيرة في كتابة الأناشيد .

أما توبياس سمولت وفرانسوا رابليه فقد اشتهر كلاهما بالسخرية اللاذعة في كتاباتهما الأدبية . وقد امتازت المقالات التى كتبها كل من جون براون ، وأوليفر وندل هولمز بدقة الملاحظة والعقل المتحرر .

من المؤلفين الأطباء الذين تعتز بانتاجهم المكتبات آرثر كونان دويل رائد القصة الغامضة المليئة بالأسرار وخالق الشخصية البوليسية التى تحمل اسم « شرلوك هولمز » ، وكذلك الكاتب الأمريكي جيمس ماك كوين الذى كتب ثمانية

كتب عن الجريمة بالاسم المستعار جيمس ادواردز .

الكتاب الروائيون :

من أهم الأطباء الذين برزوا في ميدان الرواية سومرست موم وأ . ج . كرونين وفرانك جيل سلوتر ، وهؤلاء اعتزلوا الطب تماما وتفرغوا للأدب . أما جوستاف اكستايين فكان يخصص أربعة شهور في العام لشغل كرسى استاذية علم وظائف الأعضاء في كلية الطب بجامعة سنسناتى ، أما باقى العام فكان يقضيه في كتابة مؤلفات عن حياة الحشرات والحيوانات والانسان . ولا يفوتنا أن نضيف الى قائمة الأطباء الأدباء اكسيل مونته ، ذلك الطبيب السويدى الذى بعد أن فقد بصره وهو في السبعين من عمره أملى كتابا بعنوان « قصة سان ميشيل » الذى قوبل بضجة كبيرة في جميع أرجاء الدنيا حتى أنه ترجم الى خمس وعشرين لغة في مدى عامين فقط من ظهوره .

كما لا يفوتنا أيضا أن نذكر البرت شفايتزر ، ذلك الفيلسوف الدينى الألمانى الذى هاجر الى مجاهل أفريقيا حيث مارس الطب والكتابة في شئون الدين والفلسفة والموسيقى . .

الأطباء الأدباء الفرنسيون

اذا حاولنا حصر الأطباء الفرنسيين الذين مارسوا الأدب فان القائمة ستتضخم تضخما كبيرا ، ولذلك سنكتفى بذكر أشهر الأسماء في القرنين الأخيرين ، وعلى رأس هؤلاء نجد جورج ديها ميل ، ذلك الكاتب العملاق الذى أمد المكتبة الفرنسية بثمانين كتابا ، كما نجد أيضا اميل ليتريه الفيلسوف المؤرخ وأعظم كتاب قواميس اللغة الفرنسية ، وقد ترك لنا قاموسا طبيا قام بتصنيفه بالاشتراك مع روبين فلوبير الذى درس الطب أيضا قبل أن يتفرغ للأدب .

ومن الأطباء الفرنسيين المشهورين الذين اكتسبوا أيضا اسما لامعا في ميدان الأدب كلود برنار عالم الفسيولوجيا الشهير ، ورينيه لبريش جراح الأوعية الدموية ، اللذان آثرا الكتابة فيما يختص بفلسفة الطب وممارسته . ولا يقل عنهما باستير فاليرى رادو الذى اهتم بنشر مجلة عن ذكريات الحرب بالاضافة الى المقالات الأدبية المتعددة والأعمال التى خصصها لترجمة حياة جده العظيم لويس باستير .

وقد يظن البعض أن مهنة الجراحة ـ تلك المهنة الشاقة التى تتطلب عملا مستمرا ـ لا تترك لصاحبها وقتا للكتابة . وهذا صحيح الى حد كبير ، الا أن هنرى مونرور الجراح الذى لا يبارى قد وجد من وقته بعض الفراغ لينتج بعض الأعمال الأدبية الرائعة . وقد انتخب هنرى مونرور وباستير فاليرى رادو عضوين بالأكاديمية الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية .

الأطباء الأدباء من العرب :

من أشهر هؤلاء الأطباء المرحوم أحمد زكي أبو شادى الذى كان وكيلا لكلية الطب بجامعة الاسكندرية وكان أديبا وشاعرا وفنانا وهو الذى أسس « جماعة أبولو » ، والمرحوم ابراهيم ناجى الذى نبغ في الشعر والأدب وكتابة المذكرات ، ولا ننسى قصيدته الأطلال التى شدت بها أم كلثوم ، والمرحوم محمد كامل حسين اخصائى جراحة العظام والمدير السابق لجامعة عين شمس بالقاهرة وصاحب المؤلفات الأدبية الرائعة ، وما زالت روايته « قرية ظالمة » التى ترجمت الى لغات أجنبية كثيرة تتصدر قائمة الأعمال الخالدة ، وقد كرمته الدولة المصرية بمنحه جائزة الدولة التقديرية .

ومن الأطباء المعاصرين لا يفوتنا أن نسجل أسماء الدكتور حسين فوزى صاحب

« السندباديات » ومن كتاب المقال البارزين ، والدكتور سعيد عبده الذى برز في ميادين الزجل والقصة والصحافة العلمية ، بالاضافة طبعا الى الطبيبين يوسف ادريس ومصطفى محمود وانجازاتهما في مجال المسرح والقصة والمقال والكتابات السياسية والدينية معروفة للجميع .

وأخيرا وليس آخرا لا يمكننا أن نغفل اسم امحوتب العظيم اله الطب عند قدماء المصريين والذى كان في الوقت نفسه كاهنا ووزيرا ومهندسا وكيميائيا وأديبا وموسيقيا وعاش في القرن الثلاثين قبل الميلاد .

ما الذى يدفع الطبيب الى ممارسة الأدب ؟

يقول جورج ديهاميل ان اشتغال الأطباء بالأدب ظاهرة تلتمس أسبابها من طبيعة المهنة الطبية نفسها التى تتيح الفرصة للمشتغلين بها أن يشاهدوا عن قرب عددا كبيرا من النماذج البشرية وهى تعانى آلام المرض أو سكرات الموت .

ان مهنة الطب عندما تهيء للأطباء أن يروا الطبيعة الانسانية في حالات المرض وهى عارية من كل الأقنعة التى يكسوها بها الشباب أو المال أو الصحة أو السلطة ، انما تمدهم بذخيرة ثمينة من التجارب والاكتشافات التي لا يتيسر لسواهم أن يعرفوها . وهكذا يجد الطبيب نفسه ، في داخل الحدود التى يفرضها عليه سر المهنة ، مدفوعا الى نقل جزء من خبراته وتجاربه الكثيرة الى أولئك الذين قد يجدون فيها بعض المتعة أو الفائدة أو العظة والعبرة .

ولما كان الأطباء الى جانب خبرتهم بالنفوس والأجسام البشرية ، يحصلون على ثقافة عالية من خلال دراساتهم الكثيرة اللازمة لمهنتهم ، تلك الثقافة التى تفرض عليهم التعود على الكلام أو البحث في مشكلة معينة أو موضوع معين ، لذلك لم يكن من المستغرب أن تمدنا مهنة الطب بقائمة طويلة من الأدباء الناجحين .

ومصداقا لهذا القول يقول سومرست موم في كتابه « تلخيص حياتى » : : « لست أعرف مرانا للكاتب أفضل من أن يقضى بضع سنوات في مهنة الطب . . انك قد تعرف الكثير عن الطبيعة الانسانية في مكتب المحامى ولكنك تلتقى هناك بأناس كاملى السيطرة على أنفسهم . أما الطبيب فيستطيع أن يدرس طبيعة الانسان عارية مجردة ، اذ أن المرض يزيل كل تظاهر وكل تكلف . والى جانب ما أمدنى به تعلم الطب من معرفة بطبيعة الانسان فانه زودنى بالمعرفة بأصول العلم وأسلوب البحث في ميدانه » .

وبالرغم من أن مهنة الطب أمدت الأدب بالكثير من الأدباء الساخرين الا أن الغالبية العظمى منهم لم يجرؤوا على السخرية من مهنتهم الأصلية ، اذ أن كل الأطباء يحملون احتراما عميقا لمهنة الطب ، ويستوى في ذلك الذين تفرغوا للأدب كلية والذين أعطوا الأدب جزءا من نشاطهم . وليس أدل على ذلك من كلمة كتبها جورج ديهاميل ننقلها الى القارىء في السطور التالية :-

« عندما أقف يوما ما ، وقد يكون ذلك قريبا ، أمام أبواب الأخرة سيسألوننى عن جواز سفرى وأوراق تحقيق شخصيتي ومؤهلاتى ، وسيسألنى ملاك عطوف عن مهنتى خلال اقامتى على وجهه الأرض ، وأنا واثق كل الثقة من أننى سأجيبه في الحال : « طبيب » صحيح أننى بذلت جل حياتى في تأليف ما يقرب من ثمانين كتابا ، والناس جميعا يعتبروننى أديبا ، الا أن الطب هو الذي نما في ظله شبابي ، والطب هو الذى فتح عيني على الدنيا ، والى الطب يرجع أفضل ما تعلمته في حياتى ، ثم لا ننسى أن والدى كان طبيبا . وأنى أيضا طبيب واثنان من أولادى وثلاثة من اولاد اخوتى يمارسون الطب . ان « أبو قراط » هو استاذى ، وسأظل أعتبره كذلك وأحييه على هذا الأساس الى أن ألفظ النفس الأخير . » □□

ريمون آرون.. المتفرج الملتزم

بقلم الدكتور : أحمد أبو زيد

☐ كان يقول عن نفسه إنه ينتمي الى ذلك (الصنف) من الناس الذين لا يكفون عن اثارة التساؤلات حول أمور العالم وما يجرى فيه من أحداث . وكان ديجول يصفه بأنه الصحفي الذي يعمل في الكوليج دى فرانس والاستاذ الذى يعمل فى جريدة الفيجارو .

وفي هاتين العبارتين تتلخص كل حياة ريمون آرون واسهاماته ورسالته ونظرته الى نفسه والى الآخرين ، ونظرة الآخرين اليه وموقفه من الحياة ذاتها . لقد أفنى عمره كله باحثا مدققا عن حقيقة الروابط الانسانية ، وجوهر العلاقات السياسية والاجتماعية ، وطبيعة الصلة بين النظرية والفعل ، والفرق بين الميول والاتجاهات العامة التى تسود المجتمعات الانسانية ، والامور العرضية الطارئة فى حياة البشر .

وهذه كلها مسائل صعبة وشائكة ولكنه كان يناقشها فى جدية وعمق مع تلاميذه في الكوليج دى فرانس وفي الجامعة والمعاهد الأخرى التى اشتغل بالتدريس فيها ، كما كان يعرضها بنفس الجدية والعمق فى مقالاته الصحفية الكثيرة ، وفي (عموده) نصف الاسبوعى الذى ظل يحرره طيلة ثلاثين عاما ، بين ١٩٤٧ ، ١٩٧٧ في جريدة الفيجارو ، وقبل ان ينتقل للكتابة في جريدة إكسبرس l,Express ، وكان خلال هذا كله شديد التمسك بالقيم الأكاديمية المتحفظة الصارمة ، سواء في اسلوب البحث والدراسة ، أو فى سلوكه العام وعلاقاته مع الناس ، أو فى احكامه وتقويمه لغيره من المثقفين والمفكرين والفلاسفة والكتاب . فلم تكن كتاباته (الصحفية) تنزل ـ رغم سهولة اسلوبه وتدفق افكاره ـ عن المستوى الاكاديمى الراقى الذى ارتضاه لنفسه ، والذى يجب ان يتمسك به استاذ الجامعة الذى يحترم نفسه وعلمه.ومهنته .

وقد تمكن آرون من أن يحافظ بذلك على

ريمون آرون بريشة كانيا « عن الموند »

نظرته المحايدة الموضوعية وسط ذلك الجو الفكرى المشحون بالايديولوجيا الماركسية ، ووسط الاتهامات التى كانت توجه الى الفكر المحافظ وتصفه بأنه فكر رجعى ومتخلف ، وذلك قبل ان تبدأ موجة المد الماركسى فى الانحسار ، وينصرف كثير من المفكرين الفرنسيين عن الماركسية فى السنوات الأخيرة .

وقد اسهمت كتابات آرون وهجومه العنيف المتصل على الماركسية والمفكرين والكتاب الماركسيين فى الكشف عن بعض نواحى الضعف والقصور فى الايديولوجية الماركسية ، وبالتالى فى انحسار الفكر الماركسى ، بحيث نجد الكاتب الفرنسي الشهير آلان بيزانسون يقول : انك لن تجد الآن كاتبا فرنسيا محترما يصف نفسه بأنه ماركسى .

المفكر المنشق . !

وعلى الرغم من أن ريمون آرون كان يوصف أحيانا بأنه « المفكر المنشق » على الفكر الفرنسي المعاصر نظرا لخروجه وانفصاله عن ذلك التيار الماركسى ، فانه كان يحظى دائما بالاحترام بل والرهبة ، وكان يحتل مكانة رفيعة سواء فى فرنسا أو فى خارجها وبالذات فى أمريكا . وقد وصل ذلك « المفكر المحافظ » الى قمة مجده وذروة الاعتراف به وبمكانته قبل موته بشهر واحد وذلك حين أصدر كتابه « مذكرات » . . . خمسون عاما من التأمل السياسى» . فقد لقى

الكتاب رواجا كاسحا لم يحظ بمثله فى الأغلب كتاب آخر لأي كاتب آخر فى فرنسا خلال هذا القرن ، اذ باع منه ثلاثمائة ألف نسخة خلال ثلاثة اسابيع فقط ، كما أشادت به كل الصحف والمجلات الكبرى فى جميع انحاء العالم المتحضر .

ثم مات آرون فجأة وعلى غير توقع فى اليوم السابع عشر من اكتوبر الماضي (١٩٨٣) اثر ازمة قلبية عنيفة مفاجئة وهو فى الثامنة والسبعين . وكان لموته وقع الصدمة التى أصابت المثقفين بالذهول . وتثير وفاته الآن كثيرا من التساؤلات حول الوضع الثقافى فى فرنسا ، بعد ان مات فى السنوات القليلة الأخيرة كل ذلك العدد من كبار الكتاب والمفكرين ، ابتداء من « رولان بارت » الى « سارتر » الى « جاك لاكان » ثم « أراجون » بحيث لم يبق من جيل المفكرين العظام سوى « كلود ليفى ستروس » .

ومن الطريف ان آرون كانت له فى أواخر حياته بعض التعليقات الساخرة التى لا تخلو مع ذلك من الصدق والعمق عن الحياة الفكرية فى فرنسا وعن مكانة ودور المثقفين الفرنسيين الذين لم يسلم معظمهم ـ بما فيهم سارتر نفسه ـ من هجومه ونقده .

فحين لاحظ احد الكتاب الانجليز ان الفكر يلعب فى حياة فرنسا دورا لا يقل عن دور الحب والطعام ، أردف آرون قائلا : ان ثمة فارقا أساسيا بين الانجلو سكسون والفرنسيين ، فالانجلو سكسون يهتمون فى المحل الاول بوضع وابتكار النظم الاجتماعية والسياسية التى تفيدهم فى حياتهم العملية الواقعية . أما الفرنسيون فانهم يعملون على ترجمة هذه النظم الى افكار خالدة .

ومع ذلك فان المثقفين الفرنسيين يعيشون فى الوقت ذاته ـ وحسب تعبيره ـ فى حالة تمزق شديد بين طموحهم وتطلعهم الى العالمية ونزعتهم للاهتمام بالاوضاع المحلية والموقف الداخلي فى فرنسا ذاتها ، وبين تعلقهم بالأفكار والآراء الديمقراطية ، وولعهم بالقيم الارستقراطية ، وبين حبهم للحرية وتمردهم على سطوة الحضارة الامريكية وتفوقها ، وبين تمسكهم بالمبادىء الأخلاقية وسخريتهم المريرة من كل شيء .

ونتيجة لكل هذه الصراعات والتناقضات كان المفكرون ـ فى رأيه ـ شيئا أكبر من حقيقتهم .

مفكر البرجوازية !

ويوصف ريمون آرون فى الدعاية السوفيتية بأنه « المفكر الايديولوجى الرئيسى للبرجوازية الفرنسية » . ولكن الواقع الأكثر انصافا ـ كما يقول بيير مانان **Pierre manent** هو أن نصفه بأنه مفكر يهتم بالوصول الى فهم أكثر عمقا واتساقا للمجتمعات الحديثة ، شيوعية كانت أو ليبرالية ، وانه اذا كان قد تعرض بالهجوم العنيف فى الخمسينات على الستالينية ، وهاجم ثورة الطلاب عام ١٩٦٨ وانتقد بعنف وحدة فى كتابه « الثورة المراوغة **La revolu- tion Introuvable** موقف زملائه من الأساتذة الجامعيين الذين آزروا هذه الحركة ، فانه كان فى الوقت ذاته يعارض الاستعمار الغربي ويندد به ويساند الثورة الجزائرية ، بل كثيرا ما كان يعارض سياسة ديجول الخارجية .

ومهما يكن من شيء فان الرأى الغالب عن ريمون آرون هو أنه مفكر ليبرالى واقعى يميل الى محاولة التوفيق والمصالحة والتمسك بالقيم التقليدية الراقية .

ومن هنا كان الرأى بأنه يمثل مدرسة أخذت تطفو على السطح فى السبعينات ، وتنادى بأن كل ما يعانيه النظام الديمقراطى من خلل أو اضطرابات لا يمثل عوائق تعطل من سير الحياة أو تبرر نبذ الديمقراطية ككل ، بقدر ما يمثل جزءا أساسيا وجوهريا بل ومرغوبا فيه بالنسبة لعملية الحياة ذاتها .

ريمون آرون

حياة ريمون كلود فردينان آرون ـ وهذا هو اسمه بالكامل ـ لا تكاد تختلف عن حياة الكثير من المفكرين والكتاب والفلاسفة الفرنسيين الذين أفلحوا فى فرض اسمائهم وافكارهم على الحياة الثقافية فى فرنسا وخارجها بعد الحرب العالمية الثانية . فقد تلقى تعليمه فى الايكول نورمال سوبيريور (مدرسة المعلمين العليا) بباريس حيث تخرج عام ١٩٢٨ . وكانت ميوله واتجاهاته المبكرة نحو الميتافيزيقا ، ثم اتجه تحت تأثير استاذه العظيم ليون برنشفيج لدراسة العلوم البيولوجية ، ولكنه لم يلبث ان أدرك ـ كما يقول هو نفسه ـ ان من الصعب على غير علماء البيولوجيا ان يبتكروا نظريات بيولوجية ، بينما يمكن للفيلسوف ان يفكر ويتأمل ويبتكر فى أي موضوع يروق له ، سواء كان ذلك فى مجال الدراسات الطبيعية أو الاخلاقية أو التاريخية . وقد اختار ريمون آرون لنفسه السير فى درب العلوم التاريخية .

آرون وسارتر

فى الايكول نورمال التقى آرون مع « جان بول سارتر » وقامت بينهما صداقة قوية ، واتجه الاثنان نحو الفكر الالماني ، ولكن بينما اكتشف سارتر اعمال « هوسرل دهايد جر » اهتم آرون بأعمال وكتابات علماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ الالمان ، من أمثال « ماركس فيبر » و « فيلهلم ديلتاى » و « هاينريسن ريكرت » و « جيورج زيمل » . واتيحت له فرصة التعبير عن ذلك الاعجاب بهم فى رسالته للدكتورية التى نشرها فيما بعد عام ١٩٣٨ بعنوان « مقدمة فى فلسفة التاريخ » ، وفيها أمكنه عن طريق التحليل التفصيلي الشامل للوضع التاريخي للانسان أن يصل الى نقد مقنع لفلسفات التاريخ الحتمية .

وقد ظل في كتاباته كلها يركز على تبيين وابراز التفاعل بين التجربة التاريخية والارادة السياسية ، ويبتعد تماما عن كل انواع وصور الحتمية التاريخية ، ايمانا منه بأن التاريخ له « نهاية مقترحة » حسب تعبير « ميريام برنهايم كونانت » في مقالها عن آرون فى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية .

ولكن رغم تأثره بكل هؤلاء الكتاب الاجتماعيين الالمان ، فان اعماله اتخذت منحى جديدا مختلفا ، اذ بدأت تناقش وتخاطب مشكلات القرن العشرين الواقعية والملحة .

والواقع انه بدأ يهتم بتشنجات ومشكلات وارهاصات هذا القرن ، منذ ان كان يعمل مدرسا للفلسفة فى المانيا ، وشاهد قيام الهتلرية ، وظهور الاشتراكية الوطنية ، وماصاحبها من احداث أثارت التشاؤم فى نفسه حول الوضع الانسانى . وهو تشاؤم ظل ملازما له طيلة حياته ، وجعله يكفر بالحزب الاشتراكى الذى كان قد انضم اليه لفترة قصيرة ، كما كفر

بالأخلاقية اللاتاريخية التي قد اعتنقها أيام الجامعة .

وقد تولى آرون التدريس بجامعة كولونيا بالمانيا الغربية ، عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣١ ، ثم بالمعهد الاكاديمي الفرنسي ببرلين (١٩٣١ ـ ١٩٣٣) ، وذلك قبل ان يعود الى فرنسا ويتولى منصب التدريس في عدد من الجامعات والمعاهد العليا ، ابتداء من « ليسيه الهافر » (١٩٣٣ ـ ١٩٣٤) الى مدرسة المعلمين في سان كلو (١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) الى جامعة تولوز (١٩٣٩) .

وحين قامت الحرب العالمية الثانية التحق بسلاح الطيران الفرنسي ، ولكن بعد سقوط فرنسا ، عمل مع قوات فرنسا الحرة بقيادة « ديجول » في لندن ، وتولى تحرير صحيفة « فرنسا الحرة France Libre» ثم عاد بعد الحرب الى الحياة الأكاديمية والى التدريس ، واخيرا شغل كرسي الاستاذية ، بالكوليج دي فرانس اعتبارا من عام ١٩٧٠ .

ولم يتوقف خلال هذا كله عن الكتابة للصحافة ، وقد بدأ عام ١٩٤٦ يكتب في جريدة Combat اليسارية ، ولكن ذكرى معسكرات النازي ، وقسوة الستالينية ، ثم دراسته المتعمقة للاقتصاد ، جعلته يبتعد عن الاشتراكية ، ويتحول بالتالي الى العمل في جريدة « الفيجارو » المحافظة ، ويتخذ منها منبرا لتعليقاته السياسية ، ومهاجمة النزعة التاريخية التي كانت تسيطر على تفكير وكتابات المفكرين الماركسيين .

ثم انتقل كما ذكرنا من قبل الى جريدة « الاكسبريس » التقدمية وارتبط بها حتى وفاته . وخلال كل هذه السنوات الطويلة لم ينصرف عن العمل في الجامعة وان كان عمل لفترة قصيرة مساعدا « لأندريه مالرو » في وزارة ديجول الاولى ، ولكنه سرعان ما انفصل عنه لكي يحافظ على مكانته وعلى موقفه كمراقب ، أو « متفرج » ملتزم .

ولقد درج معظم الذين كتبوا عن آرون على عقد المقارنات بينه وبين فيلسوف فرنسا الكبير « جان بول سارتر » لابراز أوجه الأختلاف بينهما ، وعلى الاخص تعارض وجهات نظرهما ومواقفهما من النظام السوفيتي ، وهو التعارض الذي أدى الى انقسام خطير في الحياة الفكرية في فرنسا .

والمعروف أن آرون قطع علاقاته ـ بسبب هذا التعارض ـ مع سارتر منذ أواخر الأربعينيات ، وانه بدأ ينتقد مواقفه وآراءه السياسية التي كان يعتبرها فجة وساذجة ، وانه تعرض لهذه الآراء في اتزان وتحفظ في كتابه « أفيون المثقفين » الذي صدر عام ١٩٥٥ ، والذي يعتبر أشهر كتبه على الاطلاق .

ولم يكن الهدف الأساسي من هذا الكتاب هو الهجوم على الشيوعية أو على المفكرين الذين سمحوا لعقولهم بأن تتحجر وتتجمد داخل قوالب حديدية جامدة ، بقدر ما كان موجها ضد « التقدميين » الذين كانوا ينقبون ويفتشون عما يعتقدون انه من مثالب ومساوىء وعيوب الديمقراطية الغربية ، ويعملون على تضخيمها في الوقت الذي يغضون فيه الطرف عن (جرائم الدولة الماركسية) ويتناسون المثل العليا التي يؤمن بها اليسار ، والتي يؤمن هو نفسه بها .

وعدد كبير من كتبه الأخرى يصدر عن نفس هذه النظرة النقدية لموقف المفكرين والكتاب (التقدميين) وتشيعهم للنظم الشمولية كما هو الحال في كتابه (الديمقراطية والشمولية) الذي صدر عام ١٩٦٥ ، وكتاب (الثورة المراوغة) ، ثم كتابه الذي يهاجم فيه الفيلسوف الماركسي البنائي « التوسير » والذي صدر عام ١٩٦٩ بعنوان (من عائلة مقدسة الى عائلة أخرى) وليس أدلّ على مدى عدائه للنظم الشمولية وللماركسية من استقالته من وظيفته بالسوربون عام ١٩٦٨ ، احتجاجا على عجز الاساتذة من اتخاذ موقف صارم وحاسم من حركة الطلاب .

الى أن خصومته لصديقه القديم سارتر كانت

من نوع آخر ، وقد استمرت حتى نهاية العمر . ومع انهما افترقا تماما منذ أواخر الاربعينات ولم يلتقيا سوى مرة واحدة فى لقاء عابر وسريع عام ١٩٧٩ ، أي قبل موت سارتر بسنة واحدة ـ فان خصومتهما الفكرية ، اتخذت شكل الجدل والحوار العنيف المتبادل من خلال المقالات والمحاضرات والكتب ، بحيث يمكن القول انه على الرغم من اختلافهما الايديولوجي ، فان كلا منهما كان يلعب دورا هاما فى حياة الآخر .

وآرون نفسه يقول فى ذلك : ان الخصومة والخلاف هي شكل من اشكال « الوجود معا » وعلى أية حال فاذا كان سارتر يبدأ من الافتراض الوجودى ، بأنه يتعين على كل شخص أن يحدد قانونه الاخلاقى الخاص به ، ووصل الأمر به الى حد المناداة بالالتزام بقضية الماركسية الثورية ، فان آرون كان ينادى بنوع من التعددية الليبرالية ، ويرفض ان ينساق وراء الدعاوى النظرية الجارفة التى كان يتحمس لها المثقفون فى فرنسا بعد الحرب ، وكان أشد ميلا الى الارتباط بالواقع التجريبي ، وبذلك كان يبدو (غريبا) عن المناخ الفكرى العام السائد فى فرنسا ، مما كان يدفعه بالتالي الى ان يعيش فى عالمه الخاص ، وان كان ذلك لم يمنعه قط من أن يكون مؤثرا وفعالا فى حركة الفكرة ، واختلاف نظرة المثقفين الفرنسيين الى سارتر وآرون والتغيرات التى طرأت على هذه النظرة تعطى فكرة واضحة عن قصة التاريخ الفكرى والثقافي فى فرنسا على ما يقول « سكوت سوليفان » . فقد كان الغموض والتألق والحماس المشبوب فى التفكير أكثر قبولا لدى الرأى العام المثقف فى فرنسا من التحليل المنطقى المنهجى المتزن الرزين ، وكانت قبضة الماركسية قوية وشديدة الوطأة على الفكر الفرنسى ، لدرجة أن أى خروج عليها كان كفيلا بأن يؤدى الى (النبذ) أو الطرد من مجتمع الانتلجنتسيا ، ثم أخذ الوضع يتغير بسرعة فى السبعينات نتيجة هروب عدد من العلماء والمفكرين السوفييت من الاتحاد السوفيتى ، اعتبارا من الستينات ، ثم مراجعة المفكرين والمثقفين الفرنسيين لأنفسهم وإعادة النظر فى مواقفهم فى ضوء هذه الاحداث .

والظاهران هذا هو ما كان آرون يتوقعه وهو يكتب (أفيون المثقفين) الذى يشير فيه الى انتهاء عصر الايديولوجيات ، والى قرب زوال الماركسية كآخر نسق ومع ذلك فانه كان يخشى أن يؤدى انحسار الماركسية الى قيام نزاعات وتيارات يمينية متطرفة تعادى الفكر الحر ، وتلحق به من الضرر والأذى أكثر مما سببته الماركسية ، وقد أخفق اليمين على أية حال حتى الآن فى ان يجد بديلا يحل محل اليسار بطريقة مرضية ومقنعة ، ومن هنا كان تشاؤمه ومناداته بضرورة الالتجاء الى حكم العقل والاعتدال بعد أن انحرف العالم وسار طويلا في طريق اللاعقلانية والتطرف .

ويكفينا من هذا كله ان نتذكر أن فلسفة آرون تقوم اساسا على الايمان بأهمية الحرية وقيمتها فى الحياة ، وفاعلية العقل الانساني وأثره فى التاريخ ، لو كان هذا الأثر محدودا للغاية . ولقد كانت مشكلته الرئيسية خلال حياته وفي علاقاته هى مشكلة الليبرالية ذاتها ، التى تطالب بالالتزام بالمبادىء المطلقة من ناحية ، والتوفيق القائم على التعقل وحسن الفهم وسلامة الادراك من الناحية الأخرى .

ومهما اختلفت الآراء حول ريمون آرون فانه يعتبر ـ بحق ـ شاهدا على عصره ودارسا لهذا العصر . والرأى السائد الآن هو أن آرون مفكر عالمى بكل معاني الكلمة . وانه لم يكن يتجه فى كتاباته الى الجماعة أو الدولة أو السلالة العنصرية أو الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها وانما كان يخاطب الانسانية ككل . واذا كانت بعض الاوساط الثقافية فى فرنسا وقفت منه موقفا عدائيا نظرا لمعاداته السافرة للماركسية ، فان نفس هذه الاوساط تعتبره الآن أحد الصروح الضخمة فى الفكر الفرنسي . وفي هذا الاعتراف نوع من رد الاعتبار اليه ، حتى بعد أن مات . □□

المواجهة

بين الثقافة العربيّة والثقافة الإسرائيليّة

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

□ يقدم الدكتور حسام الخطيب إجابة على السؤال الهام : ماذا أثمرت المواجهة بين الثقافتين العربية والاسرائيلية ؟ ويتابع مخططات اسرائيل فى العمل على تجريد الأرض المحتلة من هويتها القومية ، كما يبرز معالم سياسة القمع الثقافية . .
ولكن ماذا كانت النتيجة حتى الآن ؟ !

١ - مع اشتداد حملة القمع الصهيونية يزداد اصرار مثقفي الأرض المحتلة على اثبات وجودهم بشتى السبل ، فهم مثلا يحاولون العمل من خلال الروابط والتجمعات الأدبية ، ويؤثرون العمل الجماعي على العمل الفردي لأنه يمثل حماية لهم ، وتظهر في بعض الأحيان أعمال ابداعية مشتركة (مجموعات قصصية) مثلا . وقد شهدت الثمانينات تطورات مهمة في هذا المجال منها انعقاد المهرجان الوطني الأول للادب الفلسطيني في شهر آب من عام ١٩٨١ والاتفاق على عقده سنويا في القدس كل عام . وفعلا انعقد في هذا العام (١٩٨٢) المهرجان الثاني وكان تظاهرة أدبية وطنية صارخة ، وتنظم هذا المؤتمر اللجنة الادارية لدائرة الكتاب في جميعة الملتقى الفكري العربي في القدس . وقد تم طبع وقائع المؤتمر في كتاب توثيقي . ويلاحظ الأستاذ انطوان شلحت وجود ملامح ايجابية أو سمات خاصة للحركة الثقافية الفلسطينية أبرزها التعلق بالقضية الوطنية الكبرى وتفضيل طريقة العمل الجماعي وأخيرا الحرص على وحدة المنبر الثقافي الفلسطيني بحيث ينشر الأديب انتاجه في مختلف المجلات والصحف مثل (الكاتب) و (الفجر) و (البيادر) و (التراث) و (المجتمع) وغيرها ، أي أن المجلات الفلسطينية مفتوحة لجميع الكتاب ، ولا تختص بكاتب أو مجموعة كتاب . ويستغرب المرء بالفعل مقدرة هذه المجلات على الاستمرار والتزايد في وجه التدابير الصهيونية وليست هذه المجلات أدبية على وجه الحصر فهي تتسع لمعالجة مختلف القضايا الوطنية لأنه يصعب في الأرض المحتلة فصل النضال الوطني عن القضية السياسية ، وعلى سبيل المثال أعلن في تشرين الثاني ١٩٨٢ عن صدور العدد الأول من مجلة (العودة) الأسبوعية التي تصدر في القدس الشرقية المحتلة ، وأعلن رئيس تحريرها ابراهيم كريم انها ستوزع في جميع الأراضي المحتلة وانها

ستنشر معلومات حول مشكلات الفلسطينيين والأراضي المحتلة ، وأنها تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

ان النشاط الفكري والأدبي في الأرض المحتلة دائب متعدد الوجوه ، ويبرز في المجال الادبي بوجه خاص الشاعر المجد علي الخليلي وكذلك الشاعران أسعد الأسعد وخليل توما ، والقصاصون جمال بنورة وأكرم هنية وابراهيم العلم ومحمد البطراوي وغيرهم . ومن الشعراء الناشئين الذين يبشرون بدور خاص للجيل الجديد تبرز أسماء مثل عبد الناصر صالح وماجد الدجاني وسميح فرج ومحمد شريم .

رغم حِراب الاحتلال

٢ ـ على الرغم من سنوات الظلام الدامس التي أعقبت نكبة ١٩٤٨ فقد ظلت الثقافة العربية حية في نفوس الأقلية التي بقيت في الوطن المحتل .

ومع بزوغ الثورة الفلسطينية وعودة الروح الى الشعب المشرد عادت الروح الثقافة الى أهل النكبة الأولى وبرز عرب عام ١٩٤٨ يقدمون للوطن العربي وللعالم أدبا جديدا مؤثرا يشكو ويتألم ويناضل ولكنه لا يكشف عن عقد مرضية ولا يسقط في قوالب الأسلوبية ولا يبدد طاقته من خلال الخطابية (ربما باستثناء البدايات كما هو متنظر) انه الأدب الرائد في مرحلتنا العربية المعاصرة . ويكفي أن يذكر المرء محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد واميل حبيبي وكثيرين غيرهم . وصحيح أن هناك مجموعة من عرب الأرض المحتلة كادت بسبب محنة الحياة هناك ، تبتعد عن ثقافتها ولغتها ولكن موجة الوعي الوطني تبدو الآن أقوى من أي تخاذل .

بل تبدو الآن حركة الثقافة لدى هؤلاء متجهة الى ما يمكن أن يكون نشاطا تعويضيا عما مضى .

٣ ـ استطاعت الثقافة الفلسطينية في الضفة الغربية والقطاع أن تتطور رغم حراب الاحتلال ، باتجاه العمق والأصالة والوطنية . وأن تعوض عما كان ينبغي أن تفعله في مراحل سابقة ، وتمثل قصص سحر خليفة ما وصلته القصة الفلسطينية من تطور فكري فني مرموق . وان كانت هذه الظاهرة غير مطردة . كما خرجت الثقافة الفلسطينية عن نطاق الشعر والنثر مع الاعتراف بما حققه الأدب من تطور ، وتفتحت فيها نشاطات مسرحية وتشكيلية وفولكلورية ، وتم تركيز الأضواء على الثقافة الشعبية والتراث الشعبي والمسرح .

وعلى الرغم من ظروف القمع الصعبة دخل المسرح الفلسطيني في السبعينات مرحلة تطور جديدة ، وتتعدد الفرق المسرحية في الأرض المحتلة وتركز نشاطاتها على تغذية روح المقاومة وفضح خطط العدو الصهيوني لابتلاع الأرض واستلاب النفوس ، ويخدم التعدد قضية استمرار المسرح الفلسطيني ، اذ تصدر باستمرار أوامر الحاكم العسكري الصهيوني بوقف نشاط هذه الفرقة أو تلك أو منع هذه المسرحية أو تلك فتقوم الفرق الأخرى بالتعويض ولهذا التعدد تفسير آخر ايجابي هو انتشار النشاط المسرحي على مستوى القرى والأحياء والمدارس والجامعات . وقد توجت نهضة المسرح الفلسطيني في شهر آب عام ١٩٨٢ باقامة أول مهرجان مسرحي عربي شاركت فيه خمس فرق نشيطة وتم تكوين لجنة تحكيم مؤلفة من مسرحيين وممثلين وكتاب مهتمين بالمسرح لاختيار أفضل ثلاث مسرحيات توزع عليها جوائز المهرجان .

وبالطبع تعتبر مسرحية (لكع بن لكع) لأميل حبيبي من أبرز النصوص المسرحية الفلسطينية المتوفرة بين أيدينا . وهي تحمل شاهدا جديدا على مدى فعالية النشاط المسرحي في مقاومة الغزو الثقافي والحفاظ على الشخصية الثقافية الوطنية .

أدب القضية

٤ ـ يزداد تمسك الأرض المحتلة بالثقافة الفلسطينية يوما بعد يوم ويشكل تحديا عنيدا للسياسة الثقافية الصهيونية القائمة على تحقيق عزل ثقافي داخل الأرض المحتلة ، ويتصيد الناس ما يصلهم من قطرات الثقافة العربية بشوق وظمأ ويحمل انتاجهم طابعا ثقافيا عربيا قويا وامتدادا شديدا بأصالتهم وتراثهم ، ولا يسمحون بتداخل هذا الموقف مع ظاهرة المرارة النفسية السائدة في الأرض المحتلة بسبب وجود شعور عام بإمعان العرب في التخلي عن نصرة أهلها المعذبين . كما تكشف الثقافة العربية الفلسطينية هناك عن حرص شديد على الاحتفاظ بجسر متين من الاتصال مع ثقافة الشتات .

ويتم ذلك عن وعي وتركيز كما تكشف الاجابة التالية للكاتب انطوان شلحت عن سؤال بهذا الخصوص ، مع العلم أن الكاتب نفسه مثل جيد لهذا الموقف اذ أصدر كتابين توثيقيين يعبران عن قوة تلاحم الثقافة الفلسطينية العربية في الداخل والخارج وهما :

ـ كنفاني ـ الرجل تحت الشمس

ـ أبو سلمى ـ الرمز والقصيدة .

ولا بأس من أن نثبت هنا اجابة انطوان شلحت على سؤال حول صلة أدب الأرض المحتلة بأدب المقاومة الفلسطينية اذ أن هذه الاجابة تلخص موقفا واعيا وعينيا . يقول شلحت :

بالاضافة الى التلاحم الثقافي بين حركتنا الفلسطينية التقدمية وبين الحركة الثقافية في الأرض المحتلة هناك تلاحم بين الحركتين من جهة وبين الحركة الثقافية الفلسطينية في المنافي . نحن نعتز بهذه الحركة وننشر باستمرار نتاجاتها الجيدة والاخبار حول حركتها التصاعدية .

وعبر اطلاعنا على الملفات الثقافية التي تتضمنها المجلات الفلسطينية المختلفة وعلى عدد من المجموعات الادبية التي تيسر لنا الاطلاع عليها يمكن القول : ان أدب المقاومة الفلسطينية في المنافي هو أدب قضية ولم يعد أدب بكائيات ، انما يرتفع باستمرار الى حجم المواجهة المباشرة مع التحديات السياسية والاجتماعية والحضارية . » .

ويضيف انطوان شلحت أن « البطل » الفلسطيني لم يعد ذلك اللاجيء المشرد من مدن الموت والغربة انما ذلك المناضل المتسلح بفكر واع يرى الأمور بمنظار شامل .

ويقول بعد ذلك مبينا نوع الأدب المنتشر في الأرض المحتلة : « في ثلاث مجموعات أدبية فلسطينية هي آخر ما اطلعت عليه مؤخرا لمست ظاهرة تبدو لي جديدة وتكمن في معايشة عمق الظاهرة الفلسطينية سياسيا واجتماعيا وحضاريا ، في الشارع والمكتب في المخيم والمدرسة في ساحة القتال . واحدة كانت مجموعة قصصية لمحمود الخطيب بعنوان : « عندما سقطت الفراشة » والمجموعتان الأخريان روايتان هما « تفاح المجانين » ليحيى يخلف و « طريق الى البحر » لفاروق وادي .

٥ ـ لا تظهر في الانتاج الثقافي الفلسطيني المعاصر أية تأثيرات صهيونية أو هجينة . بل على العكس من ذلك تتجه الثقافة الفلسطينية بجمعها لمقاومة الثقافة الصهيونية وتسخر من مرضيتها وانغلاقيتها ولا انسانيتها ، واذا كان صحيحا أن الوطن العربي بثقافته القديمة والمعاصرة هو المعين الذي تنهل منه الثقافة العربية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، فانه يبقى صحيحا أن الثقافة الفلسطينية ، ولا سيما في جانبيها الأدبي والفولكلوري . ترد الجميل مضاعفا وتغني الثقافة الابداعية العربية (لا التأليفية) بأصوات وطنية وانسانية رائعة ، فيها من الاحساس الصادق والكشف الثاقب والجمال الأنيس غير المصطنع ما كان يحتاجه الأدب العربي الحديث منذ زمن .

على أن هذا الحكم ينطبق طبعا على زهرة الانتاج الأدبي الفلسطيني ، وهناك ـ كما هو متوقع ـ انتاج كثير غث وسطحي ومرتبط بالمناسبات اليومية ارتباطا تبعيا ، كما ان الاتقان اللغوي يعاني كثيرا في الأرض المحتلة نظرا لانخفاض مستوى تدريس اللغة العربية وانحدار انتشار المطبوعات العربية ، وتبدو في المختارات الشعرية والنثرية لأدب الأرض المحتلة التي أصدرتها في الثمانينات منظمة التحرير الفلسطينية ثغرات فنية ولغوية واضحة الى جانب البشائر الواعدة التي لا تخفى على المتذوق .

وهكذا تفيد الحالة الخاصة للثقافة العربية في الارض المحتلة ان الصهيونية ليس عندها ماتقدمه سوى التخريب والتشويه والقمع والانغلاقية والمرضية ، وانها لا يمكن أن تنهض بأية حال في وجه الثقافة العربية بوجهيها التراثي والمعاصر . ولكن هذا الحكم بالطبع لا يسري الى الأبد والصراع الثقافي قائم ومستمر ، وليس من الحكمة أن نبدد أوراقنا مثلما فعلنا في مجالات أخرى كثيرة ، وأن نستكين الى المعطيات الثابتة دون أن نحسب حسابا للمتغيرات ، ولنتذكر في هذا الصدد أن ما قالته الكاتبة التشيلية فولوديا تايتليوم بشأن الامبريالية ينطبق تماما على الصهيونية :

« كل ما تفعله الامبريالية متوحش ، ولكنها دائما قادرة على أن تكون أكثر وحشية »

اشعاع متواصل

والخلاصة أن الصمود الثقافي العربي في الأرض المحتلة يشكل حالة خاصة جدا ان كانت تدل على شيء أو شيئين فانها من جهة تحمل تأكيدا جديدا لما أثبته وضع مصر ولبنان من أن الثقافة الصهيونية ليس لديها ما تعطيه للآخرين ، ومن جهة ثانية تحمل نفحة ثقة بالنفس أمام كل الناعين والناديين والمشفقين على الثقافة العربية .

في الأصل حسبها ـ بل أرادها ـ اسرائيل زانغويل « أرضا بلا شعب » . وحين زارها الصهيوني الآخر تشرشل بعد ذلك بثلث قرن (١٩٣٣) تقريبا عجب لوجود شعب فيها ، ـ في الأرض التي اصطلحت عليها علتا العصر : الصهيونية والاستعمار ـ وعجب لوجود مقاومة ، وحين قسمتها الأمم المتحدة بين المدعي والمدعي عليه عام ١٩٤٧ فوجئت أكثر الأمم أنهم موجودون ومقاتلون ورافضون ـ أولئك الذين ليسوا أولاد عيشة لأنهم لا يتعقلون ، وتنادي بعض مندوبيها في هيئة الأمم للعودة عن التقسيم نتيجة للتجربة مع أنه لم يكن اختبارا على طريقة الملك العادل الذي قضى بقسمة الطفل المختلف عليه الى شقين ليختبر الأم الحقيقية من الأم الزائفة .

وفهموا القصة ، ولربما أنهم أعادوا قراءتها في البروتوكولات وملاحقها ، فعملوا على الغاء الوجود الروحي . وسرعان ما اصطدموا بعقبة الثقافة التي رحل أهلها ولكنها ظلت مع أهل (الديرة) الذين ما عليهم لوم ولا تقريع .

وسرعان ما أعملوا معاولهم يهدمون بها الآثار ، ومقصاتهم يغيرون بها على الأزياء الشعبية ، وبنادقهم يمنعون بها ورود الكتب ومجاهرهم يسلطونها على ما هو موجود من الكتب هناك ولا سيما بين أيدي الناشئة ، وسمومهم يشوبها حتى من خلال التزوير والحذف في آي الذكر الحكيم .

وهكذا تستمر الثقافة الفلسطينية في الداخل والخارج وتشع ، ولا تأتي بالمعجزات ولا تبهر العيون أحيانا ، ولكن تظل معجزتها وآيتها أنها هناك عربية انسانية صامدة وليس من فوقها غطاء جوي يحميها ، وليس من تحتها خندق تأوي اليه من قذائف الجو والبر والبحر فهي ضاحية المحيا للهجير وللقنا مثل فارس أبي تمام بل مثل شعبها المعاني . . . . . ولكن الى متى ؟ ! □□

من أين لي ؟

لا تسائليني .. أين راح صلاح ..   والمجد أين ربيعه .. الفواح
والسيف في أي الشواطيء قابع ..   وبأي ليل مدلج .. يرتاح
والفكر في أي الدياجي راسف ..   وغلاَمَ .. لم يطلع عليه صباح
من أين لي .. غزو العواصف .. ان عدَت   يوما .. وان طوَت الصروح .. رياح
من أين لي .. زرع النجوم على الدجى..   والليل يحرث نجمه .. سفّاح
من أين لي .. والنهر أجدب نبعه ..   وتحطّمت في سفحه .. الاقداح
من أين لي .. والعاديات حوالك ..   ولها من الليل البهيم .. وشاح
من أين لي .. والروض طلّقه الندى ..   ما عاد فيه البلبل .. الصّدّاح
من أين لي .. والبحر أطلق موجه ..   فارتدّ دون عبوره .. السبّاح
من أين لي .. والعبقرية طلّقت ..   عمرا .. فضاع ذكاؤه .. اللماح
من أين لي .. والسيف رهن قرابه ..   والثأر مازفّت اليه .. رماح
من أين لي .. ومواطني محتلة ..   تجتاح كل رحابها .. الاتراح
من أين لي .. وجوانحي مقهورة ..   غصص تجوب ربوعها .. وجراح
من أين لي .. والغصن بين دموعه ..   ذاب الشذى .. وتفطر التفاح
من أين لي .. والطير جندله الأسى ..   فهوى مهيضا ما عليه جناح
من أين لي .. والمجد .. كل سطوره   قد أظلمت .. وانهارت الألواح

شعر الدكتور : أسامة عبدالرحمن

من اين لي .. والشمس ما مدّت سناً — للمدلجين .. جبينه وضاح
من اين لي .. والبدر بين ضلوعنا — قد بال فوق جبينه السوّاح
من اين لي .. والزرع يحصده الردى .. — ويموت في اعقابه الفلاّح
من اين لي .. والموج بين هديره .. — وهديره يتعذّب الملاّح
من اين لي .. وجميع ما ملكت يدي .. — للموبقات الحاكمات .. مباح
من اين لي .. والذل ينخر اضلعي .. — وعلى فمي كالثاكلات نوّاح
من أين لي .. لا الجرح هبّ إباؤه .. — كلا ولا عند الأباة سلاح ..
من أين لي .. ودجى الضلالة موغل .. — لم ينفلق في وجهه الاصباح
من أين لي .. والموبقات جحافل .. — ما ردّهنّ عن الضلال صلاح
من أين لي .. لا الروض روض يانع .. — كلا ولا أدواحه .. أدواح
من أين لي .. والحزن فوق شواطىء .. — ما أومضت في أفْقه الأفراح
من أين لي .. والحرف في زنزانة .. — والسوط فوق سطوره يجتاح

* * *

لا تسأليني .. انني في غيهب .. — ما فيه الا القهر .. والاشباح
كل المشاعر قد هوت مذعورة .. — وتضرجت بدمائها الارواح
هل يملك العربيّ حتى برعما .. — وله من الماضي العريق لقاح
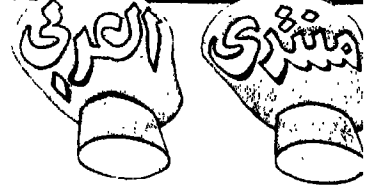
الاستعمار والتعليم

بقلم الدكتور : شوقي السكري

☐ أثار الدكتور عمر السيافي قضية التعليم الاجنبي في البلاد العربية وفي مصر على وجه الخصوص ، وخلص من استعراضه لما تم في مصر الى أن الهدف الذي كان الاستعماريون يسعون اليه ، في هذا الصدد لم يكن مجرد نشر الدين المسيحي أو الثقافة الغربية بل تعداه الى تغيير الانتماء القومي ضمانا للتبعية الدائمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وفي هذا المقال ينقل الدكتور شوقي السكري لنا رأيه في هذه القضية .

[ر]أيت استكمالا للفائدة أن أتطرق الى محاولة [الاس]تعمار سواء أكان انجليزيا أو فرنسيا أو غير [ذلك] من الهويات القومية في اوروبا والولايات [المتح]دة نحو تشكيل السياسة التعليمية في البلاد [المست]عمرة .

[و]لنبدأ القصة من أولها بتحديد معنى [الاس]تعمار ومضمونه . ولابد هنا أن نميز بين [نوعي]ن من الاستعمار : الاستعمار القديم الذي [يتمث]ل في الاستيلاء على الاراضي بقوة السلاح [والا]حتفاظ بجيش يضمن المصالح [الاس]تعمارية ، وهذا هو الذي سنصطلح على [تسم]يته بالاستعمار الكلاسيكي .

والاستعمار الحديث الذي نعايشه الآن والذي يتمثل في السيطرة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تمارسها الدول العظمى في البلاد التي استقلت حديثا وأصبح لها علمها الخاص ونشيدها القومي ومؤسساتها المتميزة ولكنها في حقيقة الأمر مازالت تعتمد في وجودها على الدول التي كانت تستعمرها وتحتل أراضيها من قبل .

الفرق بين الاستعمارين

هناك فروق بين الاستعمار الكلاسيكي

القديم والاستعمار الحديث في نظرتها الى قضية التعليم ، ففي ظل الاستعمار القديم كانت المدارس تحمل طابع المستعمر الاجنبي المتسلط وتسد حاجاته هو لا حاجات الشعوب التي ابتليت به . فالمستعمرون لم يكن يهمهم ان يتعلم الشعب الذي يستعمرونه ، وأن تتاح فرص التعليم للجميع ، وانما كان يهمهم ان يقتصر التعليم على فئة قليلة العدد تصلح للقيام بالاعمال الكتابية أو تشتغل فيما يسمى بالخدمة المدنية أو تقوم بالاعمال التي يأنف المستعمرون من القيام بها ، وهؤلاء عادة يشغلون أسفل درجات السلم الوظيفي .

وعندما كان يسأل المشرفون على التعليم من بين المستعمرين عن نوع الفلسفة أو النظرة التي ينظرون بها الى عملية التعليم ومداه وفائدته والغاية من ورائه ، كانت اجاباتهم ان تعليم ابناء المستعمرات امر غير مستحب وأنه محفوف بالاخطار ، وان لم يكن هناك بد من التعليم فالواجب ان يكون بقدر بسيط بحيث لا يثير ملكة التفكير المستقل الخلاق عند المتعلم .

الدعاية التبشيرية

وقد كانت البعثات التبشيرية صاحبة السلطة في تحديد نطاق التعليم والتحكم في نوعيته واتجاهه ، وان كانت مرتبطة تمام الارتباط بالطبقة التي تدير شئون المستعمرات ، أي ان المبشرين والاداريين في المستعمرات كانوا يتقاسمون النفوذ فيما بينهم ، غير أن نظرة كل من هذين الفريقين الى عملية التعليم لم تكن متطابقة تماما ، بل كانت هناك فروق واضحة يمكن التعرف عليها ، منها ، أن المبشرين كانت تهمهم الدعاية الدينية واشعار التلاميذ الصغار بأن انتماءهم الديني يؤثر على حياتهم في الدنيا والآخرة بينما كان اهتمام الاداريين في المستعمرات مُنصبا على تعليم هؤلاء الصغار مهنة بسيطة أو حرفة يدوية ، وهكذا ترى أن التربية الاخلاقية هي الشعار الذي كان يتشدق به المبشرون الذين كانوا يسعون لاعداد كوادر وطنية لاحتلال المناصب الدينية الصغيرة في الكنائس ، بينما كان الاداريون يبذلون غاية وسعهم في سبيل الاعداد المهني والتدريب الحرفي .

ومع وجود هذه الفروق فلابد من التأكيد على أن هناك أرضية مشتركة بين المبشرين والاداريين ، كلاهما كان ينظر الى التربية المدرسية باعتبارها وسيلة لتحقيق أغراضه ، وكلاهما كان يتجاهل شعوب المستعمرات ولا يعتد برأيها فيما يتعلق بنوعية التعليم ونطاقه والمواد التي تدرس فيه ، اذ كانت الشعوب مغلوبة على أمرها لا يؤخذ برأيها ولا يؤبه لرضاها أو سخطها وحتى اقتراحاتها لم تكن تؤخذ في الاعتبار .

المدرسة والمجتمع

ولكن دعونا نسأل هذا السؤال : هل كانت هناك فروق بين مدارس المستعمرات والمدارس المماثلة في البلاد المستعمرة ؟ فلنتناول مثلا العلاقة بين المدرسة والمجتمع وطبيعة النظام الاداري للمدارس والمواد التي تدرس في تلك المدارس وجدوى التعليم هناك .

لم يكن التعليم في البلاد الاستعمارية كبريطانيا في القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ←

وحا لجميع أفراد الشعب البريطاني بل كان
صرا على فئة معينة هي التي كانت تتمتع
رات التعليم . ففي الفترة السابقة على انتشار
صناعة في بريطانيا كانت الطبقة الارستقراطية
اكمة ترسل ابناءها الى المدارس كي تعدهم
اء دورهم المرسوم في جهاز الدولة ، وكان
روض ان يتخرج من تلك المدارس أشخاص
خرون بسلوكهم المهذب ويحسنون الاستفادة
وقت الفراغ ، أما بعد انتشار الصناعة فقد
أت طبقات جديدة غير الطبقة الارستقراطية
لديمة يهمها أن يتعلم التلاميذ شيئا له فائدته
عملية التطبيقية في دنيا التجارة والصناعة .
اذا قارنا هذا الوضع بما كان قائما في البلاد
ستعمرة لوجدنا أن المدارس الموجودة في
ستعمرات كانت مقطوعة الصلة بالأهالي
حليين مهما كانت طبقتهم فلغة التعليم هي لغة
ستعمرين والقيم التي تثبتها العملية التعليمية
القيم التي يريدها المستعمرون .
ومن ثم نجد أن المدارس الاستعمارية في بلاد
ستعمرات كانت بديلا لا مكملا للتعليم
وطني الذى كان سائدا قبل الاستعمار ، ولم
ن هدف التعليم هو التكامل مع الثقافة
سائدة فى الشعوب المستعمرة بل كان الهدف
صل التلاميذ عن بيئتهم الطبيعية واعدادهم
دوار معينة فى مجتمع تسيطر عليه الطبقة
سلطة المستعمرة . .

مجتمع مصطنع

وهذه الطبقة كانت تعمد الى فصل التلاميذ
ن والديهم والاحتفاظ بهم بعيدا عنهم فى
(داخلية) المدارس حيث يعيشون فى مجتمع
مصطنع يوفر لهم كل ما يلزمهم بعيدا عن
المجتمع الطبيعي الذي ينتمون اليه بالوراثة
والمعايشة وكثيرا ما كانت هذه (الداخليات)
بعيدة تماما عن أماكن المجتمع المعتادة أو فى اماكن
تخضع لاشراف الاداريين المستعمرين بشكل
مباشر .

وهكذا كان الشأن فى شرق أفريقية حيث كان
التلاميذ الذين ينتمون لقبائل البانتو ، يعيشون
أثناء الدراسة بعيدا عن مقار أهليهم الذين لم
يكن لهم شأن قط فى تحديد مواد الدراسة أو مجرد
الاقتراح بالالمام بتقاليد البانتو وثقافتهم . لقد
كانت المدرسة الاستعمارية كيانا دخيلا لا صلة
له بالمجتمع المحيط أو الثقافة السائدة بشكل
مباشر أو غير مباشر بينما نجد المدارس داخل
البلاد الاستعمارية تعمد الى تقوية الروابط
الاجتماعية والثقافية القائمة بين الطلاب وبين
مجتمعهم الذي يعيشون فيه .

كانت فرنسا الاستعمارية تسعى لتوطيد نظام
تعليمي فى المستعمرات يختلف عن نظام التعليم
فى فرنسا ، وقد طبقته فى الهند الصينية حيث كان
الهدف هو تخريج عمال فيتناميين لهم خبرات
مهنية وحرفية معينة يستطيع الاداريون
الفرنسيون أن يستفيدوا منها .

وحتى عندما كانت المدارس الفرنسية فى الهند
الصينية تقدم الثقافة القومية كانت النظرة الى هذه
الثقافة هى النظرة الفرنسية المتعالية .

التنظيم الادارى للمدارس

لقد كان الهيكل الادارى للمدارس الأوربية

فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مرتبطا بالفوارق الطبقية . هناك تعليم ابتدائي فى أسفل السلم تسبقه فى العادة امتحانات أو اختبارات بهدف استبعاد أكثر المتقدمين وتوجيه العناية لقلة من التلاميذ هى التى تنتمى للطبقات الاقدر والاغنى .

فلم يكن التعليم الابتدائى متاحا للجميع على قدم المساواة ، بل نشأت مدارس خاصة تقدم نوعا معينا من التعليم لا يصلح الا للطبقات الغنية القادرة على دفع مصروفات باهظة . .
ففى فرنسا مثلا كانت توجد مدارس ابتدائية مدتها خمس سنوات تمولها الحكومة ، أما الاغنياء فكانوا يرسلون ابناءهم الى المدارس ذات المصروفات العالية ويتلقى فيها التلاميذ الدراسات اليونانية واللاتينية القديمة . وبعد المرحلة الابتدائية ، هناك المرحلة الثانوية المتاحة لابناء الطبقات العليا وحدها والتى يخير فيها الطلاب بين دراسة العلوم الطبيعية التجريبية أو العلوم الانسانية كالدين والفلسفة والأدب والتاريخ والموسيقا . وبعد المرحلة الثانوية يتوجه الخريجون الى الجامعات حيث تقدم لهم المواد التى تناسب وضعهم الطبقى الممتاز وباختصار لم يكن نظام التعليم يسمح للفقراء الذين توفر لديهم الاستعداد والموهبة أن يتلقوا نفس التعليم الذى يتلقاه أبناء الاغنياء .

ولكن كانت هناك مدارس خاصة انشأها الاستعمار البريطاني والفرنسي فى كينيا وفيتنام والجزائر لاتخدم أساسا الا أبناء المستعمرين بحيث تعدهم لدورهم القيادى فى المستعمرات وبعد ذلك يذهبون لاستكمال تعليمهم الثانوى أو العالى فى بريطانيا أو فرنسا على حساب شعوب المستعمرات بالطبع .

ونادرا ما كان يسمح للطلاب المحليين من شعوب المستعمرات أن يلتحقوا بتلك المدارس الاوروبية الخاصة ، اذ كان هناك نظام صارم للقبول يستبعد معظمهم منذ البداية . وكانت هناك مصاريف دراسية يستعصي على المواطنين الأفارقة والآسيويين أن يدفعوها . لقد كانت مصاريف الدراسة فى المدارس الفرنسية الخاصة فى فيتنام ـ على سبيل المثال ـ تعادل مرتب مدير مدرسة فيتنامي لعام كامل .

الاستعمار الاستيطانى

ولا بد ونحن نختتم هذه الكلمة أن نشير الى نوع من الاستعمار لم يلتفت اليه الكثيرون ، وهو الاستعمار الاستيطانى الذى يعمل فى داخل البلاد بصفة دائمة والذى يصر على تعليم التلاميذ الذين ينتمون للأقليات العرقية والدينية تعليما معينا ، تمحى فيه شخصيتهم المتميزة ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم . ومن ذلك تعليم الهنود الحمر والزنوج والمنحدرين من أصل مكسيكي فى الولايات المتحدة أو تعليم القبائل التى كانت تقطن استراليا قبل مجىء الرجل الأبيض .

ومن ذلك أيضا ما نراه فى فلسطين المحتلة من فرض مقررات معينة فى المدارس العربية تخدم قضية الصهاينة بصورة أو بأخرى .

ان موضوع صهر الأقليات فى بوتقة واحدة يناسب أطماع الفئة الاستعمارية المتسلطة ، ويعجل فى محو شخصية هذه الأقليات والقضاء على كيانها ، بينما كانت هذه الأقليات فى السابق هى صاحبة الارض والموارد الطبيعية والموجهة لحاضر بلادها ومستقبلها .

الدرجات العلمية في الطب
هل أدت هدفها ؟

بقلم : الدكتور نبيل سليم

في وسط هذا الخضم الهائل من المشاكل الملحة ، ابتداء من طعام الفرد إلى الصراع من أجل الوجود ، نجد من يرفع صوته طالباً بحياة علمية وأكاديمية أفضل . .

تابعت باعتزاز شديد على صفحات « العربي » ما كتبه الدكتور صفاء خلوصي (في العدد ٢٩٧ سبتمبر ١٩٨٣) عن « عضو هيئة التدريس في الجامعات العربيه . . مكانته ومستقبله » وذلك في سبيل ايجاد « هيئة للدفاع عن حقوق الاساتذة الجامعيين . . ويجب ان اذكر واؤكد أهمية وجود مثل هذه الهيئه ، ولكنني كنت ارجو قبل الحديث العام عن أعضاء هيئات التدريس في الجامعات ان نأخذ كل شريحه على حده . . ونلقي الضوء عليها كأن ندرس مثلا مشاكل ومكانة ومستقبل عضو هيئة التدريس بكليات الهندسه . . او الصيدلة او التجارة او الآداب . . الخ . . لان لكل منها ظروفها الخاصه والمختلفه . . ويهمني ان أؤكد ايضا ان مقال الدكتور صفاء اضاف الكثير وتعرض لمحسوسات وملموسات جد خطيرة . لذا فاني ساحاول هنا التعرض لقضايا عضو هيئة التدريس والطالب في الكليات الطبيه ونظمها . . فنحن نعلم ان من وهبوا العلم والحضارة في الازمان السالفه هم الآن الذين يستجدون العلم والتكنولوجيا في العصر الحديث ولا عيب في ذلك فابن سينا العربي ظل كتابه في الطب يدرس في اوربا لعدة قرون . والان احفاد ابن سينا ما زالت عيونهم مفتوحه واذهانهم متقدة والدليل على ذلك نبوغهم حينما ينزحون ، وشهرتهم عندما يرحلون .

فمنهم من ساهم في انزال الانسان على سطح القمر ، ومنهم من ذاع صيته وشهرته عبر الافاق والاعتراف بالحق فضيلة والرجوع اليه ايضا فضيلة . وجامعاتنا الآن عددها اكثر من الماضي بكثير ، وخريجوها يعدون بالآلاف المؤلفه . . وعندنا من الكوادر الممتازة القادرة على تعليم الأجيال القادمه الكثير . . ولكن يجب ان نعترف اننا دولناميه وقدراتها محدوده . . مثقلة بأعباء كثيرة ، ومشاكلها الطافيه على السطح كثيرة . وفي وسط هذا الخضم الهائل من المشاكل الملحة ابتداء من طعام الفرد العادي الى الصراع من اجل الوجود نجد من يرفع صوته طالبا المستحيل . . هذا المستحيل يتمثل فيما يسمى رسالة الدكتوراة ـ مثل منح درجة الدكتوراة في الطب ـ وهذا هو موضوع حديثنا اليوم .

لا . . للدكتوراة محلياً

الطب في الوطن العربي بخير وعافيه ، ولكن يجب ان

نعترف ان العلم الآن عندنا . . مستورد ! ـ مستورد من أوربا وامريكا ـ مستورد على هيئة الابحاث المنشورة في المجلات والدوريات العلميه الهامه ـ هذه الابحاث ممكن ان تمارسها الدول الناميه ـ والأبحاث انواع ـ نوع يعتمد اساسا على العمل والتجربه والملاحظه ، ونوع يعتمد على المشاهده وتأثير العقاقير على الامراض المتعدده ـ هذا النوع الاخير من الابحاث ممكن ان تمارسه الدول الناميه ولكن ابحاث النوع الاول وهي في هذه البلاد كما نعلم وصلت الى ما يدور داخل الخليه ـ هذا النوع من الابحاث لا طاقه لنا به . ويجب الا نمارسه لان امكانياتنا لا تسمح به ، واذا كلفنا احد الدارسين بعمل مثل هـذه الابحاث مـع عدم وجود الامكانيات فاننا بذلك نرهقه علاوة على اننا نشجعه على التسامح في النتائج التي يحصل عليهـا وتعليل ذلـك بضعف الامكـانيات !! وهـذا التسامـح قد يفسـد قيمة البحث ويجعله غير ذي جدوى . واني اتساءل كم بحث دكتوراة في الوطن العربي في العشرين سنة الماضية أفادنا ؟ وكم من هذه الابحاث ساهم فعلا في تقدم العلوم الطبيه الاكلينيكيه ؟ . . يجب ان نعترف وان نعود الى الحق وهو ان تقتصـر جامعـاتنا عـلى منح درجـة الماجستيـر . . اما الدكتوراة فيجب ان تتم في الخارج حيث الامكانيات الحقه للبحث الجاد متاحة ومتوفره .

فرسالة الدكتوراه عباره عن إعداد شخصي معين على طرق البحث واستقراء النتائج حتى يكون فيها بعد قادرا عـلى اجراء البحـوث ـ وحل المشـاكـل التي تمس بـلاده ومواطنيه .

اما بالنسبه لدرجة الماجستير وهو نظام بدأ تطبيقه منذ عدة سنوات ـ ليست بالكثيرة ولا بالقليله ـ في الجامعات العـربيـه ـ حيث يتم تـأهيـل طلبـة الـدراسـات العليـا للتخصص والحصـول على الـدرجه العلميـة التي تؤهـل الاطباء لكي يصبحوا اخصائيين . وكان النظام المتبع قبل ذلك هو نظام الدبلوم ، حيث كان الطبيب يقضي فتـرة عامين كطبيب مقيم ثم يتفرغ لمدة عام للحصول على دبلوم التخصص . وقد كثر الكـلام حول عيـوب هذا النـظام بدعوى ان طالب الدراسات العليا يجب ان يمضي فتـرة اطول للدراسه الاكاديميه في الجزء الاول ثم يمضي فترة اخـرى في الدراسة العمليه في الجـزء الثـاني حتى يكـون اخصائيا على مستوى عال من الدراسة والتدريب ، وكما هو معمول به الآن في الحصـول عـلى درجة المـاجستير .

نظام الماجستير افضل

ولا شـك ان نظام المـاجستير حـاليا افضـل من نظام الدبلوم لعدة اسباب :

أولا ، لانه يتطلب من الدارس تحديث معلوماته في العلوم الطبيه الاساسيه في الجزء الاول من النظام وهي القاعده لاي تقدم علمي متعارف عليه خاصه مع التطور السـاري في هذه المجالات العلميه .

ثانيا : ان هذا النظام يهدف الى تفريغ الدروس في العام الثاني للدراسات الاكلينيكيه حتى يستطيع ان يحصل على المعلومات والمهارات المطلوبه في تخصصه .

ان المشكلة ليست في نظام الماجستير ولكنها في تطبيقه نتيجة زيادة الاعداد المتخرجه في كليات الطب ورغبتها في الاستزاده من الدراسـات العليا . واصبح من الصعب استيعابها في المستشفيات الجامعيه وبالتالي لا تتاح الفرصه الكافية لها للتدريب العملي واكتساب المهارات المطلوبه .

اما مشكلة الرسالة المصاحبه للماجستير فبعض الاقسام في الكليات الجامعية تتطلب بحثا اكاديميا طوّيلا لا يتفق مع تخريج مهنيين على درجة عاليه من الكفاءة واذا كان القانون يحتم ان تكون درجة الماجستير مصحـوبه بـرسالـه فمن الممكن التصرف بأن تكون هذه الرسالة عبارة عن تحليل لبعض الحالات او مراجعة لموضوع معين عمليا ، او ان يكون هناك مقـال يكتب بدلا منهـا ، ويكون كتـابته في جدول الامتحان التحريري اوقع ، وتظهر كفاءة الطالب وقدرته على تحضير الموضوع بالكامل في جلسة واحده ، ولقد كان هذا النظام متبعا في امتحان الماجستير قديما . لقد اصبحت الرساله فعلا مكرره بطريقه مملة بل وقد يسرق احد الطلبة رسالة من جامعة أخرى ولا يدري المشرف عن ذلك شيئا .

ويهمني ان اؤكد ان دراسة الماجستير دراسه جاده لانها تـراجع المعلومـات الاساسيـة والتي يكون معـظمها قـد تبخر ، ولا ننسى اهميتها القصوى لرفع المستوى العلمي بحيث يمكن متابعة الجديد في الطب في كل النواحي المتصله بفرع التخصص .

رسالة الطب

ومن اجـل تحسين المستوى العلمي والعملي لـلاطباء

ى العربى

ديثي التخرج يجب ان يكون الطبيب نفسه جادا في
بسته للمهنه واضحا في اعتباره اولا وثانيا وثالثا ان الطب
ه رفيعه وليس الهدف منها هو الكسب السريع وان
ليبب القنوع الماهر هو المطلوب وليس الطبيب الجشع
لذي يبحث عن المال سريعا بمستوى طبي متوسط أو
ميف ويجب عليه ان يحب عمله ، بمعنى آخر ان تكون
سادته في شفاء اكبر عدد من المرضى بما اعطاه الله من
م ، وهذه السعادة هي ما تمسح عنه جهده وعرقه
معاناته وعليه ايضا ان يكون دائم الاتصال بالعلم
طوراته وذلك بحضور المحاضرات وبخاصه للاطباء
جانب الزائرين وبالقراءة المستمره للمجلات الطبيه
رفيعة المستوى ومحاولة حضور المؤتمرات الداخلية
الخارجية حتى يكون دائم المعرفه وعلى اطلاع بآخر
لورات الطب ، فهو يتطور بسرعه مذهله وحتى لا يشعر
طبيب انه يتقهقر امام تقدم زملائه . وعليه أخيرا ان
مسك بالخلق وهذا مهم جدا ، ويجب ان يكون حسن
لعامله مع زملائه وأقرانه وان يحترم اساتذته ويتذكر
قول « من علمني حرفا صرت له عبدا »

ولا شك ان الطبيب العربي وريث حضارة طبيه ماهره
سبقت كل البشريه في هذا المجال ، وهذا ما يدعونا
لإعلان اعتزازنا وحبنا الشديد لهذه المهنة ، رغم ما يعانيه
لاطباء من الاحساس بالغربه .. ففي وسط الصراع
المحتدم بيننا وبين لقمة العيش ، والبحث عن مستوى
معقول يعيش فيه الاطباء جميعا تتباعد بينهم كزملاء
لشقه ، فمهنتنا مهنة اليوم الطويل والعمر القصير ،
السعي والكد ليلا ونهارا بلا رحمة لأجسادنا التي هدها
طول الدراسه واستمرارها ضد عدو شرس لا تنتهي حربنا
معه بهدنه أو فض اشتباك او تطبيع الا وهو المرض .

اما عن عضو هيئة التدريس في الجامعه والمستوى
العلمي فلا شك ان الدرجات التي يحصل عليها الطالب
الآن اكثر مما كانت عليه ، وهذا يرجع الى عدة عوامل
منها التساهل الشديد من عدد كبير من الممتحنين في اعطاء
الدرجات ، ثم تنافس الجامعات ، حيث كان عددها في
الماضي كما كان في مصر مثلا ثلاثه « القاهرة - عين شمس -
الاسكندريه » اما الآن فعددها حوالي احدى عشرة كلية ،
لذلك يحاول الاساتذه اظهار مستوى طلبتهم في مستوى
افضل او ارفع من غيرهم فيكيلون لهم الدرجات وهذا
ليس في الصالح ال... يعطي فكرة خاطئة وتقديرا اكثر
من الحقيقه ولا يدل على ارتفاع المستوى وهو ليس
واقعيا .

اما من الجهة الاخلاقيه فلا شك ان هناك انحداراً
واضحا ، فنحن كنا وما زلنا نقدس أساتذتنا ، وكان لهم
احترام ومكانه خاصه وواضحه ، اما الآن فلا الاحظ هذا
الا من القله القليله ، ولقد تأثر الوسط الجامعي بالرياء
والنفاق بكل اسف !! .

ومما زاد الطين بلة - كما يقولون - وجود عدد لا بأس به
من الجامعات الاقليميه أو الجديده - وانا لست ضد هذه
الجامعات ، واؤكد ان وجودها هو منارات للعلم ولكن ما
يحدث ان معظم اساتذتها من الدفعات الحديثه وفي بعض
الاحيان يكون رئيس القسم استاذا مساعدا وليس
استاذا ؟ : .. وهؤلاء الاساتذه المساعدون - مع عظيم
احترامي لهم ، تخولهم الكليه رغم صغر سنهم - منح
درجات الماجستير والدكتوراة فاذا كانت امكانيات
الجامعات القديمه العريقه غير كافيه للحصول على هذه
الدرجات فكيف تسمح امكانيات هذه الجامعات
الجديده ؟ !! .

ان عدد الاساتذه الآن كثير والحمد لله ، وليست هناك
عوامل ملحه لتخريج اعداد أكثر من حاملي هذه
الشهادات العاليه جدا ، فلماذا نجعل المنح والمنع في يد
استاذ مساعد لم يتجاوز الاربعين من عمره ؟ ! . هناك
نقطه أخرى .. في انجلترا مثلا فان لجنة الممتحنين تكون
كلها غريبه على الطالب واذا تعرف احد الاساتذه على أحد
الطلبه اي كان تلميذا عنده او عمل معه امتيازا أو نائبا .
فان الاستاذ الممتحن يتنحى عن الامتحان فورا .

ونحن هنا في الوطن العربي نمتحن نوابنا ومعيدينا وهم
بالنسبة لنا كالابناء أو الاخوة ، وما يتبع ذلك من اغداق
الدرجات عليهم !! .

فلماذا لا نعمل على انشاء هيئة عربية للممتحنين ؟ .

انني ادعو كل الهيئات الجامعية العلميه والطبيه في
الوطن العربي الى تكوين « مجلس عربي اعلى للجامعات »
تكون مهمته وضع القيود والضوابط ، وقصر الجامعات
التي تمنح الدكتوراه على اعداد معينة منها وان يضع بندا
يقول ان رؤساء الاقسام الذين يخولهم سلطة منح
الدكتوراه يجب ان يكونوا قد مر خمس او عشر سنوات على
حصولهم على الاستاذيه ؟ ومن ثم يعمل هذا المجلس على
انشاء هيئه عربيه للممتحنين ، حتى نضمن الحياد ونعطي
القدر... مساحته .

حول استقلال الجامعات

بقلم : الدكتور عدنان الظاهر*

لقيت المقالة التي نشرها الأستاذ الفاضل الدكتور صفاء خلوصي تقديرا كبيرا من الأساتذة الذين اطلعوا على مجلة العربي ـ العدد ٢٩٨ ، وجدير بالذكر أن بعضا من هؤلاء الأساتذة كانوا طلبة للأستاذ خلوصي حينما كان أستاذا في دار المعلمين العالية في بغداد .

تعلموا منه روح المثابرة والجد والجرأة في قول الحق ، فضلا عن النزعة الأدبية والتنوع في الاهتمامات .

يقترح صاحب هذا الصوت الجليل تشكيل هيئة تدافع عن حقوق الأستاذ العربي المغترب طورا والمحارب في رزقه أو في علمه طورا آخر . لقد تصدت جهات ومؤسسات شتى لما يسمى بظاهرة « هجرة الأدمغة العربية » وسمعنا الكثير من المقترحات الرامية الى وقف هذا النزيف الحضاري الخطر لكننا وأأسفاه ما زلنا نسمع الكثير عما يتعرض له الأستاذ الجامعي العربي في وطنه وفي عقر داره ، حيث يكون نصيب البعض أن يجوب الآفاق سعيا وراء عمل في حين يشغل مكانه في الجامعة استاذ أجنبي من بلد صديق قريب أو بعيد .

أجل . لقد آن الأوان لقيام مؤسسة أو هيئة تتكفل رعاية شؤون الأستاذ العربي وتدافع عن حقوقه وتضمن له فضلا عن حريته الفكرية ـ الحصانة الأكاديمية التي يقترحها الدكتور صفاء خلوصي. ولا يسمح المجال للخوض في تفاصيل أو مواصفات مثل هذه الهيئة التي قد تكون فرعا من فروع جامعة الدول العربية أو لجنة حقوق الانسان أو هيئة الأمم المتحدة . . . الخ ، انما قصدت أن أضم صوتي لصوت هذا الأستاذ الذي عاش وخبر ظروفها وملابساتها

ان أغلب المقترحات الواردة في مقالة الدكتور خلوصي على درجة كبيرة من الأهمية والوضوح ، الا أن لدينا ملاحظات حول المقترحين الثالث والرابع يمكن اجمالها بما يأتي :

١ ـ ليس هناك في العالم اتفاق شامل حول كيفية اختيار أو انتخاب رئيس أو انتخاب رئيس القسم أو العميد أو رئيس الجامعة . فالدول المختلفة ـ بل وحتى الجامعات المختلفة في البلد الواحد ـ لها أسلوبها الخاص ولها تقاليدها الخاصة في هذا المضمار . ففي أغلب جامعات الولايات المتحدة الأمريكية تكون رئاسة القسم مسؤولية دورية بالنسبة لكافة أعضاء القسم بصرف النظر عن الدرجة واللقب العلميين للأستاذ .

٢ ـ لا يعتمد الكثير من جامعات العالم على سمعة رئيس القسم أو عميد الكلية العلمية ، بل يؤخذ بالاعتبار الأول سمعة القسم أو الكلية بشكل عام ولا سيما بمجمل النشاط العلمي من أبحاث منشورة أو تنظيم مؤتمرات علمية

٣ ـ درجت معظم الجامعات العالمية الشهيرة على اختيار رؤساء لها من بين أشهر العلماء لسبب بسيط هو أن الرئيس لا يمارس في الواقع أعمالا ادارية بحتة تستنزف جهده ووقته ، بل يترك هذا الأمر لأجهزة عالية التخصص .

٤ ـ سلم التدرج المعمول به حاليا في كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتي هو صورة ما من صور سلم الضبط العسكري وهو سلم وظيفي أكثر منه سلما علميا . فكم من محاضر شاب يفوق في علمه وأبحاثه أصالة وتجديدا الأساتذة الشيوخ من شاغلي كراسي الأستاذية ؟

٥ ـ نتفق مع الأستاذ الدكتور خلوصي على أهمية البحث العلمي في الحياة الجامعية ، من حيث كونه يعمق ويحسن مستوى المحاضرة والمحاضر معا الأمر الذي سينعكس لاحقا على مستوى الطالب والقسم والبلد في نهاية الامر .

٦ ـ وأخيرا يمكن اضافة مقترح آخر يتعلق بحق الأستاذ في التفرغ العلمي الكامل لمدة سنة دراسية أو أكثر لكل خمس سنوات خدمة مثلا . وهذا الأسلوب متبع في أغلب جامعات العالم حيث يتمكن الأستاذ المتفرغ من اجراء أبحاث خاصة في جامعة أخرى أو في بلد آخر للافادة من الأجهزة المتطورة أو المصادر التي لا تتوفر في جامعته . مع التأكيد على ضرورة اتباع أسلوب تبادل الأساتذة العرب الزائرين لفترات يتم الاتفاق بشأنها لتبادل ونقل الخبرة

ملاحظات سريعة وعجلى وددت أن أساهم بها في « منتدى العربي » . □□

---

* الأستاذ بجامعة الفاتح (طرابلس)

النطق والكلام .. ليس وقفا على بني الانسان

● هل من المعقول أن يتكلم الشجر .. ويخاطب بعضه بعضا .. من حيث لا تدري ؟

قد يستجيب بعض الشجر للموسيقا ، كثيرا أو قليلا .. وقد يصدر عن بعض النباتات ردود فعل معروفة كعباد الشمس الذي تدور أزهاره بحيث تظل متجهة نحو الشمس دوما ...

أما ان تتكلم الشجرة وتخطر قريناتها القريبة والبعيدة بالخطر الذي داهمها بحيث تستعد له تلك القرينات مسبقا وتتقي شره .. فهذا ما لم يخطر ببال العلماء الا مؤخرا ..

انه اكتشاف جديد توصل اليه في الصيف الماضي علماء أمريكيون يعملون في جامعة واشنطن .. وقد اختاروا لتجاربهم شجرة من شجر الصفصاف ، واختاروا لغزوها بعض العناكب ويرقات الفراشات ، وهذه الأخيرة مشهورة بنهمها وقدرتها على أكل كميات كبيرة من ورق الشجر .

وعمدت شجرة الصفصاف لدى شعورها بوجود اليرقات والعناكب ، الى افراز مواد كيماوية من شأنها أن تجعل اوراقها منفرة للأعداء المهاجمين ... فهي تفقد تلك الاوراق - لا سيما الجديدة - طعمها المستطاب ، وتسلبها الكثير من عناصرها المغذية .. على أن هذه معلومات معروفة في علم البيولوجيا ولا فضل لعلماء واشنطن فيها ..

غير أن هؤلاء العلماء اكتشفوا ان شجرة الصفصاف تلك اطلقت مادة كيماوية أخرى ولكنها غازية يسهل انتشارها في الجو .. وما لبثت تلك المادة ان وصلت الى جاراتها من شجر الصفصاف القريب منها والبعيد ، الذي يبعد نحو (٧٠) مترا ... وما أسرع ما أفرزت تلك الشجرات مثل المواد الكيماوية التي أفرزتها شجرة الصفصاف الأولى .. فحمت نفسها واستعدت للخطر قبل وقوعه .

أما المادة الكيماوية الغازية التي ادت مهمة صفارة الانذار فهي غاز الأيثيلين ، كما يرجح أولئك العلماء - وقد نجحوا في حزلها - ولكن نجاحهم لم يكن كاملا ..

اذن فالشجر يتكلم ويخاطب بعضه بعضا ولكن بلغته الخاصة .. اللغة الكيماوية ..

العلبة السوداء
تجهز بها كل الطائرات بلا استثناء

اعـداد :

يـوسف زعبلاوي

الـدم الاصـطـنـاعي البديل

● نجح فريق من علماء اليابان في تطوير دم اصطناعي بديل .
اطلقوا عليه اسم فلوزول - دا (Fluosol-DA) لونه أبيض كالحليب ويبشر بفاعلية تفوق فاعلية الهيموجلوبين الطبيعي في نقل الاوكسجين الى شتى اجزاء الجسم .. ومما يذكر ان بعض المرضى يلاقون حتفهم لتعذر حصولهم على ما يحتاجون اليه من الدم الطبيعي ، بالفصيلة المناسبة وفي الوقت المناسب ..
أضف الى ذلك ما يتميز به هذا الدم البديل .. فهو لا ينتمي الى فصيلة معينة من فصائل الدم بل يصلح لها جميعا بلا استثناء .. ثم انه نظيف ١٠٠٪ .. واحتمال نقله للامراض بالعدوى غير وارد على الاطلاق .. فلا خوف على من يعطي الدم الاصطناعي من العدوى بأي مرض .. كمرض الكُباد أو الايدز (AIDS) أو غيرهما ..
بقي أن نذكر ان حفظ الدم الاصطناعي وخزنه في المستودعات ونقله من مكان الى مكان - أمور في غاية السهولة .. فهو يعمر طويلا .. حوالي سنتين ويمكن حفظه بدرجة حرارة الغرفة العادية دون حاجة الى تبريد أو تجميد .

● هذه هي العلبة التي يجدون في البحث عنها عقب الكوارث التي قد تتعرض لها الطائرات فتؤدي الى هلاكها .. انها العلبة السوداء - كما يسمونها - وهي في الغالب برتقالية اللون .. لا سوداء .. ولعلهم وصفوها بالسواد نظرا لكثرة اقتران ذكرها بالكوارث ..

ولعل أهم ما يذكر عن العلبة حساسية أجهزتها المرهفة ، وقوة احتمالها البالغة .. فهي تحتوي على أسلاك ومسجلات وأشرطة ، وتسجل شتى المعلومات الحيوية عن أداء الطائرة .

لذا كانت العلبة السوداء المرجع الأهم ، ان لم نقل الوحيد ، للمحققين الذين يكلفون بتحري أسباب الكوارث التي تحل بالطائرات ..

الهواء عوضا عن الكهرباء

● نجح العلماء مؤخرا في استغلال الهواء وتسخيره لحمل ما يريدون حمله من أشياء ، مهما بلغ وزنها .. والمبدأ سليم ولا ريب .. فسفن الهوفركرافت تعتمد على الهواء في انطلاقها .. فهي لا تمخر عباب البحر بقدر ما تطير فوق وسادة في الهواء .. لماذا ، اذن ، لا تكون الوسادة الهوائية هي وسيلتنا في حمل ما نريد حمله ، ونقل ما نريد نقله من بضائع وآلات ثقيلة فوق اليابسة ؟ لماذا لا ندع هذه الاشياء في الهواء فوق الأرض على نحو ماتطير سفن الهوفركرافت فوق سطح البحر .. فيسهل علينا حملها ونقلها ..

هذا هو السؤال الذي استأثر باهتمام بعض العلماء السويديين وجهودهم ، حتى تمكنوا من اختراع العربة البسيطة التي ترى في الصورة .. والتي تستطيع حمل ما يبلغ زنة طنين دون عناء ! ذلك ان هذه العربة مزودة بهواء مضغوط وبخاخات تدفع هذا الهواء بقوة الى أسفل ، فترتفع العربة الى أعلى مسافة ... بوصة ونصف بوصة . وعندئذ تفقد العربة معظم وزنها ووزن حمولتها ، ويصبح عملها أشبه بالسباحة في الفضاء فلا تكلف العامل القائم عليها أي جهد يذكر .

وغني عن البيان أن هذه العربة كفيلة بالحلول محل العربات الكهربائية في شتى المستودعات .. مستودعات المصانع والجمارك وغيرها .

مروحة هواء جديدة !

● كثرت مراوح الهواء المنزلية الجديدة في المدة الأخيرة ..

ولكن الانباء العلمية الاخيرة حملت الينا خبر اختراع مروحة هواء متطورة كالتي ترى في الصورة . إنها تحرك الهواء وتدفعه كسائر المراوح التقليدية . ولكنها تدفعه بأقوى مما تفعل المراوح المألوفة .. والأهم من ذلك انها تنظف الهواء من الشوائب وتفعل ذلك بواسطة جهاز ترشيح خاص كفيل بتنقية الهواء من الغبار ودخان السجائر ، وحتى من غبار الطلع الذي يخرج من الشجر ويملأ الجو ويسبب آفات الحساسية للكثيرين . ثم ان المروحة الجديدة تشفط الروائح الكريهة من هواء الغرفة .

أضف الى ذلك كله أن المروحة الجديدة - على صغر حجمها - مجهزة بجهاز تدفئة بقوة ٥٠٠ شمعة من شأنه أن يشيع الدفء في الغرفة ايام البرد .

نبدأ حفظ القرآن بأواخر جزئه الثلاثين

بقلم : محمد خليفة التونسي

يجمع الاسم المفرد جمع مذكر سالما فيعرب جمعه بالواو رفعا مثل « قد أفلح المؤمنون » ، وبالياء نصبا وجرا مثل ، « ان الله لا يحب الفرحين » ومثل « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه » .

ولكي يجمع الاسم المفرد هذا الجمع تلزمه شروط لا يعنينا هنا ذكرها

وقد لاحظ النحاة ان هناك اسماء تعرب اعراب جمع المذكر السالم ، وليست منه ، فجعلوها « ملحقة به » .

وهذه الاسماء الملحقة نوعان :ـ

١ ـ جموع لها مفردات ، ولكن مفرد كل منها لم يستكمل الشروط اللازمة ، مثل سنين ، عالمين ، عليين ، أرضين ، بنين ، أهلين ، مئين .

العقود العددية ودلالتها على الافراد والجموع

٢ ـ العقود العددية ، مثل عشرين ، ثلاثين .. الى تسعين ، وهي تشبه الجموع شكلا ولكنها ليست جموعا اذ ليس لها مفردات ، بل كل منها مفرد ، يدل على عدد معين ، وكل عدد من هذه العقود يدل على كمية موصوفه ، فهو يدل على جمع ، اذا وصف به جمع ، مثل « حفظ الصبي أجزاء القرآن الثلاثين » ، فعدد « الثلاثين » هنا دل على جمع ، لأن موصوفه : أجزاء ، جمع ، ولكن اذا قلنا : « يبدأ صبياننا حفظ القرآن بجزئه الثلاثين » فان كلمة الثلاثين تدل على مفرد كموصوفها (جزء) .

ومن هنا يظهر انه لاحاجة بنا الى التشكك في صواب استعمال هذه العقود للدلالة على الافراد ، كدلالتها على الجموع . ولا حاجة بنا الى شاهد مأثور بعيد ، فحسبنا النظر في صفحات المصاحف القرآنية ، فان كل صفحة منذ قرون ـ تتوج برقم الجزء الذي منه سورها ، . . .

وذلك على النحو الآتي : الجزء الاول ، الجزء الثاني ، . . الجزء العاشر ، الجزء الثامن عشر ، الجزء العشرون ، الجزء التاسع والعشرون ، الجزء الثلاثون ، وكفى بهذا دليلا على صواب هذا الاستعمال الذي لا نعرف ان احدا أنكره أو تشكك فيه .

ومن علمائنا السابقين من كانوا يسيرون على هذه الطريقة في ترقيم أبواب كتبهم ، أو مجالسهم ، فيقول مثلا ، المجلس العشرون و . . المجلس السبعون ، والمجلس الثمانون[1] .

للوصف بالاعداد دلالتان

ولكل من العقود العددية ، وسائر الاعداد دلالتان ينبغي الالتفات الى الفرق بينهما ، وما أجدر ان يكون نحاتنا قد التفتوا الى هذا الفرق ، وان لم يكونوا قد بينوا ذلك بيانا حاسما فيما اطلعنا عليه من كتبهم حتى المطولة ،

←

(١) انظر : أمالي ابن الشجرى ، والمؤلف (ت ٥٤٢ هـ) كان اماما في الادب واللغة والنحو وهذه الامالي في أربعة وثمانين مجلسا جرى ترقيمها هكذا « المجلس الاول . . المجلس الرابع والثمانون » .

ونحاة بعض اللغات الاخرى قد التفتوا الى هذا الفرق ، اذ قرروا ان الاعداد قد تدل على كمية المعدود ، فتسمى الاعداد الاصلية ، Cardinal Numbers ، وقد تدل على رتبة المعدود بين أمثاله ، وتسمى الاعداد الترتيبية Ordinal Numbers فاذا قلنا : طبعت المطبعة النسخ الاربعين أو الخمسين أو المائة أو الالف أو المليون ، دلت هذه الاعداد على كمية المعدود ، واذا قلنا : وقفت المطبعة عند النسخة العشرين أو الثمانين أو المئة أو الالف أو المليون دل كل عدد على نسخة واحدة ورتبتها . ويظهر الفرق أوضح بين النوعين عندنا في الاعداد العشرة الاولى ، فيقال في الاعداد الترتيبية : النسخة الاولى ، أو الثانية . . . أو العاشرة ، والكتاب الاول . . . أو العاشر ، كما يظهر الفرق أيضا في رقم الآحاد من كل عدد بعد العشرة ، سواء كان مركبا أو معطوفا ، مثل النسخة الحادية عشرة والتاسعة عشرة ، والثانية والعشرين والتاسعة والتسعين والكتاب الثاني عشر والثامن والثلاثين .

ومن هنا يظهر لنا أن العدد الترتيبي يدل على واحد ، ولكن العدد الاصلي مع الكمية يدل على المئات ، بل الالوف ، بل الملايين فصاعدا بلا انتهاء .

تثنية العقود وجمعها والنسبة اليها

كل من العقود العددية مفرد يمكن تثنيته وجمعه ، فكما نقول : متين ومئات وألفين والوفا ، ومليونين وملايين ، نقول أيضا : عشرتين وعشرات ، وعشرينين وعشرينات[٢] وخمسينين وخمسينات ، وتسعينين وتسعينات ، وهذا ما سار عليه المعاصرون في ترجمة الكلمات الاجنبية فقالوا مثلا في السنوات : عشرينات ، خمسينات ، ستينات ، سبعينات ، تسعينات ، وهم لا يريدون من ذلك ان يجمعوا هذه العقود ، بل السنوات التسع التي تلي كل عقد ، فاذا قالوا مثلا « الخمسينات » فهم يريدون السنوات من الحادية والخمسين حتى التاسعة والخمسين وهو ما يقابل « العقد السادس » ، فالمعنى مختلف عند المعاصرين ، ولكن هكذا جرى استعمال هذه الأعداد وشاع حتى صارت مصطلحات .

واذا نسبنا الى احد العقود العددية زدنا ياء النسب هكذا عشري ، وعشريني وثلاثيني وتسعيني ، فنقول مثلا اننا اليوم نسير في الحساب على النظام العشري وكان الكلدانيون قبل اربعة الاف سنة يسيرون على النظام الستيني ومن بقاياه في حضارتنا حساب الساعة ستين دقيقة ، والدقيقة ستين ثانية ، وكان الفراعنة في تقويمهم الشمسي يسيرون في حساب الشهور على النظام الثلاثيني اي يجعلون كل شهر ثلاثين يوما ، ويضيفون الى شهور السنة الاثنى عشر خمسة ايام ، ويجعلونها ستة كل اربع سنوات هي ايام النسيء (اي التأخير) وهذا التقويم يسمى « القبطي » . وعلى وفقه يحدد اهل الريف في مصر مواسمهم الزراعية حتى الان .

وقد جمع بعض علمائنا بين النسبة الى العقود ، ثم جمعها منسوبة ، فقيل العشرينات والعشرينيات ، ولدينا العلامة المغربي السبتي مالك بن المرحل[٣] (٦٠٤ - ٦٩٩ هـ) وكان في عصره من مشاهير الادباء والشعراء واللغويين وعلماء القراءات ، قد نظم قصيدة مطولة سماها « الوسيلة الكبرى » وهي في الزهد وفي مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرها اسماعيل البغدادي باشا في كتابيه « ايضاح المكنون » و« هدية العارفين » فسماها « العشرينيات » المحمدية ، ولابن المرحل غير ذلك « العشريات الزهدية » (وله أيضا المعشرات النبوية) .

العشرينات لا العشرونات

ونحن ننسب الى العقود من عشرين الى تسعين فنبقيها على أصلها ، لانها - كما قلنا - مفردات ، وليست جموعا ، فمن الخطأ النسبة اليها بعد حذف الواو والنون ، أو الياء والنون . ونحن ننسب اليها أو نجمعها - كما هي - ولا نذكرها بالواو والنون فلا نقول : عشرونات وتسعونات ، بل نلزمها الياء والنون ، فنقول :

(٢) من عجيب الاعداد أن الفرنسيين يقولون Quatre Vingts أي ثمانين ، « أربعة عشرينات » .
(٣) انظر ترجمته ومؤلفاته للاستاذ هلال ناجي : مجلة المورد العراقية المجلد ٣ العدد ٤ ص ١٤٦

« عشرينات ثلاثينات . . تسعينات » ونقول : عشريني ، وأربعيني وسبعيني ، ونقول : « عشرينيات وخمسينيات . . وتسعينيات » ومن ذلك مثلا « الحرب السبعينية (١٨٧٠ م) بين المانيا وفرنسا ، واحتفلت مجلة المقتطف بعيدها الخمسيني (٥٠ سنة) في حياة مؤسسها ، والترجمة السبعينية للتوراة تمت في مصر . وشهور التقويم القبطي ثلاثينية ومن علمائنا اللغويين النحاة « ابن الثمانيني »[٤] (ت ٤٤٢ هـ) .

بعض العرب ، ومنهم قبائل أسد وتميم وعامر يلزمون جمع المذكر السالم وملحقاته الياء قبل النون باطراد[٥] مثل الكلمات : سكين ، مسكين ، تنين ، يقطين ، ويعربونها بالحركات الظاهرة على النون : الضمة رفعا ، والفتحة نصبا ، والكسرة جرا ، ومن شواهد ذلك قول الشاعر :

رُبَّ حيٍّ عَرَنْدَسٍ ذي طَلالٍ
لا يزالونَ ضاربينَ القِبابِ[٦]

ومثل قول جرير يمدح قوما ويهجو اخوتهم :

عرفنا جعفرا وبني أبيه
وانكرنا زعانفَ آخرينِ[٧]

وقبل ذلك قول الحكيم الجاهلي ذي الاصبع العدواني في الاباء :

اني أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظة
وابن أبيٍّ أبيٌّ من أبيينِ
لا يُخرج القسر مني غيرَ مأبية
ولا ألينُ لمن لا يبتغي ليني

ومن شواهد ملحقات جمع المذكر السالم التي اعربت بالحركات الظاهرة على النون كلمة « سنين» في قول جرير ، لامرأة عنفته على تصابيه ، من قصيدة في هجاء الفرزدق :

رأت مرَّ السنين أخذن مني
كما أخذَ السِّرارُ من الهلال[٨]

وقول الصمة بن عبد الله القشيري (شاعر أموى) في النسيب :

دعانيَ من نجد ، فإن سنينه
لعبن بنا شيبًا ، وشيبننا مُردا

ولا يقال : ان اعراب سنين بالحركات الظاهرة على النون هنا ، من الضرورات الشعرية اذ وردت كذلك في حديث نبوي « اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسفٍ » وفي لسان العرب : « بعض العرب يقول : هذه سنينٌ . . ورأيت سنينا ، فيعرب النون » وفيه أيضا « ومنهم من يقول : سنين على كل حال في النصب والرفع والجر ، ويجعل الاعراب على النون »

ومن اطراد هذه الظاهرة في العقود العددية كلمة « الاربعين » في قول سحيم بن وثيل الرياحي (شاعر حبشى بليغ في العصر الاموى) يمدح نفسه في مواجهة بعض خصومه :

وماذا يبتغي الشعراء مني
وقد جاوزت حد الاربعين
أخو خمسين ، مجتمع أشدى
ونجذني مداورة الشئون[٩] ، (١٠)

ويلاحظ هنا أن الشاعر يشير الى أنه بعد تمام الاربعين دخل في الخمسين ، أو عشرة العقد الخامس ، فهل في ذلك ايناس لاستعمال المحدثين كلمة الاربعينات للدلالة على سنوات العقد الخامس .؟ □□

---

(٤) نسبة الى "ثمانين" قرية في جزيرة ابن عمر .

(٥) اشار ابن مالك في الفيته الى هذا القول فقال : « وهو عند قوم يطرد » ، وليت هذا الاعراب بالحركات في جمع المذكر السالم وملحقاته غلب في لغتنا بدلاً من اعرابها بالحروف ليطرد الاعراب بالحركات .

(٦) ضاربين منصوبة بفتحة النون ، وهي مضافة ، ومع ذلك لم تحذف النون . والحي : القبيلة ، والعرندس : الشديد ، والطلال : كسحاب : الحالة الحسنة .

(٧) الزعانف : زوائد السمك والمراد هنا : الرعاع

(٨) السرار : كسحاب وكتاب : آخر ليلة من الشهر القمري

(٩) نجذني : علمتني تجارب الحياة وممارسة حيلها .

(١٠) انظر « منهج السالك » للاشموني : تحقيق محيي الدين ١ / ٥١ - ٥٨ ، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم ١ / ١٥٦ - ١٦١ ، والدرر اللوامع للشنقيطي ١ / ١٠ - ٢٢ .

آذربيجان

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : أوسكار متري

رض النار

.. وا...

تضم مدينة أذربيجان مبان من القرن العشرين الى جانب تلك التي اقيمت في القرن الخامس عشر ، ويظهر برج العذراء الذي أقيم كأحد الحصون ..

□ نطل على أحد المعابر التاريخية بين آسيا وأوروبا ، من احدى الجمهوريات الآسيوية في الاتحاد السوفييتي ، من باكو عاصمة أذربيجان . .

عرفت بأرض الزلازل ، ضربتها الزلازل الأرضية ومستها الزلازل الفكرية ، وعاشت الصراع بين حضارتي الشرق والغرب ، وما زالت تضم مزيجا مدهشا من آثار العرب والفرس والترك في تناغم لم يستطع ان يمحوه الزمن ، وما زال الكثير من أبنائها يؤرقه الحنين الى كل ما يرمز اليه الشرق . .

ان الرحلة اليها ليست مجرد انتقال من مكان الى آخر بل قفزة حقيقية الى عالم مغاير تماما ، الى مسرح كامل لتاريخ حي تتداخل فيه الصور ، مع حركة بناء شاملة في مجتمع عصري . .

وكان لنا في أذربيجان وقفة ضمن جولة واسعة ، بدأت من موسكو ، ثم لينتجراد ، ثم باكو ، والما ـ آتا عاصمة كازاخستان ، وانتهت الى عالم اوزبكستان الحافل ، لمثلت أذربيجان موقعا متوسطاً في رحلتنا وفي اهتماماتنا ، تلمس فيها الفروق بين الجانب الاوروبي والجانب الآسيوي من الاتحاد السوفييتي ، بين معالم الحياة الاوروبية في الشمال ومعالم التقشف والجدية في الجنوب ، بين عظمة اوروبا القرن التاسع عشر التي تراها في قصر بطرس الاكبر والقصر الصيفي والشتوي في لينتجراد ، وتراها في عظمة الشرق فيما بقى من آثار ، قصر آل شروان شاه وبرج العذراء والقلعة والسور ومساجد القرن الخامس عشر . .

وهي من جانب آخر نقطة وسط بين لينتجراد وبين سمرقند ، فاذا كانت أوزبكستان قد تمنعت طويلا وتحصنت خلف ماضيها في مواجهة الافكار الجديدة بعد الثورة الروسية ، فقد كانت مقاومة اذربيجان أقل ، وخطاها أسرع ، وبدأت البناء الجديد منذ ابريل عام ١٩٢٠ . .

وعندما ترى وجوه أهل باكو ، أو تسمع موسيقاها الشرقية ، أو تشاهد عمارها القديمة ، يخيل اليك انك في أحد شوارع اسطنبول ، أو مقاهي بغداد او القاهرة ، فعاصمة أذربيجان هي أقرب مدن آسيا السوفيتية الى الوطن العربي ، وأول بلد فى آسيا السوفيتية يدخله الاسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وهي تقع على حدود ايران ، ويتكلم اهلها لغة هي مزيج من التركية والفارسية ، وهي أول بلد ينتج النفط في الاتحاد السوفييتي ، وانتقلت نقلة واسعة في بناء الصناعة وميكنة الزراعة ، رغم أنها لا تختلف عن بقية الاقطار الأسيوية والعربية ، وبالتالي تستحق تجربتها التسجيل ، بعد أن تم انتزاعها من التخوم الاسلامية وأصبحت تدور في فلك الكرملين . . وما أحوجنا لنتعرف على حياة أهلها ، وأن نستعيد موقعهم من الذاكرة العربية ، فأمامنا مساحة مشتركة بين عالم الشرق وتجربة الغرب ، بين الماضي والحاضر ، وهي مرصد نطل منه على عالم الاتحاد السوفييتي ، وعلى جزء من تاريخنا بحلوه ومره . !

حاولت امام تجربتها ان اعطى عقلي للحاضر وقلبي للماضي ، أو على الاقل ، لأرى الحاضر من خلال سحابة الماضي ، ولا أرى الماضي من خلال سحابة الحاضر ، من أجل رؤية أكثر وضوحا وأكثر انصافا للماضي والحاضر معا . .

وهي مثل كافة الجمهوريات الآسيوية ، لها امتدادات خارج الاتحاد السوفييتي وشعبها جزء من كل ، قوميا ودينيا ، ويصعب اليوم التعرف على الكثير من المعالم القديمة ، فأسماء الكثير من المدن تغيرت أو محيت . .

أطلق عليها أرض النار عندما ضربت أرض أبشيرون الملتهبة (باكو الآن) واشتعلت ألسنة اللهب من الارض ، وظلت مشتعلة ليل نهار ، انها جزء من آسيا القبائل والصراع والفروسية التي اختلطت فيها الحقيقة بالاسطورة والحلم بالواقع على مر العصور . .

موقع أذربيجان من الاتحاد السوفييتي ، ويظهر قربها من البلاد العربية وتركيا وايران .

كانت يوما قلعة الاسلام ، وفيها اختلط الدم والحلم ، وتتـابعت عليها العهـود وتقـوضت عـروش وتقلبت أذربيجـان بين المجد والذل ، ومـواكب الغزاة تـتوافد عليها .. ودفع أهلها غاليا ثمن موقعهم ..

وعزلت عن عالم الاسلام بعد ما يزيد عن ١٢ قرنا من الاتصال ، ووقع ذلك في درس تاريخي هام ، فعندما تحول المسلمـون من دعاة الى أصحـاب سلطان ، ودبت بينهم الفتنة واشتعـل الاقتتـال ، هـزمـوا أنفسهم فهـزمهم غيرهم ، وهو الدرس الذي طالما تكرر ، وللاسف لا يريد أن يستوعبه أحد . !

وقد وضع وصول القوات الروسية القيصرية نهاية حقبة طويلة من الاقتتـال ، بعد أن عاشت تحت النفوذ الديني والثقافي للشرق ، ثم استولت عليها عام ١٩١٨ القوات البريطانية والتركية ، بعد معركة دبلوماسية حادة بين بريطانيا وروسيا القيصرية ، وساعدت الثورة السوفيتية الانتفاضة التي قام بها قياباني عام ١٩١٩ ..

وصلنا باكو بالطائرة ، حركة الطيران الداخلي بين المدن السوفيتية ضخمة ، البرودة تنعشك ولا تلسعك ، مناظر المدينة ذات طابع فريد تتميز بها المدن الجبلية ، شوارعها واسعة بصورة لا يمكن أن تشعر معها بالزحام ، ينتشر فيها اللون الاخضر ، ويقول مرافقي بلغة عربية مكسرة : « ان الخضرة هي مصنع الأوكسجين ، فهي التي تنقي الهواء الذي تتنفسه ، لذلك أقيم حزام أخضر حول باكو » ..

الفندق يطل على ساحة واسعة هي الساحة الحمراء ، التي تشهد تدريبات متصلة للجيش الأحمر استعدادا لاحتفالات اكتوبر ، الفندق والساحة يطلان على بحر قزوين وتقتصر المباني الفخمة على الفنادق والادارات الحكومية والمتاحف ومباني الخدمات العامة ، ومن أبدعها محطات مترو الانفاق .

كنا على موعد للقيام بجولة في المدينة ، بدأت بصعودنا فوق ربوة عالية ، تشرف على باكو العاصمة ، ترى العاصمة متمددة تحتك بمبانيها ومداخن مصانعها ومنارات جوامعها ومبانيها التاريخية ، وخلفها الميناء بأرصفته ومعداته ، وقد تحولت الربوة الى حديقة خضراء ، أقيمت عليها التماثيل والشعارات ، ونصب شهداء الثورة ، والشعلة المقدسة ..

وجوه من أذربيجان للاطفال والمعمرين ، وأحدى المهندسات العاملات في النفط ، ومنظر عام لمدينة باكو .
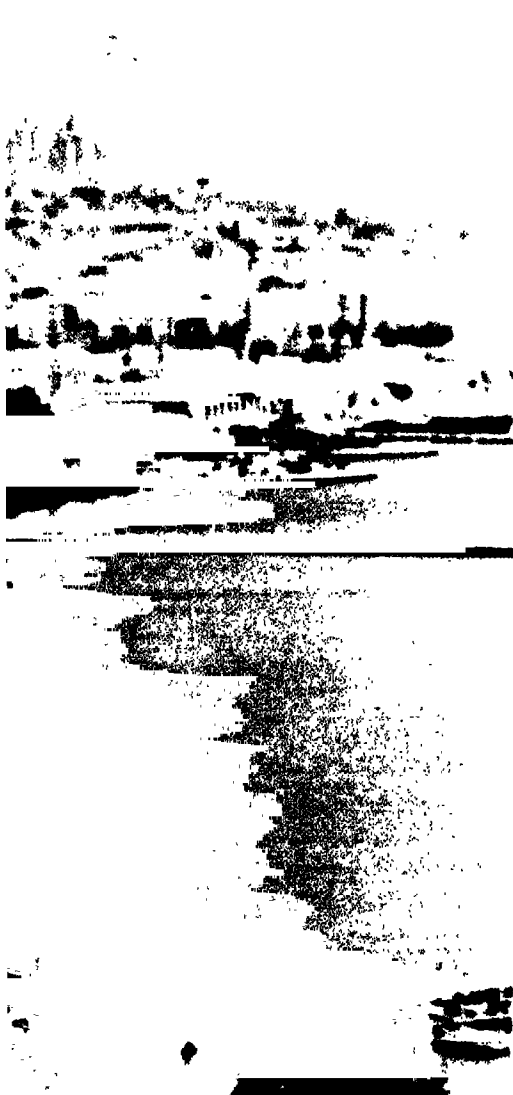
تظهر باكو وهي تضارع بعض المدن الأوروبية وتتفوق على الكثير من المدن الآسيوية . .

الرياح العاتية

واذا كان معنى أذربيجان هو أرض النار فمعنى باكو مدينة الرياح العاتية ، وبالفعل تهب عليها الرياح الدافئة من الجنوب ، وتعصف بها الرياح الباردة من الشمال ، وقد تنتقل دفعة واحدة من الدفء الى الصقيع !

انها خامسة مدن الاتحاد السوفييتي من حيث تعداد السكان ، فهم يبلغون حوالى ١,٦ مليون نسمة ، من عدد سكان أذربيجان الذين يبلغون ٦ ملايين و ٢٠٠ ألف نسمة ، ٨٠٪ منهم أذربيجانيون والباقي قوميات مختلفة . . وتبلغ مساحتها ٨٦ ألفا و ٦٠٠ كيلو متر مربع أي نفس مساحة سويسرا أو بلجيكا . .

ترى في حدائقها المعمرين والاطفال ، ويجلس المعمرون يستمتعون بالشمس او يلعبون النرد والشطرنج ، ففي أذربيجان اكبر عدد من المعمرين ، ويبلغ عدد الذين تخطت أعمارهم مائة عام ، ٤٩ من الالف من السكان ، وما زال لدى المعمرين الكثير من الحكايات عن أيام أذربيجان وتاريخها الذي لا تعثر عليه في الكتب . .

ويولع السوفييت بالارقام ، وهذه لوحة أذربيجان كما ترسمها الارقام . . ازداد انتاج اذربيجان منذ الثورة ١٦٥ مرة ، شملت مائة فرع من الصناعة . . وقضى في

أذربيجان على الأمية منذ الثلاثينيات وقد كانت تصل الى ٩٠٪، وفيها اليوم ١٨ معهدا أكاديميا ، ووصل عدد الأكاديميين الى ما يزيد عن أي دولة شرقية وعن الكثير من الدول الغربية ، وتنفذ أذربيجان الخطة الخمسية الحادية عشرة ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ ، وقد وصلت الخدمات بما فيها الكهرباء والغاز الى كافة أرجاء أذربيجان ، وحتى القرى في أعالي الجبال ، وتتوزع السلطات بين أيدي الحكومة المحلية والحكومة المركزية ، وتضع موسكو مشروعات السنوات الخمس لكافة جمهوريات الاتحاد ، وتشرف على الدفاع والعلاقات الخارجية ، والسكان ينتخبون ممثليهم لدى مجلس السوفييت الاعلى بنسبة واحد لكل ثلاثمائة ألف ، أما مجلس القوميات فيضم ٣٢ نائبا من كل جمهورية ، و ١١ نائباً من كل أقليم يتمتع بالحكم الذاتي ، ورئيس وزراء أذربيجان عضو في مجلس الوزراء المركزي . .

قيمة الانسان

وتعتز أذربيجان بأنها قدمت أحد القادة في الاتحاد السوفييتي ، انه حيدر علييف (على) الذي يتولى منصب نائب رئيس مجلس الوزراة وعضو المكتب السياسي ، والذي كان أمينا عاما للجنة المركزية في باكو ، مما يعني أن المناصب مفتوحة أمام ابناء آسيا . .

لدينا برنامج حافل ووقت قصير ، وحان موعدنا للقاء احد الوزراء ، الدكتور محمد غازي وزير الشئون الاجتماعية ، وأحد ابناء مدينة كيروف آباد ثانية مدن أذربيجان وقد عمل طبيبا في موسكو وحصل على وسام ، وأصيب خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم تخلى عن الطب وانضم الى العمل النقابي ، ومنه انتقل الى المنصب الوزاري ، ذكر في حديثه مدى ما يتمتع به أهل أذربيجان من رفاهية تمثلت في حقوقهم في معاشات التقاعد والشيخوخة واصابات العمل ، ليعود اليهم نتاج عملهم ، بعد أن تحولت أذربيجان الى حديقة الاتحاد السوفييتي تمده بالفواكه والخضروات ، وبعد أن تعددت مجالات التعدين والصناعة بها . .

يقول : « لا يوجد فرد في أذربيجان لا يتمتع بالتأمين والضمان الاجتماعي الكامل ، الذي أصبح أحد حقوق الشعب السوفييتي التي يضمنها الدستور ، والذي يتناول كل أنواع الضمانات الا الضمان ضد البطالة ، التي لا تعرفها بلادنا ، وتغطي الحكومة المركزية الضمان الاجتماعي (٧٢٪ محليا و ٢٨٪ مركزيا) ، وخلال *السنوات العشر الاخيرة ، ارتفعت ميزانية التأمينات* الاجتماعية الى ثلاثة أضعاف لتصل الى نصف مليو[ن] روبل ، وما نوفره للعاملين أعلى مما تطالب به منظم[ة] العمل الدولية ، ويضاف اليه تقديم مساعدات للاسرة [عن] كل طفل جديد ، من أجل العمل على زيادة الانجاب وعندما يصل الابناء في أحدى الاسر الى عشرة تحصل الا[م] على وسام رفيع ، واذا كان المجتمع السوفييتي بدو[ن] طبقات فلدينا طبقة مميزة تتمثل في الاطفال ، انهم الملو[ك] والملكات غير المتوجين في مجتمعنا . .

ويقوم الضمان الاجتماعي ببناء المساكن للمعمري[ن] والعجزة ، ولدينا ٨٢٢ ألف متقاعد ، وهناك أكبر عد[د] من المعمرين في كل جمهوريات الاتحاد السوفييتي ووصلت معدلات المواليد الى أعلى نسبة وهي ٢٥,٧٪ ولدينا أقل معدل للوفيات ٦ من الالف ، مما يعني أن ق[وة] العمل تتزايد دائما ، فالانسان هو الثروة الاساسي[ة] لدينا » . .

ويهدف الاتحاد السوفييتي الى زيادة حركة التصنيع [في] المناطق الاسيوية حتى تكون بمنأى عن أي هجوم محتمل بعد تجربته خلال الحرب العالمية الثانية عندما نقل العد[يد] من مصانعه الى تلك المناطق . .

كما أن التصنيع هو مرتكز القيم التي يروج لها وتضمن برنامجنا زيارة أحد المصانع لاجهزة التكييف المنزلية ، والذي كان ضمن الخطة الخمسية التاسعة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ وتكلف مليون روبل ، وينتج ٤٠٠ ألف جهاز سنويا ، ويعمل به ٦٥٠٠ عامل ، النظافة تحيط با[لمكان]

وزير الشؤون الاجتماعية في أذربيجان
الدكتور محمد غازي

احدى محطات مترو الأنفاق في باكو . . فن العمارة انتقل من القصور الى تلك المحطات

داخل ورش المصنع ، لا ترى شحما ولا زيوتا ، يستخدم المصنع أحدث انواع التقنية وتلاحظ ارتفاع نسبة العاملات اللاتي يعملن حتى في الاعمال الشاقة ، ويقوم المصنع بتدبير السكن للعاملين ، ويتولى علاجهم واقامة دور الحضانة للاطفال ، ويصل الفرق بين أعلى مرتب وأقل مرتب في المصنع الى أقل من ثلاثة أضعاف ، فأعلى مرتب ٣٠٠ روبل وأقل مرتب ١٣٠ روبل شهريا . .

المدينة السوداء

تأخذنا السيارة الى ما بعد باكو ، ونشاهد بعض القرى الجبلية عند قمم الجبال ، نحن في طريقنا الى مواقع انتاج النفط ، حيث تقوم معدات مصانع استخراج وتكرير النفط عند نهاية ميناء باكو ، في منطقة ما زالت تحمل اسمها القديم « المدينة السوداء » ، والتي جاء وصفها في أحد اعمال الاديب مكسيم جوركي والذي قال عنها « صورة رائعة لجهنم الكئيبة . . » ، ووصفها أحد الشعراء بأن « الخضرة فيها لا تتعدى ورقتين أو ثلاثا . ! »

وأخذ مرافقي يحكي قصة النفط في أذربيجان ، منذ أن أطلق عليها أرض النار نتيجة تشبع أراضيها بالنفط الذي تم اكتشافه بالصدفة ، عندما قدم الى أذربيجان أحد الاخوة نوبل (أصحاب الجائزة الشهيرة) يبحث عن نوع خاص من الاخشاب لصناعة أعقاب البنادق ، وعندما أدرك وجود النفط استحوذت عليه فكرة تأسيس شركة للنفط كان أحد مؤسسيها روتشيلد ، وكانت الشركة تحمل الى باكو المياه والتربة والمعدات بالبواخر على طول نهر الفولجا ، وقطعت صناعة النفط رحلة طويلة ، وانتقل من فلك السيطرة الاجنبية الى صناعة وطنية واسعة تساهم فيها العديد من المؤسسات العلمية . .

أخيرا وصلنا الى الموقع رقم ٤ ، في جزيرة داخل بحر قزوين ، والتقينا بأحد المهندسين من خبراء النفط ، وهو « أناتولي خاتشيان » الذي يشرف على العمل في المنطقة برمتها . . والذي بدأ حديثه قائلا : « تم استخراج اول برميل للنفط عام ١٨٧٣ ، وفي عام ١٩٢٠ انتقلت صناعة النفط للسلطة السوفيتية وبدأت مرحلة جديدة ، وتم ردم اجزاء من البحر لاستخراج النفط ، ثم تطورت

أحد المشاهد التي تتكرر ، استخدام العداد الذي ينتشر في المحلات التجارية . .

احدى الرقصات من الفن الشعبي الاذربيجاني .

المعلمة والأطفال متشابكون ، كثيراً ما تصادفه في حدائق بكو .

أحد محلات البيروسكا ، التي تنتشر في كل المدن السوفيتية ، والتي تبيع الهدايا بالنقد النادر .

العربي - العدد ٣٠٢ - يناير ١٩٨٤
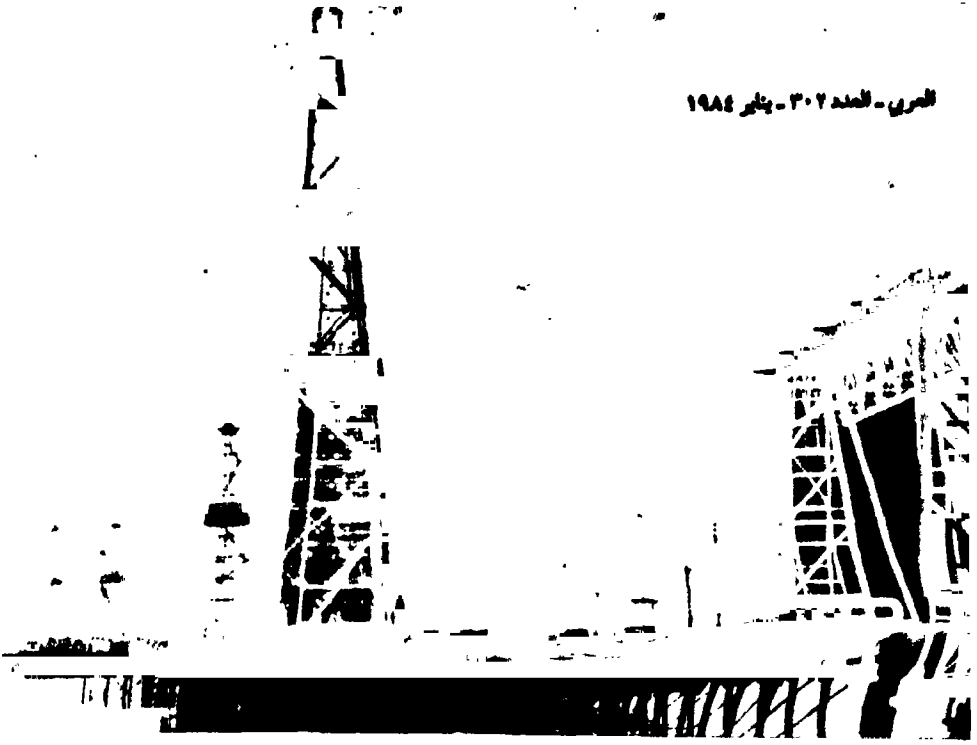
المنشآت النفطية فوق بحر قزوين

الاساليب ، أول حفار يعمل تحت الماء ، جزيرة صناعية لاستخراج النفط وسط المياه ، ووصل عدد الابار عام ١٩٥٢ الى مائتي بئر ، واليوم تصل الابار الى ٢١ طبقة أرضية والى عمق يتراوح بين ٢٠٠٠ متر و ٤٠٠٠ متر . .

وسألته : هل هناك اختلافات بين الاساليب المستخدمة لديكم وتلك المستخدمة في مناطق اخرى من العالم ، مثل بحر الشمال في بريطانيا . . ؟

ـ « اذا كانت هناك فروق فهي ترجع الى الظروف المتباينة لكل حقل ، ومدى تطور الصناعة في كل بلد ، وأحيانا نتيجة الاختلاف في النظام الاجتماعي ، فمثلا تقوم بالعمل شركات متخصصة في بحر الشمال ، أما لدينا فالذي يقوم بالعمل مؤسسة تابعة للدولة . .

وقد بدأنا التعامل مع بعض هذه الشركات المتخصصة ، وتعاقدنا مع الشركة الامريكية كيمكو ، وشركة رومانية اخرى ، كما تختلف أيضا الاساليب باختلاف نوع النفط المستخرج وطبيعة المنطقة ، ويبلغ أعمق بئر في الاتحاد السوفييتي ستة آلاف و ٣٠٠ متر ، ولدينا أعمق بئر في العالم يوجد في شبه جزيرة كوسلكي ، ويصل عمقه الى ١١ كيلومترا . . ؟

● ماهو مقدار النفط المستخرج من حقول أذربيجان ، ونسبته الى انتاج النفط السوفييتي . . ؟

ـ « بدأت أذربيجان وهي تمثل المصدر الرئيسي للنفط في الاتحاد السوفييتي ، بل وكانت حصتها في أوائل هذا القرن تعادل نصف النفط في العالم ، وبعد الحرب الثانية تزايدت الاكتشافات ، عند مصب نهر الفولجا ، وفي تتاريا وبشكيريا ، وأصبحت الحقول الجديدة تنتج ١٥ ضعف ما كانت تنتجه باكو ، وتتابعت الاكتشافات في القوقاز وحول مدينة جرور مي ، وفي غرب أوكرانيا وعلى سفوح جبال الاورال . وفي الجزء الاوروبي من الاتحاد السوفييتي ، وفي سيبيريا وفي قاز اخستان وفي تركمانيا وفي جزيرة سخالين . وكانت آخر الاكتشافات في السبعينات في بيلوروسيا (روسيا البيضاء) وتحت مياه البحر الاسود ومياه بحر البلطيق ، وقد ساهمت التقنية الحديثة في زيادة الحقول بنسبة ٥٦٪ ، كما ساهمت مراكز البحث والدراسات والتصميمات والتي تبلغ ١٧٠ مركزا في تزايد الاكتشافات . . »

● فن فكم يبلغ انتاج النفط ، وما هو الاحتياطي المقدر له في الاتحاد السوفييتي ؟

ـ يكفي أن أقول ، ان لدينا من النفط ما يكفي للقرن الواحد والعشرين ، في منطقة واسعة تمتد من بحر قزوين حتى جزيرة سخالين ، كما أؤكد لك أن المأزق النفطي الذي وقع في السبعينات ، لم يكن سوى مأزق سياسي ، فالنفط يكفي لتغطية احتياجات العالم ، وامتلأت الخزانات في دول الغرب بكميات كبيرة من النفط ، مما ساعد على تنشيط البحث عن مصادر بديلة للطاقة ، وارتفع دور الغاز الذي كان يذهب هدرا ، ونشطت بعض

البلدان للاستفادة من الطاقة الشمسية ومن الطاقة المائية ، ومن الطاقة المتولدة من حركة الرياح ، وأخيرا من الطاقة النووية ..

ولقد تقرر ان يتوقف انتاجنا من النفط في الاتحاد السوفييتي عند ٦٠٠ مليون طن سنويا حتى نهاية هذا القرن ، لكي نستخدم اشكال الطاقة الاخرى ..

وأننا على ثقة من ذكاء الانسان ، وقدرته الفائقة على استثمار موارد الطبيعة ... »

الحفاظ على البيئة

ولا يسعك سوى أن تلمس تلك الجهود المبذولة لحماية البيئة من التلوث ، ولعل الحفاظ عليها يشكل فاصلا دقيقا بين الدول المتقدمة وتلك التي ما زالت ترزح في أغلال التخلف ، والتجربة هنا فيها العديد من الدروس ، التي بدأت بتصوير كل ما تهدده الحضارة الحديثة من حيوانات وطيور نادرة وأنواع النباتات المختلفة ، وضمها متحف خاص وصدرت صورها في كتاب ، ولم يعد الحفاظ على البيئة لديهم مسألة يعكف عليها الخبراء وحدهم بل لا بد أن تكون محل اهتمام كل المواطنين ، انها مثل حاجة الجميع للالمام بقواعد وأصول اللغة برغم وجود لغويين متخصصين ، وتم تخصيص ١٠٨ مليون روبل لهذا الهدف وألقي ما يزيد عن ألف محاضرة في القرى والمدارس والتجمعات المختلفة ، وكانت أصعب المهام تلك التي تتعلق بالاثار الجانبية لاستخراج النفط في بحر قزوين ، والعمل على الحفاظ على ثروته السمكية النادرة ..

أناتولي خاتشيان ، أحد خبراء النفط

وكان لهذه الحملة أثر حاسم على وقف تآكل البيئة والحفاظ عليها ..

عندما يأتي المساء

البرنامج مزدحم لا يترك فرصة للتأمل إلا في المساء ، وسريعا ما يتبين الذي يزور الاتحاد السوفييتي ـ أحد قطبي العالم ـ أنه يدخل الى عالم مغاير لم يألفه ، له نظامه ومنطقه الخاص الذي يستغرق وقتا حتى يألفه ويتمكن من التعامل معه ، بما في ذلك من تفاصيل صغيرة ومسائل كبيرة ..

فمثلا ، لا يمكن أن تعرف رقم الهاتف في غرفتك بالفندق إلا عن طريق مكتب الاستعلامات في الطابق الذي تنزل فيه ، وهناك اجراءات لا بد من اتباعها لكي تتمكن من التعرف على رقم هاتف احد معارفك في المدينة ، وليس بمجرد النظر في دليل الهاتف فقط . وربما كان ذلك جزءا من نظام المعلومات الخاص في الاتحاد السوفييتي ..

اما اذا فاتك أن تأخذ معك بطاقة الفندق فيمكن أن تقضي ليلتك هائما على وجهك عندما لا يسمح لك بالدخول ، واذا جاءك زائر فعليه أن يملأ طلبا خاصا وتوقعه لكي يسمح له بالدخول ، ولعل ارتفاع مستوى الدخول في السنوات الاخيرة جعل الفنادق الكبرى معرضة لضغط شديد مما جعل وضع القيود على دخولها ضروريا ..

ثم .. ما هو سر العداد الذي تستخدمه البائعات في حساباتها بطريقة خاصة رغم توفر الحاسبات الآلية ؟ ! وهو ذات العداد الذي تلمحه في الكثير من الدول الآسيوية ..

وأخيرا .. ما هو سر تذكرة الطائرة في الطيران الداخلي ، والتي تجدها مقسمة الى آحاد وعشرات ومئات ، تحدد طريقة قطعها ، انها تكنولوجيا لم نعهدها .

وبعد مرور عشر سنوات على زيارتي الاولى ، لاحظت العديد من التغيرات ، مثل الزيادة الكبيرة في عدد السياح الاجانب والترتيبات الدقيقة المتعلقة باستقبالهم ، كما تلمس الزيادة في الدخول من خلال تنوع السلع الاستهلاكية التي تعرضها المحلات التجارية وارتقاء أذواقها واساليب عرضها ، ومع هذا يولع المواطن السوفييتي بالسلع الاجنبية ، ويدفع أي ثمن في قداحة الكترونية او مسجل صغير ، وتساءلت : هل هذه الظاهرة جزء من توق الانسان الى ما وراء الابواب الموصدة كما تروي إحدى القصص الرمزية ، أم أنها رمز للتفاحة التي أخرجت آدم من الجنة .. ؟ !

وعلى أية حال تقوم حملة واسعة ضد انماط الاستهلاك والعادات الغربية ، وتصل الى موسيقا الجاز التي انتشرت في المراقص . !

أحد المساجد التي تحولت الى متحف للسجاد . (الى اليمين)

مسرح الشاعر نظامي للفنون والآداب . (الى اليسار)

تدر صناعة السجاد اليدوي على أذربيجان زيادة في دخلها . (الى اسفل)

سجادة أذربيجانية بأنغامها الشرقية .

إحـدى التحف ضمـن مقتنيـات « الارميتـاج » في ليـنـنجـراد .

كما تزدحم الفنادق الكبرى التي تنقلنا بينها بالمواطنين السوفييت ، الذين يحصلون على تخفيضات تصل الى ٩٠٪ في تلك الفنادق ، كمكافآت وجزء من نظام الحوافز الذي تسع ، وقد وصلت ظاهرة ارتفاع الدخول حدا مقلقا للمخطط السوفييتي ، خاصة بعد ظهور فئة اجتماعية كبيرة ، لكل واحد من أفرادها بيت ريفي أو صيفي علاوة على سكنه ، وبعد أن أصبح لكل أسرة في المزرعة الجماعية الحق في تملك وتربية عدد من الحيوانات والطيور ، ونسبة تصل الى ١٣٠٠ متر من الارض ، يباع انتاجها في السوق مما يتيح زيادة الدخول ، وفي بعض الاحيان لا تحقق المزرعة المستهدف من الخطة ، وتحقق تلك الشرائح الصغيرة من الارض انتاجا وافرا . !

ليس بالخبز وحده

ولا يمكن لزائر الاتحاد السوفييتي إلا الاشادة بالاهتمام الكبير بالفنون والثقافة ، وتتوفر الاسطوانات والكتب بأسعار رمزية ، وتنتشر المتاحف والمسارح ، مثل متحف الشاعر نظامي ، ومتحف لينين ، والمسرح الدرامي الاذربيجاني ، وكل منها يقدم بأسلوب جذاب جزءاً من الفن والمعرفة الانسانية ، وفي كل جمهورية اهتمام خاص بالفلكلور ولديها فرقة خاصة للباليه وأخرى للموسيقا وثالثة للمسرح ، وتتمتع راقصة الباليه او ممثلة المسرح باحترام عميق في المجتمع ، وكل ليلة تمتلىء المسارح بالمشاهدين ، ولا تجد مقعدا شاغرا في أي منها . .

ويعتبرون أن الفن بأشكاله المختلفة هو الغذاء الروحي للشعب ، فعندهم أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، ولكن هل يكفي الفن وحده غذاء للوجدان . ؟ !

ويلاحظ على الاعمال الفنية انها تشمل تاريخ وثقافة اهل أذربيجان في انتقاء دقيق من ثقافة البلاد القديمة ، وانتقاء آخر من صفحات أدبها وتاريخها . .

وكنت آمل أن أحصل على بعض أشرطة الفيديو المسجل عليها بعض أعمال « باليه البولشوي الشهير » ، وعلمت أن الاتحاد السوفييتي لا يعرف « الفيديو » بعد ، ولعل غياب الفيديو ساهم في استمرار مستوى العروض المسرحية والحفاظ على مكانتها ، والتي ما زالت تتميز بمتعة المشاركة والذهاب الجماعي الى المسرح ،

ويقول مرافقي : « ان بدء صناعة الفيديو معناه خلق حاجة استهلاكية جديدة ، فسريعا ما ينتشر ويصبح عبئا على الانتاج القومي ، فلم يحن وقته بعد ، في جدول الاولويات في الاتحاد السوفييتي . . »

وتذكرت أن ما يصل الى ربع انتاج اجهزة الفيديو في العالم يستهلك في منطقة الخليج وحدها . !

النفطلان

ونمضي في جولتنا نبحث عن الجديد وتوقفنا طويلا عند طرق العلاج القديم في مجتمع المعمرين ، والذي توجد به مادة فريدة تسمى النفطلان ، لا توجد إلا في أذربيجان وهو سائل يشبه النفط ويستخدم في علاج عدد من الامراض توصل اليه قديما اهل أذربيجان وسجله الشاعر نظامي في أحدى قصائده ، أقيمت في مكان استخراجه مدينة كاملة تضم مصحة ومركزا علاجيا ، وقد توصل العلماء الى استخراج مجموعة من العقاقير من هذه المادة لعلاج أمراض المفاصل والحروق . .

و في أحدى حدائق باكو زرت أحد المصحات التي تعالج الكثير من الامراض بطريقة فريدة عن طريق استنشاق رحيق انواع خاصة من النباتات ، وتتكون المصحة من وحدة صغيرة من الزجاج ، يأتي اليها المرضى ، ويتحلقون حول نبات له رائحة نفاذة ، ويقضون مدة محددة كل يوم ، وقالت المشرفة على هذا النوع من العلاج : « ان النبات الذي يستخدم في العلاج ، يعالج ببعض الادوية مثل الاسبرين والجلوكوز والمياه المعدنية ، لتخلصه من الضار ويبقى المفيد ويصبح مناسبا للعلاج ، أما الرائحة التي يستنشقها المريض فهي تؤثر في مراكز بعض خلايا مخ الانسان مما يؤدي الى شفائه ، وقد ثبت نجاح هذا العلاج في أمراض اضطرابات القلب وانسداد الشرايين والربو وأمراض القصبة الهوائية وبعض الامراض العصبية . . »

وسألتها : ● وما هو الاصل العلمي لهذا العلاج ؟

ـ تخرجت من المعهد العلمي ، وكان استاذي البروفسور شكر جزانوف ، الذي عمل خمسة عشر عاما في تجارب عميقة حول الاعشاب ، ومنذ ما يزيد عن عشرين عاما أعمل في هذا النوع من العلاج ، الذي أثبت فعالية كبيرة ، ورغم هذا فالادارة المحلية لا تساعدنا ، وليس لدينا سوى هذه المصحة الصغيرة ، رغم تزايد الاقبال علينا ، والكثير من شهادات المرضى الذين أعياهم مرضهم ولم يجدوا الشفاء الا لدينا . . »

وتساءلت في نهاية جولتي أليس هذا النوع من العلاج امتداداً لطب ابن سينا ، ثم ألا تذكرنا هذه الوحدة العلاجية بمدرسة الطب التي أقيمت في شماخة بأذربيجان في القرن الثاني عشر ، والتي أقامها كافي الدين عمر بن عثمان ، والذي درس الخواص العلاجية للنبات ، ووضع دراسات تصف وتحدد الاستخدامات العلاجية للاعشاب وتواصلت هذه المحاولات حتى القرن الرابع عشر في جامعة دار الشفاء التي كان يتلقى العلم فيها بضع مئات من

مصنع المكيفات المنزلية

الطلاب ، والتي خلفت مكتبة تضم ما يزيد عن ٦٠ ألف مخطوط لم يكشف عن كل أسرارها بعد . .

وليس ما أراه غريبا فقد أمدت منطقة آسيا الوسطى عالم الاسلام على مدى التاريخ بأهم مفكريه وفلاسفتة وعلمائه ومؤرخيه . .

صهيل الخيول

حان الوقت لزيارة اهم جزء في رحلتنا والتجول في المدينة القديمة ، وفيها نخرج اضطرارا من العصر الذي نعيشه ، وتدخل في مشاهد وصور الماضي ، حتى تكاد تسمع صهيل الخيول وقعقعة السيوف ، ثم ل المدينة القديمة بصمات عاصمة الرشيد عندما يطالعك المسجد والقلعة والاسوار والمدرسة والحمامات التي أقامها الشاه اسماعيل ، يرجع تاريخ ما تبقى من آثارها الى القرن الخامس عشر ، عندما انتقلت العاصمة الى شيروان (باكو الحالية) ، وترى منارات المساجد وقصر آل شروان شاه ، وبرج العذراء ، وخان القوافل ، وخان الديوان ، وتشاهد الازقة الضيقة العتيقة التي يستطيع سكانها أن يصافحوا جيرانهم بالايدي من الشرفات المزينة بالمشربيات الشرقية .

وينطق برج العذراء الشامخ بفن العمارة ، ويأتي صوت مرافقي مخترقا الماضي ويقول : « اقام احد الحكام هذا البرج على شاطىء البحر لحبيبته التي لم تر فيه سوى قيد على حريتها ، فألقت بنفسها من فوق البرج الى أحضان البحر . . » وهكذا تختلط الحقيقة بالاسطورة ، فعلماء الاثار لهم رأى آخر ، ان تسمية برج العذراء دلالة منعة البرج وصعوبة اختراقه ، ولكن القصة الرومانسية هي التي يستوحي منها الفنانون المعاصرون ، الكثير من أعمالهم . .

أما خان الديوان الذي كان مقرا للحكومة ، فهو كشف أثري لم تعرف كل أسراره بعد ، وما زال البحث واعادة الترميم قائما ، ويشمل المحكمة التي يصدر منها القاضي احكامه ، ويضم ضريح عالم الرياضيات والفلك الشهير سعيد يحيى باكوفي ، والذي كان معلم الشاه ، مما يعكس القدر الكبير الذي كان يتمتع به علماء ذلك الزمان ثم هناك حمام تركي للنساء كان مطمورا تحت الارض وتم اكتشافه عام ١٩٣٨ ، كما عثر مؤخرا تحت مياه بحر قزوين على مجموعة حجرية وعليها كتابات عربية لم يستكمل الاثريون قراءتها بعد ، وما زال الاثريون يبحثون عن سر فخامة السجن القائم تحت سدنة المحكمة ، وينقلك المشهد بمنارته وقبته وعمارته الى لوحة مثيرة تتزاحم فيها جحافل الفاتحين وقوافل البنائين وحلقات الفقهاء والعلماء . .

ولاحت بقايا سور المدينة ، ومن فوقه مبان قديمة ، وتلمح آثار الشيخوخة على السور الذي انهارت اكثر أجزائه ، ولم يفلت من عبث الصغار الذين يتقافزون فوقه

يتم الزواج المدني في كل مدينة في الاتحاد السوفيتي في قصر خاص ، يطلق عليه قصر العرائس .

يستكمل المسلمون عقد قرانهم بالذهاب الى المسجد ليتولى الشيخ عقد القران من جديد . .

اعلى نسبة من المعمرين توجد في أذربيجان .

احد المصحات الفريدة ، التي يعالج فيها المرضى عن طريق استنشاق رحيق أنواع خاصة من النبات .

قصر آل شروان شاه وبعض الكتابات العربية التي ما زالت تبحث عن الذي يكشف اسرارها . (الى اليمين)
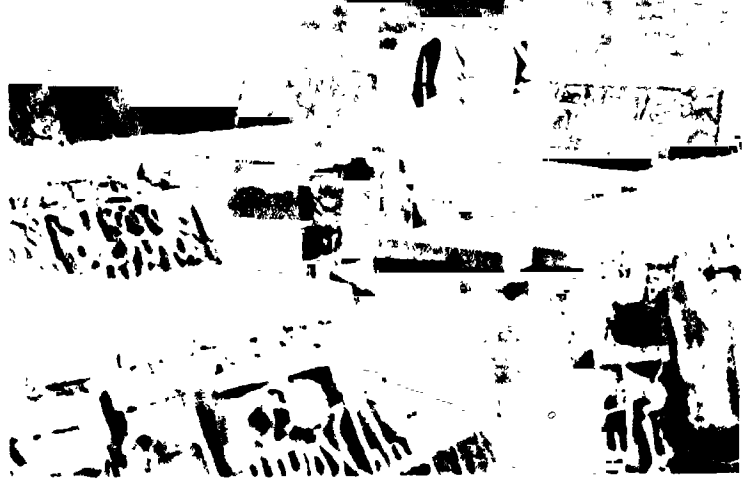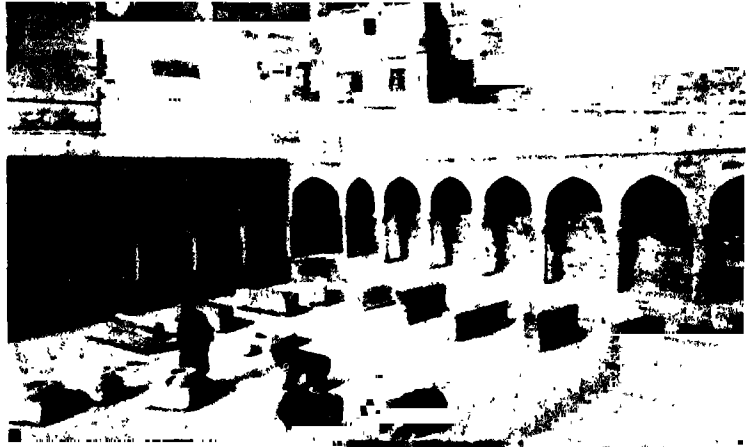
احدى القرى الاذربيجانية فوق قمم الجبال . (الى اليسار)

غير مدركين انهم فوق جزء من التاريخ . .

وتناولنا طعامنا في « قرمان شاه » احد المطاعم والذي كان خانا للقوافل ، والذي يقدم « الكباب » الاذربيجاني ، ويتكون من غرف وبواك تركت على حالها ، وتسمع فيه الموسيقا الشرقية ، وتتذكر اغاني ام كلثوم المعروفة هنا على نطاق واسع ، وألحان ناظم الغزالي ، وتتذوق معاني الأغاني الأذربيجانية رغم عدم إدراك لكلماتها ، ويصدق المثل الاذربيجاني . . « تتكشف روح الشعب من الاغنية . . »

وضمن جولتنا في المدينه القديمه نزور متحفا للسجاد الاذربيجاني ، وأفاجأ أن المتحف كان واحدا من اجمل المساجد ، وهو ضمن المساجد التي تحولت الى متاحف ، وقد استخدمت فيه كل أدوات الفن من زخارف نباتية وهندسية وحروف عربية وآيات من القرآن الكريم ، ويتسمر السياح الاجانب أمامها مذهولين . .

وطراز المسجد هو ذات طراز المدرسة المستنصرية في بغداد ومسجد السلطان حسن في القاهرة ، ويتكون من جدران حجرية ملساء حتى قاعدة السقف ، تنعقد عليها الحواشي الافقية المتدلية ، والنوافذ التي تقوم في المحاريب ، وتقف مشدوها امام منظر باب أو نافذة ، وتغطي المساحة التي أمامك تكوينات رقيقة شبيهة بتكوينات الارابيسك التي نحتت في الحجر ، في لوحات صامته تسجل عظمة الحضارة التي أبدعتها ، والفن العظيم بالضرورة نتاج طبيعي لحضارة عظيمة يشكل هذا الفن إحدى عرباتها . .

لقد نقل هذا الطراز من العراق ليحتفظ به في اذربيجان في الشمال ، ونقل الى مصر في الجنوب والقائم في جامع السلطان حسن . .

أما السجاد المعروض فان الوانه الحان شرقية بديعة ، ويكشف بوضوح وجدان الاهالي في أذربيجان ، وتلمس فيه مرة أخرى التأثيرات العربية والفارسية والتركية ، وتسجل رسوم السجاد ذات الالوان ، القصائد الخمس للشاعر نظامي الذي ظهر في القرن الثاني عشر والتي من بينها مجنون ليل . .

وتشهد اذربيجان عملية احياء واسعة لهذه المنطقة الغنية بآثار العصور الوسطى ، وتقرر ترميم كل مبانيها وتحويلها

الى منطقة اثرية ، ولعله قد حان الوقت لادخال حضارتها القديمة الى متحف التاريخ . !

الرسم بالكلمات

كانت محطتنا التالية في عالم المخطوطات ، عند زيارتنا لمعهد المخطوطات في باكو ، وتجولنا بين ما يزيد عن ١٥ ألف مخطوط من أهم ما خلفته الحضارة الاسلامية ، معظم هذه المخطوطات باللغتين العربية والفارسية وكتبت عندما كانت العربية والفارسية لغتين للعلوم والثقافة .

ولا تملك سوى الدهشة من الجهد الخارق والصبر الذي كان يتحلى به الوراقون الذين نسخوا هذه الكنوز العلمية والفنية المحلاة بالرسوم والالوان ، وببديع الخط العربي ، والتقينا بعدد من الباحثين والعلماء الذين يجيدون اللغات العربية والفارسية والعاكفين على تحقيق هذه المخطوطات ودراستها ، بعد أن شهدت هذه المناطق الاسيوية انتعاش معاهد الاستشراق ، مع العمل على تحقيق ونشر القيم من هذه المخطوطات ، ويعطون الاهمية الاولى لتلك المخطوطات العلمية في الفلك والرياضة والطب ، وبعدها تلك الكتابات التي تتناول الجانب الأدبي والقومي لتلك المناطق ، ولا يعطون نفس الاهتمام لما يحفل به معهد المخطوطات من مؤلفات تتناول الجوانب الفقهية والصوفيه الاسلامية . .

وتعامل المخطوطات بعناية فائقة ، لا تلقاها في العديد من الاقطار العربية ، وتم نشر العديد منها ، كما تم نشر العديد من مخطوطات الفارابي بمناسة الاحتفال بالذكرى المائة بعد الألف لميلاده ، وعدد من مؤلفات البيروني وابن سينا بمناسبة الذكرى الالف لميلادهما ، وبعض مؤلفات الخوارزمي بمناسبة ذكرى ميلاده المائتين بعد الالف ، وبعض الاعمال التي تم نشرها ترجمت الى اللغتين الروسية والمحلية ، وقليل منها نشر باللغة العربية ، وتلمس في أسلوب انتقاء بعض المخطوطات العمل على اشعال جذوة الروح القومية المحلية ، ويمكن ملاحظة ذلك من تقسيم تركستان الى خمس جمهوريات من عائلات مختلفة للترك ، ويعملون على جعل تاريخ قومي خاص لكل منها ، يتغنى الشعب بأبطاله ، يصاحب ذلك احياء الفلكلور الشعبي لكل جمهورية ، وان كانوا في آسيا الوسطى يتعاملون مع الظاهرة القومية ، نجدهم يتبعون منهجاً مختلفاً مع منهج اليهود الذين يتمتعون دون سواهم باقليم للحكم الذاتي على أساس ديني ، لا قومي ، بمنطقة بيروبيجان في الشمال . !

أما اللغة المحلية في أذربيجان فهي تنتمي الى عائلة اللغات التركية ، ويتم التدريس بها في المدارس والجامعات الى جانب اللغة الروسية التي توحد البلاد الواسعة الارجاء ، وكانت اللغة الاذربيجانية تكتب في الاصل بالحروف العربية ، ثم تحولت في عام ١٩٢٧ الى الحروف اللاتينية ، وأصبحت منذ عام ١٩٣٧ تكتب بذات الحروف التي تكتب بها اللغة الروسية أي بالحروف الكريكية . .

وا .. اسلاماه ..

واذا كانت أذربيجان قد حققت كما رأينا تقدما ملموسا في العديد من جوانب الحياة ، وأعطت اهتماما واسعا للفنون المختلفة ، باعتبار الفنون غذاء الروح ، فها هي اليوم وبعد نحو ٦٥ سنه ثورة تتوق الى الايمان . .

وكان طوافي في الجزء الاخير من رحلتنا في المساجد ، أتعرف على حياة المسلمين وهمومهم ، وقد كان الاسلام هو دين البلاد المقهورة والارثوذكسية هي المذهب السائد في روسيا القيصرية . .

بقايا السور والأبراج في باكو .

ر التي لم يكشف عن أسرارها بعد .

سبيل قديم أمام خان قرمان شاه .

مسجد طازه بير أكبر مساجد أذربيجان ومقر الادارة الدينية .

شيخ الاسلام حاج الله شكر بابا زاده .

الصلاة في أحد مساجد الاتحاد السوفيتي .

بعد الثورة تغير الكثير من مناحي الحياة ، ومن بينها
، السلطة الجديدة من الاسلام ، ورغبتها في أيامها
، في كسب المناطق الآسيوية ، وصدر في هذا الوقت
م سوفييتي يقول : « يا مسلمي روسيا ، من الآن
عدا ، نعلن أن معتقداتكم ومؤسساتكم الوطنية
الية ، حرة لا يمكن أن تمس ، رتبوا حياتكم
ية ، واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق كل
ب تحميها كل قوة الثورة وأجهزتها . . »

انت هذه هي البداية ، وبعدها كم من الأحداث
ها المياه ، وتداخلت معارك وتضاربت أهداف ،
: هناك تصور ، أن الغاء الاستغلال وبدء حركة
يع والاصلاح الزراعي والمزارع الجماعية كفيل
، بحل كل المشكلات القومية والدينية ، وخفت الى
صيحات تأكيد الهوية ، والتمايز بين الشرق والغرب
، محلها أهداف مثل القضاء على مراكز الاستغلال ،
ت فترات عصيبة ، وتغيرت الظروف وتشققت
بت ، واستقر الامر على ما يمكن تسميته نظرية
بات ، فمربع للدولة وآخر للدين ينفصل كل منهما
لآخر ، ولا تفرق الدولة بين المواطنين بسبب دينهم ،
يوز ان يسجل دين المواطن في أي من الوثائق الرسمية
شهادات الميلاد أو جوازات السفر ، وليس لأحد أن
، عن عقيدة من يطلب عملا ، فالديانة مسألة شخصية
: للفرد وترجع الى ضميره ، وبينما كانت هذه
راءات تأخذ طريقها الى التطبيق ، أعلنت تركيا أهم
اسلامية في هذا الوقت أيام اتاتورك فصل الدين عن
لة ، أما بقية الدول الاسلامية فكانت جميعها تكاد
ن خاضعة للاستعمار !

بلور الدستور السوفييتي هذا الموقف في مادته ٥٢
له : « تضمن لمواطني الاتحاد السوفييتي حرية
يدة ، أي الحق في أعتناق أي دين ، وأداء الشعائر
ية أو القيام بالدعاية الالحادية ، وتمنع اثارة العداوات
حقاد بسبب المعتقدات الدينية . .
الدين في الاتحاد السوفييتي مفصول عن الدولة
رسة مفصولة عن الدين . . »

أصبح المسلمون وغيرهم يتمتعون بحرية ممارسة
رهم ضمن هذا الاطار .

لعل التجربة السوفيتية بما تتيحه من حرية العقيدة
، ممارسة الشعائر ، وهي تكرار لتجربة فريدة من
ا في التاريخ ، هي تجربة الدولة الاسلامية ـ رغم
ف في جوهر كل منها ـ التي كانت أول دولة تقدم هذا
لأصحاب العقائد المختلفة ، فرغم أن الاتحاد
فييتي تحكمه عقيدته الخاصة ، نجده يسمح لاصحاب
ائد الأخرى بالوجود وممارسة شعائر دينهم . .

شيخ الاسلام . .

وها هو « شيخ الاسلام » في أذربيجان يكمل الصورة . .

التقيت بحاج الله شكر بابا زاده في مسجد « طازه بير » أكبر مساجد باكو ، ومقر الادارة الدينية لمسلمي ماوراء القفقاس ، انه شاب في مقتبل العمر ، درس في مدرسة مير عرب في بخارى وأكملها في معهد الامام البخاري في طشقند ، ويرأس مجلساً دينياً يضم السنة والشيعة الذين يتكون منهم المسلمون في أذربيجان ، ويتولى رئاستها شيعي يحمل لقب « شيخ الاسلام » ونائبه « سني » يحمل لقب « مفتي الاسلام » .

يقول « شيخ الاسلام » : يبلغ عدد المساجد في أذربيجان ٣٠ مسجدا عامرا ، وهناك العديد من المساجد الصغيرة في الأحياء ، وتقوم الادارة الدينية باعداد واختيار الأئمة ، وتعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتصدر الكتب الاسلامية والنشرات الدورية ، وأشار الى وجود بعض المساجد التي تفلت من هذا الاشراف ، ويتولاها أئمة غير مؤهلين . ! »

* سألته : هل هناك مساجد جديدة تقام ؟

ـ « هناك مسجد سلماني الذي افتتح في باكو العام الماضي . . »

* كيف اخترت طريقك كأحد رجال الدين ، وهل لعائلتك دور في هذا الاختيار ؟

ـ « ان أسرتي تضم أحد عشر ابنا ، أنا الوحيد الذي تلقيت التعليم الديني ، فأخي يعمل مهندسا ، وأخواتي يعملن في مهن مختلفة ، طبيبات واخصائيات زراعيات ومعلمات وعاملات ، وقد شعرت أن الاسلام رسالتي منذ كنت طفلا وبعد اطلاعي على الكتب الاسلامية في المسجد ، قررت أن أدرس الاسلام . . »

* ماهي مصادر الدخل للانفاق على المساجد ، بعد الغاء الأوقاف الاسلامية ؟

ـ « نعتمد على تبرعات المسلمين ، التي تزايدت مؤخرا ، ولعل زيادتها تعود الى زيادة عدد المتبرعين ، أو الى ارتفاع مستوى المعيشة في البلاد ، أو للسببين معا . . »

* هل تقبلون التبرعات من أي هيئة اسلامية خارجية . . ؟

ـ « لا . . فنحن نكتفي بالتبرعات التي يقدمها المسلمون في أذربيجان ، وهي تكفي للانفاق على المساجد ، ودفع رواتب الأئمة وخدام المساجد . . »

* هل تطالبون بأن تعود المساجد التي أصبحت متاحف الى الادارة الدينية ؟

بعض أنواع الكروم التي تشتهر بها أذربيجان

- « ميزانيتنا لا تسمح بالحفاظ عليها وترميمها ، ووزارة الثقافة تشرف على الآثار وتتولى عمليات الترميم هذه ، وأحيانا نساهم في بعض نفقات الترميم . . »

* هل يوفد بعض الدارسين للدراسة في الأزهر أو الزيتونة أو النجف الاشرف مثلا ؟

- « لدينا الكثير من خريجي الازهر ، ولدينا بعثة سنوية تذهب الى الحج كل عام لأداء الفريضة . . »

* لماذا لا تطلبون من السلطات تغيير دوريات العمل يوم الجمعة ليتمكن من يرغب منهم في اقامة صلاة الجمعة ؟

- « العمل أولا ثم تأتي العبادة »

* هل ينقسم الشيعة الى سلم هرمي على رأسه آية الله وفي قاعدته الملا . . وهل تحصلون على العشر من أموال المسلمين . . ؟

- « النظام لدينا مختلف ، والعشر يجمع اختياريا »

* كيف تم اختيارك كشيخ للاسلام . . ؟

- « عن طريق الانتخاب من خلال مؤتمر اسلامي »

* كيف تتعرف الاجيال الجديدة على تعاليم دينهم . . ؟

- « هذا الواجب يقع على الاسرة ، فمثلا في اسرتنا جميع أخوتي درسوا القرآن الكريم ، وبعضهم يعرف اللغة العربية »

* هل تقدمت بمطالب الى السلطات المحلية ، لم يتم الاستجابة اليها ؟

- « انهم يستجيبون الى كل مطالبنا . . وتخصص لنا الاراضي لبناء المساجد ، والمطابع لطبع الكتب والمجلات الاسلامية ، كما تساعدنا في عقد المؤتمرات الاسلامية والاتصال بالمسلمين في كل مكان . . »

هذا ما يردده « شيخ الاسلام » ، ويبقى السؤال قائما ، فبعد أن عرفنا أن للمسلمين حقا دستوريا في ممارسة شعائرهم ، يبقى السؤال قائما حول أحوالهم وكيف يمارسون حقوقهم ؟

بعد أن تستمع الى ايحاءات التاريخ يمكن أن تلمس بعض المؤشرات عن الاسلام الصامت ، فمثلا يلاحظ أن الاسماء ما زالت كلها أسماء اسلامية تنطق باللهجات المحلية ، وترى حرص المتزوجين حديثا - بعد انتهاء العقد المدني - على اتمام عقد القران في المسجد ، كما يتم الاحتفال والاحتفاء بكل الأعياد والمناسبات الدينية ، ويجد المسلمون في ممارسة الشعائر وفي هذه الاحتفالات طريقا للتعبير عن تمسكهم بالدين ، وتلمس هذه الظواهر اوضح ما تكون اذا خرجت من المدن الكبيرة ، وبقيت الشعائر آخر الحصون المنيعة ، واذا كانت الجوامع تمتلىء يوم الجمعة بالعجائز ، الا أن الرجال في أعمالهم والطلبة في مدارسهم . .

وأصبح هناك ما يمكن ان تطلق عليه ثقافة تحتية ، يتناقلها الناس يختلط فيها الدين بالتاريخ بالهوية ، فما زال الكثيرون قابضين على الجمر ، وسنتناول هذا بتفصيل أكبر في استطلاع قادم نستكمل فيه رحلتنا الى قازاخستان وأوزبكستان . .

وأخيرا . .

ليس الحاضر في النهاية سوى سطر في صنع المستقبل ، وليس سهلا تقديم تجربة بهذا الحجم في هذه الصفحات القليلة ، وليس فى هذا الاستطلاع سوى القاء بعض الضوء على الحياة في أحد أركان الاتحاد السوفيتي . □□

الالوان كما جاءت فى لوحة من أذربيجان ، ويلاحظ النغم الهادىء فى استخدام طيف الالوان .

الوان وانـاس

بقلم : الدكتور عمر الدقاق

تدور الالوان وتدور خبرات الشعوب حول هذه الالوان .
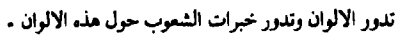
منذ خلق الكون ، وبدء الحياة والوجود . . كانت الألوان . وكما تميزت الكائنات في الدنيا بماهيتها وهيئتها ، وبشكلها وحجمها ، تميزت أيضا بلونها . وهكذا اتسم التراب بالحمرة ، والسماء بالزرقة والحقول بالخضرة ، وعاشت الألوان مع الانسان ، أسماء وصفات وسلوكا في الحياة .

الطبيعة أغزر منبع للألوان ، سواء في عناصرها الجامدة او كائناتها الحية وثمة الوان كثيرة في الصخور والحجارة والاتربة والرمال ، واكثر منها في النباتات والثمار والازهار ، وقد تبلغ اعدادا غير متناهية تستعصي على الحصر في عالمي الطيور والاسماك .

وفي فجر الانسانية فتن المرء بتنوع الألوان ، فاستهواه جمالها ، وراقه لمعانها . وكان ان دخلت الألوان في صميم حياة الانسان ، وغدت لها آثار بعيدة في حياته الدينية والاجتماعية ، وايضا في حياته النفسية والعاطفية .

ويغلب على الظن ان قوس قزح ، بألوانه الزاهية وهيئته البهيجة اثار اهتمام الانسان القديم وانتزع اعجابه ، وذلك على غرار ما كانت تفعله في نفسه سائر ظواهر الكون ، من شروق وغروب ، وكسوف وخسوف وبرق ورعد ، ومطر وقحط . . غير ان قوس قزح بما ينطوي عليه من جمال وبهاء ، الى جانب كونه ظاهرة متألقة في الكون ، جدير بأن يولد في اعماق المرء شعورا خاصا وان يبعث في نفسه أضواء الأمل ، وأنوار التفاؤل . حتى لقد ساد الاعتقاد لدى بعض الاقوام ، بأن ظهور قوس قزح ما هو الا اشارة صادرة من رب السموات الى خلقه على وجه البسيطة ، ينبئهم فيها ان الارض لن تكون معرضة مرة اخرى للطوفان !

لقد كان للألوان منذ الأزل شأن كبير في حياة البشر ، اذ ارتبطت اوثق ارتباط بوسائل عيشهم وبأفكارهم وتقاليدهم وعاداتهم ومفاهيمهم . . وطبيعي ان يتميز كل شعب بجانب من الألوان ، تبعا لمحيطه وبيئته . فمن الملاحظ مثلا ان اللون الأسمر كثير الشيوع في ربوع العرب بسبب سطوع شمسهم ، والسمرة تتردد على السنة شعرائهم حين ينعتون الرماح بأنها سمر ، وفي غزلهم حين يصفون الحبيبات بأنهن ايضا سمراوات . .

ثياب الاحرام

وفي الاسلام كان البياض لون رداء الاحرام ، لأداء مناسك الحج ، والطواف حول الكعبة ، والوقوف على جبل عرفات . وهذا الرداء الابيض البسيط ، غير المخيط ينم على هالة من الطهر والنقاء ، وخلوص النفس وهي في رحاب خالقها ، من ادران الدنيا وذنوبها ، ومفاسد الحياة ومعاصيها . .

اما لون السواد فهو رمز الحزن عند اكثر الشعوب ، وفي جملتهم العرب . وهو ما يرتديه اقارب الفقيد وذووه من ثياب سود الى اجل محدود . وقد يكتفي بعضهم في العصر الحديث بارتداء ربطة عنق سوداء ، او بوضع شارة سوداء او نحوها على طرف الصدر .

على انه من الغريب أن يكون البياض ، وليس السواد ، هو رمز الحزن لدى بعض الأمم ، ومنها أمة الصين . وهذا يعني ان الافهام قد تتعارض ، وان الاذواق قد تتباين . وقد ذكر ابن بطوطة خلال رحلاته انه شاهد اهل الصين يتخذون البياض لونا لملابس الحداد . وما زال الصينيون الى اليوم على هذه العادة وما لنا نذهب بعيدا وعرب الاندلس انفسهم اتخذوا الثياب البيض دلالة على الحداد ، وما زال المسلمون في اقطار المغرب على ما كان عليه جدودهم في هذه الاحوال .

وقد بين احمد تيمور ـ وهو في صدد جمعه للنبذ التاريخية ـ ان السواد لم يكن دائما لون الحداد ، فمثله كانت الوان البياض والخضرة والصفرة والزرقة . . فمن عادة الفاطميين ان ولي العهد كان يرتدي حلة خضراء اثر موت الخليفة ، وهي لباس الحداد ، ثم يخلعها ويبدلها عند مبايعة الرعية له ، ويرتدي ثوب الخلافة . وقد ذكر الديري في اوراقه ان علامة الحزن لدى بعضهم كانت وضع مئزر اصفر على الرأس . وأورد ابن الخطيب ان لباس الحزن في غرناطة بالاندلس كان ازرق اللون .

الجنة الخضراء

وكان ان اكتسبت الألوان على مر العصور معاني ودلالات في حياة الامم ما لبثت ان استقرت في الفاظها وتجلت في عباراتها ، وغدت بعدئذ بمثابة رموز فكرية ، او ايحاءات شعورية ، تنطوي على سمات محددة وخصائص مميزة . . فاللون الاحمر ، وهو أصلا لون الدم ، بات يرتبط بالحرب والثورة والعنف والبطش . . . واللون الاخضر يوحي بالخصب والرخاء والنعيم وجنة الفردوس . . واللون الاسود يشير الى الظلام والعبودية والظلم واليأس . . واللون الابيض يرمز للنقاء والطهر والأمل والسلام .

وقد توسعت الانسانية في استخدام الالوان عن طريق القفز من الحقيقة الى المجاز ، نظرا لما تنطوي عليه الموصوفات نفسها في الاصل من صلة دلالية بالوان معينة . ولهذا وصف العيش بانه اخضر ، واليوم العصيب بانه اسود ، والقلب الطيب بأنه أبيض ، والعدو اللئيم بأنه أزرق .

الرايات والعمائم

وعلى هذا الغرار مضى الانسان المتحضر يتعامل مع الالوان المتنوعة في اطار الرمز ، سعيا وراء دلالات جديدة تزيد آفاقه غنى ، فاتخذ الحمامة البيضاء شعارا للسلام ، والراية البيضاء علامة للاستسلام او التوقف عن اطلاق النار والكف عن سفك الدماء . وقد جرت امم كثيرة واقوام سالفة عبر التاريخ على اتخاذ رايات ذات الوان بعينها لتكون بمثابة رمز لها ، وشعار لمقاتليها . وكثيرا ما كانت الراية ذات لون واحد ، وقد تنسج من الحرير أو الديباج ، او ترصع باللآلىء والجواهر .

وفي العصور الحديثة ، غدا من الطبيعي ان تحرص كل دولة على ان يكون لها علم متميز تؤلفه وفق ما يتصل بتاريخها وبيئتها وعقيدتها . فالعرب في طور انبعاثهم ومرحلة نهوضهم ، حرصوا منذ تحررهم واستقلالهم ، على ان يتخذوا لأنفسهم اعلاما تؤكد حقيقتهم ، وتنم على شخصيتهم . وكان من البديهي ان يستوحي العرب المعاصرون من ماضيهم المجيد ما يؤكد انتماءهم الى اولئك الجدود الاماثل الذين كانت لهم مشاركة كبرى في دفع موكب الحضارة الانسانية الى الامام عبر العصور .

وهكذا اتخذت الثورة العربية الكبرى التي هبت منذ التسلط التركي ابان الحرب العالمية الأولى ، علما رباعي الألوان شعارا لها يتألف من اللون الاسود فالأبيض فالاخضر ، وهي الالوان الثلاثة التي ترمز لدول العباسيين والأمويين والفاطميين عبر العهود العربية الاسلامية . وقد احتوى الالوان الثلاثة مثلث جانبي احمر ، أضيف اليها ليكون رمزا لنزعة العرب التحررية . ومن اروع ما حدث ، ان الثورة الفلسطينية التي ما لبثت ان شبت بعد حين في سبيل استخلاص وطنها وتحقيق سيادة شعبها ، سرعان ما تلقفت الراية نفسها من تلك الايدي الرائدة والنفوس المجاهدة ، وكأن فحوى ذلك ان الثورة العربية ماضية ابدا في طريق الفداء .

بل ان هذا العلم نفسه ، علم الثورة العربية الكبرى آل علما لحزب البعث العربي منذ تأسيسه ، متوسما من خلال الوانه بعث امة العرب في اطار دولتهم الواحدة . ثم اشتقت دول عربية اخرى من هذا العلم اعلامها الجديدة منذ قيض لها ان تتحرر من الاحتلال ، وتنعم بالاستقلال ، فاتخذت سورية والعراق والاردن الالوان الرباعية نفسها ، مع تعديل ارتأته كل منها في الشكل او الترتيب . .

كذلك بقيت دول عربية اخرى ضمن هذا الاطار السلفي للالوان ، فاقتصرت على اللون الاخضر في اختيار علمها مثل المملكة العربية السعودية او جعلت مع الاخضر لونا ابيض مثل

القديم والحديث فى لوحة واحدة ، ويظهر فى كل منها أسلوب خاص لاستخدام الالوان .

رسوم على معابد الفراعنة ، وأزياء شعوب متعددة . وتظهر فيها جميعا عمق الخبرة البشرية بالطبيعة وألوانها . .

ـصر ، او جعلت مع هذين لونا ثالثا احمر مثل لجزائر . . وغالبية الأعلام المعاصرة للعرب باقية ـالاجمال داخل اطار هـذه الألـوان ودلالاتـها لعريقة .

عـلى أن اللون الأخضر هـو اللون الأثير فى الشـرق ، وهو أكـثر الألوان شيـوعا في أعـلام الدول العربية والدول الاسلامية . انـه باد فى أستار كعبتها ، وعـلى أضرحـة أوليائهـا ، وفى قباب عدد من مساجدهـا ، وعمائم فئـات من مشايخها . . فهذا اللون ينطوى على هالة محبة فى نفوس المسلمين تكونت حوله على مر العصور ، وهو فى الوقت نفسه بمثابة رمز للجنة التى وصفت بهذا اللون في القرآن الكريم ووعد الله بها عباده المتقين .

وعلى صعيد آخر من هذا العالم ، برز اللون الاحمـر عـلى الصعيـد السيـاسي في القـرن العشرين ، حين اتخذت الحركة الشيوعية العالمية الراية الحمراء شعارا لها ورمزا لثورتها الدموية المنشودة .

ثم غدت لقطاعات الجيوش الحـديثة الـوان ترمز اليها وتعرف بها ، فاللون الابيض لبـاس سلاح البحريـة ، والازرق لسلاح الـطيران ، واللون الاخضر في بعض الجيوش علامة لسلاح المشاة . .

السلاح الأبيض

وعلى هذا الغرار في صدد الحـروب يقال : جـرت المعركـة بالسـلاح الابيض ، اي حدث التحام بين الجيشين فلم تفتح النار من بعيد وانما تم القتال عن كثب بالسـيوف والخناجر والمدى ، وما الى ذلك ، مما يعني ضراوة القتال .

وشبيه بذلك ما يصدر بين الحين والحين عن

لاعتقادهم أن الكبد هو موطن الضغائن والأحقاد . وقولهم : (بيّض الله وجهك) دعاء لك بالفلاح لتغدو مرفوع الرأس وتحظى بتقدير الناس . و (له علينا يد بيضاء) اي فضله علينا لا يجحد ، ونعمته مشكورة . ومن هذا القبيل ان يوصف المرء بأن (صفحته بيضاء) أي ماضيه نظيف ، وسجله خال مما يشين ويعيب . وحظه ابيض اي أتته النعمة واصابه الخير من حيث لا يحتسب . والكذبة البيضاء ، هي الممازحة التي لا تورث اذى ولا تلحق ضرا ، وقد تثير بهجة وتنقذ من حرج . والانقلاب الابيض ، هو قلب نظام الحكم السائد في بلد دون حاجة الى عنف او اراقة دم .

غير ان البياض قد يخرج عن دلالته المعهودة . فيعني في النادر ، صفة غير مستحبة مثل : ابيضت عيناه حزنا ، اي علتهما غشاوة فكلّ بصره من فرط البكاء . . وشبيه بذلك : ابيض شعر رأسه ، اي ادركه المشيب ورحل عنه الشباب ، وفي الشعر العربي روائع من المعاني والصور في هذا الموضوع .

الابتسامة الصفراء

أما السواد ، وهو ضد البياض ، فيشير بالاجمال الى دلالات مضادة ، اذ يقال انه اسود القلب ، اي قاس حقود لئيم . . واسود الوجه ، اي خاسر منبوذ بعد انكشاف طويته وافتضاح امره . وحظه اسود ، اي يفوته الخير والنجاح برغم دأبه وسعيه . واسودت الدنيا في عيونه ، اي ضاقت عليه السبل ومنافذ العمل وفرص السعي ، حتى كأنه في ظلام ، فغلب عليه اليأس . ومثل ذلك ان يقال راودته افكار سوداء ، اي غلبه التشاؤم والغم واخذ بهم بسلوك الدروب الوعرة ويتوهم امورا سيئة .

ولسائر الألوان فى فن التعبير حيز اقل مثل اللون الاحمر ، اذ يقال احمرت عينه ، اي بدا فيهما الشر والتمع الشرر وبات يخشى اذاه وبطشه . واحمر وجهه ، أي عراه الخجل والحياء . .

واقل من ذلك استعمالا بين الألوان الزرقة والخضرة والصفرة ، وما اليها ، كأن يقال : ان عظمه ازرق ، أي بالغ الحقد شديد التعصب . او يقال : يا لها من ابتسامة صفراء اي تنطوي على المكر والخبث وسوء الطوية . وقد يُنعت الوباء بأنه الاصفر ، ويشار به الى استفحال الكوليرا ، كما يقال الوباء الأسود للطاعون الذي يحمل الموت الزؤام . . . والكتب الصفراء تعبير خاص باللغة العربية ، وهو اصطلاح مستحدث يراد به كتب التراث القديم .

وثمة عبارات اخرى معتمدة ايضا على الالوان شاع امرها بين الناس ، ولا سيما في مجال المال والاقتصاد ، من اهمها : السوق السوداء اي تعامل الناس سرا في مضمار السلع والعملات خلافا للانظمة السائدة ، وكأنهم يجوسون في الظلام بطرق غير شرعية . ومن هذا القبيل ذيوع عبارات مستحدثة ، خرجت من الحقيقة الى المجاز ، لتضفي مزيدا من الاهمية على معانيها الاصلية ، مثل : الذهب الاسود ، اي الفحم الحجري قبل حين ، والنفط في هذه الايام . والذهب الابيض اي القطن بأهميته الاقتصادية في العالم . .

واذا استعمل اللون صفة لشيء او حالة ، فقد يراد به التأكيد على المعنى المراد وابراز اهميته وشدته ، كقولنا : موت احمر ، وجهنم الحمراء ، وفتنة سوداء ، وكذبة بلقاء ، وحقد اسود ، وفقر اسود . .

ان الانسان الحديث راح يلح في اثراء عيشه وامتاع بصره بسحر تلك الألوان وذلك من خلال الالبسة والازياء واصناف الطعام والشراب وشاشات السينما والتلفزيون وأجهزة التصوير والسيارات وجدران الغرف واثاث المنازل . . . وغير ذلك مما لا ينضب له معين في هذا العالم الذي لا تسبر ابعاده ، ولا تحد آفاقه .

بين ابن وأبيه ..

سلطان العقل عند أحمد أمين

بقلم : الدكتور جلال أمين

☐ جانب واحد من جوانب الأستاذ احمد أمين ، الأديب والمؤرخ والمفكر والناقد الاجتماعي ، أود أن أسلط عليه مزيدا من الضوء ، اذ قد يكون هذا الجانب قادرا على تفسير اكبر قدر ممكن من جوانب شخصيته وانتاجه .

هذا الجانب هو ما يمكن ان يطلق عليه « غلبة سلطان العقل » أو « ضعف الهوى » عند احمد امين . وحينما اقول ان احمد امين كان يتميز تميزاً واضحا بقوة سلطان العقل فان هذا القول ليس من قبيل تحصيل الحاصل ، الذي يصدق بالضرورة عليه باعتباره عالما ومفكرا ، كما انه ليس من باب اطراء الابن لوالده .

فهو ليس من قبيل تحصيل الحاصل لأن الذي اعنيه لا ينطبق بالضرورة على كثرة من أبناء جيله وزملائه من الكتاب والمفكرين ، اذ اريد ان ازعم ان هذه الصفة لا تتوفر بنفس الدرجة عند ادباء وكتاب عظام من جيله كطه حسين او العقاد او الحكيم او المازني ، وهو ما سأحاول ان أبينه فيما بعد . . . كذلك فان هذا القول ليس قولا يصدر لمجرد الاطراء ، اذ ان ما يمكن ان يسمى « بضعف الهوى » عند احمد امين قد يعتبره البعض سببا لتفوق طه حسين او المازني او الحكيم عليه كأديب وان كان أيضا سببا لتفوقه عليهم كعالم ومؤرخ .

احمد أمين رجل معتدل اشد الاعتدال في احكامه الشخصية والعامة ، قادر على اخضاع عواطفه للمنطق ، ويأبى ان يترك لها العنان . وهو من اكثر الناس استعدادا للاعتراف بالخطأ وترحيبا بالنقد العاقل . يحب ان يقلب الامر على كافة جوانبه فيرى في كل شيء محاسنه ومساوئه . وهو من اكثر الناس نفورا من النفاق وسأما منه ، اذ ان عقله اليقظ دائما لا يكف عن تنبيهه الى عدم المبالغة في تقدير نفسه .

ذهب بعض اصدقائه الى تفسير هذا الاعتدال عند احمد امين بانه كان في مطلع حياته دارسا للشريعة وقاضيا ، فقالوا انه كان يكتب ايضا كقاض ، ولكني ارفض هذا التفسير . فصفة متأصلة الى هذه الدرجة في نفسه وتصرفاته ، يستبعد في رأيي ان تنتج عن مجرد توليه وظيفة من الوظائف او عن نوع معين من الدراسة ، وليس

الاستاذ أحمد أمين معمماً . وقد خلع العمامة بعد أن كانت عقبة في طريقه

كل من درس القانون او تولى القضاء معتدلا بالضرورة في احكامه وسلوكه ، بل قد يكون الاقرب الى الحقيقة انه درس الشريعة وتولى القضاء لأن هذا او ذاك صادف ميلا قويا لديه ، والأرجح انها صفة ولدت معه او انها من نتاج تربيته الأولى .

ما مظاهر هذا الاعتدال وضعف الهوى عند احمد امين ، في سلوكه الفردي والعام وفي انتاجه الفكري ؟

أحمد امين عندما يتزوج لا يتزوج عن حب ، وانما عن تقدير هادىء لمحاسن العروس وأوجه القصور المحتملة فيها ، ومحاسن الاسرة التي يتزوج منها واوجه ضعفها ، واذ تتغلب الأولى على الثانية يقرر الزواج على بركة الله .

وهو بعد الزواج يقرر بعد تفكير طويل ان افضل الاشياء للاسرة والأمة الا يزيد عدد الأولاد عن اثنين او ثلاثة على الاكثر ، وهو يقرر ايضا بعد قراءة مستفيضة لكتب التربية انه اذا احسن تربية الأول قلده بقية الابناء ، فالمهم اذن

ان يوجه كل رب اسرة عنايته لحسن تربية أكبر اولاده . ولكنه لم ينجح في تنفيذ قراره الأول ، ولا يبدو انه كان على صواب تام في الثاني . فقد تغلبت عليه مخاوف الزوجة وطموحها الى ان يكون لها عدد غفير من الأولاد عملا بنصيحة دأبت على سماعها بأن عليها « ان تقص جناحي زوجها لكيلا يطير » وليس افضل من كثرة الأولاد اثرا في منع الزوج من الطيران بل ومن الحركة . كما اظن انه كان مبالغا في تقدير اهمية سلوك الولد الاكبر في التأثير على بقية الأولاد . فلا اظن أني ، وانا أصغر الأولاد ، قد تأثرت كثيرا بسلوك اخي الاكبر . واظن ان ابي قد بالغ هنا ، كما بالغ كثيرون من ابناء جيله ربما بتأثير الفكر الغربي السائد في ذلك الوقت ، في الأهمية التي كان يوليها لأثر البيئة على حساب عوامل الوراثة .

وحياة احمد امين العائلية حياة هادئة ومستقرة ، لم يعكرها زواج اخر او طلاق او نزوات طارئة . وهو عادل ايضا في معاملته لأولاده ، فلا اذكر قط انه أبدى ايثارا لواحد منا على الآخرين . وهو يريدنا ان تحكم العقل ايضا ونحن في أشد الاعسار ضيقا ، فكل المطالب تحتمل التأجيل او الالغاء عدا المطالب المتعلقة بالدراسة او الصحة . واكثر الاشياء في نظره كمالي ، من الثلاجة الكهربائية والغسالة الاوتوماتيكية الى اي مظهر من مظاهر التأنق في الملبس او الاثاث .

سلطان العقل

وغلبة سلطان العقل عند احمد امين تظهر ايضا في حياته العامة فهو بعد ان يصبح استاذا للأدب العربي في كلية الآداب ، وهو لا يزال يرتدي العمامة والقفطان ، يتساءل عما اذا كان هذا الزي الذي كان يناسبه وهو قاض شرعي قد اصبح يناسب الان منصبا مدنيا بحتا ، ويطيل التفكير في الأمر ويستشير اصحابه . فنفسه لم تتعلق بشدة بهذا الزي او ذاك ، وهو لا يرتدي هذا الزي او غيره تقليدا او خيلاء او رغبة في الظهور ، وانما يريد فقط ان يرتدي الزي المتفق مع عمله .

وهو لا ينضم الى اي حزب من الاحزاب ، اذ لا يستهويه واحد منها دون غيره ، وقد رأى السياسيين تحكمهم الأهواء وتغرهم المناصب ويفرحون بما لا يفرح به ويأسون على ما لا يأسى له . واذا كان قد عده البعض من رجال الحزب السعدي فان الامر لا يزيد في الواقع عن تقديره الفائق لشخصية النقراشي باشا ونزاهته وليس اعجابا بسياسة الحزب وتفضيلا له على غيره . فهو لم ير فارقا يستحق الذكر بين « مبادىء » هذا الحزب وبين « مبادىء » غيره . وعندما يظن النقراشي ان المودة المتبادلة بينهما قد تغري احمد امين بان يقبل رئاسة تحرير جريدة الحزب اليومية (الأساس) ... يعرضها عليه ، وكان قد ترك أبوه عمله بالجامعة بوصوله الى سن المعاش ، فيعود احمد امين الى داره يفكر في الامر ويذكر لنا مزاياه ومساوئه . وهو يشعر في قرارة نفسه منذ البداية انه لابد رافض العرض ، ثم يرفضه بالفعل رغم ما فيه من وعد بالجاه والسلطان والمرتب المجزي . لا عجب اذن انه اذ يرشح اسمه للباشوية يرفض الملك الانعام بها عليه (أذ ماذا قال احمد امين في الثناء عليه ؟) واذ يرشحه كبار السعديين وزيرا للمعارف يحتج شباب الحزب (اذ اين ولاء احمد امين للحزب ؟)

واذكر انه قرب نهاية الأربعينيات تعطلت به مؤسسة فرانكلين الامريكية تطلب منه ان يشرف على اصدار كتاب يشترك فيه عشرة ادباء من المصريين وعشرة من الامريكيين بحيث يكتب كل منهم فصلا بعنوان « علمتني الحياة » يذكر فيه دروس حياته وما حظي به من تجاربه . فاذا بأحمد امين يرى جاذبية الفكرة من الناحية الثقافية البحتة ، ولكنه لا يرتاح لأنها نوع من اجنبي ، فيطيل ايضا التفكير في الامر ويستشير اصدقاءه

ويتحول الامر لديه الى معركة فكرية او مشكلة اخلاقية ، الى ان يطمئن الى رأي لطفي السيد : « اني اتعاون مع الشيطان لنشر العلم » .

واحمد امين يظل الصديق الصدوق لعبدالرزاق السنهوري الى اخر ايامه ، ولكن يجمع ايضا بينه وبين طه حسين احترام متبادل تعلوه جفوة سطحية . ويشتد العداء بين السنهوري وطه حسين ، وهما رجلان لا يقلل من شأن ايهما حدة المشاعر وجموح العاطفة ، فيظل احمد امين على علاقة طيبة بكليهما ، وكأن كلا منهما يرى فى أحمد أمين ضميره هو ، والحق الذي ترفض العاطفة الاعتراف به ، فاذا مات احمد امين رثاه هذا وذاك بأجمل عبارة واصدق احساس .

وترى مثل ذلك في مناسبة اخرى استرعت الانتباه ولفتت الانظار . فاذ يقع على احمد امين ظلم وهو استاذ في كلية الاداب اذ يرفض مجلس الكلية منحه الدكتوراة على كتبه الشهيرة في التاريخ الاسلامي ، لسبب لا صلة بينه وبين استحقاق احمد امين للدرجة ، تنظم له مجموعة من أصدقائه حفلا غير معهود يدعى اليه رجال مصر من رؤساء الاحزاب ورؤساء الوزارة والوزراء الحاليين والسابقين ، فيجلس هؤلاء جميعا ليحتفلوا باحمد امين ـ وهم الذين لا يطيق واحد منهم الآخر ـ ويشتركوا جميعا في القاء خطب الثناء عليه ، قبل ان ينفضوا من خلافاتهم ومشاجراتهم .

أكبر من عميد

ويصل احمد امين الى عمادة كلية الآداب ، ثم يستقيل منها احتجاجا على نقل استاذ منها دون استئذانه . فيسأله صحفي عن شعوره لدى تركه العمادة فيقول كلمته الخالدة العاقلة « انا أكبر من عميد واصغر من استاذ » ، فالسلطة لم تستهوه ولم تنسه لحظة واحدة معنى الاستاذية ومعنى العمادة .

الاستاذ أحمد أمين عندما كان رئيساً لتحرير مجلة الثقافة .

لم يكن من الممكن اذن ألا تظهر غلبة سلطان العقل عند احمد امين في فكره وكتاباته . فهو يتفق مع طه حسين وعبد الحميد العبادي أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية ، على الاشتراك في عمل ضخم يؤرخ للاسلام ، على ان يتناول طه حسين التاريخ الأدبي والعبادي التاريخ السياسي واحمد امين تاريخ الحركات الدينية والفلسفية والحياة العقلية بوجه عام . ويتوجه احمد امين بكل نشاطه لفترة تزيد على ثلاثين عاما لاتمام مهمته ، فينتج سلسلة فجر الاسلام وضحاه وظهره ، ويختمها بكتاب « يوم الاسلام » وكلها تتميز برصانة التحليل والبعد عن الهوى والدقة في البحث عن الاسباب والمسببات ، بينما يتجه طه حسين الى التأريخ للاسلام تاريخا اقرب الى الادب منه الى التاريخ والتحليل ، فينتج « على هامش السيرة » ، ويظل هذا هو الفارق الاساسي بين انتاج الرجلين .

فاذ يكتب طه حسين « ويكتب احمد امين « حياتي » يقدم لنا طه حسين تحفة فنية

ويقدم لنا احمد امين صورة صادقة كل الصدق ، ليس فقط لحياته بل لحياة مجتمعه في عصره ، فيصف الحياة الاجتماعية في الحارة والكتّاب والجامعة ويحلل المجتمعات الاوروبية والشرقية التي اتيحت له زيارتها ، وكأنه لا يريد الامتاع بقدر ما يريد « التنوير » فتأتي عباراته مباشرة مقتضبة لا تزيد كلمة واحدة عما يفي بالغرض . وقد يحار قاريء طه حسين فيما يرده الى الواقع وما يرده الى خيال الكاتب ، ولا تصيبه مثل هذه الحيرة وهو يقرأ لأحمد أمين .

واحمد امين يخضع نفسه لنفس هذه النزعة العادلة في الحكم على الاشياء والاشخاص . فهو وإن كان يعرف قدر نفسه ولا يغمطها حقها ، فانه لا يكاد ابدا يشعر بالغرور ، وإنه لو كان لا يعرف لنفسه قدرها ما كان قد اقدم ابدا على كتابة تاريخ حياته ، ولكنه مع ذلك يقدم على هذا العمل بوجل شديد وبتواضع جم ، واذا به يجد نفسه مضطرا لأن يبدأ كتاب حياته بالاجابة على السؤال البديهي « من أنا حتى اكتب تاريخ حياتي ؟» فيكتب في المقدمة « ما للناس بحياتي » لست بالسياسي العظيم ولا بذي المنصب الخطير . . الخ » ولكنه يستمر في الكتابة لانه يعرف ان لديه بالفعل ما يستحق ان يقال .

في نفس الكتاب يروي قصة شيقة عن نفسه تحييك فيه بما تنطوي عليه من تواضع جذاب قد يصل الى درجة غمط النفس حقها . فهو يدعى الى القاء محاضرة في مدرسة القضاء الشرعي وهو ما يزال طالبا فيها . والذي يطلب منه ذلك هو ناظر المدرسة نفسه ، الرجل المهيب الفاضل « عاطف بركات » . وكانت العادة ان تعرض المحاضرة على الناظر ليقرأها ويقرها او لا يقرها . ويرسل احمد امين بالمحاضرة الى الناظر فيردها الناظر اليه مع رسول دون ان يكتب عليها شيئا . ويبحث احمد امين عن ملاحظات الناظر فلا يجدها فيقول لنفسه « طبعا » ، وكيف تعجبه مثل هذه المحاضرة ؟ فهذه الفكرة قديمة ، وتلك الفقرة أسأت فيها التعبير ، والمحاضرة كلها ليس فيها ما يستحق ان يقال ». واذا بالناظر يقابله صباح يوم المحاضرة فيسأله متعجبا « لماذا لم تعلن عن المحاضرة ؟» فيجيبه احمد امين « لأنها لم تعجبك ، اذ لم اجد عليها ما يدل على موافقتك » فيقول الناظر مستنكرا « ابدا انما وجدتها كاملة ليس فيها ما يعلق عليه » فيعيد احمد امين قراءة المحاضرة ويقول لنفسه : « ان مع الناظر الحق . فهذا المعنى جديد لم يسبق اليه ، وهذه الفقرة بديعة سلسة » . ويلقي المحاضرة فيستحسنها الناس فيعتبرها حسنة .

ان هذا الذي نسميه بضعف الهوى او غلبة العقل عند احمد امين قد يكون هو المسئول عن كونه عالما ومؤرخا اكثر من كونه فنانا او اديبا بالمعنى الضيق للأدب . فليس لدى احمد امين عنف طه حسين وقوة عاطفته ، وليس لديه بوهيمية المازني ولا قوة خيال توفيق الحكيم . ولكن هذه الصفة نفسها هي التي حمت احمد امين من الارتماء في احضان السياسة والانفعال بتياراتها . وهي نفسها التي حمته من عبودية المنصب وتملق الكبراء ، وأسبغت عليه نوعا نادرا من الشجاعة ما كان ليحظى به لو ارتبط بحزب ارتباط غيره به .

كان يمثل كلية الآداب في مجلس جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) واراد الملك فؤاد لسبب ما ان يمنح مجلس الجامعة الدكتوراة الفخرية لواحد من المستشرقين ويؤيد معظم اعضاء المجلس مطلب الملك ، فيقف احمد امين ويده ترتعش يعارض هذا القرار ، انفعالا للحق ، وكأن شخص المستشرق ومؤيده قد غاب تماما عن وعيه ، ولا يرى في الامر كله الا مسألة الاستحقاق او عدم الاستحقاق . ويحل عيد جلوس الملك فيتسابق الكتاب في مديحه والثناء عليه ويطلب من احمد امين ان يكتب مقالا في هذه المناسبة فيرفض ثم يلحون في الطلب فيجرب ، فاذا اعاد قراءة المقال مزقه لانه لا

يحتوي على غير الكذب ولا اعرف لأحمد امين مقالا كتب للوصول الى منصب او كتابا الفه ليتملق الجمهور . وهو في نهاية عمره يلقي بنظرة شاملة على حياته كلها فلا يندم الا على ما تولاه من مناصب منعته في بعض الاحيان من الكتابة .

الأصالة والمعاصرة

هل يمكن ان نفسر بهذه النزعة ايضا ، غلبة سلطان العقل في موقف احمد امين من قضية الاصالة والمعاصرة ؟ ذلك اني اعتقد ان هذه القضية لم تكن محسومة لديه بنفس الدرجة التي بلغتها عند طه حسين مثلا ، الذي كان اكثر تعاطفا بكثير مع حركة التغريب ، او عند رشيد رضا الذي حسم القضية لصالح التراث . فالقضية عند احمد امين معقدة وبالغة الصعوبة . لقد كان في عنفوان شبابه اكثر اعجابا بالحضارة الغربية منه في نهاية حياته ، وان كان لم يفقد في يوم من الايام اعجابه الشديد بالتقدم التكنولوجي لدى الغرب، وما توفره رفاهية الغرب من احترام لأدمية الانسان واذكر ان هذا الاعجاب قد اثار دهشة بل وقدرا من السخط لدى الكاتب الهندي الكبير ابي الحسن الندوي عندما جاء الى القاهرة وقابل احمد امين مدفوعا باعجابه الشديد باسلامياته ، اذ رأى عند احمد امين افتتانا ببعض مسالك الغرب لم يكن هو ليرضى عنها . على ان احمد امين مع تقدم العمر به قويت شكوكه في الحضارة الغربية ، وكتب ينتقد المستشرقين بعنف ، وعبر عن هذا الشك بقوة في كتاب « يوم الاسلام » . وبالجملة فاني اعتقد ان احمد امين لم يعثر في هذه القضية على الحل الكامل الذي ترتاح اليه نفسه . ولهذا السبب كتب العقاد في رثائه مقالا بعنوان « المدرسة الوسطى » (نشرت بجريدة اخبار اليوم بعد ايام قليلة من وفاة احمد امين في ٣٠ مايو ١٩٥٤) وكان العقاد يقصد بذلك ان احمد امين لا ينتمي الى المدرسة التي ترفض التغريب برمته ولا الى المدرسة التي تتنكر للتراث .

كلمة واحدة يمكن ان تلخص حياة احمد امين واعماله الفكرية على السواء وهي « الصدق » . فاذا سمحت لنفسي بان اتكلم كواحد من اولاده فاني اقول اني لا اذكر له مرة واحدة كذب فيها علينا ولو تعلق الأمر بأتفه الامور ، كشراء هدية او الخروج في نزهة ، والنفاق والرياء في السياسة مكروهان لديه لما ينطويان عليه من كذب . والامانة العلمية في الكتابة مطلوبة لما تنطوي عليه من صدق . والمبالغة في تزويق الكلام وفي العناية باللفظ دون المعنى مكروهة ايضا لما فيها من كذب . ولاسمح لنفسي هنا ايضا بان اقول انه لهذا السبب كان من اكثر الناس تعرضا للخداع في البيع والشراء اذ لم يكن يتصور ان يكون المشتري منه او البائع له قادرين على الافراط في الكذب . ولهذا السبب ايضا لم يكن ليستطيع ان يفهم قط لماذا يمكن ان يحتجب الناس عنه فجأة ويكفون عن زيارته لمجرد انه قد ترك منصبا خطيرا ، بينما كانوا لا يكفون عن التودد اليه والتردد على مكتبه ومنزله حينما كان في يده ان يعين شخصا او يفصله .

ومع ذلك فقد كان موفقا توفيقا غريبا في حياته الخاصة والعامة على السواء فلم يحرمه صدقه من التمتع بحياة هنيئة في اجمالها ، ولا عرضه لشظف العيش . وهو اذ ينظر الى حياته باكملها يسترعي انتباهه هذا التوفيق ، ويندهش له ، ويحاول ايضا ان يفسره بالعقل ، فيقول في نهاية كتاب « حياتي » ان هذه الظاهرة . « يصعب تعليلها العقلي او تفسيرها بالتحليل الاجتماعي او النفسي ، فكم رأيت من اناس كانوا اذكى وامتن خلقا واقوى عزيمة ، وكانت كل الدلائل تدل على انهم سينجحون في اعمالهم اذا مارسوها ، ثم باءوا بالخيبة ومنوا بالاخفاق ، ولا تعليل لها الا ان (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) . □□

وسائل الإنذار المبكر عند أسلافنا

بقلم : الدكتور احسان صدقي العمد

تسعى الدول والشعوب على تعاقب العصور الى ابتكار وتطوير الوسائل الخاصة بالانذار المبكر ، حتى لا يبغتها أعداؤها بهجوم مفاجىء لا تقدر على صده

ترى كيف كان اجدادنا العرب يرصدون تحركات اعدائهم "

اذا كانت الدول المتقدمة في الشرق والغرب قد قطعت شوطا بعيدا في ابتكار هذه الوسائل وتطويرها لتأمين أمنها القومي ، واستخدمت من أجل ذلك التقنية الحديثة في مجال الموجات الأثيرية وشبكات الرادار المتطورة وطائرات الاستكشاف وأقمار التجسس الفضائية ، فان مجتمعات العصور الوسطى عرفت هي الأخرى نماذج مختلفة من وسائل الانذار المبكر تتفق ومرحلة تطورها في ذلك الوقت ، وأدت بالتالي الى تحقيق نفس الهدف والغاية

فقد اتخذ المسلمون بدورهم في العصور الوسطى أجهزة ووسائل مختلفة لرصد تحركات أعدائهم وافشال هجماتهم على الديار الاسلامية ، وهو أمر يدخل في صميم واجبات الدولة والجماعة المتعلقة بمجاهدة الأعداء والتأهب الدائم لمواجهتهم . ومن بين هذه الوسائل البريد العاجل ، والحمام الزاجل ، والمناور أو المناورات والمناظر التي كانت ترسل الاشارات الضوئية المتفق عليها للانذار والتحذير ويمكن القول ان هذه الوسائل لم

تكن وقفا على المسلمين وحدهم ، اذ كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام وعند غيرهم من الأمم والشعوب ، وان كان المسلمون قد طوروا هذه الوسائل وأفادوا منها على نطاق واسع بحكم خبرتهم واتساع رقعة دولتهم وكثرة الميادين التي جاهدوا فيها أعداءهم في الداخل والخارج .

البريد العاجل :

وتحدثنا المصادر عن قدم استخدام الخيول السريعة في نقل الأخبار الهامة عند الفرس والروم ، ووجود نظام معين للقائمين على هذه المهمة الخطيرة . كما عرف العرب قبل الاسلام شيئا عن هذا النظام ، وأشار اليه امرؤ القيس في قوله :

على كل مقصوص الذنابي معاود
بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وهو هنا ينوه بخيل البريد التي كانت تقص اذنابها لتعرف مهمتها ، بل ان بعض اللغويين مثل الجوهري يذهب الى ان البريد قد يطلق ايضا على الرسول حامل الرسالة او الخبر الهام .

وتزودنا كتب الفتوح الاسلامية ومن بينها كتاب الفتوح لأبي أعثم الكوفي بمعلومات وافية وكثيرة عن تبادل الكتب والرسائل العاجلة بين الخلفاء والقادة ، وبخاصة في المواقف الحاسمة والخطيرة التي تتطلب المشورة والتماس الرأي الأصوب . وقام أولئك الرسل أو الفيوج الذين يسعون بالكتب على الخيول السريعة بدور حيوي وكبير في هذا المجال . غير أن التنظيم الحقيقي للبريد العاجل عند المسلمين بدأ كما يقول أبو هلال العسكري في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وأحكم تنظيمه عبد الملك بن مروان الذي كان لا يحجب عنه البريد متى جاء في ليل أو نهار . يقول : « ربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة » وعلى خيل البريد السريعة هذه أرسل عبد الملك طلائع نجداته الى الحجاج بن يوسف الثقفي لمواجهة فتنة عبد الرحمن بن محمد الأشعث التي استشرى خطرها وكادت تقضي على كل نفوذ أموي في العراق والمشرق ، ان لم تهدد بقاء الدولة الأموية نفسها . واستخدم الحجاج بن يوسف أيضا هذه الوسيلة بفعالية وكفاءة في الوقوف أولا بأول على أخبار الحملات العسكرية التي وجهها الى السند وما وراء النهر .

واتبعت الدولة العباسية نفس الأسس التي اعتمدها بنو أمية في تنظيم البريد ، وبخاصة في أثناء تتبع حملاتهم ضد الروم البيزنطيين . فقد رتب المهدي بردا بينه وبين معسكر ابنه هارون الرشيد حين غزاه الروم ، فكانت البرد أي خيل البريد السريعة « تأتيه بأخباره وتريه متجددات أيامه » ، على حد تعبير القلقشندي . واستمرت العناية بالبريد العاجل على هذا المنوال في عهد الرشيد والمأمون وغيرهما من خلفاء بني العباس الأول .

البريد والأزمات :

ويلاحظ بصفة عامة أن الاهتمام بتنظيم البريد كوسيلة من وسائل الاتصال السريع ، كان يرتبط بالأزمات والأخطار التي كانت تهدد الدولة الاسلامية من الداخل أو الخارج وتجلى ذلك بشكل واضح إبان تعرض ديار المسلمين لهجمات الصليبيين والتتار ، اذ اهتمت الدولة الزنكية والأيوبية وسلطنة المماليك بترتيب أمور البريد وتنظيم شؤونه ، حتى بلغ شأوا كبيرا في عهد السلطان الظاهر بيبرس الذي كان يوصي كاتبه بمواصلة امداده بالأخبار وما يتجدد من أمور التتار والفرنج ويقول له : « إن قدرت ألا تبيتنى الا على خبر فافعل » . وكان للبريد مراكز ومحطات معلومة تتوقف فيها خيل البريد لتغيير الخيل البريدية فيها فرسا بعد فرس وفقا لترتيبات وعلامات معروفة يتميز بها صاحب البريد وفرسه . ويدخل في هذا المجال أيضا المهمات الفدائية التي كان يقوم بها بعض المسلمين لتبليغ رسائل وتحذيرات لاخوانهم خلال حصر العدو لهم .

البريد الجوي !

أما الحمام الزاجل فقد لعب دورا أهم وأسرع في التبليغ والتحذير وتبادل المعلومات الخطيرة وبخاصة إبان الفتن والحروب والأزمات ، وهو ما يمكن أن يسمى تجاوزا « البريد الجوي » ، على اعتبار أن الحمام الزاجل كان ينقل بالفعل بطريق الجو رسائل من هذا النوع ، هي أشبه ما تكون بالأوامر والتعليمات الصادرة عن القيادات السياسية والحربية والتقارير السرية الموجزة التي لا تتضمن غير لب الكلام وزبدته على حد قول القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر صاحب تمائم الحمائم . ومن هنا جرى الاصطلاح اللغوي ، « على جناح طائر » ، و « على جناح السرعة » في استعجال الخبر أو صاحبه .

وأشار الدكتور ابراهيم العدوي في بحثه عن الحمام الزاجل إلى قدم استخدام الحمام الزاجل في المراسلات السريعة الهامة ، اذ استخدمه الفرس واليونان والرومان والعرب المسلمون الذين نقلوا طريقة استخدامه الى الصين .

وقد شاع استخدام المسلمين للحمام الزاجل على نطاق واسع في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . ويروي المسعودي ان هذه الوسيلة استخدمت في تطيير خبر القبض على بابك الخرمي الى الخليفة العباسي المعتصم بعد أن ظل بابك يتهدد الدولة العباسية ويعيث فسادا فيها زهاء العشرين عاما . كما استخدم كل من القرامطة في جنوب العراق والخليفة العباسي في بغداد هذه الطريقة في رصد تحركات بعضهما بعضا . وكان الخبر كما يقول الثعالبي يصل الى بغداد من شمال العراق وجنوبه في يوم واحد .

ويشير الجاحظ في كتابه الحيوان الى استعمال الحمام الزاجل في الوقوف على أحوال الثغور الاسلامية المتاخمة لبلاد الروم . ويشير الدكتور العدوي الى استخدام الحمام الزاجل أيضا من قبل طلائع أو دوريات البحرية الفاطمية في تحذير الثغور البحرية من أخطار الهجمات النورماندية على الشواطىء الاسلامية ، اضافة الى استخدامه في تنظيم نقل الأخبار بين أجزاء دولتهم في المشرق والمغرب . واستمر الحال على ذلك أيضا في عهد السلطان نور الدين ومن بعده سلاطين بني أيوب والمماليك نتيجة لتفاقم

من التراث

الخطرين الصليبي والمغولي على الدولة الاسلامية .

وقد أفاض القلقشندي في صبح الأعشى في ذكر محطات الحمام الزاجل وأبراحه ومساراته ومطاراته . كما نوه الدكتور نبيل عبد العزيز في بحثه عن الحمام الزاجل بأهميته في عصر المماليك . وأشار الى جملة وقائع وأحداث أفاد منها سلاطين المماليك من هذه الوسيلة في الوقوف السريع على أخبار الفتن والثورات الداخلية وأحوال الثغور ورصد نشاط الصليبيين ، من بينها الفتن التي وقعت في جملة ودمشق والاسكندرية وغزو الفرنج للمنصورة

الاتصال اللاسلكي !

وأما المناور أو المناورات التي كانت ترفع فيها النار في الليل ويتصاعد منها الدخان في النهار ، فكانت أسرع وسائل الانذار والتحذير المبكر التي استخدمها المسلمون في العصور الوسطى . وهي تشبه في سرعتها وسائل الاتصال اللاسلكية الحديثة ، من حيث فعاليتها في سرعة نقل اشارات الاعلام والتنبيه . ولا بد من الاشارة الى أن استخدام النار لهذه الغاية يرجع الى عهود موغلة في القدم . فقد ذكر القلقشندي أن المناور مأخوذة عن ملوك الهند ، وانه قرأ في بعض الكتب أن ببلادهم مناور على جبال مرتفعة . وهناك اشارات تاريخية وأدبية كثيرة تفيد باستخدام العرب قبل الاسلام لهذه الوسيلة ويقول جواد علي « إن العرب كانوا اذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا عظيما ، أوقدوا نارا على جبل أو على أي مرتفع من الأرض ليبلغ الخبر أصحابهم . وان حدوا في جمع عشائرهم اليهم أوقدوا نارين . وقد عرفت هذه النار عندهم منار الحرب » .

وقد أتقن المسلمون بدورهم استخدام المناور منذ موجة الفتوح الأولى اذ يروى البلاذري في فتوح البلدان أن عمر بن الخطاب كتب الى معوية بن أبي سفيان في اقامة الحرس على مناظر بلاد الشام واتخاذ المواقيد لها وشاع استخدام هذه الوسيلة السريعة الناجحة في التحذير والانذار ابان العهد الأموي لتتبع أخبار الفتن الكبرى والفتوح الكثيرة ، ورصد تحرك أعداء الدولة على الحدود . ويروي ياقوت الحموي في معجم البلدان أن الحجاج بن يوسف الثقفي « اتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، وكان اذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهارا ، وان كان ليلا أشعلوا نيرانا فتجرد الخيل اليهم ، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط . اذ كانت قزوين ثغرا حينئذ » . ويذكر ياقوت أيضا في حديثه عن باب الأبواب الواقعة على بحر قزوين ، « انها كانت ثغرا يجمع في رأس جبل قريب منها في كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار ان احتاجوا اليه ، ينذرون أهل أذربيجان ، وأران وارمينية بالعدو إن « دهمهم » . ويحدثنا ابن أعثم الكوفي ان القائد

الأموي المعروف سعيد بن عمرو الحرشي استخدم النيران في ابلاغ الحامية الاسلامية المحاصرة في مدينة ورثان بارمينية بقرب وصول نجدته اليها ، حتى يعزز صمود المسلمين ويوقع الرعب في قلوب أعدائهم الخزر ، وهو ما حدث بالفعل ، اذ ارتفع دخان النيران « فعلم أهل ورثان انه قادم اليهم ، ونظرت الخزر الى ذلك الدخان فارتحلوا عن باب ورثان » .

ضد الصليبيين والمغول

ويقول الكتاني والمقريزي والمراكشي ان المناورات استخدمت استخداما حسنا في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي على طول سواحل الشمال الافريقي ، « وان القوافل والتجار كانت تسير في الطرق وهي آمنة لكثرة الحصون والمحارس على ساحل البحر ، حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة » . ومن طرابلس الى الاسكندرية في ثلاث ساعات الى أربع . وقد أحرزت منارة الاسكندرية شهرة تاريخية واسعة في هذا الشأن ، حتى قيل : « حدث عن منارة الاسكندرية ولا حرج » . ويقول المقريزي في خططه انه « كان في منارة الاسكندرية قوم مرتبون لوقود النار طول الليل ، فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد . فاذا رأى أهل المنار ما يريبهم أشعلوا النار من جهة المدينة . فاذا رآها الحرس ضربوا الأبواق والأجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو . » ويشير حسن حسني عبد الوهاب في هذا المجال في كتابه ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية الى المناورات التي كانت قائمة في سوسة والمنستير وغيرهما من الثغور التونسية لحماية تلك الثغور من الهجمات البحرية المفاجئة .

واستخدمت المناور والمناظر على نطاق واسع كذلك ابان الحروب التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين والمغول على حد سواء . واختار المسلمون في بلاد الشام المواقع الاستراتيجية لهذه المناور والمناظر ، وساعدهم على ذلك طبيعة البلاد وكثرة الجبال فيها ، فكانت مناورات الثغور والرباطات على طول سواحل بلاد الشام متصلة بمنارات في الداخل تنتهي عند القصبة أو المدينة المسئولة عن الدفاع عن ذلك الثغر .

دلالات هذه الوسائل :

ولئن دلت وسائل الانذار المبكر سالفة الذكر على شيء ، فانما تدل في المقام الأول على يقظة المسلمين وادراكهم للأخطار المحدقة بهم . وبذلهم غاية الجهد على طول تاريخهم للدفاع عن ديارهم ، ووقوفهم دائما على أهبة الاستعداد لصد هجمات أعدائهم والطامعين في بلادهم . كما تؤكد من ناحية أخرى أن بلاد العرب والمسلمين تظل بحكم موقعها الجغرافي معرضة لأخطار خارجية من أعدائها والمتربصين بها . وهذا الأمر الماثل في الواقع التاريخي والجغرافي يحتم على العرب والمسلمين واجبا لا خيار لهم فيه ولا مفر لهم من القيام به ، وهو الاستعداد الدائم للتضحية والاستشهاد في سبيل الحفاظ على ديارهم ومقدساتهم وشعوبهم وهويتهم العربية الاسلامية . وذلك - لعمري - قدرهم ورسالتهم ، وهي كما ورد في الأخبار رباط وجهاد الى يوم القيامة .

الطاقة لماذا أصبحت مأزقاً ؟

بقلم : الدكتور سعود عياش

□ تلعب الطاقة دوراً شديد الاهمية في حياة المجتمعات البشرية،من أجل هذا كان توفير مصادر الطاقة مسألة حيوية للعالم اجمع ، حتى اصبح من النادر أن تطالع صحيفة يومية أو مجلة دورية،دون ان تجد فيها حديثا او اشارة الى بعض جوانب الطاقة وسبل تنويع مصادرها .

على امتداد التاريخ البشري الطويل كان استخدام الطاقة أمرا ملازما لحياة الانسان وعاملا فعالا في بناء حضاراته . والواقع أنه يمكن القول أن أحد جوانب تميز الانسان عن سواه من الكائنات الحية يكمن في استخدامه الفعال للطاقة ، بمعنى تطوير الوسائل والأدوات التي تمكنه من تطويع مصادر الطاقة المختلفة لتلبية احتياجاته العديدة .

وقبل أن يكتشف الانسان مكامن الطاقة المخزونة في الطبيعة كالفحم والنفط والغاز اعتمد أساسا على ما توفره الطبيعة من موارد على سطحها ، سواء تمثل ذلك بالظواهر الطبيعية كالاشعاع الشمسي وحركة الرياح ومجاري المياه ومساقطها في الأنهار أو سواء كان ذلك بفضل استخدام اخشاب الأشجار ، التي هي نتاج عملية التمثيل الضوئي في النباتات . ومن المعروف أن عملية التمثيل الضوئي تحصل أساسا بتأثير الاشعاع الشمسي .

ولم يكن أمام المجتمعات البشرية في الماضي من خيار في مجال الطاقة سوى أن تقبل بالمصادر المتوفرة وأن تتعامل معها على أساس أنها المصادر الوحيدة المتاحة أمامها . وعلى ذلك فقد استنبطت المجتمعات المختلفة أساليب ووسائل وتكنولوجيات تلائم طبيعة مصادر الطاقة المتوفرة ضمن حدودها الجغرافية ، فكان أن طورت الحضارة المصرية القديمة استخدام الأشرعة في تحريك السفن في الأنهار بينما جرى تطوير الطواحين الهوائية في فارس لضخ المياه ، في حين تذكر الروايات التاريخية أن الأغريق برعوا في استخدام المرايا والعدسات لتركيز أشعة الشمس . وإضافة الى ذلك دجن الانسان العديد من الحيوانات التي استخدمها كمصادر لتزويده بالطاقة كالخيول والأبقار والجواميس وغيرها .

تقنين الطاقة

بالطبع ، لم تقتصر جهود الانسان في الماضي على جوانب الحصول على الطاقة فقط بل أنه أبدع في الجانب الآخر المتمثل في استخدام الطاقة . ففي ظل الاعتماد على المصادر الطبيعية وغياب الوسائل التكنولوجية المتطورة لم يكن هناك من سبيل سوى تقنين الطاقة وقصر استعمالها على الأمور الضرورية

أساسا . وقد تجسدت إبداعات الانسان تلك في محاولاته الدؤوبة للتناغم مع المعطيات البيئية المتوفرة في مناطق تواجده وعيشه . برزت هذه الابداعات في مجال العمارة وتخطيط المدن واختيار الملابس وتبني أنماط من السلوك والممارسات كانت جميعا تعني تمكين الانسان من تطوير مستواه المعيشي والحضاري باستخدام كميات قليلة من الطاقة . وعلى ذلك فقد تميزت أساليب العمارة في المدن الشرق أوسطية عموما باستخدام الجدران السميكة والقباب والسراديب والأبراج الهوائية ، كما أن البنايات كانت متلاصقة أو قريبة من بعضها البعض لتقليل مساحة الأسطح المعرضة للشمس ، بينما جرت العادة أن تكون الأسواق مسقوفة وفيها فتحات للتهوية .
وبنفس المفهوم فقد عملت الحضارات المختلفة على تطوير أنماطها وأساليبها الخاصة في فنون العمارة وتخطيط المدن للتأقلم مع محيطها البيئي . وفي هذا المجال يمكن الاشارة الى خيمة البدوي والكوخ الافريقي وبيت الاسكيمو باعتبارها نماذج للابداع البشري .

ان التناغم بين طرفي العلاقة المتمثلة بالحصول على الطاقة من جانب واستخدامها من جانب آخر هو دون شك أحدى سمات ماضي الطاقة . ولو أردنا صياغة مفهوم التناغم في مجال الطاقة باستخدام المصطلحات الحديثة لقلنا ان تبني سياسات عقلانية (على الأقل مقارنة بالواقع المعاصر) في مجال الطاقة هو إحدى سمات الماضي . ولا شك أن خصائص مصادر الطاقة المتوفرة آنذاك وضعف البنية التقنية كانت من العوامل المساعدة على تطوير السياسات العقلانية وتشكيل حالة التناغم ، غير أن إستجابة الانسان الايجابية لتلك المعطيات كان لها الدور الأساسي في الحفاظ على حالة التناغم واستمرارها .
وتتضح أهمية هذا الجانب من النقاش حين نأخذ في الاعتبار حقيقة أن التطورات اللاحقة في مجال الطاقة شهدت تراجعا مستمرا لحالة التناغم أوصلها الى درجة الانهيار ، برغم التطورات الجذرية والقفزات الواسعة التي حصلت في البنية التقنية للمجتمعات البشرية . ولا أخاله من قبيل المغالاة القول بأن التطور التكنولوجي قد استخدم لخلخلة حالة التناغم في مجال الطاقة وغيرها من المجالات الأخرى .

أهمية العصر الصناعي

يعتبر العصر الصناعي منعطفا جذريا وأساسيا في تاريخ الانسان . وقد تجسدت افرازات هذا العصر على كافة الأصعدة الحياتية للمجتمعات البشرية ، بما فيها الطاقة . فهذا العصر يتميز بصفة أساسية باحلال الآلة محل الانسان ، بمعنى أن طاقة القوى العضلية للانسان أو الحيوان ، يتم الاستعاضة عنها بأشكال أخرى من الطاقة ، وتحديدا الطاقة الميكانيكية .

من الجدير بالملاحظة أن الطاقة الميكانيكية نادرة الوجود في الطبيعة ذلك أنه من مجمل طاقة الاشعاع الشمسي التي تسقط على الأرض يتحول أقل من ١٪ منها الى طاقة ميكانيكية بشكل رياح وأمواج بحار وجريان مياه . فالطاقة الشمسية التي تسقط على سطح الغلاف الغازي للأرض ينعكس حوالي ٣٠٪ منها قبل وصولها الأرض ، ويتحول حوالي ٤٧٪ منها الى طاقة حرارية بينما يقوم الجزء المتبقي (٢٣٪) بتبخير المياه من المحيطات والبحار . وبسبب ندرة الطاقة الميكانيكية في الطبيعة إضطر الانسان إلى استخدام عضلاته وعضلات الحيوانات . وقد تعمق مأزق ندرة الطاقة الميكانيكية في الطبيعة مع دخول الانسان العصر الصناعي حين ازداد الطلب عليها مما أدى بالانسان إلى ضرورة البحث عن الوسائل والأساليب التقنية التي تمكن من توفيرها . ومع أن بدايات العصر الصناعي شهدت مزيدا من التوجه نحو إستغلال المصادر الطبيعية المتجددة لتوفير الطاقة الميكانيكية إلا أن المراحل اللاحقة شهدت تراجعا في هذا المجال ، خاصة مع اكتشاف مكامن الطاقة المخزونة ، أو ما يعرف عموما باسم الطاقة الاحفورية (فحم ، نفط ، غاز) .

ان آثار احلال الآلة محل القوى العضلية للانسان لم يقتصر على ابدال كمية محددة من الطاقة الميكانيكية

بديلة بل انها قد تعدت ذلك الى آفاق أرحب
شمولا وأكثر خطورة . فعلى سبيل المثال
قوى الانسان العضلية بمحدودية مقدارها
ر صلاحيتها على مجالات محددة . فالانسان في
لا يمكنه بذل أكثر من ١٠٠ - ١٥٠ واط ولعدد
من الساعات . وكما الانسان كذلك الحيوان
لا يمكنه الاستمرار في العمل الى ما لا نهاية ولا
، مثلا من حمل سوى أثقال محددة . أما الآلة
تختلف عن ذلك بصورة جذرية فهي لا تعقل ولا
، لا تكل ولا تمل من العمل ، انها باختصار قوة
تستمر في العمل والانتاج ما دامت الشروط
حة لذلك متوفرة ، وهي شروط تقنية
اس .

كل هذا الفارق النوعي بين الآلة والانسان
ر خلخلة لكل حالات وأشكال التناغم التي
، سائدة قبل العصر الصناعي وأحدث انقلابات
ية في المفاهيم والنظرة الى الحياة . فالانسان
، كان يعيش حالة توازن حرج مع الطبيعة في
حل الأولى من تاريخه والتي ينورع فيها عن أكل
مثيله الانسان من أجل البقاء انتقل الى حالة من
بوحة النسبية حين انتقل الى العصر الزراعي .
، ما ان دخل الانسان العصر الصناعي حتى أبدى
وحشما يكاد أن يودي به الى هاوية شبه محققة
ينا ، فان غياب الأطر الفكرية الملائمة يعتبر من
سباب الأساسية لعدم تورع الانسان في الدخول في
رب ضروس مع الطبيعة ، بكل التجسدات
لبية لهذه الحرب .

دور الآلة البخارية

جاء اكتشاف الآلة البخارية ليشكل المنعطف
كثر جذرية في تاريخ العصر الصناعي . ويبرز هذا
كتشاف باعتباره واحدا من الانجازات التقنية
ساسية في تاريخ الانسان . وتكمن أهمية هذا
نجاز من وجهة نظر الطاقة في أنه قد جعل من
مكن تحويل الطاقة الحرارية الى طاقة ميكانيكية
تخدم في تشغيل الآلة . ففي مرحلة سابقة من
تاريخه تعلم الانسان ، أو اكتشف ، تحويل الطاقة
الكيماوية الى طاقة حرارية وذلك حين تعلم اشعال
النار . واستخدامها . ومع اختراع الآلة البخارية
اكتملت سلسلة التحويلات وأصبح في الامكان
الدخول في عملية تحويل الطاقة من طاقة كيماوية الى
طاقة حرارية ثم الى طاقة ميكانيكية .

تتوفر الطاقة الكيماوية في الطبيعة بشكل نباتات
وأشجار . وهذه الطاقة كما رأينا تشكل الحلقة الأولى
المطلوبة لاحداث سلسلة التحويل انتهاء بالطاقة
الميكانيكية . فكان أن أخذ الانسان يقطع أخشاب
الغابات لاستخدامها مادة أولية لاشباع نهمه المتزايد
للطاقة الميكانيكية . وقد أدى الأمر الى أن مساحات
واسعة من الأرض الأوروبية ، وتحديدا بريطانيا .
فقدت غاباتها خلال فترة قصيرة . وكان يمكن لهذا
التقييد الطبيعي أن يلعب دورا أساسيا في الحد من نهم
الانسان للطاقة باعتبار ان ما يمكن للطبيعة أن تقدم
من أخشاب خلال الدورة السنوية هي كمية
محدودة . غير أن هذا التقييد الطبيعي لم يصمد طويلا
اذ سرعان ما اكتشف الانسان مكامن الطاقة
الكيماوية المخزونة في باطن الأرض بشكل فحم .
وبعدها بشكل نفط وغاز ، ومع هذا الاكتشاف تم
ارساء الأسس المادية لخروج الانسان عن طور
العقلانية وانهارت التقييدات التقنية الطبيعية التي
طالما كبحت جماحه .

خصائص الواقع الجديد

ان اكتشاف واستخدام مصادر الطاقة الاحفورية
المخزونة في الطبيعة كان يعني بكل بساطة أن الانسان
قد وصل الى مرحلة أصبح فيها بامكانه أن يفصم
علاقته المباشرة بالطبيعة وأن يتنحى جانبا تاركا
مهمات العمل والانتاج للآلة . وكان يعني من جانب
آخر أنه قد استطاع أن يستخدم معطيات الطبيعة
لاخضاعها وتسخيرها لتلبية سلسلة لا متناهية من
احتياجاته الضرورية وغير الضرورية . وإن
الانسان بذلك قد أصبح السيد المطلق الذي نسي في
ساعة أنه جزء متمم لهذا الوجود الطبيعي . وفي

الواقع . فان ما حصل على مدى القرنين الماضيين هو أن الانسان قد أخذ بادخال الآلة في كافة المجالات الحياتية وأخذ يعيش على حساب مخزون الطاقة في الطبيعة .

الواقع الجديد المتميز بتفجير قدرات خارقة للانسان وتوفر قوى جبارة تحت تصرفه أفرز تغيرات جذرية في مفاهيم الانسان ونظرته الى الوجود وفهمه للسعادة والرفاهية . ومن المؤسف أن القسم الأكبر من هذه المفاهيم كان نتاجا عفويا وسلبيا في ذات الوقت للقوى الجبارة المتاحة تحت تصرف الانسان فقد أصبحت زيادة الاستهلاك من كل شيء ، ودونما توفر هدف محدد لذلك ، سمة رئيسية للمرحلة الصناعية ، وأصبحت زيادة الانتاج ومراكمة أشكال وأنواع السلع المختلفة هدفا أساسيا يسعى له الجميع دون وقفة تساؤل واحدة عن الغاية من كل هذا ودون حساب المخاطر المترتبة على هذا السلوك . وأصبح تحقيق الربح هدفا أسمى ومقياسا لا يضارع ولا يناقش لكل فعالية مهما كان نوعها . وبتعبير اخر ، لم يتطور البنيان الفكري الملائم . والقادر في ذات الوقت على الحد من الافرازات السلبية لتطور قدرات الانسان في مجال الانتاج والاستهلاك ، وكان أن طغى الانسان (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) قرآن كريم .

جذور المأزق

ان غياب الاطار الفكري الملائم للعصر الصناعي أخذ يعني أن المجال بات مفتوحا لقوى أخرى كي تتحكم في سلوك الانسان على الأصعدة الحياتية المختلفة . وقد تميزت قوتان رئيسيتان في هذا المجال ساعدتا على تكثيف النزف المستمر لمخزون الطاقة في الطبيعة وإشاعة الكثير من الممارسات الخاطئة في التعامل معها ، وهاتان القوتان هما التكنولوجيا والاقتصاد . وكي تتوضح المسألة نقول ان المقصود بذلك هو التجسدات والافرازات الاجتماعية لهاتين القوتين وطبيعة القوى التي تحركها والاطار الفكري الذي تعملان خلاله . فعلى الصعيد الاقتصادي مثلا أخذت مفاهيم السوق والانتاج السلعي والتنافس وتحقيق الربح تدفع باتجاه النزف المرير لعناصر الطبيعة ومواردها ، وقد قامت التكنولوجيا بتسهيل مهمات هذه المفاهيم من خلال تسهيل امكانات الانتاج اللامحدود عبر سلسلة طويلة من التطويرات والاختراعات التقنية . ويقينا فان الأمر سيزداد سوءا مع تطوير العمال الآليين (الروبوت) واحلالهم محل ما تبقى من مساهمة بشرية تبقى في النهاية محدودة بحدود امكانات البشر وتخضع لمشاعرهم وأحاسيسهم .

على أية حال ، ترافق مع صعود قوى التكنولوجيا والاقتصاد انتشار ممارسات سلبية في مجال الطاقة . ففي ظل توفر مواردها الأحفورية سادت القناعة بامكانية التغلب على كافة أشكال المصاعب والعقبات ، وأصبح بالامكان الدخول في مواجهة مع الطبيعة وتحدى تقييداتها . وعلى ذلك أخذت الممارسات التقليدية الموروثة من الماضي والمتميزة بعقلانية التعامل مع الطبيعة تختفي رويدا . فقد اختفى التراث المعماري المتناغم مع البيئة وتراجعت مفاهيمه وقيمه الجمالية ليحل محلها مفاهيم وقيم غريبة ومغتربة عن البيئة . وأخذت الجوانب التقنية الديناصورية تحل محل جمالية التعامل الايجابي مع البيئة . وأخذت المدن تتحول الى غابات اسمنتية تنتشر في كافة الاتجاهات دونما هدف أو غاية ، وأصبح العيش فيها غير ممكن الا بالاعتماد الكامل على الطاقة . ولم يعد بذي اعتبار أن تكون مواد البناء عازلة للحرارة أو موصلة لها فالطاقة متوفرة ولا بأس من استنزافها وتلويث البيئة !!

نود القول مما تقدم أن الطاقة ليست مسألة تقنية فقط بل أنها أرحب أفقا وأوسع مجالا من ذلك . انها جزء من واقع اجتماعي لا يمكن أن يكون الا شمولي الطابع . وتقصر المعالجات الجزئية والنظرات أحادية الجانب عن فهمه أو ادراكه ، وتعجز أيضا عن تحديد مساراته المأمونة . ان المأزق الراهن في مجال الطاقة ليس في النهاية سوى أحد جوانب مأزق أكبر ، ذلكم هو مأزق العصر الصناعي وحضارته وأطره الفكرية . □□

طبيب الأسرة

عرق النسا Sciatica
أو آلام العصب الوركي الكبير

● منذ ثلاث سنوات اصبت بألم في منطقة الفخذ الايمن ولكني لم أعره اهتماما شديدا مما أدى بالحال الى التفاقم ودفعني الى مراجعة الاطباء الذين أفادوا بأنه التهاب في العصب الوركي الكبير .

أرجو افادتي عن هذا الامر وهل له علاج ؟

ع . س

اللاذقية ـ سورية

من أخطاء الناس الشائعة تسميتهم لآلام العصب الوركي الكبير باسم عرق النساء (بكسر النون) وهو الم يداهم البعض بداية من اسفل الظهر ومرورا بالفخذ فالساق ويمتد حتى القدم .

والواقع ان الاسم الصواب ـ العلمي العربي ـ لهذا العصب هو عرق النسا (بفتح النون ودون همزة) وهو أطول أعصاب الجسم وأكبرها اذ علاوة على سمكه الذي يقارب ستيمترين فانه يمتد من أسفل العمود الفقري حتى أخمص القدم ، لا بل لو وضعنا في الحسبان ان الخلايا العصبية للاعصاب تبدأ جيعها في نسيج المخ وبعدها تسير عبر النخاع الشوكي فعندها يمكن القول ان عرق النسا طوله يساوي قامة الانسان .

ان التوهم ان الام عرق النسا تداهم النساء دون الرجال هو الذي ادى الى خطأ التسمية وهذا لا مكان له من الحقيقة .

فآلام هذا العصب تداهم الجنسين دون تمييز وخاصة من هم في سن البلوغ وهو يداهم صاحبه فجأة دون مقدمات عقب مجهود غير عادي أو حادثة طارئة أو ربما حركة غير طبيعية واحيانا عند حمل اثقال زائدة عن الطاقة .

والآلام عند مختلف الناس متفاوتة في الشدة وفي التوزيع اعتمادا على مسبباته ، فالاسباب العامة يمكن ان نوجزها على النحو التالي :ـ

أولا : وجود ورم ضاغط على الاعصاب في العمود الفقري أو النخاع الشوكي .

ثانيا : التهاب العظام وفقرات العمود الفقري حول العصب او احد جذوره .

ثالثا : ورم في اعضاء الحوض يضغط على مسار العصب او خارجه .

رابعا : كسر في عظام الفقرات او تآكل فيها بحيث تضغط على جذور العصب عند خروجه من بينها .

خامسا : انقباض العضلات وضغطها على العصب الذي يجري عبرها .

سادسا : (وهذا هو اهم الاسباب واكثرها شيوعا) وهو الانزلاق الغضروفي الذي يعني انزلاق المخدة الغضروفية اللينة بين الفقرات لتضغط بشدة على العصب او احد جذوره .

العلاج : يعتمد العلاج كما نرى على ازالة السبب اولا ثم الاعتماد على الراحة التامة في السرير مع استعمال سرير غير لين وربما صلح معه وضع لوح خشبي تحت المرتبة .

ان استعمال المسكنات ضرورة يصفها الطبيب ، ولكن العملية الجراحية لا يلجأ لها الجراح الا في نهاية المطاف عند الضرورة لازالة الغضروف المنزلق .

الصابون الطبي

● في كل مكان من السوق اجد انواعا شتى من الصابون تحمل اسم « صابون طبي » واحتوائها على مادة تدعى هكساكلوروفين فهل حقا لها فوائد معينة وما هي ؟

ص . م . خ
الدوحة ـ قطر

ـ أنواع شتى من الصابون الذي يحمل على غلافه اسم الصابون الطبي او الصابون المعقم اعتمادا على احتوائه على مادة تدعى هكساكلوروفين **Hexachlorophene** بنسبة مئوية قد تتراوح ما بين ١/٤٪ الى ٣٪ .

والواقع ان مادة الهكساكلوروفين تعتبر مطهرا فعالا قويا ضد الميكروبات والجراثيم وخاصة تلك الانواع التي يعرفها المختصون باسم ايجابية الجرام **Gram Positive** مثل المكورات العنقودية التي تسبب القروح والدمامل وهي الاكثر انتشارا على الجلد مما يفيد في علاجها هذه المادة المطهرة .

وقد تميزت مادة الهكساكلوروفين بفعاليتها وثباتها في محاليل الصابون بينما تقل الفعالية في وجود الدم **Blood** أو المصل **Serum** [1] وهذا ما دفع بشركات الصابون الى ابتكار انواع الصابون الطبي او الصابون المطهر الذي يعتمد على الهكساكلوروفين هذا ، غير ان عيبا وجدوه في خصائص هذه المادة وهي خاصية التراكم ، بمعنى انها تمتص من الجلد او الانسجة ولا تزول مع زوال الصابون انما تتراكم مع دوام استعمالها ، ويزيد هذا الامتصاص والتراكم من الانسجة المخاطية او الجلد المسلوخ او عند الحروق ، وقد اكتشف ان تراكم مادة الهكساكلوروفين ، يؤدي الى ظهور اعراض تسممية منها ما هو موضعي يتأثر بها الجلد مثل الحساسية بصفة عامة بأشكالها المختلفة او الحساسية للضوء بصفة خاصة .

أما اخطر مضاعفات اعراض التسمم فهو تأثيرها على الجهاز العصبي كما وجدوا لها مؤخرا تأثيرات سرطانية على الجلد .

وحيث ان الاطفال اكثر استعدادا لامتصاص مادة الهكساكلوروفين من جلدوهم فان الحذر كل الحذر من الافراط في استعمال هذا النوع من الصابون للاطفال الرضع وخاصة من كان منهم يعاني من مرض جلدي أو كان ناقص النمو والا أثر على سلامة جهازه العصبي وعلى سلامة جلده .

---

(١) المصل : هو الجزء السائل الذي يتبقى بعد فصل كرات الدم وخلاياه والصفائح الدموية التي تسبب تجلط الدم .

ـة

عندما كان لرجل غائباً

بقلم : يوسف القعيد

وقت الغسق الشاحب ، بدأ الاحتفال ، في
رج نزلت قطرات الليل على الحي الهادىء .
الداخل أطفأوا كل الانوار . وسبحت
قة الواسعة في ذلك الجو ، الباهت
ضواء . والذي يقترب كثيرا من جو الاحلام
بية الى النفس . وكل دقيقة تمر كانت تجعل
لام أمرا مؤكدا .
قالت واحدة :
يف نبقى في هذا الجو المعتم ؟
ردت أخرى :
لضوء القادم من الخارج يكفي
بت ثالثة :
لا تكون هناك شمعة صغيرة في كل ركن من
كان الشقة ؟
سرحت الاخت الكبيرة . الضوء القادم من
اخل أهم من كل أنوار هذا العالم . وقالت ان
ضاءة القادمة من الخارج هي انعكاس
علانات عن بضائع ومحلات . واشياء تباع
شياء تشترى .
كن مشغولات بلحظات سابقة على لحظة بدء
لاحتفال .

في الزمان الجميل ، الذي مضى ، ولن
عود ، كان الاب يقف ، في هذا الوقت في
رفته . صوته كان يأتي من الداخل ، يسأل :
ي البدل يرتدي وأي القمصان وأي ربطات
العنق . حتى نوع العطر الذي نثره في جو الغرفة
كان يسأل عنه .
والسؤال لم يكن موجها لزوجته بقدر ما كان
يبحث عن اجابة لدى كل أفراد الاسرة . ومن
يتطوع بالاجابة أولا ينفذ الاب مايقوله .

في الزمان الجميل كان الاب يقف في
حجرته . يرتدي ملابس الخروج الكاملة وكأنه
ذاهب لمقابلة أهم شخص يقابله في حياته .

المساء قادم والام طالت وقفتها أمام المرآة .
تحاول اخفاء غابة التجاعيد التي زحفت على
الوجه . أبرزت خصلة الشعر التي غسلها اللون
الابيض . مدت يدها في « دولاب » ملابسها .
بحثت عن فستان العرس أخرجته . شمت
رائحه الزمان فيه . قررت الا تقترب من غرفة
الاب . وقررت البنات الثلاث ـ دونما كلمات ـ
ان يبتعدن عن بابها الذي سيظل مغلقا . ادركن
جميعا ، أن الصوت الذي رافق سنوات عمرهن
لن يتسلل من باب الغرفة سائلا عن أي شيء .
ولن يسمعن من وراء الباب سوى الصمت
المنبعث من الهواء الراكد المحبوس في هذه
الغرفة . التي لم تدخلها احداهن منذ رحيل
الغالي .
أكثر من ربع قرن يفصلها عن هذه الايام . لا
تذكر متى ارتدت هذا الفستان آخر مرة . تاهت

الذكرى . في الزمان الـذي كانـوا يحتفلون فيه بعيد زواجهما كانت ترتديه . ومنذ أن توقفوا عن هـذا الاحتفـال لم تعـرف يـدهـا الـطريق الى الفستان .

حـاولت الابتعاد بتفكيـرها عن الاحسـاس الذي يثيره فيها ارتداء مثل هذا الفستان . منذ متى بدأت تخلع الملابس السوداء . تحول اللون الاسـود الى ألوان هي درجـات اخـرى منـه ، الرمادي والازرق . منذ رحيل زوجها ويدها لم تقترب من أي لون يوحي بالفرح ابدا . وحتى عندما جلست في الصـالة بعد ارتداء الوان غير الاسود . شعرت بالخجل من نفسها . والخجل من بناتها الثلاث . وان كن قد فعلن مثلها في الايام التالية مباشرة .

أما في هذا المساء فلا تعـرف كيف سيقابلن تصرفها الذي أقدمت عليه عندما أخرجت فستان الفرح من الدولاب وارتدته .

بـدت كما لو كان الفستـان يحاول شـدهـا الى زمان مضى . كان صيقا ومنه بررت الترهلات الجديدة . التي منحتها الحياة العائلية الهـادئة الى جسمها

لم يضايقها كـونه اصبـح ضيقا . وحـاولت عبور الاحساس بالغربة بداخله .

كان معنى الكلمات في ذهنها حاضر . ولكنه كان كلاما مكسورا ولم يكن بملحنا حتى تستطيع أن تغنيـه . كان المعنى الـذي يدور في الـذهن يقول :

ـ ليتنا قصصنا جناحيه في الوقت المناسب . عندما نبتنا له والا ما كان قد طار .

بدت الكلمات بعيدة عن بهجة المناسبة . كلما تتحدث عن الذي مضى . تبـدأ بكلمتي « ليتنا ولـو » . ستحاول العثور على كلمـات أخرى أجمل :

ـ متى يحط الغائب على أرضنا مرة أخـرى ؟ الم يتعب من هذا الطيران المستمر ؟

في حجـرات الشقة الاخـرى ، الشقيقـات الثـلاث كن مشغـولات . الاخت الكبـرى ، تضع لمسات زينة ـ هادئة على وجهها ـ وتستدير أمام المرآة اكثر من مرة حتى تشاهد نفسها من كل الزوايا . والوسطى في الحمام فكرت في الغناء ولكن النغمة التي طال اشتيـاقها لـلانطلاق من داخلهـا احتبست في صـدرهـا ولم تخـرج . والصغرى كانت تعمل بين الصـالة والمطبخ . تضع اللمسات الاخيرة التي تبدو أهم من كل ما قامت به طول اليوم .

نقلت مستلزمات الاحتفال الضخم من المطبخ . وضعت كـل شيء في مكـانـه عـلى السفـرة الطويلة . وحولها رصت ستة مقاعد . مقعدين بالطول واربعة مقاعـد بالعـرض مقعدان في مـواجهة مقعـدين . كانت تعـرف سلفا نـظام الجلوس . على رأس المائدة يتركن مقعد الاب خاليا .

والكـرسي الذي في مـواجهتـه تجلس عليـه الام . نسـوا اسمها ويقـولون عنهـا نينا . تـاه الاسم الاصـلي وأصبحت صفـة الامـومـة هي الاساس . على الجانبين تجلس البنت الصغرى . مسمار البيت كما تقول الام . نجوى التي جمعت في ملامحها كل جمال خمسة اجيال من عائلة الاب والام معا والتي استقر في قلبها نشاط كل من مروا في هذا العالم . من آبائها وجدودها وجدود جدودها . وفي عقلهـا استقرت حكمـة حكماء الدنيا . كـان والدهـا يقول عنهـا : انها تحتكر العقـل والحكمة . في مـواجهتها مقعـد خال . المفروض انه مقعد أحمد . الغـائب الحاضـر . تجلس على يمين نجوى الشقيقة الكبـرى . الام الثـانيـة بحكم سنـوات العمـر ، نـــور . وفي مـواجهتها الشقيقـة الوسـطى . دلـوعـة البيت وينبـوع دموعـه التي لا تجف ابدا . ومـطربته ايضا . كائن آدمي معجون من العواطف تبدو مثل النسمة في يوم صيفي ، هشة ، عـاطفية . صوتها مثل صوت الكـروان . وعـواطفهـا على يـديها في حـالـة حضـور دائم تضحـك بـدون انقطاع . ولكر كرة ضحكها صـوت تردد في رحابة الشقة فكانت أمها تطلب دائما أن يستمر

ـك ولكن الضحكـات جفت .
تـاهت . ولم يبق سـوى ينبـوع
حتى الغنـاء أصبـح صعبـا في هـذه

اب الغـائب الاول ومنذ أن غـاب
، ومآقيها لا تعرف الجفاف ابـدا .

ـسوى السفـرة . وضعـت ستـة
ام كل مقعد « طبق » . حتى الغائبان
الغائب دائما أبدا . والغائب بصورة
د يحضـر من الغيـاب ذات يـوم .
ل منهـا « الـطبق » الخـاص بـه .
سكينة والملعقة . وضعت أمام كل
با للماء . وكـوبـا للشـاي وكـوبـا
. وعـلى كل مقعـد وضعت فوطـة

لى حجرتها لكي ترتدي مـلابسها لم
امر نفسها ولا ملابسها كانت اخر من
اء الملابس وكانت اول من خرج .
فت ان كل واحدة في حجرتها وقفت
الصالة . صفقت بيديها وهتفت :
ات والانسات والســ
جت الكلمـة ولم تخـرج تـوقفت في
سافة لا يوجد في البيت رجل واحد .
ن بالكلمة التي ستحرك ديدان الجرح
رك الباب الأول باب الست الكبيرة .
النور تسرب الى جو الشقة . فغيرت
ديث صاحت وهي تحاول ان تغطي
لقديم الجديد . الذي يحاول الاستيقاظ
حظة :
الاحتفال الكبير .
شمل العائلة او من تبقى من العائلة
ة . لم يكن هناك مدعو واحد ولهذا لم
ل المنضدة الطويلة سوى الشقيقات
الام فقط . جلسوا وسحر احتفالهم
الغائب يطفح بداخلهم . تحدثوا ولم
يث شيئا سعيدا . ولكن الاصغاء

لاصواتهن وهن يتحدثن عنه كان امرا له طعمه الخاص .

حتى التي كـانت تتكلم كـانت تجـد سعـادة خاصة وهي تسمع صوتها ونبرات كلماتها وهي تتكلم عنه .

جلست الام عـلى يمينهـا علبـة الكبـريت موضوعة في طبق صيني ، امتدت يدها . اخذت علبـة الكبـريت فتحتهـا ببطء اخـرجت عـود الكبريت اشعلته « واتجهت الى التـورتة » كـان الحفـل عيد ميـلاد من نـوع غـريب . لم يكن احتفالا بالاب الذي رحل منذ اكثر من عام . من يحتفل بميلاد الاموات في هذا الجزء من العالم . ما ان يموت الانسان حتى يصبح الاحتفال المطلوب هو احتفال بذكرى وفاته . انه نوع غريب من الاحتفاء بالموت وليس بالميلاد .

الاحتفـال كان بعيـد ميـلاد الابن الـوحيـد للاسرة . رحل منذ ثلاثة اعوام الى ديار العرب لكي يعمـل . انتقل من بلد الى آخـر وفي آخر خطاب له لمح الى انه يفكر في السفر الى اوروبا . ثم انقطعت رسائله . سافر وهو يخفي في اعماق قلبه كثيرا من الاشياء الجميلة التي لا يعرفن حتى مكانها . كثيرا ما قال والده عنه انه رجل العائلة ليس من بعده ولكن في حياته ايضا . ومن يوم سفره وهم يحتفلون بعيد ميلاده .

قامت الام من مكانها اقتربت من « التورتة » اشعلت كل مجموعة من الشموع مع بعضها . هذا العام لم تحدث مشكلة بسبب عدد سنوات عمـره . يمكن القسمة عـلى ثلاث بسهـولـة . اشترت كل واحدة من الشقيقات الثلاث سبع شمعات . في السنوات التي مضت كانت القسمة صعبة وكانت تحدث بعض المشاكل . وصاحب فكرة توزيع عدد الشموع على الشقيقات الثلاث كان الوالد .

في الصبـاح لم تنـظر واحـدة منهـن الى « الاجندة » المعلقة على الحائط . فالتاريخ محفور في حبات القلوب . اليوم هو المركز الذي تدور حوله ايام العام كلها . ايام العام اما انها تؤدي الى

...ـذا اليوم او انها تـأتي بعـده . واشهـر العـام
...فصول العام تتحدد اهميتها حسب موقع عيـد
...ليلاد . والذي يأتي مع ايام الخريف الأولى .
في ذلـك الصباح ، الـذي انتظرتـه العـائلة
...لـويلا . وزعت الام العمـل بـالعـدل . كـل
...احـدة تشتري سبـع شمعات والـوان الشمـع
...التالي :
...سبع لونها ابيض وسبع لونها سماوي وسبع لونها
...خضر والالوان من اختيار الاب .
الام والبنـات الثـلاث تجنبن منـذ اسبـوع
...لحديث عن الغائب الكبير الغائب القريب الذي

مكانه . والحديث عن الغائب الصغير .
البعيد الذي لا يعرفن له مكانا . في العالم
.
عليها شراء ما تحتاجه نجوى والذي
في ورقة لها حسبا لاي خلاف قد يحدث في
. ونجوى عليها كل عمل البيت هي
بة التي يمكن الاعتماد عليها في العمل
. اما سلوى فستذهب الى حلواني قديم .
للاسرة « تورته » من نوع خاص كان
يا للجد والاب . ويعرف طلب الاسرة
ورتة » التي يصنعها على شكل قلب والام
. نجوى في أي عمل طول النهار .
سوى كانت سعيدة . العمل الشاق
خب والعمل اليومي . سيعفيها من التفكير
اجأة التي حدثت لها بالامس . وصلها على
عملها خطاب بالامس . ظرف سميك .
الخارجي يقول انه لا يوجد ورق
له . فتحته فوجدت فيه شريطا . على
الخارجي اسمها وعنوان عملها ، دقة
ة ورجفة اصابت جسمها . وقبل أن تفكر
ماع الشريط كانت تعرف انه منه ـ من
.
العمل ، وقبل العودة الى البيت استمعت
زء من الشريط كلمات احمد الرجل الوحيد
في هذا العالم . الجزء الذى استمعت له
ت مساحات الصمت فيه اكثر من
لام . وكانت الشهقات اكثر من أحرف
مات المعروفة . وبين الكلمة والأخرى .
ت تسح الدموع دافئة . وحتى الكلمات
خليطا من الرسائل لهن . ووصف حالته
غبة في العودة
حتارت نجوى ، ماذا تفعل بهذا الشريط .
لجت في قلبها مشاعر تعجز الكلمات عن
فها . كانت منفعلة . ومن شدة الانفعال لم
طع ان تفكر في الامر جيدا . جاء الشريط
مراح طرية . وديدان الجرح الغائر تستعد
ركة والاستيقاظ مرة واحدة كل سنة . هل

تعتبر الامر سرها الخاص ام تجعله جزءا من احتفال الغد . فزعت من الفكرة ، الدموع في البيت يمكن أن يعرف الانسان القطرة الاولى منها فقط . ولكن بحر الدموع لا تكون له نهاية ابدا .

أخذت نجوى الشريط معها الى البيت . خبأته في ركن لها من « دولاب » جماعي تشترك فيه مع شقيقتيها وأجلت التفكير فيما ستفعله به الى ما بعد . كان الامر صعبا وكان يدق حياتها بعنف لم تعرفه من قبل . فكرت وتعبت من التفكير ولم تشأ أن تفاتح احدا في البيت بالامر . سيبقى الشريط سرها الخاص

اقتربت اربعة افواه فيها فم واحد تحول الى دائرة من التجاعيد . نفخن مرة واحدة . وعلى آخر ضوء قبل أن تنطفىء واحد وعشرون شمعة . اتجهت العيون الستة الى مكانين في وقت واحد . الى المقعدين الخاليين « والطبقين » والفوطتين والشوك والملاعق والسكاكين التي لم تقترب منها أية أيد .

أتى الظلام سريعا ليغيب بداخله المشهد كله .

انطفأت شموع الميلاد لتضيء نجوى شموعا اخرى وضعتها في أرجاء الصالة الاربع . قالت انه من الافضل عدم اشعال أي ضوء في الصالة حتى الغد . يجب أن تحتفظ الصالة بعبق هذا الجو طوال الليلة . تحولت الصالة الواسعة الى مسرح من الاضواء الباهتة والظلام المتداخلة .

الاضواء تتحرك ببطء واشباح الظلال تملأ الجدران والارض والسقف . ورغم الابتسامات *التي بدت كما لو أنها قد الصقت على الشفاه* جيدا .

الا انهن كن يعانين من وجع البعاد بدا سقف البيت منخفضاً بدا وكأنه يكبس على انفاسهن وكأن الجدران غير قادرة على حمله .

بدأت الام في توزيع اجزاء « التورتة » قسمتها على ستة اجزاء . اعطت كل واحدة

الجزء الخاص بها . وصبت نجوى الشاي الذي أعدته وداخلها يرتجف من الرهبة . وفي اللحظة التي كانت الام تضع فيها جزءا من التورتة في طبق الاب وكانت نجوى تصب الشاي في كوب الاخ توقف الزمان عند هذه اللحظة . لم تنطق اية واحدة بكلمة . ولكن الاختين الكبرى والوسطى توقفتا عن اكمال مضغ ما في فميهما من أجزاء « التورتة »

حاولت نجوى الخروج من اللحظة التي توقفت الليلة عندها .

سألت :

ـ ما رأيكن في صنع يدي ؟

ردت الاختان واثنت الام على عمل نجوى الشاي جيد والمنضدة متسعة بصورة لم تحدث من قبل . وقالت الاختان ان مهارة نجوى اخذتها عن امها وقالت الام ان ما تفعله نجوى لا تستطيع هي القيام به . وطلبت نجوى من أمها ان تقلل من المجاملات .

تناوب صوت رشفات الشاي مع رنات السكاكين والشوك واحتكاكها مع « الاطباق » . وصوت حركة الافواه . لكن الصمت أتى أخيرا كل واحدة انتهت من شرب شايها وأكلت الجزء الخاص بها من « التورتة » وبقي كوبان « وطبقان » وسكينتان وشوكتان تخص الغائبين لم تمتد اليها يد .

تساءلت الام :

ـ ألا تردن سماع شيء ؟

ارتجفت نجوى ارتعش صوتها وهي تقول إن الصمت افضل .

قامت الام من مكانها اتجهت الى الغرفة المغلقة وهن يعرفن ما ستقوم به . كان في مشيتها اضطراب جديد . وكانت غابة التجاعيد التي في وجهها تختلج بصورة واضحة ستحضر اشياء احمد ، أوراقه وكراسات دراسته التي لم ينته منها ، سافر قبل الحصول على شهادته . ترك الاوراق والملابس والمناديل والاحذية ، وكانت نجوى قد وضعت اشياء احمد في حجرة الاب .

فزعت البنات الثلاث . حاولن منع الام ولكنها رفضت . قالت . انها لن تستريح الان ما لم تدخل الحجرة وتشاهد من جديد أوراق الغالي . شهقت سلوى عندما لامست كلمة الغالي طبلتي اذنيها . كاد الموقف ان ينفجر . فتصرفت نجوى بسرعة لا تدري الان كيف فعلت ذلك ؟ كيف فكرت في الشريط ؟ كيف اصلحت خطأ بخطأ آخر .

قالت لهن :

ـ لدي مفاجأة

استدارت الام ونظرت لها الاختان :

ـ مفاجأة ؟ !

طلبت منهن الجلوس اولا . حتى تحضر مفاجأتها التي لا يمكن أن يتصورها أحد . وأكدت عليهن ضرورة عدم محاولة معرفة نوع المفاجأة . لان ذلك مستحيل ومهما حدث فإنها لن تبوح به .

جلست كل واحدة في مكانها . دخلت نجوى واحضرت اولا جهاز التسجيل واحضرت كرسيا ووضعته في الصالة . ووضعت الجهاز فوقه واوصلته بالتيار الكهربائي .

دخلت لكي تحضر الشريط . وهي في طريقها ، فكرت في التراجع . فكرت في أن تقول انها ضحكت عليهن وانه لا مفاجأة هناك ولاغيرها . اكتشفت ان ذلك مستحيل . من يصدقها إن قالت ذلك ؟ حتى وان تظاهرن بالتصديق فستبقى مساحة بداخل كل واحدة منهن ترفض أن تصدق . فات آوان التراجع . عضت شفتيها وهي تبحث عن الشريط وتمنت الا تجده . ولكن يدها اصطدمت به . وجدته بين ملابسها . اخذته وخرجت به من الغرفة . اتجهت الى الجهاز ورغم ان الضوء لم يكن واضحا في الصالة الا انها شاهدت الشريط واضحا في يدها . كن قد توقعن ذلك منذ ان احضرت جهاز التسجيل .

وضعت الشريط في الجهاز . وقالت قبل ان تدير الجهاز :

الآن يتحدث ابن صاحب الحفل لكي تركن على الحفل وأدارت الجهاز .

لم يكن يعرف أحد في بحار الغربة التي يسبح بها أن اباه قد مات .

فبدأ بالحديث له . وكانت الضوضاء تحاصر صوته من كل جانب ويبدو أنه سجل الشريط في مكان عام . كان يتكلم من بلد لم يشر اليه بكلمة واحدة . ولم يستطعن تحديد المكان الذي تم التسجيل فيه .

- صوت احد . . . . انه صوته فعلا . .

قالت الام وهي تتجه نحو الجهاز . تحاول وضعه في تجويف صدرها . ومع كلمات أحمد كان يبدأ ليل البكاء . ومن يعرف متى ينتهي هذا الليل ؟ ومع كلماته تبعثرت حالة الصالة . وتحول النظام الى نوع من الفوضى الجميلة جلست الام على الارض بجوار الكرسي الموضوع جهاز التسجيل فوقه . ونور وقفت خلف الكرسي وأسندت صدرها للجهاز . وسلوى وقفت في الناحية الاخرى . بذلت اكبر جهد استطاعت بذله في حياتها كلها حتى لا يبدأ نهر البكاء بداخلها في التدفق . وشعرت بكبت لم تشعر به من قبل . وهي تحاول السيطرة على نفسها . انتقلت الى اقرب مكان لدورة المياه كي تدخلها في حالة عجزها عن المقاومة . ونجوى تحت وطأة الاحساس الحاد بأنها أخطأت . دخلت الى غرفتها . ستعود الى الخطاب الذي أرسله لها أحمد تأخذ منه العنوان وتعود الى الصالة تقترح عليهن ان يبدأن جميعا في كتابة أربع رسائل لاحمد ترسل له في الصباح . وأن تدور الرسائل الاربع حول هذا الاحتفال . كل واحدة تصفه من وجهة نظرها . وتحكي له الجهد الذي قامت به . وتصف حتى التفاصيل الصغيرة . ولا يعترفن في هذه الرسائل الاولى بخبر وفاة والده . قد تكون هناك اشارة فقط الى مرضه الشديد . لدرجة انه لم يستطع كتابه رسالة له معهن . ولم يشارك في هذا الاحتفال . لانه لا يستطيع التحرك من السرير . وبذلك يكون أحسن تمهيد لخبر الوفاة . الذي سيقال له في رسائل قادمة وبعد التمهيد الكافي .

أحضرت الخطاب قلبته اكثر من مرة بحثت فيه عن الاسم والعنوان . فلم تجد فيه سوى الاسم . كان الخطاب قادما من الخارج قلبت الظرف من جديد . لم تجد كلمة واحدة عن عنوان احمد . خرجت مسرعة وطلبت منهن ادارة الشريط من أوله قالت ان الخطاب الذي جاء الشريط فيه لا يحمل كلمة واحدة عن عنوان احمد وانه لابد من معرفة كل شيء من الشريط . لا بد من التقاط اية كلمة توفر لهم جميعا طريقة للاتصال بأحمد . اعادت الشريط الى بدايته لان الذهول امتص كل قدرة لديهن على العمل .

وابتلعت كل واحدة منهن آلاف الاسئلة بداخلها مما كانت تود طرحها على نجوى . عن الشريط وكيفية وصوله اليها ومتى ؟ . جلست نجوى تستمع للشريط بانفعال .

قال الصوت القادم من ديار الغربة :

- وحشني والدي بشكل خاص .

ومن حولها كان ليل البكاء قد بدأ فعلا .

كان قد انبعث في قلوبهن جميعا نبع الحب الصافي الملتهب بصورته العفوية الاولى الذي لا تقدر عليه سوى قلوب الاطفال في سنوات العمر الاولى .

وعندما اجهشن بالبكاء . أحست كل واحدة بصدق مرارة الاخرى .

وقالت نجوى لنفسها وهي تشارك في ليل البكاء القادم لأول مرة :

- أنا السبب في كل ما جرى .

من النادر أن تبكي نجوى . قدرتها في السيطرة على نفسها تفوق أي تصور . وقدرتها في السيطرة على الاخرين وقيادتهم بالصورة التي تراها لا تتناسب مع سنوات عمرها أبدا . .

ومع هذا قالت :

- أنا السبب

وجاءت الدفعة الاولى كطوفان جارف .

لقد بلغت قلوبهن الحناجر . □□
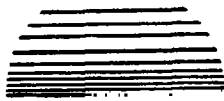
DYNAMICS OF
GLOBAL CRISIS

SAMIR AMIN
GIOVANNI ARRIGHI
ANDRE GUNDER FRANK
IMMANUEL WALLERSTEIN

ديناميـــة الأزمـــة العالمية

عرض وتلخيص :

الدكتور عبد الرحمن الحبيب

□ يقدم لنا هذا الكتاب منظورا مستقلا للتطورات الاقتصادية أو السياسية العالمية ويجسد المنظور التزاما بالاهداف التاريخية للحركة الاشتراكية العالمية: الديمقراطية والمساواة. إن الناس يتحدثون اليوم عن الأزمة.. ولكن أية أزمة تلك التي نعيشها؟ هذا ما يجيب عليه الكتاب الاربعة في كتابهم الجديد عن الازمة العالمية.

يحوي الكتاب أربعة أقسام رئيسية تتخللها بعض الفقرات اضافة الى مقدمة (فروض عامة) وخلاصة (مناظرة دائمة) ويضم بين دفتيه ٢٤٨ صفحة من القطع الوسط . يعالج القسم الاول الازمة العالمية كظاهرة انتقالية ، ويتناول القسم الثاني أزمة السلطة . ويناقش القسم الثالث أزمة المفهومات ومفهومات الازمة . ويدرس الرابع الازمة والقومية والاشتراكية . وفي القسم الاخير يلخص مؤلفو الكتاب الاربعة حصيلة آرائهم ومواقفهم المختلفة مبينين اتفاقهم وأوجه اختلافهم الجزئية والكلية .

أصبحت الازمة معروفة في السبعينيات أولا بالمناقشات المبهمة بين المثقفين ومن ثم بين الصحافة الواسعة وأخيرا بالمناظرات السياسية في كثير من الاقطار

فكثير من الناس يعيش في حالة سيئة ويخشون أن يجلب عليهم مستقبلهم القريب المباشر ما هو أسوأ . والايام السوداء عادة تعقب الايام الحلوة ولكن غالبية من يعيش الآن ولد بعد ١٩٤٥ وقليل من عنده ذكريات أطول .

من سبب هذا التغير ؟ هناك ملومون حسب مناقشات الجماهير . ويغلب عليهم ان المشكلة هي « أزمة نفط » ويحملون « الاوبك » المسئولية . فقد تصرفت دول الاوبك على شكل « كارتل » ورفعت اثمانها بشدة مسببة تضخما عم العالم ، وبطالة وانخفاض مستويات العيش . ولكن الكتاب الاربعة يرفضون هذا التحليل ، ونحن نؤيدهم .

ان بداية أكثر مصاعب العالم ومتاعبه الجارية سبقت ارتفاع اسعار النفط .

وعلى الرغم من ارتفاع اثمان النفط المطرد في السبعينيات فلا تزال اثمانه (قبل الصدمة النفطية الاخيرة) دون المستوى الذي يعطى النفط الخام قيمة عادلة تجعل نسب تبادله التجارية ملائمة .

والملوم الثاني الذي توجه نحوه اصابع الاتهام في العالم الغربي على الاقل ، هو الاتحاد السوفيتي ـ التوسعي وغير المؤتمن والمتسلط ـ ولا ينكر الكتاب النمو المطرد في قوة السوفييت العسكرية ولكنهم لا يعتقدون أن أعمال الاتحاد السوفيتي مسئولة عن سوء الوضع العالمي الحاضر .

والملوم الثالث هو حكومات الدول الصناعية (دول المركز) . فقد نمت وأصبحت ضخمة جدا واتبعت سياسات تنم عن الغباء وخاصة السياسات الاقتصادية . ويقول البعض انها كانت متضخمة جدا ويقول البعض الآخر انها انكماشية جدا . ويرى آخرون انها كانت مفيدة ومبددة جدا ويدعى غيرهم انها لم تكن حسنة التوجيه .

العلاقة بين الاحياء والبيئة

وهناك من يرى ان المسئول عن هدر الثروة الطبيعية ملوم كبير . وان المشكلة هي مشكلة العلاقة بين الاحياء والبيئة . وقد تزايدت هذه المشكلة في السنوات الاخيرة بتبديد الموارد الطبيعية . ولاشك أن الهدر حقيقي ولكن هناك شك فيما اذا كانت الحلول المفترضة (زيادة التكنولوجيا الطبيعية كاستخدام القوه الشمسية بديلا للقوة النووية ـ أو ما يدعى بالتكنولوجيات المناسبة كأسلوب للتنمية الاقتصادية) يمكن أن تلعب أكثر من أدوار ثانوية .

ويعزي آخرون المشكلة المعاصرة الى انحطاط الاخلاق الشامل الذي قد يعدل بل يزيد على المشكلة الاقتصادية . وقد يكون رصد العلل في هذا المجال تشويها للصورة الحقيقية .

ويرفض المؤلفون كل هذه الشروح للازمة على انها تعالج متغيرات متداخلة وأنها لاتؤول الى تفسيرات مترابطة أو متماسكة للازمة أو مولداتها ، ويتفقون على افتراضات هامة :

المؤلفون

هم أربعة من كبار الكتاب العالميين وقد درس انتاجهم بكل اللغات الحديثة ودرسوا هم وحاضروا في بقاع العالم المختلفة . وفي الوقت الحاضر ، يعمل السيد سمير أمين مع الأمم المتحدة « مدير مشروع بحث » في استراتيجيات المستقبل في أفريقيا ومقره داكار بالسنغال ، وجيوفاني أريجي استاذ علم الاجتماع في بنجامتون بنيويورك واندريه جندر فرانك استاذ اقتصاد في أمستردام . وايمانويل وولرشتين مدير مركز فرنناند برودل في بنجامتون بولاية نيويورك

وجود كيان اجتماعي قد يسمى اقتصادا دوليا رأسماليا ولد في القرن السادس عشر ، وتوسع مع الزمن من أصله الاوربي ليغطي الكرة الارضية في أواخر القرن التاسع عشر . وقد يوسم بالرأسمالي لأن قوة زخمه تعمل بفضل تراكم لا نهائي . وكذلك فان استحواذ البرجوازية العالمية على فائض القيمة الذي هو نتاج العمال المنتجين المباشرين أدى الى الاغتصاب في السوق والى تبادل غير عادل انتهى الى تحويل الفائض من الاطراف الى المراكز .

أهمية ربط النشاطات المحلية في الدول المختلفة بشبكة تقسيم العمل الدولي ولكن ليس من الميسور أن يتم تحليل متماسك يفرز المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

نمو تنظيمات على امتداد تاريخ الاقتصاد الرأسمالي العالمي بين مجموعات مظلومة ضمن النظام الدولي ، معارضة بشدة استمراره .

وأصبح العالم الرأسمالي أمام تحديات عاصفة لم يشهدها من قبل . وعلى الرغم من القوة السياسية للطبقات العاملة وأقطار الاطراف ، فان نظريات الحركات الاشتراكية وتطبيقاتها في وضع متعب ومزعج .

أصبحت الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية القوة المسيطرة ذات النفوذ الآمر والمهيمن في الحلبات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وقادرة على فرض أوامرها نسبيا على النظام الدولي في الوقت الذي شهد فيه العالم توسعا اقتصاديا لم يشهده من قبل . وهذا التسلط الاميركي في انحسار غير قابل للنكوص (على رغم بطئه) لأسباب موضوعية منها زيادة منافسة منتجات أوربا الغربية واليابان ، وتفتت أنظمة تحالفات الحرب الباردة وبروز محور واشنطن - طوكيو - بكين والحروب بين دول الاطراف ومن بينها دول تحكمها أحزاب اشتراكية .

لا يمكننا تصور النزاعات بين القوى الرأسمالية والاشتراكية بأنها نزاعات بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفيتي رغم تأكيد الاجهزة الدعائية لذلك . وليس بقدرتنا تحديد الازمة فقط في دول المركز على رغم نشوئها هناك . وما يجري في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية والصين وغيرها ، ليس أمرا خارجيا ، أو متعارضا مع ما يجري في باقي أصقاع العالم فالازمة عالمية ومتداخلة .

الكتاب الاربعة يعتقدون أنه لا بد من قيام عالم ديمقراطي ، سياسيا ، تسوده المساواة اجتماعيا واقتصاديا وفي الامكان الحصول على مثل هذا العالم الديمقراطي . ولا يعتقدون أن الاقتصاد الرأسمالي قد فعل كثيرا في هذه المجالات . لكنهم يؤكدون ان الرأسمالية - كنظام تاريخي - ستبلغ نهايتها ويختلفون نسبيا فيما بينهم في طبيعة النظام الذي سيخلفها ولكنهم ملتزمون بالاهداف التاريخية لعالم اشتراكي تسوده الديمقراطية والمساواة .

الأزمة ظاهرة انتقالية

يكرس الكتاب ٤٣ صفحة لمناقشة « الازمة

ظاهرة انتقالية » . وقد بدأت بالفعل منذ ١٩١٤ / ١٩١٧ وستستمر الى نهاية القرن الواحد والعشرين . وستزول الرأسمالية ويخلفها نظام عالمي اشتراكي . ويدلل الكتاب على ذلك بما يأتي :

ان قوة النظام الرأسمالي ، وقدرته على استعادة العافية ، وعلى انعاش قدرة التوسع الاقتصادي خلقت الازمة الهيكلية وعمقتها . لذلك فان النظام الذي عمل وازدهر مدة خمسمائة عام ، سيتحلل في اللحظة التي يكون فيها في أشد قوته وأقصى كفايته . انه نظام يرتكز على عدم توافر منطق فريد ، يجعل التراكم نهاية بذاتها . ولا يتم هذا التراكم الا بسحق القوى العاملة ، وبخلق امتيازات حكرية فوق الآخذين بنظام التراكم وبحماية الدولة .

والناس مجموعات مختلفة يرغبون في الاستهلاك والمتعة وليس في التراكم لذاته ، لأن التراكم لذاته يخلق سوء توزيع في الاستهلاك وسوء توزيع في الملكيات . وقد أضافت التطورات التكنولوجية سلاحا جديدا الى ترسانة مؤيدي التراكم وأدخلت العالم في فترة احلال الطاقة الميكانيكية محل الطاقة البشرية . ونجم عن ذلك اطار جديد يتجسد بوجود مراكز وأطراف بورجوازية وطبقة عاملة ، ودول وشعوب في الاقتصاد الرأسمالي في القرن السادس عشر ، شمل فقط جزءا من العالم . والنظام الرأسمالي كأى نظام آخر فيه تناقضات .

والانتاج لا يخلق الطلب ، اذ أن الطلب ليس دالة الانتاج بل دالة اسلوب توزيع عوائد المنشآت الذي هو العامل المتدخل في تحديد الطلب .

وقد حدث مع التقدم العلمي :

١ - الاستقطاب الموقعي لتقسيم العمل ، المراكز والاطراف في اقتصاد رأسمالي متكامل .

٢ - خلق هيكل ذي طبقتين (يفصل المركمين أو البرجوازية عن العمال المنتجين) وخلق التقدم العلمي - بالتبعية هيكلا استهلاكيا موائم لضمان اعادة بناء هيكل طبقي .

٣ - خلق دول تعمل في اطار نظام دول غير متكافئة في القوة متسقة مع هرمية الموقع في الاقتصاد (وبالتبعية خلق ايضا بشرا - أمما . مجموعات عرقية - في علاقات متوترة مع الدول) .

يبقى الطلب العالمي ، حصيلة المؤشرات السياسية ، ثابتا في المدى الوسط ، ولكن العرض يتجه نحو فائض فيه . وبعد مرور خمس وعشرين عاما تقريبا يصبح الطلب غير كاف لاستيعاب العرض الاضافي فيواجه الرأسماليو اختناقات في عملية التركيم . ويشهد العا الرأسمالي أحدث اختناق منذ ١٩٦٧ . وعند يصبح الاقتصاد العالمي في حالة يفوق فيه العرض الطلب التجاري ، تتذمر مشق الناس . فيندفع المنتجون الى الحصول على اسواق جديدة وانتاج سلع جديدة أو اتبا اساليب جديدة لخفض كلفة الانتاج (للحفا على مستويات ارباحهم المطلقة أو في الاق أرباحهم الجارية) . وعلى جانب الطلب ، نج ان الذين تنخفض قوتهم الشرائية يسعون ا اعادة المفاوضة لتغيير شروط عقود التوزيع م كل من المنشآت والدولة .

ونتيجة للمحاولات المختلفة للخلاص م المتاعب تحدث تكييفات هيكلية في الاقتصاديا المختلفة . فتظهر ثلاث مناطق اقتصادي واجتماعية :

. . وتضيق السفينة بمن فيها . .

وتتخذ عملية التكييف السبل الآتية الصناعات القائدة هي التي تتعرض الى صعوبا في تسويق نتاجاتها لزيادة المتنجين والانتاج في

نظرا لارتفاع نسب أرباحها . وعندما يتدافع المنظمون على الاستثمارات في ايام الربح ينتهي الامر بالزحام في ميادين الانتاج والتسويق ، لتضيق السفينة بمن فيها ، وأحد الحلول لتخفيف العدد ، هو افلاس بعضهم مما يمركز الملكية الدولية وفي الوقت ذاته يقلل النتاج العالمي . والحل الثاني هو تكثيف رأس المال في الانتاج مما يخفض قائمة الاجور . وقد يكون هذا الحل غير ممكن التنفيذ لقوة التنظيمات العمالية ودورها الفعال . والحل الثالث هو تغيير مواقع الانتاج الى مناطق ذات مستويات أجر أدنى ، عادة من المراكز الى شبه الاطراف ، أو (في حالات أقل) من شبه الاطراف الى الاطراف . وهناك حل رابع وهو انتهاج استخدام الابتداعات التكنولوجية في الصناعات القائدة في المراكز . وقد يكون هذا الحل غير مجد كثيرا لعملية التراكم ولكنه قد يؤول الى اعادة توزيع الانتاج جغرافيا وتوزيع السلطة دوليا دون حل مشكلة الطلب الدولي .

وقد يتوسع الطلب الدولي بتوسع الانتاج الدولي (النظرية القديمة ان الانتاج يخلق الطلب) وهذا يتطلب مرونة دولية في اقتسام الطلب الدولي .

وفي حالة اقتصاد يعاني من ركود متكرر يكمن الحل الحقيقي لتوسعة الطلب الدولي في توزيع الفائض . ويقف في وجه هذا الاسلوب تناقض آخر في النظام الرأسمالي ذاته . ولما كانت غاية النشاطات الاقتصادية التراكم فان اعادة توزيع الفائض تتطلب خفض التراكم الدولي لأنه يخفض الربح . ومع هذا فانه من الضروري السماح بتوسعة جديدة في الانتاج العالمي لأنه الاسلوب الوحيد الذي يحقق تعهدا بزيادة في الارباح .

وتكون النتيجة فترة نزاع سياسي شديد على التوزيع . وقد يتخذ هذا النزاع عدة اشكال : يتجسد في المصانع بوقف العمل أو الاستيلاء على الممتلكات وفي السوق يأخذ اسلوب مقاطعة شراء مواد الغذاء أو مظاهرات عنف ، وعلى مستوى الدولة فقد يتخذ شكل المظاهرات والانتفاضات أو عصيانا جماعيا وثورات . وقد يتجسد في شكل نزاعات بين الدول تمتد من استخدام وسائل تجارية الى اندلاع النزاعات المحلية ، الى شن حروب عالمية .

وتخلق هذه الحروب الطلب الفعال في الوقت الذي تقلل فيه العرض بتحطيم الانتاج ووقف عملية الانتاج في الأمد القصير . وهكذا يستعيد الاقتصاد الدولي نشاطه وازدهاره ، عندما يكون هناك مشترون راغبون في الاستهلاك وقادرون عليه وتصبح احتمالات التراكم كثيرة . وتتم اعادة التوزيع على حساب البورجوازيين . وهكذا تسير الأمور عكس هدف التراكم الدائم .ولا يعوض ذلك توسع الانتاج ، حتى لو كانت نسبة الأرباح أقل عالميا ، فان المستوى المطلق قد يبقى مستقرا أو ينمو .

أجور العمال . . !

وهناك وسيلة أخرى لاستعادة نسبة الربح العالميةوهي دمج المناطق الجديدة بالاقتصاد الدولي ، مما يوفر المواد الخام ، الامر الذي يتطلب خلق قوة عمل مناسبة تستطيع العمل ليس فقط في المشروعات الجديدة التي تنتج للتصدير بل في المشروعات التي تنتج الغذاء اللازم لاطعام من يعمل في انتاج المحاصيل النقدية أو في المناجم ومناطق انتاج الغذاء الاساسي .

ويخلق دمج المناطق الجديدة مراكز طلب جديدة ومراكز عرض رخيص مما يؤدي الى زيادة نسبة الارباح الدولية ، مع أن الأجور الحقيقية في صناعات التصدير يلزم أن تكون أدنى كثيرا من بقاع العالم الاخرى . وهذا الامر يخلق نمطا جديدا وهو توسعة العائلة العاملة مما يتيح للمنتج المصدر دفع أجور أقل في الحد الادنى الكافي لبقاء

هذه العائلات على قيد الحياة ويجسد استغلالا فظيعا لهؤلاء العمال .

وغالبا ماتكون حدود الدولة تحكمية وغير مستقرة ، نتيجة سياسة « اعط وخذ » العالمية . وكي تقوم الدولة ، يلزم وجود القومية ، لانها المادة التي تمسك اجزاءها . وكما ان حدود الدولة قانونية وطبيعية فان حدود الامم اجتماعية - نفسية يمكن رسمها كما يشاء ، وتركيب الناس عملية ذات جانبين تلائم الرغبة الشخصية في صورة الناس ذوي العلاقة مع تصور الناس الاخرين . وتركيب السكان أصعب من تأسيس الدولة ، وكما توضع الدول في تدرج قوة يوضع الناس في نظام طبقات متفوقة ودنيا .

وقد افرزت العنصرية ردود فعل تتجسد بخضوع الطبقات السفلى وبسعيها للتشبه بقيم ومعتقدات ومواقف الطبقات المتفوقة أو بمعارضتها ومحاربتها .

أسهمت تناقضات الاقتصاد الرأسمالي في بدء الأزمة . ومنها الرغبة في خفض تكاليف الانتاج الى أقصى حد ممكن ، مما يؤدي الى تجميع العمال (المنتجين الفعليين) في مواقع العمل (المصانع والمزارع والمناجم) وفي المجمعات السكنية الحضرية . وأدى التقدم التكنولوجي الى نمو المبادلات الاجتماعية - السياسية والاقتصادية البحتة - وتعارض هذه التنظيمات التي يفرزها النظام الرأسمالي النظام ذاته .

والتناقض الثاني هو تطور الوحدات السياسية الى دول ترتبط بالنظام الدولي والتي تعمل مع أخواتها ضد عدم المساواة الموروث في النظام الدولي .

أهم سمات الأزمة

وبعد مناقشة أسباب الأزمة والتي تركز على نجاح النظام الرأسمالي والتناقضات المتأصلة [illegible] والملازمة له يتبين أن أهم سمات هذه الازم[illegible] هي : -

١ - الاضطرابات السياسية في القر[illegible] العشرين هي التعبير الرئيسي للأزمة لا يقص[illegible] الكتاب بالاضطرابات السياسية الحرب العا[illegible] ١٩١٤ - ١٩٤٥[1] . ولكنهم أبانوا أن ذلـ[illegible] تجسد في سلسلة الثورات الاشتراكية أو القوم[illegible] التي نجحت في الأطراف وشبه الاطـراف ويضم اليها روسيا والصين وفيتنام ويوغسلا[illegible] والمكسيك وكوبا وايران . ويضيفون الى هـ[illegible] الثورات انماط الرفض السياسية الثقافية الفعا[illegible] كالبعث الحضاري والحركات القومية الواسـ[illegible] وتوكيد مطالب وطموح الاقليات والحركـ[illegible] النسوية . وهذه حركات أضاح مقهورة ، نجـ[illegible] عنها تعبئة الجهود المضادة والحشود المتتالية . [illegible] يوقف سقوط الحكومات بتأثير قوى مضا[illegible] فقط . بل بفعل انجازات قوة الدولة ذاتها .

٢ - ويتعرض الكتاب الى سمات أخرى [illegible] الانتعاش والتفاؤل (١٩٤٥ - ١٩٦٧) وقيـ[illegible] منظمات تربط الدول ببعضها (مؤتمر باندو[illegible] ومجموعة السبع وسبعين ومنظمة الاقطـ[illegible] المصدرة للنفط (أوبك) ، والحركات بـ[illegible] القارات (مؤتمرات القارات الثلاث ومنظـ[illegible] تعاون شعوب آسيا وأفريقيا) ، والركود بـ[illegible] ١٩٦٧ الذي سلط أضواء ساطعة على الاز[illegible] ليبينها للجميع ، وفائض الانتاج (العـ[illegible] الالكترونية والصلب والسيارات والحنطة) .

٣ - انحسار قوة وضعف مركز الولايا[illegible] المتحدة الاقتصادي وظهور قوى اقتصادية مناف[illegible] كأوروبا الغربية واليابان وقيام النزاع بينهم النزاع للسيطرة على الصناعات الجديدة ا[illegible] ستقوم بعد الانتعاش (بعد ١٩٩٠) . ومن هـ[illegible] الصناعات المجهريات والتكنولوجيا الحيو[illegible] ومصادر طاقة جديدة .

---

(١) اعتبر الكتاب الحربين العالميتين حربا واحدة مستمرة في الفترة ١٩١٤ - ١٩٤٥ .

ويعتقد الكتاب أن نمط النجاح السياسي الظاهر المرافق للكارثة الاقتصادية في البلدان غير العملاقة سيستمر في الثمانينيات وربما في التسعينيات ويعزى ذلك الى أن النجاح السياسي هو حصيلة النمو المثمر في قوة شبكة الحركات العالمية المضادة للنظام العالمي الرأسمالي .

وستتعاون أوروبا الغربية مع الاتحاد السوفيتي :

١ ـ لضمان درجة من الأمن الاجتماعي في الثمانينيات والتسعينيات . وسيعينها هذا التعاون على مقاومة العاصفة الاقتصادية في الثمانينيات وجني ثمار الازدهار في التسعينيات

٢ ـ لاستيعاب الحركات المضادة الرئيسية مثل الأحزاب الشيوعية الاوروبية .

٣ ـ ولأبطال مفعول الأوضاع المتفجرة في شرق أوروبا (بتحرر نسبي) وللأسباب ذاتها لايتوقع حدوث نزاعات اجتماعية حديثة في اليابان . أما الصين فتختلف حيث وجدت فيها نزاعات منذ الستينيات . ومهما كانت المنافع من التعامل الدولي فليس متوقعا ترويض كل مصادر السخط والاستياء ، وسيكون الاعتراف العالمي بمركز الصين موحدا لها ويسمح لها بالعيش بهدوء محلي نسبي في العقدين القابلين . وستعاني كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من مشكلات داخلية حادة . وستفقد الولايات المتحدة سيطرتها الدولية وستعاني اقتصاديا من تقادم وعدم كفاية مصانعها ويزداد عبؤها العسكري ولن تقدر على منافسة الاستثمارات النامية في أوروبا الغربية واليابان . وازدياد دخول الأيدي العاملة الرخيصة سيقوى مركز السود والامريكيين اللاتينيين مما يسبب نزاعا اجتماعيا حادا قد يؤدي الى اندلاع حرب أهلية .

انحسار النفوذ الرأسمالي

وسيشهد العالم تحولا الى الاشتراكية في ثلاث نواح : باعلان ذاتي ، وبتملك الدولة وسائل الانتاج الأساسي أو وحدات التسويق بالتركة الأيديولوجية للحركات الرائدة ضد النظام . وسيعتمد استمرار النظام الرأسمالي العالمي في الثمانينيات والتسعينيات ـ بدرجة أقل ـ على طبيعة انهيار عدد هياكل الدول قديمة الطراز ـ وبدرجة أكبر ـ على حقيقة الهياكل الجديدة .

ويؤكد الكتاب كلهم انحسار قوة الولايات المتحدة وضعف مركزها الاقتصادي والمالي والسياسي والعسكري . وفي الوقت نفسه يتوقعون قيام محورين دوليين جديدين يضم الأول : أوروبا الغربية (ربما بدون بريطانيا) والاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ، ويضم المحور الثاني : الولايات المتحدة والصين واليابان . ويكتفون بذكر ذلك دون مناقشة النتائج والمنافع والاضرار التي تترتب على قيام هذين المحورين . والمؤشرات والاتجاهات السائدة حاليا لاتسند هذا الرأي فلا يزال الاتحاد السوفيتي بعيدا عن قبول مبادىء اقامة علاقات ودية مع الغرب . فكيف يمكن القفز الى احتمال دخوله في موالفات ومحالفات (ناهيك عن المحاور) مع الغرب . هذا الرأي مجرد افتراض ذهني . ويصح القول نفسه على احتمال انتظام الولايات المتحدة والصين واليابان في تحالف واحد .

كما ويعزون ضعف الولايات المتحدة الى العوامل الآتية : ـ

ان اضمحلال مركزها ليس من صنع يديها ، بل هو نتيجة سرعة بروز منافسيها . تعاني الولايات المتحدة من ضخامة كياناتها وأجهزتها ، مما يجعلها أقل مرونة ويجعل اجراء أي تعديل أو تكييف صعبا وأكثر كلفة ، وخاصة في معالجة البيروقراطية الطفيلية . فالولايات المتحدة لاتستطيع المنافسة في تخفيض التكاليف تجاه اليابان والمانيا الدولتين اللتين تمكنتا من تحقيق الكثير في هذا الميدان .

أصبحت ثروة الولايات المتحدة عقبة في قدرتها على المنافسة في اقتصاد عالمي متوسع .

اذ تزيد المصالح المثبتة من تكلفتها وعرقلة السياسات الاصلاحية وخاصة تلكم التي تمس منافع هذه المصالح .

تقلل كثرة دول أوروبا الغربية من قوة الحركات السياسية والوطنية ومن آثارها بينها تجد أن النظام قد أصابه الشلل بقدرة الحركات السياسية أو الوطنية أو العرقية في الولايات المتحدة .

ظهور اليابان وأوروبا وضعف الولايات المتحدة ليس حصيلة التقدم التكنولوجي الرائد .

اذ أن المهم هو خلق قدرة اجتماعية لاستخدام أمثل وسلمي للتكنولوجيا .

العالم الثالث

أما بالنسبة للعالم الثالث فلا يزال جزءا مهما من الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وهذه السمة جعلت (الأزمات) في المراكز تنتقل الى العالم الثالث خالقة صعوبات شديدة في موازين المدفوعات . فعندما ينخفض في الاقطار الصناعية أو يتباطأ تميل اثمان المواد الأولية (غير النفط) المصدرة اليها الى الانخفاض(٢) . وبتأثير التضخم المطرد تتدنى نسب التبادل التجاري للبلدان النامية وتعاني من مشكلات في موازين مدفوعاتها ومن أتعاب مديونيتها المتراكمة باطراد . واكثر أعباء زيادات أثمان البترول في الماضي تحملتها دول العالم الثالث . والأموال النفطية تدور وتقرض الى الدول النامية بتكاليف عالية وشروط مجحفة . ولصعوبة (بل استحالة) تسديد الفوائد والاقساط وبضغط من صندوق النقد الدولي ، تصبح هذه الدول تحت رحمة الدول الدائنة وضغوط الصندوق المذلة في أكثر الأحوال .

وقد اعتمد الكتاب مراجع يعول عليها حديثة رغم انها تمثل اتجاها فكريا واحدا . ويظهر من الاطلاع على المراجع الواردة في صفحات الملاحظات أن ما جاء في صفحات الكتاب (٢٤٨) هو اعادة كتابة (صياغة) ما جاء في المراجع . أي أن الكتاب يحوي اعمالا سبق نشرها . فلم يضف الكتاب جديدا .

ويعاني القارىء من قراءة الكتاب ومحاولة استيعاب ما ورد فيه أو ما يقصد الكتاب ايصاله اليه . فلغته واسلوبه ليست سلسة ويتسم ما جاء فيه بالتكرار واعادة الصياغة وتتماثل فيه آراء وحجج ومواقف الكتاب الاربعة .

ولا شك أن القارىء ليتوقع من الكتاب الافاضل انتهاج اسلوب ابداء الرأي الشخصي وذكر الآراء المؤيدة والمخالفة واستخدام منطق الحوار والرد على الحجة بحجة وترك الاستنتاج النهائي للقارىء الفطن .

ويتجلى لمن يقرأ هذا الكتاب القيم العالية التي عالج فيها الكتاب الموضوعات التي أسهموا بها والمستوى الرفيع الذي بلغوه في صياغة افكارهم ومحاولة اقناع القارىء لاستيعاب ما يرغبون في ايصاله اليه . فقد افترضوا ابتداء ، موت الرأسمالية ثم أماتوها . ولكنهم اختلفوا في جسد وعقل وروح ولون من سيخلفها . وسيكشف الزمن عن طبيعة وهوية الوارث ولكن بعد حين .

هذا ما استطعنا سبر غوره ولمن يرغب في التوسع والنزول الى الاعماق أن يقرأ الكتاب وأملنا أنه سيحصل على الكثير . □□

---

(٢) وحتى اثمان النفط الخام انخفضت اخيرا من ٣٤ دولارا الى ٢٩ دولارا للطن نتيجة الصدمة الاخيرة فى سوق النفط العالمى .

من مكتبة العربي
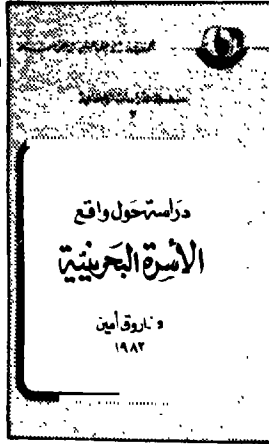
خيار التصنيع

المؤلف : د . محسون جلال .
الناشر : ـ الدار السعودية للنشر ـ جدة .
سنة النشر : ـ ١٩٨٣ .

ما زالت الأبحاث تنشر ، وحلقات النقاش تعقد لمناقشة الكيفية التي يمكن الخروج فيها من واقعنا المتخلف .
ومن الأسئلة المهمة المطروحة : لو لجأنا الى خيار التصنيع ، فما الذى يضمن لنا عدم وقوعنا تحت رحمة الجهات التى ستبيعنا آلات التصنيع وقطع غيارها ؟
النقاش ما زال مستمرا . . والكتاب الذى نعرض له يحاول الاجتهاد في هذا المجال مركزا على خيار التصنيع في المملكة العربية السعودية . وقد لخص أهداف ذلك الخيار بالتالي :
١ ـ نقل التقنية الصناعية المتقدمة خاصة في مجال الصناعات التحويلية في البتروكيماويات والصناعات الهندسية والميكانيكية
٢ ـ المساهمة في توسيع القاعدة التصديرية .
٣ ـ المساهمة في تنويع مصادر الدخل .
٤ ـ تحقيق درجة أعلى من الاكتفاء الذاتى والمساهمة في رفع درجة الاستقلالية الاقتصادية .
٥ ـ تخفيض درجة الاعتماد على قطاع الاستيراد . .
٦ ـ تقوية التعاون الصناعي والتقنى بين الأقطار العربية .
٧ ـ تحقيق أقصى العائدات على المواد الاقتصادية التى يتم استثمارها .

دراسة حول واقع الأسرة البحرينية

اصدار : ـ جمعية الاجتماعيين البحرينية ـ المنامة .
تأليف : ـ فاروق أمين .
سنة الاصدار : ـ ١٩٨٣ .

○ قليلة هي الدراسات التى تتناول جوانب معينة في مجتمعاتنا العربية .
وبالرغم من أهمية الدور الذى تلعبه الأسرة في المجتمع فانها لم تعط ذلك الاهتمام الذى يبرز دورها بالشكل الذى هو عليه ، كما يقول المؤلف .
والدراسة التي بين أيدينا درست واقع الأسرة في البحرين دراسة تاريخية تحليلية ووقفت على أهم عوامل التغير فيها ونتائج ذلك التغير . على أساس أنها جزء من البناء الاجتماعي العام . . الذى تطلب من الباحث دراسة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للمجتمع البحريني .
وقد توقف الباحث عند مرحلتين اساسيتين في حياة الاسرة البحرينية : الأولى وضعها قبل بروز وتأثير الثروة النفطية ، الثانية : بعد بروز تأثيراتها . . . وعقد مقارنة بين الوضعين ، ودعم اجتهاداته بالأرقام والاحصاءات التى تتعلق بجوانب معينة من موضوع دراسته .
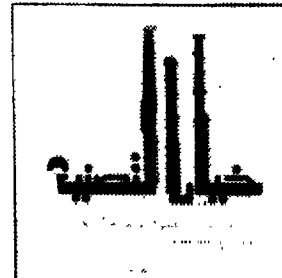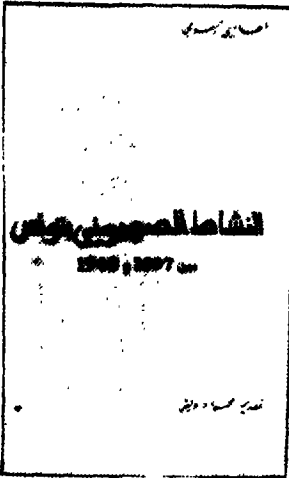
بحث في الاقتصاد السياسي

للتخلف والتقدم والنظام الاقتصادى العالمى

المؤلف : ـ د . عارف دليلة .

دار النشر : ـ دار الطليعة ـ بيروت .

سنة النشر : ـ ديسمبر ١٩٨٢ .

○ لقد أصبح شائعا بين الكثير من الجهات أن علم الاقتصاد رغم امكانياته المتطورة ووسائله التحليلية المتشعبة ـ لم يعد قادرا على تحليل المشكلات القائمة ، وايجاد الحلول المناسبة لها .

فهل في هذا القول ما يطابق الواقع فعلا ؟

يحاول المؤلف تفنيد تلك الأقوال ويبين عدم واقعيتها أو علميتها ، ويتطرق الى ثلاثة محاور : ـ

ـ المحور الأول يتعلق بمقومات علم الاقتصاد نفسه ، كعلم يبحث في مسائل التخلف والتنمية والتقدم .

ـ المحور الثاني يتعلق بالمواقف الشخصية من العلم مع ما يستتبع ذلك من اسقاطات ضعيفة ومتحيزة .

ـ المحور الثالث يتعلق بحتمية ارتباط العوامل الداخلية والخارجية في التطور الاقتصادى والاجتماعي واستحالة فصلها بعضها عن بعض . وتطبيقا لهذا المنهج يمتحن المؤلف بعض المفاهيم الشائعة في علم الاقتصاد الجامعى للبلدان النامية ويدرس أزمة التنمية على ضوء الفكر التنموى الجديد .

النشاط الصهيونى بتونس بين ١٨٩٧ ـ ١٩٤٨

المؤلف : الهادى التيمومي

سنة النشر : ١٩٨٢ .

○ بالرغم من كون الحركة الصهيونية في تونس لا تمثل ـ ولم تمثل ـ ثقلا مهما في مسار الحركة الصهيونية نجد أن القاء الأضواء على دورها في قطر من الأقطار العربية يفيدنا في الاطلاع على جوانب خافية في مسيرة تاريخنا الحديث . ويراكم لنا خبرات ووثائق وملامح واحداثا كنا لا نعيرها اهتماما كافيا .

وقد اختار مؤلف الكتاب سنتين من أهم السنوات في تاريخ الحركة الصهيونية ـ الأولى سنة ١٨٩٧ وهي السنة التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا ، والثانية سنة ١٩٤٨ وهي السنة التي أعلن فيها عن قيام دولة « اسرائيل » على أرض الفلسطينيين العرب .

وبين هذين الحدثين المهمين رصد المؤلف النشاط الصهيوني في تونس وتتبع أهم تياراته وطروحاته وأكد أن الاحتلال النازي لتونس وما نجم عنه من اضطهاد لليهود فيها ثم قيام دولة « اسرائيل » في فلسطين ، كانا من أهم العوامل التي أثرت على وضع اليهود في تونس ، وجعلت الكثيرين منهم يرتبطون بالحركة الصهيونية .

ويسجل محمود درويش في مقدمته للكتاب ملاحظة مهمة .... فيقول :

ولا يبدو لي أن قيمة الدراسة التي يقدمها الأستاذ التيمومي تنحصر في ملاحقة تطور الحركة الصهيونية في تونس وأوضاع اليهود فيها ، بل تتجاوزها الى دراسة الوضع الاجتماعي والسياسي في تونس أثناء الفترة المدروسة .

حوار القراء

اعداد
يوسف الشهاب

واقع المجتمع الغربي

● لدى بعض الملاحظات حول موضوع « البطاقة الأخيرة » الذي جاء في باب « المرأة والاسرة » المنشور في العدد (٢٩٩) اكتوبر ١٩٨٣ م وهي : -

أولا .. ان هذا الموضوع مأخوذ من واقع المجتمع الغربي ويحمل جملة من الافكار ومن أنماط السلوك الغربية عن عادات مجتمعنا العربي الاسلامي ، ومن هذه الافكار شرب الخمر .. الرقص ... وغيرها ..

ثانيا .. أود أن اتساءل ، أليس من الأفضل الاستعانة بموضوعات تنبع من واقعنا الشرقي العربي الاسلامي وهو زاخر بها دون شك ؟ واذا كان لابد من سياقة موضوعات كهذه فالافضل أن تتضمن الاشارة الى أوجه الاختلاف بين أخلاقهم واخلاقنا والتعليق عليها ، خشية وقوع بعض السطحيين في تقليدها ، مثل تقليد الأزياء والافلام والمسلسلات التلفزيونية - ويمكن أيضا الاشارة الى محور القصة ، وهو التفكك الاسرى في المجتمع الغربي .

محمد عبد الجليل ناصر - الدقهلية/مصر العربية

الأرض لا تدور

● أسعدني وأثلج صدري ما قرأته في موسوعة العربي (صفحة ١١٦ من عدد يونية رقم ٢٩٥) بعنوان : « أمريكيون ينكرون كروية الارض » .

وكنت قد نشرت نظريتي « الأرض لا تدور » الجزء الاول ، في أغسطس ١٩٧٦ .. ثم الجزء الثاني (المرفقة نسخته) في أول مايو ١٩٧٨ ، وفيه نقضت نظريات الغرب القائلة بكروية الارض ودورانها مستمدا أصول هذه النظرية من الآيات الكونية في القرآن الكريم .. واستشهدت كذلك باكتشافات رواد الفضاء الذين تراءت لهم صورة الارض ، حيث أثبتوا ان الارض على شكل بيضاوي .

فهل تتفضلون بموافاتي بالعنوان الكامل لجمعية الارض المنبسطة .. ؟

وتفضلوا بقبول الشكر ،،

عبد الستار محمد الهوارى - القاهرة/جمهورية مصر العربية .

العربي . عنوان الجمعية الذي في حوزتنا هو التالي : -

International Flat Earth Society

Lancaster, California, U. S. A. وهو عنوان غير كامل كما ترى .. ولعلك تستطيع الحصول على العنوان الكامل بالكتابة الى دار النشر التالية

Messrs. Readers Digest Association, Inc.,
P. O. Box 235,
Pleasantville,
New York 10570
U. S. A.

ذلك أن دار النشر هذه - وهي التي تصدر مجلة الريدرز دايجست المعروفة - هي التي نشرت سنة ١٩٧٥ الكتاب التالي ، وهو المرجع الذي اعتمدناه في كتابة ماكتبناه عن جمعية الارض المنبسطة (ص ٣١٤ ، ٣١٥ منه بالتحديد) .

Strange Stories and Amazing Facts

حوار القراء

وتجدر الاشارة الى أن هذا الكتاب ضخم نسبيا ، ويجمع بين الطرافة والدقة العلمية . . . وقد تناول واضعوه ! جمعية الأرض المنبسطة ، لا بقصد الدعوة لها . وانما بدافع التندر بآرائها الطريفة ، وامتاع القراء بمعتقداتها الغريبة . .

اذ أن كروية الأرض ودورانها حول الشمس لم تعد تلك النظرية العلمية التي تحتاج الى الأدلة العلمية المقنعة لاثباتها . . بل إنها أصبحت حقيقة ثابتة مؤكدة ، ان لم نقل بديهية ، وقد تجلت بما لايقبل أي شك في آلاف الصور الفوتوغرافية التي التقطت للارض من الفضاء .

وحسبك أن الكنيسة الكاثوليكية التي طالما أنكرت تلك الحقيقة ، وأكدت أن الارض منبسطة وثابتة في مكانها . . قد تراجعت عن موقفها هذا مؤخرا وأعلنت انها كانت مخطئة فيه ، وانها ظلمت العالم الايطالي الشهير جاليليو الذي أدانته لأخذه بتلك الحقيقة ، وحكمت عليه سنة ١٦٣٣ بقضاء السنوات الأخيرة من حياته سجينا في بيته . . لا لسبب الا لأنه أقام الأدلة المقنعة التي أثبتت تلك الحقيقة .

وقد جاء تراجع الكنيسة هذا على لسان البابا نفسه ، وذلك في الندوة العلمية التي أقيمت في روما في مطلع شهر مايو ـ أيار الماضي (سنة ١٩٨٣) وذلك بمناسبة مرور ٣٥٠ عاما على صدور كتاب جاليليو الشهير ، (حوار حول كروية الارض وانبساطها)

ومن طريف ما يذكر ان جاليليو عبر في هذا الكتاب عن كلتا النظريتين بكل أمانة ونزاهة . . وان الحجج التي أوردها لاثبات انبساط الارض وسكونها لم تكن أقل قوة من الحجج التي ساقها لاثبات كروية الارض ودورانها .

وبالرغم من هذه الامانة . . أو لعله بسببها، انتهى اللذين قرأوا ذلك الكتاب ، ـ أكثرهم ان لم نقل كلهم ـ الى التسليم بحقيقة كروية الارض ودورانها .

البصير . . وأثر المتنبي

● قرأت ما كتبه الاستاذ عبد الرزاق البصير ، في العدد (٢٩٩) حول كتاب عبد العزيز التويجري « في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء » وكم وددت أن يكون هذا الكتاب موجودا في مكتباتنا في العراق ، اذ انني بحثت عنه كثيرا فلم اجده في أي مكتبة من مكتبات بغداد .

الشيء الآخر الذي أوده منكم هو اعطائي عنوان الاستاذ عبد الرزاق البصير ، حتى أستطيع مراسلته حول ما كتبه في العربي ، عن كتاب عبد العزيز التويجري . .

فاطمة ابريهي ـ
بغداد/الجمهورية العراقية

العربي

عنوان الاستاذ عبد الرزاق البصير :
الكويت ـ وزارة الاعلام .

الازهـر .. الجانب الآخر

● حول ما جاء في استطلاع الازهر المنشور في العدد (٢٩٥) رأيت ان هناك نقصا في بعض المعلومات أود توضيحها لكل قارىء - فالجامع الازهر من اكبر الجوامع اذ تبلغ مساحته ١٢,٠٠٠م٢ ، ولقد شرع في بنائه عام ٣٥٩ هـ .وأكمل في عام ٣٦١ وعمره الآن أكثر من ألف سنة .

وحينما جاء نابليون ارض مصر عام ١٧٩٨ ، لم يلبث أن تبين أن علماء الازهر هم قادة الشعب ، وأنه لا يستقيم له أمر الا اذا استطاع ان يرضيهم ، فراح يتودد اليهم بمختلف الطرق ، حتى انه زعم انه اعتنق الاسلام ، ووسط الزوابع السياسية التي تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد علي ، لعب الأزهر دوره بمهارة أيدت هذه المكانة وتلك السلطة .

ولقد مرت بالازهر أطوار مختلفة من الصحة والمرض والتقدم والتأخر والنهوض والتقاعد والانتاج والعقم ، حتى لقد اجتاز فترة من الزمن تجمعت عليه فيها علل ماض طويل واخذت تعمل عملها في غفلة عن التفكير والانتاج وعن كل نافع من العلوم العقلية والكونية ، ولكنه تخلص من علله أخيرا ، وأسهم في مجالات الثقافة الحديثة . كما لعب الأزهر دوره في كل من الثورتين ، العرابية ، وثورة ١٩١٩ ، وهما تمثلان التطلع الى التحرر من الاستعمار وسيطرة الحكم التي عاشتها مصر . .

أنور ناظر - حلب - سوريا

العربي . . والكويت

● أعطت مجلة العربي ، ولا تزال تعطي ، الكثير من المواضيع الهامة والشاملة الممتعة عن الكويت شعبا وحكومة ، وقد عرفت من خلال صفحات مجلتنا ، الكثير عن حياة الشعب الكويتي . . اساليبه في العمل وعن عاداته وتقاليده ، هذا بالاضافة الى ما تحويه « العربي » من مواضيع اقتصادية وثقافية واجتماعية تساهم في تنمية ثقافة القارىء العربي واطلاعه على نمط الحياة في الكويت .

لقد وجدت في مجلتكم كل ما يروق لي ، واعجبت كثيرا بشكلها الخارجي وما تتضمنه من أبواب هي أنيسة القارىء في وحدته ، هذا الى جانب ما تعطيه للقارىء من معلومات قيمة مفيدة .

البكراوي السملالي يعقوب - الدار البيضاء - المملكة المغربية .

العربي

الدور الذي تقدمه العربي للقارىء عن الكويت ، هو جزء من رسالتها العربية التي وجدت العربي من أجلها وشكرا لابن المغرب . .

طرائف عربية . . وأنت تسأل

● يسأل الكثير من القراء عن غياب باب « طرائف عربية » وكذلك باب « انت تسأل . . ونحن نجيب » ويطالبون باعادة هذه الابواب الى صفحات المجلة نظرا لفائدتها الكثيرة للقارىء . .

ولما كانت هذه الابواب قد الغيت في فترة سابقة ، ونظرا لشعورنا بعد ذلك بضرورة اعادتها ، فقد بدأنا منذ اكثر من اربعة اشهر باعادة هذه الابواب مع تغيير في اسم باب « انت تسأل » حيث ان الاسم الجديد له هو « موسوعة العربي »اما طرائف عربية فانه لم يتغير وهو ثابت بين صفحات العربي - وشكرا . .

« العربي »

المسابقة الثقافية

رقم ٢٣٢

يعيش العربي هذه الأيام مناسبة يوبيله الفضي ، وهذه مناسبة فريدة وجديرة بالاهتمام . . من هنا كان الحرص على أن تكون مسابقة العربي في هذا العدد الممتاز نابعة من تلك المناسبة التي تحتفل بها مع قرائه في كل مكان من الوطن العرب .

ومن هنا ايضا كانت الوجوه المشرقة وأنماط البناء البديعة التي ترى في صور هذه المسابقة الاثنتي عشرة ، والتي أطلّت عليك من خلال استطلاعات العربي المصورة عبر ربع القرن الذي انقضى . .

ولو أنك دققت النظر في هذه الصور لوجدت في ملامح وجوهها وأزيائها أو أنماط البناء فيها ما يميزها ويدلك على هويتها . .
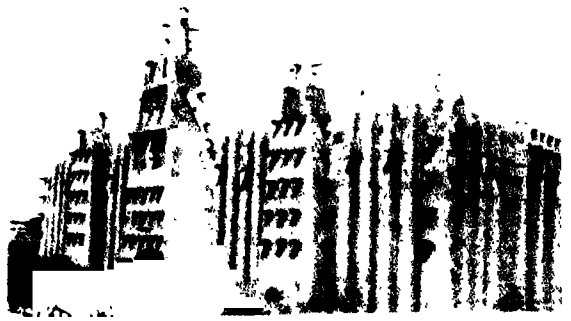
فهل بامكانك التعرف على عشر منها فقط فتذكر اسم البلد الذى تنتمى اليه كل واحدة منها .
وتبقى شروط هذه المسابقة كشروط المسابقات الثقافية السابقة . . مع فارق هام . . خاص بقيمة الجوائز التى توزع على الفائزين فيها وفى كافة مسابقات العربي الثقافية التى ستعقبها . . فقد تقرر أن تبلغ قيمة هذه الجوائز بمجموعها ـ/ ١٨٠ دينارا كويتيا وأن توزع على الوجه التالى :

الجائزة الاولى ـ/ ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ـ/ ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ـ/ ٢٠ دينارا

يضاف الى ذلك ثمانى جوائز تشجيعية قيمة كل منها ـ/ ١٠ دنانير

جوائز العربي قيمتها أكثر من ألفى دينار سنوياً .
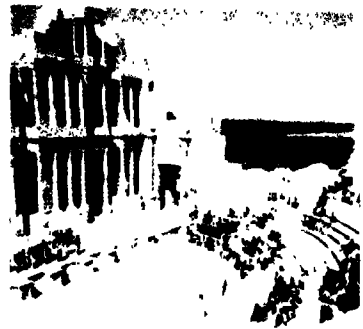
معركة بلا سلاح
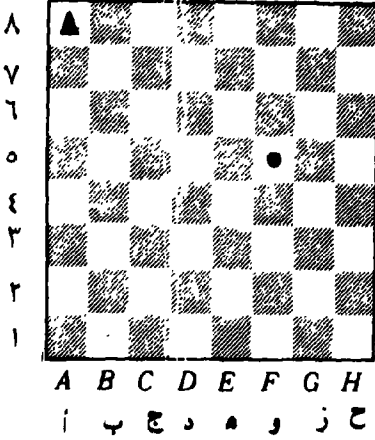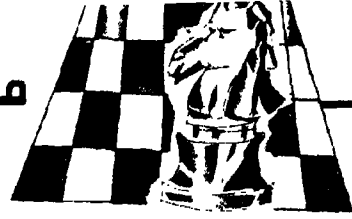
كتابة الأدوار بالطريقة الجبرية

درجنا في أعدادنا السابقة على كتابة الأدوار والمسائل الشطرنجية بالطريقة الوصفية حيث تنسب أعمدة الرقعة الى القطع التي تحتل أعلاها وقد شرحنا هذه الطريقة بالتفصيل في عددي يناير وفبراير من العام الماضي وقد رأينا الابتداء بها لأن معظم الكتب والمجلات العربية والافرنجية التي تعنى بالشطرنج تكتب بهذه الطريقة . أما الطريقة الثانية والتي تعرف بالطريقة الجبرية وتنسب الى لاعب سوري ظهر في القرن الماضي اسمه ستاما الحلبي فهي أبسط وأكثر سهولة ودقة من الطريقة الوصفية مما حدا بالاتحاد الدولي للشطرنج إلى تبنيها وإقرارها لكتابة الأدوار والمسائل الشطرنجية منذ عام ١٩٨٢ .

ويرمز للقطع في الطريقة الجبرية بالحرف الأول من اسمها كما هو الحال في الطريقة الوصفية عدا البيدق الذي يأخذ اسم المربع الذي يحتله ، أما الأعمدة فتسمى بحروف أبجدية من اليسار الى اليمين كما يظهر في الشكل أدناه .

وقد رأينا أن نأخذ في العربية أيضاً بنفس الاتجاه تسهيلاً على القراء الذين اعتادوا الرجوع الى المصادر الأجنبية التي تأخذ جميعها بهذا الاتجاه .

ونجد في الشكل أعلاه الأعمدة مكتوبة بالأبجدية الافرنجية وتحتها بالأبجدية العربية المقابلة لها أما الصفوف فقد رُتبت من ١ إلى ٨ ابتداءً من حاشية الأبيض . وهكذا يُرمز للمربع الذي تحتله الدائرة : وه والمربع الذى يحتله المثلث : أ ٨ . . . . . ولا تتغير تسمية المربعات بتغير لون القطعة التي تحتلها كما هو الحال في الطريقة الوصفية بل تبقى هي نفسها للأبيض والأسود على حد سواء .

مسألة شطرنجية
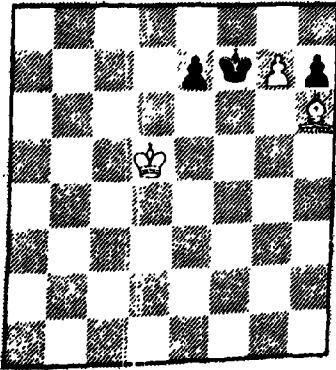
يبدو لأول وهلة أن الموقف سينتهي بالتعادل لا محالة ، فملك الأسود يستطيع أن يظل يتحرك في المربعين « ح ١ » و « ف ٢ » إلى ما لا نهاية أو ينتهي الدور بالتعادل بالتجميد اذا تقدم ملك الأبيض إلى « م ٦ » . ولكن الأبيض يستطيع أن يكسب الدور في أربع نقلات ونحن بانتظار حلك أيها القارئ حتى منتصف الشهر القادم .
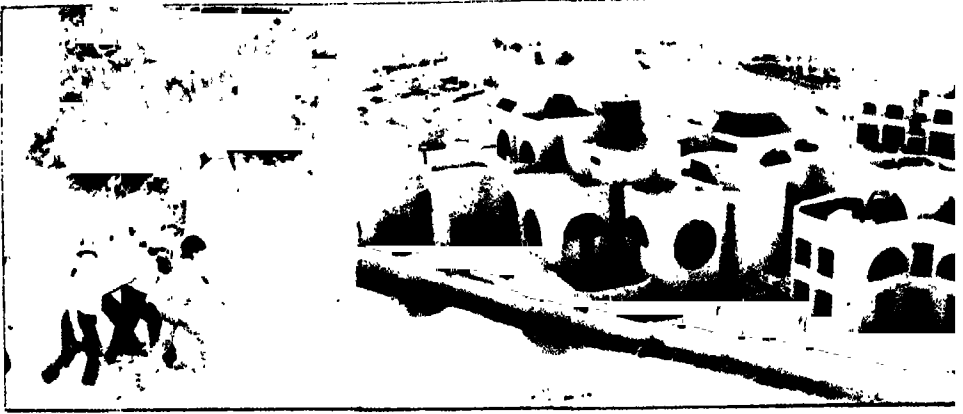
مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩٨٤

١٧٢

الآلة الحاسبة

تأليف : إلمر ل. رايس
ترجمة وتقديم : د. طه محمود طه
مراجعة : د. علي الراعي

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الك

يناير ١٩٨٤ م

التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي

الدكتور مجيد مسعود

الكتاب الثالث والسبعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

يحوي العدد حوالي ٣٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية. دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا .
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية : في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولار أو ما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب،

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص.ب : ٥٤٨٦ الكويت
هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ٠٠٠ر١٢٥ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون

عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة

أبواب ثابتة تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا

ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات للأفراد سنويا دينارات كويتيات في الكويت . ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت . ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - **كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩**
٢ - **كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩**
٣ - **كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) ١٩٧٩ .**
٤ - **كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠**
٥ - **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الاول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

الفضي

العربي

أشعار
العدد
بالداخل

أطباء من الكويت لكل العرب

العدد ٣٠٣
فبراير ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت : ٤٢٧١٤١ - ٤٦٨٢٤٢
برقياً : «العربي» الكويت

AL-ARABI
Issue - No. 303. Feb. 1984

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by :
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

العربي
مجلة ثقافية عربية مصورة
رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

باسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٢٠٠ مليم	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٢٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوروبا	دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولاران

عزيزي القارئ

نستميحك عذرا . . عندما لا نكتب هذه المرة حول شؤون « البيت الصغير » . . شؤون مجلتك « العربي » - وهموم العمل ومشكلات الصحافة ، فقد أخذتنا هموم الوطن « الكويت » بعيدا عن هموم الصحافة .

ففي يوم الاثنين الموافق ١٢ ديسمبر الماضي . - وكنا قد فرغنا من طبع العدد الممتاز - روعت الكويت أهلها وسكانها بجرائم ارتكبتها أيد آثمة ، أرادت قلب السكون إلى عاصفة ، والسلام إلى اضطراب .

والكويت التي هزها هذا الحدث الأليم ، اهتزت معها كل قلوب العرب ، من المحيط الى الخليج ، التي استنكرت هذا الفعل .

هذا البلد الآمن الذي اتبع سياسات متوازنة في الداخل والخارج ، اراد به البعض شرا.

ففي كل مجال من مجالات الحياة ، تجد أن للكويت باعا ايجابيا منذ أن نالت استقلالها في مطلع الستينيات .

فكويت الخير . . نجدها في مشاريع الصندوق الكويتي للتنمية ، وفي المساعدات الاقتصادية التي قامت الكويت وما زالت تقوم بها كواجب عليها تجاه الاشقاء واخوة الدين والأصدقاء في العالم الثالث .

وكويت الديمقراطية . . كان اسمها على كل لسان ، عندما عقد المفكرون العرب اجتماعهم التاريخي في ليماسول بجزيرة قبرص في نهاية شهر نوفمبر الماضي ، وكانت تجربتها في المشاركة السياسية يشار اليها بالبنان .

وكويت الحرية التي ضربت المثل في التعامل في اطار حقوق الانسان ، والبلد الذي لم يجد مناصرو الحرية والحقوق الا الشكر لسياساته العامة - الداخلية والخارجية .

كويت الثقافة العربية . . التي تشع من خلالها منابر للثقافة العربية الأصيلة ، إلى كل أرض العرب ، مساهمة منها في تطوير ونشر الثقافة العربية بين شعوب الوطن العربي ، من أقصاه الى اقصاه .

هذه الكويت تشكر للعرب جميعا مواقفهم من يوم الاثنين الأسود ، وهي ماضية في طريقها باذن الله ، بفضل قلوب كل العرب التي التفت هلعة واجفة خوفا عليها في عيدها الوطني الثالث والعشرين الذي نستقبله مع نسمات الأمل في المستقبل ، ومع هذا العدد الذي بين يديك ، تكون الكويت بأهلها وساكنيها قد تجاوزت المحنة العابرة ، وهي سائرة على الدرب . . درب العروبة والتقدم .

المحرر

◆ أطباء من الكويت لكل العرب ◆

احتفلت الكويت بتخريج أول دفعة من الأطباء على أرضها .. لقد كان عيدا قوميا ولم تكن مصادفة أن يجيء هذا اليوم في الوقت الذي احتفلت فيه البلاد مع أشقائها العرب بعيدها الوطني .. عيد استقلال الكويت ـ الثالث والعشرين .

(اقرأ ص ٦٨)

◆ التكامل الاقتصادي العربي ◆

التكامل الاقتصادي الخليجي يمثل تجربة فريدة في العالم الثالث . انه قد يصبح نواة للتكامل الاقتصادي العربي الشامل . ان أية وحدة في أي مجال من مجالات التعاون هي أمنية كل العرب في الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه .

(اقرأ ص ٣٦)

◆ الصحافة بين الحرية والتقييد ◆

كيف تكون حرية الصحافة مشكلة ؟ نحن نعرف أن تقييد حرية الصحافة هو المشكلة .. على هذا التساؤل يجيب صحفي ودبلوماسي قديم عاصر الصحافة العربية لأكثر من نصف قرن من الزمان .

(اقرأ ص ٥٦)

◆ طفلي لايأكل ◆

تميل الأم الى المبالغة في كل ما يتصل بصحة طفلها نتيجة حبها له وتعلقها به . ومن بين المشاكل التي تعيشها الأم وتضطرب لها ، عزوف الطفل عن تناول طعامه ، لماذا لا يأكل الأطفال وما هي طبيعة الأسباب ؟

(اقرأ ص ٩٠)

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام

طب وعلوم

منتدى العربي

آداب وفنون

تاريخ واشخاص

اجتماع

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

الشفاء من المرض..

☐ الخوف من المرض ، خوف قديم قدم تاريخ الانسان نفسه ، وقد حاول الانسان على مر العصور أن يبتكر أساليب وطرقاً لدرء المرض عنه أو شفائه منه أو - على الأقل - التخفيف من آلامه ، واختلفت هذه الأساليب وتلك الطرق على مر التاريخ ، كل عصر كانت له أساليبه ، فمن التمائم والتعاويذ الى استخدام المستخرجات الحيوانية ، حتى الانسانية ، الى الاستعانة بالنباتات المختلفة وعلم الدواء الحديث في تطوراته الثورية . . كل هذه التدابير لم تمنع وجود المرض ، وسيبقى المرض ما بقي الانسان على الارض ، كل ما يتغير هو طرق علاجه التي تختلف باختلاف الأزمان .

واذا كان للانسان تعريفات كثيرة ومتعددة تميزه من الكائنات الحية الأخرى ، فأحد تعريفاته الهامة هو أنه المخلوق الذي يتميز من غيره برغبته الذاتية في تناول الدواء ! أو كما قال اندريه مالرو : « انه المخلوق الوحيد الذي يعرف أنه سيموت ! »

فهو اذن يتناول الدواء من أجل درء المرض كسبب مباشر ، ومن أجل اطالة عمره ، كسبب غير مباشر ، يسعى اليه كل انسان سوي .

ويحدثنا التاريخ كثيرا عن محاولات اطالة العمر ، والبقاء على قيد الحياة أطول مدة ممكنة . فقد ترعرع التطبيب في قصور الملوك والقادة والفاتحين ، ولازم المشعوذون أو الأطباء حاشية الأمراء ، وصرف الأخيرون أموالا طائلة من أجل البحث عن دواء ناجع لمرض ألم بهم ، أو ألم بأحد أخصائهم ، كما استخدموا النتائج السلبية لبعض الأدوية والعقاقير في الاطاحة بمنافسيهم .

ولعل من بين ما عرفناه أخيرا المحاولات الطبية الكبيرة التي سخرت لاطالة عمر

كم فيه من دواء وكم فيه من إرادة ؟

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

جوزيف ستالين في الاتحاد السوفيتي ، أو لعلاج أدولف هتلر في ألمانيا النازية ، ونظرا لاهتمام الانسان العادي اليوم باضافة سنوات الى عمره ، نرى شغف القراء بكل ما تطالعنا به الصحف من قصص المعمرين ، وأسرار حياتهم اليومية ، وطريقة معيشتهم ونظام أكلهم ورياضتهم ، وكذلك ما تلاقيه الكتب والمجلات التي تهتم بهذا النوع من الأخبار والمعلومات من رواج لدى جميع الشعوب ، أو لدى من يستطيع القراءة منها على الأقل .

ولا تكاد تخلو صحيفة اليوم في بقاع الدنيا الفقيرة أو الغنية من شرح مفصل لنظام الحمية ـ الرجيم ـ وطرق التريض ، بل تشاهد في عواصم كثيرة ، حتى في العالم الثالث ، طوابير الجري الصباحي أو المسائي كوسيلة من وسائل الحفاظ على الصحة والرشاقة واطالة العمر .

بين نظريتين

والشفاء من المرض اليوم يخضع لنظريتين ـ تقليدية يتعلمها الأطباء في كليات الطب وهي تعتمد على افتراض قدرة العلم الحديث على تشخيص الأمراض واكتشافها ، وبالتالي تقديم العلاج الدوائي لها . وأخرى اجتماعية نفسية دعى لها في كتب أثارت ضجة ، ومازال من بينها كتابان هامان : أحدهما لتوماس هاري بعنوان : « أنا بصحة جيدة . . . هل أنت كذلك » ؟ وآخر لنورمان كازنز بعنوان : « تشريح مَرَض » .

←

واذا كان بعض المتطرفين ممن يعتمدون على النظرية الأولى - وهي المطبقة في كثير من كليات الطب والمستشفيات - ينظرون الى النظرية الثانية وكأنها (رجل أعمى في حجرة مظلمة يبحث عن قطة سوداء ليست موجودة !!) . بمعنى استحالة الاعتماد على الشفاء الذاتي والاجتماعي النفسي ، فان هذه النظرية الثانية ذاتها تعتمد على « القدرة الطبيعية على الشفاء » ولا تتجاهل هذه المدرسة الرعاية الطبية الجيدة ، أو الغذاء الجيد ، أو حتى أنواعا من العلاج الدوائي المحدود ، ولكنها في الأساس تعتمد على « حشد قدرات المريض لمقاومة المرض » .

تفترض هذه النظرية أن معظم المرضى الذين يطلبون المساعدات الطبية من أطباء أو مؤسسات طبية يعانون من اضطرابات هي في حقيقتها تدخل ضمن نطاق قدرة الجسم على الشفاء . فقدرة جسم الانسان على الاحتمال كبيرة ، واذا ما توفرت للانسان العزيمة الصادقة فانه يستطيع أن يتغلب على شكواه من داخل جسمه ، لأن الجسم البشري هو أفضل صيدلي ، وأفضل الوصفات الطبية هي تلك التي يصرفها جسم الانسان نفسه من خلال التخلص بوعي من المؤثرات الاجتماعية والنفسية المحيطة به ، والتي كانت سببا لهذه الاضطرابات في بداية الأمر .

عدة أشخاص يدخلون عليك المكتب أو يقابلونك في الشارع ، وكل منهم على حدة ، يقول لك مثلا : « لونك مخطوف ووجهك مشوب بالاصفرار ، وان هناك خطوطا سوداء حول عينيك . . . » فماذا أنت فاعل ؟!

كثير من الناس ممن يصادفون هذه التجربة يضطربون ، وقد يلازمون الفراش في أول لحظة تسنح لهم ، وقد يحدث تغير حقيقي في التركيب الكيمائي لأجسامهم نتيجة لتلك الملاحظات .

أعرف أحد كبار الصحفيين العرب كانت حالته الصحية تسوء دون سبب عضوي ظاهر عندما يتدهور الموقف العربي .

في هذه الحياة أينما كنا ومهما فعلنا ، لا يمكن لنا تجنب التعرض للعديد من العوامل الفسيوكيمائية ، والبيولجية او الاجتماعية المسببة للمرض ، ولكننا نعيش لأننا في نفس الوقت نملك أجهزة بيولجية ونفسية تتيح لنا الاستجابة والتكيف مع العديد من التحديات المختلفة ، وكلما زادت قدرتنا على التكيف ، ازددنا قدرة على درء المرض .

ولكن السؤال : كيف لنا أن نتحكم بوعي في حشد طاقات الجسم للتغلب على المرض ؟

اقرءوا معي هذه القصة . .

قصة مريض

نورمان كازنز ـ الذي أشرت اليه سابقا ـ انتشر كتابه وعرف في جميع الأوساط لأنه كتب فيه قصته مع المرض ، والقصة باختصار هى : أن الكاتب أصابه مرض خطير هو مرض « الكولاجين » . يصيب الأنسجة الضامة بالجسم ـ وتندرج كافة أمراض التهاب المفاصل والروماتيزم تحت تصنيف هذا المرض ، وأبلغه الاطباء أن الفرصة المتاحة أمامه للشفاء لا تزيد عن النصف في الألف . . . . فماذا فعل ؟

الكاتب صحفي ، وله المام طيب بالمعلومات الطبية ، فقام في البداية بتحليل أسباب مرضه ، وأدرك أن الشعور بالألم الذي ينتابه عندما يقوم بتحريك أصابعه أو رقبته هو مقدمة لمرض خطير ، يصفه هو بعد ذلك بقوله : « لقد كنت أشعر على نحو ما بأنني مخلخل غير ثابت ، فلقد كنت أعاني من صعوبة بالغة في تحريك أطرافي ، أو حتى عند التحرك في سريري ، وظهرت بثور (على شكل عقد تحت الجلد) على جسمي » .

لقد كان مرضي هو تصلب الفقرات ، نتيجة لنقص مادة « الكولاجين » وهي المادة البروتينية الليفية الموجودة في النسيج والتي تربط الخلايا بعضها ببعض . . يصف الكاتب ألمه في مرضه بقوله : « لقد كنت أشعر وكأن عظام عمودي الفقري قد مرت عليها شاحنة ضخمة . . وفي أسوأ حالاتي المرضية كان فكاي مغلقين تماما » .

ويكمل الكاتب قصته القريبة من الخيال فيقول بعد تفاصيل كثيرة انه كان قد قرأ في أحدى المجلات الطبية أن فيتامين « ج » يساعد على تزويد الجسم بالاوكسجين ، واذا كان نقص الاوكسجين يعد عاملا قويا في تحلل الأنسجة الضامة فهل يمكن أن يكون ذلك علاجا ؟ هكذا يتساءل المريض . . . بجانب فيتامين « ج » قرر المريض أن يثير في نفسه الانفعالات الايجابية : انفعالات مثل الحب ، والأمل ، والايمان ، والثقة بالنفس ، وارادة الحياة ، والضحك ، وجرب خطة العلاج الجديدة . . ابتعد عن

الادوية كل الادوية التي وصفها الطبيب عدا فيتامين ج .. وبدأ في محاولته استثارة الانفعالات الايجابية . ثم يقول : « كان من السهل أن يشعر الانسان بالأمل والحب والايمان ، ولكن ماذا عن الضحك ؟ ليس هناك شيء يثير الضحك عندما تستلقي على فراش المرض وعظامك ومفاصلك تؤلمك .. ولكن كان لابد من الضحك فاتجه الى مشاهدة الافلام السينمائية المثيرة للضحك في حجرته .. الى درجة أنه بعد ذلك قرر أن ينتقل من المستشفى الى أحد الفنادق حتى لا يثير الضوضاء الناتجة عن ضحكه والمقلقة لبقية المرضى .. ويقول : اكتشفت أن عشر دقائق من الضحك كان لها تأثير مسكن منحنى الفرصة للنوم لمدة ساعتين ، ولم أكن قبلها أعرف النوم .

وفي نهاية الأمر يصل الكاتب بعد تفاصيل أخرى الى الشفاء التام من مرض كان الأمل في شفائه منه لا يتجاوز النصف في الألف .

الايمان الشافي

التجربة التي رواها نورمان كازنز لم تمر دون تمحيص من المتخصصين ، فقد نشرها في بلاده ـ الولايات المتحدة ـ وقامت حولها ردود فعل كثيرة ـ بعضها مصدق لما رواه وبعضها مشكك في قصته ـ ولكن الشواهد تأتينا أكثر وأكثر على قدرة العقل البشرى غير المحدودة في مساعدة الانسان على الشفاء عندما يتوفر الايمان . بعض ردود الفعل على قصة كازنز فسرت التجربة كلها على أنها تخضع لنظرية « الدواء المموه » وملخصها أن المريض عندما يعتقد في علاج ما بأنه الشافي ـ فانه يستجيب له . والعلاج المموه ليس جديدا في تاريخ الطب فقد عرف منذ القدم ، وبعضه ما زال عالقا في ممارسة مهنة الطب اليوم . ويقول البعض : إن المريض عندما يتوجه اليوم الى طبيب فانه يحتاج أول ما يحتاج الى وصفة طبية يعتقد الكثيرون من المرضى أنها شهادة بضمان الشفاء ، هذه القصاصة من الورق التى تحتوى على علامات غامضة بالنسبة للمريض ، تفعل فعل السحر في نفسه وهى قنطرته الى الشفاء . والدواء المموه يعني من منظور ايجابي تأكيد قدرة عقل الانسان في التأثير على جسمه ، وأن الجسم البشرى يمكنه شفاء نفسه نتيجة قدرة العقل الغامضة في اصدار الأمر لحدوث تغيرات كيمائية عضوية تعدّ ضرورية للتغلب على المرض .

وفي الحياة اليومية ومن مشاهداتنا جميعا نستطيع أن نصل الى النتيجة نفسها ـ أي قدرة العقل على التأثير في الجسم ـ فالأشخاص ذوو العاهات ممن يفقدون أطرافا معينة ، أو يصابون بالعمى أو الصمم ، يميلون عادة الى تنمية مهارات تعوضهم عن هذا النقص ، ومن ثم تتحول الى جزء لا يتجزأ من شخصياتهم ، وتكون في الوقت نفسه عاملا من عوامل الاتزان النفسي لديهم . ونتيجة لثورة الاتصالات في عالمنا اليوم ، لم تعد هذه التجربة مقصورة على من نعرفهم في مجتمعاتنا الصغيرة ، فالتلفاز ووسائل نقل المعلومات الاخرى تتحفنا كل يوم تقريبا بفاقد رجليه يصبح بطلا في رفع الاثقال ، وبآخر يتسلق جبلا شاهقا ! وبرجل بلغ التسعين يسير عشرات الاميال في سباق . . .

والأمثلة كثيرة . . .

وكلهم أناس عاديون ، اجتازوا محنا مرضية نتيجة تصميمهم ومثابرتهم وإيمانهم بالشفاء .

فالدواء المموه دليل على أنه لا يوجد أي فاصل بين العقل والجسم ، فالمرض ـ كما هو معروف ـ هو دائما تفاعل بين الاثنين ، اذا انه من الممكن أن يبدأ المرض في العقل ثم يمتد الى الجسم لأن كلا منهما : العقل والجسم يتم تغذيته بالدم نفسه .

الدواء واطالة العمر

اذا كانت عوامل اطالة العمر التقليدية معروفة وهي تتلخص في ممارسة الحياة بشكل أكثر حكمة مثل الاقلاع عن التدخين والتحكم في الغذاء وممارسة الرياضة البدنية وغير ذلك من الوسائل المعروفة ، فان عوامل جديدة تزودنا بها التجارب منها العلاقة بين الابداع وطول العمر ، فالانسان المبدع الذي يقوم بعمل دائم ومستمر في بيئة جغرافية واجتماعية ونفسية مواتية تكون فرص بقائه على قيد الحياة أكبر . ولقد عرف من دراسات كثيرة أن العديد من الناس تنتكس أحوالهم الصحية من حياة ايجابية في ظروف جيدة ومتوازنة الى حالة صحية سيئة ومعتلة بمجرد احالتهم الى المعاش وانتفاء مساهمتهم في الانتاج والعطاء ، بدافع من الشعور بأن وجودهم لم يعد مرغوبا فيه ، لذلك فان الكثيرين في الدول المتقدمة يعدون حياتهم في وقت مبكر لمرحلة ما بعد التقاعد بايجاد سبل جديدة لاستمرار مشاركتهم في المجتمع . والمبدعون عادة يتغلبون على مشاكلهم

الصحية أو عاهاتهم الانسانية من خلال الاستمرار في ممارستهم لذلك الابداع ، وهم في ذلك يشعرون بأن بقاءهم مازال مرغوبا من المجتمع الذى يعيشون فيه .

الا أن الدواء بالنسبة للانسان العادى يبقى احدى الوسائل الشائعة لـدرء المرض واستمرار الصحة واطالة العمر ، والدليل واضح حيث تغرقنا الاعلانات في التلفاز والاذاعة وفي الصحف الاسبوعية واليومية بارشادات للتخلص من الزكام والبرد ووجع الرأس والحمى القشية وارتفاع درجة الحرارة حتى ألم البواسير باستخدام أنواع معينة من الادوية والمسكنات ، كل ذلك على اعتبار أن الألم شر مطلق يجب التخلص منه في الحال ، في الوقت الذى يتسع فيه ـ بشكل متزايد ـ الرأي القائل ان الدواء قد يخفف الألم مؤقتا ، الا أنه في نفس الوقت يمنع الانسان من اكتشاف مرضه الحقيقي في مرحلة يمكن علاجه منها وفي الوقت المناسب .

كما أن هناك عددا كبيرا من الآلام تنجم بصورة طبيعية نتيجة التوتر الذى هو معدّل التلف الذى يصيب الجسم البشري نتيجة لعوامل نفسية واضطرابات عاطفية لا يفيد فيها العلاج التقليدي مهما كثر وتنوع .

المخرج الحقيقي

تكثر الآن الدراسات التي تتساءل : « كيف استطاع الأطباء أن يحافظوا على مراتب كبيرة في المجتمع عبر التاريخ الانساني ؟ وهم في الحقيقة يصفون أدوية لمرضاهم بعضها لافائدة منه ، والبعض الآخر في حقيقة الأمر مضر ، وتاريخ الطب مليء بالادوية وطرق العلاج التى جرى استخدامها سنوات طويلة قبل أن يتم اكتشاف ضررها ، وكلما زادت معرفة الجمهور بأخطار تلك الادوية ، زاد الاعتماد على العنصر الانساني في العلاج ، وأي علاج اليوم لا يأخذ بهذا العامل الانساني يعتبر علاجا ناقصا لا يحقق الغرض منه . والمخرج الحقيقي والمساعد للشفاء من المرض هو نشاط العقل البشرى عن طريق تآزر العوامل البيئية والنفسية ، وعلى رأسها الانفعالات الايجابية .
فهل تمكننا الحياة العصرية من ذلك ؟ □□

محمد الرميحي

مخاطر استثمار أموال البترول العربي

بقلم: الدكتور يوسف سليمان الفاضل

☐ كيف تستثمر الدول النفطية فائض أموالها .
كيف تحميها من المخاطر المحدقة بها . وما هي هذه المخاطر
التي تتهدد رؤوس الأموال العربية المدخرة في الخارج ؟

العالم العربي فيه ثروات كثيرة ومتنوعة ، فهناك البترول والغاز ومشتقاتها التي تكون عصب الصناعة الحديثة في العالم . كذلك يحظى عالمنا العربي بموارد طبيعية أخرى كالحديد والنحاس واليورانيوم . ولا تقل أهمية ثرواته الانسانية المتمثلة بقوة العمل وكثرتها عن أهمية ثرواته البترولية والموارد الطبيعية الاخرى .

ولكن ـ مع الاسف الشديد ، لصغر السوق العربية وتفككها وكثرة عددها كأسواق صغيرة محمية بالقوانين الجمركية التي تعكس واقع العالم العربي اقتصاديا وسياسيا ـ لم يتمكن العالم العربي من انشاء صناعات حديثة تكون قادرة على دفعه بقوة الى الامام في ركب الحضارة العالمية . كذلك عدم توافر حرية تحرك رؤوس الأموال العربية والأيدي العاملة من دولة لاخرى وكثرة تشككها في الأوضاع السياسية والاجتماعية ، كل هذا جعل من الصعب أن تكون هناك سياسة اقتصادية وفلسفة سياسية يكونان اطارا صالحا للتنمية الاقتصادية الحقيقية في العالم العربي .

وبالرغم من ذلك فان ارتفاع أسعار النفط في أوائل السبعينات قد جعل بعض الدول العربية المصدرة للبترول قادرة على تمويل خططها الاقتصادية المتعددة كما أتاح لها أن تجمع فائضا ماليا كبيرا قد تراكم في البنوك الأجنبية . ولكن بعد مرور ما يقارب ربع قرن من التمويل الدائم والسهل .

هل تمت تنمية اقتصادية فعلية ؟ وهل تمت الموارد المالية المتراكمة في خارج العالم العربي بالطريقة المطلوبة ؟

أما بالنسبة للتنمية الاقتصادية فان البناء السياسي الداخلي في بعض الدول العربيةلم يكن قادرا على مواجهة متطلبات النمو الأقتصادى والاجتماعى السريع ولكن كان من مميزات تلك الدول قدرتها على الانفاق لبناء الرأسمال الاجتماعي العالي كالمدارس والمستشفيات والطرق والجسور وغيرها . كما أتاح لها تراكم رأس المال أيضا مزيدا من المرونة للتحرك الاقتصادي لكي تحقق أهدافا سياسية واجتماعية

معينة . غير أن تبديد تلك الدول لمصادر ثروتها الوحيدة - النفط والغاز - كان كبيرا . كما ادى انتاجها البترولي الضخم الى زيادة تراكم عائدات مالية أكثر بكثير من احتياجاتها المتمثلة في ميزانياتها .

رأس المال العربي

أما بالنسبة لتراكم رأس المال العربي المدخر في الخارج فقد ازداد من ٢٠ بليون دولار في سنة ١٩٧٣ الى أكثر من ١٦٠ بليون دولار عام ١٩٨٢ ، كما ازدادت الارصدة العربية في الدول الأجنبية من ٢٣ بليون دولار في سنة ١٩٧٣ الى أن وصلت الى ما يقارب ٣٠٠ بليون دولار في أواخر عام ١٩٨٢ مستثمرة في سندات حكومية خاصة وأذونات خزانة .

وزيادة على الودائع المصرفية المتعارف عليها كان هناك زيادة ملحوظة في استثمار رؤوس الأموال العربية في شراء أسهم وسندات الشركات الخاصة في أوروبا وأميركا واليابان ، أضف الى ذلك الاستثمار العقاري .

أما بالنسبة للاستثمارات العربية الخارجية الخاصة فقد كانت قليلة جدا خلال الستينيات لكنها زادت كثيرا في السبعينيات حتى وصلت في أوائل الثمانينيات الى ما يقارب ٥٠ بليون دولار أميركي ، ومعظم تلك الاستثمارات كانت في صورة ايداعات بالدولار الأوروبي وعلى هيئة استثمارات عقارية ، ومن المتوقع أن يزداد حجمها بدرجة ملحوظة بسبب تخوف رجال الأعمال المتزايد في منطقة الخليج العربي من القلاقل السياسية والاقتصادية في المنطقة .

تلك السياسة الاستثمارية الحكومية والخاصة للدول العربية صاحبة الفائض المالي قد واجهت ولا تزال تواجه نقدا شديدا من قبل بعض المثقفين ورجال الاعمال والاقتصاديين العرب .

وكثيرا ما تبرر تلك السياسات الاستثمارية بالقول بأن الدول العربية لا يمكنها استيعاب

رؤوس أموال بهذه الكمية الكبيرة المتوفرة لدى الدول النفطية ، لكن هذا التبرير مردود عليه أكاديميا وعمليا . ذلك أن تلك الاموال لو قدر لها أن تستغل لبناء الهيكل التنموي لبعض الدول العربية ، فان الفائض المالي الحالي المتراكم في الخارج لن يكون قادرا على أن يسد حتى ربع احتياجات الدول العربية ، لكن المشكلة الحقيقية تكمن في عدم وجود خطط اقتصادية وتنسيقية وتنظيمية وتدريبية خاصة وعامة بين الدول العربية بسبب غياب الحكم الديمقراطي في العالم العربي وكثرة الانقلابات وسيطرة الحكومات العسكرية والتقليدية في عدة دول عربية مما حرم الفرد العربي الادلاء برأيه وازدياد عدم الثقة وكثرة العراقيل أمام تحرك رأس المال

العربي والعمالة بين الدول العربية بحرية ومرونة .

ولن تبقى ذريعة عدم استطاعة الدول العربية استيعاب رؤوس الأموال العربية حجة واهية فحسب ، بل أصبحت الاساس المتين للمصارف الأجنبية في سعيها لاجتذاب رؤوس الأموال العربية أيضا .

أما هذه المصارف فهي الآن تكتوى بسبب الأزمة المالية الدولية التي كانت هي أحد أسبابها ، وسيطرة نظام نقدى عالمي واه ضعيف غير قادر على حل الأزمة المالية العالمية .

مخاطر الأزمة المالية

ان الأموال العربية في مصارف الدول الغربية واليابان تواجه الآن مخاطر أزمة مالية نقدية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية . فقد انخفضت القيمة الحقيقية للودائع العربية كما هبطت عوائدها . ويمثل هذا الهبوط بداية فقط لهبوط حقيقي قادر على ازالة القيمة الحقيقية للودائع العربية في العالم الغربي واليابان ازالة تامة . ولا يمثل هذا القول توقعات تنبُئية فقط بل أصبح حقيقة واقعة ، اذ يحدث هذا الهبوط للقيمة الشرائية للودائع العربية بشكل تدريجي مستمر . .

وقد لا يكون أيضا فقدان الدول العربية المصدرة للبترول لأموالها في الخارج ناتجا عن الهبوط التدريجي فقط وانما قد يحدث ذلك فجأة وبدفعة واحدة بسبب عجز الدول الغربية التي تقترض أموالا ضخمة مثل البرازيل والأرجنتين والمكسيك وغيرها من الايفاء بديونها مما يؤدي الى افلاس البنوك التي أقرضتها وهي البنوك الكبرى في العالم الغربي واليابان ، ومن المتوقع أن يحدث هذا في القريب العاجل فضلا عن المستقبل البعيد ، وذلك أن كثيرا من المصارف العالمية قد توسعت في عمليات الاقراض بأكثر من ٤٠٪ من رؤوس أموالها واحتياطاتها وودائعها لدول تواجه

كاتب المقال

* ماجستير في الاقتصاد عام ١٩٦٦ .
* ماجستير في القانون عام ١٩٦٨ .
* دكتوراه في اقتصاديات علوم الطاقة من جامعة هارفارد سنة ١٩٧٠ .
* شغل مناصب عديدة من بينها منصب كبير الاقتصاديين في منظمة الاوابك سنة ١٩٧٠ بعد حصوله على الدكتوراه مباشرة .
* تولى مناصب استشارية عديدة ، واستعان مجلس الأمة بخبرته في القضايا الخاصة بالنفط واستخدامات الغاز الطبيعي ، ثم أصبح أستاذا للطاقة في معهد الادارة العالمي التابع لجامعة جنيف .
* يشغل الآن منصب أستاذ الطاقة بجامعة الكويت ورئيس معهد الشرق الأوسط لشئون الطاقة .

عجزا في كل من أميركا اللاتينية وافريقيا وآسيا . كما أن اعادة جدولة الديون لكل من شيلي والأرجنتين والمكسيك والبرازيل وبولندا وغيرها من الدول ليس من شأنه أن يحل الأزمة ، بل ربما أدى فقط لتأجيل الانهيار الاقتصادي للمقرضين وبينهم العرب . فاذا لم تستطع المصارف الأجنبية حماية مصالحها النقدية ، فما الذي يجعلها ترعى المصالح العربية الاقتصادية بأفضل مما ترعى مصالحها بنفسها ؟ .

عمق الركود الاقتصادي

ان مثل هذه الأسئلة لا شك تهم المثقفين العرب لأنهم يعنون بمواردهم المالية الوطنية ، غير أن طرح مثل هذه التساؤلات لا يعني أننا نحن العرب نريد أن نعيش بمعزل عن العالم الآخر فالعكس هو الصحيح ، فنحن نود التعامل مع العالم الخارجي من أجل تنميتنا

الوطنية وعلى قدم المساواة ، ولكن لا يعني ذلك أن نترك المحافظة على حماية ثرواتنا القومية للآخرين يفعلون بها كما يشاؤون .

وفي اعتقادي أن المشكلة الحقيقية التي يواجهها العالم الغربي واليابان تكمن في عمق الركود الاقتصادي السائد بالاضافة الى السياسات المالية والنقدية المتناقضة التي تطبقها حكوماته . كما أن ارجاع أسباب عمق الركود الاقتصادي واستمراره من جانب الحكومات الغربية وبعض الاقتصاديين الغربيين ، الى ارتفاع أسعار النفط انما هي أسباب واهية فالسبب الحقيقي هو غياب المخترعات التكنولوجية وسبل التحديث في القطاعين الصناعي والزراعي .

فمنذ عام ١٥٠٠ وحتى الوقت الحاضر ارتبط التطور الاقتصادي دائما بظهور سلسلة من المخترعات التقنية ، وكان القطاع الصناعي في الماضي عند الدول المتقدمة يعطي عائدا مجزيا لرأس المال ولكننا لا نجد الآن مثل ذلك العائد ، على ذلك فان رؤوس الاموال العربية يجب أن تبحث لها عن متنفس في قطاعات بديلة ، واذا لم يتسن لها ذلك فمن الأفضل أن تترك نفطها تحت أرضها حتى يأتي الوقت الذي تكون فيه قطاعات صناعية وزراعية جديدة قادرة على قيادة النمو الاقتصادي المستقبلي العالمي باعطائها عائداً مالياً عاليا .

البدائل الثلاثة

وعلى أي حال فان ذلك يحتاج الى وقت طويل ولم يبق أمام الدول العربية - وعلى الأخص تلك التي تحظى بفائض مالي - الا الاختيار بين ثلاثة خيارات :

أولها تخفيض انتاجها من النفط لحدوده الدنيا أي بأقل مما تتطلبه ميزانياتها ثم تقوم بسد العجز الناتج عن تخفيض انتاجها البترولي بالسحب من رؤوس أموالها الفائضة بالخارج واتباع مثل هذه السياسة سوف يؤدي الى ازالة الفائض المتراكم في المصارف الأجنبية ، وسوف تزول معه متاعب بعض المفكرين العرب الذين ما زال يقلقهم التفكير في كيفية واستراتيجية حماية الثروة المالية العربية في الخارج .

أما البديل الثاني فهو اذا ما اختارت الدول العربية النفطية أن تستثمر أموالها في الخارج فعليها بالاستثمار في الدول العربية التي هي بأمس الحاجة الى رأس المال وخاصة تلك الدول العربية التي تمتلك موارد طبيعية متنوعة بالاضافة الى القوة العاملة الفنية المدربة . لكن يجب أن تتوفر المؤسسات الأقتصادية والسياسية التي تضمن تلك الاستثمارات لكي تحقق ثمارها في المدى الطويل للدول المضيفة والمستثمرة على السواء .

البديل الثالث : اذا ما فضلت الدول صاحبة الفائض المالي الاستثمار في غير الدول العربية فعليها أن تستثمر في بعض الشركات الأجنبية ذات التقنية العالمية والتي يمكن أن تنقل تلك التكنولوجيا الى الدول العربية ولكن ذلك لا يتم الا بالسيطرة التامة على تلك الشركات الأجنبية صاحبة التكنولوجيا وهنا تظهر مشكلة كبيرة وهي ادارة تلك الشركات التي ترغب الدول المستثمرة في ملكيتها . فالكادر الاداري لدى الدول النفطية غير قادر أن يدير المؤسسات الوطنية الداخلية فكيف يكون باستطاعته ادارة المؤسسات التجارية والشركات الكبرى ذات التكنولوجيا العالمية في الغرب واليابان . هذه المشكلة الادارية سوف تكون أكثر تعقيدا اذا ما أضفنا اليها الأبعاد السياسية والاقتصادية لدى الدول المالكة لها .

وقد تكون خاتمة السياسة المثلى للدول النفطية بالنسبة لاستثمار فائضها المالي هو الأخذ بشيء من جميع تلك الاختيارات الثلاثة لكي تكون لها مرونة عظمى في ادارة أموالها وحمايتها من أجل مستقبل أجيالها . □□

في الحوار حياة

[illegible] والشباب

بقلم الدكتور : عبد العزيز كامل

□ جاءتني دعوة لحضور ندوة عن مستقبل العالم العربي . الداعي صديق عزيز جاد . ومجال الندوة واسع خصب شائك .

تذكرت ندوات حضرتها ، وامضيت ليالي في اعداد بحوثها ، وليالي وأياما في مناقشاتها ، وفي بعض الحفلات التي أصبحت من توابع الندوات ، وما فيها من تحيات متكلفة ، وابتسامات مرسومة على الوجوه ، وانتقال سريع من صديق الى صديق ، ومن حديث الى حديث . .

وفكرت في الاعتذار قائلا لنفسي : ماذا ؟ أوراق فوق أوراق . . وما أكثر أوراقنا !! هي في كثير من الأحيان لا تزيد عن نفثة ألم تندفع من الصدر أو الفكر الى الفضاء العريض ، أو جلسة اعتراف في محفل علمي أمام كهنة الدراسات .

صناعة جديدة أتقنتها منظمات عالمية ، وسارت فيها منظمات اقليمية ، ومن ورائها منظمات محلية :

اذا لم تستطع أن تعمل ، فقل . واذا لم تستطع تحريك السلاح في ميدان قتال ، أو القيام بتنمية

حقيقية فتكلم وتكلم . .

دارت هذه الافكار في نفسي ، عندما قابلت الصديق في وطنه ، وفي المؤسسة العلمية التي يتولى أمرها . وحدثته بها ، واستمع لكل ما قلت . . ثم عقب عليه بقوله :

ـ هذا بعض ما بقي لنا : أن نلتقي وأن نتحدث . والا يفقد بعضنا بعضا في زحام الحياة . أحيانا أحس في هذه اللقاءات بعض عبرة الحج : أن يلتقي المؤمنون في صعيد واحد ، وقد جاءوا من كل فج عميق . وفي الحج يحس المؤمن ـ مهما يكن غريبا في وطنه ـ انه في وطن عقيدته : فى البيت الحرام وشعائر الله ، وعند وقوفه بعرفات وافاضته منها . . في كل هذا يحس نفسه فردا من هذه الأمة المؤمنة . فردا مندمجا . شعاعا من حزمة ضوئية قوية . قطرة من هذا النهر المؤمن النابع من دعوة أبينا ابراهيم عليه السلام ، وروافده تجري فى مشارق الأرض ومغاربها في تجدد واستمرار حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ان المؤمن في الحج يستمد الثقة من رؤية غيره . ويستمد غيره الثقة من رؤيته . وهم جميعا يعبدون ربا واحدا ويؤمنون بنبي واحد دعاهم الى التصديق بجميع الأنبياء والمرسلين .

الفكر نبض العقل

ويعود الحاج وهو يحمل روح الجماعة في ذاته ، يطرح شعوره بالعزلة والوحدة . والمثقفون بطبيعتهم غرباء . والغربة موقف فكري أولا . المثقف يقرأ كثيرا ويلتقى كثيرين ويفكر كثيرا . حركة فكره مستمرة مادامت حركة قلبه مستمرة . . الفكر نبض عقله . فهل

نحرم أنفسنا حتى من اللقاء ؟ فلنتقابل . وليحاور بعضنا بعضا . وليعرض كل منا ما عنده على عقل أخيه . ثم ننطلق ، كل في طريق . وبين الجوانح ذكريات هذه اللقاءات ، التي نرجو أن تكون حافزا على مقابلة السير ، والتذكر الدائم لقضايانا ، ومراجعة واخصاب انجازاتنا .

وسكت الصديق : وساد الحجرة صمت . ودارت عيني بين المراجع المصفوفة عن يمين وشمال : روائع كتب التراث . قواميسنا العربية : لسان العرب ، القاموس المحيط ، الصحاح . . كتب التاريخ : الطبري . الكامل لابن الأثير . تاريخ ابن خلدون ومقدمته العملاقة وشروحها . رواد من شعرائنا : أصحاب المعلقات . المتنبي . البحتري . ابو تمام . الشريف الرضى . احمد شوقي . ابو القاسم الشابي . محمود حسن اسماعيل . . . اجيال بعد اجيال . أولئك الاساتذة والاصدقاء الصامتون باللسان ، الناطقون بالقلم . علماء ومفكرون وادباء عاشوا في وسط آسيا . في الهند . في بلاد الأفغان . في ايران . في المشرق العربي . في المغرب . في قلب افريقيا . . العالم الاسلامي في امتداده الزماني والمكاني تضمه حجرة . . وفي الجهة المقابلة أرفف عليها كتب المستشرقين . بعض ما حققوه من التراث ، وما كتبوه عن العالم الاسلامي والعربي ، ومجموعة مما اصدرته هيئة اليونسكو في توجهها الحديث نحو العناية بالتراث العربي والاسلامي ، ضمن توازن فكري علمي عالمي أخذت نفسها به : قرارات ومشروعات وتنفيذات . .

وعلى ارض الحجرة قطعة من السجاد ، متواضعة كمائدة الاجتماعات الصغيرة ، ومن حولها مقاعد عمل لا تدعو الى الاسترخاء .

وعدت أنظر الى الصديق بجسمه النحيل ، ومنظاره السميك ، وابتسامته الودود ، وهدوء صوته . . وأتصور الكتب حولي صحائف منشورة . الآف الصحائف ، ومئات الآلاف من السطور ، وملايين الكلمات وساعات العمل . . هذا طريق الصديق ، وطريق كل باحث وهو يعمل في بناء مستقبل امته وعقيدته واخوته في الانسانية .

لم يدخل اليأس نفسه ، وان خالطه الألم . يرى النور مع تكاثف الظلمة من حوله . يضع قدميه على الطريق رغم الصخر والشوك ، ورنين صوته في أذني .

- هذا ما بقي لنا ، ان نلتقي ، وان نتحدث ، والا يفقد بعضنا بعضا في زحام الحياة . واستأذنت في الخروج قائلا :

- سنلتقي ان شاء الله ، ونتحدث ، ولن يفقد بعضنا بعضا في زحام الحياة . .

وفي الأمل حياة

وأنتقل الى مشهد آخر من حياة عالم جليل هو الاستاذ باولو دي بدرو كارنيرو ، الرئيس السابق للجنة العالمية لتاريخ الانسانية العلمي والثقافي في اليونسكو ، كانت ولادته عام ١٩٠١ ووفاته عام ١٩٨٢ .

كان هذا اللقاء في مكتبه في نوفمبر ١٩٨١ بعد محاضرة عن الثقافة والدين دعتني هيئة اليونسكو الى القائها ضمن أحد مواسمها الثقافية ، حضر المحاضرة - مع تقدم السن - وشارك في التعقيب والحوار بكلمات كريمة ، وأحسست عند الجلوس اليه اننا قد تعارفنا من وقت بعيد . اتصالي بنشاطه العلمي يرجع الى ما قبل اللقاء بسنوات ، ويتصل بالعمل الكبير الذي اشرف عليه منذ منتصف القرن العشرين واثمر « تاريخ الانسانية » في ستة مجلدات ضخمة ، عنيت بالجوانب العلمية والثقافية والنظرة العالمية ، وما كادت تتكامل اجزاء الكتاب عام ١٩٧٦ : حتى بدأ النظر في مراجعة الطبعة الأولى ، وتلقى

الاستاذ كارنيرو النقد كله بقبول حسن . فهذا من حق الاجيال المتابعة والشعوب ، واسندت اليه هيئة اليونسكو رئاسة اللجنة الجديدة أنني تشرف على الطبعة الثانية ، وتوثقت بيننا الصلة مع عضويتي فيها . . قلت له :

ـ لقد استغرق هذا العمل من عمرك ربع قرن سبقها تمهيد من سنوات خمس . وانت الآن على ابواب الثمانين . فما شعورك وانت تبدأ هذا العمل العلمي الجديد ؟

في الحجرة التي يدير منها كارنيرو العمل ثلاثة مكاتب : احدها له ، والثاني للامينة العلمية للمشروع ، والثالث للمسئولة عن الطباعة على الآلة الكاتبة وحفظ الملفات . . هذه كل ادارة المشروع . وقد اضيف اليهم اخيرا امين عام من موريتانيا ، هو الاستاذ الوين تراوري .

ولم يكن مكتب كارنيرو يختلف عن المكتبين الآخرين . حجرة واحدة تكفي الثلاثة . المهم الفكر والتنظيم .

واعود الى الرجل الكبير وهو يقول :

ـ من اول الدروس التي ينبغي ان يعيها العالم ، ان يفصل بين عمره وبين عمر المشروع الذي يعمل فيه . انا متأكد انني لن ارى اكتمال هذا العمل . انني اعرف ظروفي الصحية جيدا (قد علمت فيما بعد انه كان يعاني من مرض خطير وان احتمالات العمر عنده قصيرة) ولكني اؤدي حق الحياة .

وامسك بيده القلم وهو يقول :

ـ ما دامت يدي قادرة على ان تمسك بالقلم . ومادام عقلي قادرا على التفكير ، ولساني قادرا على التعبير ، فسأظل اتابع عملي من هذا المكتب . كل اوراقي هنا . الملفات . البحوث . الاتصالات . كلها منتظمة ويعرفها من معي . فاذا سقط القلم من يدي ، وتوقف عقلي عن التفكير ، ولساني عن التعبير ، سيأتي في غد من يجلس على هذا المقعد ويتابع العمل دون ان ينقطع العمل يوما .

ثم اردف قائلا :

ـ لا علاقة بين عمري وعملي .

قال هذا فسبق الى ذهني قول الرسول عليه الصلاة والسلام .

ـ « ان القيامة اذا قامت على احدكم وفي يده فسيلة (شتلة) ، فان استطاع ان يغرسها في الارض فليغرسها » .

هذه قداسة العمل التي يلتقي عندها العلم والدين والتقدم .

وقلت له : يكفيني في هذه الرحلة ان القاك وان اسمع هذا منك في جلال السن ، لا يحول هذا دون حضورك المحاضرة والمشاركة في الحوار ، ولا ان تحمل مسئولية عمل طويل متشعب ، انت تقول انك تحضر بدايته ، ولن ترى ثمرته . تقول هذا وعلى وجهك هذه البسمة ، وفي صوتك الهدوء والاستقرار .

ثم اشار الى الطبعة الأولى من تاريخ الانسانية بمجلداتها الستة واقسامها الثلاثة عشر . وقال :

ـ من الخير ان تقرأها جميعا حتى تستطيع ان تتابع العمل معنا . مشكلتكم في المشرق أنكم تتركوننا نعمل ، ثم تنتقدون العمل بعد هذا . هذه المرة شاركوا في مراحل هذا العمل جميعا . تحملوا معنا مسئولية الاعداد والتنظيم والحوار والمراجعة . هذا واجبكم وحقكم . كل حضارة ينبغي ان يكتبها ابناؤها اولا . هم اكثر احساسا بها وأقدر على التعبير عنها . جوانب نقد متعددة جاءت عن الطبعة الأولى . وهذه طبيعة الحياة والتطور . وهذه الطبعة الثانية ستتعرض بدورها للنقد بعد عشر سنوات او عشرين سنة . المناهج تتغير . كشوفات جديدة تظهر . حفريات ووثائق يعثر عليها الباحثون .

وهذه أيضا مجموعة « مجلة تاريخ العالم » هي ثمرة من ثمار عمل اللجنة . . . هي مائدة الحوار المتصل حول التاريخ العالمي وقضاياه . راجعها أيضا . وزملاؤك في الحجرة المجاورة

مسئولون عن تاريخ أفريقيا . أصدروا منه مجلدين . وشارك فيه زملاء كثيرون من أفريقيا . وهذه بادرة طيبة . راجعه أيضا . مادام الانسان حيا ، فعليه أن يعمل وأن يتعلم .

ولا مجال في الحياة للباحث المعتزل . نحن الآن في عصر الفريق المتكامل والفرق المتعاونة ، خصوصا بعد أن تيسرت سبل الاتصال واللقاء بين الباحثين .

ظلت كلمات كارنيرو حية في نفسي . وعدت الى الكويت . . وبعد قليل جاءنا خبر نعيه ورحيله عن دنيانا . والعمل من بعده يسير .

حوار بين العلم والدين

من الخير لشبابنا ولعلمائنا أن يعلموا ما في دوائر التفكير والعلم العالمية الآن من اتجاهات . .

وبين يدي كتاب أصدرته اليونسكو عنوانه « العلم وعوامل التباين » : دروس من الماضي وآمال في المستقبل ، وقد صدر عام ١٩٧٩ .

أشرف على الكتاب المؤرخ الفرنسي الاستاذ شارل مورازيه وكتب مقدمته وقسمه الأول عن اتساع وانتشار العلم الحديث ، كما كتب خاتمته . وشارك فيه باحثون من الوطن العربي والشرق الاقصى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والاستاذ مورازيه هو الذي أسندت اليه هيئة اليونسكو رئاسة اللجنة العالمية للتاريخ العلمي والثقافي للانسانية بعد وفاة الاستاذ كارنيرو .

شاركت في الدراسة أيد من حضارات متعددة ، ولكني أقف عند بعض المعاني التي وردت في الفصل الختامي وعنوانه « العلم : ذلك المجهول » . .

يشير في مطلع الخاتمة الى يقظة الروح الدينيا وتأثيرها السياسي في الوقت الحاضر . وهذ عنده غير مستغرب : ذلك لان نصف البشـ يعانون من الفقر المادي الذي وصل الى أبعا قاتلة وحرم الانسان من الدواء الضرور والغذاء ، وأصبح يعاني أيضا من الفقـ المعنوي .

ان العلم لا يزوده بوسائل الحياة التي تعصـ من خطر الفناء . وحتى ممارسة الزهد أصبح غير ممكنة ، فان كثيرا من البشر يعيشون دو مستوى الزهد . . هؤلاء يجدون في الـد تعويضا . انه يمنحهم الاحترام المفقو ويدفعهم الى روح نضالية دينية .

ان الاستاذ مورازيه يضع هنا التقدم العلـ بديلا كافيا . . ويضع الروح الدينية تعويضـ عن تقدم مفقود . .

وهو يربط في موضع آخر بين الاستعـ وكيف حال دون التقدم في البحث العلمي الاقطار التي وقعت تحت سيطرته ، لأن الدول الاستعمارية كان الاستيلاء على مصـ المواد الأولية وفتح اسواق لانتاجها الصناعـ ذلك الانتاج النمطي القائم على قدر أقـ الابتكار ، وأكبر في التوزيع . وهو يختلف

الانتاج المعاصر الذي أصبح فيه البحث العلمي عنصرا أساسيا وحاسما .

من أجل ذلك لم ترحب هذه الدول بأي رغبة في التطوير أو فكرة علمية تنبث في المستعمرات . مع أن هذه المستعمرات شهدت حضارات أصيلة كحضارات العالم العربي والهند والصين . وكان من الممكن أن « تشارك » في الحركة العلمية دون أن يقتصر دورها على تصريف الانتاج و« تقبل » ما يقدمه اليها الغرب من نتاج علمي .

صراع بين العلم والدين

في عالمنا الاسلامي . وفي أكثر من حضارة في الشرق الاقصى لم يحدث هذا التضاد بين التقدم العلمي والنهضة الدينية . كمثال : حدث في اليابان تزواج بين النهضة الحديثة والبوذية كمصدر ودافع . وفي الوطن الاسلامي من قديم : لم يحدث أي تضاد بين العلم والدين . . فأول أمر نزل به الروح الأمين على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام كان « اقرأ » ، وأول أداة أقسم بها الحق تبارك وتعالى هي القلم في قوله « ن . والقلم وما يسطرون »وهي أول أداة ذكرها الله في أول القرآن نزولا« اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »

الانحراف عن الدين والانحراف به

ولكن القضية التي ينبغي أن نوليها مزيدا من العناية وأن ندير فيها الحوار مع أبنائنا هي « مناهج العلم » و « مناهج الدين »

مناهج العلم تتصف بكثير من الثبات والاستقرار ويرجع هذا الى أسباب أربعة رئيسية :

١ - شعور الزمالة بين العاملين في الحقل العلمي . فكل منهم يكمل الآخر . والفريق متعاون . والكل يشارك في نظام عالمي يقوم على المنطق والاحكام القائمة على التجربة .

٢ - إنه يميل الى تحقيق قدر من المساواة في استخدامات الابداع العلمي : وسائل النقل العالمية . الأدوية . وسائل حفظ الطعام . وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية .

٣ - وبهذا يبدو دور العلم في نشر الديموقراطية فكريا وعمليا ، وان كان نمو العلم وتقدمه ليس متوازنا في العالم الآن ، ولا متعادلا بين المجتمعات ، وانماهو مركز في مناطق جذب وتأثير .

٤ - ان البحث العلمي له جدواه ولذته ونموه . انه تقدم وسعادة واقتراب من أسرار الوجود وجماله وخالقه جل وعلا . .

هذا العلم الذى يجمع بين عالمية المنهج وتجريبية الدليل وروح الفريق هو الذي نود أن يسود بين شبابنا . .

وان التحديات التي يقابلها المجتمع في نموه ، والموازنة بين الأوضاع العلمية في عالمنا العربي والاسلامي من ناحية ، والعالم المتقدم من ناحية أخرى ، تفرض علينا أن نوجه طاقة شبابنا الى التعاون وفي تحقيق صورة أفضل للمستقبل .

لا بديل عن العلم ، ولا بديل عن الايمان . ومن الخير أن تنبعث النهضة من أصولنا وجذورنا ، وأن تتخذ من الدين دافعا قويا ، ومن المنهجية العلمية أسلوبا ، ومن التغلب على عقبات التخلف هدفا ، ومن التعاون العلمي العالمي وسيلة تجعلنا على صلة بكل ابداع الانسان .

بهذا تتكون عندنا قاعدة علمية جديدة مؤمنة ، تستطيع أن تستقطب الكثير من طاقات الشباب الى ما هو أجدى ،دون أن تنحرف بالدين أو تنحرف عنه ، ويكون لشبابنا هذا الصبر الطويل على العمل والتواصل الحميد بين الاجيال ، والتعاون الذي يختصر الطريق ويقترب به الهدف البعيد . □□

حياة الإنسان قيمة أم ثمن ؟

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

□ تنزلق الانسانية بمرور الزمن الى ألوان من السلوك ومحدثات من القيم قد تبدو قبل وقوعها أو عند أوائلها بعيدة الاحتمال عصية على التصديق حتى ينكر أكثر الناس أنها ستكون في المستقبل القريب أو البعيد ، ثم لا يمضي وقت حتى تقبل اجتماعيا وتعتبر هي الأمر الطبيعي وما عداها شاذا أو متخلفا ، والا فمن كان يظن أن الاباحة الجنسية قبل الزواج وبعده أو أن الشذوذ الجنسي بين أفراد الجنس الواحد تصبح حقوقا انسانية وأنماطا طبيعية في رقعة واسعة من الغرب المسيحي بل تؤيدها الأعراف والقوانين ؟ !

ومن بين القيم الموروثة التي تتعرض الآن لمراجعة جذرية وهادفة قيمة الحياة الانسانية ذاتها . . . تلك التي قدستها الأديان لغاية عصرنا الحاضر الذي شهد تراخي قبضة الأديان عن قطاعات واسعة من البشر في الشرق والغرب . . . فحياة الانسان فيما أرقب وأستقريء مهددة بأن تفقد مركزها كقيمة مطلقة ذات حرمة بذاتها ولذاتها . . ولا يحفزني على هذا الرأي شيوع القتل والاغتيال والمظالم والمذابح والابادات التي تورطت فيها دول ما زالت تلوك ألسنتها عبارات الحضارة والعدالة والحر والقانون والتقدم حتى لكأني بعالمنا وليس فيه « قوابيل » و« هوابيل » . . وانما أنظر بزاو أوسع وعلى مدى أطول فأشفق على حياة الانس من الهجوم الذي انصب على خطوط دفاع الثلاثة .

خط الدفاع الأول

وقد انهار هذا الخط في أغلب دول العالم . كان الهجوم يهدف الى اهدار الحياة الانسانية طرفها الأول وما زال الانسان جنينا في ب أمه . . وقد تنبعت هذا الهجوم بحكم مهنتي كان يطرق الأسماع حذرا وعلى استح بعبارات مبهمة عن حرية المرأة في جسم وحريتها ألا تحمل جنينا لا ترغبه ، وما زال ي حتى اكتسح المعارضة وتغيرت القوانين فأبا الاجهاض في دولة اثر دولة حتى عم وفاض وكان ولا يزال يطرق أبواب بلادنا بشدة و من أطبائنا وعلمائنا الاجتماعيين وقياد

الحركات النسائية عندنا من مؤيديه والداعين له . ولا يمنع خط الدفاع هذا من الانهيار في بلادنا الا تمسكنا بديننا في هذا الشأن وأرجو أن يستمر ذلك ولا يزول . . . فشريعة الاسلام صريحة الدلالة على حق الجنين في الحياة . . . ان المرأة ان حكم عليها بالاعدام لجريمة اقترفتها وتبين أنها حامل - مهما كانت مدة الحمل - تأجل تنفيذ الحكم فيها حتى تلد ، وقيل حتى ترضع ولو كان الحمل من سفاح ، فلهذا الجنين أيضا حق الحياة كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام بالغامدية . . . وان الرجل ان مات وزوجته حامل لم تقسم تركته حتى يحجز للجنين نصيب ولد أو بنت أيهما أكثر فان وضعت أكثر من جنين أدى باقي الورثة نصيب التوأم . . . . وان الجنين اذا أسقط في أي مرحلة من الحمل فظهرت عليه أية علامة من علامات الحياة ثم مات كان له أن يرث أيا من مورثيه الشرعيين ولو مات منذ بداية الحمل ، ثم اذا مات الجنين ورثه ورثته الشرعيون . . . . هذا وتفرض الشريعة عقوبة مالية على المتسبب في الاجهاض (في غير ابطال لغيرها من التعازير) يدفعها من تسبب فيه الى ورثة الجنين الشرعيين واسمها الغرة وهي نصف عشر دية البالغ . .

ان من له هذه الحقوق له حق الحياة ووددت لو وعى ذلك المسلمون فقد شهدت مرة بين أطبائنا من يحاول تبرير الاجهاض مستخدما الآية الكريمة « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » !!

خط الدفاع الثاني

ويتمثل هذا فيما أطلقوا عليه بادىء الأمر عبارة « القتل بدافع الشفقة » على غرار « رصاصة الرحمة » التي يقتلون بها الحيوان العاجز أو العجوز ، في محاولة ساذجة أو خبيثة « لبيطرة » الحياة الانسانية . لقد بدأت على شكل حالات فردية صدرت بموجبها أحكام قضائية كانت خفيفة وهي الآن أخف وأخف . وتطورت الآن من حالات فردية الى حركة ناشطة ، وكثير من أقطابها كانوا من أقطاب حركة الاجهاض في زمانها . . . . أصبحت

مذهبا له صيحته وصولته . . . وها هي ذي مجلة الجمعية الطبية الهولندية في عددها الصادر في ٢٨ مايو ١٩٨٣ تحوي احدى عشرة مقالة منها ست عن « انهاء الحياة للراغبين » . . . أفاضت في بيان « حق الانسان في انهاء حياته » ، والبر الذي ينطوي عليه « تخليص المريض الميؤوس منه من آلامه » وحقه في « موتة كريمة » . . . . وحق المريض على طبيبه في تنفيذ رغبته في « الخروج من الحياة » بل تصف بعض التركيبات الدوائية التي يمكن استعمالها لهذا القصد ، وتزين المنطق الذي يعين الطبيب على تخطي الحاجز النفسي وهو ينتقل - لأول مرة في التاريخ - من جندي للحياة الى جندي للموت كذلك ، ومن راع وأمين على المريض الى منفذ لرغباته ولو في الانتحار . يقول محرر تلك المجلة (عدد ١٢٧ رقم ٢٢ ص ٩٤٥ عام ١٩٨٣) « ان الزمن يتغير . . وكذلك نحن » . . . . وقد صدق فقد أصبح الانسان في عصرنا يعبد عقله ويعبد منطقه ويعبد علمه ويعبد هواه أي يعبد نفسه من دون الله . .

واضح أن ذلك منطق الحادي ولكن الالحاد يتقدم للأسف الشديد على جميع الجبهات . ان قرابة نصف البشر (العالم الشيوعي) ينكرون الله . . . . وقرابة نصف العالم (العالم الغربي الرأسمالي) يعترفون بالله ولكن يأبون عليه أن يطاع في شؤون الحياة من أخلاق واجتماع واقتصاد وتشريع وقيم فردية أو جماعية . . . وكما يكون الغرس يكون الثمر . . . وفي المجال الذي نتحدث عنه تختفي قيم الصبر على البلاء وحسن المكافأة على هذا الصبر في الدنيا وفي الآخرة . . . . بل ان التقدم العلمي نفسه يصاب بنكسة فادحة فلماذا البحث المضني وراء علاج جديد للسرطان مثلا ما دام في الميسور أن نريح المريض بابرة تجلب له النوم الهادىء الذي لا يصحو بعده أبدا ؟ ! . . . وتحتم بأن نقذف بالحق على الباطل فيدمغه بايراد حديثين للنبي عليه الصلاة والسلام . . . الأول « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله بـ[ه] سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » (صحيح مسلم) . . . والثاني « كان فيمن قبلكم رجل بـ[ه] جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقـ[أ] الدم حتى مات . فقال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه . . . حرمت عليه الجنة » (البخاري ومسلم) .

خط الدفاع الثالث

ويبدو أن اقتحام خط الدفاع الثالث هو بيت القصيد وأن قهر الخطين الأول والثاني رحلتا[ن] اليه . . . . فاهدار شأن الحياة الانسانية في الجنين الذي لم يولد ثم في المريض الذي لا يشفى أشبـ[ه] بمضغ اللقمة حتى يسهل ابتلاعها ، فما يهاجـ[م] الخط الثالث الا وقد فقدت الحياة الانسانية أكثـ[ر] حصانتها سواء وهي تزهق عن طريق الاجهاض أو بدافع الشفقة والرحمة . . . ومن ثم لا يعو[د] مذهلا ولا مزلزلا أن يسفر الجانب السياسي عن وجهه في تجسيم قيمة الحياة الانسانية والتعامل معها « كشيء » وليس كقيمة . . . . وهنا أخشى أن يتهمني بعض قومي باتباع الهواجس أو الخيال العلمي المتشائم ، فانني أذكر أنه نشرت في « العربي » عن أطفال أنابيب الاختبار قبل نجاح التجربة إتهمني أخوة فضلاء بأنني أفترض ما لا يكون على غرار طائفة « الأرأيتيين » الذين يقولون « أرأيت لو حدث كذا وكذا » لاثار الجدل حول خيال لا حقيقة !

وأود أن أؤكد لهم أنني لا أحلم ولا أتخيل .

ويكفي أن أنقل اليهم عبارات رجل جاد قالها في غير هزل ولا هذر ، وله في بلده فرنسا مكا[نة] المرموق فهو مستشار للرئيس ميتران رئيس الجمهورية ، اسمه المسيو جاك أتالي ، كتب يقول : « انني أعتقد أن اطالة العمر لم تعد هد[فا] مرغوبا في منطق مجتمعنا الصناعي » . . . ويدلل على هذا بأن الماكينة الانسانية ما دامـ[ت]

تنتج فهي تستحق البقاء والصيانة . . . . فاذا تجاوزت عمرها الانتاجي كانت تكاليف صيانتها خسارة اقتصادية ، وأن التخلص منها ، لا بتركها تتآكل ، فهذا مكلف ، ولكن باعدامها مرة واحدة . . . . والانسان الذي بلغ الستين أو الخامسة والستين وتوقف عن الانتاج يصبح استمراره في الحياة عبثا أنانيا على طائفة المنتجين وتفضيلا للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة . .

وفي زمان تحديد النسل هذا ستكون طائفة الشباب المنتجين أقل عددا فما ينبغي أن تحمل كواهلها هذه الشريحة العالة غير المنتجة . . ويرى أن الوقت قادم ولا بد ولا فكاك ، كي تتولى فيه « ماكينات قتل مريحة » التخلص من الحياة البشرية حين يصبح بقاؤها فوق الاحتمال أو باهظ الكلفة . . .

وهو يرى أن مبادئه الاشتراكية تقدس الحريات وفي مقدمتها حرية الانتحار . . . ومن منطلق الحرية أو من منطلق التكلفة فان « أخذ الحياة » قادم ولا ريب .

(Jacques Atali, «La medecine en Accusation»-in Michel Solomon 'L'avenir de la vie', Coll. Les visages de l'avenir. Ed. Seghers, Paris, 1981, p 273-275)

هذه ارهاصات وراءها ناس يخططون ويثابرون ويجدون بينما الأغلبية الكسول تتثاءب وتتمطى وتنظر وكأنها تشهد تمثيلية على مسرح أو تطالع أخبار كوكب آخر . وما لم ينشط المثقفون للتصدي لهذه الدعاوي بالهجوم المضاد الناشط ، ! ومن الآن فستصبح واقع الغد أو بعد الغد . . . . وهي امتداد منطقي لما كان بالأمس وقبل الأمس . . ومنذ ظهرت حركة الاجهاض في الخمسينات خطبت وكتبت متوقعا ما يجيء من بعدها فهذا منطق الأشياء .

أول ما باح هرتزل بالحلم الصهيوني لم يحسب أحد - خاصة من المعنيين - أن حلمه يدخل حوزة الامكان ، ولكن حتى الأحلام الغريبة ان وجدت من يدفعها ولم تجد من يقاومها في بداياتها وصلت الى غايتها .

انه لما يملؤني ألما بين حين وآخر أن يأتي الشاب المقتدر الى المستشفى بأمه العجوز ، فاذا جاء وقت اخراجها من المستشفى ضاق بها نفسا والحف في الرجاء أن تبقى لأنه لا يدري ما يصنع بها ، وأن حياته الأسرية انتظمت بحيث لم يعد فيها مكان لأمه . . . . وهوان الأمومة على البنوة ربما كان خطوة أولى نحو القبول بالتفريط في حياتها بدافع الراحة لها ولغيرها . . . . لأن الناس لا تحيى على القيم ولكن على الرفاهية .

وبالمقابل فان الجيل الجديد من طفولة اليوم ، الذي يعلم أن الجيل الذي أنجبه قد رضي واستباح ازهاق حياة ولده الجنين ان كان غير مرغوب فيه ، لا يستغرب منه كذلك - صاعا بصاع - أن يقبل ازهاق حياة والديه ان هرما أو مرضا فأصبحا غير مرغوب فيهما . بل ان في الغرب قضايا رفعتها الأم على الطبيب لأنها قصدته للاجهاض فحاول ، ولكن فشل الاجهاض واستمر الحمل وولد المولود . . . . هذا المولود ان كبر وعرف أن أمه رفعت قضية على الطبيب لأنه تسبب في حياته ماذا يكون شعوره نحو أمه خاصة ان أصبحت عبئا في شيخوختها أو مرضها ؟

ان العالم يتخبط - وتأتي فتن كأنها قطع الليل المظلم . . . . وبين قراء هذه السطور علماء مخلصون وقادة قادرون وعقلاء فاهمون . . . . فهل تكون القراءة ترفا سلبيا لديهم أو يتحركون وينهضون ويجاهدون ؟

ويظل العالم في حاجة لمن يهديه . . . . ويظل خير الهدى قول الحكيم الخبير الذي أنزل « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » . (المائدة ٣٢) . □□

الحياة في نهاية هذا القرن

اعداد وتقديم :

دكتور : صفاء خلوصي

☐ كيف تبدو الحياة في نهاية هذا القرن . كيف ستكون صورة المستقبل . هل تصبح الحياة آلة . . . ؟ إن روبرت هيد يتحدث عن بعض ما ينتظر البشرية من مفاجآت في نهاية القرن العشرين .

لقد كثرت التكهنات حول ما سيئول اليه أمر العالم في نهاية القرن العشرين أو مستهل القرن الحادي والعشرين ، وعلى الأخص من الناحية العلمية والتكنولوجية ، وقد خرج علينا روبرت هيد ببعض هذه التكهنات التي نسوقها في هذا العرض السريع ولم يبق بيننا وبين التحقق من صحتها سوى سبعة عشر عاما .

قبل كل شيء ستسيطر الحاسبات الالكترونية وشاشة الفيديو على المنزل وسيكونان موضع تقدير وترحيب ، وستستغرق عملية الطبخ بضع ثوان بفضل طباخ المايكرو - ويف MICROWAVE الذي سيكون جزءا من جهاز مركب منه ومن ثلاجة ومجمدة ، فتجد وجبة طعامك المفضلة معدة حال عودتك الى البيت ، وسواء كنت في المنزل أو خارجه فان الرقائق الدقيقة MICROCHIPS ستكون رقيبة على اللصوص والحريق وانفجار الأنابيب أو سقوط الجدة العجوز من كرسيها المتدرج بهيئة سلالم .

وسيكون لمنازل المستقبل جدران يمكنك أن تحركها بسهولة لتجعل الغرف أكبر أو أصغر حسبما تشتهي تبعا لزيادة عدد القاطنين فيها أو رحيلهم عنها ، وسيكون الحمام مركزا مصغرا للمرح والتسلية مزودا برشاش الاستحمام والصونا SAUNA (أو أشعة الشمس الاصطناعية) ومكائن التمارين الرياضية وآلاتها لتشعر بالقوة فضلا عن مجرد النظافة .

وستكون ثمة هواتف أو تلفونات في مختلف أنحاء المنزل الا اذا كنت تفضل ساعة هاتفية تشد على رسغك لتخبرك بالمكالمة الهاتفية عندما تكون في أقصى زاوية من حديقة المنزل أو في المرآب (الكراج) GARAGE .

الانسان الآلي

وبوسعك أن تتعلم كل شيء في بيتك . . . من الطبخ الى لعبة الشطرنج .

في الوقت الحاضر تمتلك أكثر من نصف الأسر البريطانية مثلا منازل خاصة بها ، ولكن النسبة سترتفع سنة ٢٠٠٠ الى سبع عوائل من كل عشر عوائل ، ويزداد عدد الأسر الممتلكة لبيتين أو ثلاثة بيوت في أقطار وأماكن مختلفة .

وبامكانك أن تطوف في أرجاء أي منزل تريد استئجاره أو شراءه وتطلع عليه على الشاشة في منزلك وتوافق على مبالغ الرهونات وأنت في كرسي صالتك ، ولكن بطبيعة الحال لا بد لك من أن تزور المنزل شخصيا قبل أن تعطي قرارك النهائي .

الا أنه حالما تعقد الصفقة تقوم الحاسبات الالكترونية بالمستلزمات الحاسبية والمتطلبات الورقية بصورة أسرع وأقل كلفة مما يطالبك به المختصون باجراء مثل هذه العمليات .

وسيقوم الروبوت ROBOT أو الانسان الآلي والرقائق الدقيقة MICROCHIPS برفع أعباء العمل عن كواهلنا فيقل عملنا في الدوائر والمعامل وسنوفر مزيدا من الوقت لأداء واجباتنا في البيت .

وسيودّع الملايين ممن يسافرون يوميا بين مدينة وأخرى لأداء مهام وظائفهم هذه المشقة الى الأبد (١) ويقومون بأعمالهم في البيت ، اذ ما الداعي لقضاء ساعات في القطار والحافلة والانتظار الممل أثناء الازدحام ومضايقات المرور عندما تستطيع أن تكلم شخصا أو شخصين أو حتى عدة أشخاص في وقت واحد على شاشة الفيديو . . . وقد يكونون جميعا في أماكن مختلفة متباعدة أميالا بعضهم عن بعض ؟

أسبوع عمل قصير !

وستسمح هذه الحرية الجديدة للملايين بأن يستبدلوا بصورة أسرع وظائفهم وأعمالهم ، ويتمتعوا بمزيد من الاستقلال للقيام بأعمالهم أو الاشتغال في بيوتهم أو في دوائر في أقمار اصطناعية .

وسيتقلص معدل أسبوع العمل الى خمس وثلاثين ساعة أو حتى ثلاثين ساعة وأنت الذي تختار ساعات العمل ، « فالروبوت » والحاسبات الالكترونية تحتاج الى من يغذيها بالمعلومات على مدار الساعة .

والى ذلك أقول : دعك من عطلات الأربعة والستة أسابيع فسيكون بمقدورك أن تتمتع باجازة ثلاثة أشهر كل عام ، ومع ذلك تستطيع أن تكسب ما يكفيك لمعيشة مرفهة ، غير أن اتساع أوقات الفراغ لا يعني قضاء أسابيع أو أشهر دون عمل ، فقد ينتهز بعضهم الفرصة للتفكير بآراء ومبتدعات ومخترعات جديدة وتصميم خدمات ومنتجات أفضل للاستعمال والاستهلاك البشري ، ومع أن عدد العاملين سيهبط كثيرا فيما يتعلق بالانتاج فان الحاجة ستبقى ماسة لتسيير واصلاح الأدوات والآلات الالكترونية الجديدة ، فضلا عن نصبها واقامتها بالشكل المناسب .

وسيعتمد الحفاظ على الواجبات والمهام المناطة بالشخص على براعته وقدرته ونشاطه ، فاذا انعدمت هذه العناصر أو ضعفت فان رنين جرس هاتفه الذي يطلب خدماته سيتلاشى .

عالم الأزرار !

سيكون بوسعك أن تبتاع ما تريد وأنت في بيتك بمجرد الضغط على أزرار معينة في جهاز الفيديو ليريك نماذج من الأثاث والملابس وكل ما تحتاج اليه وذلك بمقارنة نوعيتها وأسعارها ودفع الأثمان بالضغط على زر خاص ، وسيكون في كل مخزن شاشة للعرض لتكون على صلة بك وأنت تحتسي فنجان قهوة مستريحا في صالتك .

وسيلغى نظام الوجبات الثلاث اذ بمجرد استعمال صفارة معينة تقوم المجمدات والمبردات والأفران باعداد ما تشتهي في الحال دون بذل أي جهد عن طريق حاسبات الكترونية وسيكون الطعام مركزا وصحيا للغاية وفي حدود سعرات حرارية لا تتجاوز المقدار الذي يحتاج اليه الجسم مع التأكيد على المواد السللوزية المفيدة للأمعاء ، وكذلك الأغذية البعيدة عن احداث الحساسية للجسم ، وستجد الأطعمة النفيسة الغالية ولا

(١) يعرف هؤلاء بالـ COMMUTERS واقترح ترجمتها « بالموظفين المكوكيين » .

قوائم الغاز والكهرباء والهاتف والماء ورسوم البلدية بالضغط على أزرار في لوحة خاصة تقوم بتدقيق مثل هذه القوائم قبل دفعها . وسيبدأ قضاء الاجازات في الفضاء الخارجي بدلا من أمريكا والريفيرا واليابان ، وستصبح السيارات أكثر أمانا رغم أنها ستكون مصنوعة من اللدائن فتكون ٧٠٪ أخف وزنا من مثيلاتها في الوقت الحاضر ولكنها أقوى منها بمعدل عشرة أضعاف قوة الفولاذ ، وسيكون بمستطاعك الاتصال بأي شخص في العالم بطريق آلة تحملها معك أو ساعة في معصمك كما ذكرنا وستكون الساعة في الوقت ذاته تلفزيونا مصغرا .

وسيشيع استعمال السيارات الكهربائية للمسافات القصيرة وستكون أمامك شاشة تمثل مختلف الشوارع والأماكن التي تقصدها في أي مدينة تذهب اليها مع مؤشر يبين الموضع الذي وصلت اليه ، وستكون السيارات ناطقة تخبرك في الحال عن الأخطار مسبقا من نحو عبور شيخ عجوز يجتاح الشارع على حين غفلة أو طفل يلعب في الطريق ، وتقف السيارة من تلقاء ذاتها تحاشيا لما لا تحمد عقباه ! . .

السيارة تتحرك بأمرك !

وبمستطاعك أن تتحدث الى السيارة فتأمرها بفتح الباب أو تشغيل المؤشرات أو فرشاة تنظيف الزجاجة الأمامية أو الخلفية .

وستختفي مفاتيح فتح اسيارة وتشغيلها لتحل محلها أرقام خاصة بمالك السيارة وحده .

وسيتقدم الطب فتطول الأعمار مع الاحتفاظ بنضارة الشباب وطراوته ، وتتحسن نوعية الحياة ومستوى المعيشة حتى بالنسبة للفقراء والعاطلين عن العمل ، ولكن الفجوة بين المهرة وعديمي المهارة ، والمحظوظين وسيئي الحظ ستتسع ، ومن المحتمل أن يؤدي ذلك الى العنف والاجرام . □□

سيا الأسماك البحرية طريقها الى موائد أغلبية البشر .

وستختفي العملة لتحل محلها ومضات من أشعة ليزر تمثل مقدار ما يمتلكه كل فرد وذلك عن طريق الأقمار الاصطناعية ، وسيخبرك الفيديو عن البنوك والمصارف وأفضل الأرباح والفوائد التي تقدمها لك ، وسيكون بمقدورك أن تنقل حساباتك من مصرف الى مصرف بأقل من لمح البصر .

رحلات الفضاء

وسيتغير نظام الضرائب وتكون المرأة مسؤولة عن ضرائب الدخل بمعزل عن الرجل وستدفع

بقلم : محمود المراغي

الشيء المألوف أن يعيش الانسان في وطنه ... يتعلم ... يتدرب ... يعمل ... يكسب ... يعيش حياة دافئة وسط مجتمع تربطه به كل الوشائج .

وغير المألوف أن ينزع الانسان جذوره ، وينسلخ عن أهله وعشيرته ويحط الرحال في بلد آخر يصبح له المقر والمستقر والوطن البديل .

وقديما ، كان يحدث غير المألوف لبعض الوقت طلبا للعلم .. أو طلبا للرزق عبر تجارة يبيع فيها المرء ويشتري ثم يعود أدراجه .. فلما جاء العصر الحديث عرف العالم الجديد الهجرات الكبرى التي استبدل فيها اناس كثيرون بلدا ببلد وجنسية بجنسية ، وأصبح فيها الكثير من ابناء القارات المختلفة مواطنين في امريكا واستراليا (على سبيل المثال) .

لكن ذلك كله شيء وما يحدث الآن في عالم شيء آخر .

لقد اصبح الشاذ وغير المألوف .. مألوفا في كثير من الحالات . وأصبح الانتقال عبر الحدود من أجل عمل يستمر بضع سنوات ظاهرة عالمية وليس ظاهرة اقليمية أو مجموعة تصرفات فردية .

تيارات من البشر تعبر الحدود كل عام . تستخدم الشرعي وغير الشرعي من الوسائل . تخرق القواعد بعض الاحيان ، حتى انها ـ ووفقا لتقرير أخير للجنة الامم المتحدة للنشاطات السكانية ـ تنتقل عبر الحدود مشيا على الاقدام في بعض الحالات .. وسباحة في الماء في أحيان أخرى ، كما هو الحال في القادمين من المكسيك وامريكا الوسطى وجزر بحر الكاريبي متجهين الى امريكا الشمالية .

لذا ، ورغم الاعتراف بأن الانتقال للعمل قد اصبح ظاهرة دولية ، فان أي احصاء لعدد المهاجرين هجرة مؤقتة بغرض العمل هو احصاء غير دقيق وان كان ضروريا .

في تقدير التقرير السابق أن عدد العمال المهاجرين يبلغ عشرين مليونا يضاف لهم المهاجرون للعمل بشكل غير شرعي ويضاف لهم اللاجئون ايضا .. و .. هما يقتربان في العدد ، وفقا لتقريرات صندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية ايضا من نفس الرقم حيث تتراوح العمالة غير المسجلة بين (٨,٥) و (١١) مليونا ..

كما يبلغ عدد اللاجئين (١٤) مليونا .

وفي التفاصيل تكاد الولايات المتحدة الامريكية تحصل على نصف عدد المهاجرين للعمل بشكل غير شرعي ، وتكاد افريقيا تحصل على (٤٠٪) من عدد اللاجئين في العالم .

انه النزوح عبر الحدود بطريقة شرعية أو غير شرعية طلبا لفرصة عمل مؤمنة .. أو فرصة عمل غير مؤمنة .. فاذا استبعدنا الفئة الثانية التي تنطوي على أسباب عديدة للجوء .. فان الفئة الاولى تكاد تنحصر دوافعها في العامل الاقتصادي ، كما تكاد نقاط الجذب لها تنحصر في ثلاث مناطق :

أمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الاوسط . كل هذه المناطق قد جذبت العمالة الأجنبية لفترة من الوقت وقدمت

اغراء الحياة الافضل أو الاجر الأعلى للمهاجرين الجدد . . وحدثت تلك الفائدة المزدوجة لبلاد طاردة تحصل على عوائد عمل تساهم في تحسين ميزان مدفوعاتها وبلاد مستقبلة تحصل على قوة عمل لازمة لنشاطها الاقتصادي بل نشاطها العام في تقديم الخدمات الاساسية .

في بعض البلدان أصبحت العمالة الأجنبية عنصر ازعاج وعنصر منافسة للعمالة المحلية (حالة أوروبا) . . وفي بعض البلدان كانت العمالة الاجنبية عنصر خطر حيث زادت نسبتها عن العمالة الوطنية بل تغير تركيب السكان نتيجة لوجودها المكثف الذي فاق ـ عددا ـ وجود الوطنيين (حالة بعض بلدان الخليج) .

وفي الحالتين (حالة أوربا أو الشرق الاوسط) كانت هناك متغيرات أساسية خلال العقد الماضي .

فقد تحولت الهجرة من جهد فردي غير منظم الى تيار بشري تتولاه منظمات وشركات ومكاتب للاستخدام ، بل تدخلت فيه الحكومات ايضا ، وبينما كانت كوريا الجنوبية ـ على سبيل المثال ووفقا لبحوث مؤتمر العمالة الأجنبية في الخليج الذي عقد في الكويت في بداية ١٩٨٣ ـ تملك شركة واحدة لتنظيم العمل في الخارج عام ١٩٧٣ . . أصبحت تملك ثمانين شركة عام ١٩٨١ . وبينما كانت الحكومات بعيدة عن تنظيم هذا النشاط وقوانين السوق وحدها تحكم كل شيء ، بدأت حكومات الهند والفلبين وكوريا الجنوبية تتدخل في تنظيم انتقال العمالة وضمان حقوق العاملين . . وتدخلت حكومة الجزائر بالنسبة لعمالها في فرنسا . . وبدأت الصين طبقا لأنباء صحفية ـ في انشاء شركتين في هونج كونج لنفس الغرض .

المتغير الثاني هو انتقال النشاط من نشاط محل التر[ـحيب] من كل الأطراف ووفقا لقاعدة المنافع المتبادلة الى [ن]ـ محل شك وقلق من كل الاطراف . . وفي مقدمتها الد[ول] المصدرة للعمالة والتي باتت تشكو من نقص الكو[ادر] واستنزاف الخبرات .

ووفقا لدراسة أجرتها الحكومة الكندية عن فترة تمتد [بين] عامي (٦٧ - ١٩٧٣) فان تكلفة الاحلال لرأس [المال] البشري الذي تم تصديره من دول نامية الى كندا خ[لال] تلك الفترة قد بلغت (٢,٤) مليار دولار كندي دفعـ[تها] الدول الفقيرة . . و . . طبقا لدراسة أخرى أجر[تها] « الانكتاد » عن فترة زمنية تمتد بين عامي (٦١ ـ [١]٩٧٢) فقد كسبت كندا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمر[يكية] ٤٤ مليار دولار . . نفقات تعليم وتدريب لمهاجرين جاءوا من العالم الثالث .

وهكذا ، ورغم الحديث عن تحويلات العاملين وأثر[ها] في التوازان الاقتصادي لبعض الدول حتى باتت تصب[ح] المصدر الاول للدخل من النقد الأجنبي في اليمن الشما[لي] والاردن ، رغم الحديث عن ذلك . . فان الحديث [عن] الخسائر وهجرة الأدمغة ونقص الفنيين والتأثيرا[ت] الاجتماعية للهجرة قد بات حديثا شائعا ومحل بحـ[ـث] ودراسة .

صاحب ذلك متغيرثان هو دخول المنظمات الدو[لية] طرفا في العلاقة . . و . . تحت البحث الآن : ميثاق دو[لي] ينظم حقوق المهاجرين للعمل ، وتحت الاعداد مؤ[تمر] دعت له منظمات الأمم المتحدة المتخصصة لبحث الامر[،] وهناك أيضا مشروع عربي للنهوض بالاستخدام تدخـ[ـل] ضمن اطاره حقوق العمالة المهاجرة .

يبقى ان نقول أن التوقعات الدولية حول هذه العما[لة] « الى انكماش » . . وان فترة الرواج التي صاحب[ت] انتعاشا في اوروبا وأمريكا وصاحبت زيادة عوائد النفط [في] الخليج العربي . هذه الفترة انحسرت بركود يشه[ده] العالم ، وتراجع في اسعار النفط خلال الفترة الاخيرة . والأهم أن الخليج ـ وهو منطقة رئيسية للهجرة ـ قد اقتر[ب] من نقطة التشبع وانحسر كثير من الانشطة التي تحتا[ج] عمالة مكثفة (كبناء المرافق) . . بينما يأتي المستقب[ل] لأنشطة اقتصادية أخرى . . اكثر تقدما . . واقل حاج[ة] للعمالة العادية والكثيفة .

على أي حال فالمستقبل غير الماضي ، وان كانـ[ـت] الظاهرة لن تتوقف . سيبقى انسياب البشر عبر الحدو[د] كانسياب الأموال والسلع والانهار . . شيئا لا يتوقف وا[ن] دخل عليه شيء من التنظيم .

□ كل وحدة تقوم بين قطرين عربيين أو أكثر ، كانت و ما تزال أمنية كل العرب من المحيط الى الخليج . وما الوحدة التى قامت بين دول مجلس التعاون الخليجي الا نموذج للتعاون والتضامن البناء بين أقطار تربطها هوية واحدة ومصلحة واحدة ومستقبل واحد ومصير واحد . لعلها تكون نواة الوحدة العربية الشاملة التى تحقق آمالنا .

بقلم : محمد أبا الخيل

التكامل الاقتصادى الخليجي يمثل تجربة فريدة من تجارب التكامل الاقتصادي الاقليمي بوجه عام ، وفي العالم الثالث بوجه خاص .

إننا مهتمون في حديثنا اليوم بابراز الدور الايجابي للجامعة في المجتمع العربي الخليجي ، في التصدى لقضايا التنمية والتطور ، والمشاركة الفعالة في بلورة الصيغ التطبيقية ، وفي ايجاد حلول للمشكلات التي قد تعترض مسيرة التقدم .

وقد يكون لهذا الحديث أيضا أهمية خاصة ، حيث أنه يجد أمامه تجربة ما زالت في مراحلها المبكرة من الناحية الزمنية اذ لم يمض أكثر من عشرة أشهر على بدء الخطوات الفعلية لتطبيق الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون الخليجي ، وهذا يتيح لنا تقييم التجربة من بداياتها الأولى واستشراف أفاق المستقبل امامها . وفي نفس الوقت نجد أمامنا ايضا حجما من الانجاز الذى تحقق خلال هذه الفترة القصيرة ، يتجاوز في عمقه وآثاره ، البعد الزمنى الذى تم فيه ، ويقدم أساسا عمليا للبحث واستقصاء الايجابيات والسلبيات ، مما يسمح لنا باتخاذ اسلوب واقعي في التحليل ، ينأى بنا عن الطابع النظرى البحت في المناقشات

ويساعدنا على استخلاص النتائج .

والواقع انه لا يمكن قياس تجربة التكامل الاقتصادي الخليجي ، استنادا الى البعد الزمني المحدود لها منذ بدء اخضاعها لهيكل قانوني تنظيمي واحد ، ممثلا في الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، سواء كان ذلك بدءا بتاريخ وضع تلك الاتفاقية في الرياض في الثامن من يونيو ١٩٨١ م ، أو تاريخ اقرارها من جانب المجلس الاعلى لمجلس التعاون في دورته الثانية بالرياض في الحادى عشر من نوفمبر ١٩٨١ م ، أو تاريخ بدء تطبيقها في الاول من مارس ١٩٨٣ م . لأن

٦

تجربة التكامل الاقتصادي الخليجي في اطار المجلس ، لم تبدأ من فراغ ، انما جاءت هذه الخطوة تعبيرا عمليا عما يربط بين دول المجلس من وشائج راسخة ، وامتدادا لما هو قائم بينها من تعاون على كل صعيد . وكانت آخر مرحلة وصل اليها هذا التعاون ، قبل قيام المجلس ، هى محاولة تنظيمية بين الحكومات ، من خلال شبكة من الاتفاقيات الاقتصادية الثنائية ، واللجان المشتركة المنبثقة عنها . هذا الى جانب بعض المؤسسات الخليجية المتخصصة ، العاملة في المجال الاقتصادي وفي الكثير من المجالات الأخرى ، وعدد من المشروعات المشتركة .

مظلة مجلس التعاون

ثم تطورت هذا الصيغ الثنائية أو الجماعية المتفرقة من التعاون ، الى صيغة واحدة متعددة الاطراف ، تحت مظلة (مجلس التعاون) تهدف الى تحقيق اقصى درجات الترابط والتنسيق والتكامل فيما بين الدول الست الاعضاء ، في كافة المجالات .

وبالنسبة للمملكة العربية السعوظية فقد كانت قبل قيام الاتفاقية الموحدة ترتبط فعلا باتفاقيات اقتصادية ثنائية مع ثلاث من دول مجلس التعاون ، وكانت تتفاوض مع الدولتين الاخرين على اتفاقية ثنائية مماثلة لذلك ، وكانت نصوص الاتفاقيات الثنائية هذه متشابهة الى حد كبير مع نصوص الاتفاقية الموحدة ، وقد ساعد ذلك على تسهيل تطبيق تلك الاتفاقية الموحدة .

يتضح من ذلك انه لم يكن من قبيل المصادفة ، ان يقرر مجلس التعاون بدء المسيرة العربية الخليجية الجديدة بالحقل الاقتصادي ، اذ كان ما أملى ذلك الاختيار ، ليس فقط لانه الحقل الاكثر اهمية وحيوية ، بل ايضا لانه الحقل الاكثر استعدادا ونضوجا للاستهلال به ، لما هو قائم فيه بالفعل من ارضية جاهزة للعمل المباشر ، تمثل نقطة انطلاق صحيحة وتمهد طرق العمل الخليجي ، للسير عليها نحو انجازات اخرى جديدة .

ان بالامكان القول ، من الوجهة الموضوعية البحتة ، بان فرص النجاح امام مشروع التكامل الاقتصادي الخليجي ، هي أوسع منها في كافة التجارب الاقليمية الاخرى ، ويرجع ذلك الى عدد من السمات والخصائص المميزة ، التي يمكن ابراز اهمها فيما يلي :

● التشابه الكبير في البنية الاقتصادية والاجتماعية ، وفي عوامل الندرة والوفرة للموارد الطبيعية فيها على السواء ، وبالتالي تشابه مشاكل وتحديات التنمية التي تواجهها في الحاضر والمستقبل ، وتقارب الحلول التي تعتمدها لمواجهة تلك التحديات .

● التقارب في الهياكل والانظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والسياسات الموضوعة لتنظيم هذه المجالات .

● وحدة العقيدة واللغة ، والتماثل في القيم والتقاليد والعادات والتراث الثقافي وتشابه اساليب الحياة ، ووجود روابط اجتماعية وثيقة ، تبحث عن المصاهرات وارتباط المصالح وعن حركة البشر داخل المنطقة بلا قيود عبر آجال طويلة ، وعن التفاعلات التاريخية المشتركة التي صهرت مجتمعات المنطقة في بوتقة واحدة تقريبا .

● إن دول المجلس تمتد على ارض منبسطة ، لا يوجد بينها حواجز طبيعية تقريبا ، كما انها تطل على سواحل بحرية ، تمتد من الخليج الى بحر العرب الى البحر الاحمر ، مما يسمح بسهولة الاتصال البري والبحري فيما بينها ، ومن ثم نمو حركة الاشخاص والسلع .

بين الخليج والبحر الأحمر

ونحن جميعا نعرف ان حركة النقل الساحلي كانت دائما نشطة بين سواحل الخليج والبحر الاحمر التي كانت موانيها عبارة عن محطات متتابعة لنفس المجموعات من البحارة والتجار ، كذلك كانت القوافل البرية تتخذ مسارات ثابتة بين نقاط على البحر الاحمر واخرى على الخليج لتكمل بعضها عمل الأخرى في النقل من الغرب للشرق وبالعكس .

● يتوافر رأس المال في معظم الدول الاعضاء ، مما يزيل عقبة التمويل للتنمية والاستثمار فيها ، ويسمح بظهور سوق مالية ، ذات ابعاد اقليمية وعالمية .

● تطبق الدول الاعضاء جميعا اسلوب التخطيط الاقتصادي بدرجات متشابهة ، وتطبق

اساليب متقاربة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتتبنى نماذج وأولويات متشابهة في مجالات الصناعة والزراعة والخدمات .

● تتشابه انماط التجارة الخارجية في دول المجلس ، من حيث اعتمادها على تصدير النفط الخام ، كمصدر رئيسي للدخل القومي ، واعتمادها على الاستيراد للوفاء بمعظم احتياجاتها ، وسعيها الى تغيير هذا الواقع ، من خلال تنويع قاعدة الاقتصاد الوطني .

● تتميز معظم الدول الاعضاء بضيق السوق المحلي لكل منها ، امام الصناعات ذات الحجم الكبير ، والحاجة الى ضم اسواقها ، وإزالة أي نوع من الحواجز فيما بينها لتحويلها الى سوق واحدة تتسع لانتاج الصناعات الجديدة . التي تقام على مستوى المنطقة .

● زيادة القوة الاستيعابية في كافة الدول الأعضاء ، مع خطوات التنمية المكثفة فيها وإقامة معظم تجهيزاتها الاساسية خلال السنوات العشر الاخيرة ، مما اتاح لها رفع معدلات التنمية واقامة المشروعات الكبرى في الصناعات والزراعة والخدمات ، وجذب الاستثمارات الخارجية معها مقترنة بجلب التكنولوجيا المتطورة والادارة الحديثة .

● تشابه السياسات الخارجية للدول الأعضاء وتماثل ارتباطاتها الدولية في إطار التعاون العربي والاسلامي وحركة عدم الانحياز ، وكذلك تطابق الأدوار التي تقوم بها على الصعيد الاقتصادي الدولي والاقليمي وفي العالم الثالث .

تحديد الأهداف

ولقد جاءت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، بمثابة (اتفاقية اطار) أو (دليل عمل) تحدد الاهداف الكبرى والخطوط العريضة للعمل الاقتصادي الخليجي المشترك ، في كل مجال من مجالاته ، وصولا الى غايته النهائية وهي الوحدة الاقتصادية الكاملة .

وتركت الاتفاقية للاجهزة المشتركة ، ان تتخذ تباعا التدابير والاجراءات التي تحقق الاهداف المطلوبة ، بصورة متدرجة وفعالة .

أما الاسس الرئيسية التي حددتها الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، لتحقيق التكامل الاقتصادي والخليجي ، فيمكن توضيحها فيما يلي :

- تحرير حركة الموارد الاقتصادية بين الدول الاعضاء ، بازالة كافة القيود على حركة الاشخاص والسلع ورؤوس الاموال .
- توحيد التعريفة الجمركية ، وايجاد درجة من الحماية الجمركية المشتركة تجاه العالم الخارجي .
- تنسيق الخطط الانمائية والسياسات النفطية (الداخلية والخارجية) والتشريعات والانظمة الصناعية .
- التعاون في مجال نقل وتوطين المعرفة والتكنولوجيا ، وفي تنمية الموارد البشرية .
- ربط ودعم التجهيزات الأساسية ، كشبكات المواصلات والنقل والاتصالات ومصادر الطاقة والمياه .
- تنسيق السياسات والأنظمة المالية والنقدية ، والتجارية فيما بينها ، وتنسيق التعامل مع العالم الخارجي في هذه المجالات .
- تحقيق (المواطنة الاقتصادية) بالوصول الى حرية ممارسة النشاط الاقتصادي والتملك عن طريق التسوية في المعاملة بين المواطن المحلي ومواطني الدول الاعضاء الاخرى ، من اشخاص طبيعيّين أو اعتباريين .
- دعم دور القطاع الخاص في الدول الاعضاء ، في تحقيق التكامل الاقتصادي الخليجي .
- الاهتمام بالمشروعات الخليجية المشتركة .
- تنسيق التعاون مع العالم الخارجي في مجال الاستطلاع وتقديم المعونات الفنية التقليدية للتنمية .

عناصر القوة الاقتصادية

ان هذه الاهداف الطموحة للتكامل الاقتصادي الخليجي التي حددتها الاتفاقية الاقتصادية الموحدة هي اهداف واقعية ، ولقد كان من الحكمة الاستفادة من تجارب الآخرين ، لذلك فان الاتفاقية تجنبت ان تعكس نفسها داخل ادراج جدول زمني محدد الأفق أو تحت اطار مراحل نظرية التكامل الاقتصادي ، ولقد اختارت دول مجلس التعاون اسلوبا للتكامل الاقتصادي يقوم على أساس انتقائي عملي ، من أجل ذلك فقد تشكلت لجان وزارية عديدة تقوم على تحضير اتفاقية ينبثق عنها ما يقوم بدوره لجان فرعية ومجموعات عمل ولجان متخصصة على المستوى الفني أو الوظيفي . إن المهام الكبرى للتكامل الخليجي لا يساندها فقط تطلعات مجتمعات المنطقة وأمانيها وسماتها المشتركة ومظاهر التكتل والاندماج الاقتصادي في عصر الكيانات الاقتصادية الكبرى وانما يؤازرها ايضا ثقل اقتصادي قائم وممتد على المدى المتوسط والبعيد يمكن أن تبرز عناصر القوة الاقتصادية فيما يلي :

ـ ارتفاع حجم اجمالي الناتج المحلي للدول الست الاعضاء بما يعادل ١٨٧ بليون دولار وهو بذلك يمثل قاعدة تمكن الارتقاء بالنمو المرتفع على المعدل المرتفع لنمو الدخل القومي في السنوات القادمة .

ـ قوة مركز الاحتياطات النقدية للدول الاعضاء وبالتالي المركز المالي الخارجي ، وانعكاسه على المعاملات التجارية والنقدية الدولية للدول الاعضاء .

ـ متانة المركز المالي الداخلي ، ومن أدلة ذلك ان موجودات البنوك التجارية في الدول الاعضاء

وصل مجموعها عام ١٩٨٢م الى ما يعادل ٩٥ بليون دولار .

- ضخامة حجم التجارة الخارجية للدول الاعضاء مجتمعة ، الذي وصل مثلا عام ١٩٨١م الى ٢٠١ بليون دولار منها ١٤٨ بليونا للصادرات ، ٥٣ بليونا للواردات ، وهذا يعكس طاقة استيعابية كبيرة ، وتنمية مستمرة .

- يبلغ اجمالي عدد سكان الدول الاعضاء حوالي ١٤ مليون نسمة ، يمثلون في مجموعهم كما وحجما ملائما لطلب اجمالي في سوق واحدة .

- تمتلك دول المجلس احتياطات بترولية تقدر حتى الآن بـ (٢٧٤) بليون برميل ، تمثل حوالي ٥٢٪ من اجمالي الاحتياطي العالمي .

- يبلغ اجمالي عدد المصانع القائمة في دول الخليج الست (٤٧٠٧) مصنع ، منها (٩٦٨) مصنع يسهم فيها رأسمال اجنبي .

- تمتلك دول المجلس الآن مجمعات ضخمة للصناعات البتروكيماوية ، التي بدأ بعضها في الانتاج ، وستدخل جميعا في مرحلة الانتاج والتصدير عام ١٩٨٥م . وتنتج هذه المصانع حوالي ٢٠ منتجا بتروكيماويا يصل مجموعها إلى حوالي (١٢) مليون طن سنويا قابلة للتصدير ، كما تمتلك طاقة كبيرة في مجال تكرير النفط .

أهم الانجازات

وإذا انتقلنا الى القاء نظرة على حجم الانجاز الذي تحقق حتى الآن ، على طريق التكامل الاقتصادي الخليجي ، منذ بدء تطبيق الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، فانه يتبين لنا ان ما تحقق يبشر بالخير ، ويقدم صورة ايجابية تماما لحاضر ومستقبل هذا التكامل . . وهذه أهم الانجازات التي تحققت :

● في مجال تحرير التجارة : اعتبارا من أول

مارس ١٩٨٣م . تم تطبيق الاعفاء الكامل من الرسوم الجمركية والقيود الادارية ، على كافة الـواردات من المنتجات الـوطنية ، وتـطبيق اجـراءات مـوحـدة لتيسـير تجـارة العبـور (الترانزيت) .

● في مجال النقل البري والبحري : اعتبارا من أول مـارس ١٩٨٣م . بدأ تـطبيق معـاملة وسائط النقل الـوطنية ، عـلى قدم المسـاواة مع النقل العائدة للدول الاعضاء أو مواطنيها ، كما بـدىء في تـطبيق نفس المعـاملة عـلى السفن والبواخر والقوارب .

● في مجال ممارسة النشاط الاقتصادي : اعتبارا من أول مارس ١٩٨٣م . بدىء في منح حرية ممارسة النشاط الاقتصادي لمواطني الدول الأعضاء الاخرى ، وذلك في المجالات التالية : الصناعة والزراعة والثروة الحيوانية والسمكية والمقاولات ، وكذلك حرية ممارسة المهن لمواطني الدول الاعضاء في مجالات الطب ، المحاماة ، المحـاسبة ، الهنـدسـة (بمـا في ذلـك المكـاتب الهندسية) ، الاستشارات الادارية والاقتصادية والفنية والزراعية والسمكية والصناعات . وقد اضيفت الى هذه المجالات فيما بعد ، في اجتماع الدورة الرابعة للمجلس الاعلى مجالات عديدة هي : الفنـدقة واعمـال الصيـانـة والصيـدلـة والحرف بجميع انواعها .

● مؤسسـة الخليـج لـلاستثمـار : بـدأت مؤسسة الخليج للاستثمار اعمالها في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣م . من مقـرها بـالكويت . وهي تضم الدول الست اعضاء المجلس ، ويبلغ رأسمالها ٢١٠٠ مليون دولار ، مقسمة بـالتساوي بين الدول الست الاعضاء ، وتمثـل هذه المؤسسـة احـدى الحلقات الهـامة للتكـامـل الاقتصـادي الخليجي ، وتهدف الى تنمية استثمارات الدول الاعضـاء ، ودعم مواردهـا ، والقيام بـأنشطة انتاجية وخدمية في كافة المجالات .

● ايجاد تعريفة جمركية موحدة : تم الاتفاق على اسس مرحلية لتوحيد التعريفـة الجمركيـة الخارجية للدول الاعضاء ، تبدأ بتحديد الحدين الادنى والأعلى للرسوم في الدول الاعضاء ، بين نسبة ٤٪ ونسبة ٢٠٪ وقد بدأ تطبيق ذلك اعتبارا من أول سبتمبر ١٩٨٣م . مع السماح للدول الاعضاء بتطبيق اعفاءات مؤقتة ، والاتفاق على فرض حماية جمركية يتفق على نسبتها وعلى السلع الخاضعة لها وفقا لدراسات تجري حاليا في اطار لجنة التعاون الصناعي .

● توحيد اسعار الخدمات ورسوم المرافق : وافق المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته الرابعة عـلى توحيـد اسعار الخـدمات ورسـوم المرافق ، على أن يكون التوحيد في اتجاه تحديد الحد الادنى لهذه الاسعار والرسـوم ، وتكليف لجنة التعاون المالي والاقتصادي بوضع برنامج زمني للتوحيد . ويشمل ذلك الكهرباء والغاز والماء والتليفونات والمنتجات الكهربائية .

نحو التكامل الاقتصادي العربي الشامل

وقد اخذت بـواكير الثمـار الأولى لخطوات التكامل الاقتصادي الخليجي في الظهور ، رغم قصر المدة التي مضت على بدايتها ، وعلى سبيل المثـال ، صدرت في المملكـة تراخيص متعـددة طبقا للاجراءات المذكورة ، لمواطنين وشركات من دول المجلس ، لممارسة العديد من الانشطة الاقتصادية والمهن الحرة ، وزادت قيمة واردات المملكة من دول المجلس خلال تسعـة الشهور الاولى من عـام ١٩٨٣م . الى ١٣٥٦ مليـون ريال ، كما بلغت قيمة صادراتها الى تلك الدول حوالي ٣٨٦٢ مليون ريال خلال نفس السنة .

أود أن أقول هنا أيضا ان التكامل الاقتصادي الخليجي هو احدى حلقات التكامل الاقتصادي العربي الشامل وان دول المجلس تضطلع بدور نشط وايجـابي في العمـل الاقتصـادي العـربي المشتـرك وهي منضمـة الى كـافـة الاتفـاقيـات الاقتصادية العربية القائمة في مجالات التجارة ،

وتشارك بدور رئيسي في تمويل التنمية والاستثمار في جميع الاقطار العربية سواء بواسطة قطاعها الحكومي أو الاهلي ، وسواء من خلال مؤسسات التمويل العربي المشتركة أو من خلال القنوات الثنائية ، ومن المؤكد ان هذا الدور النشط سيستمر بل انه سيتعاظم مع زيادة حجم المؤسسات الاقتصادية القائمة في دول مجلس التعاون نتيجة قيام الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بينها .

وبالنسبة للمملكة العربية السعودية فقد كان سعيها النشط في سبيل اقامة الاتفاقية الاقتصادية الموحدة ، بين دول مجلس التعاون ليس بأكثر من سعيها الفعال الذي بذلته في سبيل عقد الاتفاقية العربية الجديدة للتبادل التجاري ، والاتفاقية العربية الجديدة لضمان الاستثمارات وتسهيلها . وقد كان للمملكة دور أخذ زمام المبادرة في تقديم اقتراح بعقدها للمجلس الاقتصادي العربي ثم اعداد الدراسات الأولية لها ، ثم استضافت في الرياض اجتماعات متتالية للخبراء العرب الذين تعاونوا في اعداد مشروع كل اتفاقية منها ، وبعد ذلك قامت بمتابعة مناقشاتها حتى تم اقرارها في المجلس الاقتصادي العربي ثم المصادقة عليها من قبل مجلس القمة العربية ، ويعكس هذا السعي النشط في كلا النطاقين قناعة تامة لدى المملكة العربية السعودية بضرورة ايجاد الاطارات المناسبة لايجاد تعاون اقتصادي عربي لتحقيق التنمية الشاملة لكافة ارجاء الوطن العربي ، وقناعة اخرى بأن التعاون الخليجي هو حلقة في اطار اشمل للتكامل الاقتصادي العربي .

لكي نمضي في مسيرتنا

وبعد فان السعي لزيادة فعالية الاتفاقية الاقتصادية الموحدة في الوصول الى اهداف التنمية الشاملة لدول مجلس التعاون يجعل من الضروري ملاحظة جوانب هامة قد يؤدي عدم اخذها في الاعتبار الى تعريض هذه التجربة لمخاطر وهزات قد تعرقل مسيرتها ، ولذلك فان القاء الضوء عليها ومناقشتها قد يساعد على تجنب هذه المخاطر .

من جهة أخرى فان الاوضاع المالية العالمية في الوقت الحاضر تمر بمرحلة ركود وغموض ، وما نراه امامنا من مشاكل مالية مستعصية في انحاء مختلفة من العالم بالاضافة الى الاوضاع السياسية غير المستقرة التي تسود المنطقة التي نعيش فيها ، كل ذلك يتطلب حذرا وحكمة في ادارة الموارد المالية للمنطقة ، ومؤسسات مالية ذات مقدرة فنية جيدة واداء مهني رفيع تعمل في ظل اطارات تنظيمية محكمة ذلك لان حشد المدخرات المحلية وتشجيعها على الاستثمار في مصادر الانتاج المتاحة للسلع والخدمات التي تحتاجها التنمية وتقوم عليها لا يمكن أن يتم في ظل ظروف مثل تلك التي ذكرتها الا بوجود مؤسسات مالية قادرة وموثوق بها تستطيع اكتساب الثقة وتعرف كيف تحافظ عليها .

وهناك امر آخر هو اننا يجب ان ننظر للتعاون مع الخارج سواء كان على شكل افراد ومؤسسات باذهان مفتوحة وبثقة كافية في النفس ، وادراك باننا مجتمعات نامية تحتاج لاكتساب الخبرة والمعرفة ، وان ادراك المنافع المشتركة هو المعيار الاساسي للحكم على هذه العلاقات .

واخيرا فان العالم مقبل على صيغ جديدة للتجارة الخارجية بعد ان تزايدت اهميتها في كل دول العالم وعلى رأسها الدول الصناعية المتقدمة ، واصبحت تمثل نسبة متزايدة في تكوين الدخل الوطني ومع قوة الدفع التي يتمتع بها مبدأ التجارة الحرة ووجود الكثير من المدافعين عنه الا اننا سنرى سلسلة من الحلول الوسط التي سيكون للتعاون الاقليمي دور رئيسي في الوصول اليها وسيكون بامكان مجموعة دول مجلس التعاون ان تجد لنفسها مكانا مناسبا فيها . □□

شعر الدكتور عبده بدوى

في مقهى عصرى يستلقى مثل الهر على ليل ناعم
ويضىء بعينيه الخضراوين العالم
أحسست بأنى نقيت الدنيا فى نفسى
وغدوت خيوط النور الصادحة الأولى
وصفاء حلوا مأمولا !

***

قد حركنى هذا المشهد
فهتفت لنفسى : فليخلد
فلأرسمه نورا يبقى
فلأطلق فيه أزمانا تبقى
فلأحشد فى جنبيه البرقا
لكنى لما ان أشرعت أحاسيس الشاعر
أبصرت عيونا ترمقنى ، تهوى بى فى جب فاغر !
.. لكنى لما حركت اللون الوارف
أبصرت الدنيا من حولي مثل الانسان الخائف
واذا ألوانى ذابلة ، واذا وجه مملوء بالاعين
يتحدث عنى في الهاتف
ويقول ـ لمن فى اقصى الخط ـ سألقيه خلف الشمس
ويمشى فى خطو العارف !

***

كانت أمسية
لما حركت بها « قطع السكر »
أبصرت كأن الدنيا من حولى تتكسر !
.. لما قربت فمى
أبصرت دمى !
.. لما ان قلت لجارى : ما اسمك ؟
قال : الحجاج !
.. لما حاولت المخرج
لم ألق سراج !
.. لما أمسكت ولم أنبس
أحسست يدا تهوى ، ومسدس !

إذا اجتمع الشرط والقسم فلأيهما يكون الجواب ؟

بقلم : محمد خليفة التونسي

□ كل جملة شرطية يحتاج شرطها الى الجواب ، مثل « ان تقم بحقي أقم بحقك » فالشرط هنا « تقم بحقي » وجوابه « أقم بحقك » والفعلان في الشرط والجواب مضارعان مجزومان ، والأداة « ان »

وكذلك جملة القسم ، لابد لقسمها من جواب مثل « والله لأقومن بحقك » فالقسم هنا « والله » وجوابه « لأقومن بحقك » وبغير الجواب يكون الكلام لغوا [١]

وقد يذكر القسم كما في المثال السابق ، أو يحذف فيدل عليه حرف اللام كما في قول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال الا لصابر

من هنا سمى النحاة هذه اللام « لام القسم »

وقد يجتمع شرط وقسم كما في قول الشاعر :

لئن كان ماحدثته اليوم صادقا
أصم في نهار القيظ للشمس باديا

فلأيها يكون الجواب اذا اجتمعا ؟ وما دلالة أن الجواب للشرط أو للقسم ؟

وقبل الاجابة نشير الى أنه لايعنينا هنا من أدوات الشرط الا « ان » [٢] فأكثر ماتدخل لام القسم انما تدخل عليها ، [٣] ولاتدخل على غيرها الا قليلا ، كما لايعنينا الا القسم الذي يكون جوابه خبرا كما في البيتين السابقين [٤] .

والشائع بين نحاتنا أنه اذا اجتمع قسم وشرط فالجواب للسابق منهما ، فاذا سبق الشرط كان الجواب له ، مثل : ان تجتهد والله تنل مطلبك ، والدليل على أن الجواب للشرط هو أن الفعل « تنل » مجزوم بان . واذا تقدم القسم كان الجواب له ، مثل « والله لئن اجتهدت لتنالن مطلبك » ، والدليل على أن الجواب للقسم دخول اللام على الجواب وتأكيده بالنون وعدم جزم الفعل « تنال » .

ولا يجوز عندهم مع تقدم القسم أن يكون الجواب الا له ، فهم يرون أن « لام القسم » اذا دخلت على « إن » الشرطية أبطلت عملها فكان الجواب مرفوعاً لا

---

(١) بهذه المناسبة نذكر النكتة التالية لشاعرنا حافظ ابراهيم ضد صديقه القاضي الشرعي الشيخ الأديب عبد العزيز البشري ، وكانا - رحمهما الله - أميري النكتة المصرية في عهدهما ، وكان حافظ يأخذ على صديقه كثرة أيمانه بسبب وبغير سبب فكان يقول فيه « انه يقسم : والله والله .. ولا يزال يكررها حتى ينسى ما أراد أن يقسم عليه »

(٢) قد تأتي « إن » بمعنى « قد » كما في قول الشاعر الاسلامي علقة بن عقيل المري :

« لعمري لئن كانت سلافة بُدِّلَتْ
من الرملة العذراء قفلا تزاوله »

« وكانت » هنا بمعنى صارت ، أي : « لعمري لقد تبدلت سلافة من الرملة .. »

وكما في قوله تعالى « وان كنت لمن الساخرين » فلا شرط هنا ، يراجع كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تحقيق محمود شاكر) ٢/ ٧١١ .

(٣) مغنى اللبيب لابن هشام (تحقيق الشيخ محيي الدين) ١/ ٢٣٥ .

(٤) هناك قسم آخر هو القسم الوجداني الذي يراد به استشارة الوجدان ، مثل « بربك هل أكرمت اليتيم » و« بالله عليك لا تدخن بجواري » ، وجواب القسم المراد توكيده هنا جملة انشائية ، وليس خبراً .

مجزوماً (٥) وعلى هذا الرأي كل الشواهد القرآنية ، ومنها : « لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصروبهم ، ولئن نصروهم ليولُنَّ الأدبار » .

والآيـة : « ولئن مستهم نفحة من عـذاب ربـك ليقولُنَّ : يا ويلنا » والآية : « لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » والآية « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنَّ : الله » .

وشواهده من الشعر القديم كثيرة ، منها قول لبيد في الرثاء :

لـعـمـري لـئـن كـان المـخَـبِّـر صـادقـاً
لـقـد رُزِئَـتْ في حـادث الـدهـر جـعـفـرُ

وقول النابغة في الاعتذار الى النعمان :

لئـن كـنـت قـد بُلِّغتَ عـني وشـايـة
لمـبـلـغـك الـواشـي أغش وأكـذب

وقول عروة بن حزام في الحب :

لئـن كـان بـرد المـاء هـيـمـان صـاديـاً
اليَّ حـبـيـبـا انهـا لحـبـيـب .

وقول المتنبي ينذر سيف الدولة بفراقه :

لئـن تـركـت ضـمـيـراً عـن مـيـامـنـنـا
لـيـحـدثـن لمـن ودعـتـهـم الم

وقد يجيء الجواب ـ ظاهراً ـ للشرط مع أنه متأخر ، ومن ذلك قول تأبط شرا في مرثيته المشهورة (من ديوان الحماسة) .

فـلـئـن فـلَّت هـذيـل شـبـاه
فـبـما كـان هـذيـلاً يـفـل (٦)

وقول أحد شعراء الحماسة أيضاً :

لئـن حـسـنـت فـيـك المـراثـي وذكـرهـا
فـقـد حـسـنـت مـن قـبـل فـيـك المـدائـح

وقول آخر :

لـعـمـري لـئـن رمـت الخـروج عـلـيـهـم
فـقـيـس عـلى قـيـس ، وسـعـد عـلى سـعـد

وقد ورد الأمران في قول أعشى قيس :

لئـن قـتـلـتـم عـمـيـداً لم يـكـن صـددا
لـنـقـتـلـن مـثـلـه مـنـكـم فـنـمـتـثـل
لئـن مـنـيـت بـنـا في غـب مـعـركـة
لا تـلـفـنـا عـن دمـاء الـقـوم نـنـفـتـل (٧)

فالجواب في أول البيتين للقسم ، وفي ثانيهما للشرط ولهذا كان مجزوماً . مع ان القسم هو السابق في البيتين . وبعض النحاة يرى أن الجواب حين يكون للشرط ظاهراً ، فان جواب القسم في هذه الحالة هو جملة الشرط كلها ، ففي قول عمر بن أبي ربيعة مثلاً :

لئـن كـان مـا حـدثـت حـقـا فـما أرى
كـمـثـل الألى أطـريـت في الـنـاس أربـعـا

يكون البيت كله جملة للقسم وجواب القسم هو كل الجملة الشرطية ، أي أداة الشرط وفعل الشرط وجوابه (ان كان ما حدثت حقاً فما أرى كمثل الألى . .)

ومهما يكن تخريج هذه الجمل التي يجتمع فيها القسم والشرط ، ويتقدم الجواب فانه يجوز أن يكون الجواب للشرط ، ولو لم يتقدم عليهما ما يطلب خبراً كما في الأمثلة السابقة ، أو تقدم عليهما ما يحتاج الى خبر كقولنا « أنت والله إن تقرأ تستفد » ، فالكلمة أنت مبتدأ ، وجملة القسم كلها بعده خبر له ، والجملة الشرطية كلها « إن تقرأ تستفد » جواب للقسم .

والخلاصة أنه اذا اجتمع شرط وقسم جاز أن يكون الجواب للشرط ، سواء تقدم القسم أو تأخر ، وسواء كان قبلها أو لم يكن ما يحتاج الى خبر . □□

(٥) انظر كتاب « اللامات » لابن فارس (تحقيق الدكتور شاكر الفحام) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م ٤٨ جـ ٤ ص/٧٧٦ وهذا هو الرأي الشائع بين نحاتنا لأنه رأي البصريين ، وقد تعصب لهم معظم نحاتنا طوال تاريخهم حتى اليوم ، وفي نحوهم ضعف كثير .

(٦) اذا كانت قبيلة هذيل قد كسرت حده فهذا جزاء ماكسر من حدها قبل

(٧) اذا كنتم قتلتم رئيسا بغير ثأر فسنقتل مثله منكم فنتساوى ، واذا حاربناكم فلن نترك سفك دمائكم .

العربي - العدد ٣٠٣ - فبراير ١٩٨٤

من سجلات المحاكم

.. وقضى القاضي الشرعي

بقلم علي منصور

□ فرغت النيابة العامة من التحقيق ، وقيدت الواقعة جناية بالمادة ٢٣٠ من قانون العقوبات (المصري) . التي تعاقب بالاعدام كل من قتل نفسا عمدا مع سبق الاصرار على ذلك أو الترصد .

وأردفت النيابة قرار الاتهام بقائمة أدلة الاثبات ، وبعد أن عددت الشهود ولخصت وجه الاستدلال بما أجملت من حاصل أقوال كل شاهد على ثبوت التهمة ضد المتهمة ، قدمت في مجال تأكيد الدليل ملاحظات جمعتها من ثنايا التحقيق وكان اقواها . . . « واعترفت المتهمة بقتل المجني عليه بأن كتمت أنفاسه حتى فارق الحياة ، وبأنها قد أزمعت ذلك وأصرت عليه انتقاما من والدي القتيل ».

كيف وقعت احداث هذه الجريمة ، وما هي ظروفها ودوافعها ؟!

لم يكن « غريب » وحيد والديه فحسب ، وانما كان كذلك بالنسبة لجده لوالده ، الذي وان يكن كذلك جدا لأولاد ابنه الثاني ، ـ عم غريب وزوج المتهمة ـ . غير أنه كان كلما بشر بمولود لابنه هذا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يكاد يتوارى من الناس من سوء ما بشر به ، فقد كان كل هؤلاء بنات ، ، وكان الجد من جيل جاهلي يبغض البنات ويؤثر البنين .

لذلك فان « غريبا » لم يكن يقيم دائما ـ شأن الصغار ـ ضمن اخوته وبين والديه ، وانما كان يتردد في معيشته بين دار أبويه ودار جده ، ولم يكن الغلام شأن أمثاله في بيته ممن تحكمهم مواعيد الدراسة . فالتعليم آخر ما يتزودون به ومن ثم يلتفون اليه .

وبين داري الأبوين والجد كانت مسافة بضعة كيلومترات ، يقطعها المرء في قرابة الساعة يضرب ما بين الحقول والقنوات .

غادر « غريب » دار والديه كما اعتاد ولكن أوبته طال انتظارها ، فقصد الوالد دار أبيه (الجد) يسأل عن الغلام . بينما توجه الجد إلى دار ولده ليعتب أن انقضى ما لم يعتده دون أن يزوره حفيده . . . وتبادل الجميع التساؤل « أين ذهب قرة العين . . . ؟ » .

وبذل الوالد والجد وكل من حولهما الجهد بحثا عن الولد المفقود ، فطافوا بالقرى وطرقوا النجوع . . . وجاسوا بالكفور ، وعاثوا بين الزراعات وفي السواقى بل وفي مجاري المياه فلربما سقط فيها لغرق ، وباءت جميع الجهود بالفشل ، فكل جماعة كانت تسلخ النهار طوافا وبحثا ، ومع المساء يرجعون صفر اليدين .

ولما انقضى على البحث يوم سبقه يومان على آخر لحظة رأى فيها « غريبا » آله ، نفر هؤلاء إلى عمدة البلدة وطلبوا اليه أن يبلغ الجهات المختصة

فقدهم « غريبهم » وبغيابه منذ صباح الأربعاء ١ من أغسطس سنة ١٩٥٨ .
وقبل أن يطير العمدة البلاغ الى مركز الشرطة المختص ، أعلن عن تقريره تفتيش منازل القرية وإن بدأ بمنزل واحد وانتهى به بعد أن أعلن العثور على جثة الغلام المفقود .
وكان المنزل الوحيد هذا منزلا لأم « فتحية » المتهمة يحده منزل المتهمة ذاتها من ناحية ومنزل أرملة طروب » من الناحية الأخرى والطريق العمومي والحقول الممتدة من الناحيتين الأخريين ، وهو منزل شبه مهجور اذ إن صاحبته تركت القرية لتساكن ابنا لها بالمدينة لما تحل اليها بحكم عمله .
ولما وجد العمدة جثة الغلام المفقود كما قال . بعد أن برم أطراف شاربه بين أصبعي يمينه الابهام والسبابة وجه الى « نعيمة » في يقين المتحدي تهمة القتل . . . وأنه وهو « ظل الحكومة » في القرية فقوله الفصل ، وبالتالي فان اتهامه لها لا يرد .
وعندما أبلغ العمدة مأمور المركز أخبره ببلاغ والد غريب عن غيابه وأنه اتهم « نعيمة » زوجة عمه « سلطان » بقتله ، وانه وجد جثة الغلام في المنزل المجاور لمنزل المتهمة وهو مملوك لأمها ، ولا سبيل اليه إلا من منزلها ، وانه لما واجه المتهمة بذلك وواجهها بالقتل اعترفت باقترافها الجريمة .
وانتقل المأمور الى حيث الجثة ، وحرص العمدة على أن يدلف اليها من موقع قريب من منزل المتهمة . ثم أرشده الى غرفة بها أجولة مكومة على الأرض ، وبينها جوال لم يتمكن المأمور من تبين ما بداخله إلا أن شقه بمطواه . فظهرت الجثة وملأت أرجاء المكان الرائحة الكريهة التي انبعثت منها فزكمت كل الأنوف .
وفي جهة من المكان كان والد الفقيد وجده كان عمه زوج المتهمة - يقفون وقد ملأهم الشر بعد أن شبعوا فى المتهمة توبيخا وفيما ينتظرها من شماتة . وكانت المتهمة منزوية فى ناحية اخرى لا تملك لنفسها من أمرها رشدا .

وبعد ظهور الجثة المتعفنة المتآكلة ملامحها ، واجه المأمور المتهمة بقتلها الغلام فلم يسعفها لسانها برد . فلما زجرها زوجها بعنف أومأت برأسها ، فلما أعاد عليها المأمور المواجهة بالقتل ردت بالايجاب .
ونقلت المتهمة الى دار الشرطة ، وانتقل معها العمدة ووالد الغلام وجده وعمه حيث جاء وكيل النيابة بعد أن عاين الجثة في مكان وجودها ثم بدأ التحقيق .

وواجه المحقق المتهمة بالتهمة فلم يسعفها النطق ، وأومأت برأسها فأمرت باثبات الايماء وأنه يعني الايجاب . . ثم سأل والد الغلام وجده ، فصالا وجالا في بيان الغل الذي يملأ صدر المتهمة وكيف كانت تصرفاتها وكان شرودها وقت أن جمعتهم معيشة واحدة . . . وكيف وكيف . . .
وقال زوج نعيمة في صوت كليل انه لا يستبعد عن زوجته الجريمة . .
ولم يستطع الجميع القطع بأن الجثة لفقيدهم . وكان من إجابة الأم . . . ابني كان مثل القمر . . . . ولكن ربنا يوريني في مقطوعة اليد نعيمة أم لبيبة . . . يا بيه . . . إيه تنتظره من أم البنات لديك البرابر !! »

* * *

وواجه وكيل النيابة المتهمة بكل هذا فسكتت فأثبت سكوتها وعدم اجابتها . ولما واجهها برأي زوجها نفسه ، وكان العمدة قد أطلق « نحنحة » مجلجلة ، رفعت المتهمة نظرها الى زوجها كمن يستنجد به ، فلما أشاح عنها اعترفت باقترافها الجريمة وروت . .
« يوم الأربعاء ١٤ في الشهر كنت في صحن الدار لما دخل علي غريب يجري وهو يقول « خبيني يا عمتي . . . الحكومة في البلد عمّالة تمسك الأولاد للدكتور يحقنهم » .

ولما رأيته أمامي . . . كل تصرفات أمه وافترائها عليّ لعب أمام عيني . . . وركبني الشر فتقدمت الى غريب فاتحة قبضتي لأخنقه فجرى الى السلم ولكنه سقط . . . قلبت فيه ولا أعرف هل كان يتنفس أم قطع النفس فوضعت يدي على وجهه « أنفه وفمه » . . . . وبعدين وضعته في الجوال . . . . ووضعت الجوال في بيت أمي تحت الأجولة . .

وأثبت وكيل النيابة ذلك الاعتراف والاستجواب الذي أداره في حدوده ، ثم أثبت ما رأى من اجراءات . وختم تحقيقه بحبس المتهمة « نعيمة » أربعة ايام على ذمة القضية ، ويراعى لها التجديد في الميعاد « وينذب السيد الطبيب الشرعي لتشريح الجثة لمعرفة ما بها من اصابات وسببها والآلة المستعملة في احداثها . وعما اذا كانت قد حدثت وفق اعتراف المتهمة من عدمه ، ويصرح بدفن الجثة بعد ذلك » .

* * *

وبعد انتهاء الأيام الأربعة عرض أمر حبس المتهمة على « قاضي التجديد » وأمامه أنكرت المتهمة وأقسمت أغلظ الأيمان المحفوظ منها وما ألهمها به ثائر عواطفها على أنها بريئة ، فلما واجهها القاضي باعترافها في المراحل المتعددة عادت الى أيمانها علها تقنع ببراءتها ، ومد القاضي الحبس لخمسة وأربعين يوما .

وقدمت الشرطة للنيابة ما قدمه لها العمدة ووالد غريب وعمة الطفلتين « لبيبة » و « تفيدة » ابنتي المتهمة والقادرتين بين بناتها على بعض الكلام اذ بلغتا السابعة والسادسة .

وفي بيان متعثر قالت الصغيرتان انها يوم أن « كانت الحكومة تطعم الأولاد » جاء ابن عمهم في طريقه الى بيت جده . وبينما الثلاثة يتبادلون أطراف الحديث جاء الخفير المعاون للطبيب فعدا الصغير الى دارهم حيث كانت أمهم التي أغلقت الباب فور دخوله ولم ترياه بعد هذا . . . ولما رأيا أمهما كانت شاردة مهمومة .

وقدم الطبيب الشرعي تقريره وكان سبب الوفاة اسفكسيا الخنق بكتم النفس .

وقدمت النيابة القضية الى محكمة الجنايات .

وأمام المحكمة أصرت المتهمة على أنها بريئة .

وترافع ممثل النيابة وكان جل دليله تكرار اعتراف المتهمة واقرارها بجريمتها في أكثر من مرحلة من مراحل التحقيق . . . أمام العمدة ، وأمام الشرطة ، وأمام النيابة ، ولما جنحت الى الانكار لم تستطع أن تثبت أن اكراها وقع عليها .

* * *

وترافع محامي المتهمة . . . وكان مما قال . .

ان أقسى القضايا على ضمير القاضي تلك التي دليلها الاعتراف ، فالاعتراف - دليلا في الاثبات ، فسيد الأدلة - يوم كان تحققه شرطا للادانة في بعض الجرائم التي أسميت وقتئذ بالجرائم الكبرى ، لأن المعتدى عليه فيها هو سلطان الأباطرة أو سلطان رجال الدين ، ولما كان الاتهام بارتكاب احدى هذه الجرائم في ظن السلطات حقيقة لا ينقصها سوى اقامة الدليل وهو الاعتراف ، فقد شرع التعذيب للوصول اليه وتدرجت مراحله وصوره وقنن هو والمراحل والصور .

كان ذلك وكانت السيادة . . .

ولكن عندما زالت مشروعية التعذيب بل وأصبح اللجوء الى التعذيب جريمة في ذاتها ، انحسرت عن الاعتراف سيادته ، وتقهقر موقعه

بين الأدلة ، واستمر تقهقره مع تفتح نظرة الفقه وتطور أحكام القضاء حتى أصبح صحيح الرأي وراجح الاتجاه النفور من الاعتراف دليلا ، وغدا ثقيلا على ضمير القاضي لأنه وكما يقول الدكتور محمود مصطفى : « انه دليل غير محسوس فلا يقطع بالادانة وهو يدعو لأول وهلة الى الشك والريبة في حقيقته ، إذ يتطوع المتهم ليقدم دليل إدانته » .

حضرات المستشارين . .

المتهم . . . كل متهم وان ارتكب جريمته فانه يفر بنفسه من دليلها ، وحتى ما تحتزب به الأدلة يحاول أن يتنصل منها بالمجادلة التنفيذ الذي يصل أحيانا حد القطع .

ولقد علمنا العمل أن المتهم وهو يخطط لجريمته يرسم وسيلة الفرار ويرتب وسائل رد الدليل . . . فهل يقبل أو يعقل - مع هذا - أن يتقدم المتهم معترفا أو على حد دقيق تعبير أستاذنا . . . » أن يتطوع المتهم ليقدم دليل ادانته .

وعلمنا ذلك كذلك اجتهاد الفقه وأحكام القضاء . .

فذهبت محكمة النقض الفرنسي الى « ان الاعتراف وحده لا يكفي في تسبيب الحكم بالادانة » .

وفي نفس المعنى كان قرار المؤتمر الدولي للعلوم الجنائية عام ١٩٠٢ .

ومن مقررات المؤتمر السادس لقانون العقوبات عام ١٩٥٣ « ان للمتهم الحق دائما في العدول عن اعترافه . واذا ما عدل عنه فانه يتعين عندئذ اطراحه من عداد الاثبات في الدعوى » .

ومع أن التشريع المصري لم يأخذ بعد بهذه الاتجاهات . وأطلق نص المادة ٢٧١ اجراءات في شأن الاعتراف فقضت - بعد أن تحدثت عن اجراءات التحقيق في الجلسة ، بأن يسأل المتهم عما اذا كان معترفا بارتكاب الفعل المسند اليه ، فان اعترف جاز للمحكمة الاكتفاء باعترافه والحكم عليه بغير سماع الشهود » .

مع هذا الذي جاء به النص في شأن الاعتراف . . فان روح التشريع ومذهب الفقه واتجاه القضاء في مصر لم يخل عن ملامح الاتجاه الجديد ، فأرسوا للاعتراف الذي يعتمد عليه في الادانة بعد الاطمئنان اليه من الشرائط والقيود ما أوجب التحرز عندما يكون الاعتراف هو الدليل .

وكان من أظهر ما وضع القضاء في هذا المعرض . . . لفظ الاعتراف اذا شاب اصداره أية شائبة ، والالتزام بتحقيق كل نعي ينعى به على سلامة الاعتراف أو سلامة الظروف التي صدر فيها ، وأن الاعتراف لا يصلح سندا ولو كان يمثل حقيقة مادام صدوره لم يكن طواعية واختيارا . . . ومما ننقله نصا للمحكمة الموقرة من قضاء محكمة النقض .

« من المقرر أن الاعتراف الذي يعول عليه ، يجب أن يكون صادرا عن رضا واختيار ، وهو لا يكون كذلك اذا كان وليد اكراه كائنا ما كان قدره ، فلا يجوز عندئذ التعويل عليه ، ولو كان صادقا » .

واذا كان هذا شأن الاعتراف في بعض حديث القانون فما هو شأنه في واقع الدعوى المطروحة ؟

واستميح أن أقاطع مقتضى الاستطراد . . . فأسبق الحديث في أمر الاعتراف بالحديث أولا عن الأدلة الأخرى . . . أو بعبارة أدق منثور القرائن الأخرى التي استعرضتها النيابة في حديثها المسطور بقائمة الاثبات . وعرضتها في حديثها المسموع . . . في مرافعة اليوم .

* * *

قدمت النيابة أقوال الشهود الذين سمعوا اعترافها وخاصة شهادة عمدة البلدة . . . الرجل الذي يعد الجميع الأب الروحي أو في عداد ذلك ، وشهادة زوجها ، والطبيعي أنه لا يساير الهوى ولا يسير معه ، ثم مكان وجود

الجثة وكونه دار والدة المتهمة . وأن المنفذ الأقرب اليها كما قرر العمدة وأوصل المأمور هو دار المتهمة ، وأخيرا حديث الصفيرتين « لبيبة وتفيدة » .

أما عن شهادة الشهود فيكفي في عموم رد الدليل المستفاد منها أنها شهادة نقلية عن المتهمة . . . عن اعترافها الذي ستتناوله في موضعه . . . ولكنا حتى لا نكرر مقاطعة الاستطراد نعرض لهذه الشهادة فيما ركزت عليه النيابة ، فنقول أن مواضع التركيز دليل نتساند اليه فيما ستثير من الاعتراف وبهتانه أو بطلانه .

فالثابت من الأوراق . . . في محضر الضبط . . أن مأمور المركز عندما واجه المتهمة بأنها القاتلة لم تجب،فلما زجرها زوجها ردت بالايجاب ، وقبل ذلك أنه لما واجه العمدة المتهمة بالجثة اعترفت بارتكاب الجريمة ، بينما الجثة لم تكشف إلا بعدأن جاء المأمور وشق الجوال فكيف وبماذا واجهها العمدة ؟ .

والثابت من الأوراق كذلك . . . في تحقيقات النيابة أن المحقق واجه المتهمة بأنها القاتلة فأومأت وترجمت الايماءة بأنها ايجاب ، وأنه بعد سؤال الشهود عاد إلى مواجهتها فسكتت . . . ولما واجهها برأي زوجها نفسه وكان العمدة قد أطلق « نحنحة » مجلجلة ، رفعت المتهمة نظرها الى زوجها كمن يستنجد به ، فلما أشاح عنها اعترفت باقترافها الجريمة ورددت ما رددت . .

وهنا أستعير ـ صادقا ـ صادق تعبير الزميل الكريم ممثل النيابة من أن عمدة البلدة هو الرجل الذي يعده الجميع الأب الروحي أو في عداد ذلك ، وأن الزوج من الطبيعي ألا يساير الهوى ولا يسير معه . .

* * *

وهنا أكثر من وقفة . .

تلك التي تتنكر . . . ثم تتهاوى إلى الاعتراف . . إلى التبرع بعنقها للمشنقة ، أيتصور ذلك تبرعا واحتسابا أم أنها تداعب فانساقت مكرهة ومحمولة .

أمامكم هذه الريفية الممعنة في فطرتها . . . وفي خبرتكم تقدير أثر الأب الروحي ووقع نظرة الزوج وأثر حديثه حتى إن جاء في صوت كليل « وحتى إن لم يكن نصا في الاتهام وكان مجرد رد الأمور الى الاحتمال أو حتى الى الترجيح » .

ودون أن نصادر على مطلوب نقول في اطمئنان إن وجود المتهمة في إسار ما التجأ اليه « الأب الروحي » وما تداعى اليه الزوج . . . عن حرج واضح مبعثه تمزقه بين مختلف العواطف والمواقف التي تتنازعه . . . وجودها في اسار ذلك يؤثر على ارادتها ان لم يفقدها إياها . . . وفي الحالين يكون اصدارها اصدارا غير صحيح ولا يعبر عن صدق .

تلك هي أقوال الشهود .

أما مكان وجود الجثة فليس الاستدلال بأنه وان كان شبه مهجور مملوك لوالدة المتهمة . وإنما الاستدلال كما جاء في التحقيق أن المنفذ الأقرب اليه منزل المتهمة . . . ولكن مهلا ، أرجو الرجوع الى معاينة النيابة والى الرسم الكروكي الملحق بها ليبين أن هناك منفذا مباشرا الى الحجرة التي وجدت بها الجثة موصولا بدار الجارة المعروفة بالأرملة الطروب ، وأن الحواجز في اتجاه هذا المنفذ شبه منهارة . . . وهنا نلفت ولا نطيل في تظنن . . . لماذا حرص العمدة على أن يكون وصوله بمأمور المركز الى مكان وجود الجثة عن طريق المنفذ اقرب لمنزل المتهمة وليس عن طريق ذلك المنفذ المتصل بدار الأرملة الطروب .

ويسوق الحديث عن مكان وجود الجثة ، الى ان العمدة ابلغ انه وجد الجثة عند تفتيش الدار ، بينما الجثة كما اثبت المأمور لم تظهر ولم تفح رائحتها الا بعد ان شق الجوال .

أفلا يدل ذلك . . . أو ألا يشير في الأقل الى هوى الأب الروحي فيما قال به أو أرشد عنه . . . واذا كان الأمر كذلك ألا يثير أن السيد العمدة . . . الأب الروحي . . هو القابلة التي ولد على يديها الدليل . . . وانه قابلة لم تقتصر

على أن تتلقى المولود ، ولكنها تدخلت كذلك في تسميته وفي تنسيبه وربما الحمل فيه . . .

ولحاجة استطالة الحديث في شهادة الصغيرتين « لبيبة » و « نفيدة » . . . . لا تقل في واقعها أو عندما نلجأ اليها . . عن سخف الاستهداء بأقوالها . . . تلك الأقوال التي تصرخ عباراتها بـأنها صنعت . . . وأنها وضعت في آذانهم لترددها أفواههم .

* * *

أين كانت الصغيرتان يوم وجه الاتهام لأمهما . .

أين كانتا حتى جاء بهما أبوهما شاهدتين في ركاب العمدة . . . الأب الروحي للجميع أو هو في عداد ذلك . .

ثم ماذا فعلتا لما أغلقت أمهما دونهما الباب . . أفلم تقرعانه وهما الصغيرتان فتلفتان بذلك الأنظار . . . أفلا تصرخان . . . أفلا تسألان عن ابن عمهما . . . ثم قبل كل هذا أفليستا - وهما بنات - أن تلوذان بالفرار من « التطعيم » وإلى أين . . . الى دارهما . . . الى أحنّ صدر . . . الى أحضان أمهما ؟

ذلك هو شأن ما تناثر من أدلة . . . ذلك هو شأن الحواشي . ويبقى الاعتراف . . . يبقى عصب الدليل أيها السادة المستشارون .

ولكننا مرة أخرى وقبل أن نواجهه نستأذن أن نبرىء الذمة بلفتتين . . .

اللفتة الأولى . . . أن الجثة التي عثر عليها بلغت حدا من التعفن ضاعت معه معالمها ، ولذا لم يستطع واحد من القائلين أو المتقولين أن يقول إنها للغلام المفقود . . « لغريب » .

صحيح انه لا يشترط كلية وجود جثة القتيل لثبوت تهمة القتل ، ولكن في واقعة الدعوى والتعرف عليها ، أو بعبارة أكثر تحديدا القطع بمن هو صاحبها ، وهل هو غريب أم سواه ، يقطع في سلامة ما أسندته المتهمة الى نفسها أو كذب هذا الذي أسندت .

واللفتة الثانية . . . أن المتهمة أم لصغار وأنها عاشت عمرا شبه أم لغريب . . . فحتى إن نزعنا عنها أنها في وضع أمه فلا يمكن أن ننزع منها أنها أم ، وأن للأمومة ثورتها ، وعندما تثور تتمثل عطفا على كل ولد مما يباعد بينها وبين الاعتداء على أي ولد .

وعندما ننتقل الى صلب الدليل وعصبه . . . الى اعتراف المتهمة ، ذلك الاعتراف الذي عدلت عنه منذ اللحظة التي وقفت فيها أمام قاضيها ، عندما ننتقل الى ذلك . . . يحين الحديث عن تقرير الصفة التشريحية « عن التقرير الطبي الشرعي » .

ونبادر الى القول أن الربط بين الاعتراف وبين حديث التقرير أنه مما يحكم في سلامة الاعتراف ما حمل التقرير من تأييد له أو من تكذيب ، هذا الى أن مقتضى تسبيب الحكم في الدعوى المطروحة لا بد أن يرجع الى الدليلين معا . . . ما جاء عليه الاعتراف وما جاء به التقرير ، ولا بد لزوما ألا يقوم بينهما التناقض . . . صحيح إنه لا يتحتم أن يتطابقا ولكن يجب أن يتحقق بينهما مالا يستعصى على المواءمة كما تقول محكمة النقض .

والأمر لا يحتمل طويل حديث . .

فالتقرير أرجع الوفاة الى اسفكسيا الخنق بكتم النفس، وذلك بعد أن وصف الجثة وما بها ، وليس فيما جاء بالوصف ما يفيد أو يدل على وجود اصابات كان يتحتم وجودها لو صدقت اعترافات المتهمة حيث قالت: بأن المجني عليه سقط من أعلى السلم ، ومثل هذا السقوط لا بد أن يخلف كسورا أو في الأقل جروحا رضية . . .

وما دامت الجثة قد خلت من ذلك فالمتهمة كاذبة فيما روت ، واعترافها اعتراف غير صادق . . . على أنه اذا كان وجوب إحداث السقوط الموصوف لاصابات رضية على الأقل ان لم يكن لما يجاوزها من الكسور ، فان الدفاع يتمسك بالرجوع في ذلك الى الطبيب الشرعي .

وتقرير الصفة التشريحية وفي ضوئه التقرير الطبي الشرعي إثر الكشف على الجثة صباح ١٧ من أغسطس . . . وصف الجثة بأنها . . « في دور التعفن الرمي المتقدم الظاهر على هيئة انتفاخ عام .

والذي يعنينا أن نقف عنده مما جاء بالتقرير أمر الديدان الرمية في عددها وفي الحجم الذي بلغته ، فهي منتشرة بكثرة في جميع أجزاء الجثة ، وحجمها يتراوح ما بين السنتيمتر الواحد وبين نصفه .

والقائم باجماع رأي العلم . . . أن هذه الديدان تبدأ بمظهر النشارة الخشبية بعد ما بين ٣٦ ، ٤٨ ساعة من الوفاة ، يعقبها فقس اليرقات في ثلاثة أيام الى أربعة ، ويكبر حجم اليرقات الى الحجم الكامل وأقصاه سنتيمتر واحد في مدة أقلها خمسة أيام ، وقد تصل الى سبعة ، حيث تتم الشرنقة في اليوم العاشر .

ومن ذلك نقف عند ثلاث حقائق . .

أولا : أن حجم الديدان في الجثة يدل على أنها بلغت ما بين نصف وسنتيمتر كامل .

ثانيا : أن هذا الحجم لا يكتمل إلا بعد مدة أقلها خمسة أيام من الوفاة .

ثالثا : أن الاعتراف على أن القتل كان يوم ١٤ أغسطس أي قبل التشريح بثلاثة أيام .

إذن فالوفاة تحققت قبل يوم الاعتراف ، ويكون الاعتراف حتى لو لم تعدل عنه صاحبته غير مطابق للحقيقة ، وتكون الدعوى قد تجردت من دليلها .

ومرة ثانية إن لم تقتنع المحكمة نتمسك بالرجوع الى كبير الأطباء الشرعيين .

* * *

وقضت المحكمة بالادانة . .

وسلمت في أسباب حكمها بما ساق الدفاع عن حديث العلم وعمر الديدان منسوبا لحجمها يوم غياب الطفل ، ولكنها قالت ان « ذلك الرأي يتحقق في الظروف العادية ، ولكنه لم يدخل في الاعتبار اثر العوامل الجوية المختلفة ، وطريقة وضع الجثة في جوال مدسوس بين أجولة وفي غرفة مغلقة ، وكل هذه العوامل مما يساعد على السير قدما بالتغيرات الرمية التي تطرأ على الجثة فلا تحتاج وهي في مكمنها للوقت الذي تحتاجه الجثة في غير هذه الظروف » . .

وطعنت المتهمة في الحكم بطريق النقض . .

ونقضت محكمة النقض الحكم لأن المحكمة وإن كانت الخبير الأعلى غير أنها أقحمت نفسها في مسألة لا تستطيع أن تشق فيها طريقها الا بالاستعانة برأي أهل الفن ، فقطعت دون الاستعانة برأي هؤلاء فيما لا يحسمه غيرهم من تأثر التغيرات الرمية بالعوامل الجوية ، ومبلغ هذا التأثر في الواقعة المطروحة .

وأعيدت المحاكمة . .

وجاء كبير الأطباء الشرعيين وأقر الدفاع فيما ذهب اليه ، وأكد أن التغيرات التي طرأت على الجثة وفي الظروف التي وجدت فيها تقطع أن الوفاة حدثت قبل اليوم الذي كان فيه « التطعيم » والذي حددته المتهمة لاقترافها جريمتها .

وقضى الطبيب الشرعي على سلامة الاعتراف . . . فقضى في الدعوى .

* * *

وبعد حكم البراءة وعودة المتهمة الى بيتها . . . جاء الأب الروحي للجميع « العمدة » يهنئها ، ومر بدار الأرملة الطروب ، ولكنها لم تعد أرملة إذ تزوجت لما غاب الذي كان يحول بينها وبين الزواج . . . غلام لا أصل له كانت تربيه . وكم تعللت للعمدة لما رغب في إضافتها الى زوجاته أنها منقطعة لتربية الغلام .

والتفت العمدة وهو في طريقه الى منزل نعيمة وطريقه من منزلها الى شرفة دار الطروب التي لم تعد أرملة وقد جلست فيها وزوجها الجديد . . . وكأنه يأسف ويتوعد . . . وصورة غلامها الذي اختفى ولم تبلغ عنه تخايله . . . وتطارده . □□

حريتها مشكلة وتقييدها مشكلة أكبر

بقلم : عبد الحميد الكاتب

□ الصحافة ما زالت مشكلة كبرى يحاولون علاجها ، وإن اختلف الأطباء المعالجون فيما بينهم في تشخيص الداء .. وفي وصف الدواء . !

أفتى جمال الدين الأفغاني بأنه يجوز للمسلم أن « يتعاطى » الصحافة .. وكلمة « يتعاطى » تحمل معنى الادمان أو الممارسة !

وكان هذا رداً على سؤال جاءه من أحد المسلمين البسطاء يسأله عما اذا كان من الجائز والمباح للمسلم أن يعمل صحفياً أو ان يكتب في الصحف أو لعله لم يكن مسلماً بسيطاً وانما أراد بسؤاله ان يؤاخذ الأفغاني على اشتغاله بالصحافة ، وان يقول له كيف يضع نفسه بين علماء الدين ، بينما هو يمارس عملاً لا يليق بعالم الدين الذي يحدث الناس عن الاسلام ومبادئه وشريعته ، ويقف بينهم موقف المفتي ، ويقف امام صفوفهم موقف الامام ؟

ولم يكن سؤال ذلك المسلم الا ترديداً لما كان عليه رأي أكثر المسلمين في ذلك الوقت بعد أن انتصف القرن التاسع عشر .. وكان هذا على الأخص رأي الشيوخ المشتغلين بأمور الدين ونظرتهم الى الصحافة نظرة فيها ازدراء وتحقير ..

حدث ذات مرة ان كان الأفغاني يحاور عالماً من علماء الشام اسمه الشيخ حسين الجسر ، وكان هذا الشيخ يكتب في جريدة اسمها « طرابلس » .. وكان يكتب متخفياً فلا يوقع مقالاته . وعلا صوت الأفغاني وهو يجادل الشيخ فيما كتب ، فطلب اليه الرجل ان يخفض صوته خشية أن يعرف الناس انه يكتب في الصحف فتنزل مكانته عندهم .. وصاح الأفغاني : لماذا تتخوف ولماذا تتخفى ؟ .. انني أكتب في الصحف .. وجميع الناس ، حكاماً وغير

حكام ، يعرفون انني أصدرت صحفاً في مصر . . وكتبت فيها المقالات العديدة . . واصدرت في باريس «العروة الوثقى » التي كان يقرؤها المسلمون في كل مكان . .

ولكن الأفغاني ـ على كل ما تميز به من جرأة ـ كان يتخفى احياناً فيما يكتب في الصحف فيوقعه باسم « مظهر بن وضاح » !

فهل كان سؤال ذلك المسلم البسيط عن جواز العمل بالصحافة ، وتخوف ذلك الشيخ العالم في الشام من أن يعرف عنه ويشاع انه يكتب في إحدى الصحف ، دلالة على تخلف المسلمين في ذلك الوقت حين كانوا ينظرون الى الصحافة نظرة فيها على الأقل الشك في انها عمل شريف ، نظيف ، ولائق بالأفاضل الشرفاء من الناس ؟ . .

الباشوية للصحف

وهل كان من دلالات التخلف في ذلك الوقت انشغل الرأي العام المصري بجميع طوائفه وطبقاته عندما تزوج الشيخ علي يوسف ، صاحب ومحرر جريدة « المؤيد » بابنة السيد البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر . . فرفع ابوها قضية أمام المحاكم يطالب بفسخ هذا الزواج لأن شخصاً يعمل في الصحافة لا يعد كفؤاً لابنة السيد الحسيب النسيب . . وقد حكمت المحكمة الشرعية وقاضيها الشيخ أبو خطوة بالتفرقة بين الزوج وزوجته وقالت في حكمها ان من يعمل في الصحافة ليس كفؤاً لمصاهرة الأشراف . .

ولم تحل المشكلة التي شغلت الناس في مصر فترة من الوقت الا بأن « ينعم » الخديوي على الشيخ الصحفي بلقب الباشوية « فارتفع بهذا الى مرتبة تؤهله للزواج من بنت الأشراف » . .

وظل يعمل بالصحافة ولكن اسمه الشائع اضيف اليه اللقب الرفيع . . وصار معروفاً باسم الشيخ علي باشا يوسف . .

ربما كانت تلك النظرة الى الصحافة ، وذلك الموقف من الصحفيين ، دلالة تخلف فكري واجتماعي . . ومن الناحية الأخرى فربما كان الناس يشعرون شعوراً فطرياً بأن هناك شيئاً ما في العمل الصحفي يعرض صاحبه احياناً الى الاقتراب من حافة الاثم والخطيئة . . أو حتى الى الغوص في أغوار الاثم والخطيئة !

ان هذه الكلمات الفجة ، الخشنة ، تبدو منطوية على الاسراف والمبالغة . . ولكن واقع الأمر أن العالم « المتمدين » جدا ما زال يدور في ذهنه ، وفيما يكتب ويقال حول مشكلة الصحافة ومشكلة الاعلام بوجه عام ، شيء من الخواطر التي كانت تساور عامة الناس وفقهاء الدين أيام الأفغاني وأيام الشيخ أبي خطوة ! ولكن بفارق واحد ، هو أنهم في الماضي كانوا يلقون اللوم على الصحفي ويحيطونه بالريبة والتخوف ، أما الآن فانهم يلقون باللوم وبالمسئولية على الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام .

فأما الصحفي فقد صار رجلاً محترماً أو سيدة محترمة ، له ولها في نظر الناس من العامة والخاصة على السواء قدر من الاحترام لا يظفر بمثله الا من يمارسون اعمالاً يجمع الناس على نفعها وخيرها وضرورتها ، ويولون القائمين بها قدراً كبيراً من الاحترام والتقدير ، مثل الأستاذ والمدرس والطبيب . والعالم والأديب ومن اليهم . . أما الصحافة ، فما زالت مشكلة كبرى يحاولون علاجها ، وان اختلف الأطباء المعالجون فيما بينهم في تشخيص المرض ، وفي وصف الدواء .

هل كل ما يعرف يقال ؟

وتوضيح ذلك أن الصحافة تقوم على أمرين : الخبر والرأي .

وكل ما تنشره الصحف لا يخرج عن أخبار سياسية واجتماعية وادارية وغيرها . . وعن آراء في شؤون السياسة الداخلية والخارجية وفي أمور المجتمع وشؤون الحياة .

وحتى ما يبدو أنه خارج نطاق الأخبار ، فهو أخبار . . مثل صفحة الوفيات أو نشرة الطقس أو مواقيت الصلاة ، أو برامج الاذاعة والتليفزيون الخ . . وكذلك ما يبدو أنه خارج نطاق الآراء ، فهو آراء . . مثل مقال في الأدب أو الفن أو الدين . . وقد يثير مقال من هذا القبيل اهتماماً وجدلاً أكثر مما تثيره مقالات في أهم شؤون السياسة ، ومثل هذا ما أثارته في الأيام الأخيرة مقالات عن جمال الدين الأفغاني ، وعن طه حسين .

والصور في الصحف هي جزء من الأخبار ، والرسم الكاريكاتوري يدخل في نطاق الآراء . . والاستطلاع الصحفي الجيد يجمع بين الخبر وما فيه من معلومات وبين الرأي بما يتضمنه من تعليقات ولا يبقى في الصحيفة بعد الخبر وبعد الرأي الا شيء بدأ منذ عهد قريب ، ويسمونه « الخدمة الصحفية » مثل شكاوي القراء ومطالبهم واستفساراتهم . . أما الاعلانات الصحفية فهي أمر آخر ، وهذه مشكلة أخرى ، فهي وان كانت خارج نطاق التحرير الصحفي الا أن لها تأثيرها ، وربما كانت لها سطوتها ، على التحرير خبراً ورأياً . .

ومشكلة الصحافة منذ بدأت حتى الآن تدو حول هذه النقطة : هل كل خبر ، وهل ك رأي ، يجوز نشرهما في الصحف ؟

هل كل خبر عن أمر واقع داخل بيت ، بيوت الناس ، أو في مكتب من مكاتب الحكـ والسياسة ، أو وقع في دائرة محصورة تضم عا

محدوداً من الأفراد ، يجوز أن ينشر في الصحيفة التي يقرؤها آلاف الناس ، ويقرؤها في بعض البلاد ومنها ـ مصر ـ مليون أو عدة ملايين من الناس ، فيصير هذا الخبر حديثاً يخوضون فيه ، ويتناقلونه فيما بينهم ، ويفسره كل منهم ويؤوله كما يريد . . فلا تبقى لذلك البيت حرمة ، ولا لتلك الحكومة سر يذاع ، ولا لتلك الدائرة المحصورة من الأفراد حقها أو حريتها في أن يتفقوا أو يختلفوا على أمورهم ومصالحهم ؟

هذا عن الخبر بوجه عام ، وكذلك الأمر عن الرأي . فهل كل رأي يتبادر الى ذهن الكاتب الصحفي أو يجول بخاطره ، يحق ويصح ان يديه على صفحة الجريدة أو المجلة الزائفة حتى لو صدم وآذى مشاعر الغالبية الكبرى من الناس ، سواء كانت مشاعرهم الدينية أو القومية أو الاجتماعية . . ؟ وحتى لو أراد أن يؤلب به الناس ويثيرهم على وضع من الأوضاع القائمة مثل نظام الدولة وقواعد المجتمع أو حتى لو أساء بما يكتبه الى شعب آخر وحكومة أجنبية فأثار بينها وبين حكومته وشعبه الخلاف والكراهية والعداء . . أو حتى لو تناول شخصية عامة بالتجريح ، والتشهير ، وقد تكون هذه الشخصية مكممة الفم معقودة اللسان بحكم وضعها السياسي ، أو بحكم الموت والصمت الأبدي .

ألا ترى أن حرية الصحافة في نشر الخبر ، وفي نشر الرأي ، أياً كان هذا وذاك دون قيود وبلا ضغوط . . مشكلة كبرى ؟

قيود الصحافة

وفي الوقت ذاته فإن تقييد الصحافة بقيود تفرضها الدولة ، ويفرضها انتماء الصحيفة انتماء سياسياً أو مذهبياً أو طائفياً ونحو هذا . . كل هذه القيود تخلق مشكلة أخرى أثبت التاريخ الحديث والمعاصر ، في الدول « المتمدنة » جداً وفي الدول المتخلفة أو النامية على وجه خاص ، انها مشكلة أكبر وأخطر من مشكلة حرية الصحافة . .

والقيود الماثلة أمام الناس هي القيود التي تفرضها الدولة بقوانين مسنونة معروفة ، أو بأساليب ادارية ملتوية تجعل المشرفين على الصحافة أشبه بموظفين في الحكومة يمتثلون لأوامرها ، ويضاف الى هذا أوامر يومية تصدر للصحف وتحدد لها ما ينشر من أخبار وآراء . . وقد يكون للحكومة رقيب أو رقباء لهم مكاتبهم وسط مكاتب المحررين والكتاب ، فيقرون ويرفضون ، ويحذفون ويضيفون ، فلا يخرج في الصحيفة خبر ولا مقال الا على الخط الذي ترسمه الحكومة .

والحكومات التي تقيد الصحافة لها فلسفتها ، قد لخصها هتلر في عبارات واضحة حين قال فيما قال : ان الصحيفة ليست الا وسيلة يتعلم بها الشعب بطريقة تلقائية افكار الزعيم الذي يرأس الدولة . . وكذلك قال وزيره للاعلام والتوجيه والرقابة ، دكتور جوبيلز : « ان مهمة الصحافة لا يمكن ان تؤدى الا من خلال ادراك الصحافة والصحفيين ادراكاً واعياً وعميقاً لمبدأ زعامة الدولة ، والاعتراف بهذه الزعامة دون قيود أو شروط ، ومن ثم يكون العمل الصحفي هو تهيئة المناخ ، وافساح المدى ، لارادة الزعيم ولسياسة الدولة ، كي تستقر في عقول الشعب ومشاعره ، وتؤتي ثمارها ونتائجها » .

ولكن هذه الثمار والنتائج كثيراً ما تكون كارثة على الشعب ، وعلى الدولة ، وعلى الزعيم . . وما جرى لألمانيا النازية نفسها هو الدليل الواضح على ذلك . . وكذلك ما جرى ويجري في معظم الدول الصغيرة والنامية ، ومنها ما حدث ويحدث في شتى بلادنا العربية ، من أحداث ماثلة أمام اعيننا ، أو قريبة من أذهاننا . . وكانت الصحافة المقيدة بقيود الحكم المطلق ، والزعامة التي لا تناقش ، مسؤولة أعظم مسؤولية عما حدث ويحدث للأمة ، وللزعامة المطلقة نفسها . .

ولا تنحصر مشكلة الصحافة وحريتها ، ومشكلة الصحافة وتقييدها داخل نطاق الدولة . . بل تمتد إلى الساحة الدولية بقدر ما لكل دولة من علاقات وتأثير ونفوذ في المجال الدولي . . فالصحافة المقيدة ، مثلها مثل الصحافة المتحررة ، تستطيع أن تفسد العلاقات بين الدول ، وبين الشعوب ، وان تجري في عقول الناس ومشاعرهم تيارات من الشك والخوف ، ومن الكراهية والعداء ، فيضطرب الأمن الدولي ويتعرض سلام العالم أو سلام اقاليم منه الى أخطار الحرب وويلاتها . .

والحروب ، كما يقول دستور اليونسكو ، تولد في عقول الناس قبل أن تنشب في ميادين القتال . . ولا يصنع عقول الناس في العصر الحديث أكثر مما تصنعها وسائل الاعلام من صحافة واذاعة مسموعة ومرئية . . وكلها صارت جزءاً لا يتجزأ من حياة كل فرد وكل جماعة ، وصارت عادة يومية من العسير جداً أن يقلع الانسان عنها ، بل تحولت العادة الى شعور بأن هذا الاعلام اليومي ، صباحاً ومساء ، ضرورة من ضرورات الحياة مثله مثل الطعام !

خطورة الصحافة والاعلام في ميدان العلاقات بين الدول والشعوب ، حملت الأمم المتحدة على أن تفكر في بداية عهدها وأيام فتوتها ، في أن تعالج مشكلة الاعلام فكان أول مؤتمر عقدته الأمم المتحدة مؤتمر « حرية الاعلام » الذي اجتمع في جنيف في ربيع سنة ١٩٤٨ وحضرته جميع الدول الأعضاء على اختلاف مذاهبها وأوضاعها السياسية والاجتماعية والحضارية .

وكان الهدف من المؤتمر وضع اتفاقية دولية خاصة بحرية الاعلام . . تكفل حريتها من ناحية وتحدد مسوليتها من ناحية . . وأخفق المؤتمر طبعاً في الوصول الى هدفه . فهذان خطان لا يلتقيان . . أو على الأقل فان الشقة واسعة جداً بين بلاد ترى ان هذه الحرية يجب أن تكون مطلقة من كل قيد يمنع نشر واذاعة أي خبر وأي رأي ، وبين بلاد ترى تقييد هذه الحرية فيما يتعلق بأمور عديدة داخل الدولة ، وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجية للدولة .

لماذا أخفقت في الاتفاق ؟

كان في المؤتمر جانبان على طرفي نقيض . . جانب تتصدره أمريكا ودول أوروبا الغربية تطالب بوضع اتفاقية تفرض على جميع الدول أن تفتح ابوابها للصحفيين والاعلاميين من الدول الأخرى لكي يروا ويسمعوا كل ما يريدون ، وان يجمعوا من الأخبار كل ما يستطيعون ، ولهم ان ينشروا ويعقبوا على كل شيء كما يريدون وبأي أسلوب يختارونه . هذا جانب يقابله جانب يتكون من الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية يطالب بأن تحرم الاتفاقية الدولية على وسائل الاعلام التشهير بالدول والشعوب الأخرى ، وتحرم عليها الدعاية الى الحرب وما يؤدي الى الحرب ، وان تلتزم الدول باخضاع وسائل الاعلام فيها لشروط وقيود ملزمة . .

أما الدول الأخرى من آسيا وافريقيا والعالم العربي ، وكان عددها قليلا وصوتها غير مسموع وسط الاصوات الجهيرة للدول الكبرى ، فكانت تريد أن تحترم وسائل الاعلام في الدول الكبيرة مشاعر الناس في الدول الصغيرة سواء كانت مشاعر دينية أو قومية أو اجتماعية ، وان تكون وسائل الاعلام مفتوحة للحديث عن مطالب الشعوب الصغيرة التي كان اكثرها في بداية عهده بالاستقلال أو مازال يسعى الى هذا الاستقلال ، والتي كانت تستشرف آمالا وأماني في التقدم الاقتصادي والاجتماعي . . . وطبعا ضاع صوت هذه الدول الصغيرة وسط الدخان المتصاعد في قاعة المؤتمر ، وان بقي منه صدى يتردد في السنوات الاخيرة عندما يتحدثون في

لامم المتحدة وفي اليونسكو عن شيء اسمه « النظام العالمي الاعلامي الجديد » .

النظام العالمي الاعلامي الجديد

وانتهى المؤتمر الكبير الى اشياء قليلة منها وضع « سطر » من الكلمات يمكن إدخالها في الاعلان لعالمي لحقوق الانسان الذي أصدرته الامم لمتحدة في تلك السنة . . ١٩٤٨ في العاشر من شهر ديسمبر .

وكانت الكلمات المقترحة عامة ومطاطة ، تقبل التفسير والتأويل على أي وجه من الوجوه ، فكانت المادة التاسعة عشرة من الاعلان التي نصت على ان : « لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير ، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل ، واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية » .

وحتى هذه الكلمات العامة وردت عليها قيود وشروط اخرى عندما تحول الاعلان العالمي لحقوق الانسان ـ وهو مايتضمن مبادىء واهدافا لاتلتزم بها الدول وانما تهتدي بها وتسترشد الى اتفاقية دولية للحقوق السياسية المدنية التي صدرت في سنة ١٩٦٥ فنصت في مادتها التاسعة عشرة والعشرين على ان : « ممارسة حق حرية التعبير تحمل في ثناياها التزامات ومسؤوليات خاصة ، ويجوز لهذا السبب أن تتعرض لبعض القيود ، التي يجب ان تكون بنص القانون ، وبالقدر الضروري فقط

(أ) من أجل احترام حقوق الاخرين وسمعتهم

(ب) ومن اجل حماية الامن القومي أو النظام أو الصحة العامة أو الاخلاق العامة . .

أما المادة العشرون من تلك الاتفاقية الدولية فربما كانت أكثر وضوحا وتحديدا فنصت على أن : « أية دعاية للحرب تحظر بمقتضى القانون » وأن « أي تشجيع للحزازات القومية أو العنصرية أو الدينية من شأنه أن يشكل تحريضا على التمييز أو الاعمال العدائية أو العنف ، يحظر بمقتضى القانون » . .

وكذلك انتهى المؤتمر الى وضع اتفاقية جانبية اسمها « اتفاقية حق التصحيح الدولي »فاذا رأت الدولة ان رسالة اخبارية تسيء الى هيبتها وكرامتها القومية ، أو تسيء الى علاقاتها بدول أخرى ، وان تكون هذه الرسالة قد نقلت من بلد الى آخر عن طريق المراسلين أو وكالات الأنباء ، وانها عارية عن الصحة أو مشوهة ، فانه يجوز للدول أن تصدر بيانا أو تصحيحا وترسله الى الدول الاخرى . . فتلتزم هذه بابلاغ البيان أو التصحيح الى الصحيفة أو وكالة الانباء المسؤولة . . ولكن هذه غير ملزمة بنشر التصحيح !

ثم ماذا ؟

وحاولت الامم المتحدة بعد هذا وعلى مدى سنين طويلة ان تضع اتفاقية دولية تكفل حرية الصحافة ، وتحدد مسؤوليتها الدولية . . وألفت لجانا واختارت مقررين ووضعت دراسات . . ولم تنته الى نتيجة ما ، فانتهت أخيرا الى صرف جهودها الى شيء آخر هو محاولة اقامة نظام اعلامي عالمي جديد يقوم أساسا على كسر احتكار استقاء الأنباء ونشرها على وسائل الاعلام الكبرى ، في ثلاث أو اربع دول كبرى هي على وجه التحديد الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي . . ويطالب الدعاة الى هذا النظام الجديد بأن يكون للدول النامية مكان ونصيب في استقاء الانباء ونشرها في العالم ، كما يطالبون بأن ترعى الدول الكبرى والمتقدمة مشاعر ومصالح شعوب البلاد النامية .

وهكذا بقيت الصحافة والاذاعة والتلفزيون تتأرجح بين الحرية والمسؤولية . . وبقيت الصحافة والاعلام مشكلة ، وبقي تقييد الصحافة والاعلام مشكلة أكبر . □□

حديث الذكريات بين شاعر و.. قصّاص

بقلم : خالد سعود الزيد

الشاعر . . . خالد سعود الزيد

□ أما الشاعر فهو خالد سعود الزيد ، وأما القصاص فهو فهد الدويرى . . . ترى كيف كان اللقاء وكيف سار الحوار بين الأديبين الكويتيين .

هو فهد بن يوسف المنيس [١] (دون تشديد) . ولقد عاش والده يتيما في كنف أخواله (آل الدويرج) فنسب اليهم . و (الدويرج) عائلة كويتية معروفة ، قدم أسلافها من (نجد) .

وينطلق الكويتيون (الجيم) (ياء) كما هي عادتهم فيقولون : (الدويري) . ولقد ظل والده يلقب نفسه في رسائله باسم (المنيس) الى أن مات ، ولكن غلب عليه اسم أخواله وغلب على بنيه . فلقد نسي فهد اسم أسرته وتلقب باسم أخواله ، واشتهر بذلك بين الناس .

وحدثني : أنه حين كان يعمل مع المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح قال له ذات مرة : أنت (ابن المنيس) فلماذا تلقب نفسك باسم أخوالك فأجابه فهد :

وهل أنا إلا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

فضحك كثيرا رحمه الله لهذا الجواب .

واعود الى مولده ونشأته ، ولد عام وفاة حاكم الكويت المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح [٢]

---

(١) المنيس : بتشديد الياء أسرة أخرى معروفة

(٢) حكم الكويت بعد وفاة والده عام ١٩١٤ وتوفي ١٩٢١ م رحمه الله

القصاص . . . فهد الدويري

فهد الدويري

* من أوائل الكتاب الذين كتبوا القصة القصيرة في الكويت .
* يعتبره بعض النقاد أنه « أول من حرر القصة في الكويت من لغة السرد والحكاية ، وأسبغ عليها ثوب المعاصرة » .
* لم يصدر قصصه في كتاب خاص حتى الان ، الا أن الاديب خالد سعود الزيد جمع له ١٤ قصة منشورة منذ سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٥٢م في صحف ومجلات الكويت ونشرها في كتاب « أدباء الكويت في قرنين ـ الجزء الثاني » الصادر سنة ١٩٨١م .
* توقف عن كتابة القصة لزمن طويل ، الا أنه عاود كتابتها في هذه السنين الاخيرة القليلة ، وجاءت قصصه المنشورة مواكبة لما استجد على كتابة القصة من تطورات فنية وموضوعية .
* عضو في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت منذ سنة تأسيسه ١٩٧٣م
* عضو المجلس الاعلى الاستشاري للاعلام في الكويت الذي تأسس عام ١٩٨٣م .

وفي نفس الشهر في فبراير من عام ١٩٢١ م . ولقد كانت تربط والده بالشيخ سالم علاقة قوية ، فكان أحد أصفيائه وخلصائه المقربين . وكان الشيخ سالم متدينا شديد التقوى فبالرغم مما مارسه الانجليز عليه من تضييق ليعادي الأتراك العثمانيين في الحرب العالمية الأولى إلا أنه ما كان يرى في معاداتهم الا خروجا عن الملة والدين . وكان (يوسف الدويري) واحدا من مؤيدي سياسته فكان يشد عضده ويؤيده في منحاه .

ويقال إن جماعة ممن يعادون سياسة تركيا في المنطقة كتبوا رسالة الى المقيم البريطاني في الكويت يقولون فيها : انه ما دام (يوسف الدويري) لصيقا بسالم فلن تستقيم لهم سياسة في الكويت . واقتنع المقيم البريطاني بما كتبوا فبعث الى نائب الملك فى الهند يستشيره فى الأمر ، ويطلب منه الرأى فما كان من نائب الملك الا أن أمر بترحيله إلى الهند وتسييره اليه .

ونفي (يوسف الدويري) الى الهند وظل في (الاقامة الجبرية) وبقي هناك سنتين وبضعة أشهر .

لقد نفي على شكل متعسف لم يعط فيه خيارا ولا فرصة لتدبير شؤونه فهو تاجر ثري واسع الثراء . وجاءه الأمر بغتة لم يجد فيه متسعا . فأوكل أمر تجارته الى المرحوم (أحمد العبد الجليل) . وحين عاد من منفاه وجد أن السيد (أحمد العبد الجليل) قد أفلس تماما والقدر أحيانا لا يرحم . ومما زاد الأمر سوءا ، والطين بلة أن تتزامن هذه الأحداث مع حرب

(الجهراء) .

وعلم الشيخ سالم بما آل اليه حال صاحبه ، فوعد خيرا بعد أن تستتب الأمـور وتتهيأ الفرص .
لقد وعد أن يعيد كل الذي خسره ولكن القدر كان بالمرصاد فتوفي سالم وولد صاحبنا (فهد) بعد وفاته أو قبلها بأيام فكان شؤما على والده ـ كما يقول ـ ورحل والده الى البصرة ليرفع دعوى ضد (كوكس) الحاكم البريطاني للعراق .

قال لي فهد !

وقال لي (فهد) : إن أبي ذهب الى العراق لكي (يؤذن في مالطة) كما يقول المثل المعروف .

واستقر والده في البصرة الى أن توفي عـام ١٣٦٠ هـ ـ ورحل اليه فهد بعد أن أكمل دراسته في المدرسة (المباركية) ، ودرس هناك في البصرة في مدرسة تسمى المدرسة (الرحمانية) كما يدرس فيها أساتذة أجلاء من مـدن العراق كافة وهي مدرسة دينية .

درس (فهد) فيها الفقه على المذهب الحنبلي فكـان يتوضـأ كلما أكـل لحم جـزور ولا يـرى الاستنجاء بالعظم الرميم .

ومن ذكـريات (فهـد) في هذه المـرحلة أن والده كان يباهي به أصحـابه ويفتخـر بذكـائه وفطنته . فأراد (فهد) أن يزيده اعجـابا فقـد سمع والده وهـو يتحدث في مجلسـه عن اللغة وكان مطلعا ويقرأ كثيرا ، فقال فهد : ان الناس يكتبـون كلمة (ثـوم) بـالثـاء وهي في القـرآن (بالفاء) كما جاءت فيه على لسان بني اسرائل ثم استشهد بالآية (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلهـا وقثائهـا وفـومهـا وعـدسهـا وبصلها) ، ولا تسألوا عما حدث بعد ذلـك ، فلقد أفاضوا في مدح (فهد) وأكثروا . وأطنب والده في مدحه وسحب ذيل الفخار .

عـاد الى الـكـويت ويـقـي زمـنـا فـيـهـا ثم سافر (فهـد الدويـري) الى البصـرة عـام ١٩٣٧ م ، وأقام بها ثلاث سنوات تقريبا ، ثم عـاد الى الكويت ، وعمـل في الجمرك البـري (وموقعه ملاصق لبوابة نايف مقابل مبنى وزارة (الاعلام) الجديد حاليا) .

ومما يتذكره وهو في هذه المرحلة من عمره أنه كان هو وجماعة من الشباب يجلسون في ديوانية [٣] واحدة وفي عام ٤٣ ـ ١٩٤٤ م حاولت البعثة المصرية للتعليم أن تغير في مناهج التعليم وكان على رأس البعثة الأستـاذ (علي هيكـل) وكان يتولى بنفسه عملية تنسيق المنهج وتنظيمه ليتفق مع روح البيئة في الكويت وفي نفس الوقت يبقى متناسقا ومتفقا مع المنهج المصري لتقبـل بعثات الكويت في مدارس القاهرة وجامعاتها .

ويبـدو أن الأستاذ (علي هيكل) قـد مس مطامع الشباب فيما يتعلق باللغة الأجنبية التي كان الشباب يتوقـون لتقويتهـا لديهم لأنـه قلل من حصصها ، واختصر بعض مواد المنهج . فكثر اللغط واتهم بما ليس به جديرا .

وكان للأستـاذ (هيكل) رأي بسطه وتبناه سنطرحه في غير هذا المـوضع . فثـار الشباب ونقموا عليه

قومة رجل واحد

ويقـول (فهد) : قمنـا قومـة رجل واحـد وكتبنـا المناشير باليـد في الديـوانية ، وأخـذنـا نوزعها ليلا ، كل في طريقه الى بيتـه يسقط في الشوارع بعضها وينثر بعضها الآخر . فأصبح الناس وقرأوها وقامت بلبلة في البلد . وما كانت

(٣) الديوانية عند أهل الكويت تشبه المنتدى يتجمع فيه رجـال الحي من شيب وشباب . تجمع على دواوين أو ديوانيات . بعض هذه الديوانيات يفتتح بعد صلاة الفجر وبعضها بعد شروق الشمس وبعضها ظهرا وبعضها بعد العصر وبعد الغروب وبعد صلاة العشاء لكل وقت منتداه ولكل منتدى جماعة على شاكلة واحدة .

هذه الفعلة في الكويت شيئا معهودا على هذه الصورة التي أفزعت الأمن وقام رجاله يتحرون عن مسببيها .

وألقي القبض أخيرا على الشباب وكانوا ستة أشخاص ، فسجنوا وضرب بعضهم وعزر .

وبعد هذه الحادثة انتقل الى مجلس الشورى وكان المجلس في ذلك الحين مجرد لجنة تموينية لأن العالم في حالة حرب عالمية ثانية . وكان الشيخ عبدالله السالم الصباح رحمه الله يشرف على عملية التموين ويترأس اللجنة فعمل سكرتيرا له . وظل في عمله هذا الى أن أصيب ببوادر مرض رئوي سافر بسببه للعلاج الى لبنان حيث أقام سنتين متصلتين عاد بعدها الى عمله . وانتمى حين عاد الى (نادي المعلمين) . وكان النادي يقبل في عضويته شبابا من غير (سلكه) .

مع الصحافة

لقد جاءه (حمد الرجيب) و (أحمد العدواني) وطلبا منه مشاركتهما في اصدار مجلة شهرية تصدر عن اللجنة الثقافية في النادي . واستجاب لهما وعرض عليهما بعد أيام قائمة بأسماء المجلة الموعودة فاختارا (الرائد)اسما للمجلة الموعودة وصدرت الرائد في أول مارس من عام ١٩٥٢ واستمرت في الصدور سبعة عشر شهرا توقفت بعدها عن الصدور حين أغلقت النوادي والجمعيات في عام ١٩٥٤ .

كانت (الرائد) تصدر شهريا وتطبع في (بيروت) . فما كان بمقدور أصحابها ومؤسسيها متابعة الأحداث التي كانوا يودون عرضها على المواطن في (الكويت) فأصدر النادي مجلة أسبوعية أطلق عليها اسم (الرائد الأسبوعي) واستمرت مع (الرائد) الأم حتى سدت النوادي .

مع القلم

لقد عاش (فهد) حياة فكرية خصبة . قرأ كثيرا في الشعر والنثر ، وما زال يقرأ لا يمل القراءة في الشعر والنثر . لذلك أعطى عطاء موفورا يحمد عليه ويشكر .

لقد كتب في بداياته قطعا صغيرة يعاقب عليها القانون الكويتي ، لذا نشرها في جريدة (السجل) البصرية لصاحبها (طه العاني) ثم كتب في جريدة (الثغر) البصرية أيضا عدة مقالات .

وكتب عن (فلسطين) منذ بداية عام ١٩٤٨ في جريدة (البلاد) و (الزمان) العراقيتين البغداديتين . ومعظم هذه المقالات كانت سياسية من بنات الوقت .

لقد عالج كتابة القصة قبل عام ١٩٤٨ لكنه لم ينشرها حيث لم يستقم له من أمرها شيء يرضاه .

محاولاته مع القصة

وذكر لي عن محاولته الأولى في القصة كيف تم أمر بدايتها معه ، وكيف توافد عليه موضوعها .

قال : كنت قاعدا على دكة قرب جامع يقع على سيف البحر ، وكان بقربي جالسا بدوي حمار ، أعرفه كل المعرفة . أخذ يقص علي حكاياته مع (الاخوان) وكيف انتسب اليهم وهو غير مؤمن بدعوتهم . فحكي أنه انفرد يوما برجل في الصحراء فقتله ، ولما مد يده إلى جيوب القتيل لم يجد لديه إلا ريالا واحدا فندم .... ثم تاب الى الله واستقر في الكويت .

واستهوت الحكاية (فهدا) فراح يرسمها بقلمه وكانت تلك أولى محاولاته في كتابة القصة .

لقد كتب هذه الحكاية لكنه لم ينشرها وضاعت منه ولم يعد اليها .

وفي شهر يوليو من عام ١٩٤٨ م صدر العدد الأول من مجلة (كاظمة) لصاحبها ومؤسسها الأستاذ (عبد الحميد الصانع) رحمه الله . وولي

رئاسة تحريرها الأستاذ (أحمد السقاف) ، يعاونه مجموعة من الشباب منهم صاحبنا (فهد) .

وكتب (فهد) أولى قصصه في العدد الأول من مجلة (كاظمة) بعنوان (من الواقع) ، وقد جاءت قصته (من الواقع) مشفوعة بمقدمة وخاتمة ، حاول أن يرسم منهجه من خلالها ونظرته فهو يقول في (مقدمتها) على لسان صاحبه :

قال لي صديقي وهو يحاورني في موضوع القصص الخيالي والواقعي : إني أصر على أنه ينبغي لكتاب القصة أن يدركوا أن في الواقع ما يفوق الخيال ، ومن ثم فإن عليهم أن يكتبوا الواقع الذي يسجل التاريخ النفسي للمجتمع ليدرسوا في قصصهم ما انطوت عليه النفس الانسانية من مشاعر وأحاسيس عوضا عن أن يخلقوا أشخاصا لا يعيشون إلا في قصصهم وحدها . ذلك أن القصص الخيالي إنما يعكس الناحية النفسية للمؤلف أما أحداث الواقع فانها تعرض صور المجتمع على حقيقتها .

قلت : أنا معك ... ولكن قصص الواقع يا صديقي ضئيلة جدا ، وقليل ما تصلح للعرض الفني .

قصة واقعية

قال : سأقص عليك الليلة قصة عاصرت أحداثها وسأقنعك بوجهة نظري عندما أسرد عليك من وقائع الحياة ما أعرفه أنا وحدي .

ويروي الدويري فيها قصة أحد أمراء البحرين ساس الناس بالعدل والرحمة ، وحل في عهده الرخاء والأمن ، فحمده الناس مما أثار حقد أعدائه عليه . وذات ليلة دخل الأم[...] مغسله آمنا مطمئنا وما أن رفع فتيل السراج [...] فاجأه رجل شاهر سيفه يريد قتله فتقهقر للو[...] ولكن عناية الله ألهمت المجرم مغبة جريمته وس[...] فعلته ، فسقط من يده السيف فأقبل إليه الأ[...] ولاطفه وهدأ من روعه ، ونادى أحد الخ[...] قائلا : (لقد وجدت هذا المسكين يتمشى القصر .... فائتنا بطعام له .) وبعد أطعمه ألبسه كسوة وقال له : (اسمع يا هذا أحاول منك معرفة من دفعك ... إني أريد أعرف كم أعطوك من المال ...

- سآتيك به .... انه ألف روبية ..

فنادى الأمير : إئتونا بخمسة آلا[ف] روبية ......) و (دفعها الى المجرم و[...] يقول : أريد أن تعاهدني على أن لا تهدف لل[...] بعد الآن .. أتعاهدني ؟) .

وفي خاتمة القصة يقول الدويري على لسـ[ان] صاحبه : (هذه يا صديقي قصة من الحياة [...] خصائص انسانية سامية وفيها عظة .... حا[ولت] أن تسبكها كما يفعل القصاصون وسأقص عل[يك] غدا قصة أخرى لأريك أن في الحوادث الحقي[قية] قصصا كثيرة ، حرية بالتسجيل ....)

ومن هذا التعقيب والمقدمة نستشف م[...] الدويري وخطه القصصي . فهو يستفيد من [...] الحكايات الشعبية والقصص التي يرويها النا[س] فيطرحها باطار قصصي فني معاصر وقد يسـ[...] عليها من مشاكل الحياة ما يبعث فيها رو[ح] حركية لتدل على المعاصرة والواقع المعاش . فعل في قصة (الشيخ والعصفور) التي نشره[ا] مجلة الرائد) عام ١٩٥٢ م . ويقول [...] الدكتور سليمان الشطي [4] (هذه القصة [...] عن وجود كاتب موهوب قادر متمكن من القصة ، وكان يمكن أن يعطي الشيء الكثير فقصته متماسكة مقنعة للقارىء وعلى الرغم

(٤) (الصوت الخافت) مجموعة قصصية لسليمان الشطي نشرها عام ١٩٧٠ وقدم لها بتمهيد عن القصة في الكويت .
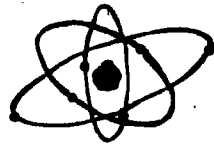
بنك المعلومات يفتح أبوابه لكل أصدقاء العربي الصغير كي يسحبوا منه المعلومات . . . وينتظر منهم ـ كما تفعل - البنوك ـ أن يودعوا معلوماتهم ليسحبها أصدقاء آخرون .

مادة الحياة

الأحماض الامينية وحدة بناء الخلية الحية التي تكونت باتحاد بعض المركبات بفعل الحرارة والبرق واشعاع الشمس . ثم أخذت الأحماض في الاتحاد بعضها مع بعض تكون مادة بروتينية ثم انقسمت حتى نشأت سلسلة الحياة الأولى .

وقد حدث تغير في تركيب الغلاف الجوى حيث ازدادت نسبة الاوكسجين مع نقصان في نسبة ثاني اكسيد الكربون عن طريق عملية البناء الضوئي .

صدق أو لا تصدق

هل تصدق أن فرانك كيث ـ وهو من أهالي احدى الولايات الامريكية ، يستطيع وهو معصوب العينين أن يتلمس بيده اليسرى أى اسم أو عبارة مكتوبة على لوحة أمامه ، ويستطيع أيضا أن يكتب هذا الاسم أو هذه العبارة بيده اليمنى على لوحة أخرى خلفه ، وأن يكتب الكلمات في وضع مقلوب أو مبتدئا من آخر الكلمات .

هل تعلم.. ؟

أن الاساطير القديمة كانت على
تعبيرا عن علاقة ما بين الانسان و
الفرد وعقيدته ـ وبناء على ذلك قد
تعبيرا عن الطقوس الدينية أو تعبيرا
مجموعة أفكار يعرف منها أصل المج
مؤسساته المختلفة .

وأن هناك علاقة ما بين الفص
والاساطير . ففصل الربيع يمثل بد
البشرى على الارض .

وفصل الصيف يقترن بصورة ال
وفصل الخريف يتعلق بحدث الا
الهدامة ، وتعرض الارض للخطر
أما فصل الشتاء فيعنى انتهاء الح

جزر بهاما

يصل عدد جزر بهاما أكثره من
يمثل معظمها نتوءا صغيرا من اليابس
عن سطح البحر وتبعد اقربها عن
فلوريدا بحوالى ١٠٠ ميل . وتسم
بهاما .

ويعيش سكان هذه الجزر على زراعة بعض المحاصيل مثل الطماطم والأناناس ، وبعض السكان يعملون في تصدير الاسفنج ، والبعض الآخر يستخرج الملح من مياه البحر ورغم أن الجزيرة قريبة من الولايات المتحدة الأمريكية الا انها تابعة لبريطانيا . عاصمة الجزيرة يطلق عليها اسم « ناسو » وفي الشتاء تهب عليها رياح عنيفة تعصف بكل شيء وتسبب كثيرا من الخراب والتدمير .

أبو المنجل

أبو المنجل طائر منقاره اسطواني الشكل ، لونه أحمر ، ينتمي لأسرة « اللقالق » ويوشك هذا الطائر على الانقراض . ومن عادته ان يبني عشه في الاشجار العالية جدًا ، ويعيش على الاسماك الصغيرة في مياه الجداول . ولا يوجد الآن من هذا الطائر في العالم الا عدد قليل جدا ، ففي اليابان يوجد أربعة طيور فقط واثنان في الصين .

ماهذا

هذه الصورة ليست لكأس من الايس كريم أو مجموعة الفواكه المثلجه انه شيء آخر تماما .

فهو إحدى التحف الأثرية التي توجد الآن في المتحف البريطاني ويعرف باسم كأس « ليكو رغوس » . اذا نظر اليه من خلال الضوء المنعكس يبدو أخضر اللون ، اذا نظر اليه من خلال الضوء المباشر يبدو أحمر اللون أرجوانيا نصف شفاف .

وفي الزمان القديم كان تلوين الزجاج إحدى علامات الابداع البشري وكان يتم باضافة كميات من المعدن الى مزيج المواد المكونة للزجاج وهي مادة « السيليكا » بعد صهرها وتبريدها ببطء .

أيضا كانت كأس الماء تصنع بنفخ الزجاج المنصهر في قالب وباضافة ساق اليه وتشكيل قاعدة له ونزع الزوائد منه .

وكانت الأدوات عبارة عن أنبوب للنفخ وقضيب وملقط ومقص وصفيحة دردج ، وكان الزجاج يصهر في بادىء الأمر في بوتقات ثم استخدمت الأفران بعد ذلك .

وفي العصر الروماني مزجت المادة الزجاجية بكمية من معدني الذهب والفضة فكان هذا الكأس التحفة .

ابن الفقير.. حكاية شعبية

بقلم : صبحي كردي

منذ قديم الزمان كان لرجل فقير زوجة وابن ، وفي احد الأيام قرر المسكين ان يقتل نفسه . خرج وأوصى زوجته الأ تنتظره . وراح ـ يسير على غير هدى ولمدة طويلة حتى التقى برجل بادره بالسؤال بعد ان رأى علائم الأسى مرسومة على وجهه : الى اين ؟

ـ اتركني ، أريد أن أموت . .

فطلب الرجل منه بلطف ورجاء قائلا : ـ لا تقتل نفسك . خذ هذا المزمار هدية مني لك وأعطاه المزمار .

وسار الرجل يبحث عن الموت . لا عرف كم مضى من الوقت وهو يمشي حتى التقى بعابر سبيل فسأله هذا الرجل : الى أين أنت ذاهب ؟

أريد أن أموت . .

ـ لا تقتل نفسك . وخذ هذه القبعة هدية مني لك ، وأعطاه القبعة ، وتابع الفقير طريقه حتى التقى برجل ثالث فسأله الرجل : الى أين تذهب ؟

فأجابه أريد أن أموت . . . فقال له

ـ لا تقتل نفسك . عندي هذه المحفظة سأعطيك اياها .

أخذ الرجل الفقير المحفظة ثم فكر طويلا ورجع الى البيت ، ومضت الأيام ومات الرجل تاركا زوجته وابنه في فقر مدقع لا يملكان إلا دجاجه واحدة . . تجمع الام بيض الدجاجة فيأخذها الابن الى السوق ويشتري بثمنها خبزا يقتاتان به . قال الولد لامه ذات مرة : لكيلا اريد ان
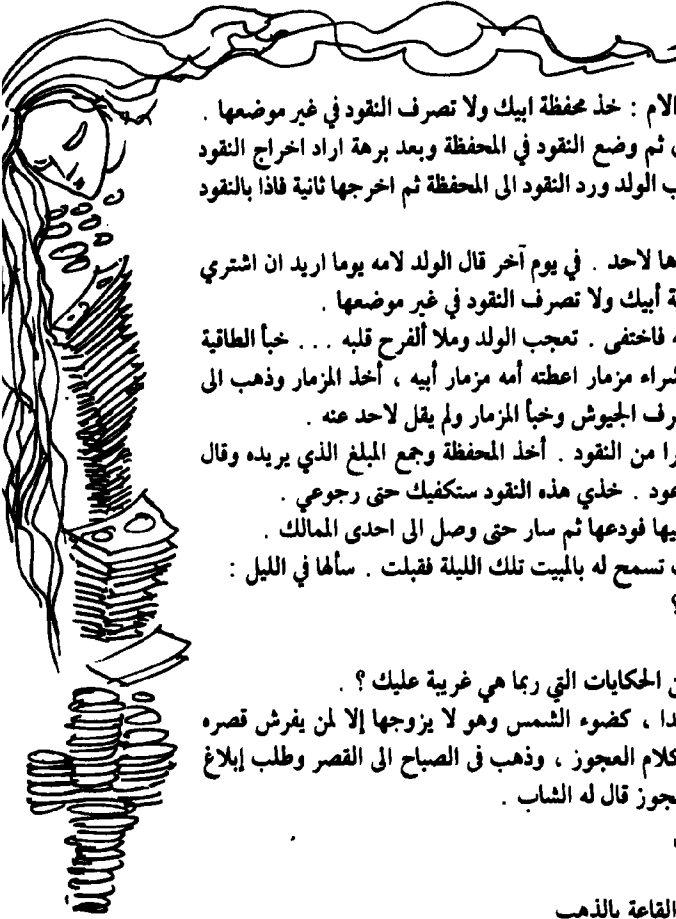
اشتري محفظة تضيع النقود مني قالت الام : خذ محفظة ابيك ولا تصرف النقود في غير موضعها .
أخذ الولد البيض وباعه في السوق ثم وضع النقود في المحفظة وبعد برهة اراد اخراج النقود من المحفظة فوجدها مضاعفة . تعجب الولد ورد النقود الى المحفظة ثم اخرجها ثانية فاذا بالنقود قد تضاعفت مرة ثانية .
فهم الولد سر المحفظة ولم يفش سرها لاحد . في يوم آخر قال الولد لامه يوما اريد ان اشتري « طاقية » قالت الام : طاقية خذ طاقية أبيك ولا تصرف النقود في غير موضعها .
أخذ الوالد الطاقية ووضعها على رأسه فاختفى . تعجب الولد وملأ الفرح قلبه . . . خبأ الطاقية ولم يقل لأحد عن سرها وحين اراد شراء مزمار اعطته أمه مزمار أبيه ، أخذ المزمار وذهب الى الحقل ليعزف الالحان وعندما نفخ صرف الجيوش وخبأ المزمار ولم يقل لاحد عنه .
وفي ذات يوم قرر ان يجمع مبلغا كبيرا من النقود . أخذ المحفظة وجمع المبلغ الذي يريده وقال لأمه : سوف ارحل ولا اعرف متى أعود . خذي هذه النقود ستكفيك حتى رجوعي .
رجته أمه الا يذهب ، لكنه لم يصغ اليها فودعها ثم سار حتى وصل الى احدى الممالك .
ذهب الى بيت عجوز وطلب منها انت تسمح له بالمبيت تلك الليلة فقبلت . سألها في الليل :
ماذا يوجد عندكم ؟ وكيف تعيشون ؟
اجابت العجوز :
ـ آه يابني ماذا تريد أن أقص عليك من الحكايات التي ربما هي غريبة عليك ؟ .
عندنا ملك عجوز . له ابنة جميلة جدا ، كضوء الشمس وهو لا يزوجها إلا لمن يفرش قصره بالذهب . فرح الشاب عندما سمع كلام العجوز ، وذهب فى الصباح الى القصر وطلب إبلاغ الملك بحضوره ، وعندما استقبله العجوز قال له الشاب .
ـ اني اطلب يد ابنتك لتكون زوجة لي
قال العجوز :
ـ ازوجك ابنتي ، اذا فرشت لي هذه القاعة بالذهب
وافق الشاب وطلب من العجوز أسبوعا . واخذ محفظته وراح يضع فيها الذهب ويفرغها حق ملأ القاعة في مدة أسبوع .
جاءت اليه الفتاة الجميلة وقالت له من اين جئت بهذه الذهب كله ونحن لم نرك تجلبه لا على الجمال ولا على الحمير أو الخيل .
لم يرد الشاب البوح بالسر ، لكنها رجته ان يفعل وأصرت على ذلك فانحلت عقدة لسانه وأفشى لها بالسر ـ سرقت الفتاة المحفظة وطردته .
حزن الشاب وراح يفكر في الثأر منها . ذهب الى الحقل وأخرج مزماره ونفخ فيه فانتشرت الجيوش فأمرها ان تسير وراءه الى الملك .
رأت الفتاة الجيوش فخافت وخرجت اليه بنفسها ضاحكة :
لماذا جئت بالجيوش ؟ أنا لك . أردت تعذيبك قليلا
صدق الشاب الفتاة وصرف الجيوش ودخل الى القصر ،
جلست الفتاة الى جانبه وبدأت تداعبه وترضيه قائلة :
أنا طوع أمرك دائما . لن اتزوج غيرك ـ لكن قل لى من أين جئت بهذه الجيوش الكثيرة ؟ فلم يتكلم . لكنها ألحت عليه وانحلت عقدة لسانه من جديد فباح لها بالسر اخذت منه المزمار وطردته ، غضب الشاب وراح يفكر بالثأر منها .
أرتدى طاقية الأخفاء وأخذ ابرة وذهب الى غرفة نومها وراح يخزها بها ويعذبها حتى اعترفت له . . اين تخبيء « المزمار » والمحفظة . . فأخذهما ثم استدعى جيوشه وسار معهم حتى وصل الى قريته ليعيش مع أمه من جديد بعد ان عاقب هذه الفتاة الشريرة ، فقد ظلت الابرة تخزها كلما

حصان التسلية الذى اصبح دراجة نارية

في البداية كانت الدراجة آلة خشبية مؤلفة من عجلتين على خط واحد تصل بينهما عارضة عليها مقعد .

وكان من يركب الدراجة يجلس على العارضة ويسير الآلة رافسا الأرض بكل من رجليه على التوالي . كانت تلك هي دراجة القرن الثامن عشر .

في عام ١٨٣٤ استطاع بارون الماني ويدعى كارل فون « درايز » صنع آلة مشابهة انتشر استعمالها في بريطانيا والمانيا وعرفت يومها باسم « حصان التسلية » .

بعد ذلك تطور حصان التسلية على يد مهندس « اسكتلندي » وأصبح يعمل « بالطاقة » .

وقد صمم هذه الدراجة بطريقة تجعل الدواستين هما المحرك الذي يدفعها الى الامام والخلف . ثم تطور عمل

هاتين الدواستين فأصبحتا تديران العجلة الأمامية مباشرة . ولم يمض على ذلك سوى أربع سنوات حتى انتشرت صناعة الدراجات ووصل رقم الانتاج في فرنسا ٤٠٠ دراجة سنويا وهو رقم كبير في عالم انتاج الدراجات في تلك الفترة .

في عام ١٨٨٨ وقع حدث هام .

فقد استطاع جون دنلوب أن يخترع الاطار الهوائي ، واعتبر ذلك ابتكارا فنيا جديدا ، فقد ساعد هذا الاطار على تخفيف الصدمات الناتجة عن خشونة الطريق . قبل ذلك كان ناقل الحركة الى العجلة عبارة عن حزام من الجلد معرض للقطع أو الانزلاق تحت المطر ، وكان يتم تشغيل المحرك بادارة الدواسة بالرجل أو بالدفع . . . اذ يدفع الراكب بالعجلة الى الامام ويجري الى جانبها ثم يقفز عليها ويجلس على القدمين بعد اشتغال المحرك .

وبالتطور التكنولوجي تطورت صناعة الدراجات وتعددت أشكالها . . . . فمن الدراجة الخشبية الى الدراجة الصغيرة التي يمكن طيها ووضعها في صندوق السيارة لاستخدامها في المدن .

ثم الدراجة النارية . . . وهي الدراجة التي استعملت في الحرب العالمية الأولى حيث استعملها الجيش البريطاني باضافة عربة جانبية جهزت بمدافع رشاشة .

وقد تميزت دراجات ما بعد الحرب العالمية الثانية بمحركات صغيرة سريعة الدوران . حتى ان بعض هذه الدراجات وصلت سرعتها الى ٢٧٥ كيلو مترا في الساعة ، مما جعل أوروبا تنتج الآلات من دراجات « سكوتر » . وبانتشار استعمال الدراجات وتعدد وظائفها حيث لم تعد وقفا للتسلية فقط ، دخلت صناعة الدراجات مجال المنافسة بين أوروبا واليابان . . . حيث بدأت احدى الشركات اليابانية تغزو الأسواق الغربية بدراجاتها الصغيرة والسريعة أيضا التي تصل سرعتها الى ٢١٠ كيلو متر في الساعة .

وللدراجة الحديثة . . . . واقيات من الوحل ومصابيح كهربائية تغذيها بطاريات أو مولد كربائي . . . وقد تكون مجهزة بجهاز أمان « . . وأداة لنقل السرعة . وتشمل التوابع فيهاحاملة اضافية للأمتعةبشكل رف مركب في المؤخرة . . . وسلة أمام ذراعي التوجيه . . . وحاملين مركبين على جانبي العجلة الخلفية .

ويكون هيكل الدراجة مصنوعا من أنابيب فولاذية ، ملحومة بالنحاس أو الفولاذ وفي حالة اللحام بالنحاس . . تقطع أنابيب بأطوال معينة وتزج في تجاويف ثم تثبت في أماكنها بواسطة النحاس المصهور ، أما في اللحام بالفولاذ فلا تستعمل التجاويف ، بل تجمع الأنابيب بواسطة الفولاذ المصهور لاعطاء وصلات أقوى من الأنابيب ذاتها .

وتدور العجلة الخلفية بسرعة تفوق سرعة العجلة المسننة التي تديرها الدواستان ، وللعجلة المسننة الكبيرة ٤٨ سنا . بينما لا تحتوي العجلة المسننة الصغيرة أكثر من ١٨ سنا ، ويمكن للمسننات المتغيرة اعطاء سرعات مختلفة دون تغير جهد الدواستين .

أخيرا . . . . وبعد هذه الجولة السريعة في عالم الدراجات يمكن أن نخرج بحقيقة بسيطة تقول . . . ان الدراجة هذه اللعبة الصغيرة التي نستعملها في وقت الفراغ . . . ليست إلا نتاج جهد فكري ومحاولات قادت بعضهم الى الفشل . . لكن كان النجاح هو النتيجة الأخيرة لهؤلاء المخترعين .

عندما يتحدث المكان

القدس

عندما يتكلم المكان .. ويتحرك التاريخ عبر الزمان ليحكى لأجيال جديدة حكايات قديمة عن الوطن العربي .

فماذا يقول :

أنا مدينة القدس .. مدينة العقائد والتاريخ .. والابطال . على أرضي يوجد المسجد الاقصى .. حيث أسرى إليه برسول الله ﷺ ليلا من المسجد الحرام .

وعندى قبة الصخرة المشرفة ، وهى بناء فوق صخرة المعراج التى عرج بن فوقها النبي ﷺ الى السماء في نفس ليلة الاسراء .

وفي جزئى الجنوبي يوجد حائط البراق . وهو جزء من جدار الحرم الشريف ويبلغ طوله حوالى خمسين مترا وارتفاعه عشرين مترا . ويعد من الأملاك الاسلامية .. لانه يشكل جزءا من الحرم الشريف وله علاقة وطيدة باسراء النبي عليه الصلاة والسلام .

أما الحرم الشريف فهو المكان الذى يقدسه المسلمون داخل القدس القديمة ويقع على جبل (سوريا) ويبعد عن الصخرة المشرفة مسافة ١٠٠ متر تقريبا وتبلغ مساحته ٥٠٠ متر طولا × ٣٠٠ متر عرضا . وقد تعرضت هذه الأماكن المقدسة للعدوان الاسرائيلي اكثر من مرة ـ حدث ذلك خلال هدم ومصادرة الاملاك العربية القديمة حول الحرم الشريف لازالة معالم الحضارة الاسلامية وطرد السكان العرب منها تمهيدا لتهويد المدينة المقدسة . ثم تكرر العدوان بإحراق المسجد الأقصى .

ذلك هو أنا .. مدينة القدس ..

مدينة غنية بالتراث والحضارة ..

هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادي .
ولد في بغداد .. واليها يعود اسمه .
عالم لغوي وأديب . درس الحساب
والرياضيات والكيمياء . نبغ في العلوم
العقلية والفلسفية والطب .

كان من مجموعة العلماء والفقهاء الذين
نبغوا في المراكز العلمية المشرقية التي
كانت تتركز في بغداد والبصرة وخراسان
والحجاز ومصر ، مما مكنهم من خلق
قاعدة عريضة للاهتمام بالعلوم الانسانية
من جميع أبعادها .

ترك تأثيرا واضحا في الحركة العلمية
المشرقية التي أخذت تنتقل وتؤثر تدريجيا
في بلاد الأندلس منذ قيام الحكم العربي .
[illegible] في مصر ، واشتغل بالتدريس
في الأزهر الشريف ونبغ في العلوم
والصنائع العربية .

ظرفاء العرب

جلس عدد من « الفشارين » يتبارون . . . أيهم اكثر فشرا وأعظم مبالغة .

قال الأول . . ركبت البحر ومعي أحد الاصدقاء واذا بطائر كبير في منقاره فيل ، وعلى كتفه فيل .

قال الثاني . . رأيت عند أحد الصيادين سمكة تطبخ وتغسل وتكنس وترش الارض بالماء . وقد اخبرني صاحبها بأنه أخذها صغيرة وعلمها القراءة ، وأنها حفظت عشرين قصيدة من الشعر الجاهلي .

وقال الثالث . . رأيت « طاوسا » طول جناحيه ثمانون ذراعا ، وكان اذا فرشها يستظل بظلها الف فارس .

وقال رابع . . مشينا على ضرس رجل من الفراعنة خمسة أيام طوال حتى بلغنا آخره .

وقال خامس . . لقد رأيت في احدى المدن بقرة كبيرة عليها خمسون قنطارا من الخشب يجرها وعل .

هب السادس واقفا وكان أكبرهم سنا وقال حقا لقد أجدتم . . وأثبتم أن الفشر ملح الرجال ، فأبقوا على ما انتم عليه لأن من شب على شيء شاب عليه .
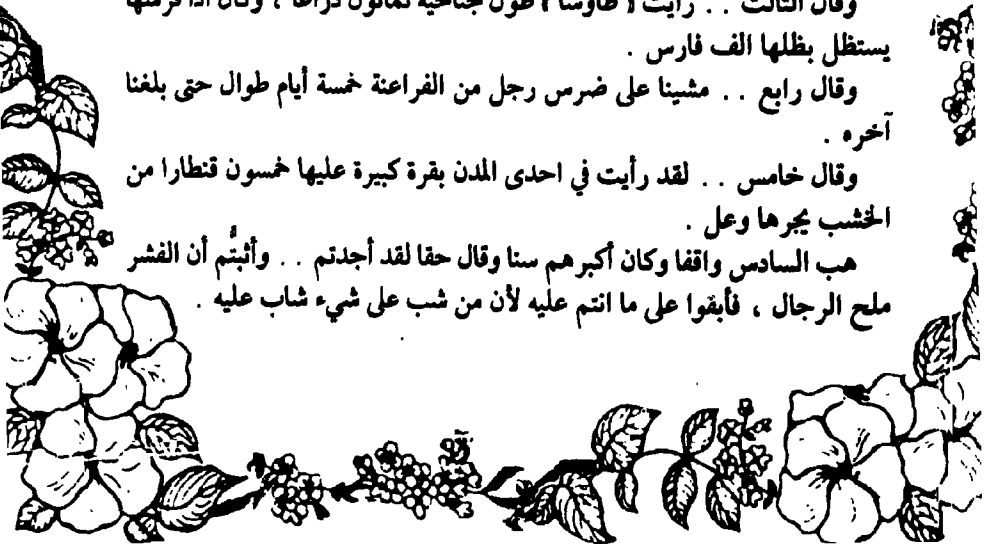
بحر المعرفة

طيور

على الأرض ٨٦٠٠ نوع من الطيور تصنف الى ١٥٠ فصيلة من بينها ست فصائل عاجزة عن الطيران وهي .. النعام .. السرية الشبنم ... الامو ... والبطريق ... والكيوي .

ولهذه الطيور العاجزة أجنحة وان كانت لا تستعملها .. وقد كانت هذه الطيور فيما مضى تمارس حريتها في الطيران الا أن وجودها الدائم على الأرض أفقد أجنحتها وظيفتها ... ومعظم هذه الطيور ان لم يكن كلها ذات حجم كبير ، وان كانت النعامة هي أكبر الطيور العاجزة حجما . أما طائر « الكيوي » فهو يبدو وكأنه لا ينتمي الى فصيلة الطيور ، فأجنحته صغيرة لا ترى ... يعتمد في طعامه على حاسة الشم .... كذلك طائر البطريق فهو يسبح تحت الماء بواسطة زعانفه ، ويغير اتجاهه بتحريك قدميه .

معادن

النفط والغاز مادتان معدنيتان تتألفان من جزيئات تحتوي على الهيدروجين والكربون وهو دليل وجود حياة قديمة في المنطقة التي يوجدان بها . اذ كانت أعداد كبيرة من النباتات الدقيقة والحيوانات التي تأكل هذه النباتات تعيش في البحار . وعندما تموت تسقط أجسامها في الأعماق فيغمرها الطفال والصخور الرملية بفعل النشاط البكتيري ... فيطفو النفط والغاز بسبب اختلاف كثافتيهما ويرتفعان من خلال الصخور الرملية .

ويمكن للنفط أن يكون بركة في تجاويف الصخور .. وأحيانا تشكل الشعاب المرجانية الاحفورية وقاع الأنهار خزانات مستطيلة متعرجة للنفط والغاز .

حيــوان

هل يستطيــع أي كائن أن يبتلع جسـما أكبر منه؟

الأفعى تستطيع أن تفعل ذلك . . . ويقول العلماء ان السبب بسيط وهـو أن فكي الأفعى الأعلى والأسفل مرتبطان معا بنسيج مطاط ، فاذا صـادفت الأفعى أو (الثعبان) فـريسـة كبيـرة الحجم ، فتحت فكيها الى أقصى حد ثم تبـدأ عمليـة الالتهـام التي تـأخـذ شكلين : مضـغ الفريسة حتى يتم سحقها . . . . أو بث السم في جسم الفريسة أولا ثم التهامها بعد ذلك .

وفي الحالين لا تتقيد (الحية) بحجم الفريسة المسكينة .

إنســان

جسم الانسان هو بيت العجائب الذي احتاج فهمه آلاف السنوات وآلاف المجلدات . . وقد حاول الكثير من العلماء فهم أول ما يصادفنا في هذا الجسم وهو الجلد . . . . فماذا وجدوا ؟

يقولون انه ليس مجرد غلاف خارجي لجسم الانسان لكن له وظائفه الحيوية . انه نسيـج لا يخترقه الماء وهو خط الـدفاع الأول ضـد غزو الأجسام المؤذية وهو أحد وسائلنا للحس ، كما أنه يلعب دورا في تكيف حرارة الجسم ، فعندما ترتفع درجة الحرارة تفرز الغدد عرقا على سطح الجلد ، وعند تبخر العرق يشعر الانسان ببرودة الجلد ، وفي الجسم (٢) مليون غدة عرقية تقوم بمهمة تلطيف درجة الحرارة وتخليص الجسم في نفس الوقت من الفضلات السائلة .

إن كنتم أذكياء

هذه مجموعة من الأسئلة تنتظر منكم الاجابة عليها . قد يكون بعضها صعبا ، لكن لا بأس من الرجوع الى من هم أكبر منكم لمساعدتكم . وسننشر اسم الفائز الأول أو الفائزة الأولى مع جائزة مالية قدرها عشرة دنانير كويتية أو ما يعادلها . يكتب حل المسابقة رقم ـ ١٤ـ

طيور

* هل تستطيع الطيور أن تحوم طويلا حول الماء ؟
* اذكر نوعا أو نوعين من هذه الطيور .
* هل تحتاج الطيور الى الجري طويلا حتى تستطيع الطيران ؟

شهور

أطلق العرب على هذه الشهور صفات معينة اذكرها .

١ ـ جمادي الأولى
٢ ـ ربيع الأولى
٣ ـ شعبان
٤ ـ رجب

سؤال . .

هل الفحم نوع من الصخور ؟

فنون

(. . . . . . .) أحد اشكال السفن القديمة

أكمل هذه الجملة . ثم اذكر الأدوات التي استعملت في ذلك .

أمثال

ـ اللي يأكل على ضرسه . . . .
ـ العين بصيره و . . . .

هذه الأمثال أعتدنا ان نقولها في مناسبات خاصة . اذكرها مع تكملة المثل .

موسيقا

* من مؤلف السيمفونية التاسعة ؟ .
* هناك لحن عربي لأغنية خاصة بأحدى الحروب العربية الأسرائيلية ثم تحول الى نشيد وطني يتردد في اكثر من اذاعة عربية

اذكر اللحن والنشيد .
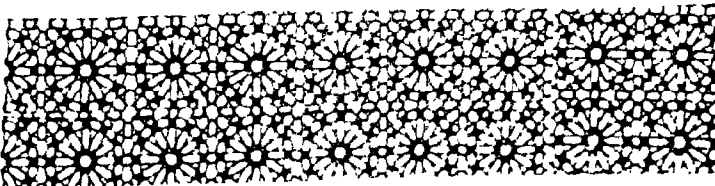
حل مسابقة العدد الماضي

مسابقة الكلمات المتقاطعة

أفقي :

١ ـ شاعر عربي معاصر
٢ ـ من أشهر لوحات ليوناردو دافنشي ـ متشابهان .
٣ ـ عملة آسيوية ـ حرف أبجدي ـ فيه شفاء للناس .
٤ ـ متشابهان ـ حطم (معكوسة) ـ فاس .
٥ ـ من الفواكه ـ من الوالدين ـ من الظواهر الطبيعية (معكوسة)
٦ ـ المزارع (معكوسة) ـ رال (مبعثرة)
٧ ـ حكايات باللهجة الكويتية (معكوسة) ـ مداوي
٨ ـ ولع (مبعثرة) ـ أتوده في الصلاة (معكوسة)
٩ ـ نصف ظريف ـ ملكي ـ ثلثا يأتي
١٠ ـ بروتوكولات (معكوسة) .
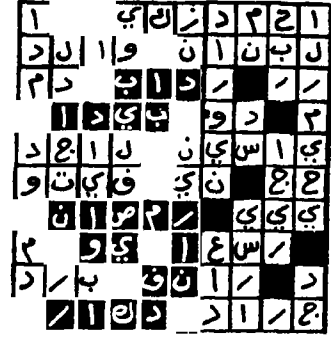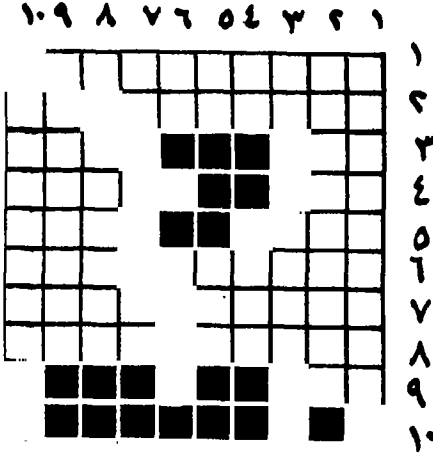
رأسي :

١ ـ كاتب مصري معاصر .
٢ ـ مسلسل تلفزيوني تأليف فتحي غانم مثله محمود مرسي .
٣ ـ للتخيير ـ في البيض .
٤ ـ كساد ـ نصف كلمة وفاه (معكوسة) ـ جمع
٥ ـ ممر مائي عربي هام
٦ ـ سكان الصحراء ـ أداة نفي
٧ ـ متشابهان ـ لامع
٨ ـ ممثل كوميدي عربي
٩ ـ زعيم عربي
١٠ ـ من قصص نجيب محفوظ .

ترسل الاجابات إلى مجلة العربي (العربي الصغير) ص ب ٧٤٨ لكويت

أنه نص على أن القصة من صميم الواقع الا أنه لم يكن عبدا لهذا الواقع ، فقد تصرف وعمق اللحظة الفنية ، وإن كانت قدرته قد تخلفت في بعض المواضع قليلا) (٥) .

الصريح .. والقصاص

لقد كان (فهد) واحدا من مؤسسي مجلة (الرائد) التي أصدرها نادي المعلمين ، وكان واحدا من محرريها حتى توقفت عام ١٩٥٤ . ولقد كان له نشاط معروف في تحرير مجلة (كاظمة) عند صدورها عام ١٩٤٨ وقد توقفت بعد ثمانية أعداد .... وكان ينشر في مجلة (البعثة) قصصا ومقالات في مواضيع شتى .

لكن موهبته كقصاص لم تتشكل حقا الا على صفحات مجلة (الرائد) . لقد نشر في (الرائد) قصصه مذيلة باسمه الصريح أحيانا وبكلمة (قصاص) أحيانا أخرى .. ونشر مجموعة قصصية وعظية قصيرة ، استمدها من التراث ، وأسقط عليها اسقاطات معاصرة . فهي تعالج بصورة رمزية مشاكل العصر من سياسية واجتماعية بلغة أدبية عالية . وقد ذيلها بلفظ (عجوز) كأنما هو قد أراد أن يوحي لقارئه بأنها قصص من تجارب (عجوز) مجرب ، عركته الحياة ، وعرك الحياة . فكان من حصيلة هذه المعاركة هذه الشذرات التي سبكها على لسان (عجوز) .

ولعل في نشر واحدة منها هنا ما يرشد القارىء الى منحاه فيها وغرضه منها . لقد نشرت الرائد هذه المجموعة تحت عنوان (قصص عتيقة) . ولكل قصة عنوانها .

كتب فهد تحت عنوان (متى يدافع الشعب ؟) قال :

(دعا بعض أمراء أوربا وزيره ذات ليلة وقال له : لقد علم قلم المخابرات من مصادر وثيقة ، أن العدو مقبل لغزونا ، فاذهب وأعلن التعبئة العامة وجند كل فرد قادر على حمل السلاح . فتلكأ الوزير الجرىء فقال له الأمير : مالي أراك واجما ؟ أفصح . فقال له الوزير الجرىء : يا مولاي لو علم الشعب أن العدو مقبل لهلل وكبر . فقال له الأمير : وكيف ، تتهم الشعب بفقدان الحماس الوطني ؟ قال الوزير الجرىء : إسمح لي أن أصارحك بالحقيقة المرة وهي أن الشعب لا يرى فارقا كبيرا بينك وبين العدو المهاجم ، لقد صادرت حريات الشعب وحرمت عليه أبسط الحقوق المدنية واستوليت على أراضيه ووزعتها على ندمائك وسمارك ، فكيف أدعو الشعب للدفاع عن أمير لا يجد في حكمه شيئا من الاطمئنان والحرية والعدل ، أو للجهاد في سبيل بلد لا يملك الشعب شبرا من أراضيه ؟!

فأطرق الأمير برهة ثم قال لوزيره : إذهب فورا وأعلن الدستور ووزع الأراضي على الفقراء والمحتاجين . ففعل الوزير .

وبعد أيام أقبل العدو المهاجم فأعمن الوزير التعبئة العامة ، فاحتشد الشعب صغارا وكبارا ، رجالا ونساء وخرجوا إلى العدو وأفنوا جنوده عن آخرهم وهزموه شر هزيمة .)

هذه واحدة من قصصه (العتيقة) التي ذيلها بكلمة (عجوز) . وقد كتبت بلغة سهلة مصقولة وحرف عربي مبين .

ولقد توقف (فهد) عن الكتابة بعد هذه القصة القصيرة وذلك لتوقف مجلة (الرائد) عن الصدور حتى طال توقفه . لقد حبس قلمه عن الناس حتى كاد ينساه الناس ، وحتى ظنه بعضهم (عنقاء مغرب) ، ثم خرج علينا يكتب في القصة من جديد بعد ثمانية وعشرين عاما . فكتب على صفحات مجلة (العربي) ومجلة (البيان) التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت .

وتوحي هذه العودة أنه لم يتوقف عجزا بل لأمور سنشرحها فيما بعد إذا أذن الله . □□

(٥) طالع القصة في كتاب أدباء الكويت ـ الجزء الثاني ، صفحة ٥٢٠

أطباء من الكويت لكل العرب

على درجات السلم في المدخل الرئيسي لمبنى كلية الطب ، وقف الخريجون الأطباء بعد الانتهاء من مراسم الاحتفال بتخريج أول دفعة منهم على أرض الكويت . . فرحة النجاح على الوجوه .

الأب والأبناء . . أمير الكويت حرص على أن يكون في مقدمة الذين شهدوا هذا اليوم التاريخي وشارك فيه . . الأمير يصافح إحدى الخريجات مهنئا بعد أن سلمها شهادة التخرج .

☐ العلم أعظم أثرا من أي سلاح ، فنحن نبني وعدونا من حولنا يدمر . . إن كل مدرسة وكل جامعة في وطننا العربي ، مدفع موجه الى قلب هذا العدو .

أقسم بالله العظيم .

● أن أراقب الله في مهنتي . .

● وأن أصون حياة الانسان في كافة أدوارها . في كل الظروف والأحوال باذلا وسعي في استنقاذها من الهلاك والمرض والألم والقلق .

● وأن أحفظ للناس كرامتهم . وأستر عورتهم . وأكتم سرهم .

● وأن أكون على الدوام من وسائل رحمة الله ، باذلا رعايتي الطبية للقريب والبعيد ، والصالح والخاطىء ، والصديق والعدو .

● وأن أثابر على طلب العلم ، أسخره لنفع الانسان . . . لا لأذاه .

● وأن أوقر من علمني ، وأعلم من يصغرني ، وأكون أخا لكل زميل في المهنة الطبيه متعاونين على البر والتقوى . .

● وأن تكون حياتي مصداق ايماني في سري وعلانيتي ، نقية مما يشينها تجاه الله ورسوله والمؤمنين .

والله على ما أقول شهيد

لأول مرة يتردد هذا القسم على أرض الكويت وتحت سمائها عندما احتفلت كلية الطب بجامعه الكويت وشاركها احتفالها الشعب الكويتي ، وأبى الوالد الكبير ـ أمير دولة الكويت ـ الا أن يكون هناك بين أبنائه الأطباء الذين يمثلون أول دفعة تتخرج في الكلية التي مضى على الاعداد لها عشر سنوات . ففي الستينيات ولدت الفكرة ، وفي عام ١٩٧٣ بدأ تنفيذ اقامة كلية للطب تابعة للجامعة التي كانت أول صرح علمي كبير في منطقة الخليج .

وجاء الأمير ليحتفل مع أبنائه بهذا « العيد القومي » العلمي الذي اخترنا أن ننقل جانبا من احتفالاته في عيد الكويت الكبير . . عيد استقلالها . . وعلى المنصة وقف الأمير يحيي أبناءه الأطباء من الشبان والفتيات الذين اصطفوا أمامه حاملين شعلة أنبل وأعظم رسالة ، ثم سلمهم شهادات التخرج . . . . لقد تحققت الأمنية التي سعوا من أجلها على مدى سبع سنوات كاملة من الدرس والتحصيل . . وتحققت الأمنية مرة أخرى عندما اتجهت الأبصار كلها الى هؤلاء الرواد الدين دخلوا تاريخ الطب في الكويت لقد كان يوما مشهودا ، أو كما قال الدكتور

الدكتور عبداللطيف البدر عميد كلية الطب المساعد للشئون الاكاديمية يتلو القسم في حفل التخرج .
ويردده الخريجون وراءه .. قال : « الطلبة في الكلية على مستوى عال »

يعقوب الغنيم ، وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة ، إن هذا اليوم كان بالنسبة له أشبه بالحلم عندما شارك مع زملائه قبل خمسة عشر عاما في التخطيط لانشاء كلية الطب بالكويت . . . ثم قال إن خريجي كلية الطب الكويتية أثبتوا مستواهم الجيد في الدراسة بالكلية من أول يوم لعملهم بوزارة الصحة .

« إن باكورة الانتاج هي صفوة ممتازة من الخريجين » .

عيد قومي

وربما نجد في كلمات الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة المعنى الذي ذهبنا اليه في بداية هذا الحديث ، فقد قال : « إنه عيد قومي ، وعرس تتلألأ فيه هذه البراعم الشابة من أبناء الكويت البررة » . ولم ينس الوزير أن يتقدم بالشكر لعميد كلية الطب والأساتذة لحرصهم على توفير الامكانات ومواكبة التطور للخروج بهذا المستوى .

وأكد الدكتور عبد الرزاق العدواني مدير جامعة الكويت ما ذهب اليه وزير الصحة في حديثه عن هذا اليوم التاريخي في حياة أبناء الكويت عندما قال : « إن انشاء كلية الطب في الكويت قد حقق أحلامنا » ، ثم شرح معنى الحلم الذي تحقق عندما قال : « إننا لا نستطيع أن نستمر في استيراد الأطباء من الخارج خاصة وأن جميع الدول تسعى الى تطوير خدماتها الصحية والتوسع فيها ، ولا شك أن وجود كلية طب وطنية في الكويت سوف يساهم في رفع مستوى الخدمات الصحية وتقدم البحث الطبي » .

كانوا تسعة وثلاثين خريجا من بينهم ٢١ طبيبا وطبيبة من أبناء الكويت . . نجحوا جميعا بتقدير جيد وجيد جدا وامتياز مع مرتبة الشرف ، وكانت أولى الدفعة سناء صبحي ناصر التي حصلت على الامتياز في مختلف فروع الطب .

لقد كانت « العربي » هناك تسجل بالكلمة والصورة احداث هذا « العيد القومي » الذي أضافت به الجامعة عيدا جديدا يحتفل به هذا القطر العربي والوطن العربي كله ، فهذا الانجاز العلمي هو الهدف الذي قال عنه بعض الذين شاركوا في الاحتفال :

الدكتور يعقوب الغنيم وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة قال في كلمته : « ان باكورة الانتاج هي صفوة ممتازة من الخريجين .. هذا اليوم كان حلما » .

الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة : « انه عيد قومي ، وعرس تتلألأ فيه هذه البراعم الشابة من أبناء الكويت البررة »

الدكتور عبد الرزاق العدواني مدير جامعة الكويت : « لا شك ان وجود كلية طب وطنية في الكويت سوف يساهم في رفع مستوى الخدمات الصحية وتقدم البحث الطبي »

الطبيب موسى حداده ممثل الخريجين .. ألقى كلمة عبرت عما يحمله في صدره هو وزملاؤه من مشاعر في هذا اليوم الذي حملوا فيه الرسالة

الطبيبة سناء صبحي ، بعد أن تسلمت شهادة التخرج ... لقد صفقوا لها طويلا لنجاحها بامتياز مع مرتبة الشرف (الى اليسار فوق)

الدكتور موسى خداده الذي اختير لالقاء كلمة الخريجين ... هو ايضا من الناجحين بتفوق (الى اليسار تحت)

« انه أكبر أثرا من أي سلاح من أسلحة الدمار . . . فنحن نبني بينما عدونا من حولنا يهدم . . إن كل مدرسة وكل جامعة تقوم في قلب الوطن العربي ، هي مدفع موجه الى قلب هذا العدو ! » .

رحلة مع الأساتذة

بدأنا رحلتنا داخل الجامعة مع بعض المسؤولين والأساتذة . . .

وكان لقاؤنا الأول مع الدكتور عبد اللطيف البدر العميد المساعد للشؤون الأكاديمية بكلية الطب . قلنا نسأله : « ماذا بعد التخرج . . . بعد حصول الطبيب على البكالوريوس ؟ » .

قال : في أية كلية طب في العالم يدرس الطالب كل الفروع ويتخرج كطبيب عام وليس اخصائيا ، ومن ثم فان الطالب يمر في دراسته الاكلينيكية على كل التخصصات ويأتي التخصص دائما بعد نيل البكالوريوس . فحين يتخرج الطالب يقضي أول سنة في التنقل بين مختلف التخصصات حتى نعطي فرصة أكبر للطالب لتحديد تخصصه . فاذا اعتزم الطالب التخصص في الجراحة مثلا يتقدم لدراستها ، وتستمر فترة الدراسة أربع سنوات يكون رئيسه خلالها متتبعا لخطواته ، وبعد هذه الفترة يشهد القسم أن الطبيب تخرج وأنه تخصص في الجراحة العامة إن نجح في امتحان الشهادة العليا ، واذا أراد التخصص في جراحة معينة كجراحة القلب مثلا فهو يحتاج لثلاث سنوات أخرى ، هذا النوع من الدراسات لما يتوفر في الكويت بعد ، ولكنه قادم باذن الله .

ويقول الدكتور البدر : « والطلبة في الكلية على مستوى عال جدا ابتداء من المرحلة بعد الاعدادية ، فالطالب في المرحلة الاعدادية يتم قبوله على أساس المعدل في الشهادة الثانوية ، ويحدث أحيانا أن يخطىء البعض في تحديد اتجاههم وهؤلاء غالبا ما ينسحبون بطبيعة الحال ، ولذا فنحن نناشد الطلبة أن يختاروا الكلية التي تتناسب وميولهم حتى لا يتعرضوا للترك أو التحويل .

ولكي نزيد من حماس الطالب ونرفع مستواه العلمي فاننا نتشدد في المقررات والمواد التي تدرس له حتى نضمن وصول الطالب للمرحلة قبل السريرية ، وهو على مستوى عال من الكفاءة .

وهناك مستوى تحدده الكلية للطالب في المرحلة الاعدادية يسمح له على أساسه بدخول المرحلة السريرية ، ومن لا يحالفه النجاح يفصل من الكلية ، على أساس أنه غير قادر على الاستمرار في الدراسة . وقد قمنا بتمديد المرحلة قبل السريرية الى سنة ونصف حتى نعطي للطالب فرصة أكبر لاستيعاب المادة فقد يكون ضعفهم ناتجا عن ضعف لغتهم .

ويمضي الدكتور البدر في حديثه : يقوم رؤساء الأقسام في شهر مايو من كل عام بالاجتماع مع مساعد العميد للنظر في أمر الطلبة الذين يكثرون من الغياب حيث يرفع أمر الطلبة الذين يزيد غيابهم عن الحد المقبول لمجلس الكلية لحرمانهم من الامتحان النهائي واعادة السنة ، أما الطالب القادر على ايفاء أيام غيابه خلال فترة الصيف عن طريق المواظبة على الحضور في المستشفى والتدريب تحت أيدي الأطباء هناك ، فنسمح له بالتقدم للامتحان شريطة تقرير يقدمه الطبيب المدرب يفيد فيه عن نشاطه خلال فترة التدريب فاذا اجتاز الامتحان بنجاح ينقل للسنة التالية .

ان أساتذتنا في الكلية من الأساتذة القدامى المشهورين في الجامعات العالمية وبعضهم من حديثي التخرج من جامعات عريقة ، وتلك النخبة من الأساتذة هي التي تحدد المستوى الذي يجب أن يتوفر في طلبة الكلية .

وفي امتحان نهاية كل فصل دراسي هناك ممتحن خارجي من جامعات أمريكية وأوروبية يسهم مع الممتحنين من الكلية في كتابة التقارير عن مستوى الطلبة للعميد ، واجمالا ، فالجميع يقر بأن طلبة الكلية على مستوى عال ومساو للطلبة في الجامعات العالمية الأخرى .

عميد جامعة ساوثمبتون البريطانية ، كان ممتحنا خارجيا للطلبة في الطب الباطني وقد أدهشه المستوى الذي وصلت اليه الكلية وطلبتها ، وقال انه بالرغم من أن عمر كليتنا مساو لعمر الكلية في الكويت الا أنكم تعديتم مستوانا بمراحل . طلبة الكلية يلمون أيضا بالنواحي النظرية مما يؤهلهم للتحكم في الناحية العلمية .

ويقول الدكتور البدر : نحن في حاجة للطبيب الملم بالتدريس الحديث والمدرب على مستوى عالمي لأنه سيكون عضوا فعالا في أي مستشفى لأن الاعتماد الكلي يكون على مجهوداته وبحوثه ، فهو يناقش الطبيب القديم في الحديث في الطب ، والجديد في طرق العلاج مما يساعد على التطور .

مع رئيس قسم أمراض النساء

وحدثنا الدكتور حسان حتحوت أحد أقدم أعمدة الطب والعلم والمعرفة في الوطن العربي عامة وفي الكويت خاصة ، ورئيس قسم أمراض النساء والولادة في كلية الطب بجامعة الكويت عن الكلية التي أحبها وأعطاها من علمه وبحوثه الكثير . . قال :

المستوى فائق فقد كان اختيار الطلبة بادىء ذي بدء على أساس تفوقهم فى الدراسة الثانوية بدون اعتبارات أخرى ، فهم خلاصة الخلاصة من ناجحي الثانوية العامة . . وقد لاحظنا على مدى السنين بعضا من الانسحابات في آخر السنة الدراسية الأولى ممن آنسوا أنهم ليسوا على

الاستاذ الدكتور حسان حتحوت : « شهادات الممتحنين الخارجيين القادمين من الشرق والغرب ، تضع كلية الطب الكويتية في طليعة الكليات » .

مستوى مشقة الدراسة ولا يبقى بعدهم الا المكافحون الأقوياء حقا . . . ويأتي بعد ذلك دور التأنق في الاعداد نظرا لحرص الكلية على أن تستقبل فقط العدد من الطلاب الذي لا يزيد عن الامكانيات فنتجنب بذلك مشاكل الازدحام الطلابي بأثره السلبي على التعليم . . . ثم هناك هيئة تدريس متفرغة ومنتقاة ، وكذلك صلة وثيقة بين الطالب والأستاذ وكل هذه ركائز النجاح في التعليم .

ومن الصعب طبعا أن أعقد مقارنة بيننا وبين الكليات الأخرى حتى لا أقع في الحرج ولا في تهمة الغرور ، ولكن شهادات الممتحنين الخارجيين القادمين من الشرق والغرب تضع كليتنا في طليعة الكليات .

ويضيف الدكتور حسان :

الدفعة الأولى ما زالت في تدريبها العام بعد ، ولا يبدأ دور التخصص الا بعده . . . ولكنني بصفة عامة لاحظت ميلا من الطبيبات الحديثات الى الانصراف عن التخصص في أمراض النساء والولادة بسبب مشقة العمل في الليل والنهار مما

أمير الكويت وولي العهد والوزراء وأعضاء مجلس الأمة والشيوخ في قاعة الاحتفالات قبل البدء بتسليم شهادات التخرج . . . لقد كانت الكويت كلها هناك
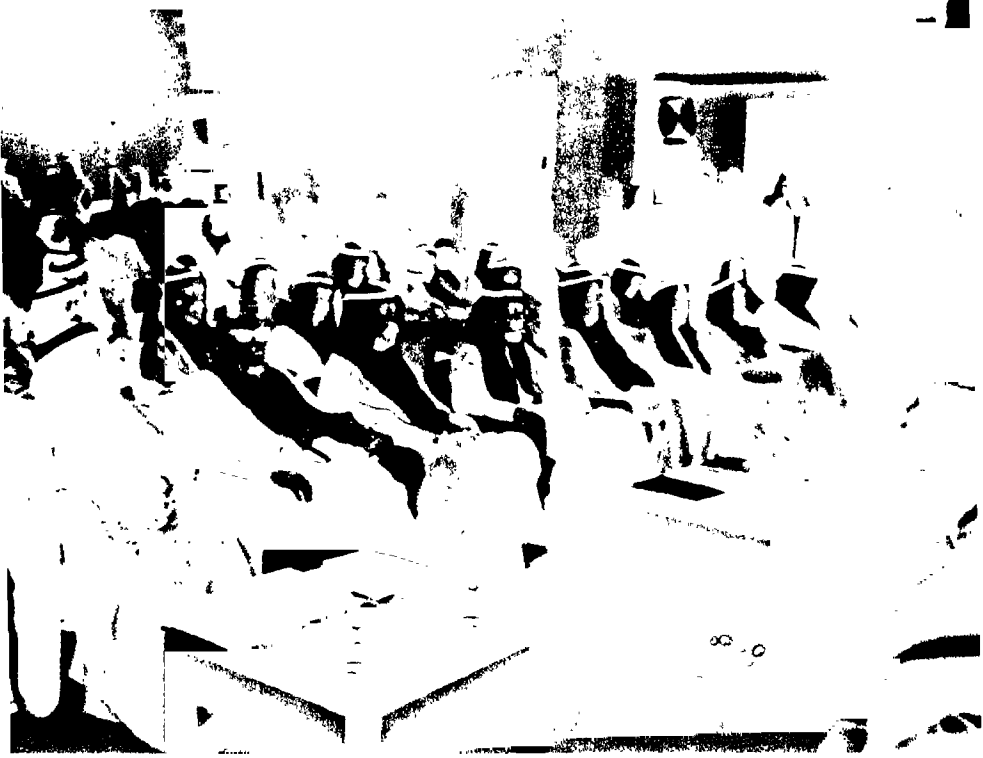
في المكان المخصص لجلوس الخريجين كان الأطباء ينتظرون دورهم لتلقي التهاني من « الوالد » الكبير أمير الكويت . . . وكانوا يتجهون الى المنصة لتسلم شهاداتهم كلما نودي على أسمائهم . . إنهم يحملون اليوم أنبل رسالة . . رسالة الطب ، وقد كان للعربي معهم لقاء عبروا فيه عن طبيعة الطبيب الانسان الذي يهب حياته من اجل انقاذ حياة الآخرين

يزعج مطالب البيت والزوجية والأمومة . وأنا أدعو الطبيبات الى الاقبال على هذا الفرع لأن الحاجة اليهن فيه متزايدة ، ولأن أساس الخدمة الطبية العطاء قبل الراحة . والعالم العربي يحتاج للطبيب فما زالت لدينا مشاكل صحية . . . وما زلنا تحت المستوى المطلوب خاصة في النواحي الوقائية . . . . وبعض بلادنا خسارتها من الطفيليات أفدح من خسارتها في الحروب المتعاقبة . ولكننا في حاجة للطبيب الماهر المتأنق في اعداده لأن طبيبا ماهرا واحدا أنفع من مائة طبيب بمستوى منخفض . ينبغي أن يكون لبكالوريوس الطب من الغطاء العلمي مثلما للدينار أو الجنيه من الغطاء الذهبي والا انخفضت قيمته وأصبح لايسمن ولا يغني من جوع . ان الاطباء هم الجيش الذي يحارب المرض وكأي جيش ان لم يكن اعداده على مستوى رفيع كانت الهزيمة .

أما فيما يتعلق بالدرجات العليا فهي أمر آت لا ريب فيه وهي خطوة على الطريق ولكن السلم يرتقى درجة ولا يقفز قفزا خشية الزلل أو الوقوع . ولكل شيء أوان . ويصل الدكتور حسان الى نهاية حديثه فيقول :

« ان فرصة الطالب هنا سواء في الدراسة الاولى أو الدراسة السريرية فرصة ممتازة ويغبطه عليها غيره . . ومن الأساسيات التي نركز عليها هنا احترام المريض أيا كان والتلطف فى معاملته مما يساعد على تعاون المرضى أيضا في أداء دورهم التعليمي للطلاب . . »

مع الدكتور خالد جمعة

أما الدكتور خالد جمعة رئيس قسم الكيمياء الطبية بالكلية فيبدى رأيه في الكلية والطلبة فيقول : ان كلية الطب في جامعة الكويت تعتبر من أرقى كليات الطب في العالم الثالث ، فدولة

الدكتور خالد جمعة رئيس قسم الكيمياء الطبية بالكلية : « مستوى الطالبة يفوق مستوى الطالب نظرا للتكوين الاجتماعي في الكويت الذي يعطي الشباب استقلالية ذاتية لا تتمتع بها الفتاة في مجتمعنا المحافظ »

الدكتور سليمان العلي العميد المساعد للشئون الادارية بكلية الطب .

احصائية بعدد طلبة كلية الطب لعام ١٩٨٣ - ١٩٨٤ - جامعة الكويت

السنة	مجموع عدد الطلبة	الكويتيون	غير الكويتيين	الكويتيون		غير الكويتيين	
				اناث	ذكور	اناث	ذكور
الاولى	٧٩	٦٥	١٤	٣٢	٣٣	٩	٥
الثانية	٧٣	٥٨	١٥	٢٥	٣٣	٩	٦
الثالثة	٦٠	٤٣	١٧	٢٧	١٦	٨	٩
الرابعة	٥٦	٣٩	١٧	٢٦	١٣	٨	٩
الخامسة	٥١	٣٢	١٩	٢٣	٩	١٠	٩
السادسة	٣٢	٢٢	١٠	١٩	٣	٦	٤
السابعة	٤٥	٣٠	٢٥	١٩	١١	٩	٦

الكويت قد أنفقت الكثير من أجل تأسيس الكلية واخراجها بالشكل اللائق وهذا يعني أن الكلية استطاعت أن تبني نفسها على أسس مضبوطة وأثبتت رقي مستواها واحترامها الذاتي بين الجامعات الأخرى وهذا بالطبع يعود لنوعية الطلبة المتخرجين منها وللأبحاث العلمية الطبية التي تقوم بها الكلية الى جانب الخدمة الاكلينيكية التي تقدمها الكلية لطلبتها .

وأماعن مستوى الطلبة فيعلق قائلا : ان الاتجاه القائل بأن الطالبات يتفوقن على زملائهن في الدراسة يتبلور في كلية الطب ، وهذه ظاهرة ملحوظة اذ أن جميع الدفعات يزيد فيها عدد الطالبات المتفوقات عن عدد الطلبة بنسبة ٢ الى ١ تقريبا وحيث ان عدد الطالبات اللاتي يقبلن على دراسة الطب في الكلية مساو لعدد الطلبة فان نسبة التفوق ترتفع حتى ٤ الى ١ . وهذا يعود في اعتقادي الى التكوين الاجتماعي للأسرة في الكويت حيث مجال الاستقلالية الذاتية للشبان متاحة بعكس الشابات ، ومن ثم لا تجد الفتاة الا الانكباب على الاستذكار لملء الفراغ أو ربما لاثبات وجودها بالتفوق العلمي . واذا أردنا أن نجري مقارنة بين طالب الطب في الكويت وغيره في الجامعات العربية فسنجد أن طالب الطب في الكويت كما في الجامعات العربية الاخرى يعتمد الى أقصى الحدود على استذكار دروسه من المذكرات التي يكتبها أثناء المحاضرات ، والقليل منهم فقط يرجع الى الكتب الدراسية والمراجع العلمية ليروى ظمأه العلمي . وجه الاختلاف بين الطلبة في الجامعات العربية والأجنبية يكمن في اعتماد الطالب في الجامعات الأجنبية على ذاته للحصول على المعلومات ، وهذه ظاهرة عامة وليست مقتصرة على كليات الطب وحدها وهذا بالطبع يعود الى أن أسلوب التعليم المتبع منذ الصغر يبعد كل البعد عن حفظ المواد والاعتماد الكلي على المدرس كمصدر أساسي للمعلومات . وهذا السلوك يستمر حتى في شتى انواع الدراسة الجامعية ولذلك فان أي خريج يفتقد الاعتماد على الذات نجده قد عجز عن اتمام دراسته العليا .

وحيث اننا نتبع في الكلية نظام الدراسة

« والد وما ولد » الأباء فخورون بالأبناء .. انها لحظة من تلك اللحظات التي ينتظرها الأباء عندما يستقبلون أبناءهم وقد حملوا اليهم ثمرة الجهد والعرق الذي بذله الأباء م أجل مستقبل أبنائهم .. انه الشعور الذي يملأ صدر كل أب عندما يحس أنه قد أكمل رسالته في الحياة

هي نفسها لا تدري لماذا اختارت هذا المكان لتقف أمام عدسة مصور العربي وهي تحتضن شهادتها .. ولكن ربما كان التشابه بينها وبين الشجرة الوارفة من ورائها هو الذي دفعها الى الظهور معها .. أليست هي أيضا شجرة يافعة بدأت تؤتي ثمارها .. الطبيبة سناء صبحي اولى دفعتها (الى اليسار)

الانجليزى فلا توجد هناك فرصة للاختيار ، اذ أن جميع المواد الزامية .

ثمرة من ثمار الجامعة

ان كلية الطب التى احتفلت بتخريج الدفعة الأولى من طلابها وطالباتها وشاركها احتفالها أمير الكويت وشعبها كانت احدى ثمار الجامعة التي قامت عام ١٩٦٦ وكانت أول جامعة في منطقة الخليج .

وللجامعة الكويتية قصة بدأت بعد خمس سنوات من حصول دولة الكويت على استقلالها .

فقد شعرت الدولة بالحاجة الى قيام جامعة وطنية لرفع مستوى التعليم وامدادها بالقوى العاملة الوطنية المدربة علميا وعمليا لرفع كفاءتها الانتاجية والاقتصادية .

وقد وضعت النواة الأولى وتم افتتاح الجامعة في اكتوبر (تشرين الأول)١٩٦٦ ، بعد خمسة أعوام من تحقيق السيادة الكاملة لدولة الكويت ، وذلك بتأسيس كلية العلوم والآداب والتربية وكلية البنات الجامعية . وقد كان قوام الجامعة الناشئة ٤١٨ طالبا و ٣١ عضوا هم هيئة التدريس . الا أنها نمت بصورة هائلة بفضل الجهود المبذولة في سبيل نهضتها ، حتى أصبحت تضم ١٢,٠٨٥ طالبا بعد سبعة عشر عاما فقط ، أي أن عدد الطلبة قد تضاعف نحو ٢٩ مرة خلال هذه الفترة ، كما زاد عدد أعضاء هيئة التدريس خلال الفترة نفسها الى ٧٣٥ عضوا ، أي أنه تضاعف نحو ٢٣ مرة . وكان طبيعيا أن تزداد ميزانية الجامعة . فقد ارتفعت من ١,٣٣٤,٦٢٤ دينارا كويتيا في بداية الفترة الى ٤٧,٣٠٨,٥٠٠ دينار كويتي بعد سبعة عشر عاما ، أي أنها تضاعفت نحو ٤٤ مرة مما يدل على

الطلبة والطالبات اثناء احدى المحاضرات النظرية في كلية الطب .

مبنى كلية الطب الجديد الذي افتتحه أمير الكويت .

حرص الدولة على توفير كل وسائل التعليم الحديثة .

وقد توسعت الجامعة في انشاء المزيد من الكليات الجامعية . فقد صدر مرسوم أميرى في أول أبريل (نيسان) ١٩٦٧ بانشاء كليتين هما : كلية الحقوق والشريعة ، وكلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية . ثم صدر مرسوم أميري في ٢٠ أكتوبر (تشرين الاول) بفصل كلية العلوم عن كلية الآداب والتربية . كما صدر مرسوم أميري في ٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٤ بانشاء كلية الهندسة والبترول .

وكان قد صدر مرسوم أميري في ٣ يوليو (تموز) ١٩٧٣ بانشاء كلية الطب التي بدأت الدراسة فيها عام ١٩٧٦/١٩٧٧ . ثم أنشئت كلية الدراسات العليا سنة ١٩٧٧ . وفي ١٧ مايو (آيار) ١٩٨٠ صدر مرسوم أميري بانشاء كلية التربية ونقل اليها قسم التربية من كلية الآداب في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ ، وبدأت الدراسة فيها في الفصل الدراسي الأول ١٩٨١/١٩٨٢ .

وفي ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ صدر مرسوم أميري بانشاء كلية الشريعة والدراسات الاسلامية التي بدأت الدراسة فيها في الفصل الدراسي الاول ١٩٨٢/ ١٩٨٣ .

ثم صدر أخيرا ، في ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٨٢ ، مرسوم أميري بانشاء كلية العلوم الطبية المساعدة والتمريض ، وبذلك فصلت برامج العلوم الطبية المساعدة عن برامج كلية الطب .

ولما كانت الجامعة بمعاهدها العلمية والاكاديمية تعتبر النافذة التي يطل شبابنا منها على كنوز الدنيا من ثقافات وعلوم ، ونظرا الى ما لديها من امكانات علمية وفنية واسعة تتمثل في استقطاب صفوة من الاساتذة والباحثين في شتى

(فوق) في مكتبة كلية الطب . . . طالبتان مع المراجع والكتب (تحت) المجهر الالكتروني الماسح . . . وهو من أحدث الأجهزة التي تستخدمها كلية الطب
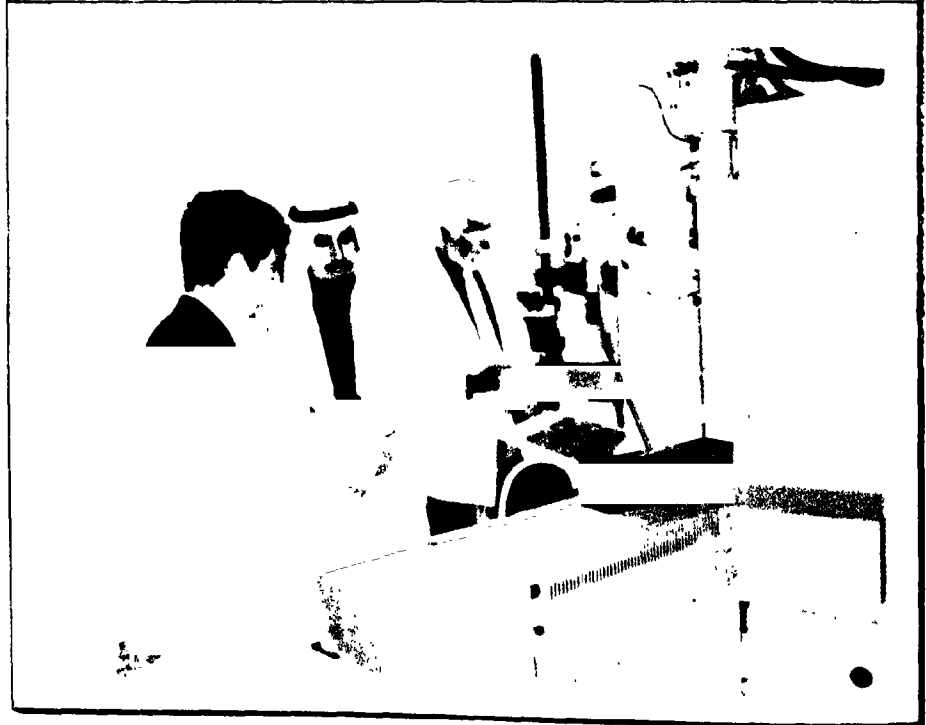
أمير الكويت في جولة بين أقسام كلية الطب... الصورة العليا في المتحف، وفي الصورة الثانية (المعمل) يستمع لشرح من عميد كلية الطب الدكتور عبد المحسن عبد الرزاق عن احد المجاهر الالكترونية الحديثة

مجموعة من الطلبة والطالبات في قسم الباثولوجي أو « علم الامراض » بالكلية وقد وقفوا يستمعون باهتمام الى شرح استاذهم .

مجالات المعرفة .، فانها تقدم البحوث العلمية الرفيعة المستوى التى تعمل لتطوير النظريات العلمية وتكييفها بما يتلاءم وحاجات مجتمعنا العصرى واطراد تقدمه . وبذلك تعمل الجامعة كبوتقة تتفاعل داخلها العلوم والفنون الأجنبية والعربية والاسلامية ، لتخرج لنا نموذجا يلائم ظروفنا المحلية والعربية ، كما تعمل على اعداد الكفاءات المتخصصة من الشباب المثقف الذى يستطيع النهوض بوطنه في كل المجالات .

وحرصا من المسؤولين في جامعة الكويت على أن تتحمل الجامعة مسئوليتها كاملة تجاه الوطن ، فقد أقر مجلس الجامعة في جلسته المنعقدة في ١٩٨٠/٥/٢٤ الاطار العام الذى حدد رسالة الجامعة واهدافها وفلسفتها وسياستها ، وكلها تدور حول تحقيق هدف الانسان ومعاونته على استكشاف أسرار الكون بالتعاون المثمر مع بنى جنسه .

ويتلخص الاطار العام فيما يلي :

رسالة الجامعة

وهي رسالة كل جامعة قامت وتقوم في أرض الوطن العربي أو خارجه ، وهى تتلخص في الاستفاده من ثمار المعرفة ، والتراث العلمي الحضاري ، والانتاج الفكري ، وتنمية الثروة البشرية ورفع كفاءتها الانتاجية ومستواها الحضاري والاجتماعي ، والمساهمة في خدمة المجتمع وتنميته من خلال الحفاظ على المعرفة وتنميتها ، والعمل على نشرها على المستويين القومي والانساني . ونشر العلم واعداد الكفاءات المتخصصة بفروع العلم المختلفة ، وحفظ التراث العلمي من خلال التعليم والتدريب ، والنهوض بالشباب فكريا وروحيا وخلقيا ورياضيا ، والمساهمة في تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

وأخيرا ، توثيق الروابط الثقافية والعلمية بينها

وبين من يشترك معها من مؤسسات في الرسالة والهدف ، محليا وعربيا واسلاميا وعالميا .

ومن أهداف الجامعة

كذلك إعداد القيادات وتوفيرها في كل المجالات ، واعداد الشباب الواعي لتقاليد مجتمعه وقيمه السائدة بحيث يستطيع فهم مشكلاته والقيام بعمل فعال لأداء التغيير المطلوب .

ومتابعة التقدم العلمي والمساهمة في تقدمه عن طريق البحوث العلمية لحل مشكلات المجتمع وتنميته اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

والعناية ، بصورة خاصة ، بدراسات الحضارة العربية والاسلامية وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي .

●●●●

ثم ماذا ؟ ونصل الى نهاية رحلتنا السريعة مع حاملي شعلة العلم على ضفاف مياه الخليج الدافئة . . لقد كان لأطباء المستقبل رأي في كليتهم وفي طبيعة دراستهم وهم الذين كبروا معها كجزء لا يتجزأ منها . . وقضوا فيها سنين طويلة لم يتركوا خلالها بابا الا طرقوه . . كانت رحلتهم معها من أمتع الرحلات وأغناها . . هكذا قالوا لنا في كلمات قصيرة ولكنها كانت تعبر عما يعتمل في صدورهم من انفعالات .

وكان لقاء شيقا مع هؤلاء الاطباء الجدد الذين لم تثنهم صعوبة الدراسة وطول سني التحصيل عن اكتساب المعرفة والانسانية ، ليس في التعامل مع المريض فحسب بل ومع كل الناس . . فما أعظم ما تعلموه وما أجمل ما إكتسبوه من مهارات علمية وعملية خلال رحلتهم الدراسية الطويلة الشاقة . . الطبيب انسان غير عادي انسان وهب حياته من أجل انقاذ حياة الآخرين . □□

(القسم الجديد)

للقسم الذى ردده الأطباء الخريجون الجدد فى كلية الطب الكويتية فى حفل التخرج هذا العام . قصة بدأت فى المؤتمر العالمى الأول للطب الأسلامى الذي عقد بالكويت عام ١٩٨١ ، ففى المؤتمر نبتت فكرة صياغة قسم للأطباء غير قسم أبقراط العتيد الذي كانت بدايته قبل تعديلها (أقسم بأبللو الطبيب واسقولاب وكل الآلهة والإلاهات) مما لم يكن مستغربا في زمن أبقراط الذى عاش من ٤٦٠ الى ٣٧٧ قبل ميلاد المسيح .

وروعي في القسم الجديد أن يكون مشتملا على أمهات الفضائل الطبية التي تعرض لها « الدستور الاسلامي للمهنة الطبية » الذي قدم للمؤتمر كذلك ، فتبناه المؤتمر ، ورفعه لوزراء الصحة العرب الذين وافقوا على تبنيه في البلاد العربية و الإسلامية .

وحبذا لو قامت جهود على تقديم هذا القسم على نطاق أوسع ، فهو وان كان يستقى من التوجيهات الأخلاقية الاسلامية فانه يلتقي مع مثاليات الاديان السماوية جميعاً ولا يصادر شيئا منها .

إعداد : منير نصيف
ريم الكيلاني

تصوير : طالب الحسيني
أوسكار متري
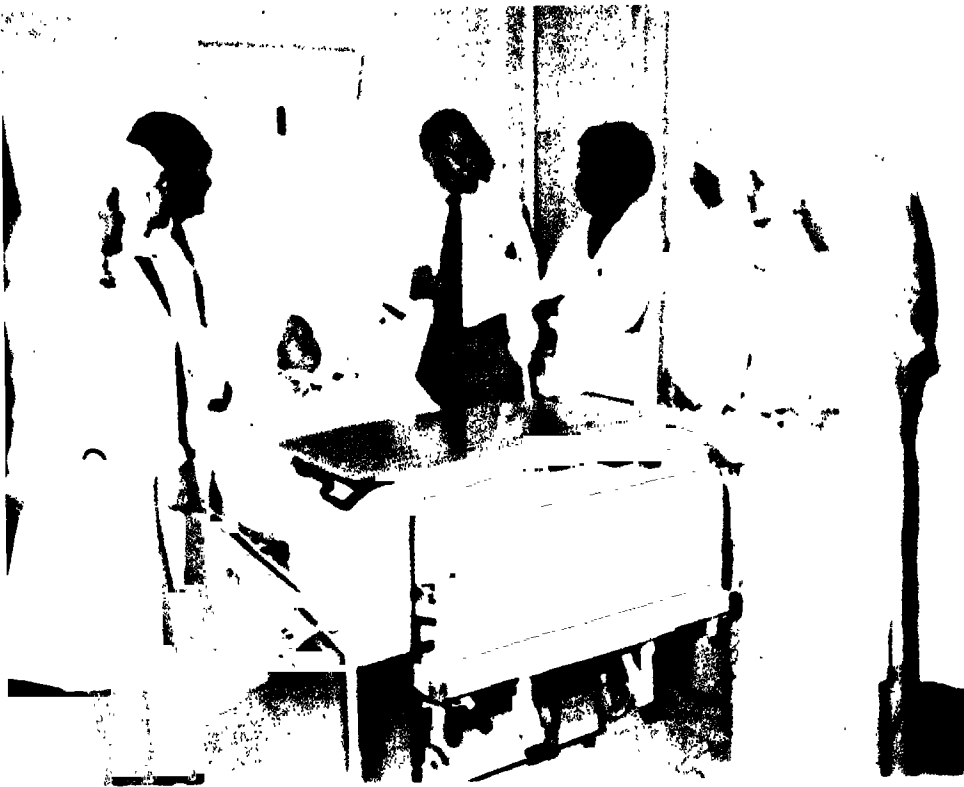
محاضرات عملية . الصورة العليا (الى اليمين) مع الأستاد الدكتور حسان حتحوت بين طلبته في مستشفى الولادة والصورة الى اليسار فوق،وتحت الى اليمين للطلبة مع اساتذتهم في المتحف ثم الصورة الى اليسار (تحت) لاحدى الطالبات في السنة النهائية تفحص طفلا مريضا في قسم علاج الاطفال

طفلي .. لا يأكل !

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا
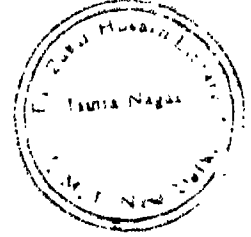
☐ يندر ان يمر يوم على طبيب دون ان يسمع هذه العبارة من أم قلقة أو أب مشفق ، بل كثيراً ما تكون تلك الشكوى هي الوحيدة التي تحمل الأم على أصطحاب طفلها الى الطبيب . لماذا لا يأكل الأطفال ؟

قبل أن نوضح حقيقة شكوى الآباء وابعادها ، يحسن بنا ان نحدد معاني بعض الكلمات التي يكثر الخلط بينها كما يكثر اللبس فيها . فالجوع والشبع والشهية مصطلحات ثلاثة لها معانيها الخاصة المحددة ، فالجوع هو الرغبة في تناول الطعام والشعور الملح بالحاجة اليه ، وعكسه الشبع الذي يمكن تعريفه بانه الشعور بالاكتفاء من الطعام .. ولكل من الجوع والشبع مركزه المنظم في الدماغ ، فاذا تنبهت منطقة الجوع في هذا الدماغ أحس الانسان بالرغبة في تناول الطعام ، واذا تناول كفايته منه تنبهت منطقة أخرى من الدماغ تسمى منطقة الشبع ، وهي بدورها تدفع الانسان الى التوقف عن تناول الطعام . وهذا يعني ان الاحساس بالجوع أو الشبع انما يتم عبر منعكسات عصبية تحكمها مراكز دماغية معينة في تناسق وتآلف بديعين ، يؤمنان للانسان حاجته الضرورية من الغذاء ، مما يكفل له الصحة والعافية ، ويجعله قادراً على تلبية متطلبات الحركة والنمو .

والآن .. ما هو دور الشهية في ذلك النظام المحكم ؟ ان الشهية هي التي تحدد للانسان ما يأكل ، وهي التي توجهه للاختيار بين حلو الطعام ومالحه ، وهي التي تعمل ـ دون وعي منا ـ على جعلنا نميل الى هذا النوع من الطعام او ذاك . . . واذا كان هذا هو مفهوم الشهية وتعريفها ، فان الجوع هو الذي ينبه عندنا الحاجة الى الطعام في حين ان الشبع هو الذي يحدد لنا متى نكتفي ومتى نتوقف ، فالجوع والشبع والشهية كلمات لها مدلولاتها المحددة ، وفهمنا لهذه المدلولات له أهمية بالغة في وضع المشكلة في إطارها السليم ، وفي تلمس العلاج العلمي المحدد لها . .

ولنعد الى الشهية من جديد .. ان الشهية تتأثر الى درجة كبيرة بالعوامل المحيطة بالانسان ، وبحالته النفسية والمزاجية ، ولا شك ان كلًا منا يدرك أهمية منظر الطعام او رائحته في جعله مشهياً ، كما يدرك أهمية الوضع النفسي للانسان في جعله يقبل على الطعام او يعزف عنه ، ومن الضروري بمكان أن نميز بين ضعف الشهية أو فقدانها وبين الخوف من الطعام .. هذا الخوف الذي يشاهد في بعض

الأمراض الهضمية حيث يحدث تناول الطعام ألماً وضيقاً يجعل المرء ينصرف عنه ويفضل معاناة الجوع عليه .

الطفل والطعام . . .

من الحقائق الهامة في مجال تغذية الطفل حقيقتان اثنتان أود الاشارة اليهما ، لكثرة ما شابهما من مفاهيم خاطئة تركت أثرها السيء على سلوك الكثير من الأمهات تجاه أطفالهن .

الحقيقة الأولى : هي انه لا وجود - علمياً - لما يسمى بفقد الشهية الفيزيولوجي او الطبيعي ، فقد انتشرت فيما مضى مقولة تزعم ان الطفل يمر خلال انتقاله من الطفولة الأولى الى الطفولة المتأخرة بمرحلة من تباطؤ النمو يصحبها نقص « طبيعي » في الشهيـة لا يـدعـو للقلق أو الخوف . . ولكن العلم الحديث أثبت بما لا يدع مكاناً للشك انه لا وجود لمثل هـذا الفقدان الطبيعي للشهية ، وان حاجة الانسان - صغيراً أو كبيراً - للطعام حاجة مستمرة لا تتوقف . . بل ان أطفال اليوم بالمقارنة مع أطفال القرن الماضي هم أطفال أكثر وزناً وأكثر طولاً من اقرانهم القدامى ، وهـذا التسارع في النمو يتطلب حاجات غذائية زائدة ومستمرة .

أما الحقيقة الثانية : والتي كثيراً ما تغيب عن الأمهات ، أما جهلاً بها ، أو تجاهلاً لها ، فهي ان الطفل الذي يأكـل أكثر ليس بـالضرورة أكثر صحة . ومع أن الطفل سيء التغذية أو ناقص الوزن طفل أكثر عرضة من غيره للاصابة بالعدوى الجرثومية لضعف مقاومته ، الا ان الطفل البدين او المفرط في التغذية ليس دائماً

طفلاً ممتلئاً صحة وعافية ، بل ان تلك البدانة قد تترك بصماتها عليه حتى عند الكبر ، ولا أظن أن أحداً في وقتنا الحاضر يجهل ما تحمله البدانة من مخاطر كبيرة على صحة الانسان وعلى سلامته .

نقص الشهية عند الطفل :

تميل الأم بطبعها الى المبالغة في الأمور المتعلقة بصحة طفلها انسياقاً منها وراء حب زائد له وخوف مسرف عليه . وفي البداية لا اعتراض على هذا الاهتمام ، ولا نكران له ، ما بقي في حدود المعقول والمقبول .. بل قد يكون ـ بهذه الحدود ـ ظاهرة صحية مرغوباً فيها ... ولكن هذا الاهتمام يصبح ظاهرة مرضية عندما يخرج عن حدود الاعتدال ، ولا سيما في موضوع تغذية الطفل ، حيث يصبح رفضه لصنف محدد من الطعام رفضاً لكل أنواع الطعام ، وحيث يصبح عزوفه عن وجبة من الوجبات فقداناً للشهية يستوجب المعالجة وزيارة الطبيب .

ونحن لا ننكر على الأم حقها الفطري في هذه العناية ، بل اننا لنذكر ان ملاحظة الأم لطفلها قد تكون أكثر دقة ووعياً من ملاحظة الآخرين له ، كما اننا لا ننكر عليها قلقها وهي تحمل طفلها الى الطبيب تلتمس عنده النصح والمشورة .. وللطبيب ذاته دوره الرئيسي في هذا الموضوع فهو مطالب بالتدقيق في كل شكوى تقدمها الأم ، كما هو مطالب بتقديرها ووضعها في بعدها الحقيقي ، اذ كثيرا ما تكون شكوى الأم شكوى حقيقية ، ويكون تجاهلها او الاقلال من خطرها سبباً في الحاق الضرر بالطفل . وبداية الطريق في التعامل مع هذه الشكوى يكون في البحث عن أي سبب عضوي يحدث مثل هذه الشكوى ، واجراء الفحوص اللازمة لنفي أية أسباب كامنة وراءها .. اذ ان نقص الشهية او العزوف عن الطعام قد ينجم عن أسباب مرضية عضوية كما ان العلة قد تكون كامنة في زاوية اخرى من حياة الطفل .. ولا بد في الحالتين من تناول الأمر بعناية حتى يتم تقدير المشكلة بقدرها الحقيقي .

أسباب عضوية لنقص الشهية :

ان الاستماع الدقيق والمتأني لشكوى الأم من قلة أكل طفلها ، ومعرفة تاريخ تلك الشكوى ، وما اذا كان الأمر مقتصراً على نوع خاص من الطعام ، أم أنه يتعلق بكافة أنواع الطعام . ثم الاستفسار عن أية أعراض مرضية أخرى مرافقة كارتفاع الحرارة ، او القيء ، او الاسهال ، أو ضيق النفس او السعال ، مع القيام بالفحص السريري المتأني ، والاستعانة ببعض الفحوص المخبرية كفحوص الدم والبول وغيرها كثيراً ما تكشف السبب الكامن وراء نقص الشهية ـ فقد يكون نقص الشهية عرضاً من جملة اعراض أخرى لمرض محدد ، ولكن اهتمام الأم لم ينصب الا على نقص الشهية دون سواه ، واهملت باقي الأعراض أو قللت من أهميتها لعدم وعيها لحجم الشكوى . ومن الأسباب العضوية لنقص الشهية نذكر الانتان (infection) البولي المزمن ، او المرحلة الأولى من مراحل التهاب الكبد ، وقد يكون السبب الأول لأحجام الطفل عن الطعام تصور القلب الشديد الناجم عن تشوه خلقي أو غيره .. ومثل قصور القلب هناك القصور التنفسي الشديد الذي يعوق الطفل حتى عن تناول طعامه . ومن هذه الأسباب أيضا ارتفاع نسبة البولينا في الدم (Urenia) وبعض الامراض الغدية والاستقلابية (metabolic) التي لا يتسع المجال لذكرها . وهكذا فان من المهم جداً ان يفكر الطبيب بهذه الأمراض كأسباب رئيسية لنقص الشهية الذي يشكو منه الطفل والذي يقلق له ذووه . وفي معرض الحديث عن الأسباب العضوية أود التأكيد على حالات ثلاث كثيرة المشاهدة والانتشار في بلادنا من بينها

الحـديد ، فـالحديـد عنصر هـام لأجسـامنـا ، ويدخل في تركيب أعضاء وأجـزاء حيويـة من خلايانا ويعتبر نقص هذا العنصر من العـوامل الهامة لنقص الشهية ، ويكفي إعطاء مـركبات الحديد ، لتعويض النقص واستعادة الشهيـة . وكذلك العوز الفيتاميني -hypovitamino) (sis حيث تلعب الفيتامينات ، وهي مـركبات كيماوية توجد في الغذاء الذي نتناوله ، ادواراً هـامة في تفـاعلات الجسم الكيمـاوية الحيـوية ويؤدي نقصها وخاصة فيتامينات (C-D-A) الى اعراض مختلفة من جملتها نقص الشهية . وقد يكـون نقص الشهية عـرضاً سـابقـاً لغيـره من الأعـراض الصريحـة والواضحـة لحالـة النقص الفيتـاميني تلك . ولعل الاستجـابة السـريعـة

للعلاج بهذه الفيتامينات هو ما اعطى مركبات الفيتامينات شعبيتها بين الناس ، ودعا الأمهات لمطالبة الأطباء في كل مناسبة بوصف الفيتامينات لأطفالهن لامدادهم بالصحة والعافية .

ثم هناك الطفيليات المعوية وهي كثيرة الانتشار في بلادنا ، لانخفاض المستوى الصحي وقلة الوعي والثقافة بوسائل الوقاية من الاصابة بتلك الطفيليات المعوية . وكثيراً ما يكون الاستفسار من جانب الطبيب عن بعض الأعراض الأخرى أو إجراء بعض الفحوص المخبرية للتحري عن وجود تلك الطفيليات هو الكاشف عن سبب نقص الشهية . وأشير هنا لنوعين من تلك الطفيليات أولها الحرقص (ox-yuriasis)وهو المسبب للحكة الشرجية الليلية عند الأطفال الصغار ، وثانيهما ما يسمى بالجيارديا (Giardia) وهذه قد تحدث الى جانب نقص الشهية الم البطن او تطبله أو الاسهالات المتكررة . ومن حسن الحظ ان العلاج الناجع لهذه الطفيليات متوفر وميسور .

وعلى الرغم من كثرة الأسباب العضوية التي قد تحدث نقصاً في الشهية ، فان حالات عديدة من فقدان الشهية لا تعزى لأي منها وتبقى هنالك أسباب أخرى أكثر أهمية ـ فما هي هذه الأسباب ؟

أسباب أخرى . .

كثيراً ما نسمع عن فقدان شهية صادر عن منشأ عصبي أو نفسي ، فما المقصود بذلك ؟ وهل للأطفال الصغار ـ كما للكبار ـ مشاكلهم أو معاناتهم النفسية حتى يؤثر ذلك على شهيتهم ؟ نعم . . فان للصغار بناءهم النفسي الخاص ، وهو بناء ضعيف المقاومة سهل التأثر وقد يقف الطبيب عاجزاً عن معرفة سبب نقص الشهية عند الطفل ، برغم كل الفحوص والاختبارات ، لأنه لم يعط الجانب النفسي القدر اللازم من الاهتمام والبحث ، وفيه وحده قد تكمن العلة ، ولأهمية السبب النفسي أو العصبي في تشخيص حالة فقد الشهية عند الطفل يتطلب الأمر تعاوناً كافياً بين الأهل والطبيب وتفهماً وصبراً كاملين من الجانبين ، فهناك أطفال ذوو بنية نفسية خاصة تسمى البنية العصابية (neurotic)، وأصحاب هذه البنية النفسية يتصفون بعدم الاستقرار أو بنقص التوازن العصبي ، وكثيراً ما نجد هؤلاء الأطفال العصابيين ينحدرون من أسر عصابية ، فيما يمكن عزوه الى استعداد عائلي . فالطفل العصابي طفل عنيد ، كثير الطلبات ، اناني ، محب لذاته ، ويتصف رد فعله لما يجري في محيطه بالعنف والتطرف ، ولا تسلم العادات الغذائية عند الطفل من هذا التطرف الذي يتظاهر عادة برفض عنيد لتناول الطعام كجواب على ما يدور حوله من أمور . . .

اسرة الطفل مسئولة ايضا

الى جانب البنية العصابية التي اشرت اليها ، هنالك اسباب خارجية اخرى لها اهميتها البالغة في عادات الطفل الغذائية . . فان اهتمام الاسرة الزائد بطفلها الصغير وجعله محور الاهتمام الأول والاخير ، ظاهرة كثيرة الانتشار وخاصة بالنسبة للطفل الأول للاسرة .

ومن مظاهر هذا الاهتمام الانتباه الزائد لطعمه ومشربه . . فاذا جلس الطفل على المائدة اصبح طعامه محور اهتمام الجميع ، واذا ابدى رغبته في طعام بعينه كان ذلك مصدر بهجة للجميع . . ولا يقتصر هذا الاهتمام على الوالدين وحدهما وانما يتعداهما الى الجد او العم والخال ، الجميع يتسابق للفوز بلقمة يقدمها للصغير العزيز وتصبح لقمة الطفل مصدر سرور واطراء وابتهاج من جميع افراد الاسرة . مثل هذا الانشغال الزائد بأكل الطفل يدفعه لانقاص طعامه اراديا في سبيل ان يحظى بالمزيد

من الاهتمام والعناية ، وسرعان ما ينتقل الامر الى ما يشبه المزايدة ، فكلما افرط الاهل في انتباههم لاكله زاد تمنع الطفل وتعددت طلباته حتى ينتهي الامر « بالعزيز الصغير » الى املاء الشروط . . فهو لن يأكل الا من صحن معين ولن يشرب الا من كوب خاص ، ولن يتناول الا من يد فلان . . وهو تارة يرضى عن صنف من الطعام وتارة يرفضه ، والاهل لا يجدون بدا من الرضا والاذعان . . والى هنا والمشكلة ما تزال في متناول الحل ، ولكن البلية تتفاقم وتتعاظم حينما يصبح الاكل عند الطفل عقابا له ، فهو لا يأكل دون عقاب او تهديد بعقاب ، وتدريجيا يصبح الطعام عند الطفل مصدر قلق دائم له ، والقلق وحده كفيل بان يزيل كل شهية متبقية لديه . وبدلا من ان ننتهي مع الطفل الى حل نجد انفسنا نغرق معه في مشكلة اكثر سوءا وتعقيدا . . .

ولادة طفل جديد

ان ولادة طفل جديد في الاسرة يشكل حدثا بالغ الاهمية والحساسية بالنسبة للطفل ، وهذا الحدث يؤثر تأثيرا واضحا على سلوك الطفل وانفعاليته ، ومن جملة هذه التأثيرات تبدل عاداته الغذائية فقد يكون (الحدث السعيد) في الاسرة سببا في ان يقبل الطفل على مزيد من الطعام ، وتتحسن تلقائيا مشكلة نقص الشهية عنده ، وقد يحدث العكس فيزداد عزوفا عن الطعام وانصرافا عنه ، في محاولة منه لاستعادة مكانته المهددة بقدوم طفل جديد يقاسمه اهتمام الوالدين وحبهما .

الخلافات الاسرية لها دورها

ان الجو الذي يعيشه الطفل ضمن اسرته ، والعلاقات التي تربطه مع افراد هذه الاسرة قد يكون له انعكاسه الخطير والمهم على عاداته وسلوكه كله . فالخلافات والمنازعات الدائمة بين الطفل واشقائه ، واهمال الام لطفلها او خلاف الزوجين الدائم من الاسباب التي تشحن جو الاسرة بالقلق والتوتر الدائمين ، تؤدي بالطفل آخر الامر الى رفض الطعام . . ولعل اشد هذه الحوادث تأثيرا على الطفل ان يقع الطلاق بين الوالدين ويتشتت شمل الاسرة ، وعندئذ تبرز مشكلة العزوف عن الطعام بابعادها الحادة والخطرة ، ويصبح العلاج النفسي مطلبا رئيسيا لا غنى عنه .

ثم ماذا ؟

بعد هذا العرض السريع لحقيقة الشكوى التي تحملها كثير من الامهات الى الاطباء ، لا اجد بدا من التوجه الى الامهات اللواتي يعانين من مشكلة رفض اطفالهن للطعام ببعض النصائح العامة لحل هذه المشكلة . فأؤكد اولا على ضرورة الامتناع عن تقديم المديح والاطراء او الزجر والتأنيب للطفل على المائدة ، واعطائه قدرا من الحرية في تناول الطعام الذي يحبه ويميل اليه . . ويفضل الاقلال قدر الامكان من المشروبات السكرية او الحلويات الاخرى في طعام الطفل لانها تحقق له الاكتفاء ، وتصرفه عن تناول الطعام الرئيسي ، ويجب ان تحرص الام على تنظيم وجبات طفلها ، وان تقتصد كثيرا في تقديم ما يلتهمه بمناسبة وبغير مناسبة ، لأن ذلك سيعطل عنده الاحساس بالجوع ، وسيحرمه بالتالي من الاقبال على طعامه بشهية وشوق . . وقد يكون من المفيد جدا تشجيع الطفل على اللعب والرياضة في اوقات محددة ، لأن ذلك سيساعده على صرف الطاقة المتوفرة لديه وسيجعله يشعر بالجوع ، والجوع في ذاته دافع صحي للطعام ، وحافز طبيعي اليه . ولابد من التذكير اخيرا بان هنالك وسائل اخرى متعددة غير الطعام للتعبير عن الحب والحنان ..

□□

العربي - العدد ٣٠٣ - فبراير ١٩٨٤

الأخ اسماعيل*

بقلم : الدكتور محمد حسن عبد الله

□

مثل أعواد الريحان المنتشرة في البريّة حول القرية . . . كذلك كان . وكما كانت هذه الأعواد تمتزج على أوراقها الصغيرة ألوان الخضرة والغبرة والجفاف ، فتألفها عين العابرين حتى لا تراها ، وان كانت تنتعش برائحتها الطيبة ذهاباً واياباً . . . فكذلك كان اسماعيل أفندي .

ظهر في قريتنا ، لا نعرف متى . تفتحت عيوننا ونحن نراه ، تعوّدناه مثل مئذنة الجامع ، ورائحة البرسيم في الربيع ، وصوت وأبور الطحين في أطراف القرية . لم يسأل أحد متى بدأ ذلك ؟ ولكنه رغم تطاول الزمن ظلت لهجته وطريقته في الكلام تدلّان على أنه لم يرضع لغته من حارات قريتنا وحقولها ، غير أنه ينتمي الى مكان ليس بالبعيد .

هو في أوراق الحكومة : كاتب في مكتب وزارة الصحة بالقرية يسجّل أسماء المواليد ، ويستخرج تصاريح الدفن . وفي الحالات الطارئة يقوم بالابلاغ عن المشتبه في اصابتهم بالوباء ، ويقود فرق التعفير والتبخير الى مساكنهم . هذه الصورة « الرسمية » ظل اسماعيل أفندي يقوم بها دهراً ، دون أن يفطن اليها أحد ، حتى لكأن أسماء المواليد تأخذ مكانها في الدفتر من تلقاء نفسها ، وتستقر شهادات الميلاد في أكفّ الآباء والأمهات بطريقة طبيعية . . كأنها قطرات العرق تنبثق في هذه

---

* اسماعيل . . في اللهجة المصرية (اسماعين)

الأكف حين تشتد القبضة على يد الفأس أو المنجل . وكانت بقية العمليات تتم بنفس الطريقة .

أما صورة اسماعيل أفندي في حياة الناس فكانت تختلف كثيراً . كان في مواجهته : اسماعين أفندي . ولم يخطيء أحد ، مع ترادف الأجيال ، واتساع مساحة القرية ، وتعدد الأفندية فيها ، في أنه المقصود دون غيره ـ باسماعين أفندي ، مع أن أحداً لم يسمع اسم والده مرة واحدة ، ولم يسأل أحد عنه ، والتوقيع في ذيل شهادات الميلاد أو تصاريح الدفن لم يدل عليه . في غير المواجهة كان أهل القرية يختصرونه الى : « اسماعين بتاع الصحة » ، أو ـ وهو الأكثر انتشاراً ـ « اسماعين الصحة » ! ! ولعلي حين فطنت الى هذه المفارقة حاولت اكتشاف تعليل لها ، وأيقنت أن ذلك يحدث لأن الرجل لا يضع الطربوش على رأسه ، لقد كان يعتمر طاقية ذات أذنين طويلتين في الشتاء ، أما في الصيف فانه كان يسير عاري الرأس ، كاشفاً عن شعر بني ناعم مسترسل في هيئة لا تألفها القرية ، ولعل هذا سرّ انعامها عليه بلقب « الأفندي » في حال المواجهة ، رغم غياب السمة الأساسية لطائفة الأفندية ، وهي الطربوش .

كان « اسماعين الصحة » قصيراً ، نحيفاً ، يلبس جلباباً من البوبلين الأزرق السادة ، فوقه البالطو الكاكي ، الذي تصرفه وزارة الصحة لموظفيها ، وينتعل الشبشب الأحمر ـ ماركة الغزالة ـ ويضع قلم كوبياً تغطيه لبيسه لامعة ، في جيبه الخارجي . وحين غلبني الفضول فاقتربت منه لأراه عن قرب لفت انتباهي فيه شيئان : أنه يضع كوفية حريرية حمراء غامقة حول عنقه ، لا تكاد تظهر من ياقة معطفه ، وأنه حين يتبسم تتحول شفته العليا الى شفتين مستطيلتين متراكبتين ! ! لقد بدت ابتسامة غريبة ، بذلت جهداً في أن أسترد نظرتي المندهشة خوفاً من أن تضبطني عيناه أو عيون الواقفين . . لم استطع . ظللت مدة طويلة أراقبه ، وانتظر حديثه المتدفق أن ينتهي الى لحظة الابتسامة لأرى كيف تتحول الشفة الواحدة العادية الى شفتين منفرتين ! ! لكن الأمر لم يلبث أن صار مألوفاً بتكراره ، وأظن أن ملامح وجهه الأبيض الطيب ، كانت ذات تأثير في أن يكون كل شيء فيه مقبولاً .

كان مكتب الصحة قريباً من المسجد ، ولعل هذا كان بداية قيام اسماعيل أفندي برفع أذان الظهر كل يوم . تستطيع أن تراه يغادر المكتب متعجلاً ، يقفز سلماته الحجرية قفزاً ، ثم تمضي دقيقة حتى يكون فوق سقف المسجد ، يأخذ مكانه في زاوية من زواياه ، ويده حائرة بين جيبه وعينه تسحب الساعة من سلسلتها الفضية الطويلة ، حتى اذا تأكد من الميقات انطلق صوته بالنداء « الله أكبر » .

لم يكن صوت « اسماعين الصحة » جميلاً ، كان مرتعشاً مقطوع النفس ، غير متجانس الطبقة ، ولولا أنه كان ينادي للصلاة لسمع من تهكم أهل قريتنا ، وألسنتهم الطويلة ما يملأ القفف والمشنات ، لكن هذا لم يحدث الا همساً ، أو في جلسات ضيقة لم تصل الى الرجل ، لأنه ظل يؤذن ، ويؤذن ، حتى صار ذلك شيئاً من طبيعة وجوده ، وتخطى العلاقة المكانية بين المكتب والمسجد ، فقد كان بيته بعيداً ، ومع هذا كنت تراه قرب كل صلاة يتدحرج في براحة البلد بخطواته المتقاربة ، وشبشبه النظيف يرسل صفقاته المتعاقبة وكأنه عدّاد . بعد هذا المشهد بدقائق تسمع صوته بنغماته الغريبة التي صارت مألوفة لا تثير غير الشفقة . لقد ظل حريصاً على وظيفته هذه التي ألزم بها نفسه ، حتى في رمضان ، وحين كان الصيام في لهيب الصيف ، كان الفلاحون يلوذون بظل المسجد وهوائه المنعش ما بين الظهر والعصر ، وتجد الزحام حول « الدّش » اليتيم على أشدّه ، فاذا اقترب المغرب لا تكاد تجد منهم أحداً . لقد أخذوا أماكنهم في مواقع أخرى ، اذ تحلقوا حول

الصواني والطبالي أمام الدور أو في مداخلها ، وقد أشرعوا آذانهم ، حتى يأتيهم الفرج من صوت « اسماعين الصحة » الذي لا يكتفي برفع الأذان ، بل يتبعه بالتسبيح ، والتغني بجمال الرسول ﷺ ، وبعد أن يؤدي صلاته ، وحين يغادر المسجد الى بيته ، ونسمع طرقعات شبشبه عائداً ، يكون بعضنا قد غسل يديه ، وبدأ يتجشأ ! !

حين اكتسح وباء الكوليرا الريف ، بدأت فرق المكافحة تنتشر ، وتمارس عملها : تحرق ثياب المصابين وأدواتهم ، وتحقن كل من يصادفها ، وتعفر بالبودرة أشياء ، وتدهس وتدمر أشياء أخرى . . . كان « اسماعين الصحة » رفيقاً دائماً لكل مراحل المكافحة ، أميناً في أداء عمله بشكل مثير : يرشد الى البيوت التي ظهرت فيها إصابة ، مهما كانت منزلة هذه البيوت في القرية ، ومع هذا يترفق في ممارسة حق العزل والحرق والتدمير ، بالنسبة لوجهاء القرية وصعاليكها على السواء . أما الذين دهمهم الوباء وفارقوا الحياة ، واستولى الجزع على أقرب الخلان فلم يشاركوا في وداعهم الوداع الأخير ، فان « اسماعين الصحة » ، مع اثنين من عمال المكافحة ، كان يقوم بهذا الدور ، في مثابرة صامتة ، لا تكاد تجد لها أثراً في حركاته أو كلماته . . هكذا كان « اسماعين الصحة » علامة بارزة لم يفطن اليها أحد ، في السراء أو الضراء ، ظل يؤدي عمله الرسمي والتطوعي وكأنه لا يعمل شيئاً . لكن لم يحدث طوال عصره الا ما هو حقيقي ، وفي موضعه ، فالأطفال الذين يستخرج لهم شهادات الميلاد هم الذين ولدوا بالفعل ، في تاريخ تسجيلهم ، وتصاريح الدفن أثبتت سبب الوفاة الحقيقي ، وصوته يصعد بالأذان من الفجر الى العشاء ، ما بين هجير بؤونة ، وصقيع طوبة ، وزوابع أمشير . لقد خيل الينا أن الزمن توقف ، ليس « باسماعين الصحة » وحده ، بل بكل شيء من حوله . . . نوع من الاطمئنان الجميل ، أن كل شيء على ما يرام .

وغبت عن القرية سنوات ، ثم عدت ، وقد ترامت أطرافها ، وصار كل شيء أكثر بريقاً وارتفاعاً . . . وحدث أن احتجت الى وثيقة من مكتب الصحة ، ذهبت وأنا أتوقع أن أجد اسماعيل أفندي في مكانه ، بالجلباب البوبلين الأزرق السادة ، والبالطو الكاكي ، والكوفية الحمراء . لكني صحوت على صورة أخرى تؤكد أن زمناً قد انقضى وأقبل غيره . كان الجالس على المكتب شاباً شاحباً أجعد الشعر بفعل الصابون ، يلبس بنطلون « استرتش » وجاكيت بلاستيك شديد البريق . لم يكن وجهي معروفاً لديه ، ومع هذا فقد أظهر همة مشكورة في انجاز الوثيقة التي احتاج ، فأخذتها منه شاكراً ، مطرياً نشاطه باقتناع حقيقي ، واذا بالهمة المشكورة في حقيقتها همة مأجورة ! ! لقد بدأ يعزف اللحن الرديء : « أية خدمة يا بيه . . كلك نظر ، الموظف هو المسكين الوحيد في هذا البلد ، ماذا يفعل مثلي ليحصل حتى على سجائره ؟ ! » .

احتدم الغيظ في نفسي ، وقررت أن أتصامم عن كلماته الممجوجة ، ولأكثر من هدف سألته عن « اسماعين الصحة » .

قال دون مبالاة : تعيش انت . . . من زمان .

قلت بحزن حقيقي : متى حدث ذلك ؟

قال : بنفس النغمة اللامبالية ، بل لعله أراد أن يضمّن إجابته شيئاً يعبّر عن ضيقه بي ، ورغبته في اهانتي : -

- مات يوم تسلمت العمل في المحروق .

قلت بذعر حقيقي : المحروق ؟ !

- قصدي المكتب . . .

طويت الوثيقة في جيبي ، ألقيت نظرة على جوانب الغرفة ، تخيلت « اسماعين الصحة » جالساً في صدرها ، وابتسامته الغريبة تثير الدهشة ، وكلماته الطيبة تمتص القلق . . خرجت ، وأنا أقول في نفسي :

- فعلاً كان لا بد أن يموت ! ! □□

الجديد في العلم والطب

هل حان الوقت لسحب حبوب منع الحمل من الأسواق ؟

عمّت الاوساط الطبية في شهر نوفمبر الماضي ضجة كبيرة حول حبوب منع الحمل ، وحول الأضرار البالغة التي يمكن أن تسببها للنساء اللاتي يتعاطينها . وبخاصة من كن دون الخامسة والعشرين من العمر . فقد نشرت مجلة لانست Lancet الطبّية البريطانية المعروفة بحثين خطيرين للغاية . . ربط أحدهما بين تلك الحبوب وبين سرطان الثدي . وربط الآخر بينها وبين سرطان عنق الرحم Cervical وتوجه العلماء الذين نشروا هذين البحثين كما توجه سواهم ، الى وكالة الغذاء والدواء في واشنطن .F.D.A يطالبونها باتخاذ الاجراءات الكفيلة بالمحافظة على سلامة النساء الامريكيات . أما اللجنة الحكومية المعنيّة بسلامة العقاقير في بريطانيا . وهي نظيرة الوكالة الامريكية . . فقد انصرفت الى دراسة البحثين دراسة مكثفة استغرقت أربعة ايام متتالية . وكانت نتيجة تلك الدراسة المركزة أن حثت اللجنة كافة النساء الانجليزيات على التزام الحيطة والحذر بصدد مايتناولن من حبوب منع الحمل . . ونصحتهن باختيار الحبوب التي تحتوي على أقل قدر من هرمون البروجستوجن Progestogen فضلا عن هرمون الاستروجن .

أما البحثان اللذان نشرتهما مجلة لانست فقد استندا الى تجارب علمية وميدانية عديدة ، والا لما كانت الضجة التي أحدثاها في الاوساط الطبية العالمية

ونكتفي هنا بالاشارة الى التجارب التي تمخض عنها البحث الاول والأهم . . وهو الذي يربط بين حبوب منع الحمل وسرطان الثدي وقد أجرى تلك التجارب ووضع نتائجها في البحث السالف الذكر فريق من علماء واطباء كلية الطب في جامعة كاليفورنيا الجنوبية (في لوس انجلوس) برئاسة الدكتور بايك Dr.M.C.Pike

اختار هؤلاء العلماء والاطباء لتجاربهم بضع مئات من النساء اللواتي يتعاطين حبوب منع الحمل ، (٦٢٨) منهن بالتحديد . وما أسرع ما أثبتت الفحوص ان سرطان الثدي أصاب نصفهن قبل بلوغ السابعة والثلاثين . علما بأن المصابات لم يعانين في الماضي من أي من الأورام السرطانية أما النتائج التي تمخضت عنها تلك التجارب والدراسات التي اقترنت بها . . فقد دلت على أن احتمالات الاصابة بسرطان الثدي تزداد في ثلاث حالات :

* حالة الاقدام على مباشرة تناول حبوب منع الحمل قبل بلوغ سن الخامسة والعشرين .
* حالة كون تلك الحبوب من الاصناف التي تحتوي على مزيد من هرمون البروجستوجن السالف الذكر . . خمس وحدات منه أو تزيد .
* حالة اطالة أمد تعاطي هذه الحبوب

وتبين للعلماء الباحثين أن تلك الاحتمالات . . احتمالات الاصابة بسرطان الثدي تتضاعف ٤,١ أضعاف اذا طال أمد تناول تلك الحبوب ٤ ـ ٦ سنوات . . . و ٢,٤ أضعاف اذا طالت مدة استعمالها ٢٥ ـ ٤٨ شهرا . . والمقارنة في كلتا الحالتين قائمة مع

اعداد :
يوسف زعبلاوي

النساء اللاتي لا يتناولن حبوب منع الحمل اطلاقا . .

وتبين للعلماء بالاضافة الى ذلك أن احتمالات الاصابة بسرطان الثدي نقصت بنقصان ما تحتويه تلك الحبوب من هرمون البروجستوجن .

وتجدر الاشارة الى أن الهزة الاولى التي تعرضت لها حبوب منع الحمل جاءت في سنة ١٩٧٧ وفي التقرير الخطير الذي نشرته انذاك الكلية الملكية (البريطانية) للأطباء العموميين . . وقد ركز ذلك التقرير على الهرمون الذي تحتويه حبوب منع الحمل . . هرمون الاوستروجن **Oestrogen** وكشف ما يسببه هذا الهرمون من اضرار وامراض وما يترتب عليه من مخاطر . . فهو يحمل الدم على التجلط السريع . ويعرض المرأة للنوبات القلبية ، ولم يشر ذلك التقرير الى الهرمون الآخر في حبوب منع الحمل . من قريب ولا من بعيد . .

ومما يذكر في هذا الصدد أن حبوب منع الحمل التي تحتوي على مزيد من هرمون البروجستوجن تستأثر بنحو نصف المبيعات (بالتحديد ٤٧٪) مما يباع من شتى حبوب منع الحمل بصفة عامة .

حمارة لا تلد حمارا . . . وانما حمار وحش

هذه تجربة علمية لطيفة أجراها علماء حديقة الحيوان في لندن فقد نجحوا في نقل جنين حمار وحش الى رحم حمارة عادية . وذلك وفق مشروع علمي دقيق بدأوه قبل نحو سنتين وهذه هي المرة الاولى التي يتم فيها زرع جنين حي لحيوان كبير !

واقدم الفريق نفسه على نقل أجنة حية من خيول بريزيفالسكي وهي الخيول البرية الوحيدة في العالم . . وزرعها في خيول من ويلز .

ولا يخفى ما يترتب على نجاح هذه التجارب من نتائج . من ذلك أنها قد تضمن انقاذ فصائل من الحيوانات مهددة بالانقراض . . ومن ذلك أيضا احتمال شحن الاجنة المطلوبة من مكان الى مكان ، بدلا من شحن الحيوانات نفسها ، سعيا وراء تزاوجها وتكاثرها . وتوفير النفقات الباهظة وحماية الحيوانات التي قد تكون نادرة (البندا مثلا) في رحلات تزاوج كثيرا مامنيت بالفشل .

وتجدر الاشارة الى أن جنين حمار الوحش انتزع من رحم امه بعد سبعة ايام من حملها به حين كان قوامه ١٦ خلية فقط . وقد تم تنظيف الجنين وحقن أمه الجديدة بالهرمونات المناسبة لتمكينها من الحمل الاصطناعي . وذلك قبل زرعه في رحمها . . جراحيا . . وتكررت التجربة وفشلت مرات عديدة . . الا أن فريق العلماء الذين قاموا بتلك التجارب ، برئاسة الدكتور فيليب سمرز **Summers**، أصاب النجاح آخر الامر .

ويتطلع هؤلاء العلماء الى التجارب الجديدة التي ينوون القيام بها ، لدى قيام الحمارة بالسلامة . . الحمارة التي توشك ان تضع حمار وحش . . والتي سيزرعون فيها أجنة من حيوانات مختلفة غير متجانسة .

الكهرباء تسير السيارات بدلا من البنزين

مازالت مصانع السيارات في العالم تحاول صنع السيارة الكهربائية المثالية .. مثالية لأنها لا تلوث الجو أبدا .. ومازالت تلك المحاولات تتمخض عن نماذج تعرض في المعارض دون أن يعقب عرضها انتاج تجاري وبيع في الاسواق ..

ولكن أحد مصانع السيارات الدانمركية شذ عن القاعدة المألوفة .. وقد أعد العدة لصنع سيارته الكهربائية الجديدة (انظر الصورة) على نطاق واسع اعتبارا من مطلع هذه السنة (١٩٨٤) .

وتبلغ سرعة السيارة الجديدة في أقصاها (٥٠) ميلا في الساعة وتكفي طاقتها الكهربائية للتجوال مسافة ٦٠ ميلا .. أما البطاريات التي تمد السيارة بهذه الطاقة فعددها ١٢ بطارية من نوع بطاريات الرصاص - الأسيد الشائع حاليا في الاسواق .. غير أن بطاريات السيارة الجديدة قابلة للشحن أثناء الليل .. ولا ندري ان كانت بحاجة الى أجهزة شحن خاصة أم أن في الامكان شحنها من كهرباء المنزل ..

هذا ولا تزيد نفقات تسيير السيارة الدانمركية على ستين من الدولار الامريكي لقطع ميل كامل .. ويقابل هذا الرخص غلاء في قيمة السيارة .. وقد حددها المصنع بمبلغ ٦٠٠٠ دولار ..

ويحضرنا في هذه المناسبة خبر السيارات ، بل الباصات ، التي طوروها في بريطانيا والتي أقدمت مدينة مانشستر على شراء عشرين منها ... ومباشرة استعمالها بالفعل في شهر نوفمبر الماضي ١٩٨٣ . وتتميز هذه السيارات البريطانية بأنها لا تعمل بالكهرباء فحسب .. ولا بالطريقة التقليدية .. طريقة البنزين ومحركات الاحتراق الداخلي فقط .. وانما بالاسلوبين معا وحسبما تشاء .. فهي سيارات تستطيع السير بمحرك عادي وتستطيع السير بالكهرباء .. وتستمد طاقتها الكهربائية من بطاريات يتم شحنها من فائض طاقة المحرك .. وتستطيع هذه السيارات السير كهربائيا داخل المدن وذلك حفاظا على البيئة وتحاشيا للتلوث ..

وفي تلك الحال لا تزيد سرعتها في أقصاها على سرعة السيارة الدانمركية (٥٠ ميلا في الساعة) ولا تستطيع التجوال مسافة تزيد على ٦٠ ميلا تماما كالسيارة الدانمركية . ولكنها لا تتوقف عن السير اذا فرغت بطارياتها .. بل يتوقف أداؤها بالبطاريات ويتحول الى المحرك فتتمكن من مواصلة السير وتتمكن في الوقت نفسه ، من شحن بطارياتها بفائض الطاقة من محركها ...

لماذا تسقط الأقمار الصناعية ؟

بقلم المهندس سعد شعبان

□ أثار سقوط القمر الصناعي السوفييتي « كوزموس ـ ١٤٠٢ » في يناير ١٩٨٣ عاصفة من الذعر في كثير من الدول ، أعقبتها بعض الاستعدادات والتأهب في بعض الدول تحسبا لسقوطه فوق أراضيها . ومرجع ذلك الخوف أن القمر كان يحمل على متنه محركا يعمل باليورانيوم المخصب يمده بالطاقة . أن سقوط هذه المادة المشعة يمكن أن يتولد عنها كثير من المتاعب الصحية للانسان والحيوان .

صاروخ واحد يحمل ثمانية أقمار صناعية

لقد شهدت البشرية اطلاق أول قمر صناعي سوفييتي « سبوتنيك ـ ١ » في ٤ أكتوبر ١٩٥٧ وأول قمر صناعي أمريكي « اكسلبورر ـ ١ » في ٣١ يناير ١٩٥٨ ، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن أصبح عدد الأقمار الصناعية لا يقل عن ٦٠٠٠ قمر تتبارى في اطلاقها الدولتان الكبيرتان وعدد قليل من الدول الأخرى منها بعض الدول النامية كالهند . وقريبا في عام ١٩٨٤ سيصبح لجامعة الدول العربية قمران صناعيان يستخدمان للاتصالات .

وتتفاوت الأغراض من اطلاق الأقمار الصناعية ، فبعضها يطلق لأغراض البحث العلمي والقياسات المجردة ، وبعضها الآخر يطلق لأغراض تطبيقية بدءا من الاتصالات اللاسلكية والتنبؤات الجوية والإستشعار من بعد ، وانتهاء بأغراض الانذار المبكر الذي هو في حقيقته لفظ مهذب لأغراض التجسس العسكري والعلمي .

وكما تتفاوت الأقمار الصناعية في أغراضها وأجهزتها وأحجامها فانها تتفاوت أيضا في أعمارها . فبعضها يظل يتحرك على مداره مدة محدودة قد لا تعدو بضع ساعات ، وبعضها الآخر يقدر له أن يظل سابحا في الفضاء عدة سنوات قد تطول حتى ألف أو ألفي سنة . ويتوقف هذا على مقدار ما يغوصه مدار القمر االصناعي في الفضاء السحيق . ومدارات كل الأقمار الصناعية بيضاوية الشكل أي على شكل (اهليلج) ،وتقع الأرض في إحدى بؤرتي هذا الشكل البيضاوي ، وعندما يكون القمر أقرب ما يمكن من سطح الأرض يسمى بعده عنها (الحضيض) ، وعندما يبلغ أقصى بعد عن الأرض يسمى هذا البعد (الأوج) . ولذلك قد يتم القمر الصناعي دورته على مداره خلال بضع ساعات أو خلال بضعة أيام أو بضع سنوات ، حسب بعد « الأوج » و « الحضيض » عن الكرة الأرضية .

وعندما تتوقف أجهزة أي قمر صناعي لنفاد عمرها أو لعطل يصيبها ، يتحول القمر الى جسم معدني لافائدة منه اللهم الا كونه عائقا قد يصطدم يوما ما بجسم اخر . والجيل الأول من الأقمار الصناعية ، كان يستمد الطاقة المحركة لأجهزته من الخلايا الشمسية التي ترصع على سطحه الخارجي أو على زعانف جانبية له . ولكن أغلب الأقمار الصناعية التي تطلق لأغراض يقدر لها أن تستمر سنين طويلة وخاصة الأقمار التي تخدم أغراضا عسكرية ، فانها تستمد الطاقة اللازمة لتشغيل أجهزتها من شحنة ذرية أو نووية . وعادة ما توضع داخل وعاء معدني سميك كنوع من أنواع الاحتياط عند سقوط القمر .

حركة الأقمار الصناعية

لكي يستوى القمر الصناعي على مداره لا بد أن يحمله صاروخ دفع يطلق من الأرض حتى يجعله قادرا على الافلات من قوى الجاذبية الأرضية التي تشده الى الأرض ويرتفع به حتى مستوى المدار . وبعدما يتحرر من كل القوى الخارجية تصبح حركة القمر الصناعي « حركة منتظمة » لا يعوقها شيء ، لأن الفضاء خلو من كل المكونات سواء ذرات الهواء أو الغبار . ومن ثم لا تؤثر على الحركة المنتظمة للقمر الصناعي أي قوى خارجية ، ولذلك تظل حركته المنتظمة مستمرة . ولكن اذا اقترب مسار القمر الصناعي من الغلاف الجوي للأرض ، فعندئذ يحدث الاحتكاك . لأن الغلاف يحوى ذرات من الهواء والغبار . ولتفادى ذلك فان مدارات الأقمار الصناعية تصمم بحيث تبتعد عن الغلاف الجوي فتظل محتفظة بحركتها المنتظمة ويمتد بها العمر لتؤدي مهامها في الفضاء مددا طويلة ، وتظل محطات المتابعة الأرضية مشرعة هوائياتها لمتابعة

حركتها في الفضاء ، والتقاط قياساتها التي يمكن منها استنتاج ما تريد الأقمار تحقيقه من أهداف .

ولكن اذا اختلت حركة احد الأقمار الصناعية على مداره لسبب أو لآخر فانه قد يفلت من مداره ،أو يتهاوى من مداره الى الأرض بالتدريج ، فيصبح حضيض هذا المدار أقرب الى الأرض من ذى قبل ، وعندما يصبح جزءا من مداره مارا بطبقات الغلاف الجوي ، تعمل عملية الاحتكاك بذرات الهواء على رفع درجة حرارة سطحه الخارجي ، واذا بلغت درجة حرارة عالية فان الغلاف الخارجي للقمر يبدأ في الاحتراق ولذلك يخف وزنه فتزداد حركته اضطرابا بعيدا عن المدار الأصلي ، وعندئذ تنتهي حركته المنتظمة ويصبح خاضعا لقوانين حركة الأجسام الخاضعة لنواميس الحركة على الأرض وأهمها القوى الطاردة المركزية نتيجة لحركة الدوران أو قوى التثاقل بالجذب نحو مركز الكرة الأرضية . وقد تنتهي عملية تعرض السطح الخارجي للقمر الصناعي لدرجات الحرارة العالية بعد عدة دورات الى تفتت هذا السطح وتهاوى أجزاء من القمر الى الأرض .

ولا يحكم تحديد مكان السقوط شيء لأن عملية الاحتكاك بالهواء ليست محكومة بعناصر يمكن حسابها . غير أنه من البديهي انه اذا كان القمر الصناعي صغير الحجم ، وتدنى مداره بالغوص في طبقات الغلاف الجوي فان الاحتراق قد يكون كاملا فتتساقط أجزاؤه كلها ككتل صغيرة أو على هيئة ذرات . ولكن اذا كان القمر كبير الحجم فان عملية الاحتراق قد تكون جزئية ويبقى جزء من القمر يواصل الدوران والاحتكاك والاحتراق تدريجيا . وليس في هذا أية غرابة لأن الأجرام السماوية الصناعية ، تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها الأجرام السماوية الطبيعية كما خلقها الله ، وهي ما تعارف أهل الأرض على تسميتها بالشهب والنيازك .

تساقط الشهب والنيازك

تظهر الشهب مضيئة في السماء في حركة خاطفة ونراها نحن من الأرض كأنها سهام لامعة يجر كل منها خلفه ذيلا طويلا لامعا هو أثر حركته السريعة على صفحة السماء الداكنة .

والشهب في حقيقتها أحجار كونية تسبح في الفضاء الشاسع بين الكواكب ، وتخضع لقوانين الجاذبية التى تخضع لها سائر كواكب المجموعة الشمسية من حيث خضوعها للدوران حول الشمس في مدارات اهليليجية .

وهذه الأحجار الكونية لا تحصى عددا فقد تبلغ عدة ملايين أو عدة بلايين حجر ، ولكنها تتفاوت حجما فبعضها لا يزيد عن حجم رأس الدبوس ، وبعضها الآخر أحجار متفاوتة الكبر . وسبب وميضها في السماء هو احتكاك بعضها بالغلاف الجوي للأرض ، الأمر الذي يرفع درجة حرارتها الى حد الاحتراق والاضاءة في الظلام . ولذلك نراها تجر وراءها ذيلا طويلا . وغالبا ما ينتهي هذا الاحتراق بالتفتت أو الفناء الكامل والتحول الى ذرات صغيرة أو غبار . ولكن اذا كانت الشهب كبيرة الحجم ، فلا يكتمل احتراقها في الغلاف الجوي ، بل يحترق الجزء الخارجي منها ، أو الأجزاء الهشة منها ويسقط الجزء المتبقى الى الأرض بفعل الجاذبية وعندئذ تسمى « نيزكا » وعادة يكون من المعادن الصلبة التي لم تصل الى درجة الاحتراق .

والنيازك هى الأجرام الكونية التى تصلنا من الفضاء الخارجي . ولقد شهد التاريخ البشري حالات عديدة لسقوط نيازك متفاوتة الأحجام ، وبلغ وزن بعضها عدة أطنان ، ولذلك فان سقوطها الى الأرض يصاحبه كوارث كتحطم المباني ، أو الاطاحة بالاشجار العالية في الغابات أو احداث هوة غائرة في التربة ومن أشهر

النيازك ذات الحجم الكبير نيزك « ويلاميت » الذي بلغ وزنه ١٥ طنا وسقط فوق أمريكا الشمالية ، ونيزك « هوبا » الذي كان يزن ٦٠ طنا وسقط فوق جنوب غرب أفريقيا وما زال في موضعه الى اليوم ، ونيزك « أهنيجيو » الذي سقط فوق جرينلاند وكان وزنه ٣٦ طنا ، ونيزك « سيبيريا » الذي سقط عام ١٩٠٨ وسط الغابات الروسية وأحدث هوة متوسط نصف قطرها يزيد عن ٣٠ كيلومترا .

تساقط الأجرام الصناعية

تعددت مرات سقوط الأجرام الصناعية من أقمار وصواريخ فوق سطح الأرض ، وكانت أول مرة يعلن فيها مع شيء من الخوف عن سقوط جرم صناعي في عام ١٩٧٠ عندما سقطت أجزاء من القمر الصناعي السوفييتي « كوزموس ـ ٣١٦ » فوق احدى الولايات الأمريكية في منطقة غير آهلة بالسكان . لقد كان وزن القمر ٢٠٠ كيلو جرام ولكنه عندما تهاوى الى الأرض كان قد تفتت في الغلاف الجوي الى أجزاء صغيرة . ولذلك لم تنجم عنه حوادث ، كما لم يثر ضجة لأنه لم يكن يحوي مواد مشعة .

وفي مايو ١٩٧٣ بعد رحلة « معمل السماء الأمريكي ـ سكاي لاب » فقد أعلنت وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية « الناسا » عن احتمالات سقوط المرحلة الثانية من صاروخ الدفع « ساترين » الذي حمل المعمل الى مداره ، ولكن كان الأمر محتملا لأن الصاروخ لم يكن الا جسما معدنيا فارغا ، وطمأنت الوكالة الناس الى أنه سيتفتت الى أجزاء صغيرة أثناء احتراقه في طبقات الغلاف الجوي . وهذا ما حدث فعلا ، وشاءت عناية الله أن يسقط الجزء الأكبر من الصاروخ في مياه المحيط الأطلسي شرقي افريقيا قرب سواحل موزمبيق

وفي يناير عام ١٩٧٨ تعرضت الأرض لأول سقوط لقمر صناعي يحوي مواد مشعة ، فقد تهاوى القمر السوفييتي « كوزموس ـ ٩٥٤ » ، بعد أن تفتتت أجزاؤه الى قطع صغيرة وتناثرت فوق رقعة شاسعة شمالي كندا كان تغطيها طبقات من الجليد ويسودها الظلام لأنها قرب المناطق القطبية الشمالية ، وثارت أزمة بين الدولتين لأن القمر كان يحوي مواد نووية مشعة يستمد منها الطاقة ، وكان وزن هذه المواد ٤٩ كيلوجراما من اليورانيوم ـ ٢٣٥ المشع ، وهو قدر كاف لامداد القمر بالطاقة مدة ألف سنة لو قدر له أن يستمر على مداره . ولقد تعقدت عمليات البحث عن الأجزاء المتناثرة من المادة المشعة لكثرة الأجزاء التي بلغت ٣٠٠٠ قطعة ولتعقد الظروف الجوية وحلول الظلام واتساع رقعة البحث فوق ١٥٠٠٠ ميل مربع . واستمرت عملية البحث عدة شهور بواسطة طائرات أمريكية وسوفيتية تحوي أجهزة حساسة للمواد المشعة ، حتى تم التقاط الجزء الأكبر مما تساقط من أجزاء القمر ، وتكلفت عمليات المسح ٦ ملايين دولار

وفي عام ١٩٧٩ بدأ « معمل الفضاء الأمريكي ـ سكاي لاب » يفقد توازنه في الفضاء بعد أن مضى على اطلاقه ما يزيد على ست سنوات . وبعد أن تعاقبت عليه ثلاث عمليات التحام لسفن أبوللو خلال عام ١٩٧٣ وكانت مدد التحامها على التوالي ٢٨ يوما ثم ٥٦ يوما ثم ٨٤ يوما ثم ظل المعمل بعد ذلك يدور في الفضاء فارغا . لكن القلق بدأ يصيب المراقبين ، لأن المعمل كان ومازال أكبر جرم صناعي أطلق الى الفضاء فهو من حيث الحجم يعادل منزلا مكونا من خمس غرف ومن حيث الوزن يبلغ (٨٨) طنا . وكان متوسط ارتفاع مداره عن سطح الأرض (٤٣٥) كيلومترا ، ولا شك أن سقوط مثل هذه الكتلة الضخمة على الأرض كان يمكن أن يشكل كارثة لو أنه وقع فوق منطقة آهلة بالسكان . ولذلك أفلح الأمريكيون في تحويل

الأنظار عن الكارثة المرتقبة برصد جائزة ضخمة لمن يحصل على جزء من حطام سكاى لاب الذي لم يكن يضم أي مواد مشعة ، ولكنه يتكون بلا شك من كتلة ضخمة من المعادن لا يمكن أن تحترق بكاملها في الفضاء ولا يمكن أن تتفتت . ولقد رصد القدر لفلاح استرالي صغير السن ، أن يكون أول شخص على الأرض استطاع التقاط جزء من حطام المعمل الذي تهاوى فوق شريط من الماء واليابسة في منطقة غير مأهولة بالسكان في غرب استراليا . وهكذا حولت وسائل الاعلام الأنظار عن عملية سقوط هذا الجسم الضخم الى عملية الاحتفاء بهذا الفلاح الاسترالي وتكريمه .

وربما توالت حوادث سقوط بعض أقمار صناعية لم يعلن عنها ، ولم تثر حولها ضجة لأنها أقمار أطلقت لأغراض عسكرية ، ولا شك أنه كان بها محركات نووية . فمعروف أن أحد الأقمار الأمريكية سقط قبالة شواطىء كاليفورنيا عام ١٩٦٨ وكذلك سقط قمر أمريكي آخر في حفرة تعرف باسم حفرة تونجا بالولايات المتحدة الأمريكية في ابريل ١٩٧٠ .

وفي يناير ١٩٨٣ أعلن عن قرب سقوط القمر السوفيتي « كوزموس -١٤٠٢ » الذي أطلق منذ ٣٠ أغسطس عام ١٩٨٢ وحدثت ضجة اعلامية سياسية لأن القمر كانت على متنه شحنة من اليورانيوم -٢٣٥ المخصب . وقد سقط الجسم الرئيسي للقمر يوم ٢٤ يناير ١٩٨٣ في مكان غير مأهول من المحيط الهندي . وقد قامت قطع من الأسطول الأمريكي بمسح المنطقة بحثا عن التأثيرات الاشعاعية للقمر . وبعد ذلك بأسبوعين وفي ٧ فبراير ١٩٨٣ دخل المحرك النووي « لكوزموس - ١٤٠٢ » والذي كان يضم (١١٠) كيلوجرامات من اليورانيوم في الغلاف الجوي واحترق فوق منطقة بين غرب أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وقيل ان الاحتراق كان تاما .

أين تشريعات الفضاء ! ؟

وهكذا يثير سقوط « كوزموس - ١٤٠٢ » أمامنا قضية على جانب من الأهمية ، اذ ماذا كان يمكن أن يحدث لو سقط القمر فوق منطقة آهلة بالسكان . وهل لنا أن نتصور المصائب التي ستحيق بالأرض لو لم يحترق المحرك النووي.

اننا أمام قضية قانونية يقف أمامها القانون الدولى مكتوف اليدين ، وكل ما تمخضت عنه المادة رقم (٧) من معاهدة تنظيم استخدامات الفضاء المعقودة عام ١٩٧٧ نص يعتبر الدولة التي تقوم باطلاق أي قمر صناعي مسئولة عن الخسائر التي يتسبب عنها سقوطه . وهذا أقصى ما يمكن أن يتفق عليه بين أطراف تتبارى فوق حلبة لا يقوى على خوض غمار اللعب فيها غير طرفين قويين ويقف الباقي موقف المشاهدين .
لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن امكان استعادة الأقمار الصناعية التي تحيد عن مسارها بواسطة « بوليس نجدة فضائي » بواسطة مكوك الفضاء .

ان القلق الذى يصيب بعض الرؤوس ويدعو كثيرا من الأوساط العلمية للتأهب أمر لن يصل الى ارتطام الأقمار الصناعية المختلفة عن مساراتها برؤوس الناس ولكنه أمر قد يضع البشرية يوما ما أمام مسئوليات جسيمة ، لو قدر لأحد هذه الأقمار أن يسبب للبيئة تلوثا جسيما لم تعهده من قبل لأن التلوث في هذه الحالة لن يكون قاصرا على دولة دون أخرى ، فان مدى الاشعاع النووي الضار الذي يصيب السحب ومياه المحيطات والثروة السمكية والغبار الذري الذى يمكن أن يسقط فوق رؤوس عباد الله الآمنين ، أمر لا يقدر مدى ضرره الا الله .
وهكذا تفنن العلم في تلويث البيئة من كل جوانبها حتى الفضاء الذي يحيط بالأرض ، فقد أصبح مصدرا لهذا التلوث أيضا . □□

العربي
من ربع قرن

العدد الثالث فبراير ١٩٥٩

التعصب للتاريخ
تعصب ضد الحياة

انسان الشعوب التي صنعت الحضارة قد أصبح انسانا جديدا ، ومع هذا فما أشد نضاله مع نفسه ليكون جديدا أكثر من قبل . . انه يخشى ان يتخلف عن عصره فيعجز عن التكافؤ مع المشاكل والظروف التي يخلقها جيرانه وخصومه حوله . . ومع هذا فقد لاحظ الانسان بفزع مقدار الفرق في البطء والسرعة بين نمو الانسان في مواهبه كذات ، وبين نموه في عمله كآلة . فالفرق بين الانسان والانسان في مدى الأعوام الثلاثمائة الاخيرة ليس متناسبا بتاتا مع الفرق بين الاعمال والاعمال في هذه المدة من التاريخ .

وهذا هو الذي جعل الانسان - مع تطوره العظيم - اضعف من حضارته واعماله ، وجعل مشاكله ومتاعبه أقوى منه . . .

والعرب . . . ماذا ينبغي أن يصنعوا لكي يواجهوا هذا العصر بكل احتمالاته وتبعاته ؟ انهم يشبهون كائنا بعضه حي وبعضه ميت ، نصفه متحرك والنصف الآخر ساكن . . يريدون أن يجمعوا في أنفسهم بين الانسان القديم بخصائصه القديمة ، وبين الظفر بهذه الحياة التي صنعها الانسان الجديد بخصائصه الجديدة - يريدون أن يكونوا حياة و موتا ، وأن يبقوا في الظل ، وفي الشمس . . !

لقد كان وضع العرب عجيبا محرجا . فهم لا يقدرون على الانفصال من الماضي أو التنكر له ، ولا يقدرون كذلك على أن ينفصلوا من الحياة ، والحياة والماضي لايجتمعان في وعي الزمن . فظلوا معلقين في الجسر المعلق بينهما .

واذا كانت قوانين الجاذبية هي التي تعوق حركاتنا عن الصعود والانفلات من الارض ، فان جاذبية التاريخ هي التي تعوق همنا ومواهبنا عن الصعود الى قمم الحياة . . !

انه من أجل المضي الى الاهداف الامامية لا بد لنا من وضع افكارنا واهوائنا أمامنا . فالذين ينقسمون على أنفسهم لا يمكن أن يوحدوا طاقاتهم في ضربة واحدة ، والذين يضعون شهواتهم واحتياجاتهم في جانب ، ويضعون تقاليدهم الفكرية والاعتقادية في جانب آخر مضاد . . . كيف يمكن أن يكونوا ؟

نحن نحترم الموت أكثر مما نحترم الحياة ، اننا قد نتسامح كثيرا مع من ينقذون حياتنا ، ولكننا نرفض التسامح مع من ينقدون تاريخنا ، وقد ننقد نحن حياتنا وأنفسنا وأساليبنا كلها ثم نصر على تنزيه تاريخنا - على تنزيه موتنا من النقائص والعيوب . وهذا لاننا نحترم الموت أكثر مما نحترم الحياة . . ان احلامنا دائما وراءنا . والحياة تجربة ، والتجربة حاضر ومستقبل ، ولا يمكن أن نحيا كما لا يمكن أن نجرب في الماضي ونحن دائما نحاول أن نجرى تجاربنا فيما قد كان ، ونزرع أنفسنا في الفراغ .

وثقافة أي شعب تعد مقياسا صحيحا لنوع تفكيره وحياته . فماذا نجد في ثقافتنا اذا اختبرناها ؟ وماهي موضوعاتها ؟ سنجد موضوعاتها تاريخية ، وسنجدها هي طريقا طويلا يصلنا بالموتى . . انها تعلمنا كيف كنا ، ولا تعلمنا كيف ينبغي أن نكون !

ما أكثر الذين كتبوا ويكتبون عن موتانا وموتنا ، وما أقل من كتبوا ويكتبون عن حياتنا ومستقبلنا !

نحن قوم يعبدون الموت . . لا نريد أن نتغير . كل شيء فينا يراد له أن يجيء موتا متكررا ، طبق موت قد مضى . . فالتفكير والشعور والحياة وكل شيء يجب الا يتغير . . . فأعداؤنا بالأمس هم اعداء اليوم واعداء الابد . . وحقدنا يجب أن يوزع كما كانت أحقادنا في التاريخ توزع !

ان مُثلنا مُثلٌ ميتة . . . ما أطول هذا الطريق الطويل الموحش المرصوص بجثث الكتب والآراء التي يمر من فوقها جميع الرائدين . . لقد كان طريقا واحدا مرَّ فوقه جميع الكتاب . وكانوا جثثا تمر فوق جثث !

اننا لو جمعنا بين طرفي ثقافتنا ، بين ثقافتنا منذ ألف عام ، وبين ثقافتنا اليوم بعد ألف عام ، وبين نهجنا في التفكير والتعبير في هذين الزمانين ، لروعنا التشابه التام بين البداية والنهاية . . انه الموت لا يتفاوت ، اما الحياة فما أعظم ما فيها من تفاوت !

عبد الله القصيمي

الديموقراطية والحكم في الاسلام

نحن نعلم أنه أعقبت الغاء الخلافة في تركيا محاولة لاحيائها في مصر ، وأن هذه المحاولة أثارت تساؤل الأستاذ (علي عبد الرازق) المدوّي ، عما اذا كان للاسلام شكل ما للحكم أو نظام معين له

ونعرف أن جواب الأستاذ في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » كان بالنفي القطعي ، وبأن « . . الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون ، وبريء من كل ما هيئوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عز وقوة . والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية . . ولا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى ، في علوم الاجتماع ، والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا واستكانوا اليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية ، وأمتن مادلت تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم .

فحكم الاسلام هو اذن ـ عند علي عبد الرازق ـ حكم العقل . . . فاذا ما قضى العقل مثلا ، ودل الاختبار ، على أن الديمقراطية هي أفضل حكم ، كانت هي الحكم الواجب للمسلمين .

وقد يكون هذا هو حكم الدين الاسلامي كما تصوره واجتهد فيه الاستاذ علي عبد الرازق ، ولكنه ليس حكم التاريخ الاسلامي ، ولا حكم فقهاء الاسلام الذين سبقوه الى هذا البحث ، أوالذين عارضوه بعد ظهور كتابه . فمن استقرائنا للتاريخ الاسلامي ، نجد الأشكال الاسلامية التالية للحكم :

الشكل النبوي في عهد الرسول (ص) .
الشكل الخلافي في عهد الخلفاء الراشدين .
الشكل الملكي في عهود الخلفاء من بعدهم
الشكل السلطاني والاماري اللذين انبثقا عن العهد الملكي .

والاجماع منعقد بين الفقهاء على أن الحكم واجب شرعا . والاجماع منعقد أيضا على أن الامامة أو الحكم موضوع ، كما يقول الماوردي كبير الفقهاء الدستوريين المسلمين : « لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا . » فالخليفة أو الحاكم المسلم أيا كان هو القيم على تنفيذ الشرع الالهي في الأمرين معا .

ولذلك كان الحكم الاسلامي بأشكاله الخمسة التي ذكرناها من حيث المبدأ حكما ثيوقراطيا ، أي الحكم القائم لتنفيذ شرع الهي ، فهو أداة أو وظيفة لا غاية . وقد تولى هذه الأداة في العهد النبوي الرسول صلى الله عليه وسلم . فكان الحكم ـ بمقياس المفاهيم اليونانية مع الفارق بين الوضعين اليوناني والعربي ـ حكما ملكيا ، أي الحكم الشرعي الدستوري الفردي . وخلف الرسول أبو بكر منتخبا من قبل أهل الحل والعقد من الصحابة وهم خاصة الأمة ، ولكنهم الأقلية لا الأكثرية ، فبات الحكم معه ـ بالمقياس اليوناني ـ ارستقراطيا . .

والفقهاء المتأثرون بسابقة أبي بكر ، وما أعقبها من سوابق الخلفاء الراشدين ، الذين يعتبرون حكمهم حكم الاسلام المثالي ، يختلفون في عدد من تنعقد بهم الخلافة من أهل الحل والعقد ، ومتراوحو الرأي بين واحد منهم وجمهورهم ، وبين ما يعرف بالبيعة الخاصة والبيعة العامة .

فلو أضفنا لهذا أنهم يجيزون ولاية العهد بالوصية من خليفة لآخر ـ كما حصل من أبي بكر لعمر ـ لتبين لنا من الوقائع التاريخية للعهد النبوي ولعهد الخلفاء الراشدين ومن أحكام الفقهاء المستمدة منها ، أن الثيوقراطية الاسلامية قابلة ـ بالمقياس الرياضي الصرف ـ لأن تكون ملكية أو ارستقراطية أو ديمقراطية .

نقول هذا ، ونحن نعلم أن الأشكال الثلاثة تستلزم في المفهوم اليوناني أن يكون حق التشريع ـ بالاضافة الى حقوق الحكم الأخرى ـ انسانيا لا الهيا .

ونقوله ونحن نقتصر الحديث على العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين ، لأن الشرع أي القانون ، ما لبث في العهود التي تلت ذلك أن نزل الى خدمة الحكم أو الدولة ، بدل أن تكون هي في خدمته ، فاستحال الحكم الا في القليل النادر ، من حكم قوانين الى حكم أشخاص ، أي أنه انحدر من حكم دستوري الى حكم استبدادي لا يربطه بالديمقراطية ـ جوهرا أو شكلا ـ أي سبب !

الدكتور حسن صعب

حول مقال ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب

كيف نخرج من المأزق الثقافي؟

بقلم عثمان سعدي *

□

قرأت في عدد (٣٠٢ يناير ١٩٨٣) من مجلة العربي الغراء مقالا، بعنوان «ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب». للكاتب الفاضل الدكتور فؤاد زكريا. ونظرا لخطورة القضايا التي أثارها الباحث المحترم، فانني رأيت أن أحاوره.

قال الدكتور فؤاد زكريا في مقاله:

أولا: ان العرب تعاملوا في عهد المأمون بالتعريب مع حضارات أو ثقافات عصرهم التي كانت في أفول، وهم المنتمون الى حضارة فتية متطورة على مسار تقدم مطرد. ولهذا فمن الطبيعي أن يتعاملوا معها بالتعريب الشامل.

ثانيا: أما العرب في عصرنا هذا، فهم يتعاملون مع ثقافة الغرب، الراقية والتي هي في تقدم مطرد، من موقع ثقافي متخلف. ولهذا لا بد أن يكون تعاملهم معها بالتعريب الحذر والجزئي، الذي ينبغي أن يكون مقتصرا على العلوم الانسانية، والتعليم العام، «وربما على مستوى التعليم الجامعي». وباختصار «على مستوى الثقافة العامة التي لا تحتاج الى التخصص الشديد».

ثالثا: لكي نؤسس نهضة علمية جادة، لا بد من أن نتعلم اللغات الغربية، التي يتم بها تطور وتقدم العلم والتقنية، والبحث العلمي، في عالمنا المعاصر.

اكتساب العلم الحديث:

ان اكتساب علم العصر أى عصر، من طرف أمة ما، يرتكز على أسس ثابتة، صالحة لكل زمان ومكان. وينبغي أن نفرق بين اسلوبين في اكتساب علم العصر. أسلوب النقل الفوتوغرافي وبلغات الغرب، وكما يردنا

* عضو مجلس إدارة الصندوق العربي للتنمية، وعضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الجزائرية، والسفير الجزائري السابق في دمشق ثم بغداد.

من الغرب . وهو أسلوب يجعلنا نبقى أمة مستهلكة لمنتوجات العلم الغربي وللتكنولوجية الغربية ، وهو المتبع بكل أسف بالأقطار العربية منذ ما يقرب من قرن . وأسلوب الانفتاح على هذا العلم ، واكتسابه اكتساب تمثل ، بحيث نفرزه بعد تمثله في شكل صناعات واختراعات عربية . وهذا الاسلوب في رأيي هو الأمثل ، الصالح لنا كأمة ، اذا أردنا أن نوقف هذه التبعية الرهيبة للغرب التي نعاني منها .

ان هذا التمثل لعلم العصر وتقنيته لا يتم ولن يتم الا من خلال اللغة العربية . ولم يحدثنا التاريخ أبدا ، عن أمة حققت تنمية قومية شاملة : اقتصادية ، واجتماعية ، وعلمية ، وتكنولوجية ، وثقافية ، بلغة أجنبية .

وسأعرض مع الباحث المحترم ، والقراء الكرام ، تجارب بعض الأمم الاسيوية ، التي تمثلت علم الغرب وتكنولوجية الغرب .

التجربة اليابانية :[1]

عندما انفتح اليابانيون على الغرب ، ماذا فعلوا ؟ أسسوا هيئات متعددة ، أهمها تلك التي تتعلق بتطوير اللغة اليابانية وتطويعها للمصطلح العصري . وأوفدوا البعثات الطلابية الى جامعات الغرب التي عادت بهذا العلم لتعمل على نشره عبر الاكاديميات العلمية والجامعات ، باللغة اليابانية .

ان اليابان وهي تتعامل مع علم الغرب لم تتخل عن شخصيتها وأصالتها . بل بقيت محافظة على سائر مقومات شخصيتها القومية : من فنون بسائر أشكالها ، الى طريقة الاكل والملبس ، حتى فن العمارة ، الى التنظيم الاجتماعي . واهم عنصر حافظت عليه هو اللغة اليابانية التي تعتبر المقوم الاساسي لشخصيتها القومية . كانت اللغة اليابانية آنذاك تعاني من تخلف كبير لا يقارن أبدا بوضع لغتنا العربية . يكفى أن يعلم الباحث ، أن عدد حروف اللغة اليابانية يصل الى عشرة آلاف حرف . وأن الجريدة اليومية اليابانية ، لكي تقرأ لا بد أن يكون قارئها يعرف أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة حرف . وانه ليس لليابانية آلة كاتبة ديوانية . فالسفير الياباني بالكويت مثلا اذا أراد رفع تقرير لوزارته ، يكتبه بخطه السريع ويسلمه لنساخ السفارة ، الذي ينسخه بخط مقروء . وقد علمت أن اليابانيين بصدد اختراع آلة كاتبة بالاستعانة بالاعلام الآلي .

وبالرغم من هذه الصعوبات والتعقيدات ، فقد رفض اليابانيون التخلي عن لغتهم ، واستبدال حروفها بالحروف اللاتينية . لقد كون اليابانيون تعليما على غرار التعليم بالغرب ـ أسلوبا فحسب ـ لكن سائر المواد تدرس باليابانية وفي سائر مراحل التعليم . علموا اللغات الغربية ، كلغات تمكنهم من نقل العلم المعاصر الى لغتهم . أسسوا أكاديمية علمية لغوية مهمتها مزدوجة : « يَبْنَنَةُ »[2] المصطلحات العلمية الغربية ، وترجمة أمهات المراجع ، والابحاث العلمية ونشرها من خلال دوريات وكتب ، ووضعها بين أيدي العلماء والباحثين باللغة اليابانية . ولم تكد تمر عقود قليلة حتى تجاوز اليابانيون عملية النقل لعلوم الغرب ، الى عملية هضمها فتمثلها . وهم الآن سادة العلم والتكنولوجية العصرية ، بزّوا أساتذتهم السابقين من الغربيين . كل ذلك قد تم بفضل أمر واحد وهو سيادة اللغة اليابانية على سائر مرافق الحياة اليابانية ، بما فيها ميدان العلوم والتقنية . ومن غير شك فان الدكتور فؤاد يتفق معي ، بأن اليابانيين كانوا وهم ينفتحون على العلم الغربي ، اكثر تخلفا منا نحن العرب قبل قرن .

←

(١) راجع كتاب « قضية التعريب بالجزائر » للمؤلف ـ ط . دار الطليعة ببيروت ، والدار القومية للنشر بالقاهرة .

التجربة الصينية :

كان الصينيون يعتمدون على اللغة الانجليزية التي كانت لغة العلم ، بل لغة تفاهم ايضا بين الصينيين الذين كانت تفرقهم عشرات اللغات . وما أن تسلم ماوتسى تونغ الحكم عام ١٩٤٩ ، حتى اختار اللغة الخانية ، وهي لغة منطقة بيكين ، وجعل منها اللغة الرسمية للبلاد ، وحول اللغة الانجليزية الى لغة تعلم ، مثلها مثل سائر اللغات الحية ، كروافد لتوريد الابحاث العلمية من الغرب والشرق على السواء .

كانت اللغة الصينية (الخانية) تعاني من تخلف ومن تعقيد وخاصة في كتابتها ، اذ يبلغ عدد حرفها عشرات الآلاف ، ويقول المتخصصون فيها بأن عدد حروفها رقم يتكون من خمس أربعات : (٤٤٤٤٤) حرفا . عمل ماوتسى تونغ نفسه ـ وهو العالم اللغوى أيضا ـ على تخفيض عدد حروفها ، التي رفض استبدال الحروف اللاتينية بها . بذل الصينيون جهدا فاخترعوا آلة كاتبة ديوانية ، تتكون من ألفين ومائتى حرف ، شاهدتها عام ١٩٦٥ في سفارة الصين بالجزائر .

وبرغم هذه الصعوبات والتعقيدات ، التي تعاني منها اللغة الصينية ـ رفض الصينيون التخلي عنها وعن حروفها . ولا يمكن لمنصف أن يتهم الصين بأنها تخلفت عندما « صَيْنَنَتْ »[٣] المعرفة لقد استطاعت خلال ثلاثين سنة أن تؤسس تنمية اقتصادية واجتماعية وعلمية فريدة من نوعها ، حلت بموجبها الكثير من مشاكل المجتمع الصيني ، وقضت نهائيا على الثالوث العدو للأمة الصينية ، والمتمثل في المرض ، والجوع ، والانواء الطبيعية . وفجرت القنبلة الذرية والهيدروجينية ، وأرسلت قمرا صناعيا من صنعها يدور حول كوكبنا ، وصنعت الصواريخ العابرة للقارات . وباختصار دخلت عصر الفضاء . كما صار القاسم المشترك الاعظم بين الصينيين اللغة الصينية ، وليست اللغة الانجليزية ، كما هو الحال في جارتها الهند ، التي عجزت حتى الآن عن ايجاد تنمية شاملة هندية ، تخرج الأمة الهندية من التخلف ، وتقضى على الثالوث العدو لها . لأن نسيج خيوطها الرئيسية للتنمية هو اللغة القومية ، التي هي غائبة في الهند ، مع انها سبقت الصين بقرون ، بل اليابان ايضا ، في دخول التعليم الغربي ، والعلم الغربي لها .

التجربة الكورية

عانت كورية من الاستعمار الياباني الشرس لمدة ستين سنة ، فرض عليها خلالها سيطرة

(٢ ، ٣ ، ٤) اشتق الكاتب هنا فعلا على وزن « فعلن » من الكلمات الأعجمية « يابان » و « صين » و « كوريا » للدلالة على صيرورة الشيء يابانيا ، وصينيا ، وكوريا ، وهذه طريقة في الاشتقاق تقبلها لغتنا السمحة (العربي)

لغوية وثقافية كاملة ومنعها من تدريس اللغة الكورية .

استقلت كورية سنة ١٩٤٦ فوجدت نفسها في وضع تسيطر فيه اللغة اليابانية سيطرة كاملة على الحياة الكورية . فأصدر قادتها قرارهم التاريخي بالكورنة الفورية الشاملة . بحثوا عن الذين يعرفون اللغة الكورية فلم يجدوهم الا بين شيوخ عجزة بالريف ، أحضروهم للمدن وكلفوهم بتعليم مبادىء اللغة الكورية للمثقفين من معلمين ، وأطباء ، ومهندسين ، واداريين ، وغيرهم ، ودامت هذه الحملة بضعة أشهر قليلة . ثم فتحت المدارس وسارت الادارات بالكورية وحدها مع شطب كامل للغة اليابانية من الحياة الكورية .

وفي خلال عشرين سنة تحولت هذه اللغة التي كانت شبه بدائية ، الى لغة الصناعة والعلم . ولا يستطيع أي منصف ، اتهام كورية بأنها تأخرت عندما كورنت المعرفة . بل بالعكس فهي قمة التقدم بشمالها وجنوبها .

كورية الديمقراطية التي يبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليون نسمة ، تنتج الآن عشرين مليون طن من الصلب والحديد سنويا ، وتصنع كل شيء حتى الصاروخ والطائرة النفاثة . وتعتبر أرقى دولة شيوعية آسيوية . ولها جيش قوامه ـ بشهادة الرئيس الامريكي ريغن ـ خمسون فرقة ، وسبعمائة وخمسون طائرة حربية .

كورية الجنوبية الرأسمالية هي ايضا في قمة التقدم . يسميها الغربيون واحدة من عمالقة الصناعة الجدد بآسيا . يكفي أن يعلم الدكتور فؤاد أن هذه الدولة تحصد من العالم الغربي كل سنة خمسة عشر مليار دولار ، من الصادرات والمقاولات ، التي استطاعت ـ من خلالها ـ شركاتها المنتمية للقطاع العام ، الكوري ان تهزم شركات القطاع الخاص العربي في عقر داره . وهو دخل كما نرى يفوق دخل أي بلد عربي نفطي ، باستثناء السعودية . ان الفضل للمعجزة الكورية بجنوبها وشمالها يعود الى الكورنة الكاملة الشاملة .

وقد يسأل احدنا لماذا لم تحصد مصر هذا المبلغ الخيالي من العالم العربي ، الذي تحصده كورية الجنوبية ، والجواب ، هو أن مصر فشلت في انجاح خطة تنموية شاملة ، رغم انفتاحها على العلم الغربي قبل اليابان وقبل كورية . وسبب فشلها راجع الى غياب التعريب الشامل والكامل . [٥]

ولماذا نذهب بعيدا وكيان اسرائيل مغروز في جسد وطننا . أن أول شيء أسسه اليهود باسرائيل هو الجامعة العبرية بهداسا ، التي اعدت فيها وباللغة العبرية ، مخططات قيام دولة اسرائيل بسائر مؤسساتها ، وقبل بروزها الى الواقع . لقد حولت اللغة العبرية في ربع قرن ، من لغة مقابر كما كانت تسمى ـ لانها لم تكن موجودة الا في كتابات قبور موق الجاليات اليهودية بالعالم ـ ، الى لغة علم وتكنولوجية تأخذ عنها اللغات الغربية الآن . يكفي أن نعلم

---

(٥) حاول محمد علي تأسيس التنمية . الشاملة الصناعية والعلمية بمصر ، تعتمد على الذات بالدرجة الاولى ، فيما يشبه التجربة اليابانية الى حد ما . وذلك عندما وضع البلاد في اطار احتكار الدولة ، أي أغلق السوق المصرية أمام البضائع الغربية ، لاتاحة الفرصة لنمو الصناعة الوطنية (١٨١٨ ـ ١٨٤٠) لكن الدول العظمى الخمس وضعت حدا لهذه التجربة فأجهضتها ، عندما اجبرت محمد علي ـ تحت تهديد مدافع الاسطول البريطاني ـ على الغاء احتكار الدولة وفتح السوق المصرية امام البضائع الغربية ورجال الاعمال الغربيين وبلا قيود ، والكف عن الطموحات الوحدوية العربية ، وذلك عام ١٨٤٠ . ومن ذلك التاريخ احذت مصر مسارا تنمويا خاطئا يعتمد على الانفتاح المطبوع بالتبعية . وحاول عبدالناصر بعث تجربة محمد علي (١٩٥٤ ـ ١٩٦٧) . لكن الغرب تآمر عليه وعلى مصر مرة ثانية ، وبأسلوب جديد فأجهض التجربة بنكسة ١٩٦٧ ثم جاء عهد فتح كل لابواب انفتاحا مجنونا .

أن كل الكليات والمعاهد بالجامعات الاسرائيلية تـدرس بالعبرية بما فيها علوم الـذرة بمعهد وايزمان . في نفس الوقت الذي نجد فيه ارض الكنانة مصر ، ذات الخمسة والاربعين مليون نسمة ، وذات اللغة العريقة ، لازال الطب فيها يدرس من الفه الى يائه باللغة الانجليزية . أليس هذا هو سبب هزائمنا وانتصاراتهم ؟ .

مراحل اكتساب العلم

ان اكتساب العلم الحديث أو التكنولوجية الحديثة المستوردة يمر ـ مثل عملية الهضم في أجسامنا ـ عبر ثلاث مراحل : المضغ . والهضم . والتمثل . يمكن لأمة أن تمضغ العلوم بلغة أجنبية . ويمكن أن تهضمها الى حد ما بلغة اجنبية . لكن لا يمكن لها أن تتمثل هذه العلوم المستوردة الا بلغتها القومية . يمكننا نحن العرب ـ اذا استمرت اللغة الانجليزية بالمشرق ، والفرنسية بالمغرب ـ تسيطران على الساحة العلمية والتكنولوجية ، أن نتحول ـ وبمعجزة ـ من مستهلكي المواد المصنعة الغربية كما هو الحال الآن ، الى مستهلكي براءات الاختراع الغربية المستوردة ، لكن سنبقى في جميع الحالات مستهلكين ، نعيش عالة على غيرنا .

ان المطلوب ، لخروجنا من المأزق الحضاري والعلمي والتنموي ، الذي تعاني منه أمتنا ، ليس هو في ابقاء معاهدنا وكلياتنا العلمية تحت سيطرة لغات الغرب ، وانما المطلوب تطبيق التعريب الشامل والكامل ، المنفتح على سائر اللغات الحية العصرية ، وليس على لغة واحدة كما هو الآن . المطلوب اقامة اكاديمية علمية لغوية قومية ، تقوم بترجمة المراجع ، وتعريب المصطلحات وتتابع حركة البحث العلمي بالعالم ، فتعرب اي بحث جديد من أية لغة حية غربية أو شرقية ، وتضعه بين ايدي علمائنا وباحثينا . من خلال دوريات علمية .

ان التجربة الثقافية التي تطالبون ـ الابقاء عليها وتكريسها ـ يا دكتور فؤاد ـ قد أثبتت فشلها ، لأنها تجربة مرقعة وليست منسجمة ، هجينة وليست أصيلة . وقمة فشلها تكمن في عدم نجاحها حتى في ميدان العلوم الانسانية .

اننا حتى الآن لا نملك كعرب معجما لغويا حديثا تجدد طبعته سنويا بالاضافات اللازمة لها ، مثل قاموس لاروس الفرنسي مثلا . لدينا تجربة فردية كتجربة (المنجد) . وتجربة مصرية جيدة هي (المعجم الوسيط) الذي لم تجدد طبعته منذ اكثر من خمس عشرة سنة . وهما غير كافيتين .

انني مع تدريس اللغات الحية : غربية وشرقية ، بشرط أن نتعلمها لنستعملها كرافد نثري عن طريقها لغتنا القومية ، وثقافتنا القومية وعلمنا وتقنيتنا ، لا أن نستعملها كلغات بديلة للغتنا .

ان امتنا منذ نصف قرن تنزف من عدة جروح : الجرح الاقتصادي من خلال اهدار الثروة . والجرح الاخلاقي ، من خلال مسخ الشخصية الذي تعاني منه أجيالنا الشابة ، بسبب انفتاحها اللغوي الشكلي السطحي على الغرب ، وهذا هو الذي يفسر تبلد الحس الذي نعاني منه كعرب ، ازاء امتهان كرامتنا في العشرية الاخيرة . والجرح الثقافي ، الذي يتمثل في هجرة عشرات الآلاف من خريجي كلياتنا العلمية للعالم الغربي .

صدقني يا دكتور فؤاد ، أن سبب كل ذلك راجع الى أمر واحد ، وهو غياب التعريب الشامل والكامل في نهضتنا الثقافية والعلمية .

وخير ما اختم به هذا المقال ، قول الكاتب الفرنسي ، عضو الاكاديمية الفرنسية جيلبر كونت : « كل انفتاح على العالم يفرض أولا وقبل كل شيء ثقة في النفس راسخة ووطيدة . ان اللغة هي الجنسية نفسها ، هي الوطن حيا ، ومنفيا ، في ذات كل واحد منّا . » □□

كتابة التاريخ

□

علم التاريخ هو العلم الذي يقدم للأجيال الجديدة تجارب الماضي ودروسه ، وهو يقف على رأس العلوم الاجتماعية ، واذا كان الرواد الأوائل من شيوخ المؤرخين العرب ، قد خطوا خطوات هامة على طريق اعادة كتابة التاريخ العربي ، الا أن الطريق يكاد يضيع بين الجيل الجديد من المؤرخين .

وهذه محاولة للتشخيص من أجل الوصول الى منهج تاريخي للأكادميين العرب .

بقلم الدكتور سيار الجميل

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية العديد من المناهج الأكاديمية العربية المعاصرة في دراسة التاريخ العربي والاسلامي . لقد اشتهرت هذه المناهج فى كل من لبنان ومصر والعراق ثم سورية والأردن ، فهذا منهج العراقيين الذي يقف على رأسه كل من الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صالح أحمد العلي ... وهذا منهج المؤرخين المصريين الذي وقف على رأسه كل من المؤرخ المرحوم محمد شفيق غربال والدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور زكي حسن وغيرهم .... وذاك منهج اللبنانيين والذي اعتمده كل من المؤرخ الدكتور أسد رستم والدكتور فيليب (الذي غادر لبنان الى أمريكا) ، ثم الدكتور نقولا زيادة والدكتور نبيه أمين فارس وغيرهم . أما في الأردن فقد اختص الدكتور عبد الكريم غرايبة بمنهج له في قراءة تاريخ العرب الحديث .

ان جميع المناهج الأكاديمية التي مثلها أصحابها من الأساتذة والمؤرخين المذكورين أعلاه قد جمعت لها طرائق واحدة مشتركة في المنهجية ، وقد اتخذت لها قالب الميثودولوجيا الأوربية أساسا لها في التعامل مع علم التاريخ ، وذلك بحكم دراسة أغلب هؤلاء الشيوخ الذين ذكرناهم في جامعات أوربية .

من ناحية أخرى فقد كتب في العربية أكثر من كتاب وكراس ومقالة في أصول البحث التاريخي ، ومناهج دراسته ... اذ صلتنا بحوث عديدة ، كان في مقدمتها كتاب الدكتور أسد رستم (مصطلح التاريخ) ، وكتاب

الدكتور أحمد شلبي (كيف تكتب بحثا أو رسالة) ، ومقالة الدكتور زكي حسن (دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي) .... ثم أعقبتها كتابات أخرى ، مثل كراس الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف (مصادر التاريخ الاسلامي ومنهج البحث فيه) ، وكتاب الدكتور حسن عثمان (منهج البحث التاريخي) ... وترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لكتاب لانكلو وسينوبوس (النقد التاريخي) ... اضافة الى ذلك ، فقد ظهرت اصدارات عديدة حول موضوع تفسير التاريخ ، وما تضمنته من أفكار وآراء ومقترحات ... منها كتاب الدكتور قسطنطين زريق (نحن والتاريخ) ، وأنور الجندي في كتابه (حركة التاريخ) ، والدكتور عبد العزيز الدوري وجماعته في كراسهم (تفسير التاريخ) ، وغيرهم . بالاضافة الى العديد من الأعمال التي تم ترجمتها الى اللغة العربية .

لقد اتبع المؤرخون العرب المحدثون في الأكاديمية العربية أصول الميثودولوجيا الغربية باعتبارها هي الاصول الاساسية في دراسة التاريخ وكتابته .. ورغم اهمية تلك الاصول وفائدتها ، الا ان مناهجنا وقعت كتابع مقلد ليست له كفاءته للاكاديمية الغربية في دراسة تاريخنا وحضارتنا . ولم تنجح عندنا الا بعض اعمال اولئك الاساتذة الشيوخ الاوائل الذين ارسوا هذه القواعد ، والبعض القليل من المؤرخين الاكاديميين العرب الذين استوعبوا على نحو بارع تلك الميثودولوجيا ، وجانسوا بينها وبين مواضيعهم في تطبيقاتهم لها .... في حين بدت تطبيقات تلاميذهم من الباحثين غير موفية لأغراض ما تتطلبه تلك المناهج من قواعد وأسس وأصول ... هذا أولا . أما ثانيا ، فان الأكاديمية العربية لم تلتفت الى الأصول والأساليب العلمية التي يحفل بها تراثنا الكلاسيكي العربي والاسلامي . تلك الأصول والأساليب التي كان الغربيون أنفسهم قد استفادوا منها في بناء علم الميثودولوجيا والفهرسة والنقد الظاهر والباطن ... يذكر الدكتور أسد رستم في كتابه (مصطلح التاريخ) قائلا « والواقع أن الميثودولوجيا الغربية التي تظهر اليوم لأول مرة بثوب غربي ليست غريبة عن علم مصطلح الحديث بل تمت اليه بصلة قوية ... » وأستطيع أن أضيف على ما ذكره الدكتور رستم ، بأن الغرب استطاع أن يأخذ اضافة الى مصطلح الحديث الكثير من آراء ابن خلدون الفلسفية ، وأفكار المؤرخ أبي الفداء ، وملاحظات الناقد المسلم عبد القاهر الجرجاني ، وأصول أبناء الأثير في الكتابة ، وشروحات الفارابي في تصنيفه للعلوم ، وأمانة المعلومات التاريخية عند الطبري ، وفهرسة ياقوت الحموي لمواضيعه .... وغيرهم كنزعات علمية أصيلة استفادوا منها في بناء ميثودولوجيتهم التي أشار اليها الدكتور رستم .

أساليب البحث

ان الباحث الأكاديمي العربي في حقول دراسة التاريخ لم يلاحق الزمن ، ويتعرف على ما جد في علم التاريخ ومناهجه وفلسفته ... وما آلت اليه حركة العلم من الأبعاد الواسعة : اجابة تساؤلات التاريخ .... الكتابة المركزة ... الاساليب الاستقرائية في الفحص والمقارنة .. استعمال الموسوعية في العمل .. استعمال الخارطة التاريخية والخارطة الجغرافية .. استعمال المختصرات .... الاهتمام بالملاحظات النقدية والمعلوماتية .. التوضيحات الرقمية بجداول .... استعمال الكومبيوتر في الجدولة وحسابات التواريخ الاقتصادية والجغرافية والفهرسة ... اضافة الى استعمال الميكنة في الوثائق والمخطوطات ..

كما أن المؤرخ الأكاديمي العربي لم يسع الى التجديد والابتداع ، وظل أسير قوقعته التقليدية في جمع النصوص التاريخية ورصها كالأحجار .... يدور في حلقة مفرغة ، اذ لا يتعامل مع الأحداث والشخوص تعاملا دقيقا ، وبقي يميل لتكرار ما فعله من سبقه من المؤرخين الذين كتبوا في مواضيع متشابهة ... لقد بقي الباحث الأكاديمي مستسلما لعملية سهلة طيعة في جمعه وتدوينه لمادته ، بخلاف ما في الابداع من مهام صعبة المنال ، أهمها ثقافة واسعة يستعملها كأداة علمية لاستدعاء البراهين والأمثلة والأدلة للمقارنة والتعليل ... كما انه لا يزال بعيدا عن تحليل النص تحليلا علميا . !

ان ملاحظتي على أغلب الباحثين الجدد في التاريخ ، تجيء ضمن هذا السياق العام للمنهجية الاكاديمية ،

فانتاجهم لا يعدو أن يكون مجرد تدوين للاحداث والنصوص لا غير .... وتذييل كل ذلك بأرقام وهوامش متكاثرة في أسفل الصفحة ، وفي بعض الأحيان ، تغلب تلك الهوامش على المتن فتدحضه .

انظروا رسائلهم وكتبهم وبحوثهم ومقالاتهم .. سوف ترون وبكل بساطة انها عملية تدوين جافة ورتيبة ، لا تحتاج لأكثر من استقدام مادة تاريخية من بطون كتب قديمة ، أو مراجع حديثة ، ونسخ نصوصها ، ثم تذييلها بالهوامش .

الخوف والتاريخ !

هكذا نرى بأن السلبيات المنهجية قد سببت خللا فادحا على مستوى الموضوع ، وبقت سائبة دونما معالجة أو تعليل ، هناك انعدام واضح أو شبهه لشخصية الباحث في كتابته لموضوعه ومادته التاريخية ... فانك ان قرأت ما كتبه فسوف تجد أنه يعيش في عزلة تامة عما قدمه اليك ... لا تشعر بوجوده على نطاق الموضوع أو النتائج ، ولا تجد له رأيا صارما ، ولا تظفر به ناقدا محللا ، أو فاحصا مدققا ... ولا تراه ناظرا مقارنا ، أو مستنبطا لحقائق مجهولة .... وهذه جميعها من قيم وصلب التفسير العلمي في دراسة التاريخ ، بل تعتبر ضرورة ماسة من ضروراته سواء في التعامل مع الاحداث أو الابطال أو الارضية ، أو المصادر والمراجع . وأعتقد بأنه رغم فقدانه لثقافة واسعة في التاريخ والفلسفة والادب والعلوم ، فانه كباحث أكاديمي يقع في بدايات تجربته العلمية تحت وطأة الخوف ، فيحشر نفسه وفكره وموضوعه في نطاق الحدود التي يرسمها له أستاذه المشرف .. ولا يخرج من هذه الحدود أبدا للقيام بمقتضيات ما هو متعارف عليه في المنهج التاريخي ، وما يتطلبه موضوعه ، اضافة الى ضعف الاشراف عليه من قبل استاذه .. كلها عوامل أساسية تبقيه متشرنقا في جمع مادة موضوعة ونسخها ، اذ يكتفي بالسرد ... ولا يزال معظم الأكاديميين من المؤرخين المحدثين ، على حالهم بعد نيلهم لشهاداتهم العليا ، دونما الدخول فيما يقرره كل من المنهج والتفسير ، أو أن يتحرروا من قوالبهم الثابتة التي جعلتهم فريسة للتشويش الفكري ... والعجز الموضوعي شفويا وتحريريا .

اختيار الموضوع

ان ما يلاحظ على المدارس الأكاديمية المتطورة في دراسة العلوم التاريخية ، هو فرضها على طلبة الماجستير اختيار مواضيع محددة ، يراعى في كتابتها التركيز في المعلومات وتحديد المحتوى ، باعتبارها تجربة أكاديمية أولى لصاحبها في البحث .... كما ويراعى فيها اختيار مواضيع محددة سواء كانت الدراسة لفجوة زمنية صغيرة ، أو حدث تاريخي عظيم ، أو شخصية تاريخية أو بطولية أو حضارية مؤثرة .... ويكبر العمل في أبحاث الدكتوراه سواء في دراسة عهد تاريخي ، أو فترة تاريخية - تراكمية تزدحم فيها الأحداث أمدها النصف قرن ، أو دراسة نقدية وتحقيق علمي لمخطوط هام ووثائق نادرة .... أو دراسة نظم ادارية في عهد ما ، أو علاقات سياسية أو اقتصادية بين دول خلال فترة تاريخية محددة .

عندما نطبق مثل هذه الاعتبارات الأكاديمية في دراسة التاريخ على مجمل الرسائل والاطروحات التاريخية في الأكاديمية العربية حديثا ، لم نجد أي وجه للتطابق والانسجام ، فأغلب رسائل الماجستير - مثلا - قد اختصت بدراسة فترات زمنية مطولة ، وغياب التفرد بدراسة مواضيع محددة كالأحداث الكبرى أو الشخصيات التاريخية التي كان لها تأثيرها وأثرها في حقبات متباينة من تاريخنا .... فهي جميعا مواضيع أولى بالدراسة والتدقيق والربط والبحث عن مخفياتها التاريخية من دراسة عهود طويلة ، ليس للباحث من عمل في الأخيرة الا جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المتوفرة ، ويقننها أو يختزل مواضيعها الهامة .... والاجدر من الناحية العلمية ، أن تناط مثل هذه الأعمال الكبيرة للرجال المتفرغين الذين سنحت لهم السنوات الأكاديمية الطويلة ، والتجارب المكتبية ، والسفرات والمؤتمرات .... واكتسابهم قدرا أكبر من المعلومات لكي يؤلفوا في فترات عهود طويلة .... في حين من المفروض على الأساتذة أن يلزموا طلابهم من الشباب الباحثين الاقتصار في تجاربهم العلمية الأولى للبحث والتقصي في مواضيع محددة غنية بالفعل وردود الفعل .... والاحاطة التاريخية في دراسة مختلف الأسباب المباشرة وغير المباشرة للأحداث ، واستخلاص النتائج المفيدة

صياغة التاريخ

هناك عجز واضح في أسلوب الكتابة التاريخية .... فعلى المؤرخ أن يجمع بين البساطة والدقة وروح الفن .... وأن يكون صاحب احساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال خصب .. فإن ما يفيد حياة التاريخ هو كتابته بأسلوب خلاب، يقوم بحكمة في التناسب والقصد ، والترتيب والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة ، أو بين الطريقة والغاية ... ليخرج الباحث المؤرخ بعد ذلك بأسلوب تاريخي علمي تمتزج فيه عناصر فنية . ولعل معرفة علم الفيلولوجيا Philoiogy كأداة من أدوات التعبير ... مع عناصر الفن الادبي وقراءات عديدة في الطبيعة والنقد الأدبي والشعر والرواية التاريخية Historical Novel مما يقدم أكبر فائدة للمؤرخ .

المصادر والمراجع

أما من ناحية معاملة الباحث الأكاديمي للمصادر والمراجع .... فلا يزال الخلط والمزج قائما لوظيفة كليهما ، فكثيرا ما نلحظ استقدام مادة أساسية قديمة غائرة في أعماق الزمن من مرجع حديث العهد .... بالوقت الذي تنحشر هذه المادة بين طيات مصدر أساسي يكون في متناول اليد ، ولكن الباحث لا يكلف نفسه عناء قراءته أو فحصه والاعتماد عليه . ان هذه المعاملة هي من أسوأ التطبيقات العلمية .... وانعدام كامل لروح الأمانة والدقة والموضوعية ، اذ لا يتحتم حدوث مثل هذا النزوع الا عندما تندر المادة الأساسية الى حد قصي كأن تحتويها مخطوطات أو وثائق أو كتب نادرة الحصول في طبعاتها القديمة ، أو آثار ومسكوكات . وتتباين وظيفة المراجع الحديثة عن وظيفة المصادر .... فمهام المراجع عديدة ، فهي مطمع في الرجوع للأخذ برأي ، أو عرض استشهاد ، أو استكمال وصف ، أو دحض ميول ، أو توسيع دائرة ، أو اثارة تعليق ، أو اشعار وجود ، أو نقد أخطاء ، أو توضيح أفكار ، أو ملاحظة نتائج ..

لقد أردت من نقداتي هذه توضيح السلبيات الأساسية في تطبيق علوم المنهجية التاريخية في الحقول الأكاديمية العربية المعاصرة ، والالتفات الى قضاياها في تفسير الموضوع التاريخي .... والالتفات أيضا لابعاد ما قد تفاقم من أصول وأساليب جديدة في البحث ، والتي تعتبر ـ اليوم ـ أكبر من كونها مجسدة للاعراض والجواهر لكل ما يحتويه علم التاريخ من أحداث وصور وشخوص والوان وحضارة وتراث .... تحيا جميعها عن طريق الميثودولوجيا . فما بالنا اذا كان الباحثون من المؤرخين العرب المحدثين لم يدركوا بعد طبيعة العمل بها نفسها ، وبأساليبها المقننة والتكنيكية البسيطة .... ومع كل هذا ، فهم يلقون كل تأهيل وترحاب من أساتذتهم ومعلميهم فيما يألون اليه ، ويبحثون فيه ، بل ومن المؤسف حقا ، ان اطروحاتهم ورسائلهم تنشر للناس على عواهنها وأخطائهادون تصحيح ، بعد أن تكون قد منحت درجة امتياز أو درجة الشرف الأولى .

ان العجز الذي يعتور مضامين وأساليب علم التاريخ في مؤسساتنا الفكرية والأكاديمية ... ونزوع أصحابه سواء كانوا قد تخرجوا في جامعات عربية أم جامعات غربية الى الجفاف والسطحية ، وقياسه كظواهر مجردة من الحياة والروح والحاضر .... جعله يفقد يوما بعد آخر أهميته وقضيته ووظيفته . انه بحاجة ماسة الى العقلية الحادة ، والذهنية المتوقدة ، وانه بحاجة أيضا لكي تعاد له منهجيته وأساليب دراسته وتطويرها ، من أجل اغنائه بتجارب أكاديمية جديدة .... تخدم وظائفها الأهداف الأساسية التي قام من أجلها هذا العلم .... وأن تكون الجدية والصرامة في التقييم ، والعقلية البنائية في العمل . وعدا ذلك كله فسوف تضيع الغاية ، ويموت الهدف ، وتنتهي الحياة العلمية للباحثين .. اذ أنهم سيكتبون للفراغ أو الرفوف من أجل شهادة عليا ، أو نفع مادي .... لا يحفل بهم قارىء ، ولا يهتم لهم مسؤول ، ولا تتواصل عنهم أجيال ، ولا تستبصرهم حركة العلم والفكر في المستقبل . □□ .

الظاهرة اليابانية ومعجزة الإسلام

بقلم : الدكتور احسان حقي

كتب الاستاذ الدكتور محمد الرميحي رئيس تحرير مجلة العربي في عددها رقم ٢٩٩ افتتاحية تحت عنوان : الظاهرة اليابانية ، ذكر فيها ادوار النهضة اليابانية التي قفزت باليابان ، في اقل من قرن ، من حالة بدائية الى ميدان نهضة عامة شاملة فاقت كثيرا من البلاد المتقدمة صناعة وتجارة وعلما وسياسة ، وذكر الاسباب التي ادت الى هذه النهضة وختم مقاله القيم بكلمة جاء فيها :

« الكتابة عن اليابان خاصة من وجهة نظرنا نحن العرب لا تخلو من الرومانسية فكثير من معالم التجربة اليابانية يمكن ان نجد لها سندا تاريخيا في مسيرة تطورنا ، ولكن السؤال ما زال يبحث عن اجابة علمية مقنعة : لماذا تقدم اليابانيون (الشرقيون) وتخلف العرب الشرقيون ايضا ؟ وماذا يمكن ان نستفيد من تلك التجربة الفذة ؟ » وقد رأيت ان اعلق على هذه الكلمة الطيبة لأنها جاءت من صميم حياتنا وهي كلمة تدور على كل شفة ولسان والكل يسأل ولكن احدا لم يجب ولم يعرض علينا برنامجا او علاجا لننهض كما نهضت اليابان . ويبدو ان هذه الفكرة راودت من قبل كثيرا من الناس في الشرق والغرب ، وذلك حينما يرى اصحاب الحس النبيل والشعور الاصيل اناسا يسبقونهم في كل ميدان وهم ليسوا دونهم ، ولعل اول من تنبه الى هذا الواقع وحاز قصب السبق في هذا الميدان الاديب الافرنسي ادمون ديمولان الذي كتب سنة ١٨٩٧ كتابا بعنوان : (سر تقدم الانكليز السكسونيين) ، وما كاد هذا الكتاب يظهر في الأسواق حتى نفدت طبعته الأولى في بضعة ايام وترجم الى عدد من اللغات الاوروبية وترجمه الى اللغة العربية احمد فتحي زغلول باشا ونشره في السنة الثانية من ظهوره في فرنسا .

وقد أولت الصحافة الفرنسية والعالمية والهيئات العلمية والادبية والتعليمية والتربوية في فرنسا وفي غيرها من بلاد العالم هذا الكتاب اهتماما منقطع النظير وقرظته تقريظا لم يقرظ كتاب مثله من قبل ولا من بعد ، وعلى الرغم من انه كان انتقادا مرا لفرنسا والفرنسيين ولطرق تربيتهم وتعليمهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية فقد اقبل عليه الشعب الفرنسي افرادا وجماعات اقبالا عظيما لأنهم رأوا فيه انتقادا بناء وصف الداء ووصف له الدواء ولذلك كان انتقادا مقبولا .

وفي العشرينيات من هذا القرن سأل سائل الامير شكيب ارسلان عن اسباب تقدم الانكليز ، وكان الناس منذ بداية القرن الثامن عشر ينظرون الى انكلترا على انها اعظم دولة في العالم صناعة وتجارة وسياسة واستعمارا وقوة ، وقد كانت في الواقع كذلك حتى قيض الله لها تشرشل فهدمها ، اقول سأل سائل صديقي المرحوم الأمير

شكيب عن اسباب تقدم الانكليز ، فاجابه الامير برسالة طالت حتى غدت كراسا صغيرا طبعت تحت عنوان : لماذا تقدم الانكليز وتأخر غيرهم .

وعلى الرغم من ان كراس الامير كان صغيرا ولم يعالج الامور معالجة علمية ومتفرعة كما عالجها كتاب السيد ديمولان الا انه لم يكن يخلو من فائدة وقد ترجم هذا الكراس في الثلاثينيات الى اللغة الاردية وطبع في الهند باعداد كبيرة .

أمة تنفتح

فالموضوع ، اذن ، هو موضوع كل أمة تتفتح فيها اذهان وعقول بعض ابنائها وتدرك سوء حالها بالنسبة الى غيرها من الأمم وتتساءل عن سبب تأخرها ، فالسؤال او التساؤل موجود ، اذن في كل الازمان وما مجيء الانبياء والمصلحين في العالم الا استجابة لهذه الحاجة ، واذا كان شعور الانسان - مهما كان بدائيا - بتأخره عن غيره امرا ملموسا فان الذين يوفقهم الله لوصف الدواء لهذا التأخر هم قليل والذين يوفقهم الله لمعالجة هذا التأخر هم - ويا للاسف أقل .

وتعليقي على مقال الدكتور الرميحي هو ان سؤاله او تساؤله هو من قبيل تساؤل العارف لأنه ذكر كل الأسباب التي ادت الى النهضتين المصرية واليابانية فالداء اذن معروف والدواء معروف ولكن الطبيب المعالج غير موجود .

وأذكر بهذه المناسبة انه حينما دعتني حكومة باكستان سنة ١٩٧٣ لزيارة الباكستان وكتابة كتاب عنها لتعريفها الى ابناء العربية ان احتفى بي رئيس وزراء مقاطعة البنجاب ، التي عاصمتها مدينة لاهور ، فأقام لي حفلة شاي دعا اليها ثلاثين شخصية علمية ، وكانت احاديثنا متشعبة النواحي كما تكون في مثل هذه الاجتماعات ، فقال لي رئيس الوزراء في اثناء حديثه : اريد يا دكتور ان اسألك سؤالا واريد جوابا صريحا عليه . قلت : تفضل واسأل وسأجيبك بما اعلم .

قال : لقد كنا نحن - اي باكستان وهندوستان - مستعمرة انكليزية ونلنا استقلالنا في يوم واحد . . . فلماذا تقدمت هندوستان ولم نتقدم نحن بنسبة تقدمها ؟

قلت : ارجوك ان تعفيني من الرد على هذا السؤال . قال : ولماذا ؟ قلت : لأني لست باكستانيا واخشى ان يكون جوابي مؤلما . قال : اذا كنت تظن نفسك غير باكستاني فنحن نعتبرك باكستانيا يجمعنا الدين واللغة والهدف ، فانت مسلم وعملت استاذا في جامعة عليكره ، وتتكلم لغتنا مثلنا وانت الوحيد من بين ادباء العرب الذي تطوع لخدمة باكستان وكتبت بضعة كتب عنها فانت - اذن - واحد منا بشعورك واخلاصك لا بل انت اكثر باكستانية من كثير من الباكستانيين ، ولذا فان جوابك - مهما كان مؤلما - نتقبله كما نتقبل جرعة الدواء المر .

قلت : مادام الامر كذلك فاني اقول لك بكل صراحة ان هناك اسبابا كثيرة لعدم تقدمكم بنسبة تقدم هندوستان ، ولكن اهم كل الاسباب انه لم يوجد في باكستان زعيم مثل كاندهي ونهرو ، فقال لي بكل ألم : ان حقا ما تقول .

الذين يعلمون غير الذين يعملون . .

فنحن ، ايها الأخ الدكتور ، نعرف لماذا تقدمت مصر زمن محمد علي الكبير ، ونعرف لماذا وكيف تقدمت اليابان ؟ وقد ذكرتم كل اولئك في كلمتكم ولكن الذين يعلمون غير الذين يعملون .

ان لدينا كثيرا من الامثلة على نهوض امم كانت في الحضيض فغدت في القمة ، فالولايات المتحدة الامريكية وأوروبا الشمالية لا بل وفرنسا ذاتها ومثلها ايطاليا لم تكن شيئا مذكورا قبل قرنين فاصبحت بنهضتها ورقيها مضرب المثل ، واذا اردنا ان نأخذ المثل الحي الدائم على النهضة السريعة العجيبة فان لنا في نهضة العرب بعد اسلامهم اصدق دليل ، والاسباب التي نهض بها المسلمون الأولون معلومة لدينا والبرنامج واضح ، ونحن اليوم بحاجة الى السير على ذاك البرنامج والى رأس يقود .

يوجد اليوم في العالم نحو اربعين دولة بين اسلامية وعربية ، وكلها وبلا استثناء - في حالة من حالات التأخر مع وجود كل أسباب ووسائل النهوض لديها ، فلدينا من الاموال ما لا يملكه غيرنا ولدينا عقول جبارة وعلماء افذاذ وامكانات طبيعية مادية ومعنوية لا حصر لها ، لكن الذي ينقصنا هو تنفيذ البرنامج الذي بين ايدينا والرأس الذي

يقود . ولست اعني بالرأس فردا من الناس له اية صفة من الصفات بل اعني هيئة عليا لها الامر على جميع الناس ، ولنقل اننا بحاجة الى برلمان اسلامي عالمي يضم علماء منتخبين عن كل بلد من البلاد الاسلامية ، على ان يجمع هؤلاء الاعضاء الى العلم التقوى والنزاهة والتجرد ، ويكون حكمهم نافذا في كل بلد .

ان الرجوع بالمسلمين الى دولة تشبه الدولة الاموية او العباسية او العثمانية امر غير معقول وغير مستطاع ، لأن لكل زمان حكمه ، وان فكرة الوحدة العربية : من المحيط الى المحيط ، التي يتاجر بها بعض الناس ويروجون لها انما هي فكرة خيالية لا يمكن تحقيقها الا في نطاق مجموعات مستقلة ومتفاهمة على برنامج عمل واحد .

ماذا يضر العرب والمسلمين لو ظلوا كما هم اليوم مفترقين الى قوميات ، ولكن لغتهم واحدة ودستورهم واحد وعملتهم واحدة ونظام تعليمهم واحد ومصطلحاتهم العلمية واحدة وغير ذلك من الروابط اذا لم يكونوا كلهم دولة واحدة ؟ ان خير نظام لنا ـ في ايامنا هذه ـ هو الوحدة في الكثرة ، اي لا يضرنا ان تكون لنا اسماء كثيرة مثل سوري ومصري وعراقي وجزائري اذا كانت غايتنا واحدة وبرنامج عملنا واحدا ، وكلنا ندور حول فكرة واحدة ونرمي الى هدف واحد ، بقدر ما يضرنا ان يكون لنا اسم واحد وقلوبنا شتى .

اننا بحاجة الى اصلاح جذري ينظم كل فرع من فروع حياتنا وكل ناحية من نواحي تفكيرنا ، بحاجة الى انقلاب شبيه بالانقلاب الاسلامي . انظروا الى عمر بن الخطاب والى خالد بن الوليد والى عكرمة بن ابي جهل قبل اسلامهم وكيف اصبحوا بعد اسلامهم . اننا بحاجة الى مثل هذا الانقلاب في النفوس والعقول .

والسؤال الذي يخطر في البال هو : هل بالامكان ان نخضع لهذا النوع من الانقلاب ؟ او هل نحن قابلون لذلك ؟ والجواب هو : مادام العرب الأوائل وعلى ما يصفهم لنا التاريخ من سوء حال قد استجابوا لهذا الانقلاب فلماذا لا نستجيب نحن لذلك ؟

ثم ان امامنا اقواما غيرنا كانوا في حالة بدائية جدا يوم كنا نحن امة راقية وها هم اليوم في الاوج رقيا ، ومدنية فلماذا لا نكون نحن مثلهم ؟

ان ما نحن فيه يجب الا يفت من عضدنا ولا ان يقعدنا عن الاقدام ، لأن لكل الشعوب فترات هبوط وفترات ارتفاع ، ولكل من الحالين أسبابه وعوامله ، فاذا كنا نريد العزة والكرامة ومجاراة الامم الراقية ، فالطريق امامنا واضحة ومعبدة ، فما علينا الا ان نسلكها مقتدين بغيرنا من الأمم ، وبذلك نستطيع ان نبدل حالنا باحسن مما هو عليه ، فالمرء يظل في مكانه او يرجع الى الوراء اذا لم يتقدم ، وما على من اراد التقدم الا ان يخطو الخطوة الأولى في الطريق الصحيح ليصل الى الغاية المطلوبة .

اما ان نظل نتغنى بالماضي ونبكي على الحاضر ونحلم بالمستقبل الزاهر فاننا لن نتقدم خطوة ، بل نظل حيث نحن ، ومن بقي في مكانه كان متراجعا ، لأن العالم يسبقه كثيرا ، فالى الأمام حتى نقول في المستقبل : معجزة الظاهرة الاسلامية ولا نقول الظاهرة اليابانية ، وما ذلك على من سعى بعزيز . □□

الوردة البيضاء

للشاعر : فاضل خلف

وردتُـك البيضــاء للمستــهــامْ
أهــاجَـتِ الحــبَّ وذكــرى الــغَــرامْ

مــوضِـعُـهــا مــن صَــدرك المُــزدَهي
يُــوحــي لشــعــري بِــألــذِّ الكَــلامْ

ولســت أدري مــنْ سَبَــى مُــهجتــي
أنــتِ أمِ الــوردةُ في الابتِســامْ

أنــتِ الــهــوىَ وفيــكِ كــلُّ المُنَــى
والــوردُ فَــانٍ مَــالــهُ مــن دَوامْ

الــوردُ في الــروضِ قصــيرُ المَــدَى
وورُدُ خَــدّيــكِ طَــويــلُ المقــامْ

غَــدا سيبقــى الصَّــدرُ مستضحكــاً
في عُنْفُــوانِ الحســنِ والانسْجِــامْ

بِــغَــيْــر وردٍ وبِــلا زينَــةٍ
كمــا بَــراهُ الله ربُّ الأنــامْ

وردتُــكَ البيضــاء في حُسْنِــهــا
لَيْسَــتْ بــأوْلَى مِنْــكِ بــالاهتمــامْ

عِشْتِ وعــاشَتْ ذِكــريــاتُ الــهَــوىَ
في أوجِــهــا لِلْعــاشِــقِ المُسْتَــهــامْ

أفارقة عرب

تبوتب

الرصاص والر... وجهاً لوجه!

« تبوتب »

بقلم جمال محمد أحمد

الحديث عن حامد المرجبي « تبوتب » ، حديث طويل لا يمل الكاتب . . . أي كاتب من الخوض فيه . . . في هذا المقال ينقل جمال محمد أحمد جانبا آخر من حياة هذا الرجل الذي نسيه التاريخ . الرجل الذي مشى رحلة العذاب من أجل مثله ومبادئه .

التقى الرجلان حامد وستانلي أول ما التقيا في دار حامد على نهر لوالايا غرب بحيرة تنقانيكا (تنجنيقا) شتاء سنة ١٨٧٦ وما كان صاحبي قد عدا العشرين من عمره بكثير ، ولد سنة ١٨٣٥ . قص عليه الرحالة الجسور قصته العنود في وجه المتاعب واشار في حديثه لرغبته في ان يعينه حامد على اكتشاف نهر الكنغو . وكان قد عرف عن حياته في ذلك الاقليم منذ اقتحم الداخل من الساحل سنة ١٨٦٥ . كان قد وصل في طوافه اعالي الكنغو سنتين قبل هذا اللقاء كان مشهدا من مشاهد اللقاء العربي لأوروبا. جاء الجسور العنود ستانلي يلقى الرجل الاسطورة وجعل اعوانه من العرب يصفون له وعورة الطريق انه « حائط اشجار » تحول دون أن يسير الانسان على قدميه ، ودون الحيوان أن يحمل متاع صاحبه ، ما هاله كثيرا الامر كان قد جاء ذلك الشطر من القارة من قبل ، عرف مشقة الترحل والوحشة المخوفة هذه في الليل ، وتلك في النهار . بعث به الذين فتنوا بالقس لفنقستون الذي نزع القداسة عنه ، املا في ان تصلح الكنيسة على يديه فصار بعد تجاربه مع الكنيسة وتجار الدخان والعرب ، داعية حرب على تقاليد القبائل الافريقية وحرب على الذين اتخذوا

تعاليم ربهم عكازة لشهوة السلطة كلها في الذي رأى وخبر ، صخرة في طريق الافريقي للحضارة العليا وأضحى داعية حرب على الأوروبيين ،لو جنحوا لتجارة تنفعهم وتنفع الافريقيين لكانت تجارة نافعة ، لكنهم لايرون الافريقي غير سلعة من السلع ، تحمل الاثقال ، وتجمع الحصاد ، وتباع من حين لحين . كان لفنقستون بدعا من المبشرين وبدعا في الذي رأى من علاقة ينبغي أن تكون بين حضارة أوروبا وانسان أفريقيا .

الرجل الساحر

ماشغل ستانلي بالذي قال أصحاب واتباع تبوتب . كان في خاطره وهو يستمع لـلأهوال التي سيلقى ، امجاد لفنقستون وبرازا ، ولن يقل شأوا عنهما ، والرجل الذي جاءه يطلب عونه على رؤاه نفسه ، ليس رجلا من عامة الرجال . اكثر . رآه حين رآه ، رجلا طويلا ، عريض اللحية على ذقن قوي ، سوادهما كسائر السواد فيه شبيه الابنوس . ذكي ، وجهه يأخذ عينيك . حلو في عينيه طرفة ، ماهي طرفة الحياء . بياض اسنانه ناصع ، وهي دقيقة التركيب عليها طلاوة لاتخطئها اعشى العيون . تقوم على حراسته وخدمته من شباب العرب اشباهه . يرنون اليه مزدهين به زعيما لهم وراعيا اياهم ، عرفت من بعد ان رهطا من قبيلة وانقوانا وجارتها قبيلة وانياموريزي ، اتوا يحملون متاعه ويقومون على أمنه عبر آلاف من الاميال يقطعها ، رأيت آثار جهده على وجهه رغم فتوته حين دخل الدار ، مستقيم القامة ، سريع الخطو والحركة صورة لحيوية الشباب وقوة عمره الأخضر اليانع .

« جاء لدى مدخل معسكره ، يرحب بي بآداب العرب الكبار أهل النفوذ ، يخطو خطو الملوك والأمراء . اتى خدمه يحملون الوسائد والحصر يضعونها حيث ينبغي ان نجلس وهم حولنا وقوف ، يرعون قيامه وقعوده وخطوه ، اذ دهاهم اسلوبه . ورعيته أنا عن قرب ، الطفت النظر دقائق ، عرفت اني امام عربي لايرام ما وراء ظهره ، اكثر العرب الذين لقيت شكيمة ، وقد لقيت من قبل قادة كثيرين في الاقاليم ، بعضهم عرب خلص ، وبعضهم هجين افارقة عرب . حين تقدم بنا الحديث خلع عنه طربوشه الاحمر حمرة الكبد ، وحزامه المرصع بالأحجار المزركشة الوانها كلها مصقولة ، وخلع مع حزامه هذا خنجره المدلى منه ، مقبضه من الفضة وغمده من الذهب .

وجدتني اجلس قبالة ذاك النموذج المثال قرأت صورته في ذهني مما قرأت من اساطير واشعار من قبل عن العرب . »

لا أحتاج أن أقول لك بعد هذا ان ستانلي الذي عمل للخلاص من صاحبي حامد خمسة عشر عاما بعد هذا اللقاء فتن فتنة به ، أول رؤيته اياه ، فهذه العبارات في مفكرته اوصاف رجل ساحر ، واحب لك ان تذكر وانت تقرأ هذه الصورة التي انقل لك من كتابه « عبر قارة الظلمات » ان ستانلي وان كان عسرا لايدرع في الذي خبره كل من اتوا طريقه في العمل ، كان صحفيا بارعا ، قلما من اقلام الهرالد تربيون اول عهد امريكا بها واوربا ، صحيفة بارعة لليوم .

قال وقد عاد ذهنه من طوافه وهو يستمع لاعوان تبوتب ولا يعني كثيرا بالذي يقولون :

« هذا الذي اسمع مروع . أتجيء معي تعينني وانت الاعرف من صحابك باهوال الطريق ؟ »

قال حامد « بالذي اعرف انا وبندقيتك انت لن يؤذينا أحد » وسعد ستانلي وراح يزهو قال :

« هذه البندقية في يدي تقذف خمس عشرة رصاصة واحدة اثر اختها لا تقف »

وسأل حامد :

ـ وكلها خلال هذه الفوهة ؟

ستانلي

نعم . جميعها خلال الفوهة ، هاكها ، انظر .
ـ ما رأيت ولا سمعت عن بندقية كهذه .
ـ هاكها ، قلبها يمنة ويسرة ، ارني الذي خفي علي ، كيف تستعمل هذه البندقية الجديدة .
ـ ما هي بالجديدة تلك الجدة التي . . .
ـ أرني كيف تفعل فعلتها ، ارني .
ـ أعتذر . ما عندي ذخيرة تكفي . لا استطيع ان اريك .

عشرون سهما

امسك تبوتب بالبندقية ، يديرها براحتيه حول ذراعيه وحين فرغ من عجبه . شرع يحدث ستانلي عن قوسه . انه يحمل عشرين سهما ، يقذفها جميعها مرة واحدة ، ان هو رمى . كان يود ليريه كيف يقذف قوسه سهامه العشرين لكنه لن يفعل . استرجع ستانلي وقد اخذته العزة بالاثم ، شق عليه ان يقول له العربي ، وهو الذي يعيش الاف الاميال بعيدا عن حضارته صانعة البنادق وغير البنادق من أدوات الحياة والموت . ان قوسه ورمحه كفاء بندقيته ورصاص بندقيته . اطلق أثنى عشرة طلقة منها ، واتبعها بطلقة من مسدسه . عجب حامد وبدت علائم الرضا على ستانلي ، وكان حقا ان يرضى ، اذهل الرجل الذي حسب ان شيئا لا يذهله ، رخي البال ، موقور العيش ، قريب لنفس اتباعه ، قريب للقائمين على امر زنجبار من اهله . ثم ذكر عرب عُمان الذين أتوا الجزيرة وحامد صبي في العاشرة من عمره ، سنة ١٨٤٠ ، اتخذوا جزيرة القرنفل مقعدا آخر يعززون به مسقط وعُمان وقد بدت نواجذ اوروبا التي اقتطعت لنفسها عدن سنة ١٨٣٠ وما هناك ما يقف دون قوتها القاهرة وحيلها القادرة ان تجيء تفترس سلطنتها ، قوية في البحر والبر بسلاحها كثيرة الحيل ، ويدفعها ايمان بنفسها ودينها وحضارتها تهون معها عندهم اديان وحضارات غيرها من الشعوب . كان على الامارة سلطانها وسلطان الساحل برغاش (ت ١٨٨٨) وكان جديرا بابيه سعيد (١٨٠٩ - ١٨٥٦) . وكان سعيد يؤثر حامدا ويصطفيه ، يغبطه سلطانه في قلوب الافارقة ويحاذر لكن لا يهاب . ما عرف عن حامد شهوة للسلطان . هواه التجارة ، وذاك لا يقلقه . هواه هو الامارة والذود عنها ، وشقيت الامارة اخريات عمره ، أتت مراكب أوروبا ذات البخار في جوفها والنار في سطحها تريد السلطان والتجارة في الساحل والداخل .

لكنها كانت أيام سعد العرب في زنجبار ، تلكم التي لقي فيها صاحبي حامد الرحالة الكاتب ستانلي ، عقدا العقود بينها وكتبا العهود لرحلة العذاب . عاد ستانلي لاهله توا بعد لقائها وكتب رسالة لتبوتب كان يحملها معه في طريقه لمحكمة القنصل البريطاني في بلدة ـ اي عدوان ؟ وضعها بين يدي صديقه القس ، وكان ذاهلا عنه برؤيته عرب عمان وسلطانهم سعيد ومكان حامد بين الذين أتوا بعده . استيقظ من حلم النهار ليجد يد حامد ممدودة بالرسالة وقرأ :

« حين أعود لاوروبا سأذكر بالخير العميم اياديك على بعنقي ، على اني ادرك أن أي شيء

أفعله من أجلك يقصر عن ثواب عوارفك لا علي وحدي بل على الذين سبقوني من الاوروبيين . سأضع بين يدي أوروبا كل الذي رأيت وخبرت في رحلتي . سأغدو من بعد رجلا ذا ثراء ونفوذ لدى الحكومات الاوروبية . انا الآن مصدر من مصادر المعرفة والرأي . لن تقدم حكومة من الحكومات على عمل في الاقليم قبل ان تسألني لأشير عليها . سأكون نافذ الأمر » .

اطفال البشرية

وهنا وقف القس يلطف النظر لحامد ، يريد ليقول حديث أغرار ، هذا الذي قرأ وما قال انه حديث اغرار لكن صاحبه فهم عنه ، أشار الى رسائل اخرى حيث كانت الرسالة التي يقرأ . احمر حياء وجه القس وتبوتب ، يوجز له ما كان يبعث به اليه ستانلي ، يتودد اليه ايام حاجته اياه ، يقول له انه طوعه ، لن يأتي او يدع امرا الا ان رآه حامد خير الامور ، انه يسعى لاسعاد أهل الاقليم من عرب وأفارقة وعرب افارقة . يحلم بان يربط اقليم نهر الكنغو (الكنغو) بتجارة اوروبا وعلومها ومهاراتها وصناعاتها لحامد ، الأمر كله والجزاء المادي الاوفى لعونه اياه وعون اوروبا لذلك .

قال القس لصاحبه وكان قد هدأ خاطره وهو يقص عليه أخبار الوعود والعهود من ستانلي ، انه يحزن لاهله الذين يضلون السذج في اوروبا يجيئون القارة باموالهم يعطونها لهم بسخاء ، يبعثون بها لهم حين يروحون بيوت العبادة، يخطبون عن القارة السوداء وظلامها الذي يخيم على القبائل ، يقولون انهم بشر . على أوروبا أن تأخذ بيدهم لحضارتها ، تقود خطاهم ، انهم اطفال البشرية . ضحك أول مرة حامد ، وكان طول لقائهما هذا جهم الوجه مكدود الفؤاد ، وتساءل سوان عن سر جذله ، قال حامد انه وهو يستمع اليه يترجم له رسالة ستانلي ، ذكر رسالة وهدية اتته منه ، من ستانلي بعد عودته اوروبا تدلان على صدق الذي يقول القس عن « اطفال البشرية » لقد استقر ستانلي بين معجبيه وحسب حامد الذي تغنى بأمجاده طفلا من اطفال البشرية ، كانت هديته التي بعث بها له كل الطريق من بريطانيا كلب أي كلب ؟ »

شاكر رغمه

« اتعس كلب رأيته . كان ذليلا يقعي الوقت كله ، ضامرا يضنيه النباح ، اعطيته هدية لحسن ، مع صديقي القس ، الان ذكرت اخس الجوانب في الرجل كاد ينسيني اياه الغضب . ما غضبت من قبل . جوانحي لا تستطيع أن تحتويه . حين مات جمسن هذا هوى بقلمه عليه ، وكان من كبار اعوانه واصدقائه ، انت يا اخي لا تسب الراحلين ، لكنه رماه بكل قبيحة

واشهد انه كان رجلا طيب السريرة . الاوغاد يسبون الاحياء لانهم يخشونهم . أمعن منهم ان في النذالة هم الذين يسبون الذين ذهبوا ما عادوا معنا » .

اخـاف ان تحسب ان حياة صـاحبي بـدأت وانتهت مع ستانلي . ذاك ابعد ما يكون . سقت هذا الشطر من ودهما وخصامهما اريد لادلل لك على انا نعالج حياة رجل ما فارقته عزته ولا حسه بقوة ذاته حتى وهو في بدء شيخوخته ، ولا فارقته عزته الباصرة وهو في محنة سعت سعيا اليه . سأعود لهذا الحديث بينه وبين القس حين انتقل الحوار لجدال غير رقيق عن فلسفات المسيحية والاسلام ، ارجئه لاني أرى من حيـاة صاحبي التي اعرف الان انه ما كان معنيا بحوار الديانات عناية القس . دنياه كانت هذه التي أمامه يعالج شئونها بالذي اوتى من مواهب في قيادة الرجال وادارة المال والذي اوتي من قلب سليم جعـل المنافسة من العرب أكثر ايمانا من اتباعه وذويه . امور حملت القس وقد قـارعه حجـة بحجة في شئـون الدين ان يضيف لمآثـر الـرجـل مـآثـر اخرى ، لا اعرف كيف فاتت جميعها على ذلك الناشر الذي انكر عليه العظمة ، ظلم يقول ان أمجاده قامت على جثث الرقيق .

أفضى القس لمفكرته وهو يتملى هذا الجدال مع حامـد بقولـة قالهـا قبله كثيرون تفصـح في وضـوح عن ذاته المسيحيـة وقـد التقت بـذات مسلمة . كان الاوروبيون يعرفونه درعا منافحا عن عقيـدته التي تقف قـواعـدهـا من اهله في طفولته ومن صحابه في صباه ، ما عـرف باب مدرسة . قال سوان والحوار ندي طري في ذهنه ساعات معدودة بعد الحوار : سحرني هذا اللقاء وجها لوجـه مع الـرجل العـظيم ، وكنت وأنا اديره عاصفا كما وصفت بعيـدا ابعد عن داري وحماية أهلي ، بيني وبينها ثمانمائة ميل وأكـثر ، لكني آمن ، انا في حماه ؟ كان طوع يديه تلكم اللحظة الاف الرجال والاف البنادق ، لكنه ما لجأ اليها ساعة محنته تلك ، غاديا ليقف متهما أمام قضاة القنصل يمثلون رجالا يدهم عليه سابغة ، ارادوا لـه الحرج والهـوان ليـرعـوي غيـره من الناس ، عامة كانوا ام امراء . كان عقله النشط الحي يحول دونه وحمق القوة . يعرف ان الذي يملك منها كبير في معناه صغير في قدرته . القوة والقوى التي تحيط به كانت السحابة ذات الرعود والبرق والمطر الجارف » . آثر أن يذهب ، اهله ووطنه الاول ، وكان شكورا عارفا باياديه عليه وعلى غيره من الاوروبيين ذاك القس الطيب ، الفرد سوان ، واخالك مثلي اول عهدي بصاحبي حامد ، تسائل ما هذه السماحة للاوروبيين؟ ومعك الحق ان تساءلت . هذه سماحة لا يؤتاها غير ذي قلب سليم وعقل فطن . أنى له ؟

الجـواب لن يشق عليك ان ذكـرت حادثـة الرمح والبندقية التي رويت لك . عرف حامد بأس النار لقاء قوسه ورمحه وما كان مكابرا كما رأيت . عرف مكان القوس والرمح من البندقية والرصاص وهفت نفسه ليعلم الذي ما اتيح له ان يعلم . كـانت هـذه تجـربته الاولى مـع الاوروبي . عـززتها تجارب عدة أخـر ، لكن واحدة منها تلح علي لاني احسبها كانت النافذة التي اطـل منها صـاحبي على الجـانب الآلي من حضارة اوروبا ، التجربة اسوقها الان هي التي استقر بعدها على ان يحيا في وئام مع رسل هذه الحضارة يتعلمها اهله منهم ، يبنون القواعد من حياتهم على قدراتها ومهاراتها وهذا ما عجز كثير من عـرب الساحـل والداخـل عن رؤيته وهم يدعون في ريبة أنهم قرباء من الاوروبي وعونه . لا احسبهم اسرفوا على انفسهم ، حين اخذوا عليه نهجـه فقـد كـان العنصـر الـديني اطغى العناصر عندهم ، بعض الاحايين لا عنصر غيره في تكييف علائقهم البشرية .

ما عني كتاب سيرة صاحبي بالعلائق بينه وبين العـرب ، أكثـرهم اوروبي يعنيهم في البـدء والختام علائقـه مع اهليهم هم لا عـلائقه مـع

العرب والمسلمين ، ولا أعرف عربيا أو مسلما من غير العرب تصدى لهذه الحياة الأسرة . . حسبت يوما من الايام ان صديقي العالم محمود الغول ربما وجد المزاج والفراغ ليكتب عنه على ايامه في جامعة أدنبرة ، فقد كان أول من لقيت من اخوتي بادلني الحديث عن رجل ـ كما قلت ـ ما كنت اعرف عنه غير القليل وانا أكتب مقدمتي لكتاب بازل دافدسن « أضواء جديدة على افريقيا » بعد أن عربته ، واذكر ان محمودا كان معنيا به ، هو الذي هداني لكتاب ارك برود عنه ، وهو فى اكبر الظن اقدم المراجع ، خرج على الناس سنة ١٩٠٢ ثلاث سنوات قبل وفاة صاحبي حامد صيف سنة ١٩٠٥ ، وهي سيرته كما أملاها باللغة السواحلية على صديقه برود .

عالمان !

وقعت التجربة التي أشير اليها بعيدا من حيث كان مقر نشاطه حول بحيرة تنقانيكا (تنجانيقا) وفي الكنغو (الكنغو) ، وقعت في مدينة الكاب في جنوب افريقيا . كانت رحلته اليها في ربيع ١٨٨٧ ، وكانت ـ في كما أعرف الآن ـ زروة حماسة في صنع اتجاهه ، كانت تجربة غلبت كل تجاريبه وكان لها أبعد الأثر في تجاريبه من بعد . ماكان صبيا كما كان على أيام بندقية الاوروبي ورمح العربي ، كان قد اربى على الخمسين وقف مع صديقه الذي كان يشرف على زيارته ، يرعى الميناء على رأس الرجاء الصالح ، شده وهو يرى البواخر تجيء وتمضي والآلات تعمل ما لا يعمله مئات الرجال في عام ، اوحى بنظراته المذهولة وقلبه المشفوف وسؤاله الملهوف عن دقائق ما ترى عينه وصفا بارعا جرى على قلم السيدة كاتبة سيرته الوثقى ، قالت :

« بدأ كمن صعق ، وهو يحدق النظر في الالات تصخب في الميناء ، وفي الذين يحركونها يجرون كل صوب ، مرة لظهور مئات البواخر الراسية في الميناء ومرات لمئات المخازن حول الميناء ، يملئونها تارة يفرغونها تارة . راعه ما يرى من اناس كثيرين ومن الات وما يعملون وما تعمل . وقف حائرا . الناس يهرعون كالجن ، يروحون بانواع من السلع للمخازن المتراصة على البحر حول الميناء ، ويطيل النظر في هذه السلع ، بعضها واضح النفع ، بعضها يخفى عليه نفعها . مثل الافارقة والاوروبيين يمرون حيث يقف ولا يلقون بالا اليه هم في شغل عنه بالذي يفرغون من بطون السفن وعلى ظهورها يشحنون . ارض الميناء مليئة بالصناديق والجوالات (الشوالات) . قضى يومه هناك وفي الغداة خرج يمشي في المدينة وراء المرفأ الكبير ، رأى المدارس والمستشفيات وسمع من الأصوات الزاعقة ما جعله يقابلها بالذي يسمع في زنجبار . انها زاعقة هنا خافتة هناك والقوم هم القوم : الانجليز . انهم هنا غير الذي الف هناك . الانجليز في زنجبار لا يتكلمون الا همسا ولا يراهم الناس في الطرقات الا لماما ، انهم قبيل غير هذا الذي يرى . يمشون هناك على مهل ان مشوا ، وتصدر عنهم أقوال وأعمال ساذجة غبية بلهاء . هؤلاء الذين يرى في العاب احياء اقوياء » .

ستذكر وانت تقرأ هذا خاطرات الجبرتي وهو يصف الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ ـ ١٨٣٥) يغدو ويروح على معامل ومجالس العلماء الذين صحبهم معه نابليون في غزواه مصر . كان العلماء يعجبون للازهري الشاب يسأل وكان العطار يلحف . يريد ليرى تأويل ما كان يخفى عليه . ليس هناك مقابلة بين حامد والعطار غير هذا الذهول الذي استحال رغبة في الانتفاع بعلوم وقدرات اوروبا ، فما اختلف حامد لمدرسة ولا جلس لعالم او فقيه يسمع عنه . كانت شيعته أقواها لا تصلهم بالعلم واصلة كالتي تربط عامتهم بالتجارة وخاصتهم بالسياسة . □□

طبيب الأسرة

ضمور العضلات
Muscular Dystrophy

● أصبت بمرض وراثي يدعونه ـ حسب ما علمت ـ مرض ضمور العضلات وبدأت مأساتي معه منذ ١٣ عاما . لقد توقف سير المرض والحمد لله ولكني أرغب في معرفة سبب هذا المرض وتطوره وعلاجه وخاصة أن لي أكثر من أخ وأخت أصيبوا بمثل ما أصبت به ، وختاما لكم شكري .

م . أ . أ .
الاسكندرية ج . م ع .

هو مرض من أمراض العضلات وان كان يظن خطأ أنه من أمراض الاعصاب ، يدعونه في اللغة العربية بالسُطل أو الخشل . انه ليس شائعا الى حد كبير ، وان كان يعتبر من الأمراض الموروثة التي تنتقل عبر الأمهات لهذا لاغرابة أن نجد أكثر من فرد واحد مصاب في الأسرة ومع هذا ربما يصاب أحدهم دون وجود مصاب آخر يمت له بصلة القرابة .

وعلى الرغم من الأبحاث الجارية لتقصي العيب الكافي في الجسم وراء هذا المرض لم يصل العلماء الى سبب محدد . وكل ما كشفت عنه الدراسات التشريحية على بعض المرضي بعد الوفاة ، هو وجود أنسجة دهنية وليفية حلت محل الالياف العضلية مما أدى الى ضمور العضلات المصابة مع سلامة الجهاز العصبي المتحكم في عمل هذه العضلات .

لقد اكتشف الاطباء ثلاثة أشكال من هذا المرض : ـ

أولا : ـ النوع الأول والأكثر شيوعا يطلقون عليه اسم اعتلال العضلات التضخمي الكاذب **Pseudo Hypertrophic Muscular Dystrophy** وربما سمي بهذا الاسم نظرا لما يسبقه أحيانا من تضخم مؤقت في العضلات ولكن دون قوة أو عزم ، يعقبه انحلال وضمور يؤثر في عضلات الجزء الأعلى من الساقين يقابله تضخم في عضلات الفخذ والعجز والبطن .

ان هذا النوع من ضمور العضلات يشيع بين الأطفال الذين يعانون معه من الترهل وضعف الساقين لدرجة قد يعجز معها الطفل المصاب عن الوقوف اذا ما وقع أرضا .

ثانيا : النوع الثاني يشيع في الأعمار المتأخرة من الطفولة أو في مطلع مرحلة المراهقة ويصيب الضعف فيه عضلات الذراعين ، ثم يمتد الضعف الى عضلات الظهر وربما بلغ عضلات الأطراف السفلى ، وهذا النوع أقل شيوعا وانتشارا من سابقه .

ثالثا : النوع الثالث وهو الذي يصيب عضلات الوجه وربما بعض عضلات الاكتاف ويمتد أعلى الى عضلات الذراعين .

ونظرا لجهل الاطباء بالسبب الكافي للمرض فان العلاج يعتمد أساسا على وقاية المريض من المضاعفات ، واستعمال العلاج الطبيعي الذي يعتمد على التمارين الرياضية والتدليك والكهرباء .

الغدة السعترية
Thymus gland

●قرأت فيما أهوى قراءته من أمور الطب عن غدة يدعونها الغدة السعترية ، وحيث اني لم آلف هذا الاسم الجديد فلم أتبين أي عضو من جسم الانسان يشمل هذه الغدة ولا ما هي وظيفتها ؟ فهل لي أن أحظى منكم ببعض التفصيل .

خ . ي . حلب سوريا

هذه الغدة اكتسبت اسمها من شكلها الذي يشبه حزمة من زهور السعتر ، هكذا تصورها الطبيب اليوناني القديم جالينوس في القرن الثاني للميلاد فأطلق عليها اسم Thymus أو الغدة السعترية وقد لفظها باسم الغدة التيموسية كما هو أصلها الأجنبي وبعضهم سماها بالغدة التوتية لشبهها أيضا بحبات التوت انها غدة تقع في أسفل الرقبة وأعلى الصدر ذات فصين متصلين وكأنها لوزتان ، لهذا يحلو للبعض أن يسميها لوز الصدر .

من أغرب ما تتميز به هذه الغدة من سواها من الغدد انها تصاحب مرحلة الطفولة وتترعرع معها ، ثم تذبل وتضمحل عند البلوغ لدرجة قد تتلاشى تماما عند الأعمار المتقدمة . فالغدة السعترية أو التيموسية تولد مع الطفل ثم تكبر معه حتى سن الثانية لتثبت في حجمها حتى سن السابعة ، اذ تنشط عند هذه السن وتنمو مرة أخرى حتى سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة فتبدأ في الضمور حتى لا يبقى منها في سن الخامسة والعشرين غير ثلث حجمها الأصلي ، أما عند كبار السن فقد لا تجد لها أثرا .

هذه الظاهرة أثارت جدلا حول وظيفتها في الجسم وطبيعة تركيبها ... هل هي تنتسب الى الغدد الصم الاخرى كالغدة الدرقية والغدة النخامية أم هي أحد أركان الجهاز اللمفاوي الذي تنتمي اليه اللوزتان والعقد اللمفاوية .

ربما كانت تقوم بالوظيفتين معا كما يوحي به تركيبها الخلوي وكما لوحظ من أنها تتضخم مع اضطراب الغدد الصم الاخرى هذا الى أنها أيضا تتضخم مع تضخم الجهاز اللمفاوي .

ومن هنا جاء الاجتهاد في تعليل وظيفة الغدة السعترية بأنها أحد أركان جهاز المناعة الذى يحمي الانسان في مرحلة الطفولة .

رأي آخر يقول بأنها تنظم انتقال الاشارات العصبية في العضلات ، ولها افراز يثبط مفعول مادة الاسيتايل كولين acetyl cholineوهي ما يفرز عند نهايات الاعصاب في العضلة ويعمل على انقباضها ، لهذا يعتبر

استئصال هذه الغدة أحد أشكال العلاج في مرض وهن العضلات Myasthenia gravis

أما احدى النظريات في وظيفة الغدد التيموسية فهي انها تعمل على نمو الجسم ونضوجه الجنسي .

الآخرين ، ولا يستقر على حال ، أو يستمر في عمل ، بل دائم الهروب من البيئة التي حوله بعقله وجسمه ، ليبني لنفسه مجتمعا ينسجه خياله ، لهذا نجده يتحدث بأسلوب خاص لا يستقيم مع المنطق .

ان السبب في الفصام لم يتحدد على وجه الدقة ، فالبعض يعزوه الى عامل الوراثة ، ونادى البعض بنظرية الاختلال الكيماوي لتركيب الخلايا العصبية في المخ ، كما طلع فريق من العلماء مؤخرا بادعاء يعزو الفصام الى العدوى بفيروسات خاصة لم تتضح هويتها بعد ؟

يقولون أن الفصام يصيب شخصيات معينة منها الشباب الخجول أو الحساس ، ومنها الحذر أو المتعالي أو متصنع الوقار دون مبرر ، لهذا نجده يحب الانفراد عن الناس في عزلة دون عمل ، ويبدو دائما متكاسلا متباطئا غير قادر على بناء الصداقات .

ان علاج الفصام متوفر على أشكال شتى يمارسها أطباء الأمراض النفسية حسب تقديرهم لحال المريض ، منها الصدمة الكهربائية ، ومنها الصدمة بحقنة الانسولين ومنها العقاقير أو ربما لجأوا الى أسلوب التأهيل المهني ، غير أنه على الرغم من هذه العلاجات التي قد تنجح ، تبقى شخصية الشاب هشة قابلة للكسر اذا ما تعرض لظروف أقوى مما تحتمل أعصابه .

الفصام
Schizophrenia

● انني في سن الشباب أعاني من اضطراب نفسي شديد أعيش معه في فراغ ، مما قد يفقدني عقلي ، أو تظهر عليّ أعراض من مرض الفصام ، بحيث يتركني مفكك الشخصية مشتت الذهن .
فهل لكم أن تدلوني على قصة هذا المرض وعلى درب العلاج منه ؟

د . م .
الدار البيضاء ـ المغرب

الفصام قد يكون أشهر الأمراض « الذهانية » أو أمراض اضطراب العقل ، وأكثرها شيوعا ، اذ قيل ان سعة انتشاره بين البشر قد تصل الى نسبة ١٪ وأغلب ضحاياه من الشباب وصغار السن ، وخاصة ممن هم حول العشرين من العمر ، لهذا كان يعرف قديما باسم العته الباسر أو العته المبكر .

والفصام ـ على ما يبدو ـ مرض شائع بين البشر منذ قديم الزمان ، فالتاريخ حافل بالشخصيات التي تميزت بسلوك فصامي أثر في مجرى الأحداث التاريخية ، منهم : نيرون القيصر الروماني الذي أحرق روما ، ومنهم الفنان فان جوخ الرسام الهولندي الذي قطع احدى أذنيه وقدمها رمز حبه لاحدى عشيقاته ثم انتحر بعدها . ومنهم الكاتب الروسي تشيكوف والشاعر العربي ديك الجن الحمصي .

بعض الناس قد يطلق اسم ازدواج الشخصية أو ربما سموه انقسام الشخصية ، اقتناعا منهم أن المصاب يحمل في ذاته شخصيتين متناقضتين ، وهو فهم خاطىء علميا ، أما الحقيقة فهي ان المريض يعبر عن عواطفه بصورة لا تتلاءم مع واقع الحال ، فتجده مثلا شخصا مشوش التفكير يتميز ببرود عاطفي تجاه من حوله ، والمريض لا يقيم روابط طبيعية مع

هل حقق مهرجان قرطاج المسرحي الأول الذي اقيم في مدينة تونس الاهداف التي كانت مرسومة له ؟ والغايات المؤملة منه ؟
كيف كانت حال العروض من الناحية الفنية والموضوعية ؟ وماذا قال المسرحيون انفسهم عن العروض التي شاهدوها ؟
ما هي التنظيرات التي طرحوها في ندوتهم ؟
عن هذه الاسئلة وغيرها . . . يجيب تحقيقنا هذا .

اجماعان توفرا اثناء وبعد حضور العروض المسرحية ومشاهدتها في مهرجان قرطاج المسرحي الأول الذي اقيم في مدينة تونس من ٧ حتى ١٥/ ١١/ ١٩٨٣ .

* الاجماع الأول : حمل صفة ايجابية ، وأكد على أهمية اقامة المهرجانات المسرحية وضرورتها ، فهي توفر زادا للمعرفة والتعارف والاطلاع ، وتوثيق الصلات وتبادل الاراء والخبرات ، خاصة اذا ما كانت التجارب والعروض المشتركة متنوعة ، ومن عدة اقطار ودول .

ان كل الذين قابلناهم وحاورناهم واستمعنا وقرأنا لهم مباشرة او غير مباشرة اكدوا هذه النقطة ، وجعلوا من اقامة المهرجان والاستمرار في اغنائه والاستفادة من الاخطاء والسلبيات ، وسد النواقص ، ضرورة يجب اخذها بعين الاعتبار . لكن يجب اساسا تكرار التجربة والاستمرار فيها .

* الاجماع الثاني : حمل صفة سلبية ، وأثبت رداءة بعض العروض وضعفها وفقدانها للاهمية والاهلية التي تجعل منها اختيارا يشارك في مهرجان .

وبالرغم من وجود اجماع في هذه النقطة . الا ان الاجتهادات اختلفت في تبيان مسبباتها .

* اجتهاد قال بأن العروض - او على الاصح الكثير منها - ما هي الا شهادة حقيقية على ازمة عصر ومرحلة من حياة الامة .

وانها عكست الازمة العامة الموزعة في شتى النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهي بالضرورة تنعكس على النواحي الثقافية .

* واتجاه اخر اعاد اسباب تدني العروض الى عدم تدقيق اللجنة المشرفة على المهرجان في العروض قبل اعتمادها ثم عرضها .

ويستشهدون في توكيد ذلك بالعرض التونسي « امرؤ القيس في باريس » الذي شاركت به تونس في المسابقة . مع انه كان اضعف العروض التونسية الستة التي عرضت في المهرجان ، ومن اضعف عروض المهرجان الاخرى .

وعندما سئلت الجهات المعنية عن السبب في اعتماد هذا العرض بالذات ، قيل : - لقد اطلعنا على . مسودة - العمل ولم نشاهده ! وقيل ايضا : لقد تم ترشيحه من جهة لم نملك القدرة على رفض ما ارادت !!

* وهناك اتجاه ثالث اعاد اسباب تدني العروض الى الاعتماد على ما رشحته الجهات الرسمية التي اشتركت في المهرجان الا ان الفنان المنصف السويسي مدير المهرجان ، ومدير المسرح الوطني التونسي نفى ذلك . واكد على ان لجنة الاختيار لم تعتمد على الترشيحات الرسمية فقط ، بل اتصلت بفرق خاصة ونقابات مسرحية مستقلة رشحت بعض الاعمال وتم اعتماد بعضها وعرضت فعلا .

وبالرغم من صحة كلام الفنان السويسي من واقع ما رأينا وشاهدنا ، الا ان بعض العروض التي جاءت من خارج نطاق الترشيح الرسمي لم تختلف كثيرا عن العروض التي تم اعتمادها رسميا ، لا في الاتجاه او الفكر او في مدى النضج الفني ، بل جاءت اسوأ من بعض العروض الرسمية .

وهذا يؤكد ان الازمة اي ازمة الواقع المسرحي لا تكمن في قطاع معين ، بل هي ازمة شاملة . . ماعدا بعض النبضات الحية والروح المقاومة التي كانت حاضرة تمارس وجودها وتذكر بأن الظلام ليس هو القدر المستمر ، وليس هو المساحة الكاملة التي تحتل فضاء الحياة والعقول والاجهزة . وكانت هي الدليل على قدرة الاختراق المدهشة التي جددت الامل وحركت سواكن الهمم ، واشارت الى منهاج قابل للاحتذاء والتطوير والتعديل !

العروض والنتائج

اشترك في المسابقة الرسمية لايام قرطاج المسرحية الأولى عشرة عروض و١١ عرضا موازيا عرضت خارج المسابقة الرسمية .

قسم من اعضاء لجنة التحكيم

النتائج

* وقد جاءت النتائج على الشكل التالي :
- جائزة افضل عرض متكامل تم منحها لفرقة الحكواتي اللبنانية عن عرض « ايام الخيام » وتضمنت الجائزة ميدالية خاصة مع حافز مالي . وقد تكرر هذا المنح للاعمال والشخصيات الفائزة مع اختلاف في النوع والكم .
- جائزة افضل نص . . حجبت وخصص المبلغ المرصود لها لتنظيم مسابقة في التأليف المسرحي .
- جائزة افضل اخراج مسرحي منحت لفرقة المسرح الوطني الجزائري عن مسرحيتها « قالوا العرب قالوا » من اخراج الزياني شريف عياد .
- جائزة افضل تقنية مسرحية منحت للمسرح الوطني الفلسطيني عن مسرحية « كوميديا العائلة توت » .
- جائزة افضل اداء جماعي منحت لفرقة المسرح الوطني في مالي .
- جائزة افضل تمثيل نسائي منحت للممثلة ندى حمصي عن دورها في مسرحية « كوميديا العائلة توت » التي قدمها المسرح الوطني الفلسطيني واخرجها جواد الاسدي .
* ونوهت لجنة التحكيم الرسمية بجهد التأليف في مسرحية « هالشكل يازعفران » التي قدمتها فرقة مسرح الشارقة الوطني وهي من تأليف عبدالرحمن المناعي واخراج فؤاد الشطي .
- ونوهت ايضا بجهد التأليف في مسرحية « لعبة اسمها الشحاذون » التي قدمتها فرقة المسرح الاردني وهي من تأليف واخراج جميل عواد .
- واشادت اللجنة بالاداء المتميز للفنان المغربي عبد الحق الزروالي في مسرحية « جنائزية الاعراس » وأشادت ايضا بحرفية اداء الممثل زيناتي قدسية عن دوره في مسرحية « كوميديا العائلة توت » .

وهذا عرض سريع للعروض .

أيام الخيام . . ومجد الذاكرة

* « أيام الخيام » لمسرح الحكواتي اللبناني ، تأليف جماعي ، اخراج روجيه عساف . عمل كغيره من اعمال هذه الفرقة اعتمد على اثارة ذاكرة مجموعة من المهجرين من جنوب لبنان اثر الهجوم الاسرائيلي سنة ١٩٧٨ . واحتلالة للشريط الحدودي ، وتهجيره لكامل سكان بلدة الخيام اللبنانية المتاخمة للحدود الفلسطينية المحتلة .

واثارة الذاكرة هنا لا يقصد بها اجترار الماضي ، بل ربط الحاضر به وتوضيح النتائج المترتبة على احداثه ، وكشف طبيعة العلاقات التي كانت قائمة داخل البلدة ، وطبيعة العلاقات التي افرزها الواقع الجديد .

صحيح ان اعادة الاعتبار للذاكرة ونبش تفصيلات الحياة قد اتجها اتجاها فيه التسجيل والدراسة الميدانية الموثقة ، وتم الاستماع والتسجيل المباشر لناس حقيقيين كانوا مادة الاحداث والايام ووقودها وضحاياها .

مع ذلك تم التوجه ضمن جو الفرجة والاحتفال واعادة مسرحة الحياة ، واعادة الاعتبار لوسائل التعبير الغالية في الذاكرة ، فكانت كالموج يرتفع هديرها لتحتل فضاء القاعة وتتغلغل في دخائل الجمهور ، وكانت كالطيور

تحلق في سماء الصالة وتنقر مفاصل الوجع والهموم المشتركة فتثير التجاوب والتوحد .

وقد استعمل المخرج في المسرحية وسائل بسيطة ، متقشفة سواء في الديكور او الاضاءة والملابس « والاكسسورات » الا انها كانت موحية ومعبرة وموظفة توظيفا مناسبا .

لهجة العمل كانت جنوبية لبنانية قد يستغلق بعضها على الجمهور التونسي ، مع ذلك فان التوحد بين الصالة والخشبة كان حاصلا وقائما ، والحشد الجماهيري لم يجد مقاعد كافية للجلوس فرضي بالبقاء واقفا .

كوميديا العائلة توت

يمكن اعتبار المسرحية من تراث المسرح العالمي وهي من تأليف اسطيفان اوكريني (كاتب مجري) ـ ترجمة سعد الله ونوس ، اخراج جواد الاسدي (مخرج عراقي) .

وهي تسجل لجنرال عرض عليه احد جنوده قضاء اجازته الخاصة ـ بعد ان توترت اعصابه ـ في بيته وعند عائلته في قريتهم الهادئة البعيدة عن خطوط القتال .

يصل الجنرال ويأخذ في فرض اساليبه العسكرية على كل من في البيت . ورب العائلة وزوجته وابنته يقدمون التنازل تلو الاخر ، حسبهم ان يبقى الجنرال راضيا ، لأجل ان يبعد ابنهم عن خطوط جبهة القتال .

الا ان قدرة التحمل تصل الى حدها عند رب العائلة فيثور بعد ان اوصله الوضع الى الجنون ، ويصمم على قتل الجنرال بعد ان احال البيت الى جحيم لا يطاق ، وفعلا فانه يشرع في ذلك ، الا اننا نفاجأ في النهاية بأن عدة جنرالات قد وصلوا الى البيت وعلى رأسهم الجنرال الاول ، او شبيهه ليتأكد الدرس بعدها بكون الفاشية والقمع واساليب السيطرة لها عدة رؤوس ، وان المهم عدم اتاحة الفرص امامها كي تنمو وتنتشر .

مهمة المخرج والممثلين كانت دقيقة وحساسة ، حيث ان الايقاع الخارجي للحدث كان يفترض ان يوازيه تعبير نفسي داخلي .

وهذا هو العبء الذي القى على كاهل الممثلين ، وقد حاول الاب والبنت التلوين وتجسيد الانفعالات المتناقضة ، الا ان الام ابقت على وتيرة انفعالاتها ضمن نسق واحد . .

اجمالا . . . كان ـ الاسقاط ـ جانبا مهما في العمل ، والبعض اعجبه هذا الاسقاط والبعض الاخر تساءل عن سبب غياب ـ الهم ـ الفلسطيني بشكل مباشر ؟!!

قالوا . . العرب قالوا

قدمتها فرقة المسرح الوطني الجزائري ، من اقتباس واخراج زياني شريف عياد ، عن نص للكاتب السوري « محمد الماغوط » بعنوان « المهرج » . الذى كان قد كتبه اثر هزيمة سنة ١٩٦٧م . وقدمته منذ ذلك الحين كثير من فرق المسرح العربية . ومنها فرقة المسرح الشعبي في الكويت .

وتعتمد المسرحية على ـ فانتازيا ـ استدعاء الفاتح العربي صقر قريش ليرى احوال الامة العربية ويسعى لتخليصها من مشاكلها وازماتها .

الا ان سدود الامة وحدودها وخلافاتها وتناقضاتها تعوقه عن اداء مهمته ، بل تحيله الى ضحية من ضحاياها ، فتتم مقايضته ببضعة قناطير من البصل الاسباني ، ويسلم الى السلطات الاسبانية كي تحاكمه بتهمة مجرم حرب قام بفتح الاندلس !

ميزة العرض الجزائري انه حاول الخروج من اطار العرض المشهدي المتأثر بالتجربة المسرحية الاوروبية ، وحاول جزئيا ابتداع اسلوب نابع من البيئة لذلك فان المخرج استعان باسلوب الراوي ـ المهرج ـ ورفده بأجواء فولكلورية محلية ، وساعده النص ـ اساسا ـ في ذلك من خلال التوكيد على مشاهد المسرح داخل المسرح .

مع ذلك فان العرض لم يتجاوز كثيرا النص الاصلي ، ولم يضف اليه الكثير ، وبقي عند حدود التهكم المباشر والسخرية السياسية المسطحة .

حيرة ريفية

عرض فرقة المسرح الوطني المالي ـ الحيرة الريفية ـ اقترب من الاجراءات والمواصفات نفسها التي اعتمدها مسرح الحكواتي في لبنان .

كتب العرض مجموعة من الممثلين والفنيين واخرجه موسى مايقا ، واعتمدوا على الاستفادة من تراث الاشكال المسرحية البدائية الموجودة في الارياف ، ثم قاموا بغربلتها وتشذيبها وتهذيبها ، وبعثوا فيها حياة المسرحة واطلقوا على التجربة اسم « الكوتيبا » والكلمة تعني الحلزون الكبير باللغة البومبارية المالية .

وهكذا فان العرض بدأ برقصة على انغام « التام التام » الافريقية جاءت بطيئة حلزونية ثم تسارعت وترافقت مع الايماء والحركات التعبيرية الاخرى .

والمسرحية تكشف وتعري اساليب الاستغلال التي يلجأ لها الموظفون وزيادتهم للضرائب والزيارات التي يقومون بها للارياف مما يترك حيرة وارتباكا في حياة الناس الفقراء

محدودي الانتاج ومحدودي المردود المادي .

وقد تميز الممثلون في المسرحية بقدرتهم الفائقة على التشكيل الحركي المرن المتنوع والغني في التعبير .

ها الشكل يا زعفران

مسرحية « ها الشكل يا زعفران » تأليف عبدالرحمن المناعي واخراج فؤاد الشطي وتقديم فرقة المسرح الوطني في الشارقة بالامارات العربية المتحدة كانت مفاجأة لم تكن متوقعة من فرقة مسرحية ناشئة .

صحيح ان النص فيه بعض الثغرات ، خاصة في الفصل الثاني ، الا ان المخرج الشطي حاول جهده في شحن وتلوين العرض بالفرجة الشعبية التي تعتمد على الموروث الشعبي ، ورمي ثقله وراء ممثلين اغلبهم يقف على الخشبة للمرة الأولى - ما عدا كنعان حمد ومحمد الجسمي ومريم - فأجاد بعضهم ، وبقي الجمود مسيطرا على الاخرين ، كما ان تكرار مشاهد مصادرة بطيخ زعفران من قبل جهات رسمية عدة ، لم يضف تغيرا نوعيا في التصعيد الدرامي .

مع ذلك .. وبالرغم من هذه الملاحظات وغيرها ، فان العرض بشر بخامات وطاقات وامكانيات يمكنها الابداع والاضافة .

لعبة مسرحية اسمها الشحاذون

سادت هذه المسرحية اجواء واحداث شبيهة بأجواء وأحداث جرت في المسرحية الجزائرية « قالوا العرب قالوا » .

فاذا كان صقر قريش وعطيل وهارون الرشيد وغيرهم قد استدعوا في المسرحية الجزائرية ، فان عطيل استدعي في هذه المسرحية ايضا وماري انطوانيت وطارق بن زياد وغيرهم من خلال اجواء النقد السياسي المباشر والسخرية من بعض الاوضاع الاجتماعية والسياسية .

كما ان لعبة المسرح داخل المسرح تم تنفيذها هنا ، مع الاختلاف في امتلاك العرض الجزائري لحرفية فنية اجود ، وتوفير اجواء الفرجة بصورة افضل .

قدمت العرض فرقة المسرح الاردني من تأليف واخراج جميل عواد .

وكان المؤلف المخرج مسيطرا على عمله ويصب سخريته بحرفية العارف بأساسيات العمل الفني ، مع ذلك فان العرض وقف عند حدود نبش القضايا التي اثارها ولم يتغلغل في تحليلها ، فذكرنا بتجربة مسرح الشوك السوري وغيره . ولم تظهر مرونة تشكيل جسدية عند بعض ممثلي المسرحية ، وأظهر بعضهم انفعالا وافتعالا زائدين .

المفتاح

● تكررت في المفتاح نفس الحكاية الشعبية التي تضمنتها مسرحية الاطفال « ام سيسي » التي عرضت صباح نفس يوم عرض مسرحية « المفتاح »

فحيرة وحيران تختلفان حول الانجاب ، حيران يريد ضمانات تجمل العيش لابنه ميسرا وسهلا ، وحيرة - كأي أم - تريد طفلا بوجود الضمانات أو عدم وجودها .

يلجآن الى الجدود لاستشارتهما مع أخ الرجل « نوار » فيزودونهم بكمكة وثوب لا يبليان ، بشرط الاحتفاظ بها في صندوق ، فيجدون الصندوق لكنهم لا يجدون المفتاح ، فليجأون الى الحداد .. والحداد بحاجة الى فلوس . والفلوس عند العروس ، والعروس بحاجة الى فانوس .. الخ .

دورة من البحث والجهد والتعب والاستجداء الى أن يتم صنع المفتاح .. وعندما يتم فتح الصندوق ، فان الكمكة والثوب لم يكونا فيه !

هنا يتدخل نوار ويبين بوضوح درس المسرحية بقوله : ان الجهود لم توجه الوجهة السليمة ، فليس المهم البحث والسعي فقط ، بل المهم معرفة الهدف ، وان الحل ليس في النكوص الى الخلف بل في الركض نحو المستقبل .

اعتمد العرض على رصانة السرد والالحاح على توكيد المعنى والامثولة ضمن اجواء السرد التقليدي ، والتمثيل الواقعي ، مع أن النص كان يحتمل تحويله الى عرض يحمل اشكال « الفرجة » واطلاق المخيلة وبعث امكانية التشكيل من خلال الجسد والخروج بامكانيات تعبيرية أخرى .

اخرج العرض اسعد فضه وألفه يوسف العاني وقدمته فرقة المسرح القومي السوري .

جنائزية الاعراس

كتب المسرحية وأخرجها ومثل فيها عبد الحق الزروالي - من المغرب .

وهي من المسرحيات التي تحمل اسم « مسرحيات الممثل الواحد » « مونودراما » وتحكي المسرحية قصة مخرج سينمائي جاء أحدى القرى كي يصور فيلما سينمائيا عنها ، فوجد أن الواقع يختلف عن التصورات ويحفل بالعديد من المشاكل والصعوبات التي لا تظهر في الصور المتداولة ،

فيحاول أن يتجاوب ويتفاعل مع الواقع الحي وأن يضع يده على أسباب مشاكل القرية الحقيقية وأسباب وجعها العام ، ولان الوجع العام موزع على شخصيات ونماذج عدة ، لذلك فان الممثل كان يحاول تقمصها ، وبث مواجعها وصبواتها وامنياتها لتجاوز عجزها الشخصي وتجاوز العجز العام .

نية النص كانت من النوايا الطيبة ، لكنه كان يحتاج الى اعادة نظر ، خاصة في الثرثرات الزائدة فيه ، وبتر الجمل الخطابية الانشائية والاقلال من حالات الالقاء والتسميع .

وقد بذل الممثل جهودا طيبة في تقمص بعض شخصياته ، الا أن بعضها الآخر كان يحتاج الى ايجاد الحركة المناسبة والتوازن الدقيق بين الايقاع الخارجي والايقاع النفسي الداخلي .

دفاشة

قدمتها شركة فيلكا للاعمال الفنية في الكويت .
وهي من تأليف واخراج عبد العزيز الحداد .

وقد أوحت فكرة المسرحية بعرض يمكن أن يكتسب الخصوصية والتميز ، فالفكرة تعتمد على تخيل يقوم على أن النفط زادت كمياته المنتجة بشكل غير عادي في منطقة الخليج العربي ، وأوجدت الدول المتقدمة بدائل استغنت بواسطتها عن بترول المنطقة . فأوجد ذلك أزمة حتمت على الناس التوجه نحو نمط جديد في الحياة ، فبعض الاغنياء يهربون من البلد ويتجهون الى أميركا واوروبا ، والفقراء وأبناء الطبقات الوسطى يتوزعون على بلدان العالم الآخرى للبحث عن اعمال وأشغال فيجدون عنتا ومشاكل عديدة .

الا أن الامر لا يطول ، اذ يكتشف الجيل الصاعد بدائل أخرى للطاقة تعيد للمنطقة مكانتها .

اذا كانت هذه الفكرة قد ملكت بريقا ولمعانا ، فان العرض اربكها وشتتها ، ولم يستطع حمل الفكرة الى آفاق العرض الممتع الفني ، وخلا من الحرفية المشهدية الخبيرة والمدربة سواء في الاخراج أو التمثيل وغيرهما ، ما عدا بعض المشاهد القليلة جدا .

وزير الثقافة التونسي وآراء في المهرجان

الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية في الجمهورية التونسية ، هو أديب قبل أن يكون وزيرا ، له عدة ابداعات في الحقل الادبي آخرها رواية « عائشة » التي صدرت سنة ١٩٨٢ .

كان على رأس أيام قرطاج المسرحية ، وتابع ورعى الكثير من نشاطاتها وعروضها ، خصص لنا جزءا من وقته ، فطرحنا عليه عدة أسئلة ، انتقينا منها ما يتعلق بالمهرجان والعلاقات الثقافية بين تونس والكويت .

● لقد أثيرت أثناء الندوة التي ناقشت « ظروف الانتاج المسرحي في الدول النامية » وخارجها ، عدة أسئلة حول الغايات والاهداف التي تتعلق بهذا المهرجان .

فهل يمكن أن يندرج ضمن النشاطات التي يقصد بها تحريك القطاع السياحي ؟ أم أنه من صلب الاعمال الثقافية الهادفة الى اطلاع المسرحيين والجمهور التونسي على تجارب مسرحية جديدة ؟ أم أنه نوع من لتحقيق

امرؤ القيس في باريس

عرض آخر .. توهجت فيه الفكرة وأوحت بأننا مقدمون على مشاهدة عرض يمكن أن يكون متميزا ، بل أن مقدمة العرض التي أعتمدت الرقص الصاخب والديكور الموزع على أطراف الصالة وعمقها ، أوحيا بأننا مقدمون على مشاهدة عرض من نوع جديد متميز .

الا أن المشاهد التي تلاحقت أمامنا بعد المقدمة الصاخبة أوقعتنا في شرك عرض لم يملك الا النية في تقديم الشاعر الضليل بصورة معاصرة .

البشير بن سلامه وزير الثقافة التونسي

الثقافة بين الكويت وتونس

● لا شك أن هناك اتفاقا ثقافيا بين الكويت وتونس ، فهل تم تطبيق بنوده ؟ وما هو تصوركم لتحريك جوانب معينة في الاتفاق ؟؟

ـ يوجد فعلا اتفاق ثقافي بيننا وبين الكويت ، لكننا نسعى الى ايجاد صيغة أخرى يمكنها أن ترفد هذا الاتفاق وتتجاوز كل ما هو ظرفي ومؤقت ، من خلال ايجاد صيغة أخرى جديدة تجعلنا نربط العمل الثقافي بالمؤسسات الثقافية ، ضمن صيغة تضمن الاستمرار والتواصل ، ولهذا فان اتجاهنا خلال هذه السنة (١٩٨٤) يتجه نحو ايجاد صيغة رسمية قانونية توفر للفرق المسرحية واتحادات الكتاب والنوادي وغيرها من الجهات التي تعتني بالثقافة الاتصال ببعضها بشكل مستمر ودائم .

وقد بدأنا بتطبيق هذا التوجه مع اخواننا في الجزائر والمغرب ، وبدأنا بتذليل الصعوبات والعراقيل حتى من الناحية الاقتصادية ، لان لتوزيع الكتاب على سبيل المثال وليس الحصر جوانب اقتصادية وجمركية وتحويل عمله الخ . ونحن كوزارة ثقافة ان لم نذلل المصاعب في هذا المجال ، فانها لن تحل ويمكن أن لا تراعي بالشكل المناسب في الوزارات الاخرى .

وسنتوجه الى نسج نفس العلاقات مع اشقائنا في الخليج والجزيرة العربية لتمكين القضايا الثقافية من تجاوز القيود والبيروقراطيات .

الاهداف القومية في تقريب قطاع معين من المثقفين الى بعضهم البعض ؟؟

ـ يمكن ادراج أيام قرطاج المسرحية ضمن آطارات السياسة الثقافية التي وضعتها الحكومة منذ سنة ١٩٨٠ وهي جزء من نشاطات كثيرة نود أن نحقق من خلالها تأصيلا لثقافتنا ، وهذا التأصيل لايتحقق بالانكماش والانغلاق على الذات ، بل بالتفتح وتبادل التجارب والخبرات مع البلاد العربية وغيرها من البلدان التي سبقتنا في بعض الفنون ، وهذا يعطينا الرصيد المناسب لتحقيق الظروف المؤاتية لايجاد ثقافة اصيلة متفتحة آخذه بأسباب العصر ، ومنفتحة على كل بلدان العالم ، وخاصة البلدان العربية والافريقية التي هي محيطنا الطبيعي ، فكما أن أيام قرطاج السينمائية أصبحت جسرا بين الوطن العربي والعالم ، فان أيام قرطاج المسرحية يمكن أن تمثل جسرا رديفا يعرف بثقافتنا ويوصل صوتنا الى انحاء العالم ايضاً ويمكن جمهورنا من الاطلاع والاحتكاك بالتجارب المستجدة في الوطن العربي والعالم .

ان فكرة المسرحية كان يمكن الخروج بها بعرض متميز لو وجد من يغربل العرض من الخطابية والثرثرة الزائدة والانفلات والايقاع البطيء والاداء المفتعل والمبالغات والبهرجة وغيرها .

قدمت العرض الفرقة الجهوية بصفاقس عن نص للكاتب المغربي عبد الكريم برشيد واخراج كمال العلاوي .

وقبل أن ننهي عرضنا لمسرحيات المسابقة الرسمية ، نسجل هذه الملاحظة :

قد تكون بعض العروض التي اشتركت في المهرجان أفضل من غيرها بنسبة ضئيلة في أقطارها آنيا ومرحليا ، نتيجة لعدة اعتبارات وظروف ، لكن درس المهرجان الاول الذي يجب أن يعيه الجميع هو أن لا يتم نقل تلك العروض الى مهرجان فيه مسابقات وتنافس لأنه « لكل مقام مقال » كما يقولون !!

العروض الموازية

بلغ عدد العروض الموازية التي لم تدخل ضمن المسابقة الرسمية في المهرجان ١١ عملا ، كان نصيب تونس ٥ منها .

وتميز من بينها عرض « موال » الذي نوهت به لجنة التحكيم وتحسر الكثيرون ، نتيجة عدم ادخاله ضمن

المسابقة ، فهو عمل فيه جهد ابداعي طيب من قبل المخرج والممثلين ، مع أن النص كان يحتاج الى اعادة تشذيب وتهذيب وضبط تداعيات الممثلين التي تفرقت « أيدى سبأ » !!

وتميز عرض التربيع والتدوير أيضا وهو من أعمال « المونودراما » الذي يعتمد على الممثل الواحد .

يليه عرض « الحصان » الذي نحا نفس النحو واعتمد على قدرات الممثلة سناء جميل التي لم تكن في أحسن حالاتها .

وعرضت أيضا أربعة أعمال باللغة الفرنسية ، اثنان منها لفرقة المسرح الاسود في فرنسا ـ الانتيى ، والثالث قدمته فرقة المسرح الوطني في السنغال ، والرابع من تقديم مسرح مرسيليا الوطني .

الاعمال الثلاثة الاولى اعتمدت على نصوص لكتاب سود ، عالجت مشاكل تتعلق بالبيئة في هاييتي وجزر المارتينيك والسنغال .

الا أن تلك الاعمال عرفت غربة في اللسان واللغة ، وغربة في الشكل الى حد ما ـ كما هو الوضع في أقطارنا العربية .

وقبل الانتقال الى فقرة أخرى من فقرات عرضنا ، فانه يجدر بنا تسجيل ميزة تميزت بها خامة وطاقة الممثل في العروض الافريقية والاوروبية والى حد ما في منطقة المغرب العربي ، فجسد الممثل في العروض غير المشرقية كان يملك ليونه التشكيل ، والحركية التعبيرية المتناسقة والمناسبة للغرض المعني ، في حين أن الجسد المشرقي كان فيه بعض الجمود ، يعتمد على طاقة التعبير في الصوت أكثر من اعتماده على اقامة التوازن بين الصوت وتلوينه ، والجسد وتشكيلاته .

● الندوة .. بين القول والفعل

وجوه معروفة .. ومؤثرة عرفتها شاشات السينما وأجهزة التلفزيون وخشبات العروض المسرحية وورق الصحف والمجلات والكتب .

مصطفى كاتب ، كرم مطاوع ، ابراهيم جلال ، أحمد الطيب العلج ، سامي عبد الحميد،نضال أشقر ، أسعد فضة ، سمير العصفوري ، جميل عواد ، بلقاسم نصيري ، محمد كوكا ، فؤاد الشطي ، عبد الكريم برشيد ، المنصف السويسي ، زيان شريف عياد ، روجيه عساف ، موسى مايقا ، سليمان كولي ، موريس سنغور ، عبد الرحمن الصالح ، يوسف عايد أبي ، غالي شكري ، رؤوف الباسطي ، كمال العلاوى ، صلاح قصيب ، سمير العيادى ، وغيرهم وغيرهم .

مثقفون ، وكتاب ، وممثلون ، ومخرجون .. من المغرب العربي والمشرق ، ومن افريقية السمراء ، جمعتهم ندوة النقاش والبحث حول « الانتاج المسرحي في البلاد النامية : الواقع والآفاق»وعناوين أخرى فرعية ، وأقيمت اعتبارا من ٨ الى ١٢/ ١١/ ١٩٨٣ .

طرحت الورقة الاولى .. فاختلفوا ، ليكن .. من الطبيعي أن يتم الاختلاف في الاجتهادات وزوايا النظر ، لكنهم غرقوا كثيرا في التنظير ، واشتطوا كثيرا في طرح التعابير والشعارات العامة .

أكد البعض على أن الثقافة انسانية ، فلماذا التعصب في البحث عن أشكال خاصة ، وأضافوا : ان التميز ما هو الا في المضمون فقط ! وزادوا : أن المسرح للنخبة ولمجموعة خاصة ، وليس للجمهور العريض !!

تزاحمت الايدى في الارتفاع بعدها ، وتسابقت الاصوات بالرد والتوضيح ، عرقت الصالة وفتحت نوافذ القاعة مع أن المطر كان يهمى في الخارج ..

قال من رد : المسرح شكل ومضمون ، والشكل يخدم المضمون بالحتم ، والضرورة ، والتميز ضروري ، والا فاننا سنفقد خصوصيتنا الحضارية .

لا تعصب ولا نقل ، بل تأثير وتأثر . أما المسرح فانه للجماهير ، والا .. فلاخير فيه أن بقي محصوراً في دائرة النخبة .

توالت الاصوات في النقاش ، والتوضيح ، والرد ، والرد على الرد ، اشتعل الضوء الاحمر .. وارتفع صوت : كفى .. كفى .. أيها السادة ! .. اختلفوا كيفما شئتم ، واحتدوا في النقاش ، واطرحوا أفضل الافكار وأحسنها ، تشنجوا ، وزيدوا من ضغطكم ومن نسبة الدم في عروقكم ، صيحوا كما تشاؤون ولتتفتق أذهانكم عن أفضل كلمات التنظير .

لكن من قاس منكم المسافة بين ما تطرحون .. وما هو معروض الآن في المهرجان أو في السوق ؟؟

كل ما نطرحه لا يفيد اذا لم تنتقل الأفكار من الأذهان والورق الى دور العرض والشاشات والأوراق وأذهان الناس وتتحول الى مناهج عمل وتطبيق .

لا قيمة لما تطرحون ان لم يترافق القول بالفعل ، وبعضكم مسؤول عن تنفيذ الكثير من الأعمال !

خيم طير الصمت ، بلع البعض كلماتهم ، قلبوا وهضموا ما سمعوه في أذهانهم ووصل الرذاذ البارد الى تلافيف الدماغ .. فانفض السامر ، على أمل اللقاء التالي لبحث موضوعات أخرى ..

والعروض ؟ .. كيف كانت العروض ؟؟ كان يفصلها مساحات شاسعة عن موقع الطرح التنظيري الذي

جميل عواد

نبيل بدران

فؤاد الشطي

كـان يصدع الرؤوس ، مسافات وركام من الزمن والحواجز والعقبات والقوانين والتطبيق الفعلي . .

والحكم : لذلك فان لجنة التحكيم عندما تلت تقريرها النهائي . . . قالت عن العروض :

« رغم الطابع السياسي الذي ساد أغلب العروض سواء التي دخلت المسابقة أو العروض الموازية، ورغم التزام مضامينها وسعيها الى نقد واقع مجتمعاتنا فانها افتقدت في أغلب الأحيان الرؤية التقدمية الثاقبة في تحليل الواقع الاجتماعي والسياسي تحليلا موضوعيا عميقا ، ونحت في وصف هذا الواقع منحى تعميميا مغرقا في الضبابية ، يشرح معالم الواقع المراد نقده ولا يغوص في كنه علاته غوصا تحليليا مركزا .

وأضاف تقرير اللجنة :

« ان وصف الواقع المعاش - في الكثير من الأعمال - كان كاريكاتوريا ، وكان النقد فيها أقرب الى النكتة والالماح الساخر الذي يستدر التصفيق باطلاق الشعارات العامة دون أن يسهم اسهاما فعالا في توعية المتفرج » .

آراء . . وتنظير أيضا :

بل ان بعض الفنانين والكتاب عندما سألناهم عن العروض . . وهل كانت تصب في مجرى مسرح عربي مميز ؟ أجابوا :

■ الأستاذ حقي الشبلي : نقيب الفنانين ، مخرج وممثل ومن أوائل المسرحيين في العراق . . . قال :

بعض العروض فيها ملامح بشكل عام مما يمكن أن نسميه بالمسرح العربي المميز ، وأكثرها كان مستواه دون الوسط .

والفرق التي حضرت وعرضت كانت أغلبيتها من الهواة وليس من المحترفين وقسم أجاد ، والآخر لم تكن عروضه جيدة أو على مستوى التقديم في مهرجان .

■ روجيه عساف : مخرج من لبنان .

لقد وجدت في المهرجان ملامح من أمراض المسرح العربي ، ويمكن القول بأن فترة الستينات وبداية السبعينات شهدت عطاءات مسرحية في الوطن العربي عبرت عن استيعاب المسرح الغربي والتخلص منه واكتشاف الهوية الذاتية القومية .

واليوم يبدو أن هذه المرحلة وصلت الى حدود حاسمة ، اذ أنه لا مجال للمصالحة والتوفيق بين المنطقين السابقين ، أي بين المنطق الغربي المدمر للمجتمع والهوية الخاصة للمجتمع العربي . والمنطق الآخر المكتشف لهويته والمعتز بها .

وحسب رأيي فان التجارب التي أثارت اهتماما عند الجمهور كانت هي التجارب التي تبحث عن علاقة مختلفة مع التراث والواقع المعاش والناس والحياة وتنطلق من تربتها ولا تعبر عن الواقع فقط ، بل تعبر عن علاقة الفنان بهذا الواقع أساسا .

■ جميل عواد - مخرج وكاتب - وفنان تشكيلي - الاردن :

لمست بعض المحاولات التي تنحو نحو تطعيم أعمالها بما يمكن أن نسميه بملامح من مسرح عربي مميز ، لكنها حسب اعتقادي لم تتطور عن مستوى ما شاهدناه في مهرجانات ولقاءات سابقة ، بل أن مستوى الجودة في التجارب السابقة كان أكثر عمقا ووضوحا ، ويبدو أن هذا المهرجان قد أعطى دلالة خطرة تتمثل في انحدار متسارع في وضع المسرح العربي . . كغيره من انحدارات !

■ نبيل بدران ، كاتب وناقد - مصر .

هناك تفاوت شديد في العروض ، بعضها تميز بالجودة ، خاصة عرض فرقة مسرح الحكواتي اللبنانية باعتباره يمثل اتجاها واضحا نحو ارساء مسرح عربي مميز .

ويمكن القول بأن بعض الاعمال امتلكت افكارا جديدة وجيدة ولماحة ، الا أن العروض المسرحية أضاعت الفكرة ووضعتها في متاهات ومسارب غير مجدية .

لهذا فانني أصف المهرجان بأنه مهرجان الافكار الجيدة اللماحة المحبطة والمجهضة في نفس الوقت .

خناثة بنونة   الزياني شريف عياد   نبيل الحفار

■ فؤاد الشطي ـ مخرج ومؤلف من الكويت ـ ومخرج عرض دولة الامارات العربية المتحدة . لمست من خلال العروض بأن هاجس ايجاد مسرح عربي مميز يحاكي ويتلمس الواقع العربي ويستمد موضوعاته من التراث كانت قضية ملحة لدى الكثيرين ، لكنني وجدت أنه قد جانبهم الصواب ولم يحققوا ما أرادوه وما ابتغوه ، ويمكنني القول بأن بعض العروض جاءت مخيبة للآمال خاصة وأن بعضها بدلا من أن يوجه سهامه الى بعض الانظمة العربية نتيجة لوأد الحريات وممارساتها القمعية فانه وجه سهامه نحو الامة وحضارتها .

كما أن بعض العروض نحت نحو دغدغة عواطف الجمهور وافراغها من شحناتها والتنفيس عن مشاكلها بواسطة المعالجات السطحية التي تعتمد الشعارات .

ويمكن القول بأن عرض مسرحية فرقة الحكواتي اللبنانية « أيام الخيام » استطاع الوصول الى وجدان الناس وعرض مشكلة حقيقية من خلال معالجة جيدة ، وان كنت أعيب على العرض بعض التطويل واعادة المعلومات أكثر من مرة ، بحيث جعلت مشاهدها تنحو نحو التوثيق والتسجيل فقط .

■ خناثة بنونة ـ كاتبة وصحافية من المغرب .

هناك بعض الاجتهادات الاخراجية ، لكن العروض اجمالا لم تصل الى مستوى التطلعات والتوقعات التي كانت مؤملة ، ولست أدري سببا محددا لذلك ، هل يعود الى غياب فرق اساسية من بعض الاقطار العربية وظهور فرق حديثة التجربة وقليلة الخبرة مثلا ؟ أم أن فترة التردي التي يعيشها المجتمع العربي عكست نفسها على المسرح ؟

لقد افتقدت بعض العروض التوازن والتكامل بين النص والاخراج ، وغلب بعض المخرجين الشكل على المضمون ، كما أن بعض العروض قدمت نصوصا مشرذمة .

■ جواد الاسدي ـ مخرج عرض فرقة المسرح الوطني الفلسطيني ـ عراقي .

ان السؤال عن ايجاد مسرح عربي مميز يعتبر من الاشكاليات المعقدة التي لا يمكن الاجابة عنها بشكل بسيط ، ويحتاج الى مواصلة للبحث من اجل تطوير العرض المسرحي واكتشاف سلبيات كثيرة لكي يتبلور العرض المسرحي ويصبح له سمات خصوصية .

ويمكنني القول أنه بالرغم من وجود مسرحيات عدة في المهرجان عانت من ضعف كثير ، مع ذلك فان المهرجان كشف العيوب واعطانا مجالا للتداول في حالة هذا الانحسار وتحديد المسارات والاختيارات وتحديد هوية ما نريد .

■ الزياني شريف عياد ـ مخرج وممثل ـ الجزائر .

ما شاهدته من عروض كان فيه ابداعات تصب في اتجاه ايجاد ملامح مميزة للمسرح العربي ، وفيها خروج على المسرح الكلاسيكي الغربي كعرض الحكواتي ، وموال ـ الذي كان خارج المسابقة للاسف ـ والشحاذين . وهذا الاتجاه يبشر بالخير اذا ما استمر وتعمق وازدادت فيه الخبرات والتجارب .

ويمكنني القول بأن بعض العروض كان مستواها دون المتوسط ، وهذا يتطلب اعادة النظر في الاعمال التي تعتمد للمشاركة في المهرجانات .

■ نبيل الحفار . .مدير تحرير مجلة الحياة المسرحية في سوريا ، ناقد ومدرس لنظرية الدراما في المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق .

جوابا على السؤال المطروح فانني وجدت بعض المحاولات التي تتجه نحو ايجاد ملامح لمسرح عربي مميز ، لكنها محاولات لم تبلغ مداها بعد .

ويمكن القول أن مستوى مجمل العروض كان ضعيفا ، واشير الى تميز عرضين موازيين هما :

ـ موال لفرقة المثلث التونسية .

ـ التربيع والتدوير لفرقة الديدحانة التونسية .

والمشكلة الرئيسية في رأيي تتمثل في انعدام النص الجيد وعدم قدرة الفرق على الوصول الى اللغة الفنية الملائمة لما

عبد العزيز الحداد

يسمى بالشكل الخاص بالمسرح العربي المميز . وهذا أمر يحتاج الى البحث عن طبيعة هذا الشكل .

■ فتحي المداوي ممثل وطالب في المعهد العالي للفنون في مدينة تونس اشترك في التمثيل بمسرحية ـ موال ـ لمسرح المثلث التونسي .

الكلام عن مسرح عربي مميز قد يكون سهلا ، لكن السؤال الصعب هو كيف نقدم عروضا فيها ملامح من هذا المسرح ؟

نعم وجدنا بعض النوايا في بعض العروض ، لكنها بقيت مكبلة بأشكال غربية ، وفوجئنا بتدني مستويات العروض ، مع أن اسماء كبيرة وقعت عليها في التأليف والاخراج ، وقد يعود هذا الى أسباب تتعلق بالوضع العام المتأزم الذي عكس نفسه على قطاع المسرح ، وقد يعود الى فترات جفاف عند بعض الفنانين ، كما أنني وجدت تدنيا في مستوى تكوين رجالات المسرح وغلبة الارتجال في عروضهم ، وتمنيت لو حجبت معظم الجوائز .

■ عبدالعزيز الحداد ـ الكويت ـ كاتب ومخرج .

ميزة بعض الاعمال التي اشتركت في المهرجان هو أنها خرجت من ثوب الكلاسيكية ، ونحت نحو البحث عن أشكال يمكن أن نقول عنها أنها تقترب من مسرح عربي مميز .

وأرى أن مسرحية الحكواتي كانت جديرة بالفوز لانها

فتحي المداوي

وفرت شكلا مميزا .

واجمالا فان مشاركتنا في المهرجان اطلعتنا على تجارب وافادتنا كثيرا ، وجعلتنا ندرك متطلبات العروض الخاصة بالمهرجانات وخاصة الابتعاد عن الاغراق في القضايا المحلية .

■ محمد عبدالله ـ رئيس اللجنة الثقافية ـ في مسرح الشارقة الوطني بالامارات العربية المتحدة .

ـ وجدت ملامح لمسرح عربي مميز في بعض العروض لكنها غير كاملة ، وأعيب على بعض الفرق تقديمها لعروض فيها مشاكل محلية قد تكون مع نظام بلدها السياسي او الاقتصادي أو الاجتماعي ، لذلك فاننا لم نجد مشاركة وجدانية عربية في عروضها ، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه « مسرح التنفيس » .

والمهرجان لم يخل بطبيعة الحال من عروض جيدة كمسرحية « أيام الخيام » اللبنانية ، و « قالوا العرب قالوا » الجزائرية ، و « موال » التونسية .

ـ هذه بعض الآراء التي سجلناها وقصدنا أن تكون من عدة أقطار عربية ومن شتى التخصصات المتعلقة بالمسرح . . الكل غير راض ووجه سهام نقده الى الكثير من العروض . . . وأكد على المسافة الشاسعة التي تفصل بين الكلام النظري والعرض التطبيقي . فمن هو الذي كتب المسرحيات التي قدمت ؟ ومن هو الذي أخرجها وعرضها ومثل فيها ؟؟ هل نقول أنها مشكلة فصام ؟

وهل نؤكد على أنها جزء من مشكلة حياتنا العربية التي يطرح فيها الكثير من الافراد والتنظيمات والمؤسسات أفكارا ومبادىء وسياسات وخططا معينة ، الا أنهم عندما يصلون الى مراكز التقرير والتنفيذ فانهم يضعونها جانبا ولا يلتفتون اليها التفاتة جدية ؟؟

نعم أن أس البلاء يكمن في هذه النقطة بالذات !

■ وقبل أن نختتم تقريرنا هذا نشير الى أن نشاطات أخرى رافقت عروض المهرجان ، نذكر منها العروض السينمائية وعروض التلفزيون ـ الفيديو ـ واقامة معارض الصور التي تؤرخ لمراحل زمنية من حياة المسرح التونسي وفي نهاية ايام المهرجان وزع وزير الثقافة التونسية جوائز التكريم على مجموعة من كبار الممثلين والمخرجين والكتاب المسرحيين العرب ، نظرا لجهودهم وريادتهم في هذا المجال وهم :

- الفنانة أمينة رزق ـ من مصر .
- الاستاذ حقي الشبلي ـ من العراق .
- الاستاذ مصطفى الكاتب ـ من الجزائر .
- الاستاذ عبدالله غيث ـ من مصر .
- الاستاذ عبدالله الحمروني ـ من تونس .
- الفنانة نضال أشقر ـ من لبنان . □□

سيكولوجية الاكتئاب

بقلم الدكتور : عبد الرحمن العيسوي

□ لعل من أسوأ مظاهر المدنية الحديثة ما تفرضه على الفرد من وحدة وعزلة ، تؤدي مع غيرها من الأسباب والعوامل ، الى شعوره بالاكتئاب .

إن انسان العصر يدفع ثمن المدنية من ذاته ومن سعادته فهي تحرمه من حياة الأسرة والاختلاط والتآلف ، والمشاركة الوجدانية ، والشعور العميق بالالتحام والانتماء . ثم هي تفرض على الأبناء ان ينفصلوا عن الأسرة بمجرد وصولهم الى سن التعليم الجامعي . وعلى الرغم مما توفره حضارة العصر من الامكانات والادوات المادية وأسباب الراحة ، إلا انها لا تشعر الانسان بالسعادة ، بل تفرض عليه هذه الحضارة الحديثة كثيراً من مشاعر الفشل والاحباط وتكتب عليه أن يخوض غمار الكثير من الصراعات الحادة والمنافسات المحتدمة لكي يشق طريقه الوعر في هذه الحياة . تلك الحياة التي تشعر الانسان بالصغر والضآلة ، وبالضياع والتوهان في خضم فراغ مميت . بل أن إنسان العصر يعيش تحت وطأة التهديد الدائم والمستمر من شبح الحروب الفتاكة ، وما تهدد به من أسلحة نووية تقضي على الانسان وعلى حضارته . فليس غريباً إذن أن يشعر انسان العصر ، وهو يعيش في ظلام الوحدة القاتلة ، بالاكتئاب والحزن ، وأن تستبد به هذه المشاعر في بعض الأحيان وتحتويه ، وتسيطر عليه الى الحد الذي تنقله - في حالات قليلة جداً - ولله الحمد - الى حافة الانتحار والتخلص من عبء

الحياة وأثقالها التي ينوء بها كاهله .

ولذلك علينا نحن ـ ابناء الأمة الاسلامية والعربية ـ أن نحرص ، ونحن نقيم نهضتنا المعاصرة ـ أن تكون نهضة شاملة لكافة جوانب حياة الفرد : النفسية والعقلية والروحية والخلقية والعلمية والاقتصادية . وأن نقيم حضارتنا الانسانية على دعائم من الدين الاسلامي الحنيف ومن مبادئه السمحاء . وذلك حتى لا نقع فيما وقعت فيه أوربا حين نهضت بالجانب المادي وتركت الجوانب الروحية والاجتماعية في حياة الانسان وفكره . بل انها أضاعت قيمه السابقة ولم تضع غيرها ، وانما تركته يعيش في ضياع وفراغ بعد أن فقد ذلك الايمان الذي كان يمسك عليه حياته ، ويجعل لها قيمة ومعنى ومغزى . لا نريد أن تكون حضارتنا حضارة عرجاء مبتورة وانما نريدها شاملة متكاملة تصل الماضي بالحاضر . . بالمستقبل ، وتعنى بالانسان وتصون كرامته وتحميه وتحرره من كل ما يكبل طاقته بالقيود والاغلال . وفي ضوء هذه النظرة الشمولية نعرض على القارىء الكريم تفاصيل ذلك الشعور القاتل ، وهو الشعور بالاكتئاب ، فنعرف انواعه وماهيته وأسبابه وطرق علاجه والوقاية من الاصابة به .

ماهية الاكتئاب

هناك نوعان من الاكتئاب ، الأول عبارة عن مرض نفسي وظيفي ، يطلق عليه علماء النفس « اكتئاب رد الفعل » Reactive Depressionومعنى كونه وظيفياً أنه لا يرجع لأسباب عضوية أو بدنية معروفة ، وإنما يصاب الانسان به رغم سلامة مخه وجهازه العصبي وبقية أعضاء جسمه . ولو أن الخلل أو العطب أو الاضطراب يصيب الوظائف ، لما كان ذلك . فان هذا المرض لا بد وأن يرجع في أصوله ونشأته الى عوامل نفسية واجتماعية ، تتمثل فيما يمر به من تجارب ومواقف فيهما فشل وإحباط وحرمان ، وما تعرض له من قسوة وعقاب . وعلى الرغم من أن الاكتئاب لا بد أن يصيب كل واحد منا في لحظات معينة إلا أنه في حالة الانسان السوي يزول بزوال المؤثر الذي تسبب فيه ، أو بعد فترة معقولة من الزمن تتناسب مع كم وكيف هذا المثير المحزن ومع مقدار كثافته أو شدته . هذا بالنسبة للانسان السوي .

أما الشخص المصاب بالاكتئاب فانه عندما يتعرض لموقف من المواقف المثيرة للاكتئاب أو للحزن ، فانه يظل حزيناً لفترة أطول من اللازم ، وبمقدار يفوق في نسبته الموقف أو التجربة المحزنة . فمريض الاكتئاب يبالغ ←

ويجسد في مثيرات الحزن ، ويظل يجتر أحزانه ويرددها ويختزنها ، ويميل المريض الى الشعور بانخفاض الروح المعنوية ، وانكسار النفس ، وقلة الهمة والنشاط والحيوية والشعور بالسخط والقنوط . كذلك يعاني المريض من العجز في تركيز الانتباه كما لا يشعر بالأمن والأمان النفسي . وهو يشعر بالغم والهم والكرب ، ولذلك قد يفقد شهيته . وبطبيعة الحال ، كل انسان معرض بالضرورة الحتمية للمرور بتجارب ومواقف غير سعيدة ، من ذلك الرسوب في الامتحانات ، او الطرد من الوظيفة او وفاة قريب أو صديق او حدوث نكسة مالية أو افلاس او الفشل في الحب وانهيار الحياة الزوجية ، وفسخ الخطوبة والتعنس . . مثل هذه المواقف وغيرها تمر بالشخص العادي ولكن بعد فترة من الزمن تزول حالة الاكتئاب . أما المريض بعصاب الاكتئاب فانه يهول ويجسم من هذه الاحداث ، ويرى أن حياته قد انتهت ولم يعد لها أي هدف وأنه لا أمل له في الحاضر أو المستقبل ، وبذلك يضع نفسه في حالة شديدة من الحزن والاكتئاب . هذا فيما يتعلق بالنوع الأول من الاكتئاب وهو الاكتئاب النفسي أو العصابي أي « اكتئاب رد الفعل » .

أما النوع الآخر فهو الاكتئاب الذهاني وهو عبارة عن مرض عقلي ، ويمتاز بأنه أكثر شدة وخطورة ، **Psychatic Depression** وفي هذا النوع الأخير من الاكتئاب العقلي يميل المريض الى الشعور بالرغبة في الموت ، كما يعاني من الأرق ومن لوم الذات ، ويعجز عن تكوين الارتباطات ولا يميل للضحك ، ويضخم المشكلات التي تجابهه ويحط دائماً من قدر نفسه ويميل الى البطء والتراخي في نشاطه ، ويعاني من الأوهام المختلفة .

أما الاكتئاب النفسي ، وهو النوع الخفيف من الحزن ، فان اعراضه تحدث نتيجة لموقف محزن يمكن تحديده والتعرف عليه ، والمريض به يستطيع أن يستفيد من العلاج ومن التشجيع ومن بث مشاعر الطمأنينة فيه . وهو يعي نفسه ويستطيع أن يدبر أموره في الحياة خلافاً لما هو عليه الحال مع مريض الذهان . هذه هي طبيعة الاكتئاب وتلك أعراضه ، ولكن من الأهمية بمكان أن يعرف القارىء تلك الأسباب التي تؤدي الى الشعور بالاكتئاب .

أسباب الاكتئاب

تشترك الأمراض النفسية في حقيقة مؤداها أن اسبابها تكمن في عوامل اجتماعية ونفسية وتربوية . ونستطيع أن نميز بين مجموعتين من العوامل السببية :

مجموعة العوامل المهيئة ، أي تلك المواقف والتجارب والعوامل التي تهيىء الفرد وتعده وتجعله جاهزاً للاصابة بالمرض . ويستطيع القارىء أن يفكر في كثير من الظروف والعوامل التي تلعب هذا الدور في حياة الانسان منذ نشأته الأولى . من ذلك تجارب الطفولة ، وما تلقاه من إشباع أو حرمان ، أو عطف أو حنان ، وما تعرض له الطفل من قسوة ومن فشل واحباط . وعما اذا كان منبوذاً أو مقبولاً من الآباء والأمهات . الى جانب التجارب المدرسية ، وعلاقة الطفل بأبناء الجيرة والأصدقاء ، الى جانب ما تعرض له من مشاعر القلق والتوتر والصد والزجر ، وما عاناه من أمراض ، فضلاً عما قد يكون انتقل اليه من الآباء والأجداد عن طريق الوراثة أي عبر الجينات أي ناقلات الوراثة التي تزود الفرد بالاستعداد العام للاصابة بالمرض . وقد يتعلم الطفل الاستجابات المرضية عن طريق معايشته للآباء المرضى عن طريق التقليد والمحاكاة .

أما المجموعة الثانية من العوامل المسببة للمرض فهي ما يسميه علماء النفس العوامل أو العامل المفجر أو المعجل بظهور المرض وحدوث الانهيار النفسي في الشخص الذي كان يعاني أصلاً من العوامل الاستعدادية الأولى ، والذي جعلته مهيئاً للاصابة به . □□

رسالة أمريكا :

تعال نسمع موسيقا وننسى آلامنا..!

بقلم : سناء محمود ديب

□ « مركز قيصر الطبي » في « لوس انجلوس » واحد من المراكز الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يسمح لمرضاه ان يختاروا بين الدواء الكيمائي او شريط موسيقي في حالة الألم .

الموسيقا تستعمل الآن قبل العمليات ، خلال المعالجة الكيميائية لعدة أمراض من ضمنها أمراض آلام الظهر والنخاع الشوكي والأمراض العصبية وارتفاع الضغط وآلام الرأس .

والمشكلة المشتركة في كل الأمراض حسب قول الدكتور « ديفيد ووكر » في مركز قيصر الصحي هو القلق ، فليس من الغريب أبدا أن المرضى قبل اجراء الجراحة يصابون بالقلق ، والراحة هي معالجة عالمية ، والانسان الذي يتعلم كيف يرتاح بعمق يكون عنده استعداد نفسي للشفاء بسرعة ، والموسيقا تساعدنا في الحصول على هذه الراحة .

يكفينا ان هذه المعالجة ليس لها أي مخاطر ، فالمريض مسموح له ان يستعملها في أي وقت يشعر بحاجته اليها .

والموسيقا تستعمل الآن في كل الحالات حتى في تخفيف آلام الولادة ، ففي حالة ولادة الطفل يقومون باحضار شريط تتراوح مدته من ١٨ - ٢٠ ساعة عليه عدة أغان وموسيقا تكون الأم قد تدربت عليها لاراحة أعصابها .

تقول الدكتورة « نانسي هانت » في مستشفى سانت لويس : « الموسيقا آداة قوية عجيبة .. لها تأثير فسيولوجي مباشر علينا ، فهي تزيد حجم الدم ، وتخفض ضغط الدم ، وتوازن نبضات القلب وتجعلنا نرتاح نفسيا ونسعد » .

ربما كان هذا التأثير القوي لسحر الموسيقا هو أنها تستطيع تغيير الجو المحيط بنا بتأثيرها على العقل الباطن ، والخيال عند الانسان .

التأمل العميق

عندنا الكثير من المرضى الذين مروا بكثير من الصعوبات ، يقول الدكتور ستيفان كيريك رئيس مركز قيصر الطبي ان مرضى السرطان مثلا تعرضوا ويتعرضون لسلسلة من المعالجات المؤلمة واليوم نستطيع ان نقدم لهم شريطا موسيقيا ليستمعوا له خلال المعالجة ولقد تبين ان الموسيقا

تساعدهم على التخلص من الألم بالاضافة لتهدئة اعصابهم . ومرضى الحروق عليهم أن يبقوا في المستشفى لمدة طويلة حيث يتعرضون لآلام شديدة خلال التئام حروقهم ، وبالطبع لا نستطيع اعطاءهم عقاقير مهدئة طول الوقت حتى لا يدمن الجسم عليها ، وباستعمال الموسيقا استطعنا تهدئتهم وإزالة الألم .

وهناك شريط تلفزيوني مدته ٥٧ دقيقة يستعمل الآن في المركز الصيني في جامعة ماساشوسيت يصحب المتفرجين الى ما يسمى بالتأمل العميق ، ويدعو الدكتور كوبات الزين رئيس القسم الى إدخال الموسيقا في كل المراكز الصحية للمرضى والأطباء على السواء . وفي احصاء أخير اتضح ان ثمانين في المائة من المرضى الذين اتبعوا هذه الطريقة قالوا انها مفيدة وانها ساعدتهم على التخلص من الألم .

المعالجة الموسيقية لها تاريخ قديم فقد استعملها الفلاسفة اليونان للمساعدة على النوم ، والاطباء القدامى استعملوها لتنظيم دقات القلب .

وقد أهملت في القرن التاسع عشر والعشرين ولم يعُد استخدامها كمثبط للألم حتى عام ١٩٥٠ حين استعملت في عيادات اطباء الاسنان ، وفي السنوات الخمس الأخيرة بدأ استعمالها وحدها بصورة ثابتة لمعالجة بعض الأمراض ، أو بالاضافة لمعالجات أخرى .

دراسات وأبحاث

كيف تعمل الموسيقا ؟ سؤال بدأ الفسيولوجيون الآن بالاجابة عليه أو بالأحرى العمل على اجابته .

التأثيرات الفسيولوجية والفيزيائية التي نحصل عليها من مجموعة التغيرات الكيميائية في الدماغ ليس فقط في قسم التفكير بل في الجهة المسؤولة عن التنفس والعاطفة والاحساس والقسم المسؤول عن السيطرة على دقات القلب .

هناك نظرية تقول ان الموسيقا تجعل الدماغ ينتج مواد كيميائية تسمى **Endorphins** تفرز من الجهاز البصري في الدماغ **Hypothala-mus** وهذه تخفض الكثافة في الدماغ التي تشعرنا بالألم ، وهناك شيء واحد يجمع عليه كل المعالجين ، هو ان المجال يحتاج الى دراسات وابحاث كثيرة .

نانسي هانت التي تعمل في قسم **Hospic** تقول : « إنني أستعمل الموسيقا لمساعدة المرضى على تقبل الأمر الواقع وتخفف من إحساسهم وشعورهم بالموت وتجعلهم يتكلمون عنه . وهذا ما تدعوه مراجعة الحياة ، وهي تنتقي أغاني وموسيقا كانت مشهورة خلال أنشط مرحلة في حياة المريض . انني أستعمل أغاني كان لها تأثير معين في حياتهم . . موسيقا من هذا النوع توقظ ذكرياتهم وتجعلهم يريدون ان يشاركوها مع احبائهم . ثم تقول : « أحيانا قد نجلس بجانب المرضى ونغني معهم أغانيهم القديمة المفضلة وأن هذا يعطيهم راحة وسلاماً غير عاديين » .

ايجاد الموسيقا الملائمة

جورجيا كيلي والدكتور ستيفان هالبرن الباحث في المعالجة الموسيقية يقولان : ان مكتبة موسيقية شخصية تحسن الجو الذي تعيش فيه وتساعدك على تحسين صحتك واذا كنت تبحث عن موسيقا لراحة الأعصاب ، يقترح الدكتور هالبرن ان تراقب تنفسك خلال استماعك للشريط أو الاسطوانة التي اخترتها ، فاذ كانت الموسيقا تجعلك تتنفس بعمق وبطء فهي تساعدك بالتأكيد على الراحة ، واذا وجدت نفسك تتنفس بسرعة وشعرت بألم في منطقة الصدر والرقبة فهذا الشريط ليس مفيدا لك ، وكذلك ينبهك الدكتور الى أن بعض الموسيقا الكلاسيكية السريعة لن تفيدك .

راقب جسمك واحساسك ، واسمح للموسيقا ان تكون مركز انتباهك ، واجلس او تمدد وانت

تستمع إليها ! انتق الموسيقا التي تتفق مع احساسك في تلك الساعة ، فاذا كنت تشعر انك تريد الرقص أو القفز فاستمع لموسيقا راقصة تنسجم مع رغبتك .

جورجيا كيلي تقترح الموسيقا الهادئة بشكل عام كتلك التى نجدها في بعض الموسيقا الكلاسيكية لباخ ، هاندل ، بيتهوفن ، وموزارت وشوبان .

وهي تقترح ان نبتعد عن الموسيقا السريعة كالموسيقا الحديثة فانها تعجل في دقات القلب وخاصة اذا كنت لا تتحرك مع الموسيقا .

ولكن لا يجب ان نعتقد ان الموسيقا الكلاسيكية وحدها هي التي تريحك ، فموسيقا الجاز والعود والناي والقانون والهارب ، وأي موسيقا تختارها قد تجد فيها راحتك مادام جسمك يستجيب لها بالطريقة التي تريدها سواء بالراحة أو الرقص .

أخيرا لا تنس ان الذكريات المرتبطة بالموسيقا لها قوة كبيرة لازالة الضغط النفسي وتثبيت المزاج .

الموسيقا هي طاقة تماما مثل الطعام ، ملكيتك للنوع الملائم منها في البيت مهمة ، كأهمية الحصول على الطعام والفيتامينات اللازمة لجسمك . □□

نوفمبر ١٩٨٣

لو قارنا بين مسابقات السنة كلها لكانت المسابقة رقم (٣٠٠) أتعسها جميعا من حيث الردود عليها . . فقد قل عدد المشتركين فيها حتى نقص عن عددهم في أية مسابقة ثقافية سابقة . . . ويعزى هذا على الأرجح الى صعوبة الأسئلة . . . بدليل أن المسابقة رقم (٢٩٨) ، كانت سهلة وقوامها خرائط لبعض الدول الأوروبية ، حظيت بعدد كبير من الردود بلغ ٥٠٠٠ رد أو يزيد . . .

على أن مستوى الردود أهم بكثير من عددها أو كميتها . . . وقد بلغ من تدني مستوى الردود على المسابقة رقم (٣٠٠) أن تعذرت العلامة الكاملة عليها جميعا باستثناء رد واحد فحسب ! أضف الى ذلك أن الردود اخفقت كلها في الاجابة الصحيحة عن السؤال الاول باستثناء رد واحد أو ردين . . .

هذا ونحن على ثقة من أن أكثر المشتركين وقفوا عند الارتجال في الرد على الاسئلة ، وأنهم لو بذلوا أي جهد في البحث عن الردود الصحيحة وذلك بالرجوع الى المصادر لجاءت ردودهم على مستوى أعلى بكثير مما جاءت عليه .

١ ـ (ألدورادو) مدينة خيالية تحدث عنها الكتاب والروائيون ولكنها مدينة واقعية أيضا . . وتقع في الولايات المتحدة الامريكية في ولاية أركنساس . . وتعتبر مركزا هاما من مراكز صناعة البترول . . . . . .

٢ ـ نبوخذ نصر الثاني ملك بابل المعروف هو الذي بنى الحدائق المعلقة .

٣ ـ أكولوجيا هو الاسم الذي يطلق على علم البيئة . . واللفظ يوناني الأصل ويعني في لغة الاغريق علم البيت أو المنزل الذي يسكنه الانسان . . أي بيئته .

٤ ـ جورج بولمان (١٨٣١ ـ ١٨٩٧) هو رجل الصناعة الامريكي الذي اخترع عربات النوم في القطارات . . وقد سميت هذه العربات بولمان نسبة اليه . .

٥ ـ التيار المقصود هو تيار أل نينو . . وقد سماه أهل البيرو بهذا الاسم ، وهو يعني (الطفل) في لغتهم ، نظراً لأن وصوله الى شواطئهم غالبا ما يصادف عيد الميلاد ، ميلاد المسيح الطفل .

٦ ـ الاختراع الذي اشتهر به ماركوني هو التلغراف اللاسلكي . . وماركوني كان ايطالي الجنسية ولكنه هجر مسقط رأسه الى انجلترا سنة ١٨٩٦ . . وقد ظفر بجائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٠٩ . وتوفى ماركوني سنة ١٩٣٧ عن عمر يناهز ٦٣ عاما .

٧ ـ الكسندر جراهام بل هو مخترع التلفون ، وكان من مواليد أدنبرة سنة ١٨٤٧ . وفي سنة ١٨٧٠ ذهب الى كندا فالولايات المتحدة الامريكية ، حيث عمل وبقي حتى وفاته سنة ١٩٢٢ .

٨ ـ الاخوان المقصودان في السؤال هما الاخوان جريم . وقد ولدا سنة ١٧٨٥ وسنة ١٧٨٦ على التوالي وتوفيا سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٦٣ على التوالي أيضا . . وقد اشتهرا بجمع واعادة كتابة الاساطير وقصص الاطفال الخيالية التي شاعت في ألمانيا أيام القرون الوسطى . . غير أنهما كانا من أساطين فقهاء اللغة . . .

٩ ـ الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) . انه صاحب التأملات الشهير والقائل (أفكر فأنا موجود) . ومما يذكر انه لم يقبل مهمة التدريس الملكة كريستينا في استوكهولم بمحض اختياره . . وأنه مات في العاصمة السويدية .

١٠ ـ دورة الالعاب الاولمبية القادمة ستقام في صيف هذه السنة ـ ١٩٨٤ ـ وفي مدينة لوس انجلوس بولاية كليفورنيا في الولايات المتحدة الامريكية .
١١ ـ موطن الموز الأصلي هو الهند والمناطق الاستوائية من آسيا ولا علاقة للهنود الحمر به ولا بتسميته . . . .
وكان العرب هم الذين جاءوا بزراعة الموز الى حوض البر المتوسط وأوروبا . . وقد أطلقوا عليه اسم بنان الموز (ومفردها بنانة) ، كما تقول المستشرقة الألمانية هونكه . . ولا عجب أن أخذ الأوروبيون عن العرب هذه الفاكهة واسمها ، بل نصف اسمها العربي (بنانا) ، كما تؤكد المستشرقة المذكورة . .
١٢ ـ مجلة العربي هي المجلة التي احتفلت بيوبيلها الفضي في شهر ديسمبر الماضي ، سنة ١٩٨٣ .

الفائزون بالجوائز الثلاث الأولى

١ ـ الحسن بنشقرون / رقم ٥٠ شارع لبنان / الرباط / المملكة المغربية (ـ/ ٥٠ دينارا)
٢ ـ ابراهيم احمد عيسى / ص . ب ١٦٠٧٥ / القادسية / دولة الكويت (٢٠ دينارا)
٣ ـ محمد أحمد محمد / ٥٥ شارع الشهيد نصر الفاتح / كفر الزيات / ج م ع (٢٠ دينارا)

الفائزون بالجوائز الثماني التشجيعية
بقيمة ١٠ دنانير لكل منها

١ ـ معين حسن ناصر / كلية العلوم ـ السنة الثانية / جامعة دمشق / ج ع س .
٢ ـ بيها حمود / جامعة الكويت / كلية العلوم / دولة الكويت .
٣ ـ حسن عباس مهدي / ص . ب ٥٤٦٥ / الشارقة / دولة الامارات العربية المتحدة .
٤ ـ أحمد رشدي عبد الغني / ص . ب ٨٠ / التوجيه التربوي / بواسطة رشدي عبدالغني المصري / دولة قطر .
٥ ـ يوسف عبدالله الشبعان / ص . ب ٢٢١١٤ / المحرق / دولة البحرين .
٦ ـ عبدالسلام عبدالله محمد / ص . ب ٣٨٢ / كلية الدراسات ا لاجتماعية / جامعة أم درمان / السودان .
٧ ـ مرهف منيف شهلة / الحميدية ٣٢٠ / حمص / الجمهورية العربية السورية .
٨ ـ آمال حسين مصطفى بغدادي / الجيزة / جمهورية مصر العربية .

مِنْ أينَ ينبُع نَهرُ الزّمنْ العَربي

الجارية.. ولسع السياط

بقلم : الدكتور محمد المنسى قنديل

قال لها سيدها « النطاق » : غنى يا عنان . . ولكنها كانت تحس برغبة حارة فى البكاء . . وكان ضيوف سيدها سكارى اكثر مما ينبغى . . فاعتذرت . . ونظر النطاق الى ضيوفه محرجا ثم أمسك السوط وهوى به على ظهرها . . ولحظتها احست ان كل هذا الالم لا يكفيه البكاء . . وفى آخر الليل جاء الى غرفتها معتذرا . . يحمل فى يده قارورة من العطر . . فلم تعرف . . أهى للتطيب . . ام بلسما لجراح ظهرها . . قال لها النطاق . . لا تبالغى فى الامر . . فكل الجوارى يجلدن . . وكل العبيد يصلـون . .

تعودت عنان على الرق . . ولكنهـا لم تتعود على « النطاق » . أدمنت الغناء والشعر وأحلام اليقـظة وظل السـوط مؤلما رغم تكـرار مرات الجلد . لماذا تلتئم الجراح القديمة اذن مـادامت هناك جراح جديدة قادمة . اشتراها « النطاق » بثمن بخس . . كانت مثل درة مخفية وسط لحم الاجسـاد المعروضـة للبيع . . وعنـدما جـلاها اكتشف انها لا تقـدر بثمن . . وهكذا بـدأت رحلتها فى بغداد . . قطرة من العطر وضربة من السوط . .

فى سوق بغداد . .

عندما دخلت « عنان » سوق بغداد سرت فيه حـالة من النشـوة . . أخفض البائعـون اثمـان البضـائع . . وكف المشتـرون عن المساومـة . وجلس « النخـاس » بجانب جـارية وحيـدة لم يشتـرها احـد وبكى . وفـرد تجـار « فـارس »

وكانت مستعدة للرد عليه دون كلمة فحش واحدة فالزمته حده . . وللمرة الاولى تراجع ابو نواس أمامها . وهتف بقية الضيوف بالشاب المتألق العينين . . هلم يابن حفصة هلم يا مروان نازل عنان والتفت تراه من جديد . . أهو أنت ؟ . .

كانت تسمع عنه . . وعن شاعريته . . ولكنها لم تكن تحسب انه شاب الى هذا الحد . . ابتسم لها . . ولهم وهز رأسه رافضا . . يكفى لم يكن يريد كل شيء فى هذه الليلة الواحدة . يكفى أنه رآها واستمع اليها .

نهضت جارية حبشية وأخذت ترقص . ومزق أكبر تاجر « بهار » فى بغداد ثيابه طربا . ونهض ابو نواس منصرفا فأحست بعبئه ينزاح من فوق صدرها . ثم تبعه الآخرون وهم يترنحون . ولكن مروان بقى . قالت لنفسها . . ياله من يوم غريب أقابل هارون الرشيد فى الصباح ثم أقابل هاتين العينين المتألقتين فى المساء .

دخل رجل غريب وأخذ يهمس فى أذن النطاق . . ونظر النطاق نحوها فأحست أن الهمس يدور حولها . نهض واصطحب الغريب الى الخارج . . ثم عاد وهو يحمل السوط فى يده وصرخ فيها .

ـ أنت . . تجرؤين على شكوى الى امير المؤمنين .

ورفع السوط فانزوى بقية المدعوين كالجرذان . كانوا يعرفون أنه فى ثورة غضبه يتحول الى حيوان حقيقى . وظل مروان ينظر فى دهشة لا يدرى ماذا يحدث بالضبط حتى هوى النطاق بالضربة الاولى على ظهر عنان فنهض مفزوعا . . حمل النطاق بجرمه الضخم واطاح به فى الهواء ليصطدم بالحائط .

بدأت عنان تبكي . . وسقط النطاق مغشيا عليه . . وهرع بقية الضيوف الى الخارج . كانت تبكى لا لان لسعة السوط كانت قوية . . ولكن لانها اهينت امامه . . ولم تكن تريد أن تهان هذه الليلة . . قال وهو يتطلع اليها :

ـ بكت عنان فجرى دمعها
كالدر اذ يسبق من خيطه . .
قالت وهى تكفكف دموعها :
ـ فليت من يضربها ظالما
تيبس عيناه على سوطه . .

ونهضا معا . خرجا من بيت النطاق الى بغداد النائمة . . لم يفكرا فى النظر الى النطاقي . . كانا يحسان انه من الصعب ان يموت . . فالكوابيس لا تموت بسهولة . . وما هذه الاغماءة الا حلم قصير . كان النهر ساكنا . سكون المتأهب للحظة حب لم تولد بعد . وضوء النجوم كان شحيحا ولكنه كان كاف لعاشقين يتلمسان خطوات العشق الاولى . وحتى « المراكبى » العجوز الذى كان نائما فى قاربه لم يطلب منهما أجرة ولكنه افسح مكانا واعطاهما بقية من « تمر » النهار ثم اخذ يجدف بهدوء . .

سكن الالم قليلا . وظلت عنان تحس بالحرقة فأخذت تبكى . . ورف طائر فوق النهر ـ يبدو أنه قد ضل الطريق الى عشه ـ ثم لاح قصر ضخم متألق بالانوار . . قصر هارون الرشيد . . كانت تحلم بالخلاص على يديه . . ولكن عليها الآن ان تقنع بنصيبها من صدر ابن حفصه . .

الى متى استمر المراكبى العجوز فى التجديف قبل ان يغفو . وكيف ازداد تألق النجوم . ولماذا جاء الفجر سريعا هكذا . قالت فى خوف . .

ـ انه الفجر . . سوف يقلب النطاق شرطة بغداد كلها بحثا عنى . . أمسك يدها وهبطا الى الشاطىء . واعطى مروان للمراكبى العجوز كل ما فى جيبه من دنانير . ولكن الرجل أعادها اليه . من الذى يشترى ليلة بهذا الصفاء . وسارا الى قصر النطاقى . . كان مستيقظا . جمع

الذهب لا يكفى
لشراء روح ضائعة

فى الصباح توجه مسرور بنفسه الى بيت النطاق .. كان يسير خلفه عبد صغير وهو يحمل صندوقا . وهتف بالنطاق :

ـ ها هى المائة ألف دينار بعثها اليك أمير المؤمنين .. أين الجارية ؟ ولكن النطاق رد فى برود

ـ دعنى أحصى النقود اولا ..

كان مشهد مسرور وحده يثير الرعب .. ولكن النطاق ظل يتأمله فى نفس البرود وهو يجاهد لكظم غيظه وانزل العبد الصندوق .. وجلس النطاق على الارض وكوم النقود ثم بدأ يحصيها فى بطء وتمعن . وبعد ساعتين كان مسرور قد أوشك أن يجن وأن يخرج السيف ويهوى به على تلك الرأس المنكبه على النقود .. وهتف النطاق ..

ـ المبلغ ناقص ..

وصرخ مسرور .. ماذا يا حشرة .. ناقص .. !؟

ولم يظهر الرعب الذى كان فى قلب النطاق على وجهه .. فقد واصل القول فى برود ..

ـ ان امير المؤمنين يريد ان يعطينى الدينار بسبعة دراهم وهذا غير عدل فالدينار فى السوق لا يقل عن ثمانية دراهم ..

وأمسك احد الدنانير وجز عليه بأسنانه ثم واصل القول ..

ـ وهذا ذهب خفيف لا يغنى الدينار يجب أن لا يقل عن تسعة دراهم وصرخ مسرور مغتاظا .. وامسكه من عنقه وللمرة الثانية يرتطم جسد النطاق بالحائط ويسقط مغشيا عليه .. وتناثرت نقود الخليفه تحت الاقدام .. وجاءت عنان مسرعة على صوت الصياح الغاضب فهتف بها مسرور ..

أمامه كل الفتات التى تركها الضيوف وأخذ يأكل بشراهة وحنق . وحين رآهما تأملهما قليلا ثم هتف بسخرية ..

ـ اين كنتما .. هل وقعتما فى الحب ..

قال مروان : اريد ان اشتريها ..

قال النطاق : عليك أن تدفع اولا سبب الاضرار التى سببتها لى .

قال مروان : اريد ان اشتريها ..

قال النطاق :

ـ اتعرف الرجل الغريب الذى جاء فى منتصف ليلة أمس .. انه رسول الخليفه اتعرف ماذا كان يريد .. كان يريد شراءها ولقد طلبت ثمنا لها مائة الف دينار وليس أقل من ذلك .. سوف اواصل جلدها حتى يرتفع ثمنها .

وصمت قليلا ليلتهم ما أمامه ثم هتف فى ابن حفصه :

ـ هل تملك مائة الف دينار .

ـ هيا معي الى القصر . .

فأطاعته . سارت دون ان تلقى نظرة على النطاق . . كانت واثقة أيضا هذه المرة أنه ما زال على قيد الحياة . وكان مسرور ينتفض من الغيظ طوال الطريق . . وظل كذلك حتى وقف امام الخليفه وهو يقص عليه قصة المساومة « الخسيسة » مع النطاق .

وقال الخليفة :

ـ رفض البيع اذن . . فكيف احضرت الجارية ؟

وفوجئت عنان . . وأخذ مسرور يلعن النطاق . . ولكن هارون الرشيد قال :

ـ سوف يشكونى الى قاضى بغداد . . ولا اريد أن يقال فى مجلس القاضى أنى سلبت من واحد من رعيتى شيئا يملكه . .

قال مسرور فى دهشة :

ـ مولاى . اننا لسنا خائفين منه . . لسنا خائفين . . ولكننا لسنا ظالمين . .

قالت عنان :

ـ وما يمنعك يا مولاى من أن تعطيه ما يطلب . .

قال هارون :

ـ لن يفرط فيك مهما اعطيته من ثمن . . عودى اليه وسوف نبحث عن سبيل آخر . . أعود . . قالت فى نفسها فى مرارة . . هذا هو هارون الرشيد . . فماذا يمكن أن تفعله يابن حفصة ؟

ولكن نجوم الحب خادعة . .

كان ابن حفصة محموما . تلاحقه طيور غريبة اينما سار . كانت شمس بغداد صريحة لذلك اشعرته بالعجز عن مواجهتها . لم يكف عن الركض واللهاث . . مدح الامير والوزير والوالى والقاضى والمحتسب . وعاد بفتات من دراهم الفضة . باع دار أمه القديمه . والهدايا وبعض المخطوطات وسيفا يعلوه الصدأ . وعمامة أبيه . . وتوسل حتى وصل مجلس الخليفة هارون الرشيد ومدحه بقصيدة حارة . . وطلب منه الخليفه أن يتمنى . فتمنى مائة ألف دينار . . فضحك الخليفه واعطاه دينارا بكل بيت . .

قامر فخسر . تآسى فلم ينس . وظلت عنان كنجمة السماء البعيدة المنال . كان الاصحاب صعاليك ومفلسين . والمرابون أوغاد . وبغداد مدينة قاسية على الشعراءوالعشاق . وعندما تسلل الى حجرتها فى المساء جلسا سويا مثل طفلين ضائعين . أخبرته ماذا حدث مع الخليفه . وكيف رفض النطاق المال . كانت تحس باليأس وبضياع فرصة خلاصها . لم يفكرا فى الخروج الى النهر . . حيث يوجد الحب يجب الا توجد المرارة .

رحل ابن حفصه الى خراسان وقص على واليها ابن عبد الله مأساته فضحك واهداه خمس جوار لعله يتآسى فى اجسادهن ولكنه رفض . رحل الى الكوفه والبصرة . . ورفع ولاتها الى سماء الشعر . . وبقى هو فى حضيض الدراهم . عاد الى بغداد وتسلل الى غرفتها . . فقالت له أن النطاق مريض وانه لم يعد يضربها بالسوط . . ولم يستمع اليها . . انها حيلة اخرى من حيل النطاق للاستئثار بها . . كان مشغولا بكل الاشياء التى تفور فى داخله وهتف بها :

ـ سوف اسرق خزائن هارون الرشيد . .

اصيبت بالفزع . توسلت اليه أن يعدل عن فكرته . ولكنه كان تعبا من كثرة اليأس . . برما من الالحاح فى السؤال . . وبدت الفكرة براقة . . فالشعراء يجب عليهم احيانا أن يسلكوا طريق اللصوص . ترك غرفتها . كانت تبكى وكان هو يرتعد ولم يتصور أحد منهما ان ليلة من ليالى الحب يمكن أن تقودهما الى هذا الجنون . .

ولم ينم احد فى هذه الليلة . . واطلت على بغداد نجوم ضائعة . وفى اللحظة التى غافل فيها

ابن حفصة الحرس وتسلل الى داخل القصر أرسل النطافى يستدعى عنان لكى تجلس بجانبه .. كانت هناك شمعة وحيدة بجانب فراشه .. وكان وجهه شاحبا تطلع اليها قليلا .. ثم قال فى صوت واهن ..

- اننى احتضر ..

ما أطول طرقات القصر وما أشد وحشتها .. اين توجد الخزائن .. ؟ .. كان ابن حفصة قد ذهب اليها ذات يوم فى وضح النهار ليأخذ أحدى أعطياته .. ولكن هل يمكن الاهتداء اليها فى الظلام . اين يختبىء الحراس .. واين يكمن الموت .. ؟ .. وهل يمكن أن يولد الحب من جديد خلال السرقة والمخاطرة ؟ ..

طلب منها النطافى رشفة من الماء .. ثم همس وهو يكاد يبكى :

- هل آلمتك كثيرا ..

ولم ترد عليه .. شعرت بالمهانه من سؤاله .. وبالاحتقار له . عاد يقول ..

- اكشفى عن ظهرك ..

هتفت فى حدة .. كلا ..

قال فى توسل :

- اننى احتضر .. ولعل هذا هو مطلبي الاخير .. لست أكثر من شيخ يحتضر .. توسل طويلا .. حتى أنها استدارت وكشفت عن ظهرها . أحست بأصابعه وهى تتلمس آثار القروح . وفجأة سمعته ينخرط فى بكاء حار . التفتت اليه فى دهشة . لم تتوقع أن تراه ابدا بهذا الضعف . مدت أصابعها فى تردد .. ثم لمست جبهته .

وقف ابن حفصة مذهولا امام باب الخزائن . هنا كل خراج الارض . ونتاج كل الغيم السابح فى السموات . انه لا يحتاج كل ما فيها من اموال . يكفيه ما يكفى طمع النطاقى واستنقاذ روح عنان الاسيرة .

أخرج سكينا كان يحمله معه واخذ يشق فى الباب الخشبي ليحصل الى طرف المزلاج . أيهما أسهل السرقة .. ام قرض الشعر ؟ .. لم يصمد المزلاج طويلا .. ولعل صاحب بيت المال لم يكن يتصور ان يجرؤ أى لص على اقتحام قصر هارون الرشيد ..

انفتح الباب ... يا رب السموات ... ما كل هذه الأموال المكدسة ... حتى وسط الظلام يبدو ضوء الذهب وهاجا .... كيف يحصي أمواله ... كيف يعرف ماذا يريد وأمامه أكثر مما حلم به ... كان يسمع من حوله عشرات الأصوات .... ثم اكتشف انها كلها أصواته ... صوت قلبه ... وتنفسه وتدفق الدم في عروقه ..

أخذ يجمع كل ما يجده أمامه ... يضع في جيوبه ... وفي عبه وفي عمامته .... في كل مكان .... سوف ينالها .. سوف يفرغ الذهب كله أمام النطاقي ويحررها منه ... ولكنه عليه الآن ألا يتوقف لحظة واحدة ... وفجأة سمع صوتا آخر غير صوته يهتف به في خشونة ...

- قف مكانك ولا تتحرك ..

التفت في فزع فوجد عشرة من الحراس حرابهم موجهة الى صدره . تحاصره . ورئيس الحرس يتساءل في دهشة :

- أي لص أنت .... كيف تجرأت على خزائن أمير المؤمنين ؟

ووقف صامتا تعيسا ... وقد أدرك فجأة ... أن الشعراء لا يصلحون للعشق ... ولا للصوصية ؟

وكان في النطاقي بقية من القدرة على الكلام فقال لها بصوت متهدج :

- لو تعلمين كم كنت أحبك . وأغار عليك .... كنت أعلم انهم يحسدونني فأردت أن أقبحك في نظرهم ...

قالت له لا تتكلم ... ولكنه واصل الكلام .

- اذا أقبل الصباح وأنا ما أزال على قيد الحياة .... سوف أصحبك الى قاضي بغداد وأعتقك ..

من السوق . . والى السوق تعود . .

ولكن الصباح لم يأت عليه الا وهو جثة هامدة تنتظر الدفن والمغفرة . . . . وانتشر خبر موت النطافي في بغداد كلها . . . . ولكن خبر اللص المجهول حبيس السجن المظلم ظل متكتما عليه . . . . وعندما ثوى في القبر اكتشفت « عنان » مفاجأة مذهلة . . . . فالرجل الذي رفض مائة ألف دينار من الخليفة مات مديونا . . بيته مرهون . وأمواله نهب للمرابين ومزيفي الصكوك . كلهم أحاطوا بالبيت كالغربان . وانتظرت عنان أن يأتي ابن حفصة فلم يأت . . . . وبدلا منه جاء الحرس ومتكفل الرهون والقاضي ونظر الى الأثاث والجواري ثم قال :

ـ هذه كبد رطبة . . . . وعلى الرجل دين فليبع كل ما يملك في سوق بغداد حتى يوفي بدينه . .

أهان الله من أهانني . . قادوها الى السوق . أهان الله من أهانني . صفوها على منصة النخاس العالية ، أهان الله من أهانني ، كانت الجارية السوداء لم تبع بعد ولا زال الدينار الذهبي في جيب النخاس . وعندما صرخ عاليا . . . . من يزيد ؟ . . بكت عنان . . وحسبوا أنها تبكي النطافي . . . ولكن . . . . من كانت ستبكيه سوى نفسها . . . أهان الله من أهانني . لم يعد أحد يرثى لها . . صرخ النخاس من يزيد . . فقال رجل :

ـ خمسون ألف درهم . .

أباع بالدراهم وكنت أقدر بالدنانير . . . . فوجئت بمسرور يقف أمامها :

ـ مائة ألف درهم

لم يرض النطافي بسبعة أضعاف هذا المبلغ . . . . هتف رجل خرساني وربما لم يكن يعرف مسرورا . .

ـ أزيد خمسة وعشرين ألف درهم . .

ولكزه مسرور وهو يقول :

ـ أتزيد على أمير المؤمنين . . مائتين وخمسين ألف درهم . . .

ولم يكن فيها شيء يعاب . . . اللهم إلا بضعة آثار من السياط في ظهرها . . . . سوف تزول اذا نامت على حرير أربعين ليلة واذا دلكها خصي تركي . ورغم غضب الرشيد لأن لصا حقيرا قد تجرأ على خزائنه فقد ابتسم حين رآها . . . وقال لها :

ـ جئت أخيرا الى المكان اللائق بك . .

كان العرش رائعا تحته فانحنت وهي تقول :

ـ الى السيد الذي أتمنى أن أليق به .

والعرش يليق بالنبوءة . . . صحبتها الجواري بعيدا الى جناحها . . . . حيث يمكنها أن تطل على النهر . . . . في النهر يبدو النهر بلا نجوم سابحة خال من الحب . ولكن من الذي يقف في وجه الريح عندما تندفع . . . . أيتها العجوز . . . . الى أي مدى أنت صادقة . . . احذري الحب . . . واحذري الذكرى . . . . واحذري أية لحظة من الضعف أو الشفقة أو الحنين . . احذري تقلب السادة ولسع السياط والبيع في السوق من جديد .

التفتت الى الناحية الأخرى . . . . كانت حديقة القصر الممتدة أمامها وفيرة الخضرة . . . . رأت جمعا من الحرس يقودون شخصا ما . . . . خيل اليها أنها تعرفه . . . . وعلى بعد كان مسرور السياف واقفا يشحذ سيفه في استمتاع . . . كانوا يذهبون بالشخص المقيد الى أقصى أطراف الحديقة . . . . سألت أحدى الجواري :

ـ من هذا . .

قالت الجارية وهي تقترب من النافذة وتشاركها في النظر :

ـ إنه اللص الذي تجرأ على سرقة خزائن أمير المؤمنين . . . سوف يقطعون يده . □□

يعتبر قرنا استشعار الحشرة بمثابة هوائيات (إيريال) تستقبل عليها مؤثرات عالمها وتوجهها الى الأهداف

تكنولوجيا الحشرات سبقت الإنسان بملايين السنين

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

حساسة ، ومنها تعرف القوات المتقدمة مخابيء الثوار ، وبهذا يتخذون حذرهم من أي هجوم مباغت !

القضية لا شك غريبة ـ كما قدمنا ، وقد يصعب تصديقها ، وحولها قد يثار تساؤل هام : كيف يكتشف القمل الجائع مخابيء الثوار ؟

يكتشفها عن طريق « الرادار » الحي الذي تمتلكه كل قملة ، ليوجهها نحو أي مصدر تنطلق منه الأشعة تحت الحمراء ، أي الأشعة الحرارية ، فكأنما هذه الحشرة قد امتلكت جهازا حساسا ليوجهها نحو الضحية ، من خلال ما تطلقه الضحية من اشعاعات حرارية ، وكأنما هي تعيد الى أذهاننا تكنولوجيا حرب الصواريخ الحديثة التي تنطلق وراء أهدافها ، وتوجه نفسها نحوها ، عن طريق ما ينبعث منها من أشعة حرارية ناتجة من الاحتراق ، وطبيعي أن الصاروخ يمتلك جهازا حساسا للكشف والتوجيه ، فينقض على الهدف ، سواء كان طائرة محلقة ، أو صاروخا موجها ، أو مصنعا حربيا مشيدا تحت الأرض !

لكن بعض الحشرات ـ والحق يقال ـ قد سبقت تكنولوجيا الانسان بعشرات الملايين من السنين ـ واستخدمت تكنولوجيا بيولوجية أكثر حساسية ، وأدق توجيها ، بل هي أيضا تستطيع أن تكتشف مالاتستطيع حواسنا اكتشافه ، وبحيث تجعل من حواسنا ـ بالمقارنة ـ شيئا بدائيا .

بين حواسنا وحواسها

ولكي نوضح ذلك ، فلا مناص من تقديم أمثلة ، لنميز بين حساسيتنا وحساسيتها . . فلو أننا اقتربنا بأصابعنا من كوب ساخن ، فلن نستطيع أن ندرك أنه ساخن الا اذا لمسناه ، أو على أحسن الفروض الا اذا كانت أصابعنا منه جد قريبة ، كما أننا لا نستطيع أن نعرف أن انسانا مريض بالحمى الا اذا لامست يدنا جبهته ، ومع ذلك فلن نستطيع أن نحدد درجة حرارته ، اللهم الا اذا استعنا على ذلك بترمومتر !

قارن ذلك بما يذكره لنا دكتور فيتوس دروشر في كتابه الممتع « سحر الحواس » اذ يقول : ان لبعض الكائنات حساسية للحرارة والبرودة أرقى بكثير جدا من حواسنا ، فنحن مثلا لا نستطيع ـ ونحن مغمضو العيون ـ أن نستدل على أماكن الناس الذين حولنا من خلال الحرارة المنطلقة من أجسامهم ، لكن الأمر مختلف تماما مع البق المنزلي الذي يعيش على دماء البشر ، فالحاسة الحرارية عند هذه الحشرة هي بالنسبة لها مسألة موت أو حياة ، اذ أحيانا ما تختفي في سقف الحجرة بالنهار ، وعندما يأوي الانسان الى مضجعه ليلا ، فانها لا تراه بعينيها ، بل تحسه

ان البعوض لا يستلطف انسانا دون انسان بدمه ، بل بما يشع منه

بقرني الاستشعار الصغيرين ، ولا تزال ترصد بها كل حركة من حركاته أثناء النوم بالأشعة الحرارية أو تحت الحمراء التي تنطلق منه ، ثم تسقط في النهاية على أي جزء معرى من جسمه بالدقة التي تسقط بها قنبلة موجهة الى هدف !

ولقد أجرى البروفيسور كونراد هيرتر المتخصص في فسيولوجيا الجهاز العصبي بجامعة برلين تجربة طريفة على قملة ، فكان أن قام بطمس عينيها حتى لا ترى أهدافها ، ثم أخذ يحرك أصبعه أمامها ، وعلى مسافة منها تتراوح ما بين ٧ ـ ١٠ سنتيمترات ، وظلت الحشرة تتحرك وراء الاصبع أينما تحرك ، ولقد دعاه ذلك الى تقدير درجة حساسيتها للحرارة ، فظهر أنها تستطيع أن تميز فرقا يصل الى جزء واحد من خمسمائة جزء من الدرجة المئوية الواحدة ، ولشيء يبعد عنها بمقدار سنتيمتر واحد وأثناء اشعاعه ذاك القدر الضئيل جدا من الحرارة ، وهي حساسية قد لاترقى اليها الأجهزة الحساسة للحرارة على أية حال .

ترمومترات حية

ثم ان حساسية القمل البالغة للحرارة قد جعله بمثابة ترمومتر حي عند بعض القبائل البدائية ، اذ يقص علينا كل من لورس ومارجري ميلن في كتابها القيم « الأحاسيس في الحيوان والانسان » ، فيذكران ان ساحر القبيلة أو طبيبها البدائي يستطيع أن يميز ان كانت درجة الحرارة التي وصل اليها المريض محتملة ، أو أنها تشكل خطرا على حياته ، وذلك من بقاء قمل الرأس فيه ، أو هجرته منه ، اذ لو ارتفعت درجة الحرارة عن حدودها المعقولة ، لشعرت بها تلك الطفيليات ، وعندئذ تبدأ في البحث عن انسان آخر سليم ، وكأنما هي تمتلك داخل اجسامها ترمومترات حساسة توضح لها الموقف ، فاما أن تبقى ، واما أن تهاجر .

يحملنا ذلك الى الحديث عن تلك الواقعة التي ذكرتها بعض كتب تاريخ العلم ، وفيها تذكر أن أحد عشر من المحلفين أو القضاة في انجلترا ، قد عقدوا احدى الجلسات الطويلة لينظروا قضايا الناس ، وانفضت الجلسة ، وبعد أيام مات ستة من الأحد عشر ، والغريب ان الذين ماتوا كانوا جميعا من الجالسين الى يمين الرئيس (الذي مات معهم بدوره) . . أما أصحاب اليسار فقد بقوا على قيد الحياة .

ولماذا مات أهل اليمين جميعا ، وعاش أهل اليسار ؟

عن طريق هجرة القمل من الرئيس الى كل من كان الى يمينه على المنصة ، فلقد كان من عادة بعض الناس في القرون الغابرة أن يزهدوا في الحياة ، وبحيث يعتبر عدم الاغتسال لفترات طويلة مظهرا من مظاهر الزهد والتقشف ، ولقد كان الرئيس من الزاهدين . . « والمقملين » أيضا ـ أي من الذين يعشش القمل في رؤوسهم وثيابهم بغزارة ، وفي اليوم السابق لانعقاد الجلسة ، ارتفعت حرارته قليلا ، لكنه رغم ذلك أصر على حضور الجلسة في اليوم التالي ، وعندئذ ارتفعت حرارته أكثر ، ولم يحتمل القمل الأمر ، فهاجر الى كل من كان الى يمينه ، حاملا معه وباء التيفوس الذي كان الرئيس مصابا به . وبعد أيام ماتوا جميعا ـ مات أصحاب اليمين بما فيهم الرئيس !

أما لماذا هاجر القمل الى اليمين ، فمغزاه قد لا يخفى على لبيب ، فلقد كانت هناك نافذة مفتوحة الى اليمين ، ومنها انطلقت بعض النسمات ، ومعها حملت حرارة الذين كانوا يجلسون الى يمين الرئيس ، والحشرة بطبيعتها حساسة للحرارة ، وربما أيضا لرائحة العرق أو الرطوبة أو الغازات ، وهي تستطيع أن توجه نفسها الى مصادرها ، ولهذا انطلقت مهاجرة نحوهم ـ أي الى الاتجاه الذي كانت تأتي منه النسمات ، فكان أن مات الستة ، ونجا الخمسة !

ان ذلك ينقلنا الى طبيعة تلك البحوث التي كـان يجريها بعض العلماء الأمريكيين بغـرض استخدام البق أو القمل في الكشف عن مخابيء ثوار فيتنام ، فلكي تصبح هذه الوسيلة فعالة ، فلابد أن تهب النسمات من الاتجاه الذي يوجد فيـه الثوار ، الى حيث تـوجد هـذه الحشـرات الجائعة ، فتثير لعابها ، وتثار نبضاتها العصبية التي يتم تسجيلها ، وغير ذلك لا يؤدي بالطبع الى النتيجـة المرجـوة ، اذ ربمـا تلتقط تلك الحشـرات ما ينطلق من الجنـود الأمـريكيين أنفسهم ، وعندئذ تأتي النتائج خادعة .

والـواقـع أن كثيـرا من الحشـرات النـاقلة للأمراض في عالم الانسان والحيوان توسع دائرة انتشارها من خلال حساسيتها للحرارة ، فـاذا ارتفعت في المصابين ، هاجرت الى الأصحاء ، فيمرضون لتحدث هجرة جديدة . . وهكذا !

وللبعوض أجهزته الحساسة

والذين مارسوا الحياة مع البعوض في السكن أو في الخلاء ، يعرفـون كيف توجـه البعوضـة نفسهـا نحـو الهـدف ، فتقتـرب منـه بـطنينهـا المزعج ، وكأنما هي طائرة محلقة ، أو صاروخ موجه الى منطقة عارية من البدن ، فتنقض عليه دون أن تخطيء الهدف ! (ملحوظة : الأنثى هنا هي التي تلدغ وتمتص الدماء ، والـذكر يعيش على الأزهار)

ولاشك أن عملية الرصد والتوجيه والاصابة تستلزم شروطا محددة . . اذ لابد ان يكون هناك ارسال واستقبال ، اي مصدر يطلق ، ومصدر يستقبل ، فالانسان او الحيوان هنا بمثابة محطة الارسال ، وقرنا استشعار البعوضة بمثابة محطة الاستقبال ، وهي محطة بالغة الدقة والحساسية ، بدليل أن البعوض يزورنـا أحيانـا على غـير ما نتوقع ، لأنـه قد يـأتي من الخلاء الى الشقـة أو المنزل ، ثم يدخلها عن طريق فتحات ضيقة أو واسعة ، ثم يتجه الى حيث نجلس أو ننـام في حجرة معينة قد يطويها الظلام ، وبعدها ينقض بتوجيه متقن ليمتص الدماء ، فيعود بعد أن شبع من حيث أتى ، أو قد يختفي في البيت بعيدا عن الأنظار !

لكن . . بـأية وسيلة يشتغـل هذا التـوجيه المتقن ؟ . . ثم لماذا يـزور البعـوض انسـانـا بمعدلات أكبر من انسان آخر يجلس معه أو ينام بجواره ؟ . . وهل يعني ذلك أنه يستلطف دمـا دون دم ؟ . . أو رائحة دون الأخرى ؟

الواقع أن هذه الأسئلة وغيرها ، كانت هدفا لبحوث طويلة ، لكن يبدو أن روائحنا ليس لها دخـل في المـوضـوع ـ عـلى الأقـل في الـوقت الحـاضر ، اذ لم يثبت حتى الآن وجـود رائحـة معينة تطلقها الأجسام الحية ، أو ربما لأن أجهزتنا الدقيقة الحساسة التي نستخدمها في التحليـل لم ترق في حساسيتها الى مستوى مراكز الحساسية الفائقة التي تكمن على قرني استشعار بعوضة . . لا أحد يدري يقينا ، لكن الذي ندريه من نتائج التجـارب التي أجـريت في هـذا المجـال ، أن البعوض يهتدي الى هدفه بعـوامل عـدة ، منها هواء الزفير ، ومنها الحرارة ، والرطوبة أو بخار الماء ، أو كل هذه العوامل أو بعضها مجتمعة .

ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نميز بـين انسان يتنفس أو لا يتنفس الا اذا اقتربنا من أنفه بدرجة كافية ، فنحس اندفاع تيارات من هواء الزفير ليس الا ، لكننا لا نحس أو نشعر بغاز ثاني اوكسيد الكربون الخـارج ، أو بتركيـزه ، سواء في اقترابنـا منه ، أو بعـدنا عنـه ، ! لكن البعـوضـة تستـطيع ذلـك من مسـافـات بعيـدة نسبيـا ، فكأنمـا هذا الغـاز بمثابة العطر الـذي تستقبله عن بعد ، وتحدد مصـدره ، كما تحـدد أنوفنا مثلا عطر سيدة تخطو على الطريق ، ودون أن تراها عيوننا ، مـع الفرق طبعـا بين بـدائية الاحساس في أنوفنا ، وارتقاء هذا الاحساس الى درجـات فـائقـة عـلى قـرني الاستشعـار عنـد البعوضة ، أو عند غيرها !

والفراشة ايضا من الحشرات ذات الهوائيات « إيريال » .

توضيح واجب

لكن ذلك لا يوضح لنا السر الذي يفضل فيه البعوض انسانا على آخر ، فهل يرجع هذا التفضيل عند البعوض الى أن انسانا أكثر حرارة وعرقا من انسان آخر ؟

هو ذاك تماما ، والتجربة العلمية هي الحد الفاصل بين قول غث وسمين . . . فلو ان انسانا قام بمجهود ، فلا شك أن سيتنفس أسرع ، وترتفع حرارته أكثر ، وينضح عرقا أكبر من انسان آخر مسترخ . . ولقد حقق كل من دايكن ورايت ذلك بالتجربة على ذراعيهما ، فبعد أن قام أحدهما بمجهود ، وبقي الآخر مسترخيا ، أدخلا ذراعيهما الى البعوض الكامن في قفص من السلك به مائة بعوضة ، توجه ثمانون منها الى ذراع دايكن ، واختصر العشرون الطريق الى ذراع رايت ، وعندما عكسا الوضع ، أي أن رايت هو الذي قام بالنشاط ، كانت زيارة البعوض لذراعه أكثر . . وتعليل ذلك يسير ، فلقد كان ذراع احدهما أعلى حرارة وافرازا من صاحبه ، نتيجة للمجهود الذي بذله ، والغريب أن فرق درجة الحرارة بين الذراعين كانت في حدود ربع درجة مئوية ، وهي في أثناء تسربها الى الهواء ، سوف تنخفض الى حدود ضئيلة ، ومع ذلك فبامكان البعوض التمييز بين المصدرين بدرجات من الحساسية فائقة .

ورب قائل يقول : وما يدرينا أن البعوض لا يستخدم عيونه في التوجه الى الذراعين ؟

الأمر بسيط . . . ما عليك الا أن تطمس عيونه بمادة سوداء لاصقة ، حتى لا يرى من أمور عالمه شيئا مذكورا ، ومع ذلك تراه ينطلق من حيث يقف ، ويوجه نفسه الى الذراع أو أي شيء يطلق حرارة ورطوبة ، وكأنما هو يعرف هدفه تماما ، والفضل في ذلك يرجع الى قرون الاستشعار التي تستقبل الجزئيات الكيميائية ، أو الأشعة الحرارية على مواقع حساسة ، فتثار بما استقبلت ، وتنطلق منها نبضات عصبية الى مخها البدائي ، فيحل شفرتها ، ويعرف مضمونها ، ويقوم بتوجيهها الى أهدافها .

لهذا اذا أزيلت محطات الاستقبال - أي بترت قرون الاستشعار ، فسوف يتخبط البعوض في متاهات ، ولن يهتدي الى ضالته مهما أطلقت أشعة أو رطوبة أو غازات ، ومن أجل هذا كانت قرون الاستشعار أهم لديه من العيون ، لأنه يستطيع أن يحدد بها الأهداف في ظلام دامس ، وحيث لا تنفع العيون !

كل ميسر لما خلق له

والى هنا يبرز سؤال هام : لكن كيف يهتدي البعوض الى حجرة بعينها . . في شقة . . . في منزل ؟

أيضا من خلال ما يطلقه المنزل أو الشقة من أشعة وجزئيات نتيجة النشاط البشري ، أو من المواقد الكهربية أو الغازية ، أو تلك التي تستخدم الفحم ، ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نميز بين ما ينطلق داخل المنزل ، وبين ما يخرج منه الى البيئة المحيطة (اللهم الا في حالة دخان المداخن ، او رائحة الشواء فقط) ، لأننا لسنا مهيئين لذلك ، لكن البعوض يستطيع أن يحدد البيت المسكون من البيت المهجور ، فلديه مسجلات حية بالغة الدقة والحساسية ، وهي التي توجهه من المزارع أو المستنقعات حيث يتوالد ويتكاثر ، الى حيث يعيش الانسان ، فينفذ اليه ، ويتجه الى الشقة والحجرة التي ينام فيها ، وقد يفضل انسانا على آخر في نفس الحجرة ، فلسنا نسخا مكررة من بعضنا في درجات حرارتنا ، أو في أنفاسنا وعرقنا . . . صحيح أن درجة حرارة الانسان السليم تقع في حدود ٣٧ درجة مئوية ، لكن ليس معنى ذلك أنها بالضبط كذلك ، بل هناك فروق ضئيلة قد لا تكتشفها ترمومتراتنا ، لكن « الترمومترات » الحية المشيدة في البعوض تكتشفها بسهولة تامة ، فتتوجه بمعدلات أكبر الى زيد ، وتترك عبيدا أو مسعدة !

بين طرد وجذب

وأخيرا - فليست مثل هذه البحوث من قبيل تحصيل الحاصل ، ولا هي كذلك للعلم بالشيء فحسب ، بل لها هدف ، وهدفها أن نعرف بها أسرار سلوك الكائنات ، ووسائل حياتها ، وكيفية البحث عن عائلها لتتغذى على دمه ، وما يتبع ذلك من أمراض وأوبئة لا زلنا نعاني منها ونقاسي . . . ولهذا وجب مقاومتها ، ولقد استخدمنا لذلك المبيدات الحشرية ،لكنها لم تقض عليها قضاء مبرما ، اذ تظهر بين الحين والحين في النوع الواحد طفرات تتميز بمقاومة فعالة للمبيدات ، ويبدو أن الصراع سيظل قائما بيننا وبينها فليس بالمبيد وحده تباد ، لأن ما يبيدها قد يبيدنا ، هذا لو أسأنا استخدام تلك المبيدات ، اذ تبين ان لها فينا أعراضا قد لا تحمد عقباها ، خاصة بعد أن ثبت ان هذه المبيدات قد لوثت ماءنا الذي نشربه ، وطعامنا الذي نأكله ، وأحيانا هوانا الذي نستنشقه . . . فكأنما السلاح الذي نحارب به غيرنا ، قد يرتد الى صدورنا ، ما لم نأخذ حذرنا !

من أجل هذا بدأ العلماء في دراسة سلوك الانواع الممرضة من الحشرات ، علهم يعرفون ما يجذبها وما يطردها ، فكان أن ظهرت أجهزة تجذبها أولا ، ثم تبيدها ثانيا ، والأجهزة - بطبيعة الحال - تحتوي على مواد كيميائية للجذب ، وبخار ماء ، وحرارة مناسبة ، أو أية عوامل أخرى صالحة لهذا الجذب .

ثم ظهرت دهانات للجلد تحتوي على مواد صالحة للطرد ، وخاصة للبعوض ، ولقد تم حتى الآن تجربة أكثر من ٣٠ ألف مركب كيميائي على هذه الحشرة وحدها ، وما وجد منه صالحا لايزيد عدده على أصابع اليدين ، ولا بد أن يحقق ذلك هدفين : أولهما أن تبقى المادة الطاردة على البشرة لأطول فترة ممكنة ، وثانيهما : أن تكون ذات اثر فعال في الطرد .

لكن . . . . كيف يطرد الدهان البعوض ؟

الواقع ان كلمة الطرد هذه كلمة مضللة ، اذ ثبت بالتجارب أن مواد الطرد لا تطرد ، بل لها قابلية للاتحاد على فتحات المراكز العصبية المنتشرة على قرني الاستشعار ، ويعني هذا ببساطة أكثر طمس أو « اعماء » محطات الاستقبال ، فلا تستطيع الحشرة تمييز شيء مما حولها ، وكأنما هي تطير على غير هدى ، مثلها في ذلك كمثل التشويش على أجهزة الرادار بموجات متداخلة ، فلا تستطيع تمييز أهدافها ، هذه صورة ، وتلك أخرى . . . . . لكن شتان بين صورة من صنع بشر ، وأخرى من لدن خالق مقتدر ، ولا يدرك ذلك الا الراسخون في العلم . □□

حوار القراء

اعداد
يوسف الشهاب

فان جــوخ

● كتب الدكتور سامي محمود علي ، مقالاً في العدد رقم (٣٠٠) الصادر في نوفمبر الماضي تحت عنوان « هل مات فان جورج منتحراً .. أو مسموماً ؟ ويذهب الدكتور كاتب المقال الى تأكيد البحث الذي قامت به الدكتورة « فينا سبيلر » والتي أكدت أن « فان جوخ » مات بمادة « الديجتاليس » بعد أن تناول جرعات متزايدة منها .

والحقيقة ان الأدلة التي بنى عليها مقاله - عليها عدة ملاحظات ، فقد ذكر الكاتب القلق النفسي الذي عانى منه « جوخ » كالنوبات الشديدة التي تنتابه من التهيج ، وكانت آلامه الشديدة تدفعه الى الصراخ أحياناً . وقد عبر عن هذه الآلام في لوحاته المتعددة وكل هذه تجعلنا نرجح إصابته بأحد أمراض الفصام - وهذا يعني إنفصالا بين التفكير والعاطفة وهكذا يكون وجدان الإنسان المريض غير متناسب مع تفكيره - وبالتالي فهو - غالباً - مات منتحراً ، كما تؤكد الروايات .

وأما قول الكاتب ان التسمم بمادة « الديجتاليس » يؤدي الى اهتزاز في عضو الابصار والرؤية المزدوجة للأشياء فهذه الأعراض وأكثر منها تحدث لمرضى الفصام .

دكتور سامي عزيز
القاهرة - مصر العربية

العربية .. والقرآن العربي

● منذ ربع قرن زار بيروت العالم الهندي أبو الحسن الندوي وقد أقام له أحد الوجهاء ، حفل تكريم ، وكنت أحد المدعوين ، وفي هذا الحفل رد العالم الجليل على كلمات الترحيب ، بكلمة جاء في بعضها عبارة لا تزال ترن في أذني ، ومعناها : أيها العرب ، لقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله منكم ، وأنزل القرآن الكريم بلغتكم ، رغم انكم لم تكونوا آنذاك أكثر الناس عدداً ولا أجلهم قدراً ، ولا كانت لغتكم أكثر اللغات انتشاراً ، لكن إرادة الله تعالى شاءت أن تخصكم بهذا التكريم ، وأن تجعل منكم هداة ومعلمين للناس ، وقد قبلنا ورضينا نحن الأمم غير العربية ما شاءه الله وارتضاه . فكونوا بربكم معلمين نكن لكم تلاميذ .

هذا ما جاء في كلمة العالم الهندي .

والحقيقة انه من المؤسف حقاً أن تنال منا لغتنا هذا التنكر والاضطهاد والمحاربة ، ومن المؤسف أيضاً أن نتقبل ما وضعه بعض العرب في أذهاننا من أن لغتنا صعبة التعلم وقاصرة عن مواكبة متطلبات الحضارة والعلوم . ومؤسف أن نرى التخبط في لغتنا من جانبنا والتنكر لديننا ولغتنا ، بينما الأمم الأخرى تعمل على نشر لغاتها بشتى الوسائل وتنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة وتقيم المعاهد المجانية وتوزع الكتب والنشرات ، بينما نحن لا نعمل الا القليل من هذا لإحياء لغتنا .

عمرى حورى - بيروت

العــــربي :

لغتنا دون غيرها من اللغات هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، قال تعالى : « إناأنزلناه قرآناً عربياً » .. واللغة العربية في حاجة الى بذل الجهد من أجلها - هي في حاجة للوصول الى الشعوب الإسلامية التي تقرأ القرآن - وهذه مسؤولية الجهات المسؤولة في الدول العربية خاصة وان عوامل نشر العربية في الدول الإسلامية وغير الإسلامية متوفرة عندنا .. والمهم البدء بأسلوب علمي تجني أمتنا بعده ثمارها ..

حوار القراء

حضارتنا .. والغرب

قرأت مقال الأستاذ محمد الأسعد ، المنشور في العدد (٢٩٢) وكان المقال عامراً بالعبر ، حريا بكل عربي أن يتملى فكرته الرفيعة ويستوعب معانيه السامية ، ويلم باغراضه النبيلة في تنبيه العرب الى النظرة التي يرى فيها كتاب الغرب من خلال منظارهم المقلوب كل ما هو عربي صميم .

والغرب يعتقدون انهم نتاج حضارة خاصة قائمة على نفي فضل الآخرين ، وعدم الاعتراف بانسانيتهم ، وهذا يفسر لنا بوضوح كيف أخفى الغرب عدداً كبيراً من حضارات الأمم حسب اعتراف .. جارودي .. واذا كانت هذه هي نظرة الغربيين من الكتاب الى حضارتنا وتاريخنا فما الذي فعلناه من أجل أن نصحح هذه النظرة الخاطئة لكل ما هو غربي وشرقي - أليس حقيقا بنا أن نفعل شيئاً في التنبيه الى هذه الثغرة التي ينفذ منها كل من يريد أن يطعن العرب .

والدور العربي المطلوب للرد على هذه النظرة يكمن في أن نترجم أمهات الكتب العربية في العلوم المختلفة الى اللغات الأخرى ، وننقل الى لغتنا كل ما يقال فينا حتى نصحح أخطاءهم ونرد على أوهامهم - وهذا لا يأتي الا بعد الثقة بالنفس والايمان بقدراتنا المتوفرة فينا .

شاكر الغرباوي المحامي
الناصرية - العراق

جيمس جويس

اسمحوا لى أن أنبه الى خطأ ورد سهوا في مجلة العربي العدد/ ٣٠٠/ ص/ ٥٤/ وذلك في مقدمة موضوع « الايرلندي المبدع الذى صور واقع البشر » عن حياة جيمس جويس وذلك بقول المجلة « في ذكرى مرور مائة عام على وفاة جيمس جويس » .

فالمعروف أن جيمس جويس توفى فقط قبل اثنين وأربعين عاما ، أى في عام ١٩٤١م ! لذلك فأظن أن العبارة التي يجب أن تكتب هى « في ذكرى مائة عام على ولادة جيمس جويس » ذلك أنه ولد في عام ١٨٨٢م .

الدكتور اسامة باقو
حلب - سورية

العربي : نشكرك على ملاحظتك وعلى اهتمامك بتصحيح الخطأ الذى ورد في مستهل المقال الذى أشرت اليه ، وسنعمل جاهدين على تلافى مثل هذه الاخطاء مستقبلا .

علامات ومدلولات

● لفت نظري في مجلة العربي ، ان بعض المواضيع والمقالات تبدأ وتنتهي بهذه العلامة ◘ « مربع داخل دائرة » والجدير بالذكر ان هذه العلامات مدلولات خاصة لدى ضباط الخدمات الادارية ، فالدائرة الخارجية تعني **Operations** أي عمليات ، والمربع داخل الدائرة يعني (**Inspection**) أي تفتيش ، فان كان المقصود منها المدلول المعروف لدى ضباط الخدمات الادارية فان الاستعمال يجانبه الصواب اذ لامعنى للمربع داخل الدائرة في البداية أو النهاية

فضل بقاوي - الخرطوم

التواجد .. والوجود

● في حديث الشهر العدد (٢٩٧) أغسطس ١٩٨٣م لاحظت أمرين ! الأول - ورود عبارة (لا لشيء الا لكونهم تواجدوا في ذلك الوقت ، والتاريخ في ذلك المكان المنكوب) ، وكان يجب ان يقال « وجدوا » لا « تواجدوا » لأن التواجد من الوجد وهو الشوق ، وشتان بين « التواجد والوجود » .

الثاني .. اغفل الحديث الشهري حقيقة هامة ينبثق منها الموضوع ، وهي ان الله خلق الانسان وخلق معه طبيعتين متضادتين هما « الخير والشر » وبين له طريق الخير وما فيها من مصلحة له في الدنيا والآخرة .. كما بين طريق الشر وضررها عليه وما يترتب على اتباعها من غضب ، وله بعد ذلك ان يختار .. قال تعالى « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » وقال سبحانه « وهديناه النجدين » فالخير والشر من طبيعة البشر ..

أحمد سعيد عبيدون

تريم - حضرموت - اليمن الجنوبي

العربي :

الفعل « تواجد » من الثلاثي « وجد » والفعل « وجد » له ثلاثة مصادر هي الوجد والوجود والوجدان ، فلماذا يقف السيد أحمد عند المصدر « الوجد » .

انه من هنا توهم الخطأ في استعمال الفعل « تواجدوا » في جملته التي أشار إليها ، ولو وسع نظره لرأى أن أصل « تواجدوا » من « وجد» وجودا وصيغته تفاعل » وهي هنا تدل على المشاركة في العمل بين اثنين أو أكثر ، فمعنى « تواجدوا » وجد بعضهم بعضاً .

والرأي الذي عقب به القارىء العزيز ، وخلاصته أن الخير والشر من طبيعة البشر ، لا يضيف جديداً الى فكرة المقالة ، بل يقتصر على جزء منها ، والمقالة تتوسع فتصل الى أعمال القسوة التي يرتكبها البشر ، وتذكر صوراً لها مما لا ترتكب مثله الحيوانات - وهذا هو محور المقال الذي غاب عن ذهن الأخ القارىء .

تهنئة .. بيوبيل العربي

السيد/عبد الرزاق العسكر ، أرسل « للعربي » هذه الأبيات الشعرية يزف فيها التهنئة الى المجلة بمرور ٢٥ عاماً على ميلادها ..

بالعلم تزدهر البلاد وتسعد
فالعلم أغلى ما يرام وينشد
عشرون عاماً قد تلتها خمسة
ومجلة العربي دوماً تصعد
فلقد سمت أخبارها وتألقت
وغدا لسمعتها يغار الفرقد
في كل شهر طلعة ميمونة
وبكل عام ثوبها يتجدد
فتزورنا في كل بيت حاضر
وتغير في كل البلاد وتنجد
هي للكويت منارة وضاءة
في كل صقع ضوؤها يتردد
فاذا تحيرت العقول ترى بها
نجماً يضيء لها الطريق فترشد
أكرم بها وبناشريها إنهم
قاموا بجهد يستجاد ويحمد

عبد الرزاق عبد العزيز العسكر - الكويت

العلاقة بين : الاسلام والمجتمع

بقلم : ابراهيم محمد أبوربيع

« معرفة الاسلام »..الدين والمجتمع في العالم العربي الحديث
للكاتب ميكائل جلسنان

□ إن اهتمام الغرب الأكاديمي بالعالم الاسلامي والعربي يرجع الى النصف الأول من القرن السابع عشر ، عندما تم تأسيس أول كرسي للدراسات العربية والاسلامية في جامعة كامبريدج في سنة ١٦٣٦ . هذا الاهتمام الأكاديمي الغربي تطور الى درجة قصوى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وذلك بسبب ازدياد الحملات التبشيرية في العالم الاسلامي.. فالمراكز التبشيرية في أوروبا وامريكا أحست بالحاجة الى اقامة فروع أكاديمية لدراسة اللغة العربية ، والاسلام ، والحضارة الاسلامية .

من هنا بدأ عصر الاستشراق المنظم وخاصة عندما بدأ الغرب الرأسمالي المتطور ينظر الى العالم الاسلامي على أسس اقتصادية ، واستراتيجية ، وعسكرية .

RECOGNIZING ISLAM

Religion and Society in the Modern Arab World

MICHAEL GILSENAN

إن اهتمام امريكا بالعالم الاسلامي والعربي - وإن جاء متأخرا نوعا ما - يعكس ازدياد وأهمية النفوذ الامريكي في العالم بأجمعه . فأمريكا التي انبثقت كزعيمة للعالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية ورثت الأسس الاستعمارية الغربية ، وتبعا لذلك فقد ازدادت حاجتها الى خبراء متخصصين في كل المجالات وخاصة في المجالات الاسلامية ، نتيجة للاهتمام الامريكي المتزايد بعالمنا ، فان المؤسسات الامريكية الاقتصادية والعسكرية كمؤسسة كارنيجي The Carnegie، وروكفلر Rockeffeller، وفورد Ford، ركزت اهتمامها على تمويل برامج إسلامية وشرق أوسطية في الجامعات الامريكية ، وتدريب اكبر عدد ممكن من الطلاب الامريكيين .

ومن هنا فان المؤسسات الاستشراقية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية أبرزت أعظم المستشرقين الذين درسوا وما زالوا يدرسون الجوانب التفصيلية للشريعة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامي ، والتغيرات الاجتماعية والديمقراطية والاقتصادية في العالم العربي والاسلامي الحديث . ومن أبرز هؤلاء المستشرقين نذكر - على سبيل المثال - فيليب حتي Philip Hitti، وموروو برجر Moroe Berger، ومانفرد هالبرن M. Halpern، وليونارد بيندر L. Binder، و س . سميث C. Smith، ومالكولم كير M. Kerr وويليام زرتمان W. Zartman.

تطور علم الاستشراق

بالاضافة الى ذلك فان اشهر الجامعات الامريكية تستضيف أبرز المستشرقين البريطانيين ونخص بالذكر هاميلتون جب ، وبرنارد لويس .

من هنا نرى أن تطور علم الاستشراق في الجامعات الاوروبية والأمريكية يعكس الاهتمام السياسي والاقتصادي والعسكري المتزايد للغرب بالعالم الاسلامي والعربي .

هذه الحقيقة الكبرى التي حاول كثير من المستشرقين إخفاءها قد بينها الكاتب ادوار سعيد الفلسطيني المولد ، الأمريكي الجنسية في كتابه المشهور « الاستشراق » Orientalism.

وذكر أيضا في مجال الاستشراق المراكز الاستشراقية الاسرائيلية التي أخذت تلعب دورا ملحوظا في التدريب العلمي والأكاديمي للمستشرقين الاسرائيليين والغربيين من وجهة نظر اسرائيلية . من هذه المراكز الفعالة مركز الدراسات الأفروآسيوية في الجامعة العبرية ، ومركز « سيلوح » للدراسات الشرق أوسطية والافريقية في جامعة « تل أبيب » ، و « مركز

دراسات الشرق الاوسط » في جامعة حيفا . بسبب الصلات القوية التي تربط اسرائيل بالعالم الغربي ، فان كثيرا من الطلاب الغربيين يقومون بالمكوث في المراكز الاستشراقية الاسرائيلية لمدد دراسية طويلة للتعرف على الشرق الأوسط من نواحيه المختلفة . ان هذه المراكز الاسرائيلية تبين الفرق بين التنظيم الأكاديمي الاستشراقي في اسرائيل والدعم الرسمي وغير الرسمي لها ، وبين الجهد اليسير المنظم من جانب العالم العربي لدراسة الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة لاسرائيل ودول العالم الغربي من وجهة نظر عربية اكاديمية .

يبقى علينا أن نذكر في سياق مقدمتنا لعرض هذا الكتاب أن هناك بعض المستشرقين الغربيين ، كالمستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون M. Rodenson والمستشرق الامريكي بيتر جران P. Gran، والمستشرق الانجليزي ميكائل جلسنان ، الذين ثاروا على القواعد والاهداف الرئيسية والاستعمارية لعلم الاستشراق الغربي ، واتبعوا منهجا أكثر تقدمية وليبيرالية في تفسير الجوانب المختلفة للعالم العربي والاسلامي .

هدف الكتاب

ان جلسنان المؤرخ وعالم الانتروبولوجيا قد قضى شطرا كبيرا من حياته في العالم العربي ، بهدف دراسة العلاقة المعقدة ، ولكن المهمة،بين الدين والمجتمع في لبنان ، وسوريا ، ومصر ، والمغرب . ان جلسنان لا ينظر الى الدين كايمان بالقلب فقط ، وانما كأساس حاضر لعلاقات اجتماعية وسياسية ونفسية وتاريخية متشابكة تميز أسس المجتمع العربي عن الأسس التي تحكم المجتمعات الأخرى .

من هنا يذكر الكاتب انه يجب على الدارس للمجتمع العربي الحديث الالمام بقواعد الدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي والتأثير الغربي على حاضر العالم الاسلامي . ان هذا الواجب وان كان ضخما الا أنه حيوي لتفسير كل الظواهر الاجتماعية المختلفة في عالمنا اليوم . من هنا يحمل جلسنان بشدة على كثير من المستشرقين الغربيين الذين لم يستطيعوا برغم أساليبهم العلمية المختلفة أن يتنبأوا بحدث ضخم جدا كالثورة الايرانية وذلك بسبب نتائجه (السلبية والايجابية) على العالم أجمع . فواضح ان الاسلام يتبوأ مركز الاحداث اليومية في العالم الاسلامي ، ودراسته تتطلب أساليب بحث ميدانية كالتي اتبعها الكاتب ، وأهم من ذلك دراسة التراث الاسلامي الضخم ومكانه من الاحداث الجارية اليوم . ان الكاتب يحلل بعمق الموقع التاريخي والاجتماعي والثقافي والسياسي لعلماء الدين والمتصوفين والمسلمين العاديين في العالم العربي . ان تحليله لعالم الحزن .. World of Suffering في القرى الشعبية في لبنان لا يقل براعة عن تحليله لمركز علماء الدين الاقتصادي والاجتماعي ، وخاصة في مصر ، وتحليله لمركز المتصوفين الروحي والاقتصادي والفكرة الاقتصادية للبركة .

ان علماء الدين باهتمامهم العميق بأصول الشريعة الاسلامية يجسدون بناء اجتماعيا معينا يختلف في كثير من الأحيان عن البناء الاجتماعي للسلطة الحاكمة . ان دور علماء الدين في العالم الاسلامي ، كما يقول الكاتب ، يختلف بكثير عن الدور التاريخي لعلماء الدين في أوروبا . فواجب علماء الدين في العالم الاسلامي ليس هو أن يكونوا حلقة وصل بين الله والمؤمنين كما في العالم الغربي وانما اقامة شريعة الله على الارض لمصلحة جميع المسلمين . ان سلطة علماء الدين قد ازدادت وخاصة بعد المحاولات المتكررة في الوقت الحاضر لابعاد الدين عن السياسة . فهنا أصبح رجال الدين مسؤولين اجتماعيا وخلقيا أمام الجماهير المسلمة ، وخاصة اذا كانت هذه الجماهير محرومة سياسيا واقتصاديا . يحلل

الكاتب العلاقة التاريخية بين العلماء ورجال السلطة بقوله ان هذه العلاقة لم تكن علاقة سمن وعسل في كثير من الأحيان . صحيح ان بعض العلماء رضوا عن بعض الأنظمة الحاكمة الا أن كثيرا منهم لم يرضوا عن ممارسات السلطة السياسية والاقتصادية . ان هذا التعارض ما زال قائما حتى اليوم لسبب رئيسي واحد وهو أن الافكار الاجتماعية والدينية التي يحملها رجال الدين تختلف بشدة عن الافكار المطبقة في المجتمع .

من خلال تحليل الدور التاريخي لعلماء الدين يصل الكاتب الى بحث نقطة مهمة وهي كيفية تطبيق الاسلام تطبيقا حقيقيا فى المجتمعات العربية والاسلامية فى القرن العشرين . لا يحلل الكاتب هذه النقطة تحليلا مستفيضا ولكنه يواجهنا بها . وتبعا لذلك يشعر القارىء لهذا الكاتب بتحدٍّ كبير للأفكار التى يحملها . عدة أسئلة من الممكن ان تجول فى الخاطر عند قراءة هذا الكتاب ومنها :

١) هل يوجد هناك مسلم حقيقي مع غياب الدولة الاسلامية ؟

٢) هل نلوم علماء الدين أم الجماهير المسلمة لعدم اقامة الدولة الاسلامية ؟

٣) هل هناك إمكان لتطبيق الاسلام بطريقة عملية فى عالم يبتعد عن الله يوما بعد يوم ؟(١)

كل هذه الأسئلة المنبثقة من النقاش الذى يقدمه الكتاب تحتم على الفقهاء ، أولا واخيرا ، النظر من زوايا جديدة على علاقتهم مع رجال السلطة وعلاقتهم مع عامة المسلمين .

الحركات التجديدية

ان الحركات التجديدية فى العالم العربي الحديث وخاصة حركة « الاخوان المسلمين » قامت ، كما يقول الكاتب ، بسبب ظروف اجتماعية وسياسية ودينية سائدة . فهذه الحركات الدينية نشأت كرد فعل لفشل علماء الدين لاقامة المجتمع الاسلامي المتكامل من خلال فهمهم للشريعة ، وأيضا كرد فعل لاستعباد جماهير المسلمين من قبل الأعداء الخارجيين والداخليين . هذه الحركات ركزت على أمراض المسلمين الداخلية والطرق الملائمة للقضاء عليها . يذكر الكاتب ان أحد الأسباب الرئيسية لقوة الحركات التجديدية الحديثة هو اهتمامها بمشاكل عامة المسلمين ، ومن هنا فان علاقة الدين مع المجتمع فى العالم العربي قد ازدادت تعقيدا .

ان طابع الاسلام الاجتماعى والسياسى أخذ شكلا حادا لم يأخذه من قبل وبالتالي أدى الى ازدياد حدة الصراع بين الايديولوجيات المختلفة فى العالم العربي . ان الاقبال الهائل على جامعات العالم العربي من مختلف الطبقات الاجتماعية قد أعطى الفرصة للتيارات المختلفة ان تتصارع على أرض الواقع ، وواضح ان الحركات الاسلامية دخلت هذه المعركة حاملة شعار اقامة الدولة الاسلامية كهدف سام ممكن التحقيق .

لا شك اننا نلاحظ كما يلاحظ الكاتب نفسه أن الحركات الاسلامية تواجه صعوبات كثيرة بسبب حل هذا الشعار . احدى هذه الصعوبات هى كيفية ترجمة تجربة الرعيل الاول من المسلمين الى لغة معاصرة تتجاوب مع التحديات الكبرى فى هذا العصر . بكلمات أخرى ما موقف التيارات الاسلامية من ناحية الاسلوب والفكر من التراث الاسلامي ؟ هذه الأسئلة المختلفة التى طرحها مفكرون مسلمون فى القرن العشرين كالشيخ حسن البنا ، وسيد قطب ،

(١) أليس من المجازفة القول بأن العالم يبتعد عن الله يوما بعد يوم ؟ (العربي)

ومولانا أبو الاعلى المودودى تحتاج الى أجوبة علمية وعملية .

واضح ان الكاتب لا يتطرق عند بحثه عن الحركات الاسلامية المعاصرة الى تجربة هذه الحركات فى فترة السبعينيات وأوائل الثمانينيات وخاصة فى مصر .

باعتقادى أن هذه الحركات قد اندفعت اندفاعا قوميا ومعاكسا للمحن التى اصابتها فى الخمسينيات والستينيات لكى تدخل فى مآزق جديدة . ان وضوح فكر هذه التيارات الاسلامية وخاصة تلك التى فى مصر وعلاقتها مع عامة المسلمين سوف يحدد مستقبلها السياسى والاجتماعى .

الثقافة الاسلامية المعاصرة

يقول الكاتب انه بالمقارنة مع الثقافة الغربية المعاصرة فان أسس الثقافة العربية والاسلامية الحديثة تعتمد على المفهوم المقدس للمكان ، فبرغم عمليات التحديث فى العالم العربي والاسلامي ، ما زالت المساجد والاسواق والعمارات الاسلامية الاخرى تتحدى بشدة الفكرة الغربية للبناء .

ان هذا التحدى مهم لأنه يبين الاستمرارية المكانية للاسلام الذى وحد كيانه الحضارى منذ زمن بعيد . بالاضافة الى ذلك ، فان أسس البناء الاسلامى تسمح للمسلم بأن يقيم علاقة وطيدة ، وفى كثير من الاحيان علاقة نفسية وشخصية مع المكان الذى يقطن به . هذا الشىء غير حاصل فى وجدان الانسان الغربى الذى فقد المقاييس الشخصية والنفسية للمكان منذ زمن بعيد . ومن الممكن الاستنتاج من خلال هذا الكتاب ان الصراع بين فكرتى « المكان الاسلامى » و « المكان الغربى » فى العالم العربي الحديث يعكس الصراع النفسي والثقافى والاجتماعى الشامل فى العقل العربى الحديث .

ان قضية التراث تكتسب أهمية كبرى فى هذا الصراع ولهذا يتحتم علينا النظر الى التراث من جوانب جديدة .

ان الكاتب عند دراسته لموقع التراث من الوضع الثقافى القائم يستعين بأفكار الكاتب المغربى عبد الله العروى وخاصة فى كتابه « مأزق المثقف العربي - » وواضح ان كتابا آخرين فى العالم العربي والاسلامي لا يستعين بهم الكاتب ـ أثروا تأثيرا كبيرا فى مجال التراث ونخص بالذكر منهم الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابيه « تجديد الفكر العربي » ، « المعقول واللامعقول » ، والشاعر ادونيس فى كتابه « الثابت والمتحول » ، والكاتب المسلم سيد حسين نصر فى كتابه المهم « المعرفة والقدسية » .

ملاحظات وتنويهات

برغم الأهمية القصوى للكتاب الذى بين أيدينا الا أنه ينقصه الاسلوب التاريخي فى التحليل ، والكاتب لا يقدم تمهيدا تاريخيا للمواضيع الدينية والاجتماعية والاقتصادية التى يحللها ، ومن هنا فان القارىء العربي يمكن أن يستفيد من بعض الكتابات الغربية فى موضوع التحليل التاريخي للتحديات التى تواجه الاسلام والمسلمين فى العصر الحاضر . من هذه الكتب المهمة كتاب ايفون حداد المعنون « الاسلام المعاصر وتحدى التاريخ »

ان هذا الكتاب يحلل التحديات المختلفة التى تواجه المسلمين وهذه الكاتبة تصل الى استنتاج مهم كالذى وصل اليه جلسنان ، وهو أن على العرب والمسلمين تحديد هويتهم بشكل واضح على حسب المتناقضات السياسية والاجتماعية السائدة فى عالم اليوم . ان تحديد الهوية يجعل العرب والمسلمين جزءا مهما من التاريخ ، وليس فقط دخلاء على التاريخ ، وهذا التحديد يجعل علاقة الاسلام مع المجتمع أكثر وضوحا وقوة من ذى قبل .

□□

سياسات النفط العربية في السبعينات

المؤلف : د . يوسف صايغ .
دار النشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٣م

● لا شك أن الانسان استعمل النفط منذ آلاف السنين ، لكن لم يكتسب النفط أهمية متميزة عن غيره من مواد الطاقة الا في القرن العشرين ، وحتى خريف سنة ١٩٧٣ كانت قلة من الناس في شتى بلدان العالم تفكر بشكل جاد بالقضايا والتعقيدات المتصلة بانتاج وتسويق النفط .

الا أن ارتفاع أسعار النفط بعد خريف سنة ١٩٧٣ ، جعل من الصناعة النفطية ومنظمة الاقطار المصدرة للبترول « أوبك » موضوع بحث واهتمام عام .

فما هي الاسباب التي دفعت منظمة « الاوبك » لرفع الاسعار ؟ ذلك ما يجيب عليه الكتاب ، ويطرح اجتهادات تتعلق بايجاد فهم متبادل أعمق بين مصدري النفط ومستورديه بتحديد الخطوط العريضة للسياسات النفطية وبتفحص الخيارات المتاحة ودلالاتها بالنسبة للتنقيب والاستكشاف والانتاج والتسويق والتسعير ثم بالنسبة للتكرير واسالة الغاز والتصنيع البتروكيماوي .

ويتفحص الكاتب دور قطاع النفط كمحرك للتنمية ويتناول الفرص العريضة التي فتحت آفاقها أمام الاقطار العربية في الاطار القطري والقومي والدولي ، ويقيم المسؤوليات التي أوجدتها تلك الفرص ، ويوضح الترابط بين الفرص والمسؤوليات .

مختارات قصصية للكاتب التركي عزيز نسين

ترجمة : فاضل جتكر
دار النشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق
سنة النشر : ١٩٨٣

● عزيز نسين هو رئيس اتحاد الكتاب في تركيا ، حاز على عدة جوائز على كتاباته الساخرة ، منها :
- الجائزة الاولى في عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ضمن المسابقة العالمية للكتابة الساخرة التي أجريت في ايطاليا .
- وحصل سنة ١٩٦٦ على جائزة « القنفذ الذهبي » لافضل كتابة ساخرة في المسابقة الدولية في بلغاريا .
- وحصل سنة ١٩٦٩ على الجائزة الاولى في مسابقة التمساح الدولية للكتابة الساخرة التي أجرتها مجلة « التمساح » السوفيتية .
- وحاز على عدة جوائز من خلال مسابقات عديدة أقامتها السلطات الثقافية في بلاده .

وقصصه الكثيرة الساخرة يكتبها على لسان بعض الحيوانات . يستعيد فيها تراث كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة ، في محاولة اسقاطية على حياة ومشاكل الواقع .

وقد احتوى الكتاب المترجم الى العربية على تسع عشرة قصة .

من مكتبة العربي

وقد كتب المؤلف مقدمة للكتاب جاء فيها :

« لكل تاريخ صفحاته السوداء البشعة . ومن الواجب معرفة هذه الصفحات وعدم نسيانها . غير أننا اذا كنا نريد السلام ، نريد صداقة الشعوب ـ وهذا هو واجبنا ـ فان علينا أن نخرج صفحات التاريخ الناصعة والجميلة ، لا السوداء البشعة الى النور .

هذا هو ما أردت أن أفعله بصفتي كاتبا تركيا ، وبصفتي أحد العاملين في حقل الثقافة ، ان الذي يسعدني سعادة حقيقية هو أن يساهم كتابي هذا مساهمة متواضعة في تمكين شعبينا « العربي والتركي » من التعرف أحدهما على الآخر من خلال الأدب .

عمر بن أبي ربيعة ونزار قباني

المؤلف : د . ماهر حسن فهمي .

الناشر : دار قطري بن الفجاءة ـ الدوحة

● ما الذي يجمع بين عمر بن أبي ربيعة الذي ولد سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، وبين نزار قباني ابن عصرنا وزماننا ؟؟

كي يجيب المؤلف على السؤال فانه يدخل في فن الموازنة الذي عرفه العرب منذ قديم الزمان .

فيقول « لا شك أن تحليل شعر الشاعرين والموازنة بينهما يكشف القيمة الحضارية وصورها من الداخل »

لكن هل يوجد للغزل نظرية ترتبط بالأوضاع الحضارية ؟؟

المؤلف يرجع ذلك . . . فيقول :

« هناك مراحل ثلاث يمر بها شعر الغزل . . . ترتبط كل مرحلة بوضع حضاري معين : مرحلة الصراع في الحياة والصراع من أجل الظفر بالمرأة لون منها ، مرحلة السلبية وتقديس المرأة صورة أخرى ، مرحلة الرفاهية وخروج المرأة وتصديها للرجل بحكم تحررها وايجابيتها »

هذا وقد قارن المؤلف بين الظروف الذاتية والموضوعية لكلا الشاعرين وبين المتشابهات فيها .

انتقال العمالة العربية
المشاكل ـ الآثار ـ السياسات

المؤلف : د . ابراهيم سعد الدين ود . محمود عبدالفضيل

دار النشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣م

● لقد ترتب على انتقال الايدي العاملة العربية من قطر عربي الى آخر عوامل ايجابية وأخرى سلبية يجدر بنا الوقوف عندها وتفحصها .

والكتاب الذي بين أيدينا هو أحد الكتب الجادة التي تناولت هذا الموضوع من حيث الآثار والسياسات والمشاكل وبخاصة ما يتعلق بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

يقول المؤلفان في تقديمهما للكتاب :

« وقد كانت حركة انتقال الأيدي العاملة بين الاقطار العربية موضع ترحيب الاقتصاديين وعلماء الاجتماع ورجال السياسة في المرحلة الاولى لها ، حيث ساد اعتقاد بأن هذا الانتقال كفيل بتحقيق منافع مشتركة لكل من بلاد الاستقبال وبلاد الارسال في الوطن العربي . الا أن الاختناقات التي ظهرت في اقتصاديات العديد من الاقطار العربية وتفاقم بعض المشاكل التي صاحبت انتقال العاملين ، قد أدت الى ظهور العديد من البحوث القطرية التي ناقشت مدى الايجابيات التي ترتبت على حركة القوى العاملة وطبيعة مشاكلها . ومال العديد من الباحثين الى التركيز على الجوانب السلبية . وحملت ظاهرة انتقال الأيدي العاملة احيانا المسؤولية عن مشاكل يمكن أن تكون قد صاحبت انتقال العمالة ولكنها لا تعود اليها بالضرورة ، وقد برزت الحاجة الى تقويم عام على المستوى العربي للظاهرة بايجابياتها وسلبياتها مع اقتراح السياسات اللازمة لتعظيم الايجابيات والحد من السلبيات على الصعيد العربي » .

وهذا ما اجتهد فيه المؤلفان ومادرساه ميدانيا .

قضايا الابداع الفني

قضايا الابداع الفني

المؤلف : د . حسين جمعة .

الناشر : دار الآداب ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣م

● ميزة هذا الكتاب انه يعرض للنظريات والاجتهادات التي تناولت قضايا الابداع الفني منذ آلاف السنين ، ومنذ أن رأى أفلاطون في العالم المحسوس شبحا شاحبا لأفكار موجودة مسبقا ، وصولا الى البنيوية التي سادت في خمسينات وستينات هذا القرن في أوروبا وأمريكا . . ومارست بعض تأثيراتها على بعض الكتاب في أقطارنا العربية .

ولم يكتف الكاتب بعرض النظريات والاجتهادات التي تناولت قضايا الابداع الفني ، بل ناقشها وفند الكثير من طروحاتها ، واجتهد في الاشارة الى مايعتقده الأفضل والأنسب في هذا المجال .

يقول المؤلف :

« جوهر الابداع يتلخص في خلق الجديد القادر على الاستجابة لمتطلبات الانسان ، ومهام الوعي وتحويل الواقع ، مما يؤدي في نهاية الامر الى تقدم التطور الاجتماعي كله ، وبفضل الابداع يكتسب كل ماهو قيم وأخلاقي في الفن ، والحياة قيمة جمالية عالية ، ويتيح الابداع للفن امكانية الاتصال الذاتي المباشر بالروح الانسانية » .

فبراير ١٩٨٤

تستهدف هذه المسابقة امتحان معلوماتك وسرعة خاطرك وتهدف بخاصة الى تشجيعك على البحث عن الردود الصحيحة بالرجوع الى المعاجم وسائر المصادر الرصينة . . فأملنا كبير في ألا ترد على الاسئلة ارتجالا ، حتى في الحالات التي تشعر فيها باليقين أنك تعرف الرد الصحيح .

والمطلوب منك ان تجيب على عشرة أسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة . .

الجائزة الأولى قيمتها ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية قيمتها ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة قيمتها ٢٠ دينارا

٨ جوائز قيمة كل منها عشرة دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٠٣ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ابريل ١٩٨٤ .

***

١ ـ لماذا يطفو الفلين على سطح الماء ؟

٢ ـ الامير شارلز مارتل كان قائد جيوش الفرنجة في معركة بلاط الشهداء . . فما الاسم الكامل لقائد الجيوش العربية في تلك المعركة ؟

٣ ـ العضلات والعظام . . أيها يبلغ عدده في الجسم البشري (٦٢٠) وأيها (٢٠٦) . . ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى	٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية	٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة	٢٠ ديناراً

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٤ ـ كم مرة يسمح بالفوز لحصان في سباق دربي ؟

٥ ـ زرياب أكبر موسيقيي الاندلس .. من كان استاذه ؟ ابراهيم الموصلي أم اسحق الموصلي ..؟

٦ ـ « الساق على الساق في ما هو الفارياق » .. هذا هو عنوان كتاب عربي معروف طبع سنة ١٨٥٥ ، فمن مؤلف هذا الكتاب ..؟

٧ ـ أين تقع (بليز) وما هي عاصمتها ؟

٨ ـ أين تقع (بروناي) وما هي عاصمتها ..؟

٩ ـ العقدة وحدة سرعة كما هو معروف .. لم سموها بهذا الاسم ..؟

١٠ ـ جبل افرست والبحر الميت ... في أيها يزداد وزنك وفي أيها ينقص ..؟

١١ ـ عمى الألوان .. هل هو أكثر انتشارا بين الرجال .. أم بين النساء ..؟

١٢ ـ ما اللغة التي تكلم بها السيد المسيح ...؟

كوبون مسابقة العدد ٢٠٣

معركة بلا سلاح
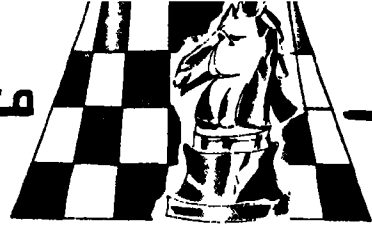
« التضحية ببيدق ليست بخسارة اذا أدّت إلى كسب ثلاث نقلات » .
جولومبك

جامبيت الوزير

الجامبيت ـ كما أوضحنا في عدد سابق ـ افتتاح يضحي فيه الأبيض عادة ببيدق أو أكثر من بيادقه للسيطرة على الوسط وبناء هجوم قوي على جناح ملك أو وزير الخصم وقد تعرضنا بشيء من التفصيل لجامبيت الملك ، أما جامبيت الوزير الذي نحن بصدده في هذا العدد فهو من أكثر الافتتاحيات شعبية لدى لاعبي الشطرنج المحدثين وهو ينطوي على مخاطر شديدة للأسود إن لم يتسلح باليقظة والحرص البالغين .

١ ـ ب ـ ٤ و　　ب ـ ٤ و
٢ ـ ب ـ ٤ ف و　　. . . . .
هذه النقلة أهداف عِدّة أهمها :
أ ـ اغراء أحد بيادق الاسود بالابتعاد عن الوسط .
ب ـ الضغط على بيدق الوزير في حال عدم تحقق الهدف الأول .
جـ ـ تركيز الهجوم على عمود فيل الوزير وبالتالي السيطرة عليه .
٢ ـ . . . .　　ب ـ ٣ م
وهو الدفاع الأنسب عن وسط الرقعة والنقلة ب ـ ٣ ف و جيدة أيضا ولكن ليس ح ـ ٣ ف م لأن الحصان سيضطر للتراجع فيما بعد وفي ذلك خسارة لوقت ثمين ، ويمكن أيضا قبول البيدق المضحى به ولكن ليس على سبيل الاحتفاظ به والدفاع عنه وإلا أدّى إلى كارثة غالبا .
٣ ـ ح ـ ٣ ف و　　ح ـ ٣ ف م
٤ ـ ف ـ ٥ ح　　. . . . .
لزيادة الضغط على بيدق الوزير مهددا
٥ . ف × ح ، و × ف ٦ . ب × ب ، ب × ب　٧ . ح × ب
٤ . . . .　　ف ـ ٢ م
٥ ـ ب ـ ٣ م　　ت
٦ ـ ح ـ ٣ ف　　ح و ـ ٢ و
ومن أساليب الدفاع الأخرى ما يعرف بدفاع لاسكر وذلك بنقل الحصان الى ٥ م
٧ ـ ر ـ أ ف　　. . . . .
لمزيد من الضغط على عمود الفيل
٧ ـ . . . .　　ب ـ ٣ ف
لمنع الأبيض من تحقيق هدفه
٨ ـ ف ـ ٣ و　　ب × ب
الاسود يتخلى عن الوسط ويلجأ الى تبادل القطع .
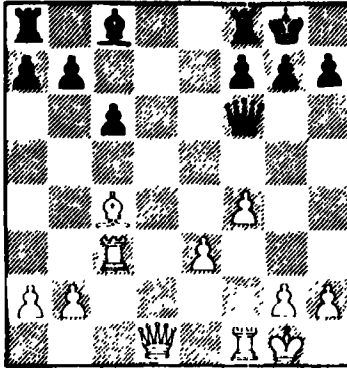
٩ ـ ف × ب   ح ـ ٤ و
١٠ ـ ف × ف   و × ف
١١ ـ ت   ح × ح
١٢ ـ ر × ح   ....
لو ١٢ . ب × ح   ب ـ ٤ ف و
فان الموقف يتحول إلى صالح الأسود
١٢ ـ ....   ب ـ ٤ م

للاستمرار في خطة تبادل القطع ومن ثم تطوير فيل الوزير لأن أكبر الصعوبات التي تواجه الاسود في هذا النوع من الافتتاح هي تطوير هذا الفيل ومتى أفلح الأسود في تطوير فيل الوزير على نحو جيد يكون قد حل أهم مشكلات الدفاع في افتتاحيات جناح الوزير .

وأعنف تكملة لـدى الأبيض هي ما يعـرف بتنـويعـة روبنشتاين نسبة للاعب البولندي الشهير

١٣ ـ ب × ب   ح × ب
١٤ ـ ح × ح   و × ح
١٥ ـ ب ـ ٤ ف   ....

الأبيض يستغل موقـع الوزيـر للهجوم عـلى جناح الملك والتهديد بالتقدم الى ٥ ف لمنـع الأسود من تـطوير فيـل الوزير

١٥ ـ ....   و ـ ٣ ف

وهي أفضل نقلة متوفرة للأسود

١٦ ـ ب ـ ٥ ف   ....

الابيض يسد طريق الفيل والاسود لا يستطيع أن يلعب ١٦ .... ، ف × ب لأن الأبيض يلعب ١٧ . ب ـ ٤ م ويفوز بقطعة كاملة .

١٦ ....   ب ـ ٤ ح و
١٧ ـ ف ـ ٣ و   ب ـ ٥ ح
١٨ ـ ر ـ ٢ ف و   ر ـ ١ و
١٩ ـ و ـ ٢ م   ب ـ ٤ ر و

واللعبة متعادلة الآن تقريبا .

مسألة ١٤
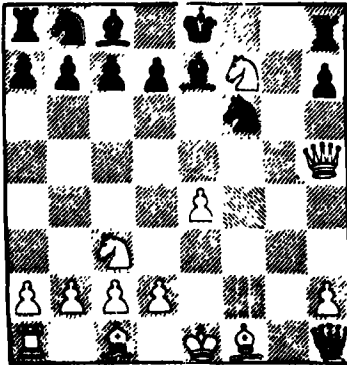
الأبيض يلعب ويكش مات في ثلاث نقلات . حـاول أن تجد الحـل ونحن بـانتـظار ردك أيهـا القارىء حتى منتصف الشهر القادم .

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

يحوي العدد حوالي ٣٠٠ صفحة تشتمل على :

- ابحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية.
- مراجعات لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة.
- ملخصات .
- ابواب ثابتة : تقارير علمية. دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا .
- ندوة العدد .

الاشتراكات :

للمؤسسات والدوائر الحكومية: في الكويت ١٢ دينارا ، في الخارج ٤٥ دولار أو ما يعادلها.

للأفراد : في الكويت ديناران كويتيان ، دينار للطلاب .

في الوطن العربي : ديناران ونصف كويتيان أو ما يعادلها ، ديناران للطلاب،

في الدول الاخرى : ١٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها .

توجه جميع المراسلات والابحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - ص.ب : ٥٤٨٦ الكويت

هاتف : ٥١٠١٨٨ / ٣٧٢ / ٢٥٠

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول فبراير ١٩٨٤

١٧٣

من المسرح الإفريقي - ٢

الناسك الأسود تأليف : جيمس نجوجي

ولد للموت تأليف : سام توليا مولهيكا

الخروج تأليف : توم أومارا

ترجمة وتقديم : د. سليم الأسيوطي

مراجعة : د. طه محمود طه

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير
١٩٨٤م

التصوير والحياة

تأليف
الدكتور محمد نبهان سويلم

الكتاب الرابع والسبعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون
عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد ٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج
الاشتراكات للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت . ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت . ٤٠ دولارا أمريكيا
في الخارج (بالبريد الجوي) ؛

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - **كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د محمد هشام خواجكية) . ١٩٧٩**
٢ - **كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د عبد الاله أبو عياش) . ١٩٧٩**
٣ - **كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) ١٩٧٩**
٤ - **كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠**
٥ - **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها
الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩ .

العنـوان . جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتـف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

BOMBEAT
AUTO REVERSE

TOSHIBA

Toshiba

جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ — مارس / آذار ١٩٨٤ م

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

العدد ٣٠٤
مارس ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت : ٤٢٧١٤١ - ٤٦٨٣٤٢
برقياً : «العربي» الكويت

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	5 ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	5 ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	5 دراهم
السودان	٢٠٠ مليم	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٣٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوروبا دولاران	أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولاران

AL-ARABI
Issue No. 304. Mar. 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by :
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

كانت رغبة رددتها رسائل القراء على مدى السنوات الطويلة التي ارتبطوا فيها بالعربي : « أعيدوا طباعة اعداد العربي الاولى ، فقد خلت منها المكتبات » .

ومضت الأعوام ، ولم ننس . .

وأصبح بامكان القارىء اليوم ، بفضل الميكروفلم أن يحصل على اعداد العربي كلها منذ صدورها عبر ربع القرن الأخير في حيز لا يتجاوز حقيبة اليد الصغيرة .

هكذا الحياة في تطور سريع مستمر . . فقد كانت العجلة والرافعة في بداية هذا القرن أو ماقبله هي قمة ما توصل اليه العلم والصناعة .

واليوم نعيش ثورة العلم ، تلك التي حققت معها هذا التطور الهائل في وسائل الاتصال . .

بالأمس اتسعت قدرة الانسان الفيزيقية . . واليوم تتسع قدرته العقلية والعلمية بفضل التقدم التقني .

لقد أصبح في مقدور العلم أن يختزن المعلومات الموجودة على آلاف البطاقات والأشرطة في الكومبيوتر الصغير الذي تحمله معك الى أي مكان .

وهكذا « العربي » بكل اعدادها منذ صدورها ، سوف تصدر بدورها فهرسا كاملا لما حوته من رؤوس الموضوعات وأسماء كتابها على مدى الخمس والعشرين سنة الأخيرة في مجلدين لا غير .

اننا نبدأ عهدا جديدا نرجو له الاستمرار بفضل تشجيع قراء « العربي » وجهود العاملين فيها من المطابع وجهاز التحرير الى الكتّاب الذين يخصونها بكتاباتهم وأفكارهم . . ولقد بدأنا نحس بصدى الجهد الذي نبذله . . ففي القاهرة وحدها وزع العربي مائة الف نسخة من عدد يناير الممتاز ، وفي بقية الاقطار العربية جاءت الرسائل تقول : « نريد المزيد من اعداد العربي » .

وخلال هذا الشهر يلتقي « العربي » بمجموعة من خيرة المثقفين العرب على أرض الكويت في ندوة تتدارس مهمة المجلات الثقافية العربية التي كانت تصدر في السابق أو التى تصدر في وقتنا الحاضر من أجل تطوير الثقافة وانتشارها ، وحيث ترحب العربي بضيوفها على أرض الكويت تعد قراءها أن تنقل لهم وقائع هذه الندوة الهامة التي تعتبر أكبر تظاهرة ثقافية عربية منذ زمن ليس بالقصير .

هكذا « العربي » مجلتك ـ عزيزي القارىء ـ أعطيتها ثقتك ، وهي تحاول رد الجميل بكثير من الجهد والعرق .

المحرر

في هذا العدد

◆ في أرض الرافدين ◆

في القطر العراقي عشنا تجربة رائدة .. إنها صورة من صور التعاون والتكامل التى كنا نحن العرب ، نحلم بها منذ قرون طويلة مضت .. في الأرض الطيبة أثمرت هذه التجربة .. ترى ما هي سماتها ...؟ وما أهدافها ؟ أنها صورة من قريب لما يمكن أن يتحقق في ظل التعاون والتكامل (اقرأ الاستطلاع ص ١٠٠)
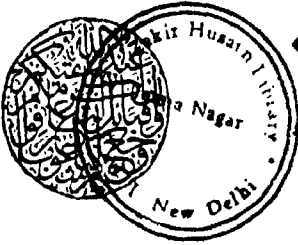
◆ أدب الحوار الدينى ◆

يتصور الكثير من الناس في مجال الدين وقضاياه أن الحقيقة لا يمكن أن تتعدد وجوهها ، لان الحق (واحد) لا يتعدد ، ولان الصراط المستقيم أيضا واحد . والسبل المعوجة وحدها هى التى تعدد (أقرأ ص ١٨) .

◆ الدول النامية ونظام النقد الدولى ◆

الدول النامية ، الغنية منها والفقيرة ، تلك التي تمتلك فوائض مالية في البنوك والمؤسسات التجارية ، أو تلك التي تستدين بلايين الدولارات ، لا تستطيع السيطرة على نشاطات وإتجاهات الاقتصاد العالمى المالى .. ماهى قصتها مع نظام النقد الدولى ؟ (أقرأ ص ٦٨)

◆ حكاية رجل يرفض الموت ! ◆

هذه قصة مهداة الى قلبك ، انها قصة مواطن عربي أراد الحياة ، رفض أن يستسلم للموت الذى توقعه له الاطباء ، وسافر يحمل قلبه المتعب .. وعاد الى بلده وأهله ليروى رحلته مع الموت والحياة . (أقرأ ص ٣٤) .

◆ أطفالنا .. كيف نرعاهم ؟ ◆

أطفالنا أكبادنا تمشى على الأرض . الاطفال يولدون وبكاؤهم يسبق ضحكاتهم وكأنهم يعلنون مع مجيئهم أنهم في حاجة الى الحب والعطف والحنان . ترى هل نجحنا ـ نحن الآباء ـ في تفهم نفسية الطفل وتقديم الرعاية التي يحتاج اليها في مراحل نموه ، حتى وهو جنين قبل أن يرى النور ...؟ (اقرأ ص ١٤٨)

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام

منتدى العربى

طب وعلوم

آداب وفنون

تربية وعلم نفس

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

حديث الشهر

التقنية العربية ..

يقول أبو الحسن الماوردي* في كتابه الشهير « أدب الدنيا والدين » .

« أعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب ، وأفضل ما طلب وجدّ فيه الطالب ، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب » .

ومفهوم العلم قد تغير بتغير الزمان وحاجات الانسان ، الا أن الأولين قد دبجوا في شرف العلم والعلماء ما يحث الناس على التتبع والاقتداء . وقد تبعهم المتأخرون في الحث على العلم ولكنه علم لـه زمان اخر وهو يلبي حاجات إنسان عصر آخر .

واليوم كثرت المؤتمرات والندوات والاجتماعات التي نعقدها نحن العرب للحديث عن تحدّى العلم والتقنية لنا جميعا في هـذا العصر ، عصر التقنية التي حلت كثيرا من مشكلات الانسان المعاصر .

ولكننا في واقع الحال نقف ازاء هذه التقنية موقف المتفرج والمستورد أكثر من موقف المشارك المبادر .

المواطن العربي يقف أمام الاختراعات الحديثة المدنية والعسكرية على السواء ، فيرى فيها تقدما تقنيا جديدا نبت في مكان آخر من الأرض . .

(*) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي (نسبة الى ماء الورد) ، ولد في البصرة ، ثم انتقل الى بغداد ، تولى القضاء في كثير من البلدان ، ثم صارت له رئاسة القضاء ، فقضى القضاة في عهد القائم بالله العباسي ، وكان له منزلة عالية عند خلفاء العباسيين . ألف كتبا كثيرة في الفقه (الشافعي) وفي التفسير وفي الأخلاق والسياسة ، طبع منها (أدب الدنيا والدين) و (الأحكام السلطانية) و (أعلام النبوة) و[illegible] (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ) (٩٧٤ - ١٠٥٨ م)

المستوردُ منها والمستنبت

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

أنت وأنا نرى ونسمع ونقرأ عن الاكتشافات الجديدة في مجالات الطب والزراعة فنقول انها التقنية الجديدة فجرها العلم من أجل حاجات الانسان ورفاهيته . ثم نرى الجديد في الاتصالات والمواصلات ، التي تصلنا بقريب مريض في أقصى الأرض أو تنتقل بنا لانجاز مهمة شخصية أو جماعية أو تنقل أفكارنا وآراءنا عشرات الآلاف من الأميال . . نرى هذا كله ولانملك الا أن نقف أمامه مبهورين . . انها ثورة العلم . . انها التقنية . ولكن وقفتنا لا تطول ، فنحن لا نلبث أن نستوردها كما نستورد أي شيء آخر .

ماذا يقول المتخصّصون . . ؟

الاقتصادي ينظر الى اعتمادنا على شراء هذه التقنية جاهزة من مصدرها فيقول لنا انها تبعية علمية واقتصادية ولافكاك منها الا باستنبات هذه التقنية في أرضنا والاستغناء عن استيرادها .

والسياسي ينظر الى هذه التقنية على أنها تحدّ لا يمكن الفكاك منه سياسيا الا بقهره .

ويبقى السؤال بعد هذا لدى الجميع في داخل قاعات المؤتمرات وعلى صفحات الصحف والمجلات « هذه التقنية المتقدمة وما استوردناه منها

حتى الآن في وطننا العربي . . . كيف نستنبتها عندنا ؟ وما هي سبـل تطويرها أو تعديلها لكي يمكن أن تلبي حاجتنا الملحة ؟ » .

وتجد بعد ذلك من يقول لك إنه السؤال الصعب والتحدّي الأساسي للوطن العربي في هذه الفترة الزمنية الحرجة .

« إن نقل وتطوير التقنية يواجه الكثير من العقبات . . . فما بالك باستنباتها وزرعها ؟ » .

ولكن هذا السؤال الصعب لن يبقى صعبا اذا استـطعنا أن نحقق بنجاح عملية التطوير والانتقال من الصفوف الخلفية بين أمم الارض لى الصفوف الأمامية .

وهنا لا بد لنا من وقفة نسأل فيها أنفسنا : هل نعرف بالتقريب ما هي التقنية ؟

تعددت المفاهيم والجوهر واحد

بعضنـا يربط بـين التقنيـة والعلم الاسـاسي BASIC SCIENCE المقترن بتطوير البحث العلمي في الجامعات ، وقليل منا من يعرف أن التقنية سبقت العلم كما نعرفه اليوم ، فالانسان عرف التقنية عندما بدأ يُشبع حاجاته البسيطة ، فهو قد عرفها منذ أحس بالحاجـة الى تدبـير أموره ، وما ارتباط العلم بالتقنية الا سمة جديدة عرفت في القرون المتأخرة . الانسان البدائي مثلا اخترع النار عندمـا اكتشف ان أكل اللحم الناضج ألذ مذاقا !

ومنا من يتحدث عن التقنية على انها التطبيقات العملية لنتائج العلوم APPLIED SCIENCE فهي في نظر هذه الفئة ليست المعرفة المجسدة

في المعدات والمنتجات واساليب العمل ، بل هي المعدات والمنتجات واساليب العمل ذاتها . . وهو خطأ واضح !

ولكن القليلين منا بعد هذا يقولون ان التقنية هي اكبر من ذلك كله واشمل ، وهذا المفهوم الأخير لا تجده الا لدى المختصين .

بعضنا يقارن بين العلم والتقنية ، فيقول ان العلم الاساسي يبحث في الاجابة عن سؤال « لماذا تحدث الظاهرة ؟ » ويهتم بالقوانين والنظريات العامة في الوقت الذي تهتم فيه التقنية بمعرفة الكيفية والاساليب التي تطبق تلك الظاهرة في الحياة العملية وفي مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي .

واذا أردنا أن نضرب لذلك مثلا في حياتنا اليومية أو من المعارف والمعلومات التي نذكرها . . . فدعونا نذكر أول ما نذكر تجربة الجيش المصري في حرب ١٩٧٣ . . . . في تلك الحرب ـ وفي بدايتها على وجه الخصوص ـ قام الجيش المصري بتحطيم الساتر الترابي لخط بارليف المنيع عن طريق مضخات المياه ، دفع المياه من المضخات نتاج علمي أو هو تقني كان اساسه العلم ، الا ان استخدامه بتلك الطريقة المبتكرة كان تقنية جديدة بحدّ ذاتها . ذلك مثل واحد والامثلة من الحياة كثيرة .

الا انه مهما كانت تعريفاتنا بأن العلم نتاج فكري ، والتقنية نتاج عملي ، فكلا النتاجين يحتاجان الى بيئة اقتصادية واجتماعية سياسية مواتية ، وبدونها يصبح العلم مقعداً والتقنية مكبّلة .

فالعلم والتقنية عملية معقدة اكثر مما هي فكر وتطبيق ، هي حزمة من الشروط يدخل في مكوناتها الأساسية الشرط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ومن يفهمها بغير هذه « الحزمة » المتكاملة من الشروط فهو يفهم التقنية والعلم بشكل جزئي مبتور .

لذلك فان التقنية في أحد تعريفاتها القريبة الى الشمول هي مخزون المعرفة المتاحة لمجتمع ما في زمن تاريخي معين في مجال الفنون الصناعية والتنظيم الاجتماعي .

لذلك فان التقدم التقني في مجتمع ما يتجسد في اكتشاف وابتكار اساليب جديدة لانتاج السلع وتطوير الخدمات والفنون الادارية والتنظيمية التي تؤدي لزيادة الرفاه لدى ذلك المجتمع بمعناه الشامل بهذا المفهوم تصبح التقنية اهم العوامل المسؤولة عن النمو الاقتصادي .

اذا كان ذلك هو التقدم التقني فالوطن العربي ـ شأنه شأن الكثير من دول العالم الثالث ـ ما زال في مؤخرة الصفوف ، ينقل ولا يبتكر .

نعم هناك نقل حثيث للتقنية من مصادرها الكثيرة او على وجه الدقة نقل المتاح لنا من تطبيقاتها المختلفة في المعدات والمنتجات بشروط ليست سهلة وتكاليف باهظة ، وعقبات الاستنبات والتطوير كثيرة ومعقدة . ولكنها ليست بالضرورة مستحيلة التنفيذ .

ان البدء في نقل التقنية . . وتطويرها . . . واستنباتها يستلزم قاعدة اقتصادية اجتماعية سياسية في مقدمتها احترام العلم ، بحيث يمكن الاعتماد عليها وفق ما دعا اليه الماوردي منذ قرون طويلة ، وما زال يدعو اليه الكثيرون من أبناء العرب اليوم .

الهياكل الثلاثة

اصلاح الخلل في الهياكل الثلاثة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مقدمة ضرورية وسابقة لكل شروط نقل التقنية أو تطويعها أو ابداعها في الوطن العربي . ان عمق المشاكل في هذه الهياكل الثلاثة لا تشجع احداً من الواقعيين على التفاؤل المطلق . وحتى عملية نقل التقنية التي

هي أضعف الايمان يلزمها توفر الحد الأدنى غير الموجود حاليا في الوطن العربي ، وحتى ان وجد فهو مفرق مبعثر على ساحة الوطن هنا وهناك . .

فنحن نجد في قطر عربي مثلا بعض عناصر القوة ولكن يشوبها وهن وضعف ، ثم نجد في القطر الآخر عناصر ذاتية في حدها الأدنى تنقصها بنية اقتصادية أو سياسية تقف عاجزة عن تخطي مرحلة الدفعة الأولى ، لقهر التحديات . إذا توفر المال في مكان ، نقص رجال العلم ، وان توفر العلم في مكان ، نقص رجال العزم ، وان توفر هذا وذاك نقص الاطار التنظيمي أو انحط نمط العلاقات بين المؤسسات والعاملين بها الى درجة مثبطة ومشينة . هكذا الواقع المنظور اليوم على ساحة الوطن من اقصاه الى اقصاه .

ومن التعميم الى التفصيل .

المشكلة الاقتصادية

نقل التقنية عملية باهظة التكاليف ، والوطن العربي يكاد ينقسم الى مجموعتين : دول مَنَّ الله عليها بالمال الوفير فمكنها من شراء التقنية أو المعروض منها في السوق الدولى على الأقل ، وأخرى يعوزها المال الذي تحتاج اليه لشراء أبسط انواع التقنية المطلوبة لخطط نموها الاقتصادي والاجتماعي .

ولكن الوضع يكون مقلوباً تماما عند النظر الى عنصر لا يقل أهمية في عملية نقل التقنية أو تطويعها او استنباتها وأعني به العنصر البشري ، فحيث يتوفر المال بعامة نجد ان العنصر البشري غير متوفر كما وكيفا . وحيث لا يتوفر المال يتوفر العنصر البشري المطلوب إن لم يكن بالكفاءة

اللازمة فعلى الأقل من حيث العدد ، ويبقي التمني لقيام قاعدة تقنية مقبولة أمرا بعيد المنال ، والحلول العربية بعد هذا مطروحة ومعلنة ولكن تنفيذها ما زال ايضا في طور التمني .

كيف نجمع بين الامكانيتين أو العنصرين ، المال والقوى البشرية تحت سقف واحد ؟ الانسان سواء كان عقلا مفكرا أو اداريا أو فنيا أو يدا عاملة هو عنصر أساسي في زيادة القدرة على الانتاج عندما تتوفر له التقنية المنقولة أو تلك التي يتم تطويعها لتكون اكثر ملاءمة لظروف بيئته . ولكن هذا الانسان في دول القدرة أو الندرة المالية ما زال ثانويا في حسابات التنمية الشاملة غير مؤهل لحل المشاكل التي تواجه بيئته ، فالافتقار الى التخطيط السليم للعناصر الادارية والفنية العالية والوسيطة ذات الكفاءة والمهارة ظاهرة بادية للعيان ، وهى جزء من مشكلة النظرة الى الانسان على امتداد هذه الارض كشىء يمكن الاستغناء عنه وتعويضه . . . بالتقنية أو المال ! !

. . والمشكلة الاجتماعية

وهى نابعة من المشكلة الاولى فعلى الساحة العربية كلها هناك نقص ملحوظ في القوى العاملة من حيث الكم والكيف على السواء . على رأس أسباب النقص النوعي تفشي الأمية الهائل الذي ما زالت الخطط القومية والقطرية عاجزة عن علاجه .

واهمال العنصر البشري في الوطن العربي يمكن النظر اليه من خلال الظاهرة المتناقضة والمزدوجة ، ففي الوقت الذي يخرج فيه عشرات الالوف من العمال العرب في هجرة موسمية أو دائمة للعمل في المصانع الغربية والمؤسسات التقنية والعلمية نجد اقطار الوطن العربي من جهة أخرى تستقبل عشرات الآلاف من المهاجرين من مناطق أخرى من العالم فيُكوّن الفاقد المزدوج ثقلا ضخما على ثروات الوطن البشرية

والمادية ، فنحن نفقد من جهة خبرة وطنية نحن في مسيس الحاجة اليها ونفقد من جهة ثانية ـ ومن خلال طرف ثالث ـ التقنية التي يعود بها الغرباء الى وطنهم متى عادوا ، واذا عادوا !

وتتضح المشكلة الاجتماعية في اضخم صورها عندما نتحدث عن التعليم والتدريب في مؤسساتنا التعليمية ، حيث وقعنا فيها حذرت منه تقارير اليونسكو اكثر من مرة بشأن التعليم ، وهو الابتعاد عن خلق « الصفوة » في بناء مؤسسات علمية تستطيع ان تعيننا على المشي في دروب التنمية وامتلاك التقنية . الا أن واقع الحال في مؤسساتنا التعليمية ساد في الكثير منها طابع اكاديمي نخبوي ظاهره انقسام ثنائي بين البحوث الاكاديمية ومتطلبات الواقع وباطنه إغفال في تطوير التقنيات البسيطة التي كانت مجتمعاتنا العربية تعيش عليها ، وواجه بها آباؤنا بنجاح مشكلات حياتهم .

وعندما نتصفح تقرير اليونسكو الذي اهتم بالنظر في إمكان اقامة جسر واقعي ومقبول بين الأمم المتقدمة والأمم النامية ، نقرأ ما جاء حول المؤسسات التعليمية في العالم الثالث مجتمعة وصفاً دقيقاً لحال مؤسساتنا العربية التعليمية العالية اذ يقول التقرير :

« تتجلى اتجاهات الصفوة في أية مؤسسة علمية في التأكيد على المركزية وفي انشاء شبكات متكاملة كل التكامل وفي الرقابة على العمليات في جميع مراحلها وفي عدم مشاركة المستهلك أو المنتج في وضع البرامج ، وكثيرا ما يكون من الأمور المسلم بها لدى هذه الصفوة في المؤسسات العلمية ان المواطن العادي لا يتمتع بقدرة على الابتكار . ! »

المشكلة السياسية

وتتمحور المشكلة السياسية التي تشكل اضافة الى عقبات نقل التقنية وتطويرها أو ابداعها في الوطن العربي حول ابتلائه بهذا الزخم الهائل من

التحديات السياسية والذي تمثل في البداية في الاستعمار المباشر ثم ما لبث ان غير جلده في صراع طويل ومرير مع الصهيونية العالمية باشكالها المختلفة مما افقد الوطن نعمة الاستقرار التي هى عامل رئيسى لكل تطور علمى وتقنى ، وهذا الأمر ترك اثره في القدرة على خلق ارادة موحدة قادرة على الاستنبات الأمثل من تقنيات العصر .

ويجب هنا ايضا ألا نتجاوز السلاح الفتاك الذي يملكه الغرب اليوم ولم نجد له رادعا حتى الآن وهو سلاح الاعلام الذي يجعل شعوب العالم الثالث ـ والشعب العربي منها ـ تابعا مستهلكا بعد ترويض قدرته على المقاومة من خلال الاعلان المباشر عن السلع والخدمات التي تعج بها صحفنا ومطبوعاتنا وبعض أجهزة اعلامنا المرئية والمسموعة ، وهذا الذي يصيب في الصميم منظوم القيم فيخرقها ليؤجج حمى الاستهلاك لأشياء تافهة فاذا ما تراكمت في النهاية وجدناها قد منعتنا من استنبات تقنية مناسبة لبيئتنا ونابعة منها .

ولنا عبرة عميقة في تجربة اليونسكو عندما خاضت معركة نظام اعلامي جديد في محاولة ارادت من خلالها موازنة التدفق الاعلامي من الدول الصناعية الى الدول النامية حتى تخفض من تأثيره المباشر في عناصر المقاومة لشعوب العالم الثالث ، كى لا تضعف مقاومتها لكل ما يأتي من تلك الدول بما فيه استهلاك التقنية . . عندما حاولت اليونسكو ذلك شنت الدول الغربية هجوما شرساً على الفكرة وهددت بالانسحاب من اليونسكو !

ألا يجب أن نتذكر ونحن نقرأ في كتب تاريخ الشعوب ان آسيا كانت موطن الحضارة . . حضارة اللغة والدين والفن والتقنية حتى الرياضيات . . كانت في آسيا كل هذه المظاهر الحضارية وكذلك في افريقية « عند قدامى المصريين » في الوقت الذي كان فيه الأوربيون يصطادون حيواناتهم بالفؤوس . .

حتى كان القرن الخامس عشر فقط عندما بدأ الغرب ينقل الاساليب التقنيـة ويوسـع من استخداماتهـا وبقى السؤال الـذي يثير الألم في النفوس : « لماذا حدث هذا ، ولماذا استمرت التقنية عندهم ؟ » بقي السؤال وراء المجادلات التي تدور في اليونسكو بلا جواب شاف .

ان ما حدث في اليونسكو هو محاولة من جانب الدول الآسيوية ودول امريكا اللاتينية والدول الافريقية من اجل حمل المنظمة على الاعتراف باحزانها وخدمة مصالحها . .

* * *

ونعود الى الواقع العربي تجاه التقنية سواء على المستوى الاقليمي أو القطري فنجده يختلف عن التصور الذي يتمناه المواطن العربي . فان حزمة العناصر المؤثرة في تعويق استيعابنا لتقنية العصر متعددة وكثيرة ، فعلى الرغم من وجود المؤسسات والهيئات والمراكز والمعاهد المتعددة على ساحة الوطن العربي والمعنية بالقضية المطروحة الا ان الطريق ما زال طويلا يحتاج الى عناء ونفس طويل وعزيمة صامدة . والمدخل الحقيقي هو ترسيخ الفكر العلمي بمعناه العام في قاعدة الهرم العربي وفي قمته على السواء . فلا بد لنا ان نعمل على تثقيف الافراد العاديين وتشجيعهم وتنميـة قدراتهم عـلى الابتكار والابـداع ، فالابـداع والقـدرة عـلى استيعاب التقنية صنوان متكاملان .

واذا كان ينطبق على الوطن ما ينطبق على الافراد فيحسن بنا أن نذكر مرة أخرى ما قاله قاضي القضاة أبو الحسن الماوردى رحمه الله :

« واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي الى أواخرها ومداخـل تفضي الى حقائقها ، فليبدأ طالب العلم بأوائلها لينتهي الى أواخرها ، وبمداخلها ليفضي الى حقائقها ، ولا يطلب الآخر قبل الأول ، ولا الحقيقة قبل المدخل ، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أسس لا يبنى ، والثمر من غير غرس لا يجنى . »

محمد الرميحي

أدب الحوار الديني

بقلم الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

☐ في غياب روح الحرية واحترام الانسان نجد أن قضية أدب الحوار تتخذ أبعادا خاصة حين تتصل بالحوار حول الدين وقضاياه .

ليس أمرا هينا على ضمير المسلم المعاصر أن يتأمل فيما يدور حوله من حوار حول قضايا الاسلام والمسلمين ، فان هذا الحوار لايكاد يبدأ جدالا بالتي هي أحسن . . حتى تتسلل اليه الحدة والشدة ، وتستولي على بعض أطرافه روح الضيق بالمخالفين . . والمسارعة الى اتهامهم في أفكارهم ونياتهم وأخذهم بالشبهة وسوء الظن . . واستثارتهم باللفظ الجارح والعبارة القاسية . . فيترك بعضهم ساحة الحوار ايثارا للسلامة . . وضنا بالسمعة والكرامة . . ويختار بعضهم أن يدفع السيئة بالسيئة . . فيرد على الصيحة بأعلى منها . . ويتلقى التهمة فيوجه مثلها أو أشد منها . . ويتخير في ذلك كله أشد التهم ايلاما . . وأكثر العبارات جرحا للكرامة . . وايغارا للصدر . . وزراية بالخصم عند جمهوره . . ثم لا تلبث « القضايا » « والهموم » التي بدأ الحوار - حين بدأ - بقصد خدمتها والاهتداء الى الرشد والصواب في شأنها . . أن تضيع وسط الصيحات العالية . . والاتهامات المتبادلة . . ولايبقى في الساحة الا خصوم يتبارزون ويتناطحون . . غاية كل منهم أن « ينتصر » . . على خصمه . . وأن تخلو الساحة من كل أحد سواه ومن كل رأي . . سوى رأيه . .

ومن الحق - مع ذلك - أن نقرر أن هذا المنهج الفاسد طبع عربي سائد . . وأنه ليس وقفا على

الحوار الديني وحده . . وأن نظرة سريعة على الحوار العربي الدائر من حولنا . . كفيلة بأن تردنا الى واقع أشد مرارة وأكثر ترديا . . فها هي الأقلام العربية مشرعة كالسهام المسمومة في مبارزات كلامية ، غايتها القضاء على الخصم ورأيه ، وتلك هي الاذاعات العربية والصحف العربية . . يُستخدمُ كثيرٌ منها سلاحا فعالا في « الحروب الأهلية العربية » التي بدأ بعضها منذ عشرات السنين ولايعرف أحد من أطرافها متى ولا كيف تنتهي . ؟

وفي مبارزات « الأقلام » و « الاعلام » تستباح الحقيقة ، ويزيف الواقع ، وتنتهك الكرامة ، ويرجم أصحاب الرأي المخالف . .

قضية أدب الحوار

ومع عموم البلوي على هذا النحو ، وارتباطها بقضايا الثقافة والسياسة ، وغياب روح الحرية ، واحترام الانسان ، فان قضية « أدب الحوار » تتخذ أبعادا خاصة ، حين تتصل بالحوار حول الدين وقضاياه . .

● ذلك أن الصواب والخطأ في مجال « الحوار الديني » يتحولان في تفكير كثير من الناس وفي وجدانهم الى مرادفين للحق والباطل . . أو للهدى والضلال . ومعنى هذا أن المهزوم في الحوار . . لن يعتبر في نظر خصمه ونظر الجمهور مخطئا في رأيه مجانبا للصواب في اجتهاده . . بل سيعتبر مجانبا للحق ، منحازا للباطل . . وقد يبلغ الحماس في وصفه بهذه « الخطايا » مبلغ اتهامه بالكفر والفسوق والعصيان . .

● وفي مجال الدين وقضاياه كذلك يتصور كثير من الناس أن الحقيقة لايمكن أن تتعدد وجوهها ، لأن الحق « واحد » لايتعدد ، ولأن الصراط المستقيم واحد . . والسبل المعوجة هي التي تتعدد . ويرددون في هذا السياق قوله تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل » (الأنعام ١٥٣) وقوله : « فماذا بعد الحق الا الضلال » (سورة يونس ٣٢) - كما يتعلقون بالاحاديث النبوية التي تتحدث عن الفرقة « الناجية » وهي فرقة واحدة ، من ورائها اثنتان وسبعون فرقة هالكة . . ومن شأن التفسير الحرفي لهذه النصوص ، وعزلها عن سياقها المقصود ، أن تضيق في نظر أطراف الحوار دائرة ما يجوز فيه الخلاف . . وأن تتسع مساحة ما لايجوز فيه النظر والاجتهاد . .

والتأمل الهادىء والتأني في هذه النصوص ، والجمع بينها وبين نصوص أخرى عديدة تحث على النظر ، وتدعو الى الاجتهاد في البحث طلبا للحق والصواب . . كل ذلك يؤدي الى موقف مختلف تماما . . يتسع فيه صدر « الاسلام » لاختلاف الآراء . . ولايضيق عن الاجتهاد ولو انتهى صاحبه الى الخطأ ومجانبة الصواب . .

الدين وقضاياه

ان أطراف الحوار حول قضايا الاسلام والمسلمين جديرون جميعا بأن يذكروا أن وحدة « الحقيقة » لاتنفي تعدد زواياها ، واختلاف العقول في تفسيرها . . ولو استقام مايتوهمونه من ضرورة « اجماع » الناس واتفاقهم على فهم واحد . . لما نشأت بين المسلمين علوم التفسير والكلام (أصول الدين والعقائد) ، وأصول الفقه . . ولما سجل التاريخ اختلاف الصحابة في أمور عديدة وردت فيها نصوص قرآنية وأحاديث نبوية . . ولما سجل اختلاف التابعين وتابعي التابعين والأئمة أصحاب المذاهب من بعدهم . .

ان التوقف عند هذه الحقائق التاريخية جدير بأن يخفف من غلواء كثير من أطراف الحوار المعاصر حول الدين وقضاياه . . وذلك حين يذكرون أن أصحاب النبي « صلى الله عليه

وسلم » وتابعيهم ـ وهم على ماعرف عنهم من الورع والتقوى والحرص على وحدة الأمة ـ قد اتسعت صدورهم لهذا الخلاف ، فأداروه بينهم في صفاء قلب ، وعفة لسان ، وحرص متبادل على صون الكرامات ، وحفظ المودات . .

● ويبقي من خصائص الحوار الديني . . خصوصا في اطار الاسلام الذي يتميز بشموله والارتباط الأساسي بين عقيدته وشريعته وآدابه ، أن من اليسير على الأطراف في حوار دائر حول أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد ، أن يضفي عليه بعضهم طابعا دينيا ، وأن يلقي على مائدة الحوار بنص يتعرض من قريب أو بعيد لموضوع الخلاف بين المتحاورين ، وبذلك يكتسب الحوار كل مايحيط بأمور الدين من قداسة ، وكل ما يلحق المخطئين فيها من شبهات الاثم ، والانحياز للضلال . . فيتحول الحوار الى محاكمة . . يضطر فيه المخالف الى توجيه جهده كله للدفاع عن نفسه ، واثبات « براءته » من خطيئة الاستخفاف بالنصوص والاجتراء على الله والقول في الدين « بالهوى » .

خوف العلماء

لقد كان من آثار هذه الظاهرة غياب المنهج النقدي عن كثير من القضايا الهامة في نطاق البحث الديني ، وخوف كثير من العلماء الثقات الأتقياء من الجهر بآرائهم حتى لايتعرضوا لحملات تتجاوز « الرأي » وتقييمه . . لتمتد الى النيل من دينهم وتقواهم وأمانتهم وحسن نواياهم

ان المبالغة الهائلة في التخويف من تفسير القرآن الكريم ، ومن التصدي لتمحيص أسانيد بعض الأحاديث ، فضلا عن تفسير نصوصها . . ومن محاولة التجديد في بعض ما انتهى اليه علماء أصول الفقه ، كل ذلك قد أفضي بأجيال من المسلمين الى ترك الحوار الموضوعي النافع حول تلك القضايا . . وترك فجوات غير مضيئة في عقل المسلم المعاصر . . لايملك أن يطمئن ويستريح مع وجودها ، ولا تواتيه الجسارة على التصدى لها . . ومن المحاولات التي تستحق التسجيل والتنويه في هذا المقام ، حرص علماء الأصول على التمييز في نصوص القرآن الكريم بين النصوص قطعية الدلالة ، وتلك التي تحتمل التأويل واختلاف النظر . . وتفرقتهم في أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله بين ما هو « تشريع » صادر في نطاق قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » وما هو اجتهاد يحتمل الصواب والخطأ . .

ورغم هذه التفرقة الأخيرة وجدنا عالما وفقيها معاصرا يقول شاكيا : « وهل أخرجتم من أعماله التشريعية سوى خصوصياته كزواج ما فوق الأربع ، وسوى جبلياته (أي أموره الخلقية) كالجوع والعطش والصحة والمرض . أما ما عدا ذلك من أقواله وأفعاله وسكوته فكل ذلك أدخلتموه في أعماله التشريعية فقلتم « ليسن لنا أن نرخي في غطاء الرأس عذبة ، كما كان (صلى الله عليه وسلم) يفعل ، وقلتم عندما نقل عنه في الصحيح أنه (صلى الله عليه وسلم) قبل ابنه ابراهيم وشمه « وفي الحديث مشروعية تقبيل الوالد لولده وشمه . . فهل كل ما كان من هذا النوع ـ وهو لايعد ولا يحصى ولا يخلو عنه (صلى الله عليه وسلم) ـ في جل حياته الشريعية . يوحي به [1] .

ان من الضروري ـ لذلك ـ وضع الحدود بين ماهو « ديني » أي جاء به « وحي » . . لا يكون لمؤمن ولا مؤمنة بعده خيرة من أمرهم ، وبين ما هو من أمور الدنيا أو من أمور « العادات » كما

١ ـ اجتهاد الرسول للشيخ عبد الجليل عيسى ابو النصر ص ٣٩ ـ دار البيان (الكويت) ١٩٦٩

يقول العلماء بحيث يستطيع المتحاورون في شأنه أن ينطلقوا في حوارهم ، باحثين عما يحقق لهم وللناس من حولهم مايحتاج الى الرعاية والحماية من مصالحهم وحاجاتهم . . دون أن يواجهوا ـ عند كل منعطف ـ بأنهم مارقون من الاسلام أو مستخفون بأحكامه . . أو هادمون لأركانه .

ان من هذا القبيل ـ على سبيل المثال ـ بعض ماورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمور الطب ، وكثير منه اقرار لما كان يفعله أهل البادية . . وفي ذلك يقول ابن خلدون في مقدمته : « والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء ، وانما هو كان أمرا عاديا للعرب ووقع في ذكر أحوال النبي (صلى الله عليه وسلم) التي هي عادة وجبلة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل ، فانه (صلى الله عليه وسلم) بعث لتعليمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولاغيره من العادات »[٢] .

عفة اللسان والقلم

● ويبقى في النهاية أن الحوار حول الدين وقضاياه ، أجدر وأولى من كل حوار بالتزام عفة اللسان والقلم ، والحرص على صون الكرامة ، وتقديم حسن الظن بالنية والقصد . فما أقبح أن يتنزل العلماء في حوارهم الى جارح اللفظ وسيىء العبارة متعللين بأن صدورهم تضيق وأن صبرهم ينفد . . وهم يدافعون عن الاسلام ويذودون عن مبادئه وأحكامه . . ان ذلك لايمكن أن يستقيم لمن يقرأ في صحيح مسلم أنه قيل للنبي (ص) : يارسول الله : « ادع على المشركين » فقال (ص) : « اني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة »[٣] . . أو من يقرأ في صحيح البخاري أنه (ص) قال : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[٤] فضلا عن أن يستقيم شيء من ذلك لمن يقرأ قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . . أو يستوقفه منهج القرآن وهو يحمي الكلمة ـ كتابة ومشافهة ـ بقوله سبحانه « ولايضار كاتب ولاشهيد » . . أو يمس قلبه أدب القرآن العظيم حتى حين يجادل المشركين بقوله : « قل لاتسألون عما أجرمنا ولانسأل عما تعملون » . ـ سورة سبأ آية ٢٥) .

اننا ندعو علماءنا ومثقفينا الذين يحملون الأقلام ويعتلون المنابر فينا أن يتوقفوا قليلا عند تراثنا الذي يرفعون راياته في كل مناسبة ليتأسّوا بالنماذج المشرقة التي يزخر بها ذلك التراث لأدب الحوار حول أدق قضايا الاسلام والمسلمين . .

● ندعوهم الى أن يراجعوا الحوار الرائع بين عمر رضي الله عنه ونفر غير قليل من صحابة النبي (ص) فيهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وبلال رضي الله عنهم أجمعين . . حين أراد عمر ألا يوزع الأراضي المفتوحة على المقاتلين من بين المسلمين . . فلقد كان موضوع الخلاف مثيرا لتفسير آيات عديدة من القرآن الكريم ، وكان يحمل في طياته مصالح كبيرة لفئات يتفاوت نصيبها من الثروة والحاجة الى المال . . فما اشتد عمر رضي الله عنه في كلمته . . . وما عنّف أحدا من الصحابة في عبارة . . . وما انتقل الحوار من شواهد الرأي وأدلته . . الى بواعث أصحابه ودوافعهم . . وانما تبادلوا رأيا برأي ، وحجة بحجة . . حتى اقتنع الصحابة قائلين ـ بعد الحوار الطويل ـ نعم ماقلت وما رأيت

---

٢ ـ ابن خلدون ، المقدمة ص٤٦٧ من طبعة المطبعة الأميرية

٣ ـ اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة .

٤ ـ أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود من كتاب « الايمان » .

● وندعوهم أن يتقدموا ـ بعد ذلك قرنا ونصف قرن من الزمان ليطالعوا حوارا مكتوبا رائعا حول عديد من قضايا الاسلام ـ تبادله في رسالتين مشهورتين عالمان جليلان هما : امام دار الهجرة مالك بن أنس ، وامام مصر وعالمها الكبير الليث بن سعد . . فعلى الرغم مما اشتملت عليه هاتان الرسالتان من عرض لآراء ومواقف مختلفة في أمور عديدة بين هذين العالمين الجليلين ، فقد جاءتا آية مشرقة من آيات الحوار العف ، الذي نحتاج الى مثله اليوم ، وحسبنا أن نجتزيء من الرسالتين ، عبارات قصيرة تكشف عن هذا الأدب الرفيع :

النصيحة لله وحده

يقول الامام مالك في مطلع رسالته : « واعلم ـ رحمك الله ـ بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مختلفة مخالفة لما عليه الناس عندنا ، وببلدنا الذي نحن فيه . وأنت في أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك ، وحاجة من قبلك اليك ، واعتمادهم على ما جاءهم منك ، حقيق بأن تخاف على نفسك . . ثم يقول : فانظر ـ رحمك الله ـ فيما كتبت اليك . . واعلم أني أرجو ألا يكون قد دعاني الى ماكتبت به اليك الا النصيحة لله وحده ، والنظر لك ، والضن بك ، فأنزل كتابي منزلته ، فإنك . . تعلم أني لم آلك نصحا » . .

ويجيب الامام الليث على هذه الكلمات الطيبة بمثلها قائلا : « قد أصبت بالذي كتبت به من ذلك . ووقع مني بالموقع الذي تحب » ثم يقول : وقد بلغنا عنكم شيء من الفتيا . . وقد كنت كتبت اليك في بعضها ، فلم تجبني في كتابي ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك ، فتركت الكتاب اليك في شيء مما أنكرت ، وفيما أوردت فيه على رأيك » . .

ويمضي الامام الليث مخالفا الامام مالكا في العديد من آرائه وفتاويه في وضوح وصراحة لا مداورة فيها ولا مجاملة على حساب الحق ، ولكنه يختمها بقوله : « وأنا أحب توفيق الله اياك وطول بقائك ، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة ، وما أخاف من الضيعة الا اذا ذهب مثلك مع استئناسي بمكانك ، وان نأت الديار فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه ، ولاتترك الكتاب الى بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك ، وحاجه ان كانت لك أو لاحد يوصل بك فاني أُسَرُّ بذلك » .

اننا نسوق هذه النماذج ، وغيرها في تراثنا القريب والبعيد كثير ، حتى يفيء الى أدب الاسلام في الحوار أولئك الذين ينصبون أنفسهم أوصياء على عقول الناس وما تخفي صدورهم ، يتهمون هذا . . ويفسقون ذاك . . ويشيعون بين المسلمين روح التردد في الاجتهاد والمشاركة بالرأي مخافة أن تتناوشهم ـ في الصدور والظهور ـ سهام أولئك المتربصين . لقد ساد بسبب ذلك كله فقه يحاصره الخوف من هذا الارهاب . . . جوهره التشديد ، واساسه التوسع في سدّ الذرائع ، والافراط الشديد في التحذير من البدع ، ومن كل فكر جديد أو نظام مجلوب ، حتى جمد المسلمون على الموجود ، وتجمد العلماء عن الخوض في كثير مما يحتاج الناس فيه الى اجتهاد جديد ، ولقد مات بسبب ذلك كثير من الأفكار حبيسة في الصدور . . وتراجعت كلمات هداية نافعة بعد أن كانت على أطراف اللسان . . واقفلت بذلك أبواب الحوار بالتي هي أحسن . . لتفتح ـ بدلا منها ـ ساحات صراع وشغب ومبارزة . . ظاهرها الرحمة ، وباطنها الضياع والعذاب . وبقي أن يستجمع أهل الرأي والعلم أطراف شجاعتهم وان يتنادوا بينهم بالجسارة التي تفرضها امانة العلماء ، فلا يردهم عن قول الحق ، واعلان الرأي ، صياح الصائحين وشغب الشاغبين . . . فانما الأمر أمر شهادة بالحق لايجوز لصاحب رأي أن يحبسها في صدره أو على لسانه « ومن يكتمها فانه آثم قلبه » . □□

قالوا في الأم

■ ان صلوات الأم الصامتة ، الرقيقة ، لا يمكن أن تضل الطريق الى ينبوع الخير .

(هنري وورد بيتشر)

■ إن ما ينبغي للطفل أن يتعلمه قبل أي شيء هو الوطن : أمه !

(جول مليشه)

■ ليس هناك شيء ، في هذا العالم البارد ، الأجوف ، ولا ينبوع من الحب العميق القوي الأزلي . الا ذلك الينبوع ، في داخل قلب الأم .

(فيسيا هيمانز)

■ إنني مدين لأمي بكل ما حزته من الفخار ، وما فزت به من العظمة . لأن نجاحي كان ثمرة مبادئها القويمة ، وآدابها السامية .

(نابليون بونابرت)

■ كل ما في كياني من صنع أمي . . ولأمي الفضل في كل ما أدركته .

(جون كوينس ادامز)

■ أمي صنعتني !

(أوليس إديسون)

■ لو كان العالم في كفة ، وأمي في كفه أخرى لاخترت أمي .

(جان حاك روسو)

■ الزوجة للنصح الجميل ،والحماة للترحيب ، ولكن لا شيء يعادل الأم الحنون .

(ليوتولستوي)

في مسرحية صلاح عبد الصبور "ليلى والمجنون"

جيل من الثوار مفقود بين الماضي والمستقبل

بقلم الدكتور : على الراعي

□ لا أعلم ان كانت مسرحية صلاح عبد الصبور الفاتنة هذه قد نالت ما تستحق من تقدير : مسرحية : « ليلى والمجنون » ولكني أعرف أنها بالنسبة لي عمل أزوره مرة ومرات ، فلا أمل الزيارة ولا أكف عن العودة اليها .

اذا شئنا أن نستخدم لغة التصوير ، قلنا ان صلاح عبد الصبور قد رسم لوحته هذه على قماش مسرحية شوقي : « مجنون ليلى » ، الذي استمد موضوعه من تراث العرب القصصي . غير أن هذا الرسم فوق الرسم ، لا يطمس الأصل ، وانما يعمقه ، ويوضح معانيه ، ويسمو بهذه المعاني من مستوى المأساة الخاصة الى المأساة العامة . فحب ليلى وقيس في مسرحية شوقي ، ذلك الذى تقف في طريقه الأعراف ، وتزمت الجميع ، يصبح في مسرحية عبد الصبور حبا تحول بينه وبين الاينـاع عقبات الماضي والحاضر والمستقبل معا . عقبات صنعها الفقر

والقهـر والعجـز عـلى المستـويـين الفـردي والاجتماعي معا .

قيس في مسرحية عبد الصبور اسمه سعيد . مثقف مصري شاب يعيش في أصيل الزمن ، قرب مغيب شمس الماضي . نور الأصيل أحمر لا يلبث أن يصبح داكنا ثم أسود ، فالماضي يموت وتدخل الدنيا في سـواد الحاضر ، بينما فجـر المستقبل لما يـولد بعد . ومأساة سعيد أنـه : « وقت مفقود بين الـوقتين . عمـر مفقود بـين الماضي والمستقبل » .

يزيد من عمق المأساة أن سعيدا أبدا لا ينسى ، وأبـدا لا يفعل . تتقـدم ليلى العصـرية اليـه ، تعرض حبها كاملا ـ حب الروح والجسد معا ـ فيعـرض عنهـا ، لأنـه لا يملك أن يقبـل هــذا العرض : الماضي يشده اليه ، والمستقبل يخايل بصره ، وهو في الحالين عاجز عن القبول . . . عن الفعل .

كان سعيد فقيرا في طفولته . رأى أمه تمنح جسدها لرجل تزوجته وهي تمقته . . . تزوجته كي يوفر الخبز والكساء لها ولطفلها الصغير . تزوجته بعد أن باعت كل شيء تملكه ولم يبق الا أن تعرض جسدها في سوق النخاسة .

وقد حفرت أحداث الطفولة التعسة في نفس سعيد أخاديد بعيدة الغور ، جعلته يتقـزز من

الجنس . يرى فيه وجه الحب المقلوب « لغتنا الأبدية ، سقوطنا . قام في نفسه ما قام في نفس هامليت من تقزز مماثل ، اذ جاءت أوفيليا تعرض عليه حبها ، فلم ير في هذا العرض إلا شهوة الجسد للجسد ، فصرخ فيها ملتاعا :
اذهبي الى بيت دعارة !

ومثل هامليت رأي سعيد أمه تتزوج رجلا كان هو يكرهه . رجلا حل محل أبيه ، ويملك امرأته وفراشه . فكأن الرجل قد قتل أبا سعيد ، ليتزوج أمه ، مثلما قتل عم هامليت « كلوديوس ، أباه وامتلك الأم والعرش معا ، غاية ما هنالك من فرق أن أم سعيد كانت تكره زوجها ، ولا تحبه مثلما كانت تفعل أم هامليت . غير أن هذا الفرق كان في نظر سعيد هامشيا . فأمه ـ رغم الزواج الشرعي ـ ترقد في فراش (الخنا) ذلك أن الزواج دون حب هو دعارة لا مجال لانكارها ، لهذا تتسربل نظرة سعيد للجنس السوى والحب الصحيح برداء أسود مريض . ولا تنتهي العلاقة بين سعيدوهامليت عند هذا الحد ، بل تمتد الى الطريقة التي يخرج بها سعيد من مأزق الارادة المشلولة . ان الحوادث لتدفعه دفعا الى قطع عقدة التردد بضربة من ضربات الفعل . يأتي سعيد لبيت حسام ، رفيق الكفاح الذي خان ، ليحاول مع زميله زياد أن يمنع حسان ـ زميل ثالث ـ من قتل حسام ، فيجد عنده ليلى ، قائمة لتوها من وصال جسدى مع حسام اذ ذاك ينهار سعيد . قد باعت « أمه » جسدها من جديد . باعته في فراش الخنا ، هذه المرة . ذلك أن ليلى قد استقرت في لاوعى سعيد أماً بديلة من أمه . لذلك يصرخ سعيد ملتاعا :

آه . . يا للكابوس
خدر ملعون يهبط من رأسي حتى قدمي
اني أنهار
أتخلخل مقرورا كالجبل الثلجي
ليلى . . النور . . أمي . . أمي . .
رأسي تسقط من جسمي
ليلى . . ليلى . . أمي .

وحين يعود حسام من مطاردة حسان فيجد سعيدا جالسا مع ليلى وقد هده الاعياء ، يسبه ويركله فيتناول سعيد تمثالا من الحجر وينهال به على حسام قد أصبح حسان كلوديوس آخر ، نال الحبيبة ، وهزم الحبيب هزيمة مضاعفة : في الفراش وعلى صعيد السياسة . فتك الجاسوس بالثائر ، وظفر بالفراش وبالثورة معا . هنا فقط يتحرك سعيد ، ويقطع عقدة اللافعل . تماما كما فعل هامليت حين قتل عمه كلوديوس .

ها نحن أولاء نرى ان صلاح عبد الصبور قد رسم مسرحيته ليس على قماش شوقي وحسب ، وانما على قماش شكسبير أيضا . وسنجد فيها بعد أنه قد نهل من فن معلم مسرحي ثالث هو : ت . س . اليوت ، الذي يورد عبد الصبور في المسرحية بعضا من شعره ، ويرسم مشهد انفضاض الرفاق ، كل يسير في سبيل ، بعد أن انهزموا في المعركة ، وفقدوا المدينة ، وفقدوا الأمل في الثورة في هذا الجيل ـ يرسم مشهد الانفضاض هذا بوحي واضح من مشهد مماثل في مسرحية اليوت : « حفلة كوكتيل » .

ونعرف في المشهد التالي ـ الثاني من الفصل الثالث ـ ان الحبيبين ، سعيد وليلى يدركان أن قدرهما واحد ، وانهما ضحيتان لسهم واحد : تقول ليلى وهي تسترجع دورها في مسرحية شوقي :

أدركت أن السهم ياقيس واحد
وأنا كلينا للهوى غرضان ؟

سقوط ليلى هو الوجه الآخر لسقوط سعيد . بل ان الاستاذ ، رئيس التحرير في المجلة النضالية التي تعمل فيها شخوص المسرحية ، ليضفي بعدا ثانيا على سقوط الحبيبين حين يوحي لنا بأن ليلى هي مصر الثورة ، وانها تزل بسبب تواكل أحبائهاوتقاعسهم . لم يعد التفجع كافيا ولا ممكنا ولا ضروريا :

ما دمنا أغفينا ذات مساء
وتركنا حبة أعيننا في كنف الغرباء
ممن زعموها ابنتهم
وصحونا لنراها انتهكت متمددة مستسلمة
في فرشتها الخضراء

لقد سقطت ليلى لما سقطت مصر . لما أخفق جيل المناضلين في الدفاع عن الثورة . لما قنعوا بالكلام دون العمل . ولكن هذا السقوط عارض فقط . مرحلة مؤقتة . سوف يتغير مصير ليلى ذات يوم . ستخرج من اطار الشركس والكهنة ، ستحب في يوم قادم رجلا غير حسام . رجلا يعرف أن اسمها ليلى . أما هو ، فليس ذلك الرجل . انما سعيد وقت مفقود بين الوقتين . ينتظر القادم .

ولهذا القادم ، يترك سعيد خمسة أيام من الشعر العذب يناجي فيها ذلك الثائر المقاتل المنتظر : ويتقدم له بالوصايا ، ويكون آخر ما يقول له في اليوم الخامس :

يا سيدنا . . الصبر تبدد
والليل تمدد

يا سيدنا اما أن تدركنا قبل الرعب القادم
أو لن تدركنا بعد .

ويجعل سعيد عنوان قصائده الخمس هذه : « يوميات نبي مهزوم ، يحمل قلما ، ينتظر نبيا يحمل سيفا » . والعنوان يصف بدقة الخط المحوري في المسرحية هزيمة المثقفين الثوريين على

اختلاف اتجاهاتهم وتباين أساليبهم في العمل . حسان ، الذي يحمل في جيب قلما يتسكع به مع الزملاء في رياض الكلمات ، وفي جيب آخر يضع مسدسا ، هو وحده الذي يجد فيه طريق الخلاص . فالكلام غير مؤد . انما العنف هو السبيل . وزياد الذي يؤمن بمبادىء الثورة ايمانا رقيقا ، يهتز لأول اغراء . تصفه زميلته حنان بأنه : « ثوري ومنافق ، ينسى مبدأه في خفي أول أنثى يلقاها » . وكان زياد قد فتن فتونا لما رأى سيدة ثرية وذكية ومثقفة وجميلة ، فقال لنفسه : ألمس هذا الجسد الشمعي المتألق . . . أنتقم لجمع الفقراء المرهق من عزة هذا التمثال الشاهق . . « فاستحق اتهام حنان له بأنه نهاز فرص باسم المبادىء الثورية . وسعيد ، المهزوم ، الذي يؤمن بالثورة ايمانا حقيقيا ، ولكنه عاجز عن العمل . والأستاذ رئيس التحرير ، الذي يقود الجماعة في عطف وحب ولكنه لا يميز فيهم الخبيث من الطيب ، لا يرى الفروق الكبيرة بين حسان حامل البندقية ، وزياد حامل الثورة كرها ، وحسام ، الذي تهشم في شهرين من الاعتقال ، واندفع يعمل جاسوسا لأجهزة الأمن . كل هؤلاء في نظر الأستاذ سواء . لا غرو أن تفشل ثورته ، وتحترق قاهرته ، وتغلق مطبعته وصحيفته فيقول معلقا : هذا زمن لا يصلح أن نكتب فيه ، أو نتأمل ، أو نتغنى أو . . نوجد . « لاغرو أن وضع الأستاذ في غرفة التحرير الى جوار صور لبعض قادة النضال القومي لوحة دون كيخوته ، فارس الأقوال ، الذي يسلمه الخبل الى الجنون وهو يسعى لتغيير المجتمع ، لاعادة الحق والخير والجمال والفروسية الى عالم ماتت فيه هذه القيم منذ زمن .

حينما تحترق القاهرة يصاب الجميع بضربة قاتلة . زياد كان في دار بغاء ، فأسلمه الشعور بالعار الى أن يقسم على ألا يكتب حرفا من بعد . . وسلوى تأتي مودعة . لن تتزوج من حسان كما كانت تعتزم . ستتزوج السيد

المسيح ، فهي على دينه ، لذلك تترك عالم حسان الذي تراه قد مات ، وتذهب الى الدير ويذهب زياد ومعه حنان الى بلدة صغيرة ليشرفا على روضة أطفال . ويدخل سعيد السجن متهماًبمحاولة قتل حسام . وبهذا ينتهي عمل هذا الجيل المملوء بمن ماتوا قبل الموت .

قلت آنفا ان صلاح عبد الصبور رسم لوحته على قماشين من أقمشة شوقي واليوت . وأضيف أنه في هذه المسرحية بالذات يختار كثيرا من اتجاه اليوت لاستخدام الشعر في أغراض الدراما .

لقد أفلح عبد الصبور في خلق الشعر الدرامي في مسرحيات أخرى له : مثل : « الحلاج » و « الأميرة تنتظر » و « عندما يموت الملك » . غير أن هذه المسرحيات الثلاث تتراوح في موضوعاتها بين التاريخ والاسطورة . أما في « ليلى والمجنون » فان صلاح عبد الصبور يماشي اتجاها لمعلمه اليوت ، كان يقضي بتبسيط الشعر الدرامي وجعله يرن في الأذن مثلما ترن كلمات المسرحية النثرية ، دون أن يفقد صفته كشعر .

كما كان ينحو ذلك الاتجاه الى اختيار الموضوعات المعاصرة مادة للمسرحية الشعرية قصد الوصول بالمسرح الشعري الى جمهور أوسع . من أجل هذا كتب اليوت : « حفلة كوكتيل » و « السكرتير الخاص » في محاولة لبلوغ هذا الهدف .

وقد أضاف عبد الصبور الى وسيلتي التبسيط وعصرية الموضوع ، عنصرا ثالثا هو : لحم موضوع « مجنون ليلى » بموضوع « ليلى والمجنون » ـ وقد تم هذا اللحم بما تقدم ذكره من علاج الموضوع ، أما في الشعر فان الاختيار الذكي لمسرحية شوقي لتخرجها فرقة الأستاذ ، بجهود نفر من زملائه الثوار ، قد أتاح لشعر شوقي العذب أن ينساب في هدوء ورقة وجذل في أمواه شعر عبد الصبور . . . فاذا أمواه الشاعرين تختلط وتمتزج وتلتحم ، واذا بنا نتبين ـ حقا وصدقا وعملا ـ أن الشعر يكون جيدا ، اذا كان جيدا بالفعل ، وليس اذا ماصب في قالب جديد أو قالب قديم[1] فكل ما ولد شعرا فهو شعر ، أيا كان الوالد وتاريخ الميلاد . □□

---

(١) هذا رأي الكاتب في مسألة طال فيها الخلاف بين أنصار الشعر العمودي وغيرهم . (العربي)

بقلم : محمد شمس الدين

من المسلّم به ان الحقوق على اختلاف أنواعها ، هي منحة من الشارع خصّ بها الافراد والجماعات لتحقيق غايات اجتماعية ومصالح مشروعة . هذه الحقوق يجب استعمالها وفق الغاية التي أرادها الشارع لها . . . فلا مجال إذن لاضفاء طابع الاستبداد والاستئثار على بعض أو كل تلك الحقوق . . .

إذا عدنا الى أيام الرومان نرى أن القانون المدني اعتمد فكرة السلطة المطلقة في ممارسة الحقوق . (كالسلطة غير المقيدة في حق الملكية ، وسلطة الأب على اولاده . . . الخ) ومما يؤيد ذلك آراء فقهائهم :

فالعالم الكبير كايوس CAIUS يعتبر انه ليس بالمعتدي من يستعمل حقه . والفقيه المعروف بولس POLES يؤكد : انه لا يأتي عملا ضارا الا من يعمل بدون حق .

وفي عهد القانون الفرنسي القديم الذي سادته النزعة الفردية ، لم يكن استعمال الحقوق مقيدا إلا في نطاق ضيق : اذا كان القصد من الاستعمال الاضرار بالغير ، او اذا تخلفت المنفعة الجدية التي تعود على صاحبها .

يتحصل مما تقدم أن التقييد باستعمال الحقوق وفق غاياتها لم يكن معروفا في الأزمنة القديمة ، ولم تكن بالتالي نظرية : « مدى استعمال الحق وما ينتج عنه من تعسف » قد تكونت على النحو

المعروف في الزمن الحاضر .

وقد جاءت الشريعة الاسلامية ترسي الأسس في نظرية « استعمال الحق والتعسف في الاستعمال » وفق معطيات الحقوق وخصائصه ، ووجدت تلك النظرية مجالا رحبا في هذه الشريعة ، شريعة البر والرحمة التي تنهى عن الظلم والتعسف .

[دراسات الفقهاء المسلمين]

واذا عدنا الى دراسات العلماء والفقهاء المسلمين ، يتبين لنا بصورة جلية أن الأئمة الاولين وأخصهم أبو حنيفة ومالك ، ركّزوا على الغاية التي ترمي اليها الحقوق وبالتالي على تحديد المدى الذي يقتضي عدم تجاوزه ، ورأى الامامان الغزالي وابن القيم وجوب تقييد الحقوق واستعمالها بحسب الغرض الاقتصادي والاجتماعي (وهما هدف الشريعة أصلا) وقالا بوجوب الأخذ في سبيل ذلك بفكرة « النيّة » وانه بالتالي يقتضي استعمال الحق بحسب الغرض منه ، فاذا استعمل الحق بقصد الاضرار بالغير او اذا لم يترتب على استعماله نفع وتولد عنه ضرر للغير او للمجتمع ، فيعتبر ذلك الاستعمال تعسفيا يوجب التعويض .

وفي استعراضنا لبعض نصوص القواعد الكلية من مجلة « الاحكام العدلية » التي استمدت أكثر أحكامها من الفقه الحنفي ، والتي كانت بمثابة قانون مدني في العالم الاسلامي .. تتضح معالم نظرية « التعسف باستعمال الحق » ، فمن هذه القواعد :

الضرر يزال - لأن الضرر مفسدة والاصل أن كل مصلحة لأحد تحقق ضررا لآخر ، يوجب الشرع منعها ازالة لذلك الضرر .

لا ضرر ولا ضرار - أي انه لا يجوز ايقاع الضرر بآخر ولو كان بسبب استعمال حق ، ولا يجوز مكافأة الضرر بضرر ولو كان بسبب استعمال حق ايضا .

الضرر العام يدفع بالضرر الخاص - كمنع الاحتكار واجبار العمال على العمل لأنه وان كان في ذلك منفعة شخصية للفرد الا ان حق المجموع أولى بالرعاية .

درء المفاسد أولى من جلب المنافع - اي اذا تعارضت مفسدة ومصلحة يقدم رفع المفسدة لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات ، ومما يتفرع عن هذه القاعدة ان الرجل يمنع من التصرف في ملكه اذا كان تصرفه يضر بجاره ضررا فاحشا لأن درء المفاسد عن جاره أولى من جلب المنافع لنفسه .

اذا تعارض المقتضي والمانع يقدم المانع - أي انه لا يسوغ لأحد التصرف في ملكه اذا كان يضر جاره ضررا بيّنا مثل اذا كان العلو في البناء لشخص ما والسفل لشخص آخر فلا يجوز لأحدهما ان يهدم او يفعل شيئا من ملكه مما يضر بالآخر الا باذنه .

[إنما الأعمال بالنيات]

وقد أشاد الفقهاء الغربيون بالفقه الاسلامي وبرقيّه وتقدمه في تكريسه لنظرية التعسف باستعمال الحق . ولابد من الاشارة الى التوسع في مفهوم تلك النظرية مما ذكره أحد فقهاء الاندلس ابراهيم بن موسى اللخمي الملقب « بأبي اسحاق » الشاطبي في كتابه « الموافقات في أصول الشريعة » حيث اعتنق النظرية المعنوية في استعمال الحق التي تقول : يمنع العمل ولو كان مباحا اصلا متى انطوى على قصد الاضرار بالغير ... تخريجا من الحديث الشريف : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » .

مجال تطبيق النظرية :

طبق علماء الشريعة مضمون نظرية التعسف باستعمال الحق في مجالات متعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ في مجال المصلحة العامة :

قرر الفقيه ابن القيم الجوزية الالزام بالبيع عند حبس السلع منعا للاحتكار ، وان كان الظاهر اطلاق حق مالك السلعة في بيعها أو حبسها كما يشاء : كما قرر ان يلزم صاحب الارض بزرعها اذا أهملها ، ليستفيد الناس والمجتمع وينتعش الاقتصاد مع ان الظاهر هو ان يبقى الانسان حرا في ان يعمل او لا يعمل . .

٢ ـ في مجال الحقوق المدنية :

قضى عمر على محمد بن مسلمة بمرور الماء في أرضه لمصلحة جاره مادام لا يتضرر ، وقد قال لابن مسلمة حين تشدد في المنع : والله ليمرّنّ به ولو على بطنك ! . . .

٣ ـ في مجال حقوق الجوار :

جاء في الحديث النبوي : لا يمنعنّ أحدكم أخاه من أن يغرز خشبة في جدار بيته .

وجاء في مدونة الفقه المالكي : يمنع الجار من بناء بئر في داره اذا كان يضرّ ببئر جاره . جزء ١٥ ـ ١٣٧ .

٤ ـ في مجال الأحوال الشخصية :

أ ـ يمنع الاب من ضرب ولده استعمالا لحقه في تربيته وتأديبه ضربا مبرحا ، أيا كانت الغاية أو الباعث ، لأن الضرب مفسدة لا يبررها أي نفع يترتب عليها .

ب ـ تنقل سلطة الطلاق من يد الزوج المضارّ الى القاضي بالتفريق حين يسيء الزوج استعمال حقه من حيث ان بيده عقدة النكاح .

ج ـ يمنع الولي من عضل موليته ، أي رفض تزويجها اذا وجد الكفء المناسب ، بدليل اعطاء الحق للمرأة المعضولة في ان تتقدم الى القاضي فيزوجها جبرا عن وليّها .

بقي أن نشير الى أمر هام يتعلق بالجزاء على سوء استعمال الحقوق وفق منظور الشريعة الاسلامية .

لقد تفردت الشريعة الاسلامية بأنها شريعة مدنية ودينية ، وبناء على ذلك فقد جمعت في اطار منع التعسف بين نوعين رئيسيين من الجزاء ، الجزاء الدنيوي الذي تعتمده الشرائع الوضعية ويتمثل في التعويض عن الضرر عينا كان أو بدلا ، والجزاء الأخروي الذي يمسّ شغاف الضمير ترغيبا وترهيبا يكفل ضبط الحياة الانسانية وحمايتها من الانحراف . □□

سخرية بشار

* دخل بشار بن برد على المهدي وعنده خاله يزيد فأنشده قصيدة يمدحه فيها ، فلما أتمها قال له يزيد :

ـ ما صناعتك أيها الشيخ ؟

ـ فقال بشار : أثقب اللؤلؤ !

ـ فقال المهدي غاضبا : « أتهزأ بخالي » ؟

ـ قال بشار : يا أمير المؤمنين ، ما يكون جوابي له وهو يراني شيخا أعمى أنشد شعرا !

فضحك المهدي . . .

فيا كبدي

شعر : سعيد قندقجي

« مهداة الى كل أب يعود بأبنائه الى قاعات الامتحان » .

أعدت اليّ يا نسوى[1] سبابي ... وما أُنسيت من زمن العذاب
رجعت الى الليالي اللواتي ... عرفت بجدبها ظمأ السراب
أخوض بك امتحاني من جديد ... وأدخل من نجاتي في عبابي
كأني فيك من أمل وخوف ... أعود الى سكوني واضطرابي
فأنت أنا أعينك في ذهاب ... على درب الطموح وفي اياب
أخاف عليك لو سألوا سؤالا ... لطرتِ الى رحابك بالجواب
بعيد عنك والأسوار دوني ... ولكنّي كجفنك باقترابي
أنا المشدود نحوك ، كل سطر ... يجود به يراعك في حسابي
وأسعى بالخيال اليك حتى ... أراك فاستقر بكل ما بي
دعوت الله في علني وسرّي ... لعلك تهتدين الى الصواب
وكفكفت الدموع ولست أدري ... أمن فرحي بكيت أم انشعابي
فياكبدي نذرت لك الأماني ... ويا أملي غفرت بك اغترابي
وسوف أراك أكبر من رجائي ... وأحتضن السعادة في اهابي
وان ضن السحاب على ضلوعي ... فأنت على الرضا فيض السحاب

---

(١) نسوى ابنة الشاعر . وهذه الأبيات من وحي دخولها قاعة الامتحانات للشهادة الثانوية .

حكاية رجل يرفض الموت !

أول مواطن عربي يعيش بقلب مزروع

بقلم : منير نصيف
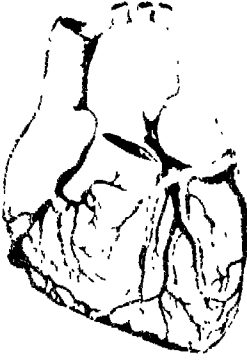
☐ هذه قصة رجل اراد الحياة . قال له الاطباء انه سيموت بعد ستة أشهر ولكنه صمم على أن يعيش . رفض الموت . وسافر يحمل قلبه المريض باحثا له عن شفاء . ما قصته . وكيف بدأت ، وكيف كانت النهاية ؟

مع بداية العام الجديد كان لقاؤه بالأرض التي تركها منذ أكثر من سنة كاملة . . كانت رحلة طويلة مع الموت ، وما زالت ذكرياتها محفورة في رأسه وصدره .

وإنحنى يقبل تراب الأرض التي أحبها والتي احتضنت طفولته وصباه وابناءه الكبار والصغار ، هؤلاء الذين لم تغب صورتهم عن مخيلته لحظة واحدة طوال الشهور التي أمضاها في صراعه مع المرض والموت . .

من هو ؟ انه أول مواطن عربي يعيش بقلب مزروع . . إسمه صالح الفهد كويتي الجنسية في السابعة والأربعين من عمره ، وهو زوج لامرأتين وأب لستة عشر ولدا وبنتا ، اكبرهم في الخامسة والعشرين وأصغرهم لا يزيد عمره عن سنتين . إنه وحيد والديه ، زوّجوه في سن مبكرة ، كما كان يفعل الوالدان في مجتمعنا العربي المحافظ أيام زمان ، وهو في السادسة عشرة ، وأحب الحياة وتعلق بها ، ولم يفقد الأمل لحظة واحدة في يومه وفي غده ، حتى عندما أصبح كل شيء غارقا في الظلام من حوله !

لقد عاد صالح الى بلده والى أسرته يحمل في صدره « قلبا جديدا » ويبدأ حياة مع الذين أحبهم وأحبوه . .

WHOM IT MAY CONCERN

Sincerely,

الى من يهمه الأمر

السيد / صالح الفهد أجريت له عملية زرع قلب في الكلية الطبية بفيرجينيا ، وقد تماثل للشفاء بصورة تبعث على الاطمئنان وسمح له بالخروج من المستشفى والعودة الى بلده ، الكويت ، وهو يستطيع أيضا أن يعود الى عمله
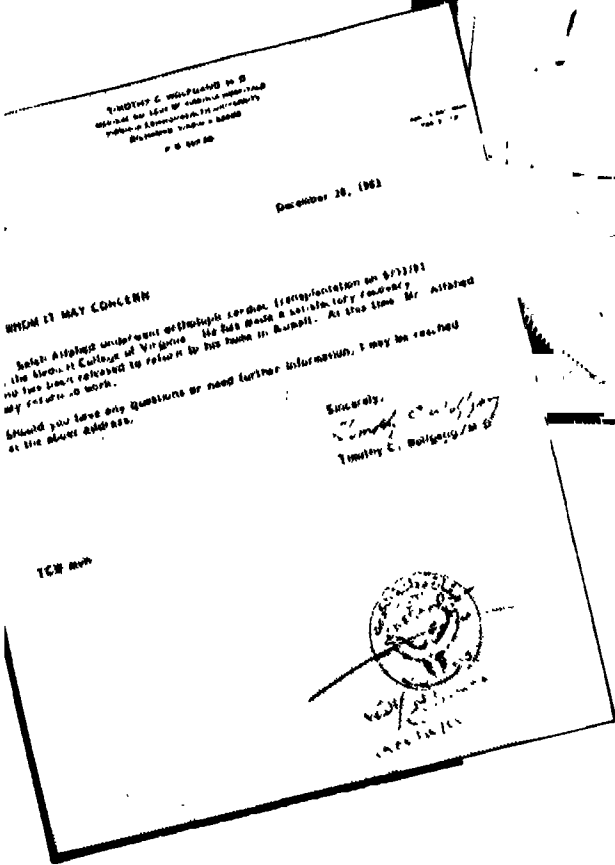
صالح الفهد . في بيته يحكي قصته مع المرض والأمل الذي عاش معه ولم يتحل عنه لحظة واحدة .

في بيت صالح

ذهبنا للقائه في بيته .. البيت الذي غاب عنه شهورا طويلة .. بل هي سنوات في حسابه هو .. فقد كانت كل ساعة تمر عليه وهو راقد على فراش الموت تبدو وكأنها دهر .

وصافحنا مرحبا .. ولم نصدق أن هذا الرجل الهادىء الذي يقف أمامنا ، ويدعونا الى الذهاب معه في رحلته الطويلة مع المرض ، هو بطل قصة هذا الصراع مع الموت .. فقد كان يبدو في صحة طيبة مثله مثل أي رجل عادي في

(الى اليمين) صالح مع اربعة من أطفاله . . كانت عودته الى بيته وبلده مع أول يوم في العام الجديد . وكان لقاء حارا بالدموع والقبلات . . . لقد انتصرت ارادة الحياة .

الى اليسار صالح يحمل أصغر انجاله « من أجلك عدت . . ومن أجلك انت واخوتك سأعيش باذن الله » .

« تحت » صالح مع زوجته الثانية بورية . . وحديث عن الايام العصيبة التي عاشها بين الموت والحياة . . الأيام التي ولت ولن تعود .

مثل سنة ، وكان ممتلئا بالحياة والأمل ، والحب الذي يوزعه على ابنائه الصغار الذين كانوا يلتفون حوله ، ويرفضون أن يتركوه لحظة واحدة مع ذكرياته التي مضى يرويها لنا .

قال صالح : « لقد ولدت من جديد . . ولكنني أشعر انه يعيش معي ، في داخلي ! »

قلت من ؟

قال : « الشاب الذي مات واعطاني قلبه ، ومنحني عمراً جديداً !

ولنبدأ القصة من أولها . . ما هي حكاية قلب صالح . ومتى بدأت متاعبه ؟

منذ عام ونصف تقريبا بدأت قصة صالح مع قلبه المريض . . كان في مكتبه بشركة المشروعات السياحية ، حيث يعمل أمينا للصندوق . . ولم يكن يشعر بشيء غير عادي في ذلك اليوم من أيام الصيف الحارة . . ولكنه فجأة ، وقبل أن ينتهي يوم العمل بنصف ساعة تقريبا داهمته الأزمة . أحس صالح بثقل غير طبيعي فوق صدره ، وعرق غزير يتصبب من جبينه ، وألم شديد في كتفيه ، وما لبث أن سقط على الارض مغشيا عليه . . وحمله زملاؤه الى أحد المستوصفات القريبة . ولكنه لم يبق فيه طويلا ، فقد اكتشف الأطباء هناك أن حالة صالح خطيرة ، وانها تستوجب نقله الى المستشفى ليكون تحت رعاية الاخصائيين في أمراض القلب .

جلطة في القلب

ونقلوه الى مستشفى مبارك الكبير ، وهو أحد أحدث المستشفيات الموجودة بالكويت وأكبرها ، وقرر الاطباء بعد فحصه ، أن يوضع فورا في غرفة العناية المركزة لمدة خمسة أيام ، ثم نقلوه بعدها الى الجناح الخاص لعلاج مرضى القلب . . لقد أصيب صالح بجلطة في القلب .

وفي الجناح بقي صالح تحت رعاية الاطباء لمدة اسبوعين ، قرروا بعدها أنه يستطيع العودة الى بيته وأولاده والى عمله ايضا ، ثم أكدوا له انه تم شفي تماما من مرضه ، وانه استعاد صحته ، ومنعوه من التدخين ، فقد كان صالح يدخن بشراهة أكثر من ستين سيجارة يوميا .

حدث هذا في اليوم العشرين من شهر اغسطس عام ١٩٨٢ . . ويبدو أن صالحا كان ما زال يشعر بالألم يمزق قلبه المريض بعد خروجه من المستشفى ، فهو يقول : « لم أحس بالشفاء الذي توقعه الأطباء . . ولاحظت أن هناك أوراما غير طبيعية في قدمي ، وكنت أشعر بضيق شديد في التنفس ، وانتابني الأرق ، فقد أصبحت أجد صعوبة في النوم ، وبالرغم من هذا كله ، مضيت أواظب على الذهاب الى عملي ، واحاول جاهدا أن أطرد الهواجس التي كانت تستبد بي ! »

ولكن صالحا ما لبث أن أحس في النهاية بأنه ينتهي . كان يحس بأنه يقترب كل يوم من الموت ، كان وجهه بادي الشحوب ، ولم يكن في حاجة لأن يقول لزملائه في العمل انه متعب وأنه مريض . . فقد كانت آثار كل هذا واضحة امام كل من يلقاه . . ونقلوه مرة أخرى الى المستشفى . . في هذه المرة اختاروا له مستشفى الصباح ، حيث أشرف على فحصه وعلاجه أحد كبار الاخصائيين في أمراض القلب .

ومن اللحظة الاولى . . اكتشف الطبيب انه أمام حالة خطيرة للغاية ، وان حالة المريض تزداد سوءا يوما بعد يوم ، ولكنه لم يشأ أن يصارح مريضه بخطورة حالته رحمة به وشفقة عليه .

ستموت بعد ستة أشهر !

الى أن جاء أحد الأطباء يوما ، ونقل اليه الحقيقة التي حاولوا اخفاءها عنه بعد تردد طويل : « لا أخفي عليك أن حالتك خطيرة

جدا ، وانك لن تعيش لأكثر من ستة أشهر ! »
ما أقسى أن يعرف الانسان متى ستجيء نهاية رحلته على الارض !

يقول صالح : « في تلك الليلة لم يغمض لي جفن . . فقد كنت أعيش بقلبي المريض مع أولادي . . كيف اتركهم وأرحل . . لا . . لابد أن أعيش . سأفعل كل شيء وأي شيء من أجلهم . . انني مؤمن بالله ورحمته ، ولن اتخلى عن ايماني مهما حدث . . ووسط الهدوء الذي خيم على المستشفى وأنا راقد على فراش الموت أفكر ، خطر لي خاطر ، كان بالنسبة لي الخيط الرفيع الذي بعث الأمل من جديد في صدري المثقل بالهموم والأحزان ، قلت لنفسي : « لماذا لا أذهب الى الولايات المتحدة الامريكية ، أطلب العلاج في أحدى مستشفياتها المتخصصة ؟ من يدري!؟ فربما أجد عندهم الدواء لهذا الداء الذي يتهدد حياتي .

ولكن لماذا امريكا ؟ لأن لي إبن عم في واشنطون يقيم هناك للدراسة . وهو ضابط في الشرطة ويعد لنيل درجة الدكتوراه في علم الجريمة . وحزمت أمري وحملت حقيبة ملابسي وسافرت . . »

وارهقتني الرحلة بالطائرة . . فقد كانت رحلة طويلة شاقة ، إستغرقت أكثر من خمس عشرة ساعة متصلة . . وكان إبن عمي في إنتظاري في المطار ، وحملوني الى مستشفى واشنطون على كرسي متحرك . .

وهناك . . في هذا المكان البعيد عن الأسرة والاهل والاحباب ، بدأت رحلتي مع الموت ! »

حالة ميئوس منها

كانت حالة صالح ميئوس منها تماما . . فقد اكتشف الاطباء بعد الفحوصات الدقيقة التي أجريت له واستغرقت أكثر من عشرة أيام كاملة أن عضلة القلب تالفة تماما ولا سبيل لعلاجها ، وأن الامل الوحيد الباقي امامه يكمن في زرع قلب جديد .

ولكن من أين يأتي هذا القلب الذي سينقذه من موت محقق ؟ وكيف يأتي ؟ ومتى ؟ كلها أسئلة بقيت تعيش معه ومع قلبه العليل ، الى أن جاءت المرحلة الحاسمة من حياته التي كانت قد أوشكت على الانتهاء .

لقد قال له الاطباء انه لابد من نقله الى أحد مراكز القلب في الولايات المتحدة الامريكية . ولكن كيف ؟ ان حالته لا تسمح له بالتحرك . ان أي مجهود يقوم به قد يعرضه للموت . وكانت مشكلة . واستعان الاطباء بطائرة هليكوبتر . كانت عبارة عن مستشفى صغير طائر . يحتوي على كل المعدات والاجهزة الخاصة بالانعاش ومواجهة حالة الطواريء . . وكانت الرحلة قصيرة بين مستشفى واشنطون ومركز القلب بمدينة ريتشموند بولاية فيرجينيا . . فالمسافة بينهما لا تزيد عن مائة كيلو متر قطعتها الطائرة في ثلث ساعة .

البحث عن قلب لصالح

ووصل صالح سالما . . وهناك في مركز القلب وجد فريقا من الاخصائيين في استقباله ، ونقلوه فورا الى غرفة الانعاش . . ثم بدأت رحلة البحث عن القلب الذي سيعيده الى الحياة . . وعلى الفور بعث المركز باشارة الى جميع مراكز زرع القلب في الولايات المتحدة الامريكية : « عندنا مريض في حاجة الى قلب سليم لزراعته » .

ويقول صالح في تأثر واضح : « أنا مدين بحياتي للوالد الكبير أمير الكويت . وللشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد ، وللشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء . . وتسألوني كيف ؟ فأقول لكم ان مركز زراعة القلب طلب مني أن أضع في حسابي في أحد المصارف الامريكية مبلغا يوازي المائة الف

الاستاذ الدكتور عبد الرزاق اليوسف يجري الفحص الطبي الاسبوعي الذي يخضع له صالح الفهد مرة كل اسبوع ، وهو يؤكد أن حالته طبيعية وليست هناك أية مضاعفات .

(الى اليسار) الدراجة في البيت . . انها جزء هام من التمرينات الرياضية التي يقوم بها صالح . . وحديث بينه وبين أحد أبنائه : « هل تسمح لي بأن أقود دراجتك يا أبي ؟ » .

(الى اليمين) صالح يمارس الرياضة البدنية كجزء من العلاج الذي أوصى به الاطباء . . انه يعيش حياة طبيعية ، ويقود سيارته ويذهب الى السوق . . . ولا ينسى العقاقير التي يتعاطاها في موعدها .

دينـار ، لدفـع نفقات الجـراحة الخـطيـرة التي ستجرى لي في حالـة العثور عـلى القلب الذي سيتم زرعه بدلا من قلبي التالف ، ثم ما سوف يتبع ذلك من علاج طويل ، عندمـا يتم اجراء العملية بنجاح !

« ولم أكن أملك هذا المبلغ الهائل ، فأرسلت الى احـدى شقيقاتي الأربـع في الكويت أطلب اليها أن تقترض المبلغ من أحد البنوك بضمـان العقار الذي أملكه وفعلت ووصل المبلغ أخيرا

مدين لهم بحياتي

ولكن القصة لم تنته ، فقد علم سفير الكويت في واشنطون الشيخ سعود عبدالعزيز الصباح بالمأساة التي أعيشها وأنا راقد على الفراش بين الحياة والموت . . وكيف أن أهلي حوَّلوا اليَّ كل ما أملك ، حتى أستطيع أن اقوم بسداد نفقات العلاج ، وسارع بإرسال تقرير واف الى الشيخ صباح الاحمد ، الذي نقل قصتي كاملة الى مجلس الوزراء في أول اجتماع له . ثم فاجأني السفير بالقرار الـذي كان لـه أعظم الاثـر في نفسي : « لقد قرر أمـير الكويت وولي العهـد والشيخ صباح الاحمد دفع نفقات علاجي كاملة من مالهم الخـاص » يـومهـا دمعت عينـاي وأنـا أدعـو لاصحاب هذه القلوب الرحيمة .

ونعـود الى قصة صـالح . . لقـد بقي تحت المراقبة الدقيقة في انتظار العثور على قلب ، مدة تزيد على الخمسة والعشرين يومـا . . وعندمـا ازدادت حالته سوءا في الأيام الخمسـة الاخيرة وضعوا له قلبا صناعيا . . وبدأ العد التنازلي . . كانت كل ساعة تمر تعني أن صالحـا يقترب من نهايتـه . . ولم يبق من الـوقت الـذي حـدده الجراحون لبقائه عـلى قيد الحيـاة أكثر من اثنتي عشرة ساعة ، بعدها لن يكون صالح هناك في انتظار زرع قلب جديد له .

في اللحظات الاخيرة

وفجـأة ، وقبـل انقضـاء هـذه السـاعـات القصيرة التي تبقت له قبل أن يودع الحيـاة . وفي السـاعة العاشرة والنصف مساء . . ووسط السكـون الذي خيم عـلى مركـز زراعة القلب والظلام يلفه في دفء أشهـر الصيف . . تلقى المركز الاشارة التي كان الجراحون ساهرين في انتظارها : « لقد انتزعنا قلبا سليما من جثة شاب أمريكي عمره ٢٦ عاما ، لقى حتفه في حادث سيارة . !» وقد كان الشاب المسكين متبرعا قبل وفاته طبعا ، بكل اعضاء جسمه لانقاذ حياة أي مريض في حاجة الى أي منها .

ويقول صالح : « كان اليوم هو يـوم الاحد الثالث عشر من شهر يونيـو من العام المـاضي ١٩٨٣ . . انني لن أنسى هــذا التـاريـخ مـا حييت » .

وعلى الفور إنتقل طبيبان من المركز الطبي الـذي أرقد فيـه بـطائـرة هليكـوبـتر لاحضـار القلب . . قلب الشاب الذي مات ليهب غيره الحياة . . !

الجري رياضة يمارسها صالح يوميا . انها جزء مكمل للعلاج الذي يخضع له

. . ونجحت الجراحة !

« وبدأت الرحلة تصل الى خاتمتها . ترى كيف ستجيء النهاية ؟ هل تنجح الجراحة واعود الى الحياة مرة أخرى ؟ وفوجيء إبن عمي الرائد محمد جبر الفهد بالجراحين يطلبون منه إقرارا باجراء العملية الجراحية على مسؤوليته ، فقد كانت حالتي لا تسمح باجراء العملية ، وكان الجراحون يشعرون أنها حالة ميئوس منها كان جسمي كله قد تحول الى كتلة سوداء يابسة لا يبدو في أي جزء منه أي أثر للحياة . حتى عروقي جفت من الدماء ! »

« وقال إبن عمي انه ميت ميت اقدموا على اجراء العملية على مسؤوليتي . . » ووقع الاقرار .

وبدأ عشرة من كبار الجراحين في المركز اجراء العملية . . خمسة منهم كانوا يقومون بالجراحة بالفعل بينما وقف الخمسة الآخرون يشرفون عليهم .

ونجحت العملية . وبدأ القلب المزروع ينبض في صدري . . وشيئا فشيئا بدأت أشعر بالحياة تعود اليَّ من جديد .

ووجدتني أعود الى صاحب القلب الذي وهبني الحياة . من هو . . ؟ لا أدري . . ما اسمه ؟ لا اعرفه . . حتى أهله لا اعرف شيئا عنهم ، فقد رفضت ادارة المركز أن تذكر لي أي شيء يمكن أن يقودني اليهم حتى أقوم نحوهم بما يستحقون مني . . انني ادعو لهم ليل نهار وأطلب الرحمة للشاب المسكين الذي ذهب وقلبه ما زال معي ينبض بالحياة في صدري وبين ضلوعي .

الاستاذ الدكتور عبد الرزاق اليوسف ، وكشف دقيق على كل جزء من أجزاء جسم صالح في مستشفى مبارك الكبير . أحد أحدث مستشفيات الكويت

العودة الى تراب الوطن

هل انتهت رحلة صالح لا . . ليس الآن . فقد بقي في المركز بعد اجراء العملية لمدة أربعة أشهر كاملة تحت العلاج ، والمراقبة الدقيقة ، بعدها سمحوا له بالخروج ولكنهم لم يسمحوا له بالعودة الى بلده وأهله ، لقد طلبوا اليه أن يستمر في التردد على المركز ثلاثة أشهر أخرى بمعدل مرة كل أسبوع . . أو كل يوم خميس على وجه التحديد . وذهب صالح ليقيم مع إبن عمه بشقته في واشنطون ، وكانا يقطعان المسافة بالسيارة بين واشنطون ومركز القلب في ريتشموند في ساعتين ، ويبيتان في أحد الفنادق هناك بعد الانتهاء من الفحوصات اللازمة ثم يعودان الى واشنطون في صباح اليوم التالي وهكذا . .

ومرت الشهور الثلاثة وعاد صالح أخيرا الى بلده وأولاده واهله . . ليبدأ حياة جديدة بقلب جديد لا يعرف صاحبه . ولكنه يحس انه يعيش معه في داخله مع كل نبضة . .

عاد صالح ومعه العقار الجديد (سيكلو سبورين « أ ») Cyclosporin 'A' الذي يساعد الجسم على تقبل الاجسام الحيوية الغريبة . لقد أحدث اكتشاف هذا العقار ثورة في عملية زرع الاعضاء . . وعاد صالح أخيرا ليروي قصته مع الحياة والامل والمستقبل . . انها قصة رجل استطاع أن يهزم المرض ويطرد شبح الموت بفضل ارادته القوية ورغبته في الحياة

عملية زرع القلب
متى بدأت وكيف تطورت ؟

مع واحد من كبار جراحي القلب المعروفين في الكويت ، كان للعربي لقاء . انه الدكتور هاني شحيبر رئيس وحدة جاحة القلب بمستشفى الأمراض الصدرية وكان الحديث حول القلب وعمليات زرع القلب.

قال : ان زراعة القلب للانسان بدأت منذ خمسة عشر عاما . أي في عام ١٩٦٨ على وجه التحديد ، ولم تكن محاولة واحدة وإنما كانت عدة محاولات بدأت في وقت واحد تقريبا وفي عدة مراكز مختلفة من جميع أنحاء العالم . . في جوهانسبرج بجنوب افريقيا ، وفي باريس ، وفي لندن وفي ولاية كاليفورنيا وأيضا في ولاية تكساس

والواقع أن هذه السنة ١٩٦٨ ، كانت نقطة الانطلاق نحو تحقيق عملية زرع هذا العضو الاساسي الذي ينبض بالحياة في جسم الانسان وبدونه لاتكون هناك حياة .

كانت النتائج الاولى لهذه المحاولات في أواخر الستينيات ضعيفة بحيث لم تزد نسبة استمرار الحياة بعد السنة الأولى من زرع القلب عن ٤٠٪ أي أن أربعة من كل عشرة زرع لهم قلب كانوا يعيشون لمدة عام واحد ، بينما هبطت نسبة استمرار الحياة لمرضى زرع القلب بعد مرور خمس سنوات من اجراء العملية الى ٣٠٪ فقط .

واذا انتقلنا الى اواخر السبعينيات وجدنا أن عدد المرضى الذين يعيشون لعام واحد بعد عملية زرع القلب ، قد ارتفع الى ٦٠٪ بينما ارتفع عدد الذين عاشوا لاكثر من خمس سنوات الى ٥٥٪ .

أما في الثمانينيات وبعد اكتشاف عقار السيكلوسبورين « أ » Cyclosporin(A) الذي بدأ استعماله رسميا في الولايات المتحدة بقسم البحوث لمرضى زرع القلب والكبد والكلية والبنكرياس ، فقد ارتفعت نسبة الذين يعيشون لمدة عام الى ٨٥٪ ومازال الوقت مبكرا لكي أتنبأ بتوقعاتي بالنسبة لفعالية هذا العقار الذي حقق مبدئيا نجاحا باهرا منذ استعماله على مرضى زرع القلب منذ عام ١٩٨١ وماتلاه . انه لاشك قد أعطى أملا بالنسبة لمرضى زراعة القلب وبقية الأعضاء .

الدكتور هاني شحيبر جراح القلب ورئيس وحدة جراحة القلب في الكويت . « مستقبل استمرار حياة الانسان المريض بالقلب يكمن في زرع قلب صناعي »

أود أن أشير الى أن هذا العقار الجديد يستخدم الآن بحذر شديد ، نتيجة لوجود بعض المضاعفات التي يحتمل أن تظهر على المريض الذي يستعمله لفترة طويلة بعد اجراء عملية الزرع ، ولكن الذي لاشك فيه انه اكتشاف سوف يحدث ثورة في المستقبل القريب عندما تثبت فعاليته في المدى الطويل .

في هذا المجال أود أن أذكر بعض الاحصائيات عن عمليات زرع القلب في العالم .

*يقوم الجراحون باجراء ما يقارب المائة عملية زرع قلب سنويا في جميع أنحاء العالم (امريكا واوروبا وافريقيا وآسيا واستراليا)

* يوجد حاليا ما يقارب الخمسمائة مريض يعيشون بقلوب غيرهم في جميع أنحاء الأرض ، أحدهم الاخ صالح الفهد المواطن العربي الاول الذي أجريت له هذه الجراحة بنجاح وندعو الله له بطول العمر .

هناك تساؤل قد يتبادر الى ذهن القارىء وهو متى يتقرر زرع القلب للمريض وتحت أي ظروف ؟

والاجابة على هذا السؤال تتلخص في النقاط التالية :-

* المريض المصاب بهبوط حاد في القلب نتيجة لانسداد الشرايين وصغرها وعدم التمكن من زرعها

* المريض المصاب بتلف في عضلة القلب ، أو المريض الذي يعاني من الداءين معا ، ويتوقع له طبيا بأن حياته لن تستمر لأكثر من ستة أشهر .

* يفضل أن يكون سن المريض الذي ستجري له عملية زرع قلب ، بين الثانية عشرة الى الخامسة والخمسين ، ذلك لان المريض الذي يزيد عمره على الستين تكون هناك صعوبة في التئام جروحه وعودته الى الحياة الطبيعية ، خاصة عند استعمال العقاقير الاساسية في عملية الزرع ، وفي مقدمتها الهرمونات أو الكورتيزون .

* يجب أن تكون حالة المريض الصحية الذي ستجرى له عملية زرع القلب سليمة مائة في المائة أي لا يكون مصابا بمرض من الامراض الآتي ذكرها مثل : مرض السكر المزمن وخاصة الذين يعالجون بالانسولين ، والمرضى المصابين بهبوط حاد في وظائف الكبد أو الكليتين أو الرئتين ، وكذلك مرضى السرطان ، أو المرضى المصابين بارتفاع حاد في ضغط الدم الرئوي الناتج عن هبوط مزمن في القلب .

وانتقل الى نقطة أخرى أساسية :

* فقد تحدثنا عن عملية زرع القلب ، ولكننا لم نتحدث بعد عن عملية الحصول على القلب الذي سيزرع للمريض . ترى كيف نوفر هذا العضو الحيوي . ان في حالة زرع الكلية مثلا ، نجد أن العملية في حدا ذاتها لا تمثل مشكلة ، فالانسان يستطيع أن يعيش بكلية واحدة »

ونعود الى السؤال : « ما هو المصدر الذي نحصل منه على القلوب التي ستزرع لمريض القلب التالف ؟ »

تعتبر حوادث الطرق الأليمة المصدر الاساسي لهذا العضو ، بشرط الا تزيد الفترة بين استئصال القلب من جثة المتوفي في الحادث وبين زرعه في جسم المريض الذي ينتظر قلبا جديدا عن ست ساعات ، بشرط أن نحتفظ بالقلب المعد للزرع معقما في سائل طبي يحوى محلول البوتاسيوم والصوديوم في درجة حرارة لا تزيد على ٤ مئوية ، كما يشترط أيضا في القلب الصالح للزرع ألا يكون صاحبه قد جاوز سن الاربعين

وأود في النهاية أن أقول أن العقبات الاساسية التي اتفقت عليها مراكز زراعة القلب في العالم تكمن فيما يلي :

*المضاعفات الناجمة عن عملية الرفض ، واستعمال الادوية مثل الكورتيزون والسيكولسبورين « أ » cyc-losporin "A" والذي خفف الكثير من مضاعفات الرفض .. رفض الجسم لاي عضو حيوي غريب

* وهناك أيضا مضاعفات لا يستهان بها ناجمة عن حدوث التهابات في جسم المريض الذي زرع به العضو ، وخاصة عندما يتناول عقاقير الهرمونات .

* ثم لا ننسى عملية الحصول على القلب التي لا يمكن أن تتم الا بوفاة انسان اخر ، وحتى اذا توفر وهو احتمال نادر ، فهناك أسباب تحول دون الحصول عليه بسهولة . ونتيجة لذلك اتجه العلماء الى القلب الصناعي وهو في رأيي الامل للمرضى الذين يحتاجون الى زرع قلب مستقبلا .

وبالرغم من التجربة التي تمت في سولت ليك سيتي مع بارني كلارك الذي وهب نفسه لاجراء تجربة زرع القلب الاصطناعي ، وانتهت بالفشل ، الا أنها في رأيي قد فتحت آفاقا جديدة في سبيل الوصول الى قلب صناعي يمكن أن يقوم بوظيفة القلب الطبيعي ونوفر له طاقة لتشغيله على غرار الطاقة التي تقوم بتشغيل بطارية تنظيم نبض القلب pace Maker ولكن بقوة أكبر .

فلننظر الى مستقبل زرع القلب بتفاؤل .

الحمل.. والإحساس بالأمومة

بقلم الدكتور أحمد السيد طوبا

☐ كلنا يعلم أن الحمل والوضع أمران طبيعيان في حياة المرأة وهي تتقبلها بكل بساطة وهدوء ونفس راضية . فالاحساس بالامومة هو أعظم وأنبل صفات المرأة بعد الزواج .

في بعض الاحيان يختلف الواقع اختلافا بينا عما نتوقعه حيث تلعب العوامل النفسية دورا يغير ما لدينا من انطباع عن هذه الناحية ، فنجد بعض النساء يخشين الحمل ويوجسن منه خيفة فاذا حملن تملكهن القلق والذعر من طور الولادة الذي لا بد منه .

هذا الشعور اللاطبيعي مصدره سبب واحد عند نساء الأرض قاطبة وهو أبرز ما يكون عند نسائنا في الشرق العربي . . ألا وهو الجهل . ولا أقصد بالجهل عدم المعرفة بالقراءة والكتابة أي الأمية ، بل أقصد الجهل بحقائق الحياة ومظاهرها وما يطرأ عليها من تطورات في مراحلها المتتابعة ولعل الكثير منا يعرف العديد من الأمهات الأميات اللاتي أنجبن بنين وبنات أصبحوا من قادة الفكر والعلم والفن من امتنا العربية . ذلك لأنهن وان كن اميات لكنهن لم يكن جاهلات بل عرفن حقائق الحياة وبُحن بها لأطفالهن فنشئوا أصحاء جسدا وعقلا . أما الأمهات الجاهلات اللاتي لم يعرفن حقائق الحياة فبالتالي لم يكن لديهن ما يقلنه لأطفالهن سوى ربما بعض الخرافات والخزعبلات ، حتى اذا ما تعلم هؤلاء الأطفال وحصلوا مستقبلا على أعلى الدرجات العلمية فاني أقول صراحة اننا سنجد بينهم الجهلاء . . والجاهلات .

فاذا كان تزمت الآباء ورجعيتهم العمياء التي يخفونها وراء ستر مصطنع من العادات والتقاليد يسهم بقسط وافر في الابقاء على هذا الجهل وتوارثه ، فان الامهات الجاهلات هن المسئولات عن جهل بناتهن . فالثقافة الحقة والمعرفة الصحيحة والادراك السليم كلها تبدأ من البيت وتجيء بعد ذلك دور الحضانة ثم المدارس على اختلاف مراحلها التدريجية

لتواصل الرسالة وتصقلها وتهذبها وتضع لها المقاييس والمعايير لتنتج لنا في النهاية الأم المثقفة ، وليست الأم المتعلمة فحسب

ان ما تفتقده بناتنا سواء في البيت أو في البرامج المدرسية هو العلم بأنفسهن ، بتركيبهن العضوي ووظيفتهن الجنسية ، ذلك لأننا نرى في تعليمهن الجنس في مدارسنا وزرا يقرب من الكفر متناسين أن الله تعالى في كتابه العزيز قد ذكر الجنس من ذكر وأنثى وبين لنا العلاقة بين الجنسين وما يجب أن تكون عليه ، وذكر لنا الحمل والوضع بل قدم لنا سلسلة ذلك التطور العجيب الذي يحدث في منشأ الانسان مما عرف بعدئذ بعلم الأجنة .

ان الله سبحانه وتعالى لم يستح من ذكر الجنس على هذه الصورة المهذبة الواضحة ، لكننا نحن البشر نستحي من ذكر ذلك لبناتنا في البيت وفي المدرسة ، حقيقة ، أنه من العسير جدا أن نحادث الأطفال الصغار وحتى المراهقين والمراهقات والشباب عامة عن حقائق جسم الانسان والعلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى وما يتبع ذلك من حمل ووضع . وهذا هو عين النقص وبيت القصيد . اننا في حاجة ماسة لتعاون الأطباء وعلماء النفس وعلماء التربية ورجال الدين وكتاب الأطفال ليوحدوا جهودهم ويستنبطوا لنا منهجا يدرس للأمهات في مدارس محو الأمية وللاطفال وللشباب في جميع مراحل التعليم ليخرجوا لنا جيلا من الأمهات الصحيحات جسما وعقلا وعلما وثقافة ، يعرفن حقائق الجنس وحقائق الحياة فلا يصعقن للطمث عندما يقبل أو يدبر ولا يخشين الحمل عندما يحدث ولا الوضع عندما يحل . ومن ثم تتوالى الأجيال الواعية . ويكون هؤلاء الجهابذة قد وضعوا بذلك اللبنة الأولى في صرح تقدمنا ←

وسعادتنا النفسية في جميع أرجاء الوطن العربي .
والى أن يتحقق ذلك الأمل دعونا ننزل الى أرض واقعنا اليوم ونتدارس سويا العوامل النفسية التي تؤثر على الحمل والوضع .

المؤثرات الأسرية

ان العوامل الأسرية التي تتمثل في الوالدين والزوج والأخوة والأخوات وبقية أفراد الأسرة لها تأثير مباشر على الابنة الحامل أو المقبلة على الحمل . وللأم النصيب الأكبر من هذا التأثير للرغبة الخفية التي تكنها الابنة في محاكاة أمها والتمثل بها . وهذا يجعل الابنة عجينا طريا في يد الأم تشكله كيفما تشاء . فاذا زرعت الأم في قلب ابنتها الشجاعة والثقة بالنفس وافضت اليها بخبرتها في الحياة الزوجية ووصفت لها تجربتها في الحمل والوضع في صدق وأمانة ودون مبالغة أو تهويل فانها بذلك تكون قد قضت على الخوف والرهبة من المجهول الذي لا تعرفه الابنة بعد .

كما أن الابنة تشعر بالأمن والطمأنينة ما دامت أمها بجانبها تغذيها دوما بالنصح والارشاد والعطف والحنان وتؤهلها لملاقاة الحدث السعيد بأذرع مفتوحة وصدر رحب .

ولا يقل دور الزوج أهمية عن دور الأم . فاذا كان الزوج وديعا محبا راغبا بصدق في الانجاب ويقف بجانبها أثناء الولادة يشد على يدها مشجعا فرحا فان هذا يشعر الزوجة بالأمان والاستقرار وترحب بالحمل مثنى وثلاث ورباع

أما تأثير بقية أفراد الأسرة فهو لايقل عن سابقيه بل يساويها أو قد يفوقها وذلك لتعدد الأفراد ذوي التأثير .

أما اذا كان الحال على عكس كل ما تقدم وخيّم على البيت جو من النكد والكآبة والمشاحنة والشجار والتراشق بالالفاظ النابية والكنايات الجارحة فان ذلك ينعكس على نفسية الزوجة التي تتملكها التعاسة وكره حملها والتعسر في الولادة ثم نبذ طفلها واهماله .

المؤثرات البيئية

تدخل الظروف الاجتماعية والاقتصادية في عداد المؤثرات البيئية فلا شك أن الطبقة الاجتماعية التي تنتمي اليها الحامل لها أثر كبير في تكوين شخصيتها والتأثير على نفسيتها . وكذلك الموقف الاقتصادي من حيث الغنى والفقر والكفاية والعوز . لكن هذه الأمور لا تكون عادة بالجديدة على الحامل التى قد عاشتها قبل الحمل وألفتها .

أما المؤثرات المباشرة فتتمثل في الجارات والصديقات والمعارف والقابلات (الدايات)اذ نجد من بين كل طائفة من تشحن فكر الحامل بحكايات وأقاصيص عن الأهوال والمخاطر التي تعرضت لها هي أو احدى قريباتها أثناء الحمل أو الولادة مما يثير الرعب في قلب الأم المسكينة التي تستمع لهذه المآسي وهي تلعن اليوم الذي حملت فيه . والويل كل الويل اذا كانت احدى هؤلاء الجارات أو الصديقات من العوانس فالعانس لا تقر بأنهامنسيــة ولا تعترف بأنها فشلت في الاستحواذ على قلب رجل انما ـ انتصارا لكرامتها الشخصية واعتدادا بنفسها ـ تجزم بأنها قد رفضت عن عمد الاقتران بأي من الجنس الخشن حتى تتجنب مصاعب الحمل وآلام الولادة ومشاكل تربية العفاريت الصغار وتقصد الأطفال . وهنا نجد الأم المسكينة لا تلعن اليوم الذي حملت فيه فحسب بل تلعن كذلك اليوم الذي تزوجت فيه .

أما القابلات فدورهن خطير للغاية . انهن يوحين الى الأم الصغيرة في خبث ومكر وبطريق

غير مباشر أنهن وحدهن « العالمات ببواطن الأمور » حتى يصرفن ذهن الأم عن استشارة طبيب أو زيارة عيادة لرعاية الأمومة والطفولة أو اللجوء لمستشفى تخصصي . وتطعن احداهن في كفاءة كل هؤلاء وتختلق الأكاذيب والأقاصيص الوهمية لتؤيد أقوالها وتعزز وجهة نظرها حتى تنفرد وحدها بمهمة رعاية الأم طوال مدة الحمل وتضطلع هي بعملية التوليد .

وحتى المتعلمات لم يسلمن من ارتكاب تلك الأخطاء التي يقع فيها غيرهن من الجاهلات سواء عن عمد أو بحسن نية . فالمتعلمات يدفعهن الغرور الى ابتكار مصاعب لا وجود لها ولا تستند على أساس رغبة منهن في الاستحواذ على اعجاب الأمهات الصغيرات ، وهن بذلك يستعرضن علمهن وثقافتهن فيعلو قدرهن في نظر الأمهات الصغيرات .

وهكذا نرى من كل ما تقدم كيف تهوى المطارق على رأس الأم الصغيرة فتحطم نفسيتها وتفتت معنويتها وتتركها حطاما نهبة للهواجس والأوهام . فهل نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه العوامل الهدامة ؟ اذن ما هو الحل ؟ وهنا نعود من حيث بدأنا وننادي بتضافر جهود المختصين الذين ذكرتهم آنفا ونحثهم على اقرار منهج دراسي يجنب أجيالنا الصاعدة التعاسة والشقاء .

وقبل أن أترك هذا الموضوع أود أن أذكر نقطة تركتها للنهاية وقد آن وقتها فأقول ـ ارضاء لضميري واحقاقا للحق ـ اننا نحن الأطباء نرتكب نفس الأخطاء التي عددتها سواء في عياداتنا الخاصة أو في مراكز رعاية الطفولة والأمومة أو في المستشفيات الخاصة والعامة خصوصا مع الحامل المنهكة القوى التي تسير في بطء فتستحثها (التومرجيات) على الاسراع بألفاظ جافة وأوامر صارمة . وفي المستشفى ترقد الحامل في فراشها لترى الأطباء يغدون ويروحون وقد عبست وجوههم وتجمدت أساريرهم بينما الممرضات المقنعات يسرعن الخطى هنا وهناك فيزدن من التهاب الجو وتترجم الحامل المسكينة كل ذلك بأن هناك خطرا ما فتضطرب ويساورها القلق والخوف . وعلى النقيض من هذه الصورة المفزعة فقد نرى طبيب الامتياز يسير في العنبر في زهو وخيلاء فاذا تكرم وخاطب احدى النزيلات فانما في صلف وكبرياء ويرسل (الحكيمة) لتكشف على الحامل وتخطره بمدى تقدمها نحو الولادة مع أن ذلك هو واجبه هو . . . . والى غير ذلك من مظاهر التعسف والاهمال واللامبالاة .

لكن . . كيف يتفاعل جسم الحامل مع كل هذه المؤثرات النفسية وما هي مظاهر هذه الانفعالات وكيف تنعكس في صورة أمراض أو نكسات ؟ .

ان أهم ما تخشاه الحامل أثناء حملها والى أن تضع وليدها هو الألم . وهذا الألم مصدره الرئيسي هو الخوف . . الخوف من أن تعاني الحامل من آلام ، أو آلام وهمية جسّدها لها الخوف . ويمكننا ادراك ذلك بسهولة اذا علمنا أن طبيب الأسنان عندما يهم بخلع ضرس فاسد لمريض فانه يقوم بتخدير الموضع ولا يبدأ عمله الا بعد أن يتم التخدير تماما وينقطع الاحساس في الموضع ، لكن عندما يقبض الطبيب بكلابته على الضرس ويبدأ في الخلع تسمع المريض يصرخ متوجعا ويصيح متألما مع أنه لا ألم هناك بالمرة . ذلك لأن المريض كان يتألم من البارد والساخن قبل الخلع ، فكيف لا يكون هناك ألم عند انتزاع الضرس بالقوة ! لا بد أن يكون هناك ألم مبرح فهذا ما يقوله العقل والمنطق . ومظهر التعبير عن الألم هو الصراخ . . فليصرخ ولو حتى بدون ألم .

كذلك الخوف المتواصل عند الحامل قد يسبب لها ارتفاعا في ضغط الدم وهذا قد يقود الى مضاعفات وخيمة العواقب . أما في المرحلة الأولى للوضع فان الخوف له تأثير سيء على

الرحم ، فهو ينبه الجهاز العصبي السيمباثاوي الذي يقوم بوظيفة هامة وهي اعداد الجسم للهروب من الخطر أو الصمود والدفاع بشدة ، فتنطلق مادة الادرنالين من مواضع متعددة في الجسم وتبعا لذلك تتسع الحدقتان وتزداد سرعة خفقان القلب وتنقبض عضلات الأمعاء والعضلة القابضةللشرج والعضلة الدائرية لعنق الرحم فتطول فترة المرحلة الأولى للوضع وتتعسر الولادة . . . مع مايصاحب ذلك من آلام ينسجها الوهم . ومن المحتمل جدا أن يكون هناك نتيجة أخرى لهذا التوتر العضلي الناجم عن الخوف ، وهي قصور ثانوي في الدورة الدموية في الرحم ينشأ عن تباطؤ بل وتوقف الدم في الأوعية الدموية الكبيرة . والعضلات اذا نقص معينها من الدم فانها تؤلم اشد الألم مثلما يحدث عند تقلص عضلات أرجل لاعبي كرة القدم أو عند قياس ضغط الدم ويظل الرباط حول الذراع مدة أطول من اللازم .

وهكذا نجد مظهرا آخر يسببه الخوف وهو نقص الأوكسجين في عضلة الرحم . أما في المرحلة الثانية فالخوف هنا يلعب دورا خطيرا غير منظور . فقد تنقبض عضلة عنق الرحم بعد مرور رأس الجنين ، تنقبض على رقبته وتهدد حياته . أو قد يحدث العكس تماما فان توهم الألم يجعل الأم تصرخ وتئن وتتوجع طوال الوقت حتى في فترات استرخاء العضلات التي تحدث بين نوبات التقلص العادية ، وتكون النتيجة أن تتعب الأم وتخور قواها وتعجز تماما عن الدفع الارادي اللازم لاتمام عملية الولادة ، وهذا خطر آخر يهدد حياة الجنين . . وحياتها .

ويروي لنا دكتور جرانتلي ديك في كتابه (الولادة بدون خوف) قصة أمرأة ساعدها في الولادة عندما كان طبيبا صغيرا في مستهل حياته العملية . فبعد أن خاض الطبيب بدراجته القديمة المتهالكة وسط الطين والأوحال والأمطار المنهمرة في احدى الليالي في حي (هوايت تشابل) وهو احد الأحياء الحقيرة بلندن ، وجد نفسه في غرفة زرية لا تتعدى مساحتها عشرة أقدام مربعة ، يتساقط ماء المطر من ثقب في سطحها ويتجمع فيما يشبه البركة على الأرض العارية . وكانت ملاءات السرير تتألف من بعض الأكياس والأجولة ، وفي حين ارتكز الفراش على صندوق خشبي كان يؤلف الأرجل الخلفية للسرير . . وطالت مدة الولادة فعرض الطبيب على المرأة (هفة)من الكلوروفرم لتخفف من آلامها ، ولكن الأم رفضت في أدب جم فأثار ذلك فضول الطبيب وبعد لأي ولد الطفل وبدأ الطبيب في جمع أدواته للرحيل ، فعاوده فضوله وسأل الأم لماذا رفضت بكل اصرار استنشاق المخدر ، فقالت بكل بساطة وهدوء :

ان الولادة لا تؤلم . . . ولا داعي للمخدر . . أليس كذلك يا دكتور ؟ □□

الحنین إلى الماضی

.. والصحراء

استطلاع : صادق يلي

تصوير : صلاح آدم
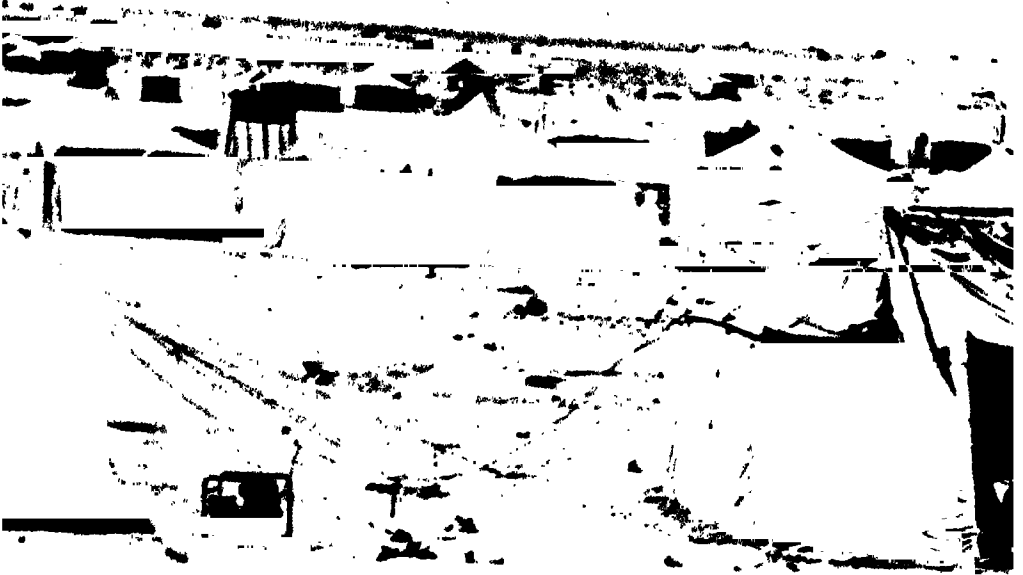
مع إطلالة الربيع تنتشر آلاف الخيام في صحراء الكويت حيث يقضي الأهالي وقتا جميلا بعيدا عن العمران وضوضاء المدينة .

وجانب لأحد المخيمات الكشفية الفرعية للمخيم الكشفي السنوي .

ويشهد المعسكر الكشفي في الفنيطيس في كل ربيع مهرجانا كشفيا يشارك فيه أعداد هائل من كشافة الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي .

□ مع اطلالة الربيع واعتدال الجو ، يخرج أهل الكويت بشكل جماعي الى الصحراء . ينصبون الخيام في أماكن نائية عن العمران . . يقضون أياما جميلة بين الطبيعة البكر يمرحون نهارا ويتسامرون ويغنون شطرا من الليل .

ان ظاهرة الخروج الى البر تتكرر كل عام عبر أجيال وأجيال على مدى القرون ، منذ أن وجدت الكويت على هذه البقعة من الأرض .

ان أنماط الحياة الحديثة لم تعطل اهتمامهم عن التعلق بالصحراء وما ترمز اليه من بساطة ورحابة وحرية . تراهم يستبشرون بأول قطرات المطر التي تنهمر في بداية موسم الأمطار بعد صيف قائظ ، ويمنون النفس بربيع زاهر أخضر يكسو الصحراء بثوبه القشيب .

انها عادة متأصلة في نفوس أهل البلاد ينتظرون الموسم بفارغ الصبر كل عام ، ويستعدون له أتم استعداد . . يجهزون الخيام وأوعية المياه ، وكل مايلزمهم من انارة وتجهيزات الطبخ وكل مايحتاجه المرء ليعيش في الخلاء . مع أن فترة الاقامة في البر قد لاتستغرق أكثر من خمسة عشر يوما هي فترة اجازة الربيع للمدارس . فنرى المخيمات تنتشر على مساحات واسعة في صحراء الكويت وبأعداد كبيرة حتى يخيل للرائي أن شعب الكويت كله قد خرج الى الصحراء ساعيا وراء الطبيعة بكل بساطتها وعفويتها .

مخيمات الأهالي

في الوفرة وفي العبدلي وفي المنقف وفي الدوحة وفي مناطق أخرى آلاف الخيام نصبت هنا وهناك ، بعضها رتبت بطريقة منظمة توحي بأن هناك اتفاقا مسبقا بين عدة أسر رضيت أن تقضي هذه الأيام الجميلة قريبة بعضها من بعض تشاركها الفرحة . . هذا مخيم كبير ومجموعة من الشباب قد أقاموا مهرجانا رياضيا للعبة كرة القدم ، ثم مجموعة أخرى تزاول لعبة كرة الطائرة ، وطائفة أخرى استحسنت ركوب الدراجات النارية الصغيرة ، وراحت تجوب الصحراء ذهابا وايابا حول المخيم .

اقتربنا من أحدهم وهو السيد سليمان ناصر العلي ، وسألناه عن هذا التجمع السنوي وعن مفهوم البر لدى المواطن . قال : الخروج الى البر يكاد يكون عادة متأصلة في نفوسنا منذ القدم ، فتجمع أفراد الأسر في أيام جميلة ، في طياتها ذكريات طيبة ، وهي فرصة لتلاقي افراد هذه الأسر وتعارفها ، ولاشك أن طلعة البر تثير فينا الحنين الى حياة الأجداد الذين كانوا يعيشون حياة هانئة بعيدة عن زيف المدينة ومشاكلها .

ويتحدث نوري خالد الهادي عن عادة خروج الكويتيين الى البر مع اطلالة كل ربيع وكيف يقضي يومه فيقول : « يبدأ يومنا مع طلوع الفجر حيث توقظنا الوالدة للصلاة ، وبعدها أقضي وقتا ممتعا أزاول فيه رياضة المشي ، التي حرمنا منها لوجود السيارات ، التي ازدحمت بها المدينة ، ثم أتناول طعام الافطار الذي يتكون من الحليب والشاي والحلوى ، وبعد ذلك أذهب لشراء مانحتاجه لوجبات الغداء والعشاء من لحم وأرز وفاكهة وخضروات . وفي المساء نقضي معظم الوقت في الالعاب المسلية لاشاعة الحيوية فيما بيننا .

ولعبة (كوت أبو سته)[1] هي اللعبة المفضلة

---

(١) ورق اللعب (الكوتشينة)

عادة ما تقيم مخيمات الاهالي ولائم عامرة للضيوف والمعارف

لدى معظم الكبار ، كما أن لعبة (المحيبس) أو مايسمى بلعبة (البات)[٢] من الالعاب الشعبية القديمة التي تعتمد على قوة الملاحظة فاننا نمارسها عندما نجتمع بالخيمة في المساء ، وفي بعض الأحيان نقضي طرفا من الليل في ترديد الاغاني ، وأفضلها عندنا هي الأغاني الكويتية القديمة مثل الأصوات والسامري التي تمتاز بجماعية الأداء .

أما الطالبة زينب حسين الشطي فتقول : ان الخروج الى البر في الربيع متنفس لنا بعد أشهر من الدراسة وإنني أرجو من المسؤولين ان يوحدوا اجازة نصف السنة في المدارس والجامعات حتى تكتمل الفرحة بتواجدنا معا ، وهي تشكر الحكومة على اهتمامها بنظافة البر والعمل على راحة كل من يخرج اليه وخاصة مراكز الاسعاف التي تقوم بخدمة الأهالى وتساهم في علاج الاصابات الطارئة .

الحاج عبد الله يوسف الناصر ـ وهو شيخ جاوز الستين ـ يقول : ان الخروج الى البر عادة متأصلة في نفوسنا منذ القدم فقد كنا نخيم في المناطق القريبة من سور الكويت مثل منطقة الدسمة والعديلية وخيطان وبنيد القار ، التي أصبحت الآن مناطق سكنية زحفت اليها الحضارة ، وكنا في تلك الأيام نزاول بعض الالعاب الشعبية مثل لعبة (الهول) و(المقصى) وغيرها .

(٢) لعبة شعبية بين مجموعتين من الرجال يتنافسون على الفوز بمعرفة ما تخفيه أيديهم من أشياء خاصة .

« أنا القطار السريع » لعبة جماعية يزاولها الاطفال .

والمراجيح تنصب بين الخيام لاسعاد الاطفال . (إلى اليمين)

و « الثعلب فات فات » لعبة يعرفها الاطفال في كل انحاء العالم .

ويقضي الشباب أوقات فراغهم في مزاولة الالعاب الرياضية .

وحركة الكشف حركة سعادة وإخاء وتعاون في العمل لصالح الجماعة واستغلال لاوقات الفراغ في أعمال تعود على الكشافين بالنفع .

لعبة الموانع من الالعاب الرياضية المسلية . (إلى اليسار)

والحاج عبد الله يأخذ على الناس اسرافهم الشديد في استهلاك الأغذية والمعلبات فيشوهون البر بهذه الاكداس الهائلة من العلب الفارغة .

ويضيف الحاج عبد الله يوسف الناصر قائلا : انني لاأحبذ الخروج الى البر بهذه الاجهزة الحديثة مثل الثلاجات ومولدات الكهرباء ، لأننا بخروجنا الى البر يجب أن نعود الى طبيعتنا الأولى البسيطة ونستمتع بالطبيعة . !

(الفتيان الكشافة)

لقد اعتاد كشافة الكويت في الربيع من كل عام اقامة مخيمهم الكشفي في هذه الفترة ، وفي مخيمهم الدائم في منطقة الفنيطيس يقيم ما يقرب من ٢٥٠٠ كشاف وقائد واداري مخيمهم الكشفي السابع والثلاثين ، يمثلون الأشبال والفتيان الكشافة ، قد قسم المخيم الى سبعة مخيمات فرعية يضم كل مخيم منها مايقرب من ١٨ فرقة ، وذلك لتسهيل الاشراف والتوجيه .

يضم المخيم الكشفي كذلك كشافة من دول مجلس التعاون الخليجي ، وقد شارك فيه هذا العام كشافة من سلطنة عمان ، والمملكة العربية السعودية ، ودولة قطر ، بمعدل طليعتين من الكشافة لكل وفد .

ويقول الأستاذ علي حسن العلي القائد العام

● القهوة أداة للاستجمام والمتعة في المخيم

للمخيم والمفوض الدولي : لاشك أن الكشافة تعد رسالة تربوية مكملة للعملية التربوية للمدرسة ، إذ يعيش الكشاف بين أحضان الطبيعة ليمارس هواياته في جو ملىء بالحركة والنشاط ، حيث تتوفر كل وسائل الراحة واستغلال أوقات الفراغ بالأعمال المفيدة التي تعود على الأبناء بالمنفعة ، وعلى الوطن بالخير ، فحياة الخلاء تكسب الكشاف صحة وسعادة وتعوده على الصبر والمثابرة ، ومواجهة عوامل الطبيعة المتغيرة ، ثم حسن التصرف فضلا عن التعاون بين أفراد المجموعة الكشفية في العمل فيما يسمى بنظام الطلائع ، أي أن كل ثمانية كشافين تشكل مجموعة ترتبط في العمل طوال فترة تواجدهم في المخيم .

أما عن تاريخ حركة الكشافة في الكويت والمخيمات التي أقيمت فيقول الأستاذ علي حسن العلي : لقد تأسست الحركة الكشفية في الكويت عام ١٩٣٦ حينما تكونت أول فرقة كشفية قوامها ١٢ كشافا ، ثم بدأت الحركة الكشفية تنمو في الأربعينيات ، ويمكن القول ان عام ١٩٥١ كان نقطة انطلاق هذه الحركة وانتشارها في المدارس ، فقد وصل عددهم نحو ٣١١ كشافا ، أما الآن فقد بلغ عددهم نحو ٧٥١١ كشافا وقائدا يمثلون مراحل الحركة الكشفية المختلفة .

ويضيف الأستاذ العلي قائلا : أما المخيمات الكشفية السنوية فقد بدأت في الأربعينيات ، وهنا لابد لنا من ذكر بعض قادة الفرقة الكشفية الذين ساهموا في انجاح هذه المخيمات مثل الاستاذ عيسى الحمد والاستاذ جاسم القطامي وأحمد المهنا وعبد اللطيف العمر وسليمان العثمان ومهلهل المضف وابراهيم الشطي وغيرهم كثير .

أما عن نشاط الكشافة أثناء مخيم الربيع فيقول الأستاذ العلي : ان المخيم الكشفي السنوي يهدف للتعارف وتوطيد العلاقات بين شباب الكشافة ، وذلك عن طريق المشاركة في البرامج العامة التي أعدت لمثل هذه المناسبة ، فهناك برامج ثقافية وعلمية وترويجية وهوايات مختلفة وفرت لها كل وسائل التنفيذ ، وهذه البرامج لجميع المشتركين في المخيم لاختيار مايناسبهم من هذه الأنشطة فضلا عن الزيارات الخارجية للاطلاع على معالم نهضة البلاد في المجالات المختلفة .

الخروج للبر ليس ظاهرة

وكان لابد لنا ونحن بصدد الحديث عن الخروج الى البر في أيام الربيع أن نعرض لآراء أحد أساتذة الجامعة وأحد الأدباء ليحدثانا عن هذه الظاهرة وتفسيرها العلمي والنفسي ، فكان اللقاء الاول مع الدكتور محمد صالح الجهيني الاستاذ بكلية التربية وأحد المهتمين بالجوانب الاجتماعية . . . قال : إنني شخصيا لا أميل الى وصف خروج الناس الى البر بأنه ظاهرة لأنني أعتقد أن خروج الناس للبر أقرب لأن يكون حاجة وعادة وهواية منها أن يكون ظاهرة . وتمشيا مع نظرية الحاجات الانسانية عند بعض الناس لما يمكن الحصول عليه من هواء نقي بعيد عن أي شكل من أشكال التلوث ، كما أن البر قد يكون حاجة للبعض لممارسة الرياضة بانواعها خصوصا وأن العادات الاجتماعية في الكويت لاتحبذ ممارسة الرياضة باشكالها المتعددة ، لذلك يجد البعض أن في الخروج للبر فائدة كبيرة في ممارسة الرياضة وخاصة رياضة المشي .

كما أن البعض يشعر بالملل والسأم من جراء ما أملته عليهم ظروفهم الرتيبة ، لذلك ينزعون الى كسر هذه الرتابة ، والبر يحقق لهم مثل هذه الحاجة ، فهو يعود بهم الى العلاقات المباشرة ويبعدهم عن الرسميات وادوارها الجدية ، ويقلل من سلطة المخترعات الحديثة التي أصبحت تسيطر على كل أحاسيس الانسان ومشاعره .

مجموعة من النساء جلسن في الهواء الطلق يتحدثن ويشربن « شاي الضحى » والقهوة العربية ودلالها منظر مألوف في كل مخيم قد تزوره .

إعداد وجبات الطعام من الاعمال اليومية المشوقة للكشافة .

وجانب من البرامج الثقافية في المخيم الكشفي السنوي . ويحرص الفتيان الكشافة على رسم الشارة التقليدية أمام مخيمهم .

قد يتذوق بعض الناس طعم الانجاز المباشر لجهودهم مهما بدت بسيطة ، فهو يشعر بزهوة الانجاز في اختيار المكان وفي تخطيط المخيم وغير ذلك من أمور ، لذلك نجد كثيرا من الناس لاينفكون عن الحديث عما قاموا به من انجازات .

وكثيرا ماتسهم رحلات البر في لمّ شمل الأسر ، خصوصا تلك التي أبعدتها بعضها عن بعض ظروف الحياة ومشاغلها ، فنجد أن افراد الاسرة يعودون الى مايفترض أن يكونوا عليه من وئام وحب ، فهم يأكلون وينامون ويمرحون بعضهم مع بعض كفريق متكامل الأعضاء ، وهذا في ذاته يعد حدثا مهما في حياة بعض الأسر التي تعاني من التباعد والفرقة .

ويضيف الدكتور المهيني قائلا : يقول علماء النفس ان ممارسة العادات يحقق درجة من درجات التوازن التي تكون ملحة في بعض الأحيان ، ولدينا مثل شعبي يتمشى مع هذا المبدأ فيقول : (قطع الخشوم ولاقطع الرسوم) أي أن للعادات أثرا نفسيا بالغ الأهمية وهذا ما يفسره بعض علماء الاجتماع بالألفة التي تحدث أثرا مماثلا لما تحدثه العادات ، ومن هذا المنطلق فان كثيرا من الناس تتكون عندهم عادات الخروج الى البر في مثل هذه الأوقات فيألفونها .

هل هو أيضا هواية ؟

ويؤكد بعض علماء النفس عدم منطقية الهواية وبالتالي يصعب تفسيرها أو تعليلها ، ومن هنا نجد أن بعض الناس يمارسون هوايات تبدو للبعض الآخر انها بسيطة أو تافهة أو شاقة أو غير مناسبة لمراكزهم ، ولكنها هوايات تجلب السرور والارتياح لمن يمارسها ، بل ان بعضهم مستعد لأن يضحي بأشياء مهمة في سبيل ممارسة هوايته التي تبدو لنا أنها غير منطقية ، فالخروج الى البر قد يمارس كهواية عند البعض ويتلذذون بما يرافقه من متاعب وقسوة وظروف غير عادية ، كما انهم يشعرون باللذة وهم يقومون بنصب الخيام وتركيب بعض الغرف ، وحفر بعض الحفر ونصب السياج وغير ذلك من ممارسات تشكل في مجموعها كلا متناسقا يجلب السرور ويبعث على الارتياح لمن يمارس مثل هذه الهوايات .

وخلاصة القول أنه يصعب تفسير الخروج الى

يسعد الاطفال بقضاء أسعد الاوقات بصحبة ذويهم في عطلة الربيع

البر لأنه قد يكون حالة مركبة من جميع ما ذكرناه من دوافع ، واذن فهو ممارسة محايدة بمعنى أنها لاخيّرة ولاشريرة ، ولكنها قد تكون أياً من الاثنتين تبعا لما يرافقها من نتائج خاصة ، وقد تكون شريرة للبعض اذا كانت تؤدي الى تلف وتلوث في البيئة ، كما أنها قد تكون خيّرة اذا ما أحسن استغلالها بشكل يعود بالنفع على الأسرة ، واذا مانظمت بشكل لايؤثر على جمال البيئة وتلوثها .

وجهة نظر أديب

أما الأديب الشاعر الاستاذ خالد سعود الزيد فيتحدث عن ظاهرة خروج أهل الكويت الى البر في الربيع قائلا : الخروج للبر أيام العطل وأوقات الفراغ عند الكويتيين كالخروج عند غيرهم من الشعوب والأمم للمتنزهات أو الخروج الى الريف والرياض .

لكل شعب متنزهاته خارج مدنه المكتظة بالسكان ، فالنزهة غريزة لاظاهرة ، وفطرة فطر عليها الانسان كلما ضاق بحياة المدينة ذرعا ، فالخروج بعيدا عن المدن ترويح للنفوس ، واستعادة للحماسة ، وعودة لأحضان الطبيعة وحظيرتها .

ما أحوج الانسان للعودة الى أحضان أمه ، كلما مسه البعد واحرقته المدينة بهجيرها ورمضائها ، لقد اعتاد الكويتيون منذ القدم ان يرحلوا الى الصحراء حين يخضر عودها ايام الربيع . فليس في الكويت ريف يلجأ اليه الناس الا هذه القرى الصغيرة المتناثرة على ساحل الخليج ، لذلك فهم يقيمون منذ القدم بجانبها وعلى حواشيها برغبة منهم في أن يكونوا قريبين من منابع المياه ، وحين لم يعد الماء مشكلة لسهولة المواصلات وسهولة نقله تراهم منتشرين في صحراء الكويت كلما حل فصل الربيع ، يقيمون في الخيام البيضاء ، وينصبونها حيثما رحلوا في طريق الصحراء متجاورين أو متباعدين . . . لكل قطين وضعه الذي يرضاه ، وما زال لفظ (القطين) يطلق حتى اليوم على مجموعة من الناس والعائلات ـ متجاورين ـ يسكنون الخيام أو بيوت الشعر .

ترى الناس منتشرين في الأرض الواسعة الممتدة ، يسيرون فتبلل أقدامهم قطرات الندى المنساب بعد طلوع الشمس من الأعشاب حين يطؤونها .

تراهم . . هذا مقبل على وردة يضمها ، وذاك على زهرة صحراوية يشمها ، وذاك يبحث في الارض بآلته عن الفقع (الكمأة) ينبش الارض كلما رأى ترابا متورم الشفتين . . تصدعت أرضه ، وتشققت انسجته ، وتراهم في الليل مجتمعين حول موقد النار أو غير بعيدين منه ، يتسامرون ويتحاورون أو يلعبون الورق تسلية وازجاء للوقت .

هل أحسست بنعم الله حين تروح الأغنام أو تغدو ؟ لا ـ لست شاعرا بهذه النعمة الا حين تكون في الصحراء أو الريف قريبا من الفضاء الممتد ، يقول الله جل وعلا : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ».

اذا سرحت الاغنام أو أراحت سمعت لها ثغاء كالأهازيج من فم العذارى تنطلق للفضاء العريض ، ما أجملها رائحة غادية .

يخرج الانسان للبر ليخرج من دائرة الزمن الرتيب ، ليعيش حرا بلا قيود ، طليقا بلا حدود ، سماء زرقاء أو مغيمة تظله ، وأرض ممتدة تقله ، ونبات وأزهار متعددة الالوان تحيط به من جوانبه .

ان الخروج للبر نعمة من نعم الله على الانسان ، فطره الله عليها كلما ضاقت الحياة به ، وكلما شاء أن يجدد أنفاسه وينشط إقباله ، ولعل فيه منافع أخرى لا أدريها يعرفها علماء النفس والاجتماع ، انها نعمة من نعم الله يحمد عليها ويشكر . □□

سندباد عودة

قصة رستم كيلاني

بريشة عبد المعبود شحاته

الأضواء سواطع في كل جانب من الميدان الفسيح الذى يغوص فيه الناس الوافدون من كل بلد . .

وتحيط بالميدان المقاهي المملوءة بالرواد والسرادقات التي تموج بألوان الفنون الشعبية . .

وتنبعث من هنا وهناك أصوات المداحين ، ويخترق كل هؤلاء صوت ينبعث من المسجد الكبير الذى يعج بالناس . . . صوت مقرىء معروف يتلو بعض آيات من ذكر الله . .

وفي خلال أيام مولد الامام الحسين كان المعلم (حسن) الشهير بـ (سحس) ذو الوجه الصبوح ، والابتسامة المشرقة ، والذى يتسم بخفة الحركة ، وسرعة الخاطر ، يواصل ليله بنهاره في نقل الوفود محاسيب الحسين من حي السيدة زينب على عربته الكبيرة المزركشة بألوان زاهية ، والتي يجرها حصانه (عنتر) البنى اللون . .

وكان الركاب يلجأون اليه في توصيلهم لتساهله ، وعدم تغاليه فيا كان يطلبه من أجر تلقاء ما يقدمه من خدمات . .

ولقد أثار هذا الرواج الذى خص المعلم (سحس) وحده دهشة زملائه ، خاصة المعلم (حنفي) الذى تشاجر معه بسبب تساهله الكبير ومخالفته للأسعار التي اتفقوا عليها جميعا بينهم . .

واوضح المعلم (سحس) موقفه منهم ، انه يرضى بما قسم الله له من أجر بسيط ، انه انسان له حساسية خاصة ، يشفق على رجل هدته الأيام ، وعلى امرأة تنوء بحمل صغارها ، أما الأطفال فهو أب لهم أيضا يشفق عليهم ويرد إليهم قروشهم ، ويركبهم العربة بلا مقابل فهم أحباب الله ، ويذهب بهم الى سيدنا الحسين . .

ومدد ياحسين . .

* * *

عاد المعلم (سحس) بعد آخر (نقلة) لسيدنا الحسين في طريقه الى السيدة زينب و (الموقف) ، وتراقصت أمام عينيه الحلية الذهبية التي سيشتريها لزوجته (أم كامل) ، والحقيبة الجلد لحفظ كتب (كامل) ولده الوحيد الذى يريد أن يربيه تربية محترمة على حد قوله . . والشرابة الحمراء لحصانه (عنتر) ماأجمله عندما يعلقها في رقبته ويتبختر بها ، ما دام الله قد فرجها عليه هذا الفرج الكبير . .

وبينما هو يسير ، و (عنتر) يخترق الهواء في خفة ودلال ، وعلى حين فجأة انقضت عليه وعلى العربة سيارة عامة كبيرة ، كأنما هوت عليه من السماء . .

وفي لحظات سريعة انقلبت العربة ، وطار من فوقها المعلم (سحس) ليفترش الأرض . .

ولم يدر بعد ذلك على وجه التحديد ، ماذا حدث له لأنه كان أقرب الى كابوس مروع منه الى حقيقة مؤلمة . .

ولم يشعر بما حدث من إجراءات ، ولكنه أحس فقط بأنه فقد حصانه (عنتر) الى الأبد . .

وجلس المعلم (سحس) يبكيه ، يبكى رفيق عمره ، وجالب رزقه ، يبكيه بحرارة الأب وهو يودع فلذة كبده ، لقد فقد (عنتر) الحصان الجميل ، وهو يودع فلذة كبده ، لقد فقد (عنتر) الحصان الجميل ، ثم كيف يربى بعد ذلك ولده (كامل) . . كيف؟ أيعمل من جديد صبيا عند أحد المعلمين ، لقد شقى ، وذاق الأمرين ، وجاع ، وعمل ، ووصل ليله بنهاره حتى تحققت أمنيته . . وكان يقول في حسرة بصوت مخنوق بالبكاء :

ـ « حسدوك يا عنتر . . يا خسارة . . حسدوك . . يا . . »

وتجمع الناس من حوله يواسونه ، مرددين :

ـ « سليمة . . . احمد ربنا انها جت في الحصان » . .

ولم يكونوا يدرون انه يود لو فدى (عنتر) بحياته ، فما فائدة حياته دون (عنتر) ؟ . .

وبدأ الجمع ينفض من حوله ، كما بدأ هو « يعدل » العربة تجاه الحصان الملقى على الأرض فاقد الحياة ، وتعاون معه بعض الناس على رفع (عنتر) فوقها ، وأراح بيديه المرتعشتين رأسه المملوء بالدماء ، والذى مال على أحد جانبي العربة . .

وجر العربة حاملا فوقها رفيق عمره ، وآثار الدم على الطريق تشهد على فاجعة المعلم (سحس) ، وسار في تؤدة بخطوات قصار ، ناكس الرأس ، ودموعه تسابق قدميه . .

* * *

وصل المعلم (سحس) مدخل الحارة والحزن باد عليه ، كان يرى بعين خياله شماتة المعلم (حنفي) والمعلمين كلهم بعد أن نفذت عيونهم الحاسدة فأصابت (عنتر) . .

وعندما مر بالموقف نهضوا كلهم من جلساتهم ، وجروا نحوه سائلين عما حدث . .

وبينما هو يقص عليهم الخبر ، شعر أن المعلم (حنفي) وزملاءه على عكس ما كان يتوقع منهم ، يشاركونه حزنه العميق ، يواسونه على فقيده ، وقد ألم بهم من الحزن مقدار ما ألم به . .

وبعد صلاة الفجر . .

عاد المعلم (سحس) من مسجد مولانا الامام الحسين الى منزله ،ووجد مظروفا أعطته له زوجته ، فتحسسه ووجد به نقودا جمعها له زملاؤه لعلها تعوضه عما فقده علها تسهم في شراء (عنتر) جديد . . ورفع رأسه الى السماء ، وتساقطت دمعات حزينة من عينيه ، وأسلم رأسه لوسادته ، ثم راح في اغفاءة . □□

الدول النّامية ونظام النّقد الدّولي

بقلم : الدكتور أحمد حافظ الجعويني

☐ تطالب الدول النامية بتعديل نظام النقد الدولي الحالي الذي مضى عليه الآن نحو أربعين عاما ، فقد أنشىء هذا النظام عام ١٩٤٤ في بريتون وودز على أمل مساعدة الدول في مواجهة مشاكل موازين المدفوعات واحتياجاتها الى السيولة الدولية . فالى أي مدى استجابت الدول المتقدمة الى هذا المطلب ؟

أنشىء صندوق النقد الدولي لمواجهة المشاكل القصيرة الأجل التي تواجهها الدول بسبب العجز في موازين مدفوعاتها مع عدم توافر السيولة الدولية لديها لمواجهة هذا العجز ، بينما أنشىء البنك الدولي للانشاء والتعمير في ذات الوقت وبنفس الاتفاقية للمساعدة ـ كما تدل التسمية ـ على عمليات الانشاء والتعمير التي هي بطبيعتها طويلة الأجل . ولكن التطورات النقدية واحتياجات التجارة الدولية ومتطلبات التنمية الاقتصادية ـ نظرا لترابطها ـ أدت الى تداخل عمليات الصندوق والبنك ، فالصندوق أصبح الآن يهتم بالمسائل والمشاكل الخاصة بالعرض والانتاج والتصدير بشكل امتد الى التعديلات التي قد تحدث لهذه العناصر في الأجل الطويل ، بينما البنك قد دخل ـ ولو بشكل محدود ـ في عمليات الاقتراض التي تساعد على التعديل الهيكلي للتجارة الخارجية لبعض الدول . بل ان رابطة التمويل الدولية ورابطة التنمية الدولية أصبحتا تهتمان بالادارة النقدية للعملات الأجنبية بتدخلها للمعاونة في مشاكل موازين المدفوعات وتقديم القروض غير المخصصة للدول الفقيرة . هذا التداخل أدى الى تعاون وثيق بين المؤسستين الدوليتين في تبادل المعلومات والنصيحة ، بل وأيضا في تشكيل لجان تقصي الحقائق التي ترسلها المؤسستان لكثير من الدول .

وقد لا يرجع ذلك الى مواقع المؤسستين معا في واشنطن العاصمة الأمريكية ، والتحكم

الفعلي للدول الغربية فيها ، بل - وأيضا - الى التداخل الواقعي ، بل وعلى المستوى العملي والنظري بين أسباب ومشاكل ونتائج اقتصاديات الأجل القصير والأمد الطويل على مستوى الاقتصاد العالمي والاقتصاديات المحلية لكل دولة . فهناك من المشاكل الاقتصادية الدولية التي تظهر وتؤثر في الاقتصاد العالمي لأسباب غير نقدية تماما ، وان كان من الطبيعي أن تلعب المسائل المالية والنقدية دورا ما في هذه المشاكل .

تحكم دول الغرب

وتجدر الاشارة هنا الى أن الدول الغربية تتحكم في نشاطات المؤسستين ، وإن كانت الدول النامية أعضاء فيها ، ولكن التصويت حسب المساهمة الرأسمالية في المؤسستين ، بالاضافة الى ذلك فان بنك التسويات الدولية - وهو نادي البنوك المركزية الغربية - لا تلعب الدول النامية في قراراته أي دور ، رغم أهميته في توجيه السياسات المالية والنقدية الدولية . وأخيرا وليس آخرا فان البنوك التجارية العظمى ذات الدور الفعال في المدفوعات المالية والنقدية العالمية ، هي بنوك غربية ، تعمل بهدف الربح ، ولصالح الاقتصاد الغربي ، وليس بهدف التنمية الدولية ، وصالح الدول النامية .

هذا بالنسبة للمؤسسات الدولية ، وبالنسبة للأوضاع المالية والنقدية الدولية ، فان الأوضاع الحالية تختلف اختلافا بينا عن تلك التي أنشئت في ظلها مؤسسات اتفاقية بريتون وودز ، فقد أدى الكساد العالمي الكبير في الثلاثينيات الى أن يطلب من تلك المؤسسات عند إنشائها عام ١٩٤٤ أن تضع قيودا صارمة على نشاطاتها ، وبالتالي نشاطات الدول التي تضطرها ظروفها الى اللجوء اليها .

فصندوق النقد الدولي غالبا ما ينصح أية دولة تواجهها مشكلة في ميزان مدفوعاتها بما يعرف لديه من سياسات الاستقرار Stabilization Package وهي تتضمن عادة : (١) تخفيض العملة الوطنية (٢) تحرير التعامل في الصرف الأجنبي أو العمل على الاقتراب من هذا الهدف (٣) الحد من الاستيراد (٤) رفع سعر الفائدة المحلي لتشجيع الادخار والحد من التضخم المالي (٥) الحد من الانفاق الحكومي عن طريق الغاء الاعانات للمستهلكين (٦) زيادة الضرائب الدخلية والسلعية (٧) وفي بعض الأحيان تجميد الأجور وربما رفع الرقابة على الأسعار .

نقد هذه السياسات

هذه السياسات الكلاسيكية أصبحت عنواناً تضعه المؤسسة الدولية على كل طلب يقدم من أية دولة نامية أيا كانت أوضاعها الاقتصادية والمالية أو السياسية والاجتماعية . ويعتقد خبراء الصندوق أن اتباع الدولة لنصائحهم السابقة سوف يحقق زيادة في الصادرات ، وبالتالي زيادة موارد الدولة من النقد الأجنبي ، وكذلك خفضا في الواردات ، وبالتالي مدفوعات الدولة من هذا النقد ، والنتيجة أن ما سبق سيحقق نقصا في عجز ميزان المدفوعات ، وربما تعادلا في هذا الميزان ، بل ان البعض يتفاءل بإمكانية حدوث فائض .

هذا هو الدواء لكل داء ، فبالنسبة لميزان المدفوعات فان الهدف من تخفيض العملة لزيادة الصادرات ، وخفض الواردات ، قلما يتحقق في الدول النامية لأن كلا من عرض الانتاج القابل للتصدير والطلب على الواردات الضرورية للحياة كلاهما غير مرن ، ولن يستجيب بالدرجة الكافية لتحقيق الهدف بل وقد لا يستجيب على الاطلاق ، فالانتاج الزراعي بطبيعته انتاج غير مرن على الأجل القصير ، وفي معظم الدول النامية هو انتاج غير كاف لمواجهة الاستهلاك المحلي ، وبالتالي لن يلعب دورا كبيرا أو صغيرا في زيادة الصادرات ، واعادة التوازن لميزان ←

المدفوعات .

والانتاج الصناعي ـ ان وجد ـ في الدول النامية فانه رغم ضآلة نسبته الى الناتج القومي ، فهو من حيث النوعية والتكلفة لا يستطيع المنافسة الدولية ، والنزول للسوق العالمي ، بل انه ما كان ينمو في كثير من الحالات دون حماية جمركية عالية . كذلك فان زيادة الصادرات منه ـ لو أمكن معالجة ما سبق ـ تحتاج في كثير من الأحيان الى واردات من المواد الخام ، والمعدات ، وقطع الغيار ، والمعرفة التكنولوجية ، وكلها أصبحت بعد خفض العملة الوطنية أكثر تكلفة ، بل وأكثر ندرة في الحصول على موارد النقد الأجنبي .

هذا واذا انتقلنا الى قطاع التصدير التقليدي للبلاد ، والذي يتمثل غالبا في منتج زراعي ، أو منتج حيواني ، أو منتج تعديني وحيد ، فان تخفيض العملة الوطنية ازاء العملات الأجنبية لا يشجع على زيادة الصادرات ، فبجانب أن العرض غير مرن ـ كما ذكرنا ـ فان الزيادة في حجم الصادرات ـ إن حدثت ـ لن تؤدي الى زيادة موارد النقد الأجنبي للبلاد عما كانت عليه قبل التخفيض . فمثلا عندما اضطرت الصومال الى خفض عملتها من « ٦,٢٥ » شلن للدولار الى ١٥ شلنا دفعة واحدة ، فان خفض صادراتها من اللحوم لم تتضاعف مرتين ونصف لتحافظ على مواردها السابقة على التخفيض من العملة الأجنبية ، بل ان هذه الموارد نقصت عما قبل ، واضطرت البلاد الى قبول تخفيضات أخرى بلغت ثلاث مرات في خلال سنتين فقط .

وبالطبع أدى التخفيض كما هو متوقع ـ في الصومال وغيرها ـ الى تزايد الاسعار ومضاعفتها أكثر من تخفيض العملة (بين ليلة وضحاها ارتفعت أسعار تذاكر الطيران والاقامة بالفنادق الى نحو ٣ أمثال ، وأسعار اللحوم خلال عامين الى عشرة أمثالها الخ) . فتخفيض العملة الوطنية عموما لا يؤدي الى زيادة تكلفة استيراد الضروريات ، كما أن تجميد الأجور وخفض الاعانات للمستهلكين لو نفذ يزيد من العبء الذي يواجهه أصحاب الدخول المحدودة لنقص دخولهم الحقيقية ، ولا يخفى ما لذلك من مساوىء اقتصادية تخفض من رفاهيتهم الاجتماعية وتؤثر على وضعهم بالنسبة للطبقات الأخرى ، ومساوىء سياسية نتيجة للاضطرابات والاضرابات والقلاقل التي يمكن أن تتعرض لها ، بل وتعرضت لها دول كثيرة ، أخذت باقتراحات الصندوق ، وبالنسبة الى رفع سعر الفائدة على المدخرات المحلية بهدف زيادتها والحد من التضخم النقدي ، فان المدخرات الشخصية (أي الفردية) بسيطة في الدول النامية ، فضلا عن أن الانكماش النقدي وضغط الائتمان يقع عبئه على المشروعات الوطنية التي لن تواجه فقط بارتفاع في تكلفة التمويل لندرته ، بل وأيضا بارتفاع في تكلفة المستورد من رأس مال (تمويل) ومعدات ومواد خام ، مما قد يؤدي الى الحد من نشاطها والغاء أي خطط للتوسع في انتاجها ، ومؤدى ذلك أن الادخار الفردي وادخار قطاع الأعمال كلاهما يتأثر سلبيا وليس بالزيادة كما يعتقد خبراء الصندوق .

دور رأس المال الاجنبي

إن من ينتهز هذه الفرصة هو رأس المال الأجنبي للشركات المتعددة الجنسيات ، لو كانت البلاد لديها قطاع تعدين للتصدير ، حيث يصبح مشروع استغلال الموارد التعدينية اكثر ربحا نتيجة لانخفاض العملة الوطنية ، وبالتالي التكلفة المحلية للمشروع ، بما في ذلك الاتاوات الحكومية ، كما قد تنتهز هذه الشركات وغيرها الفرصة للتوسع في صادراتها لداخل البلاد ، حيث ان ما تدفعه البلاد نقدا أو عينا لوارداتها أصبح أكثر من ذي قبل .

ولن نزيد المشكلة بالقول بان احتمال دخول

رأس المال الأجنبي مستثمرا في البلاد ، اذا توافرت الشروط التي يتطلبها وهي : الاستقرار السياسي ، وتحويل الارباح للخارج ، وتزايد الربحية ، يؤدي الى تفاهم نسبي لمشكلة العملات الاجنبية على الأجل الطويل ، لأنه بينما تحصل الحكومة او المساهمون المحليون عادة على نصيبهم من الارباح بالعملة الوطنية ، فان رأس المال الأجنبي يحصل عليها بالعملات الأجنبية . وتجدر الاشارة هنا أن زيادة الانتاج المحلي بسبب هذا الاستثمار لن يكون بديلا للواردات ، اذا كان قطاع التعدين وهو الغالب ، كما أنه لن يكون بديلا للواردات بنسبة ١٠٠٪ ، ولو حدث أنه تم في نشاطات أخرى . والخلاصة أنه في الاجل المتوسط والطويل ان لم يحدث تحويل رأس المال الأجنبي الى ملكية وطنية فان مشكلة ميزان المدفوعات تتفاقم أكثر من أن تحل .

دور البنوك التجارية العالمية

هناك العديد من البنوك التجارية في العالم الغربي ، التي لها فروع تكاد ان تكون في كل مكان ، لدرجة تسمح لنا بتسميتها بالبنوك العالمية ، وان كان هذا التعبير يجب ألا يختلط بالبنك العالمي أي البنك الدولي للانشاء والتعمير ، الذي انشيء من خلال اتفاقية بريتون وودز التي سلفت الاشارة اليها في مقدمة هذا المقال .

ورغم أن البنوك التجارية العالمية هذه يجب أن تركز اهتماماتها وأنشطتها ـ باعتبارها بنوكا تجارية ـ على التمويل القصير أو المتوسط الأجل للتجارة الدولية ، فانها في العقدين الأخيرين ومنذ تراكم فوائض البترول ، بدأت تولي اهتماماتها وتزيد من نشاطاتها في تمويل الدول النامية التي تحتاج الى عملات أجنبية لدفع فواتير البترول المستورد ، وكذلك تمويل عجوزات ميزان مدفوعاتها الأخرى الناتجة عن القيام بمشاريع ضخمة للتنمية الاقتصادية بها . فتراكم فوائض البترول لدى هذه البنوك ورغبتها الملحة للاستفادة منها باقراضها جعل هذه البنوك تبحث عن مجالات لاستغلال هذه الأموال ، وفي بحثها عن ذلك قامت بتخفيف شروط اقراضها لدرجة أن أصبحت هذه الشروط أيسر للدول المقترضة عن شروط المؤسسات الاقتصادية الدولية ، ودفعت الاوضاع الخاصة برغبة البنوك في استثمار الفوائض وحاجة الدول النامية لها لتمويل عجز موازين مدفوعاتها الى تلاقي الاثنين : البنوك التجارية والدول النامية ـ في سوق المال ، وحدوث طفرة من الاقتراض العالمي لم يحدث لها مثيل . وقد أدى ذلك الى زيادة أسعار الفائدة العالمية الى مستويات عالية جدا ، والى تراكم المديونات الخارجية للكثير من الدول النامية الى أرقام خيالية ، فقد بلغت بالنسبة للبرازيل ٩٠ بليون دولار ، وللمكسيك ٨٠ بليون دولار ، والارجنتين ٤٠ بليون دولار ، . . . الخ . وهكذا فإن ثلاثة ارباع الديون الدولية هي مديونيات على الدول النامية .

ويهمنا في هذا المقام التوكيد على أن البنوك التجارية والاقتراضات الخاصة تحول من تمويل تجاري قصير الأجل الى تمويل هيكلي طويل الأجل ، وأصبحت هذه البنوك تلعب دورا متزايدا في السيولة الدولية ، وسد احتياجات الدول النامية عندما تواجه عجزا في موازين مدفوعاتها . ولكن هذا ليس تنافسا مع المؤسسات الدولية بل انه استكمال لها ، فهذه المؤسسات وتلك البنوك ذات أهداف مشتركة بسبب الملكية والتبعية والاهتمامات المشتركة ، فهي كلها موجودة في الغرب ويملكها غربيون ، وهدف اية مؤسسة مالية هو زيادة النشاط لزيادة الأربح والعوائد ، ان لم يكن علنا لذاتها فهو ضمنا لدولها . فالتمويل هو التمويل - (Finance is Finance) أيا كان الشكل القانوني الذي تتخذه المؤسسة

وقد أدى تدخل البنوك التجارية الغربية في مجالات كانت في الأصل محصورة على صندوق النقد الدولي ـ أدت الى تراكم سريع للديون التجارية الدولية وأدت الى الكثير من المخاوف لدى الدول الغربية ، وخاصة أن هذه البنوك كانت تقدم القروض للدول النامية بأسلوب جماعي عن طريق ما يعرف بالسنديكات (Syndicates) فضلا عن أن هذه القروض لاتحميها اشتراطات الاحتياطيات القانونية ، ولاوجود الملجأ الأخير لتحقيق السيولة ، اذ لم تتبع في تقريرها الاشتراطات المتعارف عليها للقروض التجارية . بل ان تلك البنوك أخطأت في استخدام ايداعات قصيرة ومتوسطة الأجل في اقتراض متوسط وطويل الأجل . والحل الذي انتهت اليه هذه البنوك والدول التابعة لها هو الاستمرار في اقراض الدول المدينة بالقدر الكافي لسداد فوائد هذه الديون ، أي ضمان الربحية مع تأجيل توقيت انفجار القنبلة .

فاذا كانت المشكلة مع صندوق النقد الدولي هي أسلوب تعامله وصعوبة اشتراطاته ، وعدم تناسب اقتراحاته مع ظروف واحتياجات الدول النامية ، فان مشكلة البنوك التجارية العالمية هي في مخالفتها لطبيعة أعمالها ، ودخولها الى مجالات ليست في المعتاد قادرة على التعامل فيها ومنحها القروض بشروط أكثر مرونة من المؤسسات الدولية ، وخطورة الوضع بالنسبة للمودعين للأموال فيها ، أكثر من تعرضها هي للافلاس أو عدم الربحية التي وجدت لها الحل بتأجيل توقيت اعلان عدم الدفع من الدول المدينة أو الافلاس من تلك البنوك ، وان كان بعضها بدأ فعلا في اعلان افلاسه .

دور الدول النامية

ان الدول النامية سواء المصدرة للبترول والتي تمتلك فوائض مالية في البنوك التجارية

والمؤسسات المالية ، أو تلك المستوردة له والمدينة بالبلايين من الدولارات ، كديون خارجية ، وفوائد على تلك الديون ، قد تكون مشتركة في بعض المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير ، وبعض الوكالات التابعة للبنك ، ولكنها لا تستطيع السيطرة على نشاطات واتجاهات الاقتصاد العالمي المالي ، لأن قدراتها التصويتية محدودة وهي ناتجة عن اسهامها المحدود في رأس المال ، ولأنها ليست عضوا في بعض المؤسسات الدولية الأخرى ذات التأثير الفعال في هذا الاقتصاد العالمي ، مثل بنك التسوية الدولية (BIS) ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) ، كما أنها لا تستطيع حضور اجتماعات القمة الاقتصادية للغرب . .

واذا ضغطت الدول النامية في المؤسسات الدولية التي تشترك فيها فان أمام الغرب دائما مؤسساته الخاصة المذكورة ، بل ويستطيع اذا أراد ـ وكما هدد من قبل ـ الانسحاب من المؤسسات الدولية هذه وتكوين مؤسسات أو عمل ترتيبات مالية تخدم أهدافه ومصالحه .

والواقع أن معظم الدراسات عن الاقتصاد العالمي والسيولة الدولية ـ حتى تلك التي تدافع عن الدول النامية مثل دراسات الاقتصادي السويدي ميردال (G. Merdal) يقوم بها اقتصاديون غربيون ، ولم تظهر دراسة وافية عن وظائف المؤسسات الدولية التي نحتاج اليها ، والتغير المستمر في أهدافها ، والحكمة في تنظيماتها والتحكم في ادارتها ، والسياسات التي تحكم نشاطاتها . . . ورغم أن الدول النامية هي اما صاحبة الأموال المتراكمة بسبب فوائض تصدير البترول ، واما هي الدول المدينة بسبب عجز موازين مدفوعاتها ، الا أن الوسيط دائما هو مجموعة دول ثالثة تتحكم في كلتا المجموعتين ، واذا كانت الدول صاحبة الأموال لّما تشعر بالكامل بالمشكلة بعد ، فانها في الطريق الى مواجهة الواقع ان عاجلا أو آجلا ، ولكن

الدول النامية المدينة هي التي تشعر الآن بمرارة الموقف وتعاني من تحكم المؤسسات والبنوك العالمية واملائها لشروطها ، فعليها أن تعدل من خططها التنموية بقطع الواردات ولو كانت ضرورية للحياة أو لدعم وسائل الانتاج ، وعليها أن تخفض من عملتها الوطنية حتى ولو كان ذلك ـ كما سبقت الاشارة ـ في غير صالحها وعليها أن تقبل بانخفاض حجم دخلها الأهلي الحقيقي وتقلص استثماراتها المحلية وتراجع معدلات النمو فيها .

وعلى المجموعتين مواجهة التضخم العالمي ، وارتفاع قيمة الواردات من سلع غذائية ، ومواد وسيطة ، ومعدات رأسمالية ، وليس أمامها الا التراجع نحو حماية واهية من الحماية الجمركية والنقدية وتخفيض العملة ، وخفض الانفاق الحكومي على خدمات الرفاهية والتعليم والصحة .

مواجهة الموقف

ولكن المهم هو كيف نواجه هذا الواقع ؟ ان عام ١٩٨٢ كان أول عام تواجه فيه كل من الدول المصدرة للمواد الأولية والمستوردة للبترول ، شروطا قاسية لا قبل لها بقبولها من صندوق النقد الدولي . لقد تزايد عدد المعارضين للصندوق واشتراطاته القاسية التي لا تفيد في الوصول الى شاطىء الأمان ، بل انها تزيد الأمر سوءا والطين بلة . ولقد اقترح البعض لذلك بعض الحلول في مقدمتها مرونة الصندوق في املاء شروطه واعتدالها ، وأن يراعى خبراؤه الظروف السياسية والاجتماعية بجانب الظروف الاقتصادية والمالية للدولة موضع التفاوض ، وان تمتد نظرتهم الى الأمد المتوسط والطويل في علاج الموضوع ، ولا ينظروا للأمر على أنه اختلال هيكلي قصير الأجل ، بينما هو بناء مستمر طويل الأجل . وهناك اقتراح بالتوسع في الاقتراض التعويضي ، والتوسع في اصدار وتخصيص حقوق السحب الخاصة ، ومنح اعانات للدول الأقل نموا أو الاكثر فقرا ، والمساعدة في مواجهة آثار الدورات التجارية التي تصدرها الدول المتقدمة للعالم النامي ، واستخدام مبدأ ربط الصادرات برقم قياسي للاسعار لمنع تذبذب الموارد النقدية الأجنبية بسبب التقلبات في الأسعار العالمية لصادرات الدول النامية من المواد الأولية ، وكذلك الربط بين تحسن شروط التبادل التجاري الخارجي وبين سداد المديونية الخارجية . . . الخ .

هذه وغيرها من الاقتراحات قدمت ونوقشت بمعرفة المسئولين في المنظمات الدولية ، ولكن المسألة ليس فقط في الاقتراحات والمناقشات لأساليب وطرق واتجاهات ، بل هي أيضا مسألة تنظيمات (institutions) ومن هو المتحكم في نشاطاتها ، واتخاذ قراراتها ، ولصالح من تتخذ هذه القرارات ؟.

إن اغفال البناء ومحاولة اعادة ترتيب المنزل فقط لن يساعد على حل هذه المشاكل ، فعلينا أن نفكر في بناء جديد بتصميم جديد يراعي الظروف المتغيرة المتطورة ، وظهور العديد من الدول النامية كوحدات اقتصادية دولية لم تكن موجودة في عام ١٩٤٤ عندما وقعت اتفاقية بريتون وودز ، ولكل مقام مقال،ولكل زمان عنوان .

لقد وقعت الاتفاقية المذكورة في ظل شبح الكساد الكبير ، وباملاء الدول العظمى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، أما الآن فالأمر ليس كذلك ، فالأوضاع الاقتصادية مختلفة ، وهناك العديد من الدول التي نالت استقلالها سياسيا ، وان كانت لم تنله بعد اقتصاديا ، وعلينا أن نضع نظاما اقتصاديا دوليا يحقق ويضمن لها هذا الاستقلال الاقتصادي ، عن طريق التعاون المثمر المتبادل ، وليس التحكم عن طريق مؤسسات دولية عفا عليها الزمن ، وأصبحت شروطها لا تواكب المناخ الاقتصادي والسياسي العالمي . □□

حل مسابقة العدد (رقم ٣٠١)

المنشورة فى عدد ديسمبر ١٩٨٣

ما أشبه هذه المسابقة بالمسابقة رقم ٣٠٠ ! فقد كانت الردود عليها قليلة ، وكان مستواها لا يبعث على الرضى . والسبب واضح . . فأسئلتها لا تخلو من صعوبة . ولا يسهل الرد عليها ارتجالا . . والظاهر أن أكثر المشتركين فيها فضلوا الارتجال على مراجعة المصادر . لذا جاءت ردودهم على نحو ما أسلفنا . . أما الردود الصحيحة فهى كما يلى : -

١ - سرح له بالسفر ، لاصرح ، هو الصحيح لغة . يقول المعجم الوسيط : صرح الشىء : انكشف وظهر ، وصرح النهار : ذهب سحابه ، واضاءت شمسه ، وصرح الامر أظهره . . .

ويقول الوسيط أيضا : سرح العامل (سراحا) : أخلاه فى عمله ، وسرح الرسول : أرسله فى حاجة ، وسرح المرأة . طلقها ، وسرح الماشية : اسامها . !

٢ - المقصود بقولنا أن حجر الماس يعادل (٢٠) قيراطا هو أن وزن ذلك الحجر يبلغ ٤ جرامات . ذلك أن القيراط هو وحدة وزن فيما يتصل بالماس . . . ويعادل ٢٠٠ ,.من الجرام .

ويختلف مدلول القيراط فيما يختص بالذهب . فهو هنا ، قياس نقاء . فالذهب الخالص هو الذى يبلغ عياره ٢٤ قيراطا . . أما الذهب الخليط فقد يبلغ عياره ٢٠ قيراطا أو ١٨ قيراطا أو دون ذلك . وذلك تبعا لمقدار الذهب الخالص فى ذلك الخليط . .

٣ - « النار » هى ما يقصد الشاعر فى البيتين .

٤ - لفظ ارابيسك لفظ اصطلاحى شائع فى أكثر لغات أهل الغرب

وهو مصطلح فنى يستعمل فى شتى الفنون . وفى الرسم والنحت بخاصة . .

والمقصود بهذا المصطلح الاشكال التزيينية المنحنية والمتشابكة كأوراق الشجر واغصانه .

٥ - ميزان حرارة سلسيوس هو نفسه ميزان الحرارة المئوى (السنتغراد) . وسلسيوس هو مخترع هذا الميزان واسمه بالكامل اندرز سليوس **Anders Celsius** وكان هـذا عالم فلك سويديا (١٧٠١ - ١٧٤٤) وقد اخترع ميزانه سنة ١٧٤٢

٦ - بحر سرقوسة جزء صغير من المحيط الاطلسى . . يقع شمالى جزيرة بورتوريكو مباشرة وبمحاذاة مدار السرطان الى الشمال . فهو يقع اذن بجوار مثلث برمودا . . والاهم من ذلك هو وقوعه بجوار تيار الخليج . . لا عجب اذن ان كانت مياه بحر سرقوسة دافئة وأميل الى السكون والهدوء . . وتكثر فيهما الطحالب والاعشاب البحرية . . ولاغرابة ان كانت المنطقة المفضلة لاسماك الانكليس الرحالة . . تأتى اليها من شواطىء أوروبا الشمالية وسواها . . لتبيض فى مياه بحر سرقوسة وتموت . . وتستغرق رحلتها هذه نحو ثلاث سنوات .

٧ - فرديناند مجلان (١٤٨٠ - ١٥٢١) قام برحلته حول العالم سنة ١٥١٩ - ١٥٢٢ وكاد أن يكمل رحلته هذه لولا موته فى الفلبين . . وقد اكملها من بعده أحد اعوانه سبستيان دل كانو . . حل محله فى قيادة ما تبقى من اسطوله وساروا من من الفلبين الى اسبانيا . ومع ذلك فان مجلان يعتبر صاحب الفضل الاول والاكبر فى الدوران حول الارض للمرة الاولى فى التاريخ .

٨ - الطن وحدة وزن كما هو معروف . وهو اما طن مترى (= ١٠٠٠ كيلو) أو طن انجليزى (= ١٠١٦ كيلو) أو طن قصير (٢٠٠٠ رطل انجليزى)

٩ - الكالورى ووحدة الحرارة البريطانية . . كلتاهما وحدة حرارة والكالـورى هى الاصغر . . فهى مقدار الحرارة المطلوبة لرفع حرارة غرام واحد من الماء درجة مئوية واحدة . بينما وحدة الحرارة البريطانية

هى المقدار المطلوب من الحرارة لرفع حرارة رطل انجليزى واحد من الماء درجة واحدة فهرنهيت . . وهى تعادل ٢٥١ر٩٩٧ كالورى .

١٠ ـ خلافا لما يتبادر للذهن . . الجوافة هى الاغنى من البرتقال من حيث ما تحتويه من فيتامين جـ(C) . اذ تبلغ ما تحتويه الحبة الواحدة منها ٣٠٠ مليغرام من فيتامين (جـ) ولا تزيد محتويات الحبة الواحدة من البرتقال على ٧٤ مليغرام من فيتامين (جـ) (وزن الجوافه والبرتقاله ١٠٠ غرام و ١٥٠ غرام على التوالي)

١١ ـ المصران الاثنا عشرى هو الجزء الاول من المعاء الدقيق . . وقد سموه « الاثنا عشرى » نظرا لطوله الذى يبلغ نحو ١٢ بوصة . . بل ١٢ اصبع .

١٢ ـ صح . . فسكان العاصمة واشنطن دى سى ، أو ان شئت ، مقاطعة كولمبيا ، لا يحق لهم بموجب الدستور أن ينتخبوا أو يُنتخبوا اعضاء للكونجرس الامريكى . . ويدير شؤون مقاطعتهم أو المدينة العاصمة ، مفوضون يعينهم الرئيس الامريكى مباشرة . . على أن وضعهم هذا لحقه الكثير من التعديلات فى الستينات والسبعينات . . بحيث أصبح لهم ممثل واحد فى المجلس ، مجلس النواب لا السانت . . وممثلهم هذا محدود الصلاحيات . .

اسماء الفائزين بالجوائز الثلاث الاولى

الجائزة الاولى : محمود أحمد ادريس/ الهيئة القومية للكهرباء/ القسم التجارى/ الخرطوم ـ السودان . (٥٠ دينارا)

الجائزة الثانية : مرشدى محمد مرشدى زهران / المجمع القروى / المجارده / أبها / المملكة العربية السعودية . (٣٠ دينارا)

الجائزة الثالثة : السيدة نعمت محمد هلال / عمان / الاردن . (٢٠ دينارا)

اسماء الفائزين بالجوائز التشجيعية

بقيمة ١٠ دنانير لكل منها

١ ـ يوسف عبد الله الشبعان / ص ب : ٢٢١١٤/ المحرق / دولة البحرين

٢ ـ محمد فكرى عبد الجليل / البنك الاهلى المصرى / بورسعيد / جمهورية مصر العربية .

٣ ـ بشير علية / ص ب : ٦٦/ الوادى / الجزائر .

٤ ـ خلود مهدى الدورى / البصرة / العراق .

٥ ـ عدنان جابر يوسف / مدرسة شملان بن علي / الفروانية / الكويت .

٦ ـ مروة حسن عباس المهدى/ الشارقة / الامارات العربية المتحدة .

٧ ـ عبد اللطيف محمد عبد اللطيف / ص ب : ٣٨٢/ جامعة أم درمان الاسلامية/ السودان

٨ ـ السيد مرجان عبد القادر / القباضة البلدية / شارع محمد الديورى / القنيطرة / المغرب .

موقفنا من الحضارة إلى أين ..؟

بقلم : عبد الرزاق البصير

☐ الاجابة على هذا السؤال تشكل أهم قضية واجهت الأمة العربية والأمة الاسلامية منذ قرن أو أكثر .

شاء الله أن تنكمش الأمة العربية . انكماشاً شديداً لمدة تزيد على عشرة قرون بعد أن كانت قوة سياسية وفكرية كبرى انبسط سلطانها من الصين الى فرنسا ، وكانت عاصمتها بغداد قبلة يحج اليها الناس على اختلافهم من علماء وفقهاء ومفكرين وشعراء ، وكانت لغتها لغة العالم المتحضر وكانت دولتها دولة ازدهرت فيها الحضارة الانسانية بكل نواحيها ، ثم أ دسمتأخرة ف خصب حياتها حتى أن لغتها أصبحت لغة ضعيفة لا يتحدث بها أهلها الا فيما بينهم . وسبب ذلك أن اللغة التركية كانت لغة التدريس ولغة الدوائر يوم أن كان السلطان العثماني مهيمناً على الوطن العربي من مشرقه الى مغربه ، ثم جاءت انكلترا وفرنسا وإيطاليا فحلت محل الدولة العثمانية وفرضت كل منها لغتها على كل قسم احتلته من البلاد العربية . . . فقد كان المغرب العربي من نصيب فرنسا ، وليبيا من نصيب إيطاليا ، ومصر والشام والعراق ومنطقة الخليج العربي من نصيب إنكلترا ، وظلت الأمور تسير من سيىء الى أسوأ حتى انطفأت نار الحرب العالمية الأولى ، وكانت الصحوة قد بدأت تسري في روح هذه الأمة قبل تلك الحرب بمدة قليلة ، فلما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها أخذت هذه الصحوة تقوى شيئاً فشيئاً مما جعل هذه الأمة تتحسس موطيء أقدامها ، وقد حدث ذلك بعد تضحيات كثيرة فقدت فيها هذه الأمة جماعة كبيرة من مفكريها ، دفعهم الايمان بحق هذه الأمة الى بذل دمائهم مما فصّله جماعة من المؤرخين وهو بحث يضيق عنه هذا المجال ، وكل ما يمكننا قوله هو أن الاستعمار جزّأ هذه الأمة بين دول صغيرة ودول كبيرة ولكنها على كل حال ظفرت باستقلالها وأخذت تصرف أمورها بأيدي أبنائها ، ومما لا شك فيه أن التصرف في

الأمور بعد الاستقلال يقتضي من أصحابه أن يكونوا متلائمين مع عصرهم وهذا ما نقصده عندما طرحنا هذاالسؤال في بداية هذا الحديث . . . فماذا نعني بالحضارة ؟ وماذا نعني بملاءمتنا مع هذه الحضارة .

ما هي الحضـــــارة ؟ :

أما ما نعنيه بالحضارة فان العلماء قد أجابوا على السؤال باطلاق تعريفات كثيرة مختلفة على الحضارة نرى أن نورد البعض منها ، ونجري حوله نقاشاً لنتفهم بدقة ما تعنيه هذه الكلمة . . يقول الدكتور قسطنطين زريق « اذا استنطقنا

اللغة وجدنا أن الحضارة تعني في اللغة العربي الإقامة في الحضر أي في المدن والقرى بخلاف البداوة وهي الإقامة المتنقلة في البوادي . جاء ف القاموس : والحضارة بالفتح خلاف البادية والحضارة الإقامة في الحضر ، وفي لسا العرب : والحضر خلاف البدو ، والحاضر خلاف البادي ، والحضارة الإقامة ف الحضر . . . عن أبي زيد ، وكان الأصمع يقول : الحضارة بالفتح ، فأصل المعنى إذن ه الاستقرار ، والاستقرار الذي ينشأ عن زراع الأرض هو السبيل الذي تنفسح فيه لأبنا المجتمع مجالات التصور (فاذا ولجوها تقدموا ف فنون اكتساب العيش وفي بناء المدن وفي تحصيل

المعرفة وفي الانتظام الداخلي والتعامل الخارجي وكان لهم حظهم من الرفاه ومن الإبداع ومن الحضارات بوجه عام) [١] .

وفي تصوري أن لفظة الحضارة من الكلمات التي تتغير معانيها بتغير الحياة ، فنحن يمكننا أن نعرف الحضارة بالاستقرار يوم أن كانت البداوة تشمل معظم البلاد العربية اذ أن المقيمين في الصحراء أكثر من المقيمين في المدن ، ولكن البداوة أخذت في الانقراض وأخذ التحضر في الاتساع لأن المدن تكبر وتكثر يوماً بعد يوم ، بل إننا أخذنا نشكو الهجرة من الريف والصحراء الى المدن لأن مشاكل كثيرة نشأت عن هذه الهجرة لعل أهمها ضعف الزراعة والازدحام ، مما سبب ارتفاعاً في أثمان الأراضي وفي أسعار الإيجار .

ملاحظات على ابن خلدون :

ومن الغريب حقاً أن نجد ابن خلدون وهو العالم الاجتماعي يقول في مقدمته : ان أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر » وسببه أن النفس اذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها ، وينطبع فيها ، من خير أو شر ، قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه » . وبقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه ، فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه ، وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه أيضاً عوائده . وأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذّ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا بعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك [٢] » .

أقول من الغريب حقاً أن يصدر مثل هذا الرأي من شخص قال عنه الكثيرون بأنه مؤسس لعلم الاجتماع ، وقال عنه الدكتور قسطنطين زريق : « انه أبرز من تصدى لهذا الموضوع في اللغة العربية بل أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منظمة في أي لغة من اللغات فاستحق أن يعتبر مؤسس علم الحضارات [٣] » .

لأن أقل مفكر يدرك أن الخير يعتمد على مايؤمن به الانسان من قيم ، والمعروف أن البدو لا يفهمون من القيم الا مصلحتهم الذاتية ، فالفردية متركزة فيهم لأن طبيعة حياتهم ترغمهم على ذلك،فهم لا يخضعون لقانون الا لما تعارفوا عليه لأن الخضوع للقوانين لا ينشأ الا بعد نشوء الدولة التي يقوم نظامها على العمل الجماعي ، فان يكن هناك قرابة من الخير فهي للحضر وليست للبدو ، على أن التاريخ الماضي والحاضر يقول لنا وبصوت عال : ان نفس الانسان يكمن فيها كثير من التناقضات فهو اذا غضب نسي كل القيم..فتجده يتصف بالقسوة التي تقشعر من هولها الأبدان ، واذا رضي تمثل القيم واتصف بالرحمة ، ذلك ما يحدثنا به التاريخ في الماضي والحاضر وفي جميع الأمم .

ولكن التاريخ يحدثنا بأن البداوة أقرب الى القسوة والوحشية ، فان البرابرة هم الذين قضوا على الحضارة الرومانية ، وان المغول والتتار هم الذين قضوا على الحضارة الاسلامية فلنلتمس لنا تعريفاً آخر للحضارة . يقول الدكتور جميل صليبا : « وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش ، أو تطلق على الصورة الغائية التي تستند اليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة ، فاذا كان الفرد متصفاً بالخلال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية قلنا انه متحضر وكذلك الجماعات فان تحضرها متفاوت بحسب قربها من الصورة الغائية أو بعدها عنها ، ومع أن الصورة

(١) كتاب في معركة الحضارة ص ٢٧ (٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٤ . (٣) في معركة الحضارة ص ٢٧ .

الغائية للحضارات مختلفة باختلاف الزمان والمكان فان اختلافها لا يمنع من اشتراكها في عناصر واحدة ، وتتألف هذه العناصر في زماننا من التقدم العلمي والتقني ، وانتشار أسباب الرفاه المادي ، وعقلانية التنظيم الاجتماعي ، والميل الى القيم الروحية ، والفضائل الأخلاقية » (٤) . وفي هذه الفقرة تأييد لما ذهبت اليه عن أن الخير يصدر من الانسان حسب مفهومه للقيم .

تغير مفهوم القيم :

ومن الواضح أن الأمم ليست متفقة على مفهومها لكل القيم ، فبعضها يرى الشيء خيراً في حين يكون سيئاً عند أمة أخرى ، بل ربما تتغير القيم أو يتغير بعضها عند الأمة الواحدة ، وكمثال على ذلك ينبغي لنا أن نتذكر قوة هيمنة الوالدين على أولادهما كيف كانت قبل نصف قرن من الزمن ، ونحن وما صرنا عليه الآن نجد أنه قد تغيرت هذه العادة التي كان يعتقد بأنها عادة خيرة ، إنها تغيرت كل التغيير عما كانت عليه اذ كان عمل الابن وزواجه مثلاً لا بد وأن يكونا كما يريده الأب ، أما الآن فان الزواج والعمل قد أصبحا حسب رغبة الابن وميوله ، وينبغي لنا أن نتذكر كيف كانت نظرة الانسان الى المرأة من أن مهمتها ينبغي أن تكون مقصورة على الانجاب وعلى تربية الأولاد ، أما في حالتنا الحاضرة فان مهمتها أصبحت كمهمة الرجل... تتعلم كما يتعلم،وتعمل مثل ما يعمل ، ويعود سبب هذا التغيير الى أن الحضارة الانسانية أوضحت أن المرأة تملك من الطاقة والقدرة مثل ما يملك الرجل . . فقد صعدت الى الفضاء وأنيطت بها إدارة كثير من الأعمال كالطب والهندسة والتدريس،بل انها أصبحت رئيسة لدول كبيرة متحضرة كانجلترا والهند ، لا بد لنا ـ معشر العرب ـ من أن نصير الى مثل ما صار اليه غيرنا من الأمم ، أما الجهود التي تحاول أن توقف هذا التحول فانها ستؤخره الى حين ، ولكن لا الى الأبد بطبيعة الحال . ثم ان علينا أن نتذكر أيضاً أن شجرة التعليم نمت وازدهرت حتى أصبحت دوحة كبيرة تظلّل الناس بظلها الوارف بعد أن كانت الأمية تخيم بظلامها الكثيف على سكان هذه المنطقة ، ومن المؤكد أن التعليم الحديث هو الوسيلة العظمى لاعداد الانسان كي يفهم الحياة وما يحدث فيها من تغيير، ونجد تفصيل ذلك في آثار علماء التربية .

عماد الحضارة العصرية :

فليس من التجاوز في شيء أن نقول إن التنظيم هو عماد الحياة المعاصرة ، فانت اذا تأملت حياة الناس في هذا العصر تجد كل شيء فيها يسوده التنظيم ، ولنأخذ التعليم دليلاً ومثالا من أدلة وامثله لاتحصى على ما ذكرنا . فنحن اذا ما تأملنا هذا الجانب من النشاط الانساني قبل قرون نجد التنظيم ضعيفاً فيه ، فأنت لا تجد فيه مراحل ولا برامج تناسب سن الدارس ، كأن نمو العقل أو مرحلة العمر ليس لها أي أثر على عكس ما يحدث في تعليمنا الحاضر ، وقل مثل ذلك في كثير من الأمور ، فما تشريع القوانين على اختلافها من جزائية وجنائية وتجارية وغيرها ، وما اعتماد اللجان في عملها على اللوائح الداخلية ، وما تنظيم المؤتمرات الشامل من تحديد زمان المؤتمر وتعيين القضايا التي يتدارسها ، والوصايا والقرارات التي يتوصل اليها ، الا أدلة أخرى على ما ذكرته من مكانة التنظيم في الحضارة المعاصرة ، غير أننا نلاحظ أن الأمم المتقدمة هي تلك التي تلتزم بما يقتضيه هذا النهج في حياتها التزاماً دقيقاً في معظم الأمور ، أما الأمم المتخلفة فهي تلك التي لا تعير التنظيم ما يستحق من عناية فائقة ، ونلاحظ أمراً

---

(٤) المعجم الفلسفي جـ ١ ص ٤٧٦ .

آخر أيضاً وهو أن الأمم المتقدمة تبتعد عن العاطفة في معاملتها لجماهيرها الى حد كبير ، اذ أنها لا توكل الأعمال المهمة الا لمن هو قادر على القيام بها،وذلك بأن يكون الفرد قد تدرج من عمل الى آخر أو قل انه صعد درجات السلم من أول الدرج بطريقة بينت ثبات خطواته واستقامته وحسن تصرفه ، أما الأمم المتخلفة فان للصداقة والقرابة والتقرب أكبر الأثر لوصول الشخص الى أعلى المناصب ، وهذا لا يعني أن أفراد الأمم الراقية ملائكة أو أنهم معصومون لا يصدر عنهم خطأ ، أو لاتزل بهم قدم ، فذلك رأي لا يقول به عاقل . . . فهم بشر من البشر تصدر عنهم الأخطاء وتزل بهم الأقدام وتؤثر بهم الإغراءات الى قبول الرشوة وعمل الغش في معاملاتهم ، ولكن المخالفين للأنظمة والقوانين متأكدون أنهم لا يكادون يفتضحون وتنكشف مخالفاتهم حتى يلقوا جزاءهم مهما كانت مكانتهم ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى كقصة ووترجيت فقد اكتشفت صحافة الولايات المتحدة أن رئيسها نيكسون سلك نهجاً غير أخلاقي لينجح في الوصول الى رئاسة الجمهورية ، وما ان نشرت ذلك على الناس حتى جرى تحقيق دقيق أدى في آخر الأمر الى عزله عن رئاسة الجمهورية ، وأنت لا تكاد تقرأ الصحف الا وتجد الأدلة ساطعة تعزز ما أشرنا اليه بل انهم قد يبالغون في ذلك الى حد أن طائرتين في اليابان تصادمتا في الجو فما كان من وزير المواصلات في اليابان الا أن قدم استقالته ، وقد تفرع عن ذلك مواجهتهم للحقائق ـ مهما بلغت مرارتها ـ ومصارحتهم لشعوبهم بها مما يجعل شعوبهم على بَيّنة من معظم الأمور .

العقل والمنطق :

أما الأمم المتخلفة فان أصحاب المناصب العالية في مكانة مرموقة تجعل الناس لا يجرؤون على توضيح أخطائهم ، واذا ما أرادوا أن يقتربوا من ذلك فانهم يقتربون بحذر وخوف ، أما سبب اختلاف النهج بين الأمم المتقدمة والأمم المتخلفة فانه يعود في الأصل الى أمرين .

أحدهما : أن أنظمة الحكم في الأمم الراقية تعتمد على ارادة الشعب ، أعني أن يأتوا عن طريق الانتخابات ، أما في معظم الأمم المتخلفة فان أنظمة الحكم تعتمد على الدبابة والمدفع . واذا كان هناك انتخاب فهو انتخاب صوري لا حقيقة له .

والأمر الثاني : هو أن الأنظمة هناك تدرك بأن الثروات هي ملك للشعب لا يجوز أن تستخدم الا في طريقها الصحيح ، أما في الأمم المتخلفة فان ثروات الشعب هي في الواقع ملك للمهيمنين على الأمر ، لهذا تجد خطب رؤساء الأمم المتقدمة وبياناتهم تؤكد أن عليهم واجباً يقومون به لا يسهبون في ذلك ، أما في الأمم المتخلفة فان بيانات الرؤساء مطولة مليئة بالمن على الشعب ، فهم يشيدون بما بنوا من مدارس وما قاموا به من أعمال بأسلوب يؤكد أنهم تصدقوا بذلك على شعوبهم ، فعلى الشعب أن يكون ممتنا وأن يقدر ما قام به المسؤولون من أعمال جليلة .

وصفوة القول أن للعقل والمنطق أثرهما الأقوى على الأمم المتمدنة ، وأن هناك مآخذ كثيرة على الحضارة المعاصرة لعل أهمها أنها تؤمن بالمادة أعمق الإيمان بدليل ما تنفقه من جهود مادية تفوق الخيال على أسلحة الدمار ، أما قوانينها التي تتعلق بالقيم الانسانية فانها تعتبر زخرفة من القول لا تقدم ولا تؤخر ، على أن لهذه القضية جوانب كثيرة لا يمكن أن ألم بها في هذا المجال . □□

كارل بوبر
بين منهج العلم .. وفلسفة "المجتمع المفتوح"
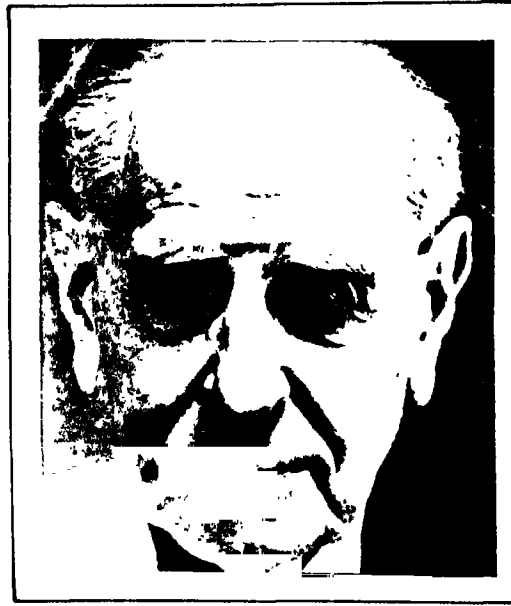
□ على الرغم من أنه تجاوز الحادية والثمانين من العمر ، فلا يزال كارل بوبر ، الفيلسوف البريطاني النمساوي الأصل ، يثير الكثير من الخلاف والجدل والنقاش حول شخصه وأفكاره التي لا تخلو من هجوم عنيف على معارضيه،والسخرية والتنديد بهم وبآرائهم .

بقلم الدكتور : أحمد أبو زيد

الكتابات والأفكار التي يطرحها كارل بوبر تلقى ما تستحقه من عناية واهتمام يتناسبان مع مكانته كواحد من اكبر المفكرين المعاصرين وأشدهم تميزا واستقلالا في الرأي ، وقدرة على التعبير عن كل ما يعرض له من موضوعات ، وإن كان هناك من يصف أعماله بالفجاجة والفظاظة والميل الى تبسيط الأمور الى حد (التسطيح) ، بل إن هناك من يصفه بالتهور والاندفاع في إبداء الرأي بطريقة لا تتفق مع الأصول الواجب اتباعها في الكتابات الأكاديمية .

ولقد أفلح بوبر في تأليب الكثيرين ضده من مختلف الاتجاهات الفكرية ، والمذاهب والايديولوجيات ، وأن يشغلهم بنفسه وبآرائه طوال الوقت ، بحيث يقول الان رايان Alan Rayan في ذلك أن بوبر هو الفيلسوف الوحيد الذي تمكن من أن يجعل اسمه يتردد دائما في بيوت كل المشتغلين بالعلوم الاجتماعية . فالماركسيون يعرفون تماما مدى عنف وقسوة الانتقادات التي يوجهها الى الماركسية فيصفها بأنها (غير علمية) ويندد بادعاءاتها عن حل لغز التاريخ ، ويتهم تطلعاتها المثالية أو على الأصح (الطوباوية) بأنها تحمل في ثناياها الكثير من الشرور والأخطار . وان كانوا هم بدورهم يقولون ان العلم « البوبري » علم وضعي برجوازي ورجعي ، وهكذا . . . .

ومنذ شهور قلائل أخرجت المطابع في الغرب ثلاثة مجلدات جديدة يعتبرها بوبر مجرد (حاشية Postscript) على أول كتاب له نشره بالألمانية عام ١٩٣٤ بعنوان « منطق الاستكشاف Logik dev Forschung وهو كتاب أقام الدنيا منذ نصف قرن ولم يقعدها حتى الآن . وقد ترجم الكتاب من الألمانية الى الانجليزية بعد ذلك بربع قرن كامل (عام ١٩٥٩) تحت اسم « منطق الكشف العلمي The Logic of Scientific Discovery » ثم نقل من الانجليزية الى العربية بعد ذلك بحوالي ربع قرن آخر (١٩٨٢) . وفي هذه (الحاشية) التي تقع في ثلاثة مجلدات ، يحمل كل مجلد منها عنوانا خاصا به ، وتستغرق كلها حوالي تسعمائة صفحة ، يعود بوبر الى نفس المشكلات القديمة التي عرضها في ذلك الكتاب القديم ويضم اليها بعض كتاباته وآرائه الأخرى التي سبق له نشرها وذلك مع بعض التعليقات الجديدة على تلك الكتابات والآراء . وصدور (الحاشية) بهذه الصورة ـ وبعد كل هذا الوقت الطويل ـ دليل واضح على مدى التزامه بأفكاره ومواقفه وتمسكه بها . ولقد قوبلت (الحاشية) باهتمام بالغ من كافة الأوساط الثقافية في أمريكا وبريطانيا ، وأفردت الصفحات الطوال في المجالات العلمية لمناقشة آراء بوبر في كثير من الاهتمام والجدية والعمق ، مع كثير من الهجوم والنقد العنيف . ولكن لم يرتفع خلال هذا كله صوت واحد ينعى على الرجل تمسكه بآرائه القديمة أو ينادي بضرورة اختفائه من ميدان الثقافة والفكر ، بحجة أنه لم يعد لديه جديد يضيفه الى المعرفة الانسانية كما يحدث عندنا حين يحلو لبعض صغار الكتاب مهاجمة الرواد الكبار متخذين من هذا الهجوم ستارا يخفون وراءه عجزهم عن العمل الجاد والتفكير المثمر والانتاج الجيد الرفيع . ولعل أقسى ما كان يقال في الهجوم عليه والتشكيك في آرائه هو أن الزمن وحده كفيل بأن يثبت إذا ما كان بوبر سيظل فيلسوفا كبيرا ـ كما هو الآن ـ أو أنه سيحتل مكانة ثانوية في تاريخ الفكر . وأيا ما يكون الامر فقد حمل كارل بوبر على عاتقه ـ كما يقول جوناثان ليبرسون Jonathan Lieberson مهمة اقامة نسق عقلاني نقدي يمكنه أن يضيء كل مجال التجربة الانسانية التي تشمل العلم والفن والأخلاق والسياسة ، وهي مهمة كانت تعتبر في وقت من الأوقات مسألة عادية ومألوفة لدى المفكرين حينذاك . ولكن الكثيرين ينظرون اليها الآن على أنها طموح ليس له ما يبرره .

ذاق مرارة الفقر

بدأت حياة كارل رايموند بوبر Karl Raimund Popper الفلسفية في العشرينيات في فيينا ، وهي المدينة التي ولد فيها (٢٨ يوليو ١٩٠٢) وعاش وعمل الى أن اضطر للهجرة الى نيوزيلنده عام ١٩٣٧ حين أخذ هتلر يتربص بالنمسا . وينتمي بوبر الى عائلة يهودية الأصل ، ولكن أبويه كانا قد اعتنقا المسيحية والتحقا بالكنيسة اللوثرية قبل مولده . وكان أبوه محاميا على درجة من الثراء ، ثم أصاب العائلة الفقر في نهاية الحرب العالمية الأولى ، ومع ذلك استطاع كارل أن يكمل تعليمه بجامعة فيينا حيث تتلمذ على عدد كبير من الاساتذة ، وتأثر بوجه خاص بعالم النفس النمساوي الشهير كارل بهلر Karl Bühler

في نيوزيلنده تولى بوبر التدريس في كلية كانتربري الجامعية ، وظل هناك الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وتمكن أثناء تلك الفترة من تأليف كتابه الذي أرسى قواعد شهرته بحيث ارتبط اسمه به أكثر مما ارتبط بأي عمل آخر . وأعني به كتاب « المجتمع المفتوح وأعداؤه The Open Society and Its Enemies » ثم غادر نيوزيلنده الى انجلترا عام ١٩٤٦ للتدريس بمدرسة لندن للاقتصاد London School of Economics ، وأصبح أستاذا للمنطق والفلسفة والمنهج العلمي عام ١٩٤٩ ، وظل يعمل بها الى أن تقاعد عام ١٩٦٩ وهو في سن السابعة والستين . ولم يمنعه تقاعده من مواصلة التفكير والكتابة . فظهر له في عام ١٩٧٢ كتاب « المعرفة الموضوعية » وفيه يعود لمناقشة وتوضيح بعض المشكلات المنهجية التي سبق له أن عالجها في كتابيه عن « منطق الكشف العلمي » و « المجتمع المفتوح وأعداؤه » وكذلك في كتابه عن « عقم المذهب التاريخي » ١٩٥٧) كما نشر عددا كبيرا من المقالات المتفرقة التي ضم جانبا منها الى كتاب « الحاشية على منطق الكشف العلمي » .

أعمال كارل بوبر

ولكن من بين هذه المؤلفات والكتابات يحتل كتاب « منطق الكشف العلمي » وكتاب « المجتمع المفتوح وأعداؤه » مكانة خاصة في فلسفة كارل بوبر وتفكيره العلمي والسياسي . والواقع أن معظم أعماله الأخرى ليست الا امتدادا أو تكملة للأفكار والآراء التي ضمنها هذين الكتابين . الكتاب الأول فيه ثمرة وخلاصة موقفه من العلم وفهمه للمنهج العلمي ، والكتاب الثاني هجوم على المذاهب الفكرية والفلسفية التي يعتقد أنها تمثل تهديدا خطيرا للحرية ، وبالذات مذاهب أفلاطون وهيجل وماركس . وقد أثار تهجمه على أفلاطون كثيرا من الانزعاج في أوساط المثقفين في الخارج .

ولقد شغلت مشكلة المنهج العلمي بال بوبر طوال حياته كما شغلت جانبا كبيرا من كتاباته ، وأثارت آراؤه في هذا الصدد - ولا تزال - كثيرا من الجدل والنزاع وبخاصة مع الماركسيين ، وهو نزاع يدور في المحل الأول حول سؤال هام للغاية هو : ماذا نعني بالعلم وماذا نقصد من المنهج العلمي وبخاصة حين نتكلم عن السياسة وعن المجتمع ؟ وقد صدر موقفه في الأصل من معارضته لنظرة الوضعيين المناطقة من أعضاء (حلقة فيينا) الى العلم ومنهجه ، اذ كان معظمهم يعطون كثيرا من الاهتمام لمشكلة التمييز بين (ماله معنى) وما لا معنى له أو ما هو لغو وهراء . وكانوا ينظرون بكثير من الاحترام الى العلم باعتباره مصدر المعرفة ويرون أنه ليس ثمة شيء يمكن معرفته وراء التجربة ، بينما كانوا يذهبون في الوقت ذاته الى اعتبار الذين

والاخلاق والميتافيزيقا (التقليدية) خالية من المعنى وأنها لغو وهراء . فأي عبارة أو حكم من الأحكام يكون له معنى اذا كان قابلا للتحقيق عن طريق المعطيات الحسية ، بينما يكون خاليا من المعنى اذا تعذر ذلك التحقيق . أي أن القضايا المقبولة عقلا والتي تعطي معنى هي تلك التي يمكن تحقيقها عن طريق الشواهد والبينات والأدلة المحسوسة المستمدة من التجربة ، بينما كل ما لا يمكن تحقيقه بهذه الطريقة يعتبر لغوا .

ولم يكن بوبر يعطي أدنى أهمية لمثل هذه المسائل التي شغل الوضعيون المناطقة أنفسهم بها ، ولم يكن يبالي بمسألة التمييز والفصل بين ماله معنى وما ليس له معنى أو بمسألة التحقيق أو اعطاء أهمية خاصة للشواهد المستمدة من الحواس . وانما كان الأمر المهم بالنسبة له هو تحديد الخط الفاصل بين العلم Scientific واللاعلم non Scientific والتعرف على الخصائص التي توجد بالضرورة في عملية البحث العلمي والتي تساعد على تقدم المعرفة العلمية ونموها . والنقطة المحورية في ذلك كله ليست قابلية نظريات العلم للتحقيق وانما قابليتها للدحض والتفنيد .

البجعة السوداء

صحيح أن هدف العلماء هو الكشف عن القوانين العامة الكلية الصادقة ، ولكن من المستحيل ـ في نظره ـ البرهنة على صدق هذه القوانين عن طريق جمع وتكويم الحالات والشواهد المؤيدة ، لأنه قد يحدث أن نعثر في أي لحظة على حالة مناقضة لكل تلك الشواهد . فمهما يكن عدد البجعات البيضاء التي نعثر عليها، فإن ذلك لن يعتبر في حد ذاته دليلا كافيا أو برهانا قاطعا على أن (كل) البجع أبيض اللون ، لأننا قد نكتشف وجود بجعة سوداء وبذلك يصبح الحكم بأن (كل) البجع أبيض حكما (غير) صادق . فالشيء الذي يعطي العلم (علميته) اذن ليس هو جمع الشواهد التي تؤيد الفرض، وانما البحث عن الدليل أو البينة التي قد تنقض ذلك الفرض وتدحضه .

« العملية العلمية » في نظر بوبر تقوم اذن على المحاولة والخطأ ، وقد تردد هذا الرأي في كتاباته بأشكال مختلفة وان كان يفضل في الأغلب التعبير عن ذلك باستخدام كلمتي « الافتراض أو التخمين conjecture » و « الدحض re-futation فالعالم الخليق بهذا الاسم هو الذي يضع افتراضات أو تخمينات واسعة عريضة تستند في الوقت ذاته على المعلومات والحقائق المتاحة له ، كما أنها تدور حول الطريقة التي يمكن بها حل مشكلات معينة بالذات ، ثم يعكف بعد ذلك ، هو وغيره من العلماء على اختبار وفحص تلك التخمينات بكل ما في وسعه من أساليب ووسائل بقصد اكتشاف نقاط الضعف أو الأخطاء في تلك التخمينات . فاذا صمد تخمينه لكل هذه الاختبارات القاسية العنيفة أمكن قبوله على أنه حل ملائم ، على الأقل الى أن يثبت عكس ذلك . أما اذا فشل التخمين أو الافتراض في الصمود أمام هذه الاختبارات فانه يكون قد تم دحضه وتفنيده ويتعين بذلك على الباحث أو العالم أن يأتي بافتراضٍ أو تخمين جديد بحيث يأخذ في اعتباره ما تَكشف عنه التخمين السابق من حقائق أو نقائص وهكذا . وقد بلغ من أهمية هذا المبدأ في تفكير بوبر أن خصص أحد كتبه لمعالجة الموضوع مع أنه تطرق اليه في كل كتاباته الأخرى ، وأعطى لهذا الكتاب الذي صدر عام ١٩٦٢ عنوانا يدل على مضمونه ومحتواه وهو « التخمينات والتفنيدات » بل ان بوبر اعتبر المحك الرئيسي للحكم على إخلاص الباحث أو العالم في صياغته للنظرية هو المدى الذي يذهب اليه في عملية الاختبار والفحص الدقيق العنيف والبحث عن الحالات والشواهد التي قد تدحض تلك النظرية .

التحليل النفسي والماركسية

ولكن هذا لا يعني أبدا ضرورة رفض وإبعاد كل الأحكام والقضايا التي من هذا القبيل واسقاطها كلية من الاعتبار ، وكل ما يعنيه ذلك هو اخراجها فقط من حيز العلم الصحيح والتصدي لها إن هي حاولت أن تنتحل لنفسها صفة العلم كما هو الحال بالنسبة للتنجيم . وعلى هذا الاساس نفسه فان بعض فروع المعرفة التي تبدو في ظاهرها « اكثر احتراما » من التنجيم والكيميا لا يمكن اعتبارها (علوما) بأي حال من الأحوال . وأفضل مثالين لذلك هما التحليل النفسي والماركسية . والظاهر أن انشغال بوبر واهتمامه بمسألة طبيعة العلم نجما عن عدم اقتناعه بهذين الفرعين من فروع المعرفة على الرغم من أن الكثيرين يعتبرونهما من أهم (العلوم الانسانية) التي ظهرت في أواخر القرن الماضي . وكان رأي بوبر هو أن كل ما يدور من نقاش وجدل وخلاف في هذين (العلمين) لم يساعد على تقدم المعرفة بشكل مقنع ، وانهما يفتقران الى ذلك الركن الأساسي المميز للعلوم الطبيعية ، وهو البحث الجاد المستمر عن الأدلة والشواهد والحالات التي قد تنقض فروضهما ونظرياتهما وتدحضهما .

والعيب الأساسي في التحليل النفسي هو أنه لا يصوغ فروضه أبدا بطريقة تسمح باختبارها وفحصها بمنهج الدحض ، فليس هناك وسيلة على الاطلاق لاختبار صدق نظرية فرويد عن أن الأحلام هي تعبير عن مشاعرنا ورغباتنا المكبوتة . وحتى حين توجد دلائل وشواهد تدحض أحد هذه الفروض فان أتباع مدرسة التحليل النفسي يسارعون الى التشكيك فيها والتهوين من شأنها واثارة الشكوك حول الدوافع التي تكمن وراء هذه الاعتراضات ، بل كثيرا ما يلجأون الى تجريح أصحابها . واذا كان أعضاء هذه المدرسة يعتقدون أنهم يعملون بذلك على (إنقاذ) تفسيراتهم السيكوتحليلية من محاولات الدحض والتفنيد فإن هذا الموقف لا يؤدي في آخر الأمر ـ وهذا هو المهم ـ الى تقدم المعرفة ونموها . ومن هنا كان بوبر يرفض اعتبار التحليل النفسي علما بالمعنى الدقيق للكلمة . وهذا نفسه يصدق على الماركسية . فعلى الرغم من التعاطف الذي كان بوبر يبديه في وقت من الأوقات نحو الماركسية التي اعتنقها لفترة قصيرة في شبابه فانه يرى أنها كثيرا ما تلجأ الى الأساليب ذاتها التي يلجأ اليها التحليل النفسي . فليس ثمة سبيل الى دحض دعوى الماركسية عن قرب انهيار وزوال الرأسمالية لأنها دعوى غير قابلة للاختبار والفحص على أساس تجريبي (امبيريقي) .

بل ان الأمر يذهب الى أبعد من ذلك حين يحاول بوبر تطبيق ذلك المنهج القائم على التخمين والدحض في مجال الحياة السياسية والاجتماعية . وبوبر من المفكرين القلائل الذين بنوا فلسفتهم وشهرتهم على محاولة المزج بين العلم والسياسة والنظر الى السياسة والمجتمع في ضوء العلم ومقتضياته . فالعلم بطبيعته معارض للتسلط وإخضاع حرية الفرد للدولة ، بل انه على العكس من ذلك تماما (ديمقراطي) إن صح هذا التعبير ، لأنه لا يتقبل سوى القضايا والأحكام والدعاوى التي تثبت قدرتها على الصمود أمام كل محاولات الفحص والاختبار والدحض والتفنيد بصرف النظر عمن صدرت عنه هذه الدعاوى ، والنقطة الأساسية هنا هي أن البحث الجاد والسعي الحثيث وراء الفهم العلمي أمور ترتبط ارتباطا وثيقا بتنظيم المجتمع العلمي ذاته الذي هو في جوهره (مجتمع مفتوح) . والمجتمع المفتوح هو الذي تخضع فيه كل الآراء والمعتقدات والمسلمات بصورة دائمة ومستمرة للنقد الصريح . وهذا هو المبدأ الذي يرتكز عليه بوبر في هجومه على النظم الشمولية التي تقف في وجه الفرد وتهدد هذه الحرية □□

طبيب الأسرة

الشخير
Snoring

والدتي تشخر كثيرا أثناء النوم فهل هذا الشخير في حكم المرض يا ترى ؟ فاذا كان كذلك فماهو سببه ؟ وما هو علاجه ؟

هشام / المغرب

الشخير ظاهرة شائعة تعزى الى ذبذبة شديدة للجزء الخلفي من سقف الحلق المسمى بالحنك الرخو Soft Palate بسبب وقوعه بين تيارين من هواء الزفير الخارج من القصبة الهوائية حيث ينطلق أحد التيارين خارجا فوق الحنك عبر قناة الأنف ، أما الأخر فيخرج من تحت الحنك الى الفم .

من الملاحظ أن أغلب الذين يشخرون أثناء نومهم يعانون من هذه الظاهرة وهم نيام على ظهورهم والفم مفتوح ، وتختفي اذا ما تقلب النائم ليكون نومه على أحد الجانبين .

على أي حال فان حدة الشخير تزداد وتكراره يستمر عندما يكون هناك عائق في موضع ما من مجرى الأنف يعوق سلاسة جريان تيار الهواء عبر قناة الأنف ، ولهذا فان تقصي أسباب الشخير يبدأ عادة بفحص مجاري الأنف لاستطلاع أي خلل مرضي ، أكثر هذه الاختلالات شيوعا هو صغر فتحتي الأنف أو انحراف حاجز الأنف Deviated Septum أو تضخم الغشاء المخاطي المبطن لجدار الأنف ، نتيجة التهاب أو حساسية ، كما أن لحمية الأنف أو الزوائد اللحمية فيه Nasal Polypi أو تضخم الغدة خلف الأنف التي يدعونها لوزة البلعوم Adenoid هي كذلك من أسباب الشخير المألوفة .

من الملاحظ أن الانسان البدين هو أكثر استعدادا للشخير من غيره كما أن أحوالا عامة ليست مرضية مثل الاجهاد والتعب والاسراف في التدخين أو الافراط في شرب الكحول هي من الأسباب المهيجة للشخير .

أما الأحوال المرضية الشديدة التي يصاحبها الشخير الطارىء عند الانسان فهي حالات الأرتجاج في المخ أو التسمم بالأفيون والاختناق وما شابهها . . . وهذه تكون واضحة المعالم بأعراضها الأخرى التي تتصدرها الغيبوبة .

ان علاج الشخير دائما يبدأ بالبحث عن السبب واستئصاله ، فاذا لم يتبين السبب فان تفادى النوم على الظهر واستعمال مخدات عالية نسبيا سوف يوقف

الشخير ، وقديما كانوا يلجأون الى حيلة طريفة هي نزع بضع شعيرات قاسية من الفرشاة وتثبيتها في لباس النوم وربما وضعوا حصاة صغيرة عوضا عن الشعيرات تدفع بالنائم الى تفادي النوم على الظهر ومحاولة النوم على أحد الجانبين .

الانفلونزا ليست زكاما ولا حساسية

أُصاب بين حين وآخر بأعراض تتمثل في انسداد الأنف مع عطاس وجريان سائل مائي ولكن دون شعور بالحرارة ، أو معاناة من السعال ، وفي بادىء الأمر اعتقدت أنها شكل من أشكال الانفلونزا ، أو ربما هي نزلة برد (رشح) كما أشار البعض عليّ . . . ولكني مع تكرار معاناتي استشرت الطبيب فقرر أنها الحساسية . . . فهل يمكن للحساسية أن تسبب الانفلونزا أم هما مختلفتان ؟

ح . ي . ن . الدوحة ـ قطر

ربما كانت الانفلونزا من أكثر الاسماء تداولا بين الناس ، يطلقونه اعتباطا على كل توعك قد تصاحبه الحمى ، أو قد لاتصاحبه ، مع بعض أعراض نزلة برد من جريان الأنف والسعال ، وبحة الصوت وشعور الانهاك ، ودون شك أن الانفلونزا أحد الأمراض القديمة عند الانسان ، لكنها لم تكتسب شهرة اسمها الا عام ١٧٤٣ حين أطلقها طبيب اسكتلندي يدعونه جون برينجل john Pringle لتعبر عن نوبة برد شديدة تتميز بالحمى الشديدة والسعال وجفاف الحلق والانهاك العام .

ويقال ان هذا الاسم انفلونزا Influenza قد اشتق من كلمة ايطالية هي انفلونس دي فيديدو Influence De Videdo وتعني تأثير الأرواح الشريرة على حد ما كانوا يعتقدون ، وربما أطلق عليها البعض اسم جريب Grepe بمعنى القبضة ـ مشتقة من الفرنسية لأن المرض يقبض النفس .

وعلى أي حال فان سر المرض لم يكتشف الا في مطلع الثلاثينات حين اكتشف الفيروس المسبب للانفلونزا ، ثم تتابعت الاكتشافات ليقف العلماء على سر ثلاثة فيروسات كل منها يسبب الانفلونزا .

أما نزلة البرد المعروفة باسم الزكام ، والتي يطلق عليها البعض اسم النشلة ، أو الرشح ، وكانت تختلط على الناس (وما زالت عند البعض) مع الانفلونزا ـ فسببها فيروسات أخرى قد تعد ٨٩ فيروسا مختلفا ، ولكنها من عائلة واحدة تؤدي الى أعراض أخف وطأة من الانفلونزا وأقل خطرا ، وتتميز بعدم ارتفاع درجة الحرارة في الغالب أو ربما بارتفاع بسيط مع جريان الأنف وانسداده مع سعال

حتى الآن لم يعثر الطب على علاج نوعي لأي من الانفلونزا أو الزكام ، ولكن الراحة التامة والغذاء الجيد هما أساس العلاج الذي يعتمد على تقوية المناعة الطبيعية للجسم والا انتهى الأمر الى مضاعفات تكون في الانفلونزا أشد مما هي في الزكام .

لقد سجل عام ١٩١٨ عقب الحرب العالمية الأولى وفاة عشرين مليون انسان في أوروبا من أثر وباء الانفلونزا كما تسجل احصائيات المستشفيات اصابات التهاب الرئة أو القلب وربما تشوه الأجنة عند الحوامل ، أما مضاعفات الزكام فلا تعدو التهاب الجيوب الأنفية أو التهاب الجهاز التنفسي السفلي وربما امتدت الى الأذن الوسطى .

على أي حال فهذه الأعراض قد تختلط أحيانا مع أعراض الحساسية التي تظهر لسبب أو لآخر على الجهاز التنفسي العلوي أي الأنف والحلق والقصبة الهوائية ، ومن الطبيعي أن هذه الأعراض قد تكون أحيانا مراوغة لدرجة يختلط فيها التشخيص ولكن الطبيب المختص لا مكان لديه للخطأ أو الحيرة بين هذا وذاك .

الفراسة والكشف عن باطن الأرض

بقلم : الدكتور محمد عيسى صالحية

□ قبل التطورات المذهلة التي شهدتها العلوم الحديثة ، تمكن العلماء العرب من استخراج الماء من باطن الأرض ، وهذه هي التفاصيل .

درج بعض علماء الغرب في نصف القرن الماضي على وصف المجتمعات بالمتحضرة وشبه المتحضرة والمتخلفة وجعلوا من جملة معايير هذا التقسيم قدرة المجتمع على اخضاع البيئة لمتطلبات حياته اليومية ، من ثم توفير احتياجاته الملحة بحسن استغلاله للمحيط الذي يعيش فيه .

وفي هذه المقالة أقدم نموذجاً لنجاح العلماء العرب في الفراسة لخدمة الهندسة ومن ثم تسخير العلوم الأخرى كالفيزياء والحيل والكيمياء للسيطرة على مرفق من مرافق الحياة اليومية الا وهو « انباط المياه الخفية » من باطن الأرض ، ومن ثم اصعادها الى الأعلى في حين أن آلة الرفع الكهربائية لم تكن معروفة ، وأخيراً إجراؤها في قنوات للري والشرب وغيرها من الأمور المعروفة وستتناول في هذه الحلقة موضوع الاستدلال على الماء في باطن الأرض .

ان الفكرة التي تجعل أمر علم الفراسة محصوراً في الانسان هي بلا شك مجانبة لواقع الحال ، فان الفراسة وان عنت الاستدلال بظاهر الشيء على باطنه فان الأرض يمكن ان تكون مجالاً للتفرس ، ولم لا ؟ والأرض مخزن الماء « وقيل يا أرض ابلعي ماءك » ، « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع » ، فلماذا اذن لا تجرى الفراسة على الأرض ، وقد أدرك محمد بن عمر الرازي « ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠م » هذه الحقيقة حين جعل النوع الخامس من العلوم المناسبة لعلم الفراسة هو حكم مهدف المياه ومستنبطها في البقاع السهلية والجبلية لاخراج الأنهار ورفعها الى وجه

هذا المقال كان مفروضاً أن ينشر في العدد رقم ٣٠٣ فبراير ١٩٨٤ . واشرنا اليه في فهرس العدد : ولكن لضيق المكان ، تأجل نشره الى هذا العدد .
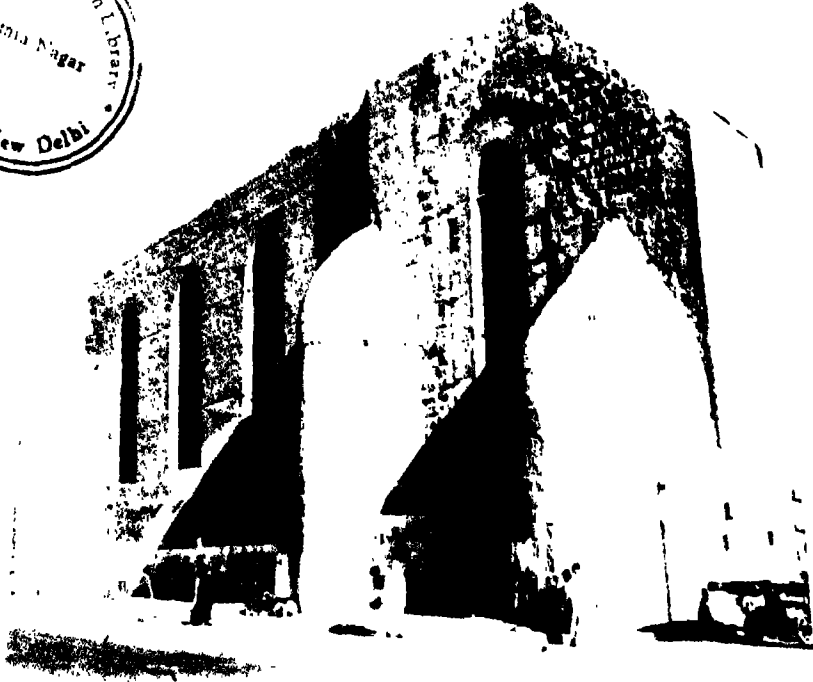
مجرى العيون ـ اكبر مشروع هيدروليكى في العالم ، لرفع الماء من الانهار الى القلعة

الأرض ، وعنده أن الأصل الذي عليه مدار هذه الصناعة هو معرفة ترب الأرض بألوانها وخواصها : السهلي منها والجبلي والرملي والصخري . ولعل من يعتقد ان الوصول الى استخدام الفراسة في اكتناه مجهول الأرض انما جاء متأخراً في القرن السابع الهجري مثلاً ، ولكن العودة الى مراجع اللغة يضع أمامنا العديد من المصطلحات التي تندرج تحت باب الاستفادة من الفراسة في الاستدلال على ما في باطن الأرض ، فجوّاب الفلاة مثلا هو الذي ما اختار صخرة ليحفر منها الا أماءها (أي استنبط الماء منها) ، والعياف أيضاً تطلق على الدليل الذي يعرف موضع المياه في الأرض ، والقنقن هو من يمتهن التفتيش عن المياه في باطن الأرض ، وأحياناً يتعدى عمله مجرد التفتيش عن المياه الى تحديد مواضعه في باطن الأرض وحتى تحديد كميته .

وجعلوا من صفات القنقن المميزة الحس الكامل بمكان وجود الماء ، ومن ثم التصور الشامل لطبيعة المياه في باطن الأرض بعداً وقرباً ، عذوبة وملوحة ومرارة وغيرها ، وتلك لا تتوفر الا للأذكياء من القوم حسب مفهومهم ، فكأن وظيفته تماثل عمل المهندسين والجيولوجيين المختصين بعلوم الأرضية في زماننا Hydroscope Sourcier ولكن أدواته هي فراسته ، فهل لنا ان نرقب عمل قنقن يبحث عن المياه في منطقة معينة .. ؟

وجدير بنا ان نشير بهذا الصدد الى ان اليونانيين استدلوا على مكان وجود المياه في باطن الأرض باستعمال عصا سموها « القضيب

السحـري » يحمله شخص بـوضعيـة معينـة ويتفـرسه ويحـدد منطقـة لاستنباط المـاء منها ، وخبرته قد تكون متوارثة في هذا الشأن ، أما عند العرب فقد سلك القنقن عدة وسائل لتحديد مكان المياه ونوعيتها وكميتها حيث يعنى بظاهر الأرض وجبالها ووديانها وصحرائها . وكثيراً ما كان يجرى التجارب التطبيقية العملية لاثبات ما توصل اليه .

الاستدلال على الماء بالنبات

لقـد كـانت معـارف العـرب عن النبـات متميزة ، فكان وجود أنواع من النبات في اماكن معينة دليلاً على وجود المياه في تلك المنطقة ، فما على القنقن الا ان يتقن أنواعها ويتعرف اليهـا ويصنفها ليحدد فائدتها في الكشف عن المياه ، فالقنقن بدوره يعمل على نظمها في مجموعات كما يلي :

- نبـاتات لا يستقيم لها حال الا اذا وصـل جذرها الى الماء ، فحيث رأيت هذا النوع من النبات فاحفر متبعاً جذر النبات فستصل حتماً الى نبع ماء ، فنبات الحاج ـ العـاقول ـ مثلاً تغور أصوله حتى تصل الى الماء ، وقد ذكر الكرخي انه شاهد واحدة منها طولها خمس عشرة ذراعاً وان اصلها كان في نهر دجلة ، وروى خبراً آخر عمن حفر بئراً في صحراء ذات حاج اتصلت عروقها الى ان وصل الماء بعد خمسين ذراعاً .
- نبـاتات يـدل وجودهـا عـلى قـرب المـاء وعذوبته ، كـالقصب والثيل والحلفـاء والسرو والبطم والعليق والعوسـج الصغير لا سيما اذا نمت في الصيف والخريف وذلك أن جـذورها تغور بعيدة في الأرض باحثة عن الماء وأضاف ، المسعودي اليها اللين من الحشيش ، وجعلها دالة على قرب الماء لمن أراد الحفر وما عدا ذلك فعلى البعد .
- نباتات تدل على رطوبة الأرض مع قلة الماء مثل لسان الثور والبابونج والخطمى وكزبرة البئر واكليل الملك والخبازى والحندقوق وحي العلم والدوقس والسعدي والثيل والخروع والضمران (الضومران) والأسل ونبات الدم أي نبات دم الأخوين .
- نباتات تدل على ان الأرض ذات ماء فقط كالحرشف والحمض التي لا تنمـو الا على مـاء التـوأب والعوسـج المستوي القضبـان الذي لا يمكن ان ينمو الا على أرض ذات ماء .
- نباتات لا تنمو الا في الأرض الرطبـة مثل الـطرفاء والبـردى والسماق والحمـاض ولسان الحمـل والعليق ، واحتمال وجـود المـاء فيهـا قائم .
- نباتات تدل على بعـد الماء مثـل العوسـج الكبيـر الذي ينبت في الأرض القشفـة البعيـدة الماء .

ولم يغب عن بال القنقن أنه بمقدار غضاضة تلك النباتات ونضرتها وخضرتها وكثرة أغصانها والتفاف ورقها وعروقها ، يكون الماء قريباً أو بعيـداً ، وكذا كميتـه كثيرة أو قليلة في جـوف الأرض .

الاستدلال على الماء بشم التراب

ويمكن ان يستدل على أمكنة وجود الماء عن طريق شم تراب المنطقة التي يراد الحفر فيها ، اذ لكل بقعة من الأرض رائحة خاصة بها ، يعرفها الماهرون المدربون في هذه الصنعة ، فـاذا كان

نبات العوسج الصغير .

ريح التراب مثل ريح الطين المستخرج من السواقي والأنهار الدائمة التي تجف على حافاتها أوحت أن المياه على أذرع يسيرة في غور الأرض ، ومثل ذلك التراب العفن الذي تماثل رائحته رائحة الطحالب ، وان كانت رائحة التراب كرائحة التراب القشف الدائم الجفاف ، دلت على أن الماء اما بعيد الغور أو لا ماء في المنطقة ، وقد أورد الادريسي خبر ذاك التاجر الذي كان يبيع بضاعته في بغامة من أرض السودان . وحين بلغ منه العطش أشده ، طلب الى الدليل البربري ان ينقذ حياته بقطرات من الماء ، ونعى نفسه الى الدليل لأنه سيموت ورفاقه عطشاً ، فما كان من الدليل البربري الا ان اخذ غرفة من تراب الأرض وشمه وتبسم ، وطلب الى أهل القافلة ان يستريحوا فان الماء معهم وأخذوا يحفرون وبعد نصف قامة نبط لهم ماء كثيراً .

ويقودنا هذا الى العلامات الدالة على الماء من ظاهر التربة ، فان نعومة وخشونة وجهها يدلان على امكانية وجود الماء فيها ، فكل منخفض من الأرض ذي طين أسود ودسم فهو ذو ماء ، وأكثر ذلك يوجد في هوات ومغارات اذا كان قرارها مسترخي التربة ، وان كانت الأرض قاحلة يابسة مدرها مثل الخزف كانت عديمة الماء ، ولاثبات ذلك يبلل ترابها ، فان كان طينها كطين الخزف كانت عديمة الماء والنداوة . أما اذا كان على وجه الأرض صخور ذاهبة طولاً وعرضاً ، قليلة السمك ، فهي قليلة المياه وكذا الأرض الكثيرة الرمل والرضراضة والخشنة التراب ، ولمزيد من التأكيد يعجن تراب الأرض ، فان كانت صمغية دل ذلك على ان الأرض ريانة وفيها ماء والا فالأمر عكس ذلك .

الاستدلال على الماء باستقراء ظواهر وسطوح الجبال

يرى الكرخي ان لون الجبال ينبىء عن الماء فيها ، فالجبال السوداء ذات اللون الأسود والرخوة الحجارة والطبقية التكوين ، (عريضة وضخمة من الأعلى) أو حجرها كثير متبدد وصخورها قائمة كأنها ناتئة يكون الماء فيها أكثر وأغزر من الجبال ذات اللون الأخضر أو الصفراء أو الحمراء لا سيما ان ظهر على سطحها ندى في الصباح الباكر . وفي آخر ساعات النهار

يلحظ بالعين ويلمس باليد . ويمكن التثبت من نداوتها وتعرقها بنثر تراب ناعم على وجه حجارة تلك الجبال وينظر عند المساء ، فان تندى التراب ففيه ماء قريب من وجه الأرض ، وبقدر كثرة الماء في الجبل وقربه من ظاهره تكون كثرة الندى ، وان كان الماء قليلاً أو بعيداً ، كان الندى قليلاً وضعيفاً . أما الجبال البيضاء فانه لا ماء فيها .

ومن ناحية أخرى ، فان الجبال المتصلة بعضها مع بعض والتي تتخللها الشعاب وتظللها الأشجار غالباً ما تكون أوفر حظاً من الجبال المنفردة اليابسة والمزدحمة الصخور باحتوائها على المياه ، لأن النوع الثاني من الجبال لا تستديم الثلوج عليها لمدة طويلة فلا تنفذ المياه منها الى باطن الأرض الا قليلاً . وفي الجبال المتصلة ينظر الى الشقوق التي في ظاهر الجبل أو الأرض ، فان كانت شبه الجليد فذاك حفيف الهواء ، وان كانت ندية والبخار طالع منها فذلك حفيف الماء ، ثم إن نمو بعض النباتات مما لايزرع على الجبال لدليل على وجود المياه فيها ، وكذا مشاهدة آثار قنوات مائية نحتتها المياه الجارية فوقها في موسم الشتاء أو عند ذوبان الثلوج بحيث تتصل تلك المسايل بشعاب الجبال ولا يرى أي مخرج لها .

الاستدلال على وجود الماء بالسماع

وغالباً ما يقوم القنقن بذلك فيميز بالاستماع بين دوي الريح في باطن الأرض ، والدوي الذي يعقبه خرير الماء أو حفيفه في جوف الأرض وغالباً ما يختار القنقن مكاناً بعيداً ندياً معشباً ، ويستمع الأصوات في شعاب الجبال والبطاح ، وبقدر قوة تمييزه بين الأصوات يستطيع ان يحدد قرب الماء أو بعده ، وان تعذر عليه ذلك فينظر الى الدوي ، فان استمر على حالة واحدة عند اطالة الاستماع له ويكون كالدوي في غور من الجبال فذاك صوت الماء ، وان سكن تارة وهاج أخرى فهو صوت الريح ، لأن الأرض الخالية من الماء يدب في خللها الهواء ويخرقها فيسمع صوته . وقد أوضح الكرخي هذه المسألة عندما وصف مكاناً مرملاً في سفح جبل ، قرب نهاوند ، يسمع منه في أوقات مثل دوي الريح وبعد سماع ذلك يفيض منه ماء يجري الى حضيض الجبل فيسقي المزروعات .

وأورد البيروني أن أهل اليمن ربما حفروا البئر فبلغوا صخرة حسبوا ان تحتها ماء فينقرونها نقرة يعرفون بصدى صوت نقرهم مقدار الماء تحتها ، وأشار الى مثل ذلك صاحب كتاب « الاستبصار في عجائب الامصار » عند وصفه لمدينة وَرْجلان من غانة ، فذكر « انها كثيرة الماء ولها أعجوبة ليست في موضع من الأرض ، يحفر الرجل بئراً ، فيجد طبقاً من حجر صلد فيستبشر عند وجوده ويطعم أولياءه فرحا ويدخل اليه من يعرف كيف ينقره » .

هذه نماذج من اخضاع البيئة للسيطرة الانسانية أبدع العلماء العرب فيها ، واستفادوا من كل ما من شأنه أن يجعل الحياة ميسورة ، ولكن بالجهد والعمل الدؤوب . وهل أتاك حديث المسعودي حين قرر أن قرى النمل تدل على وجود الماء من عدمه ، فان كانت النمال غلاظاً سوداً ، ثقيلة المشي دلت على قرب الماء ، وان كانت النمال على عكس ذلك وسريعة المشي ، كان الماء بعيداً ، وذهب الى ان النمل يدل أيضاً على عذوبة الماء وملوحته في المنطقة .

□□

بقلم الدكتور : محمد علي الفرا

☐ القلق سمة عصرنا هذا ، والخشية من المستقبل من علاماته البارزة وسماته المميزة . فالقلق والتخوف من المستقبل مشكلة إنسان هذا الزمان أينما حل وارتحل ، وحيثما استقر واستوطن . ولو سألت اليوم أي انسان مهما كان شأنه ومركزه في مجتمعه لشكا لك من حاضره الذي يحياه ، ولأطلعك على مدى القلق الذي يساوره وهو يستشف المستقبل الذي هو مقدم عليه ، ولأفاض في الترحم على ماض ولّى وزمان أدبر ورحل وطوى معه سعادة كانت تغمر الانسان ، وراحة بال وطمأنينة حال نفتقدها في عالم اليوم .

←

حينما ينظر كثير من الناس الى حاضرهم ومستقبلهم بمثل تلك النظرة القلقة يظنون بأن هذا خاص بهم وحدهم وبطبيعة عملهم وبنمط حياتهم وبظروف المكان الذي هم فيه . وهم من أجل مستقبل أفضل ، وحياة أرغد وأسعد ، يطلقون لخيالهم العنان ، فيصور لهم وضعا مثاليا في مكان آخر ، وينسج لهم صورة مشرقة لذلك المكان ، وقد خلا من المتاعب والمشاكل ، ولكن سرعان ما يكتشف هؤلاء ـ بمجرد ملامستهم لأرض الواقع ـ ان ما زينه لهم خيالهم ما هو إلا أوهام . وأن المشكلة عامة وليست خاصة ، فالكل في هذا العالم يشكو الزمان حاضرا ومستقبلا ، ويحمل المكان شكواه ، وسبب بلواه .

وقد اهتم الانسان بالمستقبل منذ بدء الخليقة ، وحاول أن يرسم صورة للحياة المستقبلية ، وما ينبغي أن تكون عليه أحواله وأوضاعه . وقد أدرك بأن الماضي والحاضر يؤثران الى حد كبير في شكل المستقبل ، ولذلك بذلت الكثير من المحاولات من أجل تعديل الواقع أو تغييره ، حتى يكون المستقبل أكثر اقترابا مما هو متوقع .

ولعل من أبرز تلك المحاولات في الماضي البعيد محاولة فيلسوف الاغريق الشهير افلاطون بناء المدينة الفاضلة UTOPIA في عمله الخالد « جمهورية افلاطون » والذي رسم فيها صورة لما ينبغي أن تكون عليه تلك المدينة التي ستحقق للناس السعادة والرفاهية .

ولم تنقطع محاولات المفكرين والفلاسفة على مر العصور في شرح وتحليل مقومات المستقبل لمجتمع تسود فيه العدالة والفضيلة والخير ، ووضعوا في ذلك الكثير من الأفكار والنظريات التي أفادت البشرية . ولسنا هنا بصدد التعرض لهذه المحاولات ، ولا لتلك النظريات ، وإنما أردنا أن نبين بأن الخوف من المستقبل هو مشكلة الانسان التي لازمته من قديم الزمان .

وإذا تركنا الماضي ، وانتقلنا الى الحاضر ، جاز لنا أن نتساءل عن دوافع تلك النظرة القلقة لانسان اليوم وهو يتأمل مستقبله ويتدبر حاله ! فلا شك في أن هناك الكثير من المتغيرات التي تؤثر على نظرة الانسان هذه ، ولا بأس من تحليل بعضها .

الواقع يلقي بظله على المستقبل

كثيرا ما يكون القلق والتخوف من المستقبل مستمدا من الواقع الذي يحياه الانسان . فلو ألقينا نظرة تأملية لتبين لنا بأن هذا الجيل يعيش حياة مترفة لم تشهدها الأجيال السابقة . فباستطاعة المرء أن ينتقل الى أقصى أنحاء المعمورة في وقت قصير ، وبوسيلة تؤمن له متطلبات الراحة ، بينما كان سلفه في الماضي يبذل الجهد ، ويعاني المشقة ، إذا انتقل من مدينة الى أخرى داخل القطر الواحد ، فما بالك اذا كانت هذه المدينة تقع في بلد بعيد ؟

لقد شاع اليوم استعمال السيارة ، وأصبح معظم الناس يمتلكونها ، وتطورت أشكالها وأحجامها واشتملت على كثير من وسائل الراحة والمتعة ، وساعدت السيارة وغيرها من وسائل النقل الكثيرة على الحركة والانتقال واتصال العالم بعضه ببعض ، وأصبح السفر ضرورة من ضرورات الحياة ولوازمها .

وشمل التطور بيوتنا ومكاتبنا وأعمالنا . فالمساكن تطورت من حيث الشكل والنمط والحجم والمحتوى ، ولم يعد المسكن مجرد مكان يقيم فيه الانسان ويلتجىء اليه من الظروف البيئية القاسية ، وانما أصبحت له مواصفات ومقاييس لا بد أن تلبى حتى تتمشى والحياة المعاصرة وأصبح البيت يحتوي على كل ما يخطر على البال كالأثاث الفاخر ، ووسائل اللهو والتسلية كالتلفاز والسينما والفيديو ووجدت ربة البيت كل الوسائل التي تعينها على أداء

مهماتها وواجباتها من طبخ وكنس وغسيل ونحوه ، فكل شيء يمكن انجازه بأقل مجهود يبذل ، وفي أسرع وقت ممكن وبمجرد الضغط على زر الكهرباء .

منجزات العلم

ويتطلع الانسان في عالمه الذي يعيش فيه اليوم . . . لقد استطاع بالعلم أن يحقق أشياء ما كانت تخطر له على بال ، وكانت بالأمس من قبيل المحال . ويفاجأ كل يوم بمزيد من المخترعات والمبتكرات والمنجزات العلمية ، التي مكنته من اختراق حاجز الفضاء الكوني ، والوصول الى بعض كواكب المجموعة الشمسية ، ودرس أحوالها كما ضرب بسهم وافر في عالم البحار والمحيطات ، وحاول كشف أسرار القيعان والأخاديد والمنخفضات .

ولكن هذه المخترعات ، وتلك المنجزات التي كان من المفروض أن تحقق الرفاهية والسعادة للانسان أصبحت اليوم سبب قلقه وتعاسته ، وسر نظرته التشاؤمية للمستقبل . فالسيارة ـ مثلا ـ على الرغم من أنها نعمة من نعم حياتنا المعاصرة الا أنها باتت نقمة . فمع زيادة أعداد السيارات كثرت حوادثها بشكل رهيب ، حتى أصبحت ضحاياها تفوق بكثير الضحايا التي تسقط لأسباب أخرى ، بما في ذلك الموت الطبيعي .

ولقد أثرت السيارة على نمط حياتنا ، وشكل مجتمعاتنا ، فبزيادة اعداد السيارات أصبح لا بد من زيادة أطوال الشوارع ومساحاتها طولا وعرضا ، فتبعثرت المساكن وتفرقت وانتشرت مما أدى الى ضياع الكثير من معالم الحياة التي كانت سائدة بعاداتها وتقاليدها وقيمها . . . تلك القيم التي كانت بمثابة صمامات الأمان للمجتمع . ولذلك فقد أسهم هذا الانتشار والتشتت في عملية التفكك الأسري ، وانفصام الروابط العائلية التي كانت تمد الفرد بعاطفة المحبة وروح الانتماء .

الملل والضياع

ومع كثرة وسائل الراحة والتسلية وتنوعها في المنزل فقد المرء الحافز والدافع ، وشعر بأن كل شيء طوع أمره وبنانه ، ولم يعد أمامه من شيء بعيد المنال ، علاوة على أنه استنزف وقته في إشباع لذة حسية واستمتع بأمور مادية أدمن عليها ، ولم يتبق لديه الوقت الكافي للقراءة والمطالعة . وحتى لو توفر هذا الوقت فانه يعزف عنها ولا يقربها .

وكان لذلك آثاره على هذا الجيل الذي اضمحلت الثقافة عنده ، ونتيجة لطغيان الجانب المادي من الحضارة ، وتغلبه على الجانب الثقافي والفكري ، يختل التوازن ، وتضيع القيم ، ويشعر الانسان بالضياع الذي يتلوه الاكتئاب ويصاحبه شعور قوي بتفاهة الحياة .

وقد يؤدي مثل هذا الشعور الى شيوع ظاهرة الانتحار مللا من الحياة وتشاؤما من المستقبل . ومن المعلوم بأن ظاهرة الانتحار تكثر في المجتمعات المترفة أكثر منها في المجتمعات المتخلفة والفقيرة . فالسويد مثلا تحتل المرتبة العالمية الأولى في قائمة ضحايا الانتحار .

واذا كان الانسان قد حقق الكثير من الانجازات العلمية والمبتكرات التي تستخدم في السلم ومن أجل رفاهية البشر وراحتهم ، إلا أن ما حققه في ميدان الدمار والخراب كان أعظم وأخطر . لقد تفنن الانسان في هذا الزمان في صنع مختلف الأسلحة الفتاكة ، وهو في كل يوم يطور ويعدل ويبتكر المزيد من وسائل الحرب والهلاك ، حتى قيل بأن لدى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من هذه الوسائل الخبيثة ما يكفي لتدمير العالم عشرات المرات . . انها حرب فناء الأرض وما فيها ومن عليها !

ولا شك في أن هذه المخترعات الرهيبة التي أصبح الكل يسمع عنها باتت تنغص حياة الانسان، وتهدد سعادته، وتلقي الرعب والهلع في نفسه، وتلقى على المستقبل بظلالها السوداء القاتمة، وتجعله يتساءل: مادام الحاضر هذا حاله فما عسى أن يكون المستقبل؟

خلل في النظام البيئي

لو سلمنا بما توصل اليه الانسان من راحة ورفاهية وحضارة بفضل المبتكرات العلمية وتطبيقاتها، وما تتميز به حياتنا الحاضرة من مختلف الوسائل الانتاجية وغير الانتاجية، فإننا لا بد وأن نعرف بأن الثمن الذي دفعناه في مقابل ذلك كان غاليا جدا.

ان ثمن كل ذلك كان راحة البال وطمأنينة الحال. فعلى الرغم من أن الانسان في الماضي كان يكد ويشقى، ويبذل الجهد من أجل لقمة العيش، وتوفير أسباب الراحة لنفسه وأسرته الا أنه كان سعيدا كل السعادة بحياة البساطة التي كان يحياها. وكان يستمتع بالطبيعة من حوله. فالهواء الذي يستنشقه نقيا خاليا من التلوث الناجم من عوادم السيارات ومداخن المصانع. وكان يستمتع بالمشي وهو يقضي لوازمه، وتسر عينه وتبتهج بما تراه من بديع خلق الله، ممثلة في المروج والتلال والجبال التي تكلل هاماتها الأشجار، وتجري من حولها الأنهار... حيث خرير الماء الرقراق، وزقزقة العصافير. لقد كاد الانسان يفتقد هذا كله بعد أن طغى العمران، واختفت المروج، وتغيرت معالم البيئة، واختل النظام البيئي وأصيب بالخلل ومعلوم بأن الله خلق الأرض لتكون للانسان مهدا ومستقرا، وأوجد فيها كل شيء بمقدار. ولكن تدخل الانسان في البيئة تدخل جائر أساء لها ولنفسه، وأصبح يعيش في بيئة مؤلفة من مبان متراصة بعضها فوق بعض، ومصانع وسيارات تنفث السموم في الجو، وتبعث السأم والملل في النفس، وتؤثر في سلوك الانسان وأفعاله، وكثيرا ما يتساءل المرء حينما يرى ذلك ويقول لنفسه: «إلى أين تسير بنا الحياة؟ أو الى أين نسير بها؟ وما هو المصير وشكله وحاله؟ إن تدمير الانسان للبيئة بمثابة تدمير بطيء لنفسه ولمستقبله. ولذلك قامت في معظم أنحاء العالم جمعيات حماية البيئة وصيانتها من عبث الانسان في هذا الزمان.

عصر الأزمات

لو تأمل الواحد منا هذا العالم، لوجد الكثير من المشاكل التي أثقلت كاهله وأنهكت قواه، وهددت استقرار العالم وأمنه، وهذه المشاكل عديدة ومتنوعة... فمنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي، وسياسي ونحوه.... ناهيك عن كل ما يتفرع عنها من مشاكل وهي مشاكل مترابطة ومتداخلة ومتفاعلة تؤثر في بعضها البعض وتتأثر مهما بدت لنا ظواهرها متباينة.

وبطبيعة الحال فان هذه المشاكل ليست خاصة بزماننا هذا، فجذورها تضرب في الماضي البعيد، فهي ملازمة للانسان في كل عصر، ولكنها برزت واتضحت أبعادها ومعالمها منذ أن كوّن الانسان المجتمعات والشعوب والأمم التي أخذت تناضل من أجل العيش والبقاء، سواء كان هذا النضال مع ظروف البيئة المحيطة بها، أو متمثلا في الصراع مع بعضها البعض من أجل السيطرة والسيادة. وهذا النضال وذلك الصراع ولّد المشاكل والأزمات، وبمرور الزمن زاد تراكم المشاكل وتعقدت، وأصبحت أزمات تواجه الانسان وتهدده. ونحن اليوم نسمع ونحس ونتأثر بالكثير من الأزمات مثل أزمة الانفجار انسكاني في بعض أنحاء العالم، وأزمة انتاج الغذاء، وأزمة الاسكان وأزمة الطاقة، والتلوث. والتصحر... الى غير ذلك من مسلسل الأزمات التي يتميز بها عصرنا هذا، والذي سمي بحق عصر الأزمات.

وإلى جانب المشاكل والأزمات الاقتصادية ، هناك العديد من المشاكل السياسية التي تعصف بأمن العالم واستقراره ، الى جانب المشاكل الاجتماعية التي تهدد وحدة المجتمع بالتفسخ والتحلل .

وهذه الأزمات والمشاكل مهما كان نوعها تؤثر في الانسان وتحدد نظرته الى المستقبل . ولكن هناك فروق فردية بين البشر ، فمنهم من يشعر بالضعف أمام المشاكل ، ومنهم من لا يكترث لها ولا يهتم ، في حين أن هناك نفرا لديه القدرة على التحدي . ولكل وضع من هذه الأوضاع نظرته المختلفة للمستقبل .

وللدين دور هام في حياة الأمم والشعوب ، لكونه يغرس في الأفراد الفضائل والقيم ، ويجعل للحياة هدفا ، ويكلف الانسان بالسعي لتحقيق هذا الهدف ، وبذلك يولد الآمال في النفوس . وهذه أمور توطد صلة الانسان بالحياة ، وتجعله ينظر الى المستقبل بتفاؤل . فالمتدين دائما متفائل مهما ادْلَهَمَّ به الخطب ، واسودت الدنيا من حوله فشعاره الدائم : « إن مع العسر يسرا » . والمتدين يوازن بين حاضره ومستقبله ، فهو كما يقول علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

دع القلق وابدأ الحياة

ويمثل هذه الحكم والأقوال المأثورة يخرج الانسان بقناعات منها : أن لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، ودع القلق وابدأ الحياة كما يقول ديل كارنيجي ، وألا تفكر إلا في حدود يومك . وليس معنى هذا ألا تفكر في المستقبل ، ولكن معناه ألا تسرح بفكرك إلى ما هو أبعد من المستقبل المنظور ، وإذا نظرنا الى سر سعادة الناس في الماضي نجد أنهم كانوا يفكرون في حاضرهم الذي يملكونه ، ومستقبلهم الذي يسهل عليهم رؤيته . كل همهم في تدبير قوت يومهم . أما الغد فيتركونه للغد اذ لا سلطان لهم عليه . أما إنسان اليوم فهو يفكر فيما هو أبعد من مستقبله . . إنه يريد أن يؤمن الحياة والسعادة لنفسه ، ويضمن المستقبل لذريته من بعده . ولهذا تراه غير قانع بما ملك . يسعى دوما وبكل السبل والوسائل الى مزيد من التملك في كل مكان ، وهو غير آمن على ماله ، قلق عليه ، حتى أصبح سر شقائه وتعاسته ، والمال وسيلة لقضاء حاجات الانسان ، فإن زاد منه بعد ذلك شيء فهو رقم أو أرقام في البنوك لا نراها .

وهذا النمط من الحياة المادية المفرطة يولد في الانسان القلق وتوتر الأعصاب ، ولذلك لا بد من موازنة هذه الأمور المادية بالنواحي الروحية . والتخوف من المستقبل يشيع في المجتمعات التي يضعف فيها الوازع الديني . ومن هنا بدأ الكثير من المجتمعات بالتفكير في معالجة الأوضاع بالتركيز على القيم والفضائل وغرسها من جديد في الأمم والشعوب .

وخلاصة القول فإن الحكمة تقتضي عدم اجهاد الفكر في المستقبل البعيد لأننا لا نملكه ، وحسبنا أن نخطط لمستقبلنا القريب المنظور ، ونترك النتائج تخرج كما ينبغي لها أن تكون ، فلا نقلق مادمنا قد عملنا كل جهدنا وطاقتنا ، اذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . □□

● انني اهتم بالمستقبل ، لأنني سأقضي هناك بقية حياتي .

(تشارلس كترنج)
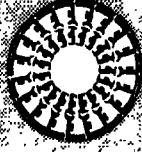
فقهاء الاسلام قالوا :

تطور الشرائع ضرورة لا بد منها . . .

الاحكام تتغير وفق العادات وحاجات الزمان

لكل زمان دولة ورجال . . ولكل دولة نظمها وشرائعها ، ولكل مجتمع وجيل من الناس عاداته وحاجاته التي تؤثر في تلك النظم والشرائع ، من ناحية ، وتتأثر بها من ناحية أخرى . . وهذه وتلك تخضع للتطور مع الزمان وحاجاته ومقتضياته . . ومن هنا كان تطور الشرائع خلال مختلف عصور التاريخ . .

سئل « صولون » الحكيم الاغريقي ، عما اذا كان ما سنه لأهالي أثينا هو أفضل الشرائع ، فأجاب : « أعطيتهم أفضل ما يمكنهم تحمله » . وبهذا أحسن الجواب ، اذ أن الحكم على شريعة قوم لا يكون حكما عاما مطلقا ، بل يكون نسبيا بالقياس الى البيئة والزمان .

تطور الشريعة الرومانية

وتاريخ الشريعة الرومانية أوضح شاهد على تطور الشرائع . فقد استمرت تلك الشريعة أربعة عشر قرنا في تطور متواصل ، منذ القرن الثامن قبل الميلاد الى القرن السادس بعده . فكان العرف والعادة ، وقوانين الملوك والأباطرة ، ومراسيم قاضي القضاة ، واجتهاد الحكام وتأليف الفقهاء . وتدوينات يوستنيانوس ـ هذه جميعا كانت مصادرمتنوعة ، عملت بتضافر على تطوير الشريعة الرومانية وتغييرها من شريعة شكلية قاسية الى شريعة انسانية راقية ، كانت أساسا للقانون ولعلم الشريعة الحديثين في معظم البلاد الأوربية في سائر البلاد التي اقتبست منها .

ويعد مبدأ تطور الشرائع اليوم من المبادىء المسلم بها في الغرب . وأشهر من أقره وأوضحه في القرن الثامن عشر « مونتسكيو » في كتابه روح الشرائع .

العرب سبقوا . . حتى في هذا !

ولم يغفل علماء العرب وفقهاؤهم عن هذا المبدأ الواضح . بل انهم سبقوا علماء الغرب في اكتشافه وتوضيحه وتعريبه . ففي أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، قال شهاب الدين أحمد بن ادريس المعروف بالقرافي (المتوفي سنة ٦٨٤ هـ) ، امام المالكية في مصر ، في كتابه الاحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام ،

العربي الصغير - العدد ٣٠٤ - مارس ١٩٨٤

مجلة
أبناء
العرب
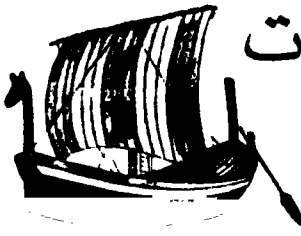
بنك المعلومات يفتح أبوابه لكل أصدقاء العربي الصغير كي يسحبوا منه المعلومات . . . وينتظر منهم ـ كما تفعل - البنوك ـ أن يودعوا معلوماتهم ليسحبها أصدقاء آخرون .

عجائب الدنيا

ان عجائب الدنيا السبع هي في الحقيقة الدنيا القديمة . . وتشمل . .

* حدائق بابل المعلقة
* معبد ديانا
* منارة الاسكندرية
* ضريح هاليكارنا سوس
* الهرم الأكبر
* تمثال زيوس
* تمثال رودس

أما حدائق بابل فقد قيل انها قد أقيمت فوق بناء شاهق ليضفي من بناها « وهو نبوخذ نصر » السعادة على احدى زوجاته .

الهرم الأكبر بناه خوفو وهو أكبر الأهرامات ، ويصل ارتفاعه الى ٤٢٦ مترا .

معبد ديانا . . استغرق العمل فيه ٢٢٠ سنة .

تمثال زيوس . . شيده المثال اليوناني « فيدياس » ، ويبلغ ارتفاعه فوق القاعدة ١٣ مترا ، وقد صنع من العاج والذهب .

ضريح هاليكارناسوس وقد شيدته أرتميسيا عام ٣٥٤ قبل الميلاد احياء لذكرى زوجها على شاطىء ايجة .

تمثال رودس . . وتحطم على أثر زلزال .

منارة الاسكندرية . . شيدها بطليموس عام ٢٨٠ قبل الميلاد ، من الرخام الأبيض ، ويبلغ ارتفاعها ٥٨ مترا وفي قمتها شعلة تضيء ليلا .

عبد العليم ررز

سوريا ـ حمص .

هل تعلم . . ؟

ان أطول شارع في العالم هو شارع الاسكا الذي يمتد من أحد شوارع كولومبو (كولومبيا) حتى ولاية الاسكا في الشمال وطوله ٢٤٥٠ كيلومترا .

أول مكان لصيد الحيتان كان جورجيا

أول من اخترع « العود » هم الفراعنة وكان عبارة عن أربعة أوتار ، أما الأن فأصبح خمسة أو ستة أزواج .

جودة دسوقي

كفر شكر ـ جمهورية مصر العربية

ماهذا

هذه الصورة ليست لأوراق شجر أسقطها فصل الخريف . ولكنها لنوع من الجراد يطلق عليه اسم « المخرب » .

وهو حشرة ذات أجنحة خارجية ، وينتمي الى فئة من الجراد أكثر بدائية .

وأجنحة المخرب تنمو خارج جسمها . بينما يوجد نوع آخر من الجراد عديم الأجنحة .

ورأس الجرادة مرتبط بالصدر والبطن ، ولها زوج من الأرجل . . وزوج من الأجنحة في كل من الجزأين الأمامي والخلفي من جسمها . الزوج الأول من الأجنحة يكونان غطاء واقيا ، والجناحان الخلفيان يصلحان للطيران ، وفي حالة السكون ينطويان كالمروحة ، ويحمل الرأس عينين كبيرتين مركبتين ، وزوجا من قرون الاستشعار .

وتتألف أسراب الجراد من ملايين لاحصر لها حتى أنها تحجب وجه السماء على مسافة عدة أميال . ويبلغ عدد السرب المتوسط من الجراد المخرب أكثر من ١٠٠٠ مليون جرادة تحتاج الى مالا يقل عن ٣٠٠٠ طن من الغذاء يوميا .

جهاز جديد

تم اختراع جهاز جديد لانقاذ حالات سوء التهوية والانقاذ من الاختناق . ويمكن استعماله بدون أي تدريب سابق . . لاعطاء الاكسجين للمصابين الجهاز دائم الاستعداد للاستعمال الفوري . ومعه بطاقة بالتعليمات تشرح أسلوب تشغيله البسيط ، فما على المنقذ الا أن يفتح عليه الجهاز سحبا وينزع قناع الوجه ويدير الجهاز ثم يضع القناع فوق فم المصاب وأنف المصاب مع مراعاة أن يكون رأس المصاب مائلا .

أمين سلامة

تصحيح

في « بنك المعلومات » كتبت الصديقة هند عز الدين من المملكة الأردنية الهاشمية تقول . . « ان بعض البلاد التي نعرفها الآن لم تكن تحمل الأسماء التي تحملها الآن . . كانت « سيري لانكا » اسم « سيلان » . و « غينيا » تدعى « ساحل الذهب » .

والواقع أن الدولة التي كانت تدعى « ساحل الذهب » هي غانا وليست غينيا .

أحمد عطية عاشور

الفأر .. والرجل البخيل

بقلم : زينب الكردي □

كان لرجل بخيل سيىء الطباع زوجة طيبة وكريمة وغاية في الرقة . كانت الزوجة ترعى بيتها ، وتشرف على رعاية الأغنام والدواجن التي يربيها زوجها في حديقة الدار . .

وفي يوم من الأيام سألت أم الزوجة ابنتها قائلة : يا ابنتي . . ألاحظ أن صحتك ليست كما يرام . . وجهك أصبح شاحبا جدا ، وبدأ جسدك ينحف ويهزل . . . ويبدو أنك ترهقين نفسك أكثر من اللازم . . هل أنت مريضة ؟

قالت الزوجة بحزن : أبدا يا أمي . . . لست مريضة ولكني جائعة ولم أذق الطعام منذ أيام . .

قالت الزوجة : زوجي بخيل ، ويحرم علي أن آكل أي شيء بدون اذن منه . . . منذ أيام اشتهيت أن آكل بيضة ، فرفض وأخذ البيض ليبيعه في السوق . . وبالأمس طلبت منه أن يعطيني قطعة من الجبن ، فقال : انه يحتاج للمال وسيبيع الجبن لأحد التجار . . تضايقت الأم من هذا الكلام ، الا أنها حرصت بعد ذلك على أن تذهب بالطعام لابنتها كل يوم لتأكل ، وفي يوم ما دخل الزوج على زوجته غاضبا وقال : لقد ذهبت أتفقد الدجاج ككل ليلة ووجدت بيضة ناقصة .

قالت الزوجة : يجب أن تحمد الله . . باقي الدجاج أعطاك بيضه كالعادة ولم تستطع واحدة فقط أن تبيض . . ما أهمية ذلك . . ؟ ربما باضت غدا . .

لكن الزوج وجد - في اليوم التالي - بيضة ناقصة مرة ثانية . . وواحدة ناقصة في الليلة الثالثة والخامسة . . . والعاشرة . . . وغضب جدا ، واتهم زوجته بأنها هي التي تسرق البيضة كل ليلة . . . ورغم أنها أقسمت بأن يدها لم تمتد لأي بيض ، الا أنه ضربها بقسوة ، فأخذت تبكي طوال الليل . .

وفي اليوم التالي اختبأت الزوجة عند بيت الدجاج لتعرف من الذي يسرق هذه البيضة كل ليلة ، ولدهشتها فوجئت بأن فأرة كبيرة هي التي تفعل ذلك .

عندما عرف البخيل بالقصة اغتاظ ، ووضع مصيدة في طريق الفأرة التي ما ان رأت المصيدة حتى ارتدت الى جحرها حزينة مغمومة ، ولما زارها شقيقها في الليل ، ووجدها على هذه الحال ، وعرف السبب ، قال لها بحنان : لا تحزني يا أختي الفأرة العزيزة . . . سأحضر أنا لك البيضة . .

خافت الفأرة ، وحذرته من مغبة غروره وتهوره ، الا أنه خرج مسرعا دون أن يصغى لنصائحها ، وكما توقعت الفأرة أطبقت المصيدة على أخيها ومات . .

حزنت الفأرة على أخيها ، وأصرت على الانتقام من هذا البخيل الذي يضرب زوجته كل ليلة ، ويحرمها من الأكل . . وتسبب في موت أخيها ، وطلبت من « العقرباء » أن تعضه ، وضعت الفأرة دينارا بجوار البيضة . . . ودينارا في منتصف الطريق الى جحرها . . ودينارا ثالثا عند مدخل جحر « العقرباء » .

وجاء البخيل ليتفقد البيض فوجد الدينار ، وبدلا من أن يكتفي به وينصرف قال لنفسه فلأبحث قليلا ، ربما أجد دينارا آخر . . فلما وجده ، قرر أن يبحث مرة أخرى ولمح الدينار الثالث فمد يده ليأخذه فانقضت عليه « العقرباء » ولدغته . .

من الصندوق الخشبي الى القطار الإلكتروني

عندما يقطع القطار هذه المسافات الكبيرة الشاسعة .. وبهذه السرعة الفائقة لا بد للذاكرة أن تعود بنا الى الوراء ... ربما الى ما قبل التاريخ حيث كانت وسائل النقل تمثل أقدم ما أنتجته البشرية ... وربما كانت هذه الوسائل سابقة على بناء المساكن ذاتها . فقد عاش الانسان في الكهف لكنه كان ينقل أدواته على « محفّات » وعجلات قد تعود الى ألفي عام خلت .

ومنذ خمسة آلاف عام كانت وسائل النقل تصنع للربط بين الأنهار القريبة ... ثم تطورت وظيفتها فيما بعد الى نقل الأشخاص وحاجاتهم الى مسافات بعيدة .

وفي عهد قريب صنعت شبكة مواصلات في بريطانيا ، وفي بعض بلدان أوروبا الغربية . وكانت ذات أهمية خاصة نظرا لرداءة الطرق البرية . وفيما بين عامي ١٧٧٠ - ١٨٤٠ لم تعد هذه الوسائل البطيئة التي كانت تعتبر باهظة التكاليف .. لم تعد كذلك .. بل أصبحت زهيدة الكلفة بالنسبة لقدرتها على نقل حمولات ثقيلة بأقل ما يمكن من استهلاك للطاقة . فلم تستطع أية وسيلة أرضية قبل عهد السكك الحديدية أن تنقل مثل هذه السلع وبهذه الأحجام والكميات .

كانت السكك الحديدية الأولى تستخدم لأغراض تجارية أكثر منها للنقل الخاص . في العصور الوسطى كانت تستعمل سكك معدنية للأعمال المحلية كأعمال المناجم ، ثم بدأ ينتشر استعمالها في عام ١٨٠٠ ، وبعد ثلاثين عاما ظهرت أهمية وجود مسافة واحدة بين خطي السكك الحديدية ، وأدخل النظام القائم على خطين من الفولاذ الأملس وعلى عجلات ذات نتوءات في أطرافها .

بمرور الزمن ... واشتداد حاجة الانسان الى هذه الوسيلة من وسائل النقل ، تطورت أشكال السكك الحديدية طبقا لوظيفها .

اتجهت الأفكار الى الخطوط الحديدية لتحسينها وبنائها بطريقة جديدة ... فبدلا من مد الخطوط ووضع العوارض على أساس من الحصى تحتاج الى مراقبة دائمة ... أصبح الخط يبنى بتجميع قطع سابقة الصنع من الاسمنت المسلح ، ثم وضعها مباشرة على الأرض .

أصبح هناك القطار الهوائي ... وهو مركبة بدون عجلات تسير على وسادة هوائية .. بديلا عن الخطوط الفولاذية ..

ثم .. تم التوصل الى القطار الذي يسير بالتحكم الآلي أما المستقبل فهو للقطار « الاليكتروني » ...

وهو نوع من القطارات به مجموعة من الأسلاك والاشارات اللاسلكية التي تتصل بمركز للمراقبة مجهزة « بكومبيوتر » يمكن بواسطته اطلاق القطارات ، وزيادة سرعتها بالمعدل المطلوب ، والمحافظة بدقة على سرعتها وتوجيهها الى الخط المناسب ، وحملها على الاستجابة لجميع التعليمات الخاصة ، كذلك أصبح من الممكن أن يعرف فورا وقوع أي حادث طارىء في أي نقطة من النظام ، فيحضر الكومبيوتر برنامجه لاعطاء حركة السير تعليمات جديدة .

وقد استعمل هذا النوع من القطارات في « سان فرنسيسكو » ولندن .

وهكذا ... أصبح القطار ... من مجرد عجلة خشبية .. الى القطار « الالكتروني » و « المغناطيسي » ... ومن يدري أي قطار سوف نري فيما بعد ... وماذا يخبىء لنا العلم من مفاجآت .

عندما يتحدث المكان
مدينة فاس

عندما يتحدث المكان . . ويتحرك التاريخ عبر الزمان ليحكي لأجيال جديدة حكايات قديمة عن الوطن العربي فماذا يقول ؟

* أنا . . مدينة فاس

عندما بدأوا في بنائي وقف الوالي ادريس بن ادريس يناجي ربه قائلا :

« اللهم اني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة ، وانما أردت أن تعبد فيها ، ويتلى بها كتابك ، وتقام فيها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك ، اللهم وفق سكانها للخير ، وأعنهم عليه ، واكفهم مؤونة أعدائهم ، وأدر عليهم الأرزاق ، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق ، انك على كل شيء قدير » .

أنا مدينة فريدة لا نظير لي في العالم الاسلامي كله . . فالعمارة عندي . . . وتكويني ذو طابع خاص .

في الأصل كان لي مركزان : الأول . . . عدوة الأندلس ، ويضم جامع الأندلس ومدرسة الصهريج والأندلس ، ومركز فاس الجديد مع مدرسة البيضاء .

الآن أصبحت لا أملك الا مركزا واحدا ، وان كان يشمل مركز عدوة القرويين ، ويتكون من جامع القرويين ، وضريح المولى ادريس الأصغر ، وشبكة الأسواق . . كسوق الأقمشة والتوابل والأواني . . . وتخلل هذا المركز طرز مختلفة للفنادق ، كفندق تطاوين والنجارين . . هذا بالاضافة الى عدد من المدارس . .

ويمتد النشاط التجاري عبر شوارعي الرئيسية بين مركز القرويين والأبواب الرئيسية . . وهي . . باب الفتوح ، وباب عجيبة ، وباب أبي الجلود ، ثم الحشود ، وباب السمارين . .

البيوت عندي تتخذ أشكالا عديدة ، فهناك الدار التي تتكون من دارين متقابلين ، بينهما صحن ذو شكل هندسي ثابت ، وتوجد بيوت أخرى وسطها سقف مغطى . . . وثالثة يوجد في سطحها غرفة ذات واجهة زجاجية . . ورابعة يوجد بجوارها ثلاثة حيطان من زجاج أمامها حديقة .

وكل الأحياء قديمة أو حديثة تحيط بها الخضرة والحدائق المزهرة .

هو . . .
ثابت بن قرة . .
عـاش في القـرن التـاسـع
الميلادي ، وتوفي عـام ٢٨٨
هـجـريـة المـوافـق ٩٠٠
ميلادية ، أول من طبق الجبر
على الهندسة ، وقد سبق

الخليفة .. والرجل المنافق

وقف رجل أمام الخليفة يمتدحه ويعدد فضائله .

فقال له الخليفة . . لم مدحتني ؟

فأجاب الرجل . . عجبا . . ! هل تكره أن يمدحك أحد . . ؟

قال الخليفة . . أجربتني عند الأمانة فوجدتني أمينا ؟

قال الرجل . . لا .

قال الخليفة . . . أجربتني عند الغضب فوجدتني حليما ؟

قال الرجل . . لا .

قال الخليفة . . . هل رافقتني في السفر فكنت معك كريما رفيقا ؟

قال الرجل . . لا .

قال الخليفة . . أنا مسئول عن مدحي حتى أنجح في الامتحان وأثبت أني جدير بهذا كله .

فطريات

الميكروبات كائنات حية ، تتمتع بكل مقومات الحياة ، فهي تأكل ، وتتنفس ، وتهضم الطعام ، وتنمو وتتكاثر ، وتنشط أحيانا ، وتسكن حركتها أحيانا أخرى ، ومن حيث الشكل نجد أن للميكروب شكلا محددا بجدار يحيط بجسمه ، كما يحيط الجلد بجسم الانسان ليحميه من التأثيرات القاسية التي تحيط به ، وأحيانا يحيط بهذا الجدار أيضا أنواع من البكتريا (وهي عبارة عن افرازات هلامية قد يبلغ سمكها أضعاف الميكروب نفسه) وتكون بالنسبة له بمثابة القلعة الحصينة .

والميكروب ـ رغم صغره ودقة تكوينه ـ يعتبر معملا كيمائيا قائما بذاته ، اذ تتم بداخله أدق العمليات الكيميائية وأعقدها في دقائق ، وهو يستطيع الحياة على الكبريت ومشتقاته ، أو مركباته ، وغاز النيتروجين الجوي ، والايدروجين فيحوله الى ماء ، وعلى مركبات البترول في باطن الأرض .

والميكروبات هي أول الكائنات الحية التي ظهرت على الأرض منذ مئات الملايين من السنين .

اكتشافات

في البدء . . كان العرى هو الأساس ، فالانسان الأول لم يعرف معنى أن يتدثر الانسان بشيء يحميه من حرارة الشمس اللافحة والبرودة القارصة ، وبعد فترة ابتدأ يفكر في شيء يدفيء جسمه في الشتاء ، ويحميه من الحرارة في الصيف ، ولم يجد أمامه غير أوراق الأشجار يلفها حول جسده العاري . . . وبعد فترة أخرى ـ بدافع حب البقاء ـ توصل الى طرق بدائية يصيد بها الحيوانات ، ليأكل وتستمر حياته ، ومن ثم اكتشف أن عظام الحيوان يمكن أن يصنع منها أسلحة أفضل من تلك الأسلحة الحجرية التي يستعملها ، كما اكتشف أيضا أن جلد الحيوان نفسه يمكن أن تتحول الى ثياب تدفئه وتقيه الحرارة .

وتطور الانسان ، ودخل عصر الزراعة ، وبدأ يستقر حول مجاري الأنهار ، ويتفرغ لتطوير الحياة باستغلال كل الامكانيات المحيطة به .

حيوان

هناك أشجار تعيش ١٠٠٠ سنة ، وفي استراليا بالذات أشجار بلغ عمرها ١٢ ألف سنة ، وشجرة السرو التي توجد بكثرة في المكسيك يبلغ عمرها ٥ آلاف سنة . .

أيضا هناك شجرة تسمى شجرة « السكوايا » قام العلماء بِعَدِّ حلقات نموها السنوية فاكتشفوا أن عمرها يبلغ ٤ آلاف سنة . .

والسلاحف اشتهرت بعمرها الطويل الذي يتراوح ما بين ١٠٠ سنة الى ٢٠٠ سنة . .

وهناك نوع من الغربان بلغ ٦٩ سنة ، ونوع من النسور يعرف « بالكندور » ويعيش في أميركا يتجاوز عمره الخمسين ، و « البوهة » وهي نوع من أنواع البوم يبلغ عمرها حوالي ٦٨ سنة ، وفي دنيا « الببغاوات » توجد أنواع تعمر الى ١٠٠ أو ١٤٠ سنة ، كما أن هناك طائرا يعرف باسم « الككمتوه » يمكن أن يبلغ أحيانا التسعين من العمر ، وحتى بين الأسماك هناك نوع يسمى « الصلور » يعيش حتى ٦٠ سنة و « الانكليس » يعمر حتى ٥٥ سنة .

علم

الاسبرين . . تلك الأقراص البيضاء الصغيرة التي نلجأ اليها لحظات المرض فتفعل فينا مفعول السحر وتخفف من آلامنا بعد دقائق ، وتعيد لنا حيويتنا ونشاطنا ، هذا الاسبرين اتضح أن أجدادنا أيضا قد عرفوه لكن بأسماء أخرى . .

الاسبرين مشتق من احدى الفصائل النباتية التي تسمى « سبيرا » ، وهذه الفصيلة تحوي حامض « الساليسليك » الذي يعد المادة الفعالة في قرص الاسبرين . . . والغريب أن الطبيب اليوناني (أبقراط) لاحظ في القرن الرابع الميلادي تأثير تلك المادة في تخفيف الآلام الروماتزمية والصداع ، وقد عرفت القبائل البدائية أيضا تأثير تلك المادة الفعالة ، وكانت تستخرجه ـ ولا تزال ـ من نبات « الصفصاف » وهو رغم صغر حجمه يخفض درجة الحرارة ويخفف آلام المفاصل والصداع . .

طبيب يوناني آخر بعد ابقراط أدرك أهمية تلك المادة الفعالة ، واستنبط من لحاء الصفصاف مرهما استعمله في التخفيف من آلام النقرس « مرض الملوك » وهذا الطبيب هو « ديسفوريدس ».

إن كنتم أذكياء

هذه مجموعة من الأسئلة تنتظر منكم الاجابة عليها . قد يكون بعضها صعبا ، لكن لا بأس من الرجوع الى *من هم أكبر منكم لمساعدتكم وسننشر أسم الفائز الأول والثاني مع جائزة اشتراك مجاني في العربي الصغير لمدة سنة للفائز الأول وستة شهور للفائز الثاني يكتب حل المسابقة رقم ٣ .

حيوانات :

* أي الحيوانات أسرع ؟
* الفهد
* الظبي
* السمك

* * *

* ما هي ؟
  * أكبر الطيور حجما
  * أصغر الطيور حجما

ثلاثة أشياء :

من الحديد صنعت ثلاثة أشياء مختلفة الشكل والهدف . .

* الأول . . . للتجميل وتستعمله المرأة
* والثاني . . . للحروب
* والثالث . . للتجميل ويستعمله الرجل .

اذكر أسماء هذه الأشياء ؟

* * *

أيهما أولا . . ؟

من صعد الى الفضاء قبل الآخر . . الانسان أم الحيوان ؟

موسيقا

هل كان بتهوفن يستمع الى موسيقاه ؟

متى . . ؟

متى تم أول اتصال بين الرسول وأهل يثرب وأين كان ذلك ؟

* * *

مـدن :
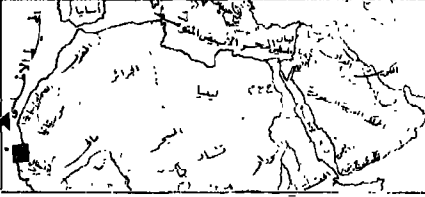
في أي البـلاد العـربيـة تـوجـد هـذه المدن . . . فاس ، القيروان ، الكوفة ، الدرعية ؟

* * *

لغات :

بعض الشعوب استعملت هذه اللغات القديمة . . . الهيروغلفية . السريانيـة ، الفينيقيـة ، المسمـاريـة ، الأرديـة ، الصينية .

اذكر أسماء هذه الشعوب .

مسكين! إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة!
هل نزل به مكروه .. أو عقره ذئب ؟
كلا .. ولكنه يموت من الجوع ، ولا يجد زادا ينقذه!
هون عليك .. غدا يفتح الله عليك بخير منه.
وما الذي في هذا الجراب يا أخي؟
أرغفة أحملها لزادي
الويل لك ! أتحمل كل هذه الارغفة ولا تقدم منها ماينقذ حياة كلبك الوفي الذي
حقا انه وفي .. وعزيز جدا ولكن الصلة الوثيقة التي بيننا ياسيدي لا تتصل الى باب هذا الجراب !

وتصرفات القاضي والامام » : « ان كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد ، يتغير الحكم فيه عند تغيير العادة ، الى ما تقتضيه العادة المتجددة » .

ثم في أوائل القرن الرابع عشر ، أشار ابن قيم الجوزية الدمشقي (المتوفي ٧٥١ هـ) ، في كتابه « إعلام الموقعين عن رب العالمين » ، الى قاعدة تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والأمكنة ، والأحوال والنيات والعوائد ، ونبه الى هذا الأمر الواضح الذي وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة .

وكذلك ، في منتصف القرن الرابع عشر ، قام في المغرب العربي رائد علم الاجتماع وعميد علمائه ، عبد الرحمن بن خلدون (المتوفي سنة ٨٠٨ هـ) . فاثبت وأكد في مقدمته الشهيرة :

« أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لاتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر . انما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار ، فكذلك يكون في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول ، سنة الله التي خلت في عباده » .

فتاوى محمد عبده

وأخيرا ، نوه الأستاذ الامام محمد عبده ، مفتي الديار المصرية في أواخر القرن التاسع عشر . بقاعدة اختلاف القوانين ، ومبدأ تطور الشرائع عامة ، فقال انه : لما كانت القوانين مناط ضبط الأعمال لتكون منتجة لجلائل الفوائد ، وهي ثمرة الاعمال النظرية وخلاصة الابحاث الفكرية ، صارت قوانين كل أمة على نسبة درجتها في العرفان ، واختلفت القوانين باختلاف الأمم في الجهالة والعلم . فلا يجوز حينئذ وضع قانون طائفة من الناس لطائفة أخرى ، تباينها في درجة العرفان أو تزيد على عوائدها وأخلاقها ، والا اختل نظامها والتبس عليها سبيل الرشد »

وهكذا ، أفتى الشيخ محمد عبده بعدم التمسك بمذهب واحد ، لما في ذلك من الحرج على الناس ، وقال - من ثم - بفتح باب الاجتهاد ، وبتجويز كثير من المعاملات التي اقتضتها حاجات التجارة في العصر الحديث .

سابقات من عهد الخلفاء

وهذه الأقوال مبنية على سابقات معتبرة ، صادرة عن كثير من خلفاء المسلمين وفقهائهم ، كالخليفتين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وأبي يوسف قاضي قضاة بغداد . فهؤلاء جميعا وغيرهم من أمثالهم ، نظروا الى معاني الاحكام ومقاصدها على ضوء الضرورة ، أو تغير العلل أو العادات التي بنيت عليها .

وقال بتوسيع الأحكام وتفريعها والزيادة عليها بما يؤيدها ويتممها ، كما نرى مثلا في قاعدة التعزيز ، وقاعدة السياسة الشرعية ، وما أشبه . وأمثلة ذلك عديدة لا يسمح هذا المجال بتفصيلها ، وكلها تثبت مرونة الشريعة الاسلامية ، وقدرتها على مسايرة التطور الاجتماعي الحديث .

تعدد الوسائل والمظاهر

ولقد تعددت الوسائل التي لجأت اليها الأمم في تطوير شرائعها . ففي القديم ، كان الناس محافظين على عاداتهم متمسكين بتقاليدهم الموروثة ،وكانت طرق التطوير محدودة مقيدة . منها الحيل الشرعية الي لجأ اليها بعض علماء الرومان ، وبعض فقهاء الحنفية . ومنها اللجوء الى مبدأ الانصاف ، الذي استعمله قاضي القضاة (البريتور) الروماني ، وفقهاء الحنفية فيما أسموه « الاستحسان » وفقهاء المالكية وغيرهم فيما أسموه « المصالح المرسلة » ، وقضاة المحاكم القنشليارية الانكليزية .

الدكتور صبحي محمصاني

العرب : في أرض الرافدين

وأرض السّواد

استطلاع: سليمان الشيخ تصوير : طالب الحسيني

الايدي عندما تعرق تنبت حقولا
نهاياتها قد لا تنتهي عند حدود الافق !
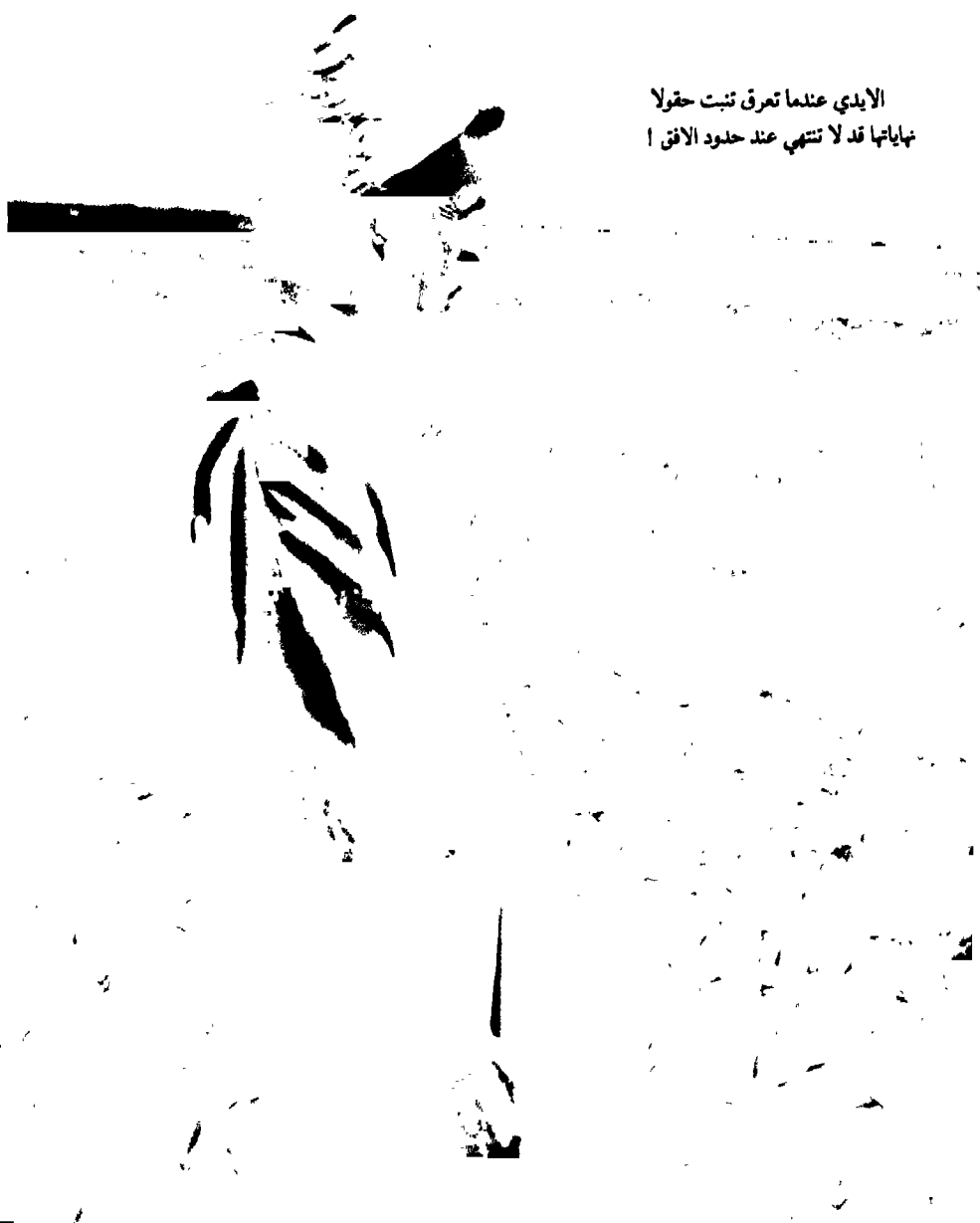
الأرض عراقية ، والمزارعون من مصر والمغرب والأردن وفلسطين

□ قيل عنها أنها أرض السواد*، وأنها يمكن ان تطعم أبناء الوطن العربي خبزا وحبوبا وتغنيه عن الاستيراد . من أجل ذلك فهي قد خطت خطوات على درب استصلاح الاراضي ومنحها للفلاحين من أبنائها ومن أبناء الاقطار العربية الاخرى . . .

فلاحون من مصر . . . والمغرب والاردن وفلسطين جاءوا وحطوا رحالهم في أراضي العراق وزرعوها حبوباً وخضروات .

عن هذه التجربة . . وعن الفلاحين في حياتهم الجديدة . . . كان هذا الاستطلاع . .

سمرة الوجوه وتقاطيعها متشابهة ومتقاربة في المساحة الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي .

لكن لهجات الألسنة مختلفة . . . وربما تكون عصية على الفهم في بعض كلماتها . . . مع ذلك فان تلك المساحة هي مساحة الوطن العربي . . . الذي كان يتنقل العربي بين أقطاره ـ منذ زمن غير بعيد ـ بحرية ودون قيود ، أو حواجز الجمارك ، أو حدود الكيانات والاقاليم التي تكاثرت بفعل عدة عوامل ، وكان العربي اذا ما وصل الى قطر أو اقليم من الاقاليم العربية الاخرى ، فانه كان يستطيع الزواج والتملك والاقامة كأي مواطن يعيش منذ زمن طويل في البقعة التي حل فيها . . . ولأن الأمر في الكثير من أقطارنا العربية أصبح عكس ذلك ، لذلك فان التجربة التي شهدناها في القطر العراقي ، والتي هي موضوع استطلاعنا ، قد أعادت الى « التقاليد » التي كانت سائدة من قبل بعض الاحياء والذكر ، وحتمت علينا الاطلال عليها ومعايشتها عن قرب .

الوجوه كما ذكرت سمراء . . . لكن اللهجات مختلفة . . فلاحون مصريون جاءوا من أقاصي الصعيد ،

* السواد حسب تعريف الدكتور عبدالعزيز الدوري في طبعة كتابه الثانية « تاريخ العراق الاقتصادي ـ في القرن الرابع الهجري » الصادر عن دار المشرق في بيروت سنة ١٩٧٤ هو « كلمة سواد تشير في الحقيقة الى الاراضي الغرينية التي تكون عامة أراضي منطقة العراق » .

واستنادا الى مصادر الكثير من المؤرخين كابن خرداذابة والاصطخري وابن رسته والمسعودي وابن حوقل فان منطقة السواد تمتد « من العلث وحربي شمالا الى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان ـ في العراق ـ شرقا الى العذيب بجوار القادسية غربا . »
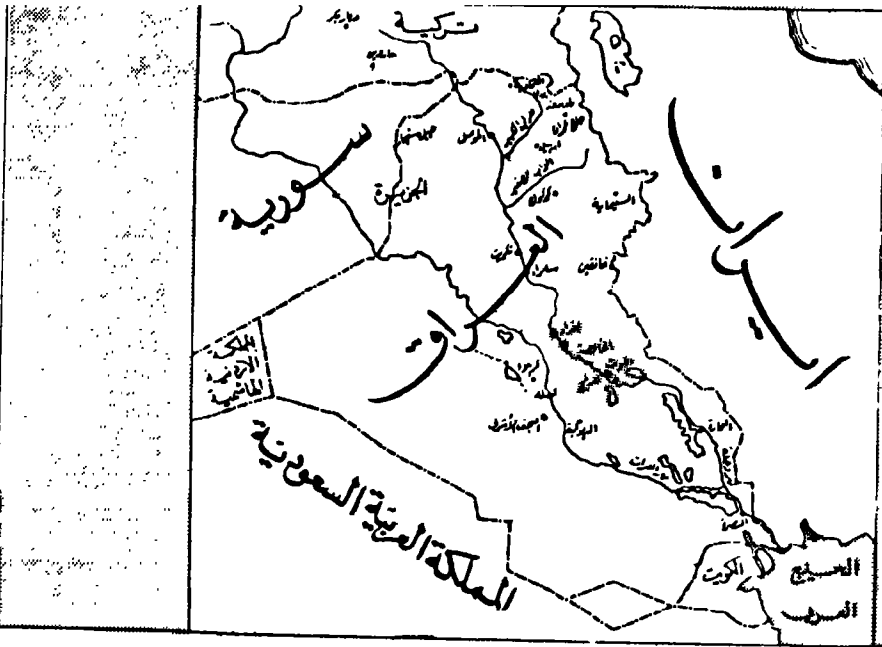
حريطة القطر العراقي ويظهر فيها موقع قريتي الخالصة والدلمج بشكل تقريبي

من سوهاج ومن أسيوط والمنيا وبني سويف ، ومن المنوفية والغربية وغيرها من محافظات وقرى القطر المصري . . .

وآخرون جاءوا من أقاصي الجبال في أطلس المغرب وصحرائه وسهوله من محافظات تازا ، وقلعة السراغنة ، وورزازات ، والرشيدية وتيفيليت وغيرها . . .

ومزارعون أردنيون جاءوا من الاغوار والعقبة . . وغيرها . .

وفلسطينيون من القرى الفلاحية المحتلة . . حطّوا رحالهم في أراضي ومزارع القطر العراقي . .

فما الذي جاء بهم ؟ . . . ومنذ متى جاءوا ؟ وعلى أي أساس ؟ وما هي حقوقهم وواجباتهم ؟ وما هي مبررات اقامة هذه التجربة . . وما هي أهدافها ؟؟

المعروف أن العمال والموظفين هم الذين يمثلون الغالبية العظمى من بين نسبة المجموعات دائمة حركة التنقل بين الاقطار العربية .

فما الذي جعل الفلاحين الذين هم أكثر التصاقا بالارض يغادرونها وينتقلون الى قطر آخر ؟ وما هي الاغراءات التي جعلتهم يقدمون على نقلة نوعية لها آثارها المهمة على حياتهم وعلى حياة قطاعات مهمة أخرى ؟؟

. . . عن هذه الاسئلة وغيرها يدور استطلاعنا هذا .

لكن وقبل البدء في تقديم أجوبة على الاسئلة ، فاننا نقدم هذه المعلومات عن بعض القطاعات في القطر العراقي المتعلقة بموضوعنا :

مؤثرات الجغرافيا

يقع العراق كما هو معروف في جنوب غرب قارة آسيا ، في القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي .

وبالنسبة لخطوط العرض والطول فان العراق يقع في القسم الجنوبي من المنطقة المعتدلة الشمالية ، أي في منطقة الانتقال بين المناخ الصحراوي الحار ومناخ البحر الابيض المتوسط .

يقول الدكتور جاسم محمد الخلف في كتابه « جغرافية العراق » الصادر عن دار المعرفة بالقاهرة سنة ١٩٥٩م . ان « لهذا الموقع أثره في مناخ العراق ، حيث أصبحت امطاره قليلة (ما عدا المنطقة الجبلية الواقعة في أقصى الشمال الشرقي) ومتغيرة في كميتها ومواسمها الى درجة يصعب الاعتماد عليها في الزراعة . كما أن جفاف المناخ وارتفاع درجة الحرارة في الصيف تسببان أضرارا للتربة والري والمزروعات » .

لهذا فان العراق ما هو الا هبة دجلة والفرات ، تماما مثلما هي مصر هبة النيل .

الا أن جريان دجلة والفرات بصورة أسرع من النيل كوّن مشكلة بالنسبة للزراعة في العراق ، لذلك فان الحكومات المتعاقبة منذ فجر التاريخ ، حتى اليوم دأبت على اقامة السدود والقنوات على مجرى النهرين كي تتحكم في توزيعهما ، وكي تعطي المساحات المستصلحة من الاراضي كفايتها من الماء .

ل الفلفل . (الى اليمين

. وابتسامة بعد محصول
(الى اليمين اسفل)

من ارض مفلوحة
. وهي ترتوي بالماء
يمين اسفل الصفحة)

لد تتابع الطيور
انات في حديقة منزلها .
ليسار)

والسكان أيضا

واذا كان الموقع الجغرافي قد أثر في نظام الزراعة والري والاقتصاد ، وغيرها ، فانه أثر في أحوال العراق الاجتماعية أيضا حسب ما يذكر الدكتور الخلف في كتابه آنف الذكر . . . فيقول :

« ولا يقتصر أثر موقع العراق على أحواله الاقتصادية ، بل أن هذا الموقع بالذات أثر في أحوال العراق الاجتماعية بصورة واضحة ، فموقعه ضمن المنطقة التي تلتقي عندها القارات الثلاث جعله منذ القديم في طريق الشعوب الغازية أو المهاجرة بين هذه القارات ، كل ذلك ساعد على زيادة الاجناس البشرية التي مرت أو استقرت فيه والتي لا تزال آثارها واضحة في التكوين البشري لسكان العراق في الوقت الحاضر » .

ويقول السيد عبدالرزاق الحسني في الطبعة السابعة من كتابه « العراق قديما وحديثا » الصادرة عن دار اليقظة العربية في بغداد سنة ١٩٨٢ ما يلي عن التركيبة التي يتألف منها الشعب العراقي :

« ويتألف الشعب العراقي من أقوام مختلفة : عربية وكردية وفارسية وتركية ، فيؤلف العرب ٧٨ في المئة والكرد ١٧٪ والفرس ٢,٧٥٪ والترك ٢,٢٥٪ وقد توطن العراق في غضون الحرب العالمية الاولى عنصران جديدان وهما :

الأرمن الذين أجلاهم الترك عن بلادهم ، والاشوريون النساطرة الذين هاجروا من جبال حكاري

واورمية بحكم الظروف السياسية التي حاقت بهم ولكنها أقلية ضئيلة .

وفي العراق ديانات متباينة : اسلامية ، ومسيحية ويهودية ، والاسلامية هي الاغلبية الساحقة ، وفيه أقليات مختلفة كاليزيدية والصابئة والبهائية وتشيع فيه لغات عديدة ، ولكن جميع هذه الاقوام والديانات واللغات تذوب في بوتقة الوحدة العراقية . أما دين الدولة الرسمي فالاسلام ، وأما لغتها القانونية فالعربية ، ويستظل بهذه الوحدة أصغر العناصر وأكبرها على حد سواء ، ولهذا ترى القانون الاساسي العراقي كفل في مادته الثالثة عشرة حرية الوجدان والعقيدة والشعور لجميع السكان دون تمييز ولا تفريق » .

واذا كان الكلام السابق في خطوطه العريضة صحيحا ، فان بعض التغيرات والتبدلات حدثت في التركيبة السابقة بعد صدور الكتاب ، خاصة بعد طبعاته الاولى .

هذه ملامح عن العوامل التي أثرت وتؤثر في واقع البيئة العراقية أرضا ومناخا وسكانا ونشاطا وانتاجا .

الا أن معطيات البيئة والموقع كما هو معروف ليست قدرا غير قابل للتغيير والتبديل ، لذلك فان مشروعات استصلاح الاراضي بدأت منذ زمن ، وتم تغيير طبيعة الكثير من الاراضي فأصبحت تعطي الخيرات ، وتموج بالزرع الاخضر بعد أن كانت جدباء قاحلة .

وما يعنينا في هذا الاستطلاع هو الاراضي التي تم استصلاحها وسلمت الى المزارعين العرب الذين ينتمون الى عدة أقطار عربية .

■ عن هذه التجربة يحدثنا الاستاذ نوري الراوي رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية الذي يضم في عضويته حوالي ٧٥٦ جمعية فلاحية منتشرة في جميع نواحي محافظات القطر العراقي .

وقد شغل الاستاذ الراوي عدة مواقع قيادية تتعلق بالثروة الحيوانية والزراعية في القطر العراقي وفي المنظمات العربية والعالمية .

من الوحدة الى الخالصة

قال الاستاذ الراوي : التجربة بدأت كما تعرفون منذ سنة ١٩٧٦م ، حيث تم عقد بروتوكول بين حكومتي الجمهورية العراقية والجمهورية المصرية ، يقضي بنقل عائلات فلاحية من مصر للاستيطان والعمل في الاراضي المستصلحة في منطقة الوحدة ، التي تبعد عن بغداد حوالي ٤٥ كيلومترا . واذكر أن المتطوعين في العمل الشعبي هم الذين بنوا بيوت تلك المنطقة .

وفعلا فقد حضرت مائة عائلة فلاحية مصرية ـ بلغ عدد أفرادها حوالي ٧٥٠ فردا ـ كنا قد جهزنا لها البيوت المناسبة (مساحة البيت بحدود ٢٠٠ متر مربع) وفرشناها بالاثاث المناسب ، ومنحنا لكل فلاح مساحة من الارض تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ دونم (الدونم في العراق يساوي ٢٥٠٠ متر) ووفرنا لها السقاية المناسبة .

وأعطينا الفلاح بقرة ، وحوالي ٢٠ دجاجة ، وعدة الفلاحة ، ومنحناه مساعدة بحدود خمسين دينارا عراقيا ، ومنحناه راتبا شهريا بحدود ٣٠ دينارا في ستة الأشهر الاولى ، ووفرنا له الحبوب المناسبة للزراعة كالقمح والشعير والبرسيم . . ووفرنا مرشدين زراعيين ، ومواد أخرى لمحاربة الأفات الزراعية في القرية .

وقد تم تغيير اسم القرية من الوحدة الى الخالصة ، اثر العملية الفدائية التي نفذها الفدائيون الفلسطينيون في شمال فلسطين سنة ١٩٧٦ في بلدة الخالصة التي تعرف الأن « بكريات شمونة » .

وقد تركت بعض العائلات القرية بعد مدة من حضورها ، لأن مهنتها لم تكن في الاساس الفلاحة ، وعددها قليل ومحدود .

وقد أكد السيد لطيف مجول مسؤول العلاقات الخارجية في الاتحاد ، الذي كان يحضر المقابلة بأن عددهم حوالي ١٥ عائلة فقط .

وأضاف بأنه من المهم انجاح التجربة ، وهي فعلا ناجحة ، بدليل استمرارها منذ سنة ١٩٧٦ .

وهي احدى التجارب القومية التي يعتز بها العراقيون ويفخرون ، اضافة الى أنها توفر حوافز من التنافس والنشاط الشريف بين الفلاحين .

وأضاف السيد الراوي بأنه تم توفير المرافق الخدماتية

نوري الراوي
رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية

المناسبة أيضا في القرية ، من مستوصف ومدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية ، ومكتب للبريد ، وجامع ومقهى وسوق وغيره .

وتركنا الحرية للفلاح كي يزرع ما يشاء في فصول السنة من الحبوب والبقول والخضار ، وأعطيناه الحرية لتسويقها بنفسه وحسب رغبته .

وقد نفى الاستاذ الراوي بعض المعلومات التي تتعلق بمشاركة الدولة في بعض حصص الانتاج ، وأكد على أن الدولة لا تسترد الا ثمن البذور فقط ، وحتى هذه البذور فان الدولة توفرها بسعر مدعوم . وعندما يتم الحصاد فان الفلاح حر في بيع محصوله لأية جهة يختارها .

أما بخصوص المعاملة التي يلقاها الفلاحون العرب فانها نفس المعاملة التي نطبقها على الفلاح العراقي من ناحية الحقوق والواجبات ، بل أننا نراعي في الكثير من الاحيان ظروف واحتياجات الفلاحين الوافدين أكثر من فلاحينا العراقيين ، وهذا نعتبره واجبا وليس منة .

أما بالنسبة للارض والبيوت وملكيتها ، فان هناك عقودا قد تمت بيننا وبين الفلاحين للحصول على الاراضي والدور وخدماتها بالمجان ، ويمكن أن يتحول العقد بعد فترة الى سند تمليك .

وعن العلاقات الاجتماعية بين الفلاحين العراقيين والمصريين .. قال الاستاذ الراوي أنها علاقات جيدة وتم التزاوج بينهم ، فقد تزوج عراقيون من مصريات ، وتزوج مصريون من عراقيات ... وهذه أمور يمكن أن تسأل الفلاحين أنفسهم عنها .

أما بخصوص طلب الحصول على الجنسية العراقية فان قوانينا تنص على معاملة العربي كالعراقي .

دلمج واسط

وبخصوص الفلاحين الذين جاءونا من المملكة المغربية فانهم جاءوا حسب اتفاق مسبق بين حكومتنا وحكومتهم ، وطبق عليهم نفس ما طبق على الفلاحين المصريين من اجراءات ومنح وقروض ، مع فوارق يمكن أن تلمسها اذا ما زرت القريتين ، فبيت الفلاح المغربي وحديقته وأرضه أوسع . (البيت بحدود ٤٠٠ متر مربع) والارض تتراوح بين ٤٠ و ٥٠ دونم لزراعة الحبوب ، يضاف اليها دونمين لزراعة الخضار) .

والقرية المغربية التي تسمى بالدلمج جاءها في الفترة الاولى (سنة ١٩٨١م) حوالي ٢٠٠ عائلة مغربية بلغ عدد أفرادها حوالي ١١٦٠ فردا ، الا أنه نتيجة لعدة عوامل أهمها : أن بعضهم لم يكن له دراية بالعمل الفلاحي ، ويمتهنون مهنا أخرى ، ولم يملك الصبر على الغربة والتكيف مع الطقس ، لذلك فقد بقي في القرية ٥٠ عائلة فلاحية مغربية التحق بها ٩ عائلات أردنية وعائلتان فلسطينيتان وعائلتان مصريتان .

والارض المستصلحة في الدلمج تصل مساحتها الى ٢٨٥ ألف دونم ، يتم استغلال حوالي ١٨٠ ألف دونم منها حتى الآن .

ونحن بصدد تنفيذ خطة لاحضار حوالي ١٣٥ عائلة مصرية في شهري يناير وفبراير ـ كانون ثاني وشباط من هذا العام ، لاسكانهم في منطقة الدلمج وقد اشترطنا أن يكون نحو ربعهم من خريجي المعاهد الزراعية .

(تمت المقابلة في بداية شهر يناير) .

وأنهى السيد الراوي حديثه بالتوكيد على أهمية التجربة ، واعتبرها محكا للشعارات القومية ، ووضعها موضع التطبيق والتنفيذ .

هكذا .. وبعد أن وفر لنا المسؤولون بعض المعلومات الاساسية عن القريتين ، فان الاحاطة بكامل تفصيلات التجربة كان يحتم علينا الانتقال الى القريتين ، ومعايشة التجربة على الطبيعة ، والعيش مع الفلاحين في الحقول والبيوت وغيرها من أماكن ... ومناقشتهم والاستماع اليهم والوقوف منهم على التفصيلات التي تتعلق بحياتهم ، خاصة وأن التجربة قد بدأت تدخل في عامها الثامن .

وهكذا كان .

انتقلنا الى الخالصة ... التي تبعد عن بغداد حوالي ٤٥ كيلومترا ... بالقرب من الطريق المتجه جنوبا نحو البصرة ... وتقع ضمن مشروع الوحدة الزراعي الاسكاني .

على يسار الطريق كانت « اليافطة » تشير الى القرية بوضوح ... فاتجهنا اليها مباشرة ، وحططنا رحالنا في مركز الارشاد والتدريب الفلاحي ...

قال السيد سعيد الموظف في مكتب الصحافة والاعلام في اتحاد الجمعيات الفلاحية أن المركز تابع للهيئة العامة للتدريب والارشاد الزراعي في وزارة الزراعة ، وهو يتولى تأهيل الفلاحين في مجال الزراعة ، كالوقاية من الآفات الزراعية ، والتدريب على المكننة ... وكل ما يستجد في أمور الزراعة .

الارض هي الارض !

بدأ المزارعون يتوافدون ... وجوه سمر لوحتها

جني المحاصيل . و « خص » يجد فيه الفلاح بعض الراحة .

(الى اليمين) و « ماكينة » حديثة تشق اتلاما جديدة في الارض . (الى اعلى)

الشمس ، فتحول بعضها الى لون البرونز . . . قامات معظمهم طويلة ، يلبسون دشاديشهم وجلابياتهم واغطية رؤوسهم المصرية المعروفة . . . ، سماحة في الوجوه ، وتحيات وسلام .

بدأنا بالتعارف . . النكتة تحضر عفو الخاطر . . . يدحرجها المصري حتى ولو كان في أسوأ الظروف . . هكذا أعرف . . . وهكذا لمست .

طويل ومهيب ومتقدم في السن . . لكنه فجر النكتة منذ اللحظات الاولى للقاء . . . علي يوسف الشريف من المنوفية . . . رئيس الجمعية الفلاحية في الخالصة من مواليد سنة ١٩٢٨م .

استعاد موقف عادل امام في احدى المسرحيات وسأل : أنا اسمي مكتوب ؟ . . انتم الحكومة . . . طيب ! . . . انفرجت الاسارير وتدفق الضحك عفيا عفويا . . صاخبا . . توالى التعارف والتعريف . . .

كانوا من شتى محافظات القطر المصري ، المشهورة بالفلاحة والزراعة . . المنوفية ، سوهاج ، اسيوط ، المنيا ، بني سويف ، الغربية . . وغيرها . . وغيرها وكانوا من شتى الاعمار ، منهم من هو مولود في العشرينيات وبعضهم في الخمسينيات وأغلبهم مولود في ثلاثينيات وأربعينيات هذا القرن . .

قطعت حديثهم وسألت : دعونا نعود الى البداية . . كيف جئتم ؟ ولماذا ؟ وماذا وجدتم . . وكيف تكيفتم ؟؟

● تبرع حمدي عبدالفتاح ركبة من محافظة المنوفية من مواليد سنة ١٩٤٣ بالاجابة فقال :

ـ لقد قرأنا اعلانات عن رغبة الحكومة العراقية باحضار فلاحين لبعض الاراضي المستصلحة ، وبعد أن قرأنا الشروط وفهمناها تقدمنا بطلبات الى الحكومة المصرية ، فتمت الموافقة على مائة عائلة من شتى المحافظات المصرية .

وحضرنا الى العراق نحمل « هدومنا » فقط ، وانتقلنا الى هذه القرية ووزعت علينا البيوت التي وجدناها مؤثثة وجاهزة للسكن ، وفيها الماء والكهرباء ، مع حديقة كبيرة فيها بقرة و ٢٠ طيرا ، وأعطونا ٥٠ دينارا كمنحة تشجيعية ، وصرفوا لنا راتبا بمقدار ٣٠ دينارا شهريا لمدة ستة أشهر ، ووزعوا علينا أدوات الزراعة والحراثة ، ووفروا لنا الحبوب . . . وعينوا لنا مشرفا زراعيا يتابع أعمالنا ، والآفات التي يمكن أن تظهر في المزروعات .

بعض الـوجوه التي تصـع التجربـة الحديدة . . بينها :

١ ـ عـلى الشـريف رئيس الجمعيـة الفلاحية بالخالصة .

٢ ـ المصدادي محمد رئيس الحمعية الفلاحية بالدلمح .

سألت عمدة القرية الفلاح علي يوسف الشريف : هل هذه التراكتورات التي أراها للفلاحين ؟
أجاب : يوجد في القرية ١٧ تراكتورا للفلاحة ، هي ملك خاص بالفلاحين ، أما الحصاد فانه يتم بواسطة حاصدات الحكومة . أو بواسطة الفلاح نفسه ، وقد ملك الكثير من الفلاحين عربات للتنقل وستجدها أمام البيوت بكثرة .

في البيوت

انتقلنا الى بيت الفلاح عبدالعظيم علي يوسف من محافظة سوهاج ومن مواليد سنة ١٩٥١ . . البيت مؤلف من ثلاث غرف ومنافعهم ، ومؤثث بالاسرة والخزائن والكماليات الاخرى : من تلفزيون ومسجل ودفاية وغيرها . . حديقة المنزل الكبيرة تربي فيها أم خالد (زوجة عبدالعظيم) الطيور والماعز والبقر والخراف . . .
سألت أبا خالد : هل مساحة كل البيوت مثل مساحة بيتك وهل يسمح لكم بتربية الطيور والحيوانات كما تشاءون ؟
ـ قال : مساحة البيوت متشابهة . . وكما ترى فانه مسموح لنا بتربية ما نشاء ، بل أنه يوجد قسم بيطري لمعالجة ماشيتنا وطيورنا أيضا اذا مرضت .
ثم صاح على أم خالد بتحضير الشاي . . .
شربنا الشاي وخرجنا شاكرين لصاحب البيت كرمه وضيافته . . سألت العمدة على الشريف اثناء تجوالنا بين البيوت . . لقد أمضيتم حوالى ٨ سنوات هنا في هذه الارض وهذه البيوت ، فهل أصبحت ملكا لكم ؟قال : الذي اعرفه أن قانون الاصلاح الزراعي يبقي الارض على ذمة من يزرعها طيلة حياته مادام يزرعها ، والبيت بيته مادام قائما على زراعة الارض كما أننا نحصل على قروض ، ودخلنا في صندوق الضمان . . كي نضمن حياتنا بعد تقاعدنا .

* والاولاد اذا ماكبروا . . ورغبوا مزاولة مهنة الفلاحة ؟
قال السيد سعيد الموظف في القسم الصحافي في اتحاد الجمعيات الفلاحية : يمنح ابن الفلاح أرضا وبيتا اذا ما أراد مزاولة الفلاحة تماما كما تم منح والده ، هذا اذا بلغ السن القانونية وتزوج .
أثناء تجوالنا مررنا على مكتب البريد والمقهى . . والمدرسة ووصلنا الى نهاية حدود القرية . . فغادرناها مودعين من قبل عمدتها ومجموعة من الفلاحين .
ثم بدأنا بالاستعداد لزيارة قرية الدلج في يوم لاحق .

لطيف مجول مسؤول العلاقات الخارجية في اتحاد الجمعيات الفلاحية

الدلج :

يقع مشروع الدلج في محافظة واسط ، وضمنه قرية الدلج أو قرية المغاربة ، وهي تبعد حوالى ٢٠ كيلو مترا عن مدينة الكوت عاصمة المحافظة ، وكما أن نهر دجلة يروي مشروع الوحدة التي تقع ضمنه قرية الخالصة ، فان نفس النهر يروي مشروع الدلج من خلال أحد فروعه .
يقول الدكتور جاسم محمد الخلف في كتابه « جغرافية العراق » مايلي : ـ اقيمت « سدة الكوت » على نهر دجلة أمام مدينة الكوت سنة ١٩٣٩ م . لرفع مستوى مياه النهر الى فرع الغراف وجدول الدجيلة اللذين يأخذان الماء من الضفة اليمنى لنهر دجلة في مقدمة السد ، ويسقيان مساحة تزيد على ٢,٠٠٠,٠٠٠ دونم منها ٧٥٠,٠٠٠ دونم على جدول الدجيلة » .
بلغنا المشروع بعد ان انطلقنا من بغداد في رحلة استغرقت حوالي ساعتين . القرية مبنية من الطابوق العراقي المعروف الذي تشوبه بعض مساحات الملوحة . .
وعلى ذكر الملوحة التي تظهر واضحة في بعض الاراضي قال السيد سعيد ـ أنها تظهر بسبب نتح الماء الذي يتجمع في الاراضي الواطئة . . ولان بعض الاراضي تترك مهملة بدون استغلال وبسبب البخر الذي يحصل للماء ، فان الملوحة تظهر واضحة على سطحها .

المغاربة في الدلج

دخلنا غرفة جلوس أحد بيوت القرية . . غرف البيت أوسع من غرف البيت في قرية الخالصة ، الوجوه تحمل سمات منطقة المغرب العربي . . زادها « البرانس » تحديدا لمكان قدومها ، كانوا من بعض محافظات المملكة

حسن دمعون فرح ـ عضو المكتب التنفيذي للجمعيات الفلاحية ـ في محافظة واسط

المغربية ، كالرشيدية ، وتازا ، وقلعة السراغنة ، وورزازات وغيرها .

تولى الحديث في البداية الفلاح مصدادي محمد رئيس الجمعية الفلاحية في القرية ، وهو من تيفيليت في محافظة الرشيدية . .

قال : لقد قدمت ٢٠٠ عائلة مغربية في نيسان من عام ١٩٨١ الى هذه المنطقة ، من خلال اتفاق بين المملكة المغربية والجمهورية العراقية ، لزراعة الاراضي المستصلحة في منطقة الدلمج ، ووجدنا البيوت جاهزة للسكن ومؤثثة ، فيها الماء والكهرباء وكل الكماليات المطلوبة ، حتى أننا وجدنا الارض مزروعة وجاهزة . مع ذلك فلقد اختلف الطقس على بعض العائلات ، ولم يستطيعوا التكيف معه ، اضافة الى أن مهن الكثير منهم لم تكن الفلاحة في الاساس ، اضافة الى بعد العراق عن المغرب ، كل ذلك دفع بحوالي ١٥٠ عائلة الى العودة وترك المكان وبقينا حوالى ٥٠ عائلة ، انضمت الينا بعض العائلات الاردنية والفلسطينيه والمصرية ، وحصلت على نفس التسهيلات والاراضي التي حصلنا عليها .

وعلق السيد حسن دمعون فرج ـ عضو المكتب التنفيذي للجمعيات الفلاحية في محافظة واسط قائلا أن الكثير ممن تركوا العراق كان من بينهم الحلاق ، والقصاب ،والموسيقي والنجار وغيرهم ، مع أنه تم توفير مساحة أراضي للفلاح الواحد تصل مابين ٤٠ الى ٥٠ دونما لزراعة الحبوب ، ودونمين لزراعة الخضروات ، وبيوت مؤثثة مع حديقتين داخلية وخارجية تصل مساحة كل بيت وملحقاته الى حوالى ٤٥٠ مترا ، وتم توفير مستوصف ، ومدارس ، ودائرة زراعة ، واشراف ، ومكتب بريد ، وغير ذلك من خدمات .

عاد المصدادي للحديث فقال : من الطبيعي أن يحصل صراع داخلي بين الانسان ونفسه من أجل التكيف وتقبل الحالة الجديدة ، فالطقس ، ونظام الزراعة ، وطبيعة الارض مختلفة عما ألفنا في بلادنا ، لكن مع مرور الزمن حصل التكيف ، وتم التغلب على كل مشكلات التأقلم . . ونحن الآن نطالب بزيادة مساحة الارض ، فعندنا الاستعداد الكامل لبذل الجهود المضاعفة .

ثم تولى الحديث الفلاح العوني محمد من محافظة تازا الواقعة بين مدينتي فاس ووجدة . . فقال : نحن جئنا للعمل وبذل الجهد . . ودافعنا للمجيء ـ اضافة الى ممارسة المهنة والعيش ـ ولاؤنا لامتنا العربية ، وفخرنا بعروبتنا .

التفاهم

● ألم تجدوا مشاكل في التفاهم بينكم وبين اخوانكم العراقيين خاصة من ناحية اللهجة والعادات . . وغير ذلك ؟

ـ أجاب الفلاح قاسمي السيد محمدي عباس من ورزازات قرب مراكش :

يوجد اختلاف في لهجات المحافظات التي ننتمي اليها ، الا أن التعايش والسعي لفهم بعضنا البعض ازال الكثير من اختلاف اللهجات . . وهكذا تم مع اخواننا العراقيين .

● والغربة والحنين الى الأهل . . والأقارب . . كيف كان تعاملكم معها ؟؟

ـ قال القاسمي : . . وجدنا ارضا عوضتنا عن اراضينا . .وحنيننا الى الأهل والأقارب والصداقات لا زال في قلوبنا . .والرسائل بيننا لم تنقطع ، وبعضنا يسافر ويقضي بعض الوقت عند الاهل ، . . لكن بلاد المغرب ـ كما تعرف ـ بعيدة ، وثمن التذاكر مرتفع بالنسبة لنا كفلاحين ، لذلك فاننا نطالب بتخفيض ثمن تذاكر الطيران .

● وأطفالكم والمدارس . .والصعوبات ؟؟

ـ تولى الفاضل محمد رحال من قلعة السراغنة الاجابة فقال : بعض أولادنا دخلوا الجامعات . . ومن كان مستواه دون ذلك فقد تم له التكيف وتم التغلب على كل المشكلات الخاصة بالطلبة ، اما من كان في الابتدائي فانه لم يجد أية مشكلة . . والحقيقة أننا وجدنا كل التسهيلات الممكنة في البيوت أو الحقول .

● ما الذي تزرعونه ؟

قال : محمد عبدالرحيم عثمان . . . المرشد الزراعي ـ من مصر ـ . يتم التركيز على الدورة الزراعية في فصل الشتاء من خلال زراعة الشعير ، خاصة وأن الارض مستصلحة حديثا ، ثم يليه الحنطة والعدس والحمص .

▲ طريق واطفال وبط وتراكتور في قرية الخالصة .

مزرعة بقر صغيرة داخل حديقة البيت ▼

كما تتم زراعة الفول والسبانخ والباذنجان والفجل والخس والبصل وغيرها في مساحات زراعية أخرى ، ويتم توفير الحبوب من قبل اتحاد الجمعيات الفلاحية حسب السعر المتداول في كل عام ، والاسعار تحصل على دعم من قبل الحكومة ، أما المبيدات فاننا نوفرها بالمجان .. ونقيم اجتماعات دورية لشرح كل ما يتعلق بكل دورة زراعية وآفاتها .

* عدت الى سؤالي الذي سألته لفلاحي قرية الخالصة .

- هل تدفعون للدولة حصص مشاركة أو ضرائب معينة ؟؟

قال المصدادي محمد - عمدة القرية - لا ندفع الا ثمن حبوب البذار أو رسوم الحراثة والتسميد ، تماما كالفلاحين العراقيين ، ونحن نتولى تسويق المنتوجات وبيعها كما أننا بصدد شراء تراكتورات حراثة من خلال تعاونيتنا .

شكرنا الفلاحين وتجولنا بين البيوت ودخلنا بعضها .. فوجدنا الحدائق الداخلية مليئة بالزراعة ، أو تغص بأنواع شتى من الطيور والحيوانات الاليفة ، ووجدنا بعض النساء والاطفال يساعدون الرجال ، اما في الحقول اليانعة الخضرة المتعددة في أنواع الزراعة ، أو في تربية الطيور والحيوانات ، أو في زراعة الحدائق الداخلية في البيوت .

سألت مندوب الجمعيات الفلاحية المرافق لنا : هل التجربة مقتصرة على الخالصة والدلمج ... قال : توجد تجربة ثالثة في قرية خان بني سعد التي تبعد عن بغداد حوالي ٥٠ كيلومترا في محافظة ديالى .

وفيها ٧٠ عائلة اردنية و ٢٦ عائلة فلسطينية ، وهم يزرعون حوالي ٣٨ ألف دونم من المزروعات المغطاة بالبلاستيك ، كالخضار والاشجار المثمرة وغيرها .

وهؤلاء تعاقدوا مع وزارة الزراعة مباشرة بتاريخ ١٩٨٣/٨/١٥ .

وبعد : قيل ولازال يقال أن أرض السواد في العراق يمكنها اذا ما استصلحت وزرعت أن تطعم الوطن العربي قمحا وتغنيه عن الاستيراد ، فهل التجربة الجديدة هي خطوات التنفيذ على درب هذا المشروع ، اضافة الى ابعادها ومراميها القومية الواضحة ؟؟ □□

مستوصف الدلمج . يستقبل رواده .

بقع الزيت . . .
وسبل مكافحتها

هذا باب جديد بين أبواب العربي الثابتة . . . ولكنه ليس بجديد من حيث موضوعه ، وقد أولاه العربي اهتمامه منذ فجر ظهوره . . قبل ٢٥ عاما . .

فالباب الجديد اذن بحاجة الى تعاون قرائه . . انه بحاجة الى آرائكم وبحاجة أيضا الى ما قد تزودونه به من أخبار بيئتكم القريبة ، حيث تعيشون . . . وما تعاني منه من تلوث وما قد تشهده من جهود لمكافحة هذا التلوث . .

: يوسف زعبلاوى

ـة البشرية

سلامة البيئة

الأساليب الطبيعية في مكافحة بقع الزيت في أعالي البحار هى الأساليب الأكثر شيوعا حتى الآن . . . ولا تختلف هذه الاساليب من حيث المبدأ . . فهى تستهدف في كل الحالات انتشال الزيت من ماء البحر . . . ولكنها تختلف من حيث التطبيق ، أو طريقة انتشال الزيت بالتحديد . من هنا كانت الأجهزة والمعدات المختلفة التي تعتمدها هذه الأساليب . . . فمنها ما يجرف الزيت جرفا ، أو يغرفه غرفا ، أو يمتصه أو يجتذبه ، الى آخر ما هنالك . . . وسنستعرض في السطور التالية بعض هذه الأساليب ، مرجحين الأهم منها على المهم ، والأحدث على الأقدم ، مراعين في ذلك كله الايجاز بقدر الامكان . . .

السفن المخلبية : وهى أمريكية ، تم تطويرها في مطلع سنة ١٩٧٧ . . . تمتلك عدداً كبيرا منها وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة (E .P.A.)وكذلك سلطات البحرية فيها ، وقد أقدمت على شرائها دول عديدة نذكر منها المانيا الاتحادية وكندا واليابان والنرويج وبريطانيا وايطاليا واستراليا .

وتعتمد هذه السفن على سواعد طويلة ممتدة على جانبيها تشبه المخالب . . وتعمل هذه السواعد على دفع الزيت الطافي على سطح البحر الى مقدمة السفينة . . حيث توجد الفوهة الشفاطة ، التي لا تلبث أن تبتلع ذلك الزيت ابتلاعا . . ليأخذ سبيله الى المستودعات . . وهناك تعمل المضخات الخاصة على عزل ماء البحر عن الزيت . . وتضخ هذا الزيت الصافي الى القوارب التي تنقله بدورها الى الشواطىء .

وتختلف هذه السفن من حيث حجمها وطاقتها . . فطراز (٣٠٠٣) مثلا يشفط الزيت بمعدل ١١٠٠ لتر في الدقيقة . . أو يزيد . . ويتسع مستودعه لنحو ١٥١٠٠ لتر . . .

سفن الحزام الجذاب : وهى امريكية أيضا ويعود تطويرها الى أواخر السبعينات أيضا . . والحزام الجذاب ، وهو قوام هذه السفن ، عبارة عن حزام ناقل لفاف مصنوع من مادة بلاستيكية تجتذب الزيت وكأنها المغناطيس . . . ويخرج الحزام من السفينة ويمتد كاللسان مسافة عشرة أمتار الى حيث تكون بقعة الزيت . . . ويدور الحزام الجذاب

الجهاز الكانس لبقع الزيت .

ويلتف فلا يلبث أن ينقل الزيت الى داخل السفينة فتتناوله اسطوانات العصر الكبيرة . . فتعتصره وتزيل ماء البحر منه . . ليأخذ سبيله بعد ذلك الى المستودعات .

ويتميز الحزام الجذاب أو المصّاص بفاعليته فيما يتصل ببقع الزيت الثقيل . . كالزيت الاندونيسى المعروف باستعصائه على اعمال المكافحة . .

وتبلغ طاقة هذا الحزام ٢٢٧٠ لترا من الزيت في الدقيقة . . والجدير بالذكر أن الفضل في تطوير الحزام الجذاب انما يعود الى صناعة الفضاء . . التي طالما اعتمدت عليه في الصواريخ ، ومن أجل الابقاء على الزيت والغازولين في مكانها دون حركة .

السفينة الكانسة : تعمل هذه السفينة كالمكانس الكهربائية وتعتمد على الفراغ Vacuum لالتقاط الزيت وقذفه الى داخلها . . وهى ذات طاقة كبيرة قدرها (٤٠) مترا مربعا من بقع الزيت في الساعة . . ذلك أن أنبوب الشفط فيها لا يقل قطره عن ٦ بوصات،وذلك لضمان الطاقة الكبيرة المرغوبة ، وبقصد تنظيف ماء البحر ، لا من الزيت فحسب ، ولكن من شتى الشوائب والملوثات ، كالمعلبات والقوارير وغير ذلك . والسفينة مجهزة بما يشبه الأجنحة (انظر الرسم) وهى التي تعمل على دفع الزيت في اتجاه الأنبوب الشافط .

والشركات الانجليزية هى التي طورت هذه السفينة ، بل الأجهزة والمعدات ، في مطلع الثمانينيات . . . ذلك أن في الامكان شراء المعدات وحدها . . . فهى قابلة للتركيب على أى سفينة أو قارب . . وثمنها زهيد .

سفينة البي بي : ما زالت هذه السفينة قيد التجربة . . في بحار مختلفة وفي مياه الخليج بالذات . . وقد طورتها شركة البترول البريطانية . . وقوامها مجموعة من الشفرات القلابة التي تدور فتدفع الزيت الى داخل السفينة . . والتي تصلح بخاصة لمكافحة بقع الزيت الثقيل . الا أن طاقة هذه السفينة محدودة ولا تصلح - على ما يبدو - لمكافحة بقع الزيت الكبيرة . .

سفينة الصياد الاسكتلندي : وتمتاز بطاقتها الضخمة ، ١٠٠٠ طن من الزيت في كل رحلة تقوم بها . وهي تعتمد على شبكة صيد عملاقة مصنوعة من النايلون وذلك لصيد الزيت على أوسع نطاق ممكن . وقد نجح في تطويرها في مطلع السنة الماضية ١٩٨٣ أحد صيادي اسكتلندة . . وتولت صنعها احدى الشركات الكبيرة في بريطانيا . .

طريقة جوبلين : لعلها أحدث المبتكرات في مجال مكافحة بقع الزيت وقد أعلنت عن تطويرها الشركة البريطانية المعنية بتاريخ ١١ / ١٠ / ٨٣ . . وتتميز هذه الطريقة بأن معداتها خفيفة الوزن وقابلة للحمل والنقل ورخيصة الثمن . . مبدأ عملها الاعتصار ، وقوامها اسطوانتان تعصران الزيت عصرا بالدوران في اتجاه متعاكس ، وتبلغ طاقة المعدات ٥٠ طنا من الزيت في الساعة .

جزيرة كياوا . . .
لم لا نقضي العطلة الصيفية على شواطئها !؟

تقع جزيرة كياوا ومدينة شارلزتون على شواطيء الاطلسي في ولاية كارولينا الجنوبية ، حيث يشير السهم .

أقدمت دولة الكويت قبل نحو عشر سنوات على شراء جزيرة كياوا الامريكية . . وتقع هذه الجزيرة على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية . . مقابل مدينة شالزتون في ولاية كارولينا الجنوبية . . وهي من الصغر بحيث يتعذر العثور عليها في الخرائط ، مهما كبرت . . وقد تم شراؤها بمبلغ ٤ , ١٧ مليون دولار . . من أحد

احدى السفن التى يكافحون بها بقع الزيت . . على أن الطريقة التي تعمل بها هذه السفينة هى طريقة التفتيت الكيماوية .

كبار ملاك الغابات في الجنوب الامريكي . . وكان المبلغ الذي سبق أن دفعه هذا المليونير ثمنا للجزيرة ١٢٥٠٠٠ دولار !

واستنكر الكثيرون تلك الصفقة . . ورأى البعض فيها غبنا فاحشا لحق بالكويت . . ورأى آخرون فيما استهدفته الصفقة من أعمال الاستصلاح والاستثمار في تلك الجزيرة النائية طموحا لا مسوغ له . . وهل يعقل أن تنجح الكويت حيث فشل الأمريكيون . . !؟

هذا الى جانب المقاومة الفعالة التي لقيتها الصفقة في أمريكا . . فقد احتج البيئيون عليها وطالبوا حكومة واشنطن بالغائها وذلك بحجة سلامة البيئة وضرورة حمايتها والابقاء على أحياء البرية في جزيرة كياوا ونباتاتها ومستنقعاتها . فمن شأن أعمال الاستصلاح ومشاريع التنمية أن تتلف بيئة الجزيرة الطبيعية ، كثيرا أو قليلا . .

وقل مثل ذلك في اليهود . . يهود مدينة شالزتون بخاصة . . فقد عمدوا هم أيضا الى الضغط على حكومة واشنطون لالغاء الصفقة . . وذلك لأغراضهم وأهوائهم السياسية ، كما لا يخفى . .

وتجاهل المسؤولون الكويتيون هذه العراقيل . . وانصرفوا الى الاعمال المجدية في صمت . . أعمال استصلاح الجزيرة واستثمارها . وعهدوا بهذه الأعمال الى شركة أمريكية ذات خبرة واسعة فيها . .

وما أسرع ما أنجزت هذه الشركة ثالث متجماتها السكنية التي أنشأتها في بطون الغابات في الجزيرة . . على نحو يضمن غمرها بضياء الشمس . . وجعلوا بيوتها الخشبية تبدو وكأنها من حجارة . . ثم أقاموا في تلك المجمعات ملاعب التنس والجولف وأحواض السباحة . . والأهم من ذلك أنهم رمموا الجسر القديم الذي يصل الجزيرة بالشاطىء وفتحوا الجزيرة لعامة الناس ، بعد أن كانت وقفا على الخاصة . . وراح أهل شالزتون يزورون الجزيرة وقتما يشاءون ويستمتعون بالسباحة على بعض شواطىء الجزيرة . . على ان المتنجعات والمجمعات وكذلك بعض الشواطى ، أنما أقيمت بقصد ارضاء الخاصة الأغنياء من الامريكيين . . لاغرابة اذن أن بلغ مجموع ايرادات جزيرة كياوا حتى الآن ٣٠٠ مليون دولار . .

التلوث . . .
يهدد آية من آيات الفن الاسلامي

تاج محل مهدد بالتشويه والفناء بسبب تلوث الجو . . حقا انه ليس الصرح الوحيد في العالم المهدد على هذا النحو ، ولكن تاج محل يحتل مكانة فريدة بين تلك الصروح جميعا . . . فهو أجملها وأروعها ، بحكم أكثر النقاد من أهل الغرب . . . وهو آية من آيات الفن المعماري الاسلامي في كل زمان ومكان . . . فالعمل على انقاذه اذن مسؤولية كبرى تقع لاعلى عاتق حكومة الهند والهيئات الدولية فحسب ، وانما تقع كذلك على عاتق الدول الاسلامية كلها ودون استثناء .

أما مصدر التلوث الرئيسي فمصفاة البترول الحكومية القائمة في ضواحي بلدة (ماثورة) الواقعة على بعد ٤٠ كيلومترا من مدينة أكرا . . حيث يوجد تاج محل . . . والمصفاة جديدة نسبيا ، لم يمض على تأسيسها أكثر من عشر سنوات ، وبلغت كامل طاقتها في السنة الماضية . . ويعجب المرء كيف صمد تاج محل طوال ال ٣٥٠ سنة التي مضت على انشائه ولم يتعرض لأي مكروه الا في السنوات العشر الأخيرة وعقب ظهور مصفاة البترول الحكومية . . والتعرض للغازات التي تتصاعد منها . . .

فقد غلب التعتيم والاصفرار على الكثير من هذا الرخام الراجستاني الناصع . . وبدأ يفقد بهاءه الذي هو سر سحره . . ولولا متانته وصلابته الأصيلة لتعرض هو أيضا لمثل التفتيت الذي حل بالحجارة الزهرية الجميلة . . حجارة المباني الصغيرة المجاورة لتاج محل .

ولكن ما هي الملوثات والغازات التي استطاعت أن تحدث مثل هذا التلف على بعد ٤٠ كيلومترا ؟

كان هذا السؤال موضع أبحاث ودراسات علمية دقيقة قام بها مؤخرا البروفسور ديف J . M.Dave ، عميد كلية العلوم البيئية في جامعة جواهر لال نهرو . واعتمد هذا العالم فيما اعتمد عليه في أبحاثه تلك على أحدث أجهزة الرصد التي تقيس التلوث . . وقد أقامها في كلا الموقعين . . مصفاة البترول وتاج محل بالذات . . واليك فيما يلي جردا بالملوثات ومقاديرها وفق ما تمخضت عنه تلك الأبحاث العلمية . .

٢٥ ـ ٣٠ طنا من غاز ثاني اكسيد الكربون تداهم تاج محل في كل ساعة من ساعات اليوم .

١٠٠ ـ ١٥٠ طنا من أول اكسيد الكربون

٦٠ ـ ١٠٠ طن من الهيدروكربونات

١٠٠ طن من شتى أكاسيد النيتروجين

أحد آبار البترول في حقل نوروز . . حينما كان مشتعلا . .

هذا بالاضافة الى المعادن المختلفة التي وجدت ضمن تلك الغازات ، وهي الفاناديوم والكادميوم والنيكل والكروم .

ويعجب المرء لموقف حكومة الهند . . فهي تقدر تاج محل أبلغ التقدير بدليل اقدامها قبل نحو سنة على اغلاق محطتين لتوليد الطاقة كانتا تعتمدان الفحم الحجري وقودا . . ثم انها بادرت الى اجراء تعديل جذري في قطارات أكرا بحيث أصبحت تسير بالديزل بدلا من الفحم . . . ومع ذلك فان حكومة المسز غاندي ما زالت ترفض رفضا باتا مجرد النظر في الأضرار التي تحدثها مصفاة ماثورة في تاج محل . . . ناهيك بالاجراءات الواجب اتخاذها لوضع حد لها . .

ويتساءل البيئيون . . لم لا تنقل المصفاة الى جهة أخرى بعيدة من شبه القارة . . أبسبب التكاليف والخسائر المادية .؟ ولكن بقاءها حيث هي يسبب خسائر حضارية وفنية لا تقدر بمال . . وتسبب أيضا خسائر مادية لايستهان بها . .وهي الايرادات السياحية التي تعود على حكومة الهند بفضل تاج محل .

الدّور والرسالة
مع رسام الجداريات
ضياء العزاوي

بقلم : عبد المعبود شحاتة

□ الوقت ضيق . . حتى المكان والزمان . . والصدر ضيق . . الكل يلهث . . لا أحد فينا لديه الوقت لاستماع الآخر . . والكل يرفض . . وكأنما الرأى قنبلة . . موقوتة . . .

العين مفتوحة . . وكأنها فجوات في جمجمة سلطت عليها الأضواء . . بها من العمق والاتساع ما يوحى بأنها ترى وتبصر . . وهى جوفاء خالية ضاربة في الوهم . . فاقدة لكل مقومات البصر والبصيرة .

أمور كثيرة تجرى في هذا العصر . . تدمير للقيم والمبادئ والأحلام . . . تدمير للانسان . . رؤوس فصلت عن الأجساد وكأنها ذبائح أضحية . . وأجساد مشطورة وكأنها أحذية ضالة كلها يمين وكلها شمال . . وسواعد مبعثرة تحمل في قبضتها مدفعا ، وفي الأخرى كسرة خبز ، التقطتها من نفايات اليوم السابق . . وسط حطام البيت ، وفراش الأولاد العزل ، والديك يصيح قبيل الفجر . . يعلن . . ميلاد يوم جديد مثلما ولد الأمس بالأمس ، واليوم بالأمس أيضا . .

والفارس يطل علينا من بعيد في أعلى الوادى . . يمنحنا شعورا بالأمن . . فيهدأ الصدر . . ويطمئن قلبي المفزوع من هول المأساة . . . !!

رغم أن انسانية الانسان ملكية خاصة ، ورغم أن الحق لا يموت . . كان القتل العصرى والابادة الجماعية أمام العالم أجمع . . والسفاح المتغطرس يظهر ملء الشاشة بالألوان . . فيها الاحمر القاني . . بلون الدم البكر . . أين ضمير الانسان ؟ . . الأجساد متورمة حتى أنك لتكاد تشم رائحة العفن من خلال شاشة التليفزيون والبيوت ثكلى . . والشوارع غاصة بالقتلى . . والارض حبلى بالشهداء والأبرياء والعزل . . حتى أصبحنا لا نرى الا جثثا . . . !!

○ الفنان العراقي ضياء العزاوي ولد في العراق بمدينة بغداد ودرس الآثار والفنون وله نشاط فني عالمى .

ـ أقام ثمانية عشر معرضا خاصا في طرابلس وبيروت والكويت وكازابلانكا وباريس ولندن وجنيف وسويسرا ، بالاضافة الى المعارض الجماعية التي اشترك فيها مع زملائه الفنانين العرب داخل الوطن العربي وخارجه .

● قدم معرضه التاسع عشر بقاعة الفنون بضاحية عبد الله السالم بدعوة رسمية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت في النصف الثاني من شهر نوفمبر ١٩٨٣ .

الدور والرسالة

يقدم لنا الفنان ضياء العزاوى جانبا من وجدانه في لحظة عطاء . . مستغرقا في هموم الانسان العربي تارة . . ومستشرقا في التاريخ والتراث تارة أخرى . . وكأنما يحثنا برفق يفوق حدة الخناجر . مستخدما أسلوبه البليغ أشد البلاغة ، عن طريق الفن ، كأداة من أعظم القوى الدافعة لاحياء الآمال الكبرى وإذكاء المثل العليا .

من خلال واحد وستين عملا تشكيليا جمعت بين الأصالة ودقة الأداء . . وحسن استخدام الخامة . . والمعالجات الموضوعية . . متنقلا بنا من الرمز الى التجريد تارة ، ومن التشخيص التعبيرى الى الدراما العنيفةتارة أخرى . . متخذا موقفا صلبا ، كفارس أسطورى من فرسان التاريخ في الزمن الغابر . . ليعلن في شجاعة عن دور الفنان العربي ورسالته تجاه القضايا العربية والانسانية .

القديم والمعاصر

لقد استطاع بطاقته الرائدة ، أن يتمثل في اعماله روعة التاريخ بكل شجنه وعذوبته من خلال استخدامه لوحى الخط العربي ، والمساحة المشبعة بالحلم الأسطورى في اللون ، جامعا أحيانا ، مفرقا أحيانا أخرى . . فيظهر الأصفر الفاقع اللون وسط فصيلته متمازجا مع الأحمر والأحمر الوردى ، في بلاغة وعشق وشوق للقاء ، فيتم الانسجام والوئام ، بين أجزاء

من لوحات الفنان

١ « حروفيات عربية
رقم ٧ »

٢ من « رمز شعبي »

٣ « الانسان والسلام »

٤ « مشهد شرقي »

٥ الجزء الاوسط من
جدارية ضياء العزاوي
« نحن لا نرى الا جثثاً »

العمل الفني ، وكأنه وحدة نسيج متكامل . . . ولدت هكذا ، ولا يمكن أن تكون غيره ـ فلا يسعك الا أن تسعد بألوانه حين يغنى ، وأن تحترم وقاره حين يحزم أمره ، لتخرج في النهاية ، وأنت مع وليس ضد منطقه في الرمز ، والأسطورة ، والتجريد خاصة في أعماله « الزيارة » ـ تكرار لرمز شعبي ـ حديقة شرقية ـ حروفيات ـ مشهد شرقي ـ نافذة بغدادية ـ الفارس ـ عبد الله الملون ـ ذاكرة بغدادى ـ بوابة شرقية ـ تمثال نصفى لعبد الله ـ عبد الله يغادر مدينته ، ومعه أيضا حينها نجد أن جميع الاعمال لها ثمن ما عدا جدارية « صبرا وشاتيلا فهي ليست للبيع » .

القيمة الجمالية والفكرة

ويستوقفك كل عمل من أعماله ، فلا تريد تركه الا لترى عملا آخر يشدك بدوره . . فكل عمل من أعماله له نظام خاص به . . يجمع بين الجدة والابتكار وجمال التعبير ، ودقة الأداء ، والتماسك البنائي ، والوحدة بين الأجزاء ، والمزاوجة بين الجزء والكل .

أما من ناحية الفكرة فتنقسم اعماله الى مجموعتين . . وفي كلتا المجموعتين يضع العزاوى حلولا ايجابية للقضايا التشكيلية التي أثارت الجدل منذ الستينيات وحتى وقتنا هذا . . حول « دور الفن ورسالته وموقف الفنان من قضايا العصر . »

ففي المسألة الأولى . . التراث والمعاصرة . . أو اعادة استلهام التراث يوضح الى أى حد . . وبأى صورة يكون التحديث ؟ . فهو ليس مع تمثيله تمثيلا ظاهريا . . وهو ليس مع نقله حرفيا ومحاكاته وتقليده . . وهو ليس مع المطابقة المثلية . . وانما مع الحاضر والمستقبل ، يستشف الروح من الجسد التاريخي ، ويستلهم الوحى من الحس العربي والشرقي والاسلامي في لونه وانسيابه ورخائه . . وغناه ، وبين التصميم والحروفيات والشرقيات نستمتع بجمال الدنيا وزخرفها وزينتها لما تحمله من بعد ثقافي انساني .

ـ يستمد بقاءه ، من استشراق الموسيقا والفن والأدب ، بما فيها من رؤى جمالية ، وقيم انسانية ، ضاربة في العمق والأصالة .

ويؤكد لنا الايمان الروحي الذي يبلور قيم الأشياء ، ويوظف طاقات الفعل ، في عمل مبدع ، من أجل منفعة البشرية .

حالة التوتر والقلق

يعيش العزاوى حالة فنية صحية . . التوتر والقلق . فهو يحاسب نفسه كثيرا . . ويناقش نفسه كثيرا وينقد ويحلل ويقارن ، حتى يصل الى المعادل التشكيلي المناسب للفكرة ، ويعبر عن هذا الموقف في لوحاته « عبد الله الملون بالأزرق » وعبد الله يغادر مدينته « ١ » وعبد الله يهرب من عبد الله ـ وعبد الله مع طائر البيت ـ وعبد الله يهرب ثانية ـ وعبد الله يرنو الى حديقته ـ وتمثال نصفى لعبد الله ـ ويظل عبد الله « العزاوى » يحب ويرنو . . ويتأمل . . ويتألم ويفرح ويأنس من كل ما يشاهد ، ومن كل ما تصل اليه قناعته عن طريق حوار النفس في كل ما يقابله من مواقف حياتية تدغدغ وجدانه وتهز كيانه . . قومية كانت أو انسانية من خلال أسفاره في الكون المادى .

في وسط هذه الحالة التأملية ، المغرقة في التنامى الانساني يبلور لنا مفهومه المعرفي الذي يرفض الحفظ والسرد والتلقين للمعارف السابقة والمندرسة . . ويجتازها ، مؤكدا الروح والأصالة في جملة الاعمال للمجموعة الأولى . . مسترسلا من خلالها ، حتى يضعك أمام الحدث الأكبر . . وهنا يأتي الشق الثاني من أعماله . . صرخة مدوية من وحى الضمير الحى في عالم مقهور . . منهوش القلب ممزق الضمير .

رسام الجداريات

في الجانب الآخر من فن العزاوى يضعنا أمام التاريخ كشاهد عيان ، فهو يعالج قضية عامة وليست قضية فئة . . انه أمام معالجة قضية لها شرعيتها ولها حيثياتها وأصولها .

إذن ليست اللوحة الزيتية أو الأيقونة . . أو ما يسمى « بالتابلوه » هى التي يمكن أن تستوعب هذه الفكرة . . فيرجع الى دراسته التاريخية . . ويبحث عن شكل يمكن أن يستوعب الفكرة . . ومن المصرى القديم والأشورى والمكسيكي يأتيه الحل . . الحل المناسب لمستوى الفكرة . . ويضعنا مع العالم أمام جدارية صبرا وشاتيلا .

الحل التشكيلى

لا يرى العزاوى جدارا مناسبا فى العالم حتى الآن لتنفيذ جداريته . . فهو يرفض المكان بالحدود السياسية والايدلوجية . . فاتخذ حلا عمليا يحقق الهدف الأسمى من الفكرة ويمكنه من عرض وجهة نظره الانسانية أمام الانسان فى كل مكان بعيدا عن الحدود . .

اختار نسبة ذهبية عالمية ٢٤٤×١٢٢ سم واتخذ شكلا بنائيا قويا كالبنيان المرصوص بوضعه أربع وحدات من النسبة السابقة أفقيا فى اليمين والشمال وبينهما الوحدتان الأخريان لتشكل مساحة قدرها ٢٤٤×٩٧٦ سم تتصدر القاعة الكبرى للعرض فتمتد من الأرض وحتى السقف . ويقف أمامها المشاهد وهو فى حالة من التأمل والذهول . . ليس فقط كيف عالج هذه المساحة وربط بين أجزائها المحكمة ، والتفاصيل دقيقة والعناصر متناثرة هنا وهناك من طائرات وصواريخ ودمار المبانى وحطام المنازل وأشلاء الانسان . . والفارس ينهض والديك يصيح وسط أجزاء الجسم المبعثرة من وجوه وأعضاء وأياد مبتورة ـ وانما للمعالجة التشكيلية البعيدة عن الشكل الواقعى بمعادل تشكيلى تترابط فيه الأجزاء والعناصر لتعطى فى النهاية التكوين العام والهيئة للعمل الفنى ، وكأنها وحدة نسيج ليس بها خلل . . محملة بالمعانى معبرة عن المأساة كما أرادها .

ولقد استطاع العزاوى أن يتحدى ويتصدى فى صمت بالغ وهمس عال يفوق ثرثرة الموجودين ، لتسمع فى خشوع ورهبة الى موسيقاه الحزينة وسط الأشلاء المتناثرة فى أجزاء الجدارية ينظم ويداوى ويضمد كل الجروح الناتجة عن التجزىء الرباعى الذى يشكل التصميم العام . متجاوزا حِسَّ المشاهد بالزمان والمكان من خلال صرخة دامية من قلب رقيق مفعم بالحب للانسانية .

وأخيرا . . فان ضياء العزاوى الفنان بما يتمتع به عمق الرؤية والذكاء يقدم لنا تجربة انسانية تتميز بالصلابة والقوة والأصالة متعاطفة مع حرية الانسان واحترامه ، مؤمنة بنضال أمة تنزف من دمها قرابين للحرية والشرعية فى الحياة . . ونحن مع فنان الدور والرسالة . . لانرى الا جثثا . □□

الغلاف الأخير

يقدم لنا الفنان ضياء العزاوي جانبا من وجدانه في لحظة عطاء . . مستغرقا في هموم الانسان العربي تارة . . ومستشرفا من التراث تارة أخرى ، يستشف الروح من الجسد التاريخي ، متخذا من الرمز الشعبي صورة الكف في تنظيم رباعي ، وهو بذلك يجمع بين الحلم والاسطورة . . اخترنا لك هذا الرمز في ثلاثة أوضاع مختلفة شكلا وموضوعا (انظر الغلاف الأخير)

مِن الصّلبْ إلى "الكوتشينة"
كان القطاع العام

☐ يبدو أنه سقط الى الأبد الفكر القائل بأن الأفراد وحدهم هم البداية والنهاية في أي تنظيم اجتماعي ، وأن القطاع الخاص بمفرده قادر على قيادة سفينة الاقتصاد وتحقيق رفاهية المجتمع ، وأن على الدولة كتنظيم علوي أن تكتفي بدور الحارس والمنسق والمساند لأنشطة خاصة .

ورغم أن بوادر السقوط كانت بادية منذ فترة ، حين تلقت فكرة المشروع الخاص ضربات أساسية على يد الاشتراكية التي اعتبرت المشروع العام هو الصيغة المثلى لتحقيق التنمية والرفاهية والعدالة ، ورغم أن الدول الرأسمالية ذاتها قد ساهمت في توجيه ضربات أخرى ، حين قدمت العديد من المبررات للمزيد من تدخل الدولة ، والمزيد من النشاط الاقتصادي الذي تتولاه المشروعات العامة . . رغم ذلك فان جديداً يطرأ على الساحة ، وتعكسه منظمات دولية لاتمت للاشتراكية بصلة .

آخر تقرير للبنك عن التنمية في العالم والصادر عام (١٩٨٣) يعطي الاهتمام الأول لدراسة ادارة التنمية ودور الدولة ومكان المشروع العام .

في التقرير رأي . . ورقم ، يحملان جانباً كبيراً من الأهمية . . .

أما الرأي فيقول : ان كافة البلدان الآن تأخذ بنوع من الاقتصاد المختلط . . قدر من حرية الأسواق . . وقدر من تدخل الدولة .

ان الأسواق الحرة حرية كاملة يمكن أن تفشل فشلاً كبيراً . . ثم . . يعدد التقرير مساويء نظام السوق وضرورة استخدام الوسائل البيروقراطية « رغم ما تحمله من مساويء أيضاً » .

وربما يكون الرأي نتيجة دراسة نظرية وتطبيقية ، لكنه قد يكون أيضاً نتيجة اعتراف بالواقع الذي تعكسه الأرقام . . .

وأبرز هذه الأرقام : كم تنفق الحكومة ؟ فالانفاق العام أحد المؤشرات التي تحدد حجم النشاط الحكومي في المجتمع ومقدار تغلغله . . و . . طبقاً للتقرير فان ما يسميه الاقتصاديون إنفاقاً عاماً والذي تعبر عنه الميزانيات قد تضاعف حجمه خلال هذا القرن عدة مرات ، وزادت أهميته النسبية ، حتى اقترب في كثير من الحالات من نصف الدخل القومي ، وفاق ذلك في بعض الدول الغربية مثل السويد .

وبتدقيق أكثر ، نجد أن هذا الانفاق الذي تقوم به الحكومات لم يوجه فقط للقيام بالوظائف التقليدية للدولة مثل الدفاع والأمن والخدمات . . لكنه وفي نفس الوقت كان توسعاً في الاستثمار ، وتوسعاً في المشروع العام .

وطبقاً للأرقام أيضاً ، فان مساهمة المشروعات المملوكة للحكومات في الدخل القومي في الدول الصناعية غير الاشتراكية ، وفي الدول النامية على السواء ، قد تزايدت حتى قد وصلت الى (٨٠٪) من إجمالي الاستثمارات الجديدة في بعض الحالات (حالة مصر) .

والأرقام هنا تثير قضية هامة هي اتساع دور الدولة ، وتراجع دور الأفراد والنشاط الخاص .

صحيح أن لذلك تراثاً ، فقبل الاشتراكية التي كرست فكرة القطاع العام ، كانت هناك مشروعات عامة . .

وصحيح أن البداية كانت بحثاً عن مورد من خلال احتكار تقيمه الدولة ، كما حدث في فرنسا عندما احتكرت صناعة الدخان ، وكما حدث في دول أوروبية أخرى عندما احتكرت صناعة الملح وصناعة الكحوليات ، وكان ذلك في القرن السادس عشر . . فلما جاء الربع الأخير من القرن العشرين كان الاحتكار قائماً ، وكان الشكل الحديث شركات للقطاع العام ، تملكها الحكومة

بقلم : محمود المراغي

الفرنسية ، وتدير صناعات الملح والخمور والبترول والسكر . . أو شركات للسكك الحديدية والبترول والصلب تملكها بريطانيا . . حتى ورق « الكوتشينة » خضع للاحتكار وامتلكه قطاع عام في اليونان .

كل ذلك صحيح - ومجرد أمثلة - لكن ما يلفت النظر - وفي الوقت الذي يزداد فيه اليمين نفوذاً في أوروبا الغربية ، وتنحسر نسبياً دعوات الاشتراكية من العالم الثالث ، بل وتتجه الدول الاشتراكية لفتح الباب للقطاع الخاص (كالمجر ويوغسلافيا وغيرها)... في هذا الوقت تسجل الأرقام تزايد دور الدولة ودور القطاع العام .

وبالطبع فان مبررات قيام القطاع العام تختلف ، فبينما هو ضرورة تنموية وضرورة عدالة اجتماعية في الدول النامية وحديثة الاستقلال . فهو كذلك صمام الأمن عند دول الاقتصاد الحر . . في السلم يوفر المورد ، وفي الحروب والأزمات الاقتصادية ينتشل من المأزق ، وفي الحالين يوازن الأسواق ، ويقوم بغير المرغوب وغير المربح للقطاع الخاص .

وقبل ذلك وبعده فهو كثيراً ما يكون أداة السيطرة على صناعات استراتيجية ذات أهمية في الأمن القومي .

تتعدد الأسباب اذن . . والملكية العامة واحدة والمشروع العام . . والموظف العام . . والقطاع العام حقائق لم تعد خافية . ووفق إحصاء قدمته مجلة الايكونومست البريطانية في ٣٠ ديسمبر ١٩٧٨ يتضح حجم الظاهرة ، فمن بين أكبر خمسين شركة في أوروبا الغربية كان هناك عام ١٩٧٧ عشر شركات مملوكة للحكومات ، وتسع شركات مملوكة لها جزئياً ، وكان هناك على سبيل المثال مؤسسة ايري الايطالية ، التي تمثل أكبر شركة صناعية في أوروبا ، ويعمل بها (٥٢٥) ألف مشتغل (١٩٧٧)،وتمتلك - كشركة قابضة - مشروعات تمتد من الاذاعة والطيران والبنوك ، الى المواصلات السلكية واللاسلكية ، والسفن ، والفنادق ، والسياحة ، وصناعات وأنشطة أخرى .

في الوطن العربي تزداد الظاهرة وضوحاً ، ففي العراق على سبيل المثال بلغ نصيب القطاع العام (٦٨٪) من الدخل القومي في أواخر السبعينيات ، في نفس الوقت زادت هذه النسبة في دول النفط ذات النظام الرأسمالي ، حيث تسيطر الدولة بالضرورة على نشاط البترول ، أي أن الوطن العربي بجناحيه وبنظمه الاقتصادية والاجتماعية المختلفة قد تزايدت فيه الأهمية النسبية للقطاع العام .

نحن اذن أمام ظاهرة تنمو . . . ولا يحد منها وصول أحزاب يمينية للحكم في الغرب . . كما لا يحد منها ارتداد عن الاقتصاد الموجه في العالم الثالث .

والظاهرة معناها : اتساع نفوذ الموظفين والمنظمات البيروقراطية .

انه عصر الموظف العام الذي احتل معظم النشاط في دول نامية كثيرة ، كما احتل ثلث حجم العمالة في دول غربية كالنمسا . . بل اقتربت نسبته من خمس العمالة التي تعمل في الولايات المتحدة الأميركية .... زعيمة الاقتصاد الحر .

ومن هنا كانت المقولة صحيحة : الاقتصاد الحر . . . لن يستمر حراً حرية واسعة ، والمشروع العام لن يستمر سمة مميزة للشرق الاشتراكي وحده ، والموظف العام لن يكون فقط . . للخدمة والحراسة .

ان كل شيء يتغير .

بدأ ذلك منذ فترة .

وهو الآن يتأكد ، وينال شهادة دولية من أكثر المدافعين عن الاقتصاد الحر والمشروع الخاص . □□

قضية إسلامية مطروحة

مفتي المسلمين .. لا ينبغي أن يكون موظفا

الدكتور أحمد عبدالرحمن عيسى

□ « هذه قضية عامة أعني بها جميع المسلمين في كل دولة وحكومة ، وما تناولت عرضها من زاوية محلية ، الا تقريبا للموضوع فقط من الناحية التطبيقية » .

حينما عرض منصب (المفتي) على الشيخ محمد عبده قال : هذه وظيفة بلا عمل . وذلك لأن منصب (المفتي) كان وظيفة يتولاها شيخ الازهر الى جانب المشيخة ، فيكون شيخا ومفتيا في آن واحد . وكان آخر من تولى المشيخة والافتاء في منصب واحد من أئمة المسلمين هو الشيخ حسونة النواوي ، واستمر حتى فصل منها معا بأمر الخديوي عباس حلمي ، فكانت الفرصة سانحة لفصل الافتاء عن مشيخة الازهر .

اختار الخديوي عباس حلمي لمنصب الافتاء الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، واختار لمشيخة الازهر فضيلة الشيخ عبدالرحمن القطب وبذلك استقل كل من المنصبين عن الآخر .

اشتهر الشيخ محمد عبده بلقب (مفتي الديار المصرية) لأنه حول هذا المنصب الخطير من مفتي الحكومة الى مفتي الاسلام والمسلمين ، بدءا من وقفته المشهورة ضد مصالح الخديوي ورغباته كما سنوضحه بعد في قضية أرض الجيزة وأرض مشتهر الزراعية .

كان الخديوي عباس حلمي يدرك تماما من هو الشيخ محمد عبده ، فلما اتجهت رغبة هذا الخديوي الى اختياره لمنصب الافتاء توجس في نفسه بأن الشيخ محمد عبده سيرفض هذا المنصب بدون أن يكون شيخا للازهر ومفتيا معا كما هو المتبع قبل ذلك . ولكن الخديوي لا يرغب في أن يكون الشيخ محمد عبده شيخا للازهر ولا اماما أكبر . فماذا يصنع لكي يحقق رغبته في فصل الافتاء عن المشيخة ، ولكي يقصره على الافتاء ويحرمه من المشيخة لأسباب سياسية .

احتال الخديوي لذلك بأن استدعى مصطفى باشا فهمي رئيس النظار (الوزراء) وحسن باشا عاصم رئيس الديوان الخديوي لصداقتهما الوطيدة بالشيخ محمد عبده . وطلب منهما أن يتلطفا مع الشيخ حتى يقنعاه بقبول منصب الافتاء بدون المشيخة ، وأن يؤكدا له أن الخديوي حريص على هذا الاتجاه كل الحرص ويسعده كل السعادة أن يقبل هذا المنصب . ثم قال لرئيس ديوانه حسن باشا عاصم : أخبر صديقك الشيخ بأنه اذا لم يقبل هذا المنصب فانه سيوقعني في صعوبات سياسية حادة ، وأنا أعترف أن هذا المنصب قليل على الشيخ محمد عبده ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها . واستطاع الصديقان التأثير في الشيخ ونجحا في وساطتهما الخديوية لديه حتى قبل . فصدر الأمر العالي من الخديوي بناء على قرار مجلس النظار (الوزراء) بتعيين الشيخ محمد عبده مفتيا للديار المصرية . وكان ذلك في ٣ يونيه سنة ١٨٩٩ وقد وجم لذلك كثيرون من عارفي الامام ، وقال بعضهم : ان الخديوي وضعه في قفص من ذهب . ولكن الشيخ سار بالافتاء على غير ما توقع الخديوي وحكومته ، فأثبت أن جناحيه لا تقوى على طيهما جدران أي قفص ولو كان من فولاذ . وتوالت المواقف والاحداث في مجالات فتاوى الاستاذ الامام . ومنها ما كان من فتواه ضد مصالح الخديوي نفسه .

***

أصبح الشيخ محمد عبده عضوا في مجلس الاوقاف الأعلى بحكم منصبه في الافتاء كما هو متبع . وهنا تقع واقعته مع الخديوي ، في حين أن حسن باشا عاصم صديق الشيخ كان المندوب في هذا المجلس . ولكن الشيخ محمد عبده أفتى فتواه لذات الدين لا لذات الخديوي ورئيس ديوانه . فما قصة هذه الفتوى ؟

قصتها أنه كان للخديوي مزرعة واسعة في أرض (مشتهر) خارج القاهرة تجود بمحصول زراعي وفير ، وفي الوقت نفسه كانت أراضي الاوقاف في (الجيزة) أغلى وأثمن لأنها كانت معدة للبناء واقامة القصور ، فأصبح محصولها الزراعي أقل من محصول مشتهر . تطلعت رغبة الخديوي الى امتلاك أراضي الجيزة في مقابل التنازل عن أرض مشتهر الزراعية للأوقاف ، وأن تدفع الاوقاف أيضا ثلاثين ألف جنيه للخاصة الخديوية مع أرض الجيزة ، لأن أرض مشتهر الخديوية تجود بمحصول زراعي أوفر من أرض الاوقاف بالجيزة . وقد استغل أشياع الخديوي هذه المغالطة الظاهرة بين أرض معدة للبناء وتقدر بالمتر ، وأرض زراعية تقدر بالفدان . عرض الموضوع على مجلس الاوقاف الأعلى ، فأفتى الشيخ محمد عبده بأن المقايضة بهذه الصورة باطلة شرعا وفيها ضرر جسيم بأوقاف المسلمين وخيراتهم . وقال الشيخ فيما

قال : ان الأمر في مثل هذه المقايضة أن تقدر قيمة الارض بالثمن الجاري لا بالغلة الزراعية لاختلاف طبيعة الارض في الجيزة عنها في مشتهر ، ثم ان الفصل في مثل هذا الموقف ليس من اختصاص المجلس الأعلى للاوقاف ، وانما هو من اختصاص لجنة تخصصية من المهندسين وذوي الخبرة في شئون الزراعة وفي أراضي البناء . وتألفت اللجنة نزولا على رأي الشيخ محمد عبده وفتواه وموافقة مندوب الخديوي في المجلس وهو حسن باشا عاصم .

وجاء رأي اللجنة مفاجأة للخديوي وأشياعه ، اذ قررت اللجنة أن أرض الجيزة أغلى من أرض مشتهر ، بمقدار عشرين ألف جنيه . وقال الشيخ محمد عبده اذا كان الخديوي راغبا في المقايضة مع هذا ، فعلى الخاصة الخديوية أن تدفع لا أن تأخذ ، والا فأرض المسلمين تكون لهم . فثارت ثائرة الخديوي وأقسم على الانتقام من الشيخ محمد عبده . وقد كان .

بهذه الفتوى كان الشيخ محمد عبده أول من كسر قيد الوظيفة الحكومية في الافتاء ، اذ كان منصب المفتي تابعا لنظارة الحقانية كما هو تابع لوزارة العدل الآن .

ولما تولى الشيخ المراغي مشيخة الازهر ـ وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده وامتداد لفكر جمال الدين الافغاني ـ رأى أن يتحلل بطريقة لبقة من افتاء المسلمين عن طريق مفتي الحكومة ، فأصدر قرارا أزهريا بتشكيل لجنة خاصة تسمى (لجنة الفتوى بالأزهر) وكان ذلك في سنة ١٩٣٥ وأن يختار أعضاؤها من (جماعة كبار العلماء) وتتمثل فيهم المذاهب الاربعة المشهورة وهي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ، لا أن تكون الفتوى مقصورة على المذهب الحنفي وهو مذهب مفتي الحكومة الرسمي . وقد سبق أن نادى الشيخ محمد عبده بهذا الرأي مع أنه كان حنفي المذهب . وقد أثبتت لجنة الفتوى بالازهر جدارتها بما يليق بمكانتها العلمية بين المسلمين قاطبة . ولما أنشىء في الازهر (مجمع البحوث الاسلامية) ليحل محل جماعة كبار العلماء ، أصبح أعضاء هذه اللجنة العشرة يختارون من بين أعضاء مجمع البحوث الاسلامية ويمثلون المذاهب الاربعة ، وذلك بقرار خاص من شيخ الازهر ، على أن يراعى في اختيار هؤلاء الاعضاء أن يكونوا من أساتذة الكليات الازهرية المحالين الى المعاش وأن يكونوا غير خاضعين للتولية أو العزل ، وأن يكون اختيارهم على أساس المكانة العلمية التي تؤهل صاحبها لأن يتصدر للافتاء وتتوافر فيه صفات المفتي وشروطه وهي الدراية الكاملة بالدين الاسلامي واللغة العربية والاجتماع وفهم روح العصر حتى يكون من أهل الرأي والنظر .

بهذا التقليد الذي وضعه الشيخ المراغي ، أصبح في الازهر لجنة للفتوى العامة ، والى جانبها دار الافتاء المصرية الرسمية التي تكون غالبية فتاواها في التصديق على بعض أحكام المحاكم ، كالحكم بالاعدام مثلا ، أو في اصدار البيانات الرسمية عن ثبوت الهلال أو وقفة عرفات وأول أيام العيدين . وقيام لجنة الفتوى بالازهر الى جانب دار الافتاء الرسمية ، لا يعد ازدواجية على أي حال ، فميدان الفتوى متسع للجميع ، ولكن « شتان ما بين اليزيدين في الندى » كما يقولون . ولا يغض من هذا ما قد يحدث من التضارب بين الهيئتين ، كما حدث في

ثبوت هلال رمضان في العام الماضي ، فقد أصدر مفتي الحكومة بيانا بعد منتصف الليل بأن الناس في رمضان وكان يوم السبت ، بناء على اخطار السعودية ، وأصدرت لجنة الفتوى بالازهر بيانا بالرد على المفتي بأن يوم الأحد - لا يوم السبت - هو أول أيام شهر رمضان شرعيا . وأصدر مدير جامعة الازهر السابق بيانا مطابقا لبيان لجنة الفتوى بالازهر . ولكن الناس صاموا يوم السبت رسميا ، ومن لم يصله النبأ صام يوم الأحد شرعيا . ولله في خلقه شئون .

ويبدو أن وظيفة المفتي الرسمي للدولة ، تقليد عثماني استكمالا للشكل الديني لدى الخلافة العثمانية ، وأصبح هذا التقليد ساريا في مصر .

***

وبعد فان خطورة الفتوى في شئون المسلمين ، تقتضي أن يكون المتصدرون للفتوى أحرارا من كل قيد أو سلطان ، غير خاضعين لضغط الوظيفة الحكومية في أي بلد اسلامي على الاطلاق ، وغير قابلين للعزل أو التولية كما حدث للشيخ محمد عبده بخصوص فتوى أرض الجيزة وأرض مشتهر .

ان الانحرافات الدينية الخطرة التي ظهرت على السطح الآن ، مثل جماعة التكفير والهجرة ، وجماعة تنظيم الجهاد وغيرها من الرافضين ، انما ترجع الى افتقاد الاسوة الحسنة والقدوة المثلى من افتاء المسلمين وتبصيرهم بأمور دنياهم الناجزة ، وقضاياهم المعاصرة ، التي تحتاج بالحاح الى رأي صريح واضح لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يخضع لسلطان غير سلطان الله النابع من الكتاب والسنة وما صح من أقوال الصحابة وأفعالهم ، فهذا الدين سمح واسع الرحبات في نزعتيه كلتيهما : النزعة الانسانية والنزعة التعميرية . وهل كان الائمة الاربعة موظفين مثلا ؟ . لقد قال بعض الناس للأمام أبي حنيفة : لقد توسعت في الرأي وقلت ما لم يقل به الامامان أبوبكر وعمر ولا قاله أستاذك الشعبي . فرد الامام أبوحنيفة باعتداد وقال : نحن رجال وهم رجال . أي لا حجر في الرأي مادام صادرا عن أهلية كاملة وتمكن خاص . وكذلك الامام الشافعي كان له مذهب قبل أن يفد الى مصر ، فلما قدمها ورأى فيها مجتمعا جديدا وحضارة اجتماعية وفكرية ، عمد الى تعديل كثير من آرائه وفتاواه فأصبح له مذهبان في الفقه : قديم وجديد . وليس لقائل أن يقول : وأين نحن من الامام أبي حنيفة أو الامام الشافعي ؟ . نعم أين نحن منهم في جلالة قدرهم ، ولكن حتى لا نصاب بالأحباط يجب ألا ننسى أن لكل عصر رجاله ، وأن جواهر النبوغ لا يخلو منها جيل أو عصر ، وأن الدين يسر ، وأن الرسول صلوات الله عليه قال : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتي » او كما قال . وهاهو ذات التراث الاسلامي الضخم من علوم القرآن وعلوم الحديث وأحكام الفقه وأفعال الصحابة الراشدين وأقوالهم كل هذا متاح لذوي الخبرة في هذا العصر الحافل بالتناقضات . فلماذا لا تقوم جماعة حرة للفتوى في كل بلد اسلامي من هؤلاء العارفين ، تتناول هذه الجماعة قضايا العصر ومشكلاته بالنظرة الواعية البصيرة دون سلطان عليهم غير سلطان الله جل جلاله ، وتكون هذه الجماعات على اتصال ومكاشفة وتبادل الخبرات

والجهود لمصلحة المسلمين في ملك الله .

***

من الثابت المقرر أن الدين الاسلامي له أحكام قطعية ، وأحكام غير ثابتة بنص قطعي ولا اجماع من أئمة المسلمين . فالأحكام القطعية ثابتة في كتاب الله ومفصلة موضحة بالسنة النبوية الشريفة ، وهذه لا مجال فيها للفتوى أو الاجتهاد ، وانما مجال العلماء فيها هو التفهم والتذكير وحسن العرض والبيان . أما الاحكام التي لم تثبت بنص قطعي ولا اجماع ، وبخاصة الكثير من أحكام المعاملات ، فهي موضع الاجتهاد والفقه والاستنباط والقياس في اطار الكتاب والسنة وفهم روح العصر .

حينما أوفد النبي ـ صلوات الله عليه ـ معاذبن جبل قاضيا لليمن وواليا عليه قال له : ماذا تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال معاذ : أرجع الى كتاب الله . قال له : فان لم تجد . قال : أرجع الى سنة رسول الله . قال له : فان لم تجد . قال معاذ : أجتهد برأيي لا آلو (أي لا أقصر في الاجتهاد ولا أقعد عنه حتى أفصل فيما عرض لي من شئون المسلمين) فربت الرسول على كتفه وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله .

وقال الامام الغزالي : طلبنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون الا لله .

ومن الثابت المقرر أيضا أن الدين في مصلحة الحياة ، وأن الحياة نهر متجدد الجريان ، وقد ألحت المشكلات الاقتصادية المعاصرة على المجتمعات الاسلامية وهي لا تستطيع أبدا أن تتقوقع على نفسها وأن تدير ظهرها للحركة الكونية في العالم كله ، لا يستطيع المسلمون أن ينفصلوا في معاملاتهم عن الاقتصاد العالمي وأسواق التجارة ومجالاتها ومجالات الصناعة .

فهل يتخبطون في هذه الأودية على غير هدى من دينهم المتفتح الذي دارت أفلاكه وتدور في جميع الآفاق .

هل يجوز لنا أن نقول ان الصحوة الاسلامية المعاصرة ، قد فاقت اهتمامات أهل الفكر الاسلامي وأرباب النظر فيه ، وأن الكشوف العلمية بيولوجية كانت أو سيكلوجية أو كونية ، قد بهرتهم فوقفوا موقف المشدوه المتفرج ما بين منكر ومنبهر ومتعجب ومهلل : فأين الفتاوى الاسلامية الرشيدة في هذا كله ؟ . أين علماء المسلمين من فقه سلوكيات الحاكم والمحكوم وتركيبة الهيكل الاجتماعي في كل بيئة اسلامية ؟ وكيف تساس المجتمعات الجديدة بسياسة تهبط من أعلى فيذعن لها الجميع حيث يتساوون جميعا في العموميات ويعترفون بالحق الالهي لذوي الخصوصيات منهم على قدر نصيبه من الفضل في سلم الدرجات ؟

***

ان مجال القول ذو سعة في قضية افتاء المسلمين في أمور دينهم لدنياهم . ونختصر الحديث فنقول : ان الضرورة القصوى تحتم قيام هيئة علمية حرة للفتوى والاجتهاد الجماعي تكون منبثقة من ذات الدين لا من ذات الحكومة أي حكومة . واذا كان لابد لأي حكومة من وظيفة المفتي لها ، فليكن لقبه مثلا (المستشار الديني) لا المفتي ، فان لقب المفتي لقب خطير وأمر جليل ، ولا نقصد بهذا حكومة بعينها ولا مفتيا بعينه قد حظي في يوم من الأيام بهذا اللقب ، فالأمر خالص لله ولذات الدين ، والقضية كلها

تدور حول المبدأ والوسيلة من حيث هما مبدأ ووسيلة .

فالمبدأ أن الفتوى لا تكون وظيفة حكومية روتينية ، بل هي رسالة دينية دنيوية تحقق العافية في الدين والدنيا ، وهما في نهاية المطاف شيء واحد . هذا هو منطق الأشياء .

والوسيلة هي أن تكون الفتوى جماعية ، لا يناط بها فرد يكون هو المتحدث الرسمي ، بل تناط بها هيئة راشدة من علماء المسلمين الذين يمثلون جميع المذاهب وتتحقق فيهم أهلية العمل الاسلامي . وهم موجودون قائمون بيننا ويعيشون حياتنا في الدول الاسلامية الآهلة بغالبية سواد المسلمين ، وربما لا تخلو من بعضهم أقليات كامنة في سواد غير المسلمين من الأمم الأخرى .

نعم ، هم موجودون ويتحقق فيهم المبدأ ، ولكن تنقصهم الوسيلة . فهل من مجيب ؟

قبل أن تموت العاميّة

بقلم : د . أحمد خطاب العمر

هل هي دعوة الى الابتعاد عن لغتنا العربية الفصحى ؟ كاتب المقال يقول : لا ! إذن ماذا يعني بدعوته الى الابقاء على العامية ؟

لست ممن يدعو الى الكتابة بالعامية ، أو الى التحدث بها ، اذ لاأريد أن اكون من دعاة قطع أواصر الامة بتراثها ، ولا أواصر بعضهم ببعض ، ويفرحني ان اتحدث بالفصحى وان اكتب بها ، وان يتحدث الآخرون ويكتبوا بها ، تلك آمالي وأماني منذ ان تعلمت قراءة القرآن على يد شيوخ صالحين رضي الله عنهم وارضاهم ، اذ زينوا لي حب العربية ، فكان القدر ان صرت معلما لها ، وصرت أتتبع ما يكتب عنها ، ومما قرأته ما كتب عن العامية ، فرأيت من كتب عنها صنفين : منهم المغالي في حبها والدعوة الى ان تأخذ طريقها في الكتابة ،

منتدى العرب

لأن التعبير بها عن الافكار أيسر ، وان الرجوع الى الفصحى أمر صعب ، يتطلب الوصول اليه اعباء وقدرات ، فأوحى هذا الصنف للناس صعوبات اتقان العربية ودراستها ، وصعوبات نحوها وتعبيرها ، وكثرة معاني الفاظها واشتقاقاتها ، ومنهم المغالي في كرهها والعداء لها والتوهين من شأنها ، بل التشنيع على من يريد أن يستفيد منها ، ولم يكن موقفي منها مع اولئك ولا مع هؤلاء ، اذ انني أومن بأن الفصحى سهلة يسيرة ، والتعبير بها سهل يسير .

ولكني لا أدعو الآن الى اماتة العامية ، والتخلص منها بسرعة ، لأن عاميتنا ليست كعامية غيرنا ، عاميتنا جاءت منحدرة من لهجات عربية مختلفة ، تفاعلت مفرداتها واساليبها فيما بينها فاختلطت ، وظلت سليمة ، فهي تعبر بجمل اسمية أو فعلية على طريقة الفصحى دون تعقيد ، وتقدم ماله الصدارة في الكلام وتؤخر ما حقه التأخير ، أما معظم تأذ ها فكان بالالفاظ المفردة اذ استعارت من غيرها ، الفاظا مع الفاظ لهجات عربية اخرى ، والالفاظ كثيرا ما تموت ويحيا غيرها تبعا لتغير الزمن ، فنستطيع ان نقول : ان عاميتنا امتداد لفصحى لغتنا ، حافظت على اساليب التعبير وفصاحة كلامها ، فهي عربية لوجه آخر ، فلماذا الخوف منها ، واخافة الآخرين ؟ بحيث اصبح علاجها شغلنا الشاغل ، وعائقا كبيرا في سبيل تقدمنا ، ومواصلة مسيرتنا في الحياة فنكثر من الجدال في سبيل التخلص منها ، وكأن ليس لأمة في العالم كله غيرنا لغتان : لغة العامة ، ولغة الخاصة ، وهم يقطعون المسافات الواسعة في التقدم ، فلماذا ينكرون علينا ، ان لنا لغة يتكلم بها العامة ، ولنا لغة يكتب بها الخاصة ويتفاهمون ؟ والزمن كفيل بتغييرها ؟

اذن فلنفتش عن الفصيح من اساليب عاميتنا ومن الفاظها ونسجله ونسجل الظواهر اللغوية التي تتصف بها ، قبل ان تموت وتنسى ثم نعود نفتش عن قواعده لنتقن طريقته ، فهو صلة بينها وبين فصحاها عند تحدرها عنه ، ففي استعمالاتها لغات وظواهر لغوية وقواعد ، ففي لهجة بغداد ولهجات غيرها مثلا يكسرون ياء المضارعة ، فيقولون : يمشي ويلعب ويسمع ، وفي تكريت والموصل ينطقونها بالفتح ، فالأولى لغة تميم ، والأخرى اللغة المجمع عليها ، فتلك احتفظت بلغة قوم ، وهذه اتبعت لغة الجمهور فهي ظاهرة لغوية معروفة وجدناها في عاميتنا .

ويقول الناس في الموصل وتكريت (غاح وغاس) في (راح وراس) وهذا من غريب القول ، ولكن السيوطي في مزهره يورد كلمات جاءت بالراء والغين منها :

غانت نفسه ورانت ، تغين وترين اذا غشت ، والرمص في العين والغمص .

وغاية الخمار ورايته ، وكان بعض اهل اللغة يقول : كل راية : غاية ، والغاية : الراية .

والغادة : المرأة الناعمة اللينة والرادة ، ورجل راد وغاد ، والرمازة : الجارية الغمازة .[1]

فقد احتفظت هاتان اللهجتان بظاهرة لغوية لا تعرف في غيرها ولا هي من مشهور القول

ويقولون ايضا : (النيس) في (الناس فيميلون الألف الى الياء ، وهذا من غريب القول ايضا ، ولو رجعنا الى كتب القراءات لوجدنا بعض القراء يقرأ (قل اعوذ برب

النيس » فهذه لغة لا تحتفظ بها غير لهجتي تكريت والموصل .

ويقولون في الموصل : اعطى على الفصيح ، ويقولون في بغداد : انطي ، بابدال العين نونا وهذه ظاهرة لغوية معروفة احتفظت بها لهجة بغداد .

ويقرأ بعض القراء في القرآن : « ذامتربة ومسغبة » مترب ومسغب (بحذف الهاء وكسر الحرف قبله) ونجدهم في الموصل يقولون : (ست) في (ستة) ، فهذا توافق عجيب ، نجده في عامية منطقة من مناطق العراق .

وفي العاميات ظواهر لغوية لا يستطيع الدارس ان يحسن نطقها او ان يجيدها ، لأنه لا يجد في كتب اللغة والمعجمات والقراءات الا وصفها : ونجدها في العامية تحدرت موروثة عن السابقين الى ان وصلت الينا . مضبوطة النطق ، فصيحة او قريبة من الفصيح كالروم والاشمام والامالة وادغام الحروف ببعضها وتسهيل الهمزة او تحقيقها ، وابدال الحروف بعضها من بعض ، واسقاط بعض حروف الكلمة ودمجها مع كلمات غيرها ، ثم انه قد يكون لكلمة معنى غير مألوف في لهجة ما ، لو رجعنا به الى المعجم العربي لوجدناه هناك ، او لوجدنا له صلة باستعماله فيها ، لذا نقول مطمئنين : ان لهجاتنا ليست كلهجات العالم غيرنا ، فمن هنا ندعو الى ان تسجل عامية كل قطر ويحتفظ بها في مكتبات صوتية ، فالزمن آت لأن نحتاجها ونرجع اليها للتيسير في فهم كثير من تلك الظواهر التي قطع الزمن الطويل بيننا وبين عصر الفصاحة ، فتحرف او تصحف ، فلم نعد نتقن نطقه كالأوائل ، فكم من متحدث اليوم يقول : عرف (بكسر الراء) قياسا على علم ، وكم من كاتب يخطيء في التمييز بين الضاد والظاء لأن موضع نطقهما في الفم لم يعد كما كان ينطقه المتقدمون ، فالضاد من الجانب الأيمن للفم مع امالة اللسان اليه ، والظاء بين الاسنان واللسان ، نسجلها اذا لنفيد منها عندما نصعد بها الى الفصحى ، ونستفيد من الطرق التي تحدرت بها الى مكانتها .

إذن فلنسجل العامية ، فانها ستموت حتما ، لأن لغتنا اليوم (أقصد اللهجات) ليست على ما هي عليه قبل عشر سنوات او عشرين سنة وسوف تكون غيرها بعد عشر سنوات او عشرين سنة ، فآلاف الالفاظ قد ماتت ، ولم يعد احد من الناس يستعملها ، فكم من شيخ اليوم لا يفهم ما يتحدث به طفل في مراحله الأولى من الدراسة ، اذن ستكون لنا لغة اخرى يتفاهم بها المثقفون ، والمتعلمون سيزيلون تلك اللهجات ، فلنسجلها قبل ان تموت وينسى حتى الفصيح منها ، لتفيدنا في مسيرتنا عندما نرحل جميعا من العامية الى الفصحى . □□

---

(١) هذه الكلمات التي اوردها كاتب المقالة نقلا عن السيوطي ، وذكر انها تنطق بالراء كما تنطق بالغين كلمات قليلة لا تدل على لهجة عربية مطردة في قلب كل راء غينا ، وقد لاحظ علامة الموصل الشيخ الغلامي في كتابه عن الامثال الموصلية ان اهل الموصل ينطقون كل راء غينا ، واستثنى من ذلك كلمات تنطق بالراء كما في العربية الفصيحة ، وقد لاحظنا ان هذه الكمات التي تنطق بالراء كلمات قرآنية مثل : الارض ، رب ، الرحمن ، البحرين . ولما وجهنا نظره الى ذلك وافقنا على ملاحظتنا . (العربي) .

أُسْطورَة وَأسَاطير

بقلم : محمد خليفة التونسي

لكل كلمة عربية مشتقة جانبان : مادتها وصيغتها أو وزنها ، فمادتها تقوم على جذرها (وهو غالبا ثلاثي) وهذا الجذر يدل على المعنى العام الذي يجمع بين الجذر وبين سائر المشتقات منه ، فمثلا : الكلمات : كتب ، يكتب ، اكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، وسائر المشتقات التي تشاركها في مادتها تقوم على جذر واحد هو « ك . ت . ب » الدال على الحدث العام هنا وهو التقييد .

ولكن لكل كلمة من هذه الكلمات ومزيداتها ـ صيغتها أو وزنها ، الذي يدل على معناها الخاص الى جانب المعنى العام للجذر وكل مشتقاته ، وهو الحدث ، فمثلا كتب يدل على الكتابة في الزمن الماضي ، ويكتب يدل على الكتابة في المستقبل ، وكاتب لفاعل الكتابة ، ومكتوب لما وقعت عليه الكتابة [1] ، وهكذا يقال في كِتَاب وكَتَبة ، وكُتاتيب ، وكتيبة ، واستكتب . بل من هذا الجذر « ك . ت . ب » تشتق « الكتابة » وهي التي تسمى مصدرا ، وكذلك المصادر وأمثالها تؤخذ من جذورها .

(لغتنا الشاعرة)

وتتفق لغتنا وسائر شقيقاتها العروبية (السامية) في أنها اشتقاقية ، وفي أن جذورها غالبا ثلاثية (وان حاول بعضهم ارجاعها الى جذور ثنائية) ، ولكن لغتنا تمتاز من سائر شقيقاتها بأنها أكثر أوزانا ، وأن أوزانها أكثر اطرادا ، ولهذا يسهل علينا أن نأخذ من أي جذر (ثلاثي) أي صيغة أو أي وزن (ولو لم يسمع) وان لم تكن الكلمات في كل الصيغ سائغة على سواء .

ولخصيصة الوزن في معظم كلمات لغتنا ولخصائص أخرى فيها ، يصح أن تسمى لغتنا « اللغة الشاعرة » وهكذا سماها شيخنا عباس العقاد في كتاب بهذا العنوان ، لأن الوزن ـ الى جانب خصائص أخرى ـ من خصائص الشعر .

ومن أوزان لغتنا « أفعولة » وجمعها « أفاعيل » (أو « أفاعل » احيانا) ، ومن السهل أن نعمد الى أي جذر ثلاثي فنشتق منه كلمة على هذا الوزن ، سواء كان الجذر صحيح الآخر أو معتله ، فالجذور صحيحة الأواخر مثل (حدث ، سطر ، طرح) نصوغ منها « أفعولة » هكذا : (أحدوثة ، اسطورة ، اطروحة) ، ومعتل الآخر بالياء أو الواو (وهو الناقص) مثل : (ضحى ، لهو ، هوى) ، يصاغ منه على هذا الوزن ، فيقال : (أضحيّة ، وألهيّة ، وأهويّة) ، واذا كان حرف العلة واوا مثل (لهو) ، جاز أن نقول : (ألهُوّة وألهيّة) (بالواو أو الياء) وكذلك اذا كان حرف العلة مرة واوا ومرة ياء مثل ، (دعو ، دعي) نقول : أدْعُوّة ، وأدْعيّة [2] ،

(١) يسمى النحاة الصيغة الدالة على الفاعل : اسم الفاعل ، والدالة على المفعول : اسم المفعول ، مع انها وأمثالها صفات ، وقد يميزون بين الأسماء والصفات وهذا صواب ، أو يعتبرون الجميع اسماء وهذا خطأ ، وهما متشابهان في بعض الخصائص ، ولكنهما تختلفان في خصائص أخرى .

(٢) المزهر للسيوطي ١٢٦/٢

واذا كـان حرف العلة يـاء كانت الصيغـة باليـاء مثل : (أضحية ، وأهوية) .

واذا كانت الصيغة بالياء جاز أن تشدد الياء في المفرد والجمع ، مثل أضحيّة ، أضاحيّ ، وجاز أن نخفف الياء في المفرد والجمع ، مثل أضحيَة ، وأضاحٍ (منقوص)[3] ومثلها أمنيّة ، وأمانٍ بالتشـديد ، كما في الآية « ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتـاب » أو بالتخفيف كقـول المتنبي يناجي نفسه في أولى قصائده التي أنشدها أمام كافور في مصر

كـفـى بـك داء أن تـرى المـوت شـافـيـا
وحـسـب المـنـايـا أن يـكـن أمـانـيَـا

(دلالة وزن أفعولة)

واذا كان لكل مشتق وزنه الذي يدل عليه بخاصة ، فما دلالة وزن أفعولة ؟ .

(١) تدل احيانا على المرة من الحدث، مثل : أهزوجة ، أغرودة ، أغنية ، أمثولة .

(٢) أو تدل على أداة الحدث مثل : أرجوحة ، أنشوطة ، احبولة ، أنبوبة .

(٣)أو تـدل على مـاتدل عليـه صيغة مفعـول ، مثل : أضحوكة ، أضحية ، أطروحة .

(٤)أو تـدل عـلى الحـدث كـالمصـدر مثـل : أضلولة (الضلالة) ، أكرومة (الكرامة) ، أهوية (الهواء) ، أغوية (الغواية) .

(٥) وقد تدل على أكثر من معنى من المعاني السابقة ، اذ تدل غالبا على المرة من الحدث (بحكم تاء التأنيث فيها) ، وتـدل أيضا معـه على شيء آخر مما سبق مثـل : أدعية أغلوطة ، أهجية ، أمدوحة .

ما مفرد الكلمات من صيغة أفاعيل ؟

وكل الكلمات على صيغة أفاعيل تعد جموعا ، وليس من الضروري أن يكون مفردها على وزن أفعولة . بل يكون المفرد عـلى وزن أفعول ، مثـل أسلوب وأساليب وأخدود وأخاديد ، وقد يكون على وزن إفعال مثل إبهام وأباهيم ، اسناد وأسانيد ، أو يكون على وزن إفعيل مثل : إبريق وأباريق ، إسفين (وتد) وأسافين ، أو على وزن إفعالة مثـل : إضبـارة واضـابـير ، وإضمـامة واضاميم ، أو يكون على وزن فعيل ، مثل : حديث واحاديث ، ومديح وأماديح ، أو يكون جمـا ، مثل : أقـوام (جمع قـوم) وأقـاويم ، وأقـوال (جمع قـول) وأقاويل .

ولكن يغلب على وزن أفاعيل أن يكون جمعا لكلمات على وزن أفعولة .

وحيث وجد جمع على هذا الوزن جاز لنا أن نجعل مفرده أفعولة : سمع ذلك أو لم يسمع . عـلى أن يكون سائغا .

وهـذه كلمات عـلى وزن أفعولـة وجمعها أفـاعيـل ، وتفسير بعضها : أبطولة ، أثفية (الحجر من ثلاثة تحت القـدر للطبـخ وغيـره) ، أحجيـة (لـغـز) ، أحـدوثـة : (الحديث) أحفـورة (الحفـرة) ، احكيـة (حكاية) ، أدحية (مبيض النعام) ، أرجيـة (رجاء / تأخير) ، اسطورة ، اشغولة (مشغلة) ، اصبوحـة ، أضحوكة ، أضلولة ، أطروبـة ، أعتوبـة ، اعجوبـة ، اعطية ، اعلولة ، اعلومة (العلامة) ، أغـرودة ، أغنية ، أغوية (مهلكة) ، افعولة (اعجوبة) أفكوهة ، افنونة ، أقسـومة (التصيب) ، اكـلوبة ، اكـرومة ، الصوية ، ألقية (الشـدة أو الشيء المطروح) ألهية ، امدوحة ، امسية ، أمثولة ، انبوبة ، انبوشة ، انشودة ، اهزوجة ، اهوية (الهاوية)

ولسنا نريد هنا أن نستوعب كل ماورد أو يمكن أن يرد على أفعولة ، ويكفي هنا أن نشير الى حاجتنا الى الكلمات الخفيفة من هذا الوزن لاستعمالها في المصطلحات العلمية المتجددة الغامرة ، ومثلها مايسمى الفاظ الحضارة .

ومن المصطلحات التي أدخلت حديثا على لغتنا من هذا الوزن كلمة « أقصوصة » ترجمة لكلمة Short Story أي

---

(٣) كلمة « اناسيّ » القرآنية ـ جمع إنسي ـ قرئت بتشديد الياء وتخفيفها « أناسيّ كثيراً » .

• صفحة لغة •

القصة القصيرة ، ومن الكلمات التي يستحسن ادخالها « كلمة » « أرقودة » « أو أمهودة » ترجمة لما يسميه الغربيون أغاني المهد للأطفال Lullbies كي يناموا في اطمئنان ، وهذه الأغاني شائعة في كل الأمم وكل اللغات قديما وحديثا ، وليس لها في لغتنا كلمة خاصة ، فهل نستطيع أن نترجمها بكلمة « أمهودة » من « المهد » أو أرقودة من « رقد » .

كما يستحسن ادخال كلمة تدل على الأغاني التي يرقص الأمهات والآباء بها الأطفال ، وفي لغتنا منذ الجاهلية حتى اليوم كثير من هذه الأغاني وهناك بعض الكتب الخاصة بها ، وأقترح تسميتها « أرقوصة » وأراقيص .

ومعروف أن من علامات الصحة والجمال في المرأة أن تكون هيفاء (نحيلة الخصر) واضحة الصدر والردف ، لانها مخلوقة لاستضافة مخلوق آخر ، فاذا كانت واضحة الردف دل هذا على اتساع الحوض لراحة الجنين ، واذا كانت نحيلة الخصر دل هذا على أن المعدة لاتمتلىء ولاتضغط عليه ، واذا كانت واضحة الصدر دل هذا على راحة الطفل في الرضاعة .

وكان العربي قديما يستحب ذلك في المرأة ، وذوقه فطري سليم ، وفي ذلك يقول شاعرنا المخضرم كعب بن زهير في قصيدته المشهورة « بانت سعاد » وهي التي أنشدها أمام النبي عليه الصلاة السلام .

هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة
لايُشتكى قصر فيها ولا طول

ويقول شاعرنا الغَزِل عمر بن أبي ربيعة في احدى صواحبه

أبت الروادف والثُدِى لقمصها
مسّ البطون ، وان تمسّ ظهورا[٤]

والمرأة العربية البدوية - لأسباب بيئتها كانت أدنى الى النحافة ، فكانت بعضهن تربط خلفها ما يجعل مؤخرتها ضخمة ، وهذه تسمى « أضخومة » أو « اعظامة » وأولى من ذلك أن تسمى « أردوفة » أو أعجوزة ، اشتقاقا من اسم العضو « ردف أو عجيزة » كما أن بعضهن كانت مطمئنة الصدر - كمعظم الرجال - فتربط على صدرها ما يظهر لها ثديين أو نهدين ، فهل يجوز أن نسمى ذلك الرباط « أندية أو أنهودة » اشتقاقا من أحد هذين العضوين « ثدى » و « نهد » ، وهل يجوز أن نسمى ما يشد حول الخصر corsetأى المشد لاظهار نحافته أو رشاقته أو هيفه « أخصورة أو أهيوفة » .

وعندما كان اظهار المرأة على المسرح ممنوعا لتمثيل النساء في المسرحيات ، كان المخرجون يستعيضون عنهن الشبان ، فكان من أدوات التنكر وضع هذه الأدوات على الصدور والأرداف ليظهر الشبان بمظهر النساء . □□

(٤) أي أن ظهور ثدييها وردفيها يمنع التصاق قميصها ببطنها أو ظهرها .
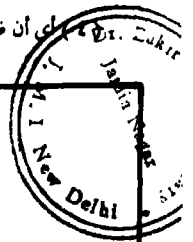
العين

* العين مفتاح شخصية الانسان ، ومفتاح أسراره ، ومجتمع قواه ومعانيه المختلفة . ففيها يتجلى الحب والبغض ، والعداوة والصداقة ، والرحمة والقسوة ، والذكاء والغباوة ، والقوة والضعف ، والحزن والسرور ، والصحة والمرض ، والأمر والنهي ، والهدوء والقلق ، وكل تلك المعاني يشتمل عليها الانسان .

جديد في العلم والطب

آلام الظهر والرقبة .. وعلاقتها بالوسادة

من المعروف أن آلام الظهر وآلام الرقبة الروماتزمية هى من أكثر الآلام حدة وشيوعا ... ولكنه من غير المعروف أن سبب هذه الآلام المبرحة قد لا يتعدى الوسادة التي ننام عليها ... فالمفروض في الوسادة أن تسند الرأس والرقبة كما في الرسم(١) ولكنها لا تسندهما في معظم الحالات ، كما يبين الرسم(٢) ..

يقول الدكتور هيو سمايث Smythe ، رئيس وحدة الأمراض الروماتزمية في مستشفى ولزلي في تورنتو بكندا .. يقول ان هذه الوسادة غير السائدة هى السبب في معظم حالات آلام الرقبة المنتشرة في بلاد الغرب بنسبة ٧٪ على أقل تقدير ... ذلك أن العمود الفقرى يتعرض لبعض التقوس ، بسبب الوسادة الرديئة ، فتتعرض بعض الفقرات للاحتكاك فيما بينها ، بتأثير ذلك التقوس .. ويترتب على هذا وذلك الألم المبرح ..

ومن طريف ما يذكر أن الدكتور سمايث أجرى دراسة وافية لوسائد الشعوب المختلفة .. وسائد أهل الصين والافريقيين وسواهم .. وذلك قبل أن يبتكر وسادته المثالية التي صممها وطورها وفق مقتضيات جسم الانسان وعموده الفقرى بالذات .. وقد صنع وسادته هذه من مادة بلاستيكية يابسة بقدر ما .

وبعد تجربتها على نطاق واسع سمح بصنعها وبيعها في الاسواق على نطاق واسع أيضاً .. وتتميز هذه الوسادة بأنها تسمح للمرء أن ينام على بطنه أو جنبه أو ظهره ... دون أن ينتقص ذلك من استغراقه في النوم أو من الراحة التي يتواخاها منه .

بدائل جديدة أحلى من السكر وآمن من السكارين

● يبدو أن سنة ١٩٨٤ ستكون سنة بدائل السكر والسكارين . فقد تم تطوير ستة من هذه البدائل .. وصدر الترخيص الرسمي باستعمال ثلاثة منها .. وما لبثت هذه أن نزلت الاسواق وراج بعضها على أوسع نطاق .

وهكذا دالت دولة السكارين .. فقد ظهر هذا البديل أول ما ظهر سنة ١٩٣٨ .. ثم ما لبث ان استأثر بالاسواق واحتكرها منذ سنة ١٩٦٩ / ٧٠ وذلك بعد أن حظرت السلطات المختصة استعمال السيكلامات ، بديل السكر الآخر .. الذي شاع ونافس السكارين حتى أواخر الستينيات .

ومضت سبع سنوات بعد ذلك واذا بالسكارين يتعرض أيضا لهزة عنيفة كادت أن تؤدي الى حظره .. بل ان دائرة الغذاء والدواء قررت بالفعل حظر السكارين .. ولكن الكونجرس الامريكي ما لبث أن تدخل وأبطل قرار الدائرة المذكورة وأباح استعمال السكارين ، بشرط التحذير من الافراط في استعماله . وهكذا بقي السكارين قيد الاستعمال وبقي على استئثاره بالاسواق واحتكاره لها .. حتى ظهرت البدائل الجديدة في الشهور الاخيرة .

ونحصر حديثنا هنا بواحد من هذه البدائل .. الاسبارتم Aspartem فهو أشهرها ولعله أهمها .. عملت على تطويره شركة سيرلي Searle الامريكية المعروفة .. وذلك منذ سنة ١٩٦٥ ، حتى اذا فاز بالترخيص الذي لا غنى عنه للتسويق ، راحت الشركة تدعو الى ترويج « الاسبارتم » ، وتتجه على أوسع نطاق ممكن . أما مبيعاتها من البديل الجديد (ويعرف باسمين تجاريين أحدهما : أيكول Equal ، والآخر نوتراسويت Nutrasweet فقد بلغت حوالي ٧٥ مليون دولار سنة ١٩٨٢ ، وتقدر بحوالي ٢٥٠ مليون دولار سنة ١٩٨٣ ، وبنحو ٤٠٠ مليون دولار لسنة ١٩٨٤ . لا عجب اذن أن انتشر « الاسبارتم » في ٢٢ دولة أخرى غير الولايات المتحدة الامريكية .

ويعجب المرء لهذا النجاح الذي أصابه « الاسبارتم » بالرغم من غلائه .. فهو أغلى من السكر بنحو ٢٠ مرة .. ولكنه أقوى تحلية منه بحوالي ٢٠ مرة أيضا .. فهو اذن بمثل ثمن السكر في حقيقة الامر ..

أضف الى ذلك ان « الاسبارتم » أغلى بكثير من السكارين . فثمن الرطل (الانجليزي) من هذا الاخير لا يزيد على ٤ دولارات بينما ثمن الرطل من « الاسبارتم » لا يقل عن ٨٤ دولارا .. ومعنى هذا أن « الاسبارتم » أغلى من السكارين بحوالي ٢١ مرة . ولو ذكرنا ان « السكارين » يفوق « الاسبارتم » من حيث قوة التحلية بحوالي ٥٠٪ .. لتبين لنا مدى غلاء البديل الجديد بالمقارنة مع البديل القديم .

ما السر اذن في هذا الرواج الكبير الذي أحرزه الاسبارتم .. بالرغم من حداثة عهده وغلاء ثمنه ؟ .. السر هو في أن البديل الجديد بروتين .. أي مادة غذائية كالسكر الطبيعي تماما .. وتوجد خاماته (الاحماض الامينية) في كثير من الاطعمة التي نأكلها كل يوم .. كبيض الدجاج مثلا . فهو اذن خير من السكارين (المادة الكيماوية المستخرجة من البترول التي لابد ان تكون ذات اعراض جانبية ، قلّت أم كثرت ..) ثم ان الاسبارتم خير من السكر الطبيعي .. فهذا يحتوي على السعرات الحرارية بنسبة عالية بينما « الاسبارتم » لا يحتوي على شيء يذكر منها ..

بقي أن نذكر ميزة أخرى للاسبارتم .. فحلاوته تبدأ حلوة وتنتهي حلوة .. كالسكر الطبيعي تماما .. بخلاف السكارين الذي غالبا ما تنتهي حلاوته ببعض المرارة .

الخمرة ... تصيب العظام بالوهن والمرض

ما زال العلماء في الغرب يكتشفون المزيد من الأضرار التي تلحقها الخمرة بشاربيها ... وكان آخر ما اكتشفوه من هذه الأضرار التلف الذي تحدثه الخمرة في العظام ..

أما المكتشفون ففريق من علماء جامعة (لوما لندا) في كاليفورنيا ، أجرى تجاربه المخبرية على كتاكيت الدجاج وأجنته ... وتجدر الاشارة الى أن الجرعة التي أعطيت لها لم تكن مبالغا بها ... بل كانت بنسبة ما

يتجمع في دم الرجل من كحول فيما لو شرب ٤ ـ ٥ كؤوس ..

ويعلق جون فارلى Farely أحد علماء الفريق والاخصائي في الكيمياء الحيوية على ذلك بقوله : ان العظام في الدجاج والانسان وغيرهما من الفقاريات .. تمر في عمليتين مختلفتين في آن معا ... عملية البناء وعملية الفناء ... فبينما تمضي بعض خلايا العظام في بناء عظم جديد ... تمضي خلاياها الأخرى في الوهن والفناء ... وان احتفظت العظام بحجمها وشكلها فما ذلك الا نتيجة هذا السجال بين العمليتين ... وقد ثبت بالتجربة العلمية العملية أن كأسا واحدة من الخمر كفيلة بالاخلال بهذا التوازن ... وبحجم العظام تبعا لذلك .

ويشير العلماء الباحثون الى احتمال وجود عوامل أخرى تتعاون مع الكحول لأحداث تلف العظام المذكور ... كألوان الطعام التي يأكلها شارب الخمر ، وآفات الكبد التي قد يعاني منها ... الا أن ذلك لم يثبت حتى الآن ... ولن يبطل أثر الخمرة في تلف العظام على كل حال .

بقي أن نذكر أن للخمرة أثرا سيئا آخر ... فهي تبطل مفعول العقاقير التي يصفها الأطباء بقصد تقوية العظام أو معالجتها ..

والصور اللطيفة الخمس المرافقة تروى قصة تكون العظام من أولها . فالعظام تتكون من نواة غضروفية (١) ثم تحل محل هذه النواة مادة متكلسة Calcified .. وتحل في أوسط العظمة أولا (٢) ثم تظهر تلك المادة المتصلبة في طرفي العظمة (٣) ويظهر بعد ذلك النخاع (٤) ثم تكبر (٥) ولا تنفك العظمة التي استكملت نموها أن تتعرض للعمليتين السابقتي الذكر ، عملية البناء وعملية الفناء . ولكن الكحول هي التي تفسد عليها ما هي بحاجة إليه من توازن بين العمليتين فتتعرض للتلف ...

الرحيل الأبدي

اكلما سفائني رست
على شواطىء الوجود
تضاءلت روحي تحولت
بحرا من الجمود
وهومت ... فوق ارتعاش الخوف والتسهيد
حرفا خفي الوقع يخفي في سدول الصمت اصداء الرعود

....

اريد ان تبقى سفائني
في لجة الترحال ابحارا بلا حدود
ترقى تلال الموج
تجتاز الجبال السود ...
تناى .. تواصل الترحال في بحر الزمان ..
وتبتغي .. ألا تعود
لرصيف ازمنة المخاوف ... والتخاذل ... والركود
تابى السفائن ان تعود
لطلول شطآن من الاسمنت قامت ... يا بحار ...
بيني وبين نقاء روحي كالجدار
واقام فيها الليل أستارا محنطة السدود .
ان الرسو على الرصيف نهايتي ... قبري ... ومنفاى البعيد
سجني الذى ترسو به الأيام في لجج اللحود

....

اريد ابحارا بشريان الأمد المسافر في فؤاد الكون
في الزمن الابيد
اترشف الاحلام من شفة الخلود
وانا على سطح السفين مسافر
في صحبة الأنداء أحتضن المنى ...
الِقاً على قمم الشروق
تنثه مقل الوجود ..

شعر : غنيمة زيد الحرب

الكويت

واظل احلم بالرجوع ...
وتبتغى ألا أعود
كيما يظل الحلم حلما ... والمنى ...
محض انتظار خالد ...
ـ بناى بعمر الوهم ... يمتص الوعود
اهوى المنى ... غرسا بروض الغيب ينتظر الجنى
ويقودنى نحو السفوح الخضر اشراق السنا
فاظل ابحر نحو فجر الحلم في الق الرحيل
افدى الامانيَّ التى احببتها وهماً لغابات السراب مسافرا
يقتات من امل الوصول ...
... وسوف يقتله الوصول .
اهوى المنى ... غيما على هدب الغيوب معلقا
انأى به كي لا تلامسه الرياح
فينحنى من قمة التحليق .... تشربه الرمال
تلوكه شفة الهطول
اخشى الوصول .... اخشى الوصول
كبرعم يابى التفتح ... غاية
ويرى التبرعم والنضوج ... مساربا نحو الضمور
تزهو باحداق الذبول
وكنجمة ... في الأفق سابحة تغور
لتفر في الزمن البديد
عن قبضة الاغماء في صمت الأفول
اخشى الوصول ... واود ابحارا بامواج المدى
والدرب آباد المسافات التى لا تنتهى
فمرافىء الدنيا توارت في بحور الليل
والتجديف في أمواهه السكرى ... ثملٌ يطول
اخشى الوصول ...
واود ابحارا باعماق الزمان
بسرمد التجوال في ابد الرحيل

أطفالنا أكبادنا

بقلم : الدكتور نبيل سليم

□ قبل أن تبحث فى تاريخ أمة .. عليك أن تبحث عن مكانة اطفالها ، من حيث الرعاية والاهتمام . فالاهتمام بالطفل ليس وليد العصر .. لقد بدأ منذ القدم .. وكان الفراعنة أول من اهتم به .. وكانوا أكثر فهما ودراية .. فاحتفلوا بالطفل ، ولكن على طريقتهم .. وأصبحت ساحة « ابو الهول » المسرح الرسمي للاحتفال بالطفولة . فكان خوفو وخفرع وغيرهما يتبركان لهم تحت أقدام الاله .. بالدعوات والصلوات ..

إذا كان عام الطفل بدأ وانتهى .. فلنر ماذا يجب ان نقدمه للطفل فى كل عام وكل شهر وكل يوم .. حتى يستطيع أن يحمل على كتفيه أعباء نفسه وأعباء وطنه .

ان الحديث عن الطفولة له زوايا متعددة ، لكننا سوف نتعرض لزاوية واحدة وهى : الطب والطفل . ان الاطفال يولدون وبكاؤهم يسبق ضحكاتهم .. وكأنهم يعلنون منذ البداية أنهم فى حاجة الى من يلاطفهم ويرعاهم ويفهمهم ، والى من يحبهم ويحيطهم بالعطف والحنان . فالأطفال لهم فلسفتهم .. ويجب ان نتفهم حقا نفسيتهم وحقيقة ضرورياتهم وامكانياتهم لكى نرعاهم بطريقة علمية وسليمة حتى نتلافى الأخطاء التى نقع فيها اثناء تربيتهم .. انها حقا مسألة حيوية ومهمة تتعلق بأغلى ما نملك فى الدنيا ، ولكى نصل الى تلك المعرفة العلمية والتجربة والممارسة علينا ان نبدأ بطب الاطفال .

ان أهم شىء فى فترة ما قبل ولادة الطفل - فترة الحمل - .. هو التغذية الجيدة للأم ... والراحة الفكرية وتجنب الصدمات النفسية والجسمانية .. ومراعاة عدم السمنة الزائدة .. وعليها مراعاة تجنب أمراض معينة مثل الحصبة الالمانية . اذ أنه لابد من عملية اجهاض عند الاصابة بها اثناء الثلاثة أشهر الأولى للحمل . لان تلك الحصبة تولد فى الطفل التشوهات .. مثل العمى او العتة .

كما يجب على كل زوجة ان تعرف الخطر الذى يهدد طفلها - وهو جنين - قبل ان يولد حيث انه من الممكن ان يتعرض قلب الطفل - مثلا - لعدة اخطار ، حينما تتعرض الأم ايضا لالتهاب الغدة النكفية أو قد تستعمل الأم أى دواء دون استشارة الطبيب .. كل هذه الحالات قد تنتهى بميلاد طفل قلبه به عيب .

وهكذا يصبح على الأم ان تحافظ على صحتها بعدم التعرض لعدوى هذه الامراض .. كذلك

عليها ايضا ألاتستعمل أى دواء الا بمعرفة الطبيب . . وبذلك لايتعرض قلب الجنين لأى اصابة .

قلوب الأطفال

هناك بعض الملاحظات التى تدعو الطبيب الى التأكد من سلامة قلب المولود . . فقد يتأخر الطفل الذى يشكو من لغط خلقى بالقلب عن التنفس أو البكاء لفترة بعد الولادة . . . وقد يكون منتفخا أو متورما مع وجود شيء من الزرقة وقد يكون كبده متضخما . . وهذه كلها علامات عن وجود تغيرات غير طبيعية بالقلب تستدعى الفحص . . والعلاج . .

أما فى فترة الرضاعة فقد تلاحظ الأم ان الوليد يشكو من ضيق التنفس مع سرعة دقات قلبه وتكرار حدوث نزلات البرد والنزلات الشعبية والالتهاب الرئوى . . هنا غالبا تكون الحالة عبارة عن عيب فى تكوين القلب يؤدى الى زيادة الدم الذاهب الى الرئة على المعدل الطبيعي . . وهكذا يحدث الاحتقان المستمر للرئة . . وهكذا تصبح الرضاعة صعبة مع ظهور العرق الشديد من مجرد الرضاعة . . وبالتالى يتأخر النمو العام للطفل الرضيع .

وفى فترة الطفولة فاننا قد نلاحظ زرقة شديدة فى شفتى الطفل واظافره . . مع انتفاخ فى اصابعه . . وقد يحدث ذلك منذ ولادته . . وكل هذه العلامات تعنى وجود عيب فى تكوين القلب . . كذلك قد تلاحظ الأم (خصوصا عندما تلد فى سن متأخرة نسبيا أو بعد الانقطاع لفترة طويلة عن الحمل) ان المولود مغولى الهيئة . . مثل هذا الطفل يحتاج الى فحوص دقيقة للتأكد من سلامة قلبه .

هذه الاختبارات قد تكون عن طريق كشف بالأشعة . . رسم القلب . . تسجيل أصوات القلب . . قياس نسبة الاكسجين فى

الأطـراف . . قسـطرة القلب . . ثم الأشعـة الملونة لحجرات القلب .

والحق يقال ان نسبة الخطورة من اجراء هذه الأبحـاث أصبحت الآن معدمـة في كل مـراكز الفحوص ، وهذه الخطورة ان وجدت لا تتعدى واحـدا من المائـة . . وهي النسبة المقـررة لهذه الابحاث في اى مركز عالمي بالخارج .

وعلى هذا الأساس يجب أن تسارع كـل أم بفحص قلب طفلها . . حتى تتأكد من سلامته وحتى يمكن علاجه في وقت مبكر . . خصوصا وان الكثـير من التشوهـات التى قد تحـدث في القلب قد أصبح له جراحات فعالـة وشافيـة ، واصبح للتشوهـات الكبيرة عمليـات جراحيـة تجرى للطفل في سن مبكرة حتى تصل به السن المناسبة لاجراء الجراحة الشافية .

ان علاج طفلك وهو صغير يعطيه اكبر فرصة للشفاء . . بينما يؤدي التكاسل وتأجيل العلاج الى الخطر على حياته في بعض الاحيان ، وعلى صحته في اغلب الاحوال .

● نوم الأطفال : يختلف عدد ساعات النوم عند الأطفال حسب سن الطفل . . ومن طفل لآخر ، كما انها قد تتفاوت عند نفس الطفل بين وقت وآخر ، وهذه ارقام تقريبية لنوم الأطفال .

ـ خلال الستة شهور الأولى من العمر ينـام الطفل من ١٦ الى ٢٠ ساعة كل يوم .

ـ خلال الفترة من ٦ : ١٢ شهرا ينام الطفل من ١٤ الى ١٦ ساعة كل يوم .

ـ خلال الفترة من ١٢ : ٢٤ شهرا ينام الطفل من ١٢ الى ١٤ ساعة كل يوم .

هذا وتقل فترة النوم تدريجيا بعد ذلك ولكنها لاتقل عن ١٠ ساعات كل يوم خلال العاشرة .

● فترة ماقبل النوم : بعض الأطفال يخلدون الى الهدوء قبل النـوم ، والبعض الآخر « وهـو عدد قليل من الأطفال » يصبر عصبيا فيكثر بكاؤه دون وجود سبب ظاهر كأنه في واقع الامر لايريد النوم . . ولابد ان تخلو فترة النوم من اى اثارة او استدعاء لانتباه الطفل « كمشاهدة التليفزيون او ازعاج صوت الراديو » . . اما الموسيقا الهادئـة الناعمة فقد تؤدى الى سرعة نوم الطفل .

● أسبـاب قلق الأطفـال : هنـاك أسبـاب عديدة لقلق الأطفال في النوم نذكر منها : ـ

ـ الجوع . . وذلك مصـداقا للمثـل الدارج (ان جاعوا زنّوا ، وان شبعوا غنوا « ناموا ») .

ـ المغص . . نتيجة لعسر الهضم او غيره .

ـ تبول الطفل او تبرزه اثناء النوم يؤدى الى تلوث ملابسه ، ولا يكف الطفل عن البكاء حتى يتم تغيير ملابسه .

ـ كثرة الأغطية وخاصة خلال الصيف او قلة الأغطية خلال الشتاء البارد .

ـ وجود حشرة كالناموس أو البرغوث بسرير الطفل تلدغ الطفل فيحدث البكاء .

ـ ارتفاع حرارة الطفل لأسباب مرضية .

ـ حالات مرضية ونذكر منها التهـاب الأذن الوسطى والفتق الأربي المختنق .

هذا ويجب ان تعرف الأمهات ان معظم - ان لم يكن كل - الاطفال الصغار وبالتحديد خلال الشهر الأول وربما الثانى من العمر يناموون طول النهار ، ويكثر القلق مع البكاء خلال الليل مما يؤدى الى اضطراب نوم الأسرة ، ونؤكد ان ذلك الاضطراب فى نوم الطفل خلال الاسابيع الاولى من العمر شىء طبيعى ويزول هذا الاضطراب بعد نهاية الشهر الثانى .

● أفضل الأوضاع لنومه : تعتقد معظم الامهات ان نوم الطفل الصغير على ظهره مريح ، والبعض الآخر يضع الطفل الصغير فى السرير على جانبه . . وقد وجد الأطباء فى اوروبا وامريكا ان افضل الاوضاع لنوم الطفل الصغير - وخاصة بعد الرضاع - هو النوم على البطن وذلك للأسباب التالية :

- ليس هناك أى احتمال لحدوث الاختناق « وذلك - بالتأكيد - شىء نادر الحدوث جدا » بعد الرضاعة ، وذلك يفرض عدم وضع وسادة تحت رأسه .

- يستطيع الطفل التخلص من الغازات .

- وبذلك يقل حدوث المغص الذى يحدث عند الاطفال الصغار خلال الثلاثة اشهر الاولى من العمر ، ويؤدى الى قلق نوم الطفل وكثرة الحزق .

- قد يأخذ الرأس شكلا أفضل عندئذ ولا يجب ان تنسى الامهات ان كثرة نوم الطفل على ظهره تؤدى الى حدوث الطفح الناتج عن اللفة فى منطقة الاليتين فيؤدى الى كثرة بكاء الطفل الصغير .

هذا ولا توضع وسادة تحت رأس الطفل حتى نهاية العام الاول من العمر وبعد ذلك توضع وسادة مناسبة .

تغذية الرضيع

عند ما يولد الطفل يصبح لبن الأم أهم شىء لديه ، لأنه أكثر الالبان أمنا وضمانا لنموه الطبيعى . لانه اللبن الوحيد الغنى بالبروتينات مع مركبات الحديد والأحماض الأخرى مثل حمض الفوليك Folic Acid

لقد كان مثيرا فى مؤتمر « اسهال الاطفال » الذى عقد بالاسكندرية مؤخرا ، أن الاطباء الذين اجتمعوا في هذا المؤتمر اكدوا أن نسبة كبيرة من الاطفال اصبحوا يعانون من مرض سوء التغذية . . وأبرزها الانيميا . . او مرض (الكوشيوركور) وهو مرض يصيب اطفالنا بسبب نقص البروتينات .

ان الرأى العام السائد فى العالم الآن هوأنه لابد للأم ان ترضع طفلها الثلاثة أشهر الاولى فى أدنى الاحوال ثلاثة اسابيع ، فرضاعة الطفل من ثدى امه فى هذه الفترة تجنبه متاعب كثيرة جدا . حيث ان لبن البقر المجفف قد يسبب ضررا للرضيع . لان البوتاسيوم عال جدا فى اللبن الحيوانى سواء كان طازجا أو مجففا .

وعندما يرتفع الفسفور فى الدم يقل الكالسيوم . كذلك العكس إذ ان هناك نسبة بينهما بالتبعية ، وهبوط الكالسيوم فى دم الوليد يعرضه لنوع من التشنجات . كما أن الاملاح مثل البوتاسيوم والكالسيوم والكلور عالية فى اللبن الحيوانى - فهى تعتبر حملا ثقيلا على الكلى للوليد . وقد تؤدى الى ورم عام فى الجسم خاصة اذا كان الوليد جاء قبل الأوان . فرضاعة الطفل من ثدى امه تعطيه مناعة ضد بعض الامراض التى تكون الأم قد اخذت فيروسها . مثل فيروس شلل الاطفال او الحصبة وغيرها .

وتظل هذه المناعة مع الوليد لمدة ثلاثة اشهر ، ومن النادر جدا ان يصاب بهذه الأمراض ، بعد انتهاء فترة المناعة يجب ان نعطى التطعيم للوليد . وهناك ايضا ناحية سيكلوجية مهمة فى عملية ارضاع الوليد من ثدى امه وهى الارضاء النفسى للطفل وللأم ذاتها .

ويعتبر حليب الأم الغذاء المثالى للطفل فى الاشهر الاولى من عمره ، وذلك لأنه غذاء سهل

الهضم ، متوفر لدى الأم ، ولا يكلفها شيئا ولا يلقى بأى عبء مادى على الاسرة ، فضلا عن كونه خاليا من البكتيريا الضارة وخاصة ما يسبب منها النزلات المعوية . لكل هذه الأسباب وغيرها ننصح الأم الشابة بأن تهيء لطفلها كل الفرص للتغذية على حليبها .

وغذاء الأم المرضعة يجب ان تتوفر فيه ـ كما هو الحال اثناء فترة الحمل ـ كمية وفيرة من البروتينات مثل اللحم ، والبيض ، والجبن ، وننصح الأم بشرب الماء واللبن وتناول الكثير من الخضر والفواكه الطازجة والخبز ويجب ان تقلل من المنبهات كالشاى والقهوة ، ولا تستعمل التوابل والثوم فى طعامها ، ولا تتعاطى من الدواء الا ما يشير به الطبيب .

ولما كانت الانفعالات النفسية العنيفة والارهاق تؤثر على كفاية حليب الأم ، فنصيحتنا للأم المرضعة ان تتحاشى هذه المنغصات .

وتبدأ الأم فى ارضاع وليدها بعد نحو ثمانى ساعات الى اثنتى عشرة ساعة من الولادة الطبيعية او بعد ذلك حسبما يرى الطبيب . . وفى فترة الأيام الثلاثة الاولى بعد الولادة يكون للثدى إفراز يسمى « السَمار » وهو سائل على درجة غير عالية من التكوين الغذائى ، ولكنه يناسب مقدرة الجهاز الهضمى للطفل فى أولى مراحل الانتقال ، ولكى نضمن للطفل مستلزماته فمنذ هذه الفترة يجب اعطاؤه ـ بين حين وآخر ـ مقادير من الماء السابق تعقيمه بالغلى ، او بعض السوائل كالتليو او الكراوية بقليل من السكر ، وعلاوة على ارضاعه من الثديين لنضمن ادرار اللبن ، وفى العادة يكون ادرار اللبن فى اليوم الثالث بالقدر الوفير اللازم لاحتياجات الطفل ، ويلاحظ خلال الايام الاولى من عمر الطفل عدم التقيد بمواعيد محددة للرضاعة ، بل يرضع الطفل كلما طلب ذلك باظهار علامات الجوع ، وبعد فترة وجيزة قد تصل الى اسبوعين او ثلاثة اسابيع نجد ان طلب الطفل للرضاعة سوف ينتظم فى اوقات معينة تبلغ خمس او ست مرات فى النهار ، وحينئذ يكون اتباع التوقيت الذى يختاره الطفل فتثابر الأم على ارضاع طفلها على فترات منتظمة كل ثلاث أو اربع ساعات من حوالى السادسة صباحا الى العاشرة مساء .

وعند الرضاعة تختار الأم مكانا هادئا ، وتجلس مستريحة واضعة الطفل على ركبتها مع رفع العنق والرأس بالذراع ناحية الثدى الذى يمسك به الطفل ، وتمسك الأم بالثدى فى راحة يدها الأخرى كي لا يعوق تنفس الطفل . . وفى العادة تدوم الرضاعة على الثديين من عشر الى خمس عشرة دقيقة ، وخلال الرضاعة ولدى الانتهاء منها ، يرفع الطفل برفق لوضع قائم مع إسناد ظهره ورقبته كى يتجشأ « يتكرع » الهواء الذى ابتلعه اثناء الرضاعة . ويؤخذ فى الاعتبار ضرورة غسل حلمتى الثديين قبل وبعد كل رضاعة بالماء المعقم مع تجفيفها جيدا .

واذا لم يكن لدى الأم ما يكفى طفلها ، فيجب ألا تتردد فى استشارة الطبيب حتى وان لم يحن ميعاد الزيارة المقررة ، وقد يشير الطبيب بما يراه خاصا بأى تغذية اضافية ان لم يتوافر لدى الأم من الحليب ما يكفى رضيعها .

نصائح للعناية برضيعك

ـ استعدى لاستقبال طفلك باعداد كل ملابسه ، وما يحتاج اليه قبل ولادته بوقت كاف ، والأفضل ان يكون ذلك قبل بداية الشهر السابع للحمل ، حتى لاتجدى نفسك فى ورطة بسبب احتياجك الى أشياء ضرورية مثل الغيارات أو أدوات الرضاعة أو مقياس الحرارة او المشمع الخ . .

ـ لا تقلقى عندما يفقد طفلك جزءا من وزنه فى الايام الاولى بعد ولادته ، فانه يتخلص من جزء من الماء الزائد فى جسمه ثم ما يلبث ان

يعوضه فى فترة وجيزة . ويبدأ وزنه ـ بعد ذلك فى الزيادة المطردة .

ـ لا ترغمى نفسك على ارضاع طفلك اذا شعرت انك عصبية وليس لديك الاستعداد لارضاعه ، اعطيه رضعة صناعية ثم أرضعيه من الثدى بعد ذلك فى الرضعة التالية ، اذ ان ادرار اللبن عند الأم يتأثر بحالتها النفسية .

ـ أعطى طفلك رضعة خفيفة ليلا « الثانية بعد منتصف الليل » من مغلى « التليو » او « الكراوية » اذا شعرت ان رضعة الليل ترهقك وأنت نصف نائمة .

ـ اما اذا كان طفلك يرضع صناعيا فاعطيه الرضعة وانت تحملينه بين ذراعيك كما لو كنت ترضعينه من ثديك فهذا يفيده من الناحية النفسية ، لا ترضعيه وهو نائم فى سريره .

ـ راقبى اللبن بحيث تتأكدين انه يملأ الحلمة اثناء الرضعة ولا يترك فراغا يدخل منه الهواء الى معدته فيسبب له المغص بعد الرضاعه .

ـ لاترغمى طفلك ان يأخذ الرضعة الى آخرها . فالأم التى تجبر طفلها على أخذ اكثر مما يريد ، تربى لديه كراهية للغذاء ومقاومة لتناوله .

ـ لاتحاولى الاحتفاظ باللبن الذى يتركه رضيعك فى الزجاجة اذ يصبح غير صالح للرضاعة بعد مرور ساعات ، ويجب ان تتخلصى منه على الفور .

ـ اغسلى الزجاجة والحلمة فور انتهاء الرضعة بالماء الدافىء والصابون ، باستعمال فرشة زجاجات تخصصينها لهذا الغرض .

لاتنتظرى حتى تغليها مع باقى الزجاجات وتتركى آثار اللبن بداخلها فتحمض وتتكاثر فيها الميكروبات ، وتأكدى بعد الغسيل ان ثقوب الحلمة خالية من آثار اللبن .

ـ ابدئى من الشهر الخامس فى اعطاء طفلك كمية صغيرة من اللبن كل يوم فى فنجان بدلا من الزجاجة ليعتاد على فكرة ان اللبن يمكن ان يتناوله فى فنجان ايضا ، فلا يرتبط اللبن فى ذهنه بالرضاعة فقط . بذلك يسهل فطامه فى الوقت المناسب عندما تكون سنه ملائمة لذلك . اما اذا انتظرت الى الشهر التاسع او العاشر لتبدئى فى اعطائه اللبن فى الفنجان ذاته فسوف يرفض أخذه ولن يستسيغ رائحته .

ـ لا تتعجلى فطام الطفل ، فكل طفل يختلف عن الآخر فى المدة التى يستغرقها ليتخلى تماما عن الرضاعة . وافطميه تدريجيا . فتبدئين من سن ١٠ شهور ، ولا يتخلى تماما عن الرضاعة الاعندما يبلغ سنتين .

ـ لاتعطى طفلك نوعا جديدا من الغذاء بكمية كبيرة من أول مرة وتعودى على ان أى

غذاء جديد يجب ان تعطيه له بكمية صغيرة ثم زيديها شيئا فشيئا .

ـ اعطي طفلك عصير البرتقال المخفف بكمية معادلة من الماء المغلي بعد ان يبرد ، ابتداء من الشهر الثالث تقريبا ، طالما ان هضم الطفل طبيعي . اعطيه من البداية ملء ملعقة شاي من العصير المخفف بمقدار ملعقة شاي من الماء السابق غليه في اليوم الأول ثم زيدي هذه الكمية تدريجيا .

ـ ابدئي في اعطاء طفلك صفار البيض المسلوق جيدا عندما يبلغ ستة أشهر او حتى قبل ذلك ، اذا كان طفلك ليس لديه استعداد للحساسية . وابدئي بربع صفار بيضة ثم زيدي الكمية تدريجيا ، فالميزة الكبرى في صفار البيض انه يحتوي على الحديد وهو الشيء الذي لا يحتوي عليه اللبن .

ـ نظفي أذن طفلك من الخارج كل يوم باستعمال قطعة من القطن الطبي ، ونظفي أنفه باستعمال قطعة قطن صغيرة ملفوفة على عود كبريت او سلاكة اسنان ، اما أظافره فقصيها كلما طالت وذلك اثناء استغراقه في النوم ، لأنك اذا تركت اظافره طويلة فقد يجرح بها وجهه .

ـ امسحي فم طفلك بقطعة قطن طبي مبللة بالماء السابق غليه ، وذلك عقب كل رضعة حتى تتأكدي انه لاأثر للبن حول شفتيه .

ـ يجب ان يستحم طفلك كل يوم في الصيف . أما في الشتاء فلا تدخلي طفلك الحمام من الشهور الاولى ، والأفضل ان يستحم في غرفة دافئة تدخلها الشمس ، ولا ضرورة للحمام كل يوم في الأيام القارصة البرودة ويكفي ان يعتني بنظافته بعد التبول والتبرز . ويكفي ان يستحم مرتين في الأسبوع .

الملابس والغطاء

لاتلبسي طفلك ملابس أكثر من اللازم ، فهذا يجعله يفقد قدرته على التأقلم السريع مع الجو الخارجي ، ولا تختبري دفئه بجس يديه ، فمعظم الاطفال تظل ايديهم باردة بالرغم من دفء اجسامهم . ولكن تحسسي قدميه او رقبته لتعرفي درجة حرارة جسمه الحقيقية . وافضل دليل هو لون وجهه ، فالطفل الذى يشعر بالبرودة يختفي احمرار وجنتيه .

ـ استعملي الغطاء المصنوع من الصوف فهو افضل غطاء في الشتاء للطفل ، وأنسب أنواع الاغطية الصوفية هي تلك المصنوعة من نسيج التريكو لأنها مرنة وخفيفة الوزن وتمنح طفلك الدفء المطلوب ، اما في الصيف فاستعملي غطاء مصنوعا من التريكو القطن .

ـ عرضي طفلك للهواء الطلق لمدة ساعتين او ثلاث ساعات يوميا عندما يكون الجو مناسبا ، ولكن في المرة الاولى ابدئي بربع ساعة فقط ثم زيدي المدة تدريجيا ، فالهواء الطلق يفتح شهية الطفل ويساعده على النوم الهادىء .

ـ ضعي رضيعك لينام على وجهه بدلا من النوم على ظهره وذلك خلال الأشهر الأولى فلهذا الوضع عدة مزايا منها : انه يعطي راحة للطفل الذي يشكو من سوء الهضم ، واذا تقيأ قليلا بعد الرضاعة لا يحتبس تنفسه وهذا الوضع يقوي عضلات الرقبة .

لا تنسي ان تخصصي بعض الوقت كل يوم للعب مع طفلك ، فهو يحتاج الى اللعب معك ويتعلم منك ويسعد بنظرتك الفرحة اليه ، فهي تنمي روحه مثلما ينمي اللبن عظامه .

لا تكوني قلقة ولاتستدعي الطبيب لأي سبب ، ولكن سارعي بعرض طفلك على الطبيب اذا ظهر عليه تغيير غير مألوف في حالته العمومية مثل الشحوب الشديد او التراخي أو القلق او البكاء المستمر ، أو اذا أصيب بالاسهال ولا سيما خلال السنة الاولى ، او بالتهاب شديد في العينين ، *واذا جرح في رأسه ، أو خبط خبطة شديدة ولم يكن بادي الصحة التامة بعد مرور* نحو خمس عشرة دقيقة . □□

إيل..

إله إسرائيل الدموي

بقلم : سيد محمود القمني

□ هذا البحث يصور عقائد اليهود كما أوردتها الأسفار اليهودية المتداولة ، لا على حسب ما جاء في القرآن الكريم ، وهناك فرق واسع بين الصورتين ، وأهمية هذه الصورة أن اليهود يعملون بما جاء في كتبهم وحسب تعليماتهم » .

مثل بقية القبائل السامية التي انتشرت ما بين الرافدين والبحر المتوسط دان العبريون ـ الذين عرفوا في مراحل تالية بـ « بني اسرائيل » وبـ « اليهود » ـ بعبادة كبير آلهة الرافدين « ايل » وبصريح العبارة يؤكد كتاب اليهود المقدس(العهد القديم ـ التوراة) أن « ايل اله اسرائيل ـ اصحاح ١٢ تكوين » .

وفي هذا الكتاب نجد « ايل » يحظى بالسيادة على العقلية العبرية طوال المرحلة الابراهيمية حتى ظهور النبي موسى ، علما بأن الكتاب يعيد أصل الأسرة الابراهيمية الى مدينة « أور » الرافدية ، حيث هاجرت من هناك الى كنعان وفلسطين » .

والى « ايل » ينتسب يعقوب النبي باسمه (هو ابن اسحق بن ابراهيم) ، فقد تسمى بـ « اسرائيل » أو « اسر ـ ايل) أي جندي الرب أو حامي ايل) ، ومن ثم أصبح أولاده الأثنا عشر (الأسباط) يدعون بني اسرائيل ، والى ايل تنتسب كل الأسماء ، الملائكية من جبرائيل الى ميكائيل واسرافيل وعزرائيل . . . الخ .

ويقول الكتاب انه بعد فترة من الزمن قضاها العبريون في فلسطين أصاب الأرض قحط ، فرحل الأسباط الى سيناء ، ومن هناك دخل بعضهم مصر الفرعونية حيث تكاثروا زمنا ، ومن نسل « لاوي » احد الاسباط جاء النبي موسى .

من اخناتون الى موسى

في اصحاحه الثاني يروي سفر الخروج : أن

موسى نشأ وترعرع في البلاط الملكي حيث تبنته أميرة فرعونية « فصار لها ابنا ودعته موسى » ويذهب الباحثون الى أن الاسم « موسى » اسم فرعوني خالص ويعني (ابن) ، ويزعم « برستد » في مؤلفه (فجر الضمير ـ ص ٣٣٦) أن موسى مختصر من اسم فرعوني مركب كما كانت عادة المصريين في التسمية ، على غرار ما نجد في اسم الفرعون « تحتمس » « أو « تحوت موسى » فهو مركب من (تحوت = اله الكتابة + موسى = ابن) أي ابن الاله تحوت ، مثله أحمس ورعموس . . . الخ .

ويذهب جل المؤرخين والاثريين نفس المذهب في كون موسى اسما فرعونيا فيؤكد « ديورانت » في مؤلفه الموسوعي (قصة الحضارة ، الجزء الأول ، المجلد الثاني ، ص ٣٢٦) : « ان موسى اسم مصري لا اسم يهودي . . . ويقول الاستاذ جارستانج عضو بعثة مارستن التابعة لجامعة ليفربول أنه كشف في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موسى أنجبته في عام ١٥٢٧ ق . م . بالتحقيق الأميرة « حتشبسوت » (الملكة حتشبسوت فيما بعد) ، وأنه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها تحتمس الثالث » . واذا أخذنا بتأريخه لخروج اليهود من مصر (١٤٤٧ ق . م) فان ذلك يقرب موسى من زمن « أخناتون » فرعون التوحيد الذي دعا الى عبادة اله واحد تتمثل قوته في الشمس ، وقد عرض جارستانج عددا من الجعلان والخزف زعم أن عليها نقوشا تؤكد بنوة موسى لحتشبسوت .

وقد لاحظ « فرويد » مثل هذه الملحوظات فبنى عليها افتراضا في كتابه (موسى والوحدانية) خلاصته زعم بأن موسى ، ربما كان أحد كهنة اخناتون فرعون التوحيد وحين انهارت ديانة اخناتون اتجه نحو العبريين المستعبدين بمصر وعلمهم هذه العبادة بعد أن مزجها بعقائدهم ، وفر بهم من مصر الى فلسطين لينجو من أعداء الديانة الاخناتونية ، بينما يدعم « برستد » وجهة نظره (ص ٣٨٠ ـ فجر الضمير) بأن العبريين لديهم مأثور يؤكد أن موسى كان متفقها تماما في حكمة المصريين ، اضافة الى حضه العبريين للاخذ بشعيرة الختان وهي شعيرة فرعونية ، هذا ناهيك عن تفسير « فرويد » لثقل لسان موسى بكونه نتيجة حتمية لاختلاف لسانه المصري عن اللسان العبري .

أما ظهور الاله يهوه في عهد موسى ليحل محل ايل الابراهيمي ، فيتضح من خلال سرد الكتاب المقدس لحكاية عن طلب المصريين موسى لجريمة قتل فيها مصريا ، وهرب على أثرها الى « مديان » (الأصحاح ٢ خروج) ، ومديان على سفوح سيناء حيث سكنت هناك قبائل كنعانية ، وحل موسى ضيفا على « يثرون [1] » شيخ مدين وكاهنها ، وتزوج ابنته ، واشتغل برعي غنمه ، وهنا يقول الكتاب : « فساق الغنم الى ماوراء البرية وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، . . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى . . لاتقترب الى هاهنا ، اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة . . اني رأيت مذلة شعبي في مصر . . فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم الى . . أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين » ، ولما سأله موسى عن اسمه قال : هكذا تقول لبني اسرائيل : « أهيه أرسلني اليكم . . يهوه أرسلني اليكم ، هذا اسمي الى الأبد » (أصحاح ٣ خروج)وبناء على هذا الأمر الالهي . . حسبما يزعم الكتاب المقدس ـ عاد موسى الى مصر ليقود العبريين في رحلة الخروج عبر سيناء نحو كنعان « فلسطين » تحت زعامة الاله الموسوي بـ « يهوه » .

---

١ ـ يقال في رواية اسلامية شعيب المذكور في القرآن المجيد « العربي »

● يهوه : اله اسرائيل القمري

جذور يهوه الوثنية

يلوح لنا أن خروج اليهود كان بداية خلط شديد بين العقائد المصرية التي تأثروا بها - ولا شك - أبان وجودهم هناك ، وبين عقائد الكنعانيين الذين تبدأ حدودهم الجغرافية عند سفوح سيناء الشرقية . ولعل أهم التأثيرات المصرية تظهر في العجل الذي يزعم الكتاب أن هارون صنعه لليهود ليعبدوه - بعد تغيب موسى أربعين ليلة فوق الجبل ليحضر الواح الشريعة - انما هو العجل « أبيس » المصري ، وفي تابوت العهد الذي أمر يهوه موسى بصنعه لينزل ويسكن فيه ، ويحمله الاسرائيليون معهم في ترحالهم ليكون معهم حاميا دائما ، ومجموع مواصفات هذا التابوت العجيب الوارد بطول الأصحاح ٢٥ خروج لا تخرج عن مواصفات التوابيت المصرية للآلهة الفرعونية ، ومن أطرف القصص حول التابوت أن الفلسطينيين استطاعوا اختطافه في احدى المعارك فهزموا الاسرائيليين لأن الله كان معهم في التابوت .

ومما يجدر ذكره أن أهم الأسس التي بنى عليها فرويد مذهبه في مصرية موسى وكهانته للديانة الاخناتونية ، أن الدين اليهودي ظل طوال عصوره حتى قرابة القرن الأول قبل الميلاد يرفض فكرة البعث والحساب ، وهو ذات الرفض الذي استمدته الديانة الاخناتونية للقضاء على الايمان بالاله أوزيريس اله الخلود المصري ، تحقيقا لمبدأ التوحيد والقضاء على كافة الالهة الأخرى غير الاله « آتون » الواحد .

أما التأثير الكنعاني فيظهر في تفسير « ديورانت » لتحول اليهود من عبادة ايل الى عبادة يهوه بقوله : « يبدو أن اليهود الفاتحين قد عمدوا الى أحد الهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها ، وجعلوا منه الها ذا نزعة حربية . . ويلوح انه كان في بداية أمره الها للرعد يسكن الجبال » ، ولو قمنا بمقارنة بين عقائد يهوه اليهودية وبعض اعقائد الكنعانية ، سنجد أن تفسير ديورانت يحظى بالقبول ، ويتسم بكثير من الصحة .

ولعل أشهر الهة كنعان ، ذاك الذي حمل اسمه معنى السيادة فسمى البعل « ادوناي »[٢] والبعل ادوناي كما يظهر في الواح اوغاريت الاثارية هو اله بروق ورعود وصواعق ، الغيوم مركبته التي يستقلها والبرق ضوء وجهه الرباني اذا تجلى ، الرعد صوته والصاعقة سوطه ، والمطر نعمته ورضاه عن عبيده ، وله اسطورة طويلة تحكي بطولاته وصراعه مع اعداء البشر من تنانين خرافية ، وقتله للحية الضخمة متعددة الرؤوس « لوياثان » ، والعجيب أن نجد تطابقا يكاد يكون حرفيا بين هذه الخرافات الاوغاريتية وبين النصوص التوراتية ، واليك نموذجا منها :

تقول اللوحة السادسة من اسطورة بعل الاوغاريتية : « ايها الظافر بعل، تشق حجب الغيوم ، ياراكب السحاب ، ترسل صوتك رعدا فترتجف الجبال ، ترتعد فرائص الاعداء » (ترجمها د . أنيس فريحة في كتابه ملاحم واساطير ص١٣٣) . ويقول الاصحاح ٢٩ ، ١٠٤ من المزامير « صوت الرب على المياه ، اله المجد أرعد ، الرب فوق المياه الكثيرة ، صوت الرب بالجلال ، « السحاب مركبته ، الماشي على أجنحة الريح » . وتقول نفس اللوحة الاوغاريتية : « في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان ، ويضع نهاية للحية الملتوية الهاربة ، شالياط ذات الرؤوس السبعة » ويقول الاصحاح ٢٧ في سفر اشعياء : » في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة ، لوياثان الحية المتحوية ، ويقتل التنين الذي في البحر . ولعل أوضح الادلة على الاثر الكنعاني في يهوه ، هو أن اليهود استعملوا الاسم

---

٢ - أدوناي بمعنى سيدي ، واليهود لاينطقون اسم « يهوه » بل ينطقون بدلا منه أدوناي . « العربي » .

« ادوناي » في الكتاب المقدس تبادليا مع الاله « يهوه » في أكثر من موضع ، بل أن قانون الايمان اليهودي يقول : اسمعي يااسرائيل : ان الهنا ادوناي هو الاله الاوحد .

وبالعودة الى النص الاوغاريتي نجده يحدثنا عن أمر من البعل لاتباعه قائلا « قبل طلوع الفجر ، توجهوا الى طور غزة . . » و« طور غزة » يأخذنا جنوبا الى سفوح سيناء حيث عمرت هناك بعض القبائل الكنعانية ، وقد اكتشفت هناك عام ١٩٣١ قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز ، مكتوب عليها اسم اله هو « اياه ـ ياهو » ، وفي الاصحاح ٤٨ من المزامير « غنوا لله رنموا لاسمه ، اعدوا طريقا لراكب القفار ، باسمه ياه » . كما عثر على نص اوغاريتي يقول فيه الاله ايل : « اسم ابني ياو » !! بل ويؤكد الاثري برستد ان القبائل الكنعانية القاطنة بسيناء جنوبي فلسطين وبالتحديد أهل مديان ، كانت تدين قبل زمن بعيد بعبادة اله وثني يدعي « يهوه » ، وهي القبيلة التي استضافت موسى حين حل ضيفا على يثرون كاهن يهوه ، عند هروب موسى من مصر بعد جريمة قتله المصري (انظر فجر الضمير ص٣٧٦) .

يهوه بطل حرب

في كتابه (مغامرة العقل الاولى ـ ص١١١) يؤكد « فراس السواح » أن يهوه ابتدأ بداية وثنية متواضعة ، فيهوه لايدعي العلم المطلق ، عندما يطلب الى اليهود أن يميزوا بيوتهم بدهنها بدماء الخراف المضحاة ، فلا يهلكون مع من يريد اهلاكهم من المصريين ؟! (انظر اصحاح ٦ خروج) ، وهو اله متردد يخشى شماته الناس به وبشعبه ، ويستطيع موسى بذكائه أن يدفعه لتغيير رأيه (انظر اصحاح ١٤ عدد)وهو اله مشخص يمكن رؤيته بالعين المجردة ، فهذا موسى يلمح قفاه « فتنظر الى ورائي أما وجهي فلا يرى ـ اصحاح ٣٣ خروج » ، وهو بطل يصارع الوحوش والتنانين تماما كالالهة السورية والبابلية والاغريقية .

ونضيف الى فراس السواح هنا أن هناك كثيرا من النصوص التوراتية تؤكد امكانية رؤية يهوه ، والحديث معه وجها لوجه ، حتى السلام عليه وتناول الطعام معه خبزا وملحا ، وهاك بعض هذه النصوص : « يكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه ـ اصحاح ٣٣ خروج » ، « ولما كان الصباح انه صارت رعود وبروق وسحاب كثير على الجبل ، وصوت بوق شديد . . وأخرج موسى الشعب لملاقاة الله . . وكان جبل سيناء كله يدخن أجل أن الرب نزل عليه بالنار ـ اصحاح ١٩ خروج » ، وان « موسى وهارون . . وسبعين من شيوخ بني اسرائيل صعدوا الى الجبل وهناك رأوا اله اسرائيل . . وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى اشراف بني اسرائيل ، فأكلوا وشربوا ـ الاصحاح ٢٤ خروج » . كذلك يظهر الكتاب المقدس يهوه الها شديد البطش متعطشا للدماء وسريع الغضب فينتقم من شعبه اليهودي كما ينتقم من اعداء شعبه ، ويصفه الكتاب نصا بقوله : « الرب رجل حرب ـ اصحاح ١٥ خروج » ، وانه « . . اله يسخط كل يوم ـ اصحاح ٧ مزامير » ، وانه « يمطر فخاخا وكبريتا وريح السموم ـ أصحاح ١١ مزامير » ، ويزعم أن داود النبي يقول حين نادى يهوه « سمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل اذنيه ، فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال ، ارتعدت وارتجفت لأنه غضب ، وصعد دخان من أنفه ونار من فمه ، أكلت جمرا ، اشتعلت فيه ، طأطأ السماوات ونزل ، وضباب تحت رجليه ـ أصحاح ١٨ مزامير » .

يهوه الدموي

وان هذه الصفات التي يذكرها الكتاب المقدس للاله يهوه انما تذكرنا بصفات اله كنعاني

آخر من سلك البعول هو البعل « مولك ـ أي الملك ، وكان في اعتقاد عباده لا يظهر الا بين العواصف والبروق والنيران وظواهر الطبيعة الغامضة ، وأقاموا له مذبحا أمام تمثاله ليسترضوه بتقديم أطفالهم قربانا له بإحراقهم على مذبحه ، ويبدو أن بعض الاسرائيليين لاحظوا وجه الشبه بين يهوه ومولك ، فقاموا يعبرون عن صدق ايمانهم بتقديم أطفالهم لنيران مولك ، وها هو أرميا النبي يؤكد نظرتنا بندائه في الأصحاح ١٩ من سفره « على عدد مدنك صارت آلهتك يا اسرائيل . . قد بنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا اولادهم بالنار محرقات للبعل » .

وفي الأصحاح ٢١ من سفر صموئيل الثاني نجد قحطا شديدا يعم مملكة داود يفسره الكتاب أنه غضب يهوه بسبب قتل شاول للجعبونيين ، وهنا يزعم الكتاب أن داود قام بتقديم سبعة رجال قربانا للرب حتى يهدأ « وسلمهم الى يد الجعبونيين فصلبوهم على الجبل أمام الرب » ، حتى أيام موسى يدعي الكتاب أن يهوه« قال لموسى : خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب ـ أصحاح ٢٥ عدد » .

ولم يقف يهوه في دمويته عند هذا الحد ، بل طبع شرائعه بشراسته ، حين حفرها بأصبعه الالهي على الحجر ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء ، لوحي حجر مكتوبين بأصبع الله ـ أصحاح ٣١ خروج » ، تحدد طريقة التعامل مع شعوب سيناء وفلسطين بدءا من الأصحاح ٢٠ تثنية لعل أخطر أمر فيها « أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك ، فلا تستبق منها نسمة ما » .

(ياه شوع) الها

باستمرار مطالعة الكتاب المقدس نجد يشوع الذي خلف موسى على مركزالقيادة المطلقة قد أخلص في تطبيق الشريعة اليهودية الدموية الى حد يحسده عليه أحفاده اليوم ، الا أن الغريب ارتفاع الكتاب المذكور بيشوع الى حد يقرب من التأليه ، فيكاد يكون الها يتدخل في نظام الكون ، وبأمر منه تقف الشمس أو يسير القمر ، « وقال امام عيون اسرائيل : يا شمس دومي على جعبون ، ويا قمر وادي ايلون ، فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم من أعدائه ـ أصحاح ١٠ يشوع » .

ومع كل الخوارق اليشوعية المنسوبة اليه في الكتاب المنعوت بالمقدس ، فإن قبيلة من الشعوب التي ذاقت ويلات يشوع ، لم تجد حرجا في وضعه بموضعه الصحيح ، وفي تسمية الأشياء باسمائها الحقيقية دون تزويق ، بعد أن قتل يشوع منها في ليلة واحدة ما يزيد عن عشرة آلاف نسمة ، فنجد في الفصل الرابع من المجلد الثالث في **chamber's papers** أن اسم يشوع بن نون قد وجد مسجلا على حجر عند نوميديا بشمال أفريقيا ، حيث أقام الفينيقيون مستعمرتهم قرطاجنة ، وعلى ذلك الحجر الذي اكتشف عام ٥٤٠ م كتابة فينيقية يقول كاتبوها : « أننا خرجنا من ديارنا لننجو بأنفسنا من قاطع الطريق ، يشوع بن نون . !! □□

تعقيب من العربي :

هذه هي أصول بعض العقائد اليهودية كما أوردتها أسفار العهد القديم وغني عن الذكر أنها تختلف عن الصورة الواضحة التي يرسمها القرآن الكريم لموسى عليه السلام ، ولبني اسرائيل ، والأمانة التي عهد بها الله اليهم كما عهد بها الى سائر المقربين ، فنقضوا الميثاق وقتلوا الأنبياء وعاثوا في الأرض فسادا ، محتجين بأنهم فضلوا على العالمين ، ومتجاهلين أن التفضيل اصطفاء للاختبار ، تزيد به المسئولية ويتضاعف الحساب . . وليس حقا مطلقا ، يستعلون به على الناس ، ويضمن لهم السيادة على العباد ، حتى بعد أن ينقضوا الميثاق .

• قصة •

شَدْوُ البلابلْ

بقلم : مجيد طوبيا

☐ شدت البلابل ، دهشت : أتوجد بلابل فى هذا الحى ؟ ! . . طار النوم من عينى ، وتغريد الطيور زائد المرح ! . . نظرت الى شيش الشرفة ، الصباح يملأ الخارج وشرائط من نوره تفرش الغرفة ، اندفعت أطل عبر الشيش : هل عاد ؟ ! . . نظرت صوب حديقة الجانب الآخر ، انبهرت : يبدو انه عاد !! . . فتحت باب الشرفة عن آخره ، الهواء عبق رغم عوادم السيارات ، والأشجار مخضرة ، والزهور زاهية فى ألوان متقاربة متدرجة متباينة من الأبيض والأصفر والأخضر ، وجميع هذا ابدعته الطبيعية فى ليلة واحدة !! . . فرحت بالتنوع : أخيرا عاد من بعد انقطاع سنوات مريرة ! . . شعرت بصفاء عجيب وتهيأت للحب فقررت التأنق . .

منذ سنوات كنت الوحيد فى مجموعة الصحاب الذى تنبه الى اختفائه ، لاحظت أن العام قد انتهى من غير أن يأتى فصل الربيع ، قلت لهم ذلك فلم يأبهوا ، وذهب بعضهم للوقوف فى طابور الغداء ! . . ثم جاء العام التالى وانقضى مشوّها مثل سابقه ، بثلاثة فصول فقط ، صيف حار طويل وخريف خماسينى وشتاء قارس ! . . نبهتهم الى هذه الظاهرة فضحكوا منى ثم تحدثوا عن بعض طوابير الكساء ! . . فلما ولد العام الثالث ورحل بعد اثنى عشر شهرا تاركا الحدائق جرداء من غير لمسة الربيع لم أطق تجاهلهم واتهمتهم بالبلادة ، فاذا بصاحبى الصحفى ينصحنى بأن أنشر رسالة فى باب « خرج ولم يعد » أقول فيه : « خرج الربيع

منذ أعوام واختفى فى ظروف غامضة ، ومن يجده يتصل بى على عنوانى أمام كلية الطب وله مكافأة سخية ! » . . لم استسغ كلامه لكنهم ضحكوا طويلا !! وأشار صديقى ضابط الشرطة الى مبنى القسم القريب قائلا : اذهب وقدم بلاغا كى يساعدوك فى البحث عنه ، واذا سألوك ان كنت تشك فى أشخاص بعينهم فقل انك تتهم الخريف والصيف والشتاء لسطوهم على أيام الربيع !!

تحملتهم بعض الوقت ثم أخذت أجلس بعيدا عنهم معظم الأمسيات . . . ولعلهم ارتاحوا لهذا ، وكنت أسمعهم يتكلمون فى شتى المواضيع . لكنهم ابدا لم يشتكوا من اختفاء الخضرة والزهور ، أو يتبرموا من الغبار الذى يهب علينا من الطريق مع مرور كل سيارة ، ولا من العطن الفائح من مطعم الفول القريب !!

ومضت الشهور رتيبة كئيبة ، حتى كاد ذهنى أن يتشتت بيد الركود والتناوم ، وحتى صرت بطيء الحركة ، ثقيل الكلام ، أتثاءب بالمساء ، منزويا وحيدا على المقهى المزدحم ، ثم أنهض سقيما الى البيت ، تتلجلج خطواتى بين تنافرين : رفض الخارج وخواء المسكن ! . . أحاول شغل وقتى بالقراءة حتى أملّها ، فيسيطر علي سلوك عصابى يدفعنى الى الانغماس ـ ولوقت طويل ـ فى نفض غبار الطريق عن أثاث الشقة ، أو تلميع بندقية المرحوم والدى !! . . وفى الصباح وقبل ذهابى الى العمل أعبر الطريق الى أطلال الحديقة ، أتأمل الفروع والغصون ، علنى أجد تباشير الخضرة ، فلا أجد غير اليباب ، أرى طالبات الطب فأمتحن نفسي وأضع عينى فى عيونهن من غير أن اشعر بأقل تغير فى النبض أو الأحاسيس حتى خشيت التبلد !! . . وعندما أعربت عن مخاوفى هذه فى المقهى ، تهكم صاحبي المدرس قائلا : لعل أحد تجار السوق السوداء خبّأ الربيع فى ثلاجة كبيرة كى يبيعه فى عبوات خارج التسعيرة وبثمن مرتفع ! ثم أخذ نفسا طويلا من سيجارته سعل بعده بشدة ولعله كان يضحك !! غير أنى منذ يومين رأيت احداهن ، وخيل لى أننى جاهز لحبها وأنها ستبادلنى ذات الشعور ، فتقدمت منها مبتسما بقصد التعرف ، غارقا فى عينيها الواسعتين ، ولونها الخمرى ، ارتبكت برهة بابتسامة شاحبة سرعان ما أزالتها ، وأطرقت تبتعد عبر اطلال الحديقة الى موقف « الاتوبيس » فعزيت نفسي قائلا : لعلها تتبدل ان جاء الربيع وتفتحت الزهور . . لكنى شممت رائحة مشرحة المستشفى فتملكتنى الكآبة !! . . وفى المساء عندما لاحظ صاحبنا موظف البنك أننى لا استظرف نكاتهم قال فى جدية مصطنعة : لا تحزن ، سنكتتب لاقامة سرادق تتقبل فيه العزاء فى الفقيد الغالى ! ثم استدار يلعب الشطرنج لينهزم كعادته كل مساء !

تهيأت للحب ، فقررت التأنق ، يدفعنى يقين غامض بأننى على موعد بين الخمائل ، ووقفت أمام المرآة أحلق ذقنى ، واذا بوجهى متورد من بعد شحوب ، ونظراتى متأججة من بعد ركود ، ففكرت منتعشا فى هذا الفصل الفياح الذى ترق فيه الأحاسيس ، وتتسع الابتسامات ، وتشف العيون عن أعذب ما فى القلوب !!

تأنقت وهبطت الى عتبة البيت ، تجاهلت الأغانى السخيفة فى المحلات المجاورة والدق والخبط ، ورأيت المارة مكدودين ـ رغم أننا فى أول النهار ـ سائرين كدأبهم اليومى من غير لفتة واحدة لتعدد الألوان الذى جد ! جاهدت فى عبور الطريق وزكمت عوادم السيارات أنفى ، أهاجت الدمع فى عينى ، نجحت فى الوصول الى أرض الخضرة والطيور المغردة ، استرخت أعصابى ، وهمت بين الشجيرات أملأ صدرى بهواء الفل والياسمين ، وأفلحت فى تناسى زعيق المحركات ، ومنبهات الصوت ، والأغانى والدق والخبط ، وأصوات أخرى مبهمة قادمة من اتجاه ما !

بين الخميلة كانت جالسة ، في ثوب منقوش ، وشعر متهدل ، بلونها الخمرى وعينيها الواسعتين ، وبجوارها حقيبتها وثوبها الطبى ، راقبتها من بين الأفرع ، وتيقنت انها تنتظر ، تشجعت .. وظهرت لها .. فتهلل وجهها ، سرعان ما كان الالتئام ، كأننا صاحبان من زمان ، وفى عذوبة النظرة تأكد الود ، وفى لهفة اللمسة تواصل .. ثم راحت تتهادى من وردة لأخرى تستنشق الأريج مع الفراشات ، تتناغم ضحكاتها مع البلابل ، والمحبون يفدون تباعا ، والطيور تحيينا بتغريد خاص .. بينها الأصوات المبهمة تقترب وتبدو مثل دبيب صارم الرتابة !! .. لكننا واصلنا سيرنا بجوار المجرى الرفيع ، وراقتنا مياهه اللألاءة ، وقلنا هذا جدولنا الذى يروى اشجارنا التى تثمر ورودنا .. وشعرت بجسدى عفيا وبذهنى متفتحا ، فراودتنى افكار بديعة ومشاريع جديدة قررت أن اشركها فيها ، فوجدتها تستدير عند شجيرة الفل ، وتوشوش لى برغبتها فى أن نبتكر معا شيئا فريدا ، ثم بدت وكأنها ستبوح بحبها ، ورأيت فمها يتحرك لكنى لم أسمعها ، كان الدبيب الصارم قد دنا وصار يرج الطريق ! .

سمعت صكة مفزعة ، ورأيت آلة ضخمة تقف الى جوار الرصيف تطل بعشرات العيون الجاحظة ، تصطك وكأنها تتفكك !! .. بالفعل تفككت الى عدة كائنات عجيبة .. الكائن منها يشبه الانسان بعينين جاحظتين ومقص طويل فى يديه ، تقدم أولهم ، فتح حدّى المقص ، ثم تصيّد شجيرة وبترها بجميع غصونها وياسمينها !! .. توترت أعصابى ! .. سرعان ما لحقه الثانى والثالث ، تدافعوا بالعشرات جاحظين ، شاهرين مقصاتهم مسنونة الحواف ، هجموا على الورود والشجيرات ، بتروها فى انضباط وحنكة ! .. دوت صكات البتر ، صرخت حبيبتى لائذة بى ، فزعت الطيور الى أعمدة الانارة ، تَشتَّتْ الفراشات ، اشتدت الصكات ، كادوا أن يدهسونى فى تقدمهم ، صرخت معترضا ، وجوههم فارغة من أيّ انفعال ، ترنحت الحبيبة ، سارعت أساندها ، ساد الصمت بغتة !! .. جزرت جميع أشجار الحديقة ، عدا شجيرة الفل حيث كنا ، اقترب أكثرهم جحوظا ، كأنه ينظر الى جميع الجهات ، تجاسرت محاولا منعه ، حول مقصه نحو عنقى ، كاد يقطف رأسى ، تقدم فتقهقرت .. تمنيت لو بيدى بندقية والدى ، تعثرت حبيبتى هاربة ، أعاقنى الدوار من اللحاق بها ، ابتعدت ، اندفعت الفراشات فى قوس طويل هابط ، انتحرت غرقا فى الجدول الصغير ، احتججت بصوت غاضب ، دوت الصكة الأخيرة ، حط الصمت النهائى !! .. ما فائدة الاحتجاج وقد نفذوا عدوانهم ؟ ! .. انضبطوا فى صفوف مستقيمة ، خبطوا الأرض بأحذيتهم الثقيلة ، استداروا نحو الطريق ، دقت كعوبهم أسفلت الطريق ، تجمعوا ، تكتلوا ، عادوا كما جاءوا ، آلة ضخمة تطل بعشرات العيون الجاحظة ، مضت تبتعد بدبيبها الصارم ... التفت اليها المارة فى فضول ، ثم تابعوا سيرهم اليومى !!

والشمس حارقة ولا ظل ولا حائل ، وسمعت نواح امرأة ، وبدلا من عبق الورود امتلأ الجو برائحة عفن مختلطة بمواد طبية ، والهواء يهب من عند المشرحة ، ثم ركد تماما ، وصار لزجا خانق الرطوبة ، والمرأة النائحة أمام المشرحة ، لعل قريبا لها قد مات ، ولعله بالداخل فى انتظار وثيقة الدفن ! .. فكرت ان أذهب الى مجموعة المقهى واخبرهم بما حدث ، لكنى توقعت ان يسخروا منى ، ولعلهم ما زالوا يشكون الأسعار ، والمجارى ، وعذاب المواصلات ، وتلوث المياه ، فان جلس عن قربهم شخص غريب بتروا شكاواهم ريبة ، وانهمكوا فى لعب الدومينو !!

انسحبت الى غرفتى ، وأغلقت الشيش

والـزجاج ، وجلست منكس الـرأس ، مددت يدى أفتح المذياع ، وعندما بدأ يتكلم أخرسته ، لماذا يجردون المكان من الأشجار .

طـوال الليل لم أنم ، وان غفـوت فجحوظ العيون يفزعنى ، لأجد الظلام مازال يحيطنى ، طاردنى كابوس متقطع ، حلمت بالأشجار وقد كسيت جميعها بزهور سوداء اللون ! تساءلت ان كانت توجد مثل هذه الزهـور فى أى مكان من العـالم ؟ ! . . لم أعرف الاجـابـة يقينـا ، لكن مـادامت توجـد زهـور بيضـاء فمن المؤكـد ان السـوداء موجـودة !! ثم سـرعـان مـا عـرفت الاجابة ، عندما استيقظت على صـوت عويـل مرتفع ، الجو قائظ ، ولم أكن على ثقة أننى نمت ، ربمـا غفوت عنـد الفجر ، تمنيت أن يكـون ما حـدث كابـوسا . . . سـارعت الى الشـرفـة ، ورأيت مجموعة من النسـوة فى سواد كـامل ، متربعات مولولات فى دائرة ، رأيتهن مثل زهرة كبيـرة نائحـة سوداء ، وقـد يبست من حولهن الـزهور المبتـورة والأوراق ، والهواء الـلافـح يـدفعهـا فـوق الثرى ، ورغم البعـد سمعت خشخشة جفافها فاقشعر بدنى !! . .

بالفعل توجد زهـور سوداء ، ان لم تكن فى الطبيعة فهى فى داخل معظم الناس وبشكل ما فى داخلى أنا على الأخص !! . .

ابتلت عينـاى بـالـدمـوع فتمـوجت زهـرة النائحات برحيق أساها ، خمنت ان وثيقة الدفن لم تصدر بعد وهاجنى الدوار : ان الأسود لون مفترس يبتلع ألوان الطيف السبعة ولا يعكسها فلا نراها حيثما يوجد ، وهذا نذير شر لأن الوان الطيف تظهر عند المطر الشديد فى قوس قزح ، وقوس قزح علامة أمان ان طوفان النهاية لم يحن بعد !

تنبهت على ضجيج آخر فى الطريق ، وكانت الآلة التى تطل بعشرات العيون الجاحظة سرعان ما اصطكت وتفككت ونزل الجاحظون . . . . طردوا النسوة فى قسـوة ، ثم انهمكوا فى كنس الأوراق والفروع الجافة وردم الجدول بما فيه من فراشات ميتة ، ثم راحوا ينزلون من العربات مقاعد كثيرة رصوها فى صفوف متوازنة ، أقاموا امامها منصة خطابة . . . فرشوا المنصة بسجادة كبيـرة مهترئة ، وضعـوا من فـوقهـا تـرابيـزة ومكبـرات صـوت ثم تجمعـوا من جـديـد ، تلاصقوا ، عادوا كما كانوا . . . آلة ضخمة لها عشرات العيون الجاحظة ثم مضت !! .

دخلت ، حاولت القراءة ففشلت ، انتابتنى الحالة العصبية فتشاغلت بنفض الغبار عن أثاث البيت ، ثم انهمكت تمـاما فى تـنظيف بـندقيـة أبى . .

وبعد الغروب امتـلأت المقاعـد بالجـالسين المتصنمين دون تململ تحت الاضـواء البـاهـرة ، وفوق المنصة وقف خطيب ينطق عبـر مكبرات الصوت بعبارات منمقة وكاميرات التليفزيـون تصوره ، وكان يتكلم عن طـريق وردى يؤدى الى مستقبل كله زهور وريـاحين !! . . ورغم انهم كانوا قـد علقوا من خلفه لافتات كبيـرة أخفت بناية المشرحة تماما الا أنني كنت على يقين من أنها لا تخفي رائحتها !!

كرهت كل هذا فدخلت شقتى ، سرت حانقا من غرفة لأخـرى ، ثم رأيت بندقيـة المرحـوم أبي ، فكرت فى تنظيفها من جديد ، لكن سؤال مفـاجىء : هـل تـرك معهـا بعض الـطلقـات الصالحة ؟ ! . . وبحثا عن الاجابة قمت أفتش فى صندوقه القديم المغلق . □□

كتاب الشهر

شقوق في صورة العرب عند الأمريكيين

العرب في وسائل الاعلام الأمريكية

تحقيق : إدموند غريب

عرض : د . أمين العيوطي

□ هذا كتاب جديد . ينقل لنا دور وسائل الاعلام في تكوين صورة العرب عند الأمريكيين من خلال الأحاديث واللقاءات التي أجراها الدكتور إدموند غريب مع الصحفيين الأمريكيين البارزين ، وأيضا من واقع المقالات التي نشرت بأقلام الأخصائيين في الاعلام . كيف يرى الأمريكيون العلاقات بين العرب بعضهم وبعض . وكيف ينظرون الى الصراع العربي الاسرائيلي . وأخيرا العلاقات الأمريكية العربية . ان الكاتب يخرج من بحثه في النهاية بنتيجة واضحة

ما هي هذه النتيجة ؟

هذا ما ... الكاتب في كتابه « الرؤية المشققة » أو « شقوق في صورة العرب عند الأمريكيين » .

بعد اجتماعات الاوابك وانخفاض اسعار البترول«العرب يخوضون في « بركة البترول الضحلة » .. كما ترانا صحافة الغرب .

ر وسائل الاعلام في تشكيل سياسة أمة
قفها من شعوب وحضارات أخرى ، حين
ر أو تذيع أخبارا منحازة تدعم العداء
اسي ـ هذا هو الموضوع الذي يطرحه
اب من خلال ما يحدث في وسائل الاعلام
ريكية بالنسبة للصراع العربي ـ الاسرائيلي .

قع هذا الكتاب في قسمين : القسم الأول
ي موقف هذه الوسائل فيما بين ١٩٧٥ ـ
١٩ ، وهي فترة تتميز بانعدام التوازن في
طية وجهتي النظر العربية الاسرائيلية ،
سم الثاني يغطي الفترة ما بين ١٩٧٩ ـ
١٩ ، التي تتسم بمحاولة تحقيق هذا
وازن ، وفهم طبيعة القضية العربية
سرائيلية . ويتم هذا العرض من خلال
ات قام بها المؤلف مع العديد من الشخصيات
علامية البارزة من الأمريكيين المهتمين
ضية العربية ، ومن خلال دراسات ومقالات
لام كتاب لهم وزنهم في هذا المجال .

وقد كانت وسائل الاعلام الأمريكية المختلفة
سم للعرب في أذهان الأمريكيين صورا من
خلف ، والارهاب ، والتعصب ، والفساد ،
شهوة وفي ١٩٦٧ أضيف الى الصورة تخاذل
رب وجبنهم ، وصورة حركة التحرير
لسطينية على أنها حركة ارهابية . والى ذلك
يفت افتراءات مقصودة مثل ازدهار التجارة
رة العبيد في الدول النفطية ، وتضليل الرأي
عام بأن العرب هم الذين بدأوا حروب ٤٨ ،
٥ ، ٦٧ ، وكانت الرسوم الكاريكاتيرية
صور العرب بشكل يشجع العداء ضدهم ،
شوه حقائق الصراع العربي ـ الاسرائيلي .
ي المقابل كانت صورة الاسرائيليين أنهم قوم
وياء ، شجعان ، مضطهدون ، وانهم رواد
علوا الصحراء تزدهر والديمقراطية عندهم
قيقة واقعة وسط عالم عربي تحكمه
ديكتاتوريات ، وكانت مشاكل اسرائيل
داخلية من تمييز عنصري بين اليهود الشرقيين
والغربيين ، واضطهاد الأقليات العربية تتوارى
في الصفحات الداخلية والحروب التي تشنها
تصور على أنها حروب انتقامية ضد العمليات
الارهابية .

التحيز الأمريكي

ومن أسباب هذا الموقف جهل الرأي العام بتاريخ المنطقة وتحيز الأمريكيين لليهود ثقافيا وحضاريا ، وجهل وسائل الاعلام بتاريخ الصراع ، ومحاولتها تشويهه وتأثير اللوبي الصهيوني على من يهاجم مصالح اسرائيل واتهامه بالعداء للسامية ؟ .

غير أن العرب أنفسهم لعبوا دورا هاما في انجاح أهداف الصهيونية،فالقيود والحظر الاعلامي ، والتشكك في نوايا الصحفيين الأجانب ، وعدم قدرتهم على الوصول الى صانعي الأخبار ، والفجوات اللغوية والثقافية . . جعلت من العسير على المراسلين المعتدلين تقدير وجهة النظر العربية . كذلك كانت الحكومات تتجه الى الادارة الأمريكية دون الكونجرس والشعب الأمريكي ، وكانت السفارات العربية عاجزة عن توصيل الموقف بكفاءة ، أما لانعدام كفاءة العاملين فيها ، أو لجهلهم بموقف حكوماتهم من القضايا الأساسية وبالمعلومات والاحصائيات لمواجهة استفسارات الجمهور والاعلام ثم تأتي سلبية الأمريكيين في مواجهة هذا المد المعادي للعرب .

غير أن الأمر لم يعدم بعض الأقلام المنصفة ، خاصة بعد حرب ١٩٧٣ ، والحظر البترولي ، وتزايد الاهتمام بالأسواق العربية بل لقد أصبح لدى المراسلين الأمريكيين معلومات أفضل عن المنطقة تتيح لهم تغطية معتدلة دقيقة لقضايا المنطقة . وقد تأكد هذا الاتجاه خلال ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ من عدد التقارير التي نشرت عن مشكلة الشرق الأوسط وجذورها ، وان لم يتأكد هذا

الكـــاتب

الدكتور إدموند غريب يحمل درجة الدكتوراة في التاريخ من جامعة جورج تاون ، وهو يعمل مستشارا لشؤون الشرق الأوسط وشؤون الاعلام في واشنطن . وهو كاتب وصحفي متمرس ، وكان مراسلا لصحيفة الاتحاد ، وصحيفة أخبار الامارات ، وكان أيضا معلقا سياسيا لصحيفة « بيروت ديلي ستار » التي تصدر بالانجليزية ، ونائبا لرئيس تحرير الدراسات الفلسطينية ، وله عدة مؤلفات .

الاتجاه بما يكفي لأن يجعل الرأي العام الأمريكي أكثر الماما بحقائق الأمور .

كـانت تلك الخطوط الأساسية التي دارت حولها لقاءات المؤلف مع رجال الاعلام،وفي هذا التحقيق يتفق الكثير منهم على أن وسائل الاعلام ظلت متحيزة لاسرائيل حتى فرضت حرب ١٩٧٣ والحظر البترولي عليها محاولة اكتشاف العالم العربي،وقد أدى هذا التحيز الى التأثير في الرأي العام ، وبذلك ظلت معلوماته غير كافية لتكوين رأي متوازن . وكانت النتيجة تصوير اسرائيل على أنها واحة ديمقراطية وسط صحراء تعج بالبرابرة والجمال والخيام ، مع عدم التعرض لانكار اسرائيل للحقوق الانسانية للفلسطينيين ، أو للكتابة عن المخيمات ، أو المثقفين الفلسطينيين ، أو أي وجه عربي مشرق ، كان الهدف عدم توصيل أية حقائق خاصة بالصراع العربي ـ الاسرائيلي الى الرأي العام .

تأثير الصهيونية

ويجمع الكثير على أن أسباب هذا هي تأثير اللوبي الصهيوني على رجال الكونجرس وعلى انتخابهم ، وعلى المراسلين ان حاولو أن يكونوا معتدلين من خلال طوفان الرسائل التي تصل الى الصحف وتشكل ضغطا على رؤساء التحرير . ويتحكم في هذا الاتجاه وجود أعداد كبيرة من اليهود في المدن الكبرى ، وأثرهم في مجالات الاعلام والثقافة والمال والاقتصاد مما يؤثر على صياغة الخبر . هناك أيضا تحكم الحركة الصهيونية في المؤسسات اليهودية وفي شبكة اتصالات فعالة من خلال جيش من العاملين الذين يرسلون مئات الآلاف من الرسائل والبرقيات لأعضاء الكونجرس ورؤساء التحرير حين تثار قضية أو موقف مما يؤدي الى التحكم في وسائل الاعلام من الداخل . هذا الى أن معظم المراسلين ورؤساء التحرير وأصحاب الصحف من اليهود مما يؤدي الى سيادة وجهة نظرهم .

أما من ناحية الأمريكيين فانهم متحيزون حضاريا لاسرائيل ضد العرب لأنهم يعرفون الكثير عن الثقافة اليهودية . هذا بالاضافة الى الصداقات التي تربطهم باليهود الأمريكيين ، ومشاركة اليهود في الحياة الثقافية الأمريكية ، وارتباط المسيحية باليهودية في أذهانهم . وقد ولد هذا انحيازا ثقافيا أعمى لا يكاد المحررون والمراسلون أنفسهم يدركونه ، أو يتوقفون لتصحيحه ، رغم جهلهم بما يجري في الشرق

الأوسط .
ومن ناحية العرب فانهم لا يدركون دور الصحافة ، وأهمية توفير المعلومات لها . فالبيروقراطية العربية تقيم العقبات في سبيل توفير المعلومات للصحفيين مما لا يخدم مصلحة العرب في نقل وجهة نظرهم ، ويساعد في شرح المواقف الاسرائيلية،والعرب يتخوفون من التعبير عن آرائهم مع المراسلين . والدبلوماسيون العرب لا يقومون بواجبهم ، بل يرفضون التعليق حتى مع المراسلين المتعاطفين . وفي حين أن للعرب أربعا وعشرين سفارة في واشنطن ، ولاسرائيل سفارة واحدة ، الا أن هذه السفارة أكثر كفاءة في التعامل مع الصحافة ، ورجال الكونجرس ، والعلاقات العامة . وأجهزة الاعلام العربية لا تؤدي عملها بما يضمن وصول المواقف العربية الى وسائل الاعلام ، لشكها في نوايا المراسلين ، وعدم معرفتها بأسماء المراسلين ومواقفهم الفكرية،أما كبار المسؤولين فانهم لا يوفرون فرص اللقاء مع المراسلين . كذلك فان الرقابة في البلاد العربية تخلق المشاكل للصحفيين الأجانب . ويحتاج الأمر منها الى جهد أكبر داخل نظام الاعلام الأمريكي . أما العرب الموجودون في الولايات المتحدة فان صمتهم مسؤول عن تعرض المراسلين المتعاطفين للضغوط الصهيونية ، أو عن عدم بث أخبار عن العرب على الاطلاق فهم لا يتجادلون ، ان خيرا وان شرا مع ما ينشر عنهم،وبصمتهم يؤكدون الغياب العربي وهم لا يحاولون اقامة علاقات مع جاليات الأقلية ، مثل الجاليات الزنجية المتعاطفة ، ولا يدركون أهمية وسائل الاعلام . كما انهم ليس لهم لوبي عربي رغم وجود الرابطة القومية للعرب الامريكيين ورابطة خريجي الجامعات الأمريكية العرب، ومجموعات أخرى صديقة غير عربية لكنها مجموعات ضعيفة نسبيا يستطيعون اقامة جسور تفاهم معها ورأب الصدع الثقافي بين العرب وأميركا . وفي هذا الشأن فان الفلسطينيين أكثر كفاءة في التعامل مع وسائل الاعلام الغربية من خلال مكتب الاعلام الفلسطيني .

دور العرب

هذه السلبيات هي في نفس الوقت مؤشرات الى الطريق الايجابي،فلا بد من خلق منظمة عربية تراقب وسائل الاعلام الأمريكية بدقة كما يفعل اللوبي الصهيوني ، وتراقب التقارير غير المنصفة ، أو غير الدقيقة،وتحتج على أي تصوير كاريكاتيري ، وترد عليه،مما يضع حدا لممارسات رؤساء التحرير والمسؤولين في التليفزيون،حتى يحسبوا حسابا لردود الأفعال هذه .

غير أن الصورة رغم هذا ، قد بدأت تتغير بعد حرب ١٩٧٣ نتيجة للانتصارات العربية ، والحظر البترولي بحيث أصبح ارتباط الأمريكيين بالشرق الأوسط ، وتزايد الاهتمام القومي بالمنطقة ، وخوف الأمريكيين من تورط أمريكا بشكل أكبر في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وتزايد وعيهم بالمخاطر التي تخلقها مواجهتهم مع السوفيت في المنطقة . وقد أدت هذه العوامل الى محاولة تغطية قضايا الشرق الأوسط بدقة وواقعية أكبر وتغطية المشاكل الفلسطينية ومحاولة تصوير العرب على حقيقتهم وتطويرهم لبلادهم وتميزهم الفكري مما جعل المنحازين لاسرائيل والجاليات اليهودية ترى في هذا تحولا مفزعا . كما كان من نتيجة تزايد الاهتمام بالمنطقة تواجد عدد كبير من المراسلين فيها يريدون ابراز وجهة النظر العربية . هكذا بدأت نظرة أكثر واقعية الى العالم العربي وربما أدى أي فوران مقبل الى تغيير الصورة كليا بحيث يحدث تحولا في ادراك الأمريكيين .

دراستان

حول هذا كله يورد المؤلف دراستين ، واحدة

حول التميز في الافتتاحيات الصحفية الأمريكية « هارولدر . بايتي » وعرض للرسوم الكاريكاتيرية السياسية التي تتناول الشرق الأوسط « لجورج د . هامون » .

في الدراسة الأولى يقول بايتي ان هناك ميلا بين رؤساء تحرير الصحف الأمريكية الى انكار نفوذ الجماعات اليهودية والصهيونية على افتتاحيات الصحف الامريكية . وعندما أثار الجنرال جورج براون هذه القضية في ١٩٧٤ ، ثارت عاصفة من النقد ، واعتبر تصريحه معاداة للسامية وأرغم الرئيس فورد الجنرال براون على الاعتذار . المؤكد أن هناك تحيزا في الصحافة الأمريكية الى جانب اسرائيل . يرجع هذا الى كثافة اعداد القراء اليهود خاصة في نيويورك ، والعلاقات العامة التي تقيمها المنظمات اليهودية والصهيونية ، وتلاحم الثقافة المسيحية واليهودية التي تشكل مدركات المحررين ، والمسيحيون الأمريكيون يعتقدون أن انشاء اسرائيل تحقيق لنبوءة توراتية ، كما يرون في اليهود قوما قريبين منهم وفي العرب أغرابا .

وليس أدل على التحيز للصهيونيه في وسائل الاعلام الامريكية من موقف الصحافة حول قرار ادانة الامم المتحدة للصهيونية بصفتها شكلا من أشكال العنصرية في ١٧ اكتوبر ١٩٧٥ ، فقد خرجت الصحف تدين القرار وتصفه بمعاداة السامية ، وتدعو الى اعادة النظر في اشتراك الولايات المتحدة في الامم المتحدة . هذا في حين ان اسرائيل مدانة بالفعل بالتمييز العنصري . فالصهيونية تؤكد ان اليهودية جنسية ، وتعتبر اليهودي من ولد من أم يهودية ، أو اعتنق اليهودية دون أن تكون له عقيدة أخرى هذا التأكيد على ان اليهودية جنسية وشعب وليست مجرد ديانة ، وخلق دولة لهذا الشعب ، والاعتقاد بتفوق اليهود فكريا وخلقيا . وانكار وجود الفلسطينيين ، وعدم السماح لهم بالعودة ، والتمييز بين الاسرائيليين والعرب المقيمين في اسرائيل ـ كل هذا يشكل تمييزا عنصريا .

بل ان بعض اليهود الامريكيين الذين يقفون ضد اسرائيل مثل الحاخام إلمر بيرجر ، والبروفيسور نورتون ميزفينسكي ، والفريد ليليثال ، وادموند هاناور ، يؤمنون بتحيز الصحافة الامريكية لاسرائيل . وظلمها للعرب وسوء تصويرها للصراع العربي الاسرائيلي ، وتصوير العرب في رسوم كاريكاتيرية مسطحة ، خشنه ، قاسية ، هذه الرسوم تعكس بالطبع المشكلة الاساسية في تناول الصحف الامريكية للصراع ، وهي مشكلة الجهل . ولهذا يصور العرب جميعا على انهم يرتدون العباءات والفلسطينيين في ثياب ارهابية بالاسلحة السوفيتية . وهو اتجاه عنصري في حد ذاته . وفي نفس الوقت لايستطيع رسام كاريكاتير ان يرسم صورة انتقادية لاسرائيل .

جهل الامريكيين بالعرب

هذا الجهل ينسحب على المحررين اليهود والامريكيين على حد سواء ـ فالامريكيون يجهلون الكثير عن الشرق الاوسط أو اليهودية أو الصهيونية وكلمة « عربي » تثير في أذهانهم شيخا في الصحراء ، وألف وليلة وليلة ، وجماعة من الفرسان منطلقة في الصحرء . ولهذا فانهم فريسة للمجموعات المنظمة التي يهمها أن تقدم لهم وجهة نظر خاصة . والصهيونية لها مصلحة في عرض الصراع العربي الاسرائيلي بحيث تستميل الامريكين الى التعاطف مع اسرائيل ومع الصهيونية ، غير ان حرب ٧٣ عدلت الموازين بالنسبة للدول العربية والشعب الفلسطيني فقد بدأ استخدام كلمة « فلسطيني » بدقة في افتتاحيات الصحف ، وان كان استخدام « رجال العصابات العرب » و « الارهابيون

لعرب » مازال يتردد هذا الاستخدام غير الدقيق نتج عنه انكار الهوية القومية والفردية لفلسطينيين ودمجهم مع العرب كافة واتهام الحكومات العربية بمسئوليتها عن أعمال الفدائيين . ولما ظل عدم الاعتراف بالفلسطينيين عند مجموعة قومية وطنية شرعية لها تطلعاتها في تقرير المصير ، فسوف تظل النظرة الى العنف الفلسطيني على انه غير شرعي . لهذا ظلت الصحافة الامريكية تصر على الاشارة الى الحركة الوطنية الفلسطينية على انها ارهابية دون اشارة بناءة اليها والى حكوماتها المختلفة .

بل ان الصحافة لاتشير الى الجهود العربية للوصول الى حل مع اسرائيل ، وتصور الغارات الاسرائيلية على الاردن وسوريا ولبنان على انها انتقامية وتستنكر أي قرارات ضد اسرائيل ومعظم هذه الاخبار تقوم بتوزيعها جماعات صهيونية أو يهودية ، أو السفارة الاسرائيلية ، أو الكونجرس اليهودي الامريكي أو جماعة بناي بريث . أو المتحدثون الذين يجتمعون بمكاتب رؤساء التحرير لكي يوفروا لهم مادة عن الصراع في الشرق الاوسط،أو من خلال دعوة الصحفيين لزيارة اسرائيل باسعار مخفضة،وتنضم السينما الى هذه المؤثرات حين تصور الغارة الاسرائيلية على مطار عنتيبي ، أو فيلم « الخروج » الذي يصور بشكل بطولي المحاولات الصهيونية لخلق دولة اسرائيل.كل هذا يشكل تأثيرا على الرأي العام الامريكي مع اسرائيل ، وضد العرب الذين لا يحظون بمثل هذه الدعاية . وبهذا تفشل وسائل الاعلام في توجيه الشعب الامريكي حول قضية ملحة من قضايا السياسة الخارجية حين تشوه الحقائق .

.. حتى الرسوم الكاريكاتيرية

أما "جورج د . هامون" في مقاله « عرض للرسوم الكاريكاتيرية السياسية التي تتناول الشرق الاوسط » فانه يستعرض هذه الرسوم خلال اربع فترات في صراع الشرق الاوسط : مايو يونيه ٤٨ ، نوفمبر - ديسمبر ٥٦ . يونيه - يوليو ٦٧ ، اكتوبر - نوفمبر ٧٣ ويصل الى ان هذه الرسومات تتلخص في رسوم اشخاص يمثلون الحرب ، او تهاجم زعيما عربيا - غالبا ما يكون عبدالناصر - او تحاول تنميط العرب ، او عرض رسومات ضد العرب وفي صف اسرائيل ، من خلال شخصيات غير عربية مثل أوثانت لانه وجه اللوم الى اسرائيل . كما انه يصل الى نتيجة ان غياب الرسومات ضد اسرائيل تدل على التحيز لصالحها ويدل هذا على جهل اصحاب الرسوم الكاريكاتيرية لتطور الاحداث ولنوايا اسرائيل،ولعل هذا يبدو اكثر وضوحا في الرسومات التي تربط بين شخصيات او مؤسسات عربية وبين النازية ، مما يثير استجابة فورية لدى القارىء الامريكي فالعرب يصورون على انهم المعتدون . المتخلفون ، ولا يريدون السلام ، دون اية اشارة الى ارهاب اسرائيل ، او اعتداءاتها ، او قوتها العسكرية التي يدعمها الغرب ، حتى في ١٩٥٦ حين كان من الواضح انها هي المعتدية .

ولهذا نجد الرسم الذي يصور اسرائيليا يروي اشجارا نضره في حين يجلس اعرابي حافي القدمين على صخرة وسط قفر ممسكا بعظمة ، او عربيا بشارب اسود ولحية وانف معقوف وعباءة فضفاضة وغترة (كوفية) وعقال يمشي حافيا بهدف النيل منه وتحقيره.

اما رسوم اليهود فانها تقدمهم بثياب غربية وملامح غربية،والهدف الواضح هو اثارة تعاطف الامريكيين . ونرجع هذا الى ان الجماعات المنحازة لاسرائيل كانت تحاول دائما نسف اي هجوم على جوهر التركيبة الاسرائيلية ويدل هذا على سلبية الجالية العربية الامريكية ، وترددها في تحديد صورة العرب كما يظهر في الصحف ، والسينما والمجلات الهزلية ، والكتب المدرسية

ولابد من قيامها بجهد مركز حتى تتجه الافتتاحيات الصحفية الى تناول جوهر مشكلة الشرق الاوسط ، والى عرض وجهة نظر متوازنة فيما يتعلق بالمشكلة العربية ـ الاسرائيلية ، او العربية ـ الامريكية .

الجزء الثاني

بعد الاتفاقية المصرية الاسرائيلية ، وتغير العلاقات العربية المصرية والثورة الايرانية ، والحرب العراقية ـ الايرانية وحرب لبنان تدفقت الانباء وتعددت الافلام الوثائقية ، والابحاث والروايات عن المنطقة . وادى هذا الى تناول متزن اكثر اعتدالا للمنطقة ، واقل ميلا الى التشويه والتحيز ، والى تصحيح صورة العرب بل وصل الامر الى حد رفض نشر وبث اعلانات ورسوم كاريكاتيرية تعرض بالعرب ، او تسيء اليهم .

لكن مقابل كل اعلان او برنامج رفض ظهر واحد آخر ينال منهم فظهرت برامج تسلية من مسلسلات المغامرات . والمسلسلات البوليسية والكوميديات وعروض الاطفال تعرض صورا سلبية للعرب ، فأثناء ازمة اواكس السعودية ظهرت كاريكاتيرات تسخر من جهل العرب وسذاجتهم وحبهم للمظاهر والماديات،واثناء الهجوم على الثورة الايرانية ظهر اتجاه الى ربط العرب بالايرانيين كمبرر للهجوم على الاسلام والمسلمين ، والثقافة العربية ، والعقل العربي . كما ظهرت كتب تصور ميل الشخصية العربية الى الخيال والتطرف ، والانشغال بالشرف وعدم الاهتمام بالزمن ، والقدرية والعنف ونقص القدرة الابداعية ، والميل الى السيطرة .

وعلى الرغم من ان اسرائيل لا علاقة لها بهذا الا ان الدعاية لوجهة النظر الاسرائيلية اكدت تفسير اسرائيل للحرب بشكل يشوه صورة العرب ، كما حدث في مقال حاييم هرتزوج الذي تنبأ فيه بتزايد نفوذ السوفيت في المنطقة وانحى فيه باللائمة على الغرب لانشغاله بالصراع العربي الاسرائيلي،وعدم توجيه اهتمامه الى القضايا الرئيسية الاخرى التي تهدد السلام في الشرق الاوسط،كما اكد عدم استقرار العالم العربي وان اسرائيل هي صخرة الاستقرار في المنطقة . ولم تكن هناك اية اشارة الى توتر العلاقات السوفيتية ـ العراقية قبل الحرب مباشرة ، ولا الى قلة شحنات الاسلحة السوفيتية الى العراق . بل ان تزويد اسرائيل لايران بالسلاح وهي التي اذلت امريكا في ازمة الرهائن صور على انه تحرك بارع » وعلى انه خدمة لامريكا بعد ان يزول الخميني ويتولى الجيش الايراني الامور . بل وصورت الحرب على انها دليل على انعدام المنطق الغربي في الشرق الاوسط وذلك لتوسيع الفجوة بين الشرق والغرب .

كذلك كانت حرب لبنان ١٩٨٢ مناسبة لتصوير الصراع على انه صراع بين اليمين المسيحي واليسار الاسلامي . بدأ هذا الاتجاه في اسرائيل وتلقفته وسائل الاعلام الامريكية.لم يكن الهدف مجرد تسطيح الصراع بل اثارة شبح الحروب الصليبية . وقد اسقط هذا الطرح الكثير من الحقائق : ان المسيحيين ليسوا كلهم يمينيين ، ان اليسار الاسلامي كان مزيجا من العناصر الشيوعية والقومية والاصولية وغيرها ، ان الكثير من المسلمين كانوا اما سلبيين او معارضين للحركة الوطنية،وسط هذا اغفل دور القوى الخارجية المشتبكة في الصراع .
ولم يفسر هذا الصراع داخل اطار مشكلة الشرق الاوسط ، وجعل لبنان حلبة للصراعات الخارجية واغفل اساسا دور اسرائيل .

مأساة لبنان

غير ان احتلال اسرائيل لبيروت الغربية ادى الى توازن اكبر في تغطية قضايا الشرق الاوسط ، فالسرعة التي تغيرت بها نغمة نجاح الهجوم الاسرائيلي وكفاءة الاسلحة الامريكية ، الى

تصوير الدمار الذي احدثته هذه الاسلحة ادت الى تغطية مستوى الاصابات المدنية ، ومعاناة اللاجئين ، وتدمير اهداف غير عسكرية مما أدى الى تغير الاعتزاز بالاسلحة الامريكية الى تقزز . هكذا ظهرت افلام للقصف الاسرائيلي لاحياء مدينة بيروت . وظروف الحياة بعد قطع المياه والكهرباء والاغذية .

كذلك كانت مذبحة صبرا وشاتيلا صدمة للكثيرين من مؤيدي اسرائيل ومن الصحفيين الامريكيين اليهود . فبدأ الشك في صورة اسرائيل البلد الضعيف المحاط باعداء اقوياء . وادى هذا الى اعادة تقييم لخلفيات اسرائيل وممارستها للقوة والعنف حتى وصف بيجن بالارهابي واريل شارون بالتوسعي الاسرائيلي المتعصب وثارت تساؤلات حول تأثير السياسة الاسرائيلية على المصالح الامريكية ، وحق عودة الفلسطينيين الى وطنهم ، وضرورة قطع المساعدات الامريكية عن اسرائيل حتى تؤكد رغبتها في ترك الضفة الغربية وغزة لحكم فلسطيني غير عسكري . كما تساءل الكثير حول امن اسرائيل وتحقيقه من خلال قتل الابرياء وقد كان من نتيجة هذا احلال شولتز محل هيج مما اتاح الفرصة لموقف اكثر اعتدالا . كذلك فان المعاناة الانسانية التي نتجت عن الحرب ادت الى التزام الادارة الامريكية والصحافة بحق الفلسطينيين في وطن . غير ان هناك شكا في ان يستمر هذا التطور في انصاف العرب . فتأييد الكونجرس لاسرائيل في زيادة المنح والهبات ، برغم وقوف اسرائيل ضد السياسة الامريكية في الشرق الاوسط يوحي بان هذا الاتجاه لن يستمر .

وقد كان من بين اسباب هذا التحول اهتمام الحكومات العربية بتوفير المعلومات الدقيقة للصحفيين ، ونشاط الهيئات العربية والمنظمات الامريكية العربية في محاربة تنميط العرب وتحسين العلاقات العربية الامريكية ، وقيام الجمعيات النسائية العربية بزيارة المدن الامريكية لتعويض النقص في تغطية الاخبار وشرح وجهة النظر العربية .

كانت تلك هي الصورة كما يطرحها المؤلف من خلال استعراض موقف مختلف وسائل الاعلام . وهي صورة لايختلف حولها الكثيرون ممن قاموا بدراسات من الامريكيين أنفسهم حول العلاقة بين وسائل الاعلام وسياسة الولايات المتحده أو حول الخرافات التي تنشرها هذه الوسائل عن الشرق الاوسط أو حول تأثير الاساليب الصهيونيه في تشويه صورة العرب وحقائق الصراع العربي ـ الاسرائيلي وأثر ذلك كله على الصورة التي يرسمها المتلقى الامريكي في ذهنه عن العرب وحقائق المنطقة .

غير ان الامر يمتد فيما وراء كل وسائل الاعلام الى الوسائل الثقافية الاخرى مثل الافلام السينمائية ، والكتب الدراسية ، والروايات ، والكتاب الذي بين أيدينا يضم دراسات . . بأقلام أمريكية وعربية حول الصورة العربية في هذه الوسائل .

في الروايات

وحول صورة الشرق العربي في الرواية يقول جانيس ج . تيري إن مؤيدي اسرائيل ادركوا مدى تأثير الرواية الجماهيريه كوسيلة لدعم التعاطف مع اسرائيل مثلما فعل ليون يوريس في رواية « الخروج » التي تصور الكفاح في سبيل تأسيس دولة اسرائيل وهذا مثل صارخ على قدرة الرواية على التأثير . فقد كان للصيغة الدرامية قوة الواقع في التأثير على الرأي العام .

وفي المقابل فان تصوير العرب والمسلمين ووصفهم بالتخلف ، والجشع والشهوانية ، والشر ، وانعدام الانسانية ، انما يجعل منهم كبش فداء مريح في الرواية المعاصرة التي تتناول موضوعات مستقاة من الشرق الاوسط .

ورواية سول بيلو « الى القدس » مثال واضح على ذلك . فهي رواية تفترض تفوق الثقافة

الاوروبية والاسرائيلية على الثقافة العربية ، وترفض فكرة ان اسرائيل دولة عنصرية ، استعمارية توسعية ، ولاتلتفت الى التجانس الديني في المنطقة ، والتسامح التاريخي الاسلامي ، بل تقلل من شأن الاسلام ، كما توجه اللوم للعرب وحلفائهم السوفيت بسبب تصعيد العنف في المنطقة ، هذا دون أي تشكك في صحة الصورة النمطية التي ترتسم في الاذهان عن العرب مما يدل على سلبية الموقف الغربي من العالم العربي .

مثل هذه الروايات تنقسم الى ثلاثة انواع : قصص المغامرات ، وروايات الجاسوسية ، أو الروايات التي تدور حول النفط العربي .

في روايات المغامرات تتم المواجهة عادة بين قوى الخير وقوى الشر وهكذا تصور رواية أندرو شوجار « الفدائيون الاسرائيليون » انتصار البطل على عقبات هائلة ، وتظهر الاسرائيليين على انهم شجعان نبلاء والعرب جبناء همجيون . وكذلك تعرض « الدورية الاردنية » ، التي كتبها ايكال ليف ، العرب بوصفهم قوى خارجية أجنبية تميل للعدوان ، في حين يميل الاسرائيليون الى حب السلام .

أما روايات الجاسوسية فانها تتناول الصراع في الشرق الاوسط على خلفية دولية ، وتصور العرب أشرارا ، والاسرائيليين أبرياء . هذا هو الخط الذي نلمسه في روايه باري شيف « الهدف الفاتيكاني » ، « والجهاد » لايسر هاري ، و « خطة الموساد » للينارد هاريس ، « وخمسين » لمناحم بريجاني و « صلاح الدين ! » لأندرو أوزموند ، و « العنقاء » لايلي لاندو وأموس أريكا . وليس من الغريب أن يبدو العرب ، والروس في مثل هذه الروايات اشرارا والاسرائيليون متفوقين .

أما النوع الثالث : « حافة الهاوية » لبنيامين وهربرت ستاين ، والدببة الفضية « والبليون دولار » لبول اردمان ، فهو يتناول الاستثمارات المالية الدولية ، ومقاطعة اسرائيل ، وزيادة النفط ، ومايصاحبها من تضخم . والهدف الاساسي من هذا كله احداث تأثير بأن العالم العربي الاسلامي انما يشن حربا اقتصادية شاملة ضد الغرب المسيحي .

والكتب المدرسية

وهناك من الكتب المدرسية الخاصة بالدراسات الاجتماعية والثقافية مايحمل من المعلومات أشياء تترك تأثيرا دائما على الطفل ، خاصة وأنه يكتسبها في سن مبكر . في هذا الصدد يلعب الكتاب المدرسي ، دورا خطيرا خاصة اذا وجدت فروق ثقافية أو عرقية أو دينية .

وكتب الدراسات الاجتماعية الامريكية تتضمن العديد من البيانات المضللة أو غير الدقيقة ، أو الناقصة ، أو القديمة عن العرب مما يولد افكارا خاطئة عنهم،فالكثير من هذه الكتب لاتزال تؤكد حياة البدو الرحل في العالم العربي ، وتخلف الحياة في المدن والقرى ، ووسائل الزراعة البدائية بل امتد التشويه في هذه الدراسات الى القضية الفلسطينية والتعليم والقومية العربية .

وربما لم يتعرض موضوع يمس صميم الحياة العربية للتشوية مثلما تعرض الاسلام ، فعلى الرغم من ان الكتب المدرسية تشرح الاركان الاساسية للاسلام وحياة الرسول الكريم بدقة ، الا ان التناول يظل مختصرا بحيث يستبعد الكثير من الجوانب الاساسية للاسلام ، كما يستبعد نقاطا حيوية مثل الاسهام الاسلامي في حضارة العالم في مجال الرياضيات والجبر والفلسفة والطب والكيمياء .

وهي كتب لاتتوخى الدقة في التعريف بعدد المسلمين . فهي تقدر المسلمين بعدد يصل مابين ٤٥٠ ـ ٥٠٠ مليون ، أي بثمن تعداد العالم .

ورغم التأكيد على أن الاسلام هو ثاني أوسع الديانات انتشارا في العالم ، الا انه يغفل الرقم الحقيقي الذي يصل الى ٧٠٠ مليون .

وعند عرضه شخصية الدين الاسلامي تؤكد هذه الكتب على أن الاسلام يتسم بنزعة الى الحرب والقتال ، لكي تساعد على استمرار سوء تصور رسالة الاسلام الحقيقية . فغالبا ما تربط هذه الكتب بين هذا الجانب وبين فكرة « الجهاد » لتبرز فرقا بين الاسلام والمسيحية في هذا الخصوص وهكذا تربط بين الاسلام والعنف والحرب في ذهن الطالب ، وتغفل تسامح الاسلام مع أهل الكتاب ، ونصح الرسول والخلفاء لقادة الجيوش العربية بعدم ايذاء النساء والاطفال والعجائز ، وعدم قتل الحيوانات أو قطع الثمار عن الاشجار .

غير انه بعد ١٩٧٥ ظهر تقدم ملحوظ فيما يتعلق بنقطتين احداهما تسمية الدين . فبعد ان كان الاسلام يشار اليه بـ « المحمدية » بدأ استخدام كلمة « الاسلام » لوصف دين المسلمين . أي انه بدلا من ربط الدين بشخص الرسول الكريم بدأ التأكيد بأنه لم يكن الا رسولا بعث برسالة . أما النقطة الاخرى فهي الحروب الصليبية . فقد بدأت الكتب ترجع أسباب الحروب الصليبية الى الاتراك السلاجقة الذين هاجموا الاماكن المسيحية المقدسة في ١٠٧١ ونهبوها ، وحالوا دون وصول الحجاج المسيحيين اليها ، وفرضوا الضرائب والمكوس . لكنها تعفي الحكام المسلمين من هذا وتصفهم بالتسامح مع الأديان الاخرى .

في الكثير من هذا كانت الكتب المدرسية تحمل معلومات مضللة عن الاسلام ، وبهذا أسهمت في خلق صورة سيئة للاسلام . ويظل الفرد الامريكي في حاجة الى معلومات اكثر دقة والى مجموعات ضغط تحت مجالس التعليم ولجانها على استخدام كتب اكثر دقة ، والى اقامة حلقات بحث للمدرسين وتوفير متحدثين عن الاسلام .

صورة العرب

ثم ماذا ؟ ان مثل هذا الدراسات واللقاءات التي اجراها المؤلف ، قد أوصلته الى نتيجة وهي أن المشكلة تتجاوز قدرة العرب على عرض قضيتهم بكفاءة وعلى التحكم في تصوير وسائل الاعلام لهم . فالحقيقة التي تتبلور في النهاية ان صورة العرب انما تعكس الواقع العربي . فالانقسامات العربية أدت الى ضعف الامة العربية ، وانعكست على تصوير مواقفهم . كذلك فان الاهتمام بالحقوق الانسانية في العالم العربي ينعكس بنفس القدر على صورتهم . وربما كانت جهود البلدان العربية نحو التحديث بسرعة فائقة يصاحبها فورانات . وصراعات عربية داخلية ، وغياب المؤسسات الدستورية لكن هذه السلبيات تركت أثرها على تغطية وسائل الاعلام لوجهة النظر العربية .

كذلك فقد فشل العرب في استغلال امكانياتهم الاقتصادية لتحقيق اهدافهم . فالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط تمر كثيرا دون عقاب وأمريكا تحصل من العرب على ما تريده من انتاج مرتفع من النفط ، وممارسة ضغوط عليهم لتخفيض الاسعار ، وحماية الدولار الامريكي من خلال الاستثمارات العربية الدولارية ، وزيادة صادراتها التجارية اليهم مما يخلق مئات الالاف من فرص العمل في امريكا، ولهذا فان أي ضغط اقتصادي عربي على امريكا من شأنه ان يحقق نتائج ايجابية في موقفها من العرب .

ان معالجة مثل هذه السلبيات من شأنه ان يدفع التغير الطفيف الذي حدث لصالح العرب نحو مزيد من الفهم من جانب الامريكيين لحضارة المنطقة وتاريخها وأهميتها الحيوية وتراثها الثقافي والحضاري ، ونحو تعزيز علاقات مثمرة متكافئة بين الطرفين تخدم المصالح العربية . ☐

من مكتبة العربي

الشيخوخة والصحة

المؤلف : د . يوسف الكيلاني

الناشر : ذات السلاسل ـ الكويت

سنة النشر : ١٩٨٣ م .

يدرس هذا الكتاب مجموعة من الموضوعات التي تتعلق بـالمسنـين وصحتـهم ، والتغيـرات التي تحـدث في أجسامهم ، والأمـراض التي يمكن ان يعـانـوا منهـا ، والمشكلات الاجتماعية التي يمكن ان تواجههم .

ويفصل المؤلف في ايراد الأمراض المتعلقة بكل جهاز من اجهـزة جسم المسن ، كـأمـراض الـدم ، والجهـاز الهضمي ، والقلب والشرايين والـرئة والجهـاز العصبي وغيرها .

ويورد بعض العلاجات الطبية الخاصة بكل مرض من الامراض ، ويورد ايضا وسائل التأهيل التي تمكن المسن من تخفيف أقصى درجات النشاط والحيوية ، وذلك لكي يستطيع ان يعيش ويمارس حياة اكثر اعتمادا على النفس والتدريب على مواجهة الصعاب والتغلب عليها .

الطاقة النووية العربية عامل بقاء جديد

المؤلف : د . عدنان مصطفى

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣

* يجمع الكثير من المصادر على ان نضوب مصادر النفط والغاز قد يتحقق في العقد الثاني من القرن القادم ، اذا ما استمر هذا الهدر والاستنزاف لهذه الموارد .

لذلك فان بحوثا ومحاولات اكتشاف عدة لا تزال قائمة لايجاد بدائل ، أو على الأصح مصادر أخرى موازيـة او مساعدة للطاقة الأساسية المعتمدة الآن .

ومن تلك المصادر الطاقة النووية . فما نصيب الوطن العربي من هذه الطاقة ؟

يجيب المؤلف : لقد بذلت بعض الاقطار العربية جهودا متميزة في استكشاف اليورانيوم ، وكانت نتائجها تحديد شذوذات مثيرة في الجزائر والمغرب والصومال .

لكن هل الطاقة النوويـة محددة بـاليورانيـوم الطبيعي فقط ؟

يجيب المؤلف بـأن هنـاك مصـادر أخرى ، أهمهـا الفوسفات . . فما نصيب الوطن العربي من ذلك ؟

يجيب المؤلف : تحتـوي معظم مـواصفات الفـوسفات البحرية على اليورانيوم بنسب تتراوح بين الـ ٦٠ و ٢٠٠ جزء في المليون ، ووفقا لامكانيات الفوسفـات البحري العربية المؤكدة ، فان الـوطن العربي يمتلك فعـلا ترابـة « ٥,٢ مليون طن » من اليورانيوم المشارك للفوسفات ، أي مـا يعادل ٣٦ بـالمائـة من مجمل اليـورانيوم المشـارك للفوسفات على الصعيد الـدولي وتتركـز هذه الـطاقة في المغرب وتونس والأردن .

الدكتور عدنان مصطفى

الا أن هذه الطاقة كغيرها من الطاقات ، تحتاج الى تضافر الجهود على الصعيد القومي ، لتمويل استغلالها وتحويلها الى طاقة منتجة تفيد المواطن العربي في حياته اليومية .

شعر الارض المحتلة في الستينات ـ دراسة في المضامين .

الدارس : د . عبد الرحمن ياغي .
الناشر : شركة كاظمة ـ الكويت .

كان لصدور كتاب غسان كنفاني عن الشعراء والأدباء في الأرض المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ في بداية الستينات دوره الكبير في« الكشف » عن حركة ادبية ناشطة ، تمتاز بقوة المقارعة لدولة الاحتلال الصهيوني وقوانينها في الرقابة والمصادرة والاعتقال ، وتخوض نضالاتها وتحدياتها بكل جسارة وصمود .

ومنذ أن تم ذلك« الكشف » ، ومنذ ان انطلقت الثورة الفلسطينية لخوض كفاحها المسلح في منتصف الستينات ووقوع هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ ، فان النتاج الأدبي في الارض المحتلة أصبح شغل دور النشر العربية والصحافة وأجهزة الاعلام الشاغل . نتيجة عدة أسباب ولتحقيق عدة نتائج ليس هذا العرض المبتسر هو مجال ذكرها .

والكتاب الذي نحن بصدده درس مضامين خمسة دواوين لمحمود درويش وأربعة دواوين لسميح القاسم ، ومجموعة قصائد لتوفيق زياد مكتوبة كلها في الستينات .

وميزة الشعر الذي درسه الباحث ـ أوجزها توفيق زياد في مجلة الجديد الصادرة سنة ١٩٦٦ في الارض المحتلة .

« ان شعر القضية المستقلة لشعبنا العربي الفلسطيني أو ما اصطلح على تسميته بشعر العودة ، الذي كتبه شعراؤنا الثوريون امتاز بأنه لم يكتب من بعيد أي من « الخارج » بل كتب من « قلب البيت » ، كتبوا عن القرى المهدومة وهم يقفون أمام أنقاضها ، ويسمعون الأولاد وهم يفسرون للسياح ان هذه هي ضرائب رومانية ! وعن الأرض المصادرة وهم بين الفلاحين المتظاهرين والمتمردين امام التركتورات ، وعن التراب المتشوق لأصحابه ، وهم يقفون عليه ، وعن عبير البرتقال ، وهم يشمونه . انهم لم يكتبوا « سماعيا » وانما عاشوا ما يكتبونه ، وهذا هو مبعث شقاء وسعادة لا توصفان » وهذا أضاف الى شعرهم نكهة أخرى خاصة يمكن بواسطتها تشخيصه ومعرفة هويته » ص ٦٣ .

استراتيجية الاستعمار والتحرير .

اسم المؤلف : د . جمال حمدان .
الناشر : دار الشروق - بيروت .

يجيب هذا الكتاب على اسئلة مهمة تتعلق بواقع ما آل اليه العالم وما يمكن ان يؤول اليه من خلال الكشف عن المقدمات التي سجلها الانسان ، فمنذ فجر التاريخ وهو يذود عن كيانه وحرياته أمام أنماط من القهر والاستعمار والاستعباد « انطلاقا من القانون العلمي العام المعروف : لكل فعل رد فعل يوازيه في المقدار والاتجاه ، وتوكيدا للنظرية التي اعتمدها الفيلسوف البريطاني توينبي« التحدي والاستجابة » .

ويسجل المؤلف عدة اسئلة يختزلها في مقدمته :
« الصراع الذي يعيشه عالم اليوم . هذا الذي يتمزق بين كتل العقائديات المتناقضة وقوى التحرير الفوارة ، ورواجع الماضي المتربصة ، ما نمطه الاقليمي - ان كان ثمة نمط - وما أصوله التاريخية ؟ وهذه التطورات العميقة التي يشهدها توزيع القوى والأوزان السياسية بين الدول والكتل والقارات ، وهذه الانقلابات الكاملة في الاستراتيجية الكوكبية في ظل العصر النووي . هل هي تحولات أم تحويرات للماضي بدرجة ما ، أم هي طفرات بكر تماما في تاريخ البشرية ؟

الى أين يتجه نمط توزيع القوى السياسية والاستراتيجية في مستقبل سيخلو من الامبراطورية واحتكار القوة والعلم ، وقد تنتشر فيه الاسلحة النووية انتشارالحضارة »والتكنولوجيا الحديثة ذاتها ؟ وما احتمالات المستقبل بالنسبة لسياسة وليدة كعدم الانحياز ، ولقوة جديدة كالعالم الثالث ؟

وقد أجاب المؤلف على هذه الأسئلة وغيرها بأربعمائة وأربعين صفحة من القطع المتوسط .

رحلة فكر وحياة

رجاء غارودي

الكاتب : ابو المجد احمد
الناشر : دار البعث - قسنطينة - الجزائر
سنة النشر : ١٩٨٣م

* المفكر الفرنسي روجيه غارودي اعلن اسلامه سنة ١٩٨٢ . بعد رحلة تنقل بين الديانات والعقائد ، وتسمى برجاء .

عن رحلة التنقل هذه وعن مؤلفات ومواقف الرجل والتفصيلات والاجواء التي كانت تحيط في كل مرحلة من مراحل حياته ، كتب الكاتب هذا الكتاب ، وتابع فيه جل ما طرحه المفكر من طروحات وافكار ومواقف .

والتي كان يصطدم في بعضها مع المؤسسات والقائمين عليها ، مما كان يدفعه الى اعلان اجتهاداته الخاصة ، التي تتناقض معها ، ومن ثم الخروج منها ، الا انه مع ذلك لاينكر بأن الماضي ماضيه . يقول في هذا المجال .

« هذا الماضي هو ماضِيَّ ، ولست اخجل منه ، لأني اذا استطعت ان اتعلم التغيير ، فذلك لانني مررت بهذا الطريق » .

حوار القراء

العقل العربي والعقل الصهيوني

في حديث الشهر من العدد رقم ٣٠٠ نوفمبر ١٩٨٣ أتحفنا الدكتور محمد الرميحي بمقاله شائقة دسمة ضمنها بعض نظراته الى ما يسميه « بالعقل الصهيوني » وآفاقه وطرق فهمه وتحليله .

وكان مما أورده الأستاذ في مقاله الذي اسهب فيه ـ دعوته الى انتهاج طريقة جديدة او اطار جديد للتفكير عند محاولة تحليل العقل الصهيوني للوصول الى فهمه انطلاقا من القول بأن فهم العدو خطوة أولى في مسيرة مواجهته . .

ولعلني لا أمتدح الاستاذ اذا قلت انه قد قام بمحاولة صحيحة ، وخطوة واسعة في سبيل نشر مثل هذا النوع من التفكير بين مثقفينا ، في وقت نحن فيه في أمسّ الحاجة الى مثل هذا الطرح ، الا انني لا أقف هنا لأسجل آيات الشكر للاستاذ ، فهو غني عن هذا ، لكن الذي اود قوله هو اننا ـ قبل محاولة فهم هذا « العقل الصهيوني » ـ محتاجون الى ان نلوي اعناقنا قليلا تجاه انفسنا ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » واسمحوا لي ان اضع الحديث الشريف في غير موضعه

الا انني اعتمادا على ان المرء لا يمكن ان يقوم بمحاولة ناجحة لفهم ما حوله في هذا الكون الا بعد ان يتخذ من معرفة نفسه قاعدة راسخة للانطلاق نحو فهم غيره .

انني لست من دعاة التراجع ، ولا ممن يحبون المشاكسات ، غير انني لا ادعي بهتانا عندما اقول اننا معشر العرب والمسلمين « لما نفهم ولما نحاول ان نفهم » انفسنا وعقولنا ، او بالاصح عقلياتنا بعد حتى نتمكن من ايجاد وتحليل العقل الصهيوني .

وفي نفس الوقت ادعو كافة المفكرين والباحثين العرب والمسلمين وما اكثرهم . . الى القيام بمحاولة استطلاع هذا (العقل العربي) وتحديد مداه واتجاهه اذا كان هناك وجود لما يمكن تسميته (بالعقل العربي) الواحد

عبداللطيف عيسى مصطفى

كلية الاقتصاد ـ جامعة قاريونس

الشعوب . . والقوميات

تناول الدكتور محمد أحمد خلف الله ، القومية العربية في مقالته التي جاءت في العدد (٣٠١) من العربي . . وقد ورد في الصفحة ١٢٩ ما يأتي . .

« وأعتقد أن العنصر الأول في بناء القومية هو اللغة » ! !

« ان القومية أولا لها مقومات ، ومن هذه المقومات العنصر والأصل والانتهاء الى « أرومة » والى جنس خاص لشعب من الشعوب ، وعند نشوء الأمم تنشأ لغتها ولذلك يقال لها لغة الأم . . هذا من جهة . .

ان اللغة لم تحدد يوما ما قومية أمة من الأمم ولا القومية العربية ولا غيرها ، مثلا هناك شعوب أفريقية تعرضت للاستعمار الانجليزي والفرنسي ، وفرضت لغتها على بعض هذه الشعوب وأصبحت هي اللغة المتداولة والمحلية ، ولا لغة غيرها ، فهل أصبح هؤلاء فرنسيين أو انجليز ؟ ! ـ من ذلك نرى أنه لايمكن تقسيم هذه الشعوب الى قوميات مختلفة حسب لغاتها كما ذكر الدكتور خلف الله . .

المهندس/ فتحي مطلوب

بغداد ـ العراق

اعداد
يوسف الشهاب

الانسان .. وليد المجتمع

الانسان العربي الواعي .. قبل أن يكون وليد التقنية الحديثة ، يجب أن يكون وليد المجتمع الحر ..

قرأت ما ورد في مقال الدكتور صفاء خلوصي ، في العدد (٢٩٨) من العربي ، حول مقال « عضو هيئة التدريس في الجامعات العربية .. مكانته ومستقبله » ولا شك أن هذا المقال لخص ما تعانيه هيئة التدريس في مجتمعنا ، وهي الهيئة التي يقع على عاتقها تهيئة الانسان العربي لكي يكون قادرا على مواجهة الأخطار المحيطة به ، ولمواكبة التطور والتكنولوجيا الحديثة وتوظيفها في خدمة الانسان العربي ، ولي بعض الملاحظات أود أن أوضحها في سياق هذا المضمون .

أولا .. ان ما يعانيه عضو هيئة التدريس لا ينطبق عليه وحده ، وانما ينطبق على قسم كبير من مجتمعاتنا العربية ، اذ أن المطلوب تطوير القطاعات الأخرى من المجتمع حتى يصل هذا التطوير الى عضو هيئة التدريس في جامعاتنا لكونه أحد أفراد المجتمع ، فالانسان العربي قبل أن يكون وليد التقنية الحديثة المتمثلة في الجامعات الحرة ، كما جاء في مقال الدكتور خلوصي ، فانه يجب أن يكون وليد المجتمع الحر .

أيضا .. تحدث كاتب المقال عن مشكلة الاستنزاف الأكاديمي وهجرة الأدمغة ، واعتقد أن المقال المنشور تحت عنوان « تهجير الأدمغة في العدد (٢٩٧) بقلم الأستاذ محمد خان ، قد أعطى هذه المشكلة حقها ـ ذلك أن السبب الأساسي في هذه المشكلة هو الضغط السياسي الذي يعانيه كثير من العلماء والاختصاصيين في بعض الدول .

عماد عواد ـ يوغسلافيا

تنويه

جاء في رد الأستاذ عثمان سعدي على مقال الدكتور فؤاد زكريا الذي نشر في عدد يناير ١٩٨٤ بعنوان « ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب » خطأ مطبعي عندما أشرنا في مقدمة الرد على أن العدد (٣٠٢) صادر في شهر يناير ١٩٨٣ ، وصحة التاريخ يناير ١٩٨٤ ، وهو الموعد الذي صدر فيه العدد المشار اليه ، لذا اقتضى التنويه .

(تصحيح)

جاء في العدد الممتاز ـ شهر يناير ١٩٨٤ ـ الصفحة ٢٧ تعليق خاطيء على الصورة المنشورة في الصفحة المشار اليها على أنها وليمة افطار ، والواقع الصحيح هو أن دائرة المطبوعات والنشر بما فيها ادارة مجلة العربي انتقلت في عام ١٩٥٨ الى مقرها الذي تم استئجاره من المرحوم الحاج عبد الله العوضي بالقرب من بيته في شارع دسمان ، وبهذه المناسبة أقام الحاج عبد الله وليمة غداء على شرف رئيس الدائرة الشيخ صباح الأحمد وبقية كبار موظفي دائرة المطبوعات ومجلة العربي

حوار القراء

الواقعية .. والخيالية

تظهر علينا بين حين وآخر على صفحات مجلتنا العربي ، مقالات تمزج بين الواقعية في الموضوع الذي يعالجه الكاتب وبين الخيالية التي يمكن ان نجدها في القصص ، سواء اكانت تاريخية ام غير ذلك .. بل اننا نعجز احيانا عن تحديد نوعية المقالة وفي اي باب ندرجها ، هل هي تاريخية ام فلسفية ام سياسية ، وحبذا لو كان الاختيار للمقالات يتم كما ذكرتم في حوار القراء من نفس العدد من انكم تختارون الافضل من المقالات للنشر في العربي

المهندس - حسان نجار - حلب - سوريا

العربـي

نؤكد لصديق المجلة ، اننا لانجيز اي مقالة للنشر الا بعد قراءتها من رئيس التحرير ولجنة القراء .. وذلك يعود الى حرص العربي على تقديم اجود مـا لديهـا من مقالات . . .

العربي - والاكتشافات العلمية

تزوجت في يناير ١٩٥٩م ، أي من عمر مجلتكم الثقافية ، واحتفلنا في الشهر الذي تحتفلون فيه باليوبيل الفضي للعربي (يناير ١٩٨٤) هذه المجلة ذات الثقافة والاشعاع الفكري الذي يصل الى كل مثقف عربي محب للعلوم والاداب والثقافة العامة ، وانا افتخر بأن مجلة العربي هي المجلة الوحيدة التي اتابعها بشكل مستمر خلال سنوات عمرها ، واود في ختام رسالتي ان تعطوا الاكتشافات العلمية التي تتعلق بشئون الفضاء والكون اهتماما اكثر في المجلة لما فيها من فوائد كبيرة للقاريء . .

فدوى ابو النجا - بيروت - لبنان

تحية من حلب الشهباء

تحية لهذه المجلة الكريمة والعاملين فيها ، فقد اتحفتمونا بهذه النافذة الرائعة ، فقد كانت مجلة العربي فعلا من انجح المجلات العربية التي ساهمت وما تزال تساهم في بناء الثقافة لكل مواطن عربي ، فمجلتكم دائما تقدم الجيد المفيد ، ولهذا حق علينا الشكر ، فأنتم وجميع العاملين في هذه المجلة الكريمة ساهمتم في وصول هذا النبع الثقافي الينا فكيف لا نشكركم وأنتم شموع تشتعل لكي تضيء ظلام هذا العالم ، فألف تحية ولكم المحبة على الجهد المشكور .

أهنئكم على هذه المجلة التي تواكب التقدم التقني والعملي وارجو من الله أن يوفقنا جميعا لخدمة الجيل العربي .

محمد مأمون علي
الجمهورية العربية السورية - حلب

تطرف .. والخيال

ي العـدد (٣٠٠) مـن
ـربي ، وفي ركن منـتـدى
ربي » قرأت مقـالين وقفت
دهمـا .. الأول للدكتـور
الـدين فراج . الـذي غـالى
رف في نفي الخيال ، وان كان
ه صحيحا فانه بنسبة قليلة -
لا في الفيـزيـاء . منـذ متى
فت « الذرة » وقد وضع لها
ل وحجم ، وكذلـك كيفية
ان السحـابة الالكتـرونية
ها ، هذا كله من نسج الخيال
نه آت من حقيقة ، أي وجود
ة .

وهنـاك ظاهـرة أخرى يبـدو
ن الدكتور لم ينتبه اليها ، الا
ي تغير وتطور العلوم مما يبرهن
أن الحقائق المعتبرة هي مجرد
ل .. ومثلا هناك حقائق ثابتة
كن لأي عـالم أن يـنفـيهـا
السيتو بـلازم » المـوجـود في
لية ، باعتبار أن أصغر وحدة
نية قـادرة عـلى العيش هي
ية .

أما المقال الثاني - فهو للأستاذ
. الشريـف ، وقد أكد على أن
ع الحقائق التي تصلنا هي خيال
خيـال ، ولاوجـود للحقيقـة
للقا . وهـو هنا يغـالي في
لرف ،

ركي قرمري - المدية - الجزائر

الروضة المتنقلة

الى رئيس تحرير مجلة العربي وأعوانه من محررين وعمال وفنانين اعتادت العربي أن تهدي الينا في رأس كل شهر روضة متنقلة ، أكلها مختلف ، وشذاها عبق ، تغذي العقل وتروض النفس يتسابق اليها الكبار ويزاحمهم عليها الاطفال والصغار . مرجع مهم للدارسين ومرتع خصب للخلين .

الصيدلي : محمد عبد الوهاب أوبري / حلب

○ العربي : كان لتحيتك الرقيقة أجمل الأثر في نفوس أسرة العربي

تبوتب .. في رسالة

قرأت في عدد نوفمبر ١٩٨٣ من العربي موضوعا طريفا عن تبوتب استهله كاتبه بأمنية « وليس بعيدا أن يتفرغ لها يوما من الأيام طلاب هذا القطر أو ذاك من شباب العرب فيقتفوا آثار هذا الأندلسي الأفريقي قبل أن تعفي عليه رمال الايام ».

ويشرفني أن أكون أنا العربي الوحيد الذي تناول هـذا الرجـل بدراسة علمية جادة ، كانت موضوع درجة الماجستير التي حصلت عليها عام ١٩٧٥ من جامعة القـاهرة بعنـوان « حميد المرجبي » تبوتيب « والوجود العربي في الكونغو » ، تناولت فيها الرجل من حيث نشأته وأصله العربي في مسقط ، وثقافته ورحلاته المشوبة بروح المغامرة العربية ، وحب الضرب في المجهول ، ولذة النجاح التي دفعته للتوغل أكثر في قلب القارة العذراء ، مستهينا بالصعب حتى كان أسطورة عـلى لسان الأجـانب من مبشرين ومكتشفـين استعانوا به في حلهم وترحالهم ، فكان عكـازهم في ضعفهم ، وعينا لهم في أسفارهم ، وعونا لهم في كل خوف ألم بهم داخل هذا الجوف الافريقي المجهول .

الهيئة المصرية للكتاب - بولاق - القاهرة
دكتور / يواقيم رزق مرقص

العربي : نرجو أن تبعث لنا بصورة من رسالتك للاطلاع عليها ان امكن .

مارس ١٩٨٤

أسئلة هذه المسابقة بسيطة للغاية .. ولعلها معروفة لأكثر القراء ....
وان لم تكن كذلك فما أسهل الرجوع الى المصادر للعثور على الاجابة الصحيحة عنها ...
وقل مثل ذلك في الردود عليها .. فهي لا تتطلب ديباجة في الرد ... بل لاتحتاج الا الى كلمة واحدة : فاما كلمة « خطأ » أو كلمة « صواب » ..
والمطلوب منك ان تجيب على عشرة أسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة ..

الجائزة الأولى قيمتها ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية قيمتها ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة قيمتها ٢٠ دينارا

٨ جوائز قيمة كل منها عشرة دنانير

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٠٣ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ابريل ١٩٨٤ .

***

١ ـ المنطقة القطبية الجنوبية ، تبلغ مساحتها ضعفي مساحة أستراليا بالتقريب ... خطأ أم صواب ؟
٢ ـ منغوليا .. مسقط رأس جنكيز خان وهولاكو ... احتلت الصين وحكمتها في القرن الثالث عشر ولكنها واقعة تحت الاحتلال الصيني في الوقت الحاضر ...
٣ ـ طارق بن زياد ، فاتح الأندلس الشهير ، لم يحظ بما استحقته انتصاراته من تقدير وتكريم . بـ وعذب وكأنه مجرم من المجرمين ....

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٤ ـ يميزون بين الساعات ، ساعات اليد وغيرها ، تبعا لعدد الاحجار التي تدخل في تركيبها . . . وأحجار الساعات هذه أحجار كريمة . .

٥ ـ الفلورسنت والنيون اسمان لشيء واحد . . .

٦ ـ نقار الخشب لا ينقر الخشب بحثا عن طعام وانما بدافع غريزي ومن أجل تقوية منقاره وزيادة حدته . . . .

٧ ـ الدبور يفرز ورقا كما تفرز النحلة عسلا . . .

٨ ـ الحوت هو أكبر الكائنات على الاطلاق ، الحية منها والمنقرضة سواء بسواء . . . فهو أكبر من أضخم الديناصورات التي عرفها التاريخ بلا استثناء . . .

٩ ـ الوطواط أقرب نسبا الى الحيتان منه الى طير البوم . . . .

١٠ ـ الأخوان رايت ، ولبور وأورفيل رايت ، اشتهرا في تاريخ الطيران بسبب نجاحهما في قطع المحيط الأطلسي طيرانا . . .

١١ ـ امرؤ القيس هو قائل المثل المعروف . . تمخض الجبل فولد فأرا . . . .

١٢ ـ ساعة بيج بن اللندنية الشهيرة . . . سموها بهذا الاسم نظرا لكبرها . . . فلفظ (بيج) يعني (كبير) في اللغة الانجليزية الحديثة ، كما هو معروف ، ولفظ (بن) يعني (ساعة) في اللغة الانجلوسكسونية القديمة . . .

كوبون مسابقة

معركة بلا سلاح
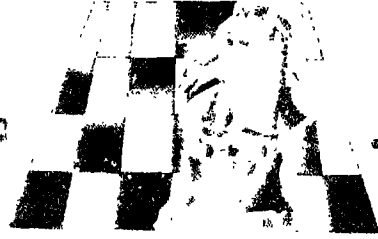
« تَفَقَّدْ قطعك وقطع خصمك عقب كل نقلة،واحرص على تشتيت بيادق خصمك وجمع شمل بيادقك .. ولا تدخل بقطعة من قطعك إلى منزل تضطر الى التقهقر منه دون فائدة » .

الصولي[1]

تصفيات العالم للشطرنج

اخترنا لك في هذا العدد دورا من أهم أدوار التصفيات ما قبل النهائية،لاختيار اللاعبين الذين سيقابلون بطل العالم الحالي للشطرنج أناتولي كاربوف ... وهذا الدور بين اللاعب الفيليبيني « يوجينيو توري » واللاعب المنغاري « زولتان ربلي » (اليكانت ١٩٨٣) .

ويستخدم الابيض « توري » في هذا الدور افتتاحية جامبيت الوزير مركزا هجومه على جناح الوزير في سبيل تفوق تكتيكي بطيء،ولكنه يستغرق في خطته كل الاستغراق،فيفوته ملاحظة الخطر المتزايد الناجم عن تركيز الأسود لقواه حول حصانه المتمركز في وسط الرقعة،والذي مكنه أخيرا من فتح أعمدته والانقضاض على دفاع الأبيض وتحطيمه شر محطم،وانتهى الدور بكش مات بديعة ... وكان هذا الدور فاتحة انتصارات البطل المنغاري على خصمه الأسيوي ... *وانتهت المباراة بينهما بنتيجة ٦ ـ ٤ لصالح البطل المنغاري*

جامبيت الوزير

« يوجينيو توري » (أبيض و « زولتان ربلي » (أسود)

١ ـ ب ـ ٤ و	ح ـ ٣ ف م
٢ ـ ح ـ ٣ ف م	ب ـ ٣ م
٣ ـ ب ـ ٤ ف	ب ـ ٤ و
٤ ـ ف ـ ٥ ح	ب ـ ٣ ر م
٥ ـ ف × ح	و × ف
٦ ـ ح ـ ٣ ف	ب ـ ٣ ف
٧ ـ ب ـ ٣ م	ح ـ ٢ و .
٨ ـ ف ـ ٣ و	و ـ ا و
٩ ـ ت	ف ـ ٢ م
١٠ ـ و ـ ٢ م	ت

الأبيض يعد نفسه لمهاجمة القطع الصغرى،والسيطرة عمود الوزير،وكان يفضل لو لعب :

١٠ . ب ـ ٤ م لمزيد من الانتشار والسيطرة على و الرقعة .

١١ ـ رم ـ ا و	ب ـ ٤ ف م
١٢ ـ ر و ـ ا ح	ب ـ ٣ ر و

(١) هو الأديب الكبير إمام الشطرنجيين العرب أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (المتوفي ٣٣٥هـ) وله عده مؤ . ثمينة في الشطرنج

١٣ - ب - ٤ ح و ح - ٣ ف
١٤ - ب - ٤ ر و ف - ٣ و
١٥ - ر م - ١ ف و ح - ٥ م
١٦ - و - ٢ ف

كان من الأفضل لو لعب :

١٦ . ح - ٥ م ليضع حدا لسيطرة الاسود على وسط الرقعة، ولكن نقلات الابيض التالية تدل على غفلته عما بيّته له الخصم،وعلى انهماكه في التخطيط للسيطرة على الجناح الآخر للرقعة .

١٦ - .... ف - ٢ و
١٧ - ب - ٥ ح ر ب × ب
١٨ - ر ب × ب و - ٢ م
١٩ - ب - ٥ ف ف - ١ ح
٢٠ - ب × ب ف × ب ف
٢١ - ح - ٢ م و - ٣ ف
٢٢ - ف - ٥ ح ب - ٥ ف ! (مدهشة)
٢٣ - ح × ب ف × ح

وهنا يغتنم الاسود فرصة انشغال الأبيض في النصف الآخر من الرقعة ويكشف عن نواياه بصراحة .

٢٤ - ب × ف و × ب ف
٢٥ - ر - ١ ف ر - ٦ ر ! (رائعة)
٢٦ - ر - ٣ ح ف × ف
٢٧ - ر × ر
أو ٢٧ . ر × ب ر × ح
٢٨ - ف × ر ح - ٧ و
٢٧ - .... ف × ر
٢٨ - م × ف ب - ٤ ح م
٢٩ - ب - ٣ ر ب - ٤ ر
٣٠ - ر - ٢ ر ب - ٥ ح
٣١ - ب × ب ب × ب
٣٢ - ح - ٥ م و - ٧ ر

هجوم ساحق من الأسـود لا قبل لـلأبيض برده،وينتهي الدور بالنهاية البديعة التالية :

٣٣ - ب - ٣ ف و - ٨ ر +
٣٤ - م - ٢ م و × ب +
٣٥ - م - ٣ و ر × ب +
٣٦ - ح × ر و × ح ≠

مسائل شطرنجية

الأبيض يلعب ويكش مات بـ ١٢ نقلة

يبـدو لأول وهلة ان الدور قـائم لأن الابيض لن يسمح لـلأسود بترقية البيـدق إلى الـوزيـر،ولكن بسلسلة من المناورات البديعة يستطيع الأبيض أن يكش مات بـ ١٢ نقلة . . . ولن نحرمك أيها القارىء من متعة العثور على الحل،ونحن بانتظار ردك حتى منتصف الشهر القادم ، فان لم توفق فستجد الحل في عدد شهر مايو ١٩٨٤ مع تمنياتنا لك بالتوفيق . .

- حل المسألة (١٣) يناير ١٩٨٤ :

١ - ب - ٨ ح (و) م × و
٢ - م - ٦ م م - ١ ر
٣ - م - ٧ ف ب - ٣ م
٤ - ف - ٧ ح ≠

الكتاب الثاني ابريل ١٩٨٤

العلم في حياة الإنسان

د. عبدالحليم منتصر

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مارس ١٩٨٤ م

تأليف :

د . محمد أحمد خلف الله

الكتاب الخامس والسبعون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٨٤

١٧٤

مصرع كاسبرهاوزر

تأليف : ديتر فورته

ترجمة وتقديم : د. عبد السلام اسماعيل

مراجعة : د. محمود فهمي حجازي

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :—

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

مجلة

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا .
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) ١٩٧٩
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠ .

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الاول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ، ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

مَـاهـوَ الجَـديـد؟
أفكار ومنـتجَـات أفضـل من TOSHIBA

ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي اس في" GR 333ESV تقدّم لكم اليوم جهاز التبريد المباشر - "دايركت كولنغ سيستم". الذي يؤمّن تجليدًا سريعًا. بمجرد كبس زر التجليد السّريع الموجود على اللوحة تنخفض الحرارة في حجرة التجليد (الفريزر) بسرعة إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصّفر. وهذه الحرارة أقل من الحرارة التي تعطيها حجر التجليد العادية. والنتيجة هي أن الطعام يتجلّد بسرعة وفعالية أكثر. كما تضمن هذه الثلاجة المحافظة على الطعام الطازج، ونكهته وفائدته الغذائية الأصلية.

إن ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي اس في" هي مثال آخر على أفكار Toshiba الخلاّقة في صناعة إنتاج الأجهزة المنزليّة.

وحدة تبريد حجرة التجليد

وحدة تبريد الثلاجة

أنبوب التنظيف

ضاغط

تذويب أوتوماتيكي كامل للثلج
مع جهاز لتصريف الماء

VH-1400
- غسّالة بخضّاض جد يد كبير
- جهاز لاختيار كمّية الماء المناسبة، (دوائر لتوفير الوقت والماء)

VC-1010EJ/810E
- مكنسة كهربائية ١٢٠٠واط ذات قوّة كهربائية عالية
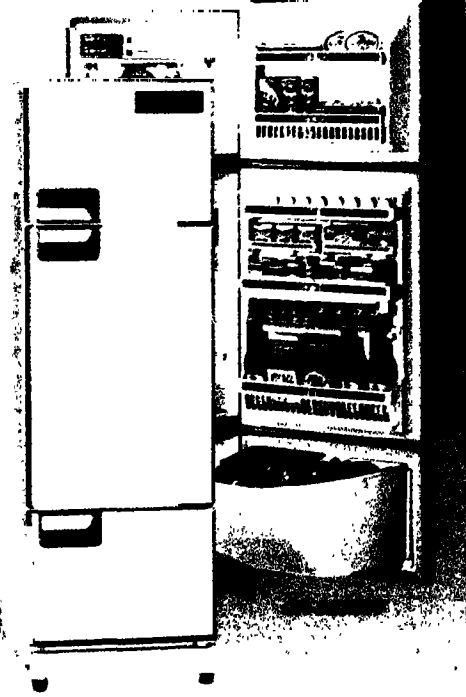
TA-1000AY
- مكواة قويّة الإحتمال

RAC-46JE
- مكيّف هواء بضاغط دائري هادئ الصّوت
- قوّة ١٨٠٠٠ بي تي يو

TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPAN
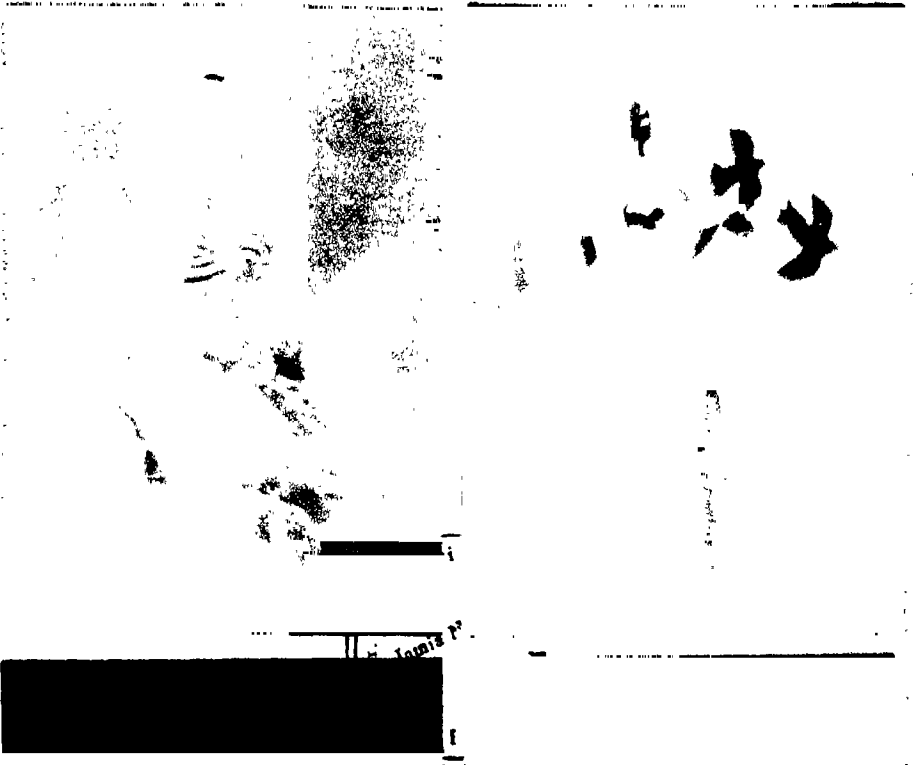
• لوحات للفنان ضياء العزاوي •

• الموضوع داخل العدد •

العربي
جمادى الآخره ١٤٠٤ هـ
(نيسان) ١٩٨٤

NBK. Now in the West End.

رفية يقدمها لك زيارتك القادمة للندن

بنك الكويت الوطني، اقدم واكبر بنك في الكويت، افتتح فرعه الثاني في قلب الوست اند من لندن. هذا الفرع الجديد الذي يقع بمحاذاة شارع اكسفورد على

مقربة من الماربل آرتش افتتح خصيصاً ليساعد الزائرين الكويتيين ويجعل اقامتهم في لندن كاملة، وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية

أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩.٣٠ إلى ٣.٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩.٣٠ حتى ١٢.٣٠ بعد الظهر

- فرع وست اند: ١٨ اورشارد ستريت، لندن W1، مقابل محلات سيلفردجز، تلفون ٦٨١١ ٩٣٥ (٠١)

- لندن - فرع السيتي: ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٩٢٠٠٢٦٢ (٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

The National Bank of Kuwait SAK

بنك تعرفه وتثق به.

مكتب الكويت الرئيسي: ص ب ... غرفة تداول العملات: ...

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمّد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
المكتب الفني ـ وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك ـ باقي دول العالم ٦ د.ك

العدد ٣٠٥
ابريل ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفـاة
ت : ٤٢٧١٤١ - ٤٦٨٢٤٢
برقياً : « العربي » الكويت

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٢٠٠ مليم	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٣٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوربا وايران	أوجنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولاران

AL-ARABI
Issue No . 305 . Apr. 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by :
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

عندما كلفنا الاستاذ الكبير كامل زهيري بكتابة بحث حول دور مجلة العربي في الثقافة العربية الحديثة لم نرد أن نحدد كيف يكتب أو أي طريق يأخذ أو مايمكن أن يأخذه أو يتركه من مجلتك الثقافية .. العربي . وعندما انتهى الباحث أيضا لم نناقشه فيما كتب ، فقد تركنا كل ذلك للندوة الثقافية التي نرجو أن نقدم لك جزءا من وقائعها وبعضا من مناقشاتها اما من خلال العربي أو من خلال كتاب العربي الذي نصدره فصليا .

مانريد أن نقوله لك الآن هو أن الاستاذ كامل زهيري ـ وهو الصحفي العربي الكبير ـ قال في بحثه : (ان مجلة العربي لم يكن يقدر لها أن تولد لتبقى وتستمر لو لم يتوفر لجهازها هذا المثلث الذهبي من حرية وعلاقة حميمة بالقارىء وادراك ذكي للأحداث) .

أما الحرية فيعود اليها كامل زهيري من جديد في ثنايا بحثة فيقول : (ان حرية العربي عنوان حرية الكويت ، وقد أخذت العربي حريتها من حرية الوطن ، وشاع هذا الحماس للحرية بنوع من السماحة الفكرية التي تحفظ استقلالية الكاتب ومكانته الادبية وزهوه بما يكتب) .

الحرية للصحافة والثقافة هي العامل الهام كما يراها كامل زهيري من خلال تجربة شخصية ، وفهم عميق للتجارب العربية كافة ، الحالية والسابقة ... الحرية هي التي تعطي المطبوعة ذلك النبض المتفاعل مع الاحداث .. لكن في المثلث الذهبي أيضا ، ما أسماه كامل زهيري (العلاقة الحميمة بالقارىء) وهنا يأتي دورك عزيزي القارىء العربي أو قارىء العربية في أي مكان كنت ، فنحن نجتهد هنا بكل اخلاص وتفان من أجلك أنت ، وأنت وحدك ، من خلال شعور وطني وقومي عربي يحتضن بأعتزاز أرض العروبة والقيم العربية ، ويصر على فتح آفاق التطور والرقي في المستقبل .

ولكن بدون استجابتك وقولك لنا ما تحب أن تراه في مجلتك ومالايعجبك فيها .. بدون هذه الاستجابة تظل اجتهاداتنا محدوده ، وافكارنا بحاجة الى مرآة عاكسة .

المحرر
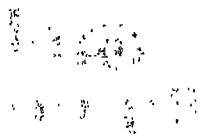
◆ رحلة كفاح ◆

فى ظل الاستعمار الذى جثم طويلا على صدر الأمة العربية كان قيام (مدرسة) أى مدرسة ، حدثا .. وكان قيام جامعة ثورة .. وقامت أول هذه الثورات فى مصر .. وهذه قصتها نعود اليها منذ بدايتها ونتذكر أحداثها بمناسبة احتفال العرب بمرور ٧٥ سنة على مولدها (اقرأ ص ١٤٢)

◆ ١٩٨٤ الأخ .. والنبوءة والكاتب ◆

حديث النقاد عن رواية قديمة ولكنها تحمل عنوانا حديثا .. عنوان العام الذى نعيشه . الرواية صدرت عام ١٩٤٨ للكاتب الراحل جورج أورويل .. كتبها ورحل بعد عامين من صدورها .. إنها تصور الحياة كما رآها فى خياله منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما .. صورة مخيفة لما يمكن أن يكون عليه العالم تحت سلطان الأخ الاكبر كيف ؟ (اقرأ ص ٢٨)

◆ الكومبيوتر يقرع أبواب المدارس ◆

دخل الكومبيوتر المدرسة ، وبدأت دول كثيرة فى استخدام الحاسب الالكترونى فى التدريس ، واعتمدت دول أخرى استخدامات الكومبيوتر المختلفة كمقررات فى مناهج التدريس ، واستعانت المدارس فى سبيل ذلك بخبرة الجامعات والمراكز الصناعية المتقدمة . ان الكومبيوتر يقتحم المستقبل ويفرض وجوده فى حياتنا (اقرأ ص ٦٨)

EUTSCHE ORIENTALISTIK
am Beispiel Tübingens

HORST ERDMANN VERLAG

◆ الدراسات الشرقية فى الجامعات الألمانية ◆

فى ألمانيا الاتحادية أكثر من ست عشرة جامعة فى كل منها قسم للدراسات الشرقية ، وتعتبر جامعة توبنجن من أقدم الجامعات التى اهتمت بالدراسات الشرقية منذ أكثر من خمسمائة عام ، وفى هذا الكتاب الذى شارك فى تأليفه مجموعة من الباحثين الألمان ، نستطيع أن نلمس مدى الاهتمام اليوم بالكتاب العرب والثقافة العربية فى ألمانيا (اقرأ ص ١٧٤)

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة وإسلام

منتدى العربي

طب وعلوم

آداب وفنون

تاريخ وشخصيات

تربية وعلم نفس

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

قضية اليونسكو .. والحدود الفاصلة

من الآن وحتى نهاية العام الميلادي الذي نحن فيه ، سوف تتصاعد قضية ثقافية عالمية وتحظى تدريجيا باهتمام جمهور المثقفين ، وكذلك الحكومات في العالم الثالث وفي العالم المتقدم على السواء ، والقضية هي ما عزمت عليه الولايات المتحدة من الانسحاب النهائي من المنظمة العالمية للتعليم والعلوم والثقافة ، والمعروفة باختصار (باليونسكو) . فقد قدمت الولايات المتحدة في آخر العام الماضي وثيقة رسمية مكتوبة للمسئولين في المنظمة تخطرهم فيها ، كما ينص قانونها الداخلي بالانسحاب آخر العام الحالي ١٩٨٤ .

واذا كان الموضوع مهما بالنسبة للمجتمع الدولي ، وأكثر أهمية بالنسبة لدول العالم الثالث على العموم ، فانه أشد أهمية بالنسبة لنا نحن العرب ، إذ أن الأمر يعنينا من كل جوانبه ، وبصفة خاصة جانب الصراع الثقافي مع الصهيونية العالمية .

ولكن قبل الدخول في التفاصيل ، لابد أن نعرف شيئا عن الموضوع وأبعاده المختلفة ، حتى نتبين خطورة الأمر وعمقه وتشعبه ، وربما من خلال التعرف على المنظمة التي قررت الولايات المتحدة أن تنسلخ عنها .. ما هي ؟ وما دورها ؟ وماذا قدمت للعالم ؟

الاقلية .. والأغلبية

واليونسكو أنشئت في عام ١٩٤٦ منبثقة عن الأمم المتحدة ، تستهدف توثيق الاتصال بين الشعوب ، وتشجيع التبادل التعليمي والعلمي ، وفتح المجال لفهم الثقافات العالمية المختلفة ، وتعريف بعضها عن طريق الاتصال والاعلام ، وكذلك

بين الثقافة والسياسة !

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

الاهتمام بحقوق الانسان بعد أن تبنت الأمم المتحدة ميثاق حقوق الانسان المعروف .

أما مؤسساتها فهي ثلاث حلقات رئيسية مكونة من المؤتمر العام ، والممثل من خلال الدول المنضمة اليها ، وكل دولة من الدول الأعضاء لها صوت واحد في هذا المؤتمر ، ثم المجلس الاداري المكون حاليا من ثلاثين عضوا ، وكان في السنوات الأولى لبدء العمل في المنظمة مكوناً من ثمانية عشر عضواً فقط ، وأعضاء هذا المجلس منتخبون من المؤتمر العام بعد ترشيحهم من قبل دولهم ، ثم تأتي الحلقة الأخيرة وهي المدير العام ومعاونوه الاداريون ، الذين يتلخص عملهم في متابعة قرارات المؤتمر العام والمجلس الاداري وتنفيذها .

ويجتمع المؤتمر العام مرة واحدة كل عامين ، ومهمته إقرار الميزانية العامة ، (التي تأتي من مساهمة الدول الأعضاء حسب معايير معينة ، لها علاقة بدخل الدولة وعدد سكانها . . . الخ) .

ومن مهمات المؤتمر أيضا وضع السياسة العامة للبرامج التي تطبقها هذه المنظمة ، ولقد بدأت المنظمة بحوالي أربعة وأربعين عضوا عند انشائها ، وهي اليوم تحتضن ١٦٢ دولة الى جانب دولة الفاتيكان كعضو مراقب ، وثلاثة أعضاء منتسبين ، وأربع منظمات تحرير في كل من آسيا وأفريقيا ولها وضع المراقب أيضا .

وكان من الطبيعي أن تتغير الصورة في المؤتمر العام ، فبعد أن كانت الأغلبية في بداية الانشاء من الدول الغربية بالمقارنة الى القلة القليلة من دول العالم الثالث ، أصبحت هذه الأخيرة بعد موجة التحرر من الاستعمار في الستينيات والسبعينيات تشكل الاغلبية الساحقة ، وبالتالي تحولت البرامج الداخلية والعامة لليونسكو باتجاه خدمة هذه الأغلبية الجديدة .

غبار السياسة !

لقد أخذت اليونسكو ـ في مقرها الجديد الذي انتهى بناؤه في عام ١٩٥٨ في باريس ـ تتوسع في برامجها المباشرة وغير المباشرة ، لتخدم مجالات الثقافة في العالم . وكانت دوما في الأساس منظمة غير سياسية ، الا أن رياح السياسة ـ بمضي الزمن ـ ما لبثت أن عصفت بها . فغبار السياسة في المنظمة الأم ـ الأمم المتحدة ـ ملأ بدوره أروقة اليونسكو في مناسبتين : الأولى عندما انسحبت البرتغال من المنظمة بسبب اشتداد النقد لسياستها في موزمبيق ، وكان ذلك في عام ١٩٧١ ، والمرة الثانية عندما حجبت الولايات المتحدة ربع ما تساهم به في ميزانيـة اليونسكـو في عام ١٩٧٤ احتجاجا على طرد اسرائيل من اليونسكو ، ولكن ما لبثت الحالتان أن سويتا بحلول وسط .

أما اليوم فإن اليونسكو تعيش في مأزق أكثر حرجا وأعمق أثرا ، فهي تواجه الانسحاب الكامل الشامل للولايات المتحدة الامريكية ، أي فقدان عضوية دولة عظمى تساهم بحوالي ربع الميزانية العملية لهذه المنظمة العلمية الثقافية الضخمة .

ماذا حققت اليونسكو ؟

قلت ان الولايات المتحدة تساهم بما يوازي ربع ميزانية اليونسكـو ، التي قدرت للسنتين الحالية والقادمة (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥) بحوالي ٣٧٤ مليون دولار . إلا أن القضية الرئيسية ليست هي الميزانية ، فاليونسكو ليست مؤسسة تمويل خاصة للبرامج الثقافية الكبيرة ، ولكنها تقوم باعداد برامج تتطلب مبالغ ضخمة ، وتجلب بعد ذلك التبرعات من مصادر مختلفة لاستكمال هذه البرامج . فأعمالها إذن حيوية بالنسبة للمجموعات الأربع المكونة منها ، وهي المجموعة الغربية ، والمجموعة الأسيوية والمجموعة الأفريقية ومجموعة دول أمريكا اللاتينية . ومن أعمالها عقد المؤتمرات والندوات وتبادل المعلومات العلمية وتقديم الاستشارات الفنية . وبمرور الـوقت أصبـح لهـا مكـاتب للتعـاون العلمي في مـدن مثـل مـونتفيـديـو MONTEVIDEO عاصمة أوروجواي ، وهي واحدة من أهم مدن أمريكا

الجنوبية التاريخية ، وفي القاهرة ودلهي وجاكرتا وغيرها ، فقد أكملت مابين سنوات ١٩٧٩ حتى ١٩٨٣ أكثر من ألف مشروع علمي وثقافي ، ووفرت من خلال سعيها العالمي لتدبير الأموال حوالي ٤٠٠ مليون دولار لتلك المشاريع .

لقد كان من أعمالها المعروفة في الوطن العربي والاسلامي ودول العالم الثالث مشروعات ثقافية مثل انقاذ معبد (أبو سمبل) في النوبة بمصر وجزيرة فيلة في نهر النيل . ومشروع انقاذ مدينة موهنجو دارو **Mohenjo Daro** في وادي الاندس **Indus** بمقاطعة السند في باكستان ، وهذه ربما تكون أقدم مدينة عرفت حتى الآن في الحضارات القديمة وربما تكون أقدم من حضارة مابين النهرين والحضارة المصرية القديمة ، وكذلك انقاذ المعبد البوذي في البروبودور **BOROBODUR** في جاوة **JAVA** .

أما في مجال التعليم وتدريب المدرسين فقد ساعدت برامج اليونسكو منذ عام ٧٩ حتى ١٩٨٣ على محو أمية ١٥ مليونا في مختلف أنحاء العالم ، وفي سنة ١٩٨٠ فقط ساعدت في تدريب حوالي ٣٠ ألف مدرس ، ويعمل حوالي ٢٠ ألف عالم حول العالم في مشروعات علمية مثل البحث عن المعادن ، وامكانات توفير مصادر جديدة للغذاء ، وتأثير المحيطات على الطقس وحماية البيئة ، وغيرها كثير .

لقد خطت اليونسكو في مجالات عديدة خطوات ايجابية وبناءة لأعضائها واهتمت بمصالح الأغلبية من اعضائها في دول العالم الثالث عن طريق وضع برامج مدروسة لتعديل العلاقات الدولية ، وخاصة في المجال الاقتصادي ، وفي مجال تبادل المعلومات . ومنذ دراسة ماكبرايد الشهيرة (أصوات متعددة وعالم واحد) التي كلفته بها اليونسكو ، اتجهت لمحاولة موازنة تدفق المعلومات أو ما يسمى اليوم بالنظام الاعلامي الجديد .

القضية المطروحة

نتيجة لأن أعمال اليونسكو متشعبة وكثيرة ، وهي بشكل أو بآخر قائمة على الفكر البشري في جميع نوازعه وميادينه ، فلابد - والحال كذلك - أن ترتبط أعمالها بالسياسة أو تصبغ بصبغة سياسية .

وهل السياسة الا ميدان واحد مبسط من ميادين الفكر الانساني ؟ ونتيجة
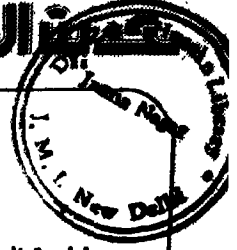
لطبيعة العضوية فيها (ليس شرطا تلقائيا أن يكون عضو الأمم المتحدة عضوا في اليونسكو ، والعكس صحيح) . فقد أصبح لدول العالم الثالث الصوت الأعلى . وكان - بالتالي - طبيعيا أن يتجه المؤتمر العام لتكريس هذه المصالح كما يراها في برامج محددة . فقد كانت اليونسكو طوع بنان المؤسسين ، وأغلبيتهم في سنواتها الأولى من الدول الغربية أو الدول التي تسيطر عليها السياسات والمصالح الغربية . وبتحول الميزان العالمي نتيجة دخول دول عديدة في العالم الثالث الى الساحة الدولية وبناء على تطبيق مقولة (صوت واحد للدولة الواحدة) كان لابد من تغير في المصالح ، فأصبحت معظم الأصوات في اليونسكو - كما هي في الأمم المتحدة - تمثل المصالح الجديدة ، وفي الوقت الذي كان هناك ميزان لضبط هذه الأغلبية في الأمم المتحدة من خلال تقنين أصوات الكبار واعطائهم الثقل الأوفر في مجلس الأمن (العقل المتحكم في قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة) ، لم يكن الأمر كذلك في اليونسكو ، فالأغلبية هي صاحبة الصوت الأعلى والقدرة على الالزام نظريا على الأقل .

من هنا يفسر بعض المراقبين موقف الولايات المتحدة بالانسحاب على أنه موقف سياسي أيديولوجي ، فالقضية المطروحة على بساط البحث في نظر البعض أكبر من قضية انسحاب دولة كبرى من مؤسسة عالمية - على أهميتها - بل هي قضية النظام العالمي الجديد الذي بدأت تباشيره تنبثق وهو يعبر عن أغلبية الشعوب في العالم الثالث التي ترغب في أن ترى نظاما عالميا عادلا في الموارد وفي المعلومات والفرص المتاحة وغير المتاحة ، من بينها - وعلى رأسها - المجال الثقافي .

الا أنه قبل الحكم النهائي لابد من التعرف على وجهة نظر الولايات المتحدة في الخروج من اليونسكو وكيف تبرره بأكبر قدر من الوضوح والدقة من خلال الوثائق المتوفرة .

وجهة نظر الولايات المتحدة

تضع الوثائق المقدمة من الولايات المتحدة والمتاحة قضية الانسحاب من اليونسكو باوسع ما يكون من الوضوح فهي تعترف بان اليونسكو قناة هامة للتعاون الدولي في مجالات التربية والعلوم والثقافة - وذلك في احسن حالاتها - كما تقول الوثائق ، اما في اسوأ الحالات فانها (توجه طاقاتها لمشاريع باهظة التكاليف ومكثفة

سياسيا ، تضر بمصالحنا ، وتنتقد قيمنا ، وتهاجم مبدأ السوق المفتوحة ، وحرية انسياب المعلومات ، وقد فشلت في ادارة نفسها !) .

وتذهب الوثائق التي تبرز وجهة نظر الولايات المتحدة في هذا الامر الى القول : (لقد حاولنا خلال السنوات الثلاث الماضية مساعدة اليونسكو لتخليص نفسها من نغمة المعاداة للغرب ، وعدم رغبتها في الدفاع عن حرية الفكر والتعبير التي على اساسها قامت اليونسكو ، ولقد حاولنا كثيرا من اجل اصلاح الخلل الاداري المكلّف وغير الفعال ولم تستجب اليونسكو !) .

ثم تأتي الوثائق لتحدد مكان الاعتراض اكثر فتقول : (لقد اعتمدت اليونسكو في ميزانية ٨٤ ـ ١٩٨٥ اموالا ضخمة يصرف جزء كبير منها على ما تسميه بالنظام الاعلامي الجديد ، والذي يهدد مباشرة حرية تبادل المعلومات وحرية الصحافة ، كما انها تؤكد الحريات الجماعية بدلا من الحقوق الفردية) وباتجاه نقد برامج محددة تشير الوثائق (من المفروض في حقل التعليم ان تدعو اليونسكو الى محو الامية وتوحيد الدرجات العلمية وتنميطها وكذلك نشر المعلومات وتقديم المساعدات الهامة في مجالات حيوية مثل تدريب المدرسين ، ولكنها توجه برامجها في التعليم اكثر واكثر الى موضوعات مثل السلام ونزع السلاح ، ليس كما هي مُرَادَة شرعا وصدقا من كثير من الناس ـ وفيهم الامريكيون ـ ولكن كما هي موضوعة في الدعاية السوفيتية !) .

وتتجه الوثائق لتصف مجالات العلوم وتنتقدها فتقول : (وفي مجالات العلوم قدمت اليونسكو مساهمات ايجابية ولكن السياسة بدأت تظهر حتى في هذا المجال فهي تقول : « العلوم من اجل السلام والعلوم من اجل نزع السلاح » .

في الوقت الذي تنتقد فيه الوثائق الامريكية برامج اليونسكو كما وضحنا بشيء من الاسهاب سابقا فانها تعترف ان كثيرا من برامجها يجب الحفاظ عليه وتطويره ولكن خارج مؤسسات اليونسكو .

ويسترعي النظر ان المعايير الرئيسية التي تشدد عليها الوثائق الامريكية التي تبرر للعالم انسحابها بعد نهاية ١٩٨٤ من منظمة عالمية كبيرة مثل اليونسكو هي معايير « الجدوى الاقتصادية » ، كما تقول احدى الوثائق : (ان فوائد البقاء عضوا في اليونسكو فوائد قليلة ، ومتراجعة ويمكن استبدالها ، اما التكاليف المالية والسياسية فانها كبيرة ومتعاظمة) .

ووجهات نظر اخرى

ان خروج الولايات المتحدة من اليونسكو ليس امرا هينا وبسيطا فهو مؤشر الى الخلل الذي يمكن ان يصيب المنظمات الدولية ، وبالتالي التعاون الدولي . وان لم تجد دول كبرى طريقا للتفاهم وتبادل المصالح المشروعة دون الانسحاب وقطع المعونات المالية والتفكير بمؤسسات بديلة فان القضية مطروحة سياسيا .

وعلى الرغم من اننا نعرف الآن ان القضية سوف تناقش في المجلس الاداري لليونسكو في الاسبوع الاول من الشهر القادم (مايو) وانها قابلة للاخذ والرد من جديد ، فقد اثار الموضوع مجالا للنقاش بين المهتمين في العالم وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص .

وجهات النظر الاخرى تلك تتراوح بين رفض الفكرة التي تعتبرها بعض الاوساط العلمية الامريكية قد جاءت نتيجة لوجهة نظر المتشددين في الادارة الامريكية الحالية (ادارة ريجن) ، وبين مؤيدين للخطوة في الصحف العامة .

الا ان تقديرنا لما كتب في الصحف الامريكية السيارة ـ وكان بعضه محبذا للانسحاب ـ يقل بعد ان عرفنا من خلال تقرير مطول نشرته صحيفة الجارديان GUARDIAN البريطانية قالت فيه ان مذكرة سرية رفعت لوزير خارجية الولايات المتحدة من وزارته تنصح بان تشن حملة في بعض الصحف الامريكية تهدف الى مساندة الاتجاه الى الانسحاب .

الا ان اكثر وجهات النظر اعتدالا وموضوعية هو ما طرح من خلال المجلات المتخصصة ، مثل اخبار العلم الشهرية الامريكية (يناير ١٩٨٤) تقول المجلة ان معظم العلماء في الولايات المتحدة يكظمون غيظهم من الخطوة الامريكية بالانسحاب من اليونسكو ، فهم يرون ان المداخلات السياسية التي تدعيها وجهة النظر الرسمية لا تؤثر كثيرا في برامج اليونسكو .

ولكنهم يعترفون بالمشكلة الادارية ، وان الاخيرة نابعة من ان اليونسكو ، ارضاء لاعضائها ، قد وزعت ميزانياتها كي ينال منها معظم هذه الدول ، وفي ذلك تقليل من فعالية البرامج العلمية التي تحتاج الى تكثيف في المال ، كي تأتي ثمارها بشكل افضل ، وتذهب وجهات النظر المعارضة لتقول : ان الانسحاب سوف يؤثر على استفادة العلماء الامريكان في مجالات حيوية كدراسة البحار والاجواء ، وان المشكلة لا تعالج بالانسحاب بل بنشاط اكبر لدور الولايات المتحدة .

والموقف العربي

لاشك ان مشروعات اليونسكو ومسرحها كمكان عالمي حيوي لمشاركة الاقطار العربية والدفاع عن حقوقها الثقافية والعلمية ـ تتطلب موقفا موحدا من هذه الاقطار تجاه ما هو مطروح من الازمة ، وكلما كان هذا الموقف موحدا وواضحا لما نريد ، كان اكثر فاعلية .

لقد وقفت بعض المجموعات الاقليمية في اليونسكو بوضوح تجاه الازمة فالمجموعة الافريقية كان لها رأي واضح ، طالبت فيه الولايات المتحدة باعادة دراسة الموقف ، كما ان بعض المؤسسات الثقافية العربية كان لها رأي في الموضوع يدافع عن قرارات المؤتمر العام على انها قرارات ديمقراطية معبرة عن مصالح الاكثرية ، الا ان المطلوب شيء اكبر من ذلك ، واعمق لترسيخ ما بزغ من نظام دولي جديد يؤكد اهمية البرامج التي تتوخاها اليونسكو وبخاصة في مجال النظام الاعلامي الذي اصبح ذا اهمية قصوى في مجال تصحيح الصورة عن تطلعات ومشاكل العالم الثالث ونقلها بامانة .

ونحن العرب يعنينا ذلك كثيرا لنحن قوم مستهدفون من قبل قوى شتى ومصالح كثيرة في ارضنا وامتنا وطموحاتنا .

ان وقائع الحياة السياسية العالمية ليست مثاليات ومبادىء فقط مجردة عن المصالح ، ولقد كانت الوثائق الامريكية التي عرضنا من قبل جزءا منها واضحة كل الوضوح في ربط المصالح بالعمل الثقافي والسياسي .

وفي الوقت الذي يدعو فيه الجميع الولايات المتحدة للنظر الى الموضوع كله واقعيا ، واخراجه من المناورات السياسية وسياسات الضغط ، نتذكر جميعا ماقاله ودرو ولسون رئيس الولايات المتحدة لفترتين ١٩١٣ ـ ١٩٢١ وصاحب المبادىء الاربعة عشر ابان الحرب الأولى : (انه لأمر محفوف بالمخاطر ان تحدد سياسة خارجية لدولة ما في اطار مصالحها المادية .. ان ذلك لأمر مخز !) .

عندما نتذكر ذلك القول ـ ونحن نرى المخاطر التي تربط السياسات الخارجية بالمصالح ـ نتذكر دائما ان المبادىء مازالت هي هي ، ولكن المواقف هي التي اختلفت .

محمد الرميحي

العلاقات الأمريكية الإسرائيلية

بقلم الدكتور/ فضل مصطفى النقيب*

□ هناك علاقات مميزة معروفة بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني منذ أن أقيم هذا الكيان سنة ١٩٤٨ .

الا أن هذه العلاقة كانت تزداد وثوقا في مراحل معينة من حياة هذا الكيان الغريب في أرضنا العربية ، خاصة بعد حرب ١٩٨٢م في لبنان .

فما هي طبيعة تلك المراحل . .؟ ولماذا هذه العلاقة الخاصة والمميزة . .؟ ولماذا يكابر البعض ويتجاهل الواقع والوقائع ؟

لا يوجد تناقض بين زعيمين يؤمنان بعقيدة سياسية واحدة أكبر من ذلك الموجود بين أهم رجلين في تاريخ « اسرائيل » السياسي ـ ديفد بن غوريون ومناحيم بيجين .

الاختلاف بين الرجلين ايدلوجي وسياسي وشخصي . الأول يمثل ايدلوجية العمال ، وسياسة المرونة ، وشخصية مزارع الكوبوتز ، بينما يمثل الثاني أيدلوجية اليمين وسياسة التعصب ، وشخصية محامي المحاكم البدائية .

بالرغم من ذلك فلقد ، حققت « اسرائيل » بقيادة هذين الرجلين أعلى حد في أحلام المشروع الصهيوني . نجحت قيادة الأول في تأسيس الدولة واكتساب الاعتراف العالمي ، وبناء اقتصاد عصري وجيش قوي . ونجحت قيادة الثاني بعزل أكبر دولة عربية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وقطع خطوات كبيرة نحو دمج اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة بالاقتصاد الاسرائيلي ، وتكييف سياسة الدولة وفق

* جامعة واترلو ـ دائرة الاقتصاد ـ كندا

مشروع « اسرائيل الكبرى » .

ومع هذا فلقد انتهت حياة الرجلين السياسية نهاية واحدة بعيدة عن أجواء الانتصار والنجاح . كلاهما ترك الحكم من بابه الخلفي ، وقد خسر شعبيته السياسية ، ورصيده الأخلاقي ، وقدرته الشخصية على الاستمرار .

وبعد بن غوريون جاء خلفاؤه في تجمع العمال : اشكول ، وجولدا مائير ، ورابين ، وبيريز ليينوا سياسة «اسرائيل» على أساس تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية ، بعد أن كانت سياستها تدور في أجواء العلاقة مع فرنسا وبريطانيا .

والآن يجيء خلفاء بيغن في تجمع الليكود اليميني ، شامير واريتز ليينوا سياسة « اسرائيل » على أساس علاقة جديدة مع الولايات المتحدة بعد أن تأكدوا ان الاقتصاد الاسرائيلي لم يعد قادرا على تحمل اعباء المشروع الصهيوني من خلال مناخ العلاقة القديمة .

لقد ضمن هذا الارتباط باميركا نجاح السياسة الاسرائيلية عبر السنوات ، وبنفس الوقت قاد لفشل الايدلوجية التي اعتنقها بن غوريون وبيغن طوال حياتهما . واذا كان فشل الأول لم يظهر الا بعد سنوات من اعتزاله الحكم ، فان فشل الثاني كان واضحا في السنة الأخيرة من حكمه .

ان الدولة التي حققتها احلام الصهيونية السياسية بجناحيها العمالي واليميني دولة عسكرية قوية بالتأكيد ، ولكنها ليست دولة حرة .

مواطنها ليس آمنا على حياته ، ومصيره السياسي مربوط بزعماء ينظرون الى العالم برؤى رجعية متعصبة ، ومصيره الاقتصادي يقرره زعماء دولة أخرى على بعد آلاف الأميال .

« الهزيمة في الانتصار » تناقض فاضح ولكنه ليس صدفة . فالحركات العنصرية تكشف عن وجهها التاريخي الأسود لأصحابها عندما تحقق أهدافها . والصهيونية رغم تملكها لأحدث

أدوات التنظيم الاجتماعي والتكنولوجيا الحديثة ، لا تشكل استثناء .

لقد دفع العرب غاليا ثمن الانتصار الصهيوني ، وسيدفعون أكثر ، ولكن يهود « اسرائيل » سيدفعون الثمن أيضا ، وكما يقول الصحفي الاسرائيلي داني روبنشتين : « ان ما يحدث الآن يقود « اسرائيل » للفاشية ، ان ذلك وضع سيء جدا بالنسبة للعرب . ولكن اليهود سيدفعون ثمنا أقسى . »

السياسات الاقتصادية لحكومات العمال

لقد قادت السياسات الاقتصادية لحكومات العمال المتتابعة منذ مطلع السبعينيات الى عجز دائم في ميزانية الحكومة نتج عنه ارتفاع مستمر في الاسعار ، وعجز دائم في ميزان التجارة الخارجية ، وانخفاض مستمر لسعر (الشيكل)* وتزايد مستمر للديون الخارجية .

بشكل مبسط كانت تلك الحكومات تصرف سنويا أكثر بكثير من دخلها . أي أن مجموع مصروفاتها السنوية كان يفوق ما تجمعه من ضرائب وما تحصل عليه من مساعدات اميركية رسمية وشعبية . هذه المصروفات الزائدة تزيد في حجم الطلب على السلع في السوق فتسبب ارتفاع اسعارها . وارتفاع سعر السلع الاسرائيلية بالنسبة لسلع البلدان الاخرى يقلل من حجم الطلب عليها في الاسواق العالمية ، مما يسبب عجزا في ميزان التجارة الخارجية ، ويقلل من حاجة الأسواق الخارجية للعملة الاسرائيلية فينخفض سعرها بالنسبة لأسعار النقد الاخرى .

ويعود سبب ذلك الى سياسة التسلح الجديدة التي بدأتها « اسرائيل » منذ مطلع السبعينيات بهدف بناء صناعة أسلحة حديثة (طائرات متطورة وصواريخ ودبابات)) لتكرس نفسها كدولة عسكرية كبرى في المنطقة ، ولتربك اقتصاد دول المواجهة العربية المضطرة لدخول سباق التسلح معها ، وقد انعكس ذلك على الاقتصاد الاسرائيلي مما حتم على الحكومة اتباع التالي :

ـ اللجوء الى استغلال اليهود الشرقيين ، بحيث ظهر هذا الاستغلال بشكل فاضح في أواخر السبعينيات عندما أصبحت غالبية السكان من اليهود الشرقيين (٥٣٪) بينما لم يكن لهم الا ٢٥٪ في مقاعد الكنيست ، و ١٥٪ من عدد الطلبة الجامعيين .

ـ عندما لم يستطع هذا الاستغلال ان يؤمن للمشروع الصهيوني إمكان الاستمرار . تحتم اللجوء الى الدعم الأميركي . ففي آخر سنة من حكم العمال كانت اسرائيل تحصل على (٢,٢) بليون دولار سنويا كإعانة من حكومة الولايات المتحدة ، وهي تقريبا نصف ما قدمته تلك الحكومة للدول الصديقة في العالم ، وهذا يعني أن « اسرائيل » تشكل نصف اهتمامات اميركا العالمية مع أن عدد سكانها يعادل واحداً بالألف من سكان هذا العالم . هذا بالطبع غير المساعدات الاميركية الخاصة . وحتى ذلك لم يكن كافيا . فتم اللجوء الى المساعدات الاميركية غير المباشرة ، وحصلت « اسرائيل » على ديون أميركية بأسعار زهيدة ، وعندما كانت تعجز عن سدادها فان اميركا كانت تحولها الى منح[1].

لقد قادت هذه السياسة الاقتصادية الى

---

* اسم العملة المتداولة في الكيان الصهيوني .

(١) عندما قادت سياسة ريغن الجديدة سنة ٨١ و ٨٢ الى ارتفاع اسعار الفائدة بشكل خيالي بنسبة (٢٠ ٪) . ذكرت مصادر صحفية ان « اسرائيل » كانت تقرض الاموال الامريكية التي تحصل عليها للبنوك العالمية بفائدة زهيدة لتحصل على فرق سعر الفائدة .

موقفين متناقضين في منتصف السبعينيات . فمن ناحية أدى استغلال عشرات الآلاف من العمال العرب من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة في مجالات الأعمال الرديئة الى انتقال اليهود الشرقيين الى مجالات عمل أفضل . ومن ناحية أخرى أدت سياسة التسلح عن طريق التضخم المالي الى حرمان اليهود الشرقيين من الامتيازات الجديدة . فاشتد تذمرهم السياسي واتضح ان الحكومة لا تستطيع الاحتفاظ بسياسة التسلح الا اذا نجحت في انتهاج أحد أسلوبين لا ثالث لهما :

١ ـ سن ضرائب جديدة تسهم في تغطية المصاريف ، وتقلل من التضخم المالي ، وارتفاع الاسعار ، فيسهم اليهود الغربيون بتحمل اعباء التسلح بشكل يتناسب مع قوتهم الاقتصادية .

٢ ـ زيادة المساعدات الاميركية بشكل جوهري حتى تستطيع هذه المساعدات تحمل العبء الأكبر في مصروفات التسلح .

ولكن حكومة العمال لم تستطع مواجهة الأمر ، فظلت تتبع سياستها القديمة ، حتى جرت الانتخابات في آيار ١٩٧٧ ، وجاء تجمع اللكود اليميني للحكم لأول مرة منذ تأسيس « اسرائيل » .

بيغن وخطة فريدمان

لم يكن مناحيم بيغن المرشح المفضل بالنسبة لادارة الرئيس كارتر ولهذا لم يكن متوقعا أن تستطيع حكومته الحصول على زيادة كبيرة من المساعدات الاميركية تسد بها عجز الميزانية . ومن ناحية أخرى فقد أتت أصوات اليهود الشرقيين بتجمع الليكود للحكم . ولهذا توقعت الصحف العالمية أن تنتهج الحكومة الجديدة سياسة ملائمة لمصالحهم الاقتصادية . ولما كانت الحكومة الجديدة يمينية فانها ستعمل حتما على سد العجز بالميزانية ، واتباع سياسة مالية محافظة . ولقد أخذت هذه التوقعات مصداقية كبيرة عندما أعلن وزير المالية الجديد سيمحا اهرلتش عن تعيين استاذ الاقتصاد الاميركي بجامعة شيكاغو ملتون فريدمان مستشارا للجنة الحكومية للشؤون الاقتصادية ، ووجهت له الدعوة لزيارة « اسرائيل » فهو استاذ معروف بعدائه الشديد لسياسة التضخم المالي وعجز الميزانية .

وقد كانت هذه التوقعات غريبة ، فسد عجز الميزانية في « اسرائيل » يعني فرض ضرائب عالية على الأغنياء ، وتوقع ذلك من حكومة يمينية يتجاهل أبسط قواعد السياسة ، ويتجاهل ايضا تاريخ ملتون فريدمان .

فالرجل له شهرة عالمية كمفكر اقتصادي يؤمن بأن كل مشاكل النظام الرأسمالي ناجمة عن تدخل الحكومة في المحاولات الاقتصادية ، وان هذا النظام قادر على تقديم أفضل الحلول لمشاكل النمو والتوزيع اذا ترك حرا . وهو منذ أوائل الخمسينيات يكتب ويحاضر مطالبا بالغاء تدخل الدولة في مجالات التعليم ، والضمان الاجتماعي ، ومساعدة الفقراء . ولقد اشتهرت نظرياته الاقتصادية في أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات حتى أصبحت تعرف باسم « مدرسة شيكاغو » .

وقد عاد ملتون فريدمان من « اسرائيل » فرحا بالتغيير الجديد ، وكتب مقالا في مجلة نيوزويك الاميركية يؤكد فيه ان الحكومة الجديدة تملك سياسة اقتصادية مسؤولة ، قادرة على انهاء فوضى الاقتصاد الذي قادت اليه حكومات العمال . وانها اذا ملكت الجرأة على تنفيذ سياستها فانها تستطيع خلال مدة قصيرة ـ تحقيق معجزة لا تقل أهمية عن معجزة حرب الأيام الستة !!!

إلا أن فريدمان تجاهل كليا ميزانية التسلح ، وأكد أن الحل هو تقليص دور الحكومة بالنسبة للاقتصاد . وايقاف دعم أسعار السلع الرئيسية وانهاء القيود على حركة رأس المال . والغاء الضرائب على الواردات ، ودعم الصادرات . والتخلص من شركات القطاع العام وبيعها

للقطاع الخاص .

وبعد خمسة أشهر أي في أكتوبر ١٩٧٧ أعلنت الحكومة ما يسمى يومها بـ « السياسة الاقتصادية الجديدة » والتي حملت بصمات فريدمان بشكل واضح . وكان من أهم قرارات تلك السياسة : تعويم « الشيكل » في سوق النقد الدولية ، أي ترك سعره يتحدد وفق العرض والطلب ودون تدخل البنك المركزي . وانهاء أكثر القيود على حركة رأس المال ، والغاء ضريبة السفر ، وايقاف الدعم الحكومي لسلع التصدير . وزيادة ضريبة الاستهلاك ، كما تحدثت « السياسة » عن نية الحكومة للتخلص من بعض الشركات كشركة بنك الملاحة الاسرائيلية ، وشركة الخط الحديدي بين البحر الميت وايلات .

الفقراء يخسرون

وأهم ما في السياسة الجديدة هو انها لم تتعرض لسياسة التسلح ولم ترفع ضريبة الدخل . وخلال أيام معدودة من أكتوبر ١٩٧٧ قادت السياسة الجديدة الى انخفاض سعر الشيكل بمقدار ٤٥٪ وزيادة تكلفة الاستهلاك بمقدار ٢٥٪ . وهكذا كان أول عمل قام به بيغن هو توجيه ضربة الى مصالح الذين انتخبوه ، أي للفقراء ومعظمهم من اليهود الشرقيين ، فانخفاض سعر « الشيكل » مع السماح بتنقل رؤوس الأموال ـ يعني هدية للاغنياء الذين يملكون أرصدة في البنوك الاجنبية في أوروبا وأميركا ويستطيعون احضارها « لاسرائيل » بعد أن زادت قيمتها ٤٥٪ . وزيادة تكلفة الاستهلاك نظرا لازدياد الضريبة وذلك يعني خسارة الفقراء ٢٥٪ من قوتهم الشرائية ، وهكذا اضطرت نقابات الهستدروت القوية الى رفع أجورها . بنسبة توازى ارتفاع تكلفة الاستهلاك .

وفي الوقت نفسه اخذت الحكومة تزيد من عجز الميزانية وذلك لأنها مضطرة الى الصرف على سياستها الجديدة تجاه المستوطنات . فمن المعروف ان بناء المستوطنات عام ١٩٧٧ كان يواجه صعوبات اقتصادية كبيرة . فالاقتصاد الاسرائيلي كان يشكو من افتقاد عام لليد العاملة ، بفعل تناقص الهجرة الى « اسرائيل » وتزايد الهجرة المضادة . ولهذا كانت هناك أقلية صغيرة من المتعصبين مستعدة للانتقال الى المستوطنات . فبدأت الحكومة باتباع سياسة ترغيب للمواطنين العاديين للانتقال الى المستوطنات مع الاحتفاظ باماكن عملهم في المدن .

هذه المصروفات الخيالية على بناء المستوطنات والتسلح اخذت ترفع عجز الميزانية بشكل لم تعهده « اسرائيل » في السابق ، حتى قدر انه في اعوام ٧٨ و ٧٩ كانت الحكومة تحقن الاقتصاد بحوالي بليون ونصف دولار في الشهر عن طريق الاستدانة من البنك المركزي ، فانعكس ذلك على شكل ارتفاع هائل في الأسعار جاوز حدود ١٠٠٪ في أواخر ١٩٧٩ .

امام هذا الواقع الاقتصادى المتردى كانت اولويات حكومة بيغن هي : ـ ضمان ولاء اليهود الشرقيين في الانتخابات القادمة ، والتحضير لحرب لبنان . ومن أجل ضمان ولاء اليهود الشرقيين في انتخابات سنة ١٩٨١ ، فان بيغن نفذ خدعة لم يعرفها تاريخ السياسة الاسرائيلية سابقا ، وتفصيلها هو : ـ

اتباع سياسة اقتصادية جديدة خفضت من ضرائب الدخل ، وخفضت من ضرائب استيراد الكماليات حتى وجد الاسرائيلي المحدود الدخل نفسه ولأول مرة قادرا على شراء السيارة والتلفزيون الملون والفيديو والكاميرا . . . مما جعل الصحافة الاسرائيلية تطلق على تلك الفترة اسم : « رحلة المتعة » .

واستمرت تلك الرحلة حتى بعد ان بدأت « اسرائيل » هجومها على لبنان في حزيران ١٩٨٢ . وهكذا حاربت « اسرائيل » اطول

حرب في تاريخها ووسيلتها في تمويل الحرب هي : تأجيل الدفع .

تأجيل الدفع و « رحلة المتعة » !!

تأجيل دفع ثمن الحروب ليس اختراعا اسرائيليا . فهذه هي الطريقة التي اتبعتها الولايات المتحدة وهي تحارب في فيتنام . فحتى في اعوام ٦٦، ٦٧، ٦٨ عندما وصل عدد الجنود الأمريكيين في فيتنام الى نصف مليون جندى ، وتكاليف الحرب الى (٤٦) مليون دولار في اليوم ، كان الرئيس لندون جونسون يرفض نصائح الاقتصاديين داخل الحكومة وخارجها والتي تجمع على ضرورة فرض ضرائب تغطى مصاريف الحرب . بل على العكس كانت ادارته تتبع سياسة انعاش اقتصادية يقول ان هدفها هو الحرب على الفقر ويسميها بسياسة « المجتمع العظيم » .

وفي عام ١٩٦٩ عندما جاء رتشارد نكسون للحكم كان « المجتمع العظيم يعاني من بدايات التضخم المالي . وكان متوقعا ان يتبع الجمهوريون المحافظون سياسة جديدة تخفض من المصروفات الاجتماعية ومن عجز الميزانية . وفي البداية اتبعت الادارة الجديدة بالفعل سياسة مناوئة للتضخم المالي ، ولكن بعد سنتين عندما اخذت هذه السياسة تنشر الكساد الاقتصادى وتزيد من اعداد العاطلين عن العمل ، وتهدد فرصة اعادة انتخابات نكسون في الانتخابات القادمة ـ عكست الادارة اتجاهها ، واعلنت في آب ١٩٧١ سياسة سميت يومها ايضا بـ « السياسة الاقتصادية الجديدة » تهدف للانعاش الاقتصادية وتضع قيودا على حركة الاسعار والدخول . وفي عام ١٩٧٤ عندما رفعت هذه القيود قفزت الأسعار بشكل مفاجيء ، وحدث تضخم مالي وكساد اقتصادي بنفس الوقت ، ولم تدفع اميركا ثمن حرب « فيتنام » الا بعد ان تشكل تحالف يميني سياسي يدين بمبادىء مدرسة شيكاغو الاقتصادية وجاء بالرئيس ريغن الى الرئاسة في أوائل عام ١٩٨١ .

واتبع الرئيس ريغن سياسة تخدم مصالح الاغنياء ، فقلل من ضريبة الدخل ، وقلص حجم المساعدات الحكومية لاصحاب الدخول المحدودة والفقراء ، وخلال سنتين قضى على غلاء الاسعار .

الاتفاق الجديد

اما الكيان الصهيوني فانه كان من المفروض فيه البدء بدفع ثمن سياسة التسلح والحروب في لبنان مع بداية عام ١٩٨٤ . فمن المعروف انه استدان من حكومة الولايات المتحدة بين اعوام ١٩٧٣ و ١٩٨٢ مبلغ ٨ بلايين دولار للتسلح[٢] وكانت هذه الديون لمدة ثلاثين عاما ، تدفع « اسرائيل » في العشر سنوات الأولى الفوائد فقط ، وبعدها تبدأ بدفع الأقساط .

ولكن عام ١٩٨٣ مر دون ان تبدى « اسرائيل » اهتماما بالموضوع ، بل على العكس سارت اشواطا في بناء الطائرات المقاتلة الجديدة ، التي تقدر تكلفة الواحدة بأكثر من (١٥,٥) مليون دولار (أكثر من تكلفة الطائرة الامريكية المقاتلة (F 16) وعقدت مع الحكومة الاميركية صفقة شراء ٧٥ طائرة (F 16) بتكلفة (٢,٧) بليون دولار وهى أكبر صفقة شراء سلاح في تاريخ « اسرائيل » . وانتهى العام وحجم ديونها الخارجية قد بلغ (٢٥) بليون دولار (اى بمعدل « ٨٠٠٠ » دولار للفرد الواحد ، وهى أعلى نسبة استدانة في العالم) وعجز ميزانيتها يبلغ (٥) بلايين دولار سنويا ، ومعدل ارتفاع الاسعار هو ٢٠٠٪

(٢) هذا المبلغ يخص الديون المستقلة عن المساعدات والمنح .

ولكن قبل أن ينتهي العام باسبوعين وقعت الحكومة الاسرئيلية اتفاقا جديدا مع الولايات المتحدة حولت بموجبه اميركا مبلغ (١,٥) بليون دولار من قروض الى منحة ، وهكذا وبجرة . . قلم ـ بدأت الولايات المتحدة تدفع ثمن حرب لبنان .

هذا الاتفاق الجديد الذي بدا وكأنه نتيجة حادث نسف مقر المارينز في مطار بيروت في اكتوبر الماضي ، كان في الواقع نتيجة لمشاورات اسرائيلية أمريكية تمت في آب « أغسطس » الماضي أثناء زيارة شامير (وكان ما يزال وزير ا للخارجية) وأرينز لواشنطن للبحث في مستقبل الديون الاسرائيلية ، أي قبل شهرين من حادث نسف قيادة المارينز في بيروت . وهو أيضا ابرام رسمي لتفاهم أمريكي اسرائيلي جديد بدأ منذ مجيء الرئيس ريغن للحكم . فلقد اتبعت ادارة ريغن سياسة تسلح مطابقة لسياسة « اسرائيل » التي ابتدأتها منذ مطلع السبعينات . فاذا نظرنا لسياسة ريغن الاقتصادية نرى أنه خفض النفقات الحكومية الامريكية في كل مجال ما عدا مجالين : التسلح والمساعدات الاسرائيلية . وتقوم فلسفة التحالف اليميني الذي جاء بريغن الى الحكم على أن المعسكر الرأسمالي يستطيع تحقيق الانتصار على المعسكر الاشتراكي عن طريق سباق التسلح وارباك اقتصاد الاتحاد السوفييتي ، وهناك قناعة أكيدة عند اصحاب هذه المدرسة بأن الاقتصاد السوفييتي لن يستطيع تحمل اعباء السباق اذا دفعته الدول الرأسمالية الى حدود عالية وباهظة التكاليف .

وتدير ادارة الرئيس ريغان شؤون الصراع العالمي من خلال استراتيجية التسلح وهي تحث حلفاءها في أوروبا الغربية وكندا واليابان على زيادة ميزانية التسلح ، وترى في التسلح الاسرائيلي ركنا رئيسيا من أركان استراتيجيتها العالمية . والاتفاقية الجديدة بداية لدمج الاقتصاد الاسرائيلي بالاقتصاد الامريكي .

« من يدفع ثمن الحروب الاسرائيلية ؟ »

لقد قلنا ان مناحيم بيغن ابتدأ الحكم وهناك خياران امام « اسرائيل » : أما أن تفرض على المجتمع الاسرائيلي تضحيات جديدة ، أو تحصل على مساعدات أمريكية جديدة . ولقد قادت سياسة بيغن الى الخيار الثاني . فالمجتمع الاسرائيلي لايستطيع تحمل اعباء التسلح ، وذلك يعني ببساطة انخفاض مستوى المعيشة الى ما دون النصف وهو وضع لن يسمح به اليهود الغربيون ونقابات الهستدروت القوية التأثير .

وعندما يضرب عمال الهستدروت ويحتجون على سياسة شامير التقشفية دون أن يطالبوا بأي تعديل لسياسة التسلح أو سياسة الاستيطان ، فانما يطالبون بمزيد من المعونات الامريكية . وهذا ما تفعله أمريكا الآن : دفع الثمن الكامل للحروب الاسرائيلية . ولكن ذلك يبقى نصف الحقيقة ، أما نصف الحقيقة الآخر فهو أن أمريكا لاتدفع ثمن حروبها هي فكيف تدفع ثمن حروب أصدقائها ؟ وهي أيضا لا تتحمل وحدها عبء سياستها التسليحية .

وتفصيل ذلك أنه عندما خسر عشرة ملايين عامل أمريكي عملهم نتيجة سياسة ريغان الانتخابية فان غالبيتهم العظمي كانت من الملونين والفقراء ، وكان هناك في الوقت نفسه أكثر من (١٠٠) مليون عامل أمريكي يعملون ويحصلون على معاشات وترقيات سنوية هي أعلى ما حصلوا عليها في حياتهم . الا أنه بحكم تشابك العلاقات الرأسمالية فان الكساد الاقتصادي انتشر في العالم ، وخسر ملايين العمال في أوروبا عملهم وأكثرهم أيضا من العمال المهاجرين كالأتراك والعرب واليوغسلاف ، وتحركت في أوروبا موجة مسعورة من التمييز العنصري ضد العمال الاجانب .

وهكذا يدفع الفقراء ثمن الحروب

ستعمارية دوما ، ومنهم فقراء أمريكا ، فقراء الأمة العربية . . . فهم يدفعون ثمن حروب الاسرائيلية مرتين : مرة من دمهم ولحم أطفالهم ودمار بيوتهم . ومرة أخرى بالهزات الاقتصادية التي تعصف بلقمة عيشهم ومستقبل أطفالهم . وهم يقومون بذلك منذ سنة ١٩٤٨ .

الثابت الوحيد في حياتنا

لقد كتبت تحليلات كثيرة في الوطن العربي عن أسباب توثق العلاقة الاسرائيلية الامريكية . ومما لاشك فيه أنه سيكتب في المستقبل أكثر مما كتب حتى الآن . فهذه العلاقة تبدو وكأنها الثابت الوحيد في حياتنا . ولقد آن الوقت لكي نقلل من اهتمامنا باحصاء عدد أصوات الناخبين اليهود في ولاية نيويورك ، ومتابعة الخلاف الدائر بين وزير الخارجية ووزير الدفاع في واشنطن ومحاولة تغيير العقل الشرقي حتى يستطيع مخاطبة العقل الغربي . وأن نولي اهتماما أكثر للشكل الذي يفهم به الاسرائيليون والامريكيون هذه العلاقة . وعلينا ادراك الحقائق بجلاء ووضوح ،

اذ أنه بعد يومين من توقيع شامير وريغن الاتفاق الجديد في واشنطن في أواخر العام الماضي ، استضاف البرنامج التلفزيوني لمحطة A B C . هذا الاسبوع مع ديفد برينكلي » السيد لورنس ايغلبيرجر سكرتير وزارة الخارجية الامريكية المساعد للشؤون السياسية للحديث عن الاتفاق الجديد ، ومن المعروف أن السيد ايغلبيرجر هو الذي سافر الى تل أبيب ومهد للمحادثات . وفي معرض الحديث وجه ديفيد برينكلي السؤال التالي :

« ألا تخشون أن يغضب الاتفاق الجديد مع « اسرائيل » اصدقاء أمريكا في الشرق الأوسط من الحكومات العربية المعتدلة ؟ »

وكان جواب سكرتير وزارة الخارجية الامريكية المساعد :

« أنا لا أرى أي سبب لغضب أحد . كل العالم يعرف أن لنا علاقة خاصة « باسرائيل »وكل العالم يعرف أننا ملتزمون بحماية المصالح الاسرائيلية . واذا شاء بعضهم أن يغضب بدون سبب فليكن » .

وقبل ذلك بثلاثة أشهر جرت مقابلة صحفية بين مستشار حاكم البنك المركزي الاسرائيلي اسرائيل اخرا ، والصحفي الامريكي ادوارد والش . . . وفي معرض الحديث عن موضوع المساعدات الامريكية «الاسرائيلية» ، قال مستشار حاكم البنك المركزي الاسرائيلي : « أي فهم سليم للعلاقة الامريكية الاسرائيلية يجب أن يتم عبر مقارنة حجم المساعدات الامريكية « لاسرائيل » بحجم تكاليف القوات الامريكية في أوروبا . اسرائيل أرخص لكم » .

فهل نحن مدركون لهذه الحقائق . . . . ولماذا نعيش في بحر من الأوهام ؟؟

□□

بقلم الدكتور : حسان حتحوت

قبل سنوات نشرنا في « العربي » مقالا بعنوان « قضايا علمية تنتظر احكـامها الشـرعية » . . عرضنا فيه لطائفة من الكشوف الطبية وتطبيقاتها التي تمت أو كادت تتم ودعونا فيه الى ضرورة أن يجلس علماء من المسلمين المتخصصين في العلوم الطبية والحيـاتيـة مـع المتخصصـين في العلوم الشرعية والفقهية ليتدارسوا تلك الموضـوعات لعلهم يخرجون على الناس برأي شرعي فيها ، يستعين به الناس على معرفة الحلال والحرام في تلك المحدثات الجـديدة التي كـانت غائبـة عن الاذهان لدرجة أن أحد اخوتي وأصدقـائي من الفقهاء النابهين المستنيرين لم يصدق مسألة أطفال أنـابيب الاختبـار ، ورجـع أن أكـون من « الأرأيتيـين » الـذين يفتـرضـون الاشيـاء ويقولون : « أرأيت لو حدث كذا فماذا يكون الرأي الشرعي فيه » . . وقد علق عـلى مقالي بمقال في العربي ، لولا أن الأيام مرت وولدت الطفلة الاولى من أطفال الأنابيب واصبح الامر الذي كنا نرقبه سنوات في دوائرنا العلمية خبراً عاماً تنشره وسائل الاعلام .

ولهذا أحسسنا بسعادة غامـرة ، وحمدنـا الله كثيرا ، لما شهدنا هذا الأمل المنشـود يخرج الى حيز الوجود على صورة « ندوة الانجاب في ضوء الاسلام » التي نظمتها وزارة الصحة بالكويت ، مع المنظمة العالميـة للطب الاسلامي في أواخـر مايو ١٩٨٣ ، تكون على الأقل تجربة فاتحة للقاء العلماء والفقهـاء ، وما يمكن أن يحـدث ، وما يمكن أن ينجح .

ولهذا كانت النـدوة محدودة ومغلقـة . . ولم تبدأ الندوة بلقاء الفريقـين وانما سبق ذلـك أن نخبـة من الأطباء المتخصصـين قامـوا بـاعـداد مذكرات مبسطة ولكنها دقيقة ووافية عن بعض المسـائل الـطبية عـلى ضوء أحـدث الانجازات الطبية ، وأرسلت هذه المذكرات للسادة الفقهاء قبل الندوة بزمان للتذاكر والتفكـر ، ومن بعد كان اللقاء .

ولقـد كنت حتى الجلسة الأولى مشفقـا كـل الاشفـاق ، أحسب أن الفـريقـين مـدرستـان مختلفتان ، وأخشى ألا تجمعهما لغة مشتركة . .

كيف يتفاهم عالم الطب الذي يعلم أن الكتاب الطبي يكون قديما بالفعل بمجرد خروجه من المطبعة ، وأن الكتب للأساسيات ، أما الجديد ففي هذا السيل المنهمر من النشرات والدوريات . . . . مع عالم الفقه الذي ترتكز مكتبته ومعلوماته وآراؤه أولا وأخيرا على كتب صدرت منذ مئات السنين ؟ واذا ذكرت كلمة « جنين » مثلا فهل مدلولها واحد عند عالم الشريعة ، وهو لم يدرس علم الأجنة قط ـ وعند عالم الطب الذي أتاحت له الامكانات التقنية الحديثة أن يرى رأي العين كيف يبدأ الجنين !؟ وكيف يتشكل وينمو ويتحرك وتمارس أجهزته وظائفها ، ويستعد للخروج الى الدنيا ؟ وأن تجمع له عنه من معلومات الصحة والمرض ما نهضت لنشوء فرع طبي جديد اسمه طب الجنين ؟ ولقد كان من أنجح سمات الندوة شريط سينمائي عن الجنين من أيامه الأولى وخلال الحمل ، بعضه مصور بآلة التصوير بالموجات فوق الصوتية ، وبعضه بعدسة دقيقة دخلت مباشرة الى داخل الرحم ، وصورت الجنين الباكر حيا نابضا متحركا ، وهو لايزال في أدواره الاولى بل أيامه الاول وقبل أن تحس الأم بحركته بزمان طويل .

وكان اللقاء

وما بدأت الجلسة الاولى حتى أفرخ روعي وانجابت مخاوفي . ذلك أن عمود الأمر الاخلاص ، وقد كان موفورا بحمد الله . كان واضحا أن التقدم العلمي أصبح من التعقيد بحيث لايستغني الفقيه فيه عن شرح الطبيب المتخصص ، وأن الرأي الناضج لايمكن الا أن يكون ثمرة جهد مشترك . . التقى الفقهاء المؤمنون والأطباء المؤمنون ، فرأيت اخوة الايمان ولم أر حساسية متنافرين ولاجبروت كهنوت . . بل ان وجهات النظر عندما كانت تتشعب لم تكن استقطابا الى فريقين . . . فقهاء وأطباء بل تشعبت حتى فيما بين الفقهاء وفيما بين الاطباء . ومع ذلك فما ولغ لسان ولا ارتفعت عقيرة بالتكفير أو التفسيق أو الزيغ أو المروق على نحو ما ابتلى به المسلمون في ظلمات السابق أو اللاحق ، ولعل أهم منجزات الندوة في نظري هو أنها كانت درسا في أدب الاختلاف ، كما كانت درسا في تحرى الصواب .

ومع أن الندوة كانت محدودة بوصف كونها تجربة رائدة ، فقد ضمت نخبة طيبة من علماء الشريعة والدراسات الاسلامية . . . أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيوخ والأساتذة والدكاترة : بدر المتولي عبد الباسط ، وزكريا البري ، وأحمد الغندور ، ويوسف القرضاوي ، وعبد العزيز كامل ، وعبد الله العيسى ، وخالد المذكور ، ومحمد الأشقر ، وعمر الأشقر ، وعبد الستار أبو غدة ، وابراهيم الدسوقي ، وعبد الله عبد الشكور ، وتوفيق الراعي ، وغيرهم من أمثالهم . . الى جانب نخبة من علماء الطب والعلوم الحياتية المسلمين المؤمنين ، دعوا من أدنى الارض ومن أقصاها .

ولم تصدر التوصيات بأغلبية الاصوات ، فهذه الامور لاتتم بطبيعة الحال بأغلبية الاصوات ، وانما احيلت المناقشات برمتها الى لجنة للصياغة كانت تحرص فيما لم يجمع عليه اعضاؤها أن تثبت أي تحفظ ولو كان من فرد واحد من أعضائها . . ولسنا هنا في حل من أن نورد ثبتا بالأبحاث أو المناقشات أو التوصيات ، فالمجال هنا محدود ولعل هيئة الندوة مشكورة تصدر في ذلك ماتشاء وقت تشاء ، وانما نورد في ايجاز بعض الأمثلة ، وما اتجه اليه الرأي فيها ، دون اسهاب في الحيثيات فلها ـ كما نقول ـ مجال آخر .

الاجهاض العمد

ولعل خير ما نذكر فيه أن نورد النص الذي ➤

كتبته لجنة الصياغة وهو : « استعرضت الندوة آراء الفقهاء السابقين ومادلت عليه من فكر ثاقب ونظر سديد ، وأنهم أجمعوا على تحريم الاجهاض بعد نفخ الروح أي بعد أربعة أشهر ، وأن آراءهم في الاجهاض قبل نفخ الروح اختلفت ، فمنهم من حرّمه باطلاق أو كراهة ، ومنهم من حرمه بعد أربعين يوما وأجازه قبل الأربعين على خلاف في وجوب العذر .

وقد استأنست الندوة بمعطيات الحقائق العلمية الطبية المعاصرة ، والتي بينتها الابحاث والتقنية الطبية الحديثة ، فخلصت الى أن الجنين حي من بداية الحمل ، وأن حياته محترمة في كافة أدوارها خاصة بعد نفخ الروح ، وأنه لايجوز العدوان عليها بالاسقاط الا للضرورة الطبية القصوى .. وخالف بعض المشاركين فرأى جوازه قبل تمام الأربعين يوما وخاصة عند وجود الأعذار » .

انتهى كلام لجنة الصياغة ، وعلى الرغم من وجود مَن وقف اجتهاده عند الذي بين يديه من كتب الأقدمين ، فقد كان مما يثلج الصدر أن الاغلبية الغالبة رأت أن تدخل في حسابها وتعتمد في رأيها الحقائق العلمية المعاصرة .. وأحسسنا أن الاجتهاد الفقهي مؤذن بنشاط بعد خمود ، وحراك بعد سكون ..

أطفال أنابيب الاختبار .. (والرحم الظئر)

مرة أخرى كان نص لجنة الصياغة شاملا رغم ايجازه .. « انتهت الندوة بالنسبة لهذا الموضوع الى أنه جائز شرعا ، اذا تم بين الزوجين أثناء قيام الزوجية ، وروعيت الضمانات الدقيقة الكافية لمنع اختلاط الانساب » (وان كان هناك من تحفظ حتى على ذلك ، سدا للذرائع) . واتفق على أن ذلك يكون حراما اذا كان في الأمر طرف ثالث سواء أكان منيا أم بويضة أم جنينا أم رحما .. فليس لامرأة أن تحمل بمنى غير زوجها .. ولايجوز ان تحمل ببويضة امرأة أخرى ولو كان المني من زوجها .. كما أن شرط « اثناء قيام الزوجية » أخذ في الحسبان أن المني (والجنين الباكر) يمكن حفظه بالتبريد حيا لفترة طويلة قد يقع أثناءها الطلاق أو وفاة الزوج .. وكذلك رفضت فكرة الرحم الظئر وهو أن يتم تكوين جنين من زوجين في انبوب الاختبار ثم تستأجر امرأة أخرى لحمله وولادته ان كانت الزوجة محرومة من رحم قادر على الحمل .

نظر الجنس لعورة الجنس الآخر

كان الاجماع على « جواز نظر الجنس الى عورة الجنس الآخر لدواعي الكشف الطبي والمعالجة والتعليم الطبي .. مع الاقتصار فيما يظهر من العورة على ماتدعو اليه الحاجة » .

ومع أن السلاح الطبي في جيش الرسول كان كله مجموعة من المؤمنات ذوات البصر بالتطبيب .. ومع أن كتب الفقه الاسلامي منذ قرون طويلة قد حسمت هذا الموضوع ، الا انني لمست في تلامذتي من طلاب الطب الجدد ومن غيرهم أن هناك حاجة الى التبصير والتطمين في الآونة الأخيرة ، وما نشهده من صحوة اسلامية نسأل الله لها التسديد والترشيد ، وأن تجتاز دور الفورة العاطفية الى دور الفكر الهادف والعمل البناء .. وطبيعي ألا يؤتمن على العمل في الطبابة الا من كان أهلا للأمانة ، وواجب أن تشتمل الدراسة في الكليات الطبية على ما يربط الطلاب بالقيم الدينية السامية ، وأن تشجع المرأة المسلمة القادرة على احتراف الطب في فروعه المختلفة لتساهم في سد حاجة المجتمع المسلم .

التعقيم الجراحي

وقد رأت الندوة « جواز اللجوء الى منع الحمل الجراحي على النطاق الفردي للضرورة

التي يقدرها الطبيب المسلم الثقة اذا استنفدت الوسائل الأخرى . أما على مستوى الأمة الاسلامية فلا يجوز شرعا ، وتنكر الندوة أن يكون التعقيم حركة عامة ، وتحذر من استخدامه في الحرب السكانية (الديموجرافية) التي تهدف الى جعل المسلمين أقلية في بلادهم أو في العالم » .

ولعل في هذا الرأي عاصما للأطباء المسلمين من الانحراف في الدعوة العالمية الساعية الى « التعقيم عند سن أصغر وأصغر ، وعند عدد من الأولاد أقل وأقل » كوسيلة لمكافحة الانفجار السكاني . . والأطباء زملائي في الاختصاص أخبر الناس بتعاسة من أجريت لها عملية التعقيم ثم تغيرت الظروف بتغير الزوج أو فقد الأولاد ، ثم عجز الطب عن اعادة فتح الأنابيب ، فان أدق الجراحات (وبأبهظ النفقات) كثيرا ما تعجز عن اعادة الأمر لما كان عليه ، ولو اختارت بادىء الأمر وسيلة من وسائل منع الحمل المؤقتة ، لأمنت أن تقع في الندم ولات حين مناص .

بنوك الحليب البشري المختلط

وليس لها وجود في العالم الاسلامي وهي في الغالب الى زوال نظرا للاستغناء عنها في بلادها ببدائل أخرى . وتقوم على تبرع النساء المرضعات كل بما يتيسر من حليبها ، وتجمع من ذلك حصيلة يومية كبيرة تستخدم في تغذية طوائف من المواليد الخدج ، يحتاجون للحليب البشري بالذات . . وقد كان هناك رأيان : أحدهما يخشى أن تقوم بذلك أخوة الرضاع بين من اشتركوا في شرب هذا الخليط ، ثم بينهم وبين أبناء وبنات من تبرعن به ، ويرى لذلك ضرورة عمل سجل تفصيلي يوزع على ذوي الاختصاص . . بينما رأى الفريق الآخر ومنهم الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي صاحب الورقة الرئيسية في هذا البحث استنادا الى رأي الليث بن سعد وفقهاء الظاهرية ومن وافقهم أن الرضاعة لاتتحقق الا باجتماع ركنين هما إلقام الثدي ، وشرب الحليب ، ومادام الطفل لم يمص الثدي فلا حرج .

ومسائل أخرى

وتعرضت الندوة لمباحث أخرى ، لم نجد مجالا لعرضها ، اذ لابد لها من شيء من الشرح يضيق عنه المقام ، ولعل لنا اليها عودة أخرى . . منها التحكم في جنس الجنين ، وقضايا الاستنساخ بالنسبة للانسان ، وتقنية التكاثر والهندسة البشرية باستخدام بعض خصائص الحامض النووي معاود الالتحام ، وخواطر عن المقررات الدراسية في الكليات الطبية بالعالم الاسلامي .

ونظرا للفائدة الكبيرة التي حققتها الندوة ، رأى المشتركون فيها ضرورة عقد ندوات أخرى لاحقة لمناقشة المزيد من القضايا الطبية المطروحة ، بل كان من بين التوصيات « تشكيل لجنة دائمة يشترك فيها الفقهاء والأطباء والعلماء للنظر عند الحاجة في القضايا التي يتطلب البت فيها خبرات فنية ووجهات نظر شرعية » .

وبعد . . . .

لكأني أشهد ارهاصات تكوين المجمع العلمي الاسلامي الذي يطوي المسافة طيا بين الفقه الاسلامي وبين قضايا القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين . .

وكأني أشهد باب الاجتهاد ينفتح ، وتهب منه أنسام ندية ، تنبىء أن شريعة الاسلام صالحة لكل زمان ومكان ، وأن معينها لاينضب ، شريطة أن تنقدح بالفكر أمخاخ علماء المسلمين كل في اختصاصه ، وكل في عناق واحد من خدمة هذا الدين القيم . .

وكأني أشهد الصحوة الاسلامية جاوزت مرحلة حرارة العاطفة الى مرحلة بناء الحضارة . ●

□□

١٩٨٤
رواية جورج أورويل الرهيبة
الأخ.. والنبوءة والكاتب

بقلم : الدكتور
محمد خير عثمان

« جورج أورويل »

□ قليل من الأعمال الأدبية المعاصرة التي اختلفت الآراء حول مضمونه وأجمعت على عظمته مثل « ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون » « ١٩٨٤ » رواية الكاتب الانجليزي « جورج أورويل » صاحب « الطريق الى ويقان بير (١٩٣٧) » و « وفاء لكاتالونيا ـ ١٩٣٨ » و « والصعود الى الهواء الطلق ـ ١٩٣٩ » و « مزرعة الحيوانات ـ ١٩٤٥ » ـ فردوس العمال المفقود وأعظم سخرية سياسية في هذا القرن .

عندما صدرت « الف وتسعمائة واربعة وثمانون » في عام ١٩٤٩ ، قال عنها احد النقاد المعاصرين فور صدورها « انها كتاب عظيم . . ولكني اسأل الله ان يجنبني قراءة مثلها في مستقبل ايامي ! » . .

أدانها الشيوعيون ، وأبغضها اليسار الاوروبي ، وهو مازال اسيرا لأحلام الأممية فيما بين الحربين العالميتين ، ولم يجد في الرواية الا الجزء الثاني من حرب اورويل الفكرية ضده بعد ان كانت « مزرعة الحيوانات » هي الجزء الأول من هذه الحرب . .

هلل لها معسكر آخر في اليسار ، لأنها في رأي هذا المعسكر لا تحذر من تحول الحكم الى السلطة المطلقة في يد اليساريين ولكن في يد الليبراليين وحدهم .

بينما رأى فيها البعض الآخر هجوما على النموذج الاشتراكي البريطاني ، وتحذيرا من وقوعه تحت ظل النمط الاقتصادي الروسي ، وتسلط البروليتاريا (الغوغاء) بقيادة نقابات العمال البريطانية ، ويستند هؤلاء على شواهد من اعمال اورويل السابقة في تحليل ونقد برامج حزب العمال البريطاني بقيادة اتلي ، وهو يتولى الحكم في اول حكومة بريطانية بعد الحرب .

وفي الولايات المتحدة نفدت طبعتها الأولى التي بلغت ٣٥٠ ألف نسخة ـ وهو رقم كبير بمقياس ذلك الوقت ـ في اسابيع قليلة ، وتصدرت قائمة افضل الكتب ، ووجدت اقبالا منقطع النظير بوصفها دعوة من الكاتب الى الانفتاح الاقتصادي والحرية المطلقة في الاقتصاد والتجارة الدولية . . اما في المعسكر الشرقي ـ والستالينية في اوجها ـ فقد تسربت الرواية الى بعض اقطاره ووجد فيها المواطنون هناك امثلة عديدة لحياتهم اليومية .

أورويل يرد على نقاده

أما بعض النقاد ، وهم ايضا كثيرون ـ ولهم وزنهم في الحياة الأدبية والسياسية ـ فقد حذروا بألا تؤخذ الرواية ـ وهي عمل فني هادف وجاد ـ كمجرد اداة اعلامية في يد هذا المعسكر او ذاك ، دعما لموقفه وهويته السياسية ، واستغلالا لعبقرية كاتب عرف بجديته والتزامه الأخلاقي لاتجاه سياسي معين . اما اورويل نفسه فقد كانت تستولي عليه مشاعر مختلفة وهو يقرأ قصاصات الصحف وتعليقاتها التي كان يبعث بها اليه اصدقاؤه عن روايته وهو على فراش المرض (وقد مات بعد صدور الرواية بوقت قليل سنة ١٩٥٠) وعلى الرغم من سعادته برواج الرواية واقبال القراء عليها وما قد تدره عليه من مال هو أحوج ما يكون اليه في مرضه ، فقد ضاق ذرعا بسوء فهم القراء لمغزى القصة وتحميلهم اياها اكثر مما تحتمل ، عن قصد او غير قصد ، فكتب

يقول « لم أكن أعني ان هذا ما سوف يحدث وانما اعني انه ما قد يحدث ، لو سارت الامور على ما هي عليه » « والدرس الذي يمكن ان نستنبطه من هذا الكابوس المخيف هو الا تدعوا مثل هذا يحدث . . . ان هذا يعتمد عليكم » وهو هنا يخاطب مجموعات المثقفين في عصره ، وكان سيىء الظن بهم الى حد كبير .

الواقع يمتد الى المستقبل

والطريف في رواية « جورج اورويل ، هو ان الجيل الذي عاصر ولادتها هو نفس الجيل الذي يشهد حلول العام الذي تنبأ كاتبها بوقوع تنبؤاته فيها كمجتمع معاصر ، وهو عامنا هذا الذي نشهد بواكيره . . . عام ١٩٨٤ ميلادية ، والذي يحمل عنوان الرواية .

ولا نعرف يقينا لماذا اختار الكاتب هذا العام بالذات ميقاتا ومسرحا زمنيا لأحداث روايته ، ربما اراد ان يقول لنا ان الكارثة اقرب مما نقدر « لو سارت الامور على ما كانت عليه » في زمانه ، وانها ستحل بنا في اقل من اربعين عاما ، وهو بالتقريب عمر بطلها المأساوي الحائر « ونستون سميث » . والأربعون هي ايضا سن النضج العقلي حيث يكون العقل قادرا على التمييز بين « المعقول » و« اللامعقول » ، بمعنى ان يكون قابلا للوقوع في براثن المأساة التي يخلقها وعيه للمقارنة بين ما هو كائن وما ينبغي ان يكون . . وقد كانت هذه هي مأساة « ونستون سميث » ، الرجل الناضج الذي افلت بمعجزة ببقية من عقله في مجتمع لم يعد فيه للعقل مكان .

ان الرواية تمثل صورة للحياة التي عاشها وعانى منها الكاتب ، فهي امتداد طبيعي لذلك الواقع الى جوف المستقبل الذي يمكن تصوره . . . وهذه الواقعية هي التي تقوى من عنصر الرعب فيها ، لأنها تجعل احداثها ء صنع التاريخ لا من صنع الخيال .

صيحة تحذير

من هنا فان « الف وتسعمائة واربع وثمانون » ليست قصة خفيفة ولا مسلية ولم يـ هذا من اهدافها ، فلا يمكن مثلا ان يقرأ الشخص ثم يلقي بها جانبا دون اكتراث : صيحة تحذير وتصوير لوضع ممكن الحدو جدا . .

وقد اختار الكاتب ان يضعها في قـا « اليوتوبيا النقيضة » بمعنى انه يريد ان يقول ان المجتمعات السليمة هي بالضبط عكس مجـ ١٩٨٤ الذي صوره لنا . وبهذا الاسلو استطاع ان يصور الخطر على الانسان وحر وذكائه ابشع تصوير ، فهو مثلا عندما ير التعبير عن المبادىء الانسانية التي ينشدها يضـ في الشعارات الرئيسية لنظام الحكم في مجتمـ الروائي :

« الحرب هي السلام ـ الحرية هي الاستعبـ الجهل هو القوة » وحتى لا يضيع المغزى ا الذي يريد نقله الى الناس في دوامة التفسيرات والاحتمالات ، فقد صاغهـ اسلوب لغوي مباشر بعيد عن الرمز والتعقيـ

والتعبير البسيط السهل كان صفة تميز « أورويل » صحفيا وكاتبا وروائيا ، حتى انه قد حول الكتابة الصحفية الى عمل حقيقي ، كما عرف انه كان اعظم كاتب مـ باللغة الانجليزية في هذا القرن ، « ١٩٨٤ » يتحول الاسلوب في يده الى الصـ التي كان يتمناها لنفسه وهو ان يزيل حا الاتصال بينه وبين القارىء العادي بلغة بسـ ومباشرة . على ان للغة عنده ـ كما سنرى ـ ا اخطر واعمق ، فهي في يد الطغاة اداة سيا خطرة ، ووسيلة اشد فتكا من جميع الوسائل

التحكم في الانسان ، وتحويل شخصيته الى الوجهة التي يختارها الطاغية .

الجو الروائي للقصة

واحداث « الف وتسعمائة واربعة وثمانون » هي افعال بسيطة محسوبة يقوم بها اشخاص معدودون في جو قاتم من الخوف والنفاق وانعدام الاحساس بالأمان ، وتحت ظل حرب لا نعرف تماما هي حرب قائمة فعلا أم هي حرب وهمية مفتعله ؟ .

ففي عام ١٩٨٤ يكون عالمنا هذا الذي نعيش فيه قد تم تقسيمه بين ثلاثة معسكرات او كتل سياسية وجغرافية كبيرة ، وقد سقطت هذه الكتل الثلاث بدورها فريسة في ايدي قوى سياسية وايديولوجية متضاربة الاهواء والمصالح .

ومن بين هذه القوى يوريشيا مسرح القصة التي نحن بصددها ، وقد اختار الكاتب لندن عاصمة لها مما يدل على ان يوريشيا هي في الحقيقة بريطانيا . ان الحرب التي تعيشها هذه المعسكرات الثلاثة فيما بينها يعيش القاريء كل جوها وظروفها وحياتها اليومية لحظة بلحظة في مجتمع « ١٩٨٤ » . اننا نعلم ان الحرب ـ لو كانت هنالك حرب فعلا ـ قد بدأت منذ نحو ثلاثة عقود من الزمان ولكننا لا نعرف من هو العدو الحقيقي ليوريشيا من بين المعسكرين الآخرين ، ولا نعرف ايضا اسبابها ولا نتائجها ، لأنها حرب من نوع غريب ، فليس فيها نصر ولا هزيمة ولا هدنة ولا صلح وانما هي « حالة حرب دائمة » ، يفرضها حكام اوشيينا على المواطنين ليظلوا في خوف دائم وتحت جو مستمر من الرعب والاستسلام ، فان ذلك يسهل على هؤلاء الحكام فرض سلطتهم على المواطنين كما يشاؤون ، لقد ادرك هؤلاء الحكام بحكم خبرتهم ان حالة الخطر الدائم هي اقرب الحلول السياسية لأزمة الحكم مع بقائهم في قمة السلطة ، ولذلك فقد قرروا الوقوف بجانب الخطر والتحالف معه ضد حرية المواطنين وامنهم واطمئنانهم .

« الأخ الأكبر يراقبك »

وعندما يقع المواطنون فريسة لمشاعر الخوف المستديم من خطر محدق بهم يسهل على النظام ممارسة كل انواع الكبت والرقابة ومصادرة الحريات دون مقاومة ، بل عن طواعية واختيار من جانبهم .

وبذلك تكتمل مقومات مجتمع ، ١٩٨٤ ، مجتمع « شرطة الفكر » الذين يعرفون ما يدور بالاذهان بمجرد استخدام الفراسة وقراءة تقاطيع الوجه وخلجاته ، مجتمع شاشات التصنت والترصد المنصوبة في الاماكن العامة والخاصة ، مجتمع الجواسيس ، والجواسيس الهواة ، والجواسيس الاطفال ، والذين استطاع النظام تجنيدهم ضد افراد اسرهم ، وهم اشد الجواسيس خطرا وفتكا وتفانيا ، مجتمع صناعة الحقائق غير الموجودة وازالة الحقائق الموجودة ومحو الذاكرة ، مجتمع ينتهي فيه الماضي

بالأمس ، فلا يعود فيه تاريخ ، ولا يولد فيه الغد ، فلا يعود هنالك امل . . مجتمع حفلات الاستهواء الجماعي التي ينظمها الحكام حيث ينفس المواطنون عن غيظهم المكبوت ضد عدو غامض « وكبش فداء » لا احد يعرف : أحقيقة هو ام اسطورة .

مجتمع لا خوف فيه من الاخلال بالقانون لأنه لا يوجد فيه قانون يمكن الاخلال به . . مجتمع لا يوجد فيه اصدقاء . . . وانما رفاق » .

واخيرا فانه مجتمع « الاخ الاكبر » في صورته الضخمة التي تمتلىء بها الشوارع والساحات والاماكن العامة ، بشاربه الكث وتقاطيعه الجامدة ، وعينيه النفاذتين ، ونظراته التي تتابعك حيثما اتجهت او تحركت وكأنها تهتف بك :

« الأخ الأكبــر يرقبك »

ونحن لا نرى الاخ الاكبر ولا ندري ان كان هو الاخر حقيقة او اسطورة ولكننا ندرك انه الحضور الدائم للسلطة والارهاب في مجتمع اوشينيا .

مجتمع النقائض

وفي هذا المجتمع يبدو كل شيء على نقيضه تماما « وزارة الحقيقة » هي وزارة تشويه الحقيقة ، « وزارة الوفرة » هي وزارة التوزيع غير العادل للمواد الغذائية الشحيحة ، « رابطة اعداء الجنس للناشئات » ورئيستها هي العشيقة السرية لونستون سميث ، ومن قبله للعديد من اعضاء الحزب ! .

« أما الأخ الاكبر » فليس هو الا « الخصم الاكبر » لحرية المواطنين وامنهم واطمئنانهم . . يحصى عليهم حركاتهم وسكناتهم وينتهي الامر بالكثيرين منهم الى الموت او « تحويلهم الى حالة غازية » حسب تعبير « النيوسبيك » او اللغة الجديدة للحزب .

مســار الأحــداث

في هذا الجو وفي هذا المجتمع تجري احداث « ١٩٨٤ » ، ان شخصياتها كلها تقريبا « نماذج » او « انماط » وكائنات ليس لها ظل ولا ابعاد ، وهي اشخاص لا تتطور ولا تنمو وانما تدور في فلك رتيب . .

يقع ونستون سميث ـ بطل القصة في علاقة غرامية سطحية مع « جوليا » احدى الموظفات في « مديرية الاساطير » « بوزارة الحقيقة » التي يعمل فيها ونستون محررا ومزورا للحقائق والمعلومات ، تنجح جوليا في تدبير اللقاء بينهما عدة مرات في اماكن بعيدة عن رقابة الشرطة السرية ، وعيون شاشات الترصد واجهزة التجسس المنتشرة في كل مكان ، ويعقد ونستون صداقة سطحية ايضا مع صاحب مكتبة كهل ، اسمه كارنجتون ، وعن طريقه يستطيع اللقاء بجوليا في غرفة مهجورة لكارنجتون ، ويتخذ منها العاشقان عشا لغرامها ، ولكنهما يتوجسان دائما ان تطبق عليهما الشرطة في كل لحظة .

ويلتقي ونستــون بشخص غــامض هــو « اوبراين » ، احد اعضاء الحزب الحاكم ، ويوحي اليه هذا بانه معارض للنظام الحاكم وانه يعلم ايضا ان ونستون معارض في سريرته ايضا ، ويعتقد [illegible]ستون ان هذا الشخص « اوبراين » هو [illegible]ل الوحيد في الخلاص ـ خلاص اوشينيامن ا[illegible]كم الارهابي الذي يتسلط عليها وعلى شعبها .

ويستدرج اوبراين كلا من ونستون وصديقته جوليا مدعيا انه في صف المعارضة الداخلية للنظام ، وانه احد اعوان جولد شتاين ـ عدو الشعب الأول وموضوع حفلات الكراهة الاسبوعية ـ ويستسلم ونستون وصديقته لاوبراين الذي يعيرهما سرا « الكتاب » ـ وهو مجموعة افكار جولد شتاين وتحليله للوضع السياسي والاتجاه المناهض للحكم الاستبدادي

في اوشينيا بقيادة الاخ الاكبر . . ويقرأ ونستون « الكتاب » بتعمق وتلذذ لأنه يجد فيه كل افكاره وخواطره التي يؤمن بها وينطوي عليها في دخيلة نفسه عن النظام الذي يعيش فيه .

ويتعرف ونستون ايضا على رجل ذكي اسمه « سايم » وهو خبير « النيوسبيك » اللغة الجديدة ، ومن نقاشه مع سايم يدرك مدى ذكائه وخبرته وايمانه بالدور السياسي المدمر للغة عندما تصبح اداة في يد حكم متسلط .

ولكن سايم يختفي فجأة ولا يعلم شيء عن مصيره . . لقد حولته شرطة الفكر « الى حالة غازية » كما تنبأ له ونستون وذلك لفرط ذكائه وحماسته . . فالحزب الحاكم لا يحتمل وجود الاذكياء والمتحمسين لرسالتهم اكثر مما ينبغي ويعلم زملاؤه في العمل بنهايته ولكنهم لا يكترثون .

ومن الشخصيات التي يتعرف عليها ونستون بمحض المصادفة ، منذ بداية القصة ، العامل بارسونس وزوجته ، وطفليه فيدرك مدى قابلية وقوع الطبقات العاملة الدنيا اسيرة في قبضة « النظام » وقبولها لمصادرة حرياتها وفكرها وجهدها عن طواعية وتصديقها لجميع اكاذيب « الاخ الاكبر » بل تقديسها له حتى دون ان تعلم عنه شيئا . وباتصاله بهذه الاسرة العاملة يدرك ونستون مدى التخريب الذي يقوم به النظام الحاكم في النظام الاسري حيث يغري الآباء والامهات بتنشئة ابنائهم كعيون على خصوم النظام واعدائه ، فضلا عن ان هؤلاء الاطفال يعملون جواسيس على اسرهم نفسها لحساب « شرطة الفكر » . . . ولكن امثال بارسونس هم الذين يعمرون طويلا في مثل هذا الحكم .

النهاية

وفي نهاية الامر يقع ونستون وصديقته جوليا في يد « شرطة الفكر » بعد ان يكشف امرهما صديقهما كارنجتون للشرطة ، ويذهل ونستون وصديقته عندما يدركان ان كارنجتون كان في الحقيقة رجل شرطة شابا متنكرا في صورة الكهل كارنجتون صاحب مخزن الانتيكات .

وتقوم الشرطة بتعذيبهما ، ويكون على رأس فريق التعذيب اوبراين الرجل الذي كان يعلق عليه ونستون الآمال في الخلاص . .

وتحت جحيم التعذيب يضطر ونستون الى الاعتراف « بجريمة الفكر » التي اعتقل وعذب من اجلها . ولكنه يوقع ايضا بصديقته جوليا . .

ويتم تحويل ونستون تماما الى الخط الذي نشز عنه . فكريا ، لأربعين عاما . .

وبعد ان يتم الاعتراف وتقف عملية التعذيب . . يرفع ونستون عينيه الدامعتين ليرى « الاخ الاكبر » يتطلع اليه ، ولكن هذه المرة في كثير من العطف والحنان . . ويلوم ونستون نفسه لسوء الفهم الذي حرمه من هذه المحبة الابوية طوال نشوزه عن الحزب ! . . ولكن لا بأس فكل شيء على ما يرام . . لقد انتهى الصراع الآن وانتصر ونستون على نفسه . . لقد احب الأخ الأكبر ! وهكذا تكون نهاية البطل . . فهو لا يموت شهيدا دون مبادىء آمن بها وانما يعيش ضحية من ضحايا الاستبداد والقمع .

الكاتب

والذي يتابع حياة جورج اورويل بشيء من الاهتمام لا يملك الا ان يلحظ هذا القرب بين حياته وعمله وفكره السياسي من جانب وبين اعماله الادبية من جانب آخر .

وعلى الرغم من غزارة انتاجه وتنوع القضايا التي تناولها في كل من مجموعة رواياته وقصصه والتي الف منها في الفترة ما بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ عشر روايات . . . بمعدل رواية واحدة كل عام ، وفي المئات من مقالاته وتحليلاته النقدية

للناس والافكار والاوضاع ، على الرغم من ذلك ، بل ربما من اجل ذلك ، فان التزامه الفكري لم يتزعزع حيال كل المبادىء التي كان يدعو اليها ويبشر بها ، وهي تحقيق الخير والفضيلة والكرامة الشخصية ، وتوظيف الفكر والذكاء لما ينفع الناس ، وان تكون على رأس المجتمع حكومة بعيدة عن الكبت والاستبداد ، ترى في الحكم وسيلة لتحقيق هذه المبادىء وليس غاية تتسلط بها على الرقاب . .

النشأة الأولـــى

اسمه الاصلي « اريك بلير » ولكنه اختار « جورج اورويل » اسما ادبيا عرف واشتهر به ، وولد بلير في ولاية البنغال في الهند في اليوم الخامس والعشرين من يونيو (حزيران) عام ١٩٠٣ ، وكان ابوه « رتشارد بلير ـ يعمل شرطيا في حكومة المقاطعة ، وفي طفولته الأولى عادت به امه الى بريطانيا ليبدأ تعليمه هناك ـ كعادة موظفي المستعمرات البريطانية آنذاك ـ وهناك شب وترعرع ، واظهر في بواكير عمره من الاستعداد المبكر ما رشحه لنيل اعانة مالية ساعدت والديه على ارساله الى مدرسة « اعدادية » ذات نظام ارستقراطي محافظ ، ولكن تجربته في الحياة والدراسة في تلك المدرسة لم ترتبط في ذهنه بذكريات سعيدة ، فقد وصفها فيما بعد بانها كانت « عالما صغيرا من القسوة والخداع والسرية . . ولم يكن بمقدوري ان اكون فيها شخصا فاضلا » . .

ولكن على الرغم من ذلك فقد نبغ في دراسته فيها واستطاع ان يحرز جائزة اخرى مكنته من الدخول الى كلية « ايتون الثانوية » وهي واحدة من اشهر المدارس البريطانية المعروفة « بالمدارس العامة » المحافظة في التعليم البريطاني ، وكان لهذه الكلية ولنظامها التعليمي الفضل في صياغة شخصيته وفي تشربه بالمثل الانجلوسكسونية الكلاسيكية ، حتى اصبح فيما بعد من اليساريين القلائل الذين استطاعوا التوفيق بين التمسك بالحس الوطني والقيم الاخلاقية لمجتمعه البريطاني ، الى جانب اعتناقه للفكرة السياسية الاشتراكية والتي كانت ترى في التمسك بمثل هذه القيمة الوطنية تضييقا للافق السياسي ، بل لعله كان واحدا من ابرع من عبر عن هذه الموازنة وبررها في كتاباته المختلفة .

وبعد ان انهى دراسته في ايتون وصل الى اعتاب اكسفورد وكمبردج ولكنه لم يستطع الالتحاق بأي منها على الرغم من تميزه الدراسي وذلك لعدم قدرة اسرته المتوسطة الحال على تحمل اعباء المصروفات الدراسية الباهظة .

وقرر فورا ان يدخل معترك الحياة العريضة غير مزود الا بشهادة الثانوية فعاد الى آسيا ، وهناك بدأ من حيث انتهى ابوه ـ شرطيا في حكومة بورما . . وكانت تجربة قاسية لقي فيها الكثير من العنت والعناء ، وانعكست آثارها على فكره واتجاهه السياسي وفي كتاباته التي عبر فيها عن رفضه للاستعمار بكل صوره واشكاله ، وذاق فيها طعم الاخفاق في المواءمة بين واجبه كموظف صغير يحرس مصالح الامبراطورية البريطانية في مجتمع بعيد ومتخلف ، وبين افكاره كشاب يحمل بين جوانحه قيما ومبادىء اخذت تتبلور في نظرته للحياة والاحياء في اتجاه انساني شامل . □□

تنويه واعتذار

وقع خطأ غير مقصود في تسمية منطقة الصحراء بالمغرب في الصفحة رقم ٣٧ من العدد رقم ٣٠٣ فبراير عام ١٩٨٤ ، في الخريطة المنشورة مع المقال الذي يحمل عنوان (التكامل الاقتصادي الخليجي ، نواة للتكامل العربي الكامل) ، لذا وجب التنويه والاعتذار .
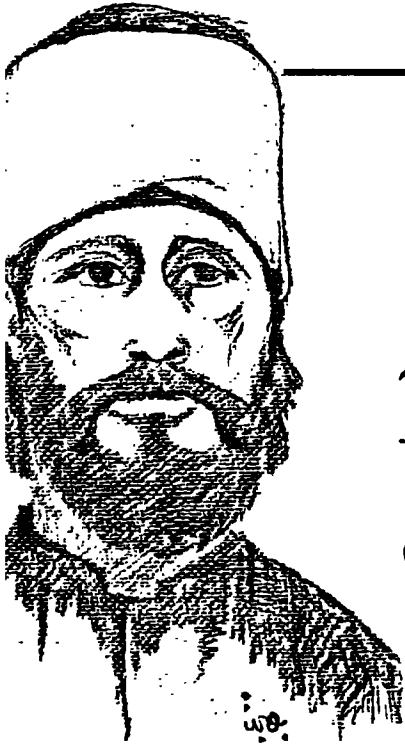
مـرة أخرى :

الأفغـانى المفترى عليه

عملاق دخل التاريخ

بقلم: الدكتور شاكر مصطفى

□ مثل هذا الرجل ليس فى حاجة الى من يتجرد للدفاع عنه ، ولست لأدافع . تجريح قاعدة التمثال الضخم لا تهدمه . الرجل طود . وكان وسيبقى رمزاً من رموز النهضـة ، وليس يهم أن يتسلق المتسلقون ساقيه والأطراف .

الدكتور لويس عوض وضع نظارة خاصة ذات ألوان غربيـة ، وتسلق او حاول . أخـذ سيـرة الافغـاني فـزرعهـا ـ بقلمـه ـ ألغـامـا ، وايماءات ، وشبهات ، وما شاء الهوى . وحين تـطوى الصفحة الاخيـرة من المقالات السبعـة عشرة لن يكون في خاطرك الا اشـارة استفهام كبيرة كبيرة : لماذا ؟

لماذا هذا الاستهزاء والتدمير للرجل ، كأنما المدى ظفرت بذبح عظيم سمين ؟ أهو لتكريس المصرية الفرعونية ؟ أهو محاولة تهديم الرمـوز الكبرى للنهضة ضمن اوركستـرا التهديم التي تتناول اليوم كل شيء ؟ وتأتي على كل شيء ؟ اهـو الانبطاح والتقـديس لكـل مـا هـو غـربي والتنصل بعد الهزء من الشرق كل الشرق وكل قيم الشرق ؟

الافغاني انسان وله ككل انسـان صبواتـه ، وذؤابات الهوى ، واضطراب الايام وألوان المد والجزر في الحياة . فماذا يضيره ـ لو صحت كل

الشبهات المزروعة في الدراسة - ان يكون انسانا ؟ فما بالك اذا كانت تلك الشبهات مملوءة بالتجني العمد ، مثقلة الاسطر والاحرف بسموم الظنون ؟

المحررون الكبار الذين هزوا التاريخ من ذا الذي يبرئهم ويجعلهم الاطهار ؟بوليفار . سان مارتان . غاندي . واشنطن . غاريبالدي ما فيهم الا من وراءه التاريخ الحافل . ولكن من ذا الذي يعرف الوجه الآخر لهم ، او يهتم بإثارته ؟ من ذا الذي يعرف الوجه الآخر للقمر ؟ ثم لمصلحة من تثار هذه القضايا الآن وقدمضى على الكتب اليهودية والايرانية التي ذكرت اشباه هذه التهم للافغاني ما بين ١٥ الى ٢٠ سنة ؟

ترى ما الرأي لو جاء باحث ، بعد قرن من الزمان ، فنظر في التقارير الأمنية عن الدكتور لويس عوض فوجد انها خليط شيوعي أمريكي فاتهمه بالذبذبة والتلون ، ونظر في تراثه الفكري فوجد فيه ريح الطائفية فرماه بالباطنية والنفاق ، وفي تراثه السياسي فوجده متصلا بامريكا وانكلترا فدمغه بالعمالة ، وكتب عنه فتحدث عن « اسطورة » لويس عوض ، وان له « دورا » كان يؤيه لحساب مجهول ، وان له « ماضيا مريبا » وتعاونا كاملا مع جهة ما ، وانه « مزدوج الشخصية » او مثلثها او مربعها حسب الظروف ، وان مواقفه وتحركاته « جملة من المتناقضات » ، كل ذلك بوثائق امريكية وانكليزية وفرنسية . . . ما الرأي يا ترى عند ذلك ؟

مع ذلك فهذا واكثر منه بكثير هو ما قاله الدكتور لويس عوض عن الافغاني .

استند الدكتور لويس عوض اولا على وثائق المتجسسين الانكليز منقولة لدى باحثين يهود . والانكليز على الدوام كانوا أعداء الافغاني . فاذا زاوج بين هذه الوثائق ، وبين ما كتبه اصدقاء الافغاني وتلاميذه لينقضها ويثبت الشكوك والشبهات . فأين الوثائق العثمانية والفرنسية والمصرية والهندية والانكليزية والروسية ·

أفكار الرجل

ويقف الدكتور لويس عوض عند أفكار الرجل فيجهد اعنف الجهد واقسى الجهد لا في الهزء منها فقط ، ولكن في تسفيهها ومحاولة اظهار التناقض فيها ، ولو من خلال المنطق الصوري . فثقافة الافغاني - عند لويس عوض - لا تتجاوز المعلومات عن الشيخية والبابية والبهائية في ايران . « وتعلم في الهند شيئا عن الداروينية والمادية والمثالية والعقلانية والطبيعية وما شاكل ذلك من علوم الغرب وقد ظهرت آثارها في كتاباته بعد سنوات عديدة . وما تبقى فهو من فتات المعرفة التي كان يمكن أن يتسقطها بالسماع من افنديات المثقفين حول نظرية الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر ومدرسته البيولوجية في علم الاجتماع القائلة«بأن المجتمع الانساني كائن عضوي يتبع في ميلاده وطفولته وشبابه وشيخوخته وموته الدورة البيولوجية المألوفة » (لم لا يكون ابن خلدون هو مصدر الافغاني في ذلك وليس سبنسر ؟) .

ويقول الدكتور عوض حول هجوم الافغاني على الداروينية « . . . واكثر حجج الافغاني ضد الداروينية حجج مضحكة تدل على جهله بنظرية التطور كما تدل على انه كان يجمع معارفه عن علوم الغرب وفلسفاته من مناقشاته الجدلية مع المثقفين او من الشذرات القليلة التي كان يقرؤها في صحافة عصره . . » « وهذا امر مفهوم لان الافغاني لم يكن يعرف من اللغات الاوروبية الا قليلا من الفرنسية . . »

لهذا كله فان المحاضرة التي القاها في استامبول واثارت عليه الضجة وادت الى نفيه لم

تكن اكثر من « مجرد فقاعة في الجو الثقافي التركي سرعان ما انفثأت . . . » .

ويمسك الدكتور لويس بتلابيب الشيخ الافغاني بعد هذا فاذا وجده يدافع عن الدين بمنافعه العملية الحياتية استنتج على الفور ان الشيخ « لا يؤمن بالدين كمجموعة من الحقائق الميتافيزيكية الالهية الروحية ولكنه يجعله مجرد معتقدات نافعة لحفظ المجتمع . مجرد مؤسسة وضعية ذات وظيفة اجتماعية » . . « وهذا في الواقع هو جوهر رسالة الافغاني في الرد على الدهريين » .

واذا قارن الافغاني بين النبي والفيلسوف واوضح ان « لا حاجة الى انبياء مشرعين في كل عصر لأن الشريعة الالهية كافية لجملة العصور ولكن البشر بحاجة الى مفكرين ينظمون الحياة بالعقل في كل عصر » امسك به الدكتور مرة اخرى وصرخ : « وهذا ايضا زندقة بالنسبة لمن يعتقد ان اصول الدين والشريعة صالحة لكل عصر ولكل بيئة لأنه قول يفترض تناقض الشريعة مع العقل في بعض العصور وبعض البيئات » .

واذا قال الافغاني في محاضراته باستامبول : « لقد كنا في اعلى عليين ثم هبطنا اسفل سافلين بسبب تواكلنا وكسلنا وانصرافنا عن العلم ولابد من التشبه بالامم المتمدنة وضرورة اكتساب كل فرع من فروع العلم » صرخ الدكتور بمنطقه السليم : اقبض يا شاويش ! ان الافغاني هنا « يهرب بعض المعاني » فقوله هذا « يتضمن اعترافا بانحطاطنا . . والمقصود طبعا اننا لم نتعلم الا علوم الدين »!! . .

واذا دعا الافغاني في مجلة العروة الوثقى الى الجامعة الاسلامية وحكم المستبد العادل (وهذه الفكرة في رأي الدكتور عوض مسروقة من عصر التنوير) فان ذلك يتناقض عند السيد الدكتور مع دعوة مصر للمصريين والدعوة الى اعمال الدستور في مصر . . ويرى انه كان يخطط سرا للجامعة الاسلامية بينما كان في الوقت نفسه ، ومسايرة للتيار الوطني الجارف في مصر ، يذكر المصريين حتى بأمجاد الفراعنة ضد الاستعمار الاوروبي . (هل نسي الدكتور ان مصر كانت تابعة للعرش العثماني الذي كان الافغاني يدعو للانضواء تحته ؟) .

واذا دعا الافغاني في الهند الى الوحدة بين المسلمين والهندوس في الكفاح الوطني ضد الانكليز ، ودعا في الوقت نفسه الى اقامة دولة اسلامية مستقلة تفصل بين الهند وروسيا (وهي هنا افغانستان وباكستان في اقصى شمال الهند) فان في هذا « ذبذبة بين الاتجاهين سياسيين متعارضين اشد التعارض » وهذه الذبذبة - في رأي الدكتور عوض - كانت من اسباب فشل الافغاني في مرحلته الهندية !!» .

الدور . . والعقدة !!

وماذا قال الدكتور عوض اخيرا عن اعمال الافغاني وممارساته الحياتية ؟ انه يرى ان الافغاني كان دوما « يؤدي دورا من الادوار او يبحث عن دور » . وهو ليس بشيء لا في الهند ولا في افغانستان ولا في استامبول ولا في مصر ولا في لندن من بعد .

يقول كان الافغاني يغير ألقابه كي « يجعل من المستحيل على الناس وعلى السلطات ان تتعقب منشأه وتجمع المعلومات عنه . . » كأنما الافغاني طريد دولي ، ويضيف « انه حين ذهب الى الهند ثم افغانستان كان يجتهد بين قوم سنيين لاخفاء اصوله الشيعية حتى يتسنى له الاندماج في بيئة السنية لاداء دوره الذي اختاره . . » .

ويمضي الدكتور عوض في مثل هذا الحديث ، ففي كل صفحة دسيسة تدس ، او شبهة ترمى ، والدراسة طويلة ، ولها كل

« مظاهر » التوثيق العلمي : وهكذا قصد الافغاني الهند او اوفد اليها « وانتهى الامر بابعاده عنها ، بعد الابعاد عن ايران وعن العراق » وتلتها مرحلته العربية (الحجازية العراقية) التي استغرقت ٣ سنوات وانتهت بابعاده للمرة الثانية او الثالثة عن موطنه ايران ، وهناك مرحلة تجواله الغامض . . خمس سنوات تلتها مرحلته الافغانية سنتين ، انتهت بابعاده عن افغانستان « بعد ان كان بارزا جدا في بلاط الامير اعظم خان وكان « محامي السياسة الروسية لديه » . وقد كان قبوله لدى هذا الامير « فورا وبلا تحفظ » وكان تحوله « من جوال غامض التحركات الى المحرك الأول في بلاط كابول » دليلا « على ان اوراق اعتماده في قوة الحديد وقوة المبعوث من قوة باعثة » . . ويقضي الدكتور صفحة كاملة ليقول ما قاله الوكيل البريطاني في كلمتين : ان الافغاني « عميل روسي » .

مع ذلك فشل الرجل في افغانستان ولم يخرج « باذن للحج » ولكن « خرج مطرودا من افغانستان الى الهند » والغريب ان هذا العميل الروسي » بدلا من ان يذهب الى روسيا ذهب الى الاستانة !! ولا يرى الدكتور في هذا اي تناقض مع منطقه السديد !

في استامبول يشكك الدكتور في ان يكون الافغاني « شيئا » رغم انه اختير عضوا في مجلس التعليم . ثم القى محاضرة تسببت في نفيه . ومع ذلك فلم تكن اكثر من « فقاعة انفثأت » و « طرد الافغاني » من استامبول ليأتي مصر . . وهناك « في قمة نشاطه في مصر سنة ١٨٧٩ لم يكن علما من اعلام البلاد او زعيما بارز المكانة في الحياة بحيث لا يحتاج الى تعريف (لدى السادة الانكليز) ولم يكن يشكل مشكلة تجعل منه شخصية عامة في السياسة المصرية يعرفها المسؤولون في انكلترا . . » (فمقياس البروز هناك !!) .

الى اين نمضي في التعداد ؟

يطول الامر جدا لو تابعنا الدكتور « الباحث »(!) في رحلة الاتهام والشبهات وافتراض سوء الطوية والنوايا ، والمغامرة والعمالة . .

خلاصة الامر كله ان الافغاني عند الدكتور « اسطورة » « وشخصية غامضة » « ومن اصعب الصعاب (!) ان يقول احد بأمانة وعن معرفة : هذا هو الافغاني الحقيقي !» ترى لو طبقنا شبهات وشكوك الدكتور عوض على اية شخصية من الشخصيات التاريخية ألسنا نصل الى انها جميعا ذلك « الايراني الغامض ؟» ان كتابة دراسة طويلة والعناء فيها بهذا الشكل غير العلمي يعني ان لها غرضا غير العلم . فما القصد الاخير منها ؟ اين تصب ومن المنتفع يا ترى ؟

من المستفيد ؟ هل صعب على الدكتور لويس عوض ان يرى رجلا حرا ذا فكر نضالي في تاريخنا الحديث دون ارتباط بالاجنبي ، فصب عليه وابل شكوكه وغضبه « وعلميته »؟

انه ينطلق في الدراسة كلها من فرضية مسبقة هي الاتهام . يفترض قبل البحث ان الرجل اجير عميل ، ثم يتكفل بالتفسير والاستنتاج حيثما وجد سبيلا للدس عليه او لتجريده من جبته ، انه في احسن الاحوال ومع افتراض الحسنى قد خسر ثلاثة ارباع المعركة بالتجني الذي حشا به دراسته لقد كتب الدكتور لويس منذ فترة قريبة وبعد تاريخ طويل من الشبهات ، عن الجنرال يعقوب الذي لحق بنابليون بونابرت وخدمه وحارب معه ضد مصر فجعل منه بطلا قوميا وها هو في « الايراني الغامض » يمسك بتلابيب جمال الدين الافغاني فيمزقها تمزيقا ليجعل منه عميلا مأجورا وليرى في كل حركة من حركاته وكل سكنة غرضا ودورا وجهة محركة ممولة !!

الشعر العربي .. هل هو أصل الرمزية ؟

بقلم الدكتور/ حامد أبو أحمد

لم يتوقف النقاد العرب المحدثون كثيرا عند إمكان أن يكون شعرنا العربى القديم مشتملا على بعض الظواهر التى انطلقت منها فى العصر الحديث أعظم حركة شعرية عالمية هى الحركة الرمزية .

اذا كان البعض قد اهتم بهذه القضية على نحو آخر ، مثل الدكتور درويش الجندى فى كتابه « الرمزية فى الأدب العربى » ، حيث خصص لها بابا كاملا يشتمل على ثلاثة فصول تتناول الرمزية فى الادب العربى القديم والادب الاسلامى والادب العباسى والاندلسي ، ولكنه خرج بالنتيجة التالية عن الادب الجاهلى : « ومعنى ذلك ان البيئة الجاهلية لم تكن صالحة للرمزية بالمفهوم الغربى ، تلك الرمزية التى تغوص فيما وراء الحس ، وتحاول ان تعبر عما لا يمكن التعبير عنه تحت ستار من الأوهام والأحلام ، وفى لفائف من الظلام والغموض [1] » .

الا ان هذا الباحث يعود ليقرر أن فى الشعر الجاهلى رمزية أسلوبية قريبة من الاسلوب الرمزي الغربى . ثم انه يمضى فى تفصيل مظاهر هذا القرب . وهو يفعل الشىء نفسه تقريبا فيما يتعلق بالعصور الاخرى الاسلامية ، حيث ينفى عن الشعر العربى عامة المفهوم الغربى للرمزية ، لكنه لا يستبعد وجود بعض الخصائص التى تجمع بينه وبين الرمزية الغربية الحديثة - أو بتعبير أصح - تقرب بين الاتجاهين مثل الاغراب فى التصوير عند شاعر كأبى تمام أو بشار بن برد ، واصطناع البديع ، والاهتمام بالتورية ، والغموض ، والاكثار من المجاز والاستعارة والكناية ، وغير ذلك من فنون البلاغة . كما أن الدراسات العربية الأخرى حول الرمزية تنحو هذا النحو تقريبا .

والحق أن هذه القضية يجب طرحها من وجهة نظر أخرى ، فبدلا من أن نبحث هل يتفق ما في الشعر العربي من رمزية مع المفهوم الحديث للرمزية الأوروبية أم لا ؟ يجب أن تطرح المسألة على النحو التالي : هل يمكن أن نجد في شعرنا العربي القديم بعض الخصائص التي تمثل أصولا للحركة الرمزية أم لا ؟ . وطرح المسألة على هذا النحو ينسجم مع اتجاه الغربيين أنفسهم في طرحهم لمثل هذه المسائل . فهم عندما يبحثون عن أصول الحركة الرمزية عادة يعودون الى كتابات من مهدوا لها ، مثل الشاعر ادجار ألن بو ، والفيلسوف سويدنبرج وسواهما . والمعروف أن كتابات ألن بو أو سويدنبرج لا تتفق بالطبع مع المفهوم المتعارف عليه للرمزية بعد ذيوع أشعار شارل بودلير وآرثر رامبو وبول فيرلين وبول فاليري وغيرهم ، ولكن كتابات ألن بو وسويدنبرج كانت بمثابة تمهيد للحركة .

سان خوان دي لاكروث والرمزية

من هذا المنطلق بحث بعض النقاد الاسبان عن أصول الحركة الرمزية في أشعار الشاعر المتصوف الاسباني الشهير سان خوان دي لاكروث . وقد طرح الناقد الأسباني كارلوس بوسونيو هذه المسألة على النحو التالي ، يقول : « سوف أحاول تقريب شعر سان خوان دي لاكروث من المدرسة الرمزية التي انتشرت أعمالها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين . وأنا اذ أقوم بهذا

---

(١) د . درويش الجندي « الرمزية في الأدب العربي » - دار نهضة مصر للطبع والنشر

التقريب لا أدعي بالطبع أن شاعرنا الكبير الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي رمزي بالمعنى الحالي المتعارف عليه للرمزية ، أو أنه يقع في دائرة تتفق تماما مع أصل نشأة هذه الحركة المعروفة بهذا الاسم . ان ما أنويه في هذا الصدد أقل مفارقة من ذلك ، وان كنت لا أدري هل لهذا السبب نفسه يأخذ طابع المفاجأة أم لسبب آخر ؟ اني أريد أن أوضح أن سان خوان دي لاكروث بما له من صفات وخصائص المتصوف (وهي أشياء ذات جذور لا عقلانية في العادة) قد توصل الى بعض الاكتشافات الفنية ، التي استخدمت هي نفسها فيما بعد في الشعر الأوروبي ابتداء من عند بودلير فقط ، أو بتعبير أكثر تحديدا ابتداء من المدرسة التي أطلق عليها اسم « المدرسة الرمزية » أو ما سبقها ومهد لها من طلائع . ولكن يجب أن نضع في اعتبارنا في هذا الصدد أن هذه الاكتشافات ليست كأي اكتشافات أخرى ، وانما تشكل - بلا أدنى شك - أهم المعطيات التي أثرت على ظهور الرمزية في العصور اللاحقة »[٢] .

بهذه الطريقة يقوم كارلوس بوسونيو بطرح المسألة ، ثم يمضي في تطبيق نظريته عن الصورة التقليدية والصورة الرمزية على أشعار سان خوان دي لاكروث ، حتى يصل الى النتيجة ، وهي أن شعر هذا المتصوف الكبير يقوم على الصورة الرمزية التي عرفت في العصر المتأخر عند الرمزيين .

يقسم بوسونيو اذن الصورة الشعرية الى نوعين :

١ - صورة تقليدية ، وهي التي ظلت تستخدم في الشعر الأوروبي منذ القديم حتى نهاية الحركة الرومانتيكية . وتقوم على المشابهة الموضوعية (مادية أو معنوية أو قيمية) بين شيء واقعي نرمز له بـ (أ) مثلا وشيء متخيل نرمز له بـ (ب) ، أما وجه الشبه هنا فهو مما يدركه العقل بسهولة . فعندما يقول احد الشعراء « شعر من الذهب » يدرك الذهن على الفور وجه المشابهة بين الشعر والذهب ، وهي هنا مادية أي الاشتراك في لون واحد هو الصفرة .

٢ - أما الصورة الثانية فهي « الصورة الايحائية » وهي خاصة بالشعر المعاصر ، وقد بدأت مع بودلير . وهذه الصورة تجعلنا ننفعل دون أن يصل عقلنا الى ادراك أي وجه منطقي للمشابهة بين (أ و ب) . ويكفينا فقط أن نحس بالمشابهة العاطفية بين الشيئين . انها اذن صورة غير عقلية ، وهي أيضا ذاتية في الوقت نفسه . ويمثل كارلوس بوسونيو لهذه الصورة الايحائية بالمثال التالي : « العصفور مثل قوس قزح » . ففي هذا المثال نجد العصفور (أ) أو المشبه ، وقوس قزح (ب) أو المشبه به متباعدين في الظاهر ، لكنهما يثيران في القارىء شعورا متماثلا انه الشعور بالبراءة الذي نستقبله في شيء من الحنان . وبهذا فان العصفور وقوس قزح يتشابهان عاطفيا في معنى غير معقول ، أي على عكس ما يحدث في الصورة التقليدية التي يتسم فيها وجه الشبه بالعقلانية والمنطقية . وهكذا نجد العصفور وقوس قزح قد تحولا الى رمزين لمرموز واحد ، أي أنهما على الرغم مما بينهما من تباعد في العقل والمنطق قد أصبحا ينتظمان عاطفيا في وجه شبه واحد هو البراءة . وهذا المعنى لا ينطبق عليهما في مجال الواقع ولكن التعبير بهذا الشكل يعطينا انطباعا بأنهما كذلك .

ويضرب كارلوس بوسونيو مثلا لهذه الصورة الايحائية من شعر سان خوان دي لاكروث ، بهذه الأبيات :

حبيبي هو الجبال
والوديان المنعزلة ، المليئة بالأشجار
والجزر الغريبة
والانهار الرنانة
وصفير الرياح الحبيبة ،
والليل الساكن . . . الخ

هنا نجد الشاعر يشبه حبيبه (الله) بأشياء غريبة . واذا أخذنا التشبيه الأول كمثال وهو « حبيبي مثل الجبال » ، وطبقنا عليه نظرية بوسونيو في الصورة الايحائية نجد أن المشبه « أ » (حبيبي)والمشبه به « ب » (الجبال) لا يوجد بينهما أي وجه شبه واقعي للمشابهة ، ولكن المحبوب يعطينا شعورا بالعظمة والقوة ، وهو نفس الشعور الذي يداخلنا بالنسبة للجبل ، ومن هنا تأتي المشابهة اللامعقولة بين المحبوب والجبال .

ومن هذا المثال وغيره من أشعار الصوفي الاسباني يؤكد الناقد كارلوس بوسونيو أن سان خوان دي لا كروث ممهد للحركة الرمزية ، بل انه قد سبقها بأكثر من ثلاثة قرون ، وذلك باستخدامه لوسائل فنية لا تختلف كثيرا عما كتبه شعراء الرمزية من بودلير حتى بول فاليري . ومن ثم فان سان خوان يكاد يكون شاعرا معاصرا سابقا لزمانه بعدة قرون . وهذا المعنى ركز عليه أيضا الناقد الشهير دامسو ألونصو في دراسة له عن سان خوان لا مجال للحديث عنها في هذه العجالة .

---

(٢) كارلوس بوسونيو « رموز في شعر سان خوان دي لا كروث - دار نشر تاوروس - مدريد .

الشعر العربي والرمزية

واذا طرحنا المسألة على هذا النحو بالنسبة للشعر العربي ، سنجد أن شعرنا ملىء بالصور الايحائية ، التي تذهب في الاغراب أحيانا الى حد يكاد يكون أبعد مما ذهب اليه الرمزيون المحدثون أنفسهم ، مثل قول ذي الرمة :

للجن بالليل في حافاتها زجل
كما تجاوب يوم الريح عيشوم
هَنّا وَهُنّا ، ومن هُنّا لهن بها
ذات الشمائل والايمان هينوم
دوية ودجى ليل كأنهما
يمّ تراطن في حافاته الروم

ونحن نظلم أنفسنا ، ونظلم الشعر العربي اذا قلنا عن مثل هذه الأبيات إنها لا تدخل في نطاق الرمزية بالمفهوم الأوروبي لأنها غير مستوحاة من الحس الباطني ، وإنما جاءت من الاحساس الخارجي الذي يدق أحيانا فيبصر ما قد يفوت على النظر العادي . نظلم الشعر العربي لأنه من المستحيل أن نطلب من ذي الرمة أن تكون أدواته الفنية مثل أدوات بودليروبول فيرلين ورامبو حتى نقرنه بهم ونظلمه حين نطلب منه أن يتخطى عصره بأكثر من عشرة قرون ، ونظلمه أيضا حينما نصف شعره بأنه صادر عن إحساس خارجي ، لأن الشاعر أي شاعر اذا كان صادق الحس فانما يستبطن الالهام الداخلي المستكن في أعماقه . كما أننا نظلم الشعر العربي ظلما بينا حين نصفه بالتخلف مقارنا بمذهب حديث هو أساسا قد أفاد من كل التراث الشعري العالمي . ولكننا عندما نعالج مثل هذه المسائل يجب أن نتسلح بأدوات النقد الغربي نفسها ، ندرسها دراسة كافية واعية ، وندرك اتجاهاتها ومغزاها حتى لا نقع في الخطأ، فننفي عن أنفسنا ابداعات وأمجادا نحن أولى الناس بالبحث عنها وإخراجها للناس في صورة حديثة . وقد رأينا أن الناقد الكبير كارلوس بوسونيو ، وهو من أكبر نقاد العالم المتحدث بالاسبانية ، عندما أراد أن يعالج ما في شعر سان خوان دي لاكروث من اتجاهات رمزية ، طرح المسألة على النحو المنطقي الذي يتسق مع الأصول الموضوعية والتاريخية والزمنية . اذ لا يمكن أن نطلب من سان خوان دي لاكروث أن يكون رمزيا بالمعنى الذي عرفت به فيما بعد المدرسة الرمزية ، ولكن يكفيه أنه استخدم بعض أدوات الرمزيين الفنية ، سابقا لهم في ذلك بثلاثة قرون ، ويكفي أن أشعاره تقترب من بيئة الرمزيين وتمهد لها ، ويكفي أنه في هذا الزمن البعيد الذي كانت تسود فيه اتجاهات أخرى استطاع أن يكون نسيج وحده . وهو بكل هذه الأشياء استوجب صفة الخلود في الشعر . ولذلك يقول بوسونيو : « إن أعظم ما في سان خوان دي لاكروث هو أن أشعاره تسبق عصره ، وتأتي على نفس النمط الذي ساد في عصرنا[٣] الحاضر » ، كما يقول أيضا : « إن شعر سان خوان دي لاكروث يدل ـ من جهة الصور الموجودة به ـ على تغيير جوهري ذي طابع ثوري . وهذا التغيير الذي أدخله سان خوان هو نفسه الذي حدث في الشعر بعد ثلاثة قرون على يد رواد الحركة الرمزية التي نعدها معاصرة . إذن فقد استطاع سان خوان أن يبدع شعرا يتسم باللامعقولية وسط محيط من الشعر في عصره يوصف[٤] بالعقلانية » .

ونحن نجد أمثلة كثيرة لهذه التشبيهات اللاعقلانية في الشعر العربي . انظر مثلا الى قول بشار بن برد :

وكأن رجع حديثها
قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها
هاروت ينفث فيه سحرا
حوراء إن نظرت إليـْ
ـك سقتك بالعينين خمرا
وتخال ما جمعت عليـ
ـه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا
ب صفا ووافق منك فطرا

فهل نجد هنا صورة تقليدية في تشبيه رجع الحديث بقطع الرياض المكسوة بالزهر ، وهل نجد هنا وجه شبه موضوعي عقلاني بين رجع الحديث وقطع الرياض المزهرة . إن الصورة هنا هي تلك الصورة الايحائية الرمزية التي تحدث عنها كارلوس بوسونيو ، بل إنها تفوقها ايحاء وسحرا بطريقة تركيبها وبما فيها من تراسل حواس وبما يأتي بعدها من صور تجعل القارىء يعيش في عالم ساحر من صنع الالهام الخلاق . ان وجه الشبه بين رجع الحديث وقطع الرياض المزهرة لا يدرك بسهولة ، وإنما يحسه الانسان بعاطفته . إنها اذن صورة غير عقلية تفوق في

---

(٣) المصدر رقم ٢

(٤) اللاعقلانية الشعرية ـ دار نشر جريدوس ١٩٧٧ .

نسجها وإيحائها ما نستشفه من بيت سان خوان دي لاكروث المذكور « حبيبي هو الجبال » . وهذا المثل الذي ذكرناه لبشار إن دل فإنما يدل على عظمة شعرنا العربي الذي لا يحتاج إلا إلى أن نستخرج ما فيه من كنوز ونعرضها على العالم بأدواته النقدية الحديثة . ويمكن للقارىء أن يجد في قراءاته لشعرنا العربي القديم أمثلة تفوق الحصر من هذا القبيل .

نظرية خوان رامون خمينيث حول أصول الرمزية

ومن العجيب أن شاعرا اسبانيا كبيرا هو خوان رامون خمينيث هو الذي وجه الأنظار الى ما في الشعر العربي من خصائص رمزية ، ولكن لم يتابع أي واحد من النقاد الاسبان خطا خوان رامون في هذا الطرح أو يحاول دراسته ، لأسباب كثيرة من بينها ضراوة صعوبة اللغة العربية ، ولأن الموضوع في حد ذاته لا يهمهم بالدرجة الأولى .

ولعلها اذا درست بجد تؤدي الى إحداث انقلاب في النظريات الشعرية السائدة في أوروبا ، وليس هذا بمستغرب ، وهناك سابقة في مثل ذلك : لقد أحدثت دراسات المستعرب الشهير إميليو جارثيا جوميث (ولد عام ١٩٠٥ وما زال حيا) حول ابن قزمان والزجل الاندلسي والموشحات انقلابا في نظرية أصول الشعر الغنائي الأوروبي . فبعد أن كان الأوروبيون يرجعون أصول هذا الشعر الى الشعر البروفنسالي أو الجاليسي ـ البرتغالي GALLEGO - PORTUGUES أصبحوا يبحثون الآن عن أصول أقدم ، تعود الى أزجال ابن قزمان والموشحات الأندلسية .

وعندما تطرح مسألة كهذه من شاعر كبير مثل خوان رامون خمينيث يكون لها أهمية قصوى للأسباب التالية : أولا لأنها صادرة من شاعر عملاق معترف به عالميا ، ويعد أبا للشعر الحديث في اسبانيا ، كما انه حاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٥٦ . وللتعريف الموجز بهذا الشاعر نقول إنه ولد عام ١٨٨١ في قرية موجير بمنطقة الأندلس (المنطقة الجنوبية من اسبانيا) وتوفي عام ١٩٥٨ في بويرتوريكو . وله دواوين كثيرة من أهمها « يوميات شاعر حديث الزواج » ، كما اشتهر بمرثيته التي عنوانها « حماري وانا » ، وهي مترجمة لكل اللغات ومن بينها اللغة العربية ، كما كتب عنه الاستاذ عباس العقاد كتاب « شاعر أندلسي وجائزة عالمية » وإن اتسمت دراسته عنه بطابع تعميمي . ثانيا لأن الموضوع في حد ذاته ينطوي على أهمية كبيرة ، لأنه يدخل في نطاق البحث عن الأصول ، التي يوليها الأوروبيون أهمية عظمى . وثالثا لأن الاسبان أنفسهم ، بعد أن زايلهم أو كاد يزايلهم الحرج في ذكر ما للعرب من مآثر وأياد على ثقافتهم ، أصبحوا يهتمون بهذه الموضوعات التي تؤكد سبقهم للأوروبيين في تأصيل كثير من الاتجاهات الأدبية والفنية .

يرى خوان رامون خمينيث أن أصول الرمزية تعود الى الشعر الصوفي الاسباني ، بالأخص شعر سان خوان دي لاكروث ، ومن قبله الى الشعر العربي ـ الاندلسي . وسوف أكتفي ببسط بعض أقوال الشاعر الكبير في هذا الموضوع ، لأنها لوضوحها ودقتها لاتحتاج الى تعليق .

وبحسبنا أن نطرح هذه النظرية كمشروع لعمل طموح ، نرجو أن يتيسر له من الباحثين من يدرسون جوانبه المختلفة دراسة أكاديمية موضوعية .

اصل الرمزية

يقول خوان رامون في خطاب بعث به الى الشاعر لويس ثيرنودا : « اذا كانت الرمزية موجودة في أعمالي الحالية ، وأعمالي السابقة أيضا فهذا شيء طبيعي ، لأني أندلسي . أليس الشعر العربي ـ الاندلسي مشابها للرمزية الفرنسية ؟ فضلا عن تأثيرات المتصوفة الاسبان على الشعراء الغنائيين الامريكيين (الن بو) ، والانجليز (براوننج) والالمان (هولدرلين) ، كما كثرت مظاهر تأثيرهم على الرمزية الفرنسية »[٥] .

وقال خوان رامون في محاضراته التي القاها في آخر حياته في بويرتوريكو عن الحركة الحديثة الموديرنيزم : « ان الرمزية الاسبانية لها في أسبانيا سابقة أخرى هي « الشعر العربي ـ الاندلسي » .

ففي القرنين الثاني عشر والثالث عشر كانت النساء تقوم بالتدريس في جامعات قرطبة واشبيلية وغرناطة ثم حدث انهيار كبير . ولكن سان خوان دي لاكروث ، ومن بعده بيكر (شاعر اشبيلي من القرن التاسع عشر) والرمزية الفرنسية .. هؤلاء هم الذين يشكلون حاليا ما يسمى بالرمزية الاسبانية » .[٦]

وفي محادثاته مع الناقد ريكاردوجيون ، التي صدرت

(٥) خوان رامون خمينيث ـ الموديرنزم ـ مدريد ١٩٦٢

(٦) نفس المصدر .

بعد موت خمينيث في كتاب ، نجد الشاعر لا يمل من تكرار هذا الرأي . فهو يخاطب جيون قائلا : « لقد قرأت سان خوان دي لاكروث وأنا طفل . انه رمزي مثل بيكر ، انهما حالتان تشبهان حالة بول فيرلين . الشعراء العرب الاندلسيون أيضا رمزيون ، كما يمكن أن نرى في المختارات التي ترجمها جارثيا جوميث . ان بها أشعارا لشاعر من اقليم ويليه Huelva (أحد أقاليم الاندلس) لا يحضرني اسمه الآن ، هي رمزية بكل معنى الكلمة . وقد قرأت وأنا طفل ، في بيتي بموجير بعض النماذج من الشعر العربي - الاندلسي في الترجمات النثرية التي كانت موجودة في ذلك الحين[٧] » .

ويقول خوان رامون في موضع آخر من هذه المحادثات : « ان الصوفية الموجودة عند الرمزيين مأخوذة عن متصوفينا ، وعن الشعر العربي - الاندلسي . فقد اثر المتصوفة الاسبان على الرمزيين مثلما اثر عليهم الن بو وفاجنر وموسيقا فاجنر . لقد كان شعر سان خوان دي لاكروث منتشرا في فرنسا بفضل المخطوطات التي اخذت عن ترجمة راهب سوليسم ، وذلك من قبل ان ياخذ طريقه الى المطبعة في اسبانيا . وقد تحدث بول فاليري بشيء عن هذه الترجمة ، وان كنت لا اذكر الان نص كلامه »[٨]

وفي محاضرة له عن « الشعر المنغلق والشعر المنفتح » يقول خوان رامون : « ما الذي يدفعني للبحث عن تأثيرات ايطالية ، ولديَّ هذا الكنز الذي لم يكد يمسه احد من شعر العرب الاندلسيين في قرطبة واشبيلية وغرناطة ، الذين تجمع بين عصورهم وعصورنا التالية روابط قوية ؟ . ولعلي اذ قمت بملامسة هذا الكنز استطعت ان احقق الرمزية في اشعاري ، وذلك لأن افضل ما في الرمزية يعود الى الجانب الاسباني الذي يأتي من شعر العرب والمتصوفة ، ويمكن لاي قاريء التحقق من ذلك . اي ان الرمزية اذا كانت متصلة بألمانيا عن طريق الموسيقا ، وبانجلترا عن طريق الشعر الغنائي كما يقال ، فهي متصلة اكثر باسبانيا عن طريق سان خوان دي لاكروث »[٩] .

ثم يعود خوان رامون في نفس المحاضرة هذا الموضوع ، فيقول : « وهكذا فان رمزية جيلي لا يمكن ان يقال عنها انها كانت غريبة علينا مثل التأثيرات الايطالية على بوسكان وجارثيلاسو (شاعران من عصر النهضة تأثرا بالشعر الايطالي واحدثا تحولا في الشعر الاسباني في القرن السادس عشر) ، لأنه بالرغم من ان اسبانيا كانت تابعة لروما لفترة طويلة ، فان اكثر الاشياء تعبيرا عن الروح الاسبانية في الشعر والموسيقا والفن بصفة عامة تأتي - على ما اعتقد - من الجانب القوطي والجانب الشرقي ، هذا فضلا عن ان اسبانيا قد فرضت على روما طابعها الخاص ، ومن ثم فان ما يبدو لنا رومانيا لعله كان يبدو للرومانيين في سالف الزمن اسبانيا . ان الشعر الاسباني الحديث اقرب الى شعراء الخلافة في قرطبة مثلا منه الى اي اتجاه سابق ، بل انه اقرب الى هؤلاء (اي الى شعراء الخلافة) منه الى شعر افضل الشعراء الاسبان في العصر الوسيط المتأخر » .

هل نبدأ ؟

هذا هو رأي الشاعر الكبير خوان رامون خمينيث . ونحن نطرحه على ساحة البحث ، فلعله يوجه الانظار نحو طرح افكار ومناهج نقدية جديدة تستطيع دراسة شعرنا القديم بمنظورات حديثة ، فيها من الاصالة النقدية والدرس الجاد ما يمهد الطريق لفتح الآفاق العالمية امام شعرنا العملاق . ولا يكفي ان تطرح المسألة على النحو الذي رأيناه في بداية هذا المقال ، او نجتهد في البحث عن تأثيرات الرمزية الفرنسية على شعرنا الحديث والمعاصر ، كما فعل كثير من الدارسين مما لا يتسع المجال لذكرهم ، لأن طرح القضية على هذا النحو معناه اننا نجعل من الرمزية الاوروبية الحديثة نقطة الانطلاق في تقييم الاعمال الشعرية القديم منها والحديث ، فاذا اتفق معها ما لدينا من تراث شعري قديم رفعناه الى السماء ، والا نزلنا به الى الارض ، واهلنا عليه التراب ، او قلنا ، في اكثر احكامنا اعتدالا ، ان شعرنا القديم لم يعرف الرمزية بمفهومها الحديث ، مع ان اصول البحث الموضوعي تقتضي - كما ذكرنا - ان نطرح المسألة على نحو آخر تماما ، وهو ما يفعله الغربيون انفسهم في طرحهم لمثل هذه المسائل . □□

---

(٧) ريكاردوجيون - مدريد ١٩٥٨ - محادثات مع خوان رامون خمينيث

(٨) المصدر السابق .

(٩) العمل الممتع - خوان رامون خمينيث ١٩٦١ طبعة أجيلار

إلتقى الرجل أحفاده

بقلم : محمد خليفة التونسي

في هذا العنوان كلمتان تستوقفان نظر الباحث اللغوي ا : « التقى » فعلا متعديا ، و « أحفاد » جمع تكسير .
بعض المتشددين يتنكر للكلمتين : احداهما أو لتيهما ، وينكر فصاحتها ، ويتوهم أنها لحن ، وسبب كار إحداهما يختلف عن سبب إنكار الأخرى ، كما نرى فيما يلي :

أحفاد

بمراجعة معاجمنا حتى المطولة لا نجد فيها الكلمة أحفاد » ومن هنا يتنكر المتشددون لها ، فهم يرون أن ل كلمة لم ترد في المعاجم لا تعد فصيحة ، وأن المعاجم وت كل ما سمع عن الأسلاف الذين يحتج بكلامهم (إلا نادر) ، فيقفون عندها ولذلك يسمون « السماعين » هذه طريقتهم في التفرقة بين الفصيح وغير الفصيح .

ولسنا - بحمد الله - من هؤلاء السماعين ، فلنوسع لنظر ، حتى لا نحجر واسعا في اللغة ، فإن لاثبات روية الكلمة أو فصاحتها سبلا أخرى غير المعاجم .

واذا رجعنا الى مأثوراتنا نجد في دعاء القنوت الذي ردده في صلاة الفجر ونحن نناجي الله « واليك نسعى نحفد » أي نبادر بطاعتك .

ونجد الفعل : حفد - كضرب - يَحْفِدُ حَفْدًا وَحَفَدَانًا ، كذلك حُفُودًا ، ونجد المزيد : احتفد يحتفد احتفادا ، بمعنى الخفة والسرعة في الخدمة والعمل ، وكذلك أحفده حمله على الاسراع .

ومن هنا أطلقت صفة « الحافد » و « الحفيد » على كل واحد من الخدم والأعوان ، أيا كان نوع الخدمة أو العون ، وأيا كانت الصلة بين المعين والمعان ، كما أطلق الجمع على الأولاد ، وأولاد الأولاد ، وقد يخصص بالبنات لأنهن خدم الأبوين في البيت ، كما أطلق على الأصهار والأختان ، وآخر ما انتهى اليه الجمع في تنقلاته التاريخية من حيث الدلالة أو المعنى هو : أولاد الأولاد .

والمفرد حَافِد ، وجمعه « حَفَدَة » كما جاء في سورة النحل « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » ونظيره : ساحر وسحرة ، وعابد وعبدة وحافظ وحفظة .

وكذلك يقال : حافد وحَفَدٌ ، ونظيره خادم وخدم ، حارس وحرس ، عابد وعَبَدٌ ، كما في قوله تعالى « وعبد الطاغوت » أي عباده .

كذلك يقال « حافد وحُفَّاد » مثل خادم وخُدَّام ، حارس وحرّاس ، عابد وعبّاد ، وتأتي المبالغة من حفد على حَفَّاد ، مثل : خَدَّام ، نَفَّاع ، ضَرَّار ، وهناك حفيد ، مثل : نصير ، شهيد ، فهيم،والجمع حفداء ، مثل : نصراء وشهداء وفهماء

فاذا نظرنا الى كلمة « أحفاد » جمع تكسير

وجدنا أولا أنها عربية الجذر « ح ف د » كما ذكرنا هنا قبل .

ووجدنا ثانيا أنها الآن أعرف عندنا في الكتابة والحديث ، وأشيع استعمالا من جموع التكسير الأربعة الفصيحة المذكورة آنفا

ووجدنا ثالثا نظائر كثيرة للجمع « أحفاد » ، سواء قلنا إن مفرده « حافد » أو « حفيد » ، فمثل « حافد وأحفاد » وزنا : يافع وأيفاع ، ماجد وأمجاد ، واحد وآحاد ، جاهل وأجهال ، شاهد وأشهاد ، ياسر[1] وأيسار ، صاحب وأصحاب ، ناصر وأنصار .

ومثل : « حفيد وأحفاد » : يتيم وأيتام ، شهيد وأشهاد ، أصيل وآصال ، يمين وأيمان ، شريف وأشراف، مشيج (خليط) وأمشاج[2] ، رعيل وأرعال ، سَنِيٌّ (رفيع) وأسناء،جليد وأجلاد ، مليح وأملاح .

ووجدنا رابعا ما يسمى عندنا باب المزاوجة ، وتكون بين كلمتين متقابلتين معنى ، مثل « الغَدَايا والعَشَايا » ، هكذا تقال كلمة « الغَدَايا » ، لتزاوج « العَشَايا » ، وعَشَايا جمع عَشِيَّة ، لأن « فعائل » جمع تكسير مطّرد في جمع فعيلة ، ولكن « غدايا » جمع غدوة ، ومثل غدوة لا يجمع على غَدَايا ، بل على غَدَوَات ، ولولا المزاوجة ما تساهلوا في جمعها على غَدَايا .

واذا نظرنا في ضوء المزاوجة لكلمة « أحفاد » وجدنا أنها تقابل « الأجداد » ، وتساير كلمات أخرى تتصل بالأرحام ، مثل الآباء والأبناء ثم الآخاء وهناك الأزواج والأختان والأصهار في نطاق الأسرة وأحفاد كأسباط وزنا ومعنى .

وهناك خامسا جمع الجمع ، فاذا كان لدينا جمع تكسير وأردنا أن نجمعه جمع تكسير مثلا نظرنا الى ما يوازنه من المفردات فكلمة « أكم » مثلا جمع « أكَمَة » وجمع « أكم » هو « آكام » ، لأن المفرد اذا كان على وزن « أكم »مثل « سبب » جمعناه على « أسباب » وكذلك « ولد وأولاد » وعلى هذا الوزن « حَفَد » فلا عجب أن يجمع على أحفاد وان كنا لا نرى أن كل جمع تكسير يجمع على هذه الطريقة .

فما أحرانا إذن أن نرحب بالجمع « أحفاد » ونسجله في معاجمنا ، مع حَفَد وحَفَدة وحفداء .

التقيته

أما الفعل « التقيته » فينكر لأنه غير شائع الاستعمال فيما نعهد .

ومنذ نحو عشر سنوات بدأت ألاحظه يتردد على أقلام الصحفيين ، ولم أطالعه في كتابة أديب قبل ذلك ، ولعل هذا أو نحوه هو الذي دعا بعض المحققين - ومنهم علماء - أن يبادروا بإنكاره عند سماعه لأول وهلة ، وأذكر أني لم أطمئن اليه حين فوجئت به بدءًا في صحيفة ، وكان آخر من رأيتهم ينكرونه أستاذا في اللغة من دكاترتنا النابهين ، وكان ذلك قبل سنة خلال محاضرة في رابطة الأدباء بالكويت ، وبعد انصرافنا همست في أذنه مداعبا:كيف تنكر الفعل « التقيته » وقد بلغ من شيوعه أن الشحاذين عندنا يستعملونه في هذا السجع هكذا « من قدم شيء بيداه ، التقاه ، عند الله » وكذلك احتفظت به بعض لهجاتنا العامية ، ثم قلت له : إن الفعل ورد هكذا في « أساس البلاغة » للزمخشري ، والقاموس ، والتاج واللسان والمخصص ، وقد استشهد له الزمخشري بالبيت :

لما التقيت عُمَيْرًا في كتيبته
عاينت كأس المنايا بيننا بدَدَا

واذا كان الغالب على صيغة « افتعل » أن يكون فعلا لازما ، فإن كثيرا من الأفعال على هذا الوزن قد جاء متعديا ، مثل اجتباه ، استباه ، اصطفاه ، اقتضاه ، انتواه ، افتراه ، اعتراه ، اجتذبه ، اقترحه ، انتهره ، اعتزله . □□

(١) الياسر : من يقسم الذبيحة في لعب الميسر ، وهو القمار عند العرب .

(٢) في القرآن الكريم في الكلام على الانسان « إنا خلقناه من نطفة أمشاج » .

حوار مع عالم الطب والمفكر الأمريكي :

مكتشف مصل شلل الأطفال

أجرى الحوار بيتر ستولر Peter Stoler المحرر بجريدة التايم (١)

ترجمة : يوسف ميخائيل أسعد

□ لعل جوناس سولك (٦٨ سنة) هو الشخصية الرائدة في مجال الطب الذي تحول في السنوات الأخيرة بفكره الى مجالات الأخلاق والابداع وتحديد النسل ، وتأثير العلم في الشئون الانسانية . وهو في هذا اللقاء يتحدث من مكانه القصي فوق ربوة على شواطىء المحيط الهادى عن التطور المستمر للبشرية .

لو أن جوناس ادوارد سولك لم يكن قد أنجز شيئا آخر سوى استحداثه لمصل شلل الأطفال ، لأول مرة عام ١٩٥٤ ، لكان ذلك كافيا وحده لدعم مكانته في معارج الابطال ، في المجالين الطبي والعلمي . بيد أن عمله منذ ذلك التاريخ قد أظهر أن سولك ـ واهتماماته ـ قد ضربت في الأفاق ، وصارت له صفة الشمول . ذلك أن انشاءه وادارته للمعهد الذي يحمل اسمه ، قد قدم مثالا يجب أن يحتذى لتوفير فرص الابداع ، بينما ترسخ كتبه قدمه كمفكر وفيلسوف متمتع بكل من الأصالة والبصيرة .

ولد سولك في نيويورك عام ١٩١٤ ثم حصل على مؤهله في الطب من كلية الطب بجامعة نيويورك في عام ١٩٣٩ ، وقضى الأربعينيات بمدرسة الصحة العامة بجامعة ميتشجان وبمدرسة الطب بجامعة بتسبرج . وفي عام ١٩٦٣ ترك شرقى أمريكا متجها الى لاجولا Lagolla ، وهي ضاحية رائعة في ساندياجو بولاية كاليفورنيا لكي ينشيء هناك معهد سولك للدراسات البيولوجية .

ويعكس هذا المعهد نظرته الكاملة الى العالم ، وقد اقتنع بأن علم الأحياء الدقيق الذي

---

(1) Psychology To-Day , March 1983

جوناس سولك

مايزال في مراحله الأولى ، انما يوفر أفضل فرصة لفهم كيف تبدأ الأمراض وتنتشر . ولقد أشاع سولك هذه الفلسفة في نفوس أربعمائة من العلماء والتقنيين الذين يعملون بالمعهد ، كما أشاع لديهم بعضا من توطيد العزم الذي ساعده على اكتشافه لمصل شلل الأطفال . وبعد أن ظل سولك عاكفا على دراسة تأثير العلم في الشئون الانسانية ، فقد اكتشف منذ عشرين عاما أن قدرة الانسان على فهم ومعالجة مادة تطوره ذاتها ، انما تجعله في موضع المؤلف لسطور تطوره الذاتي ، ومن ثم فانه أثار العديد من التساؤلات .

من ذلك مثلا ، الى أي حد تؤثر العناية بمستوى صحي أفضل للناس في مقومات الانسان الوراثية ؟ وكيف يجب أن يستفيد العلم مما يقوم بالكشف عنه من معرفة جديدة ؟ وما الكيفية التي سوف يتطور الانسان وفقها ، والكيفية التي يجب أن يتم بها ذلك التطور ؟

واقع جديد

ولقد تصدى سولك لأسئلة كهذه بشكل مباشر ، وكان يصل في بعض الأحيان الى حد يجعل بعضا من معاونيه يشكون فيما اذا كان قد تجاوز الحد ، فأخذ في درس مناطق ليس له بها سوى خبرة ضئيلة . وفي خلال العقد الأخير أخذ سولك في تناول موضوعات الأخلاق العلمية ومستقبل البشرية ، وذلك في كتابيه « الانسان يتفتح » « man linfolding » والبقاء للأكثر حكمة « Survival of the Wisest »

وفي عام ١٩٨١ أخذ في تفحص الموضوع المعقد الخاص بنمو السكان في دراسة تبدو مثيرة ، قام بكتابتها مع أكبر أبنائه يوناثان Gonathan تحت عنوان سكان العالم والقيم الانسانية : واقع جديد . World Population and Human Values : anew

Reality . وبعد ذلك خلال شهر مارس ١٩٨٣ ، فان سولك قام بنشر كتابه الرابع بعنوان « تشريح الواقع : اندماج الحدس والعقل Anatomy of Reality : Merging of Lntuition & Reason وهذا الكتاب ليس مجرد سرد ، بل هو أقرب ما يكون الى مناظرة سقراطية حول طبيعة الكون ومكان الانسان فيه ، كما أنه تفسير لدور التطور في ماضيه ومستقبله وجريا وراء سولك ، فان هذا الكتاب محاولة لتفتيق عقل القارىء وحمله على اختبار أفكاره وقيمه ، وقد كتبه سولك بالخط العادي ، كما سبق أن فعل في كتبه السابقة ، مسجلا أفكاره في سلسلة من المذكرات ، ومتبعا ذلك بتفحصها ، وحاذفا منها ما يرى ضرورة حذفه بعناية .

أما الذي أجرى الحديث التالي مع سولك فهو بيتر ستولر نائب رئيس تحرير مجلة التايم ، وقد قضي يومين في صحبة سولك وزوجته الفنانة فرانسواز جيلوت Francoise Gilot في بيتهما ، على سفح جبل بارتفاع ستمائة قدم عن المحيط الهادي ، وأيضا بمعهد سولك .

نظرية التطور

ستولر : بالرغم من النغمة القاتمة المتواترة للأخبار ، فانك تصف نفسك بأنك شخص متفائل . فكيف يتسنى لك الحفاظ على تفاؤلك ؟

سولك : لقد دأبت على اثارة هذا السؤال عن نفسي ، لاني أقع على نفس القتامة ، وأسمع نفس الرعد ، وأرى نفس البرق ، كما يفعل كل شخص آخر . بيد أني لا أعزو هذا الى النهاية ، بل الى البداية ، فأنا أرى أن الخطر الذي نجابهه اليوم جزء من عملية التطور ، التي أراها كآلية لاستمرار الوجود . واني لأرى أن من الممكن أن يتطور البشر الى مرحلة جديدة وذلك باستجابتهم الشعورية للتهديدات التي تحيق باستمرار وجودهم ، وبقيامهم بعمل شيء بازاء وجودنا ، وعدم ترك ذلك بالكامل للمصادفة .

ستولر : ان بعض العلماء من أمثال ستيفن جي جولد Stephen Jay Gould وغيره قد أثاروا مجموعة من الأسئلة حول التطور ، وهم يتشككون فيما اذا كانت لدى دارون جميع الاجابات . فهل هذه التحديات تضعف اعتقادك في أهمية التطور أو تضعف من تفاؤلك ؟

سولك : لا ، على الاطلاق . فالأسئلة التي أثيرت تنصب على آليات التطور ، ولا تتعلق بالحقيقة الراسخة وهي ان الانواع تتطور . فليس من احد يناقش بجد فكرة التطور .

ستولر : هل تقول ان البشر يمكن ان يتحكموا في التطور ؟

سولك : ان هذا هو ما أفترضه . فأنا اعتقد ان هناك طاقة هي جزء من استجابتنا الموروثة ، تسمح لنا بالاستجابة لطرائق تمكننا من استمرار البقاء . واني اعتقد ان لدى الناس احساسا بالمسئولية تجاه استمرار نوعهم . فهناك بالتأكيد قيمة تطورية في الاستمرار ، وهذه الامكانية لابد انها ترسخت فينا ، وفي اسلافنا الذين تم انتقاؤهم على يد الطبيعة في سياق التطور .

ستولر : ألست تقدم تعريفا جديدا للتطور ؟

سولك : ليس جديدا ، بل أوسع وأرحب ، فمعظم الناس يتناولون التطور بعبارات جسمية كتفسير دارون لأصول الأنواع . وأنا أرى التطور باعتبار أنه مطمور في كل شيء ـ في المادة البشرية وفي المادة الحية ، وفي المادة الفزيائية .

ستولر : اننا جميعا نستطيع أن نتناول أمثلة للتطور البيولوجي ـ أعني بزوغ الانسان الماهر Homo Habilis ، أعني تطور الأمخاخ الكبيرة . فهل لك أن تقدم الينا بعض الأمثلة المتعلقة بالتطور البعد بيولوجي ؟

سولك : ان اختراع الزراعة منذ حوالي عشرة الاف عام قد يكون مثالا نوضح به التغير البعد بيولوجي . وثمة مثال آخر نسوقه هو اختراع

الطباعة واختراع الأدوات ، كتعبير عن قدرة العقل البشري ، هو مثال آخر للتغير البعد البيولوجي . ولقد أستطيع أن أدرج تطور الرياضيات والفيزياء والفنون في هذا الاطار ، وأيضا استحداث الراديو والتلفزيون وغير ذلك من وسائل الاتصال الجماهيري . ولقد أدرج أيضا استحداث الأفكار ، مثل مفهوم دارون عن التطور ، ومفهوم نيوتن عن آليات الأجرام السماوية ، ومحاولات أينشتين بازاء استحداث نظرية مجال موحدة ، لكي يربط في اطارها بين الكهرباء والمغنطيسية وغير ذلك من أفكار . فالتطور البعد بيولوجي هو أي شيء ينتهي الى احداث زيادة في الشعور البشري .

من أجل البقاء

ستولر : ألست تتحدث اذن عن نموذج للتطور يشبه النموذج اللاماركي (نسبة الى لامارك) ، وهو نموذج نجد فيه أن الخصائص المكتسبة تورث للأجيال التالية ؟

سولك : هذا هو بالضبط ما أتحدث عنه . فتفسير دارون هو أفضل تفسير للوقائع المشاهدة المتعلقة بالتطور البيولوجي . أما تفسير لامارك فيبدو أنه مناسب لما نعرفه عن التطور البعد بيولوجي . فالسمات البعد بيولوجية تكتسب ، وبعد ذلك تنتقل الى الأجيال المتعاقبة .

ستولر : ألا تعتبر مثل هذه التأملات الفلسفية خروجا جذريا تماما عن مجال البحث الطبي ؟

سولك : إنها نتاج طبيعي للبحث الطبي ، أو هي على الأقل يجب أن تكون هكذا . واني لأعود بالذاكرة عندما كنت طالب طب وقد قيل لي ان من الممكن احداث المناعة ضد الدفتيريا بواسطة الحقن ببكتريا ميتة ، وبعد ذلك مباشرة قيل لنا اننا لانستطيع أن نأخذ مناعة ضد فيروس بواسطة طعم « فيروس مقتول » وذلك لأنه لكى يكتسب أحد المرضى مناعة ، فيجب عليه أن يأخذ جسمه خبرة المرض . ولقد سألت « لماذا لايصح هذا بازاء الفيروس » ؟ فأجاب المعلمون: « لأن ذلك كذلك » . وهذه في الواقع ليست اجابة ، ومن هنا فاني حاولت أن أضع نفسي في مكان الفيروس ، ونظام المناعة ، وأن أرى كيف ينهجان ولماذا ؟ وبدأت في عمل ذلك كلما وجدت أن على أن أعرض للأشياء التي تبدو متناقضة ظاهريا . ولم يعد معقولا في نظري أن يكون الجنس البشري آخذا في اعداد نفسه للهلاك ، فالكائنات الحية لاتقوم بتحطيم نفسها ، بل تحافظ على وجودها طالما تستطيع ذلك . فلماذا يشذ الجنس البشري عن ذلك ؟

ستولر : كتب لويس توماس Lewis thomas في كتابة المسمى « حيوات خلية »Lives of a Cell قائلا ان الكائنات الحية تهدم نفسها من وقت لأخر ، وذلك بأن تزيد من تفاعلها مع العدوى ، فهل ترى بعض التناظر بين نظم مناعتنا التي يمكن أن تقتلنا عندما تضل سبيلها ، وهي تلك المؤسسات الاجتماعية والسياسية التي نحن أعضاء فيها وقد أنشأها المجتمع لحمايتنا ؟

سولك : نعم فأنا أرى أن البشرية تعاني من مجموعة من الامراض الرمزية ذاتية المناعة ، وأيضا من بعض السرطانات الرمزية . فقوات الشرطة والقوات المسلحة يمكن أن تبالغا في اتخاذ موقف الوقاية ، كما أن الأخطار التي تتأتى عن ضلالها لسبيلها يمكن أن تكون هائلة جدا . وعلى المستوى البعد بيولوجي يبدو أننا نقمع صميم الابداع والأصالة التي نحتاج اليها لاستمرار بقائنا .

العلاقة الثنائية

ستولر : انك تقول في كتابك « تشريح الواقع » ان قيام العلاقات هو أكثر الظواهر أهمية في هذا الكون .

سولك : انه كذلك . فالاحساس بقيام العلاقات يبدو رئيسيا للاحساس بالنظام .

ستولر : هل هناك أنواع مختلفة من العلاقات ؟

سولك : ان العلاقة الأساسية هي العلاقة الثنائية . فكل شيء في الطبيعة يتكون من عنصرين . فالخلية تتكون من عنصرين أساسيين تعتمد عليهما في وجودها ، هما العنصر الجرثومي Genetic والعنصر الجسمي somatic وثمة علاقة مزدوجة هي تلك العلاقة التي تقوم بين الفرد وبين النوع . والنوع لايمكن أن يوجد بغير الفرد ، وجميع الأفراد هم أعضاء في نطاق النوع . ويتضمن التطور علاقة مزدوجة بين الطفرة mutation وبين الاختيار . وفي نطاق العقل البشري ثمة علاقة مزدوجة بين الحدس intuition وبين العقل Reason.

ستولر : هل أفضل العلاقات هي العلاقات التكافلية ؟

سولك : اني أرى أن من الأفضل أن نسميها بالعلاقات ذات المصلحة المتبادلة . فالكل لايمكن أن يكون في موقف متضاد مع أجزائه ، وبالمثل لا يمكن أن تكون الأجزاء في موقف مناهض للكل . وأفضل العلاقات هي تلك العلاقات التي تنمو بطريقة تراكيبية لابطريقة تضاذية .

ستولر : هل تقول ان العلاقات التضادية هي علاقات سلبية بشكل رئيسي ؟

سولك : ليس على الاطلاق . فكل شيء بزغ من خلال التطور قد بزغ من خلال التحدي . ولكن التبادلية mutualism هي أيضا أساسية لوجودنا . انها تعني الافادة من كل شخص لتعزيز أفضل ما هو موجود لدى كل فرد للفائدة المتبادلة لجميع الأشخاص .

ستولر : ولكن هل التطور قد تأسس الى هذا الحد على التعاون ؟ هل الأنواع المتطورة تستجيب لضغوط التطورية بواسطة تطوير علاقات نفعية متبادلة ؟

سولك : ليس شعوريا . فمعظم الأنواع لا تستطيع أن تتطلع الى النتائج التي تتأتى عن أعمالها ، ومن ثم فانها تستجيب بردود الفعل على النحو الذي تعمله ، لأنها ببساطة كائنات حية . فهي قد اختيرت لذلك النوع من الاستجابة الآلية .

ستولر : . . . وهي تعيش وتتناسل الى أن تصير كثيرة العدد جدا بأكثر مما تتحمله بيئتها ، الأمر الذي يؤدي بنا الى أن نأخذ في اعتبارنا السكان والضغوط السكانية . فهل لنا أن نتحدث عن هذا قليلا ؟

صراع البشر

ستولر : انك لاتؤيد نظرة مالثوس التقليدية القائلة بأن الجنس البشري على وشك أن يزيح بعضه بعضا من الأرض لكي يعيش .

سولك : ليس على الاطلاق . ذلك أن النمو السكاني عندما يسير في نظام مغلق ، فانه يسير وفق منحنى على شكل حرف S . فاذا ما بدأ بعدد قليل نسبيا من الأفراد ، فانهم سوف يزدادون في عددهم الى حدود طاقة حمولة بيئتهم . فالسكان سوف ينخرطون في فترة من التزايد السريع الى أن يبدأوا في التناسل بدرجة أقل لأسباب متعددة . فاذا ما طبقنا هذا استقرائيا على النظم البشرية ، فاني أصير مقتنعا بأن ثمة عددا من العوامل ـ التلوث والضغط المتدفق بافراط على الموارد الطبيعية ـ تشكل آلية تغذية رجعية سوف تعمل بدورها على انقاص السكان الى المستوى الأمثل للبقاء . وأعتقد أن هذه الآلية تتدعم بالعوامل الوراثية .

ستولر : كيف ينطبق هذا على التطور البشري ؟

سولك : انه ينطبق بصدد التطور الشامل ، ومبدأ التطور الذي ينبغي أن نضعه نصب أعيننا وأن التطور يتخلل كل شيء . فقبل التطور البيولوجي ، كانت هناك استمرارية مسبقة

أسميها التطور القبلبيولوجي ، وقبل ذلك كان هناك تطور الكون . وهناك بعد التطور البيولوجي التطور البعد بيولوجي ، أعني تطور الشعور ، وتطور الشعور بالشعور جنبا الى جنب مع الشعور بالتطور . فالتطور آخذ طريقه في نطاق العقل الانساني حاليا كنتيجة للخبرة البشرية التي نجري عليها عمليتي الهدم والبناء والتي تصير مندمجة في قوامنا . فالفكر الانساني والابداعية الانسانية قد تطورا جميعا كاستجابة للبيئة البشرية .

الابداع ليس ترفا

ستولر : لقد سبق أن قررت أن مفتاح التطور البعد بيولوجي هو الابداعية . فكيف نقوم برعاية الابداعية ؟

سولك : اننا نستطيع الكشف عنها وتشجيعها . والشيء المهم عن الابداعية بالنسبة لنا هو أن مستقبلنا يعتمد عليها . فهي ليست ترفا .

ستولر : ما أنواع العمل الذي يمارس في المعهد لجعل الابداعية تأخذ طريقها ، ولتشجيع التطور البعد بيولوجي ؟

سولك : اننا نستخدم البيولوجيا الجزيئية والخلوية لاثارة أسئلة حول كيفية التحكم في الجسم وفي عمل الآليات التنظيمية . ونحن نثير هذه الأسئلة بصدد السرطان ونظام المناعة ، وبصدد الأمراض ذاتية المناعة ، وبصدد الهرمونات ودورها في التوتر . ونحن ندرس بنية الجهاز العصبي وتطوره ونموه في محاولة لفهم كيفية عمل المخ . ونحن نتفحص الكيفية التي يكتسب بها الناس اللغة وذلك بدراسة اكتساب الصم البكم للغة . وهناك أربعة أشخاص حاصلون على جوائز نوبل يقيمون بالمعهد ، وجميعهم يضطلعون بعمل هام . والدرسات التي تظهر أن الوهن العضلي الحاد انما هو مرض ذاتي المناعة قد تمت بالمعهد .

ستولر : إذن فما تقوله هو أن التنوع الثقافي ـ أو اذا آثرت تعبير التنوع البعد بيولوجي ـ هام لتحقيق التطور المستمر كتنوع وراثي .

سولك : هذا صحيح فالأفكار هامة كأهمية الجينات .

ستولر : في التطور البيولوجي نجد أن اختيار الأفضل ، أو الأصلح ـ اذا صح التعبير ـ انما يتم بواسطة الطبيعة ، أفلا نعلم أن النوع قد اختير بواسطة واقع وجوده ؟

سولك : ان نفس الشيء يحدث في التطور البعد بيولوجي . ولكننا في التطور البعد بيولوجي وحده نكون مشتركين في عملية الاختيار بواسطة القرارات التي نصدرها لدعم أفكار معينة . ومن المهم أن نساعد الناس أصحاب تلك الخواص العقلية التي لها قيمة عامة شاملة .

ستولر : انك في كتاب « تشريح الواقع » تقول ان التطور ـ أعني التطور البيولوجي بصفة خاصة ـ انما هو عملية تصحيح الخطأ . فهل ينهج التطور البعد بيولوجي نفس النهج ؟

سولك : هذا صحيح . فالتطور البعد بيولوجي يتضمن البقاء للأكثر حكمة . فالحكمة تصير المعيار الجديد للأصلح .

ستولر : وكيف نقوم بتعريف الحكمة ؟

سولك : الحكمة بالنسبة لي ، هي القدرة على اصدار أحكام استعادية متسمة بالافادة من الاحداث الماضية من جهة ، ومستقبلية بعيدة النظر من جهة أخرى .

ستولر : تعني القدرة على التطلع الى المستقبل ؟

سولك : على نحو ما نعم . فمعظم الكائنات الحية تستجيب للمثيرات بغير أي تفكير في النتائج المتعلقة بالمستقبل . ولكن منذ تطور الشعور ، فان الانسان استطاع أن يستشعر المستقبل ، فالشعور يستدعي وجود احساس تنبئي ، وهو لدى البعض على جانب أكبر من الدقة مما لدى الآخرين . □□

مسابقة العدد

(رقم ٣٠٢)

المنشورة في عدد يناير ١٩٨٤

البلدان التي تمثلها صور المسابقة هي كالتالي :

١ ـ مالي .
٢ ـ عمان ـ الاردن (فتاة في المدرج الروماني) .
٣ ـ قطر أو أية دولة من دول الخليج العربي (رجل وصقره) .
٤ ـ الصين (نفر من الشباب يغنون ويعزفون وهم جالسون) .
٥ ـ المغرب (رجل يسير في أحد الأسواق) .
٦ ـ موريتانيا (فتاة بزيها الوطني) .
٧ ـ جبل العرب ـ سوريا (فتاتان في أحد الحقول) .
٨ ـ ليبيا (مدرج روماني) .
٩ ـ بالي ـ أندونيسيا (فتاة ترقص) .
١٠ ـ أحدى قباب الأزهر ـ القاهرة .
١١ ـ أحد مساجد البهرة في الهند .
١٢ ـ السنغال (شابان واقفان بالقرب من أحد المساجد) .

اسماء الفائزين بالجوائز الثلاث الاولى

الجائزة الاولى : الدكتور يس محمد جمعة قطب/ ١٢ ش الجمهورية المتفرع من شارع محطة السوق/ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية .
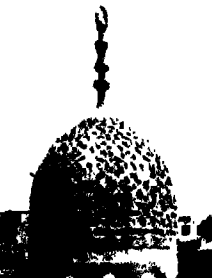
الجائزة الثانية : محمد خالد فواز النظامي/ ص.ب ٦٤٨٦/ عمان/ الاردن .
الجائزة الثالثة : اسماعيل يوسف/ ص.ب ١٠٥٣٣/ طرابلس/ ليبيا .

الجوائز الثمانية التشجيعية

١ ـ عبدالعزيز سلطان فهد السويعي/ مدرسة تحفيظ القرآن الكريم/ الاحساء ـ الميرز/ المملكة العربية السعودية .
٢ ـ محمد آدم عبدالله/ ص.ب ٢٧٢٩ ـ الصفاة ـ الكويت .
٣ ـ الزهور عز الدين صالح فهمي/ شركة النيل الازرق للغزل والنسيج/ ص.ب ٢٦٠ واد مدني/ جمهورية السودان الديمقراطية .
٤ ـ محسب عبدالرحيم حوده/ مركز طنطا/ محافظة سوهاج/ شارع الجامع الكبير/ جمهورية مصر العربية .
٥ ـ منذر عبدالعزيز الشمالي/ منزل ٤٠ شارع ٦٤ قطعة ٦/ كيفان/ الكويت .
٦ ـ سالم محمد عبدالله مسعود/ ص.ب ١٠٠٣٢/ صنعاء/ اليمن .
٧ ـ عبدون فاطمة الزهراء/ ٤ ش الامير عبدالقادر/ بواسماعيل/ ولاية البليدة/ الجمهورية الجزائرية .
٨ ـ اسماعيل محمد المحمود العبدالرحمن/ ص.ب ١٥٣٣٠ العين/ دولة الامارات العربية المتحدة .

الحرب الخاصة

بقلم : ابراهيم زعرور

يمكنني أن أقرر الآن ، وبيقين طافح انني مجنون كامل ! . والا ، فكيف تتسلط فكرة كهذه على انسان سوى ، نصف برجوازي ، نصف مثقف الا اذا كان مجنونا كاملا ؟

ومن الجلي طبعا لدى الجميع ان العلاقة بين وجع اسناني وبين السياسة الامريكية في منطقتنا هي بالكاد موجودة . ناهيك عن ان تكون علاقة فاعلة ومؤثرة ... ولكن عندما سألتني زوجتي ذات صباح عادي الاكفهرار عن السبب المفاجىء للوجع الذي داهم اسناني - مع انني ذلك العتل اللعين الذي لا تعرف الامراض اليه طريقا - وجدتني اعتسف اجابة تفتقر الى التروي قائلا بأنها السياسة الامريكية !. لم اكن بالطبع اعني ما أقول .

غير انني سرعان ما احسست في اجابتي بقدر كبير من الصدق والجدية النابعة من تلقائية الرد ... ولكن زوجتي تلقت الرد بالاستهتار الملائم لمثل هذه الآراء المتطرفة التي بدأت تنزلق على لساني مؤخرا ... ووجدتني انجرف مع نوع من التحدي المفاجىء فكان من الضروري تأكيد فكرتي الطازجة هذه .

- انت إذن لا تعتقدين بالعلاقة السببية بين ...

فقاطعتني بسخريتها الخبيثة الحذرة .

- بلى .. ان العلاقة واضحة كالشمس لمن اراد ان يرى .

« اللعينة ... بدأت تستهزىء بقواي العقلية .. على كل حال ، سأذهب الى طبيب الاسنان ذات يوم وأواجهه بكل متاعبي وآرائي الشخصية » .

ولانني نصف برجوازي ، نصف مثقف ، ومجنون كامل ، فأنا انسان ثلاثي الابعاد .

أسرف في التساؤل غالبا ، وابالغ في الاستنتاجات الغبية احيانا ، ولكنني شديد الحرص على ان يظل جنوني في الحدود المأمونة دائما . غير أنني لم أعد أتهاون مطلقا في مسألة العلاقة هذه بين وجع اسناني وبين السياسة الامريكية في منطقتنا . . . وأية مهادنة في هذا الموضوع اثناء احتدام النقاش مع زوجتي ، لا تعدو كونها مناورة بارعة مني لكسب الوقت ريثما تتوافر لدي الأدلة الدامغة .

أما زوجتي التي لم تعد تعير فلسفاتي كبير اهتمام ، فقد كانت قد استسلمت منذ امد بعيد لافكاري الغبية ، ولكنها ظلت على يقظة تامة فيما يتعلق بمسألة الجنون هذه .

فوضعت في اعتبارها عامل الصدفة ، واتخذت عدتها لفورات الجنون الطارئة التي بدأت تنتابني مؤخرا ، فأخفت سكاكين المطبخ عني وابعدت الادوات الخطرة عن متناول يدي . واتخذت كافة التدابير الامنية اللازمة لحماية الأولاد مما باتت تعتقده من فورات الجنون المفاجىء .

وضبطتها ذات مرة تتهامس مع الاولاد . وفهمت بالغريزة انني موضوع تهامسهم ومؤامراتهم ووجدت ان من الحكمة ان اتجاهل هذه الوساوس والمؤامرات ، فتشاغلت عنهم متصنعا البراءة واطلقت صيوان اذني نحو تهامسهم .

كانوا يستمعون اليها بغباوتهم المعتادة وهم يسترقون النظرات ، ويقتضبون الاشارات الساخرة نحوي . وقد فشلت ايديهم الصغيرة في اخفاء ضحكاتهم الخبيثة الشامتة . كان الضحك المكتوم يتفجر من اطراف انوفهم وعيونهم وآذانهم .

وعندما احسوا الريبة في انصرافي المفضوح عنهم ، أندفعت البنت الصغيرة نحوي متهللة مستبشرة وهي تصيح

ـ بابا . . بابا . . هل اصبحت مجنونا حقا ؟

ـ لا ادري . . اسألي ماما . .

ـ ولكن الجيران ايضا يقولون إنك مجنون .

ـ اذا كان هذا ما يعتقدونه فلابد ان يكون صحيحا .

* * *

اصبح واضحا ان الصغار وأمهم قد اتخذوا قرارهم باعلاني مجنونا رسميا . وهكذا طرأ على محيط الاسرة عنصر مشوق جديد واصبح لدى الصغيرة شيء مثير تضيفه الى عوامل تفوقها على ابناء الجيران . فليس بالامر العادي أن يكون لك والد مطبق الجنون ! . ومن نافلةالقول ان من يتمتع بوالد كهذا يمكن أن يوضع على قدم المساواة مع من يفتقر والده الى ابسط مقومات الجنون .

ثم تعود الصغار ان يلتفوا من حولي عندما يلتئم شمل الاسرة بعد الغداء وقد اسند كل واحد منهم ذقنه براحتيه وراحوا يحدقون في وجهي بفضول متفرس مدققين في تصرفات المجانين . وصارت عيونهم تطاردني في كل حركة وكل سكنة علهم يصطادون أيما هفوة يواجهونني بها ويعززون بها دعواهم . . الامر الذي جعلني اصبح اكثر حذرا في افعالي واكثر اقتصادا في آرائي . ولكنني لم اتخل مطلقا عن مسألة العلاقة السببية تلك . ولكن الحالة ازدادت سوءا . واشتد وجع اسناني ، واصبح مجرد شرب الماء البارد يسبب لي ألما لا يطاق . . ولكي اتجنب ملامسة الماء لجذور الاسنان كان على ان اشربه ارتشافا . وقد ضبطني الملاعين ذات مرة متلبسا في حالة ارتشاف بيّن . فظنوها واحدة من الاعراض الدامغة . فأخذوا يتغامزون وقال اكبر الاولاد لمريديه .

ـ هذا بالضبط هو ما يفعله « هؤلاء » .

كانت الصفعة هي الرد الامثل على مثل هذه الملاحظة من صبي نحو والده الشرقي . . ولكنني أب ديموقراطي . أؤمن بالحوار اسلوبا لفض الخلافات . . فسألته :

ـ من هم هؤلاء الـ « هؤلاء » الذين تعنيهم ياسيدي ؟

ـ وما شأنك انت ؟! . . . سر بيني وبين اخوتي . .

ـ اذا كنت تعني المجانين فقد جانبت الصواب يانجلنا العزيز . فهؤلاء لا يشربون . .

وهنا ضج الملعون بالضحك ، وشاركته الغوغاء ، واخذوا يصفقون له ثم اعلن اللعين انتصاره قائلا :

ـ ألم اقل لكم ؟؟

وادركت بعد فوات الأوان ان عربتي قد تهورت وزل لساني بهذه الفكرة الغبية التي سيستغلونها اسوأ استغلال في اضعاف موقفي . وتخلخلت دفاعاتي الامامية فعلا فابتلعت الهزيمة مؤقتا أملا في النجاة ريثما اثبت اقدامي في مواقع جديدة . ولكن الشيطانة الصغيرة اصرت على استثمار انتصارهم المؤقت لتدمير معنوياتي . فوقفت في وجهي ووضعت يديها على جانبي رأسها وفردت اصابعها التي أخذت تتراقص كجناحي فراشة منهوكة القوى ، ودلعت لسانها الذي تناثرت حوله بقايا الطعام . . . لقد تعلمت الشيطانة أخيرا كيف يشيرون للمجانين .

أما الجيران فقد اكتفوا بالتعليقات الطائشة كلما رأوني . تعليقات من نوع « عقار امريكي جديد لمكافحة التسوس » ـ « قائد احدى الحاملات يتفقد طاقم أسنانه » . « مسئول كبير يتوقع انفراجا في أزمة ما بين الفكين » إلى غير ذلك من التعليقات الاسنانوأمريكية .

وبلغت أزمتي حدا خطيرا عندما زرت طبيب الاسنان . . فبعد فحص طويل وشاق قرر ان اسناني سليمة تماما وانني لا اعاني الا من الم وهمي فقط !! وفي مثل هذه الحالة يصف لك الطبيب عادة الاقراص التي تزيد حالتك سوءا .

« ايهما تصدق الآن ؟؟ ألم اسنانك ام تقرير الطبيب ؟؟ » هذا ما جاء في بيان متشف لزوجتي .

وكالعادة ايضا ، اخذ الجيران يشيدون بمهارة الطبيب وجهوده البناءة ، ويستنكرون احساسي الزائف ووجعي اللامسئول . .

غير ان الامر لم يخل من بعض المؤيدين والانصار . فبدأت الامور تأخذ طابعها الفوضوي الغوغائي المناسب . وانقسم الناس ما بين مصدق مؤيد ، وشاجب مستنكر واستمر الجدل عنيفا حول ما اسموه باحتمالية تزييف الحس .

واهملوا موضوع الألم نهائيا . . وقد خرج الليبراليون من الجيران من هذه المعركة منتصرين وقرروا عدم اهليتي الاجتماعية .

وعلى الفور ، اوقفت جميع معاملاتي مع البقالين فما دونه،واعتبر في حكم الملغي كل عقد ابرمه بعد ذلك التاريخ . ثم اوكلوا للجنة خاصة مهمة حصر ممتلكاتي التي وصفها التقرير فيما بعد بانها « سقط متاع بال واشياء أخرى رثة غير ذات قيمة » .

بعد ذلك تم سحب الاعتراف بتوقيعي وتجميد كافة نشاطاتي . وهنا وقعت الواقعة . . . أعلنت العصيان على الجميع . وكانت ثورة من الجنون الجارف . . ايسحب توقيعي وانا حي !! صحيح انه قد لا يساوي في عالم الارقام شيئا ، . . ولكنه توقيعي ! خصوصيتي . . . النغمة التوافقية لايقاع روحي . . الخاصية الادبية التي تميزني عمن عداي . . . . الله اكبر !!

انه الشيء الوحيد الذي لاتطوله القوانين ولم تتناوله الفقرات التفسيرية بالتوضيح بعد . . انه حريتي الكاملة غير المنقوصة . وأي مساس به يعتبر مساسا بوجداني . .

ثم ان العلاقة بيني وبين توقيعي علاقة صميمية ومن نوع خاص .

ففي الليالي الممضة ، يكون التوقيع هو مسلاتي الوحيدة . به اصرف وجع الليل

وبشكله احقق حريتي المطلقة . فاتغلب على الزمن المفجع بتكرار التوقيع على ايما ورقة بيضاء اعثر عليها . فاوقع .. ثم أوثق توقيعي بتوقيع آخر . واصادق على صحة التوقيع ثم اوقع على المصادقة واعيد التوقيع على صحة كل ما ورد اعلاه حتى تمتلىء الورقة ... بل ان لي نظرية فذة في هذا الشأن . وهي انني اصنف الانسان في خانة الحيوانات ذوات التوقيع .

ضاع صوتي هباء ولم يستطع احد ان يتفهم حقيقة مشاعر الحرية هذه ، وفسروها على انها مظهر متطرف لأعراض الجنون الحاد .

**

اخذت اعيد حساباتي بهدوء .. ووجدت انه يتعين على ان اقنع الناس بثلاثة امور . اولها ان اسناني توجعني حقا .. وثانيها ان السياسة الأمريكية في منطقتنا هي المسئولة عن ذلك وثالثها انني لست مجنونا .

ووجدت ان الصعوبة تكمن في طريقة التناول . فالقضايا الثلاث متداخلة بشكل يستحيل معه بحث احداها في معزل عن القضايا الأخرى . فاستخدمت اسلوب المناورة الذي يتبعه المتفاوضون السياسيون وبدأت بقضية هامشية هي مسألة « احتمالية تزييف الاحساس » هذه . ولجأت في ذلك الى احد الاطباء النفسيين وشرحت له الموقف بتفاصيله المملة . فسألني .

ـ هل تحلم ؟؟

ـ بالطبع احلم .. كالآخرين جميعا .

ـ وبماذا تحلم ؟

ـ بشتات من الصور السريالية والكوابيس العلمانية .. بوجدانيات ، ورؤى ميتافيزيقية ... كثير ... كثير ....

ـ هل تذكر حلما محددا ؟؟

ـ اذا حاولت ان اجمع شتات احلامي ، فان الانطباع العام الذي يمكنني ان أخرج به هو أن هناك قوة كبيرة تطاردني وتحاول ان تنتزع اشيائي الفقيرة لتدفع بها نحو فقراء آخرين لتستعديهم على ... عموما اشعر في احلامي بالعزلة والمحاصرة

ـ ألم تلاحظ تكرار صور غير عادية ؟ .

ـ جميع أحلامي ليست عادية . ولا اتذكر شيئا محددا سوى انني استيقظ في الصباح لأجد اسناني مصطكة الى درجة موجعة .

ـ هذه حالة معروفة في علم النفس . فالضغط بالاسنان يكون عادة نوعا من التعويض من جراء الاحباط المتكرر او الاحساس بالاضطهاد .. وتكرار الضغط يؤدي الى الألم المزمن في الفكين ... انها حالة معروفة لدينا ، وعلاجها ميسور ..

ـ دكتور .. ايمكن ان يكون للسياسة .... اعني هل يمكن ان يكون للاحوال السياسية ـ في ظروف خاصة ـ تأثير من نوع ما ؟؟

ـ ربما الأحوال السياسية أو الاقتصادية . أو أي عامل آخر يمكنه أن يوظف هذا النوع من التعويض بضغط الاسنان لصالح رغبة حبيسة ....

ـ ربما ...

ـ وبماذا تنصحني يا دكتور ؟؟

ـ أن تعلن حربك الخاصة على الجهة التي هي موضوع ادانتك ...

ـ وهل تسمى هذا علاجا ميسورا سامحك الله !!

ـ لا ... فهذا واحد من اساليب العلاج .. ولكن هناك بدائل أخرى اسهل بالطبع .

ـ هات هات ... طنيب عليك أنا .

ـ فقال ضاحكا

ـ انصحك بمضغ العلكة الامريكية ... فهي كفيلة بامتصاص الغضب بعد أن تنهك الفكين ، فلا تعود الاسنان قادرة على أن تصطك غضبا بعد ، . □□

حذار من تدليل طفلك

بقلم : الدكتور عبدالعلي الجسماني

□ طفلي المدلل يطلب كل شيء بالبكاء : فماذا أفعل ؟

هكذا يتساءل الآباء أو يسألون . وما دروا أن بكاء الطفل في هذه الحالة وعلى هذا النحو هو نتيجة للتدليل . وما عرف الآباء ان التدليل عواقبه التربوية وخيمة كعواقب القسوة . وكلاهما خطأ فادح بحق الطفل . وما اختلافهما في نتائجهما ! لا من حيث الظواهر السلوكية التي تظهر على الشخصية فيما بعد .

يغيب عن اذهان كثير من الآباء والأمهات حقائق هي في الواقع من بدهيات الحياة اليومية منها مثلا التفريق بين الحاجة والرغبة .

الرغبات ما أكثرها . فهي تمثل نوازع نفسية عند الطفل ولا تخضع عنده لأي معيار . فهو لم يتشبع بعد بقيم المجتمع والتي تبدأ من الأسرة ولم يتطبع على قواعد التحكم بجموح الذات .

الرغبات تجري مع الطفل كجريه في ساحات اللعب ، حيث لا يقف عن الجري الاّ عندما يحول دونه حائل .

وفي عالمنا اليوم ما أكثر المنبهات التي تستثير عند الطفل كوامن الرغبات . والرغبة لديه قد تأتي مقرونة مع حاجة ضرورية ، ولعلها تصدر عنه تعبيرا عن تماديه في الالحاح من غير مبرر . فهو حينها يطلب مثلا لعبة شاهدها عند طفل آخر وتذكره امه أو ابوه بأنه يمتلك واحدة منها ، فأنه يعزز طلبه بالبكاء مع شيء مما يسمى بـ (التبرير الطفلي) وهو ان اللعبة التي رآها حمراء أو صفراء وانه يريد اخرى من نفس اللون الذي شاهده . ويتمادى في الصراخ .

ازاء هذا لا يجد الأبوان سبيلا الاّ اسكاته بأحد امرين : الضرب وما يتبعه من زيادة في الصراخ ، أو اقتناء اللعبة له ليكف عن الصراخ والزعيق وهنا يتحسس الطفل مكانته اكثر ، ويدرك (بأحساس الطفل) أنه انتصر . وكلما تقدم به العمر وعرف حقيقة موقفه وانه مدلل ، تمادى في الطلبات الناجمة عن الرغبات والتي لا علاقة لها البتة بالحاجات الضرورية .

ويتمكن الآباء من مواجهة تربية الطفل على نحو يرتضونه عندما يميزون بين رغبات الطفل اللامتناهية وحاجاته الضرورية . فله حاجاته الجسمانية كحاجته الى الغذاء الصحي حسب العمر الذي يكون عليه ، لأن لكل عمر طعاما يناسبه ، فالرضيع مثلا يجب ان يتغذى بحليب الأم مباشرة لأسباب جمة الاّ في الحالات القسرية . وحاجة الطفل الى الهواء النقي ، وحاجته الى الرداء المناسب حسب الفصول والمواسم ، وحاجته الى النوم الكافي .... الخ .

للطفل ايضا حاجته النفسية منها مثلا ، حاجته الى الحنان ، وحاجته الى الأمان والطمأنينة ، وحاجته الى الشعور بالانتماء الى الأسرة وانه محبوب ، وحاجته الى انه يتمكن من عمل ما يطلب منه ، وحاجته الى الحرية في الحركة والتمتع بمباهج الحياة ، وحاجته الى اللعب ، وحاجته الى الارتياد والاستكشاف مدفوعا بدافع حب الاستطلاع ... الخ .

متى ادرك الأبوان تلك الضرورات اللازمة لنموه وتطوره تمكنا من التعرف على مواطن الأخذ بيد الطفل الى مواقف الأيجاب مع الدراية ، وتجنبا الانقياد لرغباته ونزواته دونما اعتساف . وفي الحالين يعطيانه من الحنان والاعتراف بمكانته ولكن بتوجيه سديد .

المنطلق : تهذيب السلوك

وتنشأ المتاعب التي يواجهها الآباء في تربية الأبناء من التباين بين عقلية الاطفال وعقلية الراشدين ، ان نمو الطفل يحصل على مراحل متتابعة ومتداخلة ، وقد تكون متسارعة تارة ، ومتباطئة أخرى ، كل هذه تجعل من العسير على الآباء الالمام بمتطلبات كل فترة من حيث خصائصها واهتماماتها وسبل الألتفات الى دقائقها . وان نصيحة روسّو التي وجهها في حينها الى المعلمين كان احرى به ان يتوجه بها أو بمثلها الى الآباء فيخاطبهم : (تعلموا كيف تعرفون ابناءكم) . والمعرفة هنا ليس المقصود بها حقيقة المظاهر كما تبدو ، انما يراد بها حقائق التكوين النفسي والتطور الاجتماعي الملازم للنمو البيولوجي .

فمن المبادىء المقررة في علم نفس الطفولة هو ان تتم دراسة تطور نفسية الطفل بالارتكاز الى ارتباط نفسيته لمكونات محيطه الاجتماعي والطبيعي . فالأبوان والاخوة والاقارب هم اول من يأتي في ايصاله بحقائق المجتمع . وبيئته البيتية وما تحتويه وما يراه في الشارع وفي

الاسواق هي اساسيات منبهاته المادية . ولما كان ادراك الطفل في سنوات حياته الاولى ، وبخاصة السنوات العشر الأولى منها تقترن بالمحسوسات اساسا ، فأن تفكيره يوحي اليه بأن ما تقع عليه عينه انما هو في متناوله ولا يرى خلاف ذلك لأن رؤيته البصرية هي بأتجاه واحد ، وهي التي تحدد له ما يرى ويشاهد . لهذا فهو يجرب مختلف السبل مع أبويه لبلوغ رغباته . بالصراخ أحيانا ، وبالغيرة اطوارا ، وبالتحبب تارة ، وبالطاعة أو العناد والتمرد في فترات أخرى .

ولكن لما كان البكاء من سمات الطفولة ، وهو بعد ، أول رد فعل يصدر عنه لحظة الولادة ، فانه بالنسبة اليه الملتجأ المناسب له . وحينما يجد الاستجابة المباشرة لبكائه هذا ، فأنه يكرره وبشكل اشد بحكم اكتساب عادة البكاء ، واذا ما اقترنت العادة السلبية هذه بأحساسه بأنه مدلل فأنه لن يقلع عما اعتاده الاّ بتلمس عادة تحل محل ما نريده ان يقلع عنه . وقد تطول الفترة أو تقصر . واذا ما استحكمت فأنها قد تستوجب الاستعانة بمتخصص بعلم نفس الطفل . وهكذا نرى ان عدم صبر يبدر من الابوين اول الأمر قد يجر في اعقابه سلسلة من المتاعب .

قصاص أم عقاب

يذهب كثير من الآباء في ايامنا هذه الى انهم يربون ابناءهم تربية لا يشوبها قصاص . وعندما تسألهم لماذا ، فأنهم يجيبون بدعوى التحرر من آثار الماضي . وكأن الماضي ما انطوى على فضائل ، بل امتلأ فقط بالقصاص وكأن التحرر من الماضي يعني الانفلات من التزامات التربية وتهذيب التصرف والتنشئة على القيم الأخلاقية والسلوكية المحببة اجتماعيا وان مفهومهم يرتبط بأطلاق العنان لنزعات الطفل الفجة ومنها التدليل ، دون التمييز بينه وبين التربية بالتطبيق .

وحين يسألهم المرء ماذا يعنون بالقصاص ، يجيبون على الفور انهم لا يتذكرون انهم ضربوا ابناءهم ، ويردفون انهم تحاشوا ذلك حتى لا يعقدوهم . وهنا نجد لدى التدقيق ان اولئك الآباء لم يميزوا بين تربية ابنائهم دون قصاص ، وتربيتهم لهم دون ضرب . وان هذا الطراز من الآباء ينسى بأن الطفل حينما يطلق له العنان فانه يشب على فكرة تترسخ في عقله بأن كل سلوك كان قد اتاه وقام به ويقوم به هو سلوك صحيح . وان القصاص يجب الا يقرن بالضرب الجسمي .

فلنعد الى المثال الذي ذكرناه في مستهل حديثنا هذا ـ مثال اللعبة المماثلة ـ فلو سمع الطفل كلمة

(لا) بلهجة حاسمة تنم عن عزم وتصميم ، متبوعة بتذكير الطفل بعبارة موجزة بأنه يمتلك مثلها ولا عبرة للون ـ وان يقال له هذا بلغة مبسطة مشفوعة بتعابير وارشادات توضيحية أو كما نسميها في علم النفس (تعبيرية) فان الطفل يرتدع . واذا كرر طلبات مماثلة فأن الخيار يترك للابوين حسب تقديرهما للضرورة وللموقف ، وبهذه يزايل الطفل اللجوء الى البكاء ، وينشأ وهو يتقبل التوجيه والنقد فيما بعد .

مبدأ التلاؤم

ان ما أسماه بياجيه بـ (مبدأ التلاؤم) انما اراد به التوازن بين التمثل والتطابق وهذا معناه ان نتدرج مع الطفل حسب نموه البيولوجي والنفسي في اكسابه معطيات بيئته . فلا يجوز ، مثلا ، التغاضي عن كل ما يرتكبه الطفل على اساس صغر سنه أو ان نبتسم له ونشجعه على اعمال لو ارتكبها طفل في العاشرة أو الحادية عشرة بل وحتى في السادسة من عمره لعاقبناه . أو ان نلبي كل مطلب له بمجرد انه صرخ ، لأن الصراخ يستتلي الصراخ وهكذا الحال .

فالتلاؤم ، من احد جوانبه ، معناه ان يستقي الطفل بالقدوة والتوجيه الواضح ، ومنذ نعومة اظفاره ، سلوكا قوامه الاشارات المعبرة والالفاظ المفهومة ، والحركات الدالة بحيث عندما يبلغ مرحلة السيطرة الارادية على الذات يكون قد تشرب وتمثل جميع التوجيهات والقيم ومظاهر السلوك . فلكل مرحلة من مراحل العمر في حياة الطفل خصائص ينبغي ان نعرفها . ولا يجدر بالآباء أن ينسوا حقيقة هي :

ان للطفل رغبات لا تنتهي ، وارادة كالريح ، لا يصدها شيء ، وانما بالتربية تتكيف وبالصبر تتهذب ، وبالتوجيه تتوافق مع المجتمع .

□□

(الفنان واللوحة)

عشق الفن فكان حياته وسلواه ، ولكنه اتجه الى الطفولة في فنه ، فكانت وحيه في الكثير من أعماله التي قدمها في معارضه وفي برامجه على الشاشة الصغيرة ، وهو فنان رقيق المشاعر ، يعيش احاسيس بيئته وتراثه الشعبي ، وقد تجسد كل هذا في لوحاته التي انتقل بها ومعها الى المعارض العربية القومية والعالمية .

عرضها في الكويت ثم في القاهرة وتونس والمغرب ، وغيرها من الاقطار العربية ، ولكنه ما لبث أن خرج عن حدود أمته لينقل فنه الى بعض دول أوروبا ، فذهب الى يوغوسلافيا وأسبانيا وغيرهما .

انه الفنان محمد الشيخ عقيل الفارسي ، حصل على بكالوريوس الفنون والتربية من جامعة القاهرة ، وهو عضو باللجنة الكويتية للفنون التشكيلية بالكويت ، وعضو الرابطة الدولية . ولد في الكويت عام ١٩٤٨ ، وأقام أول معرض لأعماله في عام ١٩٧٩ وآخر معارضه كان في يناير من هذا العام . ومن هذا المعرض الاخير ، اخترنا هذه اللوحة . . وهي تمثل حامتين بوجهين طفوليين ، وحول الوجهين الصغيرين البريئين ملابس شعبية . . انها لوحة تتعانق فيها الطفولة مع البيئة وتراثها . . الجديد في هذه اللوحة أن الفنان استعان بقشر البيض ونوع خاص من الخشب كأرضية بدلا من الالوان التي ألفناها في لوحات غيره من الفنانين .

انظر اللوحة على الغلاف الأخير

من سجلات المحاكم

لوجه الله

بقلم : علي منصور المحامي

□ عصى الدمع عينيها لما انكفأت على جثمان ولدها ، وهي تحاول ان تبكيه ، بعد ان صرعته رصاصات رأتها ، ورأت من أطلقها .

كان وحيدها . . وضعته بعد ايام من رصاصات صرعت أباه ، وفي ذات المكان . وعلى خلاف ما اعتاد امثالها من الاهمال في امور الحمل والوضع ، وما كان منها يوم حملت من قبل ومات الجنين دون ان يرى النور ، على خلاف ذلك جميعا . حرصت كل الحرص على ان « تقوم بالسلامة » وأن تلد في أمان وتمنت ان يكون المولود ذكرا .

ولم يكن مبعث حرصها الشوق الى ان تصبح أما ، بعد ان ترملت ، ولا ان يكون لها انيس وهي المقطوعة من شجرة كما يطلقون على من لا اهل له ولا صاحب ، وانما كان الحرص لغاية اخرى ، ازمعتها ساعة ان رأت زوجها تنزف جراحه الى ان فارق الحياة ، ففارقت هي معنى الحياة .

اعتادت منذ زواجها برضوان ان يخرجا معا كل

صباح ، حتى تبلغ هذه البقعة المخضرة ارضها بعض النباتات التي لا صاحب لها ولا حائز ، فتطلق فيها اغنامها ترعى على هواها ، بينما هي جالسة في ظل شجرة ، ترسل فحيحا تسميه حينا غناء وحينا حداء ، وتعابث التراب بعود من الحطب ، ترسم به خطوطا ودوائر وعلامات ، لا تدري لها معنى لا هي ولا الارتجال الذي تصدر عنه ، وان كانت كقارئة الفنجان ، تخض فيه بقية القهوة ثم تؤول الرسوم والرموز وتترجمها معاني ، ومن المعاني تبدأ في التحسب بين التفاؤل والتشاؤم .

أما رضوان . . فيتركها ليذهب الى المحلج الذي يعمل به ، والذي يقع بعيدا عن المرعى بآلاف الامتار .

وعندما تبدأ الشمس سباحتها في يم الافق مؤذنة بالغروب ، يلوح رضوان فتسعى آمنة الى اغنامها تجمعها ، ليعود الموكب كما بدأ مع رحلة الصباح .

وكان رضوان دائم الابتسام ، ولو كانت زوجته من بنات الحضر لظنت انها بسمة الفرحة بلقائها وقد عاد اليها بعد ان سلخ سحابة النهار بعيدا عنها ، ولكنها كانت من اعماق الريف ، ومن صميم تـ ربية تميت في المرأة العاطفة ، الا ان تكون متاعا لزوجها منذ باتت مما ملكت يمينه ، حتى ان مجرد الحديث عن الحب ومشتقاته ولو بين الزوجين ، يعد من العيب الذي لا يغتفر .

على انه رغم كل هذا كانت آمنة تسعد للابتسامة على شفتي زوجها ، وتطرب لما كان اهل القرية يطلقون عليه « الوجه البشوش » .

وذات يوم رابها وراعها ان غاضت الابتسامة لما غادر رضوان المحلج وهل عليها ، وقاومت رغبتها في سؤاله عما به . حتى لا تخرج عن التقاليد التي اعتادت ، او حتى لا يحمل سؤالها على انه تدخل في شئون الرجل ، اي فيما ليس يعنيها .

وألفت آمنة كذلك من تصرف زوجها ، انها على طول السنوات التي تبعته فيها مع الأغنام وطوال الطريق من المرعى الى الدار ، لم يكن يستدير خلفه ، حتى وهو يطارحها احيانا بعض الحديث ، لذا استرعى انتباهها ان كان في ذلك اليوم يسترق النظرة الى ما وراءه بين الحين والحين .

واعتصمت بالصمت على مضض الى ان اظهرها هو على سر هذا التغيير .

فمن العاملين معه بالمحلج « كفافي » ذلك الشاب المستهتر ، الذي تسانده عصبة من اهله في استهتاره واستهانته حتى بالحياة ذاتها .

ويوم غاضت الابتسامة كان رضوان قد رأى « كفافي » وهو يخفي تحت ثيابه جلبابا جديدا خلعه احد الزملاء في العمل ، خشية ان يتسخ من زيوت الآلات وشحومها ، فتشوه جدة الجلباب ، ولما يفرح به صاحبه بعد .

رآه رضوان ولم يتكلم لكن « كفافي » لما ضبط بعد ثورة صاحب الجلباب ، ظن ان رضوان ـ وهو الوحيد الذي رآه يلص الجلباب ـ هو الذي وشى به . . . فتهدد وتوعد .

ومرت ايام كان كفافي كلما شاهد رضوان اشاح عنه بوجهه وتمتم بكلمات لم يعرفها رضوان ، ولكنه فهم من الحركات التي صاحبتها انها كلمات تهديد .

وجاء اليوم المشئوم . . ورأت آمنة « كفافي » الأب وهو يقتص لكفافي الابن ، فيطلق الرصاص على رضوان .

ورغم هذا الذي رأته آمنة رأي العين وصارت منه على يقين ، فقد حرصت طوال التحقيق على تأكيد انها فوجئت بالرصاص ينفذ الى صدر زوجها ، وانها لم تر من اطلقه ، وانها رأت شبحا يعدو ، ومع خلو المكان مما يحجب الرؤية او يعيقها ، فقد كانت فجيعتها بمصرع زوجها اقوى من ان تدرك معها شيئا يعرف بالقاتل ، واصرت على ان ليس لزوجها اعداء وانه لا توجد بينه وبين احد خصومات .

ورغما عما بذل المحقق من محاورة ، ورجال الضبط من محاولات ـ وكان تقديرهم انها لابد تعلم من الجاني خاصة عند اجراء المعاينة ، وما اظهرت من انه لا يوجد ما يختفي فيه الجاني . او يتخذ منه ساترا ، وان من كان في موضع آمنة من القتيل ، تسير خلفه لبضعة امتار ، لابد ان يرى من اطلق ، خصوصا وقد كان مسار الاطلاق من الامام الى الخلف ، اي ان الجاني كان في مواجهة المجني عليه ، وبالتالي في مواجهة الشاهدة ، وان حالة الضوء كانت لا تزال تسمح بالرؤية المبصرة .

* * * *

وواصلت آمنة مسيرتها اليومية وحيدة مع الأغنام من الدار الى المرعى ، حتى جاءها المخاض وهي جالسة الى جذع شجرة ، تتكىء برأسها على راحتيها بعد ان القت عود الحطب جانبا .

وتجلدت ، واستعانت بالله ، ووضعت « مخلوفا » ، ورغم الآلام التي تتقدم حالة الوضع وتصاحبها وتعقبها ، فقد ابتسمت للمرة الأولى منذ غاب عنها زوجها ، وان كانت بسمة خافتة .

* * * *

وانكفأت على مخلوف ترعاه ، وما ان بلغ اول مدارج الادراك ، حتى راحت تسمعه قصة ابيه ، وتذكره بالثأر الذي نذرته له تمحضه عليه ، والذي حال حرصها عليه دون ان تقرر الحقيقة في التحقيق ، واصرت على انها لم تر القاتل ولا هي تعرفه وانها لا تتهم أحدا .

وبعد ان نفد مبلغ المكافأة التي نقدتها اياها ادارة المحلج ، راحت تبيع كل حين شيئا من الاغنام لتستعين بثمنها رغم قلته على شئون الحياة ، وكانت بدورها شئونا قليلة .

ولما بقيت لها رأس واحدة من اغنامها ، كان الحين قد حان ، اذ اشتد ساعد مخلوف ، وحق عليه ان يوفي الدين . . . ان يثأر لدم ابيه ، حتى تستطيع آمنة ان تستحم بعد هذا العمر الطويل ، وان تتقبل العزاء ، لو ان هناك من يعزيها .

وفي الجانب الآخر كان كفافي الكبير يرقب حركات مخلوف وسكناته منذ شب عن الطوق ، وكان بحكم دربته وما جبلته عليه البيئة ، يعرف ان مخلوفا لابد ان يثأر منه يوما ، واطلع كفافي الصغير على هواجسه ، فكان القرار ، ثم كان التنفيذ .

أطلق كفافي الصغير الرصاص على مخلوف فأرداه قتيلا ، ورأت امه الواقعة ، ولكنها اتخذت من التحقيق نفس الموقف الذي اتخذته عندما سئلت في حادث مقتل زوجها .

وكان ذلك منها غريبا . . فهي ليست حاملا ، ولا امل لها في ولد يثأر للأب والولد ، ولكن آمنة كانت تعرف ان يافعا يقيم في احد النجوع القريبة من قريتها ، وانه ممن لاتخطيء رصاصاتهم الهدف وانه يحترف القتل حيث يستأجره الناس لذلك .

لذا كان التحقيق يدور في واد ، وكل تفكيرها مأخوذ الى واد آخر . . كيف تلقى هذا اليافع ، وكم تعطيه اجرا ، ومن اين لها بهذا الذي تعطيه ؟

وجرت من النيابة ومن رجال الضبط نفس المحاورات والمحاولات دون جدوى . . واقفل التحقيق كما اقفل سابقه ، وقيد مثله كذلك . . . ضد مجهول لعدم معرفة الفاعل .

* * * *

وخرجت آمنة تستعجل الايام بعد ان وهن العظم منها واشتعل الرأس شيبا ، خشية ان يدركها الأجل قبل ان تروي غليلها ودون ان تثأر لدم زوجها ودم ولدها ، بل ولدم الأيام التي عاشتها حطاما . . . عز عليها كل شيء حتى الدمع ، ولم يبق سوى عزاء واحد . . الثأر .

وفي حنو قاتل . . سحبت العنزة الباقية لها من الدنيا الى سوق القرية تعرضها للبيع ، واسترعى ذلك نظر احد المخبرين (الشرطة السريين) الذي كان يكلف اسبوعيا يوم عقد السوق ، بأن يراقب الرواد ليرصد تصرفات المشبوهين منهم ، ويضبط ما قد يعرض للبيع من المسروقات . . خاصة المواشي .

وكان المخبر يعرف آمنة من ايام التحقيق الأخير ، وعجب لما رآها تبيع العنزة الوحيدة الباقية لها ، وسألها عن السبب . . فأشاحت عنه ، فلما كرر في رفق سؤاله اجابت بانها لم تعد تقوى على الرعي .

ولم تتح له فرصة سؤال آخر ، واستدارت وقد اطبقت يدها على ثمن العنزة .

ومن السوق توجهت الى كوخ اليافع ، فلقيها هاشا ، وحنا على ضعفها ، واتصل بينهما الحديث وكان يخاطبها يا أمي . . وكان الخطاب يحرك في صدرها الشيء الكثير . . حنين لابن وحنين لزوج . . وذكرى لطلقات ودماء . . ولايام تصبر وتشرد . .

وسألت آمنة اليافع ان يقتل لها « كفافي » الكبير ، ولقي الطلب صدى في نفسه ، فقد كان كفافي متكبرا ، وكان اليافع لا يحب المتكبرين .

ووافق على المبدأ وسألها عن الأجر ، فأخرجت من صدرها صرة طوتها على ثمن بيع العنزة ، ودست كل الثمن في يده ، فقلبه اليافع وابتسم في سخرية وقال . .

ـ والله رخصت يا صاحب . . ولا الدم الذي رخص . . . ودم من . . . كفافي الكبير . . . ماذا دهاك يا أمي . . ؟

ـ يا ولدي . .

ولم تطاوعها الكلمات ، وانما انهمرت دموعها المتجمدة ، وللمرة الأولى منذ زمن بعيد ، وكفكف صاحب دموعها وطيب خاطرها وراح يستمع لقصتها لتهز اعماقه ببعض ما رددت ، ولم يعتد قبل ذلك ان اهتزت هذه الاعماق .

روت قصة زوجها ومصرعه امام عينيها ، وهي لاتملك الا ان تبقى على سر القاتل حتى يثأر منه الحمل المستكن ، وروت قصة الحمل يوم وضعته وكان ولدا ، وكيف ربته وهي ترصده للثأر حتى راح دمه يسأل الثأر . .

ومع الدموع التي انهمرت . . كان من حديثها اليه . .

لم اعرف الا اليوم قيمة الابن . . . ولم يعد لي ابن . . الابن الذي يرضى دم ابيه في قبره لما يثأر له فيهدأ ذلك الدم ، . . ويرأب جرح أم بعد ان ظلت الايام تنكؤه كلما مر صباح والغريم على قيد الحياة .

ويا حسرتي . . لما وجدت من يقوم مقام الابن لم اجد المال . . تجردت من آخر ما املك وكل ما املك ، العنزة الوحيدة التي بقيت من قطيع ذهب قبلها ، ولكن في سبيل اعداد الابن . .

ولم يصرخ صاحب ولكنه اوشك . . . ثم راجع نفسه فالعجوز لا تحتمل صراخا ، وراح الى حجرها في شوق

المحروم وناداها . . يا امي . . وكان نداء لم يشعر بجلاله قبل اليوم ، وحرمت آمنة ترديده على مسمعيها منذ فقدت مخلوفا ، وقال صائب في عمق عجيب . .

ـ انا سأثأر لك من كفافي الكبير . . قولوا له فليتشهد على روحه . . سأقتله . . لوجه الله . ومد الى آمنة يده يرد لها الجنيهات القليلة . . ثمن بيع العنزة . . وراح يتحسس بندقيته ، يقلبها بين يديه في اعجاب ثم قبلها وهو يقول . .

ـ قبل ان ينقضي اليوم سيأتيك خبره . .

لا . . بل ربما خبره وخبر ولده . . كفافي الكبير وكفافي الصغير لو ساعدني الحظ واجتمعا . . في نفس المكان . . نعم نفس المكان الذي قتل فيه زوجك رضوان . . وابنك مخلوف .

* * * *

وفي نفس المكان . . . صادف ان كان « الكفافيان » الكبير والصغير يسيران جنبا الى جنب في سبيلهما الى دارهما ، ودوت رصاصتان نفذت كل واحدة في قلب كل واحد منهما . . وسقطا قتيلين . وبدأ التحقيق . .

وحار المحققون فليس هناك خيط يقود للحقيقة ، ولا بصيص من نور يلقي ضوءا على بداية الطريق . . . فلا شاهد ولا اثر ، ولا شبهة.

واحتار رجال الضبط . . وثارت امامهم علامات . . ولكن هل يمكن الربط بينها ، في هذا المكان قتل اربعة في ثلاث حوادث . . صحيح ان هناك فوارق زمنية بين الحوادث الثلاث ، ولكن لا يشرف رجال الضبط ان تنتهي هذه الحوادث جميعا الى عدم معرفة الفاعل فالقيد ضد . . .

ذهبت الحيرة برجال الضبط الى كل ظن . . ولكن احدا منهم لم يتجه ظنه الى آمنة ولا الى صائب الا واحدا لم يكن على قدر بقية الرجال ، فهم ضباط عظام وهو مجرد مخبر .

وبدأ المخبر تفكيره بالحادث الذي عاصره . . . مقتل مخلوف بن آمنة ، ثم تصرفها يوم السوق السابق على وقوع الحادث الآخر وبيعها العنزة الباقية لها من الحياة ، ودون سبب يمكن ان يتصوره ، ثم نفورها من الحديث معه يومئذ وتعليل اقدامها على البيع بعلة غير سائغة .

بدأ المخبر تفكيره بهذا ثم انتهى به . . فهي تصرفات مريبة ولكن ما الصلة بينها وبعضها ؟ والأهم من ذلك ما الصلة بينها جميعا وبين قتل كفافي الكبير وكفافي الصغير ؟ . .

ولما اوشك ان ينصرف عن التفكير الحت عليه خواطر اخرى اوصله اليها بحثه ، فقد وصل الى ان آمنة بعد قتل الكفافيين انتهزت ظلام الليل واستحمت في مياه الترعة ، ولم يعرف عنها انها استحمت كذلك من قبل ، بل ولا أنها استحمت منذ مقتل زوجها .

ووصل الى أنها زارت قبر زوجها وابنها زيارة طارئة في غير مناسبة من المناسبات التي يذكر فيها الاحياء الاموات فيقصدون قبورهم .

وحمل نفسه اليها وقدم لها العزاء فتقبلته .

وهنا ايقن انه قد تم لها الثأر لدم زوجها وابنها ، او لدم الاخير منهما على الاقل ، ولذا ـ واخذا بتقاليد الثأر ـ حل لها ما لا يحل لامثالها الا بعد الأخذ بالثأر ، ومن ذلك الاستحمام وتقبل العزاء . . . ولكن ما علاقة هذا بكفافي الكبير او الصغير ؟ بل ما علاقته بأي معلوم من الناس وهي التي لم تر قاتل زوجها ولا قاتل ابنها ، فلا تعرف اذن المطلوب بالثأر ؟.

وكيف يتفق ان يقتل هذا في نفس مكان مقتل زوجها وولدها . . أهي المصادفة البحتة . . أم صار المكان ساحة للقتل الذي يقيد ضد مجهول لعدم معرفة الفاعل .

وحتى ان وجد الاجابة على كل هذه التساؤلات ، فهناك استحالة ان تقوى آمنة على القتل . . أي قتل .

وبينما هو في تصوراته استدعاه ضابط المباحث وكلفه ببعض المهام المتعلقة بالتحريات المطلوبة عن القتيلين . . كفافي الكبير وكفافي الصغير ، حتى يستطيع ان يكمل محضر تحريات المباحث الذي طلبته النيابة العامة لتتصرف في التحقيق . . وطبعا بالقيد ضد مجهول .

وانتهز المخبر الفرصة وشحذ جرأته وصارح الضابط بخواطره . . بتخيلاته على عيبها كما قال . وسرح الضابط قليلا ثم ربت على كتفه وهو يقول له . . المهم ان يكون هناك سبب يدعوها لقتل الرجلين . . أما كيف تقتل فبتحريض الغير على القتل . . ولكن ان صح هذا . . من يكون الغير ، وما هو الثمن . . انها لا تملك سوى ثمن العنزة . .

وسرح مرة اخرى وقال . . على أي حال تحر بارفاعي عن تحركات آمنة في المدة السابقة على وقوع الحادث .

وتحرى رفاعي . .

وعرف فيما عرف انها قصدت حيث يقطن صائب ، وعرف ان صائبا ليس فوق مستوى الشبهات . وحمل الذي عرف الى رئيسه ، فقام بعد ان استأذن النيابة بالقبض على صائب للاشتباه ، واستقدم آمنة لدار الشرطة وتعمد ان ترى صائبا وهو في طريقه الى محبسه والقيد الحديدي مايزال في يديه فتداعت . . وعزت عليها هذه الأيدي التي تستحق القبل . . الأيدي التي روت غليلها عندما تحركت

لخدمتها .. احتسابا لـوجه الله ،.. أفـلا تستطيـع الآن خدمة الأيدي وصاحبها . ولو افتدته ولوجه الله .

وتحدثت الى الضابط وسألته عن سبب القبض على صائب ، فأجابها بسؤال عما اذا كانت تعرفه ومناسبة هذه المعرفة ، فقالت انه يشبه ابنها .. ابنها الذي قتله كفافي الصغير كما قتل كفافي الكبير اباه رضوان .. وانها لذلك لما لاحت لها الفرصة قتلتهما .

ونقل الضابط اعتراف آمنة الى صائب .. فهز رأسه وقال .. عجيبة ، وسطر الضابط كل هذا على علته ورفعه الى النيابة فتولت التحقيق ، وكان صائب كلما قاربه الاتهام استطاع ان يفلت منه ، ولكن جهد المحقق وضابط المباحث اوقف الاتهام بالنسبة له على قدم وان لم يستطيعا ان يبلغا به الوقوف على قدمين .

وقدم الاثنان .. آمنة وصائب متهمين هذا بالقتل ، وهذه بالاشتراك بالتحريض والاتفاق . ويوم المحاكمة ترافعت النيابة .. ولما بلغ ممثلها من مرافعته ختامها أهاب بالمحكمة الموقرة ان تنزل بصائب بالذات اقصى العقاب ... فآمنة ان ناداها الى الجريمة دم زوجها ودم ابنها فصائب دعاه الى الجريمة توغله في الاثم .. وهل هناك ابعد من ان يحترف الانسان القتل .. ان يؤجر على القتل .. ان يقتل الروح التي حرم الله قتلها الا بالحق لقاء دراهم مهما كثرت فهي من العرض الزائل .. أي تجارة بائرة .. واي جبن ودناءه .

ودون ان يدري صرخ صائب في وجه النائب المترافع .. حرام عليك ... انا شريف لست جبانا ولا دنيئا كما تقول .. انا لم اتقاضى ثمنا .. هذا كان لوجه الله .

وتغيرت صورة القضية ..

وأجلت المحكمة جوابها ...

وابتسم المخبر مرتين .. مرة لما نطقت المحكمة بالحكم وكان بالنسبة لصائب « باحالة الاوراق الى المفتي » ، وبالنسبة لآمنة تأجيل النطق بالحكم حتى يتحدد أمر صائب ، ومرة وهو يصحب صائبا الى عشماوي المنوط به تنفيذ الأحكام بالاعدام شنقا . □□

الكمبيوتر
يقرع أبواب المدارس

بقلم : الدكتور سعد الحاج بكرى

تصوير : طالب الحسينى

□ تتزايد أهمية استخدام « الكومبيوتر » أو الحاسب الآلى فى شتى مجالات الحياة . ولم يحدث من قبل أن تطور علم من العلوم كما تطور علم الحاسب الآلى خلال السنوات الثلاثين الأخيرة ... كيف كانت مسيرة هذا الاختراع الذى أحدث ثورة فى حياة الناس ؟

الكومبيوتر في مدارس الكويت . . إن الكثير من الدول بدأت باعتماد بعض موضوعات الحاسب الآلي واستخداماته المختلفة كمقررات في مناهج المدارس .

كان الحاسب قبل ثلاثين عاما كبير الحجم ، غالى الثمن ، كثير الأعطال ، محدود الامكانات ، قليل الاستخدام ، لا يقترب منه الا المتخصصون الذين يفهمون كل دقائقه ، وقد أصبح اليوم صغيرا فى حجمه ، رخيصا فى ثمنه ، نادر الأعطال ، واسع الامكانات ، له دور هام فى كل مجالات الحياة ، ويستطيع كل فرد أن يتعلم استخدامه دون أن يكون متخصصا أو واسع المعرفة فى علومه .

وتعود سرعة تطور الحاسب الآلى ، وتوسع مجالات استخدامه الى أسباب كثيرة ، لعل من أهمها أنه آلة مهمتها مساعدة العقل البشرى على التعامل مع المعلومات ، الحسابية منها أو غير الحسابية . ولأن التعامل مع المعلومات هو مسألة مشتركة فى شتى أمور الحياة العلمية منها بمجالاتها المختلفة ، أو الادارية بأنواعها المتعددة ، حتى الشخصية ، فقد وجد الحاسب من خلال ذلك الترحيب اللازم لتطوره واتساع نطاق استخدامه .

وقد اهتمت الجامعات فى الأقطار العربية باستخدام الحاسب ، فأنشأت مراكز خاصة لاستخدامه ، وأضافت مواد علوم الحاسب الى مناهج العديد من الكليات . كذلك أقيمت دورات للتدريب على استخدام الحاسب فى العديد من المؤسسات فى شتى أنحاء الوطن العربي . لكن هذا لم يعد كافيا لمواكبة تطور الحاسب والاستفادة من امكاناته ، ولا بد للمدارس العربية من دور فى هذا المجال ، فهى المسؤولة عن بناء الأجيال بكل ما فى ذلك من تربية وتهذيب ، وعلم ومعرفة ، واستجابة لمتغيرات العصور .

والحاسب هو أحد المتغيرات الهامة فى عصرنا هذا ، الذى بدأ يأخذ اسم عصر الحاسب الآلى .

وسوف نحاول فى هذا المقال طرح مسألة استخدام الحاسب فى المدارس العربية . وفى سبيل ذلك سوف نستعرض أولا بعضا مما يجرى فى العالم بشأن تعليم استخدام الحاسب فى المدارس ، ثم ننتقل الى طرح المشاكل التى يمكن أن تواجهها المدارس العربية فى هذا المجال ، ونحاول أخيرا تقديم وجهة نظر حول هذا الموضوع .

الكومبيوتر فى المدرسة

بدأ العديد من الدول باعتماد بعض موضوعات الحاسب الآلى واستخداماته المختلفة كمقررات فى مناهج المدارس . ففى بريطانيا على سبيل المثال شهدت السنوات الأخيرة اضافة مقررات خاصة بالحاسب ضمن مقررات كل من المستوى العادى الذى يماثل المرحلة الثانوية فى المدارس العربية ، والمستوى المتقدم الذى يؤهل الطالب لدخول الجامعات . وقد رافق اضافة هذه المقررات دخول الحاسب الآلى الى هذه المدارس لاجراء التطبيقات العملية اللازمة لهذه المقررات . وقد استعانت المدارس فى سبيل ذلك بخبرة الجامعات والمراكز الصناعية المتقدمة .

ولم تكتف بعض المدارس بادخال موضوعات الحاسب مقررات دراسية وكفى ، بل أتاحت الفرص أمام الطلبة لاستخدام الحاسب من أجل أغراض أخرى تفيدهم فى دراستهم لباقى المقررات أيضا . فعلى سبيل المثال قامت مدرسة برنستون الثانوية بولاية نيوجيرسى الامريكية بتخزين الموسوعة الاكاديمية الامريكية التى تحتوى على تسعة ملايين كلمة ضمن الحاسب . وأتاحت للطلبة استخدام الموسوعة عبر أجهزة متصلة بالحاسب ومزودة بشاشات تلفزيونية ، وأدى هذا الى تسهيل الحصول على المعلومات من الموسوعة ، وتوفير الجهد والوقت فى البحث عن

الموضوعات المطلوبة . وقد ازداد عدد الطلبة الباحثين عن المعلومات من الموسوعة . وهناك اليوم مراكز معلومات خاصة من هذا النوع يمكن للطلبة الاشتراك بها ، واستخدامها من منازلهم ، عن طريق أجهزة خاصة يمكن ربطها بالخط الهاتفي وشاشة التلفزيون .

بالاضافة الى ما سبق ـ امتد الاهتمام بتعليم الحاسب الى أوقات الفراغ والاجازات ، فأقيمت المعسكرات في سانتا باربارة بولاية كاليفورنيا الامريكية على مدى السنوات الأربع الماضية ، وقد شهدت هذه المعسكرات اقبالا متزايدا تضاعف أخيرا بمقدار ست مرات . وقد بلغ متوسط أعمار المشتركين في هذه المعسكرات حوالي ثلاثة عشر عاما . ولتشجيع المنافسة في العطاء بين المشتركين ، فقد جرى توزيع ميداليات خاصة للمتفوقين . وقد وجد المشرفون على هذه المعسكرات أن صغار السن أشد قدرة من سواهم على تعلم اساليب استخدام الحاسب بسرعة ، كما أنهم أرفع مهارة في وضع ذلك موضع التنفيذ العملي .

مشاكل الكومبيوتر في المدارس العربية

بعد هذا الاستعراض السريع لبعض ما يجرى في العالم بشأن مسألة تعليم استخدام الحاسب الآلي لطلبة المدارس ، ننتقل الى محاولة استقراء بعض المشاكل الرئيسية التي يمكن أن تعترض سبيل تعليم الحاسب في المدارس العربية .

ولعل أولى هذه المشاكل مسألة اللغة والمصطلحات العلمية ، فمعظم المراجع المتوفرة لدراسة موضوعات الحاسب المختلفة تعتمد أساسا على اللغة الانجليزية ، ويعتمد المتخصصون في علوم الحاسب من العرب على هذه المراجع . ونظرا لحداثة عمر الحاسب ، فان مصطلحاته ايضا حديثة العهد ، كما أنها تتزايد باطراد مع اتساع مدى تطبيقاته . لذا لم تزل محاولات نقل هذه المصطلحات الى اللغة العربية محدودة ، ثم هناك صعوبة قائمة في وضع كتب دراسية باللغة العربية لمقررات الحاسب ، وبالمقابل ليس من المستحب اعتماد الكتب الانجليزية لمقررات الحاسب ، فبالاضافة الى ما في ذلك من صعوبة على الطلبة ، فان اعتماد هذه الكتب يمكن أن يؤدى الى شرخ في نظم الدراسة في المدارس العربية التي تعتمد على استخدام اللغة العربية ، في شتى أقطار الوطن العربي ، لدراسة المقررات العلمية والأدبية المختلفة . وعلى ذلك ، لا بد من البحث عن حل متوازن لهذه المشكلة يضمن فهم مصطلحات الحاسب ونظرياته ، من أجل توصيل علومه الى طلبة المدارس ، مع عدم التخلي عن اللغة العربية .

أما المشكلة الثانية فتتعلق بلغات تشغيل الحاسب . وتتضمن هذه اللغات كلمات باللغة الانجليزية بالاضافة الى بعض الرموز والأرقام . وقد كانت هناك محاولات ، على نطاق محدود ، لتحويل كلمات ورموز بعض لغات الحاسب الى اللغة العربية . ومن هذه المحاولات لغة الحاسب « نجلاء » المأخوذة عن لغة « بيزك » . ولكن نظرا لأن معظم التطبيقات على مدى سنوات عمر الحاسب وكذلك معظم التطورات المحدثة في مجال الحاسب الآلي ، تعتمد على اللغات الاساسية للحاسب التي تستخدم اللغة الانجليزية ، فان الانتقال التام الى لغات الحاسب المحولة الى اللغة العربية ، بالرغم من فائدته في دعم اللغة العربية ، يحتاج الى جهد وزمن قبل أن يصبح ممكنا على مدى واسع .

ثم هناك العديد من المشاكل الأخرى التي تواجه تعليم الحاسب في المدارس . فهناك مشكلة عدم وجود ما يكفى من المتخصصين لتدريس موضوعات الحاسب والاشراف على تدريبهم العملي ، ثم هناك أيضا مشكلة كلفة الاجهزة اللازمة وتكاليف تشغيلها وصيانتها ،

أربع صور للكومبيوتر في مدارس الكويت ، الطلبة والاساتذة أمام الكـومبيوتـر . . أن بعض المدارس في الخـارج لم تكتف بادخـال موضوعات الحاسب ضمن المقررات الدراسية ، بل أتاحت الفرص أمام الطلبة لأستخدام الحاسب من أجل أغراض أخرى تفيدهم في دراستهم لباقي المقررات .
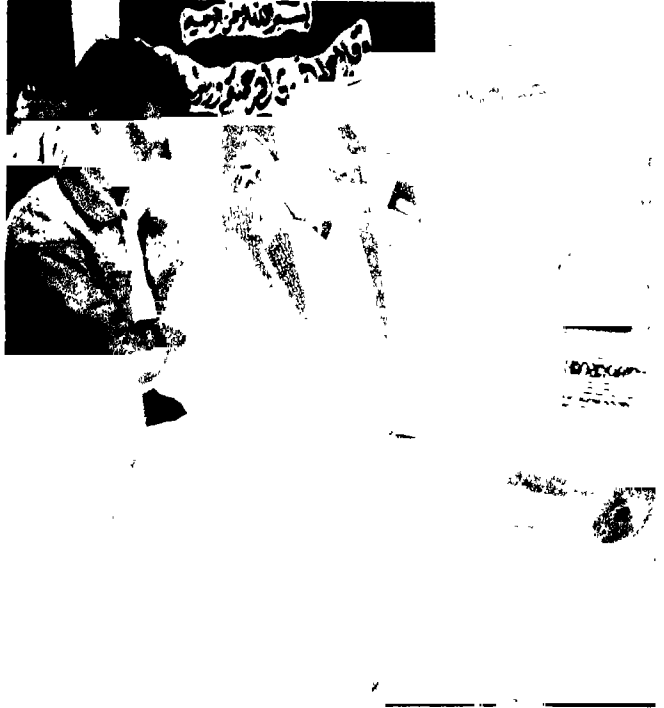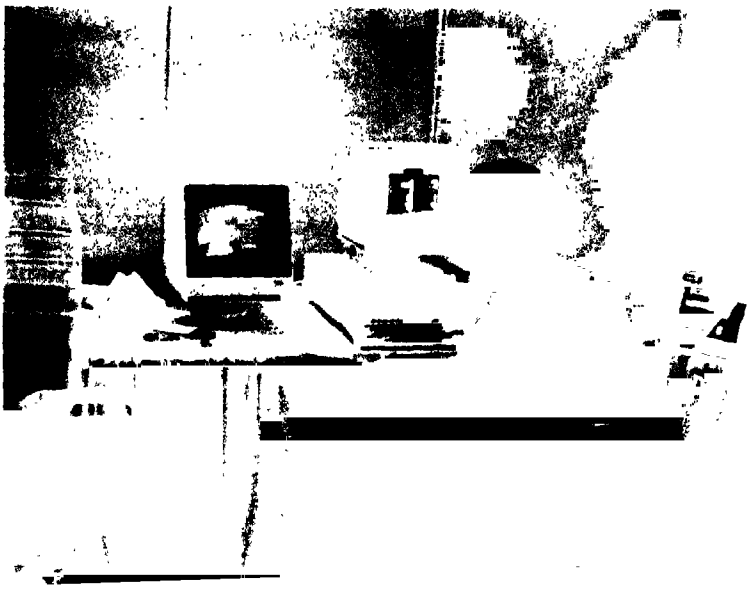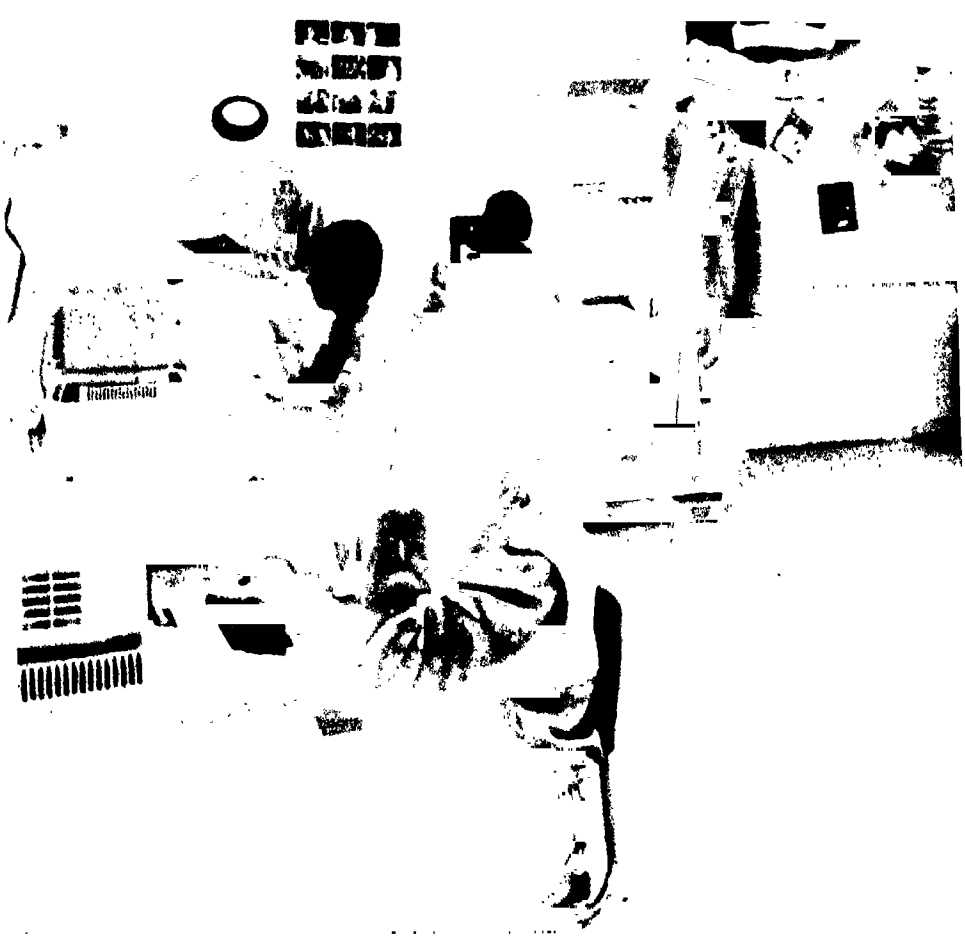
بالاضافة الى عدد من المشاكل المتفرعة الاخرى .

وجهة نظر

ولعله من المفيد الآن ، أن نتساءل عما يجب أن نفعل أمام المشاكل المطروحة ، فالهدف أمامنا واضح ، وهو أن تستجيب المدارس العربية لمتغيرات العصر فى مجال الحاسب الآلى ، وتحاول اللحاق بمن سبقنا فى هذا المجال . والمصاعب الأساسية أمامنا أيضا واضحة ، وهى مسألة اللغة والمصطلحات ، ومشكلة لغات تشغيل الحاسب ، ثم مشاكل المتخصصين والتكاليف اللازمة ومشاكل فرعية أخرى . وعلى ذلك ، يتطلب الطريق الى الهدف المنشود تذليل المصاعب المطروحة . لكن المشكلة هنا هى أن تذليل المصاعب يحتاج الى زمن يشكل تأخيرا فى الاستجابة المطلوبة . وعلى ذلك ، لا بد من استجابة معقولة يجرى تحقيقها خلال أقل وقت ممكن ، على أن يرافقها استعداد مستمر لاستجابة أفضل على المدى الأبعد ، وسوف نحاول فيما يلى مناقشة متطلبات الاستجابة المنشودة ، وكيفية تطوير هذه الاستجابة نحو الافضل على المدى البعيد .

ولعل الخطوة الأولى فى سبيل تحقيق استجابة سريعة لتطورات الحاسب المتزايدة ، تكون فى أن تعمد المدارس ، فى الأقطار العربية ـ ربما فى كل قطر عربي على حدة ـ لتحقيق سرعة العمل على وضع المناهج الدراسية لمقررات تتعلق بمبادىء الحاسب الآلى ، ولغات تشغيله ، وأساليب استخدامه . ويمكن الاستعانة فى وضع هذه المناهج بالمناهج الموضوعة فى مدارس الدول الاخرى ، وبخبرات اساتذة الجامعات . ولتحقيق الفائدة المرجوة من هذه المناهج لا بد من أخذ الناحية العملية بعين الاعتبار ، لما لها من أثر فعال فى مجال الحاسب .

وبعد وضع المناهج ، يجب وضع الكتب اللازمة لها ، وهنا تأتى مشكلة اللغة والمصطلحات . ولتقديم حل سريع ومعقول لهذه المشكلة ، يمكن وضع هذه الكتب باللغة العربية ، على أن تكتب المصطلحات فى هذه الكتب باللغتين العربية والانجليزية ، وعلى أن يحتوى كل كتاب فى نهايته على قاموس للمصطلحات لا يشمل ترجمتها فقط ، بل تعريف معنى كل منها أيضا . والغاية من ذلك هى تحديد المصطلحات المقصودة بدقة ودون التباس ، لا سيما أن كثيرا من مصطلحات الحاسب تتشابه ، كما أنها لو تطابقت ـ تختلف فى بعض الأحيان تبعا للاستخدام بين شركة وأخرى أو دولة وأخرى . ويسهل هذا التحديد الدقيق ـ على المدى البعيد ـ مشكلة توحيد المصطلحات والكتب بين الاقطار العربية .

تعريب لغات الكومبيوتر

أما مشكلة تعريب لغات تشغيل الحاسب فيمكن تجاوزها فى المرحلة الاولى من تدريس الحاسب فى المدارس ، نظرا للمصاعب الناجمة عن ذلك والمطروحة فيما تقدم فى هذا المقال من جهة ، ولأن كلمات اللغة الانجليزية فى كل لغة من لغات الحاسب كلمات محددة للغاية ، لاتشكل عبئا على الطالب ، ولا تعدِّيا على اللغة العربية من جهة ثانية ، ولا يمنع هذا التجاوز فى المرحلة الاولى ، من تشجيع البحوث التى تهدف الى تطوير لغات عربية للحاسب ، يمكن الاعتماد عليها فى المستقبل .

وفيما يتعلق بعدم وجود ما يكفى من المتخصصين لتدريس المواد المتعلقة بالحاسب ، نرى أن للجامعات العربية دورا هاما فى حل هذه المعضلة . فعلى المدى القريب يمكن للجامعات

طالبة في حصة لدراسة استخدامات الكومبيوتر في مدرسة للبنات بالكويت .

أن تقيم دورات خاصة لمدرسي المدارس لتأهيلهم لتدريس مقررات الحاسب المطلوبة . وعلى المدى الأبعد ، تعمل الجامعات العربية على وضع مناهج موجهة لنيل درجات علمية تخصصية فى مجال الحاسب الآلى . وعلى ذلك يمكن لهذه الجامعات تزويد المدارس فى المستقبل بحاجتها من المتخصصين .

وتبقى بعد ذلك مشاكل متفرعة أخرى لعل من أهمها مسألة التكاليف اللازمة لتحقيق الاستجابة المستمرة لتطورات الحاسب ، خصوصا ما يتعلق منها بالنواحى العملية.وفى هذا المجال هناك ملاحظتان تستحقان النظر . . . تتعلق الاولى بامكان تخفيض التكاليف ، عن طريق اتفاقات لاستخدام مشترك لبعض مراكز الحاسب بين المدارس وبعض المؤسسات الاخرى .

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بالانخفاض المستمر فى كلفة الحاسبات بسبب التطور التكنولوجى المتسارع من جهة ، والانتاج والتوزيع على مدى اكثر اتساعا من جهة اخرى . فقد أدى ذلك الى ظهور الحاسبات الشخصية وحسابات الجيب المنخفضة الكلفة ، والتى سيصبح بمقدور معظم الناس اقتناؤها فى منازلهم .

وبعد كل ما سبق نرى أن هذا المقال دعوة للمدارس العربية الى أخذ موضوع الاستجابة لتطور الحاسب الآلى بشكل اكثر جدية ، نظرا لأهميته المتزايدة . ولعل بعض الأقطار العربية قد بدأت تتوجه نحو هذه الاستجابة ، ولعل بعضها الآخر يحتاج الى شىء من الدفع . واذا كان هذا المقال قد ساهم فى القاء الضوء على هذا الموضوع فانه يكون قد حقق هدفه المنشود . □□

الكومبيوتر في المدرسة أكثر من وسيلة جديدة للتعليم وتيسير استيعاب الطالب لدروسه . فهو يعود الطالب على النظام ويعلمه الصبر والمثابرة والدقة في العمل وتدارك الاخطاء عند وقوعها .

والكومبيوتر بعد هذا يعلم الطالب الموضوعية وعدم الانحياز فليس فيه مجال للعواطف ، ومن يعمل على الكومبيوتر يتحول شيئا فشيئا الى انسان يعمل بعقله فقط ويزن الامور بحقائقها ، ثم هو بعد ذلك يوسع المدارك ويفتح آفاقا جديدة أمام شبابنا وأطفالنا .

الصورتان الى اليمين في المعرض الذى أقيم أخيرا في الكويت لشرح استخدامات الكومبيوتر في المدرسة .

الصور الثلاثة الى اليسار للطلبة مع أساتذتهم أمام الكومبيوتر . . لقد أصبح هذا الجهاز أحد المتغيرات الهامة في العصر الذى نعيشه ، ولسنوات طويلة مقبلة وقد بدأ القائمون على تعليم وتربية النشيء يولون اهتماما خاصا بهذا التطور التقني في التدريس .
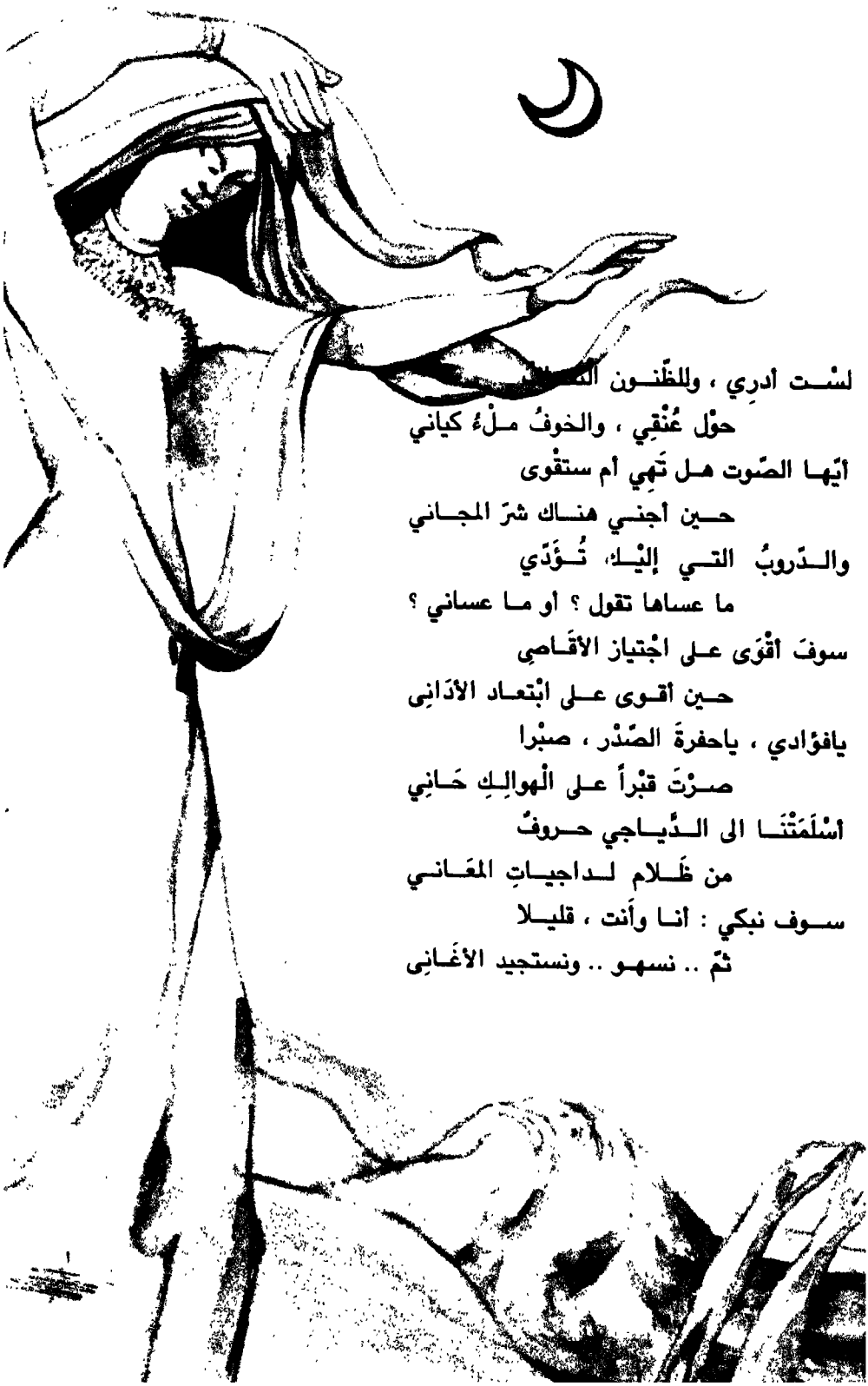
الداعي

شعر

يعقوب السبيعي

في شــذَا الغيـدِ في تثنّي الغَـواني
في تَـهـادِي بـعيـدِهـا للتَّـدَانـي
في وجيـزِاللقـاءِ تُسـهـبُ عَينـي
بحـديـثٍ يَـهـابُ منـه لِسـانـي
في العشَـايـا ، وهُنَّ أجمـلُ ممَّـا
يشتهى الحُلْم في العيـون الـرواني
في شفيفِ الضّيـاءِ يَسقي وعـودا
كـان قلبي هنـاكَ ... لمَّـا دعـاني
من دعاني ؟ الصّوتُ رحْلةُ جُرحٍ ..
في فَـمِ الـغيبُ زيّفتـه الأمـانـي
يتفـانـى عـلى الـوصـولِ لِقَلـب
طـار خـوفـاً من وصْلِـهِ المُتفـاني
منْ هـزيـعٍ الى هـزيـعٍ ينـادي :
أيقظـوا الفجْـرَ ، فـاللّيـالي تُعـاني
يـاسَـهَـارَى ويـاغُفـاةَ اللّيـالي
سوف تبكي السّنونَ مَـوْتَ الثّواني
من دعـاني ؟ أراه صـوت غـروب
جـرَحَ اللّيـلُ خـدَّه الأرْجُـوانـي
هـل دعـاني لِمَـوْعـدٍ فيـه يمحـو
فيضَ شكري لواعـدي ، وامْتِناني
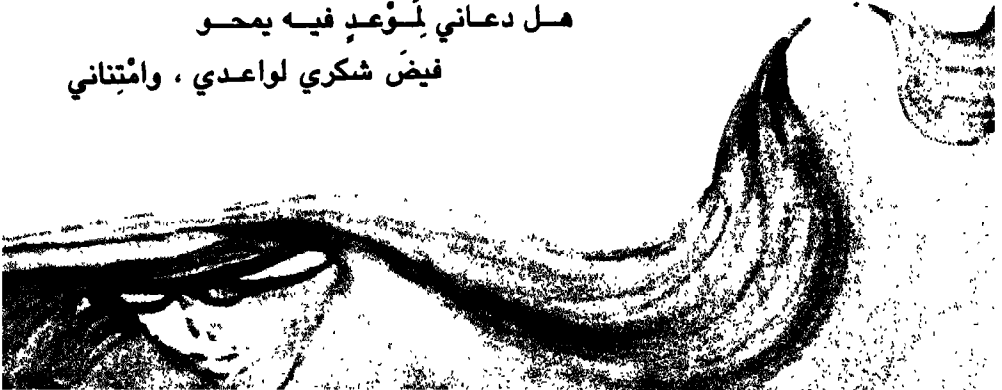
لسْــت أدرِي ، وللظّنــون ال[illegible]
حوْل عُنْقِي ، والخوفُ مـلْءُ كياني
أيّهـا الصّوت هـل تَهِي أم ستقْوى
حــين أجنــي هنــاك شرّ المجــاني
والــدّروبُ التــي إليْــك، تُــؤَدّي
ما عساها تقول ؟ أو مـا عساني ؟
سوفَ أقْوَى عـلى اجْتياز الأقَــاصِي
حــين أقــوى عــلى ابْتعــاد الأدَانِي
يافؤادي ، ياحفرةَ الصّدْر ، صبْرا
صـرْتَ قبْراً عـلى الْهوالِـكِ حَـانِي
اسْلَمَتْنَــا الى الــدَّيــاجي حــروفٌ
من ظَــلام لــداجيــاتِ المعَــانــي
ســوف نبكي : انـا وأنت ، قليــلا
ثمّ .. نسهـو .. ونستجيد الأغـانِي

من
أجل
غذاء المستقبل

غزو الصحاري واستغلالها

للدكتور عز الدين فراج

□ حقائق مزعجة تؤكد أن الموقف العالمي من انتاج الغذاء في حاجة إلى وقفة من العلماء للمشاركة جديا في حل جذري لزيادة الانتاج الزراعي . . ولكن كيف ؟!

لم يكن عدد سكان العالم في بداية القرن التاسع عشر يزيد على ألف مليون نسمة وارتفع هذا الرقم إلى نحو الضعفين خلال مائة سنة فقط ، أما الاحصائية الأخيرة عن تعداد سكان العالم فهي تبين أن سكان الكرة الأرضية وصل عددهم الى ٣٧٥٠ مليون نسمة ، في حين أن عدد سكان العالم في عام ١٩٥٠ كان نحو ٢٥٠٠ مليون من البشر .

واذا ظلت نسبة تزايد السكان على ما هي عليه الآن فان عدد سكان العالم سيصل إلى خمسة آلاف مليون نسمة في عام ١٩٨٥ . . وسيرتفع هذا العدد في نهاية القرن الحالي إلى ٦٥٠٠ مليون نسمة .

وهذه الزيادة ، هي في الحقيقة خطر يداهم البشرية إذا لم يتم منذ الآن تطوير وزيادة مصادر الغذاء في العالم واستغلال كل المصادر الطبيعية الاستغلال الصحيح القائم على التقدم التكنولوجي الحديث . . ولهذا السبب فانه تجرى الآن ابحاث على توفير الغذاء للانسان على سطح الأرض .

واذا سارت الأمور على ماهي عليه الآن من غير حلول جماعية حاسمة ، فسيواجه العالم والعرب جميعا مشكلات غذائية جسيمة في نهاية القرن العشرين . . وهذه الفترة الباقية ليست ببعيدة .

منظمة الأغذية تدق ناقوس الخطر

نشرت منظمة الأغذية والزراعة تقريرا مفصلا عن حالة الغذاء في العالم جاء فيه أن هناك نقصا حادا في الأغذية ناتجا عن سلسلة من تدهور الانتاج في كثير من أجزاء العالم ، كنتيجة للموجات الحادة من القحط التى حلت بالكثير من الدول . . وهناك مناطق واسعة من العالم تعاني نقصا شديدا في اللحوم مما أدى الى زيادة الأسعار زيادة تعتبر أكبر زيادة حدثت في التاريخ .

وارتفاع اسعار اللحوم أدى الى حدوث عمليات تهريب للحوم بطريقة تهدد بتفشي امراض الماشية في دول أوروبا .

ويعزى خبراء هذه المنظمة الأسباب في الأزمة الغذائية التى تعاني منها معظم دول العالم الى الموقف غير المستقر بالنسبة لانتاج القمح في الصين وضعف انتاج محصول القمح في استراليا وانخفاض محصول القمح في شيلي إلى أدنى مستوى وصل اليه منذ عام ١٩٣٠ .

هذه الحقائق الخطرة تبين لنا أن الموقف الدولي في انتاج الغذاء يحتاج الى وقفة من العلماء للمشاركة جديا في حل جذري لزيادة الانتاج الزراعي ، وخاصة استنباط اصناف جديدة ذات غلة عالية كالقمح المكسيكي الذى امكنه في فترة قصيرة أن يحول الكثير من الدول من دولة مستهلكة فقط إلى دولة مصدرة .

وأمام عدم التكافؤ بين زيادة مساحة الأراضي الزراعية ارتفعت صيحات منظمة التغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة تحذر وتنذر كل عام . وهذا ما دفع « دوربس دود » المدير العام لمنظمة التغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة أن يصرح مرة فيقول :

« إن ضغط السكان في بعض اقطار الشرق الأوسط على موارد الأغذية وعدم التناسب بين عدد السكان وزيادة موارد الطعام سيتهددنا بكارثة إن لم نعمل من الآن على تجنبها وتلافيها » .

فلا صحة بلا غذاء .

ولا حضارة بلا غذاء .

ولا ثقافة بلا غذاء .

ولا فن بلا غذاء .

زراعة الصحارى العربية

لهذا فان الدعوة الى التوسع في زراعة الصحارى العربية في كل الدول العربية جديدة علينا ، فكثير من هذه الأصقاع الصحراوية كانت فيما مضى خصبة عامرة بالبساتين والأشجار . فبعض الأصقاع المصرية الغربية كانت في القرن الثالث والرابع والخامس بعد الميلاد عامرة بالخصب والنماء ، عامرة بالبساتين والأشجار . وكانت بساتين الزيتون والعنب تمتد إلى جزء كبير داخل الصحراء المصرية الغربية .

وهناك من الدلائل ما يثبت أن الواحتين الخارجية والداخلية في الصحراء المصرية ، كانتا مكتظتين بالسكان أيام حكم الفرس واليونان والرومان لمصر ، حتى بلغ عدد سكانها ٨,٠٠٠,٠٠٠ نسمة كانوا يعيشون من محاصيل الاراضي الزراعية بها . كما كانوا يملكون عددا كبيرا من الماعز والأغنام والماشية ، وكانوا يتاجرون في البلح ويصدرونه إلى الوادى على ظهور الابل .

وقد كانت الزراعة منتشرة انتشارا عظيما تبعا لكثرة السكان في تلك الواحات إلى ما بعد ثلاثة قرون من الفتح الاسلامي ، ومن ثم ابتدأ الاضمحلال ، لأنه نتج عن كثرة الحروب والغزوات نقص في عدد السكان ، ونشأ من قلة اليد العاملة ضعف في الزراعة والصناعة ، فزالت كروم الاعناب من مريوط التي كثيرا ما ذكرها المؤرخون في مؤلفاتهم وزالت مغارس الزيتون التى لم يبق من آثارها غير المعاصر المطمورة ، كما أنه تركت في الواحات مساحات واسعة من غير زراعة حتى تضاءل الغرس منها الى الحد الادنى .

وما يقال عن مصر يقال عن العراق في عهدها الزاهر في عصر العباسيين ، حيث كانت البلاد والقرى عامرة بالخير العميم والأرض الخصبة المتصلة ، مما يذكره لها التاريخ بكل فضل .

قيل إن الديك كان يصيح في بغداد فيرد ديك القرية القريبة ، ثم ديكة القرى المجاورة فترد عليها الديكة في البصرة ، وهذا القول يدل على أن الأرض كانت عامرة الزرع والحب ، فلا ديكة في أرض قاحلة لا حب فيها . ولكن الآن نجد مساحات واسعة ، زحفت عليها الرمال وغطاها الاهمال والجدب ، وكانت فيما مضى خصبة عامرة . . أما آن الأوان لأن نعيد لهذه الارض خصبها وانتاجها الوافر ؟

وما يقال عن مصر والعراق يقال عن دول عربية أخرى .

لهذا كان باب الأمل في استغلال الصحارى مفتوحا على مصراعيه ، وكل ما يلزم هو أن نبدأ بعزم جديد وبهمة لا تعرف الملل ، مع التفكير السليم وعدم الارتجال ، بل يجب أن نسير في هذا التوسع طبقا لسياسة مرسومة موضوعة .

واذا كانت بعض الدول العربية تعتمداليوم على البترول ، فلماذا لا نكون دولا منتجة للبترول والغذاء معا ؟ وهل سيظل البترول إلى أبد الآبدين ؟. علينا إذن ان نقتطع من صحارينا المتاخمة بعض الأرض لنعيد إليها خصبها ونماءها .

إستغلال المياه الجوفية

ولاستغلال الصحارى لا بد من توصيل

الأنهار والترع القريبة إلى الأراضي المتاخمة القابلة للاصلاح ، ولكن من الافضل أن نلجأ الى خزانات المياه الجوفية في باطن الأراضى الصحراوية ، كما هى الحال في الصحراء الغربية المصرية الليبية ، حيث أثبت لفيف من علماء مصر الجيولوجيين أن تحت الصحراء ماء قدر ماء خزان السد العالي ألف مرة تسربت من مياه النيل من قديم الزمن . ويرى لفيف آخر أن هذه المياه الجوفية ما هى إلا بقايا امطار قديمة تجمعت عاما بعد عام .

جني المحصول

وبرغم دقة التفاصيل التى حصل عليها علماء مصر فقد استخدموا في الفترة الأخيرة أحدث وسائل العلم الحديث وهى تكنولوجيا الفضاء وصور الأقمار الصناعية التي تحمل العديد من الأجهزة وتلتقط أدق تفاصيل الأرض . لقد استخدم اعضاء المركز المصرى للاستشعار من البعد صور القمر الصناعي وطائرات الاستطلاع الجوى واجهزة الخطة الفضائية المصرية ، ومعهم البعثات الجيولوجية الحقلية ، لكشف ما تبقى من اسرار خزان الماء الجوفى

تراكتور يمهد الأرض

الراقد تحت الصحراء المصرية الغربية . والآبار التي حفرت في الواحة الخارجة المصرية والواحة الداخلة والفرافرة وجنوب الوادى وسيوه كلها أكدت وجود الماء الغزير وبدرجة تدفق أكبر غزارة ، كلما اتجهنا غربا ، خصوصا في الفرافرة . وهذا يشير الى وجود الخزان المائي ، ولكن ذلك لا يدفعنا أيضا الى المبالغة في حجم هذا الخزان الجوفي لأننا لم نقم حتى الآن بحفر الآبار الكافية في المناطق التى تتخلل المساحات ما بين الداخلة والفرافرة ، أو الخارجة وجنوب الوادى وهكذا . ولكننا نستطيع أن نطمئن على أن المياه المكتشفة حتى الآن يمكنها أن تروى مليون فدان .

الاقتصاد في استغلال الماء

وأرض الصحارى أرض ذات تلال واطئة منحدرة ، ولا بد أن يقطع الانسان مسافة طويلة قبل أن يعثر على حقل مستو ممهد ، وتسويتها تحتاج إلى نفقات كثيرة . ولذا فاننا إذا ما استخدمنا طريقة الرش بغمر الارض بالماء ، فان

كانت صحراء قاحلة

الماء قد ينزل من فوق المتحدر ، وتغرق القرية التي تقع في نهاية الوادي . ومد انابيب المياه في جوف الأرض يعرضنا مرة أخرى الى صعوبة طبيعة انحدارها . والمياه عادة تخرج من الآبار العميقة باستعمال المضخات وهذه وسيلة كثيرة النفقات . وبعد أن درسنا جميع هذه النقاط ، قررنا أن أنسب الوسائل لتوصيل المياه إلى الأرض الصحراوية هي الري من أعلى عن طريق الري بالتنقيط أو بالرش . حيث تقذف الرشاشات الماء فوق النباتات ، وتغمر المزارع برذاذ خفيف من المطر ، كما في الرسم . وتعلو هذه الرشاشات عن الأرض بقدمين ، وبها ثقوب يبعد كل ثقب منها عن الأرض بنحو قدمين ،ويبعد كل ثقب منها عن الآخر بمقدار اربع وعشرين بوصة . وقد يبلغ طول كل صف من هذه الرشاشات مائتي قدم أو أكثر . ويروى الصف مساحة من الأرض تبلغ خمسة وعشرين قدما في كل من الحالتين . وهذا لا يحدث إلا إذا كان الصف معدا بطريقة تجعله يتحرك ببطء من جانب إلى آخر . وهناك عدد من الفلاحين لا يستخدمون طريقة تحريك الصف من جانب الى آخر ، مفضلين استخدام رجال يقومون بهذه العملية حينا بعد حين وتستقي هذه الرشاشات مياهها من انابيب رئيسية قد تكون تحت الارض أو فوقها .

وطبيعي أن طريقة الري بالرش توفر كمية المياه المستخدمة . . وهذا أمر مطلوب في سقي نباتات الاراضي الصحراوية أو الاراضي الزراعية القليلة الماء .

الأمطار الصناعية

لقد بدأت التجربة الأولى لانزال المطر الصناعي في عام ١٨٩١ فانفقت حكومة الولايات المتحدة مبلغ تسعة آلاف دولار لتفجير بعض البالونات في طبقات الجو العليا ، عسى أن يؤدي ذلك إلى هطول الأمطار ، ولكن كان ذلك بلا جدوى .

وفي عام ١٩٤٥ اصيبت المقاطعات الشمالية الغربية من ويلز الجديدة بقحط وجفاف فتشققت الأرض ، وجفت المراعي وحل الذبول في كل مكان . . وترقرقت الدموع في المآقي وعز على العلم أن يرى النكبة ويشهد الفاجعة ، وهو مكتوف اليدين ، فنهض بعض العلماء باحثين منقبين ، حتى اهتدوا إلى أساس المشكلة .

لقد وجدوا أن هناك فارقا كبيرا بين القطرات الدقيقة المعلقة في السحب ، وبين القطرات الكبيرة التي تتساقط مطرا . فقطرات السحب غاية في الصغر والضآلة بحيث تهبط وئيدة بسيطة ، ثم ترتد متبخرة قبل أن تبلغ الارض . أما قطرات المطر فأكبر حجما واثقل وزنا من هذه القطرات الصغيرة العالقة بالسحب لهذا نجد قطرات المطر تسقط في سرعة وتتبخر في بطء . وبذلك تصل إلى سطح الأرض بعكس القطرات الصغيرة السابحة مع السحب .

والسر في هذا كله راجع إلى تجمع هذه القطرات الصغيرة الضئيلة والتحامها حتى يكبر حجمها ويزيد ثقلها فتسقط غيثا مدرارا ، فيه حياة ورحمة بالعالمين .

ودرس العلماء السحب الممطرة فوجدوها تكون بلورات ثلجية صغيرة يترتب حولها بخار الماء وقطراته .

وأخذ العلماء يبحثون عن وسيلة يحولون بها هذه القطرات الصغيرة السابحة مع السحب إلى قطرات كبيرة حتى اهتدوا إلى استعمال الثلج الجاف . . والثلج الجاف كما نعلم هو الثلج الناشيء عن تجمد ثاني اكسيد الكربون .

فالطائرة عندما تنثر حبيبات الثلج الجاف أو غيرها من المواد الكيمياوية بين السحب المرتفعة المشبعة بالرطوبة ، تهبط درجة الحرارة . وعندئذ تتحول قطرات الماء الضئيلة الحجم الى نويات لبلورات ثلجية ، ثم تتشبع هذه النويات بالرطوبة ويكبر حجمها تدريجيا . وأخيرا تسقط

هذه البلورات ، وعندما تصل هذه البلورات الثلجية إلى الهواء الدافىء قرب سطح الارض تتحول الى مطر .

وما زالت ابحاث المطر الصناعي تسير في طريق النضج والكمال ، وحينما يصل العلم إلى السيطرة الكاملة على السحب ، بحيث تنزل امطارها متى أراد وأينما اراد ، يكون قد أدى للبشرية خدمة من أجلّ الخدمات واعظمها ، وعندئذ نستطيع أن نحول الصحارى الجرداء إلى مزارع فيحاء .

تحسين المعيشة في الصحارى

المشكلة الكبرى في الصحارى تلك الحرارة الشديدة التي تدفع الانسان إلى الهرب منها . لكن أشعة الشمس التى تلهب الصحراء يكون فيها الحل الأمثل لتلك المشكلة . انها قادرة بالفعل على تحويلها إلى جنة تجذب وتمتع الهاربين منها . وذلك بتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية عن طريق الخلايا الشمسية الكهروضوئية ـ ثم تستغل الطاقة الكهربية المتولدة في مختلف العمليات ومنها عمليات التبريد وتكييف الهواء .

وبتكييف الهواء الصحراوى الشديد الحرارة وايجاد اعمال التبريد فيه ، يغرى الناس بالبقاء فيه وعدم الهروب منه إلى المناطق الباردة المعتدلة .

وببقاء الناس في الصحارى يمكن استغلالها في الزراعة برفع ماء الرى من تحت سطح الأرض بالآبار الارتوازية ، ويمكن أيضا الانتفاع بما فيه من معادن وثروات . . ويمكن تحويل بعضها إلى مزارع ومصانع .

في ولاية نيو مكسيكو تمت تجربة ناجحة في مجال الزراعة ، فقد اقيمت مجموعة من الابراج المرتفعة مثبتة فوقها مرايا مقعرة متجهة الى السماء . وهذه المجموعة من الآلات تشكل نظاما جديدا للرى يعتمد تماما على الطاقة الشمسية ، حيث تدير حرارة الشمس التى تعكسها المرايا « توربين » يقوم برفع الماء من *باطن الأرض ويصبها في خزان مجاور يجرى منه الماء لرى الحقول المجاورة .*

والآن بعد أن امكننا تكييف هواء الصحارى ورفع المياه من اعماق الارض ، ستصبح هذه الصحارى جنات مثمرة .

ويمكن أيضا اجراء التجربة نفسها التى عملت في إحدى قرى للصيادين واسمها « لاسي » على أحد الشواطىء النائية في المكسيك ، حيث يعيش هؤلاء الصيادون في أكواخ مصنوعة من سعف النخيل عيشة بسيطة بدائية ، يستمدون نور الكهرباء من مولد صغير وحيد .

وكان صيادو هذه القرية لا يستطيعون تجميد ما يصيدونه من اسماك وحيوانات بحرية ذات قيمة غذائية لبعدها عن الأسواق الأمريكية .

لهذا عمل بعض الخبراء في مشروع مع الحكومة المكسيكية باقامة محطة كهربية صغيرة تعمل بأشعة الشمس بقوة صغيرة تتراوح بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ كيلووات . . مع بناء مستعمرة سكنية وامدادها بالكهرباء الكافى فقط لطهى الطعام وتبريده وحفظه وتجميد الأسماك والحيوانات البحرية ، مع التخلص من ملوحة ماء البحر للحصول على الماء العذب .

انتعشت الحياة في قرية الصيادين النائية وتحسنت احوالهم الاقتصادية ، بسبب المحافظة على انتاجهم من الأسماك والحيوانات البحرية لبيعها في الأسواق البعيدة باثمان عالية ، بدلا من تلفها ، واصبحوا ينظرون إلى أشعة الشمس في امتنان قائلين : شكرا شكرا ياشمسنا الحبيبة .

ومثل هذه المستعمرة السكانية يمكن اقامتها بنفس الصورة في الصحارى العربية ومتى فعلنا ذلك أدت إلى بقاء اليد العاملة ، وكان في مقدورنا استغلال اشعة الشمس في رفع الماء من باطن الأرض ومن رفع الماء تخضر الأرض وتؤتى من كل الثمرات احسنها . □□

مفارقات بين عين الانسان وعيون الحيوان

بقلم الدكتورة : سرى سبع العيش

□ هل استوقفنا التشابه بين عين الانسان وعين الحيوان ؟..! العينان وحدة واحدة من نسيج كونى متصل ، إن كليهما يستلهم الرؤية من خلال أشعة الشمس !

لو قورنت عين الانسان بعيون المخلوقات الفقارية الأخرى من ثدييات وطيور وأسماك وبرمائيات ، لما وجد إختلاف جذرى فى الأسس التشريحية التى تشكل العين ، ولا فى الوظائف الحيوية التى تقوم بها أجزاؤها المختلفة ، ولكن الاختلافات تتعلق بتطور تلك الوظائف وتنوعها وذلك تمشيا مع نوع الحياة التى يعيشها المخلوق ، والفعاليات التى يقوم بها والظرف الزمنى الذى يتحرك به ، ان كان حيوانا نهارى الرؤية أو ليليها ، أو كان طيرا جويا أو أرضيا أو حيوانا مائيا ، أو برمائيا . كذلك تتركز الاختلافات فى شكل العدسة البلورية ، وشكل البؤبؤ العينى ، ونوع الخلايا البصرية التى تنتشر على سطح الشبكية ، إن كانت عصيات أو مخاريط أو كليهما ، لأن العصيات هى الخلايا البصرية الحساسة للرؤية الليلية . أما المخاريط

فهى الخلايا البصرية الحساسة للرؤية النهارية ، وكذلك تشمل الاختلافات والتغايرات ملحقات العين كالاجفان ، والأهداب والغدد الدمعية والعضلات المحركة للعين . فحركات الاجفان وأشكالها وعددها تتبع نوع الحياة التى يحياها ويعيشها المخلوق ، والحركة الدائمة التى يقوم بها سعيا وراء رزقه ، وكذلك حركات العين فهى مقدرة تبعا للوضع الذى يكون عليه فى حياته إن كان قائما يمشي على اثنتين أو أربع ، أو طائرا فى الجو يقتنص فريسته الأرضية أو المائية ، أو سابحا فى الماء يتصيد ما يطوله من أحياء مائية .

ولنأخذ الأمثلة التالية تسهيلا لهذا البحث .

عين القط

تشبه عيون الفقاريات آلة التصوير ، فالضوء يدخل العين عبر فتحة البؤبؤ الذى يتغير حسب شدة الاضاءة وضعفها . وانكسار الضوء يحدث فى العدسة التى تركزه فى بؤرة على الشبكية الحساسة للضوء . ولكن آلات التصوير ، وخاصة الحديثة منها ، تحوى عددا من العدسات تتغير حسب بعد الجسم أو قربه . وحاجز البؤبؤ فيها أيضا يتغير ضيقا أو اتساعا ، حسب شدة الاضاءة أو خفوتها . ولكن عين المخلوقات الحية تتميز بمرونة البؤبؤ فيها فهو يضيق عندما تشتد حدة الاضاءة فتدخل الأشعة اللازمة للرؤية الواضحة وتمنع الأشعة المتبعثرة المؤذية الوهاجة

عين القط نهارا

عند التعرض لأشعة الشمس يضيق البؤبؤ كثيرا كما يبدو في الصورة ، وبفضل عضلات خاصة في القزحية ينغلق بشكل شق عمودي . فهو صمام أمان يمنع عبور الأشعة المؤذية للعين ، بينما يسمح فقط للحد الأدنى من التوهج ، متكيفا حسب نمط الخلايا الشبكية المبصرة .

من دخول العين فتكون الصمام المنظم للاضاءة . أما عندما تخفت الاضاءة ليلا أو فى الأماكن المظلمة ، فالبؤبؤ يتسع ليضم أكبر كمية من الحزمة الضوئية تكفى لتحث الشبكية على الاحساس بالضوء ورؤية الاشياء بدقة عالية . وهكذا أيضا تتسع دائرة البؤبؤ عند رؤية الاشياء البعيدة ، وتضيق عند النظر للاشياء القريبة ، وهو أيضا يتسع عند الفزع والغضب ليدخل الانارة القصوى فتدق رؤية الأشياء ، أى أن العين كباقى أجزاء الجسم تكون فى غايتها القصوى من حيث الحيطة والحذر استعدادا للطوارىء الخارجية بعد أن تنبه الجهاز العصبى الذاتى الحركة ، أما فى حالة الهدوء والسلم فيعود البؤبؤ لحجمه الصغير العادى .

أما القط فهو صياد ليلى ، يتربص باعدائه من الفئران والحشرات ، ويسير ببطء ، وخلسة ثم ينقض . وهذا العمل يتطلب منه تقديرا جيدا دقيقا للمسافة التى يقفزها ، وهو يملك عيونا كبيرة تتجه للامام مما يعطيه تراكبا فى الساحة البصرية فى العينين . وهذا يمنحه قدرا من الرؤية المجسمة . ولانه قناص ليلى ، فأغلب الخلايا الحساسة فى الشبكية هى من العصيات التى تعمل فى الضوء الخافت وفى الليل . لذلك تتسع الحدقة لديه ليلا وتصبح دائرية الشكل ، لتحتوى أكبر كمية من الأشعة ذات الامواج القصيرة الخافتة . أما فى النهار ولان العصيات الشبكية عند القط لا تطيق ولا تمتص الأشعة ذات الامواج الطويلة التى تكثر فى الضوء الساطع ، فيضيق البؤبؤ عند القط ليحمى الشبكة من أذى الشعاع القوى ، فيبدو البؤبؤ بشكل شق أسود طولانى عمودى وذلك بفضل عضلات خاصة فى القزحية

ظاهرة التألق

وهنالك ميزة ليلية لدى القط وهى ظاهرة

عين القط ليلا

البؤبؤ مستدير ، واسع ، ملء الحدقة ، وظاهرة التألق واضحة بسبب الطبقة البساطية خلف الشبكية التى تمتلك خاصية التألق عند التعرض لضوء ساطع . فهى تعمل كمرآة عاكسة ، تعكس عبر العصيات الاشعة التى لم تمتص ، فتهب القط قدرة على الرؤية ليلا بوضوح .

التألق ، فعين القط تشع فى الظلام ، وتتألق بلون أصفر مخضر عند تعرضها لضوء ساطع ، وتفسير ذلك هو أن القط يمتلك طبقة بساطية تحت الشبكية تحتوى تركيزا عاليا من مادة الريبوفلافين ، وهذه تمتص الأشعة ذات الأطوال القصيرة ٤٤٥ ، ٣٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٢٥ ، أنغستروم ، وهى قادرة على التألق سواء عند التعرض للأشعة فوق البنفسجية ذات الاطوال ١٧٠ ، ٣٩٠ ، أنغستروم أو أشعة الشمس ، فبعد تعرضها لتلك الأشعة تتهيج ذرات الريبوفلافين وتمتلك قدرة كافية تطلقها عند عودتها لحالة الاتزان ، فتعمل كمرآة عاكسة تطلق عبر العصيات بعض أو كل ما امتصته من أشعة ، فيتمكن الحيوان من الرؤية الدقيقة الواضحة فى الليل .

أما عين الانسان فهى نهارية ليلية ، لان شبكيته تحتوى نوعين من الخلايا الحساسة ، العصيات التى لا ترى الا فى الظلام ، والمخاريط التى لا ترى الا فى الضوء الساطع ، وهى التى تميز أيضا الألوان . فالمصابون بالعشى أو العشاوة الليلية لا توجد فى شبكياتهم عصيات ، وهى ان وجدت تكون ضامرة ضعيفة ، والعكس صحيح بالنسبة للمصابين بعمى الالوان ، اذ لا تحتوى شبكياتهم على مخاريط للالوان التى تعجز عن رؤيتها ، ومن هنا جاء عمى الليل وعمى الالوان ، وقد تبين أن معظم الفقاريات لاترى الألوان . لانها لا تحوى مخاريط كافية فى شبكياتها . أما بالنسبة للثيران التى تستثار بالرداء الأحمر فى حلبة صراع الثيران ، فهى في الحقيقة مصابة ايضا بعمى الألوان ، ولا تميز اللون الأحمر عن غيره ، ويمكن استثارتها بمجرد التلويح بأى وسيلة أخرى ، ولكن ربما كان اللون الأحمر أكثر تلاؤما مع زى وزهو مصارع الثيران نفسه ، واللون الأحمر يضفى على الحلبة رونقا لبداية الملحمة التى تبدأ برداء أحمر وتنتهى بدماء حمراء . □□

الشياطين الصغار

بقلم : الدكتور عبد القادر ياسين

□ ودعت زميلاتها عند باب المدرسة ، وسارت وحدها تخترق طرقات المخيم متجهة نحو البيت . هزت رأسها تزيح خصلة الشعر عن عينها اليمنى ، ورفعت وجهها نحو الشمس تغمره بأشعة الربيع الدافئة .

كان الطقس جميلا ، والسماء صافية ، والأرض كأنها فتاة خرجت لتوها من الحمام . شعرت بدفء الشمس يسري في أطرافها كالمخدر ، فتمنت ان تظل سائرة هكذا الى الأبد . قصرت خطاها ، وأخذت تسير على مهل وهي تضم حقيبة كتبها الى صدرها ، وعيناها تترددان بين دفء الشمس ومعالم الطريق .

وفي أوج نشوتها نسيت احساسها بالجوع . كل حواسها كانت مفتوحة لاستيعاب اكبر قدر ممكن من نشوة الدفء . شدت حقيبة كتبها الى صدرها كأنها تحتضن العالم كله .

وتذكرت ان اكثر شيء كان يبعث اللذة في نفسها ، وهي طفلة ، هو الاستلقاء على العشب الأخضر في ضوء الشمس . وكان والدها يراها وقد غلبها النوم فيحملها بين ذراعيه ويدخلها الى البيت خوفا عليها من ضربة الشمس . ولما لم تنفع الحسنى كان يضربها ويتهمها بأنها طفلة كسول لن تفلح في شيء . ومنذ ذلك اليوم لم تسمح لنفسها بالاستلقاء في ضوء الشمس ، حتى بعد أن زال خطر الضرب والاتهام الى الأبد .

كان وقع أقدامها على الطريق رتيبا كالايقاع في خلفية معزوفة موسيقية . قفزت فوق بقعة ماء في وسط الطريق ، فقفزت ذاكرتها الى ماقاله الاستاذ في درس التاريخ من أن « المتعة تبطىء الحركة ، ورخاء الشعوب يؤدي الى كسلها وتدهورها . »

ردت تحية احدى النساء ، وعادت الى استاذ التاريخ الذي تعتبره مثلها الأعلى .

أمر الحاكم العسكري الصهيوني بمصادرة مقدمة ابن خلدون من المكتبات ، ولكنه لم يستطع ان يصادرها من رأس الاستاذ تيسير . خمس سنوات قضاها في السجن يقرأ المقدمة حتى حفظها غيبا «من الغلاف الى الغلاف » نكاية باعدائه ومحتلي وطنه ، الجروح التي لمّا تندمل في وجهه بعد ، تزيد من حدة ملامح بطولته .

في درس التاريخ كوّر قبضته كأنه قائد يحث جنوده على القتال : « ان الشعوب التي تناضل من أجل حقها في الحرية والاستقلال والحياة الحرة الكريمة لا وقت لديها للكسل والخمول ، ولا مكان فيها للكسالى والمتخاذلين » .

حين تذكرت ذلك ، خجلت من استمتاعها بدفء الشمس ، خفضت بصرها وحثت خطاها كأنها تسير لملاقاة الاعداء . بعد لحظة دخلت زقاقا ضيقا تزدحم البيوت على جانبيه،تراصّ البيوت يحجب الشمس ويثير رائحة مياه الغسيل التي لاتجف أبدا . برودة الجو أعادت احساسها بالجوع ، فحاولت ان تخمن نوع الغداء الذي اعدته أمها لهذا اليوم ، عملية التخمين كانت صعبة على الرغم من أن أصناف الطعام التي تطبخ في منزلهم منذ عامين لاتزيد على عدد انواع الخضراوات التي تزرع في حديقة البيت الصغيرة ، وبيض الفراخ الأربع التي لايسمح لها بالتكاثر . فأمها طاهية ماهرة تستطيع ان تصنع من البيض و البطاطا والباذنجان عشرة انواع من الطعام لكل منها اسمها الخاص .

* * *

كانت أمها تعرف انواع الطعام الذي يشتهيه أبوها اكثر من غيره . وفي ذلك اليوم الذي لاتمحى ذكراه من مخيلتها عاد والدها الى البيت عند المساء خائر البطن . وكانت زوجته قد أعدت له نوع الطعام الذى يشتهيه ، فأكل حتى انتفخ بطنه ، ثم سألها وهو يشرب القهوة عن سبب هذه الوجبة الخاصة فأجابت : « هذه الليلة يتنظرك جهد كبير ويجب ان تكون قويا » . لم تفهم ابتسام معنى هذه الجملة الا في اليوم التالي . عند منتصف الليل أفاقت ووالدها يقبلها هي واخوتها في الفراش . وبعد لحظة خرج والدها من البيت وأمها تدعو له بالنصر والعودة الى البيت سالما .

كانت دعوة أمها مستجابة . ففي تلك الليلة انتصر والدها وعاد سالما ولكن ليس الى البيت .

سمعت صوت مجموعة من الأولاد يتراكضون في الزقاق باتجاهها ، فانتحت جانبا الى ان مروا كالسيل الهادر بالعشرات ، كانوا يصرخون ويلوحون بأيديهم ، وينحنون على أرض الزقاق راكضين فيقتلعون الحجارة ويحملونها مستمرين في الركض كالفرسان على ظهور الخيل ، وكلما مروا من أمام بيت زاد عددهم الى ان اختفوا في نهاية الزقاق .

هؤلاء الشياطين لايستطيع المرء ان يصنفهم ، في المدرسة ملائكة يشع النور منهم ، وفي البيوت ينضح العرق من جباههم كعمال المناجم ، وفي الطرقات يلعبون بالوحل ويتشاجرون كالديوك ، وفي المظاهرات يتصدون لجنود العدو بحجارتهم واطاراتهم المطاطية ، فيشع الأمل في نفسك وتؤمن بأن صلاح الدين لم يمت .

تخيلت اخوتها جالسين في ساحة البيت ينتظرون عودتها وعيونهم تدمع جوعا ، وأمها تلعن اليوم الذي سمح فيه للبنات بدخول المدرسة . أخوها أحمد شيطان رجيم على الرغم من أن سنه لاتزيد على ثماني سنوات . في أيام الجمعة يجمع شلة اصدقائه ويذهبون الى المقبرة للتدرب على رمي الحجارة . كل شاهد قبر في المقبرة يمثل عدوا لهم ، والماهر من يستطيع أن يقلب شاهدا عن أكبر بعد ممكن . . . قبل حوالي شهر رآهم امام جامع المخيم فحاول أن يطردهم بحجة انهم يدنسون حرمة الأموات ، فرفضوا ، وقال له أحمد : « أمواتنا في الجنة . . . نحن نحارب الشواهد فقط ! سمعته احدى الجارات فحكت القصة لأمها وهي لاتتماسك من شدة الضحك .

* * *

سمعت أحد الشبان في بيت يقع على يسارها يصفر صفيرا خاصا فالتفتت . ورفع يده بالتحية والبسمة ملء وجهه . فابتسمت ورفعت يدها ترد تحيته ، ثم عادت تحتضن حقيبة كتبها وتحث السير نحو البيت . انه سمير زميلها في الدراسة . كلما رأت وجهه تذكرت كعكة السمسم . فكلما خرجت من الصف في استراحة الغداء تجده قد اشترى كعكتين : واحدة لها والأخرى له . زميلاتها في المدرسة يتهمونها بأنها

تحبه وهي لاترد على اتهاماتهم الا بالابتسام والصمت . الغريب فيه أنه قوي العقل والجسم معا . اعتقله جنود العدو سبع مرات . كلما وفر ابوه مبلغا من المال ليؤمن دخوله الى الجامعة اضطر الى دفع المال لاطلاق سراحه من السجن . في المرة الأخيرة رجاه ابوه أن يهدأ قليلا حتى يدخل الجامعة فأجابه : « في المرة القادمة ، يا أبي ، لن تضطر الى دفع كفالة لاطلاق سراحي » .

حين وصلت الى منعطف الزقاق المؤدي الى البيت ، لمحت على البعد مجموعة من الأولاد منبطحين على سفح التل القائم على مشارف المخيم من الجهة الشرقية . استغربت هذا النوع من اللعب الهادىء وتمنت ان يظل لعبهم هكذا دائما .

واقتربت من محددة المعلم يوسف ، فتوقف الطرق على الحديد . ولما اصبحت مقابل باب المحددة احست بنظراته على كتفيها . التفتت نحوه فأدار رأسه بسرعة ووهج النار يضيء الشقاء في وجهه . ثم عاد الطرق على الحديد يرن في أذنيها . ليس عبثا هذا الاحترام الكبير الذي يحظى به المعلم يوسف . . . شاب في مقتبل العمر ، يخجل من ظله ، ولايخرج الصوت من فمه الا نادرا . لم يجرح طوال حياته شعور أحد ولم يؤذ نملة . يشتغل اثني عشرة ساعة في اليوم ، وجيرانه يقولون انهم يسمعون طرق الحديد في بيته في ساعات الليل . في المخيم شائعات تقول ان المعلم يوسف يصنع في بيته أشياء سرية لايعلم بها أحد . أبوه أقعده الكبر ، وأمه لاتقوى على شيء الا اصدار التعليمات لبناتها الخمس اللواتي بقين معها في البيت .

أخبرتها أمها في الأسبوع الماضي أن والدة المعلم يوسف تطلب يدها لابنها الوحيد . أمها ، بالطبع ، لاتريد ان تزوج ابنتها الوحيدة في وقت مبكر . وهي شخصيا لم تفكر في هذا الموضوع حتى الآن . هل ترضى بالمعلم يوسف زوجا لها ؟

* * *

قطع حبل افكارها هدير سيارات تقترب من المخيم . نظرت فلم تر سوى مجموعة الاولاد منبطحين على سفح التل وقد بدأت الحركة تدب فيهم . بدأت الريبة تدخل الى نفسها،فالاولاد لايلعبون بل يتهيأون للقتال . ورجال المخيم معظمهم لما يعد من العمل بعد . . . هرولت نحو البيت وهي تتعثر بذكرياتها . في المدرسة سمعت صباح اليوم طلابا يتحدثون عن عملية الليلة الفائتة : مجموعة كمنت لدورية من جيش العدو واشتبكت معها ثم انسحبت نحو الداخل بسلام والجنود يتعقبون آثارهم .

على عتبة البيت وجدت أمها واقفة مع مجموعة من النساء يراقبن الاولاد على التل . علمت من أمها ان الاولاد عرفوا باقتراب الجنود قبل غيرهم فخرجوا لاستقبالهم بالحجارة ، من بين اخوتها الثلاثة سمحت أمها للكبير فقط ان يذهب مع الاولاد الى ساحة المعركة ، أما الصغيران فقد حبستهما في البيت .

دخلت البيت فوجدت أخويها الصغيرين يبكيان والطعام على المائدة في وسط الغرفة لم يلمسه أحد . طلبا اليها بالحاح ان تسمح لهما بالانضمام الى بقية الاولاد على التل فقالت لهما بأن عليهما اولا ان يتدربا على رمي الحجارة في المقبرة مع أحمد ، وبعد ذلك يذهبان مع الاولاد الكبار الى المعركة . اقتنعا ، فتركتهما وخرجت دون ان تفطن الى معرفة نوع الطعام الذي اعدته والدتها لهذا اليوم .

في طريقها الى الخارج رأت ضوء الشمس يغمر العشب قرب شجرة الليمون فتمنت ان تستلقي على العشب في ضوء الشمس وتغط في نوم عميق ، سمعت صوت والدها يتهمها بأنها فتاة كسول لن تفلح في شيء فألقت حقيبة كتبها على العشب وأسرعت تعدو . على عتبة البيت اكتشفت ان امها ذهبت مع مجموعة النساء الى أول بيت في الجهة الشرقية من المخيم . في الخارج سمعت صخب الاولاد المشتبكين بالحجارة مع جنود العدو الذين ثارت ثائرتهم .

في الزقاق التقت بزميلها سمير وهو يعدو مع مجموعة من شبان المخيم نحو التل . طلبت اليه ان ترافقهم فوافق شريطة ان تبقى بعيدة عن ساحة المعركة .

عند أول التل وقفت مع بقية الفتيات كجيش الاحتياط في المؤخرة ، بينما تقدم شبان المخيم يحمون اخوتهم الصغار . من موقعها استطاعت ان تميز أخاها احمد وهو يجول في ساحة المعركة والحجارة تنطلق من يمناه كالرصاص ، سمعت أول طلقة رصاص فلم تحتمل بقاءها في موقعها . انفصلت عن جيش الاحتياط وتقدمت بضع خطوات الى ان أصبحت خلف سمير مباشرة .

* * *

حجر ينطلق من يد أخيها ليصيب جنديا صهيونيا بين عينيه ، فيتدفق الدم صابغا بزته العسكرية . أحمد يدرب الاولاد على رمي الحجارة على شواهد القبور في المقبرة ... لايحتمل ان يظل « الشاهد » واقفا ... يريد ان يراه منبطحا على الارض . احمد يتسمر في مكانه والحجارة تنطلق من يمناه نحو « الشاهد » المصبوغ بالدم . يقترب « الشاهد » خطوة بعد اخرى مكشرا عن انيابه ، واحمد متسمر يقذف الحجارة مصرا على ان ينبطح « الشاهد » على الارض . على بعد خطوات يترنح الشاهد وينبطح على الارض ، فيقفز احمد في الهواء فرحا منتشيا بالنصر .

قفزة احمد توصله الى ايدي الجنود الذين احاطوا به وهو في غفلة عنهم ، جنود العدو يشبعونه ضربا بعصيهم . بصره مسمر على « الشاهد » المنبطح على الارض وفرحة النصر تملأ نفسه . الاولاد يوجهون حجارتهم نحو الجنود الذين يضربون احمد . ينطلق الرصاص في الهواء فتشتد المعركة .

شاهدت ابتسام جنود العدو وهم يضربون أخاها بوحشية . تتفجر غضبا . تسمع والدها يتهمها بأنها فتاة كسول لن تفلح في شيء . تهز رأسها تزيح خصلة الشعر عن عينها اليمنى وتتقدم بسرعة نحو جنود العدو . سمير يحاول ان يمنعها فتفلت من قبضته . تمسك بأخيها وتحاول ان تخلصه من أيدي الجنود . الجنود يضربونها بوحشية وهم « يرطنون » بلغة لاتفهمها ... ألم الضربة الأولى كان كافيا لأن ينسيها معنى الألم الى الأبد . دفء الشمس يزيدها اصرارا وقوة فتهجم من جديد . تدفع جنديا في صدره ثم تحتضن اخاها بشدة لتحميه من الضرب ... ترى والدها يحاول أن يحملها في حضنه ويدخلها الى البيت خوفا عليها من ضربة الشمس فتزداد تشبثا بأخيها رغم الضرب .

جندي يمسكها من شعرها ويدفعها بعنف ، تراهم يجرون أخاها من قدميه نحو سيارة عسكرية ـ تسمع صوت الحجارة يئز في الهواء ، وصوت النساء والفتيات اللواتي انضممن الى المعركة دفاعا عن أولادهن . ترى والدها يقبلها بعد منتصف الليل قبل خروجه من البيت . ترى كعكة السمسم ، فتهجم على جنود العدو لتخلص أحمد .

تحاول ان ترمي جسمها فوق أخيها . يركلها جندي بين فخذيها فتتراجع بضع خطوات ولكنها لاتنبطح على الارض . كعكة السمسم تضرب ذلك الجندي بقبضتها في وجهه بكل قوة . الجندي يصوب بندقيته نحو صدرها . ترى سميرا يحمل كعكة السمسم اليها في المدرسة كل يوم، تنحني على الارض فتحمل حجرا بيمناها وتهجم على الجندي . تدق الحجر في رأسه فينبطح قبل ان تنطلق رصاصته .

جندي آخر يصوب بندقيته نحو صدرها . ترى والدها الذي عاد سالما ولكن ليس الى البيت . تسمع الطلقة . تحس دفء الشمس في صدرها . ترى احمد يقفز في الهواء فرحا بالنصر . تستلقي على العشب في ضوء الشمس الى الأبد . وتغلق عينيها على حقيبة كتبها قرب شجرة الليمون . □□

□ الكشف الجديد لمدينة ايبلا شمال حلب ، يعيد رسم لوحة التاريخ القديم ، ويكشف الكثير من الحقائق الهامة ، ويضع على المؤرخين العرب مسؤولية اعادة كتابة التاريخ القديم على ضوء الحقائق الجديدة .

في اكتوبر من عام ١٩٧٥ توصلت بعثة ايطالية للتنقيب عن الآثار في موقع « تل مرديخ » شمال مدينة حلب الى العثور في غرفتين من غرف قصر ملكي على آلاف الالواح الطينية قدر عددها بـ ١٦٥٠٠ لوح بالاضافة الى مئات الشظايا المحطمة .

وهكذا تكللت جهود التنقيب المتواصلة منذ عام ١٩٦٤ بالعثور على المحفوظات الملكية لما أصبح يطلق عليها في اوساط الباحثين مملكة « ايبلا » . تلك المملكة التي ورد اسمها في اثار متفرقة وجدت في بلاد سومر وأكد ومصر القديمة منذ البدايات الاولى للتنقيبات الاثرية في المنطقة العربية بحدود النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وقد ظل اسم « ايبلا » علما على مملكة مطمورة تحدثت عنها كتابة منقوشة على تمثال للملك (جوديا) حاكم « لكش » السومرية في الالف الثالث قبل الميلاد ووصفتها بالمصدر الذي يمد « لكش » بالاخشاب . وتحدثت عنها نصوص وجدت في مدينة (اور السومرية) بوصفها مركزا لصناعة النسيج .

وظهر اسم المملكة مجددا على لوح مهم اكتشف في نهاية القرن التاسع عشر يصف فتوحات (سرجون) الاكدي (٢٣٤٠ ـ ٢٢٨٤ ق . م) ويشير الى احتلاله لثلاث مدن هي (ماري) و (ايبلا) و (يارموتي) ، وهو في طريقه الى جبال الامانوس :

وعاد الاسم مجددا الى الظهور في كتابة على تمثال بازلتي عثر عليه في مدينة (اور) . وتروي الكتابة فتوحات حفيد (سرجون) المعروف باسم (نارام ـ سن) الذي حكم بلاد سومر وأكد ما بين (٢٢٥٩ ـ ٢٢٢٣ ق . م) وضمن هذه الفتوحات يذكر هذا الملك انه فتح (ايبلا وأرمان « اللتين لم يسبق ان فتحهما أحد قبل نهاية الخليقه . . . » .

ويبدو ان هذا الفتح الاخير قد قضى على سيادة مملكة (ايبلا) وأودعها متحف التاريخ . فقد جاء في نقوش هيروغليفية على أحد اعمدة معبد الكرنك في مصر العليا ـ ان جيش (تحوتمس الثالث) (١٥٠٠ ق . م) قد مر بناحية اسمها (ايبلا) وهو في طريقه الى الفرات .

ورغم ان توارد هذا الاسم وبهذا الترتيب ومن عدة مصادر يشير الى حقيقة وجود هذه المملكة ، وازدهارها في المنطقة المعروفة باسم أرض (كنعان) الا ان أحدا لم يستطع ان يحدد موقعها بنجاح .

وظل الامر كذلك حتى توصلت البعثة الايطالية اثناء تنقيباتها قرب حلب الى العثور على جذع تمثال نذري نقش عليه بالحروف المسمارية نص يدل على انه للملك (ابلت لم) ملك (ايبلا) .

وكانت هذه البداية هي المؤشر الذي وجه التنقيبات ، وقاد الى القصر الملكي ، والى العثور على غرفة المحفوظات .

وهكذا انفتح سجل التاريخ القديم الذي تم ترتيبه ولق التنقيبات في أرض الرافدين ومصر الفرعونية على قوتين هما قوة حضارة أرض الرافدين وحضارة مصر الفرعونية . وظهر بعد

اكتشاف (ايبلا) نفحص هذا التريب الذى قام على أساس مقارب للحقيقة العلمية وليس الحقيقة كلها .

الاصول العربية

اظهرت الترجمات الاولى لنصوص (ايبلا) المكتوبة بالخط المسماري وبلهجة مختلفة عن السومرية والبابلية والاشورية وقريبة من الاكادية والكنعانية ، ان هذه المملكة التى بادت فى عشرينيات الالف الثالثة قبل الميلاد ، كانت مملكة ذات مدنية متطورة فى أرض (كنعان) توازى مثيلاتها فى أرض الرافدين ومصر وكانت قوة سياسية كبرى هيمنت على اجزاء اساسية من هذه الارض ، وكان لها أحلاف واتفاقيات سياسية واقتصادية . وكان تجارها يجوبون البلاد من الاناضول الى مصر ، ومن البحر الابيض المتوسط الى أرض الرافدين .

على ان القيمة الحقيقية لهذا الكشف تغوص عميقا الى الطبقات التحتية للبنية السياسية والاقتصادية ، أى موقع (ايبلا) الفكرى فى مضمار ما يطلق عليها اصطلاحا « الحضارات السامية » . ويشمل هذا الموقع اللغة والدين والآداب والفنون وكل المنجزات الفكرية والتطبيقية التى حققتها هذه الحضارات وطبعت بها تاريخ المنطقة (السامية) حتى العصر الراهن .

والحقيقة ان هذا الطابع الفكرى العام الذى كشفت اجزاء منه الاثار المعروفة فى وادى الرافدين ومصر الفرعونية ليس افتراضا بل هو واقع أصبح مقررا منذ نصف قرن . وقد غذت التنقيبات المتتابعة فى المناطق السورية هذا الواقع بالمزيد من التفاصيل وخاصة تلك التى تمت فى موقع مدينة (مارى) على الفرات وفى موقع مدينة (اوغاريت) قرب اللاذقية .

وتبين ان هذا الطابع الحضارى قد امتد الى بلاد اليونان الاغريق ومنها الى الحضارة الغربية الحديثة .

وبعد ان كانت نزعة المركزية الاوربية تدعى ان تاريخ الحضارة لا يمتد زمنيا الى ما هو أبعد من الاغريق وما اطلقوا عليها (الحضارة العبرية) اصيبت هذه النزعة بحرج بالغ ، وتبلبلت افكار دعاتها أمام الالواح الطينية فى سومر وأكد وبابل وآشور واوغاريت وأريحا واعمدة الكرنك .

ولم تظهر هذه الالواح ان المنطقة العربية ذات مساهمة عريقة فى سلم التحضر الانسانى فقط ، بل أظهرت شيئا فى منتهى الاهمية وهو ان ما يسمى (بالحضارة العبرية) مصطلح مختلق شأنه فى ذلك شأن مصطلح (السامية) وان تاريخ المنطقة وفق الوثائق الاثرية لم يشهد الا موجات حضارية مترابطة وذات أصول لغوية ، ودينية وأدبية وقانونية واحدة ، تلك هى الاصول العربية .

ورغم تصاعد موجة الاعتراف بوجود حضارات غير حضارة الاغريق أضاءت العالم القديم فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعيش عصورها الحجرية ، الا ان هذا الاعتراف ظل مشوبا بروح غير علمية حين يصل الامر الى تحديد هوية هذه الشعوب التى أقامت هذه الحضارات والى تحديد الموقف من خلافات راسخة تداولها العالم بوساطة (التوراة) اليهودية .

فقد ظل هذا النص المكتوب فى القرن الخامس قبل الميلاد نوعا من الكتاب المقدس والمرشد لدى المؤرخين والباحثين وعلماء الحضارات وفلاسفة التاريخ من الغربيين ، حتى لو ضللهم ، وتعارضت خرافاته مع حقائق علوم الاثار واللغات والاجناس .

ومن هنا فقد تبنى « شلوتز » النمساوى فى عام (١٧٨١) تسمية (السامية) ليصف بها الشعوب العربية وموجاتها المتتابعة من الجزيرة

العربية الى الهلال الخصيب . ومن هنا ايضا أطلقت على اللهجات المتعددة مثل البابلية والآشورية والكنعانية والآرامية تسمية اللغات السامية وليس اللهجات العربية ورغم ورود لفظ « السامية » فى الوثائق التاريخية الا انه أصبح معتمدا باصرار غريب حتى يظل لخرافة انحدار شعوب العالم من عدد من اسماء الاشخاص وزنها وتظل (التوراة) هى المرجع والاساس .

والمتابع لكتب الرحالة الغربيين عن الاقطار العربية يلمس كيف بنيت فى الذهنية الغربية صورة هذه الاقطار وفق التصور التوراتى ، والمفارقة ان هؤلاء الرحالة كانوا ينظرون الى كل الاقطار العربية بمنظار التوراة حتى فى القرن العشرين لقد اصبحت تواريخ وجغرافيا واجناس المنطقة وأصولها رهنا بما علمته التوراة للغرب بينما لم يكن هذا الكتاب بالنسبة لعمق المنطقة الحضارى غير قشرة على السطح . وسنرى فى ابحاث قادمة . كيف اثبتت المكتشفات الاثرية هذه الصفة القشرية .

الصهيونية . . أيضا

لقد طرحت (ايبلا) على بساط البحث هذه القضية بشكل متفجر حين بدأ عضو البعثة الاثرية الايطالية « جيوفانى بتيناتو » اثر اكتشاف الالواح بترويج اقاويل مؤداها انه قرأ فى الالواح اسماء مثل « ابرام » و « داود » و « عيسو » و « أبر » و « اسرائيل » واسماء مدن مثل « حاصور » و « مجدو » و « غزة » و « اورساليما » . . الخ . . ذاهبا الى ان هذه الاسماء هى نفسها التى وردت فى التوراة .

وخلال جولة له فى الولايات المتحدة فى نيسان عام ١٩٧٦ أسهب فى الحديث عن اكتشافاته هذه فلم يسأل عن اسم او حدث الا وزعم انه موجود فى الواح (ايبلا) . وتلقف الباحثون التوراتيون المهتمون بتثبيت صورة العالم كما تحدده التوراة هذه التصريحات . وبدأت تنهال على الصحافة الاميركية والبريطانية عشرات التكهنات والتحليلات المتجهة الى هدف واحد : وهو اثبات ان مملكة (ايبلا) مملكة يهودية بدليل الاسماء الواردة فى الواحها . وأن أصل اليهود يرجع الى هذه المملكة . . !

وكان اركان الحملة ثلاثة افراد هم : دافيد فريدمان رئيس تحرير مجلة الاثار التوراتية ، وميتشل دافيد رئيس المعهد التوراتي فى روما . وجيوفانى بتيناتو عضو البعثة المنقبة وتابعهم فى ذلك عدد كبير من صحفيي « التايم » و « النيوزويك » و « الديلى تلغراف » و« والايكونومست » و « الوول ستريت جورنال » و « لوس انجلوس تايمز »

وركزت هذه الحملة على القول انه « طالما ان لغة (ايبلا) قريبة من العبرية ، وان نصوص (ايبلا) تحوى اسماء اعلام واسماء مدن وردت فى التوراة فانه من المحتمل بكل بساطة ان يكون أصل العبرانيين من (ايبلا) . . ! »

وعندما وصلت هذه الحملة ذروتها عقد رئيس البعثة المنقبة البروفيسور (باولو مايتيه) مؤتمرا صحفيا فى أيلول ١٩٧٧ بين فيه حقيقة الالتباس الذى يقع فيه المؤمن بخرافات التوراة ، ويحاول ان يجر اليه الناس . فذكر ان تشابه ورود الاسماء فى الواح ايبلا والتوراة ليس معناه انها اسماء « يهودية » « أو عبرية » فهذه الاسماء أصلا اسماء معروفة وشائعة فى المنطقة وبين شعوبها قبل ان تظهر شخصية (ابراهيم) الذى يدعى اليهود الانتساب اليه بألف عام . وقد وجدت فى عدة مناطق من أرض كنعان وبالتالى لا يمكن ان تكون لها دلالة خاصة تؤيد المزاعم اليهودية .

وكان لتوضيحات رئيس البعثة ، ولتوضيحات بعض الاختصاصيين مثل استاذ الاشوريات (روبرت بيغس) الاثر الكبير فى

كبح تقولات الصحافة الغربية والتوراتيين ، وبدأت تنحسر موجة التضليل شيئا فشيئا مع تزايد عدد الالواح المقروءة من محفوظات (ايبلا) . وبدأ عضو البعثة بتيناتو سلسلة من التراجعات اظهرت أي نوع من المهازل يمكن ان يقود اليها باحث يبذل قصارى جهده لاثبات الخرافة رغم انف العلم .

والمثال التالي يوضح ما انتهت اليه هذه الحملة : فقد زعم بتيناتو هذا انه قرأ في اللوح رقم (ت م ٧٥ ـ ١٨٦٠) اسماء مدن السهل الخمس الواردة في التوراة في سفر الخليقة ، وانها واردة وفق ترتيب التوراة نفسه وهي مدن : سادوم ـ عمورا ـ ادما ـ هبوييم ـ بالع . ثم تراجع . . وقال ان الاسماء ليست واردة في لوح واحد ولكنها موزعة في عدة الواح . ثم اضاف ان ثلاثا منها قرئت مغلوطة . وأخيرا تبين ان اللوح المشار اليه يتعلق بسبائك معدنية . !

العلم يتحدث

وازاء ما اثارته هذه الحملات من ضباب وتقولات وجهت سوريا الدعوة الى عدد من الاختصاصيين في قراءة الكتابات المسمارية في العالم ، وتألفت في عام ١٩٧٨ لجنة دولية ، وبدأت تصدر منذ عام ١٩٨١ دراسات متصلة تحت اسم « نصوص محفوظات ايبلا الملكية » كما بدأت البعثة الايطالية باصدار نتائج دراساتها حول موضوعات لغوية وأثرية وتاريخية خاصة بايبلا وذلك في مجموعتين الاولى تسمى (حوليات ايبلا) (Annali De Ebla) والثانية تسمى (دراسات ايبلوية) (Studi Eblaiti) .

وفي مايو من العام ١٩٨١ عقدت في جامعة روما ندوة عالمية حول (ايبلا) اشترك فيها عدد من علماء اللغات القديمة ، والقى خلالها ثلاثون بحثا . ووضعت قضية (ايبلا) في مسارها الصحيح . وأعطت اللجنة ردا علميا على حملة الاوساط التوراتية تضمن أنه لا علاقة لايبلا من قريب أو بعيد ، لامن حيث الشكل ولا المضمون ، ولا بشكل تقريبي بأي وجه من الوجوه بالعبرانيين او التوراة او قضاة العبرانيين وملوكهم . فايبلا تسبق ظهور هؤلاء بألف عام . وليس في نظمها السياسية أو الدينية او الاجتماعية علاقة بالجماعة البدوية الهائمة بين الرافدين ومصر ، والتي طرأت على الوسط الكنعاني وتعلمت لغته وتبنت موروثاته وتقاليده وأساطيره .

على أن هذا النشاط العلمي ، وان كان قد أسكت بعض الهواة في القضية الا ان الصحافة الغربية السياسية كما يبدو لم يعد يهمها الا أن تتابع قضيتها الخاصة وهي الاستمرار في ترويج اكاذيب بتيناتو وتكهنات التوراتيين والاوساط الصهيونية . وآخر ما قرأناه بهذا الخصوص هو المقال الذي نشرته ـ الديلي اكسبرس « البريطانية في سبتمبر ١٩٨١ . وتكهنت فيه « بان الجدال الذي اثارته (ايبلا) قد اشتد الى درجة يبدو معها ان مجموعة من التوراتيين اليهود ستشعل الحرب العربية ـ الاسرائيلية الآتية بالتمسك بأن سوريا هي الوطن الذي ورثه اليهود عن اجدادهم .

وعادت الصحيفة الى تكرار ما سبق وان دحضته تحريات العلماء ودراساتهم المتواصلة .

عرب . . لا ساميون

هل انتهت عند هذا الحد قصة (ايبلا) ، عند حد اغلاق الباب بوجه التفسيرات المغلوطة ؟

ان هذه القصة بكل مارافقها من اثارة لم تتوقف بعد ، وهذا الفصل الذي وصفناه في

السطور السابقة ليس الا جزءا من الصراع الثقافي الذي تشهده المنطقة العربية وما زالت الواح مملكة (ايبلا) وآلاف الالواح المكتشفة في المناطق العربية الأخرى ترقد في المتاحف صامته بسبب قلة خبراء اللغات القديمة في العالم ، وبسبب الكمية الهائلة لهذه الالواح . ولا شك ان الوصول الى فك رموز هذه الالواح وقراءتها بحاجة الى سنوات طويلة .

الا اننا رغم ذلك نستطيع القاء بعض الاشارات المهمة على طريق اعادة تركيب تاريخ حضارات المنطقة ، تلك الدلالات التي كشفت عن جزء منها ألواح (ايبلا)

فلئن اتجه عدد من المختصين العرب الى مواجهة الحملة اليهودية والتضليل التوراتي ، بدلا من اخضاع محفوظات (ايبلا) للدرس في ضوء مجموع ما كشفت عنه بحوث الحضارات في (اوغاريت) و (مجدو) و (اريحا) و (بابل) و (أشور) و (سومر) و (حضرموت) فان تصفية الحساب التي قام بها مؤتمر روما في عام ١٩٨١ ليست نهاية المطاف . وما زالت المهمة مطروحة على هؤلاء المختصين . وذلك أن مسارعة الاوساط التوراتية الى مصادرة موضوع مثل موضوع (ايبلا) وان كان يحمل في ثناياه طابع الهجوم الا انه يحمل ايضا « طابع الدفاع عن النفس . لان من الملاحظ في ضوء المكتشفات الآثارية التي تمت حتى الآن ، ان العلماء بدأوا ينصرفون عن (التوراة) ويتخلون عن اعتبارها مرجعا ذا قيمة تاريخية .

بالاضافة الى ان هذه المكتشفات بدأت تؤكد وبشكل متزايد ان ما في التوراة من تشريعات وقصص وآداب ونظرات دينية ليست خلقا يهوديا . بل هي محفوظات جمع فيها كتبة التوراة نصوصا من حضارات مختلفة ونسبوها الى انفسهم والى حكمائهم وهذه الحضارات المعنية هي حضارة سومر وأكد وبابل وأشور وكنعان والحضارة الفرعونية . وهي في غالبيتها العظمى ذات اطار واحد لا صلة له باليهودية لان هذه الحضارات نشأت وتكونت عبر بضعة الاف من السنوات .

وهذا يعني ان مصطلح (الحضارة اليهودية) أو (الحضارة العبرية) هو مجرد اكذوبة تداولها الباحثون الغربيون طيلة القرون الماضية بينما كانوا في الحقيقة يتداولون منجزات تشريعية وأدبية ودينية لحضارات أخرى وقد ظلت هذه الاكذوبة شائعة بفضل اندثار معالم هذه الحضارات القديمة والجهل بها .

على ان الكشف الاكثر اهمية من ذلك ، والذي أفرد له الدكتور (احمد سوسة) كتاب (العرب واليهود في التاريخ) هو ان ما تسمى بالشعوب السامية ما هي الا هجرات القبائل العربية المتتابعة من الجزيرة العربية منذ ما يقارب عشرين الف سنة قبل الميلاد .

وان ما تسمى بعائلة : اللغات السامية ان هي الا مصطلح يصف في الحقيقة لهجات للغة واحدة تفرعت مع هذه الهجرات . ولا يصح تاريخيا تسميتها الا بالطابع العام الذي طبع منابعها اي الطابع العربي .

اضافة الى أن المكتشفات الاثرية قد دللت على ان مصطلحات مثل « العبريون » و « الاسرائيليون » و « الموسويون »و « اليهود » ليست مترادفة وانما هي اشارات الى اقوام مختلفين من ناحية عرقية ودينية . وتفصل بين ظهورها وتداولها عدة قرون لا تقل عن ستمائة سنة .

فلفظ « عبري » او « عابيرو » يعني في الألواح القديمة البدوي المترحل ولفظ (اسرائيل) هو اسم علم كنعاني . ولفظ (الموسويون) اشارة الى الجماعه التي خرجت من مصر بقيادة نبي الله (موسى) الى فلسطين . اما لفظ (يهود) فلا علاقة له بالعبيرو ولا باسرائيل ، وانما نشأ اللفظ نسبة الى مملكة يهوذا ، ولم يرد في النصوص التاريخية قبل وجود هذه المملكة على اجزاء من فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد .

أيبلا .. أم عبيلا ؟

اذن فالباحثون العرب مطالبون باعادة تركيب التاريخ ، وكتابة هذا التاريخ على ضوء علم الاثار واللغات وحقائق الجيولوجيا وعلوم المجتمعات البشرية ، بعد ان كشفت قضية (أيبلا) كيف أن المنطق التوراتي يضع دائما الحصان وراء العربة ، فيجعل من السابق مقتبسا من اللاحق . أو يجعل للاحق وجودا يسبق وجوده التاريخي . وخطورة هذا المنطق انه لا يقتصر في هيمنته على دوائر محدودة بل يمتد الى دائرة أوسع هي دائرة الثقافة العالمية المعاصرة .

ويهمنا في ختام هذا البحث الاشارة الى نقطة في منتهى الخطورة نأمل من المختصين العرب أخذها بعين الاعتبار ، الا وهي قضية اللغة التي يجب أن تترجم اليها الالواح الاثرية . فمن الملاحظ من الصلات القوية بين ماتسمى (اللغات السامية) وورود عدد كبير من الكلمات العربية التي لا تزال مستخدمة حتى اليوم . من أمثال هذه المفردات التي وردت في الواح (أيبلا) : ، مليكوم ... أخت .. يد .. تين ، ويشبه ذلك ما ورد من مفردات عربية في الواح أوغاريت ، وفي الالواح البابلية والاشورية .

ولا شك ان قراءة هذه المفردات قد جاءت بعد ان نقلت أولا الى اللغات الايطالية والفرنسية والانجليزية والالمانية . ولولا وضوحها الشديد لما كان ممكنا اكتشاف عربيتها .

ووصلت الينا محرفة كما حرفت آلاف المفردات التي تصلنا من الواح بابل وأشور واوغاريت . وسبب هذا التحريف يرجع الى أن مكتشفي الآثار من الاوربيين يستخدمون لغة لاتشترك مع (اللغات السامية) هذه بأبسط الاشياء ، أي تكافؤ الحروف نطقا وكتابة وعددا . ومن هنا تسقط في الترجمة عادة حروف سامية وتتحول حركات الاعراب الى حروف أصلية ، وتستبدل الحروف الساقطة مثل العين والضاد والحاء بحروف لاتينية . وحين تترجم الى العربية تكون قد بعدت عن الاصل نطقا وكتابة .

وقد تساءل د . عفيف بهنسي في محاضرة له (٣ آيار ١٩٧٨) هل تلفظ (أيبلا) على هذ النحو ووفق نطق اللغات الأوروبية ، ولا سبب وان الذين يقرأون النصوص هم ايطاليو وفرنسيون وانكليز والمان ، وكثيرا ما يضيع الحرف ، ع ، ويندثر لدى النطق ليلفظ « أ اليس ثمة احتمال بأن يكون لفظ (أيبلا) « (عبيلا) أو نحو ذلك ؟ !

وقد استرعت هذه الملحوظة اهتمامنا خاصة وان الدكتور (أحمد سوسة) أورد فق من كتاب حمزة الاصفهاني (تاريخ سير الملو تقول « ان العرب العاربة عشرة ، عاد وثم وطسم وجديس والعمالقة وعبيل وأ ورهط وجاسم وقحطان ... » . وما استر انتباهنا هنا هو اسم قبيلة « عبيل » الوارد في الفقرة ، وقربه الواضح من لفظة « عبيلا » اليس من المحتمل ان تؤكد ترجمات عر للالواح ان هذه المملكة التي سماها المكت الايطالي « أيبلا » وأخذنا هذه التسمية عن هي الا مملكة (عبلا) أو (عبيلا) العر البائدة ؟ وانها ليست مجرد مملكة (سامية)

هذه ملحوظات أولية ربما تشير الا لدراسة الحضارات القديمة من منطلقات وباللغة العربية ، واطراح المنطق الت اللاتاريخي . ووساطة الحرف اللاتيني .

ترى ما هي نتائج ترجمة الحروف الم الى الحروف العربية مباشرة ؟ وكم من المتداولة سيتضح انها أسماء محرفة ؟ و الاحداث ودلالاتها سيعاد تركيبه ؟ واي ستتضح لهذا الوطن العربي ؟ حين يكتب القديم باللغة العربية لأول مرة ؟

العربي
من ربع قرن

القرن العشرون
عصر انتصار القوميات الآسيوية والإفريقية

انفقت كلمة المؤرخين والباحثين على تسمية القرن التاسع عشر باسم « عصر القوميات » . . وأنا لا أعترض على هذه التسمية ، من حيث الأساس . غير أني أعتقد أن الدقة العلمية تحتم علينا أن نقيد ذلك بقيد صغير ، ولكنه هام ، فنقول : « عصر القوميات في أوروبا » .

لأن القرن المذكور ـ وبتعبير أدق ـ القرن الذي امتد بين انتهاء الحروب النابليونية وبين انتهاء الحرب العالمية الأولى أو بين معاهدات فينا وتوابعها وبين معاهدات فرساي ولواحقها ، اذا كان عصر « انتصار القوميات » بالنسبة الى البلاد الأوروبية ، فانه كان عصر شيء آخر بالنسبة الى البلاد الآسيوية والأفريقية . . انه كان عصر « استفحال الاستعمار » .

حقا ، ان القرن المذكور كان « عصر انتصار القوميات ، في البلاد الأوربية » . بكل معنى الكلمة .

فان خارطة أوروبا السياسية تغيرت خلال القرن المذكور تغيرا أساسيا في اتجاه ثابت عام : هو تكوين دول قومية في مختلف أنحاء القارة الأوروبية .

ولا غرابة والحالة هذه ، اذا صار القرن التاسع عشر ، عصر « انتصار القوميات » في أوروبا ، وفي الوقت نفسه « عصر استفحال الاستعمار » في أفريقيا وآسيا .

واذا تعمقنا فى البحث قليلا ، توصلنا الى حقيقة هامة اخرى ، وعلمنا : ان انتصار الفكرة القومية في أوروبا ، كان من جملة الأسباب التي أدت الى استفحال الاستعمار في آسيا وأفريقيا .

ذلك لأن انتصار مبدأ القوميات في أوروبا ، لم يترك أمام أية دولة من الدول ، أي مجال للتوسع في القارة المذكورة نفسها . لأن جميع دولها أصبحت قومية ، ولأن حدود تلك الدول تقررت وفقا لمقتضيات مبدأ القوميات الى أقصى حدود الامكان .

ولذلك اضطرت الدول الطامحة الى تحويل أنظار توسعها الى خارج القارة الأوروبية.

ومن المعلوم أن الاستعمار الأوروبي للقارة الامريكية كان قد بلغ مداه قبل القرن المذكور ، وتتالت الحركات الاستقلالية في مختلف اقطارها . وفي الأخير أعلن منرو مبدأ « أمريكا

للأمريكيين » ، فلم يترك للدول الأوروبية مجالا للتوسع جديداً في تلك القارة أيضا .

ولهذه الأسباب كلها ، توجهت أطماع التوسع بكليتها نحو القارتين الأسيوية والافريقية . .

وهذا العامل ، بانضمامه الى العوامل الاقتصادية المعروفة ، دفع الدول الأوروبية الى التهافت على استعمار تلك البلاد ، بسرعة وبشراهة .

ولذلك شهد العالم هذا الحادث القريب :

في الوقت الذي كانت خارطة أوروبا السياسية تتغير وتتطور وفق ما يرتضيه مبدأ « حقوق القوميات » صارت خارطة آسيا وافريقيا تتخطط وتتكون وتتقسم ، وفق مصالح المستعمرين ومساوماتهم المعقدة ، دون أدنى التفات الى الاعتبارات القومية .

وهذا هو الذي جعل القرن التاسع عشر ، عصر « انتصار القوميات » من جهة ، وعصر « استفحال الاستعمار » من جهة أخرى .

القرن العشرون قرن حاسم

ولكن . . من الطبيعي أن هذه الأحوال ، ما كان يمكن أن تدوم الى الأبد .

بل كان من الطبيعي ، أن تستيقظ الشعوب الأسيوية والافريقية من سباتها ـ الواحد بعد الآخر ـ وأن تتزود باسباب الحضارة العصرية من ناحية ، وتعي حقوقها القومية وتطالب بها ، وتثور على مستعمريها من ناحية أخرى .

من المعلوم أن البعض من الشعوب المذكورة استطاعت أن تقطع شوطا كبيرا في هذا السبيل ، منذ بداية القرن الحالي ، ولا سيما منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة . ولكن ، لا يزال أمام معظمها طريق طويل وشاق ، محفوف بضروب من الموانع والعراقيل ، من الأشواك والأدغال ، من المهاوي والوديان .

ومع كل ذلك ، لا شك في أن الفكرة القومية ستتغلب في آخر الأمر . على جميع هذه الموانع والعراقيل . . وستنتصر في البلاد المذكورة كما انتصرت من قبل في القارة الأوروبية.

ولهذا السبب ، سيكون القرن الحالي : « عصر انتصار القوميات » في القارتين الأسيوية والافريقية ، و « عصر تلاشي وانهيار الاستعمار في جميع القارات » .

ولا شك في أن الأمة العربية ستكون أكثر المستفيدين من ذلك . لأنها ـ في الحالة الحاضرة ـ أشد المتضررين من الاستعمار ومن رواسبه ومخلفاته الخطيرة .

ساطع الحصري

الشيخوخة

ماذا يمكن أن نقدم لها؟

بقلم: الدكتور دري حسن عزت

□ الشيخوخة موضوع بدأ يطفو على سطح أوليات الاهتمام، ويفرض نفسه كمتطلبات حية تواجه المسئولين عن خدمات الصحة النفسية في المجتمعات النامية، ويلزم التخطيط لها من الآن لتوفير الهيئات الطبية والتمريضية والاجتماعية المتخصصة ، وكذلك الامكانات الاسكانية .

عدد المسنين في ازدياد كما يظهر ذلك في التعداد العام للسكان ، ونسبة عددهم لعدد السكان العام في ارتفاع ، فنسبة من هم في سن الخامسة والسبعين وما فوقها لعدد السكان في انجلترا في عام ١٩١١ كانت ١,٥٪ ، وفي عام ١٩٥١ كانت ٤,٧٪ ، وفي عام ١٩٨١ كانت ٥,٦٪ ، ويقدر لها في عام ٢٠٠١ ان تكون ٦٪ ، وفي دولة الكويت كانت نسبة من هم في الستين وما فوقها عام ١٩٥٧ هي ٣,٩٪ ، وفي عام ١٩٧٠ كانت ٤,٢٪ ، اذن المؤشرات تفيد ان النسبة في تصاعد .

وقد ساعد في ذلك التقدم الشامل في علاج معظم الامراض التي كانت تودي بحياة الناس في منتصف العمر او قبله في العقدين الاخيرين ، فمعظم الحميات كالتفوئيد والامراض الصدرية كالسل وكذلك امراض السكر وضغط الدم ومضاعفاته ـ اصبحت لها علاجات فعالة ـ جعلت اعدادا كثيرة من البشر تصل الى سن الشيخوخة المتقدمة ، واطالت في متوسط عمر الانسان الى حوالي ٧٤ عاما . ومما جعل موضوع المسنين ومسئولية رعايتهم من الموضوعات المثارة على مختلف المستويات ـ التغيرات الاجتماعية الجذرية التي وصل اثرها الى اساسيات انماط الحياة الاسرية ، فحركة التمدين Urbanisation تسير بسرعة بالهجرة المكثفة من الريف الى المدينة او بتمدين الريف نفسه ، ووصول مفاهيم المدينة اليه ، مما جعل الاسر التقليدية الكبيرة المسماة بالاسر الممتدة Extended families التي كان يعيش تحت سقفها عدة اجيال من اجداد واباء وابناء واحفاد ، تتفتت الى

اسر صغيرة نووية تشتمل على الوالدين وعدد صغير من الابناء ، ففي الاسر الممتدة كان المسنون يحظون برعاية كافية على عكس الحال في الاسر النووية الصغيرة ، اذ يصعب على زوجين شابين انجبا طفلا او طفلين ان يتحملا مسئولية رعاية مسن لهما او اكثر ، غالبا ما يعاني من امراض جسمية مقعدة بجانب حالة شيخوخته الاصلية ، مثل هذا الوضع يمكن ان يدمر امثال هذه الاسر الشابة . ومن هنا تبرز مسئولية المجتمع في رعاية مسنيه على المستوى القومي بجانب ، اذا لم تتوفر الرعاية الاسرية الفردية التقليدية .

الشيخوخة .. ماهي ؟!

كثيرا ما يثار هذا التساؤل ، هل الشيخوخة حالة مرضية يمكن علاجها او الوقاية منها او تأجيل وقوعها ؟

الشيخوخة : مرحلة طبيعية في حياة الانسان ، وهي المرحلة الختامية التي تعده للنهاية المتوقعة المعروفة وهي نهاية كل حي .

توجد في جسم الانسان اجهزة المناعة Anto immune systems وهي التي تحميه من المؤثرات والعوامل المعاكسة سواء النابعة من بيئته الداخلية او الخارجية ، وبدون قوة اجهزة المناعة هذه لا يستطيع الجسم المقاومة او التصدي للمتغيرات المستمرة ، فيضعف ويهلك ، واجهزة المناعة تضعف بالتدريج مع تقدم العمر ، ويصبح الجسم غير قادر على مواجهة العوامل المعاكسة لبقائه حيا فيستسلم دون مقاومة ويفنى .

والآثار النفسية والعقلية للشيخوخة ترجع اساسا الى ان الخلايا العصبية غير متبدلة كخلايا اخرى مثل الكرات الدموية التي تتجدد على فترات بموت بعضها وتكون غيرها ، فالخلية العصبية اذا عطبت تفقد وظيفتها جزئيا او كليا ، وعلى مر السنين يعطب الكثير من هذه الخلايا ويقل عدد الصالح منها ، وهذا يتسبب في هبوط مستوى اداء وظائف المخ ، ويظهر هذا في هيئة الاعراض الذهنية للشيخوخة .

متى تبدأ الشيخوخة ؟

وليس هناك وقت محدد تبدأ فيه الشيخوخة وتنتهي كما هو الحال في مرحلة المراهقة ، اذ انها عملية بطيئة ومتدرجة لا تظهر آثارها فجأة ، فعندما تظهر على الانسان اعراض الشيخوخة ويشكو من آثارها تكون العملية قد بدأت من سنوات دون مؤشرات واضحة حتى تتراكم الآثار بمرور الايام فتظهر واقعيا واكلينيكيا .

ولقد ارتبطت الشيخوخة تراثيا وتاريخيا بسن الاحالة على التقاعد ، فعند سن الستين بحكم نظام المجتمع على الفرد العامل في المؤسسات بالتخلي عن عمله فيها ، وبنقله الى حالة من البطالة الاجبارية ، هذه النقلة الحادة من النشاط الى الجمود ، تحدث صدمة نفسية تهز كيان

←

المتقاعد ، وغالبا ما تكون هي السبب المباشر في تدهوره العام ، ويفضل ان يكون التقاعد بالتدريج لكي يتأقلم عليه المرء ويتقبله ويستطيع التكيف مع البدائل الاخرى المتاحة .

ويصنف المسنون الى فئتين عريضتين : المسنون الشباب وهم ما بين الخامسة والستين والخامسة والسبعين ، والمسنون الشيوخ وهم ما فوق الخامسة والسبعين ، ويعتبر المسنون الشباب قادرين على الحياة المستقلة المثمرة بالقليل من العون والمساندة ، أو حتى بدون ذلك اذا احسن الانتفاع من قدراتهم ورغباتهم في العمل المناسب ، اما من هم فوق الخامسة والسبعين فيصعب عليهم الاعتماد على انفسهم وهم في حاجة الى عون حقيقي ومساندة كافية .

ويهدف المتخصصون في العمل في مجال المسنين الى الانتفاع بجهود المسنين الشباب لخدمة ورعاية المسنين الشيوخ ، فهم يدربونهم ويوظفونهم في هذا المجال من الخدمة الاجتماعية ، وبذلك يتيحون لهم فرصة لحياة نشطة يشعرون فيها بنفعهم ، ويزيدون من دخلهم مما يبطىء فعل الشيخوخة فيهم ، وغالبا ما يساعد على تقدمها الخمول وقلة المنبهات وعدم الاهتمام واللامبالاة .

اعراض نفسية وعقلية

ومن اعراض الشيخوخة الاعراض النفسية والعقلية ، وليس من الضروري ان تظهر كل الاعراض المذكورة في كل حالة ، لكن ظهورها وارد في معظم حالات المسنين الشيوخ ومنها :

ـ اضطراب الذاكرة او فقدانها لاحداث قريبة الوقوع ، كأن ينسى مكان وضعه لنظارته او محفظته او جريدته ، او ماذا تناول في افطاره ، كذلك ينسى اسماء الاقارب والاصدقاء واسماء الاماكن والاشياء وينسى المواعيد ، لكن احداث الماضي تظل حية في ذهنه فهو يستطيع ان يقص قصصا حدثت في الماضي البعيد بتفاصيل دقيقة،وينسى انه رواها منذ وقت قصير ، ويكررها مرات ، وبتقدم الحالة يمتد فقدان

النشاط

الذاكرة لأحداث الماضي البعيد ايضا ، وبتقدم الحالة اكثر يصعب على المسن التعرف على احد ولا حتى على نفسه .

ـ ضعف التركيز والاستيعاب والقدرة على الابتكار .

ـ الاهتمام بالتفاصيل والجزئيات فلا يرى الامور في ترابطها وكلياتها فهو يروي كيف ذهب الى مكان ما ويعنى بتفاصيل مملة لا داعي لها ، لكنه ينسى الهدف الاصلي من الذهاب الى هذا المكان .

ـ سوء التقدير واضطراب الحكم على الامور ، فلا يعرف قيمة المال او الممتلكات ، وهنا يسهل التأثير عليه واستغلاله .

ـ تقلب الانفعالات ، فيبكي بدون سبب واضح ، وكذلك يضحك بسرور ورضا دون مبرر ، فاذا سئل عن حاله انهمرت دموعه بغزارة ويصعب عليه السيطرة على انفعاله نتيجة هذا المنبه البسيط .

ـ فقدان السيطرة على الغرائز والرغبات الجنسية ، فيمكن ان يندفع بلا وعي الى المحارم مما يسبب مشاكل اسرية واجتماعية .

ـ يزاح المسن غالبا من دائرة الاهتمام الى جانب،بعيدا عن الاضواء ، ولكونه يعيش في الماضي ولا تثيره احداث الحاضر فينفض عنه شباب الاسرة ولا يأخذ برأيه في الامور،فيشعر انه زائد عن الحاجة ، وكأنه اصبح عالة على

الجميع، فتتولد عنده المعتقدات الوهمية الباطلة . كالشعور بالاضطهاد والدونية ، او ان نوعا من المؤامرات يدبر ضده للتخلص منه .

ـ اضطراب السلوك وسرعة الاستثارة فيصبح ضيق الصدر قليل الصبر ، ولا يتقبل المعارضة مما يدفعه الى الهياج البدني والعنف احيانا .

ـ المسن لا يحتاج لفترة طويلة من النوم اذا تكفيه اربع ساعات في المتوسط فينام مبكرا ويستيقظ في منتصف الليل ، بينما يكون الآخرون نياما ، ويدور بالمنزل ليلا بلا هدف ويفتح صنابير الماء او الغاز وينسى اغلاقها .

ـ يحدث من تصرفاته خطورة على نفسه او غيره ، فيمكن ان يشعل النيران دون قصد اذا نام وهو مشعل سيجارة ، ويمكن ان يخرج من المنزل والناس نيام ، ويضل طريق العودة وتظهر ايضا اعراض الامراض الجسمية المصاحبة التي تكون غالبا مكتسبة من مرحلة منتصف العمر ، كارتفاع ضغط الدم ومرض السكر ، والتهاب المفاصل ، وامراض الكلية ، والبروستاتا ، والقلب ، وضعف السمع والبصر ، وكذلك بعض الامراض النفسية ، مثل اكتئاب الشيخوخة Involutional depression او الفصام أو التأخر Late Paraphrenia وهذه الامراض يسوء حالها بسبب اهمالها ، ولا تعزى كل شكوى للمسن الى كبر سنه رغم انها قابلة للشفاء اذا شخصت وعولجت .

العزلة والاكتئاب

رعاية المسنين

اصبح علم الشيخوخة ورعاية المسنين Geriatric care من التخصصات الطبية المستقلة ، يتطور باطراد تبعا لحاجات المسنين المتزايدة والرعاية التي تقدم للمسن تتوقف على حالته وظروفه وظروف اسرته .

وتفضل رعاية المسن بالمنزل Home care بقدر المستطاع لكي لا يعزل عن اسرته ، ولا يحرم من شعور الامان الذي يستمده من وجوده بين افرادها ، لكن هذا القول على بساطته ليس بالامر الهين في تطبيقه ، فالمسن ـ وبالأخص من فئة الشيوخ ـ يحتاج لرعاية متخصصة ودراية فنية غالبا ما لا تتوفر لدى الاسرة ، وهناك عدة اماكن ومستشفيات ودور وسيطة يمكنها ان تقدم الخدمات المناسبة للمسنين كل حسب حالته وظروفه .

وغني عن البيان ان الشيخوخة حالة فسيولوجية طبيعية في عمر الانسان لا يمكن تفاديها ، وما نعنيه بالوقاية هنا هو تخفيف اعراضها ، وابطاء وقعها وتأجيلها بقدر المستطاع ، وتفادي العجز والاعتماد الذي يميز هذه المرحلة .

ان الموت هو حتمية كل حي مهما طال به العمر ، لكن ليس من الضروري ان يأتينا ونحن في مرض ومعاناة ، ومعنى الوقاية هنا ان ندخل الشيخوخة ونحن في نشاط ونعيشها في ايجابية مستمتعين بما توفره هذه المرحلة من حياة ذات طابع خاص ، وينبغي للانسان ان يعد نفسه لشيخوخة نشطة وهو ما زال بعد في منتصف العمر ، او حتى في شبابه ويتخذ الاحتياطات المناسبة من لياقة بدنية ، واعتدال غذائي ، وتوازن عاطفي ، وثراء فكري ، كي يصل الى شيخوخة سعيدة ، فتأتي النهاية في راحة ، ولعلنا هنا نتذكر جميعا ، ان رعاية المسنين في بلادنا ما زالت في حاجة الى الكثير لكي تصل الى مستوى قريب من المقبول . □□

من التراث

من أدب الحرب

بقلم : جمال الدين الألوسي

□ اصطلح المؤرخون على تسمية الحروب التي خاضها العرب في الجاهلية بـ « ايام العرب » فما المقصود بهذا المصطلح*. . ؟ وما معناه ؟؟

● تعتبر تلك الأيام مصدرا خصبا من مصادر تاريخنا وينبوعا من ينابيع الأدب ، لما اشتملت عليه من وقائع وحروب وأدب ، وما روي عنها من نثر وشعر ، وما تخللها من مأثور الحكم ومنخول القول ، وروائع النظم ، وانها مصدر لتوضيح الكثير من وشائج القربى بين القحطانيين والعدنانيين ، وتجلي الصلات بين العرب وغيرهم من الأمم المجاورة لهم كالروم والفرس والأحباش ، كما أنها تروي لنا الكثير مما يقع بين القبائل من القحطانيين وغيرهم ، وبين قبائلهم وبين ربيعة ومضر وبين القبيلة من أرومة واحدة ، وتوضح لنا ما وقع بين العرب بعد الاسلام من حروب ، وما شجر بين قبائلهم .
وهذه الأيام لم يصلنا منها الا القليل ، ونقرأ أخبارها متناثرة في كتب الاخبار وأصدقها ما جاء وصفها في شعر الشعراء وما ورد بطريق الشعر ، فهو مرآة صادقة معبرة عن أحوال العرب وعاداتهم واجتماعهم وتفرقهم ، وتظهر في ثنايا رواياتهم فضائلهم وأخلاقهم . . . كالوفاء بالعهد والدفاع عن المحارم ، والانتصار للقبيلة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، والسبة والعار لمن يفر ، ويلحق الذل الفرد والجماعة ، وربما يلحق الابناء الى دهر طويل ، أو مدى الحياة ، ولذلك قالوا « الطعن في النحور والصدور » .
ويقول الحصين بن الحمام المري :

«ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما»

(أي لا نولي الأدبار فرارا من المعركة) .

الشعراء والفرسان

والشعر الحماسي والفخر والرثاء والهجاء للخصوم أكثره مرتبط بهذه الايام . في الوقت

* المقصود بالمصطلح هو حروبهم مع غيرهم ومع بعضهم بعضا .

الذي كان فيه الفرسان فيه يناضلون بسيوفهم ورماحهم ، ويضحون بأرواحهم رخيصة في سبيل الحفاظ على أقوامهم وأوطانهم ، وكان الشعراء خلفهم أو معهم يذودون عن الاحساب بقصائدهم ، ويفاخرون بشجاعة أبطالهم ، والفرسان الشجعان أغلبهم شعراء يدافعون عن أمجادهم بقصائدهم ، ويفاخرون ببطولاتهم ، ويهجون أعداءهم ، أو ينصفونهم ، ويعلنون شجاعتهم ، ولا يبخسونهم حقهم ، كما نراه في القصائد المنصفات ، يرثون قتلاهم « ولا نراهم مع الباكين يبكون » ويصفونهم بكل كريمة .

نقرأ هذا مجسدا في شعر المهلهل والأعشى وعمرو بن كلثوم وعنترة والحارث بن حلزة اليشكري ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وزهير بن أبي سلمى ، والفند الزماني ، ودريد ابن الصمة ، وحسان بن ثابت ،وغيرهم من شعراء الحماسة ، يروى لنا هذا الشعر أخبار الابطال والمغاوير وفرسان الحروب من أمثال بسطام بن قيس ، وربيعة بن مكدم فارس كنانة ، ودريد بن الصمة قائد جشم من هوازن ، وجساس بن مرة ، وهاشم بن حرملة صاحب الشماء ، والحارث بن عباد ، وغيرهم من أبطال الحروب وفرسان الشعر الذين وردت أشعارهم في وقائع عديدة ، مثل يوم « ذي قار »الذي يقول فيه أعشى قيس : -

لو أن كل معد كان شاركنا
في يوم « ذي قار » ما أخطاهم الشرف

ويوم خزازى الذي يقول فيه عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في (خزازَى)
رفدْنا فوق رفد الرافدينا
فآبوا بالنهاب وبالسّبايا
وأبنا بالملوك مصفّدينا
أبا هند ، فلا تعجل علينا
وأنظرنا نخبرْك اليقينا

ومثل يوم « البسوس » وفيه يقول المهلهل :

أهاج قذاة عيني الاذّكار
هدوءا فالدموع لها انحدار
خذ العهد الأكيد علىّ عمرى
بتركي كل ما حوت الديار
ولست بخالع درعي وسيفي
الى أن يخلع الليل النهار

ويقول الفند الزماني :

صفحنا عن بني ذهل
وقلنا : القوم اخوان
عسى الأيام أن يرجعـ
ن قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشرّ
فأمسى وهْو عريان
ولم يبق سوى العدوا
ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث
غدا ، والليث غضبان
بضرب فيه توهين
وتخضيع وأقران

ويقول طرفة بن العبد في بعض هذه الايام :

سائلوا عنا الذي يعرفنا
بقوانا يوم تحلاق اللِّمَمْ
يوم تبدي البيض عن أسوُقها
وتلفّ الخيل أعراج النّعمْ

شِعب جبلة

ومن هذه الأيام يوم « شعب جبلة » :

يقول معمر بن المثنى يوم جبلة أعظم أيام العرب ، لما لقيت فيه قبيلة تميم واحلافها ، يقودها لقيط بن زرارة التميمي طالبا بثأر أخيه الذي أسره بنو عامر ومات في أسره . وذلك لما اتخذه في هذه الحروب من الحنكة والحكمة

والتدبير وسداد الرأي والحيلة ، « والحرب خدعة » كما قالوا ـ ومن قوة التنفيذ مما لا نظير له في حروب الجاهلية ، ذلك أن لقيط بن زرارة لحقه عار وهجاه قومه لأنه ترك أخاه أسيرا في بني عامر ، ولم يفده حتى مات ، فلما مات وسمع بموته نشط لحرب بني عامر ، وانطلق يؤلب القبائل عليهم وعلى أحلافهم من بني عبس ، واجتمع حوله خلق كثير من بني ذبيان وبني أسد وقبائل من هجر و غيرها على رأسهم (وبر الكلبي) ـ أخو النعمان بن المنذر لأمه ـ وحين أعلمت بنو عامر أحلافها فداحة هذا الجيش ، اجتمع رأيهمّ على الرحيل بالعيال والأموال حتى دخلوا « شعب جبلة » ليقاتلوا المهاجمين من وجه واحد ، وكان من تدبيرهم أن أمروا بربط الابل وحبسها عن المرعى والسقيا ، وجعلوا الأهل والذراري وراء ظهورها ، وأمروا الرجال أن تأخذ بأذنابها اذا هاجمهم القوم ، فانها ستنحدر على المهاجمين عند العقبة ، وهي تحن الى مرعاها وورِدها ، فاذا انطلقت فلا يرد وجهها وانحدارها شيء ، ثم تخرج الفرسان في أثر الرجال وتنحط من عل ، وتدمر من يلقاها ، وظل رهط بني عامر وقيس وعبس يتربصون هجوم الأحلاف من تميم وبني أسد وغيرهم ، وعطّش العامريون وأحلافهم الابل ثلاثة أخماس أي ما يبلغ خمسة عشر يوما ولم يطعموها ، فلما أقبلت جيوش تميم وأحلافها ، ودخلوا الشعب ، وتسرعوا في ارتقاء العقبة كما توقع بنو عامر وتركوهم حتى أوغلوا في الصعود ، فلما انتصفوا عقبة الجبل حل العامريون عقل ابلهم ، فأقبلت تهوي منحدرة كصخر حطه السيل من عل ، فدقت كل ما لقيت أمامها من جموع أعدائها ، فانهزم من قدر على الهزيمة ، ومات من مات ، وقد قتل لقيط بن زرارة ، وأسر أخوه صاحب بن زرارة .

قال (المعفر البارقي) وقد شهد الوقيعة هذا اليوم :

أمن آل شعثاء الحمول البواكر
مع الصبح أم زالت ـ قبيل ـ الأباعر
وحلت سليمى في هضاب وأيكة
فليس عليها يوم ذلك قادر
فألقت عصاها واستقرّت بها النوى
كما قرّ عينا بالاياب المسافر
وقد رجعت (دوران) تبغي لثأرها
وجاشت تميم كالفحول تخاطر

هذه الحروب المتلاحقة جعلت للفروسية معنى يربى عليه فتيانهم حتى أصبحوا يفاخرون بقولهم :

وما مات منّا سيد حتف أنفه
ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حدّ السيوف نفوسنا
وليست على غير السّيوف تسيل

وقالوا : « من مات بعيدا عن ساحات الحرب مات ميتة البعير » كما قالوا : « مات حتف أنفه ، ومات موته الجبان » .

هذه الخصال من الشجاعة والتضحية والنجدة والكرم ـ وجهها الاسلام وجهة الخير ، وقادها لاعلاء كلمة الله ، ونشر دعوة الاسلام ، ونزع ما في نفوسهم من عصبية قبلية ، ووجههم الى أخوة اسلامية تشعر بشعور الأمة بعد أن كانت محصورة في شعور القبيلة ، فأثمرت ثمارها اليانعة في اليرموك والقادسية ، يوم انتصر دين الله بقيادة موحد الأمة الرسول العربي محمد ـ صلوات الله عليه ـ فأينعت الدعوة وآتت أكلها ، ودخلت في دين الله أقوام لاعداد لها ، وامتد ظلها شرقا وغربا ،وشع نور تعاليمها في أصقاع الدنيا ، وقامت للعرب حكومات شملت بظلها وحضارتها الانسانية جمعاء . □□

الشاي الأخضر

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

□ « رحم الله عبدا سمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، سمحا اذا اقضى ، سمحا اذا اقتضى »
حديث شريف : رواه البخارى عن جابر بن عبدالله

هذه قصة من ثلاثة مشاهد ، قصة دائرية : نهايتها فى موضع بدايتها كأنها رمز من الفن الصينى .

*** المشهد الأول:**

كنا فى مؤتمر عالمى ، وقاربت جلساته أن تنتهى ، فقال لى صاحبى :

ـ أعرف تاجرا ممتازا عنده كل ما تحتاج اليه من هدايا تذكارية من الصناعات التقليدية . الرجل حسن المعاملة . طيب الحديث ، ولنا عنده إكرام خاص ، وسترى بنفسك انه يرحب بضيوفه كأنهم فى بيته ، ويقدم اليهم الشاى الاخضر الجميل ، عنده رجل طيب اسمه (عم أحمد) دائما يبتسم ، فنان فى صناعة الشاى وتقديمه . .

وذهبنا الى المحل ، غير بعيد من الفندق الذى ينزل فيه صاحبى ، ويطل على الميدان الواسع الذى تصب فيه طرق رئيسية ، وألقى صاحبى السلام على الحاج يعقوب ـ ولنتفق على هذا الاسم ـ رجل فارع الطول ، كأنه مصارع قديم ، جم الأدب ، سريع التحية والانحناء ، لم يفقد جسمه ليونته ، وغير بعيد عنه يقف أحد مساعديه ـ واحد على الأقل ـ تبادلنا التحية ، يكفى أن ينطق الحاج بكلمة (شاى) حتى يصل الخبر الى عم أحمد فى الطابق الأسفل ، وكرجع الصدى يعود بابتسامته الودود ، وانحناء على صينية الشاى كأنها وليد جديد . يحيى هذا ، ويسلم على ذاك .

رؤيتك ابريق الشاى بلمعانه الفضى ، وغطائه المخروطى ، كأنه معبد هندى ، عم أحمد يصب الشاى فى الكئوس الملونة المزخرفة ، التقاليد أن يملأ نصف الكأس ، صوت الشاى عند سقوطه زغاريد فرحة ، ينتشر معها عطر ، كأنه صديق يمسح عنك الحزن والألم . .

وتنظر حولك ، المعرض متحف : أقسام ←

شتى ، هنا المصنوعات الخشبية ، الزخارف العربية ، الصناديق الصغيرة ، الحفر ، هنا مصنوعات النحاس - الطرق ، التكفيت ، هنا الفضية والحلى من صناعات البدو ، تذكر معها الحسن الذى عناه المتنبى :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفى البداوة حسن غير مجلوب

هنا الأوانى ، المزهريات ، الأسلحة القديمة ، السيوف ، الدروع ، الخناجر . وتسمع صوت الحاج يعقوب :

- تفضل ، هذا الكعك ، صناعة محلية ، لذيذ مع الشاى الأخضر ، انظر حولك ليس المهم أن تشترى اليوم ، نحن نحب الأصدقاء ، هناك قسم للسجاد بالدور الأعلى وملابس النساء والاطفال فى الدور الاسفل ، المحل محلكم . .

وكثيرا ما نبدأ بحاجات الأهل ، لتأمين الجبهة الداخلية . . وكل أب يفضل أهله وأولاده على نفسه عندما يبحث عن هدية . .

وتنزل فتلقى عاملات على درجة عالية من الأدب وحسن المعاملة ، وتسأل السؤال فتأتى اليك الاجابة :

- يمكن أن تنظر الى ثوبين فلا تستطيع التمييز الدقيق بينهما ، خصوصا فى الصناعات التقليدية ، صناعة اليد شىء وصناعة الآلات شىء آخر ، والمواد تختلف ، حتى الصناعة اليدوية ، الدقة تختلف ، انظر : هنا النقش متقارب ، وهنا متباعد ، هذا مستوى ، وذاك مستوى ، وهذه الخيوط المذهبة . . أنواع ودرجات يتفاوت بها السعر . .

وتشعر أن البائعة دخلت بك في المياه العميقة ، كيف التمييز ؟ تقول وكأنها تقرأ ماني نفسك : المهم الثقة بين البائع والمشتري ، هذا هو الفرق بين تاجر وتاجر ، وبين محل ومحل .

- وهذا الثوب التقليدي لا تستطيع أن تحكم عليه الا اذا ارتدته سيدة .

وفي سرعة يأمر الحاج يعقوب اثنتين من المعاونات أن يذهبا الى خدر خاص ، وأن ترتدي احداهما الثوب ، وهو ثوب كاسٍ محتشم فيه الزخارف التقليدية .

والى أن تنتهي العارضة من ارتداء الثوب ، يتقدم عم أحمد وعلى وجهه ابتسامة ، وفي يده كأس من الشاي الأخضر ، ومعه أفراحه وتأثيره . . والحاج يعقوب يقول :

- فقط : خذ فكرة ، قد تعود لتشتري مرة أخرى وتحس أن مقاومتك أخذت تضعف . .

- لا يهمك السعر المبين على البضاعة ، أنتم أصدقاء ، ولكم اكرام خاص، اليوم نريد أن نكسب صديقا .

وحددنا بعض ما نريد ، وقال الحاج يعقوب سعرا ، بادره صاحبي بالاحتجاج وأعقبه بالمساومة .

- اخصم ثلث السعر ياحاج .

ودار الحوار بين الثمن والثلث ، وتحرك الى السدس ، ثم الى الخمس واستقر عند الربع . . . والحاج يقول :

- هنا تبدأ الخسارة وأنت لا تريدها لي .

وعلت وجهه سحابة من التأثر ، ما لبث أن تغلب عليها ، وأدار وجهه الى بعيد ، وزفر زفرة عميقة متزنة ، وقال - كأنما يكلمنا عن طريق وسيط :

- المحل محلكم ، وهذه حدودي فلا تضغطوا علي .

ومع هذا أصر صاحبي ، وقبل الحاج قول الصديق بعد ضيق مهذب ، ستره بابتسامة وهو يقول : أمركم !!

وخرجنا ، وصاحبي يقول :

- المهم أن تتعرف على الحاج يعقوب ، وهو ومن معه ليسوا مجرد بائعين أنهم أهل خير وصداقة ، خصوصا الحاج . وأخذت متاعي القليل وخرجت .

* المشهد الثاني :

وفي الغد قال لي أصحاب آخرون :

ـ سنأخذك الى أقدم الاسواق التقليدية في المدينة ، وهو نموذج متكرر من الأسواق القديمة في القاهرة والقدس ـ أعادها الله الينا وأعادنا اليها ـ ودمشق وحلب واستامبول ، لا تخلو منه عاصمة من عواصم العالم العربي من المحيط الى الخليج .

هنا رائحة التاريخ ، الشوارع الضيقة المتعرجة ، الارض الحجرية ، الطرقات المسقوفة ، الحوائط الغليظة ، الحديث والقديم . البضائع المدلاة والمحدودة ، كأنها الأيدي والأكف في تظاهرة تجارية ، الملابس المعلقة كأنها شهود صامتون ، مهرجان من الصوت والحركة ، والعطر والدخان ، الصانع المنصرف الى الانتاج كأنه لا يسمع ولا يرى ، البائع الواقف أمام محله بعيون سريعة الحركة ، ولسان سريع القول ، ويد مرفوعة بالتحفة ، مشيرة الى السلعة تارة واليك تارة ، آخرون تقدمت بهم السن يجلسون في وقار ينتظرون الرزق يأتيهم . . بعد أن وقفوا له أمام المحل سنين . . بائعون جائلون بكل ما يخطر على البال من انتاج محلي أو مستورد ، نساء يعرضن انتاج المنازل كسبا لرزق حلال في أدب ووقار ، زائرون من أقطار شتى . . هذا الأجنبي بآلة تصوير معلقة في رقبته ، زائغ العين كأنه (أليس) في بلاد العجائب ، وهذه الأم ومن ورائها الأبناء والحفدة . . . أصوات مختلطة ، أعمار شتى ، الدنيا تجمعت في مكان . .

وجدت محلا صغيرا ، كان الأول على يمين الطريق بعد ساحة فيها مسجد ، تواعدنا أن نلتقي عنده بعد وقت حددناه .

كان في وجه الرجل سماحة لا تخطئها عين ، والى جواره طفلة صغيرة تأكل الحلوى ، واضح أنها ابنته ، وغلام فيه هدوء الى النوم أقرب ، بعيد الشبه عنه ، علمت منه بعد الحديث أنه قريب مات أبوه ، والرجل الصالح برعاه ، ويدربه على التجارة .

وجدت نفس الأحزمة المزخرفة التي اشتريناها من الحاج يعقوب ، وعلى ظهرها نفس الختم ، وسألته عن السعر ، فكان قريبا من ثلث ما انتهينا اليه بعد الحوار الطويل ، وكل المؤثرات : التحية ، الشاي الأخضر ، عرض الأزياء ، العاملات المهذبات ، المعلومات الوافرة ، الثقة ، الأمانة . . وابتسامة عم أحمد ، كل هذا كان مضافا الى السعر ياحاج يعقوب ؟! . . .

حاولت مع الحاج حسين أن أخفض السعر ، فابتسم وهو يقول :

ـ يبدو أنك لست ممن يحسنون المساومة ، وقد اختصرت لك الطريق ، وآخر قولي كذا ، وأمامك السوق ، ولك بعد هذا الخيار الأخير ، وانصرف عني الى آخرين ، وتركني ومابين يدي من هدايا أردت مشاهدتها .

وسألته عن أنواع القصب والسلوك المستخدمة ، فقال :

ـ موجودة ، ولكن هذه الأنواع التي تتحدث عنها لا تعرض في السوق هكذا . انها باتفاق مباشر بين الصانع والمشترى ، والاثنان على خبرة بما يتبايعانه .

جلست على ركن (البنك) الذي يفصل بين الطريق والمحل ، والذي يعرض عليه الحاج حسن بضاعته .

لم تفارق الابتسامة شفتيه ، باع أمامي لأكثر من زبون ، الفرق بين القول الأول والأخير محدود جدا ، يكاد يكون ارضاء لشهوة الزبون في المساومة . . لا أكثر .

طلبت هدايا أخرى ، فوضعها أمامي ، ثم انصرف عني ، ولما حاولت تجربة المساومة : قال :

ـ قد رأيت أمامك أهل بلدي وبأي سعر أخذوا . . وابتسم قائلا :

ـ خذ ما تريد وتوكل على الله . .

وجمع ما أخذت ، ووضعه في لفافة ، وربطه بربـاط ،وكانت أشياء محدودة . . وتراضينا

على ثمن قريب مما قال . . . وانصرفت مع صاحبي .

* المشهد الثالث :

غلب الضحك علي وعلى صاحبي ثم قال :
ـ أما بعد . . فحمدا له أننا أخذنا من الحاج يعقوب أشياء قليلة . . المهم التجربة .

ومر اليوم ، ولقيني صاحبي الأول ، وقصصت عليه الأمر .

فأسرع الى الحاج يعقوب ينقل اليه ما حدث ، وعاد الي وهو يقول :
ـ أخبرت الحاج يعقوب أنكم ذهبتم الى السوق القديم ، فظهر عليه قلق مفاجيء وهو يقول : من الذي أخذهم الى هناك ؟ لماذا ذهبوا ؟

وفي ليلة السفر كنت أتربض قليلا فقادتني أقدامي الى محل الحاج يعقوب وحدثتني نفسي أن أزوره . لماذا ؟ لأكتب نهاية هذا المشهد ، أما البيع والشراء فانتهى أمره . .

وفي هدوء تبادلنا السلام (كأن شيئا لم يكن ، وبراءة الأطفال في عينيه) كما يقول المرحوم كامل الشناوي في قصيدته المعروفة (لا تكذبي) . .

قلت : أريد فقط أن أفهم ياحاج يعقوب ، الحديث الشريف الصحيح (المتبايعان كل واحد منهم بالخيار على صاحبه مالم يتفرقا) . (رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر)

وقد أكرمتنا . . وأنا أعلم أن ايجار المحل مرتفع ، وأجور العمال والضرائب ، ولكن ألا ترى أن ثلاثة أمثال السعر كثير ، بين الشارع الرئيسي والسوق القديم . . . ألا يكفي الضعف ؟

قال : الذي قلته نصف [illegible] أنت لم تذكر الجهد الذي بذلته أنت في الذهاب الى هناك : السيارة ، الانتقال ، والوقت ، ثم سهولة اتصالك بنا ، وعلى العموم المحل محلك والأمر أمرك . .

ثم نظر الى بعيد . . الى ركن الحقائب وقال :
ـ أستأذن ، عندي عمل في الداخل ، والعاملات معك لمزيد من الشرح ، وأي شيء تريده تجدنا جاهزين .

واختفى الحاج يعقوب . .

وبرزت العاملة ـ عارضة الأزياء بالأمس ـ ومعها زميلة :
ـ الموضوع كله ثقة في ثقة ، من الصعب التفرقة بين أنواع الزخارف والمواد المستخدمة فيها ، هنالك أنواع ممتازة ، وأنواع جيدة ، وأنواع عادية ، في أول الأمر تبدو الخيوط المذهبة كلها واحدة ، ولكن هناك فرق أساسي، ضع الخيط على وجهك : اذا أحسست ببرودته فهو جيد ، والا كان رديئا ، جرب هذا ، الخيوط الرديئة بعد قليل يتغير لونها ، وتصبح غبراء ، وتضيع قيمة الهدية ، من الأفضل أن تثق في البائع ، وأنه يعطيك ما يطمئن اليه هو . . ولكن عليك أولا أن تختار البائع الذي يستحق الثقة .

ودخلنا مرة أخرى في أسرار الصناعة والنماذج وأشهد أنني أخذت أراجع نفسي . .

لا عضلة في وجهها تشي بشيء من الخداع ، الصوت في هدوئه وثقته ، كأنها تتحدث الى قريب أو صديق .

ولم يكن أمامي الا أن أقتنع ، أو أظهر الاقتناع ، وجاء عم أحمد بالشاي الأخضر ، هل كانت زغاريده هذه المرة ترحيبا أم وداعا ؟ هل كانت انتصارا أم اقناعا أم تظاهرا بالاقتناع ؟

وعم أحمد يدعو الى كأس الشاي ، والبائعة تقدمها وهي تقول :
ـ تفضل الشاي ، واحرص على ألا يختلط ما اشتريته من عندنا ، بما اشتريته من السوق القديم ، وسترى الفرق بعد شهور ، وعندئذ تذكرنا بالخير .

وعدت . .

ومازلت أنتظر الفرق ، ولكن كيف أعرفه ، وقد ذهب كل حزام الى صديق ؟! □□

وجبة علمية خفيفة

بقلم : فوزي عبد القادر الفيشاوي

□ في ذلك اليوم البعيد . . . منذ حوالي عشرين عاما أو يزيد . . . كان الأمل رائدهم . . وكانت الحاجة باعثهم الأول ليقتحموا بالعلم مجاهل القارة السوداء (افريقيا) . . .

هم جماعة من العلماء الفرنسيين يتجهون الى جمهورية تشاد . . الى تلك الارض البكر . . . علهم يظفرون بهبة من هبات الطبيعة التي تجود بها لأهل هذه الأرض البسطاء . . . يقتربون أكثر وأكثر من أصحاب الوجوه السمراء الباسمة ، والقلوب البيضاء الناصعة . . ويلبون دعوتهم لتناول تلك الاطباق الشهية التي تشبه اللحوم . . ولكنها ليست لحما . . . . وفجأة يجد العلماء بغيتهم . . . انه بحق اكتشاف مثير يبعث على الأمل في غد أفضل لكل الجائعين والمحرومين في العالم . . . انه بحق عالم الطحالب المثير . . أحد أقطاب البروتينات غير التقليدية . . والتي يعول عليها كثيرا لمجابهة شبح الجوع الكئيب . . . !! . .

هل تذكر ذلك النمو الأخضر . . الذي تراه طافيا فوق سطح بحيرة أو مستنقع . . ؟ قد لا يلتفت نظرك كثيرا اليه . . غير أن العلماء يعرفونه جيدا . . . انه نوع من الطحالب . . . !

. . والطحالب في لغة العلم نباتات ثلاثية أي أنها نباتات خضراء بلا ساق أو جذر أو أوراق . . وقد تكون وحيدة الخلية أو عديدتها ومن الطحالب ما يستعصي على العين رؤيته فلا تراه الا بالمجهر ، ومنها أنواع بحرية يصل طولها

ونحن إذ نعرض لأهم المشاكل التي تواجه انتاج البروتينات غير التقليدية من الطحالب نهدف من هذا إلى انارة الطريق على أساس من الحقيقة المجردة ... فالواقع أن انتاج البروتين الجديد ما زال محفوفا ببعض المصاعب والتي يتعين على المشتغلين بأمور تكنولوجيا الأغذية ، ايجاد حلول سريعة لها ، ومن بين هذه المصاعب :

ـ دراسة العلاقة بين أنواع الطحالب المختلفة والخواص الغذائية للطحالب .

ـ جمع معلومات شاملة عن السمية ، وسلامة الغذاء من الناحية الصحية والقيمة الغذائية ، ومدى تقبل الانسان للطحالب كغذاء بروتيني .

ـ العمل على تطوير الاساليب الاقتصادية المتبعة لانتاج بروتينات الطحالب كغذاء للانسان مثل عمليات ازالة الصبغات وتطوير التطبيقات الخاصة باستخدام الطحالب في التغذية . ومدى استجابتها لعمليات الحفظ المعروفة مثل التعليب والتجفيف والتجميد.

ثروة بين أيدينا

اذا كانت الدراسات والتجارب التي أجريت لتقدير القيمة الغذائية لبروتين الطحالب قليلة الى حد ما اذا قورنت بتلك التجارب التي أجريت على بروتين الخميرة .. الا أن الخبرة الطويلة التي اكتسبت في استعمال الطحالب كغذاء في بعض بلدان أفريقيا عبر السنوات الطويلة يمكن أن يعوض النقص في هذه التجارب ... وتصبح لدينا في النهاية قناعة بمدى الامكانات الهائلة الكامنة في بروتينات الطحالب لسد جزء من احتياجات أمتنا العربية من البروتين .. ولعلنا نتساءل .. أين هي الطحالب على موائدنا ... ؟

وأين نحن من هذا المصدر الجديد للبروتين ؟ والمدهش حقا في عالمنا العربي ... أن جميع عناصر تربية واستزراع الطحالب لانتاج البروتين متوافرة بصورة ليس لها نظير في معظم دول العالم ...

فعالمنا العربي يزخر بمساحات واسعة من الأراضي الرخيصة الثمن التي يسهل اقامة أحواض التربية فوقها ..

كما أن طاقة الشمس التي تتراوح درجة حرارتها بين (٢٧ ـ ٣٥م) وهي الدرجة المثلى لنشاط هذه الكائنات ، ! متوافرة في كثير من دول أمتنا ، وبصورة نحسد عليها ...

ويكفي لاظهار أهمية هذا العامل أن نذكر أن علماء معهد البترول الفرنسي قد فشلوا في تنمية الطحالب بجنوب فرنسا بسبب برودة الجو هناك ، وقلة ضوء الشمس ، واضطروا لنقل جهودهم ومعداتهم الى المكسيك حيث درجة الحرارة أكثر ملاءمة ، وضوء الشمس أشد تركيزا .. وهناك نجحت تنمية الطحالب .. ! ! .

نقول .. اننا بالرغم من كل هذه الامكانات الهائلة التي تؤهلنا للدخول بقوة في عالم انتاج البروتينات غير التقليدية من الطحالب ، الا أننا لم نفعل أكثر من القيام ببعض البحوث المعملية أو النصف صناعية في قليل من جامعاتنا ومراكز الابحاث العربية !!

ولعلنا في ختام هذا العرض السريع لواحد من أهم مصادر البروتينات غير التقليدية ، ننبه لهذه الثروات التي نرفل فيها ، دون أن ندري ... وأخشى أن نكون ندري ... عندئذ لا يسعنا الآن نأمل في صانعي القرار العربي لوضع هذا الأمر كضرورة من ضرورات التنمية لسد حاجات الملايين المتزايدة من الغذاء . وأن نولي عنايتنا ورعايتنا بحوث علمائنا الصامتين الصابرين ، لنقل هذه التجارب الى مرحلة الانتاج الصناعي الواسع من أجل أمن وسلامة أمتنا العربية في يومها وغدها .. !! .. □□

العربي الصغير - العدد ٣٠٥ - أبريل ١٩٨٤

العربي الصغير
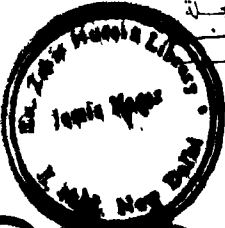
نادي « العربي الصغير » يفتح أبوابه لكل أصدقـائه ، ويعتبـر كل صديق في أي جزء من أجزاء الوطن العربي عضوا مؤسسا فيه . لا تحتاج العضوية لأي شروط . فقط ارسل اسمك وعنوانك وبعض المعلومات عن المكان الذي تعيش فيه .

نادي العـــربي الصغير

الاسم : أسامة عمر أبو عبده
العنوان : اربد . صندوق بريد رقم ٢٣ . الاردن

والأردن بـلد زراعي وصناعي وتجاري ، كما أن به الكثير من الأماكن السياحية والتاريخية مثل « البتراء » وآثار جرش والمدرج الروماني . أما من حيث المناخ فهو بارد شتاء ، دافىء صيفا .

=======

الاسم : محمد طه أبو النور
السن : ١٧ عاما
الهواية : القراءة والمراسلة وجمع طوابع البريد .
العنوان : مصر . الفيـوم ـ سنهـور القبلية بجوار مكتب البريد .

محافظة الفيوم من أجمل مناطق مصر ، حيث يوجد بها بحيرة قارون الشهيرة ، وبها مناطق كثيرة لزراعة الفواكه . وفيها عيـون ميـاه معـدنيـة تشفي الكثـير من الأمراض . وهذه المياه باردة نوعا ما في الصيف . . دافئة في الشتاء ، وتشتهـر الفيوم بسواقي الهواء والطواحين التي تدار بالمياه ، وقد عثر في منطقة الفيوم على أقدم حفرية لفيل .

========

الأسم : أحمد محمد يوسف سالم
الهواية : قراءة المجلات العربية وخاصة العربي .
العنوان : السماعنة ـ فاقوس ـ الشرقية . جمهورية مصر العربية .

والسماعنة هي اسم البلدة وهي قرية صغيرة يسكنها ٦٠ ألف مواطن أصولهم قبائل عربية أشهرها قبائل « سعيد والجرايمة » و « الفعايلة » وراشد . وتشتهر بزراعة الأرز والفواكه بأنواعها . . كذلك تشتهر بالنخيل . التي يبلغ عددها ٤٠ ألف نخلة ، ويصنع أهلها العسل من هذا النخل ـ عسل النخل ـ والعجوة ، ويمارس أهلها العادات العربية مثل « القهوة العربية » وارتداء العباءة .

لوحظ أن بعض الأصدقاء يرسلون أسماءهم للتعارف دون أي معلومات عن المكان الذي يعيشون فيه . ولما كانت أهداف النادي هي التعارف من خلال الوطن لذلك نؤكد اهمية هذه المعلومات .

ماهذا

هذه الصورة ليست لمكان ما في الصحراء .

لكنها صورة لفوهة بركان ريشا في موريتانيا احدى البلاد العربية في غرب أفريقية .

وقد أخذت هذه الصورة من سفينة الفضاء « أبوللو ٩ » الفضائية .

وقد أصبحت السفن الفضائية الآن أفضل وأدق وسيلة لجمع المعلومات ووضع الخرائط التي تساعد البحث العلمي في تحليل الظواهر التي يصعب دراستها ، بسبب نقص المعلومات ، أو عدم القدرة على الحصول عليها من الأرض .

ذلك أن الصورة المأخوذة من الفضاء لا تتعرض للتشويه كما يحدث للصور التي تصور من الطائرة مثلا . وقد ثبت علميا أن الكوكب الصناعي أفضل كثيرا من تصوير الأرض ، اذ أن صورة واحدة منه تغطي مساحة تبلغ مئات الأضعاف مما تغطيه صورة من طائرة ، هذا بالاضافة الى أنها تمكن من رؤية المنطقة كلها بدقة .

رجل من أهل الجنة

بقلم : درويش الزفتاوي

أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المصلين معه بأنه سوف يدخل عليهم المسجد الآن رجل من أهل الجنة . . فترقب المسلمون هذا الرجل . . فـاذا رجل من عـامة المسلمـين . دخل المسجـد وصلى ثم خرج .

فقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما « والله لأتبعن هذا الرجل في سيره في الطرقات وفي ذهابه . . ومجيئه . . وأرى ماذا يفعل حتى صار من أهل الجنة » . فلما اتبعه وجده رجلا عاديا . لا يفعل سوى ما يفعله الناس . . يعمل ويأخذ أجر عمله . . ثم يذهب الى السوق ويشتري طعامه . . ثم يذهب الى بيته . فقال عبدالله :

« والله لأنزلنّ عليه في بيته ضيفا ، وأرى ما يفعله في بيته ، حتى صار من أهل الجنة » . فلما نزل عليه ضيفا في بيته وبات عنده ثلاث ليال . . لم ير عبدالله هذا الرجل يفعل شيئا زائدا على ما يفعله المسلمون ، فهو لم يزد على أن يؤدي فرائض الصلاة في أوقاتها . . ويفعل كما يفعل غيره من الناس . ينام ويستيقظ ثم يتناول طعامه ثم يذهب الى عمله . . ثم يأخذ أجره ، ثم يذهب الى السوق ويشتري طعامه ثم يعود الى بيته ، فقال عبدالله بعد أن حار في أمره : « لابد أن اسأله عن السر الذي جعله رجلا من أهل الجنة » . . .

فلما سأله قال « نعم لا أفعل شيئا في حياتي أكثر مما يفعله الآخرون في حياتهم » .

فلما أراد عبدالله أن يتركه ويرحل استوقفه وقال :
« انتظر . . هناك شيء آخر لم تعرفه . . ولم أخبرك به وهو أنني عندما آوى الى فراشي لأنام لا أحمل حقدا للناس أو حسدا . . أو كراهية . بل أنام وأنا قد خلصت قلبي من كل ما بيني وبين الناس من خصومات وأملؤه بالمحبة لكل الناس » . . .

الحكاية
أصل
ساعة تتحرك
مع الظل ..
وأخرى ذرية
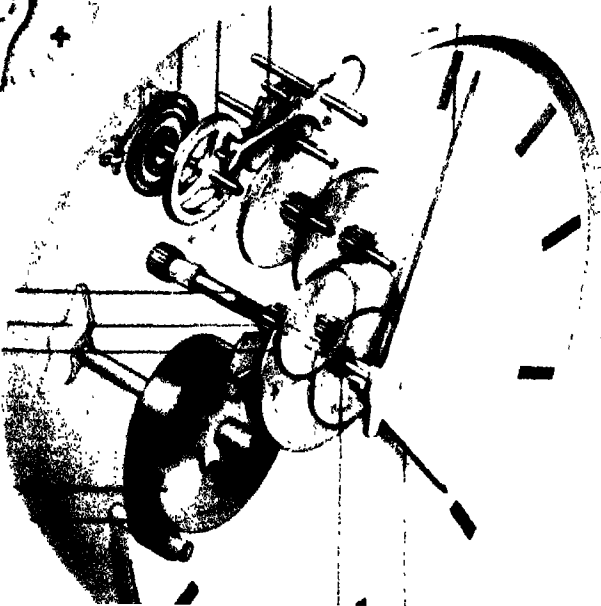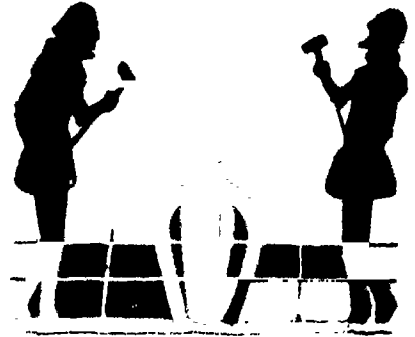
مع حركة الظل كانت تتحرك أول ساعة عرفها التاريخ ، كان ذلك منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة عندما صنع قدماء المصريين (ساعة الظل) ، وبعدها توالت أنواع الساعات .

الساعة المائية وتعمل بالماء بواسطة قمع ينقل الماء الى اسطوانة ترتفع فيها عوامة ، هذه العوامة مرتبطة بقضيب مسنن وترس يحرك عقرب الساعات .

صنع الانسان نوعا آخر من الساعات هو الساعة الرملية ، وظل الناس يقيسون الوقت بهذه الساعات حتى اخترعوا الساعة الشمعية وذلك باستخدام شموع مدرجة ، وفي القرون الوسطى صنعت أدوات لها أقراص مدرجة داخل الساعات .

ولتسجيل الوقت ليلا كانوا يستعملون (المزولة) النجمية وهي كالمزولة الشمسية ، وكان عملها بسيطا اذ تصوب الى النجم القطبي من خلال ثقب مركزي وكان المؤشر يدار باتجاه النجمين الدليلين .

وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر خرجت الى الوجود الساعة الآلية التي تعمل بواسطة أثقال تتحرك الى أسفل فتتحرك دواليب مسننة كي تدور الساعة أكثر من بضع ثوان ، وقد صنعت هذه الساعة أول ما صنعت لقصر شارل الخامس في باريس .

وفي القرن الخامس عشر صنعت الساعات الصغيرة التي يمكن نقلها . الا أن هذه الأنواع من الساعات لم تكن دقيقة بالدرجة الكافية . فقد كان لبعضها عقارب للدقائق ، لكن عقارب الثواني ظلت مجهولة حتى ظهور (الرقاص) وكان ذلك في عام ١٦٥٧ على يد عالم هولندي ، بتأثير من العالم الايطالي (جاليليو) الذي قام بتجديد معالم الرقاص الهزاز الدقيق وطبقها على الساعة . ومنذ ذلك الوقت ، ونحن نعرف الساعة ذات الرقاص .

والآن تعددت أنواع الساعات وتطورت تطورا كبيرا فبالاضافة الى ما نعرفه من ساعات صغيرة بعضها (تلفزيوني) وفي البعض الآخر جهاز (راديو) كامل توجد الآن الساعة الذرية وتستعمل الآن كمقياس للوقت الدولي وتستعمل هذه الساعات تردد ذبذبات الذرات التي تصل الى عشرة آلاف مليون ذبذبة في الثانية الواحدة .

كما توجد الآن الساعة (الكهراطيسية) وهي ساعة ذات رقاص كهربائي وتشتمل على بلورات كهربائية ـ وهي التي نعرفها نحن باسم الساعة (كوارتز) .

وبرغم التقدم الهائل في صناعة الساعات وتنوعها ستظل الساعات البرجية في مدينة (استراسبورج) ذات التماثيل الساكنة أحيانا . . والمتحركة أحيانا أخرى بما تحمله من مطرقة توقع بها على الجرس بطريقة منتظمة ـ ستظل هذه الساعة المذهلة تجذب الزوار والمشاهدين الذين يقطعون آلاف الكيلومترات حتى يقفوا أمامها دقائق أو حتى ساعات قليلة ينصرفون بعدها بمجرد أن تعلن هذه الساعة (انتهاء الوقت) .

عندما يتحدث المكان

المدينة المنورة

عندما يتحدث المكان . . ويتحرك التاريخ عبر الزمان ليحكي لأجيال جديدة حكايات قديمة عن الوطن العربي فماذا يقول ؟

*** أنا . . المدينة المنورة**
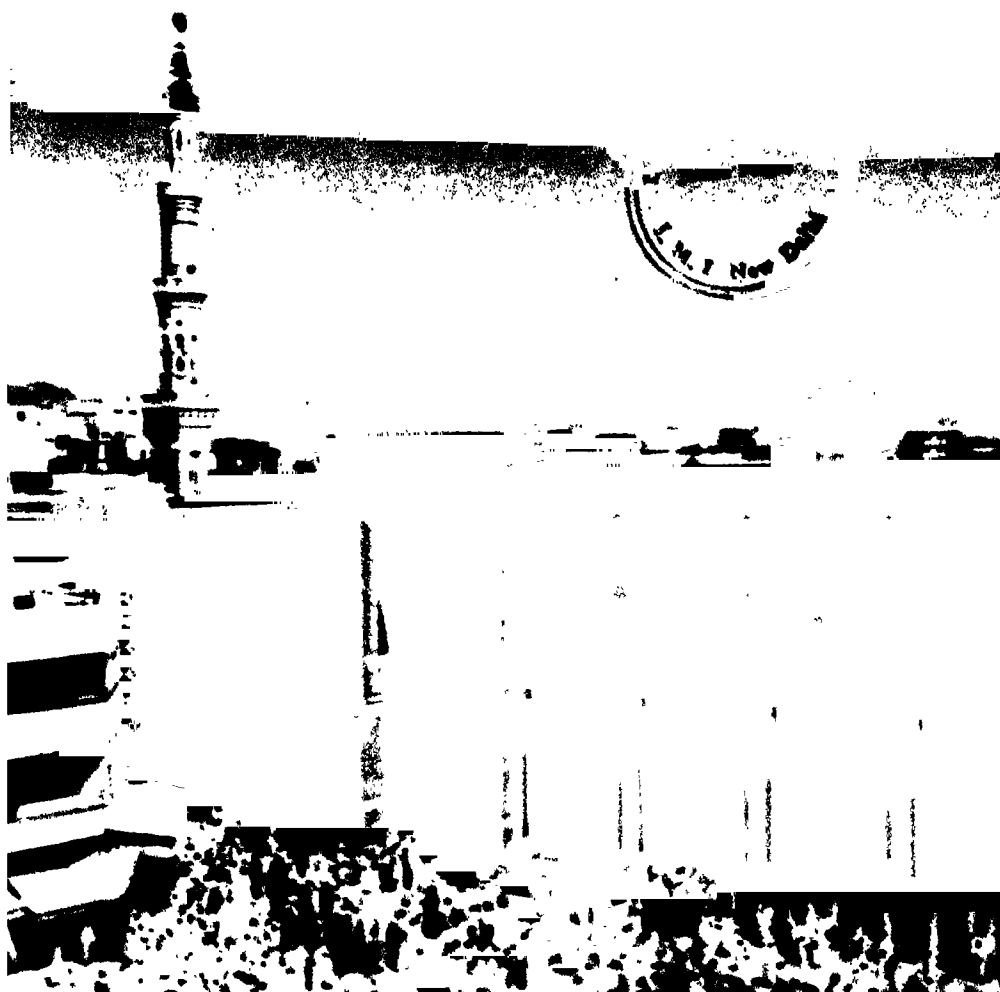
لست ككل مدينة .

فأنا لي نور خاص أستمده من جلال المصدر الذي يشع نورا روحانيا ينير للدنيا طريقها .

أنا المدينة المنورة .

في الأصل كنت تلك الحركة التي تتركز حول الحرم الشريف الذي يعتبر المولد الأول للنشاط ـ والمؤثر الرئيسي على حياة كل مدينة منذ عهود بعيدة .

فمنذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان الحرم هو المركز الذي تركزت حوله كل الأنشطة التجارية والمهنية ، والتي ازدهرت بعد ذلك بخاصة في مواسم الحج .

حتى الأربعينات من هذا القرن ومساحته هي ١,٤ كيلو متر مربعا وفي جزئي القديم وزع السكان بطريقة معقولة بما يحقق سهولة الاتصال بالحرم الشريف .

معظم الطرق بداخلي متشعبة ، تقود الى الأحياء السكنية المختلفة من منطقة الحرم ، وكثيرا ما واجهت هذه الطرق أحد أبواب الحرم . .

فشارع « باب المجيد » يواجه البوابة الشمالية للحرم .

وشارع العينية يواجه باب السلام في الغرب .

وربما كنت المدينة الوحيدة في العالم العربي التي لها وظيفة وهيئة تخضع لها كل حركة داخلية . .

حتى تطوير المدينة ذاتها خضع أولا لما حدث للحرم النبوي من تجديد وتوسيع ، فمن يأتي لزيارتي سوف يلاحظ ببساطة ذلك الاندماج الكبير بين المناطق الدينية والتجارية .

لا عجب أن أكون مدينة ذات طابع فريد . . فقد شهدت بزوغ فجر أول دولة اسلامية . لهذا كان من أهم معالمي التاريخية المساجد . . وقبور الشهداء . وقبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، أيضا ، عندي العديد من المكتبات الخاصة التي تمتلىء بالكتب النادرة .

وأخيرا يمكن أن أقول . . اني أنا المدينة المنورة . . مدينة العقيدة والتاريخ وذكريات

بحر المعرفة

أسنان

الاسنان قطعة من العاج ، مغطاة بطبقة واقية من المينا .

ولكن حموضة السكر والصدمات . . واستعمال الاسنان في كسر الاشياء الصعبة تتلف المينا ، وتجرد العاج من كل حماية ، لتهاجمها الجراثيم ، وهنا يتدخل طبيب الاسنان فيصنع قميصا معدنيا يسمى التاج .

وتاج السن يصنع عادة من الذهب أو الفولاذ المطروق ، وحتى يتم ذلك بصورة جيدة لابد من قالب من الشمع يمثل شكل السن كما يمثل الشكل المقابل من الفم ، وبعد اجراء التجارب اللازمة يثبت التاج بواسطة اسمنت خاص صلب يغطي التاج ويخفيه بسترة مصنوعة من الخزف الصيني .

نبات

شجرة (الكينا) من الأشجار الكبيرة التي تنمو في غابات أمريكا . . . وافريقيا واندونيسيا ، ويبلغ ارتفاعها عشرين أو ثلاثين مترا ، وعندما يبلغ عمرها عشرة أعوام ويكتمل نمو جذعها يقشر لحاؤها ويجفف ليستخرج منه مستحضر (الكينا) الذي يستعمل في علاج الحميات والأدوية (فاتحة الشهية) ، اذ مازالت الاعشاب والنباتات حتى الآن الاساس في صناعة الدواء ، برغم كل ما أحرزه العلم من تقدم في هذه الصناعة .

البيئة

التلوث مشكلة عالمية لها تأثيرها في الأرض والجو . . والبحر والنهر . والسبب الرئيسي لتلوث الهواء هو الافراط في احراق الوقود . وقديما كان الفحم المحروق يصبغ جدران المدن أما الآن فينبعث من المنتجات النفطية .

وتنتقل سموم التلوث في الجو من بلد لآخر بواسطة المطر الحامض الذي ينشأ من التلوث الصناعي . . فثاني أكسيد الكبريت المتكون من احتراق الفحم والزيوت يتأكسد في الجو مولدا ثالث أكسيد الكبريت ، وتنحل هذه الغازات الى ماء فتكون غيوما حامضة تتطاير مع الريح على مئات الكيلومترات ، حتى يهطل منها المطر الحامض في أماكن بعيدة عن المناطق الصناعية التي انطلقت منها الغازات .
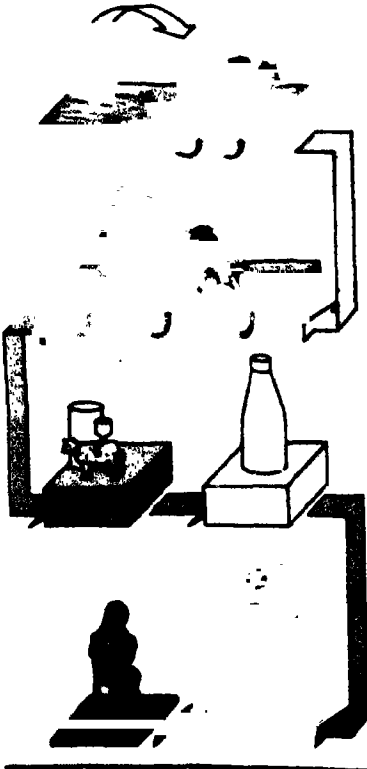
حيوان

في البحر توجد أنواع من الحيوانات تجمع بين صفات الحيوان وبعض صفات الاسماك . أحد هذه الحيوانات أسمه (الفقمة) . . أو (فقمة غرينلانو) وهو يشبه الكلب أو الدب في رأسه وأسنانه . ويملك جسدا مسحوبا وأقداما زعنفية كالزعانف التي تملكها الاسماك .

في نفس الوقت فان إناث هذا الحيوان (الذي يطلقون عليه اسم زعنفيات الاقدام) . أصغر من الذكور ، وتملك في بطنها غدتين أو أربعا كل منها على شكل ثدي صغير . وتعيش هذه الحيوانات في قطعان على الشواطىء وتتغذى بالاسماك والمحارات وتتسم بالوداعة .

هو . . حبيب بن أوس .
ولد بدمشق . . ومات بالموصل .
قدم من الشام الى الفسطاط بمصر
وعمل ساقيا بجامعها ، وحصل من
علمائها على حظ وافر من الأدب
والثقافة ، ولكنه فشل في تحقيق أحلامه
من الجاه والثراء فعاد الى الشام . وقد أثار
مذهبه خصومة نقدية ، واتهم بالخروج
على عمود الشعر العربي وقورن بينه وبين
البحتري .
صنف عدة مختارات شعرية أهمها
كتاب (الحماسة) الذي حقق له شهرة
واسعة ، وهو مجموعة أشعار اختارها من
دواوين الشعراء على أساس الجودة ورتبها
على عشرة أبواب . وقد عثر له على كتاب
يضم مختارات شعرية أيضا ، يسمى
« الوحشيات » أو « الحماسة الصغرى »
مقارنا بكتابه الأول الذي هو أكبر .
أعجب به الأدباء والعلماء فاختاروا
أمثالها وأشهرها حماسة البحتري
والخالديين وقامت عليها شروح كثيرة .

إن كنتم أذكياء

■ اعداد : ايمان عبدالمنعم حـ

هذه مجموعة من الاسئلة تنتظر منكم الاجابة عليها ، قد يكون بعضها صعبا لكن لا بأس من الرجوع الى من هم أكبر منكم لمساعدتكم ، وسننشر اسم الفائزين الاول والثاني ، مع جائزة مجلد لاعداد العربي الصغير لمدة عام للفائز الاول ، واشتراك مجاني لمدة ستة شهور للفائز الثاني .
يكتب على الظرف ، مسابقة إن كنتم اذكياء .

كم ؟

* كم عدد دول الهند الصينية ؟
وفي أي منطقة من العالم توجد ؟

لماذا ؟

* لماذا نطلق اسْم الكاريكاتير على الرسوم الساخرة ؟

شعوب غريبة .

* سمعنا عن أقوام يأكلون لحوم البشر ، فهل هذا صحيح ؟
وهل يصلح لحم الانسان كطعام للانسان ؟
* هل توجد بلاد اسمها الوقواق ، وما هي حقيقة هذه البلاد ؟

ما هي ؟

* أعلى ناطحة سحاب في العالم - حتى الآن ؟

انسان :

* أيهما يفرزه الانسان أكثر : اللعاب أم العرق ؟

ديانات .

* ما هي الديانة الثانية في الهند ؟
* وكم تصل نسبة المسلمين بالنسبة لعدد السكان ؟

نعم

هذا ثمن الظل

النكاف والعقم
Mumps and Sterility

أصبت منذ مدة بمرض النكاف وهو تورم الغدة النكفية والتهابها ، ثم شفيت بعد العلاج والراحة ، ولكني فوجئت بانتقال المرض الى الخصية مرة أخرى بعد عشرة أيام تقريبا من مرضي السابق وقد علمت أن هذا دليل الاصابة بالعقم .

ولما كنت على وشك الزواج فان القلق الشديد ينتابني مما أفكر معه بالعدول عن فكرة زواجي حتى لا أظلم شريكة حياتي .

أفيدوني وأريحوني من شكوكي لثقتي بكم .

أ . ر . س
حلب ـ سوريا

النكاف **Mumps** مرض شائع يعرف بين العامة باسم « أبو كعب » وربما سمته بعض البلدان العربية باسم « أبو داج » وهو أحد الأمراض الفيروسية شديدة العدوى التي تصيب الغدد اللعابية وخاصة أكبرها ، وهي الغدة النكفية التي تقع قبالة الأذن على زاوية الفك .

ان السبب هو فيروس خاص يسبب تورما في الغدد اللعابية وارتفاعا في درجة الحرارة وتوعكا عاما وربما انتقل مع المضاعفات الى مواقع أخرى أهمها الخصية أو البنكرياس وربما المبيض أو الثدي ، وهو بوجه عام يعتبر من أمراض الأطفال ولكنه قد يصيب الكبار ، وهو في الأطفال أقل وطأة في مضاعفاته مما هو عن الكبار ، اذ لم يعهد انتقاله عندهم الى الخصية واحتمال حدوث العقم ، بينما يصل احتمال التهاب الخصية عند الكبار الى نسبة تتراوح ما بين ١٠ ـ ٣٠ ٪ ومن المؤكد أنه يخلف عند نسبة كبيرة منهم شيئا من الضمور في أنسجة الخصية مما يحتمل معه أن تنتهي الى تلفها تماما ، وبالتالي الى حدوث العقم ، وان كان هذا الاحتمال قليلا جدا .

ان فيروس المرض شديد العدوى ، سريع الانتشار ، اذ رصدت عدواه قبل ستة أيام من ظهور الأعراض على المريض وهو في دور الحضانة التي قد تطول الى اسبوعين أو ثلاثة ، ويبقى المريض معديا بعدها أياما طويلة قد تصل الى اسبوع .

ولما كان هذا المرض من أمراض الفيروسات فإن علاجا نوعيا خاصا به لا يتوفر بين قائمات المضادات الحيوية ، لهذا تعتبر الراحة التامة والتغذية الجيدة وبعض العقاقير المهدئة والمسكنة أساس العلاج .

إن ظهور أعراض اصابة الخصية بالمرض قد تعقب اصابة الغدد اللعابية بأسبوع ، وربما تصل الى اسبوعين أو ثلاثة من شفاء المريض ، وهنا يشعر المريض بتورم واحمرار وبعض الألم ، وبعدها ربما لاحظ ضمورا في الخصية ولكن هذا ليس تأكيدا على اصابته بالعقم ، والقول الفصل يعود الى تحليل السائل المنوي مختبريا ، لاستطلاع حالة الحيوانات المنوية وتأكيد سلامتها أو عدمها .

وعلى أي حال ، تعامل الخصية المصابة في علاجها معاملة الغدة اللعابية .

احتباس النفس أثناء النوم

● يصيبني بين حين وآخر شعور بالاختناق خلال فترة النوم يجبرني على الافاقة مذعورا ، و؟ بعضهم هذا بالوهم ، أو حلم مزعج ، أو كابوس ، أو ربما حالة نفسية مضطربة .

فهل هناك تفسير علمي لهذه الحالة ، وهل هناك من علاج ؟

ص . ع .
الكويت

احتباس النفس أثناء النوم وتوقف التنفس مع شعور صاحبه بالاختناق، مما يدفع به الى القفز فورا من السرير طلبا للهواء ظاهرة مألوفة وشائعة بين الكثيرين ، وخاصة فئة الذكور البالغين دون الاناث ، لهذا يعتقدون أن هرمون الذكر Tes-tosteron التستوستيرون قد يكون عاملا فعالا في الامر

على أي حال فالاسباب الرئيسية لظاهرة احتباس النفس أثناء النوم تعود الى أحد ثلاثة احتمالات :

الاول : سبب ميكانيكي يعيق التنفس .

الثاني : سبب عصبي يؤ... مراكز التنفس .

الثالث : وجود الاح... معا .

غير أن الاحتمال الاول وهو السبب الميكانيكي يعتبر أهم الاسباب لأنه الشائع والأعم حيث يتوفر سبب يعيق دخول الهواء الى الرئتين كضيق الانف أو تضخم اللوزتين أو ربما تضخم خلقي في اللهاة ، وهذا بدوره يؤدي الى حالة من انخفاض الضغط داخل الرئتين ، وبالتالي الى امتصاص اللسان والحنك الرخو الى أسفل حيث يسد الحلق والبلعوم ومنه يحتبس النفس .

من الطبيعي أن تتجسد هذه الظاهرة أثناء النوم بسبب ارتخاء عضلات اللسان والحنك مع انقباض في عضلات البلعوم ويتميز الكثير من مرضى هذه الحال (وليس كلهم) بالبدانة الزائدة وظاهرة الشخير ليلا مع شعور بالصداع والهبوط الذهني والجسدي اثناء النهار .

وعلاج هذه الحال يبدأ بازالة السبب الذي يحول بين الهواء والمرور بحرية مطلقة عبر مسالك الهواء العلوية .

أما السبب الآخر والنادر نسبيا فهو السبب العصبي ، حيث يفتقد المريض تلك الدفقة العصبية القادمة من مركز التنفس في المخ ، والتي تعمل على تنظيم عملية التنفس في نبضات منتظمة تتـ[ـنـ]ـاسب وحاجة الجسم الى الهو[اء] ، وهذه حالة ربما تحدث ليلا [و]نهارا ويصاحبها اعراض أخرى [لا] تخفى على طبيب الاعصاب ا[لمـ]ختص ولكنها حالة نادرة والحمد لله .

مرض مانير

(Meniere Disease)

● تداهمني بين حين وآخر نوبات من الدوار ، مصحوبة بطنين حاد في الأذن ، يصعب معها القيام بأي عمل ، علاوة على الارهاق الجسدي والنفسي المجهد .

وعند الفحص علمت أن مرضى يدعونه مرض مانير فهل من سبب لهذا ، وهل من علاج ؟ .

خ . س
المنامة - البحرين

هذا المرض يحمل اسم الطبيب الفرنسي الذي يعزى اليه تحديد معالمه ووصفه على وجه الدقة وهو الدكتور بورسبر مانير عام ١٨٦١ .

غير أن المرض معروف لقدامى الاطباء وكان شائعا بين الناس لدرجة انهم يزعمون ان الامبراطور الروماني يوليوس قيصر كان يعاني منه كما عانى منه المصلح الديني المعروف مارتن لوثر .

وبالرغم من اسم هذا المرض المتميز ، وقدم معرفة الانسان به ، وسعة انتشاره ، فما زالت فيه مجاهل لم تعرف للطب بعد ، وهو اكثر انتشاراً بين الرجال منه بين النساء ، وخاصة بين متوسطي الاعمار منهم .

والأعراض تبدأ عادة بطنين حاد في الاذن دون توقف ، بما يشبه خرير الماء أو صوت بخار الماء المنبعث من ابريق الشاي ، يصاحبه ضعف في السمع وفقدان للتوازن ، ويبلل المريض عرق بارد مع شعور بالغثيان أو القيء .

ان النوبة المرضية تداهم صاحبها دون مقدمات تبدأ بشعور بالدوار واحيانا اخرى قد توقظه النوبة على صوت طنين حاد في الاذن وتدوم بضع ساعات لتزول جميع الاعراض وتختفي مخلفة وراءها شعور الدوار الذي قد يلازم المريض اياما .

لم يتفق جمهور الأطباء على السبب الحقيقي لهذا المرض ولكن بعضهم يعزونه الى زيادة نسبة السوائل وتراكمها في الاذن الداخلية ، ومع هذا فلم يصل أحد الى تفسير لسبب زيادة هذه السوائل وتراكمها .

فريق آخر يجتهد في تفسيره ليؤكد ان مرض مانير هذا هو شكل متميز من أشكال الحساسية ، كما هو الربو مثلا ، أو التهاب العين ، أو طفح الجلد .

وهناك فريق ثالث يعتقد أن السبب هو انقباض في أوعية الدم المغذية للاذن الداخلية .

وعلى ضوء هذه الافتراضات المتباينة تجري محاولات العلاج *لهذا المرض والتي يمكن تلخيصها* على الوجه التالي :

أولا : تحديد شرب السوائل والاقلال منها ما أمكن بما لا يزيد عن لتر ونصف يوميا .

ثانيا : تقييد استعمال ملح الطعام بقدر الامكان وعدم استعماله على موائد الطعام .

ثالثا : تعاطي العقاقير المدرة للبول طلبا لافراز الصوديوم واقلال نسبة الماء في الجسم .

رابعا : استعمال العقاقير المضادة للحساسية ، افتراضاً بان المرض هو شكل من اشكال الحساسية ، ولكن هذه العقاقير تفقد متعاطيها شعور الاتزان .

خامسا : ينصح البعض باستعمال فيتامين ب ٦ .

فاذا لم يصل المريض الى فائدة واضحة من هذه الاساليب ، فإن اجراء عملية جراحية قد تكون اجراءً حاسما ، وهنا يلجأ الجراح اما الى تعطيل الاذن الداخلية ، وهنا تكون التضحية بحاسة السمع ، أو الى تعطيل الياف العصب الثامن من أعصاب المخ المختص بالتوازن ، وهذا يجري اما بأسلوب العملية الجراحية ، أو باستعمال الموجات فوق الصوتية .

لكي لا ننسى

في ذكرى عبد الوهاب عزام بعد ربع قرن

شخصيّة مبْدعة ونسيج فريد ..

بقلم الدكتورة : نعمات أحمد فؤاد

□ كان الدكتور عبد الوهاب عزام في حياته صاحب رسالة،ظل عمره يعيش لها ويحيا بها ويدعو اليها،ولما قضى مات عليها . وكانت رسالته وهواه : « الاسلام والعروبة » ، كانا قبلته مؤلفا ومترجما ودارسا ومحققا ومناضلا . . كانا شغله مقيما ومرتحلا فهو في مصر يجمع القلوب عليهما في الآثار الادبية عربية وشرقية . وفي البلاد العربية يجوب البقاع ، ويحقق الامكنة ، ويقف بالمعالم التاريخية يسجل عن الطبيعة ويعكف على الكتب ، فسد مأرب وسوق عكاظ ومواطن الذكريات من الجزيرة العربية معالم دراسية مشهودة في آثار عبد الوهاب عزام العالم الأديب .

هناك في بلدة « الشوبك الغربي » من أعمال مركز « العياط » في مديرة « الجيزة » ولد عبد الوهاب عزام في أول أغسطس ١٨٩٤م .[1]

وهو رائد من رواد الحركة الفكرية المصرية ، فهو أول من عمل في مصر على انشاء الدراسات الشرقية وأول من علم الفارسية والتركية وآدابها في الجامعة .

(١) ذكر الدكتور زكى المحاسنى فى مجموعة محاضراته عنه أن ميلاده سنة ١٨٨٤ ولكن الاستاذ محمد الدين عزام شفيق الدكتور عبد الوهاب عزام ، قال بالتاريخ الذى ذكرته أى سنة ١٨٩٤ م .

عبد الوهاب عزام

وهـو أول من قـدم الى العـرب شـاعـر الاسلام « محمد عاكف » فأتاح له منبر الجامعة ووصله بطلابها محاضرا ، وأذاع شعره على صفحات مجلة الرسالة التي كانت سفارة متنقلة بين أقطار العروبة .

وبعد الشاعر التركي العظيم ، قدم عزام الى العرب والمسلمين الشاعر الفيلسوف المؤمن كما كان يدعوه ، شاعر باكستان محمد اقبال .

وفي ثورة سنة ١٩١٩ كان لبلدة الشوبك دور بارز لم تخطئه عين الانجليز ، فأوسعوا أهلها قتلا وتعذيبا سجلته عليهم لجنة الوفد المركزية باسم واقعة الشوبك والعزيزية .

وحين داهم الجنود الانجليز الشوبك ونشروا الرعب فيها أبلى عبد الوهاب عزام في مكافحة الطغيان بلاء حسنا ، وألف مع بعض المثقفين من أبناء القرية جماعة تنشر وقائع الاحتلال وترسل منشوراتها الى شتى انحاء العالم . وحاول الاستعمار أن يوقعه في حبائله ، فداهم منزله وضبط لديه مسدسا . وكان هذا كافيا لأن يتقرر الحكم باعدامه .

على أن أحد الطرابلسيين من أصدقاء أسرة عزام كان يتمتع بالحماية الايطالية وقت أن كان لهذه الحماية شأن كبير .

وفي يوم المحاكمة تقدم هذا الصديق الى المحكمة العسكرية وأكد أن المسدس يخصه هو ، وقد نسيه في منزل عبد الوهاب عزام . . . فلم يملك الاحتلال الا أن يقضي ببراءته ـ على كره منه .

(طفولته وشبابه)

سعى عبد الوهاب طفلا الى مكتب القرية شأن لداته في طفولتهم ، فحفظ القرآن الكريم وتهيأ للأزهر الذي وصله أبوه به ، فأقبل على العلوم الدينية واللغوية وانتقل من الازهر الى مدرسة القضاء الشرعي . وكانت وقتئذ مدرسة حديثة تجمع طرفا من علوم الدين والدنيا ، فدرس بها عبد الوهاب الى جانب الدين واللغة ، التاريخ والجغرافيا . . والرياضيات . . وبعد تسع سنوات منحته شهادة العالمية وكان ذلك سنة ١٩٢٠ . ولما كان أول خريجيها فقد عينته مدرسا بها . .

وفي هذه الأثناء دخلت حياة مصر ، الجامعة المصرية القديمة فتطلع اليها ـ مع أهل الطموح ـ عبد الوهاب عزام فنال الليسانس في الآداب والفلسفة سنة ١٩٢٣ . وهنا اختير مستشارا دينيا للسفارة المصرية في لندن فلم تقعد به همته في مقامه الجديد فاتجه الى مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن وظفر سنة ١٩٢٧ بدرجة الماجستير في اللغات الشرقية وكان موضوع رسالته (التصوف في رأى فريد العطار) .

وعاد الى مصر بعدها فانتظم في سلك هيئة التدريس بجامعة القاهرة مدرسا فأستاذا مساعدا سنة ١٩٣٤ بعد أن أحرز درجة الدكتوراه سنة

١٩٣٢ . وكان موضوع رسالته شاهنامة الفردوسي . ثم صار أستاذا للأدب العربي ١٩٣٩ ثم عميدا لكلية الآداب ورئيسا لقسم اللغات الشرقية بها ١٩٤٦ .

وفي هذه الأثناء انتدب مرتين للتدريس في جامعة بغداد . وتطلعت اليه وزارة الخارجية فتشبثت به الجامعة . فقد قرر مجلسها في ٣/ ١١/ ١٩٤٧ أن الجامعة (لا يمكن أن تستغنى عن حضرة الدكتور عبد الوهاب عزام نهائيا وانما يوافق المجلس على ندب سيادته مؤقتا لمدة ثلاثة شهور يعود بعدها للجامعة) . فلم تملك وزارة الخارجية الا ندبه في نوفمبر سنة ١٩٤٧ للقيام بأعمال مندوب فوق العادة ووزير مفوض لمصر بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٤ . وملأ هذا المنصب حتى أول أغسطس ١٩٥٤ وهو تاريخ بلوغه سن الاحالة على التقاعد من وجهة النظر الوظيفي . وهنا اختارته الحجاز مؤسسا ومديرا للجامعة التي أنشأها بالرياض سنة ١٣٧٧ هـ فأخلص لها حتى اختاره الله لأكرم جوار . . . نقى السيرة باقي الأثر .

كان عزام ترتيلة في تدينه ، وفي أدبه ! شعره ونثره . . وكان صفوا أعذب ما يكون الصفاء في انسان . . . « رب هل رتل البراهمة الا فرقانك ؟ وطلبوا في الكهوف الا عرفانك ؟ وهل انفتحت عن بوذا زهرة الكنج الا لذكرك ؟ وهل هجر العالم الا لوجهك ؟ وهل أملى كونفشيوس الا تعاليمك ؟ وهل أراد زرادشت الا ذكرك ؟ وهل ضمن كتابه الا حمدك ؟ يا خالق الجن والانس ، من سواك يحمى الخليقة بظلالك وهدايتك ؟ »

بهذه السبحات من مواجد الروح ، استهل عزام كتابه « الأوابد » وسماها « مناجاة » .

وعلى سماحته ودماثته ، وتصوفه ، وتلطفه . . كان يثور للظلم ولا يكتفى بالثورة بل يتجاوزها الى الردع . ومن «مثانيه » !

صاح ما الحر من يثور على الظلم ... وثارت لحقها الأقوام

انما الحر من يسير الى الظلم ... فيصميه والأنام نيام

كان متصوفاً على طريقته . . كان تصوفه خلوصا للحق ، وحبا للجمال ، وشغفا بالفن ، وانسراحا روّاحا للفكر ، دون عزوف عن الدنيا أو زهد في طيباتها مما أباحه الله للانسان ، وأتاحه للمؤمن من دون حرج .

كان كريم المظهر . . أنيق الملبس والمسكن ، مترف الروح والعيش في غير سرف أو صلف .

(التصرف والتصوف)

وقد كان يرى أن الاسلام من الصفاء والنقاء بحيث يلهم صادقى الايمان من كرائم المعاني في أسلوب التصرف والتصوف والسلوك . . والدليل عنده « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، و « عبد الله بن عمر » و « على بن ابي طالب » - كرم الله وجهه - بل من جاءوا بعدهم مثل « الحسن البصرى » و « سفيان الثورى » و « رابعة العدوية » .

وآيات التصوف الاسلامية تتمثل له في الآيات : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

والآية (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

والآية (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) .

والآية (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) .

والآية (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) .

وما يكون التصوف الا أن يكون ايمانا بنور النور وأنه ليس كمثله شيء فكل شيء محدود ، والله بلا حدود . . . اليه وحده تتجه الافئدة

وتعنو الوجوه . يعبده المؤمن في ضراعة وصمت وتفكر فيما خلق .

(مؤلف ومترجم)

كان عبد الوهاب عزام موسوعة لغات . . ولم تقف اجادة الدكتور عبد الوهاب عزام للغات الشرق والغرب وادراكه العميق لحضارتيها عند حدود الثقافة الخاصة للفرد ، بل تجاوزت هذا المعنى على رفعته ، الى ما هو أعم وأشمل وأنفع ، فألف الكتب ، ونقل الآثار ، وعرف بالرجال ، وراد الاماكن ، وحقق المواقع . وجمع الله في لسانه ، كما يقول الاستاذ عبد المنعم خلاف في رثائه - ألسنة العرب والفرس والترك والهند أعظم أمم الحضارة الاسلامية . . فكانت داره ناديهم ، وموائده قراهم ، وكان موضع ثقتهم واعزازهم وسفير بعضهم الى بعض . . .

كان يجيد العربية و التركية والفارسية والاردية ، والانجليزية والفرنسية ، وقد أثرى هذه اللغات جميعا بالتأليف فيها ، والترجمة عنها . ومن مؤلفاته :

الرحلات الاولى - الرحلات الثانية . وكتاب النفحات . ومنظومة اللمعات من ستمائة بيت أهداها الى الشاعر محمد اقبال . وموقع عكاظ . وكتاب الاوابد . وكتاب (محمد اقبال) سيرته وفلسفته وشعره . والمثان . وهي ثلاثمائة رباعية وقد آثر أن يسميها « المثانى » لا الرباعيات ، حتى لا تقترن في الموضوعات برباعيات الخيام ، اذ نظمها كلها في التأمل الديني فضلا عن فروق فنية يراها . . . على أن « المثنوية » عنده تتألف من بيتين .

مدخل الشاهنامة العربية للبنداري ، والتصوف وفريد الدين العطار ، ومهد العرب ، وأوزان الشعر الفارسي والأدب الفارسي بالاشتراك مع د . يحيى الخشاب . وذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، ونواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ، والمعتمد بن عباد ، ونظرات في سنن المسلمين في كتابه التاريخ .

ومن كتب التراث التي نشرها ، كتاب (الورقة في تاريخ الشعراء*) لمحمد بن داود بن الجراح أحد وزراء الدولة العباسية . وقد طبع من نسخة مخطوطة عثر عليها في ايران ولايعرف لها نظير في العالم .

ومن جهود الدكتور عبد الوهاب عزام في ميدان النشر :

الشاهنامة التي نقلها الى العربية ، البنداري ، وديوان المتنبي ، ومجالس السلطان الغوري ، وكليلة ودمنة ، ورسائل الصاحب بن عباد بالاشتراك مع الدكتور شوقي ضيف في عام ١٩٤٧ .

ومن جهوده فى الترجمة :

فصول من المثنوى (عن الفارسية) ، وجهار مقاله ، عروض (عن الفارسية) بالاشتراك مع الدكتور يحيى الخشاب ، واتحاد المسلمين لجلال نورى (عن التركية) بالاشتراك مع الاستاذ حمزة طاهر . الى جانب مقتطفات كثيرة من الشعر الفارسى والشعر التركى نشرت فى مجلة الرسالة وغيرها .

ومن بحوث الدكتور عبد الوهاب عزام التى نشرتها له مجلة المجتمع اللغوى ، بحث القاه فى الدورة الرابعة عشرة بعنوان (صلات اللغة العربية باللغات الاسلامية) ، وبحث القاه فى الدورة الخامسة عشرة فى موضوع :

« اسماء العشب والاشجار فى بوادى العرب » ، وبحث فى الدورة السابعة عشرة بعنوان : « الألفاظ الفارسية والتركية فى اللغة

---

* (العربي) شاركه فى نشر كتاب « الورقة » الاستاذ عبد الستار أحمد فراج ،ولقد نشرته « دار المعارف فى مصر » فى سلسلة « ذخائر العرب »

العامية المصرية » وبحث في الدورة التاسعة عشرة بعنوان « الالفاظ العربية في اللغات الاسلامية غير العربية » (٢)

وقد اشار الاستاذ مصطفى السقا الى بحوث أخرى متتابعة في أدوار انعقاد مؤتمر المجمع اللغوى ابتداء من الدورة الثانية والعشرين الى دور الانعقاد في سنة ١٩٥٩ وكان موضوع بحثه فيه عن الشعر النجدى المعروف بالشعر النبطى في جزيرة العرب .

أما الشاعر اقبال الأثير عنده فقد خصه بترجمة ثلاثة دواوين له :

* بيام مشرق أى رسالة المشرق التى رد بها على ديوان جوته . (**)
* ضرب الكليم .
* ديوان الاسرار والرموز الذى عكف على ترجمته سنة كاملة .

مثانى عزام

ويذكر الناس « رباعيات الخيام » ، ويغفلون عن « مثانى عزام » لأنهم الى التخفف أميل . تلك المثانى التى نظمها وهو سفير مصر فى باكستان بكل ما فى شفافيته من نفاذ . . ولعل ملابسات النظم حدت بالنقاد في ساحة الأدب ، أن يعزوا « المثانى » الى تأثره باقبال . . والحقيقة انه تماثل فى النزعة .

لقد أهدى عزام الى فيلسوف باكستان اقبال ، منظومته « اللمعات » اعتزازا به ، واعزازا له . . ومع مكان اقبال عنده ، ومكانته من نفسه ، لالتقائهما فى الفكر الاسلامى ، فانه فى « المثانى » كان يعبر عن نفسه ويصدر عن شعوره ، وينبع من روحه . ان السليقة كما يقول استاذنا العقاد فى مقدمته للمثانى .

(هى التى أوحت الى شاعر المثانى فى نظمها لا التقليد لاقبال فى منظوماته) .

لم يقلد الدكتور عزام ، الشاعر « اقبال » مع حبه له حتى انه وهو سفير مصر فى باكستان كانت تتحلق حوله ، فى داره الندوة . . عن أدب اقبال حتى سمى مريديه (دراويش اقبال) (٣)

ومع هذا كله كان عزام نسيج وحده . وقد حسم عزام نفسه الموقف فى هذه الكلمات التى أراها ومضات :

(يؤسفنى أن بعض النقاد وضع أدبى وأدب اقبال فى ميزان المناقشة وجهدوا أن يشيعوا اغلاطهم فى هذا الشأن . وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذى يخاطب النوع الانسانى كله . . لأن فى ساحة الأدب العالمى يقوم الشعراء وأولو الفن فى منبت واحد من الاخوة الانسانية . ويقينى أنى ومحمد اقبال عاملان للصدق والجمال فى الادب . . ونحن نلتقى حيث يقدم القلب الانسانى والعقل الى عالم الانسانية أجمل هداياهما وأروعها) .

بهذه الدماثة رد عزام على ناقديه :

كان عزام خيرا كله وكان أدبه أدبا متفائلا . .

« قيل : ليل مظلم ، قلت اذكروا
فى ظلام الليل اشراق الصباح
قيل : غيم معتم ، قلت انظروا
رب نجم من وراء الغيم لاح »

□□

---

(٢) كتاب (قمم أدبية) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد .

(**) (العربي) الديوان الذى ألفه الشاعر الألمانى جوته هو « الديوان الشرقى للشاعر الغربى» (وترى صورته أعلاه)

(٣) عندما اشتدت حركة الفدائيين المصريين سنة ١٩٥١ فى القناة ، قام هؤلاء الدراويش بمظاهرات كبيرة فى باكستان تأييدا لمصر حتى اشتكى السفير البريطانى الى عميد السلك السياسى هناك فقال السفير المصرى الدكتور عزام : وهل أنا الذى أخرجت المظاهرات فى لاهور وفى العراق وفى الهند . ان الذى أشعل المظاهرات سبب يعرفه الانجليز جيدا وهو « السياسة الانجليزية » .

مِنَ الحواس ما وزن .. فعدل .. فاستوى !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

☐ يقولون ان الحواس خمس : حاسة البصر والسمع والشم والتذوق واللمس ، لكن هذاالتحديد فيه اجحاف كبير بالحواس ، اذ قد يمكن ان يقال ان ذلك يسري على الانسان ، لكنه لايسري ـ بطبيعة الحال ـ على الحيوان ، لأن بعض الأنواع تمتلك حواس غير حواسنا المعروفة ، أضف الى ذلك أن الحواس تختلف كما ونوعا ، فقد لانحس نحن بأشياء ، ويحسها الحيوان ، بمعنى أننا قد لانرى ، وهو يرى ، أو لانسمع ، وهو يسمع ، أو لا نشم ، وهو يشم ، كما أننا لا نمتلك مثلا حاسة مغناطيسية ،لكن ليس معنى أننا نمتلك ، أن غيرنا لايمتلك ، بل توزعت الحواس بين المخلوقات لتصبح دليلها في عالمها الذي قد تكتنفه الظلمات أو المتاهات !

أيها نختار ؟

لكن موضوع الحواس من الموضوعات الشيقة والمثيرة ، وأنماطها متشعبة وكثيرة ، كما أنها تحتوي على أسرار كبيرة ، ولو كتبت وقدمت بالصورة التي توضح ما تنطوي عليه من تصميمات « وتكتيكات » ، لاستوعبت عدة مجلات مثل هذه المجلة ، وهذا ما يدعو حقا للحيرة ، فأيها نترك ، وأيها نختار ؟ . . هل نبدأ مثلا بما حواه جسم الانسان ؟ . . أو هل نستعرض ما انطوى منها في جسم الحيوان ؟ . .

الواقع أن كل حاسة تستحق التقديم ، وتتطلب المعرفة ، ففي كل منها آية من آيات ←

الخلق المذهلة ، لأن كل حاسة تتعامل مع عالمها بطريقة تختلف عن الحواس الأخرى ، ولهذا يأتي تصميمها مناسبا تماما لما تستقبل وتجمع وتحلل وتحول من صورة الى صورة ، أو من طبيعة الى طبيعة أخرى مختلفة ، ليصبح لكل ذلك هدف ومعنى ، فللموجات الكهرومغناطيسية محطات استقبال أو حواس تختلف في التصميم والتكوين عن أخرى مهيأة لاستقبال الموجات الصوتية ، وهذه أو تلك تختلف عن الحواس التي تتعامل مع المركبات الكيميائية التي تنطلق حول الكائنات ليل نهار ، أو تندس في الطعام والشراب والهواء ، لتصبح أدوات جذب أو طرد ، أو تحذير وانذار ، أو مسيلة للعاب أو الدموع ، أو مستملحة ومنفرة ، أو مجمعة ومفرقة ، أو لتوضح العدو من الصديق ، أو لتجمع الذكور باناثها ، أو لتهدي النوع الى نوعه . . . الخ ، وطبيعي أن معظم ما ذكرنا لاينطبق على الانسان ، بل ميدانه عالم الحيوان ، لأن الجزيئات الكيميائية عنده بمثابة قاموس كبير يحوي مفردات لغة غير منطوقة ولا مسموعة ، لكنها ـ مع ذلك ـ أبلغ في عالمها من فصاحة الخطباء ، ونصائح الحكماء ، وكلام المتكلمين ، لأنها تؤدي هدفها باختصار شديد ، ودون فلسفة أولف أو جدل أودوران !

لكن قبل أن ندخل الى هذه العوالم المثيرة ، كان من الأوفق أن نحدد الأسس التي تتعامل بها الكائنات مع بيئتها من خلال أحاسيسها ، لتدرك ما يدور حولها من متغيرات وظواهر قد يكمن فيها الموت والحياة ، وبهذا تستطيع أن تقدر لرجلها قبل الخطو موضعها . . ولكي يتم الاحساس ، فلا بد من وجود مؤثر ، ثم مستقبل لهذا المؤثر وتحويل ما استقبل الى نبضات عصبية ، ثم نقل هذه النبضات خلال شبكة من الألياف لتصبها في مراكز خاصة من المخ ، لتقوم هذه المراكز بعمل ترجمة فورية ، وترد في التو واللحظة ، لتنبىء الكائن الحي بموقفه من عالمه !

هذه هي الصورة العامة التي تشتغل في الكائنات ، لتهيىء لها من أمرها رشدا ، فتشعر بكل ما يدور حولها ، لتتخذ فيه أمرا كان مفعولا ، ولينطبق عليها القول الفصل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

ومع ذلك ، فلابد أن نختار واحدة من هذه الحواس لنقدمها هنا في دراستنا ، فندرك كيف نظمت الأمور تنظيما متقنا ، وليكن ذلك من لب تكويننا ، لكننا لن نختار حاسة من الحواس التي نعرفها ، بل علينا أن نقدم حاسة مجهولة لمعظمنا ، لأننا نتعامل معها ظاهرا ، ولا نعرفها باطنا ، وليكن ذلك في تكوين صغير قائم في أذننا ، بالتحديد في أذننا الداخلية ، ولا نقصد هنا حاسة السمع ـ كما قد يقفز للأذهان من أول وهلة ، بسبب أن السمع مرتبط بالأذن ـ ومع ذلك فقد حوت الأذن جهازا آخر بديعا ودقيقا ، ليحفظ علينا توازننا ، فنعرف رؤوسنا من أرجلنا ، تلك هي حاسة التوازن التي تشتغل بميكانيكية بيولوجية فذة ، فاليها ، لنتعرف عليها .

اعدل نفسك !

ولنأخذ ـ كمثل ـ كفّتي الميزان اللتين تتأرجحان ذات اليمين وذات اليسار ، كلما وضعت في هذه الكفة أو تلك بعض الصنج او الأثقال ، تريد بذلك حالة من الاتزان ، كذلك يكون الحال مع الميزان الكامن في الآذان ، فواحد الى اليمين ، وواحد الى اليسار . . هذا في أذن ، وذاك في الأخرى ، لكنهما ليسا ميزانين ، بل آلاف الموازين الدقيقة المنصوبة ، ولها أثقالها التي تشتغل بها وتتوازن ، والأثقال أحجار ، او هي بالتحديد كربونات الكالسيوم ، والأحجار كثيرة جدا ، لكنها تتخذ شكلا بلوريا غريبا ، ولكى نطلعك على

حقيقتها ، فلا أقل من تقديم صورة تغني عن أي وصف أو كلام يمكن ان يقال في هـذا المجـال (شكل ١) .

ان نظرة عابرة على هذه الأثقال او الأحجار ، قد يصيب البعض بالحيرة أو الدهشة ، وقد يدعو ذلك الى التساؤل : كيف تؤوى الأذن الداخلية كل هذه الكتل ؟ . . وأين تنتظم ؟ . . وكيف تعمل ؟ . . وما هي طبيعة الموازين التي تتعامل مع هذه الكتل ؟ . . الخ .

قبل أن نجيب على هذه الأسئلة ، كان لا بد من كلمة مختصرة نوضح بها لماذا جاءت أحجار التوازن بهذا الشكل أو الحجم الذي يقع تحت بند « اللامعقول » . . ان الفضل في ذلك يرجع الى الميكـروسكوب الاليكتـروني الذي يعـطيها تلك الصورة المجسدة ، وهي هنا مكبرة عـدة آلاف من المـرات ، أي أننا لـو أعدنـاهـا الى حجمهـا الطبيعي ، وتـراصّ مائـة حجـر منهـا الواحد بجوار الآخر ، لما بلغ طولها جميعا الا ملليمترا واحدا بالكاد !

لكن . . كيف تـشتـغــل المــوازين بهــذه الأثقال ؟ . . وما هو شعورنا نحن بذلك ؟

دعنا نمهد لذلك بظاهرة معروفة لنا جميعا ، فلو أنـك درت حول نفسـك بسرعـة ، وبـين ذراعيك طفل يبلغ من العمر سنوات تعد على اصابع اليد الواحـدة ، أو اصابـع اليدين ـ اذا أردت ، ثم توقفت وتركت الطفل على الأرض في وضع واقف ، لوجدته يترنح ، ثم يسقط على الأرض ليتشبث بها ، وكأنما كل شي يدور حوله وحولك ، عندئذ تستنتج ان الطفل قد فقد اتزانه أو توازنه ، لكن هذا الاحساس يقل درجات في الكبار ، ربما عن طريق الممارسة أو التحكم في ضبط الجسم ، لكنهم ـ مع ذلك ـ قد يشعرون بشيء من عدم الارتياح .

أو لو أنك استقبلت مصعدا يرتفع فجأة ، أو يتوقف فجأة ، عندئذ يـأتيك شعـور بأنـك قد أصبحت أخف أو أثقـل ، أو ل[illegible]ن سيار[illegible] اندفعت بغتة الى الأمام ، أو ان[illegible]فت فج[illegible] الى اليمين أو اليسار ، أو توقفت في [illegible]ظة خاطفة ، كـل هذا وغيـره يعطيـك احسـاسـا بـالميـل أو الاندفاع نحو هذه الجهة أو تلك ، وسرعان ما تعـدل ما مـال منـك ، لكنـك لا تفعـل ذلـك بذاتك ، بل يرجع الفضل فيه الى فعل الأحجار بالموازين ، فمحصلة تجـاوب هذه مـع تلك ، يولد تيارا من نبضات عصبية ، حيث تصب في المخ ، فيقوم باجراء حساباتـه بسرعـة فائقـة ، ويحسم الموقف بارسال اشارات الى العضلات ، ليأمرها باعادة الجسم الى توازنه .

أي كأنما هذه الموازين هي التي تحدد موقفنـا بالنسبة للجاذبية التي تتسلط علينا من أرضنا ، وتعدل قامتنا اذا سرنا ، وتؤكد أوضاعنا في نومنا أو جلوسنـا أو ميلنا في أي اتجاه أو زاويـة . . وبـالاختصار فهـو ذلك الاحسـاس أو الحاسة الغامضة التي قد يظن البعض أنها من عنـدنا ، لكن لا شيء يأتي من لا شيء ، بل لا بـد من موازين حقيقية منصوبة بالعدل والقسطاس في داخلنا ، واليها الآن لنكشف عنهـا غطاءهـا ، فنـرى كيف تراكبت وشيـدت ، وندرك بـأيـة معـايير قـد نصبت ، فكل شيء فيهـا قد جـاء بحساب ، وسرى بمقدار !

تصميمات مذهلة

وكالمهندس أو عالم الرياضيات الذي يتعامل مع الأنماط أو النمـاذج الفراغيـة ، فيحدد لهـا عرضا وطولا وارتفاعا ، ليبدو كل شيء مجسما في محاور ثلاثة تتعامد على بعضها ، كذلـك يجيء جهاز التوازن على الفكرة ذاتها ، مع الفرق طبعا بين ما رسم الانسـان وخطّط ، وبـين ما قـدر الخالق فأبدع ، ليجيء خلقه شاهدا بكل ما هو بديع ومنسق وأصيل .

شكل (١) هذه الكتل من الأحجار المتناسقة تتراص على وسادة خاصة في الأذن الداخلية ، ولقد جاءت بهذا الشكل المثير لأنها مكبرة بالميكروسكوب الاليكتروني المجسم ، وهي بمثابة الكتل التي تضغط على ما تحتها ، فتشعرنا بتوازننا ، وتحدد من استوائنا بالنسبة للجاذبية الأرضية (لمزيد من التفاصيل - راجع المقال) .

شكل (٢أ) جهاز التوازن في الأذن الداخلية قد جاء على هيئة تصميم محكم وبديع اذ تخرج منه ثلاث أنابيب شبه دائرية متعامدة على بعضها ، لتمثل الاتجاهات الثلاثة الأساسية المعروفة هندسيا ، وعند قواعد هذه الأنابيب ترتكز أحجار التوازن ، لتزن كل ما نتعرض له من حيود في جميع الاتجاهات المعروفة .

لكن الوصف في مثل هذه الأسرار المذهلة قد
يسعفنا في توضيح ما انطوت عليه تلك
زين من تكوينات شاهدة على اتقانها ، ولهذا
ن لابد من تقديم صورة حقيقية وأخرى
ضيحية (شكل ٢ أ ، ب) ، وفيها ترى
إءات تشبه المتاهات ، وهي تمثل لنا جهاز
إزن ، والجهاز يرتكز على قاعدة ، ومن
عدة تخرج ثلاث أنابيب صغيرة ، وكل أنبوبة
ن تشكيلا أشبه بنصف دائرة ، وهي تتعامد
ى بعضها في ثلاثة مستويات أو محاور
غية .. فواحدة رأسية ، والثانية أفقية ،
ثالثة أفقية أيضا ، لكنها تتعامد على الثانية ،
حيانا ما تسمى هذه الأنابيب بالقنوات الأمامية
لخلفية والجانبية ، وسر هذا التصميم الغريب
يخفي مغزاه على لبيب ، لأنه يمثل لنا
تجاهات الثلاثة المعروفة .

لكن .. ماذا تحوي هذه الدوائر أو
نوات ؟

الواقع أنها تكوينات عظيمية (تصغير
لمة) مبطنة من الداخل بأغشية رقيقة ، من
خلها سوائل ليمفاوية ذات تركيب خاص ،
يها تتحرك الموازين ، ولكى نرها ، فلا مناص
، تشريحها ، لكن العين لن ترى شيئا ذا بال ،
كي نرى ، فلا بد من عين غير عيوننا ،
شاءت « عين » الميكروسكوب الاليكتروني
دم لنا صورة مجسدة ، لجزء هام من أجزاء
وازين ، ولكى لا يخوننا التعبير ، فلا أقل من
ض الصورة لتوضح لنا ما نريد (شكل
) .. عندئذ سترى حزمتين ، وكل حزمة
ستقلة بذاتها ، ويتكون كل منها من مجموعة من
هداب بعضها طويل ، وبعضها قصير ، وكل
موعة تخرج من خلية واحدة ، وكل خلية - في
د ذاتها - بمثابة ميزان دقيق ، لتوازن الأمور مع
لاف الأخرى ، وهي - في مجموعها - ترتكز
ى تكوين محدب كالتخت ، وكل تخت موجود
د مدخل كل قناة شبه دائرية (انظر شكل ٢
،) ، وتمتد أهداب كل الخلايا المرتكزة على
التخت داخل تجويف قناتها ، ويعنى ذلك ان
اتجاهات الأهداب عند مدخل كل قناة تبدو
وكأنما هي متعامدة على بعضها ، ذلك ان
القنوات ذاتها تتجه على محاور متعامدة ، بحيث
اذا تحركت السوائل في قنواتها ، تتحرك معها
الأهداب بدورها ، فتميل هذه الجهة أو تلك ،
ومع ميلها تنطلق نبضات عصبية ، لتستقبلها
ألياف دقيقة ، فتنقلها الى منطقة محددة في المخ ،
وعلى المخ أن يفك شفراتها ، ويعرف
مضمونها ، فيرسل توجيهاته الى العضلات ،
لتعدل ما مال .. اى أننا - والحق يقال - أمام
تصميمات تكنولوجية فائقة الدقة والحساسية ،
ولهذا يعتبرها العلماء تحفة فنية هندسية تحوى كل
ما يثار في النفس من أحاسيس الدهشة
والاكبار .

وما فائدة الاحجار اذن ؟

ليس هذا مجالها ، بل مجالها فى قاعدة جهاز
التوازن التى تمتد فى جزء من دهليز الأذن
الداخلية ، ففى هذه القاعدة يوجد انتفاخان ،
أحدهما يسمى الجريبة ، والآخر القريبة (تصغير
جراب وقربة) ، وفيهما تتوزع حزم من
الأهداب ، والأهداب متصلة بخلايا تعرف
باسم خلايا الاستقبال ، وتحيط بها وبأهدابها
اغلفة رقيقة من مادة جيلاتينية رخوة ، وفوق
الاهداب ترتكز احجار التوازن ، وهى التى
قدمناها فى شكل (١) ، وفى هذا الشكل ترى
ايضا جزءا من الأهداب فى وسط الصورة ،
لكنها جاءت مشوهة ومتداخلة لسوء تحضير
الشريحة ، لكن ذلك قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان
نعرف ان حركة هذه الاحجار تتأثر بحركة
رءوسنا ، وعندئذ تتزحلق حسب الميل وشدته ،
فتحتك باطراف الاهداب ، فتنقل ما حدث الى
خلايا الاستقبال ، فتحول الحركة الى طاقة
كهروكيميائية . لتتولد منها نبضات عصبية ،
لتنتقل عبر « اسلاك » او الياف عصبية ، حتى
تصب فى المخ ، فيتخذ فيها امرا كان مفعولا .

هذا - اذن - ما انطوت عليه حاسة التوازن من

شكل (٢ب) رسم توضيحي لجهاز التوازن ، حيث تبدو الأنابيب متعامدة ، وعند قواعدها المنتفخة قليلا توجد أجهزة التوازن الدقيقة ، والى اليمين شكل مبسط يوضح ميل هذه الموازين ، اذا مال الرأس هذه الجهة او تلك .

تكوينات كانت علينا خافية ، ولقد قدمناها باختصار شديد ، ولنا عذرنا لضيق المجال ، ومع ذلك يبقى أمامنا بعض حقائق يجب تقديمها ، لنعرف المزيد من خفايا هذا العضو الفريد .

قيمة الشيء تظهر فى فقده !

نحن ـ بطبيعة الحال ـ لا نعرف قيمة الشيء الا اذا فقدناه ، فطالما سارت الأمور هينة لينة ، فقد لا نبالى ، لكن من فقد نعمة حاسة من الحواس ، فلا شك يشقى ويكابد ما فقد ، وهناك نسبة من البشر تولد محرومة من حاسة التوازن ، نتيجة لسبب خلقى ، أو قد تأتيها اثناء حياتها بسبب التهاب فى الأذن الداخلية ، أو لامتلاء جهاز التوازن بسوائل زائدة عن حدودها . . . الخ .

وطبيعى ان من يفقد حاسة التوازن ، يعيش بلا توازن ، اذ يحل به دوار أو دوخة ، وأحيانا يشعر ان الأشياء تتراقص أمامه ، لكن الأعراض تأتيه على فترات متقطعة تفصلها اسابيع أو شهور أو سنون .

ومع ذلك ، فقد يعتمد فاقد هذه الحاسة على حواسه الأخرى ، لأن حاسة التوازن تخدمها مرافق ثانوية ، فمن الممكن الاعتماد جزئيا على

العربي - العدد ٣٠٥ - أبريل ١٩٨٤

شكل (٣) حزمتان من أهداب دقيقة تمثل قليلا
كثير يعد بالآلاف ، وعلى هذه الأهداب ترتكز أح
التوازن (لا تظهر هنا في الصورة) ، فعندما تميل
الوضع المضبوط ، تتزحلق الأحجار ، فتحة
بالأهداب ، وتتولد نبضات عصبية ، فتشعرنا بما صار
وضعنا .

عينيه ، ليحدد بهما موقفه وموقعه بالنسبة لما
حوله ، او بالتركيز والانتباه لاستقامة جذعه ،
وحركة عضلات الساقين ، وما يتصل بهما من
احساس عصبي ، لان ارتكاز ثقله على الساقين
يعطيه بعض الاحساس بالثبات ، لكن هذا
الثبات قد يتلاشى عند نزوله الى الماء ، وهنا
يخف وزنه ، ويفقد توازنه ، ولا يستطيع تمييز
فوق من تحت وقد يغرق ، ونحن نستطيع أن
نقف على ساق واحدة لفترة طويلة ونحن
مغمضو العيون ، لكن ذلك لا يستمر الا ا
او لثانيتين لفاقد حاسة التوازن ، اذ يحس ب
قد يدفعه للسقوط ، مالم يعد سريعا الى س
وضعه .

لكن حاسة التوازن قد تختل لأسباب عا
ووقتية ، ثم تعود تدريجيا الى حالتها الطبي
لكن بعد زوال المؤثر ، فاللاتي تهتز أجساده
رءوسهن بشدة في حفلات الزار ، أو ا
يحركون جذوعهم ورءوسهم بعنف في ـ

الاذكار ، او من يرقصون رقصات تشنجية صاخبة ، او من يدورون حول أنفسهم دورات سريعة . . . الخ ، كل هذا وغيره يرج السوائل في انابيبها رجا ، ويهز الأحجار في مواقعها هزا ، فيؤدي الى حركات فوضوية في الأهداب ، وما يتبع ذلك من تشويش مستمر في مراكز الاستقبال في الأمخاخ . . وكلما كان الرج او الهز أقوى ، جاء التأثير بدرجات أعلى ، فلا يستطيع مركز التوازن ان يسيطر على تلك الفوضى ، وقد يسقط الذاكرون والراقصون والمقيمات لحفلات الزار من دوار قد يؤدي الى انهيار . . البعض يعلل ذلك بالجذب والوجد والهيام ، او بسبب عفريت الزار ، لكن لا العفريت قد دخل او خرج ، ولا الحركة التشنجية لها دخل في ذكر الله ، اذ بذكر الله تطمئن القلوب ، وتخشع العقول ، لا أن تهتز الرءوس والأبدان ببدع ما أنزل الله بها من سلطان ، لكن البعض قد يمتهن موازينه الكامنة في رأسه ، فتمتهنه الموازين ، ليكون ما يكون من خلل قد يؤدي الى مالا تحمد عقباه .

وللحيوانات أيضا موازينها

لكن جهاز التوازن ليس مقصورا فقط على الانسان ، بل ينتشر في معظم مملكة الحيوان ، فما من حية تتلوى ، أو ضفدع يقفز ، أو سمكة تعوم ، أو طائر يطير ، أو قط وكلب وحمار وقرد يسير ، الا ولكل منها جهاز توازن من صنع خبير حكيم ، ليحدد لها وضعها السليم ، ولقد قام العلماء باجراء تجارب كثيرة على بعض هذه الحيوانات وأزالوا منها أجهزة توازنها ، فكانت النتيجة ان فقدت احساسها بالتوازن ، فاذا عامت السمكة بدون جهازها ، لم تستطع ان تحدد فوقا من تحت ، واذا قفز الضفدع ، ترنح ووقع ، واذا سقط القط من مكان مرتفع ، لم يستطع ان يعدل وضعه ، او يحدد اتجاهه اثناء سقوطه ، ليستقبل الارض بوسائد أرجله اللينة ، فمن المعروف ان القط السليم يستخدم جهازَ توازنه في مثل هذه الحالات بكفاءة نادرة ، ومن اجل هذا يقول الناس « ان القط بسبع ارواح » ، وهو قول يحمل بعض بذور الحقيقة ، لأن جهاز التوازن اليقظ مسئول عن « روح » من هذه الأرواح ـ ان صح هذا التعبير !

« وكالاكروبات » او لاعب السيرك يمشي على حبل او سلك ، او يقفز من حلقة الى حلقة برشاقة واقتدار ، أو القرد الذي يقفز بين الاشجار ، او ينطلق فوق الاغصان ، اذ في كل هذه الحركات يلعب جهاز التوازن مع العينين مع العضلات مع التدريب دورا هاما ، ليصبح كل شيء متوازنا ، والا كانت الكارثة .

لكن جهاز التوازن يفقد قدرته عند رواد الفضاء ، والسر في ذلك لا يخفى على لبيب ، لأن الانطلاق من الارض الى الفضاء ، والتجول فيه ـ بعيدا عن الارض أو أي كوكب من الكواكب ـ يلغي الاحساس بالجاذبية ، وجهاز التوازن مصمم بدقة ليتعامل مع جاذبية الأرض ، وكأنما هو « بندول » معلق في رءوسنا ، فيحس بأي انحراف او حركة غير سوية ، فيعدل ما انحرف أو مال ، اى هو بمثابة عجلة قيادة « اوتوماتيكية » ، هدفها دائما توجيهنا لنطيع قوانين الجاذبية . . لا جاذبية ، اذن لا توازن !

لهذا اذا سرت ثابتا ، أو وقفت قائما ، أو جلست معتدلا ، أو نمت مسترخيا ، أو تحكمت في ميل أو انحراف نتيجة لما قد يتسلط عليك من قوى دافعة أو هابطة او صاعدة . . الخ . . الخ ، فاعلم ان من وراء ذلك أجهزة حساسة تتحكم وتوجه وتصحح . . انها حاسة التوازن الغامضة ، لتجعل كل شيء موزونا ، ربما مصداقا للآية الكريمة « والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » . □□

سلامة البشرية

في سلامة البيئة

اعداد : يوسف زعبلاوى

المناخ العالمي

هل مآله الى صقيع أم الى جحيم ؟

أصدرت وكالة حماية البيئة الأمريكية (E. P. A.) تقريراً هاماً عن المناخ العالمي في شهر أكتوبر الماضي . . وقد كانت التنبؤات التي تضمنها هذا التقرير من الخطورة بحيث أثارت الفزع في الكثيرين ، وحملت الكونجرس الأمريكي على تكليف هيئة علمية ذات مكانة رفيعة بتقييم ذلك التقرير . .

ولبت أكاديمية العلوم National Academy of Sciences الأمريكية طلب الكونجرس ، فأجرت الدراسات وتوصلت الى نتائج وتوصيات ضمنتها تقريراً ثانياً يقع في حوالي ٥٠٠ صفحة . . (٤٩٦ صفحة بالتحديد) وقد اعتمدت الأكاديمية في دراساتها هذه أحدث أجهزة الكومبيوتر . . ويمكن القول بأن التقريرين لم يختلفا كثيراً ، أحدهما عن الآخر . . فكلاهما أكد التراكم المتزايد لغاز ثاني أكسيد الكربون في أعالي الجو . . وذلك نتيجة للاستهلاك المتزايد للمحروقات الاحفورية (fossil fuels)[1] فضلاً عن تزايد التحطيب وتقطيع الأشجار وتواري الغابات وزحف الصحاري . .

وكلاهما أكد أيضاً أن الحزام الكثيف الذي بات يلف الكرة الأرضية لفا . (حزام ثاني أكسيد الكربون) . من شأنه أن يعمل على تدفئة الكرة الأرضية ورفع حرارتها . . شأنه في ذلك كشأن بيت النبات الزجاجي . . على أن التقريرين يختلفان في بعض التفاصيل . . .

فتقرير وكالة البيئة يتنبأ بأن الزيادة في ارتفاع الحرارة ستبلغ نحو (٤) درجات فهرنهيت في غضون نصف القرن القادم . . وأن مستوى البحار والمحيطات سيرتفع حوالي قدمين قبل حلول سنة ٢٠٢٥ . . . فيعرض للخطر الكثير من الشواطيء والمدن الساحلية والجزر ، كمدينة شارلزتون في كارولينا الجنوبية ، وجزيرة كياوا الكويتية ـ القريبة منها ـ ويضيف تقرير الوكالة الى ذلك تنبؤه بأن تغييراً جذرياً سيطرأ على معدلات هطول الأمطار . . وعلى المحاصيل الزراعية تبعاً لذلك . . . ويخلص التقرير الأول هذا الى نتيجة قاتمة متشائمة هي أن التغيرات التي تنبأ بها واقعة لا محالة . . ولن يحول دون وقوعها أو يحد منها أي تقنين في استهلاك المحروقات الأحفورية . . أو غير ذلك من الوسائل والاجراءات . .

وتطلّع الناس الى التقرير الثاني ، تقرير أكاديمية العلوم . . بأن كمية غاز ثاني أكسيد الكربون المتراكمة في الجو ستتضاعف ضعفين بعد منتصف القرن الواحد والعشرين . . وأن حرارة المناخ العالمي ستزداد ٧ درجات فهرنهيت . . وأن الكثير من المراعي والأراضي الزراعية ـ لا سيما تلك التي تعتمد على مياه الري ـ ستمنى بالجفاف . . وتتحول الى ما يشبه الصحراء . .

هذا وغاز ثاني أكسيد الكربون الذي لا يرى ، ليس خطيراً بحد ذاته . . بل انه ضرورة حيوية للنباتات الخضراء . . فهو الخامة الأساسية التي تصنع منها (ومن الماء وضوء الشمس) هذه النباتات المواد الغذائية التي لا يستغنى عنها إنسان ولا حيوان . . (الكربوهيدرات) .

ولكن الزائد أخو الناقص . . والمفيد قد يسبب الضرر اذا زاد عن حده . . . وهذا بالضبط هو ما حدث لغاز ثاني

(١) الفحم الحجري ، والبترول ، والغاز الطبيعي .

مثل الكرة الأرضية كمثل بيت نبات زجاجي . .

حزام من غاز ثاني أكسيد الكربون

حزام من غاز ثاني أكسيد الكربون

١ ٢ ٣ ٤ ٥
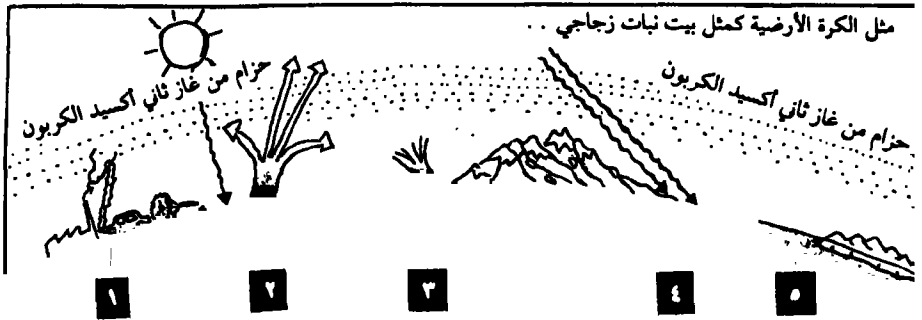
- يتراكم غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو وذلك نتيجة استهلاك المحروقات الاحفورية وقطع الأشجار .
- حزام ثاني أكسيد الكربون يحتجز بعض حرارة الشمس ويمنعها عن الانعكاس من سطح الأرض الى الفضاء .
- يزداد بخار الماء بسبب ارتفاع حرارة الجو . . فيحتجز هذا البخار المزيد من حرارة الشمس المنعكسة .
- ويذوب الثلج والجليد فتتعرى اليابسة وتمتص المزيد من ضوء الشمس وحرارتها وتسبب المزيد من ذوبان الجليد
- وتذوب الجبال الجليدية بسبب الحرارة التي تختزنها المحيطات . . ويؤدي ذوبانها الى ارتفاع سطح تلك المحيطات .

أكسيد الكربون . . فقد تصاعد من المحروقات الاحفورية بكميات تفيض عن حاجة النباتات . . فتراكم في الجو ولف الكرة الأرضية كالحزام الحاجب أو الحاجز . . فهو يحتجز الكثير من الحرارة الشمسية التي طالما عكسها سطح الأرض وردها من حيث أتت ، فانطلقت الى الفضاء الخارجي . . واحتجاز هذه الحرارة وحبسها كفيل بتدفئة الكرة الأرضية ورفع حرارتها . . هذا في الوقت الذي لا يحول فيه الحزام الكربوني الحاجز دون وصول حرارة الشمس الى سطح الأرض أصلاً : فهو يسمح بقدومها ولكنه يحول دون عودتها . . من هنا كان التشبيه ببيت النبات الزجاجي (Green house Effect)

مـاذا . . لـو قـامـت الحـرب النووية . . ! ؟

الحرب النووية واقعة لا محالة . . فهي ان لم تقع تبعاً لهجوم تقوم به الولايات المتحدة . . فستقع نتيجة هجوم يقوم به الاتحاد السوفياتي . . . وقد لا تقع هذه الحرب نتيجة هجوم من الغرب أو الشرق وانما بسبب خطأ قد يرتكبه أحد المسؤولين عن اطلاق الأسلحة النووية في احد المعسكرين عن غير قصد . . واحتمال الخطأ هو الاحتمال الأكثر ترجيحاً ، لأن الدولتين العظمين ستحجمان عن اشعال الحرب النووية لا لسبب الا لأنهما تدركان تماماً انها ستكون مدمرة لكلتيهما معاً وللبشرية بأسرها . . وقد تكون مدمرة أيضاً للكرة الأرضية نفسها . .

ذلك أن الترسانة النووية بلغت من الضخامة ما يبعث على الفزع حقاً . . . فالدولتان العظميان تملكان من القنابل والصواريخ والقذائف ما تبلغ قوته التفجيرية (١٠٠٠ر٠٠٠) مليون ضعف قوة القنبلة التي القيت على هيروشيما سنة ١٩٤٥ . . ولا مبالغة في هذا . . وحسبك ان قذيفة ب ٥٣ (B-53) وهي إحدى القذائف النووية التي تمتلكها الولايات المتحدة ، بل قل : أكبر تلك القذائف وأقواها تفجيراً تبلغ أبعادها كما يلي :

طولها ١٢ قدماً .

وزنها ٤ أطنان .

قوتها التفجيرية = ٩ ملايين طن TNT= ١٠٠٠ ضعف قوة قنبلة هيروشيما .

والأسوأ من ذلك كله هو أن الترسانة النووية آخذة في التزايد والتعاظم بصورة مذهلة . .

فالولايات المتحدة وحدها تصنع ثماني قنابل نووية كل يوم ، من هنا كانت مفاوضات جنيف للحد من الأسلحة النووية مدعاة للسخرية ، فهي لا تنشد سوى التخفيف أو الحد من تكاثر هذه الأسلحة . . ومثلها كمثل الواعظ

الغبار النووي يغطي نصف الكرة الشمالي اثر الانفجار النووي (١)
ثم ينتشر الغبار (٢) حتى تدخل الأرض عصرها الجليدي الجديد (٣)

الذي يحاول اقناع شخص قرر الانتحار بألا يلقي نفسه من الدور الستين، من إحدى ناطحات السحاب، وانما من الدور الخمسين فحسب.. وكأن موته في الحالة الثانية يكون أخف وطأة من موته في الحالة الأولى..

لا عجب اذن ان هب البيئيون في كل مكان، وخاصة في أوروبا وأمريكا واليابان، بحملات ومظاهرات حاشدة لم يسبق لها مثيل.. يطالبون الدول جميعاً بالقضاء على الأسلحة النووية، لا بمجرد الحد من تزايدها. ولا غرابة أن كثرت في المدة الأخيرة الكتب والمؤتمرات العلمية التي تركز على الحرب النووية وعواقبها.

من ذلك ما أكده كبار العلماء الذين اجتمعوا في واشنطن في أواخر أكتوبر الماضي من أن تفجير نصف ما تملكه الدولتان العظميان ـ نقول النصف فقط! ـ كفيل بتوليد سحابة من الغبار الذري والدخان والسخام أو الشحار (Soot) تغطي سطح الكرة الأرضية، وتحجب الشمس عنها.. فيحل الصقيع أو ما سموه بالشتاء النووي.. ومن شأن هذا الانقلاب في المناخ العالمي أن يهدد الحياة البشرية وغير البشرية..

ومن تلك الدراسات أيضاً تلك التي أجراها فريق من العلماء برئاسة كارل ساجان **Carl Sagan**، عالم الفيزياء الفلكية المعروف.. وذلك على أسس التناظر **Simulation** في الرياضيات العليا.. ودلت تلك الدراسات على أن السحابة التي يمكن ان تحدثها الحرب النووية ستبلغ من السمك والكثافة ما يجعلها تحجب ٩٠٪ من ضوء الشمس، عن نصف الكرة الشمالي، وذلك طوال شهر كامل! ودلت هذه الدراسة أيضاً على أن سطح الأرض سيبرد في النصف الأول من ذلك الشهر حتى تبلغ حرارته ١٣ درجة فهرنهيت! ويستمر هذا الصقيع بضعة شهور، وقد تصل السحابة الذرية الى نصف الكرة الجنوبي أيضاً.. وذلك في غضون أسابيع قليلة. ويترتب على هذا وذاك اختلال كبير في مدى ضوء النهار.. وفي درجات الحرارة.. وقد يطول أمد هذا الاختلال سنة كاملة..

ولا يخفى ان الصقيع المذكور من شأنه ان يقضي على المزروعات ومحاصيلها، إن لم نقل على الحياة النباتية كلها.. ويصدق هذا بخاصة في حالة وقوع الحرب النووية المرتقبة في فصل الربيع أو الصيف.

وقد يترتب على الصقيع النووي تجمد الماء العذب في كافة مصادره.. فتعطش الحيوانات وتنفق.. وقد يؤدي الى عرقلة التمثيل الضوئي في النباتات.. فيتعطل انتاج المواد الكيماوية الضرورية للغذاء أو البقاء على قيد الحياة.

هذا الى جانب التلف الكبير الذي ستحدثه السحابة النووية في البحار وأحيائها... واليابسة وحيواناتها..

وتجدر الاشارة الى ان فلماً تلفازياً يمثل الحرب النووية وعواقبها عرض في الولايات المتحدة ودول أوروبية

مختلفة . . . وقد أحدث هذا الفلم واسمه « في اليوم التالي » (The Day After) فزعاً بالغاً في نفوس الذين شاهدوه . .

عصر الطاقة الشمسية . .
بات قريباً جداً . . !

من المعروف أن المحروقات الاحفورية Fossil Fuels (الفحم الحجري والبترول والغاز الطبيعي) هي مصدر تلوث البيئة . . أكثرها ان لم نقل كلها . . ومن المعروف أيضاً ان الطاقة الشمسية كفيلة بحماية البيئة من كل تلوث . . فيما لو أمكن الاعتماد عليها بدلاً من تلك المحروقات . . وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن هذا الاعتماد متيسر تكنولوجياً ، ولكنه متعذر اقتصادياً . . . . ومعنى هذا ان العقبة الوحيدة التي حالت دون حلول الطاقة الشمسية محل الطاقة الأحفورية هي عقبة التكاليف . . تكاليف تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية . . وكذلك تكاليف تجميع تلك الطاقة وخزنها . . . لاستعمالها حين الحاجة .

والظاهر ان التكنولوجيا الحديثة قطعت شوطاً كبيراً في هذا الصدد ، وان المستقبل غير البعيد كفيل بحصولنا على الطاقة الشمسية بكلفة زهيدة ـ نسبياً ـ وباستعمالنا هذه الطاقة النظيفة على نطاق واسع . . لما فيه خيرنا وخير الأجيال اللاحقة . . .

ونحصر حديثنا هنا بالخلايا (أو البطاريات) الشمسية (Photovoltaic cells) وهي التي تحول ضوء الشمس الى كهرباء بطبيعتها على نحو مباشر فوري . . فاننا لا نحتاج الى أكثر من تعريض المادة المعنية أو الخلية لضوء الشمس لنحصل على النور الكهربائي منها حالاً ودون عناء . . وفاعلية هذه الخلايا ثابتة ومؤكدة وقد استعملت على نطاق واسع في الأقمار الصناعية منذ الستينيات واثبتت قدرتها على تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية ، وقدرتها على الصمود وعدم التلف طوال السنوات الماضية . . الا أن كلفتها الباهظة هي التي حالت دون إنتاجها على نطاق تجاري ، واستعمالها بدلاً من الطاقة الاحفورية أو الذرية . . .

لقد بلغت تكاليف توليد شمعة كهربائية واحدة (Watt) بواسطة الخلايا الشمسية ـ ٤٠٠ جنيه استرليني . . . في الوقت الذي لم تزد فيه تكلفة انتاج تلك الشمعة بواسطة المولدات الكهربائية التقليدية على ربع جنيه استرليني (٢٥ قرشاً) . .

ومضت الأيام واذا بهذه التكلفة الأخيرة ترتفع . . بينما التكلفة الأولى . . تكلفة تحويل الطاقة الشمسية الى كهرباء ، تنخفض .

واستمر هذا الانخفاض حتى بلغت كلفة الشمعة الواحدة ٧١ جنيهاً استرلينياً في مطلع السبعينيات . . ثم تدنى الى ٢٠ جنيهاً سنة ١٩٨٠ . . وهبط الى ٨ جنيهات سنة ١٩٨٢ و ٥و٤ جنيه في السنة الماضية ، سنة ١٩٨٣ . . أما تكلفة الشمعة الكهربائية التقليدية فقد ارتفع (في بريطانيا وغيرها) حتى بلغ ٥,١ جنيه . . . ومع ان الفارق كبير بين الكلفتين (ثلاثة أضعاف) فقد انتشرت الخلايا الشمسية بكثرة حتى بيع منها في السنة الماضية وحدها ما بلغت حصيلته ١٨ ميجاواط ، أي أربعة أضعاف ما كانت عليه سنة ١٩٨١ و ١٠٠٠ ضعف لما كانت عليه سنة ١٩٧٣ .

وتتجه الأنظار حالياً الى جيل جديد من الخلايا الشمسية ، نجحوا في تطويره حديثاً . . ومن شأن هذه الخلية الجديدة ان تخفض كلفة الشمعة الكهربائية الشمسية الى جنيه استرليني واحد قبل حلول سنة ١٩٩٠ . وعندئذ تصبح الطاقة الشمسية ذات جدوى اقتصادية ، وتصبح منافستها لمصادر الطاقة التقليدية ـ الأحفورية وغيرها ـ منافسة فعالة تكفل للطاقة الشمسية الانتشار . . ولمصادر الطاقة الأخرى التقلص والاندحار . .

مجموعة من الخلايا الشمسية Photovoltaic Cells ضمن غلاف بلاستيكي

جامعة القاهرة ورحلة كفاح عمرها ٧٥ سنة

• شهدت قاعات الجامعة ارهاصات الحركة الوطنية .

الفتيات فى مقدمة موكب الشهيد عمر شاهين الذى حمل السلاح مكافحا ضد الانجليز .

استطلاع : مصطفى نبيل

تصوير : شوقي مصطفى

جامعة القاهرة القلب النابض خلال ٧٥ سنة .

طالبات كلية الزراعة
وسط الحقول .

الحرم الجامعى القبة
والساعة .. رمزان
للكفاح .

قاعة المحاضرات
والتطلع الى المستقبل .
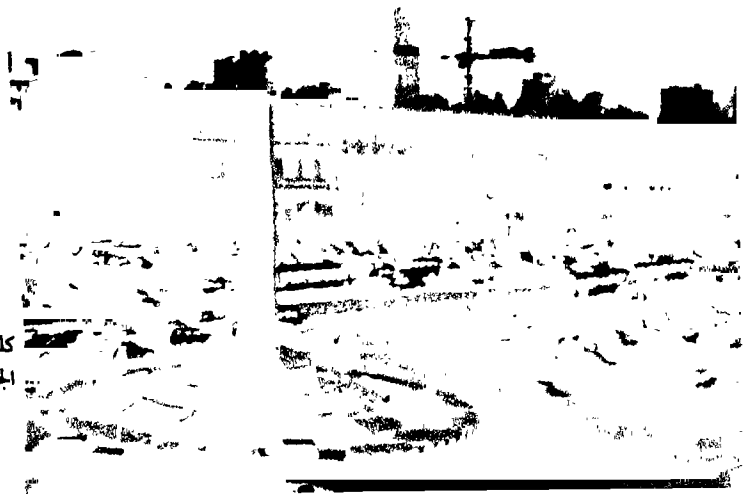
كلية الهندسة وميدان
الجامعة .

□ هذه قصة أول جامعة قامت في الوطن العربي ، انها احدى ثمرات الكفاح بين جيل الرواد وبين المستعمر . انها قصة غير عادية نسوقها بمناسبة احتفال جامعة القاهرة بعيدها الماسي ، وعندما تشاهد الجامعات منتشرة على طول الوطن العربي ، وعندما ترى المرأة تقبل على التعليم ، فلا بد أن تستوقفك قصة الكفاح الطويل . .

كانت بداية الرحلة منذ خمسة وسبعين عاما ، عندما قامت الجامعة الاهلية في القاهرة ، أقامها شعب مصر رغم أنف المستعمر ، اليوم نتوقف متأملين نقطة البداية التي حولت العديد من الظواهر التي لم تكن مألوفة الى مجرد أمور طبيعية لعل أبرزها اقتحام المرأة مجال التعليم والعمل .

نصل الى جامعة القاهرة عبر جسر الجامعة ، ومن أعلى نقطة فوق الجسر ، ترى مبنى الجامعة بجلاله ووقاره ، ترى القبة تحتضن المباني المنتشرة من حولها ، ومن هنا تشاهد مشهدا بانوراميا لعميدة الجامعات الحديثة في الوطن العربي ، يطالعك تمثال نهضة مصر ، وصور تزين المكان تضم الزعيم أحمد عرابي ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول ، لعلها وضعت في مكانها بمناسبة الاحتفال بالعيد الماسي للجامعة ، ان المبنى الرئيسي للجامعة يعتبر من المباني النادرة التي تحيط بها الخضرة من كل مكان ، رغم تقلص هذا اللون الاخضر في كل أنحاء العاصمة ، حديقة الاورمان الى يمينك ، وحديقة الحيوان الى يسارك ، وخلف مبنى الجامعة بساتين كلية الزراعة .

وتقترب من الجامعة فتسمع دقات الساعة من برجها الشهير ، وكأنها تذكرك بما لا يجب أن يضيع من الوقت ، وتتوالى في خاطري الصور التاريخية التي تختلط بوجوه الشباب الغض الذي أراه أمامي ، وأسترجع البداية ، أنا لم أعشها ولكنها تعيش هي في صدري ، وفي صدر كل شاب تلقى العلم في رحابها .

قامت الجامعة الأهلية بمبادرات من الرأي العام ، وكان عدد طلابها لا يتجاوز ١٢٠ طالبا ، وتمضي الاعوام . . ثلاثة أرباع قرن من الزمان ، ويصل عدد الذين تخرجوا من هذه الجامعة الى أكثر من مليون ، منهم ١٠٦ ألف و ٤٨٢ دارسا حصلوا على درجات عليا .

كانت البداية تقتصر على تدريس العلوم الانسانية ، ثم ضمت اليها أربع مدارس عليا ، واليوم أصبحت تضم ٢١ كلية ، ينتمي طلابها الى كل الأقطار العربية . . وإقامة الجامعة مثل كل الاعمال العظيمة نتاج مخاض طويل ، ومعركة قاسية ضد السيطرة الأجنبية ، مرت بمراحل متعددة حتى خرجت أخيرا الى النور ، فارتبطت قصتها بكفاح قادة الحركة الوطنية ، ورموز الاصلاح في مصر الحديثة . .

بعد هزيمة الثورة العرابية ودخول الاحتلال البريطاني الى مصر في يوليو عام ١٨٨٢ ، خيم على البلاد اليأس الذي أدى الى فتور الهمة ، ولكن سرعان ما أخذ الشعب يتلفت حوله متسائلا عن أسباب الهزيمة ويبحث عن وسائل قهرها .

وأدرك أن المعارف الحديثة التي تخلفت طويلا في الشرق يكمن فيها أهم أسباب الهزيمة ، وعم اليقين أن أولى الخطوات التي ينبغي اتخاذها لمواجهة المحتل تكمن في التعليم الحديث ، ولم تكن بعيدة ـ زمنيا ـ تجربة محمد علي التي وأدتها الدول الكبرى ، بعد أن أقام المدارس ، وأرسل البعثات الى كل من فرنسا وبريطانيا ، وأقام الترسانة الحربية والجيش الحديث ، وتنامت هذه التجربة حتى فرضت عليها هذه الدول بعد موقعة « نفارين » فك الترسانة الصناعية ،

فتيات الجامعة فى صدام مع البوليس (من الأرشيف) . .

الطلبة والطالبات فى المعامل .. على العلوم الحديثة يقوم المستقبل .

تمثال شهداء الجامعة فداء للوطن . (الى اليمين)

مبنى الجامعة المصرية القديم وهو مبنى الجامعة الامريكية الآن

والاستغناء عن معظم أفراد الجيش ، ورغم ذلك لم تنقطع محاولة تحصيل العلوم الحديثة ، وشهد التعليم بعض الازدهار أيام اسماعيل الذي أعلن أن هدفه « تحويل مصر الى قطعة من أوروبا . . . » ، والذي استفاد من خبرة المبعوثين وعلى رأسهم رفاعة رافع الطهطاوي في إقامة المدارس العليا ، فكان في مصر قبل الاحتلال البريطاني ، مدرسة للطب وأخرى للحقوق ومدرسة المهندسين ، ثم أضيف اليها فيما بعد مدرسة للزراعة العليا . .

لم يكن التعليم الحديث بعيدا ، بل وأكثر من ذلك فقد عرف الشرق الحياة الجامعية قبل الغرب بأكثر من قرنين من الزمان ، الجامعة الازهرية في القاهرة أسست في القرن العاشر الميلادي ، وأيضا جامع القرويين في فاس ، وجامع الزيتونة في تونس ، والمدرسة النظامية والنجف الاشرف في العراق . .

ولم تظهر الجامعات في أوروبا إلا في القرن الثاني عشر . .

ولكن التعليم في هذه الجامعات العربية العريقة استبعد علوم العصر ، واقتصر على علوم اللغة والدين ، وفقد الأزهر وظيفته بالتدريج كمؤسسة علمية ، واقتصر دوره على اعداد الوعاظ ، وقد تلقى الأزهر ضربتين موجعتين ، أولاهما عند إنشاء دار العلوم التي يدرس بها فقة اللغة العربية الذي كان يؤديه تاريخيا الازهر الشريف ، والضربة الثانية عندما أقيمت مدرسة القضاء العالي التي جاءت بعد سيادة القانون المدني الفرنسي ، لتنتزع من الازهر وظيفته التشريعية . .

والذي يقرأ كتاب « الأيام » لطه حسين أو كتاب « حياتي » لأحمد أمين يدرك جحيم الأزمة التي كان يعاني منها الازهر الشريف ، فبعد أن أصبح دوره هامشيا في شؤون الحياة ، انعكس ذلك على أساليب التدريس ، ورفض شيوخه لكل ما يدور من حولهم . . !

وشاهد المثقفون وقادة الرأي خطة الاحتلال البريطاني ، وسياسته التعليمية التي تهدف الى

الامير أحمد فؤاد ومجلس ادارة الجامعة عام ١٩٠٨ ، وفي الصورة يعقوب آرتين وكيل نظارة المعارف ، وعبد الخالق ثروت النائب العام ، وحسن باشا سعيد ، وماسبيرو مدير المتحف المصري .

جعل التعليم يقتصر على تدريب المصريين على الوظائف الحكومية ، وأحكم اللورد كرومر ومن بعده دنلوب وضع خطة تستهدف استبعاد كل العناصر القومية ، ويروي المؤرخ عبدالرحمن الرافعي في كتابه « مصطفى كامل » أن هذا الزعيم الوطني انتقد في مجلس شورى القوانين في ديسمبر عام ١٨٩٤ استبعاد التاريخ القومي من مناهج الدراسة ، وكان في مصر قبل الاحتلال أعداد كبيرة من المدارس الحديثة ، التي يقوم فيها التعليم على قاعدة راسخة ، وهي المجانية التي بدأها محمد علي ، فألغت سلطات الاحتلال المجانية ، وجعلت التعليم بمصروفات باهظة ، وحلت اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فيما تبقى من المدارس ، وتلاشت البعثات التعليمية الى أوروبا ، وانتشرت مدارس الارساليات التبشيرية*.

وشجعت السياسة البريطانية الكتاتيب الاهلية مع تحويلها من ديوان الأوقاف الى ديوان المدارس ، وأما بالنسبة للمدارس العليا ، فقد كان فيها قبل الاحتلال ألفا طالب ، فأصبح العدد ٤٥٠ طالبا عام ١٩١٤ ، وكان في مدرسة الطب وحدها مائتا طالب ، ولم يعد بها سنة ١٨٩٨ سوى عشرة طلاب . . !

الصيحة الأولى

وفي ظل تلك الظروف نشرت مجلة الهلال الشهرية الثقافية أول مقال ينادي بإقامة جامعة في أول فبراير عام ١٩٠٠ بعنوان « مدرسة كلية هي حاجتنا الكبرى » ، واقترحت المجلة إنشاء كلية لتثقيف الشباب في بلادهم ، بدلا من ارسالهم الى أوروبا ، وقدمت اقتراحا محددا بتكوين لجنة برئاسة أحد قادة الأمة للسعي في الاكتتاب ، حتى يرى مشروع الجامعة النور . . .

وبادر الزعيم مصطفى كامل الذي كان يرى

* للاستزادة ، يرجع الى كتاب الدكتور عبدالمنعم الجميعي - الجامعة المصرية والمجتمع .

قاعات الدرس .. مصنع رجـ
ونساء المستقبل (الى أعلى)

المكتبة وأجهزة حديثة للمكفوفيز
(الى أقصى اليمين)

فى كليـة العلوم .. متحف يجـ
عـظام وجماجم الانسـان والحيواز
وهو أحد المتاحف النادرة فى الـو
العربى . (الى اليمين)

أول بعثة من الأطفال تسافر الى فرنسا ، ولم يعد من البعثة أحد .. لقد فشلت التجربة .

أحمد لطفي السيد .

أن مهمته الأولى قهر اليأس الذي أصاب الأمة ، فأخذ يفتح آفاقا جديدة للمستقبل ، ويدعو الى فكرة الجامعة على صفحات جريدته اللواء ، وأطلق صيحته في ٢٦ أكتوبر عام ١٩٠٤ ، « آن الأوان أن يفكر قادة الأمة في عمل جديد ، الأمة في أشد الحاجة اليه وهو إنشاء جامعة للأمة بأموال الأمة ... » .

ومنذ هذا الوقت أخذ على عاتقه الدعوة لمشروع الجامعة ، وتنقل « جوليت آدم » في كتابها « انجلترا في مصر » احدى رسائل مصطفى كامل الى محمد فريد في ٢٤ سبتمبر عام ١٩٠٦ يقول له فيها : « خير هدية أقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز ، وللأمة المحبوبة ، هي أن تقوم اللجنة التي ألفت بدعوة الأمة كلها ، وطرق باب كل مصري لتأسيس جامعة أهلية تجمع أبناء الفقراء والأغنياء على السواء ، وتهب الوطن الرجال الأشداء ، الذين يزيدون عدد خدامها الصادقين ، ممن لا يخشون في الحق لوما ولا عقابا ، ويعملون لمداواة داء الأمة وجمع أمرها ، وبث روح الوطنية العالية في نفوس أبنائها ، لأن كل مليم يزيد عن حاجة المصري ثم لا ينفق في سبيل التعليم ، هو لا محالة بائد ، والامة محرومة منه بغير حق . ! »

« فلتنس الأحزاب انقساماتها ، ولينس الصحفيون خصوماتهم ، ولنلق بالأحقاد - ولو يوما واحدا ! - في هوة لا يسمع فيها لغو ولا تأثيم ، ولتجتمع الأمة لاتمام هذا العمل ، وتحقيق مشروع فيه الخير كل الخير والنفع العميم .

وليذكر الذاكرون أن بين أبناء الفقراء الذين أوصد الاحتلال في وجوههم أبواب العلم والنور ، ر.وسا لو تحلت بالعرفان لكانت فخار مصر الى أبد الزمان .. »

وقامت اللجنة بجمع الاكتتاب من أجل الجامعة ، وقد بلغ حوالي ثمانية آلاف جنيه ، وعاد الموضوع ليتعثر أمام الفكرة التي تبنتها السياسة البريطانية ، التي تدعو الى إقامة الكتاتيب بدلا من الجامعة ، وشهدت هذه الفترة ترويج كرومر لفكرة « نفع » الكتاتيب بدلا من بناء الجامعة .

ويمكن أن نلمس قصة أول جامعة عربية والصراع السياسي الذي دار حولها من خلال ما نشرته الصحف في تلك الايام ، وقد دخلت طرفا فيها الصحف البريطانية ذاتها ، تقول صحيفة المؤيد : « ان الانجليز يرغبون في حصر التعليم الراقي في دائرة ضيقة جدا ، لا يراد منها غير اعداد موظفين « ميري » أي حكوميين لخدمة رؤسائهم الانجليز » وقالت صحيفة الاجبشيان جازيت التي أسسها الانجليز : « ان محاولة المصريين إنشاء جامعة ليست سوى محاولة

لقطة لطلبة الجامعة عام ١٩٥١ مع بدء الكفاح المسلح فوق كوبرى عباس الشهير .

مصطفى كامل الغمراوى . .
كان التعليم والجامعة رسالة عمره .

صبيانية لمجموعة من الشبان الذين يزعمون أن التربية التي تلقوها لا تناسب عقولهم الواسعة ، وأفكارهم الكبيرة ، ولذلك يريدون أن يتخذوا من الجامعة وسيلة لاستقلالهم ، ولكنهم مثل الرجل الذي يريد اتخاذ غانية ! . » أما صحيفة التايمز البريطانية فقد كتبت كلمات لا ينقصها الصراحة قائلة : « يمكن أن تتحول الجامعة المصرية من مشروع تعليمي الى مشروع سياسي » وأما صحيفة جلوب فقد نشرت تقريرا في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٠٦ قالت فيه : « يكفي أن مصطفى كامل الذي يقف على رأس المهيجين هو ذاته الذي يحاول اقناع المصريين بالمشروع ، واذا لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة ، فان الجامعة ستصبح تابعة لحزب مصطفى كامل وهذا أمر يحمل معه دلالات خطيرة » . !

النهضة الوطنية

وبدأت فكرة انشاء الجامعة تجتذب عددا من قادة الرأي ، مثل الشيخ محمد عبده ، وعرض أحمد منشاوي باشا أرضا يملكها في باسوس وأعلن استعداده لاقامتها من ماله الخاص ، ولكن ما لبث أن توفي الشيخ وتوفي الباشا ، وكانت وفاتها نهاية للفكرة قبل أن تولد .

واذا كان الانجليز يفخرون بأن أغنياءهم يقيمون المتاحف وينفقون بسخاء على الفنون . واذا كان الأثرياء من الاميريكان يرصدون جزء من أموالهم على معاهد الابحاث المختلفة وأعمال الخير ، ففي مطلع هذا القرن كان الأعيان أ الأثرياء في مصر يقدمون أموالهم وأراضيهم م أجل التعليم ، واستجابة لنداء قادة الفكر أ المجتمع . .

وقد ظهر أحد أعيان بني سويف وهو مصطف كامل الغمراوي ، وأعلن تبرعه بمبلغ خمسما جنيه لمشروع الجامعة ، ونشر نداء في جمي الصحف داعيا للمساهمة في إنشائها ، يقو

الميكروسكوب ومستقبل العلوم . . من خلاله يرى الطلبة اسرار الحياة .

مبنى الجامعة وحديقتها ، من الأماكن القليلة التى ما زالت تحافظ على بقية من مجدها القديم . (الى اليسار)

المكتبة العامة فى الجامعة ثانى اكبر واقدم مكتبة فى مصر .
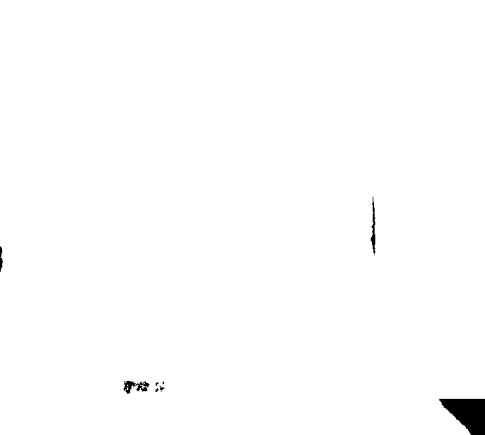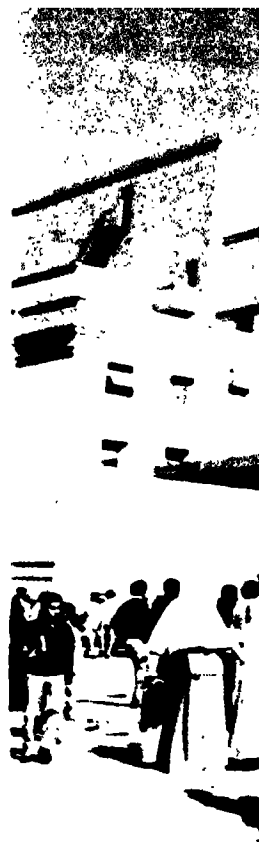
▲ فى الحرم الجامعى .. مجموعات من الطلبة والطالبات أمام مكتبات بيع الملازم والكتب . (الى أعلى)

◀ فوق مقدمة سيارة بالحرم الجامعى ، بعض الطلبة والطالبات يراجعون الدروس بين المحاضرات . (الى اليمين)

أمام قبة الجامعة .. نحن نستعد للتخرج .. لم يبق من الزمن سوى أسابيع قليلة .. (الى اليسار)

شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة ، بل يلزم شبابنا الذين يجدون في أوقاتهم سعة ، وفي نفوسهم استعدادا ، أن يصعدوا بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الأمم . . » .

وحين علم مصطفى كامل باعلان تشكيل لجنة تأسيس الجامعة ؛ أرسل من أوروبا يحتج على سعد زغلول وقاسم أمين ، فانه سبقهم الى الفكرة ، ويجب أن يكون تنفيذها تحت رعايته ، ولم يستمر سعد طويلا في رئاسة اللجنة ، اذ عين وزيرا للمعارف في ٢٨ أكتوبر ١٩٠٦ ، وتمكّن من تقديم مساهماته من خلال موقعه الجديد . .

وكانت أعمال هذه اللجنة محل اهتمام الشعراء ، وقد ألقى حافظ ابراهيم قصيدة قال فيها :

فما لكم أيها الأقوام جامعة
الا بجامعة موصولة السبب
قد قام (سعد) بهاحينا وأسلمها
الى (أمين) فلم يحجم ولم يهب
فعاونوه يعاونكم على عمل
فيه الفخار وما ترجون من أرب

ورأى مشروع الجامعة الأهلية النور على أيدي هذه اللجنة ، والتي تولى رئاستها الأمير أحمد فؤاد ، وتم افتتاحها يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٠٨ بمقرها في قصر جناكليس وهو ذات المبنى الذي تشغله الجامعة الأمريكية حاليا ، ومنه انتقلت الى سراي محمد صدقي بميدان الأزهار في شارع الفلكي .

أميرة مصرية ويوم عظيم

وفي قصة اقامة الجامعة صفحة مشرقة لدور أميرة مصرية قدمت كل ما تملك للجامعة عندما واجهت الجامعة ندرة في مواردها ، فتقدمت الاميرة فاطمة الزهراء ابنة الخديوي اسماعيل ، ووهبت الجامعة قطعة أرض مساحتها ستة أفدنة ووقفت للانفاق عليها ٦٦١ فدانا ، بالاضافة الى تقديم كل ما لديها من جواهر وحلي ، لكي يقام بثمنها مبنى الجامعة . . .

واستبدلت الحكومة بالأرض التي قدمتها الأميرة أخرى في منطقة الاورمان ، التي يقوم عليها مبنى الجامعة الحالي . .

واذا رجعنا الى ما نشر في الصحف عند افتتاح الجامعة ، وجدنا صحيفة الاهرام تنشر في ١٨ ابريل عام ١٩٠٨ وصفا ليوم الافتتاح باعتباره أحد الأيام المشهودة ، وكتبت تحت عنوان « في سبيل الجامعة » قالت : « كان اليوم الذي اجتمع فيه المتبرعون هو يوم الجامعة العظيم ، بل فاتحة عصر جديد لهذا المعهد الذي تتوق اليه الأمة بكل جوارحها ، وتذكر زيارة أعضاء مجلس الادارة لحسن بك زايد الذي تبرع للجامعة بخمسين فدانا . . » كما نشرت الأهرام مقتطفات من خطاب قاسم بك أمين في حفل الافتتاح ، ودأبت الأهرام بعد ذلك على نشر ملخصات دروس بعض أساتذة الجامعة في افتتاحياتها .

في البداية اقتصرت الدراسة في الجامعة على العلوم الانسانية ، واعتمدت على الاستاذ المحاضر ، وكان الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة يلقي بها محاضرات في الفروسية والرماية ، وكانت أول محاضرة هي التي القاها أحمد بك زكي في « الحضارة الاسلامية » ، كما استعانت الجامعة بعدد من المستشرقين ، ومن ناحية أخرى ارسلت عند افتتاحها أحد عشر طالبا الى جامعات لندن وباريس وليون ، وأوفدت بعد ذلك بعثات من الأطفال للتعلم في كل من ألمانيا وفرنسا ، على أمل أن يعودوا للتدريس في الجامعة ، ولكن التجربة فشلت فشلا ذريعا .

وكان ممكنا في تلك الأيام الحصول على الدكتورية بدون الحصول على شهادة جامعية ، وكانت أول رسالة دكتورية هي التي تقدم بها الشيخ طه حسين عن حياة ابي العلاء المعري ، وحصل على مكافأة قدرها عشرون جنيها ، وحصل طه حسين على الدكتورية قبل حصوله على الليسانس . . .

وكانت الجامعة تفتح أبوابها للفقراء من غير القادرين ، وكانت المجانية أحد مقوماتها الرئيسية ، وهكذا كان التعليم دائما في الشرق . !

استقلال الجامعة

وكانت الجامعة ابنة الفلسفة الليبرالية التي سادت عند إنشائها ، وكان خير من عبر عنها أحمد لطفي السيد ، وكان يرى أن : « ترفع

أسرى معركة التل الكبير عند عودتهم من الأسر .

الحكومة » يدها عن التعليم ، وأن تنزل عنه الى للأمة ، « لأن التعليم الحر أنفع كثيرا من التعليم الحكومى » وأنه « اذا تولت الحكومة أمر التعليم فسوف تصبغه بسياستها ، ودخول السياسة في التعليم من شأنه أن يجعل الطالب يكبر وهو طفل » لأن « العلم لا يرقى تحت ضغط السياسة » .

وقد صرح رئيس الجامعة الأمير أحمد فؤاد . « بأنه من يوم تولى رئاسة الجامعة وهي جامعة وطنية حرة ، وليست تحت رعاية الحكومة أو تدخلها في شيء . . . »

كما ارتبطت فكرة إنشاء الجامعة بمرتكزات رئيسية ، هي الاستقلال والعلمانية ، وتقديم المعرفة للجميع مهما اختلفت دياناتهم أو جنسياتهم أو حالتهم المالية ، كما شهد التعليم تطورا هاما لم تعرفه المدارس العليا ، وذلك عندما فتحت الجامعة أبوابها للفتيات ، وخصصت ابتداء من عام ١٩٠٩ محاضرات خاصة بالسيدات ، واضطر هذا القسم للتوقف لعدم الاقبال عليه في السنة الدراسية ١٩١٢ - ١٩١٣ .

وقد استمرت الجامعة مستقلة عن الحكومة معتمدة على مواردها الخاصة حتى ١٩ مايو ١٩٢٥ ، بعد أن عانت من الأزمات المالية المتكررة ، خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها ، مما اضطرها الى اعادة مبعوثيها ، وخضعت في هذا التاريخ للاشراف الحكومي عليها ، الا أنها حافظت على استقلالها وشخصيتها المعنوية ، وتحكي صفحات تاريخها مواقف العديد من رجالها في تمسكهم باستقلالها وبالنهج الذي أقيمت على أساسه ، كما ضمت اليها المدارس العليا بعد خضوعها للاشراف الحكومي ، وكتب لطفي السيد في مذكراته عن استمرار قبول الطالبات : « لا أخفي أننا قبلنا الطالبات أعضاء في الأسرة الجامعية ، في غفلة من الذين من شأنهم أن ينكروا علينا الاختلاط باخوانهن في الدرس . . » .

وفي عام ١٩٣٣ تخرجت أول دفعة من طالبات الجامعة المصرية ، وكانت تتكون من نعيمة الأيوبي من كلية الحقوق ، وسهير القلماوي ، وفاطمة سالم وفاطمة خليل من كلية الآداب . .

الجامعة والحركة الوطنية

شاهدنا كيف قامت فكرة الجامعة في أحضان الحركة الوطنية ، وكانت من أهم منجزاتها ، وعادت الجامعة بدورها لتقدم لمصر والوطن العربي جيلا من الرواد العمالقة ، الذين رفعوا مشاعل الحركة الفكرية والثقافية والادبية والعلمية ، وحملوا عبء التطور الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع . .

ومن جانب آخر أمدت الجامعة الحركة الوطنية على الدوام بالقادة من أجل تحقيق الاستقلال ، ويكفي أن نعرف أن فكرة تكوين الوفد المصري الذي قام بدور بارز في تحقيق الاستقلال نبتت في أحد اجتماعات مجلس ادارة الجامعة الأهلية ، ويذكر محمد علي علوبة في مذكراته أنه بعد انتهاء اجتماع مجلس ادارة الجامعة المصرية ، هَمَّ الأعضاء بالخروج ، وهنا استوقف محمد محمود باشا زملاءه أعضاء المجلس ، وكانوا : سعد زغلول ، وأحمد لطفي السيد ، وعبدالعزيز فهمي وغيرهم ، استوقفهم عند الباب معترضا بعصاه ، قائلا : « اننا لن نمشي حتى نقرر نهائيا تكوين وفد للسفر الى اوروبا للدفاع عن القضية المصرية » . وكانت هذه بداية صفحة مشرقة في النضال من أجل الاستقلال .

وتقوم ثورة ١٩١٩ ، وتدور الأيام ، وتستمر الجامعة تقدم الوقود للحركة الوطنية ، بل لا يمر حدث وطني الا وتلعب الجامعة فيه دورا رئيسيا ، ونتوقف قليلا لنستعرض بعض هذه الأحداث ، على فترات مختلفة . .

بعد الحرب العالمية الثانية ، بدأت مرحلة مواتية للعمل الوطني ، عندما رفعت الرقابة عن الصحف في يونيو عام ١٩٤٥ ، وبرزت من جديد المسألة الوطنية كرد فعل للكبت الطويل خلال أيام الحرب وتراكم الشعور بالتنازل الذي قدمته البلاد بعقد معاهدة ١٩٣٦ ، كما كان المناخ الدولي مناخا تتطلع فيه الشعوب الى بناء عالم جديد تسود فيه العدالة والمساواة . .

وبدأ التحرك من الجامعة المصرية ، وعقد الطلبة الاجتماعات المتواصلة لتنظيم صفوفهم ، وبرمجة عملهم استعدادا لموجة جديدة من الجهاد الوطني ، وكانت اجتماعاتهم تعقد في كلية الطب جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) ، وكانت تجربة ثورة ١٩١٩ ماثلة أمامهم عندما شكل الأهالي « لجانا ثورية » ، فاتفقوا على تكوين اللجان الوطنية لقيادة الحركة الوطنية في مرحلتها الجديدة . وأعلنوا تشكيل اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة ووضعوا برنامجا من ثلاث نقاط :

١ ـ لا يقتصر الكفاح على مقاومة الاحتلال العسكري ، ولكن من الضروري أن يمتد الى رفض السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية .

٢ ـ ضرورة القضاء على عملاء الاستعمار المحليين .

٣ ـ الوحدة الوطنية هي طريق المقاومة ، ولابد من اتحاد كل القوى المعارضة للاحتلال في جبهة واحدة . ورفع شعار : « المفاوضات مع المستعمر على حقوق الوطن خيانة* . . » .

اتحاد الطلبة والعمال

وكانت هذه اللجان اشارة البدء لحركة شابة نفثت دماء جديدة في الحياة السياسية ، وقامت هذه الحركة يوم ٩ فبراير ١٩٤٦ بمظاهرة وصفت بأنها أضخم مظاهرة قامت منذ الحرب العالمية الثانية ، وتوجهت من الجامعة الى ميدان الجيزة ثم الى كوبري عباس ، وما ان توسطته حتى حوصرت من جانب الكوبري ، وفتح الكوبري وبدأ الاعتداء على الطلبة ، فسقط البعض في النيل ، وجرح أكثر من مائتي طالب ، وكان الهدف منع المتظاهرين من الوصول الى قلب القاهرة ، وأدت أحداث هذا اليوم الى سقوط الوزارة . .

وكانت الخطوة التالية لقاء بين الطلبة والعمال ، وتكوين « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » ، التي قامت بدور بارز في الكفاح ضد السيطرة الاستعمارية وأعوان الاستعمار ، وضد المفاوضات والأحلاف ، ويقول بيانها الأول : « واستئنافا للحركة الوطنية المقدسة التي تشترك فيها كل عناصر الشعب المصري ،

* الحركة السياسية في مصر ـ طارق البشري

متكتلة حول حقها في الاستقلال التام والحرية الشاملة . . » أعلنت اللجنة اضرابا عاما يوم ٢١ فبراير ، وتوقفت الحياة في طول البلاد وعرضها ، وأضرب عمال المصانع والمحلات وطلبة المدارس والكليات ، وتجمعت المظاهرات في ميدان الاوبرا ، وعقد مؤتمر وطني قرر مقاطعة المفاوضات وأساليب المساومة ، والمطالبة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتي ١٨٩٩ الخاصتين بالسودان ، ثم تحركت المظاهرات نحو ميدان قصر النيل حيث الثكنات البريطانية ، واتجه قسم منها الى قصر عابدين ، وأشعل المتظاهرون النار في قشلاق « معسكر » للانجليز ، بعد أن دهمت سيارة بريطانية مسلحة بعض المتظاهرين وهي تخترق الجموع . .

وأسفرت أحداث ذلك اليوم عن مقتل ٢٠ شخصا ، واصابة ١٥٠ من الوطنيين ، وعلقت صحيفة المانشستر جارديان البريطانية على لجان الطلبة والعمال بقولها : « ان النظام الذي تجلى في هيئة العمال والطلبة كان أعلى مستوى نظام رأته مصر منذ قيام الحركة الوطنية عام ١٩١٩ » .

كانت هذه اللجنة نتاج جيل سياسي ناشىء ، وكانت أكثر استجابة لمتطلبات العمل الوطني في أعقاب الحرب الثانية ، وكانت أسرع في فهم الحركة الوطنية وايقاعها ، وأكثر اصرارا على تحقيق الاهداف الوطنية ، وكان التوهج الشعبي الذي انبعث من الجامعة أضخم من أي تنظيم قائم !

ويمضي الزمن في دورته ، ولا تكاد تنقضي ستة أعوام حتى يتصاعد العمل الوطني في أخطر مرحلة ، وتشهد الجامعة من جديد الشرارة الأولى .

الكفاح المسلح

وما أحوجنا أن نتوقف عند العلامة الثانية التي تستحق أكثر من وقفة ، حيث نتناول دور جامعة فؤاد الأول (القاهرة) بعد إلغاء معاهدة ٣٦ خلال شهور أربعة مجيدة ، بدأت في اكتوبر عام ١٩٥١ ، عندما أعلن إلغاء المعاهدة ، وقاربت النهاية بحريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وهي صفحة لم يلق عليها الضوء الكافي ، وصدر عنها مؤخرا كتاب موجز بقلم قائد معسكر الجامعة حسن دوح ، يروي بعض ما جرى خلال تلك الأيام ، حينما كان مدير الجامعة الدكتور عبدالوهاب مورو ، والأساتذة يرعون هذا العمل ويمدونه بالدعم والتأييد ، يوم انتفضت الجامعة ، ونفضت عنها الصراع الحزبي ، وبحثت عن طريق جديد ، بعيدا عن الكلمات التي لاكتها الألسنة حتى استهلكت وفقدت معناها . .

وبمبادرة من الطلبة أقيم معسكر داخل أسوار الجامعة ، مكان كلية التجارة الحالية ، ونصبت فيه الخيام ، وتكونت كتائب للكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني ، وأشاع هذا العمل الصحوة في الأمة كلها ، وأضاف للموقف عاملا جديدا يصعب السيطرة عليه ، خاصة وأن المعسكر لم يجذب الطلاب وحدهم ، بل جذب أيضا اساتذة الجامعة ومديرها الدكتور مورو الذي قدم كل دعم ، وتبنى العمل بشجاعة فائقة ، ومسؤولية كبيرة ، ومن الاساتذة الذين وضعوا كل ما يملكون من خبرة وإمكانات في خدمة المعسكر : الدكاترة : عبدالمنعم بدر ، والشيخ أمين الخولي ، وحسني عباس ، وحسن فهمي ، وسعيد النجار . وقامت أول ثكنة عسكرية في أحضان أكبر مؤسسة علمية في البلاد ، وتدفقت عليها المساعدات من كل مكان ، وأمدها رجال من القوات المسلحة بالخبرة والتدريب ، وكان صلاح هدايت (وزير البحث العلمي فيما بعد) يتولى قسم المواد الناسفة والألغام والمفرقعات ، ويقوم بتصنيعها داخل معسكرات الجيش ومعامل كلية العلوم ، واشترك مجدي حسنين وغيره من الضباط الأحرار في معسكر آخر أقامه طلبة الجامعة بالقرب من القواعد البريطانية الشرقية في معسكر تل باسطة ، وكانت مساهمة الضباط الأحرار رمزا لدعم الجيش للكفاح المسلح . .

وشهدت هذه الثكنة العسكرية الخطوات الأولى لشاب تملؤه الحيوية والنشاط ، لا يزيد عمره عن ثمانية عشر عاما ، كان اسمه ياسر عرفات بالسنة الأولى في كلية الهندسة ، كان يملأ المعسكر حماسا عندما يقوم بتدريب الطابور على ما كان يسمى وقتها « التكتيك العنيف » .

وبعد فترة وجيزة من التدريب ، وفي ١٢ يناير عام ١٩٥٢ ، خاضت كتيبة الجامعة أول معاركها وهي معركة التل الكبير ، ردا على

معركة التل الكبير الذي هزمت فيها قوات الثورة العرابية ، واستشهد فيها قائد كتيبة الجامعة الشهيد عمر شاهين الطالب في كلية الطب ، كما استشهد احمد المينيسي ، وستة آخرون ، وانتفضت مصر أمام هذه الأحداث التي أخذت تتوالى ، وتم نسف ثلاثة قطارات محملة بالجنود البريطانيين ، وتم نسف مخازن الذخيرة في « أبو سلطان » وتعددت المعارك في منطقة القناة ، وقد خرجت مصر في جنازة بلغ طولها ثلاثة كيلومترات يتقدمها مدير الجامعة والأساتذة بالأرواب الجامعية ، وكل القادة ، وكانت الجامعة يومها قطعة نابضة من حياة الأمة ، ومعروف أن هذه الصفحةقد طويت بحريق القاهرة ، الذي أسدل ستارا كثيفا على أحداثها ، كما أوقف تأثيرها المتنامي ولكن الى حين ، فقد كان الكفاح المسلح في القناة هو الشرارة الأولى لقيام ثورة ٢٣ يوليو . .

رفض الهزيمة

وتمضي الأيام وتسكن الجامعة ، وتنتفض من جديد بعد الهزيمة الكبرى التي وقعت في ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، وتقوم المظاهرات من جديد ويعود للجامعة دورها ويتركز داخلها نبض المجتمع . وتستمر بين عام ١٩٦٨ وحتى ١٩٧١ ، تعبر بكل الوسائل عن رفضها للهزيمة والمطالبة بالمواجهة العسكرية مع العدو ، ولتشكل المحرك الرئيسي للأحداث والمطالبة بالقتال وتحرير الارض ، وأخذت هذه المطالب صورا شتى ، فتارة احتجاجا على ضعف أحكام الطيران التي صدرت ضد كبار القادة العسكريين ، وتارة أخرى احتجاجا على الوعود المهدرة ببدء القتال !

وهي أيام ليست بعيدة ومازالت تفاصيلها في الذاكرة . .

حصانة الجامعة

وتمضي الذكريات مع مرور خمسة وسبعين عاما ، وترد الى الذاكرة الى جانب أيام السعد ، أيام المصاعب والعقبات في طريق الجامعة ، وترد الى الذاكرة أولى الضربات التي وجهت الى استقلالها وحصانة أساتذتها ، التي وقعت خلال أزمة مارس عام ١٩٥٤ ، عندما فصل من الجامعة بسبب مواقفهم الفكرية والسياسية ٦٤ استاذا ، مما أصابها بجرح مازالت تعاني منه حتى الآن ، خاصة وأن هذه الضربة تكررت مرة أخرى في أزمة سبتمبر ١٩٨١ الماضي ، رغم أن الجامعة أمدت المجتمع طوال هذه الفترة بأغلب قياداته ، فكان يختار من بين أساتذتها الوزراء والسفراء ، وعبر الدكتور جمال حمدان عن هذه الظاهرة في كتابه « شخصية مصر » ، انها كانت احدى صور التحالف بين العسكريين وبعض أساتذة الجامعة ، ولكن ما يقع فعلاً هو أنه عند غياب القوى السياسية التي تفرخ القيادات السياسية ، لا يصبح هناك مفر من اللجوء الى أساتذة الجامعة ، ففقدت بذلك الجامعة أبرز أساتذتها ، ولم يكن ذلك بالضرورة يوفر القيادات الصالحة ، فمازال البون شاسعا بين الاستاذ الذي يتقن مادته وبين القدرة على ممارسة القيادة الفعلية في المجتمع !.

واليوم . . يعود الجميع ويتطلعون الى الجامعة بعد أن وصل عدد الجامعات في مصر الى اثنتي عشرة جامعة ، وانتشرت الجامعات في كل الأقطار العربية ، يطلبون منها الارتباط بقضايا المجتمع ، والمساهمة في حل الأزمة الراهنة ، عن طريق تقديم البحوث العلمية في مختلف الميادين ، وحتى يتمكن المجتمع من مواكبة الثورة العلمية واللحاق بمظاهر فنون التقنية المتطورة ، وزادت الحاجة اليها كمصدر للاشعاع الفكري والتقدم العلمي ، ومصنع للقادة ، وتجمع لأساتذة يكرسون أنفسهم للعلم . .

وأولى جامعاتنا هذه تشكو قلة الامكانات وحصار المشاكل . .

فهل يستطيع الجيل الحالي ، الذي تسلم الشعلة من أجيال عملاقة سبقته ، أن يعيد الجذوة الى الشعلة . . ؟!

ان عودة الجامعة الى دورها القديم مرهونة باستردادها لاستقلالها المفقود ، وحصانتها الجامعية الضائعة ، عندها لن تقبل طلبة يزيدون عن قدرتها ، وعندها ستعود لها قيمتها المعنوية كحصن لحرية الفكر ، وستلعب دورها من جديد في قضايا الوطن . □□

اجتثاث الورم وما حوله — اجتثاث الورم فحسب — استئصال كلّي — استئصال بسيط

عمليات سرطان الثدي

عقد معهد السرطان في (بثسده) في الولايات المتحدة اجتماعا هاما ضمن اجتماعات عقدت في شهر اكتوبر الماضي . . نقول هاماً . . . نظرا للتقرير الخطير الذي تلاه على المجتمعين اخصائي السرطان الايطالي المعروف اومبرتو فيرونسي Umberto Veronesi . . والدكتور اومبرتو هذا هو رئيس معهد السرطان الشهير في ميلانو . . وقد أوجز في تقريره الثمرة الطبية التي تمخضت عنها الدراسة العلمية الميدانية التي قام بها هو وصحبه والتي استغرقت عشر سنوات .

أما موضوع الدراسة بصفة عامة فكان سرطان الثدي . . عدو المرأة الاكبر . . وأما موضوعها بصفة خاصة فكان العلاج المفضل لهذا المرض الخبيث . . . ايكون باستئصال الثدي استئصالاً كلياً أم باجتثاث الورم اجتثاثاً موضعيا . .؟ وقد ركز التقرير على الموضوع الخاص وشرح بتفصيل بعض التجارب الشاملة التي اجراها الدكتور امبرتو ورفاقه . .

لقد بلغ عدد من شملتهن تلك التجارب من المصابات بسرطان الثدي (٧٠٠) امرأة . . اجريت لنصفهن عملية استئصال الثدي (Mastectomy) وللنصف الآخر عملية اجتثاث الورم وما حوله (Quadrectomy). وأعقب ذلك علاج بالاشعة في الحالات التي امتد فيها الورم الخبيث الى الابط . . وتجدر الاشارة الى ان العمليات اجريت للسبعمائة امرأة جميعا في مرحلة مبكرة من اصابتهن بالسرطان ، وان قطر الورم الخبيث فيهن جميعا لم يجاوز ٣/٤ البوصة . . (١٩ مليمترا تقريبا) .

ومضت السنوات العشر ، واذا بالكثرة الغالبة من النساء في كلتا الفئتين ، ٩٦٪ منهن بالتحديد ، مازلن أحياء ويتمتعن بصحة جيدة . ولم يظهر السرطان ثانية الا في اقل من ٥٪ منهن وذلك في كلتا الفئتين ايضا . . وفي هذا ما يدحض النظرية الشائعة القائلة بأن الورم السرطاني الخبيث يعود ويظهر ثانية اذا كانت العملية التي اجريت له عملية اجتثاث موضعي . . لا عملية استئصال كلي . . من هنا كانت الملاحظة الطبية الهامة التي أبداها أحدهم اذ قال : « لعل من الصعب جدا الابقاء على عمليات الاستئصال الكلي بعد الآن » . .

ولم يكن قائل هذه الملاحظة سوى الدكتور برنارد فيشر (B.Fisher) كبير جراحي سرطان الثدي في جامعة

بتسبورغ .. في الولايات المتحدة .. والمعروف عن الدكتور برنارد هذا مناهضته القديمة لعمليات الاستئصال الكلي .. فقد دعا هو وآخرون من الجراحين الأمريكيين، الى ضرورة تجنب اجراء تلك العمليات ما أمكن، والحرص على تحاشي الاندفاع العشوائي في اجرائها في كل الحالات ... وهو يؤكد ان عملية الاجتثاث الموضعي ناجحة، وتفي بالغرض حتى في الحالات التي يبلغ فيها قطر الورم الخبيث بوصتين او يزيد قليلا .. وهو يؤكد ايضا ان عملية الاجتثاث الموضعي ينبغي ان تكون محدودة ولا تجتث آلام الورم فحسب Lumpectomy (انظر الرسوم)

هذا ومازال بعض الجراحين متشبثين لا بعمليات الاستئصال الكلي فحسب ولكن بعمليات الاستئصال الكلي الشامل ايضا .

الكولسترول، والقول الفصل في أضراره

اكتملت الدراسة العلمية الواسعة التي اجرتها حكومة الولايات المتحدة للكولسترول واضراره .. لقد بدأتها في مطلع سنة ١٩٧٤ .. أي قبل عشر سنوات، وذلك بقصد الوصول الى قرار نهائي يدين الكولسترول أو يُبرئه .

ذلك ان اضرار هذه المادة الدهنيّة الشمعية التي تتراكم داخل الشرايين المنتشرة في شتى انحاء الجسم، كانت موضوع نفي او تأكيد طوال سنوات خلت . وكان لابد من اجراء دراسة شاملة تمكّن الأطباء من إصدار حكمهم النهائي على الكولسترول، وتقييم آثاره تقييما موضوعياً لا يقبل الشك من قريب ولا من بعيد .

وهكذا أصبحت دراسة الكولسترول هذه بمثابة الحلقة المفقودة التي تحدد العلاقة بين المواد الدهنية الحيوانية وبين زيادة الكولسترول في الدم .. من جهة .. وبين هاتين الظاهرتين وبين مرض القلب المرافق لهما .. من جهة ثانية ..

وقد قام بهذه الدراسة باحثو معاهد الصحة التابعة لحكومة الولايات المتحدة .. وبالتحديد، معهد القلب والدم والرئة .. وذلك في عدد من المستوصفات الطبية المنتشرة في طول البلاد وعرضها .. وبلغ عدد الذين شملتهم الدراسة (٣٨٠٠) رجل، تراوحت أعمارهم بين ٣٥ - ٥٩ سنة .. وكانوا كلهم من الذين يعانون من ارتفاع محتويات الكولسترول في الدم والمعرضين بالتالي للمخاطر المترتبة على هذا الارتفاع .

وقسم الباحثون هؤلاء الرجال الى نصفين .. سمح للنصف الواحد بوجبات تحتوي على نسبة منخفضة من الدهنيات وتشمل مقادير اقل من بيض الدجاج ومن اللحم المدهن ومستخرجات الألبان .. وطلب من هؤلاء الـ ١٩٠٠ رجل تناول الكولسترامين (Cholestyramine) وهو عقار يخفض مستوى الكولسترول في الدم ..

أما النصف الآخر من الرجال الذين شملتهم الدراسة فقد سمح لهم بمثل الوجبات التي اعطيت لرجال الفئة الأولى .. الا ان هؤلاء لم يتناولوا الكولسترامين، وانما البلاسبو Placebo العديم الأثر، الذي كثيرا ما يعتمده الباحثون في تجارب ودراسات كالتي نحن بصددها .. وروعي في اختيار افراد كلتا الفئتين التماثل من حيث عادات التدخين والشرب (الكحول) وكذلك من حيث

احذروا الكولسترول تصونوا قلوبكم

التغير بالنسبة المئوية لمحتويات الكولسترول في الدم

ضغط الدم وممارسة التمارين الرياضية . .

ومضت سنتان على مباشرة تلك الدراسة . . دون ان يظهر اي فرق بين رجال الفئتين . . ولكن ثمة فروقا كبيرة بدأت تظهر بينهم مع مر الزمن . . وراحت هذه الفروق تتراكم حتى كانت لدى اختتام الدراسة (في شهر يناير الماضي ١٩٨٤) كالتالي :

١ ـ الوفيات بسبب الجلطة او الانسداد التاجي كانت في الفئة الأولى اقل منها في الفئة الثانية بنسبة ٢٤٪
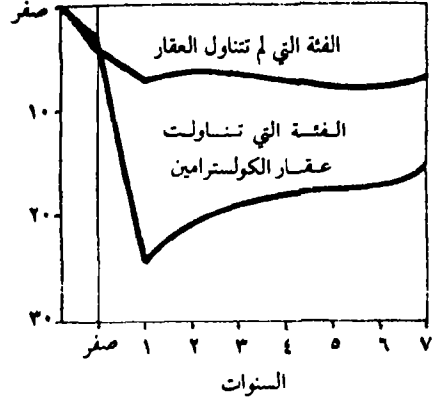
٢ ـ الاصابات بالذبحة بأنواعها بلغت في الفئة الأولى اقل مما بلغته في الفئة الثانية بنسبة ٢٠٪

٣ ـ اعراض الاصابة بآفات القلب انخفضت في الفئة الأولى عما كانت عليه في الفئة الثانية بنسبة ٢٥٪

٤ ـ العمليات الجراحية التي اجريت لرجال الفئة الأولى كانت اقل من نظيرتها في الفئة الثانية بنسبة ٢١٪

وهكذا وضعت الدراسة حدا للبلبلة وأصبح في الامكان الآن الجزم بأن تخفيض مستوى الكولسترول في الدم كفيل بالحد من أعراض امراض القلب والنوبات القلبية . . بلا نزاع . .

اطارات السيارات من البلاستيك

اكتشف العلماء صنفا جديدا من اللدائن (Plastics) ، يمتاز على كل ما عرفناه من المواد البلاستيكية ، سواء من حيث القوة او قلة تكاليف الانتاج ، أو من حيث قابلية المواد الجديدة لأن يعاد صنعها بعد استعمالها مدة من الزمن ، لتستعمل من جديد . . وكان خبر هذه اللدائن مفاجئا الى حد كبير بالنسبة الى الكيماويين الذين حضروا مؤتمر الجمعية الملكية الكيماوية ، وقد عقد في الربيع الماضي في جامعة لانكستر ، في بريطانيا . .

وكان الدكتور دافيد ريتشاردز من بين الذين تحدثوا عن هذه المواد الجديدة واسمها كوبولايمر (Copolymer) . . والدكتور ريتشاردز هذا من كبار الباحثين العاملين في مختبرات وزارة الدفاع البريطانية (في اسكس) وهي مختبرات متخصصة بمتفجرات الصواريخ . . الدافعة لها . .

ومما قاله الخبير المذكور : ان المجموعة التي تهمنا من هذه المواد الجديدة . . هي تلك التي نستخرجها من مادة بوتادين (Butadiene) . . وهي مادة تستعمل حاليا في صنع بعض اطارات السيارات والمحافظ والحقائب . .

ويؤكد الدكتور رتشاردز ان صنع اطارات السيارات من اللدائن الجديدة بات احتمالا قريب المنال . عندئذ لا تعود اطارات السيارات سببا هاما من اسباب التلوث . . وذلك نظرا لقابليتها لأن تذاب وتصنع اطارات جديدة لتستعمل مرة ثانية . . وثالثة . . الخ . .

حوار القراء

العامل الروحي ـ للانسان العربي

اكثر ما يلفت النظر في مجلاتنا الثقافية . والعربي احداها ، انها لا تهتم كثيرا بالعامل الروحي للانسان العربي ، وهو عامل مرتبط ارتباطا وثيقا بدينه وعاداته واعرافه ، ويجب ان تركز مثل هذه المجلات على الدين بصفة خاصة لأنه ثابت لا يتغير مثل تغير الاعراف والتقاليد ، فالدين الاسلامي هو اكبر عوامل جذب الانسان العربي ، لأنه العامل المهم في الانسان العربي المسلم .

ومن هنا يجب على كل من يحاول التأثير على الانسان العربي ان ينطلق من المباديء السامية وان يعبر عنها وينطق باسمها ، ويلتزم بها في كل تحركاته اليومية ، وهذا للاسف عامل مفقود في مجلاتنا الثقافية العربية التي تركز على التاريخ وعلى القومية اكثر من تركيزها على العامل الروحي الديني ، الذي هو اعمق تأثيرا واقوى وسيلة من اجل بناء انسان عربي ملتزم دينيا وخلقيا وقوميا . .

عمران عبدالسلام احمد ـ كلية الحقوق ـ بنغازي

ابن ماجد . . أرشد « فاسكودي جاما »

في العدد (٣٠١) من العربي ، جاء بين صفحات موضوع حول « الملاحة البحرية » وكان موضوعا مشوقا للقراء ، ولكنني أود أن أبعث لكم هذه المعلومات التي أرى ان كاتب المقال لم يعطها الاهتمام اللازم ولم يوضحها لقاريء « العربي » .

لقد ولد شهاب الدين أحمد بن ماجد في عُمان حوالي عام ٨٣٨ هـ ، وتوفي عام ٩٠٥ هـ وهو ينتمي لأسرة اشتهر أفرادها بارتياد البحر وحب الأسفار والملاحة ، فتعلق بالبحر منذ الصغر ، واكتسب مهارات أجداده ، واستطاع بفضل تجاربه وسعة خبرته البحرية أن يكتشف أساليب جديدة في فنون الملاحة .

وقد ذكر المؤرخ قطب الدين النهروالي أن الذي قاد فاسكودي جاما الى الهند ، عَبر رأس الرجاء الصالح ، لم يكن عربيا بل كان هنديا مسلما ، غير أن هذا الرأي لا أساس له امام الحقائق المعروفة للجميع حول هذه الواقعة ، ودور أحمد بن ماجد فيها . . ويبدو أن المؤرخ النهروالي ، أراد فيها ذكره طمس دور هذا البحار العربي مع فاسكودي جاما ، رغم أن الحقائق التاريخية تشير الى هذا الدور

صالح ضرمار ـ مسقط ـ سلطنة عمان

أرض الروم . . أو أرززوم

ذكر الدكتور نيقولا زيادة . في العدد (٣٠١) من العربي . ضمن مقالته « المشرق العربي والغزو الأوروبي » اسم مدينة « أرهروم » الموجودة في تركيا ، والذي أعلمه من كتب التاريخ أن هذه المدينة فتحها العرب المسلمون . وفيها ضريح أحد الصحابة الكرام . وأطلقوا عليها اسم أرض الروم وبما أن اللغة التركية لا تستعمل حرف (ض) فانهم ينطقونها « أرززوم » وهذا ما أردت توضيحه لكاتب المقال حتى لا يتيه القاريء في متاهات التسمية لهذه المدينة . .

محمد فارس ـ منبج ـ سوريا

اعداد
يوسف الشهاب

في أثر المتنبي

قرأت مقالا للاستاذ عبد الرزاق البصير بعنوان (في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) نشر في العدد (٢٩٩) من العربي ، وتوقفت عند فقرة منه تحت عنوان (لحظة نفاق) ص ١١٥ حيث استغربت كثيرا من الاستاذ عبد الرزاق مخالفته لابي الطيب حين قال :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

يقول الكاتب (أجد نفسي تخالف أبا الطيب في هذه النظرة ، فان المجد في رأيي يحصل لمن لا مال له ، بل انه حصل فعلا لفئة كبيرة لا تملك الا النزر اليسير من المال . . . كالفلاسفة والعلماء والمكتشفين ، . . وان المال كثيرا ما يظفر به أناس لا يساوون ملء آذانهم ترابا) .

ـ يفهم من هذا الكلام أن الكاتب ذهب الى تفسير المجد على أنه العلم والفلسفة والمعرفة بينما المعنى الحقيقي الذى أراده المتنبي هو مجد السلطان ، بدليل قوله في البيت السابق :

فلا ينحلل في المجد مالك كله
فينحل مجد كان بالمال عقده

فلو أن المتنبي أراد مجد العلم والمعرفة لما قال (فينحل مجد كان بالمال عقده) لان مجد العلم لا ينحل أبدا ـ وهذا أمر جد بديهي ـ بينما مجد السلطان (في ذلك العصر) يصيبه الانحلال اذا كان عقده بالمال .

فؤاد علي أيوب
كلية الاداب ـ الجامعة اللبنانية
بيروت

العربي : وهذا رد الأستاذ عبد الرزاق البصير .

تدل الرسالة التي تلقيناها بأن كاتبها يتمتع بذوق رفيع بدليل هذا الاكبار العظيم لابي الطيب ، ولم أكتب تلك الكلمة الا لأرسم بعض مافي نفسي لهذا الشاعر العربي العظيم ، غير أن هذا الاكبار لا يجيز لي أن أغلق الباب دون مناقشته ، فقد أوردت المعاجم كلاما مطولا عن لفظة المجد لا يوجد فيها لفظة السلطان كما ذهب اليها كاتب الرسالة ، ولا شك أن شاعرنا الاكبر لا يمكن أن يحصر معنى لفظة المجد في السلطان ، وإنما يقصد بها اسمى معانيها ، وهو الشرف والمروءة وحسن الفعال ، وهذا كله يصدق على العلماء وعلى الفلاسفة والعادلين من السلاطين ، وإني على كل حال ـ أشكر كاتب الرسالة على رسالته .

أطول وثيقة

أكتب إليكم هذه المعلومة عن أطول وثيقة في العالم انها تلك الوثيقة التاريخية التي تقتنيها وزارة الأوقاف المصرية . ويبلغ طولها نحو خمسمائة متر ـ وهي مكتوبة بالخط العربي الجميل وبمداد أزرق تتوسط سطوره عناوين حمراء ـ وهذه الوثيقة هي (حجة وقف) السلطان الأشرف (قايتباي) أحد سلاطين مصر في العهد المملوكي ـ وتعنى وزارة الأوقاف بالمحافظة عليها وقد استهلت هذه الحجة بما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي يسر جميع الخيرات . وسلبها لسلطاننا الملك الأشرف وأعانه . وجعله أعلى مرتبة من ملوك الأرض

عبدالرحمن السيد ابراهيم ـ قرية كفر النخلة ـ مصر العربية

حوار القراء
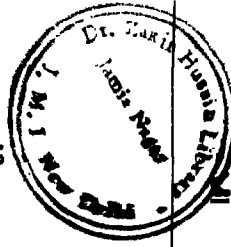
نافلة على « السبحــة »

طالعت بمزيد من الاهتمام مقالة « السبحة » للاستاذ جمال الغيطاني في العدد ٣٠١ ديسمبر ١٩٨٣ من مجلة العربي . فأثلجت المعلومات الواردة صدري لدقة ما جاء فيها من معان وافكار . غير انني رأيت ان ارفد المقالة المذكورة بنافلة مما لدى ، لعلها تكون استكمالا للبحث . . . اجمع هذه المعلومات الاضافية من اربع نقاط :

١ - السبحة الكاربا : ان كلمة (كاربا) فارسية معناها جاذب القش ، وهي مركبة من (كـاه) بمعنى القش والتبن ، و(ربا) بمعنى جاذب وسارق . ولهذا قالوا لها ، اذا ما حكت بقماش صوفي جذبت القشة اليها وحملتها سبحة كاربا اوكاهربا . ومن هذا المعنى اطلقنا كلمة « كهرباء » الفارسية على الاختراع الضوئي Electricity والطريف جدا ان الفرس استعاروا كلمة « البرق » العربية لهذا المفهوم الحديث ، ولعله اكثر من الكلمة الفارسية (من الناحية العلمية) . فنحن اليوم نستعمل كلمتهم وهم يستعملون كلمتنا ، ومثل هذا التبادل اللغوي بين العربية والفارسية كثير .

٢ - السبحة البرهومية : أفاض صاحب المقال بذكر انواع من السبحات المعروفة واحسن ، غير ان هناك بعضا آخر لم يرد ذكره ، اكتفي بايراد نـوع واحد لـطرافته ، هـذا النوع هـو « السبحة البرهومية » نسبة الى طريقة مذهبية (سنية) ، لعلها راجعة الى شيخ صوفي يـدعى ابراهيم . ويكـثر مريـدو هذه الـطريقة في السـودان ومصر . ويعـرف المريـدون بعضهم بعضا من حمل السبحة . وهم كثيرو العطف على حامليها وعلى المريدين للطريقة البرهومية ، ومازلت اذكر العطف الذي لقيته يوما من جراء حملي لها (من غير تمذهب) .

أهلا . . بالعربي

أبعث اليكم بـاجـل التهـاني بـاليوبيـل الفضي ، ومرور ٢٥ عـاما على اصـدار مجلة العـربي رائدة الثقافة العربية ، وكل عام والعـالم العـربي والاسـلامي بخير . . وبحلول عام ١٩٨٤م لا اجد ما اقـوله الا . . . اهـلا بالعربي في ثوبها الجديد ، ولقـد وجدت في مجلتكم ما يروق لي ، واعجبنا كثيرا بشكلها الخارجي وما تتضمنه من ابواب ومواضيع اقتصادية وثقـافية واجتمـاعية ، تساعد وتسـاهم في تنمية ثقـافة القـاريء العـربي - احـييكم واشكـركم على مـا تبذلـونه من جهد في سبيل تقديم طبق شهي من الثقافة لكل قاريء . .

جـميـلة محـمـد الـطنـوبي - الاسكندرية - مصر

العربي

شكـــرا للقــارئــة عـلى شعــورهـا الـطيب تجـاه العربي ، ونود ان نؤكـد ان مـا نقدمـه عـلى صفحـات المجلة ما هو سـوى واجب علينا نحو القاريء .

لا تشبهـوا اسـرائيـل بالسرطان

اكتب اليكم هذه السطور من اجل خطأ اراه في هـذا التشبيه الفظيع .

في معظم المجلات والجرائد يـكـتـب الـسـادة الـكـتـاب والصحفيـون مشبهين اسرائيل بمثابة السـرطان في جسـد الامة العربية .

اولا : كنت اتمنى ألا يصل بنا التهويل بقدرة اسرائيـل الى حد تشبيهها بالسرطان لعدة اعتبارات اهمها :

١ - ان السـرطـان في معـظم الاحيان يؤدي الى وفاة المريض .

نعم . . . اعـرف ان الكتاب لم يقصدوا ذلك ، ولكن تكرار مثل هـذا التشبيـه لـه بـالـغ الاثـر السيء .

تتألف هذه السبحة من ٩٩ حبة موزعة توزيعا رباعيا . فعلى طرفي المئذنة الثابتة ٣٣ حبة من كل طرف ، مفصولة بحبتين كبيرتين (على عكس السبحات الاخرى) يليها ١٦ حبة من طرف و١٧ حبة من الطرف الاخر . كما علق فوق المئذنة الثابتة عشر حبات (من نفس الحجم) . ولها مئذنة متحركة تعين وقوف المتعبد في مكان معين في تسبيحه ، وعلى هذه المئذنة المتحركة حبتان أخريتان . وعلى هذا يكون عدد حباتها العام بين صغيرة وكبيرة ١١٣ حبة . وتمتاز حباتها عادة بانها رقيقة مبسطة ، في حين ان حباتها الفاصلة اكبر حجما ومضلعة .

٣ ـ اصل السبحة : لاشك ان السبحة قديمة الاستخدام في الديانات . فالمعروف ان الديانة البوذية المنتشرة في الهند والصين اقدم الديانات التي استخدمت السبحة في عباداتها . ورجال الدين البوذيون (فقط) يحملون سبحاتهم الضخمة ، حبتها كبيرة بحجم الجوزة ، على رقابهم او حول خصورهم .

ويروى ان اليهود سبقوا البوذيين (البوذية سبقت اليهودية بخمسة قرون تقريبا) في استخدامها ثم تلاهم المسيحيون . ومن بعد ذلك دخلت في مجال العبادة الاسلامية . غير ان مفهومها الديني اخذ في التضاؤل ولاسيما في الشام ومصر ، حتى غدت نوعا من الزينة والتباهي والتسلية .

٤ ـ عدد حباتها : اختلفت الديانات في مسألة عدد حباتها ، وفي تأويل هذا العدد . ومما يروى ، وارجحه ان عدد حباتها الثلاث والثلاثين تذكير بعمر السيد المسيح على الارض ، وان الذبول التزيينية التي تعلق في قمة مئذنتها ثلاثة ، وهي تذكير بالثالوث المقدس (الآب ، الابن ، روح القدس) . لكن صانعي المسابح اليوم غيروا من هذه الاشكال الثلاثية فزادوها او انتقصوا منها . . والله اعلم .

الدكتور محمد التونجي
الاستاذ الزائر بجامعة اكسترا ـ بريطانيا

---

٢ ـ ان السرطان هو تغير في طبيعة بعض خلايا الجسد ، اي ان السرطان ناشيء من جسد المريض . وهذا ليس حال اسرائيل معنا فان معظم الاسرائيليين مهاجرون وليسوا من فلسطين .

٣ ـ انه مهما استخدم الجسم من وسائل وامكانيات فانه لن يتمكن من القضاء على السرطان اذا انتشر . وهذا ليس حال العرب للاسف الشديد ، فان العرب تركوا اسرائيل ونسوا قضيتهم الاصلية ، وتفرغوا لتصفية حساباتهم الداخلية .

لا تصفوا اسرائيل بالسرطان ، وربما يكون اصدق وصف لها هو وصفها بالطفيليات .

فتحي عبدالسلام احمد
كلية طب المنصورة ـ مصر

العربي تشرق من الكويت . . . الى العروبة

يسعدني أن اكتب اليكم هذه السطور معبرا من خلالها عن مدى اعجابي في مجلتنا العربي للدور الكبير الذي تحمله على عاتقها كرسالة ثقافية تشرق من الكويت لتضيء في اقطار العروبة .

والبعد بين بلادي وبين الكويت يتركني في تقاطع يتلاشى ، وتصبح المسافة وحدها طاقتي التي أواصل عبرها الطريق نحو الوصول الى مجلتنا التي أرى فيها ما يغذي الفكر ـ ففي زمن العشق ترتحل الخطوط في افق تمتزج فيه الألوان في قالب اكثر تواصلا للابداع والقيم الانسانية .

عبدالباريء الناشري ـ اليمن الديمقراطية

العربي

ما تضمنته رسالة القاريء من اطراء على العربي ، يدفعنا الى المزيد من الجهد لمواصلة المسيرة التي بدأتها هذه المجلة ، خدمة للقازيء العربي في كل اقطار العروبة . . .

كتاب الشهر

الدراسات الشرقية في الجامعات الألمانية

تأليف مجموعة من الباحثين الألمان

عرض عبد المقصود حبيب

□ الاستشراق* هو ـ في صورته العامة ـ عبارة عن ميدان الاهتمام الاوروبي بكل مجالات العلم والثقافة والتاريخ والاديان في الشرق ، والشرق هنا كلمة لا تنحصر في الموقع الجغرافي ، ولاتقتصر على جانب آسيا وبلاد الشرق العربية والاسلامية ، بل تشمل أيضا مناطق واسعة في وسط افريقيا وشرقها وغربها .

صلة الاستشراق بالعالم العربي والاسلامي ، يرجعها بعض المؤرخين الى عوامل مختلفة : منها احتكاك المسلمين بالرومان في غزوة « مؤته » ثم غزوة « تبوك » ، ومنها الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الاسلام والمسيحية الاوروبية في فلسطين ، ومنها الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين في الاندلس ومسيحييها بعد استيلاء الفونسو السادس على طليطلة في سنة ٤٨٨ هجرية / ١٠٨٥م .

وهناك مؤرخون آخرون يرون أن نشأة الاستشراق جاءت لتلبي حاجة الغرب للرد على الاسلام ومعرفة أسباب القوة الدافعة لأبنائه حتى وصلوا الى أسوار فيينا ، وآخرون يرجعون ذلك الى أن الاوروبيين المستعمرين لبعض البلدان العربية والاسلامية في الشرق الادنى والاوسط

* في بحث للدكتور اسحق موسى الحسيني جاء (لفظة استشرق ومشتقاتها مولدة ، استعملها المحدثون من ترجمة Orientalism ثم استعملوا من الاسم فعلا فقالوا « استشرق » ويلاحظ ان « المستشرق » تطلق على دارس الشرق كله اقصاه ووسطه وادناه وعلى دارس لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه . . .) .

وشمـال افريقيـا وجنوب شـرق آسيا كـانوا في حـاجة الى فهم عـادات وتقاليـد وأديـان هـذه الشعـوب التي استعمروهـا لتـوطيـد سلطانهم وتثبيت سيطرتهم الاقتصادية عليها ، مما دفعهم الى تشجيع الاستشراق والعناية به في صور شتى وحث الجامعات الاوروبية على دراسته .

الا أنه من العسير تحديد الاستشـراق بسنة معينة ، ومن الطبيعي أن يسترعي الاسلام نظر رجال الدين المسيحي منذ ظهر وانتشر ثم اتسع انتشاره في المشارق والمغارب . . فهناك نصوص من كتابات عالم اللاهـوت « يوحنـا الدمشقي » ترجع بداية الاهتمام المسيحي بالاسلام ودراسته الى نحو مائة سنة بعد ظهوره ، وبقيام الحروب الصليبية زاد اقبال رجـال الدين المسيحي عـلى دراسة الاسلام،وعني المسيحيـون بوجـه خاص بفلسفة الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، كما عنوا بترجمة القرآن الكريم والتعليق عليه . . واعتنى علماء الكنيسة في أوروبا بدراسة اللغـة العربية ، وكما تقول المستشرقة الالمانية أنا ماري شيمل : « لم يكن هدفهم علميا بل انهم أرادوا الـرد على الاسـلام على أسـاس تراجم لاتينيـة للقرآن ، وارشاد المسلمين بواسطة تراجم عربية للانجيل والكتب الاخرى أي أن غرضهم كان بعيدا عن تحقيق عادل ودراسة عملية »

حتى الحكايات والأساطير

وفي القـرون الثلاثـة الماضيـة اتسعت دائرة الاستشراق لتشمل كل ما له بالشرق صلة . . حتى الحكـايات والاسـاطير والامثـال الشعبيـة

والملابس التقليدية وطرائق العيش وغيرها يحللها ويحاول الربط بينها للوصول الى كنه نفسيات هذه الشعوب الشرقية ، وأصبح فرعا قائما بذاته في العديد من الجامعات الاوروبية حتى لاتكاد جامعة أوروبية تخلو الآن من قسم لهذه الدراسات . . وأنشئت له معاهد مستقلة ومراكز خاصة بدراسة كل مايتعلق بالاستشراق حول الدول العربية والاسلامية .

ومنذ منتصف القرن الحالي بدأ تصنيف الدراسات واعداد البحوث حول جهود الاستشراق ومعاهده بهدف اطلاع مواطني الدول الاوروبية التي تدعم دراسات المستشرقين على هذا المجال الواسع العريض ولكي تضع أمامهم ضوءا يوضح المنهج العلمي الذي ينبغي على الاوروبي أن يقيس به حضارة وثقافة وعقيدة غيره من الامم أو الشعوب .

وفي ألمانيا الاتحادية أكثر من ست عشرة جامعة في كل منها قسم للدراسات الشرقية تتابع على الدراسة فيها أجيال المستشرقين الذين منهم من يترك عمله الجامعي والتدريسي ويلتحق بوظائف عليا في مجالات الشئون الخارجية والعلاقات السياسية ، وهناك بالفعل عدد من سفراء ألمانيا ذوي المكانة في عدد من دول العالم الاسلامي والعربي هم من كبار المستشرقين والضالعين في علوم الاستشراق وخاصة مايحيط منها بمناطق عملهم .

ولو نظرنا الى هذه الجامعات الالمانية وصلتها بالدراسات الشرقية ، لجاءت جامعة (توبنجن) من بين أقدم هذه الجامعات التي اهتمت بهذه الدراسات . . اذ يرجع ذلك فيها الى ماينيف على خمسمائة سنة . . وأصبح القسم فيها (معهد الشرقيات) من أكبر الاقسام المماثلة . . وقد أصدر كتابا عن جهود هذه الجامعة في مجال الدراسات العربية والاسلامية ، يتكون من ١٤٠ صفحة ويضم أحد عشر بحثا في جميع جوانب الاستشراق فيما يخص الدراسات العربية والاسلامية ، وقد وضع هذه البحوث عدد من أساتذة الاستشراق الالمان الذين شاركوا أيضا في الدراسة أو التدريس في هذه الجامعة التي يزيد عمرها على خمسة قرون .

ألف ليلة وليلة !

وجاء في مقدمة هذا الكتاب « ان كلمات مثل : شرق ، وعرب ، واسلام تثير في مخيلة المواطن العادي شتى الخواطر ذات الاصول التاريخية والثقافية والسياسية ، فان أحداثا كمعركة بواتييه ، وحصار الاتراك لفيينا ، هي بالنسبة الى الاوروبي على درجة من الاهمية تضارع النزاع العربي الاسرائيلي وأزمة الطاقة ، ثم ان كتبا للشباب كبعض أعمال كارل ماي وأساطير ألف ليلة وليلة تركت في ذاكرة الالماني آثارا أعمق مما تركته دراسات المستشرقين ، أما في العالم العربي والاسلامي فقد استقبلت دراسات المستشرقين بشيء من الحذر الذي يمكن ارجاعه الى عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية في الماضي والحاضر ، فلقد قاد الغرب المسيحي حربا صليبية طويلة في مشرق العالم الاسلامي ، ومحنة الاندلس في مغربه في العصور الوسطى ، ثم استعمر في العصور الحديثة أكثر أجزاء العالم العربي والاسلامي، وترك مشاكل اقتصادية وسياسية ما زالت هي أو آثارها باقية هنا وهناك حتى يومنا هذا . . ويهدف هذا الكتاب الى ازاحة الافكار المسبقة في مجال العلاقات بين

الشعبين العربي والالماني بما يستطيعه من اطلاع الالمان على مدى ثراء الدراسات الشرقية في الجامعات الالمانية وخاصة جامعة توبنجن لتكون في ذلك بداية تعاون أعمق بين الالمان والعرب في الدراسات والابحاث التي تهم الطرفين . »

وبالنظر الى أن الكتاب يركز على توضيح جهود الاستشراق في جامعة توبنجن فقد جاء أول بحوثه حول الدراسات العربية والاسلامية فيها ، وضعه الدكتور جرنوت روتر المولود في عام ١٩٤١ ودرس العلوم الاسلامية واللغات الافريقية ومقارنة الاديان في الجامعات الالمانية، وعمل فترة المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت ، وهو يضع في هذا البحث تأريخا سريعا لتطور قسم الدراسات الشرقية في هذه الجامعة فيقول ـ ان الاهتمام بدراسة اللغات الشرقية في جامعة توبنجن يكاد يشاركها في عمرها الطويل الذي يزيد الان على ٥٠٠ سنة ، وقد ظلت الدراسات الشرقية قرونا طويلة كمادة فرعية في دراسة علوم اللاهوت وكانت اللغة العبرية هي جوهرها .وكان طبيعياً ألا يبدأ الاهتمام العلمي بالديانة الاسلامية وحضارتها الا بعد عهد التنوير ، بالرغم من أن غالبية شاغلي كرسي الاستاذية للدراسات العبرية الذي أنشىء في عام ١٥٢١ كانوا رجالا اهتموا أيضا باللغة العربية اهتماما لابأس به،ومن بينهم ويلهلم شيكارد الذي شغل ذلك المنصب في الفترة من عام ١٦١٩ الى ١٦٣٥ وكان قد تعمق في دراسة اللغة العربية وله بحوث عديدة في مجالاتها .

المكتبة العربية

ومع عصر التنوير بدأت في القرن الثامن عشر صورة جديدة للشرق أكسبت الدراسات العربية طفرة كبيرة أدت الى انفصالها عن علوم اللاهوت ، وكان ذلك في جامعة توبنجن على يد كريستيان شنورر (١٧٤٢ ـ ١٨٢٢) الذي تولى هذا القسم في عام ١٧٧٥ وظهر عمله الرئيسي في كتاب بعنوان (المكتبة العربية) تناول فيه وصف ٥٠٠ كتاب من الكتب العربية في أوروبا حتى آنذاك .

ثم توالى على القسم بعد ذلك مستشرقون لهم قدم راسخة في الدراسات العربية والاسلامية من بينهم البرت سوتسين (١٨٤٤ ـ ١٨٩٩) وكريستيان رابيولد ، واينوليتمان الذي رأس قسم الدراسات الشرقية في توبنجن لمدة ثلاثين عاما بدءا من عام ١٩٢١،وقام بترجمة ألف وليلة في ستة مجلدات ترجمة جمعت بين روعة الاسلوب ودقة اللغة . وحصل في عام ١٩٥٠ على درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة القاهرة،وصار عضوا في مجمع اللغة العربية .

ثم جاء بعده رودي باريت الذي تقاعد في عام١٩٦٨ « توفي في آخر يناير ١٩٨٣ عن احدى وثمانين سنة » وهو الذي ركز أبحاثه العلمية منذ وقت مبكر في مجالين من مجالات الثقافة العربية والاسلامية.الاول هو (الدراسات القرآنية) التي توج جهوده فيها بترجمة القرآن الكريم الى اللغة الالمانية ، ودراسة تحليلية للنص القرآني ، والثاني هو (الادب الشعبي العربي) .

وينتهي جرنوت روتر من بحثه الى القول بأن معهد الدراسات الشرقية في توبنجن يجابه مشاكل كثيرة مثل غيره من الاقسام المشابهة في الجامعات الالمانية نتجت غالبا عن الفصل بين مواد الدراسة وتقسيمها الى مواد صغيرة وأخرى كبيرة حيث يقاس حجم المادة بعدد طلابها

لابحجمهـا ، ولكن الاحـداث السيـاسيـة والاقتصادية قد بينت أننا في مسيس الحاجة الى مجهود علمي أكثر تركيزا على دول الشرق الادنى والاوسط لانها أقرب المناطق الحضارية الينا .

أمـا البروفيسـور رودي بـاريت الـذي ورد اسمه قبل سطور والمولـود في ١٩٠٢ فقد كتب بحثا بعنوان (البحوث القرآنية) يقول فيـه ان الدرسات القرآنية من التخصصات التي توليها الدراسات الشـرقية في جـامعة تـوبنجن عنايـة بالغة .

دراسات في القرآن الكريم

ولقد كان القرآن الكريم ودراساته وبحوثه هي الشغل الشاغل لرودي بـاريت فله (محمد والقرآن) و (المرأة في العالم العربي والاسلامي في القـرآن) و (حدود البحـوث القرآنيـة) و (الرمزيـة في الاسلام) و (تـرجمة القـرآن) و (القرآن . . تعليق وفهرس) وهو ـ من منطلق هـذا الاهتمـام الـظاهـر ـ يقـول : ان دراسـة نصـوص القـرآن الكـريم أمـر طبيعي في كـل الجامعات التي بها قسم للدراسات الشرقية،وأمام كل طالب يشترك في برنامج المبتدئين في اللغـة العربية الفرصة في نهاية البرنامج أن يتعرف على نصـوص مختارة من القـرآن الكريم ، وعنـدما بدأت أنا شخصيا دراسة الدين المسيحي في العام الدراسي ١٩٢٠/ ١٩٢١ واتخذت اللغة العبرية منطلقا لتعلم اللغة العربيـة سرعـان ماعقـدت العزم على قراءة القرآن كله في لغتـه الأصلية ، وفي أقل من عام حققت ذلـك الهدف مستعينـا بقاموس عربي ـ فرنسي وبترجمة القرآن الصادرة عن ماكس هيننج ، الا أن محاولتي التعرف عن كثب عـلى هذا الكتـاب المقدس ذي المـواضيع الصعبة بقيت سطحية .

ولم أتفـرغ للبحث في القـرآن الا بعــد أن عكفت طويلا على دراسة وضع المرأة في العـالم العربي والاسلامي مستخلصا من القرآن كل ما يتعلق بهذا الموضـوع من نصوص ، وأوصلني ذلك الى أنه توجد فعلا ترجمات أوروبية كثيرة للقرآن الا أن تفصيلات معينة بالنص كانت اما مختلفـة في التـرجمـات أو غـير واضحــة عـلى الاطلاق ، وفي محاولتي لتوضيح هذه التفاصيل توصلت الى وجهة نظر أبعد من ذلك وهي أن الانسان عند محاولته الشرح لابد وأن يستجمع كـل المعلومات المـوضوعيـة والصيـغ اللغـويـة الواردة في مواضع أخرى من القرآن وأن ينظمها ويراعيها عند التفسير وكان نتيجة ذلـك وضع برنامج لترجمته ترجمة علمية جديدة .

وأخذ رودي باريت يدرس تفسير الـطبري وتفسير الزمخشري وتفسير البيضـاوي وكان في ذلـك كما يقـول : « وكنت في استعمـالي هـذه الكتب بمـادتها العلميـة الغزيـرة على غـاية من الحرص والحذر ، على عكس المترجـين الالمان الـذين نقلوا عن الاصــول العــربيــة بعض التفسيرات الغامضـة وتبنوهـا ، فمن الواجب ترجمة النص بمعناه الأصلي كـما انزل عـلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وكما أراد له أن يفهم » .

في الجزيرة العربية

وننتقل الى بحث آخر في هذا الكتاب وضعه والـتر موللر من مـواليـد عـام ١٩٣٣ وكـانت أطروحته للدكتوراة في عام ١٩٦٨ في فقه اللغات السامية المقارن ، وتتركـز دراساتـه على اللغـة

السبئية (العربية الجنوبية القديمة) وقد جاء بحثه هذا تحت عنوان (لمحة عن الرسوم الصخرية والنقوش في جزيرة العرب) يقول فيه : يعتقد الكثيرون أن شبه الجزيرة العربية دخلت التاريخ بظهور الدين الاسلامي غير أنه لدى ذكر بلاد العرب قبل الاسلام يخطر على البال ما ورد عنها متفرقا في التوراة وما ذكره مؤلفو الاغريق والرومان ووجود شعراء سبقوا مجيء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ممن بلغ انتاجهم ذروة التطور بل تتوفر أيضا وثائق عديدة من شبه الجزيرة العربية نفسها تدل دلالة واضحة على سكانها الأوائل وطرق معيشتهم . فقد عثر على المئات من الرسوم الصخرية التي بدأ البحث العلمي يعنى بها منذ عهد قريب والتي تمثل فترة ماقبل الكتابة . أما بعدها وابتداء من الالف الأول قبل الميلاد . فلدينا الآلاف من النقوش السامية الجنوبية التي أخذ عددها يتزايد في الفترة الأخيرة . وتدل الآثار المكتشفة على أن الجزيرة العربية لم تكن خالية من السكان قبل ألفي سنة من الميلاد . فالموجودات الاثارية المتوفرة تغطي كل فترات العصر الحجري الهامة . فقد عثر في وسط المملكة العربية السعودية وفي جنوبها الغربي على رسوم يعود تاريخها الى الالف الخامس قبل الميلاد وتمثل هذه الرسوم صورا من حياة السكان في ذلك الوقت وملابسهم وأعمالهم وأسلحتهم وعاداتهم .

وبظهور الكتابة أخذت الرسوم في هذه المنطقة تقل بشكل ملحوظ . وفي « الفترة الادبية » قبل الاسلام يكاد يكون كل ماوصلنا من رسوم على الصخور لا يخرج عن كونه نقوشا وقد قلت هي ايضا في العصر الاسلامي . بينما كثر الوسم-تلك العلامة المميزة-للنسب والحسب عند البدو .

ويقول والتر موللر : ان أول من خلف الشواهد النقشية في شبه الجزيرة العربية هم السبئيون من عرب الجنوب،وكتاباتهم منقوشة في غاية من الدقة والعناية في لغة أطلق عليها اللغة العربية الجنوبية القديمة وهي لغة تنقسم الى لهجات مختلفة . . . تحمل كل لهجة منها اسم شعبها أو دولتها . ولم يقتصر العثور على النقوش العربية القديمة على جنوب الجزيرة العربية فقط بل عثر على كثير منها أيضا في الشمال الغربي حول (ديدان) القديمة التي كانت تمثل مركزا هاما بعيدا على طريق البخور الشهير . وكانت قد نشأت فيها مملكة خاصة بعد اضمحلال دولة (معين) التي حكمت المنطقة وقد ورد ذكرها نقوش تسمى النقوش الديدانية وهي ذات حروف تشبه حروف المسند الى حد كبير وأعقبت النقوش الديدانية نقوش لحيانية في زمن ملوك لحيان الذين حكموا هناك قرنا ونصف قرن من الزمان .

وفي القرن الأول قبل الميلاد استولى الشعب التجاري المقيم شمالا (النبطيون) على واحة ديدان وخلفوا لنا في مدينة(الحجر) وما حولها عديدا من النقوش كتبت بالخط الآرامي والنصوص الآرامية جاءت من تيماء الواقعة شمال شرقي ديدان . كما وجدت هناك أيضا نقوش قديمة تحمل نمط الخط نفسه للمنطقة ولذلك عرفت بالنقوش التيمائية .

ولقد وصل الينا نقش وجد في النمارة على قبر امرىء القيس المتوفى في عام ٣٢٨ بعد الميلاد والمنعوت بملك العرب كلها . وهو نقش في شكل كتابي يعتبر مرحلة الانتقال الى الكتابة العربية المعهودة في النصوص المبكرة . ولـ

لا ريب ـ هي اللغة العربية الشمالية وبذلك مد أقدم نص معروف حتى الآن كتب باللغة عربية اللغة التي نشرها الاسلام وتبوأت به كانها المرموق في المعمورة منذ ذلك الحين .

الكتب العربية

أما عن رعاية الدراسات العربية في مكتبة جامعة توبنجن فيكتب عنها إميل كومير ر يقول « لقد شكلت الكتب العربية منذ زمن بعيد أحد المعالم الهامة لهذه المكتبة،فهي تمتلك مثلا كتاب (القانون) لابن سينا وهي النسخة التي ظهرت في مطبعة الكاردينال فرديناند فون فيديتش عام ١٥٩٣ في روما،ويوجد فيها أيضا جزء كبير من المؤلفات التي طبعها (ابراهم متفرق) في القرن الثامن عشر والتي يمكن اعتبارها أول مطبوعات في الشرق . . والمكتبة الآن تحوي ١٣٠ ألف مجلد في مختلف وجوه الدراسات الشرقية منها ما يتراوح بين ٧٠ ـ ٨٠ الف كتاب تختص بالثقافة والأدب العربي .

ولما كان موضوع استكشاف المخطوطات واستيعابها أمرا ضروريا للغاية فقد كشف العقدان الماضيان عن عدد من المؤلفات العربية التي لم تكن معروفة أو ظلت في سباتها العميق مكدسة في مكتبات الشرق أو مكتبات اوروبا وامريكا ، يفاجأ العالم كل عام بما يصدر من المؤلفات القديمة التي ساد الاعتقاد بانها مفقودة ، وكل عام تتغير تبعا لذلك فكرتنا عن الثقافة العربية ، ولقد توفر للمكتبة في توبنجن جهاز الفهرسة البيليوجرافي وهو يتكون من الفهارس المطبوعة للمكتبات الكبيرة المتخصصة في الدراسات الشرقية كلها ومنها فهرس الكتب العربية بالمتحف البريطاني ، وفهرس المكتبة لفرع الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، وفهرس مكتبة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاجو ، وفهرس الموسوعات لمجموعة المؤلفات الشرقية في مكتبة نيويورك العامة وفهرس المواد العربية والفارسية والتركية في جامعة هارفارد وفهرس اتحاد المطبوعات الآسيوية .

وفيما يختص بالمخطوطات العربية فان المكتبة في توبنجن تباهي بأنها تمتلك في هذا المجال ما يحتل المكانه الثالثة من ناحية الحجم بعد مثيلاتها في (المكتبه البروسية في برلين) ومكتبة الدولة في ميونيخ . . ففيها اقدم مخطوط لكتاب (فضائل القرآن) تأليف ابي عبيد القاسم بن سلام وهو مخطوط يرجع الى عام ٥٦١ هجرية ١١٦٦ ميلادية ، ومخطوط (سمط اللآلىء) لابي عبيد البكري وهو عبارة عن تعليق على أمالي ابي على القالي وكتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب من وضع الفقيه الاندلسي علي بن موسى ابن سعيد .

وتتوالى باقي بحوث هذا الكتاب وهي تقدم للقارىء الالماني معلومات وافرة في مجالاتها مثل (بحث اطلس توبنجن عن الشرق الادنى) للبروفيسور هاينس هالم ، وبحث (بدايات علم الكلام في الاسلام) لمؤلفه يوسف فان اس ، وصيغ التاريخ العربي الاولى للبروفيسور جرنوت روتر ، ومعجم اللغة العربية الفصحى للبروفيسور مانفريد اولمان ، وتاريخ العلوم العربية الذي وضعه ثلاثة من الاساتذة هم فريديمان ريكس ، وماتياس شرام ، مانفريد اولمان ، ونصوص غنوصية ومانوية في مصر بقلم الكسندر بوليج وغيرها . □□

من مكتبة العربي

المسؤولية الدولية عن أضرار تلوث البيئة

* المؤلف : د . جابر ابراهيم الراوي
* الناشر : كلية القانون والسياسة - جامعة بغداد .
وكلية الحقوق - الجامعة الأردنية .
* سنة النشر : ١٩٨٣م

أطلق على القرن التاسع عشر اسم قرن الثورة الصناعية ، ومنذ ذلك الحين ازدادت وتنوعت حركة استغلال المصادر الطبيعية . وقد رافق ذلك زيادة في عدد السكان وارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الطاقة الانتاجية في الزراعة والصناعة وغيرهما من مجالات الانتاج . وازدادت أيضا فرص التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال استخدام الطاقة النووية .

وكان لذلك ثمن أخذت البشرية تدفعه تدريجيا ، فتهددت الكائنات الحية بالفناء نتيجة للتلوث ، وأصبح الأمن وتطور العلاقات الطبيعية بين الدول عرضة لأخطار كثيرة .

وقد تابع الكاتب في فصول كتابه المسؤوليات الدولية والقانونية المتعلقة بالتلوث برا وبحرا وجوا .

وجاء في تعريفه للبيئة ما يلي : (هي المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية - الانسان والحيوان والنبات - ويتكون هذا المحيط من عناصر الماء والهواء والتربة) .

وعرّف التلوث: بأنه (كل تغيير ينتج عن تدخل الانسان في أنظمة البيئة ويسبب ضررا بشكل مباشر وغير مباشر للكائنات الحية ويشمل تلوث الهواء والماء والتربة والغذاء) .

وقد ضمن الكاتب في بعض فصول كتابه جوانب من التشريعات والقوانين وتوصيات المؤتمرات التي عُقدت لدراسة أسباب تلوث البيئة والأخطار الناجمة عنها .

حقيقة غرف الغاز النازية

* الكاتب : روبير فوريسون .
* ترجمة : د . عيسى الناعوري .
* اصدار : دار الكرمل - عمان - الأردن .
* سنة النشر : ١٩٨٣م .

يقول الكاتب الفرنسي فوريسون في نهاية المقابلة الطويلة التي أجريت معه وتحولت الى كتاب :

« فلنفتح عيوننا على ما فعلته بنا وسائل الاعلام ، ولنكشف القناع عما تحاول السلطة أن تخفيه في كل حقل » .

فما الذي تم تزييفه وما الذي تم اخفاؤه ؟؟
انها « غرف الغاز النازية »

يقول الكاتب : « مسؤولية الوسائل الاعلامية في كل هذا

من مكتبة العربي

انت ساحقة ، فخلال خمسة وثلاثين عاما ، وفي القارات لخمس ، ظلت تعرض خرافة « قتل الجنس » و « غرف غاز » كأنها حقيقة واقعة . وهكذا سيق الى الخديعة لمليارات من البشر » .

ويضيف في مكان آخر :

« لقد وجدت معسكرات الاعتقال الألمانية فعلا ، لكن كما يعلم الجميع جيدا ، لم يكن هذا شيئا خاصا الالمان وحدهم . حتى أفران حرق الجثث وجدت في عض المعسكرات غير أن الحرق ليس شيئا أخطر ولا أكثر جراما من الدفن ، بل لقد كانت افران الحرق وسيلة قدمية ، أفضل من سواها من الوجهة الصحية للتخلص ن الأوبئة التي انتشرت اثناء الحرب » .

وحول عدد من ماتوا في معكسر الاعتقال اوشويتس) قال فوريسون : « لدي أسباب كثيرة بعلني أظن أن عدد من ماتوا في (أوشويتس) من اليهود غيرهم كان قرابة ٥٠ ألفا فقط ، وليس ٤ ملايين ، مثلما لوا يزعمون طويلا . قبل أن ينكمش الرقم الى مليون احد ، كما يفعل الآن معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ . أما عدد الموتى في جميع معكسرات الاعتقال من سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٤ الى سنة ١٩٤٥ فأظن أنه كان ٢٠٠ لف أو على الأكثر ٣٦٠ ألفا » !

فهل فوريسون هو المصيب ، أم أجهزة الاعلام لصهيونية والمؤيدة لها ؟

المسرح في الكويت
مقالات ووثائق

* الكاتب : خالد سعود الزيد .
* ناشر : شركة الربيعان ـ الكويت .
* سنة النشر : ١٩٨٣م .

يجمع معظم الذين أرخوا لنشأة المسرح حسب شكله لحديث في الوطن العربي الى أن بدايته كانت في مصر وبلاد شام منذ منتصف القرن التاسع عشر . تأثرا بالمسرح لاوروبي .

وقد ظهرت عدة كتب وأبحاث أرخت وسجلت أهم التطورات والأطوار التي دخلت على هذا الفن « الوافد » .

أما في منطقة الخليج العربي ، فان المدارس بصورتها الحديثة هي التي احتضنت هذا الفن ، منذ عشرينيات هذا القرن .

ويؤكد الكاتب خالد سعود الزيد الى ان بداية النشاط المسرحي في الكويت كان سنة ١٩٢٢ .

ومن ثم يتابع في فصول كتابه تفصيلات الأطوار التي مر بها ، والعروض التي قدمت ، والرجالات الذين لعبوا أدوارا مهمة في هذا المجال .

ويضمن كتابه الوثائق والنصوص والمراسلات المتعلقة بهذا النشاط .

في التنمية العربية

* الكاتب : د . اسماعيل صبري عبدالله .
* اصدار : دار الوحدة ـ بيروت .
* سنة الصدور : ١٩٨٣م .

تأسيسا على معايشة تجارب التنمية في العالم وخاصة في وطننا العربي عبر ما يزيد على ربع قرن ـ يسجل الكاتب اقتناعه بوضوح :

« ان تنمية أي قطر عربي لن تكتمل ولن تسير حثيثا الا في اطار تنمية قومية شاملة » .

ويقول في صفحة أخرى من الكتاب :

« التخلف في حقيقته تنمية معوجة متوجهة في الأساس نحو الخارج ، لا تشمل المجتمع كله بخيرها ، وتطمس شخصيته الحضارية بدل أن تؤكدها ، ومن ثم استقر الفكر

التنموي الحديث على أن التنمية عملية حضارية شاملة ، يشكل النمو الاقتصادي أحد مقوماتها التي لا غنى عنها ، ولكنه ليس العنصر الوحيد .

وترتب على هذا المفهوم الجديد الواسع للتنمية رفض فكرة أن لها نموذجا وحيدا أو عددا محدودا من النماذج المتكاملة نظريا ، والمعدة سلفا والتي يتعين الاختيار بينها ، وانما على العكس من ذلك ، يتعين على كل بلد أو مجموعة من البلدان ذات حضارة مشتركة أن ترسم لنفسها صورة واضحة المعالم للحياة التي تريد .

وعندئذ لابد أن تقوم التنمية على سياسة الاعتماد على النفس لاستثمار طاقات كل أفراد المجتمع ، وأن تتجه نحو اشباع حاجاتهم الأساسية ، وتأكيد الشخصية الحضارية المتميزة .

ويخلص المؤلف الى نتيجة مؤداها :

« ان التنمية هي مشروع اقامة مجتمع أفضل لأبنائه في ضوء قيمهم الحضارية » .

ابن تيمية ـ الفقيه المعذب

* الكاتب : عبدالرحمن الشرقاوي
الناشر : دار الموقف العربي ـ القاهرة
* سنة النشر : ١٩٨٣م .

ابن تيمية
الفقيه المعذب

عبد الرحمن الشرقاوي

في عصر سادته الفوضى ، وتفكك الأقطار والأقاليم العربية والاسلامية .

وفي عصر زرع فيه التتار الرعب ، ومارسوا الاحتلال والبطش والتدمير .

في ظل هذه الظروف ولد أحمد تقي الدين بن تيمية في مدينة حران في سوريا ، وكان من الطبيعي أن يتأثر تأثرا شديدا بالحال التي وصل اليها الناس .

فعاش (حياة متفجرة متوترة من المعارك المتصلة ، حارب فيها بالقلم وباللسان ، وحتى بالسيف نفسه .

كانت معاركه تهدأ في بعض الأحيان ، ولكنها لم تنقطع قط ، وهي اذا توقفت ، أثارها هو بنفسه من خلال رأي يخالف به ما ألفه الناس ، أو حدّة يصدم بها أحد مجادليه ، أو حملة يشنها على ما يراه بدعة أو مخالفا للسنة .

وما أكثر ما شاعت البدع والخروج على السنة في ذلك الزمان) .

وقد تتبع الكاتب حياة الفقيه ابن تيمية ، والمعارك التي أثارها ، والظروف التي حتمت عليه اصدار بعض الفتاوى .

وقد كتب الشرقاوي كتابه هذا بأسلوب أدبي جمع فيه بين متابعة السيرة التاريخية وأضفى عليها أسلوبا قصصيا وضع فيها اجتهاده ورؤاه وتحليله الخاص للأحداث .

وقد أورد هذه الفقرة عما كان يتوارد في ذهن الفقيه :

(ما جدوى العلم ، والفقه ، وكل الكلمات ، ان لم تستطع أن تنتشل الانسان ، وتحمي شرف الحياة ؟ ماجدوى كل شيء ان كان الذعر يطارد الأمن ، والباطل يغشى الحق بدخان البارود والبهتان ؟؟) .

ابريل ١٩٨٤

أسئلة هذه المسابقة سهلة للغاية . . وأملنا كبير في أن توفقوا بموافاتنا بالردود الصحيحة . . وأن يحالفكم الحظ فتفوزوا باحدى الجوائز النقدية المجزية.

والمطلوب منك ان تجيب على عشرة أسئلة اجابة صحيحة لكي تكون في عداد المرشحين للفوز بجائزة . .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٠٥ ـ وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يونيو ١٩٨٤ .

***

من هو . . ؟

١ ـ الصوفي المسلم الذي جلد وعذب وصلب سنة ٩٢٢ م .

٢ ـ العالم العربي الذي حاول التحكم بفيضان النيل ، وذلك في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ؟

٣ ـ مؤلف قصة حي بن يقظان . . ؟

٤ ـ الفيلسوف العربي الذي يظهر في احدى لوحات رفائيل الشهيرة . . لوحة مدرسة أثينا بالتحديد . . ؟

٥ ـ الفنان الأوروبي الذي قطع أذنه بيده . . ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويا

جوائز المسابقة		
الجائزة الأولى	٥٠	ديناراً
الجائزة الثانية	٣٠	ديناراً
الجائزة الثالثة	٢٠	ديناراً

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٦ ـ الأديب البريطاني الذي ألف كتابا بعنوان « الأبطال » والذي قدم فيه الرسول العربي محمد عليه الصلاة والسلام على سائر أبطال التاريخ . . ؟

٧ ـ البطل الذي كان له الفضل الأكبر في تحرير عدد من دول أمريكا الجنوبية . ؟

٨ ـ مؤلف كتاب « الربوبية » الذي كان له أثر واسع في تاريخ الفلسفة الاسلامية . . علما بأن الكتاب المذكور كان مترجما ، وأن الكتاب والفلاسفة المسلمين نسبوه الى أرسطو خطأ . . !

٩ ـ الفيلسوف اليوناني الذي وقع أسيرا في قبضة القراصنة ، والذي لم يطلق سراحه الا بعد أن قبض القراصنة فدية مجزية . .

١٠ ـ الخليفة الذي زج بالامام أحمد بن حنبل في السجن بتهمة الزندقة . . ؟

١١ ـ الفنان الذي رسم لوحة الموناليزا ؟ ومن هو الفنان الذي رسم لوحة الجوكندا . . ؟

١٢ ـ مؤلف كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » . .

معركة بلا سلاح
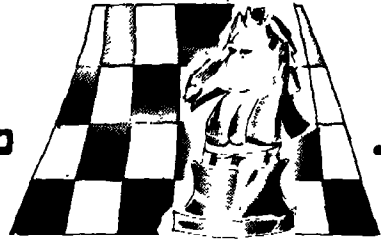
« الشطرنج رياضة ذهنية راقية ،
والرياضة أدب ورجولة وأخلاق »

الوصايا العشر في الشطرنج

تقسّم أدوار الشطرنج في العادة إلى مراحل ثلاث : الأوائل أو الافتتاحات ، أواسط اللعب ثم الأواخر أو النهايات . ولكل من هذه المراحل استراتيجيتها وخططها . . . والوصايا العشر التالية ـ وإن بدت بديهية للاعب المتمرس ـ ذات أهمية كبرى ، ويجدر باللاعب الحريص على الرقي بمستوى لعبه أن يضعها دوما نصْب عينيه .

في أوائل الأدوار :

١ ـ سارع بنشر قطعك مبتدئا بالأفراس والأفيال ثم عجل بالتبييت لتحصين ملكك وابعاده عن مواطن الخطر .

٢ ـ لا تسرع بالخروج بوزيرك وإلا أصبح عرضة لهجوم القطع الصغرى للخصم .

٣ ـ ابتعد عن نقل القطعة الواحدة أكثر من مرة ، ففي هذا هدر لنقلات ثمينة أنت بحاجة إليها لمزيد من التوسع والانتشار .

في أواسط اللعب :

بعد أن نشرت قطعك وحصنت ملكك أصبحت الآن

أناتولي كاربوف
بطل العالم الحالي للشطرنج

تهيئا لمناورات واشتباكات أواسط اللعب .... وهنا عليك ان تهتم بما يلي :

٤ ـ أحفظ ملكك بحماية جيدة وحاذر من تحريك البيادق القريبة منه دون مبرر وإلا فانك تضعف مركزه وتمهد الطريق أمام خصمك لمهاجته .

٥ ـ حاول أن تنشر قطعك بحيث تسيطر على أكبر عدد من المربعات خاصة مربعات الوسط والمربعات القريبة من ملك الخصم .

٦ ـ إذا أردت حماية إحدى قطعك فاحمها بقطعة صغيرة ، تقلّ عنها قيمة وإلا عرضتها للخطر هي الأخرى

٧ ـ العب بحماسة ودون تراخ ... وليكن لكل نقلة تنقلها هدف واضح ، أما في حالة التردد فاعمل على تحسين وضع قطعك بنقلها قريبا من الوسط أو من المربعات التي تحيط بملك الخصم .

في المراحل الأخيرة عندما تصبح القطع قليلة على الرقعة :

٨ ـ تقدم ببيادقك تمهيدا لترقيتها .

٩ ـ استخدم ملكك كقطعة مهاجمة ، فعندما تقلّ القطع يصبح الملك أقل عرضة لأخطار الهجوم المفاجىء ويصبح دوره ايجابيا .

في جميع مراحل اللعب :

١٠ ـ حاول تكسير أو مبادلة القطع عندما تكون متقدما على خصمك وابتعد عن المبادلة أو التكسير في حال تقدم خصمك عليك ... أما إذا كان وضعك سيئا وليس أمامك سوى السعي للحصول على التعادل او الباطة فحاول تكسير بيادق خصمك كي تحرمه من فرصة الترقية .

مسألة (١٦)

الأبيض يلعب ويكش مات بنقلتين

آخر موعد لوصول الحل هو اول شهر يونيو (١٩٨٤)

حل المسألة ١٤ عدد فبراير ١٩٨٤

الحل : ١. ح ـ ٦ و ++ م ـ ١ و

٢. و ـ ١ م + ر أو ح × و

٣. ح ـ ٧ ف ≠
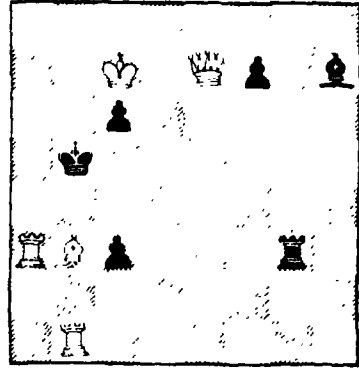
الحل بالطريقة الجبرية :

١. ح ـ د ٦ ++ م ـ د ٨

٢. و ـ هـ ٨ + ر × هـ ٨

٣. ح ـ و ٧ ≠

ركوة القهوة

شعر : وديع ديب

وركـوة[1] لأبي مازلت أذخـرهـا
كـأنمـا هِيَ مني حَبّـة الحَسَبِ

يا سحرها وهي فوق الجمر هازجة
تَروي حديث الندى في ساحة اللّهبِ

أيـام يتلو على السّمـار ساكبهـا
حكاية الجاه في الماضي من الحقب

اذ المكارم ما قدمت من بلس[2]
للسّامرين وما أضرمت من حطب

وما يطوف به السّاقي على علل
من قهوة هي ذوْب الليل والشهب

واذ نـدامـاك مـزهـوّ ومفتخـر
وكلّهم سيّـد من سـادة العرب

يروون ما كان من عزّ ومن كرم
ويُلبسون « الحكايا » بردة الأدب

(١) الركوة : الاناء الذى تصنع فيه القهوة (العربي)

(٢)البلس كسبب (التين) أو ثمر يشبهة (العربي)

أول ابريل ١٩٨٤

١٧٥

الغابة

تأليف : الكسندر استروفسكي
ترجمة وتقديم : د. مكارم الغمري
مراجعة : د. سمية عفيفي

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكا

ابريل ١٩٨٤ م

الموت في الفكر الغربي

تأليف : جاك شورون

ترجمة : كامل يوسف حسين

مراجعة وتقديم : د. إمام عبد الفتاح إمام

الكتاب السادس والسبعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الك

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية.

رئيس التحرير : د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير : عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب.

توزع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة.

الاشتراكات

للمؤسسات : ١٢ ديناراً في الكويت.

٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد : ٢ دينار في الكويت ، ٦ دينار للطلاب

٢،٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج.

الموزع في الكويت والخارج : مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات إلى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ ، فاكس ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ ، ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة . تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التاليـة :

اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية - الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية -- الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ) -- الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تتكون المجلة معالجتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات - مراجعات الكتب -- التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ -- ٨١٥٤٥٣

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على : -

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون

عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة

أبواب ثابتة تقارير – وثائق – يوميات – ببليوجرافيا

ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ٥٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات للأفراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت . ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت . ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة :

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - **كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩**

٢ - **كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩**

٣ - **كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) ١٩٧٩**

٤ - **كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠**

٥ - **دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠**

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الاول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان . جامعة الكويت – كلية الآداب والتربية – الشويخ – دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ – الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ – ٨١٦٧٩٩ – ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

CORE···TRANSWORLD TV.
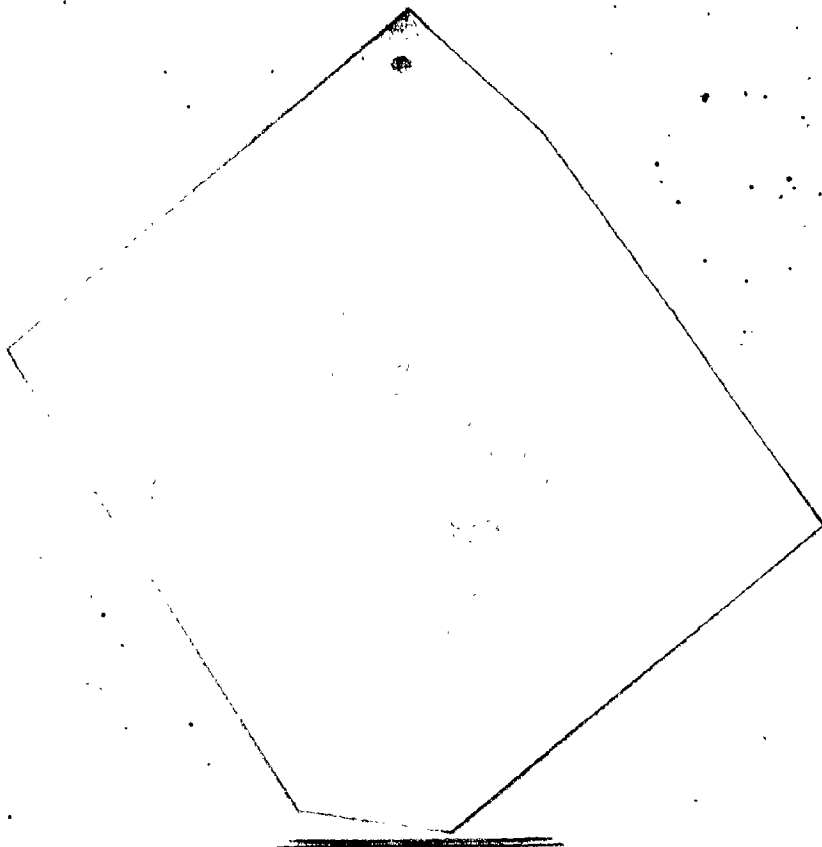
Worldwide TV System
New Flat Square Tube
Easy Full Remote Control

طفولتنا
اقرأ "لوحة وفنان" داخل العدد

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الإشتراكات
للكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٢٠ قرشاً	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٢٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوروبا	دولاران أو جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولاران

العدد ٣٠٦
مايو ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٤٢٤-٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس: MITR-44041 KT

AL-ARABI
Issue No. 306. May 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

عزيزي القارئ

اجتمعت في ندوة العربي الثقافية صفوة من حملة الأقلام ومشاعل الفكر . . من مختلف أقطار وطننا العربي . . على خير ما يجب أن يجتمع عليه العرب من ألفة وتعاون ومحبة وحرية .

وحين نركز على الحرية دائماً . . فنحن نعني أيضاً ذلك الحرص من مجلتك (العربي) على أن تجعل من صفحاتها ساحة للكلمة الحرة ، ومنطلقاً صادقاً للحوار البناء في الميدان الثقافي ، من أجل أن تكون المنبر الحر الذي تريد . فلولا الحرية والحوار ما استطاعت العربي أن تكون المعبر الحقيقي لما يعتمل في أعماقك . . والصفحة الناصعة التي تعكس تطلعاتك . . والصورة الصادقة التي تتمناها لتظل بين يديك . . مجلة كل العرب .

فتلك هي الأهداف التي سعت العربي لتحقيقها دائماً . . وهي ذات الأهداف التي تسير عليها الكويت والتي أشار اليها الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية ووزير الاعلام في افتتاح الندوة حين أكد « أن الكويت منذ أن خرجت الى العالم مستقلة تنظر الى هدف سام تعمل على تأكيده وتحقيقه في عالم العروبة والاسلام . . هذا الهدف هو الوفاق والحوار الأخوي » .

ولقد كان ذلك ـ في الحق ـ ما أثلج صدورنا ونحن نرى صفوة المثقفين في ندوتهم يؤكدون ذلك المعنى في بحوثهم ومناقشاتهم . فالعربي كما عبر عن ذلك الشيخ ناصر محمد الأحمد وكيل وزارة الاعلام « يدعمها اطلاق الحرية في الكتابة والنشر بلا رقيب الا ضمير كتابها من المحيط الى الخليج ، والا ضمير المسؤولين عن التحرير فيها والذين تحرص الكويت دائماً ان يكونوا من بين من احترموا مسئولية الكلمة فاحترمتهم جماهير القراء » .

ولعلك عزيزي القارىء قد لمست ذلك دائماً . . كما لمسه المشاركون من المثقفين الذين أسعدنا اسهامهم في ندوة العربي . وقد كان بودنا أن تحتضن الندوة كل المثقفين العرب . . لولا مشكلات الزمان والمكان . . وان كنا قد افتقدنا وجود بعض من دعوا للمشاركة ولكن لم تسمح لهم ظروفهم بالمساهمة بالحضور . .

ونقولها بصدق ، ان العربي ليسعدها أن تحتضن كل المثقفين والقراء في ندواتها . . وان كانت تعتبر أنها تلتقي بهم في ندوة ثقافية على صفحاتها كل شهر . . وهي تضع نفسها دائماً في خدمتك ـ عزيزي القارىء ـ وفي خدمة كل العرب . . على ساحة الكلمة وفي ميدان الفكر .

المحرر

في هذا العدد

◆ الأيدي التونسية تصنع التراث ◆

هل هو فنان ؟ نعم وبكل المقاييس .. ذلك هو الصانع الماهر الذي يقدم لنا التراث في أروع صوره .. التقت به العربي في تونس لتقدم نماذج من انتاجه في عصر الآلة .. (اقرأ الاستطلاع ص ٣٦) .

◆ .. في بلد الكهوف ! ◆

وفي حوران بالقطر السوري الشقيق عاشت العربي أياما مع التاريخ ، لتنقل لنا جانبا من صفحاته التي طواها الزمن ولكنها بقيت حية في بطون الكتب (اقرأ الاستطلاع ص ١٠٠) .

◆ الديمقراطية .. نظرة جديدة ◆

من مآسي التفكير في موضوع « الديمقراطية » أنه وقع زمنا طويلا ، فريسة المنهج الشكلي الذي فرضته التبعية الثقافية للغرب ، والذي حصر صورة الديمقراطية في عدد من النماذج الشكلية التي تدور حول كيفية اصدار القرارات من جانب المؤسسات الدستورية والسياسية .. ماذا أغفل هذا التحليل ..؟ (الدكتور أحمد كمال أبو المجد يقدم نظرة جديدة للديمقراطية ص١٦)

◆ متى نتجه الى البحار بحثا عن الغذاء ..؟ ◆

الأرض تضيق بسكانها .. الأرض تجوع .. الرقعة الزراعية تضيق وتضيق .. ما الحل ؟ ليس أمامنا سوى الاتجاه الى البحار نبحث في أعماقها الغنية عن غذاء المستقبل . متى .. وكيف ؟ (اقرأ ص ٩٤) .

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة وإسلام

طب وعلوم

آداب وفنون

منتدى العربي

اجتماع

تاريخ وأشخاص

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

المثقفون العرب

هل المثقف العربي فى أزمة ؟

وهل هذه الازمة ناتجة عن واقع ذاتى يمر به المثقف العربي ؟ أم هى واقع موضوعى فى صلب المجتمع نتيجة للمرحلة التاريخية التى تمر بها الامة العربية ؟

تلك أسئلة خلت وتناقلها بعض مثقفينا فى كتبهم ومقالاتهم .

ولكن ألا يحسن أن نحدد من هو المثقف كى يسهل السير ؟

المتعلم ، المثقف ، المفكر ، ثلاثة مفاهيم نتناولها نحن العرب وكأن احدهـا يقود الى الآخـر لدى الغـالبية منـا ، ولكن لكى نحدد الفاصل بين هذه المفاهيم التى قد تكون تجريدية اكـثر منها واقعيـة ، نقول : إن الثلاثة تتوفر لديهم معرفة متخصصة ، ولكن المثقف يوظف ما لديه من معرفة متخصصة فى خدمة مجتمعه فقط عند الربط بينها وبين جوانب الحياة الاخرى بحثا عن حلول لمشكلات المجتمع ، أما المفكر فإن ذاك الربط يكون عنده أكثر تجريدا ويشكل مشروعا فكريا شبـه متكامل ، لذلك فان المثقف هنا هو فى منزلة بين المنزلتين ، فهو ـ رجلا كان أو امرأة ـ يهتم بمشكلات المجتمع ويتفاعل معها ، وغالبا ما يكون تفاعله فى شكل قيادى .

الا أنه نادرا ما يكون الفاصل بـين المتعلم والمثقف والمفكر فى مجتمعنا العربي فاصلا واضحا محدد المعالم ، وكثيرا ما تأخـذ الاغلبية المفاهيم الثلاثة على أنها مفهوم واحد .

ونعود الى السؤال المركزى من جديد

هل أدى المثقف العربي دوره فى المجتمع العربي ، أو بشكل أكثر دقة ، هل حدد مناطق الخطر ومواضع الضعف وأشار بالحلول لتفادى تلك المناطق الخطرة وتعويض ذلك الضعف الـذى يعرض الأمـة الى الاضمحلال والفناء .

بقلم : الدكتور محمد الرميحي

نجد من يقول إن المثقف العربي قد قام بدوره كما ينبغى ، ولكن الخلل يكمن فى عدم وجود قنوات فاعلة قادرة على تحويل الآراء والمقترحات لهذا المثقف أو ذاك الى فعل .

ونجد بعد ذلك من يقول إن المثقف العربي لم يقم بدوره ، فقد خذل الأمة وتخلى طوعا أو كرها عن مهمته فى اقتراح الحلول والمخارج للاشكالات التى تواجه الامة وتعبئة المواطنين خلفها .

وتبقى القضية فى دائرة مفرغة أو تدور حول نفسها دون مخرج .

إن ذلك تبسيط لواقع معقد ، ونظرة سوداء أو بيضاء تفرز الامور لتسهيلها دون تعاط دقيق لعناصر الأزمة ، وهى أعمق وأكثر تشابكا من الاجابة عليها بنعم أو لا . . نكون أو لا نكون .

القدرة الممكنة والقدرة المستغلة

أى منا يريد أن يرجع الى أية قضية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك، فسيجد أن مثقفا أو مجموعة من المثقفين العرب قد وصفوها ، وقد يكون هذا التوصيف بدقة واحكام منقطع النظير .

وأضرب مثالا واحدا لا غير ـ وبين ما نشر وكتب المثقفون العرب عشرات الامثلة ـ فبينما كنا نعد لندوة العربي الثقافية رجعت الى محاضرات المواسم الثقافية فى الكويت * فوجدت كلمة من أربعة أسطر

* كانت معارف الكويت فى الخمسينيات قبل أن تتحول الى وزارة التربية والتعليم ، تعد موسما ثقافيا غنيا تجلب له بعض الخبرات العربية المميزة وقد طبعت محاضرات مواسم ثلاثة لسنوات ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ . والاشاره السابقة لاحدى المحاضرات فى الموسم الثقافى الثانى ١٩٥٦ . المحاضرة التاسعة .

فى المحاضرة التاسعة للموسم الثقافى الثانى (١٩٥٦) ـ وكان قد أعدها والقاها الدكتور أمجد الطرابلسى ، وهو واحد من بين مئات المثقفين العرب المنتشرين على أرض العروبة ، وكانت المحاضرة بعنوان « تأملات وذكريات فى حرم المسجد الجامع فى قرطبة » ، اذ بعد أن طاف المحاضر متنقلا على أجنحة الزمن فى ربوع الاندلس بين اشبيلية وغرناطة ينتهى الى مسجد قرطبة فيصف لمستمعيه سحر ما رأى ، وينتهى بأربعة أسطر فى نهاية محاضرته تلك ، أنقلها للقارىء اليوم ، وهى بيت القصيد فى الاستشهاد . يقول :

(أيها السيدات والسادة لقد حدثتكم عن المسجد الجامع فى قرطبة كما رأيته ، وقد مضى على خروج العرب من الاندلس أكثر من خمسمائة عام . فادعوا الله معى ألا يرينا فى حياتنا وألا يرى أبناءنا وأحفادنا من بعدنا يوما يأتى فيه رجل مثلى فيحدثهم بقلب موجع عن المسجد الاقصى كما حدثتكم اليوم عن مسجد قرطبة) .

ولم تكد تمضى سنوات عشر ، وفى حياة المحاضر وفى حياة معظم من سمعه ذاك المساء ، حتى جاءت الأخبار بسقوط المسجد الاقصى . . ولا تزال الاخبار تأتى عن المسجد الاقصى تباعا .

هذا مثال واحد من بين عشرات الامثلة فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة وعاها المثقف العربي وكتب عنها وذهبت صرخته فى واد ليس به بشر ، وجاء الصدى فارغا .

فقدرة الفهم والتحليل وقرع جرس الانذار مبكرا موجودة لدى المثقف العربي ـ أو فلنقل على وجه الدقة لدى بعضهم ـ فالقدرة ممكنة ولكن المحقق منها محدود . . وهنا يبرز سؤال آخر . . . اذن أين الحلقة المفقودة ؟

ماينبغى كسبه مجددا ؟

واقع الضعف العربي اذن ليس فى انعدام من يعرف هذا الواقع ويحلله ، بل أن جوهر هذا الضعف ـ ان صح التعبير ـ انما هو فى انعدام الوسائل الفعالة لتخطى هذا الضعف ، جوهره فى الانقسام غير المبرر وغير الصحى بين المدارس الفكرية التى تدعو للخلاص ، ثم بين هذه

بعض المشاركين في ندوة العربي الثقافية خلال مناقشتهم لبيان الكويت الثقافي .

المدارس كل على حدة وبين أصحاب القرار السياسى ، وتصبح هذه المدارس ومتخذو القرار السياسى فى كل قطر عربي ، وكأنها جزر معزولة بعضها عن بعض ويتعاظم العداء وبأسها بينها شديد ، فيه مكان واحد للأنا وليس فيه أى مكان لغيره . .

الأنا السياسى أو الأنا الاجتماعى أو العرقى أو الدينى أو المذهبى أو أى ثنائية اخرى !

وكلما اشتد الضغط على الأمة العربية زاد الالم واتسعت الشقة ، وتتصاعد ظاهرة التشقق أيام الضيق والارتباك .

ولقد قدم لنا الدكتور عبدالله العروى فى منتصف الستينيات ثاقب رأيه فى تحليل المدارس الفكرية العربية منذ النهضة حتى اليوم تحت شعب ثلاث فى كتابه ذائع الصيت « الايديولوجية العربية المعاصرة » ، وهذه الشعب هى : المفكر الشيخ (شيخ الدين) ، مثل جمال الدين الافغانى والثعالبى ومحمد عبده الى آخر هذه المدرسة بتفرعاتها اللاحقة .

والمفكر رجل السياسة ـ مثل علال الفاسى ولطفى السيد ، والمفكر داعية التقنية كما يحدده العروى بشخصيات مثل سلامة موسى وطه حسين.ومنذ أن قدم لنا العروى هذه الجزر الثلاث من المدارس الفكرية الحديثة فى الوطن العربي ، قام آخرون بتصنيفها وتعديلها والاضافة اليها مثل ما دعاه سعد الدين ابراهيم « رباعية المدارس » «كالمفكرالفقيه »،و « المفكر الخبير » ، و « المفكر القومى » ، و « المفكر الاشتراكى » ، وسواء أكانت الجزر الفكرية العربية رباعية أو ثلاثية أو أكثر أو أقل ، فبيت القصيد هنا أنها جزر منعزلة بعضها عن بعض ، ومنعزلة فى الوقت نفسه الى حد كبير عن متخذى القرار السياسى فى معظم الاوقات .

المطلوب اذن هو اقامة الجسور لسد الفجوة بين هذه الجزر الفكرية . هذا العمل ليس تمنيا أخلاقيا أو طوباويا ، ولكنه ضرورة قصوى لانقاذ الوطن من هذا التدهور الذى يؤدى به الى واد غير ذى قرار .

وهو مطلب يجمع عليه كثير من المثقفين العرب ، فليس محض صدفة فى بيان الكويت الثقافى الذى صدر فى نهاية ندوة العربي الثقافية فى مارس الماضى ، أن يشدد على أهمية التواصل الثقافى . فيقول مثلا فى النقطة الرابعة : « ان المجتمعات العربية تتميز بالتكوينات المتنوعة ولا مفر من أن يتخذ العمل الثقافى طريق الجدل بالتى هى أحسن وسبيل الحوار الفكرى الدائم » .

وليس من قبيل الصدفة أن يشدد البيان على الحوار فى الوقت الذى يكتب فيه المفكر العربى سعد الدين ابراهيم ورقة عمل لمنتدى الفكر العربي فى عمان ـ كى يناقشها بعض المثقفين العرب وتكون بعنوان « تجسير الفجوة بين صانعى القرار والمفكرين العرب » . ويبدأ سعد الدين ابراهيم فى هذه الورقة مطالبا بحوار بين ما سماه المدارس الفكرية العربية المتعددة وما سميناه الجزر الفكرية المعزولة بعضها عن بعض .

لقد سبقت معارك الابادة الفكرية بين العرب معارك السلاح ، وكانت مقدمة لها ، وما نحصده اليوم من فرقة وتمزق للوطن الكبير والاوطان الصغيرة ما هو إلا جزء من نتائج تلك القطيعة .

من هنا تبدو الدعوة لكسب المعركة مجددا ـ بعد أن اعتقدنا أننا كسبناها بخروج المستعمر بأشكاله المختلفة ـ دعوة لها مصداقيتها ، وهى هذه المرة دعوة لكسب المعركة ضد النفس ، الدعوة للحوار انطلاقا من مبدأ : ليس الكل على خطأ ، وأيضا ليس الكل على صواب .

الرفض والتعنت والانغلاق سمة غالبة على المدارس الفكرية العربية المعاصرة ، فان كنت قوميا فلا بد أن تكون معاديا للتراث ، وان كنت تراثيا فلا بد انك معاد للقومية والتحديث .

انفصام ما بعده انفصام بين معسكرات الجزر الثقافية المعاصرة ، ويحلو لكثير منا أن يجسد هذا الانفصام ويعمقه باستخدام الالفاظ والكلمات الرنانة ذات الجرس العالى ، فذاك تفكيره مادى ، والآخر خرافى . . الى أمثال هذه التعبيرات الاستفزازية . والواقع أن الامر ليس كذلك ، انما هى أسماء سميناها أو نقلناها ، تحتاج فى واقع الأمر الى مراجعة تبتعد عن تفسير النيات والاماني الى قراءة الواقع العربي المعاصر .

لذلك نجد هذه المحصلة مجدولة فى كلمات واضحة فى النقطة الثالثة من بيان الكويت الثقافى الذى تبنته ندوة « العربي » فهى تقول :

« لا جدال فى أن اقرار الحقوق الاساسية للانسان وإطلاق الحريات العامة وعلى رأسها حرية التعبير هما اساس ازدهار الثقافة ، وان تطويق الحريات فى معظم مجتمعاتنا (العربية) هو أهم عوامل الازمة الثقافية الراهنة ، ولكن الحرية ليست هبة تقدم الى المثقفين ـ واذا كان ذلك حقا فهى فى الوقت نفسه واجب ومسئولية ، ويقع على عاتق المثقفين « دور اساسى فى التحول الى الايجابية ، وفى عدم اخضاع مسئولياتهم الفكرية لمسئوليات أخرى ، وفى السعى الجاد الحازم لنيل الحرية التى يطلبون »

وفى مكان آخر يعود بيان الكويت الثقافى فيؤكد انه : (اذا كان المثقفون ينتقدون القوى التى تضطهدهم من خارجهم ولا تقبل الا الرأى الواحد ، فأحرى بهم أن يبدأوا بأنفسهم فى إيقاف هذا الاضطهاد بين بعضهم وبعض) .

والعودة الى قراءة تضاريس الخريطة العربية الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية هى من أولى مهام المثقف العربي على أن تكون قراءة واقعية ، وليست معبأة مسبقا بتصورات مستوحاة من تاريخ هذا الشعب أو ذاك ، وليست مستمدة من تفسير الواقع العربي من خلال قوقعة معدة سلفا !

الواقع العربي متشعب متنوع يحتاج الى جهد ابنائه فى سبر اغواره ، ودراسته دراسة متأنية متعمقة بقدر ما يتمتع المثقف من الحرية وبقدر ما نوليه من ثقة هو جدير بها . بقدر ما يستطيع أن يقدم لنا الحلول والاجابات .

أعطى راضيا واخذ شكورا . .

موقفنا من التقدم والرقى والاستقلال والنهوض للحاق بالعصر لا يتوقف فقط على سد الفجوة بين اجتهاداتنا الفكرية فى اطار من الحوار الحر المتفاعل ، انما هو ـ فوق ذلك وبعده ـ خلق القنوات السليمة لتحويل هذا الفكر وتلك الآراء الى فعل فى صلب المؤسسة السياسية ، وهنا تأتى قضية سد الفجوة بين المثقفين والسلطة السياسية ، وقد جاء بيان الكويت الثقافى مؤكدا ذلك فقال :

« ان قدرا كبيرا من مشكلاتنا انما يعود الى الحواجز التى اقيمت بين صانعى القرارات والمثقفين ، لقد خلقت هذه القطيعة جوا من عدم الثقة المتبادل وانعدام الاطمئنان المصيرى الفردى والجماعى » .

هذا الهاجس الذى عبر عنه البيان هو هاجس قطاع واسع من المثقفين العرب اليوم ، الا أن ردم هذه الهوة ليس بالامر الهين المستطاع ، فعلاقة المثقف بالسلطان فى تاريخنا ليست علاقة ايجابية فى كل الاحوال ، وهى ليست بالقطع ايجابية فى تاريخنا الحديث الا من جانب واحد ، جانب المثقف المبرر لفعل السلطة وليس الناقد لها .

وليس ذلك غريبا حتى فى المجتمعات المتقدمة ، فالكاتب البريطانى المعروف هارولد إفينز [1] ـ رئيس تحرير الصنداى تايمز

1. Harold Evans, GOOD TIMES BAD TIMES., George Weidenfeld & Nicolson, 1983.

والتايمز لفترة طويلة ـ كتب كتابا بعد أن ترك وظيفته ، وأصبح الكتاب من أوسع الكتب انتشارا فى خريف السنة الماضية ، يقول عن السيدة مارجريت تاتشر ـ رئيسة وزراء بريطانيا ـ « أنها محدودة فى تفهمها للمعارضة ، فهى تفهم شيئا واحدا . . فإما معارضة شاملة أو تأييد شامل ، ولكنها لا تفهم بالمرة نقد الخلصاء ! » .

ضربنا هذا المثل فقط لتأكيد القول بأن علاقة المثقف بمتخذى القرار السياسى علاقة السهل الممتنع فى معظم الاحوال ، وخاصة اذا ما تمسك المثقف بقول رأيه كما يمليه عليه ضميره ، فاذا كانت العلاقة ليست سهلة فى المجتمعات التى خلفت وراءها مئات من السنين فى الممارسة الديمقراطية،فهى أصعب وأقسى منالا فى مجتمعات خرجت لتوها من استعمار طويل .

النقد الموضوعى المصحوب بالحكمة هو المطلوب من المثقف العربى اليوم ، ولعلنا لا نضيف جديدا عندما نقول أن التبرير والمسايرة يفعلان فى المجتمع فعل الجرثومة الضارة فى الجسد .

ومن المهم أن نذكر أن أحد الكتاب السياسيين الذين درسوا الوطن العربى وأوضاعه السياسية بعمق جدير بالاحترام ، وهو ما يكل هدسون [1] ، يكتب كتابا عن شرعية السلطة فى الاقطار العربية يصل فيه الى نتيجة مفادها أن انقطاع الوصل بين السلطة والمثقف واحد من أهم عناصر الاضطراب فى الواقع السياسى العربى .

وبعد . . .

فان مناقشات(ندوة المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة)وبيانها الختامى قد أوضحا بما لا يقبل الشك أن حوار المثقفين العرب بين بعضهم وبعض فى جو من التسامح ، وحوارهم مع متخذى القرار السياسى فى أوطانهم ، هو أول معالم الطريق للخروج من هذا المأزق الذى سماه البعض بعصر القلق العربى .

محمد الرميحى

---

1. Michael C. Hudson, ARAB POLITICS, THE SEARCH FOR LEGITIMACY, Yale University Press, 1977.

بقلم الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

□ ما الديمقراطية ؟

لقد قال علماء السياسة فيها وعنها الكثير الكثير . . ولكن هل غيرت كلماتهم شيئا له قيمته من واقعنا ؟ كاتب المقال يطرح السؤال ثم يجيب عليه !

لو لم أكن كاتبا لهذه المقالة لترددت طويلا فى قراءتها ، ولقلت ما عسى أن يقوله كثير من قرائها : « وهل بقى فى أمر الديمقراطية جديد يمكن أن يقال . . ؟ أولم يملأ علماء السياسة ورجالها ـ عبر السنين الطويلة ـ آلافا من الصفحات فى الحديث عنها ابتداء من أفلاطون وفلاسفة اليونان . . ومرورا بفلاسفة الثورات الأمريكية والفرنسية والبلشفية وقادتها ، من أمثال روسو ومونتسكيو وفولتير فى فرنسا ، ولوك وهوبز فى انجلترا ، وجفرسون وماديسون فى أمريكا ، ومنظرى « الديمقراطية الشعبية » فى الاتحاد السوفيتى وكثير من الدول الاشتراكية . . وانتهاء بالعلماء المعاصرين الذين أضافوا الى « مقولات » الأقدمين . . فنونا فى التحليل والتركيب لا تعدو أن تكون « أدوات للبحث ، وضمانات لدقة المنهج المتبع فيه ، دون أن تغير من جوهره أو تضيف جديدا الى موضوعه . ؟

ولو لم أكن كاتب هذه المقالة لأضفت الى ما تقدم سؤالا يمازجه الاحساس بالمرارة واليأس . . ولقلت مع كثير من القائلين . وهل غيرت كلمات علماء السياسة شيئا ذا بال من واقعنا العربي الأليم ؟ . حيث ترتفع على المجالس والساحات والمنتديات ألوية الديمقراطية وشعارات « حكم الشعب بالشعب » ، ومع ذلك تستقر فى ثنايا نسيجه ألوان من القهر

والتسلط والانفراد « بالسلطة » و « الثروة » ، « والمنزلة بين الناس » ، يمارسها أفراد معدودون أو تمارسها فئات وطبقات مغلقة على نفسها تستتر وراء أقنعة الديمقراطية وتزعم أنها تتحدث وتعمل باسم « الجماهير » . .

وجوابي عن هذه الأسئلة . . أننا أخطأنا جميعا حين تصورنا الديمقراطية وصورناها للأجيال بحسبانها « المثل الأعلى » للنظام السياسي الكامل ، « والفردوس المنشود » الذى لا يعرف الظلم والشقاء سبيله الى رواده والمستظلين بظله . . وموطن الخطأ الفادح فى هذا التصوير أنه يفترض وجود « صورة كاملة » ، وصيغة مطلقة للعدل السياسي . . فان لم يجدها حوله ـ ولن يجدها ـ صنعها بيده ونسجها من خياله ، ثم أحاطها بهالات التقديس . . تماما كما كان العربي القديم يصنع أصنامه بيده ، ثم يسجد لها ويقدم على أعتابها القرابين . . وقد أدت هذه النزعة « المثالية » فى البحث عن « المطلق السياسى » الى تحول الديمقراطية ، فى عقل ووجدان كثير من الناس ، خصوصا فى عالمنا العربي ، من نظرية سياسية معروفة المعالم ، ونظام للحكم محدد الخصائص والأركان ، الى أن صارت مرادفا « انطباعيا » للعدل والحرية والمساواة فى كل ما يتعلق بسياسة الجماعة . . ونتيجة لهذا التحول صار طبيعيا أن يصف الحكام جميعا أنظمتهم ـ على اختلافها وتناقض أسس شرعيتها وأساليب عملها ـ بأنها أنظمة ديمقراطية . . ما دام ابتعادها عن هذا الوصف ، يعنى ـ بالضرورة ـ أن تصير ـ فى أعين الناس ـ أنظمة معادية للعدل والحرية والمساواة .

بين الواقع والمثال

ولا مخرج للجماهير من هذه المثالية الرومانسية التى تصيبهم بالحيرة وتلقى بهم الى اليأس كلما أحسوا بالمفارقة الهائلة بين « الواقع » و « المثال » فى حياتهم السياسية الا بأن يؤدى أهل الاختصاص والمعرفة بشئون السياسة واجبهم فى نقل تلك الجماهير من عالم الأحلام المثالية ذات اللون الوردى الى عالم « الواقع » بألوانه المتداخلة . وأول واجباتهم فى تحقيق هذا الانتقال ، يتمثل ـ فيما نرى ـ فى الكف عن توجيه

الجهد كله الى التبشير بالديمقراطية والتغنى بمحاسنها . . وهو مسلك بطبيعته عاطفى وحماسى ، والتوجه فوق ذلك الى التعريف بحقيقتها ، وتحديد خصائصها ، وشرح وظائفها ، وبيان ضماناتها . . وهو مسلك ـ بطبيعته ـ علمي وعقلي . .

واذا كان تحقيق هذا التحول يحتاج الى سنين طويلة والى جهود مكثفة مضنية يتعاون عليها أهل الاختصاص جميعا ، فانني أطمح الى المشاركة فى تحقيق هذا التحول عن طريق تسليط الأضواء على أمور ثلاثة تتعلق بالديمقراطية ، وتنطوى على نظرة جديدة اليها :

أولها . . نسبية الديمقراطية كنظام سياسى .

ثانيا . . توضيح « الآليات » المجتمعية التى يتم عن طريقها حكم جماعة من الجماعات ، واتخاذ القرارات فى داخلها .

ثالثا . . التنبيه الى بعض « المتغيرات » الجديدة التى تؤثر تأثيرا كبيرا على مسار الديمقراطية وفاعلية آلياتها التقليدية . .

وقد يكون من قبيل الضرورة المنطقية قبل أن نتناول هذه النظرات الجديدة أن نقدم تعريفا « أوليا » بموضوعها ، وهو الديمقراطية . . ونقول عامدين أن ما نقدمه هو تعريف بها وليس « تعريفا لها » بالمعنى الذى يشترط فيه المناطقة أن يكون جامعا لأفراد المعرف مانعا من دخول غيرهم فيه . .

ان مجموع ما قيل عن الديمقراطية أو قيل فى تعريفها يكشف لنا عن أنها ليست مجرد مذهب أو نظرية ، وان كان الكتاب المدرسيون يردونها تاريخيا الى العديد من المذاهب والنظريات ، بعضها من طبيعة ميتافيزيقية وبعضها الآخر من قبيل التحليلات الاجتماعية ، وبعضها الثالث من قبيل وجهات النظر فى التنظيمات الهيكلية . . وانما هى ـ فوق ذلك ـ أسلوب فى اصدار القرارات واتخاذ المواقف وتحديد الأوضاع التى تمس مجموعة من البشر ، وتمس أفراد « الجماعة السياسية » بصفة خاصة . .

ويمكن من قبيل التبسيط الذى لا يخل بالحقيقة القول بأن اصدار القرارات فى جماعة من البشر لا يمكن الا أن يتخذ شكلا من أشكال ثلاثة : فهو اما أن يضع سلطة اصدار القرار قانونا أو واقعا بين يدى فرد واحد ، أو يضعها بين يدى قلة من أفراد تلك الجماعة . . أو يضعها ـ فى النهاية ـ فى يد الأغلبية التى تسمى حينئذ تجاوزا « بالجماعة » . .

والأمر ـ مع ذلك ـ لا يتخذ فى العمل هذا الشكل الرقمى المجرد كما أنه لا يتخذ صورة واضحة تسمى فيها الأشياء بأسمائها ، فحين يكون الحكم فرديا ، لا تخلو الدولة من مجلس أو مجالس تشارك فى مناقشة القرارات واصدارها ، ولكن سلطة الفصل والتقرير تستقر فى النهاية ـ واقعا على الأقل ـ بين يدي هذا الحاكم الفرد ، سواء سمى ملكا أو امبراطورا أو مستشارا أو حتى رئيسا للجمهورية . .

وحين يكون الحكم حكم أقلية فانه يتخذ ـ أيضا ـ صورا متعددة . وهذا التعدد أثر من آثار التداخل والارتباط بين النظم السياسية والدستورية من ناحية ، والواقع الاجتماعي من ناحية أخرى . فلا يوجد نظام يقرر صراحة أن الحكم يستقر فى يد أقلية ، ولكن حين يفرض الواقع الاجتماعي والاقتصادى سيطرة معينة لطبقة أو فئة أو جماعة ، سواء كانت من التجار أو الجنود أو رجال الدين أو النبلاء أو المثقفين أو المنتمين لحزب منظم ، فان النظام يؤول فى حقيقته الى أن يكون نظام أقلية . . ولا يكون أبدا نظاما ديمقراطيا . .

هذا هو جوهر الديمقراطية كما نستخلصه من الاستقراء الطويل لتاريخ الفكر السياسى والأنظمة السياسية فى الشرق والغرب على امتداد التاريخ المدون . . أما ما عدا ذلك . . من ارتباط الديمقراطية بالحرية . . أو بالمساواة . . أو وصفها تارة بأنها مذهب سياسى خالص ، ووصفها تارة أخرى بأنها لا تكتمل الا اذا

صارت كذلك مذهبا اجتماعيا .. فلا يعدو أن يكون وصفا لبعض آثارها .. أو شروط قيامها أو اضافة اختيارية لجوهرها ..

نسبية الديمقراطية ..

والديمقراطية بهذا « المعنى » لا تستغرق الحياة السياسية كلها ، ولا تضمن وحدها ـ لأحد سعادة ولا حرية ولا رخاء .. ولا تعصم الجماعة التى تتبعها من الوقوع فى شرور سياسية واجتماعية ..وهي بحكم كونها أسلوبا فى تنظيم السلوك الانسانى « فى جانب من جوانبه هو جانب اتخاذ القرارات التى تمس الجماعة .. فانها تخضع لكل ما تخضع له وسائل تنظيم ذلك السلوك الانسانى ، وعلى رأس ذلك أن قوانينها ليست مطلقة التأثير والفاعلية .. لأن « الارادة » الانسانية تستطيع دائما أن تتدخل ، بصور لا حصر لها وتحت تأثير بواعث لا حصر لها كذلك ، لتحاجز بين المقدمات والنتائج فى مسار تلك القوانين وهذا ما نقصده « بنسبية الديمقراطية » .. وهى فى الحقيقة نسبية مزدوجة .. اذ هى نسبية فى تحقيق شروطها وأركانها .. بحيث تتوافر تلك الشروط توافرا جزئيا ، يزيد وينقص .. ولا تصل أبدا الى الصورة المثالية المطلقة .. اذ ليس فى الوجود الانساني كله شيء مطلق .. ثم هى بعد ذلك نسبية فى تحقيق آثارها وانعكاساتها على « الحياة الانسانية » ، لأنها ليست المؤثر الوحيد الفعال فى تلك الحياة وانما هى عنصر واحد يشترك مع سائر عناصر الحياة السياسية والاجتماعية والبيئية فى تحقيق الصورة النهائية لحياة الانسان .. وتزداد الحاجة الى توكيد « نسبية الديمقراطية » فى عالمنا العربي حيث يسود الفكر المثالي المولع « بالمطلقات » ، وحيث تتعلق أبصار الناس بالخوارق المعجزات .. يبحثون عنها ، فى الفكر ، وفى المجتمع ، وفى الطبيعة ، وينتظرون على يديها ألوانا من « الخلاص » الكامل ، و « الحل النهائي » لكل المشاكل .. والسعادة المطلقة التى لا يتخللها شقاء .

ذلك « فكر غيبى » هدام .. وهو ليس فكرا اسلاميا بحال من الأحوال ، اذ يقيم الاسلام تصوره الأساسى للكون والانسان على أساس نسبية القوانين الاجتماعية .. بما فيها تكاليف الشريعة وأوامر الله .. « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [1] » ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ، لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا » [2] « ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » [3] .

لهذا يدهشنا أشد الدهشة أن يتساءل البعض من حولنا عن قيمة الديمقراطية .. اذا كانت المجتمعات الديمقراطية لا تزال تعرف ألوانا من الظلم والقهر .. أو أن يقيم بعضهم الحجة عليها بدعوى أن الأغلبية فى ظلها تسن قوانين لايقبلها عقل ولا شرع .. ذلك فيا نرى ـ خلط قبيح ينبغى أن يرد أصحابه الى جادة العلم بالنقل والعقل ، وألا يترك منطقهم الأعرج ليفسد على الناشئة عقولها وصدق توجهها ..

ذلك أن السؤال الوحيد الذى يصح طرحه فى ظل نسبية الديمقراطية انما هو التساؤل عن مدى التفاضل بين الديمقراطية وبدائلها .. ان السؤال الصحيح هو : هل تزيد فرص العدل والرشد مع زيادة « درجة الديمقراطية » أم لاتزيد ؟؟

هل تقل احتمالات صدور التشريعات الفاسدة المخالفة للعقل والشرع فى ظل الديمقراطية عنها فى ظل نظام الحكم الفردى وحكم الأقلية أو لا تقل .. ؟

والجواب الذى تشير اليه بداهة العقل ، وشهادة التاريخ ووقائع التجارب الكثيرة من حولنا .. أن « الديمقراطية » بمعناها الذى

---

١ ـ سورة الكهف ، آية ٢٩ ٢ ـ سورة النساء ، آية ٦٦ ٣ ـ حديث صحيح ، رواه مسلم .

حددناه تزيد فرص العدل . . وتزيد فرص الحرية ، وتزيد فرص الرشد في اتخاذ القرارات . . وأنه اذا كان في شرعية حكم « الأغلبية شك » فان الشك في شرعية حكم الأقلية وحكم الفرد أكبر بكثير . . وبذلك يظل صحيحا ما ذكره الشيخ محمد عبده رحمه الله من أن تصرف « الواحد في المجموع ممنوع » . . كما يظل صحيحا ـ من وراء الجدل الطويل حول العلاقة بين الديمقراطية والشورى ـ ان جوهر الديمقراطية ـ بمعناها الذي حددناه ـ هو حال الذين يذكرهم القرآن بالرضا ويصفهم بالاستجابة لله لأنهم « أقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم » . ، وفى النهاية فان نسبية الديمقراطية تعنى أن النماذج المعروفة فى الغرب للديمقراطية قد لاتصلح (بالضرورة) لنا ، اذ هى مرتبطة تاريخيا وموضوعيا فى بعض جوانبها على الاقل بالتصورات الاساسية للحضارة الغربية ولايلزم بالتالى ان تكون كلها صالحة للتعبير عن تصورات ومفاهيم حضارتنا العربية الاسلامية بل لايلزم ان تكون قادرة على معالجة مشاكل الواقع المعاصر الذى قد تختلف عناصره عن عناصر (الواقع التاريخي الذى عاصر نشأة تلك النماذج التقليدية وتطورها) .

ان من مآسي التفكير العربي في موضوع « الديمقراطية » أنه وقع ـ زمنا طويلا ـ فريسة المنهج الشكلي الذي فرضته التبعية الثقافية للغرب ، والذي حصر صورة الديمقراطية في عدد من النماذج الشكلية التي تدور حول كيفية اصدار القرارات من جانب المؤسسات الدستورية والسياسية . . ويغفل هذا التحليل حقيقة كبرى مؤداها أن هذه المؤسسات هي نتاج واقع اجتماعي لا بالمعنى « الميكانيكي » المطلق الذي يقدمه بعض شراح الماركسية ، وانما بمعنى عضوي مركب يربطها ـ طول الوقت ـ بالواقع الاجتماعي الحي بحيث تتلقى زادها اليومي من الطاقة والحركة عن طريقه . ومعنى هذا أن القرارات السياسية العامة التي تصدر بها وثائق شكلية من البرلمانات والوزارات والادارات لاتصنع في الحقيقة هناك ، وانما هذه الهيئات كلها أشبه بخطوط التجميع **Assembly Lines** لتأثيرات عديدة تبدأ حركتها داخل نسيج المجتمع وتبلغ ذروتها في مراكز متعددة داخل هذا النسيج يحتاج تحديد مواقعها الى تشريح سياسي واجتماعي لبنية كل مجتمع على حدة ، ولنضرب على ذلك مثالا :

التشريع الذي يصدر مثلا من البرلمان (وليكن الكونجرس الأمريكي ، أو البرلمان الانجليزي) في شأن سياسة اقتصادية أو ضرائبية أو متعلقة بالصحافة ، أو بتنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر . . أو بين المواطنين والوافدين . . هذا التشريع هو في الواقع ثمرة « دورة سياسية » مزدوجة : دورة كبرى ، ودورة صغرى .

● فالدورة الكبرى تأخذ مسارها في نسيج المجتمع وفي مراكز التأثير فيه : في النقابات العمالية ، والاتحادات الصناعات ، ومجالس ادارات الشركات والمؤسسات التجارية الكبرى ، والمؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية ، ودوائر المعارضة السياسية ، والتنظيمات الحزبية ، وسائر ما يسمى في علم السياسة بجماعات الضغط **Pressure groups** .

وهذا التفاعل المعقد هو ما يمكن أن نسميه « البناء التحتي » أو « البنية التحتية » للقرار السياسي . والقرار السياسي الذي يصدر مقطوع الصلة بهذه البنية قرار محكوم عليه في أغلب الأحيان بالاعدام المعجل أو المؤجل ، لأن وضعه موضع التنفيذ في وجه موقف أو قرار مناقض له قائم بالفعل داخل مراكز التأثير في « الدائرة الكبرى » يخلق صراعا هائلا يمكن في النهاية أن يحوّل القرار المعلن الى كلمات جوفاء .

● أما الدائرة الصغرى فهي هناك قريبا من قمة الهرم ، وداخل المؤسسات التي وكلت اليها

الجماعة ـ غالبا في دستورها ـ مهمة اصدار القرار . . كالمجلس النيابي أو مجلس الوزراء أو المحاكم العليا والدستورية . . . فبالاضافة الى أن هذه الدوائر الصغرى تعتبر ـ الى حد ما ـ تعبيرا عن الدائرة الكبرى ، فان عملية صدور القرار من جانب تلك المؤسسات ليست ـ كما قد يتوهم الباحث القانوني المجرد ـ عملية اقتناع وتصويت واصدار قرار . . . ان ذلك التصور وهم قاتل يباعد بين جانب كبير من الفكر القانوني والسياسي في عالمنا العربي المعاصر وبين فهم الواقع واستيعاب جوهر الحياة السياسية . .

ان هذه المؤسسات « الفوقية » أو « الدوائر الصغرى » التي تباشر اصدار القرارات هي بدورها مؤسسات اجتماعية لها قوانينها الداخلية . وبغير فهم هذه القوانين والقوى التي توجهها يتعذر فهم عملية المشاركة في اصدار القرار على هذا المستوى . ان تحديد القوى المؤثرة على النائب أو الوزير في اتخاذ قراره أمر يحتاج الى دراسات سياسية ونفسية واجتماعية ، وليس ـ على الاطلاق ـ مسألة قانونية مجردة .

ان القرار الذي يؤثر على مصالح الجماعة هو في الحقيقة ثمرة دورة عضوية كاملة تجري داخل شرايين الجماعة ، وثمرة دورة صغرى تجري ـ بعد ذلك ـ داخل شرايين المؤسسات المختصة ـ دستوريا ـ باصدار القرارات .

ومن هنا يكون وصف جماعة معينة بأنها تمارس الديمقراطية محتاجا الى رصد مراكز التأثير المختلفة في الجماعة وحقيقة القاعدة الشعبية التي تمثلها تلك المراكز ، وكذلك الى معرفة الدور الرئيسي لكل من هذه المراكز في ممارسة التأثير . وفي النهاية فانها تحتاج الى فهم كيفية سير الدورة الصغرى لاتخاذ القرارات داخل المؤسسات الدستورية . . ان تركيز الدراسات السياسية على هذه الأمور بدلا من التوقف عند وصف مراحل اتخاذ القرار كما تحددها النصوص الدستورية والقانونية ، يعد مدخلا هاما لفهم حقيقة الديمقراطية ، ولتحقيق مزيد من الفاعلية لقوانينها الداخلية . . وهو ـ فوق ذلك ـ مدخل ضروري لتصحيح نظرة الفرد العربي الى « الديمقراطية » كنظام سياسي ، والى دوره في ممارسة حقوقه ومسؤولياته على نحو يبث الحركة والحياة في الدورتين الكبرى والصغرى اللتين أشرنا اليهما . . بدلا من اكتفائه باختيار ممثلين له في « المؤسسات » الرسمية التي تعلن « القرارات السياسية » التي تم صنعها واعدادها في بنية المجتمع بعيدا عن تأثيره ومشاركته .

متغيرات جديدة

شهدت القرون الثلاثة الأخيرة مجموعة من التطورات والتغيرات الجذرية على صورة الحياة الانسانية نتيجة الثورات العلمية والصناعية المتعاقبة . . ثم نتيجة الثورة في وسائل الاتصال بثا واستقبالا ، وأكثرها تطورات لم تكن حاضرة وقت صياغة المقولات الرئيسية المتصلة بالديمقراطية . . ولبعضها تأثيرات حاسمة على مسار الديمقراطية وفاعليتها كأسلوب في اتخاذ القرارات . .

ذلك أن الممارسة الديمقراطية تتوقف في التحليل الأخير على مشاركة الفرد برأيه وموقفه عند مستويات متعددة من مستويات اعداد القرار السياسي واتخاذه اعلانه . . ومعنى هذا أن « المؤثرات » التي توجه فكر « الفرد » وتحكم اختياره أو توجه ارادته » . . من شأنها في النهاية أن تحدد اتجاه القرارات ومضمونها . .

● وفي مقدمة هذه المتغيرات أن كثيرا من القرارات التي يدعى الأفراد في الدولة الحديثة لابداء الرأي فيها أو اتخاذ الموقف منها قد صارت قرارات بالغة التعقيد ويحتاج فهمها الى تأهيل خاص لايتاح لأكثر الناس . . . ومن هنا تكون دعوة « الفرد العادي » ، أو حتى « عضو البرلمان العادي » لابداء الرأي فيها أمرا غير جدي ولا مأمون العاقبة . . ويكفي أن نتصور على سبيل المثال دعوة الجمهور لابداء رأيه في عقد معاهدة

للحد من صنع الأسلحة غير التقليدية . . . أو للموافقة على قرار تزمع الدولة اتخاذه بالموافقة على اغراق بعض النفايات المشعة في مياهها الاقليمية أو في أراضيها . . أو لاقرار تغييرات جذرية في هيكل الاقتصاد أو في السياسة الاقتصادية . .

ان « جدية » المشاركة في اتخاذ مثل هذه القرارات المعقدة قد أصبحت تقتضي استحداث وسائل فعالة لتنوير المشاركين في اتخاذ القرار قبل دعوتهم لهذه المشاركة . . وقد طبقت السويد هذا الأسلوب منذ سنوات حين نظمت برنامجا مكثفا للتعريف بقضايا الطاقة النووية قبل دعوة الناخبين لابداء رأيهم في قرار متعلق بذلك الأمر . . . وقد سمح بعد ذلك بابداء الرأي في ذلك القرار لمن أتموا هذا البرنامج دون غيرهم .

الفرد العادي صار مبرمجا

● ومن أهم هذه المتغيرات الثورة الكبرى في ميدان « الاتصال » والاعلام . . اذ قد أصبح الفرد المعاصر بسبب هذه الثورة « معرضا » لشحنة صاعقة من التأثير العقلي والوجداني تسلطها عليه الدولة كما تسلطها سائر « المؤسسات » ، وجماعات الضغط التي تملك وسائل الاتصال المتقدمة . . ومعنى هذا أن الفرد المعاصر قد صار « موجها » أو « مبرمجا » الى حد كبير . . بحيث يمكن التنبؤ مستقبلا بكيفية استخدامه لحريته في الاختيار واتخاذ القرار على أساس « البرامج » التي صيغ فكره ووجدانه وفقا لها . . ان الحديث ـ في ظل هذه « البرمجة » المستمرة للعقول والمشاعر عن حرية الأفراد في الاختيار أمر فيه نظر كبير . .

ان الخلاف الذي ثار داخل هيئة اليونسكو خلال الأعوام الأخيرة بين الدول المتقدمة والدول النامية حول « حرية الاعلام » وحق الدول النامية في حماية شعوبها من التأثيرات الطاغية لاعلام الدول المحتكرة لأدوات التأثير في هذا الميدان شاهد واضح على علاقة الثورة الاعلامية بجدية الخيار المتروك للأفراد في ظل هذه الظروف الجديدة .

● ومن المتغيرات الهامة كذلك زيادة التوتر الدولي واتصال موجاته على نحو أوشكت معه « الحرب الباردة » و « الظروف الاستثنائية » أن تصير حالة مستمرة ومستقرة قد لا تعود معها الشعوب أبدا الى حالة « الظروف العادية » التي صيغت النظريات الديمقراطية أصلا لتنظيم أسلوب اتخاذ القرارات في ظلها . . . واذا كانت الاستجابة المألوفة للظروف الاستثنائية المصاحبة للتوتر الدولي أو الداخلي هي « تركيز السلطة » وتقليص المشاركة الجماعية في اتخاذ كثير من القرارات ، والترخص بقبول كثير من صور التجاوز والخروج على « قوانين العمل الداخلي » للديمقراطية ، فان معنى هذا أن ظروف التوتر الدولي والداخلي ذي المحاور المتعددة التي تكاد تشمل دول العالم جميعا لم تعد ظروفا مواتية لممارسة الديمقراطية ، وأنه قد صار علينا أن نتكيف مع هذا الظرف الجديد ، وأن نحدد لأنفسنا صور الممارسة الديمقراطية وحدودها وأساليبها البديلة خلال هذه الحقبة الجديدة .

هذه بعض معالم النظرة الجديدة للديمقراطية كما ينبغي ـ في تقديرنا ـ أن تكون ، في ضوء الرؤية العضوية للترابط بين أبنية المجتمع ومؤسساته الفوقية ، وبين الطبقات المختلفة التي يتكون منها نسيجه . . .

وفي ضوء المتغيرات التي أشرنا الى بعضها . . وجدير بنا جميعا أن نشتغل بدراسة هذه المتغيرات وأن نرتب حياتنا السياسية على أساس التعامل معها بدلا من اضاعة الوقت في حوارات عقيمة حول شعارات سياسية صاغها علماء نظريون في أزمنة غابرة . . ولم يعد أكثرها صالحا لتفسير الحقائق السياسية لعصرنا . . . أو معالجة المشاكل السياسية والاجتماعية الحقيقية لشعوبنا . □□

الرأي العام بين الإستفتاء .. والقرار

بقلم : الدكتور عبدالله حسن العبادي

□ الرأى العام ، ما هو أثره وتأثيره ؟
إنه شيء آخر غير رأى الجمهور وجماعات الغوغاء والدهماء ، لأن هذه الأخيرة تتحكم فيها العواطف والمشاعر !

يعرف علماء الاجتماع عادة الرأى العام : بأنه الرأى الغالب أو رأى الاغلبية من الناس . ويمكن أن نلخص فكرة الرأى العام فنقول : بأن هناك مسائل معينة أو قضايا محددة ذات طبيعة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو غير ذلك ، تطرح على سبيل المناقشة وتبادل الآراء فيها ، وبذلك تتمكن مثل هذه المسائل أو القضايا من الحصول على رأى متفق عليه من غالبية الافراد المشاركين في إعطاء الرأى حولها ، وهذا ما يقصد به الرأى الغالب .

فالرأى هنا يمكن ان نقصد به النظرة الى الأمور المتضمنة معنى الترجيح والاعتقاد ، وهو ←

الرأى العقلي الغالب في جماعة ما ، ويسمى (الرأى العام) لأننا نميزه عن الرأى الفردى أو الشخصى إذ تعدد أصحابه والقائلون به .

ولكن هل من الضرورى أن يكون الرأى العام إجماعيا ؟ بمعنى أن تتفق القضايا جميعها المطروحة للنقاش وأخذ الآراء فى موضوع ما في الوصول الى تقرير شيء معين بصددها سلبا أو ايجابا ؟ ان بداهة المنطق تفترض القول ان ذلك قل أو ندر أن يحدث ، وذلك يعنى أن الرأى العام لا يكون مطلقا في عموميته وكليته . وليس شرطاً في الرأى العام أن تصل فيه آراء الجماعة الى مستوى الأغلبية أو الاجماع التام .

الرأى العام والرأى الخاص

وفي الوقت نفسه يجب علينا أن نلاحظ شيئا هاما للغاية وهو أن الرأى العام غير الرأى الخاص أو الرأى الشخصي ، فالرأى الخاص ظاهرة نفسية تمثل رأى شخص معين معروف ، فهو الذى يقول هذا الرأى ويتمسك به ويدافع عنه .

أما الرأى العام فيختص بمجموعة كبيرة من الأفراد ، ذات مشارب مختلفة في الفهم والثقافة والمعرفة ، وذات خلفيات متباعدة في التكوين الاجتماعي والاقتصادي لها . ويتميز الرأى العام من الرأى الخاص بثباته النسبى ، وبأنه أقل تعرضا للتغيير والتحويل الذى قد يطرأ على الرأى الخاص أو الرأى الشخصي . وليس معنى ذلك أن الرأى العام يتميز بالجمود والثبات عند نقطة معينة ، وانما هو قد يتحول في اتجاه آخر اذا تغيرت الظروف والمعطيات . وقد دلت الدراسات التجريبية التي تجرى باستمرار في الدول الصناعية المتقدمة أن الرأى العام يتصل اتصالا وثيقا بالجماعات التي يرتبط بها الافراد ـ ومعنى ذلك أنه لو وجهت أسئلة الى الأفراد بوصفهم أعضاء في جماعة ما ـ عن مسألة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو رياضية ، فان رأيهم سيكون مختلفا عن رأيهم الشخصي الذى سيبدونه فيها لو وجهت لهم الأسئلة بصفة خاصة .

كيف يتأثر الرأى العام ؟

والرأى العام هو غير رأى الجمهور أو جماعات الغوغاء والدهماء لأن هذه الجماعات الاخيرة تتحكم فيها العواطف والمشاعر الى درجة كبيرة ، وقد تجمع بينهم الصدفة وحدها . . كما يحدث لبعض الناس عندما يتجمعون في شارع ما لرؤية حادث سيارة مثلا . أو عندما تذهب جماعات مختلفة المشارب لمشاهدة مباراة في كرة القدم . وهناك اختلافات اجتماعية ونفسية بين كل من جماعات الرأى العام وجماعات الدهماء . فمثلا نجد أن جماعات الرأى العام ترتكز في أفكارها الموحدة وفي كيان وجودها على اتصال روحى وثيق يربط بينها ، وعلى تفاهم تام في الميول والأهداف والاتجاهات والأفكار . ان بلورة هذه المفاهيم المتقاربة قد تكون ناتجة عن قراءتهم لصحف معينة ، أو استماعهم الى اذاعة واحدة ، أو لأنهم يتلقون مصادر معلوماتهم من وسائل اعلامية واحدة ذات هدف واحد . أما بالنسبة لحالة العامة أو الدهماء فان اتصالهم ببعض يكون عادة إما بالكلام أو بالاشارة ، وذلك يتبين جليا من حالتهم عندما يتجمهرون حول حادثة ما في

الكاتب :

استاذ مساعد بقسم الدراسات الاجتماعية ـ جامعة الملك سعود، ومعار حاليا للعمل بمجلس التعاون لدول الخليج العربية .

الطريق العام . فالملاحظ هنا أن الصدفة تجمع هؤلاء الأفراد ، وهي التي لعبت دورا رئيسا في تجمع هذا العدد الكبير نسبيا من العامة لرؤية الحادثة ، وصحيح أن الأفراد من العامة يكونون متلاصقين ببعض ،ومتجاورين لرؤية الحادثة ، ومشاهدة ما يجرى ، ومثل هذا التلاصق والتلاحم الجسمى قد لا يحدث لجماعات الرأى العام التي قد تكون متباعدة عن بعضها ، غير أن وسائل الاتصال من صحافة وإذاعة وتلفزيون وغيرها تربط بين أفكارهم ، وتوحد اتجاهاتهم ورؤيتهم في الحياة العامة .

وينتج عن هذا التباعد الموجود بين أفراد جماعات الرأى العام أن تكون قوة الايحاء والتأثير في هذا النوع من الجماعات أقل وأخف منها في أفراد الغوغاء والعامة ، ولعل السبب في ذلك عائد الى تقارب هؤلاء العامة وتلاصقهم وتباعد أفراد جماعات الرأى العام ، غير أننا نلاحظ في مقابل ذلك أن درجة التأثير واستمراره في أفراد جماعات الرأى العام أشد بكثير منها في أفراد العامة . . ولعل السبب في هذا يرجع الى ذوبان أهمية الحادث العرضي الذى جمع بين هؤلاء الأفراد من العامة ، فعندما ينتهي الحادث العام في الطريق أو تنتهي مباراة كرة القدم يتفرق هؤلاء الأفراد كل الى عمله ، أو الى منزله ، وكل حسب وجهته ، في حين أن أفراد جماعات الرأى العام تكون قوة الايحاء والتأثير عليهم مستمرة لفترة غير قصيرة من الزمن ، لأنهم يلتقون حول افكار معينة ورؤى محددة .

الانتماء إلى جماعة واحدة

وهناك فرق آخر واضح أيضا بين أفراد جماعات العامة وبين افراد جماعات الرأى العام . . ففي الجماعات الاولى لا يتمكن الانسان من الانتماء في نفس الوقت الى أكثر من جماعة واحدة من جماعات العامة . . فمثلا لو افترضنا أن عدة حوادث من حوادث السيارات وقعت في ثلاثة شوارع من الرياض ، إحداها في شارع المطار ، والثانية في شارع الجامعة ، والثالثة في شارع الضباب ، فان ذلك لا يتيح للفرد في جماعات العامة الا الانضمام لاحدى الجماعات في شارع واحد لرؤية الحادث ومشاهدته .

أما في حالات جماعات الرأى العام فان الفرد يمكنه الانتماء الى عدة جماعات منها ، فهو قد يكون عضوا رياضيا في ناد ما ، وقد يكون عضوا في احدى الغرف التجارية والصناعية ، أو يكون عضوا في احدى الجمعيات التعاونية . .

التأثير المتبادل

وللرأى العام في عصرنا الحاضر سلطات كبيرة على الناس ، ولا سيما الذين يكونون في مواقع قيادية ، ويؤثرون ويتأثرون بمجموعات كبيرة من آراء الناس حولهم ، وحول الاعمال التي يقومون بها ، ولقد أخذ تأثير الرأى العام على القادة السياسيين يتفاعل ويتزايد مع مرور الأيام ، ومع وجود تفاوت في هذا التأثير المتبادل بين القادة السياسيين وبين الناس المؤثرين فيهم أو المتأثرين بهم . ان ذلك يحدث تبعا لظروف الزمان والمكان والاشخاص أنفسهم ، ومستوى التعليم ، ومقياس الوعي السياسي والاجتماعي عند هؤلاء الناس . ولقد حاولت الأنظمة السياسية ، بمختلف أنواعها في العالم.وما تزال ـ (من ديموقراطية ـ واشتراكية ـ واستبدادية ـ وديكتاتورية فردية ـ وعسكرية وغيرها) كسب جانب الرأى العام إلى صفوفها . وتفننت هذه الأنظمة مستعينة في ذلك بالوسائل الفنية والعلمية والفلسفية ، أن تكسب الرأى العام وتداريه وتدغدغ عواطفه وأحاسيسه ، حتى تضمه الى جانبها ، وحتى تتحاشى التصادم معه ، وبذلك تؤثر القيادات السياسية في الرأى العام كما يؤثر الرأى العام فيها .

وتكثر وسائل التعرف على اتجاهات الرأى العام وقياسه قياسا فيه كثير من الدقة ـ بقدر الامكان . . وهناك هيئات وجهات رسمية وغير رسمية تخصصت في بعض جوانب هذا التعرف ، والوقوف على اتجاهات الرأى العام . وتجرى الدراسات لقياس الرأى العام أيام الانتخابات السياسية وغيرها من الانتخابات ، ووسائل ذلك الصحافة ووسائل الاتصالات الاخرى ، وسائر مجالات التعبير والنشر والاحصاء والاستفتاء ، وكلما توفرت الحرية لهذه القياسات دون تدخل أو ضغط من الجماعات ذات المصلحة ، حصلنا على قياسات للرأى العام دقيقة ، وتعطي رأيا غالبا ، ولكن على النقيض من ذلك . . كلما تدنت وسائل قياس الرأى العام وتدخلت عوامل أخرى بالمال أو غيره ، حصلنا على مهازل مضحكة نسميها اتجاهات الرأى العام ! □□

■ نحن نسقط لكي ننهض .. ونهزم في المعارك لنحرز نصرا أروع .. تماما كما ننام لكي نصحو أكثر قوة .

«براوننج»

طفل عامل .. هكذا رسمت الحياة بؤسها على قسم

في عيد العمال

صرخة ١٥٠ مليون طفل عامل !

بقلم : الدكتور عدنان رشيد

□ كلنا يتذكر رواية الكاتب الانجليزي شارلز ديكنز (أوليفر تويست) التي صور لنا الطفولة المعذبة في انجلترا ابان الثورة الصناعية التي بدأت في القرن الثامن عشر ، لقد انقضى أكثر من قرن على صدور الرواية ، طرأت خلاله تطورات عميقة على الحياة في أوروبا ، الا أن الكثير من الدول ظلت بعيدة عن تطبيق قوانين تحريم تشغيل الاطفال في المصانع ، ولكن يبدو أن انتشار الفقر والبطالة ورخص الايدي العاملة بين الصغار أدى الى الاستعانة بالاطفال في عملية الانتاج ، وعادت المأساة .

في العالم اليوم ١٥٠ مليون طفل بين الخامسة والسابعة يعملون في البناء ومصانع النسيج بأجور تافهة لا تكاد تسد الرمق . .

ففي دول امريكا اللاتينية يعمل الصغار في البناء ، ويحمل هؤلاء الطابوق فوق ظهورهم مما يؤدي بمرور الزمن الى تقوس الظهر وتراخي الفقرات ، أما الذين يعملون في المصانع فيتعرضون الى امتصاص السموم الكيماوية والغازات الاخرى التي تضر بالصحة .

وفي الدول النامية وحدها ٧٥ مليون طفل في عمر الثامنة يعملون في الورش وأعمال البناء ، وفي مسح الاحذية ، أو كباعة متجولين . . انهم يضعونهم في مواقع العمال القادرين على العمل ، وترتفع نسبة البطالة ، فالاطفال يتقاضون أجورا منخفضة ، فنجد مثلا في جزيرة هايتي آلاف الاطفال يعملون في نقل الماء ، ويتقاضى الواحد منهم لقاء ١٥ كليو جراما من الماء ٥٠ سنتا امريكيا ، رغم أن القانون ينص على أن الحد الادنى لاجر العامل هو ٤ دولارات . . !!

وفي الهند يعمل ٤٠ ألف طفل في صناعة تغليف الالعاب النارية ، ويتقاضى الطفل ٤٠ سنتا يوميا ، أما صاحب المصنع فيجني ربحا سنويا يقدر بحوالي ١٥٠ مليون دولار . . .

واذا ما عصى الطفل تعليمات وأوامر صاحب المصنع ، فان صاحب المصنع يلجأ الى أعنف أساليب العقاب ، ومن بينها كي جسده بقضيب معدني ملتهب . . !!

أم تبيع طفلتها !

وفي تايلاند دفع الفقر اما الى بيع طفلتها البالغة من العمر ٨ سنوات الى مصنع للغزل ،

أطفال فى عمر الزهور يعملون ويكدحون ويعانون

للعمــل طيلة اليــوم وطيلة العــام بمبلغ ١٠٠ دولار . وتعمل هذه الطفلة طوال ساعات النهار فى غرفة ساخنة ، فاذا مرضت وجب عليها أن تعوض أيام غيابها بالعمل ساعات اضافية ، أما اذا تباطأت فى العمل فإن المسؤل يضربها بالعصا ضربا مبرحا يمزق نياط القلوب . وتنام الطفلة مـع بقية الاطفـال على الارض بـدون فراش ! وتعد هذه الاساليب شكلا من أشكال العبودية الحديثة ، رغم أن قوانين العمل فى العالم وقوانين الامم المتحدة تحرم ذلك ، ولكنهم لا يدركـون مضمون هذه القوانين ، بسبب غياب النقابات والجمعيات التى تهتم بأمور الطفولة . .

وفى امريكا اللاتينية وافريقيا يعمل الاطفال فى خدمة العوائل الثرية ، واذا حـاول أحدهم الهـرب يضربـه رب البيت بقسوة ، وتتسـاقط دموعه طالبا الرحمة ، أمـا الفتيات الصغيـرات فيتعرضن للاغتصاب !!

وفى امـريكا الـوسـطى يعمـل الاطفـال فى الحقـول والمزارع فى مـوسم الحصـاد ، وجنى الثمار من الاشجار .

والى هنا ، والعمل طبيعى بـال[illegible]ـة لاطفـال صغار فى هذه السن وسط الحقول ، ر[illegible]ـن وغالبا ما يقوم أصحاب المزارع برش هذه الحقول من الطائرات بالمواد الكيماوية المبيدة للحشرات ، الامر الذى يشكل خطرا كبيرا على صحة هؤلاء الاطفال .

وفى كولومبيا يعمل الاطفال فى مناجم الفحم الضيقة المسالك والممرات ، ويصابون بعد فترة

من الزمن بالسل الرئوى ، لعدم تناولهم الحليب الذى يمتص الغازات المضرة . .

ولنعد الى تايلاند ، حيث يعمل أغلب الاطفال فى مصانع الزجاج ذات الحرارة العالية ، التى تصل الى ٧٨٣ درجة مئوية دون وجود مراوح أو أجهزة تكييف .

وفى البرازيل يعمل الاطفال فى مصنع نفخ الزجاج لصناعة الاقداح ، فيتعرضون للتسمم بسبب استنشاق اوكسيد الحديد والزرنيخ والسيليكون ، مما يؤدى الى اصابتهم بأمراض فى أجهزة التنفس .

أما الاطفال الذين ينقلون الطابوق فوق ظهورهم فى أعمال البناء فى الكثير من دول العالم الثالث فانهم يتعرضون لآلام مستمرة فى العمود الفقرى يتعذر علاجها . . .

ويشكو أغلب الاطفال الذين يعملون فى المصانع لساعات طويلة من أوجاع فى عظام الساقين والساعدين ، وتنتهى حياة اغلب هؤلاء قبل بلوغهم سن الرشد . . !!

وفى الهند يموت أغلب الاطفال بالانفجارات الكيماوية والصدمات الكهربائية ، نتيجة لانعدام الامن الصناعى داخل المصانع . .

أما فى افريقيا فيعمل الاطفال الملونون طيلة الشهر بمبلغ دولارين ، وعندما يتعذر على الطفل الملون ايجاد عمل له ، يضطر الى التسول أو البحث عن الطعام فى القمامات .

هل تصدق أن الطفلة الصغيرة عاملة بناء ؟

٤٠ مليون طفل مشرد

وفى كولومبيا يجهل ٣٠ فى المئة من الاطفال اباءهم ، اذ يمضون يومهم فى الملاجىء الحكومية ، حيث يبلغ عددهم ٣٢ ألف طفل مشرد . .

أما عدد الاطفال المشردين فى امريكا اللاتينية فيبلغ ٤٠ مليون طفل وأغلبهم يكسب قوت يومه من غسيل السيارات ومسح الاحذية أو

التسول . .

وفى فرنسا يعمل الاطفال فى الصيف فى قطف الكروم من المزارع ، وفى ايطاليا تعمل الفتيات الصغيرات فى المصانع كما أن ٦٠ فى المئة من أطفال الولايات المتحدة يعملون فى المصانع للحصول على أجور تكفيهم لتغطية متطلبات هواياتهم ، كشراء الكاميرات وآلات التصوير والألعاب المسلية !!

وبسبب انعدام الأمن الصناعى فى المصانع يفقد أغلب الاطفال سيقانهم أو سواعدهم أو بعض أصابعهم ، اضافة الى اصابتهم بامراض نفسية ، ناهيك عن معاناتهم بسبب سوء التغذية المستمرة ، مما يؤثر على قوة تفكيرهم ومستوى ذكائهم .

وفى جنوب ايطاليا وبالضبط فى منطقة (التامورا) انتحر طفل لان والديه عرضاه للبيع فى مزاد علنى فى السوق ليعمل راعيا للاغنام ، وقد أشارت النقابات الايطالية الى أن كثيرا من الاطفال يباعون كل عام سرا بسبب الفاقة والعوز ، أضف الى ذلك أن أغلب الفتيات فى تايلاند والفليبين اللواتي يبلغن الثامنة من العمر يمارسن البغاء بسبب الفقر . وقد انتشرت هذه الظاهرة فى الهند واستراليا وايطاليا ، حيث تمارس الفتيات فى عمر العاشرة البغاء العلنى ، وكذلك فى مواخير نابولى وجنوا وروما حيث اعتادت الفتيات الصغيرات ممارسة البغاء

أما فيما يتعلق بالتعليم فاننا نجد أن أغلبهم لم يزر المدرسة ، ففى ايطاليا مثلا لا سيما فى مدينة نابولى تقول الاحصائيات أن طفلا واحدا من كل ٣ أطفال لم يزر المدرسة حتى الان !

أما المدرسة الابتدائية فلم يدخلها أطفال سوى ٢٢ بالمئة من الاطفال هناك . .

ان الاطفال الذين يساهمون فى تشييد وبناء حضارة واقتصاد العالم النامى والمتقدم على السواء لا يعرفون الاجازة السنوية ، ويفتقرون الى حنان الام ورعاية الاب .

وتشير احصاءات الأمم المتحدة بأن تكاليف صاروخ عابر للقارات تكفى للانفاق على مليون و ٥٠٠ ألف طفل لمدة عام .

الطفل والمستقبل

ان قوانين العمل تحرم تشغيل الاطفال فى المصانع واعمال البناء وغير ذلك من الاعمال الشاقة ، الا أن الفقر المتفشى فى الدول النامية ، وانعدام الترابط بين أفراد الاسرة فى الدول المتقدمة ، وعدم اهتمام المسئولين بهذه الظاهرة لعدم وجود برامج للاصلاح الشامل ، جعل الاطفال يقذفون بأنفسهم فى هوة الاعمال الشاقة لتوفير لقمة الخبز ، مما يؤثر بدوره على الايدى العاملة حيث يعد الطفل عاملا منافسا للعمال فى البلدان النامية ، اضافة الى انهم أيد عاملة رخيصة تغرى أصحاب الاعمال على استغلالهم دون وازع دينى أو انساني او قانوني . .

ان العالم ينفق كل دقيقة مليون و ٣٠٠ ألف دولار على التسلح ، ولكننا نسينا الاطفال المعذبين فى العالم ، وان لم تسارع الحكومات فى الدول النامية والمتقدمة الى منع تشغيل الاطفال فى المصانع وأعمال البناء وانحدارهم الى عالم التسول ، فاننا سنبقى متخلفين قرونا طويلة ، رغم مظاهر الحضارة التى تفاخر بها الدول التى سبقتنا !

ان ثمة قصصا مؤلمة عن جنوح الاطفال الى الجريمة والتسول والبغاء والعمل الشاق . وقد آن الأوان لتشريع قانون يمنع تشغيل الأطفال ، وينبغى على الحكومات فى الدول النامية فرض ضريبة على كل مواطن ، تسمى (ضريبة الطفولة) وتودع فى صندوق خاص تشرف عليه الهيئات الاجتماعية لانفاقها على الاطفال الفقراء لتعليمهم ، وايجاد أعمال لهم ، لكى نعيد لهم الابتسامة المشرقة ، والفرحة العذبة ،أسوة بالاطفال السعداء فى العالم . . فالطفل هو المستقبل . □□

الكأس الواحدة

شعر : محمد الفايـــز

عجبت لهـم من فتيــة قــد تكــهنــوا
بما سوف يــأتي أو من الوحي لُقنــوا
الى الآن لـم تبــرح بهـم نــزعــاتهـم
تميــزهـم عن غيــرهـم حــين تقــرن
نشاوى وإن لم يشربـوا ، وصدورهم
خــرائط بــرق أو فضــاء ملــون
وقــد عـرفــوا أن الحيــاة ومــا بهــا
من المــاء ان المــاء يصفــو ويــأسن
ومهمــا يكن مـن أمــرهم فجميــعهـم
عــلى الفطــرة الأولى ومــا تتضمــن
لئن حــاصــرتهم كــل حــرب وأوغلت
بــهـم أمــم شتــى فلـم يتمكّنــوا
فمــا بــرحــوا ظــلا ومــاء لســاكن
وفيهم هــوى للمــوت شــارٍ ومــزمن
كــأني أرى الخيّام يبكي وقـد صحـا
مــن النــوم ان المــوت نــوم مكفّــن
لقــد عـرف الأفــلاك كيف مــدارهــا
يــدور ولكــن مــادرى كيــف تطحــن
أكــان لــزامــا طحن أرض نبــاتهــا
زبيــب وحنــاء وتمــر وســوســن

ودُور كـأن الصخـر في حجـراتـهـا
قلـوب بها حـزن لـو الصخـر يحـزن
نـوافـذهـا يبكي عليهـا زجـاجهـا
وكـان بهـا العصفـور يـأوي ويقطن
وكـانت حروب الناس كُـلاً بـأرضـه
فصارت كأن الحـرب في الناس ديـدن
لقـد نفخـوا في الطـين فهـو زخـارف
وظـلّ وطـين النـاس نتـن مـعفـن
وجـاءوا بمـوت آخـر لاتـردّه
دروع ولا حصـن لمـن يتحصـن
وقـالوا هي الأشيـاء تنمو مـع المـدى
كـذلـك هـذا المـوت ينمـو ويسمن
وليس الـذي يبقـى مقيمـا بكـهفـه
كـذاك الـذي يبنـي بنـاءً ويسكـن
تجـاوز فينـا الحـزن حـدّا أحـالـه
رمـوزا وبعض الـرمـز حـزن مبطن

في الثمانينات ..
الأطفال أقل طولاً .. والفقر هو المتهم

بقلم : محمود المراغي

أصبح الاطفال في زامبيا أقل طولا بالنسبة لاعمارهم .. وأصبحوا في سان باولو ـ عند الولادة ـ أخف وزنا مما هو مألوف بالنسبة للطفل الطبيعي !

الخبر ـ مع مجموعة أخرى من الاخبار الهامة ـ أعلنته منظمة دولية هي منظمة الامم المتحدة للاطفال والمعروفة باسم اليونيسيف .. والخبر جاء ضمن تقرير شامل يشير للاخطار التي تهدد اطفال العالم ، بسبب موجة الركود الاقتصادي التي تجتاح العالم .. وسوف تستمر في اجتياحه طوال هذه الحقبة تاركة العديد من الآثار التي من بينها : طفل أقصر .. وآخر أخف وزنا .

الا أنه في حساب الآثار الشاملة على الطفولة ، فان الصورة أكثر قتامة .

يقول التقرير : انه في كل صباح يموت (٤٠) ألف طفل لم يحتفل أي منهم بعيد ميلاده الاول .. ومعنى هذا ان العالم يفقد (١٤) مليون طفل كل عام ، ممن لا تتجاوز أعمارهم السنة الاولى من حياتهم !

وبالطبع فان النسب تختلف من منطقة الى أخرى .. ومن حقبة الى أخرى ، وبينما يجرى ترتيب الدول في دراسات أخرى وفق الدخل القومي الذي تحققه كل منها .. فإن منظمة الطفولة ترتب الدول وفق نسبة وفيات الاطفال الرضع ... ووفقا لذلك نجد أنه يموت في كل من أفغانستان وفولتا العليا وسيراليون مائتا طفل من كل ألف طفل رضيع .. بينما تهبط النسبة الى أدنى السلم لتصل الى ٧ بالالف في السويد وفنلندا واليابان ، وهذا يعنى أن معدل الوفيات في بعض الدول الفقيرة يتجاوز المعدل في بعض الدول المتقدمة بنحو ٢٩ ضعفا .

وهناك بالطبع استثناءات في العالم الفقير مثل الصين .. ولكن تبقى القاعدة العامة أن أطفال الفقراء يموتون أكثر .. وأن هؤلاء يتأثرون بالفقر وبالركود الاقتصادي (حتى لو كانوا في دول غنية) من خلال قناتين : الاولى انكماش دخل الاسرة .. والثانية انكماش الانفاق الحكومي ، وفي الحالتين يتم ترجمة الامر الى انكماش في الغذاء والكساء والرعاية الصحية للطفل .

وبتفصيل أكثر فان الاطفال الرضع (أقل من عام) ، وهم موضع الحديث ، لا يموتون بهذه النسب العالية بسبب أوبئة أو أمراض خطيرة .. لكنهم يموتون لاسباب قد تبدو بسيطة ، فالإسهال مثلا ـ وما يسببه من جفاف ونقص للسوائل في الجسم ، يموت بسببه ٥ ملايين طفل سنويا .. ويعتبر الخبراء أن الجفاف هو السبب الاول للوفاة عند الاطفال في العصر الحديث في الدول النامية !

وداخل دائرة (البسيط القاتل) أيضا يأتي مرض الحصبة ليحصد ، مليونين من الرضع كل عام ، ثم السعال الديكي ليحصد مليونا ونصفا .. ثم .. تأتي أمراض سوء التغذية وغيرها .

هذه الاسباب المباشرة لموت (١٤) مليون طفل رضيع .. هل هناك من سبيل لعلاجها ؟

في عام ١٩٠٠ كانت نسبة هذه الشريحة من الوفيات في مدينة نيويورك (١٤٠) في الالف .

ثم أصبحت هذه النسبة الان من نصيب بنجلاديش وبرئت نيويورك من الامراض القاتلة . . و . . هكذا حدث تقدم شديد في المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والصحى فى العالم المتقدم ، وقد ترك هذا أثره على صحة الاطفال . . ولكن هل يحدث نفس الشيء في العالم النامي ؟

المنظمات الدولية لا تتوقع ذلك وتعتقد أن المدخل الاقتصادي ومفتاح الوفرة الذى قضى على الامراض وأشاع العناية بالطفل ودفع بالامهات الى مستوى جديد من الوعى . . هذا المدخل لن يكون متاحا للدول النامية في زمن الفقر والركود ، وأن المدخل المناسب شيء آخر . . أقل تكلفه وأيسر سبيلا .

وتقول الدراسة الهامة التي أصدرتها اليونيسيف عن أطفال سنة ١٩٨٤ان ثورة في أسلوب حماية الاطفال يمكن أن تحدث . . وأن المفاتيح الاربعة لذلك أبسط مما نتخيل .

مفتاح أول ـ علاج جديد لجفاف الاطفال . . وهو علاج بالفم لاول مرة !

مفتاح ثان ـ أن نراقب نمو أطفالنا . ونزن الطفل كل شهر . . ونستشير المتخصصين !

والمفتاح الثالث : التحصين ضد الأمراض .

والمفتاح الرابع : أن ترضع الام طفلها . . ولا تعتمد على الوسائل الصناعية .

ووفقا لما تقوله الدراسة فإن ذلك يمكن أن ينقذ كل عام (٧) ملايين طفل ، ويخفض نسبة الوفيات في هذه الشريحة من العمر (أقل من عام) الى النصف .

وبالطبع فإن (ثورة حماية الاطفال) لاتعتمد على الجهود الحكومية وحدها لكنها تعتمد على الجهود الشعبية في الاساس . . فعندما نعرف أن نسبة الوفيات ترتفع لدى الامهات اللاتي يتزوجن تحت سن العشرين . . أو يلدن مرات متتالية ، واذا عرفنا أيضا أن الكثير من الامراض عمادها البيت النظيف وغير النظيف . . اذا عرفنا ذلك فلا مفر من أن نقول : نعم ان الجهد الشعبي هو الاساس .

وحين نقول ذلك فاننا لانعالج قضية تهم المختصين وحدهم ، أو قضية النساء وأطفالهن البؤساء . . لكننا نعالج قضية اعتبرها المجتمع الدولي قضية سياسية من الدرجة الاولى حتى أن الجمعية العامة للامم المتحدة قد اتخذت قرارا عام ١٩٨٠ بتخفيض نسبة الوفيات للاطفال الرضع فقد كانت النسبة عام ١٩٥٠ تبلغ عشرين بالمائة من عدد أطفال العالم الثالث . . فأصبحت عام ١٩٧٥ : تبلغ عشرة بالمائة . . وأصبح المستهدف بموجب قرار الامم المتحدة النزول بالنسبة الى خمسة بالمائة عام ٢٠٠٠ .

ولكن . . هل نستطيع ؟

المنظمة المتخصصة (اليونيسيف) تقول : ان الدلائل تشير الى أن اكثر من سبعين بلدا ـ تضم ٦٠٪ من المواليد ـ سوف تعجز عن تحقيق ذلك بسبب ظروفها الاقتصادية . . لذا فإنه بينما كان طريق الخلاص في العالم المتقدم : تنمية اقتصادية يصاحبها طب متقدم . . أصبح النمط المطلوب في العالم الثالث : (طب بسيط فعال تساعده جرعات من التنمية) .

وفى العلاج أيضا يقولون : ان تكنولوجيا الغرب المتقدمة فى الوقاية والعلاج وطب الاطفال ليست هى المطلوبة . المطلوب شيء ابسط من ذلك يحقق (نتائج أفضل بموارد أقل) . . و . . يضربون المثل بكوريا الشمالية والجنوبية والصين وسيرى لانكا .

وهل يحتاج الزواج المتأخر ، . . وارضاع الطفل طبيعيا ، والحمل في فترات متفاوتة الى امكانات اقتصادية واسعة ؟

الجواب طبعا بالنفي . . والبداية الطبيعية هي الوعي . . وهو وعي يصنع ثورة تنقذ ملايين الاطفال الذين يموتون قبل أن تتفتح عيونهم على الحياة . □□

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : سليمان حيدر

هناك (عالم) ومعالم أخذنا نفتقدها تدريجيا في بعض اقطارنا العربية ، بعد أن توالت علينا هجمات المواد المصنعة المستوردة ..

فما هو ذلك العالم .. وما هي تلك المعالم ؟؟ ..

الطرق على النحاس ... أدوات بسيطة وحس جمالي فائق .

ارتبطت كلمة (صناعة) في أذهان الناس ، بالمصانع الكبيرة التي تنفث دخانا يلوث البيئة ويغطي السماء بطبقة من غباره ، مما يؤثر على حياة الناس ويساعد على انتشار الأوبئة والامراض .

وارتبطت الصناعة أيضا بهدير الآلات الذي يصم الأذان .

لكن مارأيك عزيزي القارىء لو نقلناك الى واقع آخر مألوف ولكن غير مطروق .. واقع (صناعي) لاتسوده الاجواء التي تحدثنا عنها ، ولاينبعث منه الدخان الاسود .. تتأثر فيه الحواس ولكن بصورة أخرى ، فهي ترتقي وتسمو وتحلق معه الى آفاق بعيدة موغلة في القدم ، وتختلط فيه الأجواء الفنية بالأجواء الصناعية .

واقع تلعب فيه اليد ـ سيدة الآلة ـ الدور الاساسي وتستعمل فيه أدوات صغيرة وبسيطة .. !

ننقلك الى أجواء مايسمى (بالصناعات التقليدية) .

حيث بات معروفا أن هذه الصناعات تعرضت منذ زمن في وطننا العربي الى منافسة شديدة من قبل الصناعات الحديثة المستوردة التي تسربت الى البيوت ، وكادت أن تطردها وتهدد وجودها بالانقراض .

وقد وجدنا في الجمهورية التونسية اصراراً على المحافظة على تقاليد الكثير من هذه الصناعات التقليدية .. مما حتم علينا وقفة تأمل وبحث ودراسة لها ، فكيف عاشت هذه الصناعات ونمت وتطورت وأصبحت علامة مميزة لتاريخ هذا الشعب وتراثه على مر العصور ؟

ـ ان زائر تونس سيكتشف أنه يوجد في كل مدينة وقرية تقريبا معارض لبيع هذه الصناعات .

ـ ورش كبيرة وصغيرة تصنع التحف التي تحمل طابع القطر الشقيق وطبيعة حياة أهله .

ـ بيوت اختصت بصناعة معينة من تلك الصناعات ، يعمل فيها الاب والام والاولاد .

ولكن ماهي تلك (الصناعات التي تحتل كل هذه الاهمية ؟؟

التجميلي والاستعمالي

يقول السيد محمد المصمودي مدير الديوان القومي للصناعة التقليدية :

● هناك عشرات الصناعات التقليدية المنتشرة في شتى أنحاء تونس.

- الزربية ـ السجاد ـ والنسيج :
- الاثاث وصناعة الخشب .
- صناعة الخزف والسيراميك .
- الخيزران ومشتقاته .
- النحاس والحديد المطروق .
- المصوغات والمرجان .
- صناعة الجلود ومشتقاتها .
- الالات الموسيقية .
- الخياطة والدمي .
- الحرير والتطريز .
- المرمر المنحوت والحجارة المنقوشة .

ويمضي المصمودي في حديثه فيقول « وقد تولد عن هذا النشاط سلسلة منتجات قد تصل الى الآلاف .. بعضها صنع خصيصا للتجميل والزخرفة ، وبعضها يحتل مكانا بارزا في البيت التونسي وبيوت الزوار الذين يقبلون على اقتنائه لاستعمالهم الشخصي ، والفرق واضح بين النموذجين .. »

ومهمة الديوان القومي ـ كما يقول المصمودي ـ هي المحافظة على التراث ، والعمل على اثرائه تقنيا وجماليا ، ان كان لهذا الغرض أو ذاك . أعني ان كان للاستعمال اليومي أو للزينة والاقتناء .

وقبل أن نتابع تسجيل بقية حديثنا مع السيد المصمودي ننتقل معا في رحلة سريعة الى الاسواق نستكشف ما فيها ونسجل انطباعاتنا .

محمد المصمودي . . مدير ديوان الصناعات التقليدية

ندخل أسواق مدينة تونس المحاذية والقريبة من جامع الزيتونة . . مئات المخازن والمعارض والدكاكين والمحلات (والمغازات)* تغص بمئات المتوجات من الصناعات التقليدية . . .

صانع الجلود يبتكر . . وتخرج من بين يديه عشرات الصناعات . . الجميلة والزاهية . وطارق النحاس يشكل أطباقا ومزهريات ومصابيح بشكل فني جذاب . وصانع (الشاشيات) (الطربوش) أي غطاء الرأس الاحمر ، وصانع ألعاب الاطفال ، وبائع المصوغات والمرجان وصانع وبائع السجاد . . كل اولئك يصنعون عالما فنيا متعدد الالوان والاشكال ، ومتنوع الخامات والمواد ، يغلب عليه النقل والتقليد والتواصل مع ما ابتكره الاجداد ، بل هناك الكثير من المحاولات التجديدية في كل صناعة وفي كل مادة . قفاطين ، دشاديش من شتى الاشكال والاصناف ، نحاسيات ، جلود ، زرابي ، سيراميك ، فضيات ، ذهبيات الخ . . تكل رجليك وأنت تتنقل بين الطرق الضيقة المسقوفة ، التي تذكرك بأية مدينة عربية عريقة . . .

يخيل اليك أن الحجارة ستنطق وتروي ماصنعه بناتها وتخال أن الطرق ستنقلك بعد كل منعطف أو في نهايتها كي تلتقي وجها لوجه مع الرعيل الاول من مشيدي المدينة الذين تعاقبوا على اضافة اللمسات الفنية الحضارية على كل ركن فيها .

تاريخ متصل

لقد عرفت تونس هجرات وغزوات كثيرة قبل الفتح الاسلامي وبعده ، وكل شعب من تلك الشعوب حمل معه ثقافته ومميزاته الحضارية وابداعاته . . وبعضها مازال حاضر الوجود يشير الى عظمة ماتم انجازه لنقرأ معا ماكتبه عثمان الكعاك في كتابه (التقليد والعادات التونسية) الصادر عن الدار التونسية للنشر ١٩٨١ في طبعته الثالثة :

قال عن الفينيقيين : (جاء الفينيقيون من لبنان ، ونقلوا صناعات الأمم ومتاجرها من قطر الى قطر ، وأدخلوا الى تونس المزروعات والصناعات التقليدية والزينة) .

وعن المسلمين الذين قسم تاريخهم الى أطوار . . كتب الأستاذ الكعاك :

● المهلبيون : نشروا صناعة الزربية العجمية وغيرها من المأكولات والزراعات .

* مغازة : كلمة فرنسية تعني معرض ، وتكتب في تونس (مغازة) بدلا من معرض وهناك مصادر تشير الى أن الكلمة الفرنسية مأخوذة عن كلمة (مخزن) العربية !!

اضفاء لمسات جمالية على أقفاص سيدي بوسعيد ـ لاحظ التركيز على العمل اليدوي

مصابيح الاضاءة . . وجمالية الاستعمال .

السيراميك . قبل أن يكتسي صورته النهائية

الزجاج المكسور يمكن أن يصبح اداة استعمال مرة ثانية .

ملصال . . خامة تتحول الى العشرات من أدوات الاستعمال

تشكيل النحاس فيه صعوبة أيضا !

● الأغالبة : كوّنوا عادات احتفالات العيدين ، والمولد ، والطواف فيها على الأولياء ، وتزيين الأسواق ، وجلبوا الموسيقى الشرقية ، وصناعة الكاغد ، وشرب الشاي وأقاصيص جحا ، ولعب الشطرنج والنرد .

● الفاطميون : جلبوا الى تونس عادات الشيعة ، منها التمثيل الديني بعاشوراء ، وصنع عرائس عاشوراء ، والاكثار من الموالد ، وصور الحيوانات المنقوشة على الألواح أو الحجر أو الرخام .

● الصنهاجيون : نشروا التصوير الزيتي ، والموسيقى الأندلسية المركبة على الأزجال ، والموشحات المقسمة الى نوبات .

● الحفصيون : أسسوا الكتاتيب والمدارس على صورتها الحالية ، وبلغ الفندق والكوشة والصناعات مبلغ اتقانها الحالي .

● المراديون : دخلت في عهدهم الموسيقى العسكرية التركية والبشارف والأطعمة التركية ، ودخلت الصناعات التركية في التطريز والخياطة والملابس وغيرها .

وفي عصرهم أي عصر المراديين جاء الاندلسيون سنة ١٠١٧ م وأدخلوا أطعمتهم وبعض زراعاتهم ، وجلبوا آخر ما ظهر من الموسيقى الأندلسية في آخر مراحلها . وأثروا في أسلوب البناء ونظام المدن وأنواع الصناعات والتجارات والزراعات فقد جلبوا صناعة الشاشية والزليج ـ تشكيل المرمر والرخام ـ والحرير والتطريز والنقش العربي .

وهكذا توالت موجات البشر تصب في المدن التونسية وقراها ثقافاتها وصناعاتها وزراعاتها وعاداتها وتقاليدها . تتأثر وتؤثر في الناس المحليين .

وهكذا فان الصانع التقليدي التونسي عندما يصنع مادة ما ويشكلها ، فان علينا التذكر بأن وراء هذا التشكيل الجديد موجات من المد البشري ساهمت هي أيضا في التشكيل والتأثير ، وأن أنفاسها مرصودة في المادة المصنعة ، تعطيها العراقة ، وتوصلها بتاريخ ما انفك عن الامتداد والوصل والاتصال .

سراميك نابل

ولو انتقلنا من أسواق مدينة تونس الى أسواق مدينة نابل التي تبعد عن العاصمة حوالي ٥٥ كيلو مترا ، والتي لا زالت التأثيرات الأندلسية واضحة على مبانيها وصناعاتها ، فانك تجد المعارض غاصة بالمصنوعات التقليدية ، بل تجد المصانع الصغيرة ناشطة في صنع الفخار والسيراميك والأواني المنزلية ، وتحتل زوايا معينة في الطرق نفسها التي فيها المعارض . بل أن النابليين لجأوا الى توكيد شهرتهم بالسيراميك فأحاطوا شجرة أرز صغيرة بأكبر فخارة من السيراميك رأيتها في حياتي ، وزرعوها في وسط شارعهم الرئيسي . . الذي تحول الى متحف فني يعج بشتى المصنوعات التقليدية ، بل ان واجهات الكثير من المباني غطاها بلاط السيراميك وقطعه ، ورسمت عليه رسوم جميلة الشكل حسنة المناظر والزخارف .

جميلة ولباس تقليدي فيه البساطة والجمال معاً

عناق الأرز مع السيراميك في نابل

يقول الأستاذ الكعاك في كتابه المشار اليه سابقا :

« ويدخل الزخرف في تزيين الجدران والسقوف بالأشكال النباتية والهندسية والحيوانية ، فمن أجل الزخرف النباتي قبة المحراب بجامع القيروان ، ومن زخرف الحيوانات ما يوجد بالحمامات على الخصوص ، ومنها ما تزخرف به الأدوات مثل أواني الفخار الساذج والغفل والفخار المطلي » .

وَشْوَشَةُ البحر

ولو تحركنا من نابل وتوجهنا نحو مدينة الحمامات فاننا سنقطع حوالي عشرة كيلو مترات على طريق تحفها مزارع الزيتون والكروم .

وفي هذه المدينة التي تربض على شواطىء البحر .. تتحاور قلعتها التاريخية مع الموج وتحكي قصص ما شهدت ورأت ، وأحيانا تتعارك مع الموج .. وتتحدى غضبه وفورانه ، فيرق ويتصالح معها ليستمر التعايش بينهما .. بين الثورة والغضب ، والرقة والغزل والوشوشة والبوح والتناجي .... وتصطف بجانب القلعة معارض كثيرة مليئة بالمصنوعات التقليدية كغيرها من المدن التونسية .

ولو انتقلت الى سيدي بوسعيد التي تبعد حوالي ٢٠ كيلو مترا عن العاصمة فستجد نفسك وكأنك في حاضرة من حواضر الأندلس ، بناء ، وأزقة ، وأرصفة ، ونقوش أبواب ونوافذ ، وتمر على قرطاج فتواجه هدير الموج وهو يحاور أطلال تاريخ تليد ، حمل فيه الطموح الى أن يدق الفينيقيون وقائدهم هنيبعل أبواب روما ، بعد أن قطعوا جبال الألب المليئة بالوعورة والصعوبات والتعب .

يهيج المنظر فيك عروق الشجن ، وتتكاثف الذكريات فوق بعضها بعضا .. تغيم الصورة أمامك فتغمض عينيك هنيهة . فتصحو على الهدير ، بعد أن ضربت حاسة شمك رائحة أزهار البرتقال - والقوارص - أي الحمضيات ... فتصحو على نفسك وسط اشارات ورموز وأشياء تذكرك بأن (القيمة الجمالية) والقيم ما زالا مصدرا من مصادر العطاء فينا ، وأن جيش السياح الذين يتدفقون على أقطارنا وتغص بهم أزقتنا التاريخية وهم يبحثون وينقبون عن الآثار ، أو يسعون لاقتناء الصناعات التقليدية المترعة بالذوق الشرقي واللمسات الفنية المفتقدة في المحيط الغربي ما هي الا توكيد على أن فينا ذلك الاكتناز الذي يمكن أن يتحول الى (كنز) دافق بالعطاء والبذل والتواصل .. واستعادة الدور والفاعلية في خريطة الدنيا والعالم ... وتتكاثف في الذهن المفارقة .. هم يسعون الى اقتناء آثارنا وصناعاتنا التقليدية ، ونحن ... أو البعض منـ

دقة وتركيز في الصنعة

بائع وزبائن .... وفخار تشكل

يتلهف على الاستيراد واستهلاك ما يصنعون وهو فاقد للجمال والعراقة !!

اليد المبتكرة

ترى هل بعدت بنا الخواطر ، فخرجنا من المحسوس والملموس الى التجريد ، وأخذتنا الذكريات والانفعالات الى خلط الواقع بالتاريخ .

ليكن ... فالصناعة التقليدية هي مزيج من واقع موجود بواقع آخر متصور أو متخيل ، أعطانا المبادىء والأساليب والبصمات والايماءات .. وها هي الأجيال اللاحقة تسير على الدرب تضيف وتجدد .. وتبتكر .

تتمعن صانع الفخار وهو مستغرق في عمله ، أو عامل السيراميك وهو يلون مادته ، أو العامل الذي يصنع ويلون أقفاص سيدي بوسعيد للطيور ، أو صانع آلات الموسيقى أو السجاد الجنوبي والقيرواني والكليم والزرابي وغيرهم وغيرهم ... فترى كل واحد منهم يضيف لمسات فنية ، وأشكالا هندسية تتداخل بعضها مع بعض ، فلاتملك الا أن تسأله :

- هل تعتبر نفسك فنانا ؟

* يجيبك العامل حتى دون أن يرفع رأسه عن مادة صناعته : (كلّ فنان في صنعته) ... نعم صحيح فالصنعة تحتاج الى مستوعب وناقل ومطور ومجدد .. وربما مبدع .

صحيح أن الابداع هنا يتأطر ضمن حدود ضيقة ، ومع ذلك فان في كل صنعة أسرارا وحذقا ومهارة .. وتشكيلات فنية تراعي تناسق الكتلة والشكل والتدرجات اللونية .. الخ ، لذلك فان (الابداع) يبقى جزءا من هم الصنعة ... التي يزيدها المران والخبرة والزمن والهواية اكتمالا وتطورا ...

هي وسيلة لاكل العيش ... هذا صحيح لكن الفن والابداع يحوطانها ويدخلان في أساس مادتها .

في الدندان

عزيزي القارىء .. لاشك أنك أصبحت مشتاقا لمعرفة تفصيلات أخرى عن هذه الصناعة

معرض للصناعات الجلدية والنحاسية والصوفية

اليدوية .. حجمها .. وماذا تمثل في بنية الاقتصاد التونسي ، وآفاقها ... وغير ذلك من أسئلة .. عن هذه الاسئلة وغيرها ... كان لابد لنا من زيارة الورشة الرئيسية والاساسية لهذه الصناعة في منطقة (الدندان) في العاصمة التونسية ، ومعايشة العاملين ومقابلة المسؤلين عنها ...

بداية نقول بأن الديوان القومي للصناعات التقليدية انتقلت تبعيته من وزارة الاقتصاد الوطني وأصبح ركناً أساسياً في وزارة السياحة والصناعات التقليدية اعتبارا من شهر اكتوبر الماضي .

استقبلتنا مسؤولة العلاقات الخارجية في الديوان الآنسة رجاء العيادي خريجة معهد الصحافة والاخبار . خيرتنا بين مقابلة مدير الديوان أولا ، أو المرور على أقسام ورشة الدندان في جولة للوقوف على مراحل الانتاج وتفصيلاته . ففضلنا الجولة في البداية ... وهكذا كان ...

بدأنا بورشة النحاس المطروق ... والمنقوش والمطلي ، ثم صناعة الزجاج ...

وعلقت الأنسة رجاء أن الديوان أرسل بعض الفنيين الى الجمهورية العربية السورية كي يكتسبوا هذه المهنة ويحذقوا فيها ، وذلك كي ينقلوا مهاراتهم الى غيرهم .

ثم انتقلنا الى ورشة صناعة السجاد ... وأفادتنا الانسة رجاء بأن هذه الصناعة ومشتقاتهاوأنواعها تمثل حوالي ٧٠٪ من انتاج المحمل ، وتستوعب النسبة نفسها من الايدي العاملة ، وهي من النساء والفتيات . ثم انتقلنا الى قسم صناعة أقفاص سيدي بوسعيد ثم صناعة المرجان والعقود وصناعة الدمي والتطريز والطبع على الحرير وغيرها .

ولاحظنا أن كل ورشة يوجد فيها أكثر من معلم يتولى نقل خبراته الى مجموعة من العاملين المتدربين . ثم التقينا بعد ذلك بمدير الديوان الاستاذ محمد المصمودي

بعث التراث

وقد اعلمنا السيد المصمودي بأن هناك حوالي ١٥٥ مركزا انتاجيا أو ورشة تتبع الديوان ،

كل هذا الجمال في السجاد .. صنعته هذه الفتاة في مدينة الحمامات . (الى اليمين)

خيوط وأيدي تغزل السجاد . (الى اعلى)

الكليم يتشكل لونيا . (الى اسفل)

وهذه المراكز موزعة في المدن وأعماق الارياف ، ويصل عدد العاملين فيها الى حوالي١٥ ألف عامل ، وهذه المراكز تمثل مراكز تدريب وانتاج في نفس الوقت ، اذ أن حوالي ٢٥٠٠ شاب وشابة يتدربون في نهاية المرحلة الابتدائية في الورشات على أيدي قدماء الحرفيين .

ويمثل انتاج بعض الصناعات حوالى ٢٠٪ من الناتج الوطني . كما أن حوالي ١٢٠ألف عامل وعاملة يعملون في الصناعات التقليدية داخل الجمهورية في القطاعين الحكومي والخاص .

حسب الاحصاءات المتوفرة لديكم . . ما هي نسبة الدخل من الصناعات التقليدية قياسا بالصناعات الاخرى ؟

ـ انها تمثل حوالي ٣٪ من الانتاج القومي الخام .

● انها نسبة قليلة !

ـ توجد برامج نطمح من ورائها الى زيادة هذه النسبة .

● ماهي أهداف الديوان . . . وماهو دوره ؟

ـ هناك عدة أهداف وجد الديوان أساسا لتحقيقها . . . اختصرها فأقول :

ـ المحافظة على التراث القومي الثقافي والتقليدي والعمل على اثرائه بواسطة اتباع كل مايمكن أن يخدم صالح القطاع بجميع فروعه .

ـ النهوض بالقطاع وتطويره وايجاد فرص عمل للايدي العاملة .

ـ مراقبة جودة الانتاج والتطوير فيها .

ـ تدريب الكوادر الفنية .

ـ التشجيع على بعث الحرف الصغرى وايجاد المؤسسات الصناعية التقليدية .

ـ اقامة معارض يتم من خلالها توزيع جوائز على أفضل الابتكارات الهامة

ـ تدريب أيدي عاملة من عدة بلدان أخرى .

ـ تصدير المواد المصنعة ، والاتفاق بشأنها مع الجهات المعنية .

● ما هي نسبة تصريف موادكم المصنعة . . بين الداخل والخارج ؟

ـ تمثل نسبة تصريف موادنا حوالي ٨٠٪ داخل أسواقنا . أما نسبة التصدير الخارجي فانها تمثل حوالي ٢٠٪ فقط . وهذا يعني أن النسبة الغالبة يتم استهلاكها داخليا .

● لكن بعض الصناعات أسعارها مرتفعة قياسا بدخل المواطن العادي ؟

ـ ملاحظتك صحيحة ، وقد صدر قانون ١٩٨١م أوصى بتقديم القروض الى من يريد الاتجاه الى ايجاد مشروعات في هذا المجال .

ومع ذلك فان طبيعة الصناعات التقليدية تقتضي التجزئة وعدم التجمع ، لذلك تبقى الاسعار مرتفعة نسبيا ، خاصة واننا نؤكد على أن تبقى صناعتنا يدوية ، وعدم اللجوء الى المكننة

● الكثير من صناعاتكم التقليدية اليدوية أصبحت تصنع آليا في بعض البلدان الاخرى . . . فما هو موقفكم ازاء ذلك

ـ كل ما نستطيع انتاجه ويستطيع الايفاء باحتياجات مواطنينا فاننا نمنع استيراد المواد الشبيهة المنافسة له من الخارج ، الا في أضيق الحدود ، كأن ندخل مادة معينة فيها طراز جديد كي يستفيد منها حرفيونا ، أو كي نجعل المواطن يقتنع بأصالة المادة المنتجة محليا ومتانتها قياسا بما هو مصنع في الخارج .

الثقافي الاقتصادي

ان ممارسة الدعاية والاعلان يمكن أن تفيد لمرة أو مرتين ، ولكن المواطن سيكتشف الحقيقة ، لذلك فان تعاملنا مع مواطننا يعتمد على تقديم الاجود والافضل ، وهكذا وظفنا ماهو ثقافي ضمن مسلك اقتصادي لان التراث بدون احياء يمكن أن يموت .

لذلك فاننا نرى بان الانتساب الى التراث الاصيل يمكن أن يكون وسيلتنا ومنفذنا الى جيوب الناس شرط أن نخضعه لحاجات العصر وطموحاته .

رجاء العبادي مسؤولة العلاقات الخارجية في الدان دان .
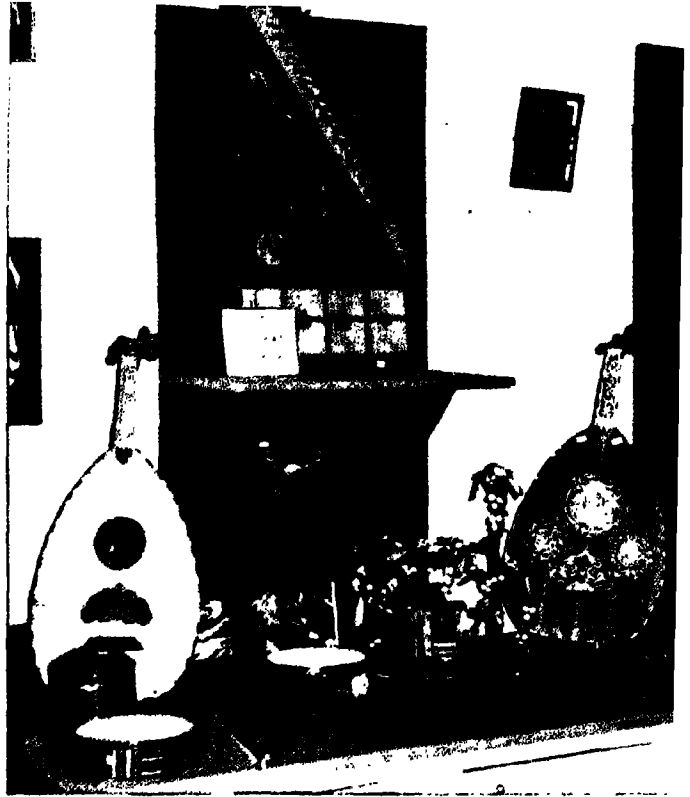
آلات الموسيقا تنتظر اليد الخبيرة . . . كي تنطق

وهكذا فاننا نشجع كل قرية ومدينة بتصنيع المتوفر لديها من مواد ، وتقديم أفضل الخامات وأجود الطرز في هذا المجال .

انكم تصدرون مانسبته حوالي ٢٠٪ من انتاجكم الى الخارج ، فماهي أهم اسواقكم ؟

أهم اسواق التصدير لدينا هي أوروبا تليها الولايات المتحدة .

أما بالنسبة لدول الخليج والجزيرة العربية ، فاننا لانزال في بداية التعامل معها ، فقد أقمنا معرضا دائما في مدينة الرياض . وبدأنا تصدير الخزف والزجاج والمنسوجات الحائطية والاقفاص والحلي الى دولة الامارات العربية المتحدة ، واقمنا معرضا في مسقط ، دام حوالى اسبوعين ، سنكرره في دبي وأبوظبي .

وأجرينا الاتصالات المناسبة لاقامة معرض في الكويت خلال هذا العام .

وبعد . . . عزيزي القارىء . . أن ترى بعينيك أفضل من أن تسمع ، ونحن نقلنا عن الواقع . . عن جزء من هذا الواقع . . هذا اذا أردنا التحديد ومن المسلم به أن الواقع أجمل وأبهى .

وبعد أيضا . . بعض مجتمعاتنا أغرقت أسواقها بكل ماهو مستورد ، وأصبح الانتاج المحلي وخاصة الصناعات التقليدية في حالة تدعو الى الرثاء ، مع ان فيها الكثير من روح الاصالة والانتماء والتواصل مع التراث والتاريخ الوطني ، اضافة الى ان تشجيعها وحمايتها يوفر مجالات العمل لآلاف الايدي العاملة ، ويوجه الانظار الى استغلال أمثل للخامات المحلية . . مما يثري الاقتصاد الوطني ويعطيه دفعا قويا □

■ الزهور أجمل أم هذه المزهرية ؟

عالم الغد

طاقة من الشمس

استطلاع : وفاء طه ناجي

تصوير : طالب الحسيني

□ تؤكد الاحصاءات العلمية في مجال الطاقة الشمسية أن معدل ما يصل الى الأرض من الطاقة الحرارية للشمس في العام الواحد يفوق ما يستهلكه العالم من مصادر الطاقة جميعها بنحو عشرين الف مرة . انها الطاقة الوحيدة والخالية من أخطار التلوث ، ويمكن انتاجها في أي مكان .

ومع تزايد البحوث العالمية بالطاقة الشمسية ، يحظى هذا المجال باهتمام خاص في الكويت نظرا لكونها تقع في قلب منطقة ترتفع فيه معدلات الاشعاع الشمسي ، وهي الدولة التي تختزن أرضها رصيدا كبيرا من الطاقة التقليدية التي يعتمد عليها اليوم ، ونعني بها النفط .

على أثر الحظر الذي فرضته دول النفط على تصدير البترول وما ترتب عليه من ندرة في المعروض منه في الأسواق العالمية ، بدأ الاهتمام العالمي بضرورة توفير مصادر أخرى للطاقة ، ولأن الشمس أعظم مصادر الطاقة الطبيعية الدائمة في الكثير من دول العالم ، وفي وطننا العربي بصفة خاصة ، فقد تكثفت الجهود في مجال استخدامات الطاقة الشمسية تمهيدا لتطبيقها عمليا . ومع البحوث التي تجرى منذ سنوات عديدة في الكويت كانت لنا رحلة بدأناها مع المسئولين عن تطوير البحوث والتجارب المتصلة بالاستفادة من الشمس . وفي قسم الطاقة بمعهد الكويت للأبحاث العلمية الذي يقوم بالتعاون مع بعض المؤسسات الحكومية
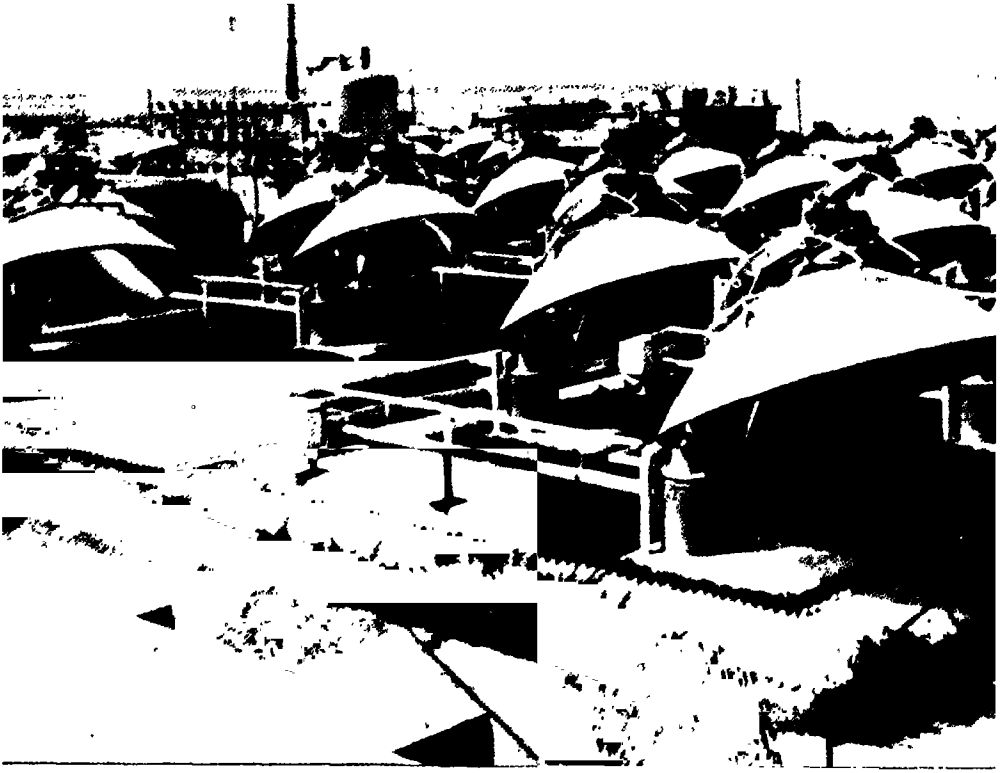
المجمع الزراعي في محطة الصليبية بصحراء الكويت . وتظهر المقعرات الشمسية التي تستقبل الاشعاع الشمسي

والهيئات الدولية المتخصصة باجراء الابحاث والدراسات لاستغلال الطاقة الشمسية في أغراض جديدة ، ومن ناحية أخرى اعداد كوادر وطنية تعمل في هذا المجال .

كانت بداية رحلتنا حول المجالات الرئيسية التي يركز المعهد جهوده في تطويرها ، وهي : استخدام أشعة الشمس في التبريد ، وتحلية مياه البحر ، وتوليد الكهرباء .

وفي المجال الأول ، قام المعهد باجراء عدة دراسات وبحوث تتعلق بالجدوى الفنية والاقتصادية لاستخدام الطاقة الشمسية في أغراض التبريد والتكييف ، وقد تم بالفعل تنفيذ عدة مشاريع تطبيقية داخل المعهد وخارجه ، منها : تشغيل مشروع البيت الشمسي داخل المعهد ، وتركيب وتشغيل مشروع للتبريد الشمسي في روضة الأطفال (روضة صقر الرشود في ضاحية الروضة) بالتعاون مع وزارة الكهرباء والماء ، بقدرة تبريدية تبلغ أربعين طنا ، بالاضافة الى تشغيل ثلاث اشارات مرورية رئيسية بطاقة الشمس بالتعاون مع الادرة العامة للمرور .

البيت الشمسي

وكان لنا لقاء مع الدكتور على الصائغ رئيس القسم العربي في منظمة الطاقة العالمية والمسئول عن مشروع البيت الشمسي قال : بدأ العمل في البيت عام ١٩٧٧ هنا داخل المعهد ، بهدف تحديد وسائل الحصول على أقصى استفادة من الطاقة الشمسية في عملية تبريد وتدفئة وتسخين المياه داخل المسكن بالاضافة الى توليد الكهرباء من الخلايا الشمسية للانارة والاستعمالات المنزلية الاخرى التي تعتمد على الكهرباء ، وأصبح بامكاننا الآن تسخين المياه للاستخدام المنزلي بتكلفة تقارب تكلفة التسخين الكهربائي

نموذج للمجمعات الشمسية المسطحة التي تستقبل الاشعاع الشمسي وتحوله الى حرارة تستخدم في الاغراض البسيطة مثل التدفئة وتسخين المياه داخل المنازل .

مروحة تدور بالطاقة الكهربائية المولدة من الشمس

المجمعات الشمسية المركزة او المقعرة في محطة توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية التي تم تشييدها في منطقة الصليبية بصحراء الكويت بهدف تزويد مجمع زراعي متكامل بالطاقة الكهربائية الحرارية اللازمة لتشغيل اجزائه المختلفة ولتحلية المياه .
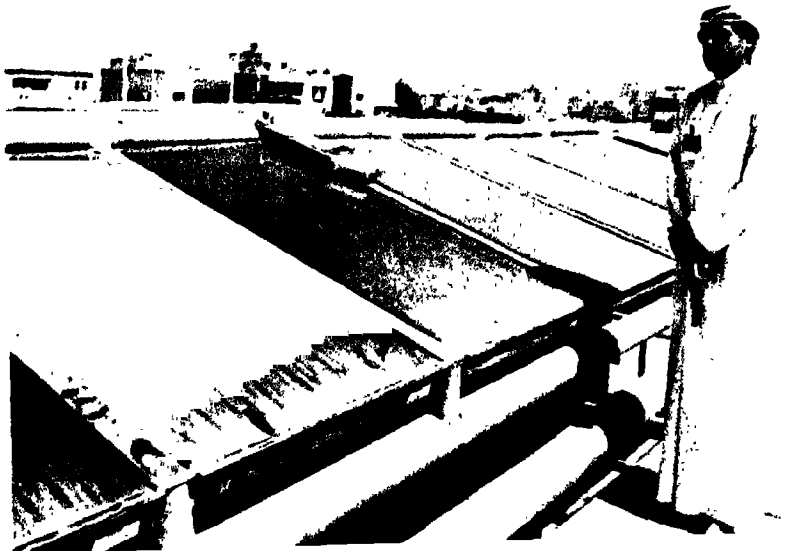
تأثير الغبار السلبي على انظمة استقبال الاشعاع الشمسي فوق اسطح المباني .

حسب الاسعار الحقيقية وغير المدعومة للكهرباء . ولعل أهم استغلال للطاقة الشمسية في الكويت هو التبريد ، حيث شدة الاشعاع الشمسي في الصيف تتناسب طرديا مع كمية التبريد المطلوبة .

ويواصل د . الصائغ حديثه قائلا : وتتم الاستفادة من أشعة الشمس عن طريق أنظمة للطاقة الشمسية يتم نصبها فوق أسطح المباني لاستقبال الاشعاع الشمسي ، وتسمى بالمجمعات الشمسية ، وتنقسم الى نوعين : مجمعات شمسية مسطحة ومجمعات شمسية مقعرة أو مركزة ، يتكون المجمع الشمسي المسطح من لوحة معدنية رقيقة داخلها انابيب ، يتم طلاء احد أوجه هذه اللوحة بمواد كيماوية خاصة ، لها قدرة عالية على امتصاص أشعة الشمس وقدرة منخفضة جدا على عكس هذه الاشعة . ثم توضع اللوحة في صندوق ذي اطار معدني أو خشبي ، ويكون سطح الصندوق المعرض للشمس من الزجاج ، يمرر السائل المراد تسخينه في الانابيب ، وعند سقوط أشعة الشمس على اللوحة المعدنية ترتفع درجة حرارتها ، وتنتقل الحرارة الى السائل داخل الانابيب فترتفع أيضا درجة حرارته . ويستخدم هذا النوع في أغراض التدفئة وتسخين المياه للاستعمال المنزلي . . وبعض الصناعات البسيطة حيث لا حاجة لدرجات حرارة عالية .

أما المجمعات الشمسية المركزة ، فهي عبارة عن مرآة معدنية مقعرة وطويلة ، يمر في خط مركزها أنبوب يحمل السائل المراد تسخينه ، وحين تسقط أشعة الشمس على سطح المرآة فانها تنعكس وتتركز على خط المركز حيث يمر الانبوب ، وتكون النتيجة رفع درجة حرارة السائل في الانبوب . ويستخدم هذا النوع في الأغراض التي تحتاج الى درجات حرارة عالية أو بخار ماء .

وبالنسبة لمشروع البيت الشمسي ، فقد تمت ادارته بالطاقة الشمسية بصورة كاملة .

د . علي الصايغ مسئول القسم العربي في خة الطاقة العالمية . . ويظهر جهاز قياس الغبار

ويصل د . الصائغ الى نهاية حديثه فيقول : أما فيما يتعلق بتوليد الطاقة الكهربائية من الشمس فما زالت العملية مكلفة وتحتاج الى المزيد من البحث والتطوير ، الا أنه اذا قورنت تكاليف توليد الكهرباء هذه بالفائدة التي تعود علينا من تغطية تزايد الطلب على التيار الكهربائي في أشهر الصيف ، تبين لنا أن هذه المصروفات الاضافية لها ما يبررها . . والكويت تساير معظم دول العالم المتقدمة في تطوير استخدامات الطاقة . انني أرى ذلك من خلال الجهود العلمية الحالية وهو ما يبشر بامكانية خفض تكلفة الكهرباء الشمسية للاستفادة منها فعليا .

محطة الصليبية

ومن الابحاث التطبيقية الأخرى التي قام بها المعهد ، محطة توليد الكهرباء بالطاقة الشمسية التي تم تشييدها في عام ١٩٨١ في منطقة الصليبية

د . سعود عياش رئيس قسم الطاقة في معهد الكويت للأبحاث العلمية .

بصحراء الكويت .

يقول د . صفوت مصطفى الباحث في المعهد ومسئول المشروع : تشتمل خطة استغلال محطة توليد الكهرباء بالطاقة لشمسية على تزويد مجمع زراعي متكامل بالطاقة الكهربائية والحرارية الضرورية لتشغيل أجزائه المختلفة ولتحلية المياه . بالاضافة الى تأمين احتياجات الطاقة

د . أحمد بشاره نائب مدير معهد الكويت للأبحاث العلمية .

الداخلية اللازمة لتشغيل أجهزة محطة توليد الكهرباء نفسها وتشتمل احتياجات المحطة نفسها على الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل المضخات وأجهزة التحكم واجهزة التوجيه اللازمة لحقل المجمعات ، بالاضافة الى تشغيل أجهزة التحويل الحراري ، بما في دلك مضخة سائل التبخير وأجهزة تبريد التربين والتكثيف .

أما احتياجات المجمع المتكامل ، فتشمل الطاقة الكهربائية اللازمة لضخ مياه الصليبية من البئر الارتوازي ، وتوزيع المياه بين الخزانات المختلفة ومضخات الري ، وتشغيل محطة للتحلية ، هذا الى جانب الطاقة اللازمة لتشغيل أجهزة التكييف وأجهزة تبريد المستنبتات الزراعية بالمجمع ، والطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل ورشة الصيانة والمكاتب والثلاجات الخاصة بحفظ المنتجات الزراعية ، كما تشتمل الخطة على استخدام جزء من الطاقة الحرارية في تشغيل محطة تحلية المياه التي تعمل بطريقة التبخير الومضي متعدد المراحل . وفي تسخين المياه اللازمة لمباني المجمع ، بالاضافة الى كل ذلك فهناك امكانية تشغيل محطة تحلية المياه بالطاقة الشمسية بكفاءة عالية نسبيا تحت درجات حرارة متغيرة حسب توفر الاشعاعات الشمسية التي تمد المحطة بالطاقة الحرارية ، ويتم ذلك عن طريق تغيير معدلات تدفق المياه المالحة في مراحل المحطة المختلفة حسب درجات حرارة المياه الأولية ، وكذلك حسب درجة حرارة المجمعات الشمسية والخزان الحراري الذي يمد المحطة بالطاقة الحرارية . ويترتب على هذه الخواص ارتفاع معدلات جريان المياه الحاملة للطاقة الحرارية ، وانتاجية المحطة عندما ترتفع معدلات التجميع الحراري ، أو عندما تنخفض درجة حرارة المياه المالحة التي تدخل محطة التحلية ، وتكون المحصلة النهائية لذلك المحافظة على كفاءة الانتاج في حالات تغيير درجات الحرارة بالمحطة .

وينهي د . صفوت مصطفى حديثه قائلا :
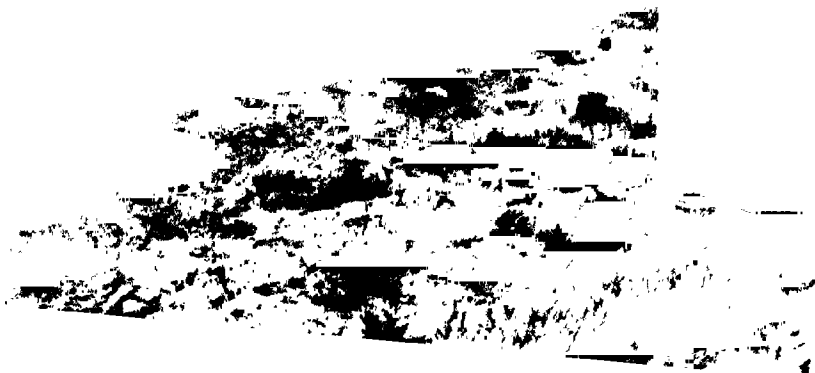
ـدى المجمعات
ـقعـرة .. التي
ـستـخـدم في
لاغراض التي تحتاج
ن درجات حرارة
الية او بخار ماء .
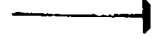
شـروع تشـغيـل
لاشارات المرورية
الطاقة الشمسية ..
وقد تم المشروع وبدأ
لعمل به .

روضـة صـقـر
لرشود يتم تبريدها
صيفا وتدفئتها شتاءا
بالطاقة الشمسية ،
وتـظهر انـظمـة
استقبال الاشعاع
الشمسي فوق سطح
المبنى .

كذلك أمكن تشغيل محطة الصليبية الكهربائية بقوة مائة كيلو واط وهي تعمل بطريقة التحويل الحراري للطاقة الشمسية . بمعنى تحويل الحرارة الى كهرباء .

صعوبات استخدام الطاقة الشمسية

ويتحدث د . سعود عياش رئيس قسم الطاقة بالمعهد عن العقبات التي تواجه الباحث في هذا المجال فيقول : ان استخدام الطاقة الشمسية مثل استخدام الموارد الطبيعية الاخرى يحمل في طياته مشاكل من الضروري ايجاد حلول لها ، تتركز معظم هذه المشاكل في حركة الأرض بالنسبة للشمس واشعاعاتها كمصدر للطاقة ، وهنا نشير الى حقيقتين أساسيتين يترتب عليهما العديد من العقبات : أولا : ان الطاقة الشمسية لا تتوفر بشكل منتظم ، وهي ليست مخزونا جاهزا يمكن استخدامه متى شئنا ، بل ان توفر الاشعاع الشمسي يعتبر مصدرا للطاقة خفيف التركيز ، بحيث أن أقصى معدلات الاشعاع لاتتجاوز كيلوواط واحد على المتر المربع ، واذا أخذنا في الاعتبار الانخفاض النسبي لكفاءة تحويل الطاقة الشمسية لتبين لنا أن كثافة الطاقة المتولدة بالنسبة لوحدة المساحة منخفضة أيضا . . وهذا يتطلب استخدام مساحات كبيرة من أجهزة التحويل الشمسي وخاصة التطبيقات التي تتطلب توليد كميات كبيرة من الطاقة .

ويختتم د . عياش حديثه فيقول : ولأن أقصى الطموحات لا تتجاوز تطوير منظومات تخزين حرارية أو كهربائية أو ميكانيكية معقولة ذات حجوم وتكاليف معتدلة ، فمسألة التخزين أساسية في حياة الانسان منذ بداية الخلق ، وليس هذا جديدا أو مدهشا ، فالحضارة المعاصرة قامت على استهلاك ما جرى تخزينه من أنواع الوقود الأخرى مثل : الفحم الحجرى والبترول ومشتقاته . . الخ . . وذلك على مدى الآلاف من السنين .

ان اعداد كوادر وطنية مدربة للعمل بكفاءة عالية جزء من سياسة المعهد في هذا المجال حتى تظل الكويت محافظة على مركزها في منظمة الطاقة العالمية ، الحقيقة أن استخدام طاقة الشمس على نحو مناسب سيرقى بمستوى حياة البشر الى حياة حضارية جذرية تختلف تماما عن أشكال الحياة فيما سبق .

وعن امكانات التنسيق في مجال بحوث الطاقة الشمسية بين دول الخليج العربي يتحدث د .

د . صفوت مصطفى مسئول مشروع الصليبية .

أحمد بشارة نائب مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية فيقول :

ان التعاون بين دول الخليج في هذا الميدان ، بدأ فعلا عام ١٩٧٧ بقيام عدة مشروعات في دولة البحرين بالتنسيق مع المعهد منها : انشاء محطة قياس وتسجيل الاشعاع الشمسي ، وتركيب نظام لاختبار المجمعات الشمسية المسطحة ، وقد نقل هذا النظام من الكويت وتم تركيبه في الموقع بمدينة المنامة . كما تم تركيب نظام مستقل للاتصالات الهاتفية يعمل بالطاقة الشمسية بهدف حل مشكلة انقطاع الاتصالات بين مراكز الشركة أثناء فترات انقطاع التيار الكهربائي بالاضافة الى تأسيس مكتبة خاصة بأبحاث الطاقة الشمسية تكون نواة لمركز معلومات يعنى بهذا المجال .

التنسيق بين دول الخليج

ثم يقول : ان تبادل الخبرات والمعلومات في نظم تطوير الطاقة الشمسية بين دول الخليج العربي أصبح ضرورة ، فهناك مجال لقيام مشروعات مشتركة بين هذه الدول مثل : انشاء مركز عام لتجميع المعلومات حول الطاقة الشمسية من أنواء جوية وبيانات عن الاشعاع الشمسي وكميات الغبار أو المواد الأخرى التي تحد من وصول أقصى كمية من الاشعاع الى المنطقة . من ناحية أخرى يمكن تشجيع العمل المشترك والتعاون مع المنظمات العالمية المهتمة بمجال الطاقة ، واستحداث منح دراسية وبعثات للعاملين في مجال الطاقة الشمسية في دول الخليج ، بهدف تعزيز الأيدي الوطنية المدربة لسد احتياجات العمل مستقبلا . وفي نهاية حديثه يقول د . أحمد بشارة : ان امكانات التعاون واسعة جدا . . خاصة وأن دول المنطقة تلعب دورا حيويا ومميزا على صعيد وضع الطاقة العالمي ، نظرا لاسهامها الكبير في تلبية الاحتياجات العالمية الحالية من النفط والغاز كمصدرين من أهم مصادر الطاقة في وقتنا الحاضر . وحيث ان للتطورات في حقول الطاقة البديلة علاقة ارتباط دقيقة بمستقبل الطاقة العالمي فان الكويت ودول المنطقة تتابع باهتمام كل ما يستجد من تطورات . وهي لهذا تطمح في أن تكون على صلة مستمرة بهذه التطورات ، وأن تكون لها دور فيها .

ضرورة حضارية

يبقى لنا أن نقول أن مسألة الطاقة لم تعد قضية محلية ، فالتعاون بين دول الخليج تفرضه ضرورة حضارية . . والقضية الآن تهم العالم كله . . المنتج والمستهلك ، والذي يجب أن يسعى اليه الجميع هو مزيد من استثمار الجهد خاصة في ترشيد استهلاك الطاقة . . الامر الذي يعني التعامل الأمثل مع موارد الطاقة المتاحة بحيث يجري تلبية متطلبات وحاجات المستهلك بأقل قدر من الطاقة والمحافظة عليها أيضا من خلال الاجراءات التي تهدف الى خفض معدل الاستهلاك . وفي هذا المجال بالذات يمكن تحقيق تعاون واسع بين دول الخليج .

والحقيقة الثابتة علميا أنه لا توجد تكنولوجيا اخرى للطاقة لها ما للطاقة الشمسية من تعدد الاستعمالات والفوائد . وان اهتمام الكويت بأبحاث الطاقة أمر تفرضه ضرورة حضارية . فمن المتوقع أن تصبح الطاقة الشمسية في المستقبل أرخص من الطاقة التي يتم توليدها مركزيا . . كما انها سوف تتيح الفرصة كذلك لتحقيق الاستقلال في الطاقة . وسوف تزيد أرباح استثمارها عن تلك التي تحققها مصادر الوقود الأخرى المحدودة الى أقصى حد .

وهكذا يعود الانسان من جديد الى الطبيعة يستمد منها الطاقة التي يحتاج اليها . . . الى الشمس مصدر الحياة على الأرض . □□

في سلامة البيئة سلامة البشرية

أهرامات في البحر .... لمكافحة التلوث

يظن الكثيرون أن بقع الزيت التي تلوث البحار انما تنشأ عن مصدرين أثنين لا ثالث لهما .. فاما آبار بحرية اصابها التلف او انفجرت او اشتعلت النيران فيها . فتدفق البترول منها .... وإما ناقلات عملاقة وغير عملاقة انفجرت او اصطدمت فغرقت واندلع البترول منها ...

ولكن لبقع الزيت أسبابا أخرى لا تقل خطورة عما ذكرنا .. من ذلك ما يقدم عليه قباطنة الناقلات بقصد تنظيف ناقلاتهم .. فهم يلقون ببقايا حمولة تلك الناقلات من البترول الى البحر ... فتتكون بقع الزيت الصغيرة التى لا تلبث أن تتجمع وتتواصل لتصبح كبيرة .. وهذه تصرفات جنائية بحق البيئة وتعاقب عليها القوانين في الدول المتقدمة التى تسن القوانين للبيئة وتسهر على تنفيذها ...

ومن ذلك أيضا تسرب الزيت بصورة طبيعية .. فقاع البحر لا يخلو من شقوق .. والكثير من هذه الشقوق يقع على مقربة من حقول بترول أو غاز . ولا مفر من أن ترشح بترولا (أو غازا) لا يلبث أن يطفوا على سطح البحر فيلوث الشواطىء بأوحال من القار ... ويبطش بالثروة السمكية ويقضي على المواسم السياحية . ووحل القار هذا أسوأ تلويثا من البترول .. وحسبك أنه سميك كالاسفلت وقد تقضى ساعات في تنظيف جسمك منه بلا طائل . أضف الى ذلك أن له رائحة كريهة جدا ..

ويقدر الخبراء أن ٦٫٧٪ من مجمل انتاج البترول من الآبار البحرية لا بد وأن يتسرب الى البحر عبر الشقوق التى ذكرنا . وفكر البيئيون والعلماء والمسؤولون في سانتا باربارا فيما عساهم أن يفعلوا لانقاذ شواطئهم من هذا التلوث البغيض الذى طالما عانوا منه في المدة الاخيرة . فكان هذا الهيكل الهرمى الذى ترى في الصورة .

صنعوه من حديد بمساحة ١٠٠ قدم × ١٠٠ قدم عند القاعدة ، وبوزن لا يقل عن ٣٥٠ طنا ... وأنت تراه في الصورة قبيل انزاله الى أعماق البحر .. ليستقر على قاعه على عمق ٢٢٠ قدما .. حيث الشقوق .. فيمسك بما يتصاعد منها من غاز وما يتسرب من بترول ... ويضع بذلك حدا لتلوث الشواطىء بالقار .. ثم يندفع الغاز الذى يتجمع في الهرم عبر أنابيب خاصة ممتدة من الهرم الى

الهرم الحديدي قبيل انزاله الى القاع
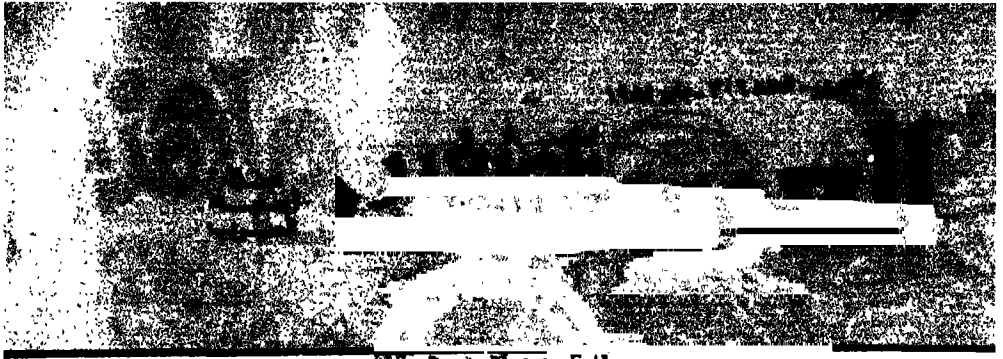
ألم تسمع
نصيحتي ..
بأن لا تأجل عمل
اليوم إلى الغد
؟
مايو
١٩٨٤
أسامة

نادي « العربي الصغير » يفتح أبوابه لكل أصدقائه ، ويعتبر كل صديق في أي جزء من أجزاء الوطن العربي عضوا مؤسسا فيه . لا تحتاج العضوية لأي شروط . فقط ارسل اسمك وعنوانك وبعض المعلومات عن المكان الذي تعيش فيه .

الاسم . . أميمة أحمد السيد ناصر .
العنوان . . جمهورية مصر العربية ـ محافظة الدقهلية . طلخا . . جوجر .

ومدينة طلخا هى واحدة من المدن الكبيرة فى محافظة الدقهلية . وبها أكبر مشروع للكهرباء بعد السد العالى . وتشتهر محافظة الدقهلية بزراعة الخضروات والفاكهة .

الاسم . . سعد عبد حمادى .
العنوان . . العراق . بغداد . حى العامل الاول رقم المنزل ٨٧/ ١١ .
مدرسة الطلائع الصف السادس الابتدائي ، وبغداد هى عاصمة الجمهورية العراقية ، ويوجد فى بغداد عدد كبير من الاثار الاسلامية ، كما تعتبر العراق واحدة من كبريات دول النفط .

الاسم . . عبد المجيد الحسينى ـ سوريا ـ الجزيرة .

طالب فى المعهد المتوسط للمراقبين الفنيين بالحسكة .
تعليق

الصديق عبد المجيد أرسل الينا يطالب باستبدال باب كلمات متقاطعة بأسئلة ثقافية . كما طالب بباب تعارف . .
ونقول للصديق . . اننا استجبنا لرغباتك وفتحنا نادى العربي الصغير من العدد الماضى ، ونرحب بالاصدقاء

الجدد ، ونعتبر كل صديق فى أى مكان من الوطن العربي عضوا مؤسسا . وطبعا العضوية بلا شروط . فقط بعض المعلومات عن المكان الذى تعيش فيه حتى يتم التعارف بين أبناء الوطن الواحد وأيضا يتم التعارف بين الامكنة . أى أن النادى مكان للقاء بين الانسان والمكان .

مشرف النادى

الاسم .. مصعب العمر ـ سوريا ـ حلب ـ القلاسة .. بستان القصر آخر خط الباص .

النعمان أبو هاشم ومنه ليد محمد العمر « أبو الهيثم » .

فى حلب قلعة شهيرة تعرف بقرية حلب .

هذه الصورة لصفحة من ال الكريم كتبت بالخط الكوفي في ا التاسع عشر .

والخط هو الفن العربي العظ الاسلام ، مادته الأولية حروف الا العربية ، وغايته تقديم كلام الله ب تليق به . هذا بالاضافة الى تزيين الم بالخطوط الجميلة .

وقد بلغ الخط العربي مرتبة لم ت ديانة أو مدنية سبقته ، وكان خالد الصباح أول الخطاطين القرآني المدينة ، وهو الذي خط سورة الن وما تلاها بأحرف من ذهب على القبلة في مسجد النبي صلى الله وسلم ، ويمكن تقسيم نماذج الخط ا الى نوعين رئيسيين .. (الخط ا نسبة الى مدينة الكوفة . ويتميز بأ الهندسية المستقيمة ذات الزوايا ، القرن الثاني عشر كان الخط الكوفي يستعمل لتزيين الأبنية .

أما خط النسخ .. وقد أخذ الاسم من « فعل نَسَخَ » وهو يتمش حركة اليد الطبيعية .

كيف وقفت البيضة على نهايتها

بقلم : ابراهيم الشيمي

ذات مساء أقيمت حفلة عشاء في قصر الملك الاسباني على شرف كريستوفر كولومبوس المكتشف المشهور بعد عودته من رحلته الأولى الى العالم الجديد ، ودارت الأحاديث والقصص حول شجاعته وجرأته النادرة ، وصاروا يحسدونه على ما وصل اليه من تكريم وحفاوة ، بعد ما كانوا يسخرون منه ومن أفكاره . وكان نبلاء الاسبان هم أكثر الناس سخرية منه ، لأن كولمبوس لم يكن من النبلاء ولم يكن اسبانيا ، وكان عندهم شعور قوي بأنه لا يستطيع تحقيق ما يدعيه حول عزمه السفر عبر المجهول ليكتشف أراضي جديدة .

وقبل نهاية حفلة العشاء ، تحدث أحد النبلاء الغيورين من كولمبوس فقال وهو يتطلع الى الحاضرين .

« لا أريد أن أبدو خشنا ، لكن بعد كل شيء ما الذي يلفت النظر الى ما قمت به ؟ » .

سكت الرجل قليلا وقال لكولمبوس : « قد اكتشفت أرضا جديدة عبر المحيط . . . هذا صحيح ، لكن الأرض كانت موجودة هناك ، وتنتظر من يجدها . . » .

ثم أضاف النبيل الاسباني بحقد :

« أليس هذا صحيحا ؟ لقد كان بامكان شخص غيرك أن يقوم بهذا . »

أجاب كولمبوس : « هذا صحيح تماما . أي شخص غيري بامكانه أن يقوم بما قمت به تماما ، كما يمكن لأي رجل أن يوقف بيضة على نهايتها . »

قال النبيل : ماذا تقصد بالبيضة التي تقف على نهايتها » .

رد كولمبوس : « اعطوني بيضة وسأريكم ما أقصد » .

أحضر الناس البيضة بسرعة ، فناولوها لكولمبوس فوضعها في يده وقلبها قليلا ثم قال مخاطبا النبيل الحاسد :

« خذ هذه البيضة وأوقفها على نهايتها ، انه عمل بسيط يمكنك القيام به .

أخذ النبيل البيضة وحاول أن يوازنها كي تقف على مؤخرتها ، الا أن البيضة كانت تتدحرج في كل مرة يحاول بها ذلك .

ابتسم كولمبوس قليلا وقال للحاضرين : « هل لأي أحد من السادة الآخرين أن يحاول هذه التجربة ؟ » .

ودارت البيضة على الحاضرين ، وفشل الواحد بعد الآخر في ايقافها منتصبة ، حتى عادت مرة ثانية الى كولمبوس فقال : « انظروا أيها السادة » ، ونقر بخفة على قشرة البيضة من أسفل ، ثم وضع النهاية المفلطحة على المائدة ، فوقفت البيضة متوازنة .

ضج الكل بالضحك ، وكان ضحكهم يصدر عن طيبة قلب ، فقال النبيل الحاسد الذي شعر كأن الضحك موجه اليه قائلا : « لا تضحكوا . . لا تضحكوا فكل شخص يستطيع أن يفعل ذلك .

فقال كولمبوس وهو يخفي ابتسامته : « طبعا لقد أخبرتكم بأن الأمر بسيط جدا ، فبامكان أي شخص أن يوقف البيضة على نهايتها أو يكتشف أرضا عبر بحر مجهول ، لكن كل ما نحتاج اليه ، هو أن يبدأ شخص ما بهذا العمل ، ويرينا كيف يقوم بذلك » .

سر الضفدعة الراقصة

كان عمله يبدو للآخرين غريبا . أما هو فقد كان محدد الهدف . . . الوصول الى « سر الضفدعة الراقصة » . لعشرات السنين وعالم الفيزياء ـ غلفاني يلاحظ كيف ترقص الضفدعة المشرحة كلما لمست مجموعة معينة من المعادن .

وبالطبع أثار ذلك نقاشا عنيفا بين علماء ذلك العصر . . هل هناك « كهرباء حيوانية » خاصة تلك الكائنات الحية الشبيهة بالضفدعة ؟ !

كان غلفاني مقتنعا بذلك ، لكن لم يمكنه عمره القصير من الوصول الى نتيجة محددة . التقط « فولكا » هذه الملاحظات وبواسطة أجهزته العلمية التى اخترعها راح يبحث ليؤكد ملاحظات سلفه . وبالفعل قادته احدى التجارب الى . . أن الكهرباء يمكن أن تظهر بمجرد تلامس معدنين مختلفين كالنحاس والزنك والفضة والذهب كما لاحظ أن تلامس ناقلين مختلفين احدهما جاف والآخر رطب يحدث انسيابا كهربائيا .

كانت ملاحظات غلفانى اذن مستقلة عن ضفدعته . . فلم تكن الكهرباء ناتجة عن الضفدعة ، لكنها وليدة تلامس معادن مختلفة كانت تمس أرجل الضفدعة .

وهكذا ولدت « البطارية » وزاعت شهرة « فولكا » وحصل على لقب كونت بعد أن امر نابليون بونابرت باختبار التجربة بواسطة لجنة خاصة شكلت لهذا الغرض .

بمرور الوقت . .

أصبح بين أيدينا نماذج متعددة من البطاريات . . منها الجاف المصنوع لأجهزة « الراديو الترانزستور » ومصابيح الجيب . وهى تعمل بواسطة التفاعل الكيميائى يرافقه تحرر فى « الالكترونات » .

وهناك نوع آخر من البطاريات اطلق عليها البطاريات التجارية وتتفاعل فيها العناصر المولدة للكهرباء على شكل معجون كما يوجد نموذج آخر عرف « ليكلانشى » وهى نوع من البطاريات مزودة بعناصر تحلل سائله لتسهل التفاعلات الكيمائية .

أنواع متعددة من البطاريات عرفت حديثا الا أن اهمها هى « البطارية الذرية » وتستعمل الطاقة التى يولدها معدن « الاورانيوم » عندما تتفكك ذراته فتنتج منها الحرارة التى تستعمل فى المحطات الذرية لتوليد الكهرباء .

والبطارية الذرية عبارة عن وعاء ضخم ينتج البخار بفضل تفكك الاورانيوم المراقب . هذا البخار يحرك « تربينات » كهربائية تنتج التيار اللازم لتشغيل محرك الغواصة الذرية بل انارتها وتدفئتها ، ولا يتلاشى الوقود الذرى عندما يعطى الطاقة ولكنه يتحول الى وقود ذرى آخر يمكن استعماله من جديد فى البطاريات الذرية .

وهكذا قادت الضفدعة الراقصة البشرية الى اختراع كبير يخدم الانسان ويعمل على رفاهية البشرية .

عندما يتحدث المكان

طرابلس

عندما يتحدث المكان .. ويتحرك التاريخ عبر الزمان ليحكي لأجيال جديدة حكايات قديمة عن الوطن العربي فماذا يقول ؟

* أنا مدينة طرابلس ..

أصل الماضي بالحاضر . . والتاريخ بالعلم الحديث . . فعلى مسافة قريبة من محطات تكرير النفط الضخمة . . توجد الحوارى والشوارع والمساكن القديمة مازال ترابها يتذكر خطوات عمر المختار وحركات المقاومة المسلحة ضد المستعمر .

أنا مدينة طرابلس حيث تحولت قلاع المستعمر الحصينة الى ذكريات ومتاحف للتاريخ .
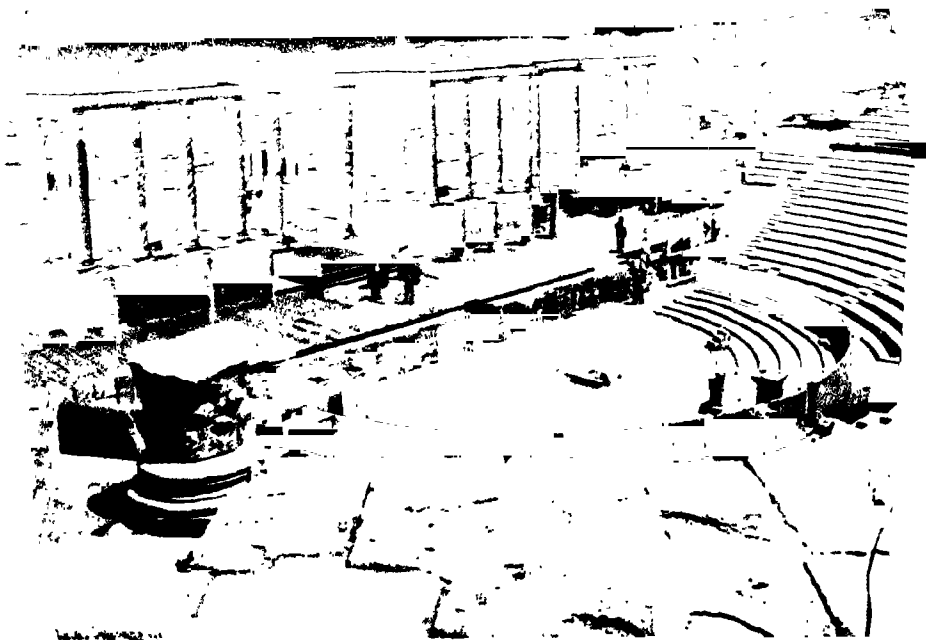
وأنا كأي مدينة عربية نزح الي ـ الاف من أبناء القرى والنجوع حيث تتوفر فرص العمالة وبأجور مرتفعة . ولأني أساير العصر أصبح عندى العمارة الشاهقة بجوار « الحوش » أو المنزل الليبي القديم ذى الحجرات الواسعة المطلة على حوش كبير بلا سقف .

وأخيرا أنا احدى مدن البحر الابيض المتوسط ، أفتح أبوابي مرحبة بكل ضيف قادم .

تلك هى أنا طرابلس العربية

علـــم

نحن لا نرى الكهربـاء في حد ذاتها ولكننا نرى ضوءها ونشعر بحرارتها . هذا الضوء هو ما يـطلق عليه الكهـرباء السـارية ، أي الكهـرباء التي تمـر عبر الاسلاك .

هناك نوع آخر من الكهربـاء يعرف بالكهرباء الساكنة ، هذا النوع يشعر به الانسان عندما ينزل من السيـارة فيشعر برعشة خفيفة . . هذه الرعشة عبارة عن تجمع كهربـاء على جسم الـراكب بفعل احتكاكه بالمقعد .

والبـرق الذي يحـدث في السماء هـو نتيجة الكهرباء الساكنـة ، المتولـدة عن تجمع الالكترونيات على السحب فتشحنها بشحنة كهربائية سـالبة بفعـل الاحتكاك بين حبات الماء وبلورات الثلج المتدافعة في السحب الرعدية في نفس الوقت الذي تكـون الارض فيـه مشحـونـة بشحنـة كهـربـائيـة مـوجبـة فيسـري تيــار من الالكترونيات من السحب نحو الارض فيحدث البرق الذي نشاهده .

نبـات

لبعض أشجار السنديان التي تنمو في محيط البحر المتوسط لحاء سميك يحفظها من المطر والجفاف ، والحـرارة والبرد ، هذا اللحاء يسمى « فلين » ، هذا الفلين يعتبر طبقة عازلة ، وقد يبلغ سمك هذه الطبقة على جذوع بعض الأشجار ثلاثة أو أربعة سنتمترات تنزع مرة كل عشر سنين .

والفلين طبقة متجددة ، مـا ان تنزع حتى تعود مرة أخرى لتكون قشرة انعم وأجمل من سابقتها .

وقد استطاع الانسـان أن يستفيد من هذه الطبقة الفلينية في حيـاته الخـاصة ، فصنـع منها الصفـائح العـازلة للحـرارة والسـدادات الاسـطوانية العـاديـة . . وسدادات فتات الفلين المضغوط .

حيــوان

بعض الحيوانات يخرج من البيضة على شكل دودة أو « اسروع » ثم ما يلبث أن يصير ذبابة أو فراشة . هذه الديدان هي (دعاميص) الحشرات .

وغالبا ما يكون للدعاميص نمط حياة يختلف عن نمط حيـاة ذويها ، فهنـاك دعمـوص يعيش في الماء ثم يتحـول الى حشرة جميلة تطير في الهواء ، والضفدعة التي تتنفس الهـواء بحـريـة عـلى ضفـة المستنقع كانت في أول الأمر « شرغوفا » يشبه السمكة ويعيش مثلها تحت الماء .

وقبل أن يتحول « الدعموص » يمر في فترة انتظار يعيش فيها حياة منعـزلة كـما يحدث لدودة الحرير التي تحبس نفسها فترة داخـل الشـرنقـة قبـل أن تتحـول الى فراشة .

انســـان

الـدموع سـائل كـالماء تفـرزه الغدد الدمعية ليسهل حركة الاجفان على المقلة ويقيها عواقب التبخر الذي يأخذ مجـراه على جزء المقلة المعرض للهواء . .

والـدموع جـزءان . . الاول يتبخـر والثـاني يتراكم في زاويـة العـين بجـوار جدار الانف في مكان يطلق عليه العلماء « البحيـرة الدمعيـة » وفي هذه البحيـرة يـوجد ثقبـان صغيران يـدعى كل منهـما بالنقطة الدمعية ، ويتفرغ عن كل نقطة قنـاة صغيرة تسمى بـالقنية الـدمعيـة ، ويوجد في كل منهما مستودع يدعى الكيس الـدمعي ـ ويـطلق عــلى كـل من النقط الـدمعية ، والبحيـرة الدمعيـة ، وكيس الـدمـع وسـائـر القنـوات اسم الـطرق الدمعية .

هـو . .
أبو على اسماعيل بن القاسم
- ولد عام ٩٠١ هجرية بديار بكر .
- ومات بقرطبة وطاف البلاد متنقلا
بين بغداد والموصل والاندلس .

- له عدة مؤلفات منها . . الابل
والخيل « والامثال » وهى مرتبة على
الالف باء والمقصور والممدود مرتبا على
مخارج الحروف .
- من كتبه المطبوعة « الأمالى »
و « النوادر » .
ويجمعان مختارات قيمة من الأخبار
والادب والشعر والمحاورات واللغة -
واعظم كتبه « البارع فى اللغة » .

إن كنتم أذكياء

بقلم : ايمان حمارة

هذه مجموعة من الاسئلة تنتظر منكم الاجابة عليها ، قد يكون بعضها صعبا لكن لا بأس من الرجوع الى من هم أكبر منكم لمساعدتكم ، وسننشر اسم الفائزين الاول والثاني ، مع جائزة مجلد لاعداد العربي الصغير لمدة عام للفائز الاول ، واشتراك مجاني لمدة ستة شهور للفائز الثاني .
يكتب على الظرف ، مسابقة إن كنتم اذكياء .

ظواهر طبيعية

١ ـ فى المناطق الباردة ايهما يتجمد اولا .. الانهار الحلوة أم البحار المالحة ؟

٢ ـ أيهما اسرع .. الصوت على سطح البحر .. ام فى الاجواء العليا ؟

حشرات : ـ

كيف تميز بين شبكة العنكبوت الذكر وشبكة العنكبوت الانثى ؟

لماذا : ؟

٤ ـ لوحة الجيوكندا أو الموناليزا من اشهر التحف الفنية فى العالم وقد رسمها الفنان الايطالى ليونارد افينشى فى أربع سنوات من عام ١٥٠٠ الى ١٥٠٤ ، صور فيها وجه سيدة تدعى ليزا .. لكن لماذا سميت جيوكندا ؟

خضروات وفاكهة :

٥ ـ البطيخ ، البطاطا ، البندورة (الطماطم) .... أي واحد منها لم تكن معروفة فى العالم القديم قبل اكتشاف امريكا ؟

بنك المعلومات يفتح أبوابه لكل أصدقاء العربي الصغير ـ لكي يسحبوا منه المعلومات ، وينتظر منهم ـ كما تفعل البنوك ـ أن يودعوا معلوماتهم ليسحبها أصدقاء آخرون .

سلعة بشرية

خلق الاستعمار وتجار الرقيق الافريقي مجموعة من العلاقات الاجتماعية الجديدة بين الناس ساعدت على قيام نوع جديد من التعصب فيما بينها ، وهو ما عرف بالعبودية السلعية في العالم الجديد . حيث كان الوضع القانوني للعبد يشبه وضع الحيوانات والاملاك الخاصة . هذا النوع من العبودية يختلف حتى عن عبودية روما القديمة . وغالبا ما كانت عائلات الصيد تتفكك عند وفاة مالك العبد واقتسام ثروته ، وغالبا ما كانوا يباعون تماما كالمتاع في المزاد العلني .

قصي محمد علي
المغرب

أصوات .. وأصوات

لكل نوع من المخلوقات أصواتها الخاصة فعندما يصدر هذا الصوت عن الانسان فهو يتكلم .. لكنه عند الحيوانات له اسماء أخرى .

تغريد العصافير ، نعيق البومة ، هفيف الحشرات ، نهيق الحمار ، هديل الحمام ، صهيل الخيل ، فحيح الافعى ، خوار البقرة .

محمد فؤاد فرج
الشرابية ـ القاهرة

هل تعلم ؟

ان الزواحف ذات دم بارد . . وملكة لنحل تتزوج مرة واحدة . . وطائر لطنان يطير الى الخلف . .

ونحن عندما نتكلم تتحرك في الجسم ٧١ عضلة يحدث ذلك حتى لو تكلمنا كلمة واحدة ، وبيضة النعامة تعادل ٢٤ مرة بيضة الدجاجة ، وأن العالم جاليليو فقد بصره في أواخر أيامه .

احمد خيري النواوي

جهورية مصر العربية

بحار ومحيطات

المحيط الهادي هو أكبر المحيطات ، يستطيع أن يستوعب قارات العالم كلها لو وضعت فيه . وان البحر الميت لا يصب فيه أي نهر . . أما أكبر بحيرة في العالم فهي . . (بحر قزوين) .

هند عز الدين اسحاقات

الاردن

الكهرمان هو تلك المادة التي تصنع منها المسبحة . وكان القدماء يعرفون هذا الكهرمان . . ويعلمون عنه الكثير . . كانوا يعرفون أنه اذا دعك في الصوف فانه يكتسب خاصية جذب قصاصات الورق ونشارة الخشب ، ولم يكونوا على علم بأسباب ذلك حتى جاء العالم وليم جلبرت الطبيب الخاص للملكة اليزابيث ، واكتشف أن مواد أخرى مثل الزجاج والكبريت يمكن أن تكتسب نفس الخاصية .

ناصر أحمد محمد

ليح تليفزيون

اليابسة . أما البترول فيبقى في الهرم ويتراكم في مستودعه حتى تأتي الناقلات ، بين حين وآخر ، فتحمله وتنقله الى الشاطيء

وتجدر الاشارة الى أن تطوير هذا الهرم قد تم بالتعاون بين شركة أركو ARCO وشركة موبيل وشركة أمنويل • وبلغت تكاليفه ٨ ملايين دولار ومن طريف ما يذكر أن ما يتصيده الهرم من غاز وبترول يبلغ ٦٠٠,٠٠٠ قدم مكعب غاز و ٥٠ برميل بترول كل يوم

الحضارة . . هل أصابت البشرية في بنائها أم اخطأت

يشعر المرء أحيانا أن الحضارة الانسانية لم تكن مصدر نعمة على البشرية بقدر ما كانت مصدر نقمة ولعل في قصة القبيلة البدائية التي ما زالت تعيش في العصور الحجرية . والتي اكتشفوها قبل حين . ما قد يدعم ذلك الشعور .

انها قبيلة (الــوا أوراني) Waorani القبيلة الهندية الحمراء التي تعيش في مجاهل حوض الأمرون عثروا عليها بالصدفة قبل نحو ١٥ سنة . حين بدأت البرازيل تنفيذ مشاريع التنمية العملاقة في بلادها . وراحت تشق وتعبد الطريق الطويل (حوالي ١٠,٠٠٠ ميل) عبر دنيا الامزون الشاسعة وقد ثبت لهم أن القبيلة المذكورة كانت طي تلك المجاهل وفي منأى تام عن الحضارة الانسانية على مدى تاريخها كله . . وأنها بقيت على فطرة العصور الحجرية حتى اكتشفوا أمرها في أواخر الستينيات

ووجد العلماء الامريكيون في واقع هذه القبيلة ما شجعهم على القيام بشتى التجارب والأبحاث العلمية على أفرادها . فجمعوا المئات من العينات من دم رجالها . والمئات من النماذج من أنسجة اجسامهم . وأرسلوها جميعا الى مختبرات علمية في شتى الولايات المتحدة . . وجرى تحليل تلك العينات والنماذج تحليلا دقيقا ، كيماويا وبيولوجيا وغير ذلك . . فماذا كانت النتائج . . ؟

احد أفراد قبيلة الوا أوروني

دلت تلك التحاليل والابحاث على أن أفراد قبيلة الوا أوري يفوقون سائر سكان العالم كافة وبلا استثناء من حيث سلامة الصحة ، والمناعة ضد الامراض . . وتبين أنهم يتمتعون بحصانة طبيعية تقيهم أمراض القلب والنوابات ، وتقيهم الاورام السرطانية وداء السكري . . ولكن تلك التحاليل اثبتت أيضا أن أفراد قبيلة الوا أوري يعانون من علة في الاسنان ضعفها العام وقابليتها للتلف قبل الاوان .

وبحث الدكتور جيمس لارك Larrick وزوجته الدكتورة كاثي بك Buck ـ وهما في طليعة العلماء الامريكيين الذين يقومون بدراسة قبيلة الوا أوري ـ بحثا فيما عساها تكون أسباب تلك العلة . وما لبثا أن وجدا

أن طعام تلك القبيلة غنى بالمواد السكرية الطبيعية .. فهذه مواد تنتج من الاحماض ما يتلف الاسنان ..

على أنهما لم يقفا عند هذا التفسير .. بل مضيا فى بحث تفسيرات أخرى محتملة لتلك العلة ... من تلك الاحتمالات ماله صلة بالانزيمات .. فقد تكون أجسام أفراد قبيلة الوا أورى تعانى من زيادة أو نقصان فى أفراز أحد الانزيمات ذات الاثر المباشر على بنية الاسنان .. وقد تعانى من نقص فى أحد عناصر اللعاب ونخص بالذكر منها Salivary glycoprotein وهو الذى يساعد الاسنان على مقاومة التسوس (caries)

والاهم من ذلك كله ما أكدته تلك البحوث والتحاليل من أن خلايا الجسم بلغت ذروة من الكمال فى أجسام قبيلة الوا أورى .. وهذا ما حدا بالعالمين السالفى الذكر - وهما من المختصين البارزين فى الهندسة البيولوجية - ان يقوما بالابحاث والتحاليل ، ويبذلا الجهود بقصد تخليق خلايا جديدة كخلايا أجسام قبيلة الوا أورى .. خلايا الخلود كما يأمل العالمان ...

ونعود من حيث بدأنا .. ونتساءل هل كانت الحضارة الانسانية مصدر نعمة أم نقمة على البشرية ... ؟؟

مكافحة الحشرات بحشرات اخرى مفترسة

القارة الافريقية هى بلا ريب اتعس القارات جميعا .. فهى لا تكاد تخلص من كارثة حتى تحل كارثة اخرى اسوأ منها .. وقد تعانى من كارثتين او ثلاث فى آن واحد .. كما هى الحال فى الوقت الحاضر .. فهى تعانى حاليا من قحط شديد ، أسوأ كثيرا من قحط الستين الماضيتين .. وقد شمل هذا القحط دول جنوب القارة ، ٢٤ من تلك الدول بالتحديد ، وأخذ يفتك بتلك الدول ، فيميت يوميا عشرات الألوف من سكانها ، ومئات الألوف من ماشيتها .. ويتلف تربتها ومراعيها .. ويترك بصماته الراسخة على بيئتها ... ولكن القارة الافريقية تعانى فى الوقت نفسه من كارثة اخرى ثانية .. كارثة الكاسافا .. وقد لا تقل هذه الكارثة خطورة عن كارثة القحط . الا ان

نكبتها تأتى بالتدريج .. لا دفعة واحدة .. من هنا كان بعدها عن الاضواء وعن الصحف والانباء .

الكسافا نبات .. انه الغذاء الضرورى لحوالى ٢٠٠ مليون نسمة من سكان غرب وأواسط افريقيا .. وهو بالنسبة الى هؤلاء كالارز بالنسبة الى اهل الصين .. والخبز بالنسبة الينا نحن العرب .. بل قل اكثر من ذلك .. فالافريقيون يأكلون أوراق الكاسافا الخضراء الكبيرة .. ويعتصرون الكحول من جذورها .. ويطحنون هذه الجذور ليصنعوا خبزهم منها ... الى آخر ما هنالك ...

وشاءت الاقدار ان تكون حاجة الكاسافا الى ماء الرى قليلة نسبيا .. وان تسلم من شر الجفاف والقحط الذى ضرب القارة سنة تلو السنة منذ نحو عشر سنوات .. والذى يبطش بها حاليا ، وعلى نحو ما اسلفنا ..

على ان الكاسافا لم تسلم من عدو آخر من اعداء النبات .. الحشرات .. البقة المغبرة ' Mealy bug' والعنكبوت الاخضر (green spider) بالتخصيص . فهذه حشرات تستطيب الكاسافا كالافريقيين .. ولكنها تلتهمها وتقضى على محاصيلها وهى فى حقولها ، فتحرم الافريقيين منها ، وتحكم عليهم بسوء التغذية - ان لم نقل بالمجاعة ، بابشع معانيها ..

والغريب أن موطن الحشرتين العدوتين ليس افريقيا وانما امريكا الجنوبية ، ودولة الباراجواى بالتحديد .. وقد انتقلتا الى القارة السوداء بحكم الصدفة منذ نحو ١٥ سنة .. وما اسرع ما اكتشفتا الكاسافا ، ضالتها المنشودة ، فانطلقت تلتهمها بنهم شديد وسرعة كبيرة ، جاوزت ٣٠٠ ميل سنويا .. وما لبثت الحشرتان ان قضتا على ٢/٣ محصول الكاسافا فى عدد من البلدان الافريقية .

وزاد الطين بلة ان مبيدات الحشرات لا تبيد ايا من الحشرتين المذكورتين . فهى لا تؤثر على العناكب من قريب ولا من بعيد .. ولا تستطيع الوصول الى البقة المغبرة مهما بلغت قوة الضغط فى اجهزة رشها .. ذلك ان هذه البقة تسمم اوراق الكاسافا الطويلة فلا تلبث هذه ان تلتوى وتنطوى فتلف الحشرة وبيوضها وتضمن حمايتها من كل مكروه ..

من هنا اتجه العلماء ، علماء هيئة إفاد (IFAD) وهى الهيئة الدولية المتخصصة فى شؤون التنمية الزراعية والمتفرعة عن المنظمة الدولية ... اتجهوا الى فكرة مكافحة الحشرتين بحشرات اخرى مثلها . وهذه فكرة معروفة من حيث المبدأ . ولكنها صعبة جدا من حيث التطبيق .. اذ ليس من السهل تحديد الحشرات التى تأكل الحشرتين وليس من السهل ايضا العثور على الحشرات او توليدها صناعيا بالكميات المطلوبة .

ومضى العلماء فى بحثهم ومضت ثلاث سنوات قبل ان يكتشفوا الدبور (الزنبور) البراجوى .. وكذلك أحد اصناف الخنافس .. فمن شأن هذه الحشرات ان تبادر الى التهام البقه المغبرة والعنكبوت الاخضر بأسرع مما تستطيع هاتان الحشرتان التهام الكاسافا ..

ويتولى المعهد الدولى للزراعة الاستوائية فى نيجريا (بالتعاون مع افاد) توليد الحشرتين المفترستين بالملايين . وتعبئتها ضمن قوارير من البلاستيك بحجم قلم الحبر .. وتطلق هذه القوارير بقوة بواسطة اجهزة تشبه المدافع الرشاشة .... وتجهز بها طائرات خاصة .. وتطلق فى نيجريا وعشرين دولة افريقية اخرى لا تقل مساحتها بمجملها عن مساحة قارة استراليا بأسرها .. والامل كبير فى ان تنجح الحشرات المفترسة التى بدأوا اطلاقها بالفعل فى شهر فبراير الماضى فى انقاذ ما يمكن انقاذه من محاصيل الكاسافا .

ساعة الهاوية

(clock Doo,s deey)

الساعة التى ترى فى الصورة ليست ساعة زمنية عادية .. انها ساعة الخطر التى ابتكرها علماء ذرة أمريكيون .. سبعة وأربعون بالتحديد ، بينهم ١٨ عالما من حملة جائزة نوبل .. ابتكروها لتبين مدى تفاقم الازمات العالمية ، وتحدد بالتالي مدى قرب العالم من نهايته ، أو بعده عنها ...

على ان عقارب هذه الساعة لا تتحرك اتوماتيكيا وانما يحركها العلماء الذين ابتكروها ... فهم يقربونها من ساعة الصفر كلما ازدادت المخاطر وتفاقمت الازمات العالمية .. ويبعدونها عنها كلما غلب التفاهم والوفاق على العلاقات الدولية .

وقد بدأ العلماء هوايتهم العلمية هذه سنة ١٩٤٧ حين بلغت ساعتهم هذه الثانية عشرة الا سبع دقائق . وجاءت سنة ١٩٥٣ ، السنة التى فجر فيها الاتحاد السوفيتى قنبلته النووية الاولى ، واذا بالعلماء يحركون عقارب الساعة بحيث بلغت الثانية عشرة الا دقيقتين .. ثم عادوا فحركوها ثانية لتبلغ الثانية عشرة الا ١٢ دقيقة ، وذلك لدى توقيع الدولتين العظميين على اتفاقية الحد من التسلح (سولت الاولى ، سنة ١٩٧٢ . واخيرا حركوها فى مطلع هذه السنة بحيث بلغت الثانية عشرة الا ثلاث دقائق .. وذلك فى أعقاب توقف مفاوضات جنيف للحد من الاسلحة الذرية . □□
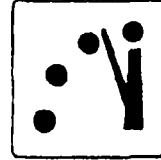
صورة تاريخية لتفجير القنبلة النووية الامريكية الاولى في المحيط الهادي سنة١٩٤٦

لغة الصحافة بين المشرق والمغرب العربي

□ استوقفنى فى العدد ٣٠٠ من العربي لشهر محرم ١٤٠٤ مقال ـ لغة الصحف وحظها من الفصاحة ـ للدكتور ابراهيم السامرائي ، وذلك لاكثر من سبب .

كلنا يتألم عندما يقرأ صحفنا ، لما يتجمع فيها يوميا واسبوعيا من هضم لقوانين اللغة التى اخذ محترفو الصحافة السيارة يقصرونها على تبنى الاساليب والاستعمالات الفاشية فى لغة الحديث اليومي ، اى لغة التخاطب العامة ، التى ابتعدت فى ضوابطها كل البعد عن اللغة الفصيحة

وكنت اعتقد ـ قبل قراءة المقال المشار اليه ـ ان الدكتور السامرائي سيتناول تناولا شاملا هذه الظاهرة الطاغية ، وخطرها الكبير على العامة والناشئة المتعلمة ، الذين يعتقدون ان لغة الصحافة فصيحة ، فيأخذون عنها فيما يكتبون دون انتباه الى ما فيها من علة ، غير اني وجدت الدكتور يقصر « تصويباته » على شق جغرافي من بلاد العرب اليوم ويعتبر لغة عرب الشمال الافريقى ـ او المغرب العربي ـ عربية اقليمية والسياق والصياغة يوحيان بانها عربية من الدرجة الثانية مقارنة مع عربية المنطقة الجغرافية المقابلة (فى ذهن الدكتور) لبلاد المغرب العربي وكل هذا يجعلنا نقف موقف الاحتراز المبدئي من هذه الروح التى ينضح بها المقال .

لقد اعتمد الدكتور السامرائي فى كتابة آرائه عينات من مقال طالعه فى احدى صحف المغرب الأقصى ، فآخذ صاحب المقال ، ومن ورائه سكان منطقة المغرب العربي ، على استعمالات لغوية وصيغ نحوية اذ سمح لنفسه أن يحكم عليها بانها مجانبة المجانبة التامة لما تحدد فى اللغة العربية من قواعد وصيغ تحفظ لها بناءها السليم .

وانتقى الدكتور نماذج من الالفاظ والاستعمالات يدلي بها حجة لتثبيت رأيه فى تخطئة ما ذهب الى انه خطأ ، وبدأ بكلمة (تلفزة) التى فضل عرب المغرب صياغتها بدلا من الصياغة المشرقية (تلفزيون) .

اختاروا تطويع هذه الكلمة الأجنبية المركبة ، واعطوها صيغة لا تزعج الذوق العربي ، الذى

يميل الى ارجاع الكلمات ذات الطابع الاشتقاقي - المقابل للوضع المترجل - الى مادة جذرية يأتي منها الفعل والمصدر واسم الالة الخ . . .

فمصطلح (تلفزة) اوجد منه ابناء المغرب العربي الفعل . « تلفز - يتلفز الخ . . . » والمصدر (تلفزة) واسم الآلة (تلفاز) واسم الفاعل واسم المفعول الى غير ذلك مما يقع توليده من الجذر الاصلي .

اما اختيار النقل الصوتي لهذه الكلمة الاجنبية (تلفزيون) فانه خال في الاستعمال العربي خلوّا تاما من هذا التطويع الاشتقاقي ، مع ان الكلمة في لغتها الاصلية مستجيبة لذلك .

ويمضي الدكتور السامرائي مستنكرا لمخالفة المصطلحات التي درج عليها عرب المشرق ، كأن في هذه المخالفة تسيبا وفسادا يلحقان باللغة العربية التي يتعلق بها الجميع . ويتعرض الى كلمة (الاشهار) التي يعقب في شأنها بقوله (وقد يقف المشارقة أمام هذه الكلمة ، ولا يتجه منها لهم شيء في القراءة الاولى ، حتى اذا اطلعوا وعرفوا من سياقها شيئا ادركوا ان لغة (الاشهار) هي لغة الاعلام) .

وإنا لنستغرب من جعله شقا من العرب هم المرجع ، والشق الآخر تابعا لهم مع ان الاحتكام السليم في صحة الاختيار يقضي بالرجوع الى المدلولات اللغوية ذاتها وصرف النظر عن المجموعات الجغرافية .

نشَهَر - يشْهر - شَهْرا الشيء : أعلنه واذاعه ، وهذا المعنى لا تفيده في مقام الدعاية التجارية كلمة الاعلام التي يفضلها الكاتب ، لان اهل المشرق درجوا على استعمالها في معنى الاعلان والنشر والاذاعة ، وهو المدلول الذي تتضمنه الكلمة الاجنبية (**publicite**) التي جعل الكاتب مضمونها مرجعا في مفاضلته بين لغة المشرق العربية وبين لغة المغرب العربية فهذه الكلمة الأجنبية يتجاوز مدلولها مجرد الاعلام ، الى الاذاعة الراسعة . فالفرق واضح اذن بين مضمون (الاعلام) وبين مضمون (الاشهار) فالثاني فيه معنى الاول وزيادة ، بينما الاول لا يغني عن الثاني .

وينبه الدكتور السامرائي - ولا أدري من اجل

أي غاية ؟ - قائلا : (في هذه العربية (يعني عربية اهل شمال افريقية) شيء آخر فاذا كنا في المشرق العربي نلتزم بمصطلح (العمل) لما يقوم به العامل في المصنع والموظف في الوظيفة وغيرهما . فان اخواننا في الشمال الافريقي قد اتخذوا (الشغل) مصطلحا لهم فيقال عندهم مثلا « الاتحاد العام للشغل . . . »

فاي ضير على اللغة يراه الكاتب في استعمال لفظ (الشغل) في معنى (العمل) ؟ أولم يرد هذا في القرآن الكريم . فجاءت كلمة شغل تدل على التوجه الى العمل : « سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا »

* * *

ونعرج اخيرا على ما جاء في الصفحة (١٠٣) التي ورد فيها ما يلي : « قرأت في صحيفة الاتحاد الاشتراكي المؤرخة في اليوم الثالث من تموز (يوليه) ما يأتي : عقب انسحابه المفاجىء من مقر القمة الافريقي التاسع عشر الذي انعقد في اديس أبابا عاصمة اثيوبيا ، وعودته من جولته في بعض بلدان المشرق العربي صرح الرئيس معمر القذافي . . . » وعقب الدكتور السامرائي على جملة (وعقب . . . صرح الرئيس القذافي) فكتب : (في هذا الذي ذكرته من كلام المحرر في الصحيفة المشار اليها شيء يجانب المشهور في القاعدة النحوية وهو (عود الضمير على متأخر عنه) ليس الى توجيهه او تأويله من سبيل ، وتلك قاعدة ادركناها ونحن صبية شداة)

وحتى لا نتوقف اكثر مما ينبغي على ما تضمنه قول الدكتور (وتلك قاعدة ادركناها ونحن صبية شداة) نذكره بقاعدة عودة الضمير على الاسم الظاهر . كما ادركناها على مقاعد الدراسة الثانوية وعلى الوجه الذي استنتجه المستقرئون لاستعمالات العرب الفصحاء في هذا الباب عند وضعهم للقواعد النحوية للغة العربية

لقد انتهى هؤلاء المستقرئون الى تفصيل في المرتبة التي يحتلها من الجملة الاسم الذي يعود عليه الضمير ، وعلى هذا التفصيل بنوا الاباحة او المنع او اللزوم فقالوا :

الاصل ان يعود الضمير على متقدم وهذا التقدم اما أن يكون تقدما لفظيا حقيقيا في ترتيب عناصر الجملة . كأن يأتي الفعل في الجملة الفعلية أولا ثم الفاعل ثم غيرهما من التوابع ، أو أن يكون هذا التقدم اعتباريا،اي باعتبار المرتبة التي يستحقها اللفظ في ترتيب عناصر الجملة ، كأن يأتي المفعول به قبل الفاعل فيقال في هذا الاخير أنه متأخر لفظا متقدم رتبة . ومثال القاعدة في ترتيب الجملة الفعلية ان نقول : (اخذ الكاتب قلمه ليكتب) وفي الجملة الاسمية : (الرجل الغريب واضحه سماحته)

فمثل هذه الصورة سواء في الجملة الفعلية او في الجملة الاسمية هي الاصل والغالبة في كلام العرب ، اذ عاد فيها الضمير على اسم متقدم لفظا ورتبة فيمكن القياس والنسج على مثل هذه الصيغ .

● غير ان الفصحاء من العرب الذين لا يتطرق الى فصاحتهم ريب ، خالفوا في بعض كلامهم هذه القاعدة الاصلية فقدموا ما حقه التأخير وأخروا ما حقه التقديم سواء في بناء الجملة الفعلية او الاسمية واستنتج المستقرئون :

أ - حالة اعتبروها شاذة لورودها قليلة

نادرة في الكلام الفصيح . فمنعوا القياس عليها ، لان القياس لا يكون الا في الغالب المنتشر من الاستعمالات . وضربوا لهذا الشاذ مثلا قول الشاعر :

جزى ربه عني عدي بن حاتم
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فالضمير في كلمة (ربه) يعود على (عدي) التي هي مفعول به . ووضعوا قاعدة لذلك المنع هي : ان الضمير لا يجوز ان يعود على اسم متأخر لفظا ورتبة اذ المفعول به في الجملة الفعلية رتبته الطبيعية ان يأتي بعد الفعل والفاعل معا . وهما عنصران لهما اهمية اكبر من المفعول به الذي يجيء متمما لمدلول الجملة . لان معرفة الفاعل اهم من معرفة المفعول به فيجب التعجيل به للسامع لانه هو العنصر الايجابي في مدلول الكلام .

ب ـ حالة ثانية وجدوها مخالفة للترتيب الاصلي لكنها متفشية ، فاباحوا القياس عليها مثل قول جرير :

جاء الخلافة أو كانت له قدرا
كما اتى ربه موسى على قدر

وخرجوها على اعتبار الاسم الذي عاد عليه الضمير ـ وهو كلمة (موسى) ـ متقدما في اصل الترتيب لانه فاعل فعل (أتى) فيكون الضمير قد عاد على اسم متقدم رتبة ومتأخر لفظا وعلى هذا نجد قول الله عز وجل : (واذ ابتلى ابراهيم ربه) [1] بل ذهبوا في مثل هذه الحالة الى فرض مخالفة القاعدة الأصلية وأوجبوا تقديم المفعول به على الفاعل حتى يتجنبوا عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة في صورة احترام قاعدة ترتيب عناصر الجملة الفعلية (الفعل اولا ثم الفاعل ثم بقية توابع الجملة)

جـ ـ حالة ثالثة وجدوا فيها ايضا عود الضمير على اسم متأخر لكن أباحوا فيها القياس وهي الحالة التي استهجنها الدكتور السامرائي وخطأ صاحبها وقال في شأنها : « انها (عربية ملحونة) و « ليس الى توجيهه (اى التركيب الذى قرأه في الصحيفة المغربية) او تأويله من سبيل » .

اما سبيل تأويله عند النحاة فهي : ان الضمير قد عاد على متقدم رتبة (لانه فاعل) ولو تأخر لفظا ، والى ذلك يشير ابن مالك صاحب الالفية في قواعد النحو بقوله :

وشاع نحو خاف ربه عمر .

فالامر اذن شائع يمكن القياس عليه وليس شاذا يهمل ويمنع القياس عليه وعلى المذهب الشائع نكتب في المغرب العربي مثل كتابة محرر الصحيفة المغربية . □□

تونس : عبد الواحد المحروق

---

(١) في الشاهد القرآني عاد الضمير في (ربه) على اسم تقدمه وهو ابراهيم ، فهو لا يدخل موضوع المحاورة ، وأما البيت (جزى ربه عني عدي بن حاتم) فالضمير في « ربه » يعود على اسم متأخر عنه ، وكذلك قول ابن مالك (وشاع نحو خاف ربه عمر) فالضمير في (ربه) يعود على اسم متأخر عنه هو (عمر) وهما شاهدان على عود الضمير على الاسم المتأخر عنه ، أيا كان ترتيبه في الجملة لفظا أو رتبة ومثلهما الشاهد « أتى ربه موسى » (العربي)

اتقان اللغات الأجنبية بين الإستثمار والإستغلال

☐ قرأت باهتمام ومتعة ما كتبه الدكتور فؤاد زكريا على صفحات مجلة العربي (العدد ٣٠٢ ، كانون ثاني ١٩٨٤) في مقالته القيمة (ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب) التي شدد فيها على اهمية التعريب ودوره الحضاري الذي اصبح يضم ابعادا سياسية وقومية ، الى جانب ابعاده الثقافية ، كما قارن بين حركة التعريب القديمة والحديثة ، ونوه باخفاق السياسة التعليمية الخاصة باللغات الأجنبية في الاقطار العربية ، مما دفع بالقلة ممن يتقنون هذه اللغات الى استخدام قدراتهم في مآرب خاصة .

وأود هنا ، في هذه المقالة الصغيرة ، استكمالا للفائدة ، أن أعقب ، وأتوسع ، بعض الشيء ، في أحد الجوانب التي تضمنتها مقالة الدكتور فؤاد ، والمعلق بكيفية استخدام المثقفين معرفتهم باللغات الأجنبية . وفي الحقيقة فان هذه المعرفة يمكن ان تستخدم بصورة سلبية لسرقة أفكار المؤلفين الأجانب ، والتنصل من عناء البحث والتقصي ، كما يمكن أن تستخدم ، بطريقة ايجابية ، ليس في التعريب فحسب ، وانما أيضا في شكل هام آخر من أشكال العمل الكتابي ، وهو تحليل الكتب الأجنبية . يقول الكاتب الجليل فؤاد زكريا :

(ففي ظل الجهل باللغات الأجنبية لدى الغالبية العظمى من أفراد الأجيال الحالية ، أصبح قدر لايستهان به من التأليف اقرب الى النقل المباشر او التلخيص . لقد أصبحت القلة القادرة على فهم اللغات الاجنبية تستغل هذه القدرة من أجل اعفاء نفسها من عناء البحث والتفكير المستقل ، وهي واثقة أن احدا لن يكتشف ما نقلته عن الغير) وما ذكره الدكتور فؤاد صحيح الى حد بعيد ، وان كانت التهمة تنطبق ، في الحقيقة ، على بعض الذين يتقنون اللغات الأجنبية ، لا عليهم جميعا . ولكن الكاتب يرجع ظاهرة لجوء بعض المثقفين من متقني اللغات الأجنبية الى نقل أفكار الكتاب الأجانب ، وتقديمها الى القراء وكأنها من نتاجهم الخاص ، بصورة أساسية ، الى جهل الاكثرية الساحقة من القراء باللغات الأجنبية وعجزهم عن اكتشاف عملية النقل . ويبدو لي أن هذا يمثل سببا واحدا من أسباب الظاهرة المذكورة . وهناك سببان آخران قد يكونان اكثر أهمية ، وهما ضعف الوازع الاخلاقي عند الناقل ، والافتقار الى تشريعات خاصة لتنظيم العمل الثقافي والصحفي ومعاقبة مخالفات النشر . ودليلي على ذلك أن عملية النقل والتلخيص ، أو لنقل السرقة الكتابية ، تتم عن المؤلفات العربية ايضا ، فكثيرا ما ينقل بعض اشباه الكتاب مقالات أو نصوصا أو أفكارا معينة ، عن كتب أو مجلات عربية ، قديمة أو حديثة ، نقلا كاملا أو جزئيا ، ويقدمونها الى القراء ، كما لو كانت من ابتكارهم . ان هذه الظاهرة المؤسفة ، سواء

تجلت في السرقة من مصادر عربية ، أو مصادر أجنبية ، تعود اذن الى ثلاثة أسباب رئيسية :

● غياب الوازع الأخلاقي والضمير الوجداني عند بعض المثقفين الذين يسعون الى اقتناص مكاسب مادية ومعنوية دون عناء أو جهد .

وتطلق ـ عادة ـ على الذين ينقلون نتاج الكتاب العرب أو الأجانب ، وينشرونه كما لو كان نتاجهم الخاص عبارة (لصوص الكتابة) او (لصوص الأدب) .

● عدم وجود قوانين وأنظمة ثقافية عربية صريحة لمواجهة مخالفات النشر ، ومعاقبة لصوص الكتابة الذين يسيئون الى حرمة الأدب ويشوهون صورة العمل الكتابي .

● عدم تحمس المواطن العربي ـ بشكل عام ـ الى القراءة ، فهناك قلة من المواطنين العرب يقرؤون الكتب والمجلات . . . وان قلة قليلة فقط من هذه القلة تقرأ بجدية وعمق . ولا شك أن هذا أحد الأسباب التي تغري بعض أشباه الكتاب على السرقة من الكتب أو المجلات أو النشرات المختلفة ، ظنا منهم أن قلة عدد القراء العرب الذين يطلعون على المطبوعات تجعل انكشاف حالهم أمرا مستبعدا . وهذا السبب يصبح اكثر وضوحا عندما يتعلق الأمر باللغات الأجنبية حيث نجد أن قراء اللغات الأجنبية العرب أقل بكثير من قراء اللغة العربية ، مما يجعل اغراء السرقة عن الكتاب الاجانب أقوى منه عن الكتاب العرب . وهذا ما حدا بالدكتور فؤاد زكريا بالتنبيه على أهمية مشكلة سرقة النصوص الأجنبية .

ومن الفقرات الأخرى التي استرعت انتباهي في مقالة الدكتور زكريا . قوله (ان أعدادا متزايدة من كتابنا تستغل قدرتها على فهم اللغات الأجنبية لكي تلخص كتب الغربيين وتقدمها كما لو كانت نتاجها الخاص .) وهذا القول يعد امتدادا لفكرة السرقة من المؤلفات الأجنبية . الا اني اود الانتقال ، هنا ، الى فكرة تلخيص الكتب الأجنبية وعرضها وتحليلها ، مع ما يصاحب ذلك من جوانب سلبية تتجلى في امكانية سرقة أفكار المؤلف ، ومن جوانب ايجابية تتمثل في تقديم زبدة الكتب الأجنبية الحديثة الى القراء العرب على طبق من ذهب . فمن المعروف أن معظم المواد التي تنشر على صفحات الكتب والمجلات ، اما أن تكون مبتكرة ابتدعها الكاتب نتيجة خبراته وقراءاته المختلفة ، أو معرفة ترجمها المترجم عن مصادر أجنبية باحدى اللغات الانكليزية او الفرنسية او الالمانية او الروسية . . الخ . وتمتاز المادة الموضوعة بأنها تعكس اصالة الفكر المحلي العربي وخصوصيته ، في حين تنقل المادة المعربة أحدث الاتجاهات العلمية والثقافية والأدبية المعاصرة في الفكر الأجنبي المتقدم .

وهناك أشكال اخرى من الكتابات لايمكن أن تندرج ضمن التأليف ، ولا ضمن التعريب ، ومن بينها عرض الكتب الأجنبية وتحليلها . وهذا العمل مفيد جدا لأنه يزود القارىء عبر تحليل صغير مكثف بخلاصة كتاب كبير قد يعز عليه شراؤه أو يتعذر فهمه ، ولأنه يجمع بين مزايا التأليف والتعريب في آن واحد ، فالتحليل يمكن القارىء من الاطلاع على الأفكار والانجازات الأجنبية المتطورة ، من جهة ، وعلى أفكار المحلل الخاصة واستنتاجاته من جهة ثانية ، فالمحلل لا يكتفي بعرض أفكار الكتاب

وتلخيصها ، بل يقوم بمناقشتها والتعليق عليها والاضافة اليها . ان محلل الكتاب يقدم آراءه الأصلية ، جنبا الى جنب مع آراء المؤلف الأجنبي ، وهنا ينبغي التأكيد على ان المحلل الأمين يعرض مادته بطريقة تجعل القارىء قادرا على التمييز بين افكار المحلل وأفكار المؤلف الأصلي . وللأسف فان بعض المحللين عن قصد أو عن غير قصد يقدمون آراءهم وآراء مؤلف الكتاب الأجنبي ، بصورة متداخلة يعجز معها القارىء عن التفريق بين هذه وتلك . ولكن الأسوأ من ذلك أن بعضهم يعرضون أفكار المؤلف وكأنها أفكارهم ، ظنا منهم أن أحدا لن يطلع على الأصل الأجنبي ليكتشف ذلك . وهذا يمثل ضربا من ضروب السرقة الأدبية التي تشبه ما أشار اليه الدكتور فؤاد زكريا .

واذا تجاوزنا هذا الجانب السلبي ، فان تحليل الكتب الأجنبية يعد في الحقيقة ، انجازا عظيم الأهمية ، لأن عدد القراء الذين يستطيعون الاطلاع على الكتب الأجنبية وفهمها ، قليل للغاية . وحتى هؤلاء قد لا يتاح لمعظمهم شراء مثل هذه الكتب ، اما لغلاء أسعارها أو لعدم توافرها . واذا كان الكتاب الذى يصدر في قطر عربي ما ، لا يتاح له الانتقال الى باقي الاقطار العربية الا ضمن حدود ضيقة للغاية بسبب القيود الظالمة التي تعوق حركة الكتاب العربي ، فكيف نتوقع أن يكون حال الكتاب الذى يصدر في أميركا أو بريطانيا ، مثلا ؟ ! وفي ضوء هذا الواقع فان تقديم زبدة كتاب أجنبي ثمين ووضعها في متناول القارىء ، على صفحات احدى المجلات ، هو عمل كبير دون ريب ، ويعد بمثابة تعميق لعملية التعريب الجافة التي تكتفي بنقل محتويات الكتاب الأجنبي كما هي ، دون نقد أو مناقشة . ويختلف المحللون بالطبع في طرق عرضهم وتحليلهم للكتاب . والمحلل البارع هو الذى يحسن اختيار الأفكار التي يود عرضها ، ويكتفي بتحليل الخطوط الرئيسية في الكتاب دون الغوص في تفصيلات صغيره لا لزوم لها ، على حساب النقاط الكبرى .

ولا شك ان لانتخاب الكتاب أهمية خاصة . فالمكتبة الأجنبية تعج بمئات الكتب التي لا تهم القراء العرب من قريب أو بعيد ولا تمت الى قضاياهم وهمومهم بأية صلة ، بل تتعلق بأوضاع هذا القطر الأجنبي أو ذاك . ومن الضروري اختيار الكتب الأجنبية التي تعالج أوضاعا تنطبق على أوضاع الدول النامية ، ولاسيما الدول العربية ، مع عدم إغفال أهمية الكتب التي تتناول القضايا العالمية الكبرى .

وهكذا فان عملية تحليل الكتب الأجنبية تحتل درجة ممتازة في سلم الأعمال الكتابية المختلفة كالبحث والدراسة والخاطرة والترجمة والقصة والقصيدة . . . الخ ، وهي ثمرة هامة من ثمرات اتقان اللغات الأجنبية ، ولا يقلل من أهميتها أن بعض الكتاب يسيئون استخدام مقدراتهم اللغوية ويستغلونها بالطريقة التي أشار اليها الدكتور فؤاد زكريا . ويبدو لي أن من يقرأ بعض الفقرات التي وردت في مقالة (ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب) قد يخرج بانطباع مفاده أن جميع الذين يتقنون اللغات الأجنبية يستغلون قدراتهم استغلالا سيئا لخدمة مآربهم الخاصة . ولكن من المؤكد أن الدكتور فؤاد لم يكن يقصد في حقيقة الأمر سوى فئة قليلة جدا من هؤلاء . □□

دمشق : ياسر الفهد

عضة الفأر ليست طاعوناً

● شاءت الصدفة أن يتمكن فار من عض أحد أطفالي الصغار ، أصيب بعدها بأسبوع بحمى وهبوط عام وصداع ، وظهر بعض الطفح فهل هذا هو الطاعون أم هو مرض آخر ؟

ع . س
صنعاء ـ اليمن

(لقد ارتبطت سمعة الفار بتاريخ الطاعون Plague الذي هدد حياة البشر عبر آلاف مؤلفة من السنين والذي رسم صورة حزينة لا تمحي من ذاكرة التاريخ البشري بل أصبحت كلمة طاعون تعني في اللغة كلمة وباء ... أي وباء ... حتى الاسم العلمي للجرثومة المسببة للمرض المعروفة علمياً باسم باستيوريللا بيستس Pasteurella Pestes مشتقة من الوباء أيضاً (وباء = Pestes)

غير أنه مع اكتشاف الانسان للمضادات الحيوية والمبيدات الحشرية ، وتوسع المعرفة عن طريقة انتقال المرض ، وارتفاع الوعي الصحي ، فقد انحسرت موجات أوبئة الطاعون وانحصر في مناطق محددة متخلفة من العالم ، تقع في أواسط أفريقيا وجنوب شرق آسيا .

غير أن الفأر لم يكن مطية لوباء الطاعون فحسب ، بل كانت هناك قائمة طويلة من الأمراض تزيد عن العشرة ، كان الفأر والجرذ يعملان على نقلها ، أدركها العلماء مؤخراً بعد انحسار موجة الطاعون ، منها . حمى عضة الفأر Rat Bite fever والتسمم الغذائي Food poisoning والتيفوس المتوطن endemic typhus .

غير أن شبح الطاعون بقي يعيش في أذهان الناس بالرغم من أن حمى عضة الفأر من الشيوع والانتشار في كل مكان كان فيه للفأر جحر يأوى اليه ، لدرجة أن عدد الضحايا في مدينة بومباي وحدها يقدر بعشرين ألف حالة .

والواقع أن هناك ميكروبات تعيش في فم الفأر وبين أسنانه ، منها نوعان : الأول يدعونه العصيات السبحية Streptobacillus ويوجد في أمريكا وأوروبا ، والثاني يدعى اللولبيات الصغيرة أو Spirillum minor وهذه تنتقل الى الانسان مع عضة الفأر ، الذي بطبيعته يعض حتى يقرض أنيابه ويمنعها أن تنمو لدرجة قد تحول

طبيب الأسرة

بينه وبين قدرته على الأكل ، أو ربما يعض أحياناً دفاعاً عن النفس .

وهذه الحمى يصاحبها آلام عامة وصداع وطفح جلدي بضعة أيام ، يشفى بعدها المريض وخاصة مع العلاج .

ان حمى عضة الفأر بعيدة كل البعد عن الطاعون الذي ينقله الى الانسان برغوث الفأر . بعد أن يلدغ دم فأر مريض لبمرغه في جسم إنسان مجاور ، اذ يتقيء الفأر جراثيم المرض بعد أن تسدّ معدته بسبب تكاثرها الرهيب في معدة الفأر .

ان الشيء المشترك بين الطاعون وحمى عضة الفأر هو الفأر وجيرته للانسان .

الدم في البـــول

● مشكلتي أنني لاحظت منذ زمن وجود دم في البول دون أية أعراض أخرى ، وبعد مراجعة أحد الأطباء طمأنني أنها معاناة من البرد ، أخذت لها الأدوية الموصوفة دون فائدة .

فهل وجود دم فى البول هو علامة خطر ؟

أفيدونا جزاكم الله عنا كل خير .

عبد الصمد محيي الدين
مكناس ـ المغرب

وجود دم في البول سواء منه ما اكتشف بالعين المجردة أو بالمجهر حالة مرضية تستحق الاهتمام ، يدعونها في لغة الطب البيلة الدموية **Haematuria** أو البول المدمم .

من الطبيعي أن تتسلل الى سائل البول بعض كرات الدم الحمراء **R.B.C.**، ولكن عددها يجب ألا يزيد عن اثنين أو ثلاث في مجال الرؤية بالعدسة المكبرة للمجهر بأية حال ، والا اعتبر الأمر مرضاً ، وما أكثر الأمراض التي تسبب تسلل الدم الى سائل البول ، وهي تتراوح ما بين سبب بسيط تافه الشأن الى سبب خطير لا يستهان به ، لهذا لا بد من استشارة طبيب حاذق متخصص يجري الفحص ليحدد السبب ويصف العلاج .

من الأهمية بمكان تأكد الطبيب من أن لون الدم الأحمر يعود حقاً الى وجود دم فيه أو أن في الأمر سبباً آخر ربما كان صبغة من طعام أو شراب أو عقار ، واذا ثبت وجود الدم بالتحليل المخبري فإن الطبيب في هذه الحال يرصد اهتمامه للتأكد من أمور حيوية أهمها

أولاً : موضع النزف من الجهاز البولي . هل هو من الكلية في أعلى الجهاز أم من الحالب أم من المثانة أو من الاحليل (مجرى البول السفلي) فلكل من هذه المواضع علامات وأدلة وأسباب .

فالدم النازف من الكلية أو الحالب عادة يعطي لوناً بنياً أو دخانيا مختلطاً بسائل البول . وهذا تصاحبه الالتهابات في هذه المواضع ، أو لوجود حصوة تخدش الأنسجة مما حولها ، بينما نزيف المثانة قد يكون زاهي اللون متقطعاً على فترات كما هو الحال في بعض أورام المثانة ، أو قد يصاحب الدم الصديد فيعطيه لون العكارة كما هو الحال في الالتهابات .

أما لو كان النزف في نهاية المجرى البولي أو الاحليل فله وجهان : أما أن يسبق جريان البول ، وهذا دليل على نزف في جدار المجرى البولي ، أو أن يعقب تيار البول وهنا يكون النزف في عنق المثانة .

ثانياً : وجود أعراض أخرى وعلامات تصاحب النزف

الدموي كالألم مثلاً الذي يصاحب تحرك الحصوات ، بينما يغيب في أحوال الأورام ، وكارتفاع ضغط الدم الذي تتميز به التهابات الكلية ، ثم لا بد من التأكد من ارتفاع درجة الحرارة التي تصاحب الالتهاب على الأغلب وهكذا .

إن أمراض الجهاز البولي تحتاج عادة الى اختبارات وفحوص عدة قبل تحديد الإصابة ، منها تحليل البول مخبرياً لاستطلاع الطفيليات كالبلهارسيا مثلاً التي نتعرف عليها من بويضاتها الصغيرة .

ومنها الأشعة السينية لتصوير هيئة الجهاز البولي ومنها استعمال المنظار وتحاليل الدم ، لهذا يصعب الفتوى والاجتهاد العاجل في أمر أمراض الجهاز البولي دون وجود تفاصيل علمية مؤكدة ، أما عن دور البرد في إدماء البول فهو اجتهاد غير مسؤول .

كاسات الهواء

● قرأت عن أخبار العودة الى استعمال الأطباء لكاسات الهواء العربية واعتمادها أسلوباً علمياً معترفاً به في علاج كثير من الأمراض ، فأين تقع الحقيقة في هذا الخبر ؟ وأين أجد المتخصصين في هذا الفن الطبي ؟

س . أ .
بني غازي - ليبيا

لقد ترسبت في قناعات البعض أن كاسات الهواء علاج طبي عربي المنشأ له فعل السحر في شتى الأمراض ، بل ما زال هذا الأسلوب معتمداً في الطب الشعبي يضفي عليه أصحابه الكثير من الصفات التي تجاوزت الحقيقة بكثير .

إن كاسات الهواء أسلوب قديم جداً في العلاج عرفته أغلب الشعوب منذ آلاف السنين ، لهذا له في كل لغة تقريباً اصطلاح خاص معتمد .

فهو في انجلترا يسمى Cupping وفي فرنسا يدعونه Ventouse وفي المانيا يلقب Schropfen أما في أمريكا فيعرف باسم Vacum .

لقد أثبت أطباء الفراعنة طرق استعمال كاسات الهواء على أوراق البردى منذ خمسة آلاف عام ، كما ذكرها ابقراط في أرض اليونان قبل ولادة السيد المسيح بخمسمائة عام ، وجاء ذكرها كأسلوب معتمد في كتب ابن سينا والرازي ، كما لا زالت كاسات الهواء طريقة معتمدة في الطب الشعبي الصيني على قدم المساواة مع طريقة الوخز بالابر .

غير أن كاسات الهواء لم تحظ حتى اليوم باعتراف معتمد من الأوساط الطبية الحديثة وان كان بعض من الأطباء يدعي أنه وجد لها تأثيرات طبية في بعض الأمراض وخاصة آفات الصدر والآلام الروماتيزمية .

ليس من الضروري أن تستعمل كاسات من الزجاج كما قد يتوهم البعض لأن بعض المحدثين من محترفي العلاج بكاسات الهواء يستعمل شفاطات من المطاط ، كما أن بعض الشعوب قد تستعمل الخيزران في مص الهواء ، لأن فعل كاسات الهواء يعتمد على تفريغ الهواء من جزء معين من جلد الجسم غالباً ما يكون عن طريق تسخين الكأس لإفراغها من الهواء .

إن تأثير كاسات الهواء يعتمد حسب التفسير العلمي الحديث على تنشيط الدورة الدموية في المنطقة المصابة ، سواء بفعل الحرارة ، أو بفعل التفريغ الهوائي وهذا يعمل بدوره على تصريف سموم الفضلات التي يعاني بسببها المريض من ألم العضلات أو المفاصل .

أما التمادي في القناعة بأثر كاسات الهواء على شتى أمراض الصدر أو أمراض الكلية والبواسير أو إعادة الشباب فهذا تجاوز كبير للحقيقة .

غريبان تحت سقف واحد

بقلم . منير نصيف

☐ هل شعرت يوما أن زوجك مازال انسانا غريبا عنك ؟ هل توقفت مرة تتأملين تصرفات هذا الرجل الذي مضى على زواجك منه سنوات طويلة ؟ هذه قصة زوجين مضى على زواجهما أكثر من عشر سنوات ومع هذا مازالا يعيشان غريبين تحت سقف واحد .. انها قصة من واقع الحياة !

من وراء زجاج نافذة غرفة نومها ، جلست ترقب الشارع الذي خلا من المارة في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. ترى ماذا جرى له ؟ لقد تعود في الأيام الاخيرة أن يعود الى البيت متأخرا بعد أن ينام الأطفال .. إنها تعرف أن العمل الجديد الذي يقوم به قد أخذه منها .. ولكن هل يمكن أن ينسى الرجل بيته وزوجته وأطفاله في غمرة اشتغاله بعمله ؟ انها لم تعد تراه الا للحظات قصيرة بعد أن ينتصف الليل وهي ساهرة مع كتاب جديد ... وما اكثر المرات التي يغلبها فيها النعاس وهي جالسة على مقعدها تقرأ فلا تراه الا مع صباح اليوم التالي وهو يستعد للقاء يوم جديد ... ويدور حوار سريع في فتور شديد ، لا يلبث ان ينتهي بذهاب كل منهما الى عمله .. حتى اللحظات القصيرة التي يقضيها في بيته لم تعد تشعر خلالها بوجوده .. فهو لم يعد يتحدث في أي شيء وعن أي شيء .. إنه يجلس ساهما شارداً وكأنه يحمل الدنيا فوق رأسه ، واذا تكلم فحديثه دائما عن العمل ، ومتاعب العمل ، والاجتماعات التي يستعد لها ، والصفقات التي يأمل في اتمامها .. وهو يتوقع منها ان تشاركه الحديث .. ولكنها لا

تلبث ان تكتشف انه يتحدث في موضوع لا تعرف عنه شيئا ، فتسكت عن الكلام ، وتكتفي بأن ترسم على وجهها ابتسامة مصطنعة !

* * * *

ما الذي حدث ؟ هل يمكن ان تتغير الحياة بهذه السرعة . . هل انتهى الحب الذي كان يعيش معهما ويربط بينهما خلال السنوات القصيرة التي عرفته فيها . .

لقد كان شاباً مرحاً ناجحاً طموحاً . وكان يحلم ، وكانت تحلم معه بالسعادة والعيش في رخاء . .

وسارا معا على الطريق . . كانت رحلة شاقة ، ولكنها لم تطل ، فقد نجحا في تحقيق كل ما كانا يحلمان به معا . . شيء واحد كان يفلت منهما دون ان يحس به أحدهما أو كلاهما . الحب الذي عرفه الزوجان الشابان في بداية حياتهما .

وعندما جاء الأطفال ثمرة حياتهما الزوجية بدأت الزوجة الشابة تشعر ان زوجها لم يعد هناك ليشاركها فرحة اللقاء بالضيوف الجدد الذين ملأوا البيت بالحياة . . وبحثت عنه فوجدته غارقاً في عمله . . صحيح ان النجاح لذيذ . . ولكنه يصبح ألذ عندما يشعر صاحبه أن هناك من يشاركه الاستمتاع بهذا الانتصار . .

* * * *

وتمضي بها الأيام ثقيلة متباطئة . . الزوج مشغول في عمله سعيد بنجاحه . . وهي مع اطفالها في المساء وفي عملها في الصباح ، انها مازالت تعمل . . مازالت تذهب الى مكتبها كل يوم ، رغم أنها لم تعد في حاجة الى الأجر الذي تتقاضاه منه ، فقد أصبح زوجها في مركز يسمح له بأن يعوضها عما تكسبه من عملها . . ولكنها لا تريد ان تعيش في الفراغ الذي أصبحت تجد نفسها فيه وسط هذا البيت الذي يحمل كل ركن فيه ذكريات أحلامهما معا وكفاحهما معا . . انها تحاول ان تغرق همومها في عملها ، فهو الشيء

الوحيد الذي يملأ حياتها اثناء غياب اطفالها عن البيت !

هل انتهت الرحلة القصيرة بهذه السرعة .. لو انها كانت تعلم لما بدأتها .. انها تعرف أشياء أخرى كثيرة تعلمتها من الحياة ومن خلال قراءاتها .. وفي سني طفولتها وشبابها وسط والديها قبل ان تخوض أكبر وأعظم تجربة في الحياة .. تجربة الزواج ..

انها تعرف ان الحب قد يولد في لحظة ، ولكن الحب الناضج كالشجرة التي تنمو ببطء وتخرج من البذرة التي تغطيها الأرض .. وان الزوجين في حاجة الى وقت طويل لتنمية مشاعرهما وتفهم أوجه الاختلاف بين شخصيتهما ، ومشاركة كل منهما للآخر في أفراحه وأحزانه .

ان نصائح امها مازالت تملأ رأسها الصغير .. « إياك يا ابنتي ان تتركي للخلافات الصغيرة التي تنشأ بينك وبين زوجك مجالا لتدمير حياتك .. لا تستسلمي لأول جرح صغير يصيبك !

ضمدي جراحك وأبدئي من جديد ! .. » .

ولكن ماذا عنه هو .. انها لا تريد ان ترى حياتها تنتهي بنفس الأسلوب الذي تقرأ عنه وتسمع به .. الفراق تم ... من يدري ماذا يجيء من بعده .. فقد ينتهي كل شيء بعد ذلك بالطلاق .. ان مجرد التفكير في هذا المصير الذي ينتظر حياتها التي اضطربت يزعجها .. لا من أجل نفسها .. ولكن من أجل الاطفال الأبرياء الذين يبحثون عن الحب والدفء في قلوب الأبوين ! ..

وعادت تسأل نفسها : نعم ماذا عنه ؟ انه لم يعد يشعر بها ولا بأطفاله .. ان عمله يمتص كل وقته .. انه لم يقم بأية محاولة لاذابة الجليد الذي بدأ يتراكم ويملأ أجواء البيت التي كان يلفها دفء الحياة حتى عندما كانا يختلفان ويتخاصمان .. كان هناك دائما شيء يعيد العلاقة الى طبيعتها بينهما وينتهي الخلاف الذي يهدد سعادتهما .. اما الآن فقد عصف البرد بكل شيء حتى في أشد أيام السنة حرارة ودفئا !

إنها لا تدري ماذا تفعل ؟ الحيرة تستبد بها والقلق يعيش معها طوال ساعات الليل والنهار !

ولكن يشاء القدر ان يسوق في طريقها يوما سيدة شابة مثلها أو أكبر سنا قليلا .. من هي لاتدري ؟ من اين جاءت ؟ انها لا تعلم عن الطريق الذي اختارته من اجل الوصول اليها شيئاً .. هل هي الصدفة وحدها التي قادتها الى هذا المكان .. في هذه الساعة من النهار ربما .. ! كانت في صباح هذا اليوم تستقل سيارتها الصغيرة مع أطفالها الصغار في نزهة بين احضان الريف .. وفجأة سمعت صوتا جميلا .. كانت صاحبة الصوت تغني وهي تقف وسط الحقول الخضراء تجمع ثمار الفاكهة من الأشجار في سلة صغيرة .. كان واضحا انها ليست من اهل الريف .. فقد كانت ملابسها تقول هذا .. ولكن كان واضحا ايضا أنها ليست ميسورة الحال .. فقد كانت بساطتها في اختيار ملابسها تؤكد أنها سيدة عادية من عامة الشعب .. ولم تكن وحدها ... كان معها اطفالها الصغار الثلاثة .

واستوقفها صوت الغناء الجميل ، ربما لأنها لم تسمع أحدا يغني قريبا منها منذ زمن طويل ، وربما ايضا لأنها وجدت فيها نفسها ، فهي ايضا كان صوتها مازال جميلا .. ولكنها نسيت الغناء ، او ربما فقدت تماما رغبتها في الغناء .. انها مازالت تذكر كيف كان صوتها الجميل يثير اعجاب مدرساتها في المدرسة وهي تنمو وتكبر وتتفتح مثل للزهور التي وجدت نفسها تقف في وسطها فجأة عندما شدّها هذا الصوت الجميل !

* * * *

فنزلت من سيارتها واتجهت اليها وحيتها .. وقالت بسرعة تسألها : « أنت تغنين .. ان صوتك جميل .. لابد أنك سعيدة في حياتك ! » .

ـ نعم سعيدة ، ولماذا لا أكون سعيدة في هذا اليوم الجميل .

ـ أعني هل انت سعيدة في زواجك ؟

ـ لا ! ليست السعادة هي الكلمة التي يمكن ان تقال في وصف حياتي . . . ليس هناك سعادة كاملة على هذه الأرض . . فالسعادة لا يمكن ان تقوم فوق رمال متحركة . . والحياة من حولنا تتحـرك . . كـل شيء فيهـا يتغـير . . حتى الناس . . أقرب الناس اليك . . المهم يا سيدتي ان نتعلم كيف نتعامل مع الآخرين كما هم بكل ما فيهم من مساويء ومحاسن . . انت تسألينني عما اذا كنت سعيدة في حياتي . . وانا اقول لك انني اسعد انسانة في الدنيا في هذه اللحظة بين اطفـالي وبين الـطبيعـة الجميلة من حـولي . . ولكنني لا أدري كيف سيكون شعوري غدا وانا أستقبل يوما جديدا . . بل ربما بعد مرور بضع ساعات وانا استعد للعودة الى البيت وافكر فيما هو مطلوب مني القيام به . .

ووجدت نفسها تقاطعها فجأة قبل ان تكمل حديثها . . انها لم تتوقع ان تجد عند هذه السيدة البسيطة كل هذا الكلام الذي وقفت تنصت اليه باهتمام . . وعادت تسألها : « من أنت ؟ » .

ـ انا فنانة ، أنقل لـوحاتي من الـطبيعة التي أعشقهـا ، وأبيعهـا وأقتصـد ثمنهـا لأبنـائي الصغار .

ـ وزوجك ؟

ـ انه تاجر يمتلك محلا صغيرا لبيع الأقمشة ! لقد تزوجنا منذ خمسة عشر عاما . كنت أحبه ، وكان هو ايضا يبادلني هذا الشعور . كان متيما بحبي . . كان يريدني لنفسه وكـأنه قـد أصبح يمتلكني . . لم يكن يسمح لأحد ، حتى أمي وأبي بأن يكون لهما مكان في قلبي . كان يتصور انه ليس من حق احد مهما كانت صلته بنا ان يقترب من مملكتـه ! ولكنه مـا لبث ان اكتشف الخـطأ الكبير الذي وقع فيه عندما حملت واقترب موعد ولادة طفلنا الأول . . لقد كان هو الذي ذهب بقدميه يرجو أمي ان تحضر لتكون قريبة مني في هذه اللحظة التي تنتظرها كل أم .

* * * *

ـ هل دام الحب الذي ربط بين قلبيكما ؟

ـ انه لم ينته على اية حال لأنه نعلم ان أقصر طريق لاعادة الحياة الى هذه العاطفة التي تربط بـين قلبي الـزوجـين هـو عـدم اخفـاء حقيقـة مشـاعره . . فـالزوجـة أي زوجة لا تقنـع بما ترى . . ولكنها تريد ان تسمع ايضا ما يؤكد لها هذا الذي تراه في تصرفات زوجها . .

ـ تعنين ان يؤكد حبه لها من وقت لآخر . . أليس هذا ما تريدين ان تقوليه ؟

ـ ليس بـالضبط . . ولكن هناك كلمات كثيرة تؤدي نفس المعنى ، ليس بـالضرورة ان يقـول لهـا : « أنا أحبـك » . فتكرارهـا قد يؤدي الى عكس ما هو مقصود بها . . انه يستطيع ان يقول لهـا مثلا « هـل خطر ببـالك يـوما انني فخـور بك » ! . . أنا سعيد لأنك عـدت الى البيت في ساعة مبكرة ' ! .

ـ وهل تعلم زوجك هذا الكلام ؟

وأجابت الفنانـة ، ولكن بأسلوب جـديد لم تألفه السيدة التي التقت بها صدفة وكأنها عثرت عندها عـلى مفتاح لبعض المتـاعب التي تعـاني منها . . كانت تتكلم بنفس الطريقة التي ترسم بها لوحاتها : « الحب يا سيدتي ليس عملا فرديا ولكنه مناخ نعيش فيه بكل ما يحمله لنا من مطر ورعـد وحـر وبـرد . . الحب مـدرسـة بـين الزوجين . . مدرسة نتعلم فيها ونكبر ونكتشف أشياء لم تكن في حسابنا أبدا . . اذا عرفنا ان هذه العـاطفة لا يجب ان تسقط في وجـه أول ريـح تعصف بها ، فقد تعلمنا ان الحب بين الزوجين ليس « قبلة » وليس كلمة حلوة . . انه مناخ يملأ القلب ولابد لنا أن نكيف حياتنا به ومعه ! » .

وتصافحا . . وتـركتها تكمـل اغنيتها ، ولم تنس وهي تترك المكان أن تهنئهـا على اللوحـة الرائعة التي رسمتها بكلماتها ! . □□

المخاطر عند العرب وكيف كانوا يقدرونها ؟

بقلم : الدكتور إحسان صدقي العمد

☐ قلما تخلو حياة الأمم والشعوب من تعرضها في بعض الأحيان ، لأخطار جسيمة داخلية أو خارجية تهدد كيانها وتكاد تعصف بوجودها . وما تخطت أمة من الأمم مثل هذه المرحلة الا بفضل وعيها المستنير لجسامة تلك الأخطار ومبادرتها الى مواجهتها بالحزم والعزم وحسن التدبير . .

في تاريخ العرب والمسلمين أمثلة عديدة على هذه الظاهرة التاريخية ، التي اعتمدت مواجهتها على مدى ما كان يتمتع به قادتهم من نظر بعيد وتفكير عميق في تقدير الخطوب والأمور وتأثير نتائجها على حاضر الأمة ومستقبل مسيرتها .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مقدمة اولئك القادة الذين ألهمهم الله مثل هذه الصفات . فقد أدرك منذ البداية الخطر الجسيم الذي شكله مشركو قريش على الدعوة الاسلامية ومستقبلها حين خرجوا بقوتهم المسلحة الكبيرة للقضاء على جماعة المسلمين القليلة في بدر ، وقد حفز هذا الموقف النبي الكريم واصحابه على الانتصار لدين الله او الاستشهاد دون ذلك ، وجعل يستنهض همم أصحابه قائلا : « سيروا وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم » وتوجه الى العلي القدير يدعوه النصر ويقول : « *اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض ، اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم* نصرك » .

وبمثل هذا النظر الثاقب والاستشراف الصادق ، كان الرسول الكريم يوقن أن النصر على قوى الشرك ودرء خطرها عن دولة المسلمين في المدينة المنورة ، سيمهد الطريق أمام انطلاقهم وازالة الحواجز المادية التي كانت تقف في وجه نشر دعوة الاسلام في العالم . وتحدثنا كتب السيرة والمغازي ، ان النبي ـ ﷺ ـ كان يعدُ الصحابة وهو يشاركهم حفر الخندق حول المدينة بفتح المشرق والمغرب . حتى قال المنافقون : « نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم !! » وكرر الرسول هذه الرؤية المستقبلية في غزوة تبوك ، وذلك بفضل نظره البعيد ووعد الله الذي لا يتخلف .

بل ان النبي صلى الله عليه وسلم حذر المسلمين من *تآمر الاعداء عليهم ، وأوصى بجلاء اليهود عن جزيرة العرب ليحول دون استمرار تآمرهم على الاسلام والمسلمين* ودولتهم .

أبوبكر يستشعر الاخطار

وواجهت ابا بكر الصديق رضي الله عنه ظروف عصيبة بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكادت تلك الظروف تعصف بالاسلام ودولته ، حين ارتدت معظم قبائل العرب عن الاسلام ، وامتنعت عن اداء الزكاة ، وطمع الأعراب في غزو المدينة نفسها ، وقد رأى البعض أول الأمر مهادنة المرتدين وتركهم وماهم عليه من منع الزكاة وتأليف قلوبهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ثم يزكون ، الا ان الصديق اصر ببعد نظره على مقاتلة من يفرق بين الصلاة والزكاة ، وتجزئة اركان الدين وفرائضه واطلق عبارته الشهيرة « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأقاتلنّهم على منعها . ان الزكاة حق المال . والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » وقد كان ، وانتصر المسلمون ، وسلمت عقيدة الاسلام من خطر التفتيت والتجزئة .

وقد أدرك الصحابي الجليل ابوهريرة فضل ابي بكر في مواجهة ذلك الخطر والقضاء على اثاره البعيدة ، حين قال : « والله الذي لا اله الا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله » .

وتجتاز الأمة الاسلامية المحنة والخطر ، لتواصل انطلاقتها التاريخية الكبرى في نشر دعوة الخير والايمان والسلام .

وخاض المسلمون عدة وقائع قبل أن يلقوا جموع الروم في معركة اليرموك الفاصلة . وقد هُم عمر بن الخطاب حين أعد أن يتوجه الى بلاد فارس ليقود المعركة بنفسه ، الا أن الناس اقنعوه بالبقاء في المدينة ليكون للمسلمين المدد والردء . وقد بلغ من خطورة هذه المعركة ـ كما يقول ابن أعثم ـ أن أبا سفيان أشار على ابي عبيدة باشراك النساء فيها . « فعبأ ابو عبيدة نساء المسلمين فوق ربوة خلف جيش المسلمين . فعلت النساء التل ، ومعهن الاطفال والصغار . وقال لهن ابو عبيدة : خذن بايديكن اغمدة السيوف واعمدة البيوت والفساطيط ، واجمعن الحجارة بين ايديكن ، وحرضن المسلمين على قتال المشركين ، فاذا كان الأمر لنا ، فكن على ما انتن عليه ، وان رأيتن احدا من المسلمين منهزما فاضربن وجهه باغمدة البيوت ، واضربنه بالحجارة وادفعن إليه اولاده ، وقلن له : قاتل عن ولدك وعن بيعة الاسلام . فقالت النساء ايها الامير ابشر بما يسرك » وكانت البشرى بالنصر ثم انسحاب الروم من جميع بلاد الشام بعد ان قدم المسلمون الوفا اخرى من الشهداء .

جهاد الى يوم القيامة

وبرغم انتصار المسلمين على الفرس والروم ، فانهم لم ينخدعوا بهذا النصر ، بل زادهم يقظة وتأهبا واستعدادا ، وظلوا يحملون السلاح ويرابطون في معسكراتهم ومواقعهم الحربية لحماية دولتهم من الاعداء المتربصين بها ، مصداقا لقول الرسول الكريم « الجهاد ماض الى يوم القيامة » ومن أجل ذلك أنشأوا المسالح والرباطات ، ونظموا حملات الصوائف والشواتي دفاعا عن الثغور والحدود والديار التي طالما طمع فيها الاعداء وتأهبوا للاغارة عليها . وقد أدرك قادة المسلمين في الامصار هذه الحقيقة بنظرهم الصائب وحدسهم الصادق . ويحدثنا المقريزي في خططه ان عمرو بن العاص والي مصر ، كان لا ينفك عن تحريض المسلمين المرابطين في مصر على الوقوف على اهبة الاستعداد لمواجهة الاعداء المغيرين ويقول لاصحابه :

« اعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة ،

لمكث الاعداء حولكم ، ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » . ويروى في خطبة له بالفسطاط أن النبي عليه السلام يقول : « إذا فتح الله عليكم بعدي مصر فاتخذوا فيها جندا كثفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض ، لأنهم رباط الى يوم القيامة » وهذا اعمق فهم وابعد نظر لاهمية موقع العالم الاسلامي وطمع الاعداء فيه ، ووجوب التأهب لافشال كيدهم والقضاء على اطماعهم .

بل ومن القاعدة العربية الاسلامية في مصر ، انطلقت مواكب الهدى وحملات الفتح الى المغرب ، حيث دخلت تلك الديار العزيزة تحت رايات العروبة والاسلام ، بعد سبعين سنة من الجهاد المتصل الذي قدم فيه المسلمون من الشهداء ألوفا بعد ألوف .

.. وفي المشرق أكثر من عبرة

وواصل المسلمون في عهد بني أمية السير على هذا النهج في الاستراتيجية ، وبذلوا جهودا مضنية في الدفاع عن دولة الاسلام ، وبخاصة حدودها الشمالية والشرقية المتاخمة لقبائل الخزر والترك التي عرفت بقوة البأس والشكيمة . وتزخر الحوليات الاسلامية بأخبار الحملات على تلك المناطق والتخوم ، وتعزيز قوات المرابطين المسلمين في الثغور في تلك الاقطار النائية . ومن أجل ذلك نظم المسلمون البريد ووسائل الاتصالات السريعة التي جعلت الخلفاء وولاتهم يقفون على أمور الدولة وأمنها وسلامتها ، حتى أنهم كانوا لا يحجبون صاحب البريد من الدخول عليهم في أي ساعة من الليل او النهار ، اذ « ربما أفسد على القوم سنة لحبسهم البريد ساعة » على حد قول عبدالملك بن مروان . واذا كانت معظم تلك الحملات قد كللت بالنصر فان بعضها لم يحالفه النجاح ، لكن ذلك لم يفت في قوة المسلمين او يحيدهم عن تغيير تدبيرهم واستراتيجيتهم الثابتة في ضرورة المحافظة على قوة الدولة وهيبتها وسلامة حدودها . فقد استشهد القائد الشيباني الشهير مصقلة بن هبيرة وجميع أفراد حملته التي قدرتها بعض المصادر بعشرين الف رجل من خيرة المجاهدين وذلك لدى توغلهم في اقليم طبرستان عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م ، ومع ذلك فلم يهن المسلمون ولا تخاذلوا ، بل استمروا في ارسال الحملات الى هذا الثغر حتى تم ضبطه ودخل معظم أهله في الاسلام .

وكان للحجاج تدبير ورأي

وللحجاج بن يوسف الثقفي فضل في سعيه الدائب لتأمين الحدود الشرقية للدولة الاسلامية ، فنراه يرسل حملة كبيرة قوامها عشرون ألف رجل من أهل البصرة والكوفة عام ٧٨هـ/ ٦٩٨م لاخضاع اقليم سجستان (افغانستان الحالية) ، ولكن هذه الحملة التي قادها عبيدالله بن ابي بكرة حوصرت في ذلك الاقليم وقتل معظم افرادها فلم ينج منهم سوى حوالي خمسة الاف رجل ، مما احدث تضعضعا ملحوظا في قوة المسلمين وهيبتهم في تلك المناطق . وقد رأى الحجاج بنظره البعيد ، ضرورة توجيه حملة كبيرة جديدة الى سجستان للانتصار على الاعداء هناك واستعادة هيبة الدولة . وأورد البلاذري في انساب الاشراف نص كتاب الحجاج الى عبدالملك الذي يستأذنه فيه بتسيير الحملة الجديدة ، فقال : « أما بعد ، فان جند امير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا ، فلم ينج منهم الا القليل . وقد اجترأ العدو بالذي اصابه من أهل الاسلام ، فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم . وقد اردت

ان اوجه اليهم جندا كثيفا من اهل المصرين (البصرة والكوفة) ، فاحببت ان استطلع رأي امير المؤمنين في ذلك » .

ويأتي رد عبدالملك قويا متماسكا يدل على قدر الرجال وثقتهم . فأجاب الحجاج : « بلغني كتابك لما ذكرت من مصاب المسلمين بسجستان حتى لم ينج منهم الا الشريد ، وجراءة العدو لذلك ، وقوتهم على أهل الاسلام . فاولئك قوم كتب القتل عليهم فبرزوا الى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم ، واما ما اردت ان يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وامضائها الى ذلك الفرج الذي اصيب فيه المسلمون او كفها ، فان رأيي ان تمضي رأيك راشدا موفقا » .

التفكير والتدبير

وأمثال هؤلاء الرجال الذين يعملون التفكير والتدبير كثير في تاريخنا ، فهذا عبدالملك بن مروان كان لا ينفك عن النظر في عواقب الامور ومعالجتها بالحزم الذي تقتضيه ، فكان اذا ظهرت في دولته فتنة او ادلهم خطب شمر عن ساعد الجد وامتنع عن المسرات حتى تقمع الفتنة وينجلي الخطب ، ويحدثنا الراغب الاصفهاني في محاضرات الادباء ان عبدالملك مكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الاشعث ، وتمثل بقول الاخطل :

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

وقل مثل ذلك عن ابي جعفر المنصور الذي أثر عنه انه اذا كان لا يصدر الا عن تفكر ولا يمضي الا بعد تدبر ، وكان ذلك ما اوصى به ولده المهدي قبيل وفاته حين قال له : « يا بني خذ عني اثنتين : لا تقل من غير تفكر ، ولا تعمل من غير تدبر » وكثرت قبله وبعده كتب التنظير السياسي للامراء والخلفاء لمعالجة الامور بالحكمة والتفكر والحزم واغتنام الفرص المواتية ، حتى نسب الى عبدالحميد الكاتب قوله :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى اذا فات أمرا عاتب القدرا

وكان حكماء العرب يقولون : « انتهزوا الفرص فانها تمر مر السحاب » وكانوا يقولون : « العجز عجزان ، عجز التقصير وقد كان ، والجد في طلبه وقد فات » . وكان ابن المقفع تلميذ عبدالحميد يقول : « اعجز الملوك آخذهم بالهويني ، واقلهم نظرا في مستقبل الامور ، وأشبههم بالفيل الهائج الذي لا يلتفت الى شيء ، فاذا حزبه امر تهاون فيه ، وان اضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه » . وكان نظراؤه يقولون : « من تأخر تدبيره ، تقدم تدميره ، ومن طالت غفلته زالت دولته ، ومن لم يغتنم الفرصة عادت عليه غصة » .

الفرص الضائعة

وقد يطول بنا الحديث اذا تتبعنا الفرص الذهبية الضائعة في تاريخ امتنا العربية الاسلامية البعيد والقريب . ولكن نكتفي بذكر بعض الفرص التي ضاعت ابان التصدي للغزو الصليبي لمشرق العالم الاسلامي ومغربه . اذ كان السلطان الناصر صلاح الدين يرى بنظره الثاقب وأفقه البعيد ، ان المواجهة الناجحة لخط الصليبيين لا تتم الا بتوفير اكبر قدر ممكن من تضامن المسلمين ووحدتهم . حتى لقد اثر عنه ان « امور الحرب لا تحتمل في التدبير الا الوحدة » . ومن أجل ذلك سار على خطا سلفيه عماد الدين زنكي ونور الدين محمود في تحقيق هذا الهدف . ويحدثنا ابو شامة صاحب كتاب « الروضتين في اخبار الدولتين » . ان صلاح الدين اراد ان تتضافر جهود المسلمين في المغرب والمشرق للقضاء على الخطر الصليبي ، وبعث لهذه الغاية

برسالة الى الخليفة العباسي الناصر يشرح له الموقف العسكري الخطير حول ثغر عكا وتدفق المدد الصليبي عليها ، ويدعوه الى ارسال العون والمدد الخاصة « وقد تعاضدت ملوك الكفر على ان ينهضوا الى المسلمين من كل فرقة طائفة ، ويرسلوا اليهم من كل سلاح شوكة ، فاذا قتل المسلمون واحدا في البر بعثوا الفا عوضه في البحر . واصحابنا قد أثرت فيهم المدة الطويلة والكلف الثقيلة في استطاعتهم لاطاعتهم ، وفي احوالهم لا شجاعتهم . وكل من يعرفهم يناشد الله فيهم المناشدة النبوية في الصيحة البدرية : اللهم ان تهلك هذه العصابة . . . ، ويخلص الدعاء ، ويرجو على سيدنا امير المؤمنين الاجابة » لكن الخليفة لم يمدده بمال او رجال ، واكتفى في رده بالدعوات والتمنيات ، فبادر صلاح الدين الى الاستنجاد بسلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن الملقب بالمنصور ، على قوى المغرب والمشرق تتعاون في صد الخطر الصليبي عن البلدين ، وكتب اليه يستنهضه ويقول : « فان كانت الاساطيل في الجانب الغربي ميسرة ، والعدة فيها متوفرة ، والرجال في اللقاء فارهة ، وللقله غير كارهة ، فالبدار البدار . . . وان كانت دون الاساطيل موانع ، فالمعونة ما طريقها واحدة . . تكون تارة بالرجال وتارة بالمال ، وما رأينا اهلا لخطابنا ولا كفؤا لانجادنا ، ولا محفوفا بدعوتنا ، ولا ملبيا لنصرتنا ، الا ذلك الجناب . . فقد كانت تتوقع منه همة توقد في الغرب نارها ، ويستطير في الشرق سناها ، وتغرس في العدوة القصوى (الاندلس) شجرتها ، فينال من في العدوة الدنيا جناها . فلا ترضى همته ان يعين الكفر الكفر ، ولا يعين الاسلام الاسلام » .

لكن الامل في ذلك السلطان خاب ، فلم يهب الى نصرة او نجدة او ارسال عون ، لا لشيء كما تحدثنا معظم المصادر ، بل لان صلاح الدين لم يخاطبه في رسالته بامير المؤمنين على عادة اهل المغرب كما يقول ابو شامة ، فتغلب المظهر على الجوهر ، وقصر النظر على بعده ، فضاعت فرصة لم تعوض في تاريخ الأمة .

ومالنا نلوم سلطان المغرب ولا نلوم سلاطين المشرق وامراءه ، الذين حفيت اقدام رسل صلاح الدين من كثرة التردد عليهم واستنصارهم . فما نصروه برجال ولا مال ، وآثروا التحصن في القلاع ، وظنوا ان النجاة في الاعتصام برؤوس الجبال . وقد صور القاضي الفاضل هذا الحال في رسالة بعث بها الى صلاح الدين وفيها يقول بـ[illegible]ـرة مؤثرة : « ان الله تعالى اطلع على قلوب اهل الارض فلم يستخدم في اقامة دينه واعلاء كلمته الا انت . . . وفي الارض من له المملكة وراثة ، ومن له في المال كثرة ، ومن له في العدد ثروة ، فاقعدهم واقامك . . . هذا وليس لك من المسلمين كافة مساعد الا بدعوة ، ولا مجاهد معك الا بلسانه ، ولا خارج معك الا بهمّ ، ولا خارج بين يديك الا بالاجرة . . . تدعوهم الى الله وكأنما تدعوهم الى نفسك ، وتسألهم الفريضة ، وكأنك تكلفهم النافلة وتعرض عليهم الجنة ، وكأنك تريد أن تستأثر بها دونهم . والآراء تختلف بحضرتك والمشورات تتنوع بمجلسك ، فقائل لم لا نتباعد عن المنزلة ؟ وآخر لم لا نميل الى المصالحة ، ومتندم على فائت ما كان فيه حظ ، ومشير بمستقبل ما يلوح فيه رشد . . . ولكن الشدة تذهب ويبقى ذكرها ، والازمة تنفرج ويبقى اجرها » .

ولا ادري هنا اكان القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني كاتب صلاح الدين ووزيره يصور حال ازمة عصره التي انفرجت بعد حين وبقي ذكرها ، ام انه يصور ازمة عصرنا التي مازالت تنتظر الحل والفرج ، على يد جيل يعمل الفكر والنظر ويتدارك الامر والخطر . □□

من سجلات المحاكم

شاهد من نغمه

بقلم : علي منصور المحامي

☐

رآها ورأته عرضا وسمعته تلصصا وهو يغني . فجن كل بالآخر وأفرط في جنونه وأزمع أن يتزوجها .

وصارح نفرا من خلصائه . . فنصحوه ألا يفعل ، فهو « فلاح » وهي « بدوية » . . صحيح اننا كلنا مخاليق الله . . ولكن هناك الأعراف والتقاليد . ومن عرف البدو وتقاليدهم المرعية أن لا يزوجوا بناتهم الا من بدوي ، وأن يأبوها على الغرباء ، لا سيما الفلاح .

وأصر « حسان » ولم يفلح في رده نصح ، خصوصا وأنه إذ تسقط الأخبار وتقصى ، علم أن « دنيا » التي أحبها قد جاوز إعجابها به الى الغرام .

وبذل ما استطاع . . قرع الباب فصفق في وجهه ، وساق الشفاعات والوسطاء فباءت جميعها بالاعتذار .

واتصل الخبر بواحد من أصحاب النفوذ - وكان ممن عانى الصبابة فبات يعرفها ، وكان ممن يطربون لسماع حسان بين الحين والحين - فرق لحاله وأوفد الى آل « دنيا » من يتهددهم بأن « السيد » سيهدم على رؤوسهم خيامهم التي أقاموها في أرض ليست لهم ان لم يزوجوا الفتى من الفتاة . . . وحدد لهم شهرا .

وحارت القبيلة وتداول رؤساؤها في الأمر . . فالأرض ليست لهم فعلا ، والرحيل ليس أمرا يسيرا بعد العمر الذي سلخوه في الأرض مستقرين . . وإن رحلوا فإلى أين ؟ . صحيح ان أرض الله واسعة ، ولكنها حولهم ضاقت بمن تكاثر ومن تكاثف ، وفي الوقت نفسه ليس سهلا ولا هينا أن يخرجوا على ما توارثوا من تقاليد .

وأخيرا تفتق بعض التفكير عن الاعتذار بأن « دنيا » مخطوبة لأحد فتيان القبيلة ، ومقروءة فاتحتها ، وأنها على وشك « الدخول » وأنه من الحديث الشريف « لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه » .

←

وأسرعوا ودبروا الفتى الخاطب ، وأسرعوا وأعلنوا عن يوم العرس ، وكلفوا ممن يتفق مع حسان ليحيي الليلة .

وقبل الموعد المضروب بأيام فجعت القرية بجثة الفتى الخاطب عارية وهي طافية على صفحة مياه الترعة .

وقامت الدنيا ، وشرع رجال البحث في التحري والتقصي ، وطوف بخيالهم الظن في « صاحب النفوذ » بعد أن جرحت كرامته بعصيان كلمته ، لولا أن سيرته وسلوكه وغيابه عن البلدة منذ حين أبعدت ذلك الظن . واتجهت الشبهة الى حسان فهو موتور والقتيل غريمه . ولكن الشبهة لم تجاوز حدها فلم يساندها ثمة دليل ، وبخاصة بعد أن ثبت أنه لا يعرف القتيل ولا علم بتهديد صاحب النفوذ ، ولا بأن القتيل كان في طريقه ليكون زوجا لدنيا . أما الذي كلف بأن يتفق معه على احياء الليلة فقد ثبت أنه لم يكن قد شرع فيما نيط به .

وقيدت الواقعة « عوارض » .

وخشيت القبيلة أن يعاود صاحب النفوذ ضغوطه بعد أن زالت العلة ، وأسرع صاحب الفتوى الأولى بفتوى ثانية .. أن يتخلصوا من دنيا ذاتها باغراقها في مياه الرياح ويشاع أنها لم تحتمل قضاء « عريسها » الذي كانت تحبه فاختارت أن تلحق به ... وبنفس الطريقة ... غرقا .

وألقى الأمر الى « أم دنيا » أن تصحب الفتاة قبل طلوع الفجر بزعم غسل بعض الثياب وهناك تدفع بها الى الماء ولا مانع أن تضع فوقها « الطشت » حتى تنفق ... ولا مانع من أن تستعين في ذلك بمن هو موضع ثقتها من نساء العائلة .

وكان أمرا لا يعصى .

وبقلب متمزق ودمعة لا تجف ، عرضت الأم المنكوبة الأمر على أختها « ناعسة » فاستمهلتها أياما ، عادت بعدها وطلبت اليها أن تصحب دنيا وطقم ثياب غير الذي ترتديه ، وأن يخرج الجميع بعد أن ينتصف الليل لتنفيذ المأمورية .

وفي غسق الليلة الموعودة بارحت الدار أطياف ثلاثة ، بينما وقف الأب يشهد رحيل « مصدر العار » ويحاول أن يحجب دمعة انحدرت تبلل لحيته البيضاء .

وسارت النسوة الثلاثة في صمت عميق ، وجاوزن حدود القرية حتى بلغن مكان ظهور جثة « الخاطب » الغريق ، ووقف الركب ، وراحت الأم تودع ابنتها .

وظهر حسان فاضطربت دنيا وفغرت الأم فاها وابتسمت ناعسة وهي تقول لأختها . « ألم يكن القرار عجيبا ؟ هات طقم الثياب وضعيه هنا .. وأنت يا حسان خذ « دنياك » الى أقرب مأذون كما اتفقنا وارحلا .. انها أمانة .. إرحلا بعيدا ... وسنرجع يا أختي ، وستشهد الثياب على أن « دنيا » غرقت ... أغرقت نفسها بعد أن شفها الوجد فشقت ثوبها ثم صدرها حزنا على حبيبها ... على الفقيد الغريق .

* وان رآها أحد ؟

* نجت .. وهربت .. ويحلها الحلال .

وهمت الأم أن تستطرد فأسكتتها أختها وهي تحث على الاسراع قبل أن يفضحهم النهار .

ورحل حسان وفي يده دنيا لا يكاد كل يصدق نفسه ، وقفلت الأم وأختها راجعتين ، وراحت هذه تطمئن أختها على مصير ابنتها ، تقص عليها ما دبرت خلال الأيام التي سألتها مهلة . وكيف اتصلت بحسان ووثقت في حبه دنيا ورتبت معه الموعد والخطة ، وكيف فاتحت في الأمر دنيا ووثقت من حبها كذلك .. وأنهت حديثها بقولها ... « وعلى كل حال ... أنا قلبي مطمئن » .

وأجابت الأم وهي سادرة حائرة ... يسمع منك ربنا ويسترها ويسترنا .

* * *

وبعيدا عن القرية ، عقد حسان قرانه على دنيا ، وفي الدار التي نزلا بها ، اقترب منها وهو يقول .. من كان يصدق أن دنيا بين يدي ..

* ودنيا كلها لك . .
* وبدنيا سأتغلب على الدنيا .

وراح يحصي ما حمله من حصيلة العمر ، أو على حد تعبيره « ما خرج به من الدنيا » ثم راح يفكر في كيف يصرف . . . وكيف يتصرف .

وهمت دنيا أن تخلع ما كان في يديها وعنقها من حلي . ولكن حسانا أبى عليها ذلك . فلما أصرت قال لها . . « دعيها للزمن . . » وابتسمت وأمنت . . .

ولم يكن اختيار حسان للقرية التي حطا رحالها فيها اعتباطا . ولا لفرط بعدها عن قرية « المهجر » وانما تدخل في اختياره لها أن بها « المعلم حسيب » وهو من أهل الصنعة القدامى الذي سيعينه على أن يشق طريقه في المجتمع الجديد .

وبعد أن اطمأن الى المأوى أو ما أسماه كذلك تجوزا ، مضى يسأل عن حسيب ولم يبذل في ذلك كثيرا ، فقد كانت الحوائط تحمل الأصباغ المعلنة عنه وعن « الجوقة » و « الفن الجديد » والشهرة والصيت والدعوة الى ساعات كلها طرب ورقص واستعراضات .

وقصد حسان الخيمة التي كانت لحسيب مسرحا ومسكنا ومنتدى ، وتعانق الرجلان وتبادلا عبارات المجاملة ، ثم تبادلا الأخبار ، ورحب حسيب بأن يكون حسان واحدا من رجاله . . . وجاء العرض غاية المراد .

ومنذ الليلة التالية كانت « النمرة » الجديدة الغناء البلدي مع المطرب الشعبي « حسان المغنواتي » وأطرب الناس وأعجبها وقبض يوميته فعاد الى دنيا سعيدا يلقى بها بين يديها لأنها القيمة على النفقة .

وقبل ان تشكو دينا حرمانها من زوجها وحبيبها معظم النهار حيث يقضيه بين الفرقة لأداء « التجارب » وجزعها معظم الليل وهي تنتظر عودته والتي لا تكون غالبا الا مع خيوط الفجر . . قبل هذا تقرر ان يقيم حسان وزوجته بأحد ملحقات الخيمة شأنه شأن « المعلم » والمخرج وواحد او اثنين من كبار الفنانين .

وكم فرحت دنيا بهذا التعديل ، إذ أتاح لها أن تتمكن من رؤية حبيبها في كل حين وان لا تتبدد قلقا وهي تنتظره كل ليلة . وفوق هذا وذاك تسعد بأن تسمع كل ليلة غناءه الحبيب . ولغنائه في صدرها الى جانب حلاوته وطلاوته معاني قصتها معه . . . وهي قصة خالدة . وكانت دنيا كلما سمعت غناء حسان لا تتمالك عواطفها فكانت تحسبها صادرة لها دون غيرها من الرواد ، وهي وحدها التي تفهم ما وراء الكلمات . وكانت تتمايل مع النغم ، وتدق بقدمها على « الواحدة » وتعيد اللحن بأصابعها مع تمتمة تطابق الصوت والحركة .

وكم هنأ حسيب حسانا
وكم شكر حسان حسيبا

وبعد أشهر تكلم . مخرج الفرقة فأطرى صوت حسان وأداءه وتنغيمه ، ولكن هناك شيئا ينقص « الفرقة » واحدة تصاحب الغناء ، أو مرددة « للمذهب » أو مؤدية « للقرار » أو راقصة على « الواحدة » . ذلك هو الفن التجاري الصحيح الذي يزيد من ترغيب الجماهير فيكثر إقبالهم وتعمر جيوبنا ويرتفع أجرك . . لا مؤاخذة يا أستاذ . . أنت وحدك عظيم . . ولكن كفن فقط والفن وحده لا يؤكل عيشا . . . الفن داخل الخيمة والحكم خارجها . . . « على الشباك » .

وأمن حسيب على الكلام في شيء من الاستحياء .

ودارت بسرعة أفكار حسان ، فهو يسأل أكثر من شيء . . الفن . . . والأمان ، ولقمة العيش وان كان الفن لا وطن له غير أن الأمان ولقمة العيش هنا موطنها ، ولذا طلب مهلة كي يفكر في اختيار من يصاحبه وبما يصاحبه .

وتدخل المخرج وأشار الى دنيا ، وسارع الى

التأكيد أن خبرته ومراقبته لها « متفرجة » تقطعان بصلاحيتها لمشاركة حسان في أدائه . . . راقصة على خفيف ، ومرددة على أخف .

وسكت حسان ولم تتحرك شفتا دنيا ، وان تحرك بعنف ما بين ضلوعها ، وقطع حسان السكون . . . انها لا تعرف شيئا من هذا ، وان عرفت فهي لا تتقنه .

وأجاب المخرج . . ومن كان يعرف أو كان يتقن . . أنا الكفيل بهذا . . . والمياه تكذب الغطاس .

وفي خلوة حسان ودنيا تشاورا . . واستقر القرار .

ومنذ اليوم التالي حملت الاعلانات عن الفرقة . أن حسانا سيقدم « ثمرة جديدة » . . العرض الغنائي الراقص ، وكانت دنيا هي الجزء الجديد في ذلك العرض .

وتغير في الأداء والحركة الشيء الكبير وأحيانا في اللحن . . . أما الذي لم يتغير ، بل ولم يكن حسان يسمع لأحد أن يتدخل فيه فهي المعاني التي يغنيها . . قصة دنيا وكان التغيير الوحيد أن يضيف كل يوم أبياتا تترجم السعادة التي يعيشها هو ودنيا ، والتي خالفت سعادة الآخرين فهي لا تعرف التجمد ولا التراجع .

وكان للجمهور في اظهار اعجابه وسائل تتفق الا القليل في مبعثها ، وتختلف في صورها . . . تشترك جميعها في التصفيق وبعض الهتاف ، وتفرق في البسمة والنظرة ، وأحيانا في بعض الاشارات وبعض التلميحات وشذوذ نادر في شيء من التصريحات .

وكفنان . . . كان حسان معتادا على كل هذا ، وكان يرضيه حينا ويضايقه حينا آخر . ولكنه اليوم بات زوجا ، فاختلف التعبير واختلط احساس الفنان باحساس الزوج والضوابط فيها غير محكومة .

وفي أول الأمر كان مستمعا والقلب في صمم ، فكان يمر على كل شيء متسامحا ، وكان كما اعتاد دائما يختص نفسه بكل الاعجاب ، ثم بدأ يلفته من ذلك مالا يمكن أن يوجه الى ذكر فهو موجه اذا الى أنثى . . . والأنثى هي دنيا . . . ودنيا هي زوجته . . . وليس لأحد أن يعجب بزوجته سواه .

وبتصرف الفنان كان يصبر حتى ينزل الستار ثم كأن شيئا لم يكن ، ويختلف تصرف الزوج حين يغلق باب غرفتها ، اذ يقيم الدنيا حتى تقعدها زوجته بابتسامة أو بنظرة أو بما يجاوز هذا .

ومرت أيام وأشهر وأعوام . . وترامت سمعة الفرقة وشهرتها ، ووفد عليها طراز جديد من الرواد ، منهم من ترتفع ثقافته عن الرواد

العاديين ، ومنهم من تنتفخ جيوبه عن هؤلاء .
وبين هذا الجمع الجديد واحد بين هؤلاء وهؤلاء . . . شذ ولأول مرة فهتف باسم دنيا وحدها ، وكأنها هي التي انفردت بالأداء أو بالابداع ، وكان الهتاف دائما باسم حسان ونادرا باسميهما معا .

وأول الأمر لم يحس بالحدث سوى حسان ، فلما تكرر التفتت دنيا فكانت ابتسامة ـ لم يكن مقصودا بها ذلك الرائد ـ وانما كان تعبيرا عن اعجابها بنفسها .

والناس دائما مقلدون . فقد بدأ نفر يجري مجرى « الرائد » في تصرفه حتى أصبح الهتاف باسم دنيا من اللزوميات ، فبدأت تشعر أن لها مشجعين يخصونها وحدها ، وبدأت تفصل بين حبها وفنها أو بين حبيبها ومجدها . وتصارع الحب وشهوة المجد ، وكان مما يزكي الأخير في صدر دنيا وفكرها بعض طبع المرأة . . . ثم كلمات تتناثر عن قصد من بعض الذين أكلتهم الغيرة من نجاح حسان .

وبدأت بين دنيا وحسان المشاحنات ، ولم يخطر على بال أيهما أن يوائم بين حبه وفنه ، ثم بات حسان لا يستطيع أن يوائم بين دنيا وماجد على تصرفاتها التي اغتفر منها الكثير وفاء لأنها ـ وكما قالت له أمها من بين دموعها ـ أنها أمانة . . أما الذي لم يغتفر بل وبدأ يثير في صدره الشكوك فاختلال برنامج دنيا وتغيبها أحيانا عن الدار وتأخرها أحيانا عن مواعيد الفرقة ، وكانت تنتحل اعذارا يتقن من تلفيق الكثير منها ، فلما تجرأ وفاتحها بشكوكه . . . لم تنكر أنها تلتقي أحيانا « بالرائد » أياه ولكن لما عرفت أنه ظهر لها أنه من قبيلتها ، وأن عليها أن تفرط في مجاملته حتى لا يشي بها فلا يبقى عليها أهلها وأضافت وهي تتخايل . . ولا تبقى دنيا لحسان . . . ان بقي حسان .

وبدأت الأفواه تهمس ثم الألسنة ترسل الاشاعات . . . وبدأ يراقب سرا خطاها حتى بدد الشك اليقين . . . وتداعت في فكره كثير من الذكريات ، وثارت في صدره واضطربت معاني كثيرة . . . كان أعلاها الثأر .

وثار . . . وبعد أيام علم الجميع أنه وجدت جثة بعيدا عن البلدة وكانت جثة دنيا يتقاذفها التيار اذ كان السد المائي مفتوحا ومياه الترعة يسابق بعضها بعضا .

وكان حسان قد بدد الهدوء صراخا لما افتقد دنيا وقتل البلدة بحثا وسؤالا فلم يعثر لها على ظل ، حتى علم بظهور جثة في تلك القرية البعيدة فسعى اليها مع غيره ، وتعرف على الجثة وسقط مغشيا عليه .

وتمهيدا للدفن أوقع طبيب الصحة الكشف على الجثة فاشتبه في أنها مقتولة خنقا قبل أن تموت غرقا .

وظن رجال الضبط أن الوصول الى الجاني أمر سهل ، فهو محدد في حسان الذي شهد زملاؤه بما كان من خلافاته مع دنيا في الفترة الأخيرة ، وأنكر حسان وهو يصرخ كيف يعقل أن يقتل المرء نفسه ، وجهد التحقيق كثيرا . ولكن ـ ورغم اقتناع ضابط المباحث أن حسانا هو القاتل ـ لم تسفر الجهود الا عن مجرد ظنون ولم تصل الى دليل . . . والدليل في المسائل الجنائية جزم ويقين .

واتجه بعض الجهد الى الرائد بمظنة أنه موفد من أهل دنيا لقتلها ، بعد أن عرفوا بأمرها من صحيفة كانت نشرت لها يوما صورة . . . ولكن اتضح أن « الرائد » بريء مما وجه اليه .

وقيدت الواقعة ضد مجهول وبقي واحد يؤمن ـ وان يكن بلا دليل ـ بأن حسانا هو القاتل . . . ذلك هو ضابط المباحث .

* * *

وبعد أيام الحداد بالنسبة لحسان والكساد بالنسبة للفرقة عاد حسان الى الغناء . . . وللمرة الأولى أحس أنه ينافق فيما يرسل من معاني رددها عمرا وكانت تزداد كل يوم عمقا وطلاوة .

وفي زعم « التجديد » راح يلقي أغاني لغيره من كبار المغنين حتى يبعد عن أغاني دنيا كما كان

يسميها . فان أرغم على القائها كان صوتا بلا طرب ولحنا بغير نغم .

ووعلل الكثيرون ما أصابه بفرط حزنه على دنيا . وان ذهب الرواد السطحيون الى أن دنيا كانت تضفي على غنائه الحياة . . . ونكأ القول جراحه ، وقال له « المعلم حسيب » يوما : استفق لحالك . . . . دنيا رحلت عن الدنيا . . . وأنت سيرحل فنك وترحل بذاتك ان بقيت على هذا الحال .

* ارحل . . لقد رحلت من زمان .

وفهم الرجل معنى وكان حسان يقصد معنى آخرا .

* * *

وكانت لحسان أغنية جديدة . . . ولكنه كان كلما استبدت به الذكريات يشدو بها في جنح الليل على قبر دنيا لتسمعها وحدها ، فهي وحدها التي تفهم أمرها :

أنا اللي خدتك بايدي من إيدين الناس
وأنا نهيتك بايدي يوم شربت الكأس
وان كانت الوالدة ،رقت . . هي والخاله
أنا قلبي أصبح حجر . . من كثر ما شاله

ويخفت صوته وهو ينشد أبياتا كأنه يسربها الى القبر :

النار في قلبي ومن شدة لهيب النار
ظنيت ح يطفي اللهيب لو خدت بعض التار
لكن لهيبي فضل . . . ونور عيوني طار

وسمع يوما صدى صوته مدنف متيم به . . . فغافله وسجل الأغنية وراح يسمعها ويسمعها حتى اتصل أمرها بأسماع « ضابط المباحث » . . . وتلصص ذات ليلة ليسمعها ولكن بأذن أخرى . . اذن من يتلقى الاعتراف وما أن فرغ حسان حتى فاجأه بقوله :

ـ أعد . . . وقعت بلسانك يا بطل .

وبهت حسان وطعن القبر بنظراته وهو يقول « ولكني ثأرت لذكرياتي . . لعمري . . لحبي . . لوجودي . . ولدنيا .

وطير الضابط « اشارة » للنيابة العامة . . . حادث مقتل دنيا . . . حسان هو القاتل . . شهد عليه شاهد من نغمه . . . واعترف .

وأمام المحقق اعترف حسان تفصيلا . □□

■ من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفي ، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة .

« مالك بن دينار »

■ كان حتى الأمس القريب فنانا ، ولكنه عاد يتطاحن على العيش كواحد من القطيع .

« فولتير »

■ إنك تبلغ مرتبة النمو الكامل عندما تضحك ضحكتك الأولى ساخرا من نفسك .

« ايثيل باريمور »
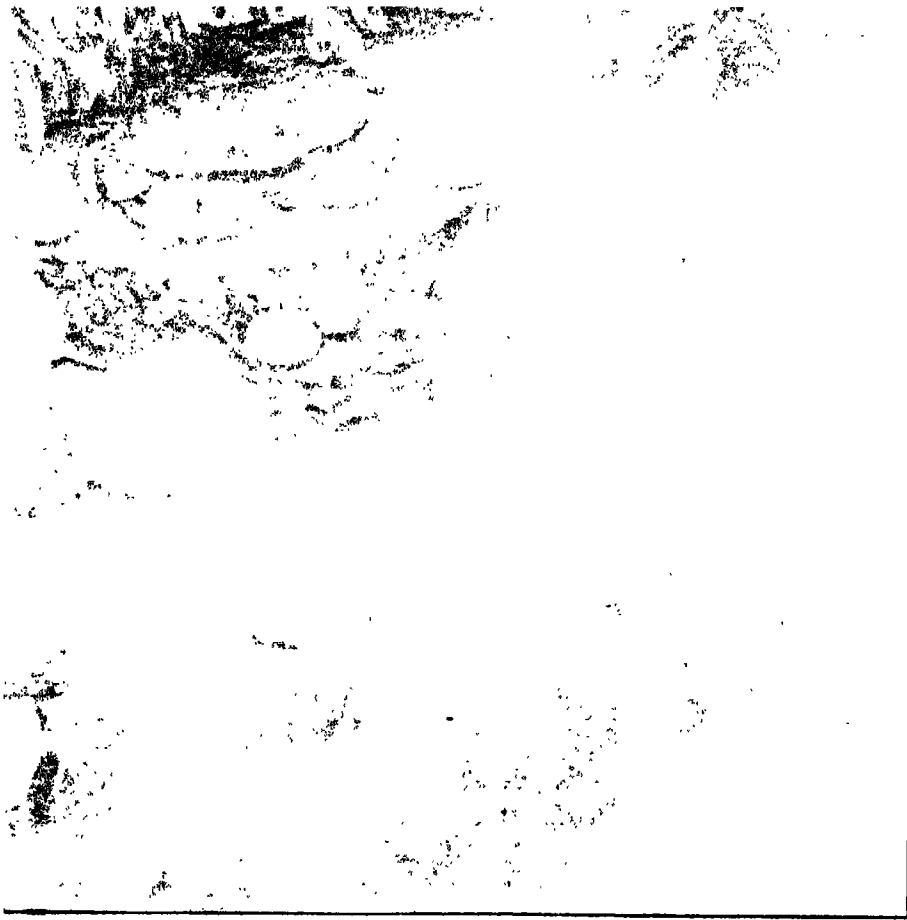
متى نتجه إلى البحار

اطلبوا الغذاء في سطح الأرض فان هي ضاقت

فاطلبوه في البحار

« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا »
(قرآن كريم)

بحثاً عن غذاء أوفر؟

بقلم الدكتور : عزالدين فراج

□ اذا عرفنا أن سكان الأرض يعيشون الآن على ربع الكرة الارضية بما عليها من أرض مزروعة وغير مزروعة وصحراوات وثلوج غير مسكونة وأن ثلاثة أرباع المساحة الباقية تشغلها البحار والمحيطات والأنهار ، أدركنا أهمية البحار في توفير الغذاء لسكان هذه الأرض التي نعيش عليها .

في البحار أنواع من الأسماك المختلفة الاشكال والألوان والصفات ، وتعتبر ثروة اقتصادية كبيرة ، لأنها من أهم مصادر غذاء الانسان ، ويمكن أن تحل الاسماك محل لحوم الأبقار والأغنام والدواجن ، هذا مع رخص ثمنها وسهولة الحصول عليها .

ولحوم الأسماك سهلة الهضم ، لذيذة الطعم ، غنية بالفيتامينات الهامة ، وخاصة فيتامين أ وفيتامين د ، كما تحتوي الاسماك على مقادير مناسبة من الأملاح المعدنية ، وخاصة أملاح اليود والفوسفور والكالسيوم اللازمة لتكوين العظام ونشاط الأعصاب .

والأسماك بجانب قيمتها الغذائية لها فوائد اقتصادية أخرى ، أهمها استخراج الزيوت الطبية الغنية بالفيتامينات من كبد بعض الأسماك ، وتستخدم زيوت بعض الاسماك في عدة أغراض كصناعة الطلاء ودبغ الجلود .

ويعتقد الخبراء أن البحر يمكنه تقديم مائتي مليون طن من الاسماك سنويا ـ أي أربعة أضعاف حصيلة الصيد السنوي في هذه الأيام ـ وذلك دون أن يتأثر الرصيد الضخم من الاسماك .

ولقد جرت محاولات لنقل الانواع القيمة من الاسماك الى الاماكن التي لم تكن توجد فيها من قبل ، ففي العصور الوسطى نقل الشبوط الى شمال أوروبا ، وفي القرن الاخير أحضر سمك « التَّرُوت » البني والسالمون الى نيوزيلندا . ومن أهم عمليات النقل التي نجحت في مياه البحار المالحة نقل السمك المعروف باسم ثعبان البحر الى مياه عادية كان يصعب عليه الوصول إليها ، كذلك سبق ان وصفنا حركة نقل سمك موسى الهولندي .

وكذلك أجريت محاولات للاخصاب والفقس الصناعي في كل من المياه العذبة والمالحة ، ومازالت تجري هذه المحاولات بنجاح في برك الأسماك وفي البحيرات والجداول حيث نقص السلمون والبياض .

ونجح تسميد مياه السمك لزيادة انتاج المواد الغذائية الأساسية في برك الأسماك ، كما جرب ذلك أيضا في المياه الحرة . ويظهر ان تجارب إمداد المياه المالحة في الخلجان الاسكتلندية بالأسمدة لم تؤد الى نتائج يمكن ان تطبق في مساحات اكبر .

وأخيرا فان صيد أو إبادة الحيوانات المفترسة نجح في الشواطىء وفي المياه العذبة . ولقد وجد أن صيد الحيوانات المفترسة تؤدي الى زيادة انتاج السلمون ، بما يبلغ تسعة أضعاف ونصف هذه التكاليف .

من أجل غذاء أكثر

وكان صيد السمك فيما مضى يعتمد على الحظ والصدفة أكثر مما يعتمد على الخبرة ، ولكن العلم أبى إلا أن يخضعه لارادته ، فكان له ما أراد ، فأصبح في مقدور الصيادين في كل أنحاء العالم رؤية السمك تحت الماء ، سواء أكان ذلك في الليل أم في النهار ، وسواء أكانت الشمس مشرقة أم مختبئة وراء السحب .

لقد أصبح في مقدور الصيادين معرفة مكان السمك في أعماق البحار ، ومعرفة نوعه وعدده واتجاهه وسرعة سيره في الماء ، بفضل جهاز جديد ، يعرف بمسجل الأعماق .

ومسجل الأعماق عبارة عن صندوق صغير في حجم جهاز الراديو ، يوضع في مقدمة السفينة ، وفي الجهاز شريط من الورق ، خطوطه الرأسية تمثل الماء امام السفينة ووراءها ، والخطوط الافقية تمثل عمق الماء ، وكلما تقدمت السفينة في سيرها ، رسمت الأقلام خطين متوازيين ، العلوي منها يمثل سطح الماء ، والسفلي يمثل قاع البحر ، وبين هذين الخطين المتوازيين تقوم الأقلام برسم صور متباينة للأسماك في اعماق البحر .

بهذا الجهاز استطاع الصيادون تحديد المواقع والاعماق التي يكثر فيها السمك ، فيبدأون

الصيد ، وهم على يقين ، من صيد موفور ، بعد ان كانت عملية الصيد عملية حظ ومجرد صدفة .

وقد ابتكر اليابانيون وسيلة سهلة للصيد ، بأن يضع الصياد مجموعة من المصابيح الكهربية بحيث تمتد الى مسافة طويلة في البحر في اتجاه عمودي على الساحل .

ثم يضيء الصياد ابعد المصابيح عن الشاطيء ، فيلتف حوله السمك ، ثم يطفيء هذا المصباح ، ويشعل الذي يليه ، فيتجه نحوه السمك ، ثم يطفيء هذا المصباح ويشعل الذي يليه وهكذا . . ويظل السمك يلاحق المصابيح حتى يدخل الشبكة التي نصبها الصياد بالقرب من الساحل .

غذاء للأسماك

والمعروف ان البحار تنتج المواد الغذائية النباتية التي تعيش عليها الاسماك الصغيرة بكميات هائلة جدا ـ حوالي ٢٠٠ مليون طن من النباتات وحيدة الخلية والطحالب سنويا ـ وبالرغم من ذلك فهي لا تكفي غذاء للعدد الهائل من الأسماك ، لكي تتحول عن طريق الأسماك الى البروتين الحيواني في لحومها ، فالأمر يتطلب ١٠٠,٠٠٠ رطل من الطحالب والكائنات الدقيقة ، حتى يمكن الحصول على رطل واحد من الأسماك ، والحل هو زيادة كمية السمك فيها .

وتجري محاولات اخرى لاستخدام فضلات الانسان كنوع من السماد ، لزيادة نمو النباتات البحرية ، بنشرها على اعماق بعيدة عن مستوى سطح البحر ، ويؤدي ذلك الى نتائج مفيدة لتغذية الاسماك ، كما يفكر العلماء ايضا في اضافة بعض المواد الكيماوية الى هذه الفضلات حتى يتضاعف نمو الكائنات البحرية الدقيقة

والطحالب ، وبالتالي تزيد كمية الاسماك التي تتغذى عليها .

وهكذا نستطيع ان نصل الى انتاج انواع من الاسماك الصغيرة بكميات هائلة تمكننا من صناعة « مسحوق السمك » الذي يحتوي على البروتين الحيواني . ويصبح في الامكان استخدامه لتعويض البلدان التي تعاني من نقص البروتين الحيواني . ولا يبدي الناس اليوم اهتمامهم بمسحوق السمك نظرا للرائحة المعروفة التي تنبعث منه .

وتجري الآن عمليات لانتاج دقيق السمك الذي يخلو تماما من الروائح لطهوه بمختلف الوسائل ، ليصبح غذاء شعبيا غنيا بالبروتينات الحيوانية اللازمة للنمو . وتقام الآن في مختلف البلدان المصانع التي سوف تقوم في المستقبل القريب بانتاج دقيق السمك على نطاق واسع .

وتوجد في البحار عدة انواع من الأصداف والقواقع التي تصنع منها الازرار ، كما تستعمل الاصداف اللامعة في تطعيم الاثاث واطارات الصور وتزيين الابنية ، وعمل العقود والاقراط وغيرها من الحلي ، وتطحن الاصداف ايضا وتضاف الى غذاء الدواجن .

الطحالب وقيمتها الغذائية

وتطفو على وجه المياه نباتات عديدة ، وتكثر هذه النباتات في المياه الراكدة او التي تجري ببطء ، وكذلك توجد الطحالب في البحار والمحيطات ، وتجمع هذه النباتات وتجفف ، وتستعمل في تغذية الطيور والماشية ، كما تستعمل كنوع من الاسمدة وكنوع من الوقود ، ومن هذه النباتات والطحالب تستخرج بعض العناصر النافعة كاليود والحديد والكالسيوم وغيرها من مواد الدواء والطلاء .

وتعتبر الطحالب ذات اهمية غذائية كبيرة ، اذ تتغذى عليها الحيوانات الصغيرة التي تأكلها وبالتالي الاسماك الصغيرة ، وهذه تتغذى عليها الأسماك الكبيرة ، وهي من الأغذية الرئيسية للانسان .

وتلعب الطحالب دورا هاما في حفظ التوازن بين النبات والحيوان في البيئة المائية لأنها اي الطحالب تمتص ثاني اكسيد الكربون وتخرج الاوكسيجين في الوقت الذي تمتص فيه الحيوانات الاكسيجين وتخرج ثاني اكسيد الكربون .

وتعتبر الطحالب من المواد والاطعمة الغذائية التي يتناولها الانسان مباشرة حيث يأكلها اليابانيون . ويصنع من الطحالب مادة الجيلي التي تستخدم في صناعة الحلوى ، ويستخلص من بعض انواعها مادة « الآجار آجار » التي تستعمل في مزارع البكتريا والفطريات .

والطحالب مصدر من اهم المصادر التي يستخلص منها الانسان اليود والبوتاسيوم ويستخرج من بعضها مساحيق تستخدم في طلاء الأخشاب .

ويضيف بعض المزارعين الطحالب في بعض البلاد الى اراضيهم الزراعية كسماد .

ودخلت الطحالب مؤخرا سفن الفضاء حيث استخدمت لتكوين المواد الغذائية ولاستهلاك ثاني اكسيد الكربون المتصاعد من تنفس الانسان او الحيوان المسافر واخراج الاوكسيجين .

والطحالب هي تلك الكائنات التي تستوطن عادة الماء ، وتتراوح الوانها ـ حسب تباين اجناسها ـ ما بين الاخضر الداكن الاخضرار والاحمر الضارب الى الزرقة او الاصفرار ، ومنها ما تتخذ الوانا بنية او حمراء ، وهي تتباين فيما بينها من حيث الاطوال والاحجام ، فمنها ما هي دقيقة الحجم ـ وحيدة الخلية او خيطية ـ لا تستطيع ان تتبينها الا مجهريا ، ومنها ما تتكون من تراكيب خلوية وتكاد تضاهي في اطوالها الاشجار ، وقد اتجه اليها الانسان حديثا ليستمد منها احتياجاته المتزايدة من غذاء وكساء وعلاج ، بعد ما عجزت اليابسة ان تحمل اعباء بني الانسان ، وعجزت بسبب الانفجار السكاني ان توفيه شتى ما يتطلبه من احتياجات واصبح

الشغل الشاغل لرجال العلوم الآن ان يجدوا في البحار والمحيطات - بما فيها من طحالب واحياء - الغذاء الذي يسد حاجة الاعداد المتزايدة من بني الانسان ، والدواء الذي يسبغ المناعة والشفاء ضد الامراض ، والألياف الصناعية للمنسوجات .

وكانت بداية تحديد قدرة الطحالب - على انتاج البروتينات والفيتامينات في احد الطحالب الخضر الوحيد الخلية ، ويطلق عليها علميا اسم « كلوريللا » . ففي عام ١٩٤٩ قدر « جافرون » المحصول السنوي لمزرعة مائية مساحتها فدان واحد بخمسين طنا من الوزن الجاف للكلوريللا ، نصفها من البروتين ، ومن الدهون ١٠٪ ، ومن فيتامين أ ٥٠٠٠ وحدة في كل جرام ، ومثلها من فيتامين ج ، ومن حمض الفوليك ٤٨٥ وحدة في كل جرام . وهذا المحصول يزيد عدة اضعاف على اي محصول زراعي جزيل العطاء ، مما جعل من عملية استزراع الطحالب مشروعا مربحا يسترعي الانظار ، تخطط من اجله البرامج وترصد الأموال .

ولابد من الاشارة هنا الى ان بروتينات الطحالب المستغلة كغذاء للانسان تحتوي على نسب متوازنة من الاحماض الامينية الضرورية للانسان ، وهي تكاد تشبه في تكوينها تلك الموجودة في البروتين الكامل للبيض .

وبعض الطحالب منتجة للدهون ، خصوصا في الطحالب الخضراء . وفي اثناء الحرب العالمية الثانية اجريت في المانيا الغربية تجارب معملية لانتاج الدهون بواسطة الطحالب في مزارع كبيرة ، فوجد ان من بين الطحالب الكثيرة الانتاج للدهون الطحلبان كلوريله وسينودزمس وهما من الطحالب الخضراء .

شواطيء بحار الدول العربية

ومن حسن حظ معظم الدول العربية ان لها شواطيء بحرية تمتد حولها لعشرات الألوف من الكيلومترات ، فالدول العربية بشمال افريقيا تطل على البحر الابيض والاحمر والمحيط الاطلسي ، او على بحرين معا « كما في مصر » أولها حدود على بحر من جهة ومحيط من جهة أخرى « كما في المغرب » . . ومنها ما يطل على الخليج العربي ، او المحيط الهندي ، وهذا يعني اننا جميعا-نحن العرب شرقا وغربا - نطل على بحار ومحيطات ، لكننا لم نفتح عيوننا على ما فيها من ثروات ، فهذه قد تغنينا عن ملايين الاراضي الزراعية .

فالدول العربية جميعا - رغم امتدادها على شواطيء شاسعة ، ولديها امكانات مالية وبشرية ، فان استغلالها جميعا لثروات البحار يقع في ذيل القائمة بين الدول الاخرى . وكان من المفروض او المحتم ان تتنبه لذلك ، وتعطيه ما يستحقه من اهتمام ، خاصة وان لديها نقصا ملحوظا في البروتين خاصة ، واللحوم عامة . . ولابد ان يكون لها من ذلك النقص دافع قوى وملح كي تحصل من بحارها وشواطئها على هذه الثروة المتاحة ، بدلا من ان تدفع جزءا من ثرواتها لكي تستورد به ما تحتاج من ذلك المصدر الهام من مصادر الطعام .

ويؤيدنا في ذلك « جيفورد بتشوب » أستاذ الاسماك بجامعة « جون هوبكنز » بامريكا حيث يقول : « كميات البروتين الحيواني التي يمكن استغلالها من مياه البحار والمزارع السمكية من شواطئها تعادل اضعافا مضاعفة من انتاج الثروات البروتينية الناتجة من حظائر تربية الحيوانات على اختلاف انواعها . فميل مربع واحد من مزرعة سمكية قد يعطي حوالي ٩٠٠ طن من الاسماك كل عام ، في حين ان تغذية الماشية على ميل مربع من المراعي يعطي ما يتراوح بين ١٠ الى ٨٠ طنا من اللحوم . ما أعظم الفرق ؟! . لهذا كان استغلال البحار أمرا غاية في الاهمية والنفع العام . □□

حوران

استطلاع : صادق يلي

تصوير : أوسكار متري

الكلية ، أو ما يسمى الحوارنية
سير بنت الملك وعربتها لعبد [illegible]
مود الى القرن الخامس الميلادي
جه لفتاة حورانية بلباسها التقليدي
الشرقي) .

☐ الى حوران في القطر السوري الشقيق كانت رحلتنا هذه المرة ! . . شددنا اليها رحالنا لنسجل بالكلمة والصورة جانبا من تاريخها القديم الذي ما زال يعيش معها ويقرن باسمها . . وعشنا أياما بين آثارها نقف ونتأمل ، ونبحث ونقلب صفحات التاريخ . . ماذا رأينا . . ؟ وكيف كانت وقفتنا بين اطلال هذه الحضارة التي قامت في تلك البقعة من الأرض العربية ثم ذهبت ولم يعد باقياً منها الا ما نجده في بطون الكتب ، وبين ما تبقى من آثار تدل عليها هنا وهناك . . ؟

تعال معنا نصحبك الى حوران في هذه الجولة السريعة بين معالمها . . ومع صفحات الكتب التي تحدثت عنها ، فما أكثر اللحظات التي يقف فيها المرء حائرا عندما يجد نفسه يغوص في أعماق التاريخ وقد أحسسنا بهذه الحيرة ونحن نتنقل بين آثار حوران القديمة . . أي حضارة تلك التي شهدتها هذه البقعة العربية ومتى ؟ وماذا جاء بعدها من حضارات ؟ . . وعدنا الى الكتب نبحث فيها عن حوران القديمة في التاريخ .

وحوران أو اهراء روما وبلاد السمن والعسل . . بقعة من عالمنا العربي لعبت دورا مميزا في بناء صرح الحضارة الانسانية ، ساهم ابناؤها منذ آماد موغلة في التاريخ في بناء مجتمع له كيانه الحضاري والسياسي ، وتميزت البقعة بحفظها لهذا التراث الذي يعد بحق من أرقى مظاهر الانشاء المعماري البشري . فعلى سهولها وروابيها زهت حضارة هي رفد للحضارة العربية في بلاد ما بين النهرين ومصر واليمن .

لقد غاب عن كثير من المؤلفين والعلماء أهمية الدور الذي قام به العرب في نقل هذه الحضارة الى الغرب والشرق الاقصى ، فوصفوا تلك المباني الاثرية انها بقايا لأمم خلت وطواها التاريخ ، ولكن علم الآثارالحديث بدد هذه المزاعم . وأكد بالبرهان أن بناتها هم العرب ، نتيجة لتفاعل حضارتهم وتطورها وتفاعلها مع الحضارات الأجنبية .

ولكن لماذا سميت حوران بهذا الاسم . وما معنى هذه الكلمة ؟

هناك آراء متباينة حول معنى كلمة حوران فسرها البعض بأنها تعني الكهف أو بلد الكهوف ، فقد اشتهرت بالكهوف والمغاور والابنية الباطنية ، كما أن الثلج كان ما يزال يغطي أعلى قمم حوران طوال فترات غير يسيرة من كل عام . والصخور البازلتية السوداء هي السمة المميزة لمبانيها وأرضها . . من هنا سموها البلد الاسود .

أما ياقوت الحموي فيقول عنها : حوران كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى عديدة ومزارع وحراج وما زالت منازل للعرب .

يقول الدكتور نور الدين حاطوم : شملت حوران قديما منطقة واسعة من جنوب سوريا ، كانت جبل الدروز أو ما يسمى الآن بجبل العرب ثم محافظة درعا ، والجولان حتى تصل الى عجلون في الاردن ٠

الجامع العمري من أروع الآثار الاسلامية في سوريا ، بني بعد الفتح الاسلامي ومئذنته الرباعية الشكل يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر الميلادي عندما بلغ المسجد ذروة توسعه

حوران في التاريخ

حوران منطقة عاش بها الانسان العربي منذ عصور ما قبل التاريخ ، وأقام فيها حضارات عريقة اتصلت مع غيرها من الحضارات الانسانية ، بحكم موقعها الجغرافي ، ويكاد يجمع المؤرخون على أن حوران لم تعرف سكانا مستقرين الا القبائل العربية التي كان يترأسها (عوج) وكان من العموريين ، وقد أطلق عوج الذي يعد من العمالقة اسم (أدرعي) على مدينة (درعا) ، ويقال أن طول سرير ملكهم أو تابوته كان تسعة أذرع وعرضه أربعة أذرع ، ويبدو أن حوران ذاع صيتها ، وهذا ما تؤكده اللوحات التي عثر عليها في تل العمارنة بجمهورية مصر ، وهذه اللوحات هي رسائل متبادلة بين سكان منطقة حوران والفراعنة ، أبان حكم الفرعون (أمنحوتب الثالث) و (أمنحوتب الرابع) ، كما توضح أن ثمة وحدة بين القطرين قد قامت في أواخر حكم هذين الفرعونين .

ومع تعاقب الزمن بدأت مملكة العموريين تسير باتجاه خط النهاية فقويت شوكة الكنعانيين الذين أمتد نفوذهم نحو الداخل ، وما لبثوا حتى أقاموا التحصينات المنيعة والاسوار ذات الشرفات والأبراج . وفي هذه الفترة أخذ العبرانيون في الهجرة الى الجنوب الغربي من حوران ، وكان نزولهم في بادىء الأمر جماعات مرتزقة وتجاراً ، ثم ما لبثوا أن اقتبسوا لغة السكان وعاداتهم وتزاوجوا مع الكنعانيين ، وعندما شعروا بقوتهم هاجموا حوران واحتلوا كثيرا من مدنها . غير أن قيام مملكة الأراميين في دمشق وقف سدا أمام توسعهم ، فحاربهم الأراميون على يد ملكهم (بنحدد الأول) وغيره

تحفل حوران بالعديد من الآثار الرومانية والاسلامية فمن آثارها الرومانية كاتدرائية بصرى التي بنيت عام ٥١٣ م والتي تعد من أقدم الكاتدرائيات في العالم (الى اليسار) .

الشارع المستقيم الرئيسي في بصرى المبلط بالأحجار منذ أيام الحكم الروماني وعلى جانبيه تبدو أعمدة تعود الى حقب تاريخية عديدة (الى اليمين) .

هناك مشروع كبير تدرسه سوريا وهو تحويل مدينة بصرى الى متحف طبيعي وذلك بازالة الأبنية الحديثة وتوفير الخدمات السياحية .

كنيسة القديس جيورجس في ازرع وفيها تتمثل كيفية انتقال بناء الكنائس من الطراز الملكى الى الشكل المربع .

مدة قرنين من الزمان فحرر أراضي حوران منهم ولم يرفع السيف عنهم حتى قدموا ما يملكون من كنوز وذهب .

ونتيجة لأهمية موقع حوران فقد كانت محط أنظار القادة الفاتحين ، وكان أول من توجه اليها من القادة التاريخيين الذين ذاع صيتهم (الاسكندر المقدوني) الذي كان احتلال الشرق العربي حلما يراوده منذ صغره وكان كل همه اجتياح تلك المناطق التي تشكل خطرا على طموحاته في القضاء على الامبراطورية الفارسية ، وفي عام ٣٣٣ ق . م وبعد معركة ايسوس الشهيرة زحف الاسكندر على الشرق العربي واحتل سوريا واصبحت حوران قسما من امبراطورية الاسكندر ، وبعد وفاته تجزأت امبراطوريته الى أربع ولايات كبيرة بين قادته الذين خلفوه ، فكانت سوريا وحوران من نصيب (انتغونس) ، ولكن (بطليموس) ملك مصر تغلب عام ٢١٣ . ق م على انتغونس فضم فلسطين والأردن وحوران الى مقاطعته المصرية .

الانباط

وفي هذه الفترة يأتي دور الانباط الذين كانت لهم علاقة وثيقة بالحضارة اليونانية وثقافتها ، فتأثر سكان حوران بهذه الثقافة ، وانفتحت طرق حوران أمام تجارة الانباط ، وتحولت مدنها الى مراكز تجارية هامة .والمعروف أن الانباط عرب وان استعملوا الارامية في كتاباتهم ، بدليل أن أسماءهم هي أسماء عربية خالصة ، بل أنهم كانوا يشاركون العرب في عبادة الاصنام المعروفة عند عرب الحجاز ، مثل ذي السرى واللات والعزى . ومما يزيد في أهمية الحروف النبطية أن الابجدية العربية انحدرت مباشرة منها .

وكان لموقع عاصمة الانباط ـ البتراء ـ أكبر الاثر في رقي دولتهم ، فقد كانت البتراء هي طريق القوافل التي تربط بين جنوب الجزيرة وشمالها ، وقد ضمت مملكة الانباط في اوجها دمشق والاقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران والاردن .

وكان الحارث اول ملوكهم ويدعى (ملك العرب) فقد هزم مرارا جيش اليهود وحاصر « اورشليم » وكان اول من سك نقودا نبطية ، اقتبس لها النموذج المعروف عند البطالمة ، وقد فتح الانباط ابوابهم للتأثيرات اليونانية الرومانية ، فدخلت مملكة الانباط ضمن المحور العام للحضارة الهلنستية ، فكانت بصرى هي الحضارة الثانية بعد البتراء وانتقلت اليها الحضارة الهلنستية عن طريق الانباط .

وكان للرومان دور مميز في حوران فقد انشأوا سلسلة من المراكز والطرق على طول حدود الصحراء لحماية الاماكن المتحضرة ، ويبدأ هذا الطريق من دمشق ويمر بحوران الى مؤاب ، وقد رصفه (تراجان) واستخدم كطريق عسكرية لفرق الجيش وكانت اولى مشاريع الرومان في حوران تعبيد الطرق ، وهي لا تزال صالحة الى يومنا هذا للمرور في بعض اقسامها وكذلك معظم الجسور التي تمر عليها هذه الطرق ، كما اقيمت على جوانبها حواجز من احجار ضخمة ومحطات للمراقبين والحراس ومرابط للخيول ومستودعات للمؤونة والعلف ، وقد بوشر بشق هذه الطرق عام ١٠٦م وانتهت عام ١١٧م زمن الامبراطور (هدويان) ، وهي تشكل جزءا من شبكة الطريق الروماني الدولي الذي يبدأ من دلتا النيل الى سيناء ، ثم يتفرع الى اراضي البخور في جنوب الجزيرة العربية .

امبراطور روماني من اصل عربي

لم يكن الحكم الروماني للولايات الخاضعة له شديد الوطأة على سكان هذه الولايات ، فلم يحاولوا ان يذيبوا قومية تلك الولايات في القومية

الرومانية ، فأبقوا لكل ولاية طابعها القومي ، واقتصروا فقط على نشر اللغة اللاتينية في ربوع

ولاياتهم ، ولكنهم مع ذلك ابقوا لسكان كل ولاية لغتها الخاصة ، كما منح الامبراطور (كراكلا) حق الرعوية الرومانية لجميع سكان

الولايات فاصبح من حق اي فرد في اية ولاية تسلم اعظم وظيفة في الدولة اذا كان اهلا لذلك ، وبذلك تمكنت سلالة سورية من

الوصول الى عرش الامبراطورية الرومانية ، وكانت هذه الاسرة هي اسرة الامبراطور (سفيروس) التي يرجع اصلها الى مدينة

حمص ، كما تمكن شاب من حوران ولد في شهبا او بصرى ان يجلس على عرش روما وهو (فيليب) العربي عام ٢٤٤م الذي اغدق على

بصرى النعم ومحها امتيازات كثيرة مما زاد في ثروتها العمرانية والاقتصادية حتى وصلت بصرى الى درجة عالية اصبحت معها من امهات

المدن ، وكان من نصيب هذا الامبراطور العربي الاصل ان يرأس عام ٢٤٨م احتفالات ذكرى مرور الف سنة على تأسيس روما .

ينتسب معظم سكان حوران اليوم الى الغساسنة وهم يفخرون بهذا النسب ، فقد نزحت هذه القبيلة العربية الجنوبية الى حوران بعد تصدع قديم في سد مأرب ، وقد سموا بآل غسان لنزولهم على نبع ماء اسمه غسان ، كما سموا بآل جفنة او اولاد جفنة .

تنصر الغساسنة خلال القرن الرابع الميلادي ، ويقال ان عدد ملوكهم بلغ احد عشر او اثنين وثلاثين ملكا ، وتهتم التواريخ البيزنطية بصورة خاصة بعلاقتهم مع القسطنطينية ولا يعرف من تاريخ ملوكهم سوى الملوك الخمسة الاخيرين الذي جاء حكمهم في القرن السادس الميلادي واشهرهم الحارث بن جبلة حوالي ٥٢٩ ـ ٥٦٩ الذي عينه جستنيان سيدا على كل القبائل العربية في سوريا ومنحه لقب رئيس قبيلة وبطريق ، وقد ترجم العرب هذه الالقاب بمعنى (ملك) ، وفي زمن الحارث وصلت مملكة الغساسنة ذروة اتساعها فشملت حوران وجبل حوران ، واصبحت بصرى التي بنيت كاتدرائيتها عام ٥١٢م العاصمة الدينية في المنطقة ، واشتهرت كمركز تجاري مرموق .

وكان جبلة بن الايهم آخر ملوك الغساسنة وقد اعتنق الاسلام ، ويروى انه اثناء حجة الأول حدث ان وطيء بدوي من فزارة على ازاره فلطمه جبلة ، فشكاه البدوي الى الخليفة عمر بن الخطاب ، فحكم عمر على الامير بالقود ـ اي المعاملة بالمثل ـ او يرضى الرجل ، فما كان من جبلة الا ان يهرب سرا الى بيزنطة .

حوران في الجاهلية والاسلام

ولعبت حوران دورا اقتصاديا ، فهي سوق كبيرة كانت ترتادها القوافل العربية من كل حدب من الجزيرة العربية ، بعد الانتهاء من اسواق الحجاز ، وكان اشهر هذه الاسواق سوق دير ايوب ، وهي قرية بحوران من نواحي دمشق ، وتعرف اليوم باسم الشيخ سعد ، ويظهر انه كان لها في القديم شأن كبيرة ، يقارب مالبصرى . وكانت سوق دير ايوب اول اسواق الشام قياما ، وكان العرب وقريش خاصة اذا انتهوا من اسواقهم المعروفة ـ وهي سوق عكاظ ومجنة وذو المجاز ـ تهيئوا للسفر الى الشام ، وبدأوا بسوق دير ايوب ، ومتى انتهت اقاموا سوق بصرى ، فقد كانت بصرى عاصمة حوران ومن اكبر مدن الشام ، حتى ان اسمها يتردد في كثير من اشعار العرب لما لاهل الشام من علاقة متواصلة مع سكان الحجاز .

▲ جامع مبرك الناقة ويقال ان الجامع بنى في المكان الذى بركت فيه الناقة التى حملت أول نسخة من القرآن الى سوري (الى أعلى) .

منصة التمثيل وساحة العازفين في مدرج بصرى يجمع بين مميزات المسارح اليونانية والرومانية ، والانحناء البادى على جدار جناحي المسرح وانحرافه يساعد المتفرج الجالس في آخر صفوف المدرجات على متابعة ما يجرى فوق منصة التمثيل (الى اليسار) . ◄

أعمال الترميم والتنقيب عن الآثار تجرى على قدم وساق في مدينة بصرى ، ان مديرية الآثار السورية ترمى الى تحويل مدينة بصرى الى متحف تاريخي طبيعي (على الصفحة المقابلة)

الراهب بحيرا والرسول

وتذكر كتب السيرة ان الرسول ﷺ سافر الى بصرى مرتين مرة وهو صبي مع عمه ابي طالب ومرة وهو ابن خمس وعشرين سنة في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وتذكر الرواية ان احد الرهبان واسمه بحيرا كان في دير ، فدعا الراهب ابا طالب ومجموعة من التجار لوليمة ، فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ، فلما نظر بحيرا ولم يجد بغيته سأل هل تخلف احد عن الطعام ؟ فقالوا : يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد ينبغي ان يأتيك الا غلام هو احدث القوم سنا . فقال : فليحضر هذا الغلام ، فلما جاء محمد ﷺ جعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، ثم كشف بحيرا عن ظهر رسول الله فرأى خاتم النبوة فقبل موضع الخاتم ، فقالت قريش : ان لمحد عند هذا الراهب لقدرا ، ثم قال بحيرا لابي طالب ارجع بابن اخيك هذا الى بلاده ، واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا . فان لابن اخيك هذا شأنا عظيما . ولما بلغ الرسول الخامسة والعشرين من عمره قدم بصرى للمرة الاخيرة بتجارة لخديجة بنت خويلد .

ولما كانت خلافة ابي بكر لم يغفل المسلمون شأن بصرى ، فكانت اول من فتحت صلحا بعد حصار قليل عام ١٣ هجرية ، على ان يؤدوا عن كل رجل دينارا او جريب جنطة ثم فتح المسلمون حوران جميعها في نفس العام .

موقعة اليرموك

وعلى ارض حوران عقد لواء النصر للعرب المسلمين في قتالهم للبيزنطيين ، فان خالد بن الوليد بعد تلقيه الاوامر من الخليفة ابي بكر

السوق الأرضية في بصرى يمتد مسافة مائة وستة أمتار ، وهو من مكتشفات ادارة الآثار السورية ويرجح بأنه كان يستخدم لتخزين البضائع السريعة التلف .

الصديق قد سار من العراق لمساعدة جيوش العرب في الشام ، فوصل الى بصرى وكان ابو عبيدة بن الجراح قد انفذ شرحبيل اليها ، فلم يقو على هزيمة الروم ، وبوصول خالد بن الوليد الى بصرى سقطت بيده احدى عواصم الغساسنة دون كبير عناء ، فتابع سيره لفتح دمشق بينما كان هرقل يعد الجيوش للموقعة الحاسمة مع العرب فاعطى قيادة جيشه لاخيه تيودور ، فكان يوم الواقوصة ، وهي قرية على ضفة نهر اليرموك . وقد احسنت القيادة العربية تخيرها لهذا الموقع ، ولم تجد جهود الجنود البيزنطية اي نفع امام هجوم القوات الاسلامية المندفعة بالايمان . فكان النصر حليف المسلمين .

ومما يجدر ذكره ان الخط الفاصل اليوم بين العدو الاسرائيلي وسوريا هو وادي نهر اليرموك ، حيث يقف الجيش العربي السوري متأهبا لخوض المعركة المرتقبة واسترجاع الارض المغتصبة ودحر العدو الغاصب .

وكانت الجابية وهي احدى قرى حوران مقرا للقيادة العربية في عهد الخلفاء الراشدين ، واحتفظت بأهميتها العسكرية حتى عهد الامويين ، وقد خرج عمر بن الخطاب الى الجابية فوطد الامن في الاراضي المفتوحة ، ومن الجابية وجه عمر من يفتح بيت المقدس وفي

الجابية ايضا عقدت مبايعة مروان بن الحكم ، واستعاد الفرع المرواني السلطة لبني امية . اما في ايام الدولة العباسية فقد بقيت حوران ممرا لقوافل الحجاج والتجارة ، وقدر لحوران ان تظهر ثانية زمن صلاح الدين الايوبي الذي حول بصرى الى قاعدة عسكرية ، وانطلق منها الى نصر حطين عام ١١٨٦م الذي اعاد القدس الى الحظيرة العربية من جديد .

أدباء ومفكرون

وقد عرفت حوران الكثير من مشاهير المفكرين والأدباء الذين اثروا تراثنا العربي التليد بانتاجهم المبدع ، فكان منهم الادباء والفقهاء والمحدثون ، الذين كان لهم اليد الطولى في مجالات شتى من المعرفة يذكر لنا التاريخ اسم فيلسوف ابيقوري وشاعر اسمه (فيلوديمس) ولد في اوائل القرن الأول قبل الميلاد في قرية جدرة ، وكذلك شاعرا اخر اسمه (ميليغر) ، اما في العصر الروماني فقد ظهر (بورفيزيوس) وهو احد الذين تناولوا دراسة الافلاطونية الحديثة . ولقد تردد اسم حوران ومدنها في قصائد كثيرة لشعراء في الجاهلية والاسلام ، منهم امريء القيس وابو ذويب والنابغة الذبياني وحسان بن ثابت وغيرهم .

يحدثنا الشيخ بركات عبد المحسن الضماد مفتي محافظة حوران الذي يعد مرجعا علميا كبيرا لتاريخ حوران ورجالها قائلا :

المعروف أن أبا تمام الطائي الذي ولد في قرية جاسم احدى قرى حوران قد نشأ كما ينشأ ابناء الفقراء من أهل عصره ، فتعلم في كتاب القرية القراءة والكتابة وحفظ القرآن في قريته جاسم ، وقد ذكر ابن خلكان أن أباه كان يعمل عطارا في دمشق ، وقد أودع أبنه ـ أبا تمام ـ ليعمل عند حائك ، ثم رحل الى مصر ، فتعلم في جامع الفسطاس ، ولما كبر استقر به المقام في العراق ليغدو شاعر الخليفة المعتصم ، وقد خلدت وزارة السياحة السورية أبا تمام فأقامت له تمثالا كبيرا وضعته في أهم ميدان في قرية جاسم .

ومن الفقهاء الذين برزوا في حوران الامام محي الدين النووي الذي ولد عام ٦٣١ هجرية في قرية نوى الى الشمال الغربي من درعا ، وتعلم في دمشق ، ومات في قرية نوى سنة ٦٧٦ هجرية ، وله عدة تصانيف ومؤلفات أهمها : تهذيب الأسماء واللغات ، ومنهاج الطالبين ويقع في ثلاث مجلدات ، وشرح صحيح مسلم والاربعين النووية ثم رياض الصالحين .

ومن الفقهاء الكبار أيضا ابن قيم الجوزية . وهو من العلماء الحفاظ ، وهو استاذ ابن كثير واسمه محمد بن ابي بكر ، توفي عام ٧٥١ هجرية ، كذلك ابن كثير صاحب التفسير المعروف ، ويرجح أنه من مدينة بصرى ويسميه البعض ابن كثير البصري . ومن الفقهاء أيضا محمد بن عبد القادر الصيداوي من قرية صيدا قرب درعا ، وكذلك الشيخ اسحق بن ابراهيم الادرعي المتوفي في عام ٣٤٤ وهو محدث ثقة حدث عن كثيرين ، منهم أبو عبد الرحمن النسائي وأبو زرعة وابن عيينة وخلق كثير من الحفاظ والمحدثين الكبار مثل عبد الوهاب بن عبد الله بن أيوب الأذرعي . وقد روي عن البجلي وابن أركين والدارقطني ، كما روي عنه أبو علي الأهوازي وابن السمسار ، ومعروف بأنه ثقة توفي عام ٤٢٥ هجرية ، وصنف كتبا كثيرة ، وآخر هؤلاء العلماء الفقهاء محمد بن عثمان بن خراش ابو بكر الاذرعي ، وقد حدث عن ابن العسقلاني وابن الطبري والقراطيسي والعباس الجرجاني ، كما روى عنه أبو يعقوب الأذرعي وأبو الحسن الرازي .

هذه هي حوران بماضيها التليد وأوابدها التي انتشرت على جنباتها من مدن كبرى وقلاع وحصون كانت السمة البرزة التي تألقت في هذه المنطقة من وطننا العربي ، كانت الدرع الذي يرد عن حياض الوطن هجمات الاعداء ويساهم في بناء حضارة الانسان . □□

فتاة من حوران بملابسها التقليدية الحورانية بين آثار مدرج بصرى (الى اليسار) .

الدبكة رقصة مشهورة في هذه المنطقة تؤدى على نغمات المزمار البلدى ويشترك فيها الرجال والنساء ، انها علامة بارزة في الأفراح والأعياد (الى أسفل) .

فرقة الطلائع في محافظة درعا يقدمون عرضا لرقصة مشهورة بمصاحبة الدفوف والضرب على الأكف .

وجه في المرآة

بقلم : أبو المعاطي ابو النجا

هو لا يعرف الحياد ، فهو إما معك أو ضدك .

لا تستهويه لعبة البحث عن الحقيقة المجردة أو المعقدة ، فحقائق الأشياء أو الأعمال أو الناس تتمثل دائما في نتائجها ، فيما تعنيه له ، في موقفه منها أو موقعها منه .

وهو لا يعترف بالهدوء أو الأناة فهو إما هادر بالفرح أو الغضب ، والدنيا من حوله لا شيء فيها يدعو الى التأمل أو الرضى أو البسمة السعيدة أو المريرة .

فناسها وحيوانها وطيورها وأشياؤها صيد يمكن اقتناصه ، بصرخات الترويع أو طلقات الرصاص ، أو ببعض الطعم في الشباك ، والمخلوقات التي يحتاج صيدها الى الصبر والهدوء والكلمات الرقيقة لا تثير فيه شهوة الصيد .

نهاره نشاط متصل ، وساعات نومه القليلة تعجز عن أن تسرق له لحظات من الدعة ، فأحلامه كوابيس من المغامرة أو الفزع أو محاولة اقتناص المستحيل أو الموت في سبيله .

ما أصعب موقفك إذا كان ضدك ، فهو لا يرضى بمجرد هزيمتك أو انسحابك ، ولكن رحمة الله قد تهبط فجأة حين ينساك ـ فهو أيضا عظيم النسيان لأن معركة أخرى في حجم طاقته قد بدأت هناك ، وأنت بلا مقاومة أصبحت جزءا من العالم الساكن الذي لا يروق له .

وما أصعب موقفك أكثر إذا كان معك ، وكثيرا ما لا تعرف لماذا هو معك ؟ طبعا هو يعرف ، ولهذا سوف يقبل عليك كالعاصفة من كل الجهات ، يحاصرك بالاعجاب والمودة والخدمات التي لا تطلبها وربما لا تحتاجها . وهو لا يحتاج الى المناسبات ليقدم لك عرابين حبه ، فالحب الحقيقي كما يتحدث عنه هو الذي لا ينتظر مناسبة للتعبير عن نفسه ، ولا يحتاج الى الأسباب لتبرير وجوده ، فهو سر من أسرار الوجود يقف خارج سلسلة الاسباب والمسببات .

ومهما يكن ذكاؤك وتجربتك وأنظمة دفاعك ، وقدرتك على الصمود فغالبا ما تنهار حصونك أمام هذا الفيضان الجارف من العواطف ، وقد تعيد حساباتك وفكرتك عن الناس أو عنه . وقد يصل بك الامر الى حد الشعور بالذنب حيال حذرك السابق منه ، ولكنك في أكثر الأحوال سوف تبقى مستسلما متفرجا مستمتعا بهزيمتك وربما متفرجا ، غير قادر أو غير راغب في التفكير في حجم الأنانية التي ينطوي عليها موقفك ، غير قادر أو غير راغب في ادراك أنك تصبح دون أن تلاحظ جزءا من نسيج عالمه الذي يلتف حولك بأذرع قوية الاغراء والصلابة تسعى الى

ابتلاعك ، ثم يجيء يوم لا يطول انتظاره ، فتقول أو تفعل ما لا ينسجم مع هذا العالم الذي أصبح يحيط بك ، أو تعترض في موضوعية شديدة على شيء يقوله أو يفعله ذلك الذي يقف وراء هذا العالم معتقدا أنك تمارس جزءا طبيعيا من حريتك . . . انذاك تمطر السماء دما وصواعق على نحو مفاجىء لراحتك التي آثرتها منذ البداية ، آنذاك تصبح العاق الخائن الناكر للجميل ، الناكث للصداقة ، وعبثا تحاول أن تفهم أو تناقش أو ترد ، عبثا تحاول أن تتفاوض حول حدود آمنة لما هو أنت ولما هو هو ، عبثا تحاول أن تدافع عن حريتك أو حتى حريته ، عن معنى الصداقة التي كانت أو تكون .

ان طوفان الحب يصبح فجأة طوفان كراهية وحقد ، يصبح نارا تحرقك ولا تحرقه لانه هو في هذه اللحظات يكون قطعة من النار .

وقد تكون من النوع الذي لا يحترق بسهولة ، أو يجنونا بالرغبة في أن تفهم فيمتد صبرك ، وتنتظر حتى يهدأ البركان ، وتحاول أن تسمع وتفهم وآنذاك قد تكتشف من خلال ما يقوله أو ما لا يقوله ، أن هذا الصديق القوي الواثق القادر المانح بلا حدود للحب وللكراهية مجرد انسان يقتله الخوف ، وتنهشه الشكوك والأوهام ، أو لعل الخوف قتله منذ سنين بعيدة ، وأنه منذ تلك السنين يقاتل بحثا عن لحظة طمأنينة حقيقية لا يجدها ، ولعله ان يجدها دائما ، ولكنه في خوفه كان يسحقها تحت أقدامه ، أو أقدام مخاوفه وشكوكه وأوهامه ، ولعله التقى في سعيه المحموم بعشرات الخائفين من أمثاله فكانت شكوكه تجد دائما طعامها المفضل ، فعاشت ونمت وترعرعت وتأكد له أنه لا مفر أمامه من أن يكون مفترسا أو فريسة . . وحين فقد ثقته بالناس راح يمنحها للأشياء ، فالأشياء وحدها هي التي يمكن امتلاكها ، واستعمالها على الوجه الذي نحب ، الأشياء لا تعترض ، ولا تقول لا ، ولا تخون ، وقد تغنيه عن الناس الذين يختلفون ويخونون ويعترضون ، ولكن هذه الأشياء في تكاثرها تبقى عاجزة عن منح الطمأنينة والحب ، بل قد تكون بهذه المثابة مصدرا جديدا للقلق والشك والمخاوف ،والأشياء لا توجد في الفراغ فهي مع الناس ومنهم وبهم ، وهكذا يبدأ يتعامل مع الناس كما يتعامل مع الأشياء ، يحاول امتلاكهم وشراءهم بالحب أو سحقهم بالكراهية .

وفي كل مرة يخسر الناس ولا يكسب الطمأنينة ، فالطمأنينة شعور بشري لا يمنحه الا مخلوق بشري حر ومطمئن عبر فعل بشري حر ومسئول .

ولم يتح له أبدا أن يعرف الحب القادر على منح الطمأنينة ، مع أنه لا حديث له الا عن الحب ، ونصف ترسانته من أسلحة الحب ، فالحب لا يوجد الا مع الحرية وهو أسير شكوكه وأوهامه ، والحرية لا تمتلك سوى نفسها ولا تقدم لأحد سوى ما يقدر على فعله أو قوله أو الشعور به في لحظة حرية مسئولة .

سوف تتعب إلى حد اليأس وأنت تحاول أن تنقذ نفسك أو صديقك من عالم شكوكه ومخاوفه ، ليجد في نفسه شجاعة مواجهة الحرية ، وانتظار عطاياها التي لا تشتري ولا تغتصب ، ولا تقبل الاغراء أو التهديد .

فاذا شعرت بالعجز عن نزع سلاح صديقك فلماذا لا تحاول أن تبدأ بنزع سلاح مخاوفك ، جزء من مخاوفك ؟

فلعلنا جميعا نحمل في وجوهنا بعض ملامح هذا الوجه الذي رأيناه في المرآة . . نعم . . . فنحن نحمل من هذه الملامح ، بقدر ما نرغب في امتلاك الأشياء ونرغب عن الاكتفاء باستخدامها .

بقدر ما نجد من صدورنا من الضيق من اولئك الذين يختلفون معنا في تقدير الأمور أو في زاوية الرؤية .

بقدر ما نخاف من مواجهة الحرية بمعناها العميق الشامل باعتبارها حقا للآخرين ولنا بنفس المدى والمقدار . □□

تصحيحات لغوية

بقلم : محمد خليفة التونسي

□ نفرد هذه الصفحة لمحاورة أديب في بعض تعقيباته اللغوية الخاصة بمقالة عنوانها « كيف نخرج من المأزق الثقافي » في العدد ٣٠٣ (فبراير ١٩٨٤) .

١ - استبدل كذا بكذا

عرض كاتب المقالة لما جرى من اصلاح لغوي في لغات بعض الأقطار الشرقية (اليابان ، والصين ، وكورية) كي يتمكن أهل كل قطر فيها من العلوم الحديثة ، وهي دائما متجددة ، وسبيل ذلك ترجمتها الى لغتهم الوطنية ، وتدريسها لهم بها في معاهدهم ، بدلا من تدريسها بلغة أجنبية حديثة ، ولا يتأتى ذلك الا بكتابتها بحروف لغتهم - بعد اختزال هذه الحروف - بدلا من كتابتها بحروف أجنبية .

وقد ضرب الكاتب أمثلة لذلك ، منها ما جرى في الصين التي أشار الكاتب الى أن حروف لغتها تبلغ عشرات الألوف ، أو هي ٤٤٤٤٤ (خمس أربعات) ، ثم قال : « عمل الزعيم ماونسي على تخفيض حروفها التي رفض استبدال الحروف اللاتينية بها » .

وعقب القارىء الأديب على الجملة الأخيرة « التي رفض استبدال الحروف اللاتينية بها » فحكم بأنها خطأ ، وأن صوابها « التي رفض استبدالها بالحروف اللاتينية » .

وهذه التخطئة خطأ ، لأن الاستعمال الأفصح للفعل « استبدل » ومصدره « استبدال » هو أن تدخل الباء على المتروك من البدلين ، وبهذا جاء القرآن الكريم ، إذ يقول على لسان نبي في محاورة قومه « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » فينكر عليهم رغبتهم في

ترك ماهو خير أو أفضل ، وميلهم الى الذي هو أدنى منه .

اذن فعبارة المقالة صحيحة ، بل هي أفصح العبارتين ، لأن الزعيم الصيني تمسك بحروف لغته الصينية واختزلها لتسهل الكتابة والقراءة بها ، ورفض تركها والأخذ بالحروف اللاتينية .

ولزيادة الايضاح نقول ان « استبدل » يستعمل مثل « اشترى » فاذا قلت « اشتريت الكتاب بدينار » ، فمعنى الجملة أنني أخذت الكتاب وتركت الدينار واذا قلت « رفضت شراء الكتاب بدينار » فمعنى الجملة أنني تمسكت بالدينار ورفضت تركه ،وهذه الجملة تماثل جملة المقالة « رفض استبدال الحروف اللاتينية بها » .

ولا ننسى هنا أن نشير الى أن العبارة التصحيحية في تعقيب الكاتب - صحيحة أيضا ، لكن لا في ذاتها ، بل لأن سياق الكلام كله يدل على أن الزعيم الصيني تمسك بحروف لغته الصينية ورفض الأخذ بالحروف اللاتينية .

وعبارة التعقيب - مع صحتها - أقل فصاحة من عبارة المقالة ، لأن عبارة المقالة واضحة بذاتها لبيان المقصود ، وليست تحتاج الى توضيح من سياق الكلام .

٢ - التوسع مع المجاز

وجاء في المقالة أن الصين بفضل اصلاح لغتها حققت من التنمية مالم تحققه الهند التي اعتمدت في تحصيل العلم الحديث على اللغة الانجليزية مع أنها سبقت في نهضتها الصين بل اليابان ، فاستطاعت الصين حل كثير من مشكلاتها ودخلت عصر الفضاء « لأن نسيج خيوطها الرئيسية للتنمية هو اللغة القومية » .

وعقب القارىء الأديب فحكم على العبارة الأخيرة بأنها خطأ ، وأن الصواب « لأن خيوط نسيج التنمية الرئيسية هي اللغة القومية » .

ونحن نرى أن عبارة المقالة لو كانت حقيقية لكان الفرق واضحا بينها وبين عبارة القارىء الأديب ، ولكن العبارتين مجازيتان ، ثم ان كلمة الرئيسية في العبارة الأولى تتعين صفة للخيوط ، ولكنها في العبارة المقترحة تصلح أن تكون صفة « للخيوط » أو « للتنمية » و « كلمة » نسيج الخيوط « تدل على « الوحدة الكلية » أو على « التركيبية » ولا تدل على ذلك كلمة « خيوط النسيج » .

٣ - فَعْلَنَ وفَعْلَل

وكان كاتب المقالة قد جرى على الطريقة العربية في الاشتقاق من الكلمات الأعجمية فاشتق الفعل « يَبْنَنَ » من « اليابان » « وصَيْنَنَ » من « الصين » والمصدر « كَوْرَنَة » من « كورية » ، وأشرنا نحن في هامش الصفحة التي وردت فيها هذه الكلمات الى أن هذه طريقة في الاشتقاق تقبلها لغتنا السمحة كما أشرنا الى أن الفعل هنا على وزن « فعلن » .

وعقب القارىء فقال : ان الوزن « فَعْلَنَ » خطأ ، وأن الصواب « فَعْلَل ».ومعروف أن علماء الصرف عندنا اعتبروا أصول الكلمات في لغتنا ثلاثة حروف لأنهم وجدوا أن جذور أكثر كلماتها ثلاثية ، فوضعوا لها الميزان « ف . ع . ل » ليقابل أصولها الثلاثة ، ويسمون الحرف الأول فاء الكلمة ، والثاني عين الكلمة ،

والثالث لام الكلمة ، فاذا كانت الزيادة من أصل وضع الكلمة - أو هكذا تبدو لنا - على أربعة أحرف أو خمسة زدنا لاما في الميزان فتقول في « دَحْرَجَ » وزنها « فَعْلَلَ » وهكذا الخماسي « سفرجل » بزيادة لامين ، وكذلك اذا كانت الزيادة ناشئة من تكرار لام الكلمة ، مثل « جَلْبَبَ » وزنها « فَعْلَل » .

واذا كانت الزيادة حرفا أو أكثر على الأصل الثلاثي قابلنا الأصول فيها بالأصول « ف . ع . ل » وقابلنا الزيادة بلفظها ، فتقول « نَكْتُبُ بوزن » نَفْعُل و « سَنْبَل » بوزن « فَنْعَلَ » و « بَرْهَن » و « سَلْطَن » بوزن « فَعْلَنَ » بحسب موقع زيادة النون في البدء أو الوسط أو النهاية ، وبحسب حركات الكلمة الموزونة (والغالب أن تكون الزيادة حرفا أو أكثر من الحروف العشرة التي يجمعها قولنا « سألتمونيها » أو « أمان وتسهيل » كما قال العلماء ، وقد تكون الزيادة من غيرها وان لم يذكر العلماء ذلك).

والاشتقاق قد يكون من الجذر الثلاثي وقد يكون من المشتق على حاله ، فاذا قلنا « سلَّط القوم فلانا عليهم » كان المعنى أنهم جعلوا له عليهم سُلْطة ، واذا أردنا أن نبين أنهم عينوه عليهم « سُلْطَاناً » قلنا « سَلْطَنَ القوم عليهم فلانا » اشتقاقا من « سُلْطَان » كما اشتق الفعل بَرْهَنَ « من برهان » لامن الجذر « بره » واشتق « عَرْبَنَ » من عرَبون ، وقد يزيد العرب النون لأسباب أخرى مثل « حَلْقَنَ التمر » وأمثلة أخرى ستأتي .

ونحن اليوم أميل الى التوسع في هذه الاستعمالات ، فنحن نقول مثلا : « عِلْمَانيٌّ » و « حَقَّانيٌّ » كما قيل قديما « رُوحَانيّ » و « ربَّانيّ » و « رَقَبَانِيّ » (غليظ الرقبة) وشَعْرَانيّ (غزير الشعر) ولِحْيَانيّ (غزير اللحية) ومثل ذلك عشرات في لغتنا .

ومن زيادة النون في لغتنا - وقد يستغرب - ما ورد في وصف المرأة بأنها « سُمْعُنَة » و « نُظْرُنَة » أي حسنة السمع والنظر أو هي تكثر ذلك ، وقد عَلَّلَ أحد أئمة اللغة - واخاله « الأصمعي » - تسمية الخيل خيلا بخيلائها ، لأنها تمشي « العِرَضْنَة » أي بالعرض .

وزيادة النون في الكلمات الثلاث أظهر ما تظهر في كلمة « الكورنة » التي وردت في المقالة ، اشتقاقا من كلمة « كورية » ، والكَوْرَنة مصدر على وزن « فَعْلَنَة » والماضي « كَوْرَنَ » مثل بَرْهَنَ وحَلْقَنَ وسَلْطَنَ ، ولكن الاشتباه قد يرد في الكلمتين « يَبْنَنَ » و « صَيْنَنَ » اشتقاقا من « اليابان » و « الصين » ، فاذا اعتبرنا الأصول على الطريقة العربية « ي ب ن » و « ص ي ن » قلنا « يبَّن » و « صيَّن » أي جعله « يابانيا » و « صينيا » كما نقول « مصَّر » و « عرَّب » أي جعله مصريا أو عربيا ، ولكننا نزيد النون لبيان جعل الشيء يابانيا وصينيا ، كما زدناها « في كورن » لأننا - جريا على الطريقة العربية - اعتبرنا الأصل الثلاثي من كورية هو « ك و ر » ونزيد النون للتفرقة بينها وبين « كوَّر » بمعنى جعل الشيء كرة ، كما اذا قلنا « الخباز يُكَوِّر العجين » .

والعرب لم يزيدواحرفا في كلمات لغتهم كما زادوا النون واستعملوها آواخر للدلالة على معان مختلفة ، ولم يزيدوها كما زادوها بعد آخر الكلمات ، للسبب نفسه .

وشكرا للقارىء الأديب على شدة تتبعه لما قرأ ، وبحثه عن الصواب فيما ظنه خطأ ، وهكذا ينبغي أن تكون القراءة فهي حسن تتبع واحاطة وبحث ونقد . □□

ـ تمتد مجمل ذكريات الشخوص التجريدية عند الفنان الى المرأة الشرقية الكاسية في العشرينيات وحيث يحيل ملاءتها السوداء الى ظل أخضر والى حركية . . نغمية تكشف عن توتراتها .

صلاح طاهر

صورة الفنان في شبابه الدائم

بقلم : أحمد غانم

ـ المشهد الطبيعي الذي تشربت به روح الفنان في الأربعينيات ينبض في تجريداته التمثيلية في الثمانينيات

- يبرز هنا الأثر النحتي والتكتيلي في أعمال الفنان جريدية ، وتلمس هنا درسا ن أعمال محمود مختار (نهضة مصر ...) ، هذه الكتلة المتماسكة التي تقوم كياناتها على ... وبساطة الخطوط الخارجية المكونة لها ، كما نلمس فيها أيضا ... ملامح المستقبلية وولعها بالحركة ، وبمساحات ومواد العصر المختلفة .

ان القضية التي نطرحها هي قضية التواصل بين الأجيال .. والتيارات .. بحيث نستطيع رؤية امكانات التناغم وفعاليات البناء في مساحة بانورامية رحبة لاتميع التفاصيل ولاتهمل مساهمة بناءة ... وحينئذ يمكننا أن نرى الى جانب الأبيض والأسود ، الأحمر والأصفر والأزرق أيضا بتنويعاتها المختلفة .. كما نرى الحاضر والماضي والمستقبل في متوالية الزمن والتواصل .

لاشك أن تجربة الفنان صلاح طاهر بتغايرها وانشطارها الى نصفين وعبر اكثر من نصف قرن من العطاء .. تستطيع أن تشكل (حلقة وصل) متينة البنيان بين فن الرعيل الأول (جيل الرواد في العشرينيات) وبين فن الجيل الحالي .

وطبيعة الحياة التصويرية التي خاضها هذا الفنان الكبير تثير الانتباه ، حيث يبدو أن نصفها يختلف اختلافا جذريا عن نصفها الآخر .. فكأننا أمام جبل شاهق له قمتان .. وكل قمة تشمخ في اتجاه .. وكأنما صلاح طاهر ضد صلاح طاهر .. انها حالة تضاد مثالية في الأسلوب وفي الرؤية الفنية وفي الافكار ! .

منذ التحاقه عام ١٩٢٩ بمدرسة الفنون الجميلة العليا ـ وهو ابن الثمانية عشر ربيعا ـ وحتى أواسط الخمسينيات ـ وقد قارب الخمسين من عمره ظل وفيا للتقاليد الفنية التي درسها . ولقد تمكنت منه الأكاديمية تمكنا يبدو ألا فكاك منه ، كما أن براعاته الحرفية المتزايدة في تصوير المنظر الطبيعي والوجوه وغيرها وفق المنظور المرآوي[1] صارت مضرب الأمثال ومحط الاعجاب .. ولقد خالطت أكاديميته ريشة تأثيرية شيقة في ايقاعاتها اللونية .. وترك فيه الرائدان يوسف كامل وأحمد صبري اللذان درسا له بصمات عميقة الأثر في وجدانه وفنه ويديه .

○ ○ ○ بين الوعي والتمرد ○

أحس صلاح طاهر في الخمسينيات أن يده وريشته المدربة الواثقة والمكتنزة بالخبرات الاكاديمية قد صارت نقيضة لوعيه بمكتسبات عصره . فريشته قابعة أسيرة في رحاب الماضي ، وهؤلاء المعلمون ـ التالدون بتعاليمهم الشائقة ـ هم الذين باتوا يحيون ويحتلون يديه وأصابع ريشته ! . وأحس بأنه لايعيش حياته كما أنه لايمثل عصره .. وتساءل ما الذي سيبقى مني ؟! أمصور مناظر طبيعية خلابة ؟! وهل تراني سأتفوق في هذا على تصاوير رمبراندت أو كلودمونيه الخ الخ ؟! ...

لم يكن أحد من عشاق فن صلاح طاهر الاكاديمي ـ أو حتى من الشباب المتمردين المتقدين ـ بقادر على التصور بأن هذا الشيخ قادر ببراعة على أن يتخلص من جلده ، وعلى أن يبدأ مخاضا وولادة فنية جديدة . فبعد عودته من زيارة طويلة الى الولايات المتحدة الامريكية اطلع فيها على صيحات العصر الجديد ورؤاه

[1] ـ التصوير المرآوي « يصلح مصطلحا جامعا للتصاوير التي تحاكي الرؤية التمثيلية للاشياء والكائنات سواء اكانت فنونا ومذاهب كلاسيكية مثالية ، أو اكاديمية : طبيعية او واقعية .. الخ .. والفضل فيه يعود الى د . زكي نجيب محمود في كتابه « في فلسفة النقد » ص٧٩ ..

الفنية التي تجذرت بعد الحرب العالمية الثانية فاجأ الوسط الفني والثقافي في القاهرة بمعرضه التجريدي الاول ، ولعل عبارة الاستاذ محمود عباس العقاد الشهيرة خير تلخيص لما أحدثته هذه المفاجأة من هزة عميقة : «صرح من صروح الفن في مصر قد تهدم » !

ولاشك بأن الثقافة العريضة التي اكتسبها الفنان هي التي شكلت له التحدي الأكبر ، والذي تكون داخله يستصرخه التغيير . لقد تكونت بذور تمرده الفكري داخله منذ زمن بعيد في غيبة عن يديه وعن عيون المعجبين بفنه الاول . ولم تكن زيارته للقارة الجديدة سوى المثير الذي استنطق ـ بعد التثبت الطويل ـ رؤاه الجديدة ، وفنه الآخر . . .

ان صلاح هو رجل ارادة ووعي من طراز نادر ، فهو متبحر في اطلاعه على الفلسفة ، قارىء نهم للآداب والفنون ، مطلع على مؤلفات علم النفس والتاريخ،تعلم العزف على الكمان وأجاد ، وهو ذواقة ومستمع للموسيقا . انبهر بنيتشه زمنا . وصادق العقاد وحاوره طويلا . مارس اليوجا وفن التأمل ومايزال . وتقلد مهام عملية وعلمية عديدة ، وله حضوره وتأثيره على مجريات الفن في بلاده . ولايتناقض مع هذا ممارسته للملاكمة الثقيلة العنيفة في صدر شبابه ، وكان فوزه دائما بالضربة القاضية . ولعله أراد لنفسه في الفن ـ أكاديميا وتجريديا ـ ماأراده في الرياضة !

ولقد حصل على جوائز تشكيلية لها ثقلها ومكانتها في بلاده وعلى مستوى العالم ، منها واحدة من أهم جوائز التصوير (جائزة جوجنهايم) وقد نالها عام ١٩٦٠ . وجدير بالاعتبار والملاحظة أن أعماله التي نال عنها الجوائز هي تلك التي عقد فيها مصالحة عميقة بين التشخيص والتجريد .

○ ○ في وادي الصمت والجلال ○

أتيح له منذ عام ١٩٤٤ كأستاذ للدراسات العليا (المرسم الحر آنئذ) في كلية الفنون الجميلة ولمدة تسع سنوات كاملة ، أن ينسحب من عالم القاهرة وقلق الأربعينيات الى حضن وادي الصمت والموت والجلال القديم ، كي يستجلي أسراره ، ففي حضن جبال وادي الملوك والملكات الغربي في الأقصر (طيبة) كان يقيم أربعة أشهر كاملة . . يخرج مع خيوط الفجر ليرسم بفرشاة الزيت الرصينة عالما جليلا قديما ما يزال يتحدانا بصمته وهدوئه وبهائه . . ومع المساء وحيث لا صوت الا صوت الجبل والريح ، ولا أضواء متحركة قلقة ملتاعة ، اللهم الا مصباح كيروسين صغير ، كان يقضي الليل يعب من الكتب أمهاتها . .

. . ولعل الزائر الذي متعه الحظ برؤية هذه الابهاء القديمة والآثار العريقة يشعر بجلالها وتفاؤلها وصمتها وصفائها ثم هذا الثقل الذي يضغط على النفوس فيثقل معدنها ويثقفه .

وتكفيك عدة ساعات من نهار ـ هناك ـ وفي هذا الوادي العميق : وادي الموت ، وحتى يتلكك هذا الشعور الجارف : كل هذا الزمن ! . . . ثم كان ـ الفنان ـ يعود في رحلة الصيف أربعة أشهر أخرى ، لكي يجري مع نخبة الخريجين تجربة مشابهة في حضن القاهرة الاسلامية ، في أعماق أروقة الصمت والدفء ، في حضن الظلال والحنان . . . بلى هذا الانسجام الاسلامي العميق والذي يسري في الوجدان كأنسام أطياف تاريخيه . . لاتموت .

كان يأتي طلاب الدراسات العليا ويرحلون ، وكان (الاستاذ ـ الفنان) موجه هذه التجربة ومرشدها .

ولاشك أن مشخصات صلاح طاهر التجريدية الأخيرة قد أحالت هذه التجارب والذكريات بل مئات اللوحات التي سجلها لهذه الأطلال الباقية وتلك الانحاء ،الى صور عصرية ، هي عصارة فن واختزال ، تمثل لحظات للسعادة المبهمة . . لحظات هي مفقودة ومفتقدة . . وخافية عن أنظارنا في تكأكؤ هذه المدن الحديثة ذات الاكتظاظ .

ان تجريداته ـ لا شك ـ تمد جذورها الى أحلام تاريخ عريق ، تاريخ وتراث يسري على حد قوله «في دورتنا الدموية ذاتها» . . فاضرب بريشتك أيها الفنان العريق كيف تشاء . . تكفيك دراستك . . يكفيك ولهك وعصريتك . . . ولك حريتك . . أما تاريخك ـ تاريخنا ـ فلا تخشى عليه من شيء ، انه كامن خلف ضربات فرشاتك .

لا يمكن فهم شخصية صلاح طاهر هنا أو هناك (الأول أو الثاني) إلا باكتشاف جوهره كرجل ارادة قادر على الاستجابة للتحدي . والرجل المريد هو مسار لقذيفة طويلة المدى ، قذيفة يطلقها الوعي والتثبت ، وهو رجل معرفة هدفه الاتقان الشديد .

هذا الاتقان في حالة الفن لا يأتي كاستجابة عفوية للذكاء والوعي أو تراكم المعلومات الفوري . . ان عنصرا أساسيا فيه هو القدرة على التمثيل . . وهذا التمثل ـ في حالتنا ـ يقتضي وقتا طويلا ، إن فنان الارادة هو رجل يعرف أن موهبته وعبقريته لا تنضج الا على نار هادئة فاترة ، هي نار العقل والمنطق . كما أنه قد يتاح لغيره أن يظهر ويحترق بنار الفن ، أما هو فقد يأتي ختاما مثاليا لهم ، وكأنه حالة تقريرية ذات صفة أكاديمية مقننة ومطلقة في آن . انه ليس حرفا قلقا ولا شهابا محترقا بل هو مسار جملة طويلة لها رصانتها .

● ● ●

حدثني صلاح طاهر الأستاذ فقال : « منذ قرابة عشرة أعوام ونيف جاءتني دعوة من اليونسكو لزيارة باريس ولندن وروما واسبانيا وامستردام . . للتعرف على فنونها وفنانيها لعدة أشهر . فأجبتهم أنه يكفيني في هذه الفترة القصيرة جدا أن أتعرف على باريس واسبانيا . وكان في هذا كفايتي . وهذا ما كان . وكنت ومازلت أعجب لهؤلاء الفنانين الذين يسارعون الى قبول مثل هذا العرض ، الذي يبدو سخيا ، ولا أراهم يفعلون أكثر من ربط الحقائب وفكها

ـ ابن الفنان أيمن ، واحدة من مئات « البورتريهات » الأكاديمية الأسلوب ، قد أولع بها الفنان زمنا .

ـ تكشف هذه الصورة عن طبيعة خيالات صلاح طاهر التجريدية ، فالفلاحة وجها وجزءا ، واقعية ورومانتيكية وتأثيرية وتجريدية ، هي القاسم المشترك الأعظم في اهتمامات جيل الرعيل الأول .

ـ منحـونـة أخـرى تنتمي الى
ـمكال المستقبل الغامضة القلقة .
نحت هنا عمارة حركية . تراه
ن بعد ، كما يمكنك أن تلج بين
ـلوعه الفوارة بـالقلق والقوة .
، تمـاسك الكتلة هنا يبدو هـو
لحظة التي تلحق بالانفجـار ،
أنه تكـوين جيولـوجي بشري
فق جديد .

من فندق الى فندق ، ولا أظنهم ـ بهذه الطريقة ـ سيكتسبون شيئا له قيمة . على كلٍ هذه طريقتهم ولي طريقة أخرى .

بهذه الروح التي تعرف للمعرفة قدرها وأشراطها ، ذهب الفنان في رحلته الشهيرة الى أمريكا في زيارة طويلة كانت كلحظة تنوير درامية حيث قضى هناك ستة أشهر كاملة عام ١٩٥٦ ، يعاين النتاج التام الصنع ، والطرائق المثلى في الفن الحديث . .

وهو الآن يستطيع أن يلمس عن قرب فن العصر في بيته . بل راح يتنفسه حتى غدا بعضا من كيانه وكلا في روحه . وحكي لي كيف استبدت به لوحة أهاجت مشاعره وحركت أفكاره وقلقلت ثوابتها : «أقيمت في احدى المدن وعلى مساحة حديقة هائلة تظاهرة فنية كبرى ، ومسابقة للفنون السبعة فى أمريكا (الشعر والأدب ، الموسيقا والرقص ، التصوير والنحت ، المسرح والسينما)

وقد حصلت فيها لوحة عنوانها « طبيعة صامتة صينية » على الجائزة الكبرى » أمضيت ساعات يومية طويلة في تأمل هذه اللوحة ذات الأسلوب التجريدي الذي يخلو من أي تمثيل لشخوص أو أشياء أو كائنات .

وكان أول ما أثارني ودققت فيه ، أن هذه اللوحة ـ من التجريد الخالص ـ تحوي بوضوح وفي بساطة وعمق متناهيين كل القيم الفنية والقواعد التكوينية التي ندرسها لطلابنا ، والتي يعرفون بها مقدار جودة التصاوير الكلاسيكية .

فالنسبة الذهبية والتوازن والتماسك والتباين والعمق والتناغم والملمس وغيرها مستوفاة فيها على أتم صورة !

ومع ادامة النظر وتواصل التأمل تكتشف أنها قماشة فاتنة لألوان الفن الصيني الباهر العريق ، ثم تكتشف عبقا من الاضاءة الذاتية الخافية ، وهذا التلوين الذي تفرد بنسجه وتجسيمه رمبراندت المصور الكبير في تصاويره . . و . .

« وعدت الى القاهرة أحمل أزمتي وقلقي معي ، ومخاضا عسيرا لولادة جديدة خالطتها فرحتي باكتشافي . . وانها لسعادة كبرى أن تفكر وأن ترتاد أبحرا من الفن والمشاعر » .

وهنا يبدو التجريد المحدث خلاصة لقيم الشكل وجوهر التكوين وقوى التشكيل . . انه معمار خاص فريد . . ولغة مركزة . . وها هي تتفتح أمامه ـ كما في هذه اللوحة النادرة ـ وكأنها أكمام أزهار عجيبة ، لموسيقى وأشعار فريدة ، قوامها ـ مفرداتها ـ الشكل واللون . وهتف في نفسه خاطركالذي هتف به بو كلي«يالا التكوين الخالد . . مبعث القوة . . لكل الزمان وكل المكان » (٢)

○ ○ ○ عاش حياتين ○

قال الفنان في محاضرته عن « الفن والحضارة » التي ألقاها في معرضه الأخير (الثالث والستين) في صالة الفنون الجميلة بضاحية عبدالله السالم بالكويت . . « لقد غير بيكاسو شكل الفن الحديث وجوهر حضارتنا حين اكتشف التكعيبية ، ففنون الديكور والتصميم الصناعي والعمارة العصرية . . كل هذا وغيره كان بناء على هذا الاكتشاف » .

لعلني لم أذهب الى بعيد . . فها أنا أعود الى الفنان في جلسة أخرى ، ويساعدني توارد الخواطر على استجلاء ملاحظة ذات قيمة بالغة ، فبعد قرابة العشرين عاما من الولع بالتجريد ، ومع انعدام التسجيل للفنان العربي ، فلا هو يسجل لنفسه أو يسجل غيره له ، تذكّر الفنان معرضه التجريدي الأول في أواخر الخمسينيات فقال : « لقد كان معرضا عن التجريد الخالص ، لوحات مرسومة بالأبيض والأسود ، ونادرا ما كنت ألجأ كاضافة في خلفية الشكل الى الرمادي أو الأحمر الداكن . . . تسألني لماذا ؟ ! . . أتذكر أنني كنت أريد أن أحصل على « الفورم » وأؤكد قيم الكتلة وحسن بنائها ،

---

٢ ـ لمزيد من ايضاح الفكر « في الفن الحديث » . . راجع مقال بول كلي في مجلة « المجلة » القاهرية ترجمة : الفاروق عبد العزيز ، والمنشور في عدد نوفمبر ١٩٦٨م

لقد حرصت أول الأمر على ألا تغـريني ألوان التجريد المحدث ومبالغاتها ، وألا تغريني باهمال الشكل والكتلة » . . . . . لعل هذه الملاحظة تكشف للدارس ان هـذا الفنان قـد عاش حياتين ، وتخضرم بذرة وحصادا بين عصـرين من عصور الفن . فالملاحظ عبر تاريخ الانسان الفني أن الرسام حين يبدأ تعلم الرسم أو انتاج لوحاته فانه يقف طويلا أمام الأبيض والأسود : (الكتلة ، الخط ، الملاحظة . .) يستـوي في هـذا ميكائيـل انجو أو فـان جوخ الـذي علم نفسه ، أو بول كلي . وقد يكون الفنان بعد هذا ملونا مجيدا أو لا يكون ملونا . فـاللون اضاءة تغمر كتله الرصينة التي أتقن حبكها أول مرة .

وفي الفن الحـديث ينطلق الفنـان المعـاصـر المتمرد بالطبيعة في خطوات متلاحقة من دراسته وخطوطه بـالأبيض والأسود الى الأكـاديمية (أو أشبـه) الى المبالغـة الى الاختزال الى التجـريد المطلق الى اكتناه رؤاه . . . لكن ما معنى أن يعود صلاح طاهر على بدء الى الأبيض والأسود ، الا اذا كانت هذه قرينة تؤكد ولادته مرتين . . وتمثله لعالمين مختلفين . وامتلاكه لرؤيتـين نقيضتين ، انه انسان مخضرم بالمعنى العميق لهذه الكلمة . ولقد ولد وازدهر مرتين في عصرين مختلفين أشد الاختلاف .

● ● ●

لعلك ياقارئي ـ بعد هذه اللقطات من حياة الفنـان وأفكـاره تستـطيـع أن تتلمس العبـر بنفسـك . وضيق المساحـة الذي يؤذن بـانتهاء الـوقت يمنينا بفـرصة أخـري لاكتشاف أسـرار أعماله برؤية نقدية . وها أنا أتفق معه في جملة أخيرة أدعها أمام ناظريك :

الفن الحديث والتجريد المحدث عمره لايزيد عن ثلاثة أرباع القرن ، انـه عمر قصـير جدا بالمقارنة الى الكلاسيكية التي تمتد الى ماقبل الميلاد بخمسة قرون . هذا القرن شهد انفجارا معرفيا ومـايزال . علينـا ان نحيا عصـرنـا وأن نتعلم لغته . لاشك أن القليل النادر في الفن الحديث هو الجيد . من قال أن كل مارسمه بيكاسو كان عظيما ، تجار الفن هم الذين يتاجرون بامضائه .

. . . . لكن مابالك أيظن المرء أن كل مارسم أكاديميا بلغ القمة التي يحتلها ميكائيل انجلو أو روفائيل ؟!!! التـاريخ الفني هـو الذي يحـاكم الفنان ويفرز الجيد من الرديء . الشـائع لمـاذا يخاف الانسـان التجديد ؟ لماذا يهرب الانسان من متعه التفكير ؟ لماذا يرتاد السهل من الامور ؟! هذا أمر شائع في الانسان والبلاد ، كان في بلادنا قبـل ظهـور التلفـزيـون . . لاشـك أن الفن الحديث في بلادنـا يكسب الجمهور الكبـير مع الوقت ، في العشرينيـات كان الاشتغـال بالفن مخاطرة كبرى وطريقا مجهولا ، لقد دخلت كلية الفنون بدون تفكير ولم أستمع الا الى الصوت النـابـع من أعمـاقي . وهـذا مـا أفعله طـوال الـوقت . وماذا أفعـل ازاء نجـوم في المجتمـع العـربي تـطلب منى أن أعـود وأبقي ريشتى (الثمينة) رهينة محبس الاكاديمية ؟ . انني حين أرسم ليس من عـين تـراقبـني حتى ولا ابـني أيمن . . انني أتبـع صـوت القلب . . تسـألني التفسير . . كيف يستطيع أن يفسر المرء نفسه ؟! نحن بحـاجة الى ثـورة في أجهزتنـا التـربـويـة وخاصة الفيلم التسجيلي . . تحدياتنا شاملة لعل أوهنها محو الأمية - - - - الرجل الفطري البسيط يؤيدني . . فقط هؤلاء الذين تعلموا ألا يتعلموا شيئا ؟! لست أخـاف المستقبل . . ان التفاؤل طبيعة فينا . . الفن حديقـة الروح . . سيكلوجية الزحام تحاصرنا . . لاحل للمصريين الا اذا كسروا حاجز الصحراء . . أية أمة تحيا في خندق فى ٤٪ من مساحتها ؟ان ارادة أولى العزم قادرة على فك اشتبـاكنا مـع أنفسنا وتخلفنـا . . . ليطمئن الناس الى التاريخ فهو خـير ذاكـرة حافـظة للمبدعـين الـرواد ابـداعهم . الموسيقا معمار في الزمان ، والعمارة موسيقا في المكان ، ولا شك أنني أصبو في تصاويـري الى حـالة المـوسيقـا . لمـاذا نجسم في تصـاويـرنـا الرعب ؟ بل لماذا لا نتعالى عـلى الألم ؟ لنجسم التفاؤل وارادة الحياة . . . الأمل لا شك أكبر من الألم . . لم يزل لدي الكثير لأصنعه . ■

الماسح الالكتروني CAT Scanner وصورة ظهر الفتاة تبدو واضحة مكبرة عل شاشته

الإنزلاق الغضروفي

معالجته بالأنزيمات بدلاً من العمليات

بقلم : يوسف زعبلاوي
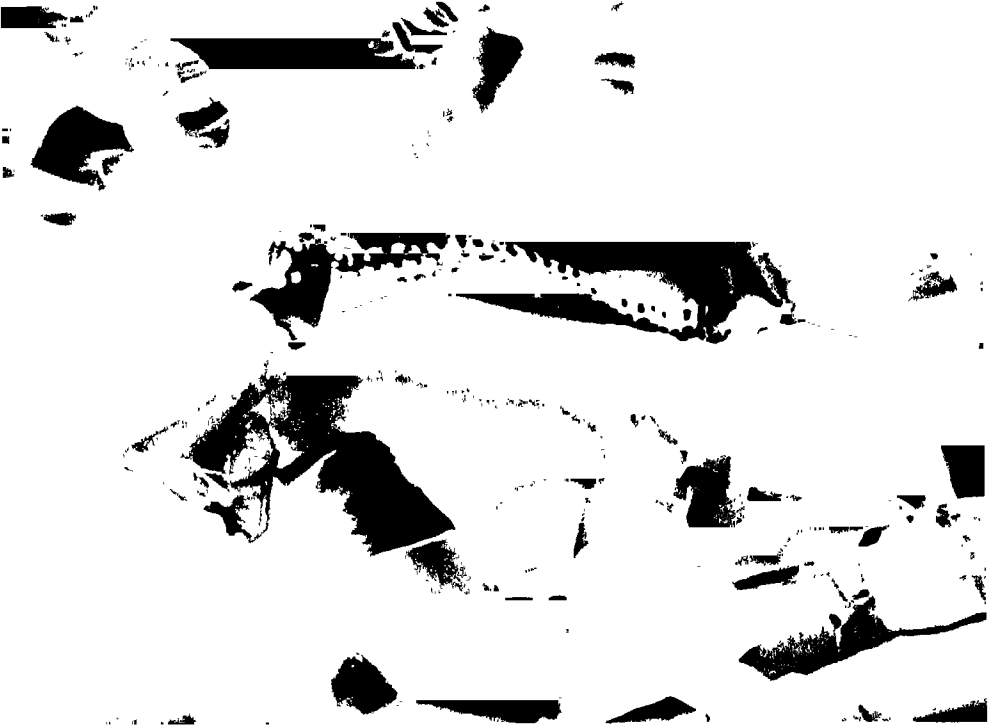
في غرفة العمليات وقبيل اجراء الجراحة .. يشرح الجراح تفاصيل العملية التي يوشك أن يجريها

□

عملية الانزلاق الغضروفي كانت وما زالت الطريقة الفعالة التي تعالج بها حالات الانزلاق الغضروفي المستعصية .. الا أنها لم تعد الطريقة الوحيدة .. في أمريكا ومنذ أواسط الستينيات على أقل تقدير .. فقد درج الاطباء في كندا والولايات المتحدة ، طوال العشرين سنة الماضية ، على معالجة تلك الحالات بطريقة أخرى جديدة .. أبسط وأسهل من العملية الجراحية وأقل تكلفة منها ، سواء في الوقت أو المال .. وأثبتت الطريقة الجديدة أنها أضمن نجاحا وأسرع نتيجة من الجراحة ، ولا تقل فعالية عنها في نحو ٧٠ ٪ من الحالات ، أو تزيد ... هذا وقوام الطريقة الجديدة الانزيمات والخمائر ... والانزيمات المستخلصة من عصارة فاكهة البابايا ، أو ان شئت ، الشيموبابين (Chemopapain) .. فما هي هذه الطريقة الجديدة وما هي مزاياها ؟ ولكن ـ وقبل ذلك كله ـ ما هي الغضاريف ، أو الاقراص الفقارية ؟ وما هو العمود الفقري وما هي وظائفه .. ؟

العمود الفقري : وظائفه وبنيانه

العمود الفقري هو قوام الظهر ، وعماد الجسم ، كما هو معروف ، فهو يحمل أضلاع

الأقراص الفقارية نفسها ، تبعا لأسباب عرضية . فقد أثبتت التجارب التي أجراها علماء جامعة كمبردج في المدة الأخيرة ، وذلك بواسطة أشعة اكس المنعطفة التي سبق أن أشرنا اليها . . . . أثبتت أن تلف الأقراص الفقارية انما يترتب في معظم الأحيان على تلف جدارها ، وتلف ألياف ذلك الجدار ألياف كولاجن بالذات ـ وأثبتت أيضا أن هذا التلف وألمه المبرح انما يترتب ، في معظم الأحيان أيضا ، على حركات عرضية وأوضاع عادية . . ولكنها غير سوية . . كأن ينحني المرء بظهره الى الأمام ، ثم يستدير قليلا ذات اليمين أو ذات اليسار . . فهذه أوضاع كفيلة أحيانا بالاصابة بالانزلاق الغضروفي والتسبب بعذابه الاليم . ويتضاعف الألم ويتفاقم التلف اذا اضطر المرء لحمل حقيبة سفر أو ما اليها أثناء انحنائه واستدارة جسمه على نحو ما ذكرنا .

بقي أن نذكر أن الأقراص الفقارية ليست كلها معرضة للتلف بنسبة واحدة . فأقراص الفقرات القطنية (أنظر الرسم) أكثر الفقرات عرضة للانزلاق الغضروفي . تليها في ذلك أقراص الفقرات العنقية . . أما فقرات الصدر فقلما تتعرض لتلك الآفة .

انحراف السطيحات

ولابد من الاشارة الى علة اخرى غفل عنها الطب حتى مطلع السبعينيات حين ظهر التصوير بالكمبيوتر والمسح الالكتروني (C.A.T.) فقد اتاحت اجهزة التصوير الجديدة للمختصين فرصة اكتشاف علة السطيحات المنحرفة (Dislocated Facets) وهي العلة التي طالما استغلقت عليهم وبدت لهم وكأنها « انزلاق » غضروفي . . والتي تضاهي علة الانزلاق هذه ألما وخطورة .

أما السطيحات فليست سوى سطوح الفقرات الصغيرة . . انها سطوح فقرات عمودك الفقري الموجودة في أوسطه . . فهذه السطيحات تكون متناسقة في حالة الصحة . . ولكنها تنحرف قليلا عن مواضعها في حالة المرض . . وعندئذ يختل تناسقها ويتعرى عظمها فتضغط بقسوة على الأعصاب الشوكية القريبة ، وتسبب ألما حادا يضاهي سائر آلام الظهر تبريحا . .

والغريب أن ما ذكرنا من الأسباب التي تؤدي الى الانزلاق الغضروفي كالانحناء والاستدارة وحمل الأجسام الثقيلة ، هي نفسها الأسباب التي تسبب انحراف السطيحات . .

عملية الانزلاق الغضروفي

يقول الدكتور محمود كامل البوز احد كبار جراحي العظام في مستشفى العظام في الكويت . . : (ومن الظهر ننفذ الى الغضروف بين الفقرات ، ونفرغ ما فيه من انبعاج ونواة ، فنزيل الضغط عن الحبل الشوكي ، او العصب المجاور . .[1]) فعملية الانزلاق الغضروفي اذن عملية استئصال (Laminectomy) وهي عملية دقيقة وشاقة . . ولا يقدم على اجرائها الا كبار الجراحين الذين يتمتعون بخبرة طويلة في اجرائها . .

وتدل الاحصاءات على ان فرص النجاح في عملية الدسك هذه ضئيلة ، ولا تزيد نسبتها على ٢٠٪ من الحالات . . وقل مثل ذلك في احتمالات فشلها ، وتبلغ نسبتها ٢٠٪ ايضا . . اما في بقية الحالات ٦٠٪ فنجاح العملية محدود ، ان كان ثمة نجاح . .

---

١ ـ راجع مقال الدكتور محمود كامل البوز بعنوان : الانزلاق الغضروفي المنشور في مجلة العربي عدد ابريل رقم (١٧٣) سنة ١٩٧٣ .

اضف الى ذلك ان عملية الانزلاق تحدث فراغا بين الفقرتين في بعض الحالات .. كما يقول الدكتور البوز في مقاله المذكور . وفي تلك الحالات يضطر الجراح الى اجراء عملية اخرى ثانية .. يملأ فيها الفراغ بشظايا يقتطعها من عظمة الحوض وتلتحم تلك الشظايا بالفقرات .. ولكن على حساب المرونة .. اذ غالبا ما تؤدي هذه العملية الثانية الى شيء من التصلب في الظهر ..

من هنا كان حرص الجراحين على عدم اجراء عملية الانزلاق الا في الحالات المتفاقمة التي يستعصي شفاؤها بطرق العلاج الاخرى ... فهم يعمدون اولا الى معالجتها بالراحة والتزام الفراش ، او ارتداء جاكتة الجبس ... وكذلك بتناول المسكنات وعقاقير ترخية العضلات ، في تلك الاثناء ، وفي حالة فشل هذه الطرق فان الجراحين يعمدون ثانيا الى معالجة تلك الحالات بوسائل الطب الطبيعي ، كالحرارة العميقة والتدليك والتمرينات الرياضية ... اما اذا فشلت هذه الوسائل ايضا .. فعندئذ تصبح العملية الجراحية بمثابة السهم الاخير .. او الشر الذي لا بد منه ..

هذا وعملية الانزلاق تكلف الكثير من المال وتستوجب البقاء في المستشفى اسبوعين او يزيد .. وتطول فترة نقاهتها حتى تبلغ ٣ - ٦ شهور .

ويقول احد كبار الجراحين الشهيرين باجراء عملية الدسك في الولايات المتحدة .. « ما كنت لاسمح لنفسي باجراء عملية الدسك لنفسي - فيما لو كنت انا المصاب .. »

ومضت السنين وجاءت الستينات .. واذا بالاطباء العلماء يكتشفون طريقة جديدة لمعالجة الانزلاق الغضروفي ، وخيرا من العملية الجراحية .. وهكذا لم يعد الجراحون مكرهين على اجراء تلك العملية باعتبارها السهم الاخير او الشر الذي لابد منه ..

قصة الاكتشاف الجديد

بدأت القصة في اواخر الخمسينيات .. فقد اتفق للدكتور ليمان سميث (حي يرزق ، ٧٢سنة) ، من بلدة ألجين في ولاية ألينوي ان قرأ بحثا في الانزيمات ، - انزيمات فاكهة البابايا بالذات - وفي اثرها في مقدار ما يحتويه الدم من البروتينات ..

وتجدر الاشارة الى ان البابايا فاكهة استوائية وفيرة في بلدان امريكا الوسطى ، ومغذية وطيبة المذاق .. وقد تنبه الناس لفوائدها العلاجية منذ زمن ، وراحوا يصفونها بعضهم لبعض ، لمعالجة امراض عديدة مختلفة .. كالتهاب الكبد .. وبعض الامراض التناسلية .. وتبين لهم فوائد اخرى للبابايا فعمدوا الى استعمال عصارتها على نطاق واسع من اجل تطرية اللحوم .

ولعل هذه الفوائد والاستعمالات كانت الباعث على قيام الدكتور سميث بحقن بعض الارانب بعصارة البابايا على سبيل التجربة .. وما اسرع ما ارتخت آذان تلك الارانب في صبيحة اليوم التالي .. ومعنى هذا ان عصارة البابايا غنية فعلا بالانزيمات .. وان انزيماتها هذه هي التي اذابت البروتينات الجلاتينية التي توجد في غضاريف آذان الارانب ... ومعنى هذا ايضا ان انزيمات البابايا يمكن ان يكون لها .. في الاقراص الفقارية ، مثل الاثر الذي كان لها في آذان الأرانب . فتلك غضروفية وهذه غضروفية مثلها ...

وأجرى الدكتور سميث من التجارب ما أثبت له فعالية تلك الانزيمات في شتى حالات تلف الاقراص الفقارية .. بما في ذلك ترهلها وانبعاجها وتمزقها .. أو ، أن شئت ، انزلاقها .. وتم استخلاص عصارة الشيموبابين (Chemopapain) من فاكهة البابايا ، وهي خير من عصارتها البسيطة

العادية .. نظرا لأنها أكثر فاعلية منها وبلا آثار جانبية ... وأطلقوا على عصارة الشيموبابين هذه الاسم التجاري دسكيز . (Discase)

ورخصت وكالة الغذاء والدواء (F.D.A.) استعمال الدسكيز علاجا للانسان سنة ١٩٦٣ . ولكن ترخيصها هذا كان مبدئيا باعتبار الدسكيز عقارا تجريبيا ... ومضت ١٢ سنة ولم يطلب احد تمديد هذا الترخيص ولا اصدار ترخيص نهائي جديد . فتوقف صنع الدسكيز في الولايات المتحدة .

ألا أن كندا التي احتضنت ، كعادتها ، قرار وكالة (F.D.A) الأول بترخيص الدسكيز لدى صدوره سنة ١٩٦٣ ، لم تجد مبررا لوقف انتاج الشيموبابين أو المعالجة به في مطلع السبعينيات .. وهكذا واصل الاطباء الكنديون معالجة حالات الانزلاق الغضروفي بالشيموبابين على نطاق واسع .. وأحرزوا من النجاح في معالجة العلة الخطيرة بهذه الطريقة البسيطة ما شد اليهم جيرانهم من أبناء الولايات المتحدة وقد تعذرت معالجتهم بأنزيمات الشيموبابين في بلادهم . فانطلق هؤلاء يتوافدون على مستشفيات كندا ، فلا يكاد يمضي عليهم أيام معدودة حتى يعودوا الى بلادهم سالمين معافين .

ومن طريف ما يذكر هنا أن الدكتور هوارد نوبل Dr . H . Bates Noble وهو من جراحي العظام المعروفين في مدينة شيكاغو ، درج على تحويل مرضاه الى كندا للمعالجة بالشيموبابين بدلا عن عملية الانزلاق التي كان بوسعه اجراؤها لهم .. واتفق أن أصيب الدكتور نوبل بآفة الانزلاق وبألمها المبرح .. وفي ذلك يقول : (كان على أن أقرر .. فأما الجراحة .. وأما الشيموبابين) . ولم يتردد طويلا .. ويمم شطر مدينة تورنتو ومستشفى ولزلي فيها .. حيث يمارس الدكتور أيان مكناب طريقة الشيموبابين في معالجة حالات الانزلاق الغضروفي .. وفي غضون يومين عاد الدكتور نوبل الى عمله في شيكاجو وقد شفي غضروفه وعوفي من آلامه ..

ولم تغفل دائرة الغذاء والدواء في واشنطن (F.D.A) عما كان يجري في كندا .. بل أنها أولت الطريقة الجديدة مزيدا من اهتمامها طوال الستينيات والسبعينيات .. حتى جاوز عدد الحالات التي أشرفت على معالجتها بالشيموبابين (١٥٠٠٠) حالة ... وقد تحقق نجاحها التام في أكثر من ٧٠ ٪ منها .. لا غرابة اذن أن وجدت الوكالة في ذلك ما يبرر اقرار المعالجة بالشيموبابين مجددا .

هذا وتتميز الطريقة الجديدة بالبساطة .. فهي لا تعدو كونها مجرد حقنة .. كحقنة البنسلين مثلا ... غير أن حقنة الشيموبابين تحقن في القرص الفقاري التالف .. وفي نواته الجلاتينية بالذات ... ويتم ذلك بواسطة محقنة (Syringe) ذات ابرة طويلة ١٥ سنتمترا) وبمقدار ١ ـ ٥ , ١ مليمتر من الشيموبابين . والغريب أن تلف الغضروف أو انزلاقه يزول تماما ويزول معه ضغطه على الاعصاب وألمه ، وكأن شيئا لم يكن وذلك فور حقن الانزيمات فيه ، ذلك أن الانزيمات تذيب ـ نواته ـ فتقضي على الاجزاء الناشزة منه وعلى آلامه في ثوان معدودة ..

هذا ولا يستغرق التحضير لعملية الحقن هذه أكثر من ساعة .. ولا يتطلب اجراؤها الاقامة في المستشفى أكثر من ٢ ـ ٥ أيام .. أما تكاليفها فزهيدة جدا بالمقارنة مع تكاليف العملية الجراحية .

والشيموبابين ، وهو مادة نباتية ، كما ذكرنا .. بلا مخاطر تذكر على ٩٩٪ من الناس .. ولعل أثره الجانبي الوحيد هو أنه قد يحدث صدمة في الجهاز التنفسي Anaphy-lactic Shock .. في قلة من الناس (١٪) أو دون ذلك .. وعندئذ يسهل على الطبيب المعالج التغلب على تلك الصدمة .. كما يسهل عليه تجنبها مسبقا . □□

شهيد الزمن الأحدب

شعر : محمود عبد الغفار دياب

أضحى منبوذا كالأجربْ ... تنهشه الذكرى كالعقربْ
تبكيه دموع دامية ... تتساءل : أيّان المهرب
مشلول الخطو يطارده ... غدر مجنون لا يتعب
وئدت أحلام طفولته ... كلطيم ضيّعه الأقرب
نهشته ذئاب جائعة ... بقرته وقالت : لا تغضب
حشرجة الروح تحركه ... والقاتل من دمه يشرب
صلبوه وحيدا عريانا ... والموت بمهجته يلعب
تتوعد عيناه الدنيا ... سملوها صاحت : « لن يرهب »
يمناه أشارت ويلكمو ... قطعوها والزند تصلّب
فتحامل يوسعهم ركلا ... بتروا ساقيه ، وما أذنب
كتبت يسراه وصيته ... بدم فى رمل يتلهب
« الحريات لها ثمن ... وبغير دماء لا تُكتب »
« سأموت لتحيا يا وطنى ... قسما بترابك لن نغلب »
« اصرار الحق يحققه ... والباطل يزهق أو يصلب »
قبله الموت برحمته ... فاستشهد فى الزمن الأحدب
تركوا أشلاء جريمتهم ... نهبا لنسور أو ثعلب
نشروه بلا كفن مِزقًا ... بخلوا بالقبر فلا تعجب
زلزلت الأرض لمصرعه ... والحور العين به تذهب
وسمعت نداء أسعدنى ... والشرق عيون تترقب
« ما مات شهيد تعرفه ... وسيبعث عملاقا أصلب »
« والقاتل مقتول يوما ... مادام الثأر له مطلب »
« والحق سيعرف صاحبه ... ما عاش لأخطار يركب »

العربي ـ العدد ٣٠٦ ـ مايو ١٩٨٤

مكانة الأرض في الأدب الصّهيوني

بقلم : حلمي عبد الكريم الزعبي

□ طرحت الحركة الصهيونية منذ اليوم الاول لنشأتها شعارا يدعو الى ضرورة ربط اليهودي بالارض . ولقد أولت هذه الحركة في ادبياتها قضية الارض وربط اليهودي بها اهتماما كبيرا وبارزا على اساس انه قاعدة اساسية من قواعد مايسمى بالوطن القومي اليهودي .

ووضعت الحركة الصهيونية ، وكل الذين انضووا تحت رايتها ، نصب اعينهم هدف الهاب الشعور بضرورة العودة الى الطبيعة ، فكان ان لجأت الى تجنيد الادباء من شعراء وكتاب ومفكرين للترويج لهذه المقولة والدعوة اليها وتحريض اليهود في كل مكان على قبولها واعتناقها .

وقد ظهر ذلك جليا في تناول الادباء الذين كتبوا باللغة العبرية واليديشية في روسيا القيصرية وفي أوروبا الشرقية . فقد حاول هؤلاء ما وسعتهم المحاولة ان يعطوا هذا الشعار ابعادا جديدة وخاصة اولئك الذين امتلكوا ناصية الشعر والنثر .

ولاغرو ان تشغل هذه المسألة الشعراء والروائيين الصهاينة وان تكون حافزا في شعرهم ورواياتهم ونتاجاتهم الأخرى . وقد لجأ هؤلاء

الى التنقيب في الماضي عندما حاولوا احياء اللغة العبرية التي ماتت قبل اكثر من ٢٠٠٠ عام وصولا الى هدفهم في ايقاظ المشاعر والنوازع النفسية لدى اليهود . لذا حاولوا ان يعطوا شعار الارض مضمونا يستمد قوته من التلمود ، ومن اساطير الماضى ، ومن الحديث عن الارض واهمية الارتباط بها ، وكيف أن الابتعاد عن هذه الارض هو الذي دفع باليهود الى المنفى ، وان العودة اليها سيضع حدا لمعاناة هذا المنفى .

وعمل المفكرون الصهاينة على تناول هذه المسألة بشيء من الرومانسية التي اجادها ادباء وشعراء ، امثال حاييم بياليك وشالوم عليخم ، واحاد هعام وحاولوا زرع حب الارض في نفوس اليهود ، واستهواء الطبيعة وجمالها .
وقد برزت في افكار الكتاب والشعراء الصهاينة الدعوة الى الطبيعة ، كما ظهر ذلك في النماذج التالية الشعرية منها والنثرية .

الارض والطبيعة

فعلى سبيل المثال كرس الشاعر الصهيوني مناحيم بياليك ديوانه الشعري « ارض صهيون » كله للتغني بالارض ومنافعها وخيراتها .
فجاءت قصيدته التي نورد بعض ابيات منها منسجمة مع الشعار الصهيوني الذي يقول :

من ينقذني من الجوع
من يطعمني خبزا وفيرا
ومن يسقيني كأس حليب
لمن الشكر ولمن الثناء
للعمل والارض . . . . . .

ويتناول شاعر صهيوني قديم هو شلومو شالوم هذه المسألة في شعره فيخصها بعناية خاصة ، ويحاول ان يرتقي بالعلاقة بين الانسان والارض الى مرتبة التقديس :

يا ارض نحيا بحياتك
يا أرض نحتفي بعيدك
ونتشبث بجذورك
ونكتسي بنسيجك يا أرض

ويواصل دعاة الحركة الصهيونية مهمتهم في زرع « حب » الارض في نفس اليهودي ، فينبري شاعر آخر وقبل حوالي قرن تقريبا ليغني للمحراث والارض فيقول :

بالمحراث
ورثت كل سعادتي
كل حياتي الهانئة المطمئنة
لاينقصني شيء
أنهض من نومي
أسعى الى مصدر رزقي
هناك بين تراب الارض
يكتنز كل الخير
هناك اللبن والعسل
هناك في جوف الارض

وغنى شعراء صهاينة كثيرون امثال الترمان وشلوميسكي وابراهام بين وعشرات غيرهم للارض ، للجبال ، للسهول ، لحظيرة البقر ولقطعان الاغنام وللكرمة .

وتناول الآخرون من « الادباء » الذين عبأتهم الحركة الصهيونية او الذين يدينون لها بالولاء هذه المسألة خلال نتاجاتهم الاخرى فها هو أحد هعام يقول لاتستطيع ان تكون واحدا منا . . من عشاق صهيون وانت تعرض عن حب الارض ، فحب الارض هو حب صهيون . كلا لاتستطيع ان تكون واحدا منا وانت بعيد عن الطبيعة الخلابة وعن نسيمها العليل ، عن الارض التي تدر حليبا وعسلا ، فاعط حبك للارض ، فالعودة الى الارض عودة الى صهيون ، ونهاية للمنفى بكل آلامه ومعاناته » .

كما ركز غيرهم من دهاقنة الفكر الصهيوني امثال شالوم عليخم وبنيسكر وبيير وسكولوف وبيري كتسنلسون على المقولة الصهيونية ، ←

مشددين على انه لايمكن « للوطن القومي » أن تقوم له قائمة الا بعودة اليهود الى الارض ، وهكذا أضحى شعار العودة الى الارض شعارا مركزيا من شعارات الحركة الصهيونية .

ربط اليهود بالارض

ان اية معالجة للشعار الصهيوني الداعي الى ربط اليهودي بالارض تتطلب منا العودة الى الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود قبل ظهور الحركة الصهيونية . فمثل هذه العودة ستساعد ولاشك على تبيان الارضية التي انطلق منها هذا الشعار ، وكذلك مغزاه ودلالته .

كانت الجماعات اليهودية المؤثرة تنتشر في أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية . ولكن جماعة ظروفها واوضاعها . ففي الغرب تميز معظم الجماعات اليهودية بالطابع البرجوازي الساك في الغرب . وكان اليهود يشكلون قطاعا بارزا ومؤثرا من البرجوازية الغربية . ومن هنا برزت البيوتات اليهودية المشهورة ، أمثال روتشيلد وهيرسي ، حيث كانت هذه الاسر رمزا للقوة والتسلط المالي للبرجوازية اليهودية بين الطبقات الوسطى في الاقطار الغربية .

وكان النشاط الاقتصادي لليهود يعتمد على التعامل برأس المال السائل والاموال المنقولة وكانت هذه المهنة الاجتماعية حكرا على اليهود لاسباب مهمة :

١ ـ الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الأقطار والتي حتمت وجود فئة تتعامل بالمال المنقول . وامتناع الاشراف والنبلاء ورجال الدين عن امتهان هذه الحرف الوضيعة ، الامر الذي ادى الى احتكار اليهود لها ، وبالتالي ظهورهم كطبقة برجوازية مميزة .

٢ ـ تراكم رأس المال المنقول لديها خلال العصور وخبرتها في كثير من مجالات التجارة والتبادل الانتاجي . وكان معظم اليهود في بلاد الغرب يعملون بالتجارة والسمسرة واصابوا قسطا وافرا من المال والاثراء ، حتى شاع بين تلك المجتمعات بعض الاقوال التي تصور اليهودي بالقدرة على ابتزاز الاموال ، وعقد الصفقات التي يغبن فيها الطرف الآخر . وهكذا برزت الرأسمالية اليهودية التي اتاحت لليهود خلق نظام الاقتصاد النقدي .

وفي أوروبا الشرقية كان البنيان الاجتماعي لليهود مناقضا لصورة المجتمعات اليهودية في غرب أوروبا . صحيح انه وجدت في أوروبا الشرقية برجوازية يهودية وتجار واصحاب محلات ، ولكن غالبية اليهود كانوا من أرباب المهن الصغيرة ، مثل صناع الأدوات المعدنية . فلم يمتلك اليهود جذورا في البنيان الاجتماعي لتلك المجتمعات . فمعظمهم كانوا باعة متجولين وسماسرة وحرفيين . وبالاضافة الى ذلك عاش اليهود في أوروبا الشرقية ضمن مجتمعات مكتظة بالسكان ، ومنفصلة عن بيئاتها بسبب انغلاقها على تلك المجتمعات . الى الحد الذي جعلهم يبتدعون لانفسهم لغة خاصة هي اللغة اليديشية .

هكذا كانت حالة اليهود في التسعينات من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، حين بدأت الصهيونية في الظهور والتطور كحركة سياسية مستندة بشكل رئيسي الى دعم الجماعات اليهودية .

السباحة ضد التيار !

وانه لامر بديهي ان تدرك الصهيونية ان التوجه الى الجماعات اليهودية في اوروبا بشعار « ربط اليهودي بالارض » انما سيكون سباحة ضد التيار وحراثة في بحر ، وبناء قصور في الهواء . وكما قلنا ، كان معظم اليهود في اوروبا من التجار الذين يقومون بمبادلاتهم على نطاق

واسع فى عواصم عديدة . وكـان معظم هؤلاء من كبـار اصحـاب البنـوك وبيـوت المـال والبرجوازية المتغطرسة ، وانطلاقا من الادراك بأن « قومية » اليهودى هى « قومية » التـاجر ، و« قـومية » رجـال المال وعـلى الاخص فى الغـرب ، فلم تحاول الصهيـونيـة ان تـروج لشعـارهـا بـين هـذه الجمـاعـات اليهـودية البرجوازيـة . فهؤلاء ابعد مـا يكـونـون عن استيعـاب هـذه الشعـارات ، وعن ابـداء الاستعداد للتخلى عن دورهم كوسيط للاقتصاد النقدى فى البيئات الاوروبية من أجل أن يعودوا الى « الارض » التى لا تعطى الربح السريع الذى يتطلب بذل العرق والجهد والكد .

وفى ضوء هذا التـركيز عـلى يهـود اوروبـا الشرقية كانت الحركة الصهيونية تراقب مجتمـع الجماعات الأوروبية الشرقية ، وتدرس وضعها عن كثب ، مما مكنها من استيعـاب القـوانـين الأساسية لعملها هناك . ومن هنـا فانها كـانت تعتقد ان طرح شعار « ربط اليهودى بالارض » توطئة لتهجيره ، ستتلقفه الجماعات اليهودية ، وستستقبله كاستقبال الارض الظمآنة للمطر .

أسباب التمسك بشعار الأرض

عـلى ان ثمة أسبـابا أخـرى دفعت الحركـة الصهيـونية الى حمـل شعارهـا لنشره بـين يهود اوروبا الشرقية .

السبب الاول ، ويتعلق بالبنيان الاجتماعى لليهود فى اوروبا الشرقية ، وقد سبق ان خضنا فى موضوعه ، هذا الـوضع الـذى جعل يهـود اوروبـا الشرقيـة غير مستقـرين ، يتنقلون من مكان الى آخر بسبب ما تتطلبه حرفهم . يضاف الى ذلـك الاضطهـاد الفعلى او الـوهمى الـذى تعرض له اليهود مما جعلهم ينكفئون ، حسب ما تـرويـه مصـادرهم ، فى احيـاء « الجيتـو » والانغلاق على البيئات الاخرى . وقد تصورت الصهيونية أن أوضاعا كهذه تمثل أرضا خصبة تساعد على نشر شعارها .

السبب الثـانى سبب سياسى ، فمن الأهميـة بمكان أن نوضح أن اليهود فى اوروبا الشرقيـة كـانوا حتى نهاية الحـرب العـالميـة الثـانيـة من المعارضين للصهيونية . وكـان هؤلاء يعيشون وسط بحر من الأفكار التقدمية والاشتـراكية ، لهذا كانت الحركة الصهيونية تخشى عـلى هؤلاء من هذه الافكار أن تجرفهم بتيارها ولا سيما بعد ظهور حزب (البوند) حـزب الطبقـة العاملة اليهودية الذى تبنى خطا معاديا للصهيونية .

ومن هنا فقد ارتأت ان الاسراع فى طرح هذا الشعار والدعوة للهجرة الى فلسطين سيكونـان بمثابة سد منيع يدرأ عن اليهود خطر هذه الافكار ويبـاعد بينهم وبـين الـذوبـان والانـدمـاج فى مجتمعات اوروبا الشرقية . وقد سلك الصهاينة فى اوروبا الشرقية مسلكا دعـائيا قـويا مضـادا لتلك الافكار الى الحد الذى جعلهم تحت دواعى الخوف ينشئون احزابا صهيونية تعتنق الافكـار الاشتـراكية ، وحـاولت ان تقرن الاشتـراكيـة بـالصهيونيـة ، مثل حـزب « عمال صهيـون » « وعشاق صهيون » عملت على دفع اليهود باتجاه فلسطين .

السبب الثـالث هـو سبب دعـائى ، كـانت الحركة الصهيونية تنطلق فى نشاطها بين صفوف اليهود فى اوروبا الشرقية من خلال حضور ثقافى تمثل فى ظهـور عـدد من الشعـراء والادبـاء والمفكرين بين يهود اوروبا الشرقية .

الصهيونية الادبية

ولا نجافى الحقيقة لو قلنا ان الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية ، فالشاعر الصهيونى مناحيم بياليك كان شـاعر الصهيـونية الأول ، وكـان أول من غنى لـلصهيـونيـة ، وروج لافكـارها ، ونـدب حظ اليهود فى منـافيهم ،

وتغنى بجمال صهيون وهو يناجي عصفورة حطت على فنن بالقرب من منزله فتصورها قادمة من ارض صهيون ، كما كان الفيلسوف الصهيوني أحاد هعام هو اول من قال :

« ان الامل الكبير الذى يراود اليهود فى منافيهم يمثل خلاصة الحياة ، وهو الذى يدفعهم الى الامام ، الى الهدف الذى يبدو بعيدا ، هدف العودة الى ارض صهيون . الى العمل فى ارض آبائهم التى تنتظرهم منذ الفى عام » . ومن خلال هذا النتاج الادبي (شعرا ونثرا ، رواية وقصة) الذى تدفق فوق صفحات الصحف التى بدأت تصدر بالعبرية والايديشية فى روسيا القيصرية ودول اوروبا الشرقية نفذت الحركة الصهيونية الى يهود اوروبا الشرقية . واذا اعتبرنا ان الادب فى ذاته يمتلك الاسباب الدعائية بطريقة مباشرة او غير مباشرة فاننا لا يمكن الا ان نقول بان الادب الصهيوني كان منذ بداية ظهوره ادبا دعائيا يكرس لخدمة اهداف محددة .

وهكذا فان الادب الصهيوني لم يقف بمعزل ، فى يوم من الايام ، عن اهداف الحركة الصهيونية واساليبها ، فهو واحد من ادواتها المنفذة والمخططة فى آن واحد .

لقد اخذت الصهيونية تجبر الأدباء والأدب الصهيوني لخدمة شعارها « اليهودى والارض » من اجل صياغة مفاهيم ثقافية وأنماط حياة جديدة لليهودى بحيث يتم اعداده الاعداد المناسب قبل تهجيره الى فلسطين ، فكانت محاولاتها تهدف الى اعطاء مضامين جديدة لحياة اليهود لتشكل فى النهاية شخصية اليهودى المستقر وليس التائه والجوال ، الملتصق بالارض الذى يزرعها بالعرق والجهد .

وواضح ان هذا التصور لليهودى المزارع المرتبط بالارض والمستقر فوقها والمستغل لخيراتها والمنتفع بانتاجها ومحصولها هو الذى أملى على الحركة الصهيونية ان توجه اليهود خلال الهجرة الثانية فى اواخر القرن الماضى وبداية هذا القرن الى العمل الزراعى .

وليس من المدهش ان نجد الحركة الصهيونية تلجأ الى انتقاء المرشحين للهجرة من اليهود الذين ينتمون الى طبقات كادحة ، أو من الذين لا يملكون عملا مستقرا فى اوروبا الشرقية ، بينما احجمت عن مطالبة افراد الطبقة البرجوازية فى اوروبا بالهجرة ، لمعرفتها ان ذلك لا يجديها نفعا .

ولو ان الحركة الصهيونية توجهت بدعوتها الى يهود اوروبا الغربية ، فان مثل هذه الدعوة كانت ستمنى بالفشل الذريع ، اذ ان اليهود الذين اصابوا نصيبا من الثراء والجاه لم يكونوا راغبين فى التخلى عن أوضاعهم ، واستئصال ذاتهم فى سبيل الحلم الصهيوني ، وفى سبيل « وطن قومى » ضيق الرقعة لا تتوفر فيه فرص ومجالات لنشاطهم .

وليس غريبا ان يستجيب يهود اوروبا الشرقية لنداء الصهيونية ، بعد ان تحول ـ معظمهم ـ الى منبع رئيسى نهلت منه الصهيونية تأييدها ، اذ استمدت منهم معظم القادة والرواد والمهاجرين .

الشعارات والتطبيق

هنا نصل الى النقطة الحاسمة فى وضع الشعار الصهيونى موضع التطبيق مع بداية تدفق موجات المهاجرين من اوروبا الشرقية . فعندما بدأت هذه الموجات تصل الى فلسطين كانت توجه الى المناطق لاقامة المستوطنات ، فأقيمت مستوطنات كثيرة .

وقد جاءت موجات الهجرة الرئيسية الاخرى بعد الحرب العالمية الاولى كموجة الهجرة الثالثة عام ١٩٢١ التى عرفت بحركة الرواد ، لتعطي التوجه الصهيوني الى الارض والزراعة دفعة جديدة ، اذ ان الحماس والاندفاع تجاه الزراعة كان غير عادى واكتسب صفة التقديس ، وذلك لان العناصر الصهيونية التى تم تهجيرها كانت

مـدفوعـة بحماس لفكـرة « الـوطن القـومى » ولشعـار « ربط اليهودى بـالارض » . ونـظرا لانتماءاتها السياسية وارتباطها بحركات سياسية صهيونية فقد ركزت على العمل الزراعى . وقد انعكس هذا التركيز على الزراعة من خلال اقامة عشرات المستوطنات التى تعتمد عـلى الزراعـة والتـوجـه الى استـصـلاح الأرض وتجفـيف المستنقعات ، ويمكن القول بأن الغالبية العظمى من المهاجرين آثروا العمل الزراعى على غيره ، فكان اختيارهم للاقامة فى المستوطنـات يكمن وراء هذا الاهتمام بالزراعة ، الذى ابدته زعامة الاستيـطان الصهيـوني فى فلسـطين وكـذلـك المستوطنون المستقـدمون من الخارج ، وذلك لتحقيق عدة اهداف اهمها :

١ ـ تحقيق الاهداف الايديولوجية الصهيونية التى تركز على اليهودى المزارع والمنتج ، وتحقيق الهدف الايديولوجى فى « العـودة » الى الأرض وذلك بهدف خلق نوع من الارتباط والتجانس بين الانسان والارض من اجـل احداث تغيـير جذرى فى نمط التوزيع الوظيفى لليهود بعد ان كان يميل لصالح نشاط الخدمات .

٢ ـ الاسـراع فى استيعـاب المهـاجـرين فى السنوات الاولى واستثمار الاراضى العربية .

٣ ـ خلق نمط من الاستيـطان الـزراعـى للمهاجرين يؤدى الى شكـل معين من التنـظيم الانتاجى بهدف تحقيق زيـادة الانتاج ، وتحقيق درجة من الانتشار ، والتوزيع السكانى بما يخدم اهداف الدفاع الاقليمي .

وقد اتخذ هذا الاهتمام العـديد من المظاهر والتى تمثلت فى تخصيص نسبـة ٦٠٪ من جملة الاستثمارات من الفترة ما بين عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٣٠ للزراعة و٣٠٪ من عام ١٩٣٠ وحتى عام ١٩٣٦ للغرض نفسه وهذه السنوات هى السنوات التى شهدت موجة من الهجرة الجماعية اعتبرت من اكبر واوسع موجات الهجرة ، بينما بلغت الاستثمارات فى الصناعة ١٥٪ .

واستوعبت الزراعة اليهوديـة خلال الفتـرة ذاتها ما يقدر بـ ٤٦٪ من القوى العاملة ، وهذه النسبة لا تشمل الصناعة المرتبطة بالزراعة أصلا والمعتمدة على الانتاج الزراعى .

وفى الواقع عاش شعار الحـركة الصهيـونية القائل « بربط اليهودى بـالارض » احلى ايـامه وعزه الذهبي فى العقد الثانى والثـالث والرابـع والخامس .

وقد وجد هذا الحماس للارض تعبيرا له فى الادب الصهيوني . فها هـو الشاعـر الصهيوني جـولـد بيـرغ يتحـدث فى شعــره عن الارض والطبيعة :

فى كـل لـيـلة يـرنـو الـقـمـر
الى الـزهور التى نمت بـراعمهـا فى الحـدائق
الى اشجار السرو التى احاطت البساتـين
يـرنـو الـقـمـر فى كـل لـيـلة
الى حـظـيـرة الابـقـار والاغـنـام
الى الـسهـول الخضـراء المتـراميـة
الى المـراعـى المكـسـوة بـالـعـشب
الى الجبـال التى تغطيهـا اشجـار البلوط
الى ميـاه الجـداول المتلألئة كـاللجـين
يـرنـو الـقـمـر فى كـل لـيـلة

ان الصـورة التى يقدمهـا الادب الصهيـونى للعلاقة بين اليهودى المهاجر والارض تحاول ان تعطى نموذجا مثاليا .

وهذا شاعر صهيونى آخر هو اهرون بين يغنى للارض ويقول :

هـيـا بـنـا يـا أبـنـاء
لم يـعـد لـدينـا وقـت للفـراغ
ابـنـوا ايـهـا الـبـنـاة
بـلا خـوف ولا كـلل
لـنـبـني جـمـيـعـا ارض الآبـاء
فأرضنـا تـدعـونـا شيبـا وشبـابـا
لنعـطيهـا جهـدنـا وعـرقـنـا
ففيها وفى اعماقها يكمن وجودنا □□

الجديد في العلم والطب

مستحضر اليونسيف الجديد للقضاء على الاسهال

عدو الأطفال هو الاسهال وليس الجدرى أو الطاعون أو شلل الاطفال .. حسبك أنه يسبب الوفاة لحوالى ٥ ملايين طفل سنويا .. على أن التجفف (dehydralion) ومايرافقه من فقدان الأملاح هو سبب الوفاة الرئيسي والمباشر في أكثر حالات الاسهال ....

من هنا كان الاهتمام الذى أولاه للموضوع اخصائيو الصحة العامة العاملون فى عدد من الدول النامية والتابعون لمنظمة اليونسيف UNICEF (المنظمة الخاصة بالأطفال والمتفرعة عن هيئة الأمم المتحدة)

فقد نجح أولئك الاخصائيون فى تطوير علاج للتجفف سموه ، اختصارا ، أورت (ORT) .. وقد وضع هذا العلاج موضع التجارب الميدانية على نطاق واسع ..

فثبت نجاحه فى الأردن فى ١٧٢٠ حالة من مجموع ١٧٣٢ حالة ..

واستعمل العقار أيضا فى كافة مستشفيات كوستاريكا حيث نقصت وفيات الأطفال بنسبة ٨٠٪ منذ استعمال العقار فى ذلك البلد المعروف من بلدان امريكا اللاتينية .

ولعل أول ما يقال عن أورت ORT هو أن الكلمة اختصار للاسم الكامل وهو (Oralehydration Therapy) وقوامه الماء مضافا اليه الجلوكوز وملح الطعام .. وذلك بالنسبة التالية :

لتر واحد ماء عذب + ٢٠ جرام جلوكوز+٣,٥ جرام ملح ، ويمكن الاستعاضة عن كمية الجلوكوز ـ فى حالة عدم توفره ، باربعين جراما من السكر العادى المستعمل فى المنازل .

ويحتوى مستحضر الأورت بالاضافة الى ما ذكرنا ٢,٥ جرام كربونات الصودا و ١,٥ جرام من كلوريد البوتاسيوم .. ولئن كانت هذه المواد تحسن مستحضر الأورت .. الا أنها ليست أساسية ويمكن تعاطى المستحضر بدونها .

فصام الشخصية .. هل هو مرض معد .. ؟

مرض (الاسكيزوفرينيا) مرض عقلي أو نفسي يتسبب بانقسام الشخصية أو انفصامها .. لذا كان الاسم العلمي الذي صاغوه بالعربية هو الفصام ...

وعلى قدم عهد البشرية بهذا المرض ، وقدم عهد الأطباء والعلماء بأعراضه وأساليب علاجه ... فان طبيعة الفصام وأسباب الاصابة به ما زالت مجهولة .. لذلك كانت الابحاث التي أجراها العالمان الامريكيان أرنولد شايبل Scheibel وتلميذه جويس كوفلمان ... على جانب من الأهمية ... فقد تبين لهذين الطبيبين النفسيين العاملين في جامعة أوكلا في كليفورنيا .. تبين لهما أن علة المرض انما تكمن في جزء واحد من أجزاء المخ ، دون غيره . أى المركز العاطفي .. فالخلايـ

العصبية في هذا المركز تنحرف وتفقد ترتيبها في المصابين بمرض الفصام ... (انظر الرسم) . ونبين لها أيضا أن مدى انحرافها يقرر مدى الاصابة بالمرض ... فقد يبلغ انحرافها ١٨٠ درجة أو ٩٠ درجة ... فيكون المريض في الحالة الأولى أسوأ حالا منه في الحالة الثانية ...

ويذهب العالمان الى أن الاصابة بالفصام تكون في الثلث الأول من فترة الحمل ... أي أنه يصيب المرء وهو جنين في بطن أمه ... ويصيبه تبعا لآفة أو علة وراثية أو بسبب عدوى فيروسية ... ويعجب العالمان وغيرهم لأمر هذا المرض الذي يصيب الجنين ولا تظهر أعراضه الا في مرحلة متأخرة من النمو ...

الفيتامينات لا فائدة ترجى من تناولها ..

هل ينصح الأطباء بتناول حبوب الفيتامينات .. لضمان المزيد من الحيوية والنشاط ؟ الجواب . لا !

هذا ما يؤكده التقرير الخطير الذي نشرته مجلة وتش (Which) في شهر يناير الماضي ١٩٨٤ والمجلة المذكورة يصدرها اتحاد المستهلكين في بريطانيا .. وهو اتحاد كبير ذو نفوذ واسع ..

ويؤكد التقرير ايضا ان المبالغ التي انفقها الانجليز على شراء الفيتامينات . وقد بلغت بمجموعها ٤٥ مليون جنيه استرليني في السنة الماضية ١٩٨٣ ، هذه المبالغ ذهبت هدرا ... ذلك ان الناس جميعا يحصلون على ما يحتاجونه من الفيتامينات من الطعام الذي يأكلون يوما بعد يوم .. فهذه الوجبات اليومية كفيلة بامداد الجسم بحاجاته اليومية من الفيتامينات وفق تقديرات دائرة الأمن الصحي والاجتماعي البريطانية Department of Health and Social Security وهي نظيرة دائرة الغذاء والدواء الامريكية (F.D.A.) .

وتجدر الاشارة الى ان التقرير المذكور قد استند الى ابحاث وتجارب علمية اجريت في شهر يونيه الماضي (١٩٨٣) تحت اشراف مجلس الثقافة الصحية Health Education Council وقد دلت تلك الابحاث على ان ٢٠٪ من الانجليز عامة يقبلون على شراء الفيتامينات وتناولها .. وان ٤٣٪ من هؤلاء يعتقدون ان هذه الفيتامينات تنقذهم مما يعانون منه من تعب او اعياء او خمول او ميل للنوم Lethargic .

ولو فطن هؤلاء الى امكانية حصولهم على تلك الفيتامينات بالمجان دون مقابل ، وذلك من شتى الاطعمة التي يأكلونها كل يوم .. والتي يستطيعون تعديلها بحيث تمدهم بمزيد من فيتامين (جـ) أو (ب) مثلا .. وفق ما تحتاجه أجسامهم ... لما بددوا تلك المبالغ الضخمة على شراء ما لا يفيد ولا ينفع .. بل قد يُسبب

الجديد في العلم والطب

الضرر في بعض الحالات .

ذلك أن فيتامين (أ) وفيتامين (د) قد يسببان الأذى او حتى التسمم فيما لو اخذا بمقادير كبيرة . .

وما يصدق على الفيتامينات يصدق ايضا على الأملاح المعدنية . . . كالحديد مثلا . . فهو يسبب التلف لبطانة المعدة اذا اسرف المرء في تناوله .

وتجدر الاشارة الى ان تقرير مجلة (وتش) لم يحظ بـاجماع الخبراء والاطباء . . وان بعض الأطباء المختصين بشئون التغذية ، كالدكتور درك شريمبتون (Derek Shrimpton) المدير العام لمؤسسة التغذية البريطانية The British Nutrition Foundation وقد علق على التقرير بقوله : « ان بعض الفئات من الناس تستفيد في الغالب من تناول الفيتامينات . كالحوامل والمسنين . . وذوي الدخل المحدود » . . ويضيف الدكتور الى ذلك قوله : ان الفوائد التي تنسب الى الفيتامينات وهمية في الغالب . .

ولعل المصانع التي تنتج هذه الفيتامينات هي المسئولة عن ترويج تلك الفوائد واقناع الناس بحقيقتها ، وذلك ضمانا لبيع المزيد منها وجني المزيد من ارباحها . . وفي ذلك يقول (Boots) بوتس احد كبار أصحاب مصانع الفيتامينات في بريطانيا : « نحن لا نزعم ان تناول الفيتامينات ضروري جدا أو لا غنى عنه ولكننا نعتقد ان الفيتامينات تعود على المرء بفائدة في بعض الحالات . . حالات الارهاق الشديد وحالات النقاهة من الأمراض . . على سبيل المثال » . .

حشوة جديدة للأسنان المتسوسة

كان تسوس الأسنان مشكلة الناس جميعا ، وشغل أطباء الاسنان الشاغل . . وكانت حشوة الملغم (مزيج الزئبق بأحد المعادن) هي الحشوة المفضلة لملء نخور ذلك التسوس . . ولكن تلك الحشوة كانت أشبه بالرقعة . . تتأثر بالسوائل ، الساخن منها و البارد ، ومآلها الى التلف والسقوط ، ان عاجلا أو آجلا . . وقد قبلها المرضى ورضي عنها الأطباء ، مصداقا للمثل القائل :

ان لم يكن ما تريد فأرد ما يكون . . .

ولكن التكنولوجيا غيرت تلك الحال ومكنتنا من الحصول على ما نريد . . فقد ابتكرت حشوة جديدة لثقوب تسوس الأسنان تماما كما تمناها المثاليون من الأطباء . .

ذلك أن الحشوة الجديدة ليست بحشوة على الاطلاق . فهي نسيج من مادة الاسنان نفسها . . الميناء تولد في الثقب فلا تلبث أن تلتصق ، بل تلتحم بجدرانه وتصبح جزءا لايتجزأ من السن ، ويصبح الثقب أثرا بعد عين . ومن مزايا الحشوة الجديدة أنها لا تتأثر ببرودة ولا بسخونة وأنها لا تتلف كحشوة الملغم القديمة ثم انها والسن صنوان . لونا ولمعانا ، ولا سبيل الى التمييز بينها وبينه

والسر في ذلك انما يعود الى الهندسة البيولوجية (أو الوراثية) . فقد نجح العلماء في عزل الجينة (gene) المختصة بصنع الميناء . ونجحوا في حملها على افراز الميناء أو توليدها وذلك بوضعها ضمن خلايا الخميرة . .

وليس لدينا من التفاصيل أكثر مما ذكرنا . . فان طلبت المزيد فما عليك الا الاتصال بالعلماء الذين وفقوا الى تطوير هذه الطريقة ، وهم فريقان . . . فريق من علماء جامعة كارولينا الجنوبية . . وفريق من علماء كلية بايلر baylor في هيوستون في ولاية تكساس .

مقالات في كلمات

● الرجل الذي لايعرف نواحي القوة فيه هدف سهل للمرأة التي تعرف نواحي الضعف فيه .

(شارلي شابلن)

● لاينبغي ان تقول كل ما تعرف ولكن ينبغي أن تعرف كل ما تقول .

(كلوديوس)

● قد يفشل المرء كثيرا في عمله ولكن لاتعتبره خائبا إلا اذا بدأ يلقى اللوم على غيره .

(برناردشو)

● المبالغة في شيء تضعفه .

(جاد فرانسوا)

● لم يتعلم الحياة بعد كل من عجز عن أن يقهر احد المخاوف كل يوم .

(رالف اميرسون)

● قد يغفر الله لنا ذنوبنا وخطايانا ولكن جهازنا العصبي لن يغفرها .

(وليام جيمس)

● لا يتأوه عاشق مجانا .

(شكسبير)

● الرجل العاقل يخلق من الفرص أكثر مما يجد .

(لورد بيكون)

● إن فضل تحرير البلاد الامريكية عائد الى التعليم الاجباري .

(لويد)

فرانز كافكا
وعالم من الغموض

بقلم: الدكتور حامد رمضان مسافر

□ منذ مائة عام ولد كافكا .. ومر سريعا في الحياة ... لكن هذه السرعة لم تمنعه من إبداع روايات اعتبرت جديدة في ميدانها، وفي بنائها.

لذلك يبدو لي في أحيان كثيرة بأن ما أشار اليه الكاتب الانكليزي كولن ولسن في دراسته القيمة « فن الرواية The Craft of Novel »، من (أن تأثير الرواية على مر العصور كان أكبر بكثير من تأثير نظريات داروين وفرويد وماركس مجتمعة على الحضارة الانسانية) يحمل في طياته حقيقة لا يمكن ان تخفى على أحد.

فالغالبية العظمى من الناس لا تستطيع أن تفهم النظريات المعقدة سواء كانت ايديولوجية أو نفسية أو اقتصادية. ولكن من منا لم تستهوه احداث قصة قرأ عدة صفحات منها ؟ من منا لم تستهوه متابعة حلقات مسلسلة عربية شدّته من البداية في التلفزيون ؟ ان عنصر التشويق يشدنا الى أبعد الحدود وربما تصور أحدنا ان احدى شخصيات القصة أو المسلسلة تمثله هو نفسه وأن ما يحدث من خطوب وأهوال لهذه الشخصية أو تلك حصلت أو تحصل له الآن. بل كم من سوء التصرف الذي يصل الى درجة المأساة يحصل لمراهقينا أو حتى لكبارنا وهم يقلدون ما قرأوه في قصة أو شاهدوه في فلم.

حصل ذلك على مر العصور منذ ذاك الصباح في ٦ نوفمبر ١٧٤٠ حين استفاق اهالي لندن ليجدوا تلك القصة المسماة « باميلا » على رفوف اكشاك باعة الصحف والمجلات وكان قد كتبها

النفس والاقتصاد وعلوم الحياة لا يقرؤها الا المتخصصون أو يعلوها الغبار على رفوف المكتبات .

وقد احتفل العالم في العام الماضي بالذكرى المئوية لميلاد فرانز كافكا ، أحد ثلاثة عمالقة في أدب القرن العشرين لم يطاول أحد تأثيرهم على البشرية جمعاء حتى الآن . والاثنان الآخران هما جيمس جويس ومارسيل بروست . وقد عرف الكثير منا كافكا من خلال رواياته المترجمة الى العربية ، ومنها المحاكمة أو (القضية) والقصر أو (القلعة) وقصته القصيرة (المسخ) ، وربما شاهد الكثير منا في السينما رواية (المحاكمة) التي مثلها أورسون ويلز فأبدع فيها أيما أبداع .

ولد فرانز كافكا في الثالث من يوليه ١٨٨٣ بمدينة براغ في تشيكوسلوفاكيا ، ومر بهذا العالم مرورا سريعا فلم يعش فيه الا أربعين عاما . عاش في اسرة يهودية ثم لم يلبث بعد أن قضى طفولة وصبا طويلتين أن رفض الحياة الدينية اليهودية لأنها تقوم على النفاق أكثر مما تقوم على الايمان . وأصبح حائرا لا يستطيع أن يعود الى دين آبائه لأن عقله لا يطمئن الى هذا الدين ولا يستطيع ان يستغني عن حياة دينية صادقة تعمر القلب وتملأ الضمير ثقة واطمئنانا . وحيرة أخرى انبعثت من صلته بوالده فقد أنكر سيرة أبيه في الدين وفي الاسرة وفي تدبير منافعه التجارية لأنه رآها تقوم مقدما على التسلط ولم ير فيها صدقا ولا اخلاصا . ففي سيرته الذاتية التي كتبها بعنوان (رسائل الى أبي) والتي لم يقرأها أبوه أوضح كافكا بأن فشله في الحياة وهروبه من الحياة الاجتماعية بل تردده في الزواج يعود الى ابيه ، ومن هنا وجد له مخلصا واحدا هو الادب وما تقع يداه عليه من مؤلفات وكتب .

ولعل الشعور بالعجز في الحياة الذي أوجده فيه أبوه هو الذي جعل الادب العالمي يغنى بروائع هذا الاديب الخالدة . فلقد التجأ الى الكتابة ليهرب من جحيم الآخرين في دنيا لم يحبها ولم يدر لماذا وُجد فيها ، لكنه كان ككل الناس

صاموئيل ريتشارد سون باسم مستعار . لم يفكر أحد وهو يقلب صفحات ذلك الكتاب بأنه سيحدث ثورة في الحياة الاجتماعية للمجتمع البريطاني . ومنذ ذلك الوقت الذي نفذت فيه طبعات كثيرة من قصة « باميلا » وريتشارد سون يعلو نجمه حتى أنه يقال بأن المكتبات العامة في انكلترة أنشئت بعد أن ألح الناس في طلب « باميلا » .

اذن كان تأثير قصة « باميلا » أكبر بكثير من نظريات فرويد وداروين وماركس . وتوالت الروائع منذ أن كتب (شيلر) « اللصوص » والى يومنا هذا حيث جلبت قصة (مائة عام من العزلة) لماركيز شهرة ما بعدها شهرة ، ونفدت طبعاتها حتى في اللغة العربية بينما مؤلفات عالم

عليه أن يكمل الرحلة التي لم تطل . وربما كان أخص ما يمتاز به فرانز كافكا أشد الامتياز صدقه واخلاصه وبغضه للتكلف وبعده عن التصنع ، وشدة التواضع الذي يأتي من معرفة الانسان قدر نفسه وهو من أجل ذلك كان يكتب لنفسه أكثر مما يكتب للناس ، فقد كان من أشد الناس زهدا في نشر قصصه لا لأنه كان يكابر بها بل لأنه كان يكرهها كما يكره نفسه .

لكنه بعد هذا كله كان أبعد الناس عن الصراحة وأنآهم عن الوضوح فيما كان ينتج من القصص الطوال والقصار . ولم يكن يريد ان ينشر آثاره لكن صديقه (ماكس برود) كان يدفعه دفعا لذلك ، ونشر في حياته قصصا لا تتعدى سبعا في مجلات مختلفة ، وكانت وصيته بعد وفاته سنة ١٩٢٤ لصديقه (ماكس برود) هي أن يحرق كل ما كتبه . ولقد وقف (ماكس برود) حائرا ثم قرر في النهاية ان ينشر جميع قصص كافكا وفاء لذكراه .

ولم تمض على وفاته سوى اعوام قليلة حتى كانت قصصه بعيدة الانتشار في المانيا ثم في أوروبا الوسطى كلها حتى جاوزت أوروبا الوسطى الى أوروبا الغربية وتلقاها الفرنسيون والانكليز بترحاب كبير ، وأخذوا يكتبون عنها ما يكتبون من التفاسير ، واليوم تملأ آثار كافكا معظم المكتبات العامة وبلغات مختلفة ، ولعل الكثير من الحركات الادبية كالوجودية والسريالية والرمزية وأدب اللامعقول اعتبرت كافكا بطلها في حياته وفي أدبه .

عالم من الغموض

تبدو قصص كافكا غريبة في محتواها غامضة كل الغموض فيما ترمي اليه ، وحتى اشخاص قصصه تتصرف تصرفات تبدو لنا غريبة كل الغرابة لكنها بالنسبة لكافكا طبيعية لأنها تمثل ما يعتمل في داخله من ثورة ضد الحياة وضد البؤس واليأس الذي تجسد في أيامه ، لنأخذ مثلا قصصه الثلاث (القضية والقصر وامريكا) . فسنراه في قصته الاولى يبدؤها بداية عادية لكنها غريبة كل الغرابة . رجل يفيق من نومه ذات صباح وينتظر ان تحمل اليه الخادمة طعام الافطار ، ولكن الخادمة لا تدخل عليه بل يدخل عليه رجلان يزعمان له انهما يمثلان الشرطة وأنهما قد أقبلا للقبض عليه ثم يلقيان عليه أسئلة سخيفة يفهمانه بعدها بأنه متهم وانه سيدعى ذات يوم للمثول بين يدي القضاة . وينصرف الشرطيان وهو حائر ومنكر لهذا التصرف وقلق يريد أن يتبين التهمة . لكنه بعد أن يذهب الى عمله كما تعود ان يفعل يحاول ان يقتنع بأنه متهم وان عليه ان يدافع عن نفسه . وذات يوم يدعى بالهاتف الى المحكمة وهو مكان غريب لا صلة له بالمحاكم أو دور الشرطة . وفي اليوم الموعود يذهب فيرى عجبا . . داراً كبيرة قذرة تكثر فيها السلالم والدهاليز ولا يجد الناس طريقهم فيها الا بعد عناء شديد ، وهي دار مسكونة يسكنها أناس فقراء من أواسط الناس . وحين يصل الى غرفة المحكمة يرى جمهورا غريبا وجماعة من الموظفين ، فيجلس في مواجهة القضاة ويحاورهم دون ان يفهم منهم شيئا ، ثم ينصرف وقد ايقن بأنه متهم دون ان يعرف طبيعة التهمة . ويتصل بكبار المحامين وصغارهم وآخرين ليسوا من المحاماة في شيء . ويعده أولئك وهؤلاء بالدفاع عنه وتبرئته ، ولكن أحدا منهم لم يبين له طبيعة التهمة ولم يدله على مكان قضاته . وذات مساء يقبل عليه رجلان في زي رسمي يدعوانه فيستجيب وهو لا يعرف لماذا اقبلا عليه ولأي غرض يدعوانه . وعندما يخرج معهما يأخذه كل واحد منهما من احدى ذراعيه حتى اذا خرجا من المدينة طرحاه على الارض وغمدا خنجرا في قلبه حتى اذا عرف أنه الموت قال : (كما يموت الكلب) وتنتهي القصة .

أغلب الظن ان كافكا أراد بقصته الرائعة هذه ان يصور الانسان كخاطيء لا يشك في

خطيئته ، لكنه لا يعرف طبيعة هذه الخطيئة ولا يعرف كيف دفع اليها ولا كيف تورط فيها ولا كيف يتخلص منها بل ولا حتى امام من يستطيع الدفاع عن نفسه . فهو متأكد بأنه خاطىء ومتأكد بأن هناك قاضيا يعاقب على الخطيئة أو يبريء منها . ومتأكد ان هناك قانونا ينظم عقاب الخاطئين ، ولكنه يجهل طبيعة الخطيئة ويجهل طبيعة القانون ولا يعرف أين يجد القاضي ! ولا يجد الوسيلة التي توصله اليه . ان كافكا يصور الانسان البائس اليائس الذي أجبر على الحياة دون ان يريدها ، وأجبر على الموت دون أن يريده ، وخيل اليه انه حر بين ذلك .

الدعوة الى القصر !

وفي قصة (القصر) تنتهي الى نفس النتيجة اليائسة ، فالبطل هنا قد أقبل من مكان مجهول الى قرية مجهولة يشرف عليها قصر فخم ، وهو يقول للناس انه قد دعي الى هذه القرية . بأمر من القصر ليشغل فيها منصب مساح . ويريد أن يتصل بالموظف المختص في القصر ليتسلم عمله ، ولكنه لا يجد سبيلا الى ذلك . يحاول ان يتصل عن طريق الهاتف فلا يسمع الا أصواتا غامضة لا تدل على شيء . ويحاول ان يتصل بالعمدة فلا يجد عنده علما بهذا المنصب ولا من اختاره لشغله . ويحاول ان يصل الى القصر فلا يجد سبيلا الى ذلك . ويحاول ان يتصل بالقصر بواسطة السعاة الذين يسعون بين القرية وسادة القصر فلا يحصل على شيء . وانما هو الخداع يتبعه الخداع والحيرة تتبعها الحيرة والعناء المهلك والشقاء الذي لا يحتمل . وتنتهي القصة بدون أن يصل صاحبنا الى نتيجة حتى يدركه الموت .

انه الغريب الذي لا يدري من أين جاء ولا الى أين يمضي ، وانما يتصور بأنه قد دعي ، وان له عملا ينبغي ان يؤديه ثم يحال بينه وبين هذا العمل وتضيع حياته في هذه الجهود اللاجدية .

ولو انه استطاع ان يصل الى القصر ويتحدث الى اسياده لوضحت له المعاني . ولكن الاسباب منقطعة بينه وبين القصر . القصر موجود وهو يدير حياة الناس ما في ذلك شك ، ولكنه يدبر الامر من بعيد ، ولا يسمح لأحد بأن يتصل به أو يراجعه في قليل أو كثير .

فكافكا اذن لا ينكر وجود القوة الخارقة المدبرة لكنه لا يعرف كيف يتصل بها ليعرف لماذا يترك ولماذا يحتمل ما يحتمل ؟ .

أمريكا أيضا

أما في قصته الثالثة (امريكا) ففيها كما قال ماكس برود (شيء من الأمل) لكنها كذلك لا تنتهي الى غاية . بطل القصة صبي في السادسة عشرة من عمره سخط عليه ابواه لأن خادمة أغوته ، فنفياه الى امريكا حيث تختلف عليه الاحداث . ثم ينتهي به الأمر بعد كثير من المصاعب الى ان يجد عملا كعامل في فرقة تمثيلية غامضة أشد الغموض ، وقد وُضع مع زملائه في قطار ذهب به الى مكان مجهول . وبعدها تنتهي القصة ، ويبقى مصير الصبي مجهولا بعد ذلك . فهل وصل الى المدينة التي أرسل اليها ؟ وما هي الحوادث التي عرضت له أثناء السفر قبل ان يصل القطار الى غايته ؟ وهكذا فإن القصة ناقصة . . . فلماذا لم يتمها كافكا ؟

ان كافكا حسب اعتقادي ترك النهاية مفتوحة لأنه أراد ان يوصل لقارئه قصة الانسان غير المستقر الذي لا يعرف نهايته . . . ولا يعرف مآله بعد الموت .

ان قصص فرانز كافكا من الخصب والقوة بحيث رسخت في الأدب العالمي شامخة كقلعته الخالدة أو قصره المنيف !

ومازال الكُتاب حتى اليوم يحشون في رموزه . . . وأجوائه الغامضة المثقلة بالكوابيس . □□

من ربع قرن

الحياة جسر لا بد أن يُعبر
أنتم يا شباب أكثر عدداً وأكفى عُدّة

تسألني عن مبتدئه . فقد أقول لا أدري .
وتسألني عن منتهاه . فقد أقول لا أدري .
ولكنه جسر انا موقن أنه لم يوضع هنا عبثا ذلك أني ما عرفت قط جسرا أقيم حيثما أقيم عبثا .
ولكنه جسر لا بد أن يُعبر .
وزمانكم ، يا شباب العرب ، قد يكون أعسر من زماننا ، مقارنة زمان بزمان . والى هذا الحد أسخو في الرأى ، أطلب رضاكم .

ولكني أعود فأقول اذا انتم قارنتم زمانا بزمان ، فقارنوا كذلك شبابا بشباب ورجالا برجال .

انكم يا شباب اليوم أكثر عددا ، وكفى عُدة .
وعلى قدر العدد ، وعلى قدر الكفاية ، ترجى النتائج ، ويرجى تحقيق الآمال .

فاربطوا يا شباب العرب بين صباح أمتكم ومسائها . أنتم ، معشر الشباب ، صباحها ، ونحن ، الأشياخ مساؤها . والمساء خبرة طويلة ثمينة كادت أن تولى ، والذى تغيب عليه الشمس ليس له فى هذه الحياة رجوع .
أقول أنتم اليوم ، يا شباب اليوم ، أكفى ، ولكنها كفاية غير كافية .
انها كفاية لا تفى بحاجات هذا الزمان .
ان من سوء ظننا نحن الآباء ، ومن سوء حظكم أنتم الأبناء ، أننا من أمة بين أمم غفت كثيرا ، وغفت طويلا ، ثم فتحت عينيها على وجه من الأرض تبدل ، وحال من سكان هذه الأرض د تغير ، فأمم كانت متخلفة سبقت . وأمم كانت سابقة تخلفت

وشيئان استجدا على هذه الأرض ونحن فى غفوة .
شىء أسموه علما .
وشىء أسموه صناعة
ثم تفاعلات فى الفكر الانساني قلبت شئون الحياة رأسا على عقب . ومفاهيم شائعة سيارة تغيرت معانيها . وحجب كانت أسدلت على وجوه وعقول تمزقت جميعا ، وتغير معنى الدولة ، وتحددت الأمور فيها بما لم تكن تحددت على مثله من قبل . والفرد صار له حقوق من تعليم ، وحقوق من عمل . وولدت مدنية جديدة ، وأساليب للعيش جديدة لم تقتصر على زمرة فى الناس أو زمر ، ولكن شملت أكثر الشعوب حيثما نشأت هذه المدنية . وحتى الذين وقفوا فى الصفوف الأخيرة من شعوبهم نالهم من خير هذه المدنية ، مادة وعقلا ، فوق ما نال أمثالهم فى صفوف أمم أخرى لها من هذه المدنية حظ قليل .

العدد السادس مايو ١٩٥٩

عالم جديد لا شك فى هذا .
ومدنية عارمة لا شك فى هذا
عالم جديد ، ومدنية غارمة . لم يكن كمثلها فى سابق الزمان شيء .

وأنتم ، يا شباب العرب ، لا يمكنكم ان تعيشوا بمعزل عن هذا العالم الجديد والمدنية العارمة ولو أنكم شئتم تعزلا ما استطعتم . ان هذه المدنية كالماء يعطى الحياة أو هو يغرق . انها كالبحر الذى فاض وأخذ يتسلل فيضه الى كل بقعة مجهولة معزولة من سطح هذه الأرض ، لن ينجو منه من أهلها الا ذو سفين . فالذى لا يكون له سفين يذهب الى القاع . فاين سفينكم ؟

ان العصر عصر ذرة ، شاع أو سيشيع خيرها ، اذا أذن له ، حتى يلف هذه الكرة والعصر عصر ذرة ، ذاع أو سيذيع شرها حتى ما يترك موقعا الا اتاه ، فأهلك فيه راعية وراعيا . ومع الذرة صواريخ لها هى الأخرى خيرها وشرها ، ولكن شرها أوضح وأكثر اغراء .

وكما التهبت الأرض الجامدة بذرات وصواريخ ، كذلك نال العقول من لهيبها لهب ، واستعرت به الأرض أو كادت . فما من أمة الا وبها قلق ، وما من أمة الا وبها توثب وتحفز . والقارات جميعا أخذت تهدر بطونها مسموعة ، هديرا يصل الى بعض الآذان فتحسبه بشير خير ، وهو يصل الى آذان أخرى فتحسبه نذير شر ، وما أكثر ما تختلط النذر والبشائر . وما أكثر ما تحار فيها العقول . والسماء تلمع بالبرق أشد اللمع ، وتقصف بالرعد أشد القصف . فقد يكون من ذلك الرى الذى ينتظم الأرض جميعا ، وقد تكون الصواعق التى تهلك الناس والسيول التى تغرق الحرث والنسل .

كأني أسمع من يقول · ومن ذا الذى لا يعلم أن هذا العصر جديد ، وأن مدنيته عارمة ، وأن المستقبل ملىء بارهاصات يتقدمها برق ورعد

فالى هؤلاء أقول ، ان العلم غير الوعي . والوعي درجات ، منها الوعي السالب . وتجده فى طرف . ومنها الوعي الموجب . وتجده فى الطرف الأخر .

الوعى ذو السلب فأشبه بوعى الحالم . انه يعى من وجوده ما يعى الحالم . ثم هو كالحالم يترك المقادير تسوقه الى حيث هى تشاء ، لا الى حيث هو يشاء

أما الوعي ذو الايجاب فهو الوعي اليقظ أتم يقظة . ذلك الذى يحفزه الواقع المسيء ، أو المستقبل المخطر ، الى أن يقوم فيخطط لحاظره ومستقبله فهو لا يترك الزمن يخطط وحده وهو يتدخل فى ارادة هذا الزمن ليشركه فى ارادته بإرادة منه اقوى ، وهو بذلك قد يعدل من وجهته ، وقد يعكس هذه الوجهة عكسا . وهو لا يقول انها المقادير ليس بمستطاع أن يدفعها الانسان دفعا ، وانما هو يفرض ارادته عليها فرضا حتى تصبح ارادته هذه بعض هذه المقادير .

ان هذه الأحداث الجارية ، وتلك الأخرى المنذرة أو المبشرة ، انما تصنعها وتجرى بها ارادات رجال . وقد سبق الى هذا المعنى فيلسوف الألمان ، « شوبنهور » ، فألف كتابا سماه « انما الدنيا ارادة » .

الدكتور أحمد زكي

ليت ما في الغيب يأتي

شعر الدكتور : عيسى درويش

ليت ما في الغيب يأتي　　　فلقد طال انتظاري
كم قطعت العمر أمشي　　　نحو آمال كبار
كلما لاح بريق　　　خلته بعض نهاري
واذا بالليل يأتي　　　يزرع اليأس بداري

●●●

أيها المجهول أقبلْ　　　ربما ترتاح عندي
فأنا مثلك طيف　　　مرّ من قبلٍ لبعدِ
انني أقبل ما تخـ　　　ـفيه من نحس وسعد
كل مكتوب سيأتي　　　فمتى يصدق وعدي

أيها الآتي الينا ... لا تغب عنا طويلاً
فاذا كنت جميلاً ... سترى قلباً جميلاً
واذا خيبت ظني ... سترى مني قبولاً
فأرحني من عذابي ... أصبح الجسم عليلاً

●●●

يا صديقي لا تلمني ... وعش العمر رغيداً
ودع الأحزان تمضي ... واترك الهم بعيداً
روعة الانسان أن يحـ ... ـيا لياليه سعيداً
فتأمل يا صديقي ... واجعل الأيام عيداً

الإنسان يبني .. الإنسان يهدم

تلوث الهواء يهدد وجودنا

بقلم : محمود عزو صفر

☐ [في الماضي السحيق كانت الطبيعة وحدها هي العامل الاساسي في تلوث الهواء . . وفي تنقيته ، أما اليوم فقد اختل التوازن ، واصبحت قدرتنا على تلويث الهواء ، أكثر بكثير من قدرة الطبيعة على تنقيته . . اننا نتنفس هواء ملوثا ، ومعه أصبحت حياتنا مهددة بالخطر !!]

لم يكن الهواء الذي يحيط بنا في يوم من الأيام نظيفا ونقيا . فلقد كان هذا الهواء دائما ملوثا بالمواد الطبيعية : كالأتربة والغبار التي تثيرها وتحملها الرياح النشطة ، وذرات الملح التي تتصاعد من البحار والمحيطات ، والغازات التي تنبعث من تلف النباتات والحيوانات ، والكميات الضخمة من الغازات وذرات الرماد التي تقذفها البراكين في الفضاء .

ويؤكد العلماء بأن الأرض استطاعت خلال ملايين السنين الماضية المحافظة على التوازن البيئي ، وبالتالي الابقاء على جو الأرض نظيفا ، فالرياح كانت تعمل على مزج وتشتيت الملوثات ، والامطار والثلوج كانت تغسل الجو من هذه الملوثات ، والنباتات تمتص غاز ثاني اكسيد الكربون وتطلق الاكسجين . وهكذا كان الغلاف الجوي يقوم تلقائيا بالمحافظة على

البيئة نظيفة سليمة .

مع قيام الثورة الصناعية وازدياد عدد السكان اختل هذا التوازن حيث أصبحت قدرتنا على تلويث الهواء أكثر من قدرة الطبيعة على تنقيته . ولقد ظهرت آثار هل الاختلال في المناطق التي تتركز فيها الصناعة ، حيث تصب آلاف المصانع الدخان الأسود والغازات الكبريتية في الهواء .

وعندما تكون الأحوال الجوية في منطقة من المناطق مهيأة للابقاء على المخلفات الصناعية قريبة من سطح الأرض لعدة أيام ، فان صعوبة التنفس والسعال أو الرشح والتهاب العيون تنتشر بكثرة بين الناس وخاصة المسنين ، كما تزداد الوفيات بسبب التهاب الرئتين وأمراض القلب . واعتبارا من منتصف القرن التاسع عشر أخذت مآسي التلوث تتكرر في المناطق الصناعية في أوروبا وأمريكا مخلفة وراءها الأمراض والوفيات ولقد صدر في مدينة بتسبرغ بالولايات المتحدة الامريكية أول قانون للتحكم في التلوث عام ١٨١٥ ، كما صدر في عدد من المدن الصناعية قوانين محلية للحد من الادخنة التي تطلقها المصانع في الجو . وكانت انجلترا قد أصدرت في عهد الملك ادوارد الأول عام ١٢٧٣ أول قانون للتحكم في التلوث وذلك للحد من حرق الفحم الحجري واستعمال النيران .

على أن الصورة قد تغيرت نسبيا بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث حل النفط والغاز الطبيعي

الى حد كبير محل الفحم الحجري ، ومع هذا فان حدة التلوث قد ازدادت تدريجيا نظرا لزيادة عدد السكان وللتوسع في الصناعة وانتشار وسائل النقل ، حيث بلغ تلوث هواء بعض المدن حدودا خطرة كما هو الحال في مدينة لوس انجلوس حيث يوجد فيها أكثر من ثلاثة ملايين سيارة ، ومن المعروف أن السيارة [illegible] تطلق في العام حوالي طن من غاز أول اكسيد الكربون (احتراق طن واحد من البنزين يؤدي الى تشكل ٦٠ كيلو غراما من أول اكسيد الكربون) والهواء مهما كان نظيفا فانه يحتوي على شوائب غازية وسائلة وصلبة ، وهذه الشوائب تشكل جزءا متناهيا في الصغر من مجمل الغلاف الجوي .

ويسمى الجزء السفلي من الغلاف الجوى بالتروبوسفير ، ويبدأ من سطح الأرض حيث يصل ارتفاعه الى حوالى ١٨ كم فوق المناطق الاستوائية ، في حين يصل ارتفاعه الى حوالى ٧ كم فوق المناطق القطبية ، كما أن هذا الارتفاع يتغير بتغير الفصول وبتقلبات الضغط الجوي فوق سطح الأرض . وفي هذه الطبقة من الغلاف الجوي تنخفض درجة الحرارة مع الارتفاع بمعدل ٦٫٥° م لكل كيلو متر واحد ، كما أن جميع الظواهر الجوية تحدث في هذه الطبقة ، وتمتزج الشوائب في هذه الطبقة بواسطة الرياح وتيارات الحمل الصاعدة والهابطة . لذا يبقى الجو على وجه العموم نقيا ، باستثناء المناطق الصناعية حيث تتركز الملوثات ، وكذلك الحال في المدن حيث تكثر وسائط النقل المختلفة .

مكونات الغلاف الجوي

يتكون الغلاف الجوي من عنصرين رئيسين هما : الأزوت (النيتروجين) بنسبة ٧٨ ٪ وهو غاز لا يحترق بسهولة ، والاكسجين بنسبة ٢١ ٪ ، وهو غاز فعال يساعد على الاشتعال ويتحد مع معظم العناصر الأخرى . وهذان العنصران يشكلان ٩٩ ٪ من مجموع الغلاف الغازي ، أما الباقي فهو ١ ٪ فهو عبارة عن عدد من الغازات التي تمتزج بنسبة ضئيلة جدا ، وهذه الغازات هي : الأرغون ، النيون ، الهيليوم ، الأوزون ، ثاني اكسيد الكربون . ومن الجدير بالذكر أن الأرغون يشكل ٠,٩ من الـ ١ ٪ وهو غاز خامل ، بينما تشكل بقية الغازات ١و. من الـ ١ ٪ أي ما يعادل ١٠٠٠ جزء لكل مليون جزء من الهواء الجاف . ويكون غاز ثاني اكسيد الكربون هذه الكمية ، أي حوالي ٣٣٠ جزءا في المليون ، وهذه الكمية المتناهية في الصغر هي المسؤولة عن عملية التمثيل الكلوروفيلي ، كما أن غاز ثاني اكسيد الكربون هذا هو الذي يحافظ على حرارة جو الكرة الأرضية خلال الليل . ذلك لأنه يمتص بكثرة الاشعاع الأرضي ويمنع تسربه الى الفضاء الخارجي .

أما ثلثا عشر الـ ١ ٪ الباقية من حجم الهواء الجاف فهي عبارة عن مجموعة الغازات الخاملة ، وهي : نيون ، هيليون ، هيدروجين ، كريبتون ، بالاضافة الى الملوثات المختلفة كالأوزون ، أول أكسيد الكربون ، الهيدروكربونات ، جسيمات صلبة ومواد سائلة .

أن جميع النسب التي تحدثنا عنها آنفاً حول تركيب الغلاف الجوي ، انما أحتسبت على أساس أن الهواء جاف ، غير أنه في حقيقة الأمر فان الجو مهما كان جافا فانه لا يخلو كلية من بخار الماء ، فهو موجود دائما ، وتتراوح هذه الكمية بين حوالى صفر فى المائة في هواء الصحارى الى حوالى ٤ ٪ من حجم الهواء فوق البحار والمحيطات . وبالرغم من صغر هذه الكمية فانها المسؤولة عن الظواهر الجوية كالسحب والأمطار والثلوج ، بالاضافة الى أن بخار الماء

والذي يكثر وجوده في طبقات الجو السفلي ، يعمل على امتصاص جزء من الاشعاع الشمسي وبذلك يحتفظ بحرارة الجو .

ومن الجدير بالذكر أن الاشعاع الشمسي وبخار الماء يلعبان دورا كبيرا في عملية التلوث . فأكسيد الكبريت تتحد مع بخار الماء المعلق في الهواء وتكون أحماض الكبريت ، أو ما يعرف بالمطر الحمضي كما ان أكاسيد الأزوت تتحد مع الهيدروكربونات مكونة الأوزون ، كما أن غاز الأوزون هذا يتكون في طبقات الجو العليا بفعل الأشعة فوق البنفسجية . ولو أننا قارنا بين الملوثات المعلقة في الهواء وبين الحجم الاجمالي للغلاف الجوي الذي يحيط بالكرة الأرضية لوجدنا أن هذه النسبة ضئيلة جدا لا تكاد تذكر ، وبالتالي يخيل الينا للوهلة الأولى أنها لاتشكل خطورة على سكان هذا الكوكب ، غير أننا من ناحية أخرى نجد أن كمية الملوثات التي تنطلق في الجو تزيد على مئات الملايين من الاطنان . ففي بلد كالولايات المتحدة الأمريكية بلغت الملوثات (١٩٤ مليون طن) عام ١٩٧٧ ، أي ما يعادل حوالي طن للشخص الواحد ، وتشمل هذه الملوثات : أول اكسيد الكربون ، الجسيمات المعلقة ، أكاسيد الكبريت ، أكاسيد الأزوت ، الهيدروكربونات .

مصادر الملوثات وتأثيرها

● الجسيمات الدقيقة

قد تكون هذه الجسيمات صلبة أو على شكل قطرات سائلة ، وهي من الصغر بحيث تبقى معلقة في الهواء . ويتراوح حجم هذه الجسيمات بين ذرات مرئية ، كما هو الحال في السناج والدخان الى جزيئات دقيقة لا يمكن مشاهدتها الا بالمجاهر الاليكترونية . وتبقى الجسيمات الدقيقة معلقة في الهواء لفترة طويلة حيث تنقلها الرياح الى مساحات بعيدة . وتصل هذه الذرات الى الهواء بفعل النشاط الصناعي ، ووسائل النقل المختلفة ، والعوامل الطبيعية كالغبار والرمال التي تنقلها الرياح الشديدة ، وحرائق الغابات وثورة البراكين . وعلى سبيل المثال فان كمية الغبار والأتربة التي انطلقت الى الغلاف الجوي عند ثوران بركان « كراكاتاو » ـ احدى الجزر الاندونيسية ـ عام ١٨٨٣ ، تقدر بعشرات الملايين من الاطنان ، ولقد انتشر هذا الغبار حول الكرة الأرضية والى ارتفاعات تصل الى حوالي خمسين كيلومترا .

وتقدر كمية الغبار الذي ينطلق من المصادر الصناعية أو الذي يتصاعد بفعل العوامل الطبيعية فوق سطح الكرة الأرضية بحوالي ٧٠٠ مليون طن في كل عام . .

وتدل الدراسات على أن كمية الغبار المترسب في القاهرة مثلا تبلغ ٤٧٨ طنا على الميل المربع (١٨٧ طنا على الكيلومتر المربع) في الشهر ، وقد بلغت كمية الغبار والأتربة المترسبة في الكويت خلال شهر أغسطس من عام ١٩٧٩ ، (٢٣٩) طنا على الكيلومتر المربع في حين بلغ المتوسط الشهري خلال عام ١٩٧٩ (٩٠) طنا / كم ٢ . وهذه الجسيمات تؤذي الرئتين لأنها قد تكون من الصغر بحيث تدخل مع الهواء عبر الشعب الهوائية كما قد تسبب بعض الجسيمات التهاب العيون وأمراض الحساسية كما تؤثر في الجهاز العصبي .

● ثاني اكسيد الكبريت

ينتج هذا الغاز عند احتراق الوقود الحفري (بترول ، فحم حجري ، غاز طبيعي) ، ويعتبر هذا الغاز الخانق من الملوثات الرئيسية في المناطق الصناعية وعلى الأخص حيث توجد محطات القوى الكهربائية . فالمحطة الكهربائية الواحدة التي تعمل بالفحم الحجرى أو النفط

تنفث في الهواء حوالى عدة أطنان من هذا الغاز في الساعة الواحدة ، وعند احتراق ١٠ أطنان من الفحم الذي يحتوي على نسبة عالية من الكبريت فان حوالى طن واحدا من غاز ثاني اكسيد الكبريت ينطلق في الهواء ويصيب هذا الغاز الجهاز التنفسي فيسبب التهاب القصبات ، السعال ، الرشح ، الربو ، كما أنه يهيج الجلد والعيون . ويزداد خطر هذا الغاز عندما يكون الجو رطبا وخاصة أثناء الضباب أو عند هطول الأمطار حيث يتحد مع قطرات الماء فيتشكل ما يعرف بالمطر الذي يلحق التلف بالمعادن والأحجار ، والنايلون ، ناهيك عن الأذى الذي يلحقه بالانسان والحيوان والنبات .

وتقدر الكمية المتصاعدة من أكاسيد الكبريت في دولة الكويت بـ (٢٠٤ الف طن) في العام الواحد ، بينما تصل هذه الكمية الى (٢٧ مليون طن) في الولايات المتحدة الأمريكية في العام الواحد .

● أول اكسيد الكربون

غاز سام ، لا لون له ولا رائحة ، وينتج عند الاحتراق غير الكامل للوقود كما هو الحال في السيارات التي تعتبر من أكبر مصادر هذا الغاز . ويتبين من احصائية نشرتها وكالة حماية البيئة الأمريكية لعام ١٩٧٧ أن وسائط النقل المختلفة (سيارات . . عربات نقل) هي المسؤولة عن حوالي ٨٠ ٪ من غاز أول اكسيد الكربون ، وأن ما تطلقه السيارات والمركبات المختلفة يشكل حوالي ٥٥ ٪ من اجمالي الملوثات في الولايات المتحدة الأمريكية ، هذا ويزداد خطر هذا الغاز في المناطق التي تزدحم فيها السيارات .

وعلى وجه العموم فان هذا الغاز لا يوجد عادة بدرجة تركيز عالية في الهواء ، الا في وسط المدن حيث تكثر السيارات وخاصة في ساعات الازدحام . ان حوالي جزء واحد من هذا الغاز في مائة ألف جزء من الهواء يسبب المرض ، بل أنه قد يسبب الوفاة عندما تصل درجة تركيزه الى نسبة عالية . ويحل غاز أول اكسيد الكربون محل الاكسجين في كريات الدم الحمراء ، وبذلك تقل كمية الاكسجين التي تصل الى أجزاء الجسم المختلفة ، ومن المعروف أن الاستمرار في نقص الاكسجين يؤثر في الدماغ والقلب .

وفي دولة الكويت يتبين أن كمية غاز أول أكسيد الكربون الذي ينطلق في الجو تبلغ (٥٠٢ ألف طن) في العام ، على أن أخطر ما في هذا الأمر أن ٨٤ ٪ من هذا الغاز ينحصر في مدينة الكويت وضواحيها .

وفي الولايات المتحدة الامريكية ينطلق من هذا الغاز (١٠٣ مليون طن) . في العام .

● الهيدروكربونات

هذه المركبات شأنها شأن أول أكسيد الكربون تنتج عن عمليات الاحتراق غير الكامل للوقود . وفي الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن كمية هذه المركبات تصل الى (٢٨ مليون طن) في العام ، (٤٠ ٪) منها ينطلق مع غازات العادم وفي دولة الكويت تتشكل معظم هذه المركبات من : مصافي البترول ، وحدة انتاج الأمونيا ، حركة المرور وتبلغ كميتها في العام (١١٦ الف طن) ، يتصاعد معظمها (٦١ ٪) من منطقة الشعيبة .

وتشير بعض الدلائل الى أن بعض هذه المركبات سام ، وقد يسبب أمراضا خطيرة غير أن البعض الآخر من هذه المركبات غير سام ، ويزداد خطر هذه الملوثات عندما تتحد مع الأوزون أو أكاسيد النيتروجين بوجود ضوء الشمس .

●أكاسيد النيتروجين

وهي غازات سامة ، تسبب الوفاة اذا وجدت

بتراكيز عالية في الهواء . وتتولد هذه الغازات عندما يحترق الوقود في درجة حرارة عالية ، حوالي ٥٦٠°م ، فيتسبب ذلك في احتراق النيتروجين الجوي . وفي الولايات المتحدة الامريكية تتولد معظم هذه الغازات (٥٠ ٪) من عمليات التدفئة و (٤٠ ٪) تنتج مع غازات العادم . أما أهم مصادر هذه الغازات في الكويت فهي محطات التقطير ، ووسائل النقل المختلفة ، والمخلفات الغازية في مصافي النفط .

تسبب هذه الملوثات تهيج العيون كما تؤذي الرئتين ، على أن من أشد مخاطرها اتحاد ثاني أكسيد النيتروجين مع الهيدروكربونات بوجود أشعة الشمس حيث يؤدي هذا الاتحاد الى تشكل غاز الأوزون السام .

● الأوزون

ينتشر غاز الأوزون في طبقة الغلاف الجوي التي تقع على ارتفاع يتراوح بين ١٥ كم و ٥٠ كم ، وتصل نسبة تركيز غاز الأوزون في هذه الطبقة الى حوالي ٨ أجزاء لكل مليون جزء من الهواء . ووجود الأوزون على مثل هذه الارتفاعات العالية يبعد خطر سُمِّيَّة هذا الغاز عن الانسان والنبات والحيوان . ويبلغ متوسط تركيز هذا الغاز عل مستوى سطح الأرض أقل من ٠,٠٧ جزء في المليون وان كانت درجة التركيز هذه قد تصل ال حوالي ٠,٥ جزء من المليون خلال الايام التي يسود فيها الضبخان (ضباب + دخان) "Smog" وهو منتشر في الدول الصناعية وبريطانيا بصفة خاصة .

* SMOG : الانجليزية كلمة تجمع بن كلمتي SMOKE ومعناها الدخان ، وFOG ، وتعني الضباب .

ثاني أكسيد الكربون

ينتج هذا الغاز بفعل عمليات احتراق الوقود الحفـري (بتـرول ، فحم حجـري ، غـاز طبيعي) ، ويؤكد العلماء بأنه مع بداية الثورة الصناعية في غرب أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر أخذت كمية غاز ثـاني أكسيد الكـربون بالازدياد تدريجيا في الغلاف الجوي . ففي عام ١٩٥٦ بلغت كمية الكربون ممثلا في ثاني اكسيد الكربون والذي انطلق في الهواء نتيجة الاحتراق الوقود الحفري حوالي (٢٢٠٠ مليون طن) ، أما في الوقت الحاضر فان هذه الكمية تزيد عن (٥٠٠٠ مليون طن) في العام .

ولقد زادت كمية غاز ثاني اكسيد الكربـون في الغلاف الجوي في الفترة من عام ١٩٥٧ الى الآن بنسبة ٦ ٪ كما يقدر - حاليـا - الوزن الاجمالي للكربون في الهواء بما يـزيد عن (٧٠٠) ألف مليون طن) .

ومن خصائص غاز ثاني اكسيد الكربون أنه يسمح للاشعاع الشمسي بالمرور عبر الغـلاف الجوي والوصول الى الارض في حين أنه يمتص الاشعاع الحراري الذي ينبعث من الارض ولا يسمح له بالانطلاق نحو الفضاء ، وهكذا يحتفظ بالحرارة على مقربة من سطح الأرض ، الأمـر الذي قد يؤدي الى ارتفاع درجة الحرارة على هذا الكوكب اذا ما استمر تزايد تركيز هذا الغاز في الغلاف الجوي ، ويتكهن بعض العلماء بأن هذه التـدفئة لجـو الأرض قد تؤدي الى تغييـرات في المناخ المحلي العالمي .

وهكذا نرى مما تقدم أن لتلوث الهـواء آثارا ضارة على الصحة ، ويتوقف ذلـك على نـوع وكمية الملوث في الجو . وعلى وجه العموم فإنها تؤدي الى تهيج كل من الجهاز التنفسي ، والعيون والانف ، بالاضافة الى الاصابة ببعض الأمراض كأمراض الرئة والربو الشعبي ، ويزداد تفاقمها لدى المصابين بها عند تلوث الهواء .

وتلوث الهواء لايؤدي فحسب الى الاصابة ببعض الامراض أو أنه يـزيد بعض الامـراض سوءا بل انه قد يؤدى الى الوفاة ، وعلى الأخص عنـدما تحدث ظاهـرة الضبخـان (ضبـاب + دخـان) . وهذه الـظاهرة تحدث في المنـاطق الصناعية حيث يختلط دخان المصانع بالضباب . فلقد أدى حدوث هذه الظاهـرة الى وفاة ١٠٣ أشخاص في جلاسكو في خريف عام ١٩٠٩ .

ولعل من الحوادث المشهورة والتي كان سببها هذا النوع من التلوث ماحدث في لندن في الفترة مابين الخـامس والتاسـع من شهر ديسمبـر عام ١٩٥٢ حيث أدى ذلك الى وفاة ٤٠٠٠ شخص ذلك لان مزيج (الضباب + الدخان) وبسبب استقرار الجو وركوده آنذاك أدى الى بقـاء هذه الظاهرة مدة أربعة أيام بالتالي نتج عنه : ضيق في التنفس ، وأرتفـاع في درجة حـرارة الجسم ، والى زرقة في البشرة بسبب نقص الاكسجين في الدم . ولقد كانت الاسباب الرئيسية للوفـاة : الالتهاب الرئوي الحاد وأمراض القلب .

والعلاج

ربمـا كان انشـاء الاحزمـة الخضـراء حـول المصانع والمستشفيات والمدارس ، والاكثار من المساحات الخضـراء في المدن ، أهم عـامل من عوامل تنقية الهواء ، ثم الاهتمام بعد ذلك باقامة الاجهـزة الخـاصـة بمـراقبـة تـركيـز الملوثـات المختلفـة ، واجـراء الفحص الـدوري عـلى السيارات ونشر الوعي البيئي بين المواطنين .

ترى هل يأتي اليوم الذي ينجح فيه الانسان في استخدام الطاقـة الكهربـائية لتسيير السيارة ، والاستغناء عن الوقود التقليدي الذي يحترق في ملايين السيارات ويؤدي الى تلويث الجو بغبار أول أكسيـد الكـربـون ، وأكـاسيـد الازوت والمركبات الهيدرو كربونية . . ؟ الانسان وحده هو القادر على انقاذ حياته من التلوث . □□

ماذا يعني تشخيص الأمراض الوراثية ؟

بقلم الدكتور غسان حتاحت

□ الوراثة وأمراضها خضم واسع يضيع فيه الملاح الماهر ، وصحراء مترامية الأطراف ينكرها عابر القفار . وهي في بعض الأمراض ذات دور رئيسي هام ، وفي بعضها الآخر عامل من عدة عوامل . وللوراثة اسرار وغوامض . كلما كشف العلم جانبا منها تبين له عمق غورها واتساع مداها .

البحث في الأمراض الوراثية يشبه محاولة حل لغز من ألغاز أجاثا كريستي أو حادثة معقدة من روايات آرثر كونان دويل . فكثيرا ما ننطلق من علامات بسيطة أو دلائل قد لا تثير الاكتراث إلى تشخيص أمراض خطيرة ، ومحاولة البحث عن وقاية منها أو علاج لها ، أو طريقة مقبولة للتعايش معها .

والتشخيص في أحيان كثيرة كالمشعل ينير جوانب من أسرار المرض وتبقى مع ذلك جوانب أخرى مظلمة مجهولة ، وبصيص من ضوء خير من ظلمة مطبقة .

وهنا سوف أعرض بعض حالات وراثية ، تبين كيف أن التشخيص الصحيح ، وإن كان يعجز أحيانا عن أن يقودنا إلى علاج فيه الشفاء التام ، فهو لا يتركنا حيارى ولا قليلي الحيلة ولا عزّلا تجاه أمراض خطيرة .

عون كبير

فقد راجعتني ـ مرة ـ أم مع طفلها لعلاجه من أعراض زكام حاد . وأثناء فحصه أثارت انتباهي واهتمامي بضع وحمات صباغية على الجلد ،

ذات لون بني فاتح تسمى طبيا « بقع القهوة بالحليب » وذلك بسبب لونها المميز . وتصادف هذه البقع كثيرا دون أن تكون ذات دلالة ما ، لكنها أحيانا تكون ذات أهمية تشخيصية كبيرة في بعض الأمراض . خاصة إذا كانت متعددة أو واسعة أو مترافقة مع مظاهر أخرى تماثلها في عدم إثارتها أي اكتراث من قبل الأهل .

وقد فتشت بقية نواحي الجلد لدى هذا الطفل وخاصة الناحية الابطية ، حيث عثرت على نمشات صغيرة بنية اللون وهي ماكنت أبحث عنه . إذ تكاد هذه النمشات أن تكون علامة مبكرة شبه واسمة لمرض نادر هو مرض « فون ركلنغهاوزن » ، وهو مرض تتطور أعراضه ومظاهره مع تقدم العمر . وهو وراثي يتبع في انتقاله من السلف إلى الخلف ما نسميه بنمط الوراثة القاهرة .

وعندما سألت الأم عن وجود مثل هذه الوحمات لديها أو لدى زوجها أجابت أنه يوجد لدى زوجها الكثير منها وأنه مصاب بآلام مفصلية وعصبية وأنه شبه مقعد . وطلبت أن أراه . وعندما قمت بفحصه تأكدت من وجود هذا المرض لديه وبالتالي وجوده لدى ابنه .

وهنا يحق لنا أن نتساءل ما هي فائدة التشخيص المبكر لمرض لا توجد طرق مجدية للوقاية منه ، وليس له علاج ، وسيره نحو الأسوا حتمي أكيد ؟ أليس التشخيص المبكر في مثل هذه الحالة كالبوم يبشر بالأخبار السيئة ويخبر بالمصيبة قبل وقوعها ؟ (والبوم ـ والحق يقال ـ متهم بريء . .) .

وجواب هذا التساؤل واضح . وهو أننا عندما نتوقع مصيبة ما، أو أمراً سيئاً ، فاننا نستعد لاستقباله بما يناسب ذلك ، ونكون أقدر على تحمل العبء منا عندما لا نكون مستعدين متهيئين .

وقد شرحت للأهل شيئا عن طبيعة هذا المرض ، وكيفية انتقاله بالوراثة . وكانت نصيحتي لهم هي أن عليهم منذ الآن أن يخططوا لمستقبل هذا الطفل ، بحيث يتناسب ما يرسمون له مع احتمال العجز المتوقع ، وأن يوجهوه الى اختيار مهنة في المستقبل لا يضيرها هذا العجز وبهذا نكون قد قدمنا للطفل ما نستطيع من مساعدة ، كما ذكرت للأهل ان عليهم أن يفكروا في احتمال تكرر حدوث هذا المرض ثانية اذا قرروا انجاب أطفال آخرين .

وهكذا يكون التشخيص المبكر قد قدم لـ عونا كبيرا ، تماما كما يساعد الانذار المبكر بحدوث الأعاصير ، فهو لا يمنع الاعصار لكنه ـ بسبب الاحتياطات المتخذة ـ يجعل أذاه محدودا ضئيلا .

ألا ترون معي أن ملاحظة بضع وحمات جلدية يشبه لونها لون القهوة بالحليب ، وتسمى طبيا بهذا الاسم ، قد ساعدت طفلا مصابا بمرض وراثي ـ ليس له في المستقبل المنظور علاج ـ بأن تعرف على حقيقة مرضه ؟

حفيدة ابراهام لنكولن

وحادثة اخرى ، طفل حوّل إليّ على أنه مصاب بمرض نادر هو مرض مارفان ، وكان هذا الطفل طويل القامة نحيلا ، وكان لديه تخلف عقلي خفيف ، وتحدد في حركات المفاصل ، وكانت عدسة العين لديه مخلوعة في العينين .

إن قسما من هذه الظواهر الآنفة يتناسب مع مرض مارفان . غير أن وجود تحدد الحركة في المفاصل لم يجعلني مستريحا إلى هذا التشخيص . ذلك انه في مرض مارفان يحصل فرط في حركة المفاصل لا تحدد فيها . لذلك رجحت أن يكون لدى هذا الطفل مرض آخر يسمى « بيلة الهوموسستين » . وهو واحد من مجموعة كبيرة من أمراض اضطرابات استقلاب الحموض الأمينية التي تتشكل منها البروتينات . وعندما طلبت تحري هذه المادة في البول أظهرت نتيجة الفحص وجود هذا المرض لدى الطفل .

وقد ساعدنا هذا التشخيص على إعطاء الأهل شرحا وافيا عن هذا المرض ، وعن نمط وراثته واحتمالات تكرر حدوثه . ومن جهة أخرى فإن لهذا المرض حمية خاصة وعلاجات مفيدة تخفف على الأقل من شدة الأعراض ، وتوقف سير المرض نحو الأسوأ .

وهكذا استفدنا من نفي وجود تناذر مارفان وتشخيص بيلة الهوموسستين وكان ذلك استنادا الى مظهر بسيط هو وجود تحدد في حركة المفاصل .

وعلى ذكر مرض مارفان فإن هناك مريضاً مشهوراً جداً كان لديه هذا المرض ، رغم أنه لم يشخص إلا بعد عشرات السنين من وفاته ، وهو أبراهام لنكولن ، أحد أشهر رؤساء الولايات المتحدة السابقين . وثمة قصة طريفة وراء تشخيص هذا المرض لديه . فقد كان أحد اخصائيي أمراض الوراثة يفحص مريضة لديها أعراض ومظاهر مرض مارفان ، وبما أن هذا المرض وراثي فقد سألها عن وجود أعراض مماثلة لدى الأب أو الأم فوجد أن الأم مصابة به ، وكانت هذه الأم حفيدة أبراهام لنكولن .

فكان أن فحص الطبيب سجلات الرئيس لنكولن الصحية ، واستنتج منها أنه كان مصابا بهذا المرض الذي لم يصفه الأدب الطبي إلا بعد سنوات طويلة من مقتل لنكولن .

ولقد كان هذا تشخيصا طريفا لمرض نادر تم بعد وفاة المريض بعشرات السنين . وقد أكد هذا التشخيص حقيقة معروفة ، وهي أن وجود مرض وراثي لا يعني بالضرورة أن المريض عاجز أو شبه عاجز .

اثناء فحص رويكن

ومريض آخر ، طفل في أشهره الأولى ، جيء به الى عيادتي لمعالجته من انتان معوي ، وأثناء الفحص « الروتيني » تحريت لديه حركة المفصل الحرقفي الفخذي (أو مفصل الورك) - وهو فحص نجريه دائما وأبدا في كل مرة يراجعنا فيها طفل تحت السنة الأولى من العمر - فوجدت عنده علامات تشير إلى وجود خلع في هذا المفصل . وهذا الخلع قد يكون في بعض الأحوال وراثيا ينتقل ضمن ما يسمى بنمط الوراثة متعددة العوامل . هذه العوامل التي من جملتها كون الجنس أنثى . لذلك تكثر مصادفته لدى الاناث أكثر منها لدى الذكور . ووجوده عند الذكر يعني أن العوامل الأخرى من القوة بمكان بحيث استطاعت إحداث هذا الخلع لديه ، وهي في هذه الحالة أقدر على إحداثه لدى الاناث في نفس العائلة . وقد طلبت من الأم أن تجلب لي بقية أطفالها الصغار - خاصة الاناث منهم - لفحصهم وكان أن وجدت خلعا في مفصل الورك - لم يتنبه له آنفا - لدى شقيقة للطفل تكبره بما يزيد عن السنة .

وكان أن عولج الطفل وأخته من قبل أطباء اخصائيين في أمراض العظام والمفاصل . فشفي الطفل تماما وتحسنت حالة أخته .

والمعروف أن هذا الخلع يشفى بصورة كاملة وبسهولة كبيرة عندما يشخص مبكرا ويعالج ، وهو من أصعب الحالات عندما يتأخر تشخيصه وعلاجه ، إذ يحتاج وقتها الى عمليات متعددة معقدة . ومن هنا كانت أهمية وضرورة تحري حركة مفصل الورك لدى كل طفل تحت السنة الأولى عند كل فحص طبي .

إن فحصا « روتينيا » كاملا للمريض ، ومعرفة أن مرضا ما هو ذو طبيعة وراثية ومعرفة نمط الوراثة ، قاد الى تشخيص صحيح وعلاج مفيد . . مفيد للمريض حقا . . ومفيد للطبيب جدا . إذ ليس شيء أمتع ولا أسعد للطبيب من شعوره بأنه قد ساعد على إنقاذ مريض من مرض عضال .

وتلك - لعمري - جائزة الطبيب الكبرى ومكافأته العظمى التي يقصر دونها كل ثواب دنيوي . □□

حل مسابقة العدد

(رقم ٣٠٣)

المنشورة في عدد فبراير ١٩٨٤م

١ ـ يطفو الفلين على سطح الماء بسبب كثرة ما فيه من مسامات مملوءة بالهواء . وتجدر الاشارة الى أن شجرة الفلين من فصيلة البلوط وهي دائمة الخضرة وموطنها الأصلي شواطىء البحر المتوسط . . وقد تبلغ من الطول ١٨ مترا . . وقشرتها الداخلية (لا الخارجية) هي التي يستخرج منها الفلين التجاري .

٢ ـ قائد الجيوش العربية في معركة بلاط الشهداء ـ هو الأمير عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي ، حاكم الاندلس آنذاك .

٣ ـ (٦٢٠) هو عدد العضلات و (٢٠٦) هو عدد العظام في الجسم البشري .

٤ ـ لا يسمح لحصان بالاشتراك ـ فضلا عن الفوز ـ في سباق دربي الا مرة واحدة . . ذلك أن من قوانين ذلك السباق ان يكون الحصان في السنة الثالثة من عمره ليسمح له بالاشتراك فيه . .

هذا ويقام السباق في فصل الربيع من كل سنة منذ سنة ١٧٨٠ ، وذلك في مدينة ابسوم في بريطانيا ، ولا تزيد مسافة السباق على ٢٤٠٠ متر . .

٥ ـ ابراهيم الموصلي هو أستاذ زرياب . .

٦ ـ كتاب « الساق على الساق فيما هو الفارياق » مؤلف هذا الكتاب هو أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) .
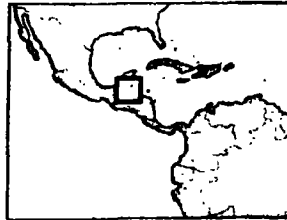
٧ ـ تقع بليز في أمريكا الوسطى (انظر الخريطة المرفقة) عاصمتها هي بلموبان ، وعدد سكانها ١٥٠,٠٠٠ نسمة ، ومساحتها ٢٢,٩٦٥كم ، وكانت مستعمرة بريطانية حتى سنة ١٩٨٢ حين نالت استقلالها . .

٨ ـ تقع بروناي في جزر الهند الشرقية في جزيرة بورنيو بالتحديد وبمحاذاة سراواك التي تقع في نفس الجزيرة (انظر الخريطة) عاصمتها (بندر سري بجاوان) وعدد سكانها ٢٢٠,٠٠٠ نسمة ، وهي سلطنة مستقلة حاليا ، وقد نالت استقلالها من بريطانيا في مطلع هذه السنة ١٩٨٤ . وسلطنة بروناي تنعم بثروة بترولية كبيرة .

٩ ـ العقدة البحرية هي وحدة سرعة تعتمدها السفن . . وهي تعادل ميلا بحريا وتساوي ١٨٥٢ مترا . وتعود التسمية الى ما قبل قرون . . حين عمدوا الى تحديد سرعة السفن بواسطة حبال معقودة . .

١٠ ـ ينقص وزنك على قمة افرست ويزداد في الغور عند البحر الميت . . . ذلك أن ما تتعرض له من شد الجاذبية ينقص على قمة الجبل ويزيد في الغور نظرا لبعد الأول عن مركز الأرض وقرب الثاني من هذا المركز . .

١١ ـ عمى الألوان يصيب ٧,٥٪ من الرجال ولا يصيب الا ١,٠٪ من النساء .. فهو اذن أكثر انتشارا بين الرجال ، ويبلغ انتشاره بينهم أكثر من ٧٠ ضعف انتشاره بين النساء ..

١٢ ـ تكلم السيد المسيح باللغة الآرامية ، وهي من اللغات السامية ، كالعربية والعبرية وقد تقلصت كثيرا على مر التاريخ ... وقد لا تجد من يتكلمها حاليا الا قلة من أهالي قرى جبل القلمون في سوريا ، وبخاصة قرية معلولا ..

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى : الطاهر العمرى/ بنغازي/ ليبيا
الجائزة الثانية : محمد أحمد شقير/ مدرسة كيفان الثانوية للمقررات بنين/ الكويت
الجائزة الثالثة : عبد القادر على النعيم/ ص .ب (٣٥٢٢) الخرطوم/ السودان

الجوائز الثمانية التشجيعية

السيد هلالي عبد القادر (D.E)/ مدرسة أشبال الثورة/ القليعة/ ولاية البليدى/ الجزائر .
خيرية حسين محمود هرماني/ ... الموحدية/ محمد محمود التازي/ رقم ٦ زنقة ابو نواس/ حي الليمون/ الرباط/ المغرب/ صرح ... بكتريت/ الكويت علاء عبد العزيز عبد علي/ منزل ٧٦٦/ طريق ٥١٧/ المنامة ٣٠٥/ ... أحمد بشار خالد ... الشرعي/ ص ب (٨٤)/ أبو ظبي دولة الامارات ...

السيد نيازى عبد الجليل ... اللواء عبد العزيز على/ مدينة ... ابراهيمية/ محافظة الشرقية/ جمهورية مصر العربية
علاء أحمد محمد عطا الله/ ص .ب ٨٤٣٣/ عمان/ الاردن

بقلم : محمد حسن عبد الله

☐ حين صدر قرار تعيينه كانت التسمية الوظيفية للعمل المنوط به : « عضو فني بالمراقبة » . لم يفكر كثيرا في طبيعة هذه التسمية كما لم تتضح أمامه حدود العمل الذي ينبغي أن يقوم به ، وعلاقة هذا العمل بالاعمال الاخرى التي يقوم بها موظفون كثيرون في هذه المراقبة ، وفي غيرها من المراقبات المنطوية تحت ادارة واحدة . هذا الغموض لم يزعجه كثيرا . فسيأخذ مكانه في مكتب ، عليه لافتة نحاسية أنيقة ، ولن يعدم أن يجد ما يشغله من شئون نفسه ، فاذا كان في رؤسائه أو زملائه من يحتاج الى عونه ، فان بابه مفتوح ، وتليفونه جاهز للاستقبال ، وفي استطاعة مثل هذه المطالب أن تحدد له ـ ولو على المدى البعيد نسبيا ـ الدور الذي سيقوم به كعضو فني .

هكذا بدأ يعد غرفة مكتبه بحماسة ، وغير قليل من الزهو . لما تضفيه صفة « فني » من احساس بالخصوصية ، والمهارة المتميزة ، فوضع خلف كرسيه عددا من الكتب الضخمة ، ذات الأغلفة الملونة ، ورأى أن يكون بعضها بلغة أجنبية ، مع الحرص أن تكون كلمة « الفن » ومشتقاتها واضحة على جميع الأغلفة ، ووضع على يساره في مقابل حامل التليفون عددا من « الكتالوجات » الخاصة بالمعلومات والاحصائيات ، وعلق في مواجهة الداخل لوحة سيريالية الطابع ، ذات مساحات لونية متداخلة ، وخطوط متقاطعة أو متوازية ، وطوفان من النقط الصغيرة ، المتراصة أو المبعثرة .. لوحة يمكن أن تقرأ على أي وجه ، ويمكن الا تقرأ مطلقا .

وجلس ينتظر ، محافظا على سمته المتفائل ومعنوياته العالية ، مضمرا الاستعداد لبذل أي عون يطلب منه . لكن الايام تمضي وباب مكتبه مغلق ، وتليفونه صامت ، وبريده اليومي لا يزيد عن استلام نسخة من نشرة أو تعميم . غير أنه بترادف الأيام تناسى الزمن ، أو غفل عنه ، وأوشك أن يسلم بأن هذا هو الوضع الطبيعي الذي لا غرابة فيه ، وان وظيفته الحقيقية هي ان

يظل حبيس مكتبه ما استطاع ، وأن يتسلم النشرات والتعميمات الى أن مر عليه أحد زملائه ، فذكره بأن اليوم هو أول الشهر ، وأن عليه أن يذهب الى خزينة الوزارة ليقبض راتبه .

« راتب !! » كم بدت له الكلمة عجيبة نابية ، مثل شخص ألقى بعبارة تهنئة . اكتشف على أثرها أن المجلس كان للعزاء !! ومع ذلك فقد ذهب الى الخزينة ، وصرف المبلغ دون اعتراض من أحد ، وهذا يعني أنه يستحقه فعلا ، ولكنه لم يستطع أن يحول دون تساؤل ظل يدوي في ضميره كعاصفة مطلقة السراح في أرض خلاء : هذا الراتب . . . في مقابل ماذا ؟ ويشاغل نفسه أو يحاول أن يلجم العاصفة ، بالبحث عن جواب : في مقابل أنني منقطع لهذا العمل ، وعلى استعداد لبذل العون لمن يطلبه ، ولا على أن أحدا لم يطلب الاستعانة بي ! ويعود التساؤل يلح من جديد :

ولكن ، اذا كان قد مضى شهر ، ولم يطلب أحد منك شيئا ، وقد يمضي شهر آخر على نفس الوتيرة ، ألا يدل ذلك على أنك في الحقيقة لا تعمل شيئا . . ؟ وان العمل ليس في حاجة اليك . . ؟ وانك زائد عن الحاجة ؟ وهنا يتصدى الجانب الآخر من عقله بالجواب السريع ليجابه الخطر الماثل : اذا كنت زائدا عن الحاجة فعلا ، فلماذا اذن صدر قرار التعيين ؟

ها هنا واجه عقدة مميتة ، انقض على حل سريع لها قبل أن يجرح نفسه بما ينال من كرامته ، صحيح أنه عين في وظيفته مستندا الى واسطة قوية ، وضغوط واحراج لمن بيدهم قرار التوظيف ، ولكن من المؤكد أن « الواسطة » لا تصنع وظيفة ، لا تنشئها من العدم ، « الواسطة » و « الضغوط » عادة تؤدي الى تفضيل شخص على آخر ، لعمل مطلوب أصلا ، هذه هي الحقيقة ، وهي تعني انه لا خطأ في توظيفه ، ولا في تسمية وظيفته ، ولكن : ماذا تعني هذه الوظيفة من الأساس ؟ هل نقطة البداية أن يبدأ الاخرون في الاستعانة به ، وطرق باب مكتبه ، أم أن يتحرك هو بالذهاب اليهم وطرح أفكاره عليهم ؟ واذا كان الوضع الأخير هو واجبه ، لماذا لم يطالبه رئيسه بأي شيء على مدار شهر كامل ؟ !

وقرر أن يقدم « ورقة عمل » ، وأعجبته جدا هذه التسمية التي التقطتها أذنه في مكان ما ، قد نسيه كما نسي المناسبة . سمي ورقته « العمل خارج الجدران » فقد تراءى له أن أكثر ما تقوم به المراقبة هو مجرد تداول أوراق مكتوبة ، ومملوءة بالتوقيعات والاحالات ، فلماذا لا ننزل بجهودنا الى العمل الميداني بين الناس ؟ كتب هذه الديباجة في الأسطر الأولى من الورقة ، ثم رأى أنه لا بد أن يضع بعض المقترحات لتطبيق فكرته ، فسجل كل ما تراءى له ، للوهلة الأولى ، كما توارد الى خاطره : « الطبيعة حبيسة الجدران ـ الطفولة والفن سلبا وايجابيا ، رجل القانون وقوانين حياته الخاصة ـ حين تجدين نفسك وحيدة في شارع خال ـ أصحاب الأعمال الليلية ، ماذا يفعلون في النهار ؟ » . لقد أعجب كثيرا بغرابة الموضوعات التي وقع عليها ، ولم يستبعد في هذه اللحظة أنه يملك موهبة كبيرة لم تتح لها فرصة التعبير عن نفسها ، وحين اعادة قراءة ما كتب ساوره القلق الغامض بأن شيئا ما ليس في مكانه ، أو أن هناك شيئا ناقصا . غير أنه لم يجهد عقله في اكتشاف ما يحسه ، فبعد أيام تعرض ورقته في اجتماع ، وتناقش ، ومن خلال المناقشة يمكنه استدراك ما فاته ، وتحسين ورقته البكر ، التي ستعلن ميلاد عضو فني حقيقي .

قدم الورقة الى رئيسه المراقب ، ولعله توقع أن يسأله : أين أنت منذ زمن ؟ أو : لماذا لم تأخذ رأيي في ورقتك قبل أن تقدمها الي ؟

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث !! ألقى المراقب نظرة سريعة على الورقة ، ثم وضعها منكفئة على زجاج مكتبه ، وضغط الجرس ، وطلب له قهوة ، ثم عاد يقرأ الورقة بتمعن ، دون أن يبادله كلمة واحدة ، ثم فتح الدرج أمامه

وأسقط فيه الورقة ، وهو يقول : عظيم !! ونظر اليه نظرة تحتية كأنما يكتشفه أو يراه لأول مرة ، وقال دون أن يهتز في كرسيه : شكرا . وفهم العضو الفني أن هذه الـ« شكرا » هي اذن بالانصراف ، فخرج وهو لا يدري كيف يحكم على محاولته ، وهل أحسن أو أساء ، غير أن الملابسات تدل على أنه قبل أن يدخل على المراقب ، كان في وضع أكرم ، فخروجه دون أن يكون بينهما حوار ، ودون وداع يليق ، هو بمثابة طرد له ، أو على الأقل : رفض مهذب لمحاولته . وعاد يفكر : ماذا ينبغي أن يفعل ؟ وهل أخطأ حين غادر القوقعة » !

بعد يومين اثنين رن جرس التليفون في مكتبه في أول ساعات العمل ، وكان الصوت نسائيا ، وعرف أنها سكرتيرة المدير العام ، وعجب لهذا الاتصال الذي ليس له سابقة ، وزاد عجبه حين عرف أنه مطلوب لمقابلة المدير العام فورا . وشغل نفسه قليلا بأمر يتعلق بالتدرج الوظيفي اذ كيف يطلبه المدير العام مباشرة ، وعن غير طريق رئيسه ؟ ولكن الأمر بدا له تافها حيال السؤال الذي كدّ ذهنه في البحث له عن جواب دون ثمرة : ماذا يريد منه المدير العام ؟ ولولا أن الاستغناء عن خدمات الموظفين ، أو طردهم من العمل ، يتم دون مقابلة المدير العام ، لما استبعد أن تكون هذه هي النتيجة المتوقعة . على أية حال لقد ذهب مهرولا .

لم يتوقف عند السكرتيرة دقيقة واحدة ، ما إن رأته حتى وقفت باسمة ، وفتحت باب المكتب ، فدخل ، وأغلقت الباب من خلفه ، واستقبله المدير بنصف وقفه ، ومد يده مصافحا ، وعزم بسيجارة ، وسأله عن أخبار العمل في المراقبة ، ولم ينتظر الجواب ، وقال له : أنني أريد أن آخذ رأيك في مسألة فنية ، وأريد أن يبقى الأمر بيني وبينك لا يعلم به أحد !!

اهتز قلبه بنشوة الثقة التي بلغها ، ولم يعبأ بأن هذا كله يستعصي على الفهم ، فليس في الادارة كلها عمل له طبيعة السرية ، وهو بالذات ـ العضو الفني ـ لم يسند اليه أي عمل من قبل : لا سري ، ولا علني . ومع هذا فانه سرعان ما استجاب لرغبة المدير العام ، فأكسب وجهه ملامح جدية ، اكتسحت بقع القلق والحيرة التي كانت تسوده ، وحرك كرسيه قليلا في اتجاه كرسي المدير ، زيادة في الحرص ، مع أن المكتب المترامي كان خاليا تماما .

بعد دقائق كانت بين يديه ورقة ، مطبوعة على الآلة الكاتبة بعناية فائقة تصدرها عنوان : « نحو رؤية جديدة : العمل بين الجماهير » وتحت هذا العنوان وضعت عباراته التي خطها في « ورقة العمل » كما هي دون أية اضافة ، وفي ذيلها توقيع المراقب ، وقد أرفق بها خطابا موجها الى المدير العام ، للنظر وتدبير الميزانية المطلوبة لبدء الخطة ودون أية اشارة الى العضو الفني ودوره في العملية .

للوهلة الأولى لم يعرف ما المطلوب منه ، وللوهلة العاشرة لم يعرف أيضا . لقد ظن ان الرجل سيسأله : بذمتك ، ألست أنت صاحبة هذه الورقة ؟ ولو أنه فعل فان هذا يعني أنه مدير حقيقي يعرف القدرات الحقيقية لجميع العاملين في ادارته . ولكن المدير رمقه بنظرة متفحصة ، ذكرته بنظرة المراقب من قبل ، وتنهد ، وتعانقت أصابعه فوق بلور المكتب ، وهو يسأل : هيه . . . ما رأيك ؟ ما رأيه في ماذا ؟ انه لا يعرف ما هو المطلوب على وجه التحديد ، ولقد أوشك أن يتسرع فيكشف للمدير أنه صاحب الورقة المقدمة اليه بتوقيع المراقب ولكنه الهم الصمت ، اذ بدأ الرجل يوضح ما يريد :

كما ترى . مراقبكم أرسل الينا هذه المقترحات من بنات أفكاره وأنا ، كمدير عام ، لا يجوز أن أوافق على الفور على كل ما يقدم الى من مقترحات لا بد من طلب ايضاحات ، وتحفظات ، ورفض جزء وقبول جزء ، والمطالبة بتعديل ، ثم ندخل بعد هذا كله في جدل حول الميزانية وكيف يمكن تدبيرها ، الى آخر ما تعرف .

الى الآن . . . لم نفهم . . وعجب المدير العام كيف أن ما قاله لم يوصل ما يريد الى العضو الفني ، فاضطر الى الاستمرار ، مع مزيد من الوضوح والتحديد :

كما ترى . . . . أنا مشغول لقمة رأسي ، عندي ثلاث مراقبات أصغرها مراقبة صاحبنا ، ولا يمكنني أن أفرغ لمثل هذه المسائل الفنية جدا . ولهذا سأعطيك الورقة لتقوم باعداد رد عليها ، في اطار ما ذكرت لك من الايضاحات والتحفظات ، والتساؤلات . الخ . ولا تنسى ما اتفقنا عليه ، أن يبقى هذا الأمر بيننا ، وهذه بداية تعاون أرجو أن يستمر وتنال ثقتي !!

هكذا وجد نفسه أمام ورقته وجها لوجه ، مطالبا بالرد عليها ردا لا بد أن يشتمل على تخطيء وتصويب ورفض ، وربما تنديد ، وارشاد الخ . مصيبة انتساب ورقته الى شخص غيره تهون أمام المصيبة الجديدة ، فانه حين يكتب الرد ، لا يستبعد أن يعرف المراقب حقيقة ما حدث ، وهنا ينزل به عقابا رادعا ، اذ كيف قدم اليه خطة لا يوافق هو نفسه عليها ، ويضمر نقدها ، ويتولى اظهار عيوبها ؟ حاول أن يطمئن نفسه بنفسه أنه لا بد أن السرية مقدسة تماما في هذه الادارة ، والا كيف جرؤ المراقب نفسه على انتحال ورقة العمل دون أن يدري أحد بمصدرها الحقيقي ، فكذلك سيكون الحال مع الرد عليها . ولكنه ما أن فرغ من تجاوز هذه المصية الوظيفية حتى وجد نفسه في مواجهة مصيبة فنية أشد ، فهو حين وضع ورقته الغبراء ، ولم تكن في نظره تتجاوز العبث وشغل الزمن الفارغ ، لم يفكر مطلقا في أنها تستحق الرد وأنه حين يتعين الرد عليها ، ستكون المهمة من نصيبه أيضا . فكيف يمكنه الآن أن يرد على نفسه ؟ !

حبس نفسه في مكتبه يوم عمل كاملا ، وظل يجوب أطراف الغرفة كالنمر في القفص ، يقرأ الورقة بصوت مسموع ، ويرددها من ذاكرته محاولا اكتشاف ثغرة فيها ، دون جدوى . فكر أن يستعين بصديق ، لكنه خشي تسرب الموضوع فتكون نهايته في الوظيفة . واكتشف أنه يمكن اقتراح تغيير نظام الموضوعات . تبدأ بالطفولة مثلا ، ثم المرأة ، ثم الرجل وتكون الطبيعة خاتمة المطاف . ونشط ذهنه لتبرير هذا التبديل ، ولكنه بعد أن أتمه رأى أنه أقل من مآخذ « مدير عام » على خطة وضعها « مراقب » فغلبه الهم مرة أخرى ، ورجع الى تلاوة الورقة ، وتنغيم كلماتها ، وتقليب معانيها ، دون أن يهتدي الى مكان يوجه اليها فيه ضربة قاضية تليق بمدير عام يمارس رقابة جادة على ادارته .

في لحظة كرب أليم ، جاءه الحل السعيد : ان الخطة المطبقة حاليا لم تستنفذ أغراضها بعد ، والخطة المقترحة تحتاج الى مناقشة وتعديل ، كما أنه من الضروري أن تسبقها عملية تدريب لكوادر خاصة ليست متوفرة الآن مما يعني أن هذه الورقة ـ في هذا الوقت ـ لا تستند الى نظرة عملية تضع الامكانات المتاحة في الاعتبار .

« المراقب » يستدعي العضو الفني : خطتك لم يوافق عليها . . . هناك اعتراضات جوهرية ، انتظر ، باعتبارك المسؤول عنها ، أن تتولى صياغة الرد وتسلمه الى غدا ، ان كرامة المراقبة كلها في خطر .

« المدير العام » يستدعي العضو الفني : مراقبكم رد على الاعتراضات بتعديل الخطة ، والاكتفاء بالموضوع الأول كتجربة . لا أريده أن يفهم أنه هكذا ببساطة يمكن أن يملي ارادته وأفكاره علينا . اجلس هناك وحياتك ، وجهز لي ردا يثير غيظه .

تحددت أماكن وجود العضو الفني ، بين مكتب المراقب ، ومكتب المدير وتحدد نشاطه بأن يكتب ، ويفند ما يكتب ، وبدأ يتخذ احتياطاته فيترك في كل موضوع ثغرات يمكنه أن يرد عليها ، وأن يرد على الرد . . . أنه لم يقدر من قبل أن ما يكتبه يمكن أن تكون له كل هذه الأهمية ، وأنه أصبح « فنيا » الى هذه الدرجة !!

□□

كتاب الشهر
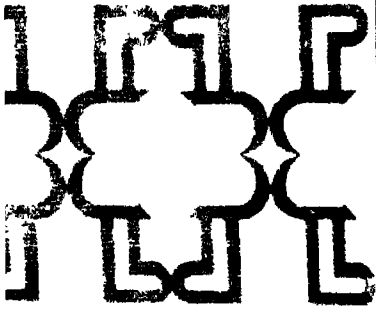
الرواية العربية الحديثة
من خلال عين غربية

تأليف : روجر ألن

عرض : حسن محمود عباس

□ (الرواية ـ وفقا للقواعد الفنية السائدة غربا وشرقا ، منذ القرن الثامن عشر حتى الآن ـ نوع أدبي حديث النشأة في أقطار الوطن العربي ، اذ ترجع نشأة الرواية عندنا الى بداية القرن العشرين ، ولهذا كانت الدراسات عنها قليلة عندنا ، وهي في الخارج أقل ، وهذا الكتاب مجموعة دراسات للرواية العربية من خلال عين غربية ، فماذا جاء فيه ؟)

هذا هو الكتاب الرابع في سلسلة الكتب التي تصدرها مجلة الدراسات السامية ، والتي تشرف عليها جامعة مانشستر من الناحية الأكاديمية وتشارك جامعة الكويت في تمويلها . وهو في الأصل محاضرات ثلاث ألقاها روجر ألن ، الأستاذ المشارك للأدب العربي بجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة ، على طلبة الدراسات العربية بجامعة مانشستر في بريطانيا .

وكان الأستاذ بوزورث ـ أستاذ الأدب العربي بقسم دراسات الشرق الأدنى بالجامعة الأخيرة ـ قد وجه الدعوة لمؤلف هذا الكتاب لالقاء محاضرات عن الرواية العربية ، وقد تم ذلك في شهر أيار / مايو من عام ١٩٨٠ . ثم ما لبث المحاضر ـ بتشجيع أدبي من الأستاذ بوزورث ، ومادي من جامعة الكويت ـ أن طور محاضراته تلك ، ونشرها في السلسلة التي أشرنا اليها ، لتغدو هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا الآن .

كانت الرواية في الوطن العربي موضوع عدد من الدراسات ، لكن تلك الدراسات لم تكن تعادل ـ لا في كمها ولا في نوعها ـ ما كان يكتب عن الشعر ، ولعل ذلك يعكس صورة عن المكانة المتميزة للشعر في الوطن العربي . واذا كانت الدراسات عن الرواية العربية قليلة في الوطن العربي نفسه ، فهي أقل من ذلك في اللغة الانجليزية ، وهي ـ ان وجدت ـ تكاد تنحصر في قطر عربي واحد هو (مصر) ، وفي كاتب عربي واحد هو (نجيب محفوظ) . وهذه الدراسة ـ كما يقول المؤلف ـ لا تعدو أن تكون مقدمة لأن الوطن العربي متسع جغرافيا ، وما يكتب فيه عن الفنون كثير . وهي لن تجاوز ما كتب باللغة العربية من أعمال روائية ، فلن تلتفت الى ما كتب بلغات أجنبية كالفرنسية ـ مثلا ـ التي استعملها في كتاباته كل من كاتب ياسين ومحمد ديب لأن تلك الكتابات وشائج قربى وصلات نسب بالأدب الفرنسي الحديث وان كانت أسماء المؤلفين عربية .

نشأة الرواية في الغرب وتطورها

وقد قسم المؤلف كتابه الى مقدمة وخمسة فصول هي :

١ ـ تعريفات وأصول .
٢ ـ التطور المبكر للتقاليد الروائية العربية .
٣ ـ فترة النضج .
٤ ـ ثماني روايات عربية .
٥ ـ خلاصة واستنتاج .

والسؤال عن الجذور التاريخية للرواية العربية يأتي ضمن أولى مهام الدارس لهذا الفن في الأدب العربي الحديث : هل هي تطور تدريجي طبيعي لما عرفه العرب من ألوان القصص مما ورد في ألف ليلة وليلة بخاصة ، وفي كتب الأدب القديم بعامة ، أو من السير الشعبية كسيرة عنترة وغيرها ، أم هي غرس جديد منقطع الجذور عن التراث الأدبي للعرب ؟

يخبرنا مؤرخو هذا النوع الأدبي ونقاده أن الرواية الفنية ظهرت بظهور دون كيشوت لسير فانتس ، وروبنسون كروزو لدانيال ديفو ، وجوزيف أندروز وغيرها من أعمال هنري فيلدنج ، وباميلا وغيرها من أعمال ريتشاردسون ، وظلت الرواية الفنية تأخذ بأسباب التطور حتى بلغت مرحلة النضج على يد كل من جيمس جويس ومارسيل بروست والرمزيين . فالى أي من هذين التراثين تنتمي الرواية العربية ؟ هل تنتمي الى التراث العربي أم الى التراث العالمي ؟

أصول الرواية العربية

يلاحظ الدارسون في هذا الصدد أنها تنتمي الى التراث العالمي وان لم تنقطع الصلة بينها وبين التراث العربي . يقول ادوارد سعيد « ان في الأدب العربي ـ فيما قبل القرن العشرين ـ أشكالا غنية مختلفة للقصص تحمل أسماء كالقصة ،

والسيرة والحديث ، والخرافة ، والأسطورة ، والخبر ، والنادرة والمقامة ، لكن أيا من هذه الأسماء لم يتطور - كما تطورت الرواية الأوروبية - ليغدو نموذجا رئيسيا .

ويقول عبد الرحمن منيف - وهو كاتب روائي وناقد - : « ليس للرواية العربية تراث . لذلك فان على كل كاتب روائي عربي أن يختار لنفسه وسيلة للتعبير دون أن يأنس الى من يرشده في ذلك . ولا بد - والحال كذلك - من أن يعتور عمله النقص ، ويشوبه الخطأ » . وعلى الرغم من أن جبرا ابراهيم جبرا - الناقد والروائي البارز - يقر بدين الرواية العربية للرواية الأوروبية التي سبقتها في النشأة والتطور . . . نجده يلفت النظر الى « أن استخدام التكنيك المتعدد الطبقات ، وتفتيت الزمن والاهتمام بحياة الفرد في المجتمع - وهي كلها من الاهتمامات الرئيسية للرواية المعاصرة . كل هذه موجودة في ألف ليلة وليلة » .

وينتقل الدكتور صفاء خلوصي بهذا الجدل خطوة أخرى متقدمة حين يلاحظ الصلة الوثيقة بين ترجمة ألف ليلة وليلة الى اللغة الانجليزية وبين ظهور الرواية الفنية الحديثة - ولا يقل أهمية عما تقدم ما نود أن نضيفه في هذا الصدد ، وهو أن ترجمة المستشرق الانجليزي ادوارد بوكوك لقصة حي بن يقظان الى اللغة اللاتينية في عام ١٦٧١ وما أصابته من شهرة وانتشار في كل أقطار أوروبا ، ثم ظهور ترجمات لها في كل اللغات الأوروبية تقريبا ، (منها ثلاث في اللغة الانجليزية وحدها) قد كان له أثر في نشأة الرواية الحديثة . فقد أثرت في رواية روبنسون كروزو لدانيال ديفو في الأدب الانجليزي وأثرت في كتاب الناقد « الكريتيكون » لباتازار جراثيان في الأدب الاسباني . ويضيف المؤلف الى ذلك كله قائلا بأن قصة التفاحات الثلاث التي وردت في ألف ليلة وليلة ربما كانت الأصل في نشأة الرواية البوليسية .

ولقد كانت البداية في كتابة الرواية العربية الحديثة في الفترة التي اصطلح على تسميتها بعصر النهضة العربية ، أي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث ظهرت المسرحية لأول مرة والرواية والقصة القصيرة .

في هذه الفترة من التاريخ العربي الحديث كانت الضائقة الاقتصادية التي عانت منها بلاد الشام آنذاك ، والحرب الأهلية التي حدثت فيها ، وضغوط الدولة العثمانية في عهدها المتأخر ، كل ذلك أدى الى هجرة أعداد كبيرة من سكان تلك البلاد . وكان معظم المهاجرين من الأسر المسيحية . أما وجهة المهاجرين فقد اختلفت . فمنهم من ذهب الى مصر لما كانت تنعم به من استقرار نسبي ، ومنهم من ذهب الى أقطار أوروبية ، ومنهم من ذهب الى الأمريكتين حيث تكونت هناك واحدة من أخصب مدارس الأدب العربي الحديث ومن أكثرها خصبا ، وهي مدرسة المهجر .

كان من نتيجة تلك الهجرة انحسار المد الثقافي المتعاظم في بلاد الشام آنذاك ممثلا في الجهود الأدبية لأسر بعينها كآل البستاني والشدياق واليازجي والنقاش ، وقد عملت الرقابة العثمانية على الحد من الانطلاقة بوسائل أخصها الرقابة على النشر . وبسبب تلك الرقابة ، وبسبب بعد العراق الجغرافي تأخرت بدايات النهضة فيه وفي أقطار المغرب العربي ، تلك الأقطار التي كانت قد تعرضت للاستعمار الفرنسي الذي دخل الجزائر عام ١٨٣٢ ودخل تونس عام ١٨٨٨ .

الاتصال والعوامل المؤثرة

كان احتلال نابليون لمصر في عام ١٧٩٨ باعث نهضة ، ثم أعقبه استيلاء محمد علي على السلطة ، وايفاده المبعوثين الى كل من ايطاليا وفرنسا . وكان من أبرز هؤلاء رفاعة رافع الطهطاوي صاحب كتاب « تخليص الابريز في

تلخيص باريز » . وقد تطرق فيه ـ كما يدل عنوانه ـ الى موضوع الاتصال الثقافي بين الشرق والغرب ، ذلك الموضوع الذي ظل أثيرا لدى الروائيين العرب طوال عقود هذا القرن ونخص منهم بالذكر طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ويحيى حقي ، والطيب صالح ، وسهيل ادريس . وقد أخذت معالم التطور الكبير تتضح بعد افتتاح مدرسة اللغات في عام ١٨٣٦ حين أخذ خريجو هذه المدرسة على عاتقهم ريادة حركة الترجمة ، فكان من آثارها ترجمة أعمال فولتير ومونتسكيو ، وفي مجال القصة ترجمت أعمال لافونتين ، وروايات الكسندر دوماس . ثم وفر حكم الخديوي اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ملاذاً آمنا للأسر المسيحية المهاجرة من بلاد الشام وما كانت تحمله معها من أبحاث في اللغة والأدب ، ومن تجارب في الصحافة والمسرح .

وكان رفاعة الطهطاوي قد أسس « الوقائع المصرية » ، ومن ثم فقد تزاوجت جهود الطهطاوي وخبرات المهاجرين الى مصر من بلاد الشام ، وكان من أثر ذلك نشأة الصحافة وتطور النثر الفني وهما عاملان أساسيان من عوامل وجود الرواية الفنية ومن ثم تطورها . وكان بشارة تقلا قد أسس الأهرام في الأسكندرية سنة ١٨٧٥ ، وكان جرجي زيدان قد أسس الهلال في عام ١٨٩٢ . وكان مما أسدته الصحف للفن الروائي نشر الروايات والقصص المترجمة في مسلسلات يومية أو أسبوعية ، ثم أخذت الترجمات تقل شيئا فشيئا لتحل محلها روايات وقصص قصيرة بأقلام وطنية شابة . وعلى هذا النحو باتت الصحافة تمارس دورا مهما في اشاعة الرواية والقصة بين الناس وارساء قواعدها .

ان الذين أرسوا التقاليد الروائية في الوطن العربي هم كتاب من مصر والشام . كانت البدايات تتمثل في روايات جرجي زيدان التي اقتفى فيها أثر وولتر سكوت . وكانت أعماله تفضل كثيرا ما كان يترجم أو يقتبس ، وذلك بما كانت تحفل به من جريمة وحب ، وخدعة ، وقتال ورقص وحركة سريعة . كانت الروايات الأولى التي تكتب على شكل مسلسلات في الصحف تنتقد المجتمع والعادات والسياسة .

وبعد احتلال الانجليز مصر في عام ١٨٨٢ تولى اللورد كرومر تنظيم السياسة المالية فيها ، وقد وجد المويلحي في تلك الظروف مادة لكتابة ساخرة ، فأخذ يكتب قصة وينشرها في عمود يومي من جريدة والدهطوال أربع سنوات من عام ١٨٩٨ حتى عام ١٩٠٢ . وكان الراوي يدعى عيسى بن هشام وهو بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني ، وعندما قرر جمعها في كتاب أطلق عليها اسم « حديث عيسى بن هشام » ونجح الكتاب ، وأعيد طبعه ، وقرر على طلبة المدارس بعد أن حذف منه انتقادات الكاتب للأزهر ولأسرة محمد علي .

وهناك من يعد هذا العمل بداية لكتابة الرواية الفنية في مصر ، ولكنه لو عد كذلك لأساء الى الكتاب اساءة بالغة ، فهو لا يتفق والكثير من عناصر العمل الروائي الفني . وكذلك حاول حافظ ابراهيم أن يخوض تجربة العمل الروائي ولكن محاولته لم تبلغ شأنا . وكانت تجربة جرجي زيدان تختلف عن تجربتي المويلحي وحافظ في أنها استخدمت أسلوبا أقل بلاغة وترفقا . وتأتي كتابات المنفلوطي خطوة في تطور النثر العربي ، ثم يأتي أسلوب جبران خليل جبران المشرق البين في قصصه : « الأجنحة المتكسرة » ، و « الأرواح المتمردة » ، و « عرائس المروج » ، لكن الذي يشوب تجربته هو تدخله أثناء السرد ليلقي بحكمة أخلاقية ، أو بموعظة اجتماعية .

وقد أدت كل هذه الأعمال ـ بطريقة أو بأخرى ـ الى ظهور النوع الأدبي سواء في الأسلوب ، أو في الاهتمام بالقضايا الاجتماعية ، أو في المظاهر التقنية ، لكن أول كاتب اضطلع بمهمة الروائي الجيد هو محمد حسين هيكل في روايته « زينب » .

الرواية الفنية في مصر

صدرت رواية زينب في القاهرة سنة ١٩١٣ ، وهي أول رواية غير تاريخية . لقد وضع المؤلف قارئه في وسط الريف ، وتوسع في وصف الحقول والمحاصيل ومظاهر طبيعية أخرى كالشروق والغروب . ولم تقتصر رغبة المؤلف على كتابة رواية تجيش بعاطفة الحنين الى الوطن أثناء البعثة للدراسة في الخارج وانما أراد أن يصف بأسلوب واقعي ـ وضع المرأة . وما آل اليه من فساد وتخلف ، وقد ظهرت مشكلة اللغة التي ينبغي للرواية أن تكتب بها منذ المحاولات الأولى لارتياد هذا الفن . فمن الناس من كان يرى وجوب كتابتها باللغة الفصحى ، ومنهم من كان يحبذ توظيف اللهجة المحلية لأداء هذه المهمة ، ومثل هذا الجدل كان حريا بالنقاد أن يثيروه ويختصموا فيه ، أما كتاب الرواية فقد كانوا يختارون لأنفسهم المزج بين الفصحى والعامية ويتركون الجدل والخصومة لمن يشاء .

وفي مطلع هذا القرن نشأ نوع أدبي جديد هو القصة القصيرة . وكان محمود تيمور هو أول من شرع فيه وأنشأه . وفي العشرينات ، وفيما تلاها من أعوام ، استمر محمود تيمور في هذا الاتجاه . وقد تأسس ما عرف بالمدرسة الحديثة ، وكانت تتألف من محمود تيمور ، ومحمود طاهر لاشين ، ويحيى حقي . كان هؤلاء الكتاب متأثرين بكتاب القصة القصيرة الأوروبية وبالكتاب الروس مثل تورجنيف وتشيكوف .

ثم ظهرت « أيام » طه حسين لتسهم في تطور النثر الأدبي . وكان لأسلوبها الرائق الواضح السلس أثر عظيم جعل منها تحفة فنية في الأدب العربي الحديث ، وقد كتبت بلسان الغائب مما أضفى عليها طابعا قصصيا . وفي الثلاثينات من هذا القرن غدت كتابة الروايات نموذجا يود كل كاتب أن يبدع على غراره ، فأعلن عن مسابقة للرواية فاز فيها كتاب « ابراهيم الكاتب » للمازني ، وهي رواية ، وان اتصفت ببعض صفات السيرة الذاتية ، الا أن فيها نقدا للعادات الاجتماعية . ولم تكن ميزتها في السرد القصصي بقدر ما كانت في التشخيص ، وفي مجال رسم الشخصية تظهر قدرة المازني وتتجلى عبقريته .

كان أول نجاح حقيقي لظهور رواية مقنعة في وصفها لأسرة في ظروف محددة هي رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم التي نشرت في عام ١٩٣٣ . واذا كانت عودة الروح تمثل جانبا من سيرة ذاتية فان « عصفور من الشرق » له تمثل جانبا آخر . وفي عام ١٩٣٧ أصدر الحكيم رواية « يوميات نائب في الأرياف » ، وهي عمل يدين كثيرا لتجارب المؤلف الذاتية . وقد أسهم العقاد في هذا النشاط الفني فكتب رواية « سارة » في عام ١٩٣٨ حيث أدخل عنصر التحليل النفسي ، فاستحوذ على اهتمام الكاتب ، مما جعل الرواية تخلو تقريبا من الحوار أو الحدث .

الرواية في اقطار عربية اخرى

هذا ما كان من أمر الرواية في مصر حتى مشارف الأربعينات ، ولقد حدث تطور مماثل في أماكن أخرى من الوطن العربي ، وربما كان التطور مختلفا في التسلسل الزمني والملامح المحلية ، لكنه كان متشابها من حيث السياق الأساسي ، كالترجمة والتعريب والاقتباس ومن ثم الابداع .

كان أبرز الكتاب في سوريا ولبنان حتى الحرب العالمية الأولى هم كتاب مدرسة المهجر ، وقد ذكرنا جبران خليل جبران ، ونذكر الآن زميله وكاتب سيرة حياته ميخائيل نعيمة . وهو ناقد شاعر ، يعد كتابه النقدي « الغربال » معلما من معالم النقد العربي الحديث . كانت أول رواية كتبها هي « مذكرات الأرقش » التي صدرت في عام ١٩١٧ ، أما رواياته الأخرى فقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية . وكان

النوع الأدبي الثاني الذي كتب فيه هو القصة القصيرة .

ان أعمال نعيمة القصصية توضح معتقدات الناس في لبنان من أهل القرى الجبلية ، وموقفهم من أسرهم وجيرانهم ومن الأفكار الجديدة . ان عناوين مثل : سنتها الجديدة ، ومصرع ستوتة ، هي أعمال ترسم باقتدار وجهات نظر منيعة محصنة عن الأسرة والأطفال ، وعن موضوعات أخرى .

وقد أشار الدكتور يوسف عز الدين في كتابه عن تطور الرواية في العراق الى أسباب ووسائل كتلك الأسباب والوسائل التي أدت الى ظهور الرواية وتطورها في أقاليم أخرى من الوطن العربي ، ومنها ظهور الصحافة . كانت الروايات في أول عهدها اما تاريخية واما للتسلية ، كرواية « العدل أساس الملك » المأخوذة عن هنري الرابع الانجليزي والصادرة في عام ١٩٠٩ ، ورواية « ناظم باشا » الصادرة في عام ١٩١١ ، وهي قصة قيل عنها انها تاريخية اجتماعية سياسية ، وقد كتبها سليمان الدخيل . وظهرت الرواية العكاظية لسليمان فيضي في عام ١٩١٩ ، وأسلوبها شبيه بأسلوب المويلحي التهكمي الساخر في تناوله لمفهوم الاصلاح الاجتماعي . وقد ظهرت أعمال قصصية أخرى في العراق . في عام ١٩٣٩ كان أفضلها ما كتبه أكثر الكتاب شهرة آنذاك وهو محمود أحمد السيد . ان رواية السيد المسماة « في سبيل الزواج » التي اتخذ الهند مسرحا لأحداثها مثال بارز على القصة الرومنسية الميلودرامية .

وينقل المؤلف عن محمد عفيفي ، في كتابه « تطور الرواية العربية في المغرب » ، قوله : « . . كانت متأثرة الى حد بعيد أسلوبيا وفنيا وابداعيا بتطور الصحافة الأدبية ، وبالتعريف الغربي للفن الروائي ، وبأمثلة مترجمة في الصحف . » وقد كتب محمد عبد الله الموقت رواية بعنوان « الرحلة المراكشية » يعمد فيها القاص الى شيخ يدعى عبد الهادي ليقود رحلته في أرجاء المغرب وصدرت الرواية في عام ١٩٢٠ ، وقد أدى ازدياد سيطرة اللغة الفرنسية ـ لغة المستعمر ـ الى عرقلة تطور النثر الفني في أقطار المغرب العربي حتى مشارف عهود الاستقلال . وقد بدأت حركة تعريب نشطة تأخذ في حسبانها تعميم اللغة العربية ومساعدة ما ينشر بها . وعلى الرغم من أن تطور الرواية في الأقطار العربية الأخرى كان بطيئا اذا قورن بما أصابته من تطور في مصر ، الا أنها أخذت في التطور السريع ـ بعد الحرب العالمية الثانية . في الأسلوب وفي النضج الفني على السواء .

أجيال جديدة

وفي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية طرأت متغيرات على الوطن العربي ، اختلفت معها المقاييس والاهتمامات . ففي عام ١٩٤٨ أعلن عن قيام (اسرائيل) في فلسطين المحتلة ، وكان من نتيجة ذلك شيوع الاضطراب والثورة في أقطار عديدة من الوطن العربي . ففي مصر قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفي العراق قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، واشتعلت أقطار المغرب العربي بالثورة ضد الاستعمار الفرنسي ، وقامت ثورة في جنوب اليمن لتحريره من الاستعمار البريطاني ، ثم جاءت حرب عام ١٩٦٧ . ازاء هذا الواقع المتغير طرأت اهتمامات جديدة على كتاب الرواية في الوطن العربي ، وظهرت أجيال جديدة من الكتاب .

كان ظهور نجيب محفوظ في أواخر الثلاثينات علامة مهمة على تطور الرواية العربية ، ونضجها الفني ، ولقد ظل أبرز روائي عربي طوال الأربعينات والخمسينات والستينات من هذا القرن . وكان من أشهر أعماله الروائية ، « الثلاثية المعروفة » و « أولاد حارتنا » ، و « السمان والخريف » ، « واللص والكلاب » « وثرثرة فوق النيل » وغيرها . وقد أدخل

محفوظ عناصر جدية على الصنعة الفنية كالحوار الداخلي ، وتيار الوعي واستخدام الرمز . وظهر الروائي والناقد والشاعر الفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا ليسهم بعدد من الأعمال الروائية التي جعلت منه واحدا من أبرز كتاب الرواية في الوطن العربي الحديث ، ان روايات مثل « صيادون في شارع ضيق » و « السفينة » و « البحث عن وليد مسعود » ، ان مثل هذه الروايات لا يمكن أن تمحى من الذاكرة بسهولة . انه يضع شخصياته على رقعة متسعة من الأرض تجاوز الأرض العربية في كثير من الأحيان لتشكل جزءا من دراسة شاملة للصلات الثقافية في عالم اليوم ، ولترصد ظاهرة الاغتراب في المجتمع الانساني الحديث . وهناك روائي فلسطيني آخر هو غسان كنفاني الذي يرتبط اسمه بالقضية الفلسطينية ارتباطا وثيقا ، لا لأن شخصيات رواياته فلسطينية كلها ولكن لأنه احتل مكانا بارزا في حركة النضال الفلسطيني أيضا .

ويضرب المؤلف أمثلة على الرواية في المغرب العربي ، فيقرر أن النضال الوطني الذي أخفق عبد الكريم غلاب في معالجته في روايته « دفنّا الماضي » ، وقد عالجه بنجاح واقتدار « الطاهر وطار » في رواية « الزلزال » . أما في العراق فلم يكن الوضع مماثلا لما كان عليه في الجزائر من حيث الثورة الدموية ضد الفرنسيين ، لكنه كان يمثل عدم استقرار سياسي في الفترة التي سبقت عام ١٩٥٨ وهذا يتجلى في رواية غائب طعمة فرمان : « خمسة أصوات » ان روايتي غائب فرمان والطاهر وطار تعالجان أوضاع ما بعد الثورة . ويعقد المؤلف مقارنة بين معنى البحر عند حليم بركات في روايته « عودة الطائر الى البحر » ، وعند حنا مينا في روايته « الشراع والسفينة » .

ويقرر المؤلف أن الرواية العربية غالبا ما تعكس وجهات نظر سكان المدن والبورجوازيين ، لكن رواية عبد الرحمن الشرقاوي « الأرض » تختلف عن سواها . وتعد من أفضل ما كتب في الدفاع عن اجراءات الاصلاح الزراعي التي استهلت بها الثورة المصرية عهدها . انها خير مثال على قدرة الروائي على تصوير البيئة . ويعود الفضل في ذلك الى مقدرة الشرقاوي على نقل روح الفكاهة عند الفلاحين . وينتقل المؤلف الى الحديث عن يوسف ادريس الذي اتخذ من الأحياء الفقيرة في القاهرة خلفية لمعظم قصصه القصيرة ، وقد استغل فيها خبرته الطبية . ويتحدث عن فتحي غانم ويأخذ عليه وصفه المباشر ، في رواية « الجبل » ، ويقرر بأن اشتغاله - أي فتحي غانم - في الصحافة كان له أثر في عمله روائيا .

الثلث الأخير

ويخصص المؤلف الثلث الأخير من كتابه لدراسة تحليلية نقدية لثمانية من أبرز كتاب الرواية العربية وقد اختار عملا واحدا لكل منهم وهم :

نجيب محفوظ ورواية ثرثرة فوق النيل . غسان كنفاني ورواية ما تبقى لكم ، حليم بركات ورواية عودة الطائر الى البحر ، عبد الحكيم قاسم ورواية أيام الانسان السبعة ، الطيب الصالح ورواية موسم الهجرة الى الشمال ، جبرا ابراهيم جبرا ورواية السفينة ، اسماعيل فهد اسماعيل وروايات « كانت السماء زرقاء » ، و « المستنقعات الضوئية » والحبل والضفاف الأخرى .

وأخيرا عبد الرحمن منيف ورواية النهايات .

وبعد ، فقد كانت الرحلة مع كتاب « الرواية العربية - مقدمة تاريخية ونقدية » للأستاذ روجر ألن رحلة ممتعة ومفيدة . ولقد حاول محاولة جادة في أن يكون محايدا وموضوعيا في عرضه لتطور الرواية العربية وفي حكمه عليها ، فأصاب حظا وافرا من النجاح . □□

جمال الدين الافغاني
وأثره في العالم الاسلامي الحديث

الكاتب/د . عبد الباسط محمد حسن

الناشر/مكتبة وهبه - القاهرة

سنة النشر/١٩٨٢ .

ثارت في الفترة الاخيرة زوبعة حملتها اوراق الصحف حول مكانة جمال الدين الافغاني ودوره وأصله بل ان هذه الزوبعة ما هي الا صدى لزوابع سابقة حول حقيقة ودور هذا الرجل .

وقد أصدر المؤلف كتابه هذا وتابع فيه مواد هذه « الزوابع » عن نشأة الافغاني وأصله ، والعوامل التي أثرت في فكره والمحطات التي توقف وعاش فيها كالهند وايران ومصر وباريس وتركيا وغيرها ، والدعوات والافكار التي طرحها في كل محطة . وبين دوره في الدعوة الى الجامعة الاسلامية ومقاومة الحكم المطلق ومقاومة الاحتلال الاجنبي ، وأثره في الثورة العرابية ، وتبنيه لخط العنف والاغتيالات ، وعرج على كتاباته وخطبه ومؤلفاته ، وتابع الكثير من المصادر التي كتبت عنه .

واكد على سعة أفقة ، وتحرره من قيود التقليد ، ودوره في انشاء بعض الصحف .

وسجل عن دعوة الافغاني ما يلي :-

« ولذلك فان دعوة جمال الدين تعتبر امتداداً لما سبقتها من دعوات ، وان كانت قد تميزت عنها بأنها لم تكن محـ ـدة بلد اسلامي معين ، كما انها كانت حركة شرقية اسلامية ، فيها اتجاه للغرب . ولكن في ايمان بالشرق وتراثه وتقاليده ، اي انها كانت تجمع بين ما نسميه في الوقت الحاضر بالاصالة والمعاصرة » .

فنسنت فان كوخ
بحث تطبيقي في تفسير
انماط السلوك البشري

الكاتب : جاسم كريم حبيب

اصدار : المؤلف سنة ١٩٨٣ - بغداد

احتل الفنان فنسنت فان كوخ جانبا مهما في مسيرة الفن التشكيلي وكانت حياته مليئة بالفـ مفاجآت ، واعتبرها المؤلف « اعظم لوحة خالدة ر ذلك بأنها تتضمن في ثناياها انماطا الـ : العادي

والابداعي والمرضي والجنسي . . الخ .

يقول المؤلف عن حالة القلق .

« استمرار حالة القلق غير العالي واعراضه المرافقة بالنسبة للانسان المبدع أمر على غاية كبيرة من الأهمية لان هذا من شأنه ان يؤدي الى جعل درجة الانجاز في السلوك الابداعي كبيرة من خلال التفكير الدائم في كيفية تخطي الصعوبات التي تعترض طريقه ، بغية تحقيق درجات متقدمة المستوى في العمل المبدع ، أما اذا حدث وصل المبدع الى مرتبة القلق العالي ، وظل هذا القلق العالي مستمرا ومن دون جدوى في التخلص منه فان المبدع سيقع - حتما - فريسة للمرض النفسي أو السلوك المرضي وهذا ما حصل للفنان المبدع فان كوخ في فترة من فترات حياته القصيرة .

التضخم والتنمية في الوطن العربي

الكاتب : د . فؤاد مرسي

الناشر : مؤسسة الابحاث العربية - بيروت

سنة النشر : ١٩٨٣

يدرس المؤلف في أبواب كتابه مجموعة من الظواهر المتعلقة بالتنمية والتضخم في اقطار الوطن العربي ، ويعيد أسباب التضخم الى عوامل داخلية وخارجية ، مما يؤثر على العملية التنموية ويعوق تصاعد وتائرها .

ل ي هذا المجال

. . دراسة التضخم وتأثيره السلبي على التنمية في الوطن العربي تكشف عن ارتباط هذا التضخم بأهم ظاهرتين تشكلتا في سبعينيات هذا القرن عربيا وعالميا » .

فمع انطلاقة الحقبة النفطية أخذت تتشكل داخل الاقتصاد العربي على مستوى كافة الاقطار العربية ضغوط تضخمية متزايدة القوة والخطورة ، وبدت اعراض الكساد على الاقتصاد العالمي ، واصطحبت بمعدلات متسارعة من التضخم حتى لقد أصبح التضخم ظاهرة دائمة تشمل كافة مراحل الدورة الاقتصادية ، من هنا لا يمكن ان ندرس اوضاع التضخم العربي بمعزل عن ظاهرة التضخم في الاقتصاد الرأسمالي العالمي المعاصر ، ولقد انعكس هذا التضخم بكل مصادره وقواه على عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية ، وكان ذلك سببا آخر من أسباب تخلف هذه التنمية التي انتهت حتى الان الى

عروبة الجزائر عبر التاريخ

ازدياد اندماج الاقتصاد العربي في الاقتصاد الرأسمالي العالمي » .
فما هو الحل كما يرتأيه الكاتب ؟
يقول في هذا المجال :
« ان محاولة التغلب على التضخم في كل قطر عربي على حده محاولة ناقصة او قاصرة ، ويتوقف الامر في النهاية على قدرة مجموع الاقطار العربية على تحرير الاقتصاد العربي من روابط التبعية التي تربطه بالاقتصاد الرأسمالي العالمي » .

عروبة الجزائر عبر التاريخ

الكاتب : عثمان السعدى
الناشر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر
سنة النشر/١٩٨٢

حدثت منذ سنوات قليلة بعض التحركات بين ما يسمى « ببربر الجزائر » والمغرب ... فهل « البربر » هم غير السكان الآخرين في هذين القطرين العربيين وهل الجزائر كانت غير عربية عبر الكثير من حقب التاريخ ؟
عن هذه الاسئلة وغيرها يجيبنا مؤلف الكتاب ، ويثبت فيها مستندا على الكثير من المصادر ان البربر « تعود اصولهم الى العرب منشأ ولغة وانتهاء ، ويفند الكثير من المزاعم ، في هذا المجال يقول الكاتب ... بعد ان يستعرض آراء الكثير من المؤرخين عربا وأجانب
« ويستدل من جميع آراء المؤرخين عربا واوروبين نزهاء ، ان كلمة « بربر لا تعتبر تسمية ذات أصالة تتضمن تحديدا عرقيا (اثنيا) والغالب انها اخذت من الاصطلاح الروماني الذى كان يطلق على جميع الشعوب المتخلفة بستعمراتهم سواء بالشرق الادنى أو بشمال افريقيا أو اوروبا » .
ويضيف : « ومما يؤكد عدم اصالة تسمية « البربر » عرقيا تسميات فئات البربر المتعددة السائدة حاليا من صحراء مصر الغربية ، وحتى المحيط الاطلسى ، ولو سألت أي مواطن من هذه الفئات التي تتجاوز عشر فئات « هل انت بربرى ؟ » لما فهم ما تقول ، لان هذه الفئات اتخذت اما صفات جغرافية أحيانا ومهنية أحيانا اخرى » وهى ابعد ما تكون جيعها عن المضامين العرقية .
ويذهب المؤلف الى « ان النزعة البربرية والانفصالية البربرية جاءت مع الاحتلال الفرنسي ، وان ادبياتها لا توجد الا بالفرنسية ، وان دعاتها من الجزائريين والمغاربة هم مجرد تلامذة اساتذة الاستعمار الفرنسى ومنظرية » .

الهجرة الى النفط

ابعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية واثرها على التنمية في الوطن العربي

الكاتب / د . نادر فرجاني
الناشر / مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت
سنة النشر / ديسمبر ١٩٨٣

أنصبت الدراسات في الفترة الاخيرة على دراسة ما يمكن ان تمثله هجرة الايدي العاملة من تأثيرات على القطار

الخليج والجزيرة العربية ، لكنهالقلما كانت تتعرض الى تأثير الهجرة على اقطار المنشأ ، أي الاقطار التي هاجرت منها الأيدي العاملة .

والكتاب الذي نعرض له يتناول أقطار طرفي المعادلة .

الاقطار المصدرة والمستقبلة ، ويتابع التفصيلات المتعلقة بالاثار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية المترتبة على الهجرة .

يقول مؤلف الكتاب :

« تعرضت الهجرة لتطورات ضخمة ومتلاحقة في فترة زمنية قصيرة ، فقد تنامي عدد المهاجرين الى البلدان العربية النفطية بمعدل سريع جدا خلال السبعينيات ، مما انتج كثيرا من الآثار الاجتماعية الاقتصادية البعيدة المدى في كل من بلدان المنشأ والاستقبال ، وعلى حين بدأت بلدان الاستقبال في نهاية السبعينيات في التحوط من بعض الآثار السلبية للهجرة الواسعة النطاق ، لم تتنبه بلدان التصدير لمثل هذه الآثار بالدرجة اللازمة ، وتنامي فيها الاعتماد على الهجرة للعمل بالخارج كحل لمشاكلها الاقتصادية الداخلية .

ولكن تطورات الثمانينيات الاولى تنذر بتغير قد يكون كبيرا في معدل نمو الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية نتيجة لكساد سوق النفط ، وتدني عوائد بيعه ، بما سينعكس ولا شك على مستوى وطبيعة النمو الاقتصادى ومن ثم على حجم وتكوين قوة العمل في بلدان الاستقبال » .

والكاتب يركز في فصول كتابه على دراسة آثار الهجرة في المجتمع المصري واليمني بقطرية الشمالي والجنوبي ، ثم يدرس تأثيرات الهجرة في دولتي الكويت والامارات العربية المتحدة . ثم يدرس تأثير ذلك على دول اقطار مجلس التعاون الخليجي مجتمعة . . .

الهجرة الى النفط

ابعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية
وأثرها على التنمية في الوطن العربي

الحب خارج الزمن

الكاتب : رؤوف وصفي
الناشر : دار الاداب ـ بيروت
سنة النشر : ١٩٨٣

قليلة هي محاولات الكتابة القصصية والروائية في مجال الخيال العلمي في وطننا العربي ، وعدم الالتجاء الى هذا النمط من الكتابة قد يعود الى متطلباته التي تقوم على خيال خصب وثقافة علمية نابهة . كما ان الكثير من الكتاب يهمهم معالجة واقعهم وقضاياه ، بدلا من القفز الى عوالم مجهولة ، ومع اننا نجد هذه العوالم في بعض تراثنا الادبي الذي كتب منذ مئات السنين ، مع ذلك فان نصيبه في حياتنا المعاصرة قليل .

وآخر ما وصلنا في هذا المجال مجموعة قصصية للكاتب احتوت على ١٢ قصة قصيرة كلها تصب في هذا الاتجاه ، وهي ليست المجموعة الاولى له في هذا المجال .

لنقرأ معا هذا التقديم الذي كتبه المؤلف والذي اختلط فيه الخيال بالعلم .

« كنت فيما مضى لا ابصر الا في حدود الافق ، اما الآن فأشعر انني تجاوزته الى ماوراءه ، أنني ارى في خيال دقيقة واحدة أضعاف ما يحتويه عالم الحقيقة كله ، احمل قلبي على سحابة من النجوم وانطلق كومضه من بلايين الومضات في الفضاء ، في رحلة الى اقصى حدود الكون والى المستقبل فعندما تتسع آفاق العقل البشري ، ليحيط بالعوالم السماوية التي لا يستطيع أن يراها ولكنه يؤمن انها هناك ، وعندما يتلاءم مع هذه الدوامة الكونية المروعة ، عندئذ يصبح الانسان جديراً بالانتساب الى هذا الكون الرائع » .
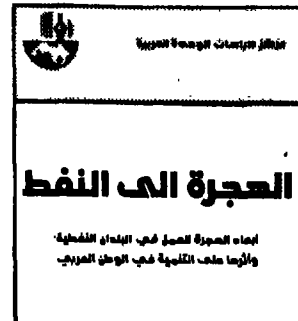
مايو ١٩٨٤

لا جديد بالنسبة الى شروط المسابقة ، فالمفروض أن تصلنا الردود في غضون شهرى ما يو ويونيه ، وأن تتضمن الاجابة الصحيحة عشرة اسئلة لكى تكون من المرشحين بالفوز باحدى الجوائز .

١ ـ ما المادة التي كثيرا ما يضيفونها الى ماء الشرب بقصد تأمين الوقاية من تسوس الأسنان ..؟
■ الكلورين .
■ الفلورين .
■ الغازلين .
٢ ـ أيها أكثر كمية في دم الانسان ... كريات الدم البيضاء أم كريات الدم الحمراء ؟
٣ ـ متى تتصلب عضلات الميت ، أو تتيبس ؟
■ قبيل الموت ..
■ في اللحظة التي يسلم فيها الروح ويموت ..
■ بعد وقوع الموت ببضع ساعات ..
٤ ـ تأبط شرا هو اللقب الذى اشتهر به الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي . ترى لم لقبوه بهذا اللقب ..؟
٥ ـ فيتامين ك .. ما هى وظيفته ..؟
■ لا وجود لهذا الفيتامين ..
■ يضمن للدم التخثر السوى المطلوب ..
■ يقى الدم من التجلط ..
٦ ـ العملية القيصرية .. لم يسمونها بهذا الاسم ..؟
■ نسبة الى يوليوس قيصر الذى ولد بواسطة هذه العملية .
■ اسم العملية اسم لاتيني ويعني القطع أو الجراحة ..
■ لأن يوليوس قيصر سن قانونا يحمل الأطباء على اجراء الجراحة واخراج المولود حيا فيها اذا تعرضت الحامل للموت اثناءالوضع .
٧ ـ الانسولين هرمون تفرزه غدة البنكرياس ... وهو هرمون ضرورى للجسم .. لماذا ؟
■ بدونه يتراكم السكر الموجود في الدم ويصاب المرء بمرض السكرى .
■ الانسولين هرمون .. وهرمونات الجسم كلها جنسية .. فهو اذن ضرورى لحياة الانسان الجنسية .
■ غدة البنكرياس جزء من الجهاز الهضمي .. وهرمون الانسولين اذن ضرورى لعمليات هضم الطعام .

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويا

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٨ ـ الجمرة مرض معد يصيب الماشية وقد يصيب الانسان .. ترى ما علاقة باستور ، العالم الفرنسي الشهير ، بهذا المرض ..؟؟

■ كان باستور أول من نجح في معالجة هذا المرض بالتلقيح ...
■ باستور هو أول من اكتشف مرض الجمرة ..
■ كان باستور أول من نجح في معالجة مرض الجمرة بالبنسلين ...

٩ ـ يتعرض الجسم أحيانا لحالة خطيرة من حالات نزف الدم .. فما الاسم الطبي الذى تعرف به تلك الحالة .. ؟

■ غرغرينا
■ غنغرينا

١٠ ـ من القائل ، وما المناسبة ؟

من يُرِدْ صحبة الزّمان طويلا فَلْيُوَطِّنْ نفسا على الآلام

١١ ـ الفلين .. من أين يستخرج ...؟

■ من البحر ... فهو حيوان أو نبات بحرى يعيش قرب المرجان ..
■ من الشجر .. بل من شجرة معينة من شجر البلوط .. ومن لحاء تلك الشجرة الباطنى .. بالتحديد ..
■ الفلين .. هو أحد المنتجات الصناعية

١٢ ـ ثابت بن أوس الأزدى شاعر من شعراء اليمن الجاهليين .. كان عظيم الشفتين وقد اشتهر بلقب أو كنية غير اسمه .. فما هو ذلك اللقب ..؟

معركة بلا سلاح
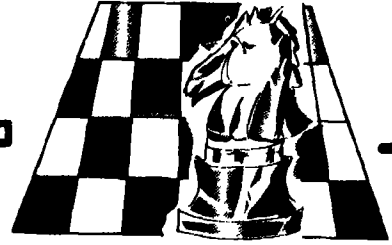
طرفة شطرنجية

سألت إحداهن بطل العالم الكوبي المعروف « كابابلانكا » هل الشطرنج صَعْب ؟ فأجابها البطل بكل بساطة : كلا . . . كلا . . . يا سيدتي . إنه على العكس من ذلك تماما فكل ما عليك لتصبحي لاعبة ممتازة هو ان تضعي قطعك في المكان الجيد . . . وهذا هو كل شيء !

الشطرنج في الصين

لم يمض على دخول الصينيين حلبة الصراع العالمي للفوز ببطولة الشطرنج سوى عقد واحد فقط غير انهم استطاعوا في هذه الفترة الوجيزة من الزمن ان يظهروا من التفوق والبراعة ما أثار حفيظة منافسيهم من الاوروبيين ، ففي الزيارة الأخيرة التي قام بها فريق الشطرنج البريطاني للصين في عام ١٩٨٢ انتهت المباريات لصالح الفريق الصيني وإن كان الفارق ضئيلا .

ويتوقع المراقبون ان يحقق الأبطال الصينيون المزيد من الانتصارات وبخاصة بعد أن فازت اللاعبة الصينية « ليوشيلان » ببطولة آسيا للشطرنج للسيدات وانضمت الى صفوف المتنافسات على بطولة العالم .

ويبدو ان اللاعبين البريطانيين قد وعوا الدرس الذى لقنهم إياه اللاعبون الصينيون في لقائهم الاول والذى يتضح بجلاء في الدور التالي بين اللاعب البريطاني الكبير جون سيلمان واللاعب الصيني « ليو ونز » ، وهذا الدور من أدوار مباريات الاولمبياد العالمى للشطرنج المنعقد في لوزان في سويسرا تمهيدا لمباريات العالم النهائية التي تقام في العام الحالي .

سيلمان (أبيض)	ليو ونز (أسود)
١ . ح-و ٣	ح-و ٦ *
٢ . د ٤	هـ ٦
٣ . ز ٣	د ٥
٤ . ف-ز ٢	ج ٥
٥ . ج٤	د×ج ٤
٦ . و-أ ٤ +	ح و-د ٧
٧ . و×ج ٤	أ ٦
٨ . و-ج ٢	ج×د

وبهذا يكون الاسود قد سمح للأبيض بالسيطرة التامة على وسط الرقعة . . . . ، وكان من الأفضل لو لعب ٨ . . . .
ر-ب ٨

٩ . ح×د ٤ — ف-ج ٥

وفي هذه النقلة خسارة لوقت ثمين وكان من الافضل للأسود ان يلعب ف-هـ ٢

١٠ . ح-ب ٣ — ف-د ٦
١١ . ح-ج ٣ — ت
١٢ . ت — ر-ب ٨
١٣ . ر-د١ — و-هـ ٧
١٤ . ف-هـ ٣ — ح ٦

وكان من الافضل للاسود أن يلعب ب ٣

مسابقة العدد
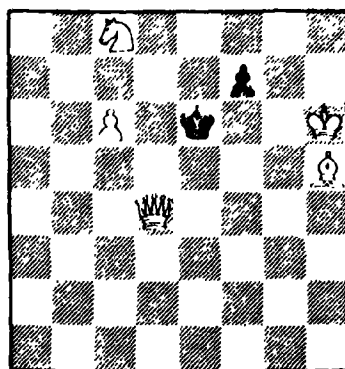
المسألة (١٧)

الأبيض يلعب ويكش مات بنقلتين

آخر موعد لوصول الحل هو مطلع شهر يوليو (١٩٨٤)

* كتبنا هذه المسألة بالطريقة الجبرية وقد عرضنا لهذه الطريقة بالتفصيل في عدد يناير ١٩٨٤ .

١٥ . رو-ج ١ — ر-د ٨
١٦ . أ ٣ — هـ ٥
١٧ . ح-أ ٤ — ب ٥
١٨ . ح-أ ٥

من الواضح ان هذا الرد وما يتبعه من تهديد مضاعف بالنقلة ح-ج ٦ لم يخطر ببال البطل الصيني .

١٨ . . . . . . — ر-هـ ٨
١٩ . ح-ج ٦ — و-هـ ٦
٢٠ . ح×ب ٨ — ف×ب ٨
٢١ . ح-ج ٥ — ح×ج ٥
٢٢ . و×ج ٥ — ح-ز ٤
٢٣ . ف-ج ٦ — ر-و ٨
٢٤ . و×و٨+ — يستسلم

حل المسألة (١٥)

عدد مارس ١٩٨٤

١ . و-ج ٣ — م-ب ١
٢ . و-د ٣+ — م-أ ١
٣ . و-د ٤ — م-ب ١
٤ . و-هـ ٤+ — م-أ ١
٥ . و-هـ ٥ — م-ب ١
٦ . و-و ٥ + — م-أ ١
٧ . و-و ٦ — م-ب ١
٨ . و-ز ٦+ — م-أ ١
٩ . و-ز ٧ — م-ب ١
١٠ . و-ح ٧+ — م-أ ١
١١ . و-ح ٨ — م-ب ١
١٢ . و-ح ١ ≠

الموسيقا الكويتية

لما كانت مجلة العربي تعرض أنواعا من الثقافات والعلوم والآداب ، فانني أقترح عليكم الاهتمام بالجانب الموسيقى باعتباره من الفنون التي تهتم بها الدول كرمز من رموز ثقافتها وحضارتها ، وأتمنى من مجلتنا الاهتمام بعلم الموسيقا الكويتية ـ والقاء الضوء على الآلات الموسيقية الكويتية وعلى أشهر الموسيقيين في الكويت .

كما أنني أود دراسة الموسيقا الكويتيه ، ومعرفة العزف على الآلة الموسيقية التي تشتهر بها الكويت ، وشروط الالتحاق بالمعاهد الموسيقية فيها .

جمال عبد الحي عبد الغنى ـ الجيزة ـ مصر

العربي

الاهتمام بالموسيقا وأهلها لم يغب عن صفحات المجلة ، وبخصوص معرفة شروط الانتساب الى معهد الموسيقا في الكويت ، يرجى الكتابة الى : معهد الدراسات الموسيقيةـ الكويت ـ وزارة الاعلام .

التعصب .. للغة العربية

كتب الأستاذ عثمان سعدى ، مقالا بعنوان (كيف نخرج من المأزق الثقافي) استشهد فيه بنجاح تجربة اليابان والصين وكوريا وكيف طوعوا لغاتهم في استيعاب محتويات النهضة الغربية وتطوير بلادهم صناعيا وعلميا ، ومن الأسف أنه بينما أشاد المستشرقون بلغتنا العربية لم نتمكن من التعريب الشامل لكل العلوم خصوصا في علوم الطب والهندسة ، اذ لا بد من التعصب للغة العربية من أجل النهوض بمنطقتنا العربية في كل المجالات . . .

احمد أدريس
الدوحة ـ قطر

البابليون .. والبساط الأحمر

قرأت في العدد (٣٠٢) من العربي وفي صفحة ١٦٢ ، ما جاء في مقالة الدكتور عمر الدقاق : ومن تمام الأبهة لدى استقبال الملوك والرؤساء ، مد بساط طويل أحمر اعظاما لشأن الضيف الكبير حين تطأ (أقدامه) أرض البلاد .

ويبدو أن ذلك العرف كان معهودا في القديم على نحو ما . . . والذي أدريه أن ذلك العرف سنه البابليون سنة ٥٨٦ ق.م عند استقبالهم ملكهم الفاتح نبوخذ نصر ، حين عودته بأسرى أورشليم ، بعد انتصاره الباهر عليهم في معركة جريئة ، وفرش لاستقباله وتكريمه البابليون الممر الى باب عشتار بساطا من الورود الحمراء الزاهية .. وتفعل ـ هذا ـ كل دول العالم تقريبا باستثناء العدو الاسرائيلي .

حسين حسن التميمي ـ بغداد ـ العراق .

اعداد
يوسف الشهاب

الكويت .. ومنظمة الطب الاسلامي

كان لخطوة الكويت في انشاء منظمة للطب الاسلامي في الكويت أكبر الأثر في نفوس ابناء الوطن العربي ، لما لمثل هذه المنظمة من دور في اهتمامها بالعلوم الاسلامية ، والأبحاث في هذا المجال ، واحياء التراث الاسلامي وفق منهج علمي حديث ، والتعاون مع الهيئات الدولية في المجال الطبي . ولهذا الموضوع الحيوي دور كبير في تحقيق الأمل في الخروج بالمسلمين والانسانية جمعاء من أثر الاستهلاك المادي والمعنوي الذي لا ينسجم مع القيم والتعاليم الاسلامية ، وهو مشروع نأمل أن يرى النور على المستوى العربي والاسلامي ، وأن يساهم به المسلمون من أجل صنع حضارة تستمد مقوماتها من أصالة الانتماء الحضاري والفكري والثقافي والسلوكي المهني والعام ، واستيعاب العلوم المعاصرة وتطبيقاتها بوعي ومسئولية ملتزمين بقيمنا ومبادئنا واخلاقياتنا ومثلنا الاسلامية .

كمال عبد الرحمن محمد
الجزيرة أبا ـ السودان

المشافي العربية

تابعت باهتمام الأفكار المطروحة من خلال المنتدى العربي عن الجامعات العربية ، وهل تحقق الهدف منها ، وتيقنت بأننا جيل قادر على تحقيق نهضة شاملة في مجمل الأقطار العربية ..

ولقد لفت انتباهي ما كتبه الدكتور نبيل سليم ، عن فشل المشافي الجامعية في تأهيل أطباء متخصصين يملكون الخبرة العملية الكافية والمعلومات الطبية الحديثة ، وقادرين على رفع المستوى الصحي في بلادنا العربية .

وباعتقادي أن السبب لا يكمن في كون هؤلاء خريجي مشافي حلب أو القاهرة أو الكويت ، وأولئك هم خريجو مشافي باريس أو لندن ، بل هناك أسباب يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وهذه تتلخص في : -

أولا .. الاعتماد على الدراسة النظرية في مشافينا أكثر من الاعتماد على الدراسة العملية .

ثانيا .. كون جميع الاساتذة والأطباء المشرفين على طلاب الدراسات العليا يعملون أيضا في القطاع الخاص ، وأن فترة وجودهم في المشافي الجامعية غير كافية لتأهيل هيئة عالية المستوى ، لذلك نجد أن أغلب طلاب الدراسات العليا يعتمدون على جهودهم الخاصة أكثر من اعتمادهم على أساتذتهم .

ثالثا .. كثرة الطلاب تحت اشراف أستاذ واحد وان هذا يتم على حساب المستوى العلمي لهؤلاء الطلاب ..

رابعا .. الأمور الادارية والروتينية التي تحد من حرية الحركة لطالب الدراسات العليا ، وحصر فكر الطالب في تقبل ما يمليه عليه الأساتذة ، دون أن يملك الاعتراض أو المناقشة ، ويجب الاعتراف بأن هناك أسبابا تعطي المختص من المختصين في الجامعات الخارجية أفضلية ويمكن عرض بعضها : اختلاف الامراض والعوامل المرضية للمرض الواحد باختلاف البيئة والعادات والتقاليد ، ثم التباين في المستوى الصحي بين بلادنا وبين الدول المتقدمة ، فكثير من الأمور التي تعتبر مشاكل صحية عندنا قد طواها الزمن عندهم منذ أمد بعيد ، فشلل الأطفال والسعال الديكي من أمراض الأطفال التي يندر أن لا يصاب طفل بها .

والتخصص في هذا الميدان من العلم مطلوب بشروط منها : رفع امكانيات المشافي الجامعية وزيادة عددها ، ثم تفريغ الاساتذة الاطباء المشرفين على القطاع التعليمي ، مع زيادة الأجور لتأمين حياة كريمة لهم تتناسب مع مكانتهم الاجتماعية .

محمد مرجان ـ كلية الطب البشري ـ حلب

حوار القراء

الاسـلام .. والعروبة

في مقال « القومية العربية » بقلم الدكتور محمد خلف الله المنشور في عدد (ديسمبر ١٩٥٨) والمعاد نشره في العدد (٣٠١) ١٩٨٣م جاء ما يأتي :

« ... ثم ان فكرة العربية أكثر انتشارا وأوسع نفوذا من الفكرة الاسلامية ، انها تشمل سكان العالم العربي جميعا ». أما الاسلام فلا يشمل هؤلاء السكان . لقد تعرّب سكان هذه البلدان أجمعون ولم يسلموا أجمعين . انه لا يزال منهم النصارى ولا يزال منهم اليهود .

والذي أود قوله ان الدكتور محمد أحمد خلف الله (سامحه الله) حسب لليهود حسابهم ولم يحسب للملايين من الأكراد في العراق وسوريا والاردن ، ولا للتركمان أو البربر في شمالي أفريقيا ... وهؤلاء مسلمون كما يعرف الجميع . وهذا المقال كتب أول ما كتب في عام ١٩٥٨م أي بعد عشرة أعوام أو أحد عشر عاما بعد احتلال اليهود أرض فلسطين المقدسة وتدنيسهم لها . ومع ذلك فاليهود لهم أهمية كبيرة في تكوين الوحدة العربية في نظر الدكتور كاتب المقال .. أما الملايين الذين ذكرتهم من غير العرب فلا .

ولا أعني بهذا أنني ضد الوحدة العربية أبدا ، ولكن مع اليهود ، لا ! أما اللغة العربية فهي الأساس في الوحدة العربية وفي الوحدة الاسلامية ، ولا خير في وحدة إسلامية لا ترتكز على لغة القرآن الكريم ، ولا على لسان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام .

محمد فاتح توفيق ـ الدار البيضاء ـ المغرب

الوجه الاجتماعي

كنت ـ ولا أزال ـ أتابع صدور مجلتنا العربي ، التي تطل علينا كل شهر في مواضيعها القيمة الشاملة لكل جوانب الحياة الأدبية والثقافية والعلمية وغيرها ، وخلال هذه المتابعة مع قراءة العربي شعرت بغياب الوجه الاجتماعي للمجلة ، الذي يدرس ويحل مشكلة كل قارىء يقتني هذه المجلة التي يعرفها كل قارىء عربي ، لشمولها كافة أنشطة الحياة الفكرية ، وما نوده ـ كقراء ـ أن تأخذ (العربي) هذا الجانب في أعدادها القادمة ..

معتز ابراهيم الغرباوي ـ القليوبية ـ مصر الجديدة

العربي

شكرا للقارىء على متابعته للعربي وعلى اقتراحه ، لكننا نرى أن الاقتراح ، الذي طرحه لا يتمشى مع رسالة المجلة وطبيعتها ، خاصة وأن قضايا المواطن العربي كثيرة ، وقد لا تستوعب صفحات المجلة ، ثم أن العربي لا تغفل عادة الجانب الاجتماعي ، وهذا ما تؤكده المقالات الاجتماعية التي يتناولها اساتذة مختصون في هذا الميدان ..

لاصوت آخر يصف ساعة رولكس بمثل هذا الجمال

أحيت "كيري في كاناوا"
ى حفلاتها الغنائية، وهي
، الخامسة عشرة . أمام جمهور
ن السيدات ينتمين إلى جمعية
سانية محلية في أوكلاند،
يو زلندا.

ولربما لامس صوت "كيري"
ؤاحساسًا في نفوس هذا
جمع من السيدات، إلا أن
منهن لم يخطر لها ببال
، الفتاة سوف يلمع نجمها
صبح من أشهر مغنيات
وپرانو الأوبرا في العالم.

وكان ما تقاضته مقابل
هورها على خشبة المسرح
ذاك مبلغًا سخيًّا مقداره
نيهان استرلينيان.

واليوم، وبعد قيامها بدور
ونا الڤيرا "من مسرحية "دون
وڤاني" في باريس، أو دور الكونتس في مسرحية
رس فيغارو" في كوڤنت غاردن، بلغ التأثر
نماه بكثير من النقاد حتى وصفوا صوتها بأنه
يقدر بثمن.

وحينما غنت هذه النجمة العالمية، إن في
يويورك، لندن، باريس أو ميلانو، تلاقي
أوبًا رائعًا وحماسًا منقطع النظير. يضاف إلى
ك النجاح الخارق لفيلم" دون جيوفاني" -

اخراج جوزيف لوسي - الذ
تألقت فيه كيري بدور "الڤير
تقول كيري. "إني مدينة
بالكثير للتدريب والتكنيك الف
الذي اعتمدته أساسًا حيث أصـ
صوتي مكيّفًا للغناء متخطيًا كا
المصاعب". واختيار "كيري
كاناوا" ساعة لمعصمها لامـ
يغمرنا بالسرور، حيث تقول
" بكل بساطة. رولكس اويسـ
ليدي - ديت جست الذهبية
هي ساعة رائعة. وطوال
سنوات، وأنا أستعملها. لـ
يحدث أبدًا أن زلّت أو
أخلّت... وأنا أعلم كم من
الصعب أن تبلغ الأمور مرحـ
المنّة بالمنّة.

وكل يوم، وحينما كنت
أمضي ساعة على الأقل في
غناء دور مسرحي لأحافظ على صوتي نقيًّا
رخيمًا. لذا، أقدّر الوقت حق تقدير، وكذلك
المهارة والمجهود الذي يبذل لابداع شيء في
منتهى الجمال والدقة. كهذه الساعة."

"كيري في كاناوا" وساعتها رولكس ليدي
ديت جست.

لم يصدر عن أي صوت آخر تعبير بمثل
هذا الجمال.

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس ليدي [illegible] المصنوعة من الذهب [illegible] عيار ١٨ قيراطًا أو من فولاذ لا يصدأ مع سوار يسمح معها.

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو ١٩٨٤ م

الشعر الإغريقي

تراثاً إنسانياً وعالمياً

تأليف

د. أحمد عتمان

الكتاب السابع والسبعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

١٧٦

الدكتاتور

تأليف : جول رومان
ترجمة وتقديم : عبد المسيح ستيتي
مراجعة : د. علي درويش

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل أعدادها الى أيدي نحو ٢٥٫٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على -

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون

عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة

- أبواب ثابتة تقارير - وثائق - يوميات - ببليوجرافيا
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ... فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات للأفراد سنوياً ... كويتية في الكويت . ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت . ٤٠ دولارا أمريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

منشورات المجلة

تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩
٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د عبد الاله أبو عياش) ١٩٧٩
٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د بدرية العوضي) ١٩٧٩
٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠
٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الأول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ . ١٩٧٩ .

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .
ص . ب : ١٧٠٧٣ - الخالدية
الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

الأيدي
تصنع
في تونس

خطوات الإنسان الأولى على القمر : ٢١ يوليو ١٩٦٩

ـكار العظيمة من أمريـ
ـتواصل مع فيشر

ليمة اخرى من امريكا ، إبتدأها رجل إسمه افيري فيشر
١٩ عندما قدم للعالم اول جهاز نظام هاي فاي ، وفي
حة قدم عدة اختراعات سباقة للعالم : اول جهاز
ريو AM/ FM ، أول نجاح تطبيقي لموتور جهاز
يعتمد الحركة الخطية ، أول
دني بثقوب ، نظام مكبرات
جاهات والعديد من التطورات
اقة .

ان إسم فيشر كوربوريشن اليوم هو واحد من الاز
في مجال الاجهزة السمعية المرئية في العالم .
ان التكنولوجيا الحديثة والهندسة الصناعية ومتاب
الإنتاج الفائقة الجودة أعطت فيشر هذه الشهرة المميزة
لذا يمكنك التمتع بمجموعة فيشر الواسعة من الاج
السمعية والمرئية كلها تعتمد على التقاليد الامريكية بالنسبة لل
والنوعية ، ومهما كان جهاز فيشر الذي اخترته ستكون اكيد
جودته ووثوقه وعمره الطويل . فيشر
فكرة امريكية عظيمة اخرى .

فيشر

رمضان ١٤٠٤هـ - يونيو (حزيران) ١٩٨٤

آمدبی

ـاص
ـضان كريم

ـرمضـان..
ـومآذن القاهرة

ـوسيقى الزمن
. والإنسـان

ـربـاروسـا
ـسـيّد البحار

العربي

مجلة ثقافية عربية مصورة

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت للوطن العربي
ولكل قارئ للعربية في العالم
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة
قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الإشتراكات
المكتب الفني - وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣ الكويت

على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية ، أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام
طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

العدد ٣٠٧
يونيو ١٩٨٤

عنوان المجلة بالكويت
ص.ب ٧٤٨ صفاة
ت ٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٤٢٤٢-٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت
تلكس : MITR-44041 KT

ثمن العدد

الكويت	٢٥٠ فلساً	السعودية	٥ ريالات
العراق	٢٥٠ فلساً	اليمن الشمالي	٣ ريالات
الأردن	٢٠٠ فلس	قطر	٥ ريالات
البحرين	٣٠٠ فلس	لبنان	٣ ليرات
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	سوريا	٣ ليرات
مصر	٢٥٠ مليماً	الامارات	٥ دراهم
السودان	٩٠ قرشاً	المغرب	٣ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم	ليبيا	٢٥٠ درهماً
الجزائر	٤ دنانير	سلطنة عمان	ربع ريال
بريطانيا	جنيه استرليني	أوروبا دولاران أو	جنيه استرليني
فرنسا	١٥ فرنكاً	أمريكا	دولاران

AL-ARABI
Issue No . 307 . June . 1984
P. O. Box 748 KUWAIT

A Cultural Monthly
Arabic Magazine
in Colour
Published by:
MINISTRY OF
INFORMATION
STATE OF KUWAIT.

قضية الاعلام اليوم لم تعد مجرد صحيفة أو مجلة تقرؤها ثم تطويها .. ولا مذياعا تسمع موسيقاه وأغانيه ثم تحرك مؤشره لتغير موجته .. ولا تلفازا تدير مفتاحه لتفتح عينيك على صور ومشاهد وروايات تبهرك وتدغدغ مشاعرك حتى ترتوى فتطفئه .. لا .. فقد بات الأمر أكثر أهمية وأشد خطرا مما تتصور ..

فبعد سنوات قليلة .. سنجد أنفسنا فى مواجهة اجتياح شامل على ثقافتنا العربية من ثقافات أجنبية لن تكون كلها صديقة .. حين تهبط علينا من الفضاء برامج البث التلفزيونى للأقمار الصناعية التى ينتظر أن تنطلق بوادرها خلال بضعة شهور .

وبرغم أن البدايات قد تكون جذابة ومشوقة بالقدر الذى يدفع الشعوب الى متابعتها .. نجد أن الذى لا شك فيه .. هو أن برامج البث الجديد ستكون مثل « سنارة الصيد » .. التى تطلق فى الماء محملة بالطعم الذى يجتذب الأسماك .. حتى اذا وقعت فى المصيدة لم تجد سبيلا للفكاك ، بعد أن تكون السنارة قد انغرست فى حلوقها لتجذبها الخيوط الى حيث لا حرية .. ولا حياة .. ولنا أن نتصور أنفسنا فى وطننا العربي ، وقد غطى قمر البث الاسرائيلى سماءنا .. لينقض علينا بكل ما يريد بثه من سموم وأكاذيب .. !

صحيح أن الخطر الآن قائم ولو بشكل جزئى بما تستورده اذاعاتنا المرئية المسموعة من برامج تبث لنا السم فى الدسم .. الا أن الخطر سيكون أعم وأشمل عندما لا يصبح فى أيدينا ما نتحكم به فيما تنقله الينا الموجات السامة المنقضة علينا من الفضاء .

ان «العربي» عزيزي القاريء- يناقش معك فى هذا العدد تفاصيل ذلك التحدى الخطر الذى يجب أن نستعد لمواجهته .. ويفتح صفحاته لكل صاحب رأى .. يمكن أن يسهم به للاعداد لهذه المواجهة ..

فتلك فى الواقع هى القضية .

المحرر

هذا العدد

عدد خاص عن رمضان

وأنت تقلب صفحات هذا العدد الخاص بمناسبة رمضان . . وتستعرض موضوعاته . . وحين تختتم ساعات صومك . . وتلقى نظرة سريعة على عقارب ساعتك بانتظار لحظة الافطار . . هل خطر ببالك أن تعرف ما وراء هذه الساعة الصغيرة من تاريخ ؟ وهل تنبهت الى أن كل شيء فى هذه الحياة يسير بميقات ؟ وان التوقيت أساس من أسس العقيدة ترتبط به فرائض الاسلام . . من صيام وصلاة وزكاة وحج الى بيت الله ؟ إن أردت أن تنعش ذاكرتك ، فتتبع موسيقا الزمن . . والانسان .

« اقرأ ص ٤٩ »

◆ مآذن القاهرة القديمة ◆

عندما يرتفع صوت المؤذن . . وتغرب شمس رمضان وراء مآذن القاهرة القديمة . . يمر أمام ناظريك شريط طويل يستعرض سجل تاريخ أحرفه من نور . . يحكى تفاصيل أيام باهرة شهدت أمجاد العرب والمسلمين . . وأحداث عهود حافلة بالانتصارات . . هى الشاهد الحى على حضارة رائعة ظلت تتواصل كلما انطلق من فوق المآذن نداء . . الله أكبر . .

« اقرأ ص ١٠٠ »

◆ نحو نظام عالمى بديل ◆

تميزت الحقبة الأخيرة بصحوة ثقافية حضارية فى العالم الثالث . . ترفض أيدلوجيات « السادة » . . وتنادى بالعودة الى الجذور والبحث عن الذات ، ولا شك أن الصحوة العربية الاسلامية هى أهم هذه الحركات جميعا فى عالم اليوم . . فكيف يكون السعى الجاد لشق طريق جديد لمشروع حضارى بديل للمشروع الغربى الذى أصبح الآن على مفرق الطرق ؟ .

« اقرأ ص ١٦ »

◆ بارباروسا . . سيد البحار ◆

لم يكن بارباروسا قرصانا كما ادعى المؤرخون الاوروبيون.. وإن كانت حملاته ضد السفن الاسبانية والأساطيل الصليبية تعد قرصنة . . فكيف نسمى هؤلاء الذين كانوا يضربون تجارة المسلمين ويستولون على سفنهم فى عرض البحر . . ويهاجمون الثغور الاسلامية ، يسرقون خيراتها ويستعبدون أهلها ؟ ان قصة حياة خير الدين سيد البحار وحامى العقيدة تلقى ضوءا كاشفا على الحقيقة كما تبينها صفحات التاريخ الاسلامى .

« اقرأ ص ١٢٤ »

محتويات العدد

قضايا عامة

عروبة واسلام

منتدى العربي

طب وعلوم

آداب وفنون

اجتماع

تاريخ وأشخاص

استطلاعات مصورة

أبواب ثابتة

من المسؤول عن

الجوع : قنبلة بلا انذار

يُحدثك البعض عن المشكلات العالمية ، فيضع مشكلة التهديد النووي على رأس المشكلات التي ترعب العالم وتخيفه . . ويضرب لك مثلا بأن الوقت المتاح بين معرفة الصاروخ المتجه الى هدفه ، وبين اتخاذ قرار بمواجهته في أي اتجاه ، قد تقلص اليوم ، ليصبح أربع دقائق فقط ، بين المعسكرين المتواجهين . . الشرق والغرب .

تلك بعض أسباب الخوف على العالم ، ولكن هناك أسباب أخرى أكثر خطورة وتدميرا ، وهي لا تحتاج لضغط أزرار ولا تحسب بالدقائق ، فهي قائمة تدمر ملايين الأرواح من البشر في أكثر من قارة ، وخصوصا في أجزاء كبيرة من أفريقيا وآسيا . . إنها قضية الجوع .

ومنذ أن كتب « جوزيه دوكاسترو » كتابه المعروف « الكتاب الاسود للجوع » في أوائل الستينيات من هذا القرن ـ مرورا بتقرير لجنة ولي برانت الدولية وانتهاء بتقارير المنظمات المختلفة التابعة للأمم المتحدة في بداية الثمانينيات ـ وقضية الجوع ونقص التغذية التي تقصف أرواح الألوف المؤلفة من الأنفس البشرية كل عام ، هي قضية تتداولها المحافل المتخصصة والتقارير الموثقة ، وتظل حبيسة الأدراج أو مضمومة في كتابات الأكاديميين ، أو ينظر اليها على أنها قضية انسانية فحسب . . قضية ليس من المحتمل أن تصيبنا ـ نحن في الوطن العربي ـ برذاذها !

ولكن هل ذلك صحيح ؟

يقول الزعيم العمالي السابق هارولد ولسون ـ وكان ذلك في بداية الستينيات أيضا ـ « ان المشكلة الملحة لغالبية البشر ليست مشكلة الحرب ولا مشكلة تكاليف المعيشة ولا مشكلة الضرائب . . . انها مشكلة الجوع . . ذلك أن الجوع هو نتيجة وسبب في نفس الوقت للفقر والبؤس لملايين البشر من أبناء الأرض » .

ان البؤس والجوع الذي يخيم على قسم كبير من سكان الكرة الأرضية هو في نظر العقلاء أشد خطرا على مستقبل الانسانية ، حتى من هول الحرب النووية .

واذا كانت الحرب النووية غير متوقعة . . فالفقر والبؤس هو الواقع المعاش يوميا ، واذا أردنا أن ننظر الى نتائجه فلنتذكر بعض حوادث أخيرة وقعت في بعض

الجوع في العالم ؟

بقلم : الدكتور محمد الرميحي
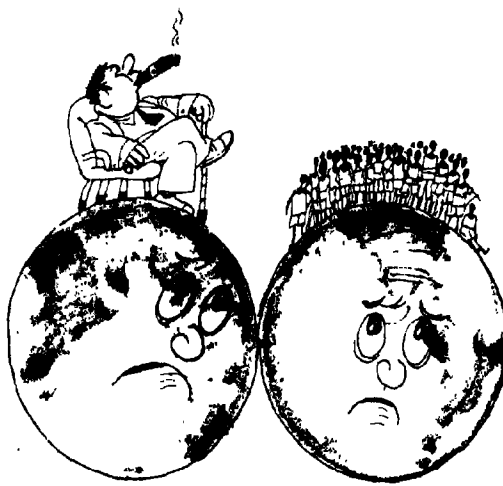
الأقطار العربية ، نعيها بكل حواسنا .

ففي الوطن العربي .. نجد أنه لا غياب الديمقراطية ، ولا فرض الأحكام العرفية ، دفع الشارع العربي في بعض أقطارنا الى الهيجان .. كما فعلت قرارات رفع أسعار بعض المواد الغذائية الأساسية . انه الخوف من الجوع .. القنبلة التي تنفجر دون انذار .

* * *

ولكن من المسئول عن الجوع في العالم ؟

هناك نظريتان مطروحتان لتفسير أسباب الجوع وتحديد العوامل المسببة له :

النظرية الأولى تقول :

ان الجفاف واحتباس الأمطار في بعض المناطق ، وتآكل التربة وزيادة تكاثر السكان ـ خاصة في العالم الثالث ـ وتدفقهم من المناطق الريفية الى الحضرية ، وما

شابه ذلك من العوامل الطبيعية يؤدي الى تدهور الزراعة .

وفوق هذه الأسباب الطبيعية - يذهب القائلون بهذه النظرية الى وضع أسباب مصنوعة من قبل الانسان نفسه - مرة أخرى - خاصة في العالم الثالث ليزيدوا بأن السياسات غير الحكيمة - الزراعية والاقتصادية بوجه عام ، والتي تتبعها أقطار العالم الثالث - تؤدي الى تزايد في انهيار الزراعة ، كما تؤثر في ذلك الخلافات الاقليمية الحادة ، والتي قد توصل الى الحرب ، مما يدفع مزارعي المناطق الحدودية الى الهجرة ، وحرمان الريف من الخدمات الأساسية ، واحتكار الثروة لدى فئة صغيرة من الناس ، ويؤدي ذلك بالتالي الى أن يصبح الريفي فقيرا معدما وتتناقص انتاجيته الى الحضيض ، مما يجعل هذا الريفي يعتقد أن خلاصه في المدينة .. فيزيد المشكلة تعقيدا .

هكذا ترجع النظرية الأولى أسباب المجاعة الى الانحطاط الزراعي المرتبط بالمؤثرات الطبيعية وبالاجتهادات الخاطئة للانسان .

أما النظرية الثانية :

في أسباب هذه المجاعة ، وتدني مستوى التغذية لبعض بلدان العالم الثالث ، فهي تضع اللوم على سيئات النظام الاقتصادي العالمي ، فهو يفرض على الدول النامية والفقيرة حدودا لا يمكن تخطيها ، فان هي حاولت ان تنمي نفسها زراعيا تجد أنها في حاجة الى مستلزمات الانتاج الزراعي ، كالأسمدة والمبيدات ووسائل النقل والتخزين ، والتقاوي المحصنة ، وفوق ذلك المعرفة العلمية .. وجميعها مصنوعات أو خدمات تملكها البلدان المتقدمة ، ويعترض الحصول عليها الافتقار الى نقد نادر ليس متوفرا الا بمساعدة الدول المتقدمة نفسها ، وكأن الدائرة مقفلة لا خروج منها .

في الوقت نفسه تفرض الدول المتقدمة الأسعار التي تناسبها للمنتجات الخام ، المتوفرة في البلدان النامية ، وتغلق سوقها من جهة أخرى - الا فيما ندر - لأي شكل من أشكال المصنوعات أو المنتجات الزراعية التي يمكن أن تدر نقدا أجنبيا .

وباختصار - تضع هذه النظرية اللوم كل اللوم في مظاهر الفاقة والجوع في العالم ، على سياسات الدول المتقدمة المحتكرة للنظام الاقتصادي الدولي ..

فأي النظريتين على خطأ .. وأيهما على صواب ؟

الجوع في العالم الثالث : مظاهره وأسبابه

نكون مجانبين للحقيقة والواقع اذا تبنينا احدى النظريتين على علاتها ، فهناك حق في بعض ما تقوله النظرية الأولى ، وحق في بعض ما تقوله النظرية الثانية ، إلا أن واقع الفاقة والجوع في العالم الثالث واقع حي معاش .

فمظاهر الجوع والفاقة في بعض مناطق افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية تصدمنا بها اعلانات مؤسسات الاغاثة الدولية ، ومؤسسات العون الخيرية الاقليمية في كل يوم وساعة .

ففي منتصف أكتوبر الماضي قامت منظمة الأغذية والزراعة الدولية بتنظيم حملة سريعة من خلال مؤتمرين للمتبرعين ، عقدا في روما لتقديم المساعدة العاجلة لبعض الدول الافريقية ، وظهر من أوراق المنظمة أن الدول الافريقية التي تعاني من نقص حاد في الغذاء ، وصلت الى ستة وعشرين بلدا ، ومن الممكن أن تصل الى خمسة وثلاثين بلدا ، أكثر من نصف بلدان افريقيا ، بعد أن ظلت الظروف الطبيعية في العام الماضي كما هي عليه في افريقيا منذ سنة ١٩٨١ ، من نقص في الأمطار وهلاك في الماشية ، الى درجة أن صور الأقمار الصناعية تظهر أن الحزام الأخضر خلف الصحراء الافريقية قد تراجع من ١٥٠ الى ٢٠٠ كيلو متر للجنوب ، وبدأت الصحراء تتسع ، مما يهدد بزوال حضارة افريقية كاملة .

هذا الجفاف يسبب مآسي في بعض تلك الدول الافريقية ، الى درجة أن الملايين تواجه المجاعة ، أو على الأقل تواجه مستوى خطيرا من نقص في التغذية .

في الحالة هذه لا يمكن تجاهل الأسباب الطبيعية التي تزيدها المشكلة الاقتصادية العالمية تعقيدا . فان معظم هذه البلاد لا تجد العملة الصعبة لاستيراد ما تحتاجه من غذاء أساسي لسكانها ، أما على المستوى العالمي فان موضوع ازدياد السكان أيضا عامل لا يمكن تجاهله . ورغم تحفظنا على الأرقام ـ حيث تختلف بعض المصادر عن الأخرى ـ الا أننا نذكر كمؤشر ما ذكره معهد دراسات العالم في تقريره المرسوم ـ حالة العالم سنة ١٩٨٤ ـ وهو من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها . يقول التقرير ان زيادة سكان الأرض قد وضع على مصادرها الطبيعية ضغطا غير

مسبوق ، والتقديرات تقول لنا أن عدد سكان العالم سوف يصل خلال لخمسة الأعوام القادمة الى خمسة بلايين نسمة ، أي بزيادة ٣٣٠ مليونا على ما كان عليه عدد سكان المعمورة في منتصف ١٩٨٣ ، والذي كان ٤,٦٧ بليون نسمة . هذه الزيادة سيكون نصيب الأسد منها في العالم الثالث ، فنسبة زيادة السكان بالولادة في العالم الثالث هي ٣٣ لكل ألف من السكان ، في حين أنها لا تزيد على ١٥ لكل ألف من السكان في الدول المتقدمة ، أي أنه ـ بحسبة صغيرة ـ نجد أن عدد الولادات في العالم الثالث يصل الى سبع مرات أكثر منها في العالم المتقدم . في الوقت الذي نجد فيه أن نسبة الوفيات العامة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث ، تكاد تكون متقاربة ، فهي عشر وفيات لكل ألف نسمة في البلدان المتقدمة ، واثنتا عشرة وفاة لكل ألف نسمة في البلدان النامية ، ولكن هذه النسبة تختلف اختلافا بينا عندما نتحدث عن وفيات الأطفال . . فهي ٣٩ ألفا من المواليد في العالم الثالث ، بينما تنخفض الى ١٩ ألفا من المواليد في الدول المتقدمة .

أما توقع سنوات عمر الانسان ، فالافتراض هو أن يصل في الدول المتقدمة الى سن ٧٣ سنة في المتوسط ، أي بزيادة حوالي ١٥ سنة في المتوسط عن سنوات عمر الانسان في العالم الثالث .

بيت القصيد هنا من هذه الأرقام هو أن مستوى المعيشة للفرد في العالم المتقدم يتحسن باطراد . . من الناحية المادية ، بينما هو ينخفض في العالم الثالث الذي يتكاثر فيه البشر ويتزاحمون على مصادر طبيعية أقل .

من المضحك المبكي أن هناك مليارات من المخلوقات البشرية هي الأكثر تناسلا لأنهم أشد فاقة ، مشكلتهم اليومية اللاهبة والمستعصية هي الحصول على الرغيف ، يعيشون في المغارات والكهوف وعلى حدود الصحراء ، يتغذون بالأعشاب ، أو في مدن مزدحمة حيث يقتنصون فرص الحياة الأفضل اقتناصا .

استغلال الطبيعة وتسخيرها أيضا يعاني من عقبات كؤود لدى هؤلاء البشر ، فعلى سبيل المثال يذهب تقرير حالة العالم سنة ١٩٨٤ الى القول ـ ان آسيا التي تضم نصف سكان العالم لا تملك أكثر من ١٧٪ من موارد الأرض الغذائية ، كما أنهم يسخرون موارد الطبيعة للاستهلاك المباشر ، فأحد مصادر اعادة نظام الحياة على الأرض . . هو الغابات التي تتقلص مساحاتها في العالم الثالث بأسرع مما يحدث في العالم المتقدم .

وبعض الأسباب الأخرى

اذا كان الانفجار السكاني وعوامل الطبيعة من الأسباب الرئيسية لمظاهر الفاقة والجوع في عالمنا . . فإن هذه الأسباب ليست كل شيء . حيث ان الانفجار السكاني يمكن من خلال وسائل متعددة أن يضبط ، ومن خلال استخدام التقنية المتقدمة يمكن أيضا موازنة ما تحجبه الطبيعة لفترة زمنية محددة ، إلا أن أسبابا أخرى
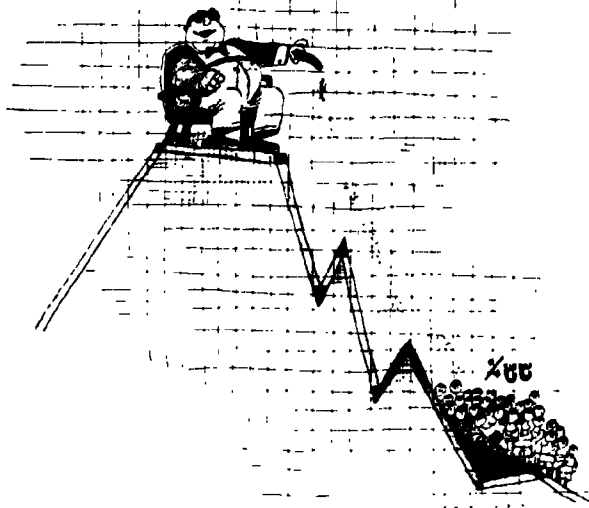
يشترك فيها الانسان بإرادته تسبب الفاقة والجوع . . وهي أسهل تحكما في يد الانسان ان توفرت الارادة .

قد يبدو من العجيب مثلا أن تقول لنا التقارير الرسمية ان احتياطي الغذاء العالمي قد بلغ أعلى مستوى في عقد كامل خلال أوائل الثمانينيات . . وتركز هذا الاحتياطي في العالم المتقدم . . ومن أسباب هذا التراكم الملفتة للنظر ، ضعف القوة الشرائية لأقطار العالم الثالث ، واضمحلال متوسط استهلاك الفقراء للغذاء .

ويتركز مخزون الانتاج الغذائي في بعض الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا ، فخريطة تجارة الحبوب تقول لنا ان العالم يزداد اعتمادا على سلة الخبز في أمريكا الشمالية .

فعلى سبيل المثال نجد أنه في سنة ١٩٨٢ صدَّرت الولايات المتحدة ما نسبته ٥٥٪ من صادرات العالم من الحبوب الى الخارج . هذا الاعتماد الكبير على منطقة بحد ذاتها لاطعام العالم ، يجعل بقية المناطق معرضة لمخاطر حقيقية ، أقلها خطورة تقلب المناخ الطبيعي في أمريكا الشمالية ، وأكثرها تقلب المناخ السياسي الممكن في أي وقت ، فهو عامل يتحكم فيه الانسان !

انتاج الغذاء

الانتاج واعادة الانتاج قضية أخرى يتخبط فيها كثير من أقطار العالم الثالث . تقول لنا الاحصائيات أيضا أن نمو انتاج المواد الغذائية في البلدان المتخلفة تأخر تأخرا ملحوظا . ففي عشر سنوات بين ١٩٦٤ و ١٩٧٤ زادت نسبة انتاج العالم في

المواد الغذائية حوالي ٣١٪ ، وزاد انتاج الفرد في المتوسط بـ ٧٪ أي ٠,٧ في السنة . غير أن البلدان المتقدمة قد زادت فيها انتاجية الفرد في المتوسط بـ ١,٤٪ سنويا ، وهذا يعني ضعف المستوى العالمي . . ويعني أيضا انخفاض متوسط الانتاج في دول العالم الثالث .

وفي الوقت الذي يضعف فيه الانتاج تقل سبل ابتكار الاستفادة القصوى من المصادر المتاحة ، فاعادة استخدام مواد مثل الورق والصلب والالمونيوم طريقة معروفة ومؤسسية في العالم المتقدم ، فبلد مثل هولندا واليابان تعيد استخدام حوالي نصف ما تستهلكه من ورق ، وتفرض تسع ولايات في الولايات المتحدة قوانين لدفع رهونات على علب وزجاجات المشروبات التي تؤمن إعادة ٩٠٪ منها من أجل اعادة التصنيع والاستخدام من جديد ، في الوقت الذي لا تهتم كثير من دول العالم الثالث لهذا الأمر . كما أن الدول الأخيرة تقتطع من ميزانياتها الكثير . . . الكثير للصرف على شراء الأسلحة وتكديسها ، وهذا أمر يصفه تقرير معهد دراسات العالم بطريقة لا تبتعد عن السخرية بقوله :

(ان شعوب العالم الثالث رغم أنها أفقر وأكثر جوعا ، إلا أنها أفضل تسليحا) !

اذا كانت مشكلات الانتاج واعادة الانتاج والصرف غير العقلاني على السلاح تُعد من أسباب تدهور مناطق العالم في الفقر والجوع ـ بجانب الأسباب الطبيعية ـ فان سياسات التوزيع وسوء الادارة لا تقل درجة مساهمتها في هذا الوضع الخطير .

فاذا كانت افريقيا ـ جنوب الصحراء ودول الحزام الافريقي الاوسط ـ قد هزت ضمير العالم بسبب الجوع ونقص الغذاء ، فان الجوع ونقص التغذية وباء في

مناطق أخرى كالهند وبعض مناطق العالم الثالث التي تتوفر لديها وسائل أفضل من أفريقيا من مصادر المياه والأرض الخصبة والادارة المتقدمة نسبيا .

ففي الهند على سبيل المثال تقول لنا الاحصائيات ان عدد السكان قد بلغ في سنة ١٩٨٣ حوالي ٧٠٠ مليون نسمة ، منهم حوالي ٣٣٩ مليون نسمة يعيشون تحت حزام الفقر (أي لا يجدون الحد الأدنى من الغذاء والمسكن والرداء) .

ويزداد هذا الرقم سنويا بنسبة ٦,٦٪ حسب بعض المصادر الصحفية الهندية .

أما وفيات الأطفال - والتي هي مؤشر من مؤشرات مستوى المعيشة لأي دولة ، فتقول لنا الاحصائيات أنه مابين سنة ١٩٧٠ الى ١٩٧٨ كان متوسط وفيات الأطفال في الهند ١٣٠ وفاة في الألف ، وتذهب الاحصائيات لتقول أن وفيات الأطفال قبل السنة الأولى من الميلاد تشكل ٣٠٪ من مجموع الوفيات ، أما وفيات الأطفال تحت سن الرابعة فتشكل ٤٥٪ من نسبة الوفيات العامة في الهند !

أما الرقم المخيف الآخر ، فإن الاحصائيات تقول لنا ان ٨٥٪ من الأطفال الهنود قبل الخامسة من عمرهم يعانون من أشكال مختلفة من نقص التغذية ! ومثل آخر من ماليزيا ، فرغم النهضة الاقتصادية بعد الاستقلال ، الا أن نسبة الفقر قد زادت في الثلاث سنوات الأخيرة من ٢٩٪ الى ٤٢,٨٪ ، كذلك تشير الدلائل الى ان نسبة الفقر تزداد في أمريكا الجنوبية والوسطى .

مشكلة الجوع والفقر في بعض هذه المناطق ليست مشكلة جفاف ، ولا حتى زيادة في عددالسكان ، أو نقص في انتاج الغذاء .

المشكلة مشكلة سياسات ، ففي بعض بلدان أمريكا اللاتينية التي يعاني سكانها من الجوع وسوء التغذية المزمن ، هذه الدول في واقع الأمر هي مُصدرة للغذاء ! ولكن أي غذاء ، الغذاء المطلوب للأسواق الخارجية .

والهند على سبيل المثال لديها فائض من الغذاء أيضا كما أن انتاجها يتزايد ، فقد ارتفع انتاج الحبوب في الهند من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٨٣ من ٥٠ مليون طن الى ١٤٥ مليون طن . والخبراء يعتقدون أن انتاج الحبوب في الهند سوف يصل في عام ٢٠٠٠ الى مابين ٢٢٥ مليون طن و ٢٥٠ مليون طن/ سنة .

وبعض جوع أقطار العالم الثالث ناتج من فقر الجماهير نتيجة التوزيع السيىء للثروة والادارة غير الرشيدة للموارد التي توصل الناس - رغم غنى طبيعتهم النسبي - الى حد يعجزون فيه عن انتاج أو شراء الطعام الأساسي .

هل يوجد خطر في الوطن العربي ؟

الأسباب العامة التي ذكرناها سابقا كمسببات للجوع ، ونقص التغذية في العالم الثالث ، تنطبق بعمومياتها على الوطن العربي .

فبعض مناطقه ـ كموريتانيا مثلا ـ لم تفلت من دائرة الجفاف ونقص الغذاء في السنوات الأخيرة من خلال موجة الجفاف العامة التي ضربت غرب افريقيا ـ الا ان أوضح المظاهر بالنسبة لنا كعرب ، حاجتنا الملحة الى حد التبعية للمواد الغذائية . فزيادة الطلب على الحبوب في الوطن العربي (القمح ـ الأرز ـ الذرة) وبقية المواد الغذائية الأخرى والذي تزامن مع تقهقر الانتاج منه جعل من الوطن العربي أكبر مستورد للحبوب بعد الاتحاد السوفيتي ، فنجد أن الوطن العربي قد استورد حوالي ١٣,٨ مليون طن من القمح في سنة ١٩٧٩ ، أي ما يعادل ١٧٪ من القمح المتوفر للتصدير في العالم أجمع ، بينما نسبة العرب الى سكان العالم لا تتجاوز ٥٪ .

واذا تذكرنا أن الولايات المتحدة تليها كندا وأستراليا هي المصدر الأكبر . . يتضح مدى امكانية ارتباطنا بعلاقة تجارية ملزمة نحتل فيها نحن العرب موقع التبعية .

ولأن الوطن العربي قد تخلف لاسباب معروفة عن الثورة الخضراء الأولى في الستينيات ، والتي شهدت فتحا في الزراعة والزراعة المصنعة ، ولم يبدأ الاستثمار العربي في الغذاء الا في السبعينيات ، فحتى تلك الخطوات لم تعد تغني ـ كما تقول منظمة الاغذية والزراعة ـ عن أن الوطن العربي سوف يستورد في سنة ١٩٨٥ ما قيمته ٥ بلايين دولار من الحبوب واللحوم .

نعم . . لقد بدأت مظاهر الأشياء تتغير . فهناك في الوطن العربي خطط للتطوير الزراعي ، وهناك أشكال جديدة من طرق الزراعة والري ، وهناك مؤسسات دولية واقليمية ووطنية علمية وعملية تهتم بالموضوع الزراعي في الوطن العربي ، وهناك اتحادات منتجين للأسماك وبعض أنواع المزروعات والصناعات ذات العلاقة . . الا أن الجهد المبذول والظروف المحيطة به ، لا تجعلنا نركن الى ان يوم الخوف من الجوع يبتعد عنا بخطوات كبيرة .

* * *

وفي شهرنا هذا ـ شهر رمضان المبارك ـ والذي يحثنا فيه ديننا الاسلامي وحضارتنا العظيمة على الصوم من أجل التعبد ومشاركة غيرنا عناء الحرمان لفترة من النهار . .

نضع السؤال الآتي لكل مهتم :

هل توجد لدينا سياسة او سياسات عربية زراعية تهدف الى الحد من تبعيتنا الغذائية وتكفينا شر الحاجة ؟ أم أننا نخضع لأهداف السياسة الزراعية للآخرين . . . ؟

إن ذلك لعمري لهو الجهاد العظيم . . .

محمد الرميحي

الغد المجهول

شعر : الياس قنصل

سواء رأيت الخير فيك أو الأذى ... فان هنائي في انتظارك يا غدُ

ثويتَ وراءَ الأفق رهنَ استراحةٍ ... دقائقها معدودة لا تُمددُ

نظامك يحدوه رُتوب معيَّنٌ ... بآنائه سيرُ الزمان مُقيدُ

نحدّد في ساعاتك الصبح والدجى ... وسلطانك المحبوس ليس يُحددُ

وأنت قديم ضاع في الدهر بدؤه ... وصدرك فيه كلُّ شيء مجدد

توزع ما تهوى بعدل مكتَّم ... فتنتشر أسباب الشقاء وتَسعد

يظلل رجاء المرء فيك موطدا ... ولو كان بين المرء والموت موعد

ولو لم تكن سرا على الناس مغلقاً ... يقرّب منه الوهم حينا ويُبعد

لما نلت ممن يبتغيك عنايةً ... بها لهفة نيرانها تتوقد

اذا عرف الانسان ما سوف ينجلي ... وبان له ما كان في الغيب يُنشد

فقد زال احلى ما يَضم وجوده ... من السحر في الشوق الذي ليس ينفد

ورب رجاء كان دأباً وهمة ... تُصادم أهوال الخطوب وتَصمُدُ

وَقدْ يَجعل الظنُّ الحياةَ جميلةً ... وينفث فيها ما يروق وَيَرْغَد

وتلمحها عين اليقين كآبة ... بأمواجها جمر العزائم يَخْمُد

تصول على الأيامِ صولة فاتك ... وفيك يموت اليوم والأمس يُلحد

وتسري الينا بالفُجاءات ساخرا ... بما حَسَب العقل الحصيف المسدد

فكم عارضٍ عرفانَ ما فيك لم يكن ... سوى جاهل فيما يَنُص ويسرُد

تكيّفك الأفكار وَفْق مرادها ... وجوهرك المكنون لا يتعدد

فأنت سريع ان يكن ما يهمّنا ... اذا جئتَ ـ مكروها يسوء وَينكُد

وأنت بطيء حين نرقُب غاية ... على أسها صرح الهناء يُشيد

تمر كما مر القضا غير عابيء ... بمصلحة فينا تَضِل وترشد

تُطِلُّ علينا كُل يَوْم وتختفي ... وأنت وراء الأفق ثاوٍ مخلد

نحو نظامٍ عالميّ بديل

بقلم : الدكتور اسامة امين الخولي

☐ هل يمكن تحقيق قيام مشروع حضاري بديل للنظام العالمي .. يتجاوز السلبيات التي يعاني منها المشروع الغربي ؟ وهل هي مرحلة تحول .. أم مجرد تطور وانتقال .. ثم كيف تكون العودة الى الجذور من أجل المستقبل ؟

المخضرمون منا استعادوا ـ وهم يطالعون ما فاضت به الصحف والدوريات الغربية في الشهور الأخيرة من تعليقات على كتاب جورج اورويل[1] « ألف وتسعمائة واربعة وثمانون » ـ ذكريات الزوبعة التي أثارها ظهور الكتاب عام ١٩٤٩ والذي صور فيه الكاتب مستقبل العالم عندما يأتي عام ١٩٨٤ في صورة بشعة أرادها أن تكون تحذيرا للعالم المتمدن (الغربي ؟) من مخاطر استتباب الأمر للنظم الشمولية وبسط جناحها على العالم . ولقد جاءت التعليقات الأخيرة بمقارنات كثيرة بين هذه الصورة وبين واقع الحال وتفاوتت الرؤى من كاتب الى آخر ، وبدا لي أن هذه قد تكون مناسبة ، لا لتقييم آخر لنبوءة أورويل كهدف في ذاته ، وانما للنظر عبر أكثر من ربع قرن من التاريخ حافل بأحداث جسام وتقلبات عنيفة ، وللتعرف بشيء من التمعن على ما طرأ على العالم من تحول ، وعلى المجالات التي وقع فيها هذا التحول .

ولنسترجع ، من باب الانصاف للرجل ، وكمنطلق للنظر فيما طرأ على العالم من تغير ، الجو الذي انكب فيه على تأليف روايته هذه .

لم يكن قد مضى على نهاية الحرب العالمية الثانية ، التي قيل عنها انها الحرب التي ستنهي كل الحروب ، وعلى مؤتمر يالتا الذي حسم المشكلة المتبقية بعد كل الحروب ، ألا وهي تقسيم الأسلاب والغنائم ـ لم يكن مضى عليها أكثر كثيرا من العام حين ألقى وينستون تشرشل ـ ومن موقع المعارضة بعد أن هزم هزيمة نكراء في الانتخابات قبيل نهاية الحرب ـ خطبته الشهيرة في فولتون في الولايات المتحدة والتي كانت بمثابة اعلان نشوب « الحرب الباردة » بين الغرب والشرق .

وتداعت الأحداث بعد هذا بسرعة فيما لا يزيد عن أعوام ثلاثة شهدت قيام حلف الأطلسي وحصار برلين . وبداية سلسلة الحروب « الصغيرة » على تخوم مناطق نفوذ النظامين ، متمثلة في الحرب الكورية . وهي الحروب التي لم تتوقف منذ ذلك التاريخ وكأنها أصبحت الأداة المقننة من الطرفين « لتنفيس » الضغط وتجنب وقوع الكارثة العظمى والدمار « المتبادل والمؤكد » الذي تأتي به حرب نووية . حدث هذا كله بعد سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة في

(١) الاسم المستعار لكاتب انجليزي مشهور اسمه الحقيقي ايريك بلير ، قضى نحبه بعد صدور هذا الكتاب بأقل من عام . ولقد ترجم الكتاب الى اللغة العربية ونشرته وزارة التعليم العالي المصرية في مشروع الألف كتاب بعد صدوره بعدة أعوام .

انتصار قوى « النور والعقل » على كابوس الفاشية والقضاء على قيمها المتوحشة وممارساتها البشعة ، وما أتى به هذا الانتصار من شعور عارم بأن العالم يقف الآن على مشارف مستقبل زاهر يتمتع فيه كل بني البشر بالحد الأدنى من رغد العيش والحرية والكرامة والأمان .

كان ماوتسي تونج في آخر مراحل كفاحه الطويل لبسط سيطرة الحزب الشيوعي على الصين بأسرها ، بينما كان الاستعمار الغربي يلفظ أنفاسه الأخيرة في آسيا وهو يدير معاركه السياسية والعسكرية ، اما في يأس غاشم أو تسليم أعقل بالأمر الواقع . أما افريقيا فقد كانت آنذاك مازالت بعيدة عن أي شيء من هذا . وفي هذه السنوات الحرجة بالذات نشأ الكيان الصهيوني على أرض فلسطين بمباركة الطرفين وبقي منذ ذلك الحين خنجرا مسموما في صدر الأمة العربية الدامي .

في هذا المناخ من تبخر الأحلام الطوباوية والتدهور السريع للعلاقات الدولية وانهيار « النظام القديم » صور لنا أورويل عالما تسيطر عليه قوى عظمى تحكم في كل واحدة منها طغمة نخبوية جموعَ الناس ، مستخدمة القوة والبطش والعنف والارهاب والاعلام ، ومسخرة لهذا آخر منجزات العلم والتقنية ، ومستعينة بطبقة بيروقراطية تطيع وتنفذ ولا تفكر . بل تتصرف كالآلات الصماء المسلوبة الارادة . وعرفنا حينئذ بصورة « الأخ الكبير » الذي يرى كل شيء ويسمع كل شيء ويعرف كل ما في خبايا النفوس . وهي الصورة التي شاعت بيننا واستخدمت في مناسبات كثيرة منذ ذلك الحين . والأمر الهام هنا هو أن هذا العالم كان عالما مستقرا وآمنا . . . إلا لأولئك الذين اجتازوا حاجز الخوف وأطلقوا العنان لفكرهم فاكتشفوا أنهم ليسوا أحرارا ـ وبهذا أصبحت حياتهم في خطر مميت . فأين نحن من هذا اليوم ؟ وما هو مجمل حصيلة التقدم العلمي والتقني منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ؟

جورج اورويل

دور العلم والتقنية

فلننظر اذن في بعض الحقائق الأساسية في عالم اليوم لننتقل منها بصورة شبه تلقائية الى النظر في خصوصية دور العلم والتقنية في هذا العالم .

● ان الحضارة الانسانية لم تعرف في أية لحظة من تاريخها الطويل وجود مثل هذا الحشد من البشر « الأحرار » وبأي معنى نختاره لمفهوم الحرية . بل انني أذهب الى أبعد من هذا فألاحظ أنها لم تعرف بنفس القدر مثل هذا العدد الضخم من الناس الذين يدركون أنهم ليسوا بعد أحرارا والذين يملكون ارادة السعي للحصول على حريتهم .

● ان العالم لم يشهد في تاريخه الطويل مثل هذا الاهتمام بحصول سكانه على متطلباتهم الضرورية ولا هو حقق أبدا مثل ما حققه اليوم في توفير هذه المتطلبات . واذا ما كانت مئات الملايين مازالت تعيش حتى يومنا هذا دون المستوى الأدنى من متطلبات الغذاء أو غيره من أساسيات الحياة ، فلنتذكر أن المجاعات التي كانت تودي كل عام بحياة عشرات الملايين من البشر في الصين والهند قد ذهبت الى غير رجعة وأن أكثر من مليار ونصف من سكان العالم القاطنين في هاتين الدولتين وحدهما قد تجاوزوا

ماو تسي تونغ

هذه المحن ، بل ان الهند تصدر قدرا من الحبوب الى واحدة من الدولتين العظميين .

● لقد نشأت في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أكثر من مائة دولة مستقلة جديدة ، ليؤكد قيامها توجها متعاظما لا سبيل اليوم لانكاره نحو اللامركزية وتعدد مراكز السلطة . بل اننا شهدنا خروج « التوابع » على هيمنة « السادة » بل ليّ ذراعهم . ولنذكر هنا على سبيل المثال فرض الشعب الفيتنامي الصغير ارادته واذلاله المهين للأداة العسكرية الأمريكية ، ولنذكر أيضا - على سبيل المزيد من الأمثلة ، - لا الحصر - قيام منظمة « الأوبك » وسيطرة الدول الأعضاء فيها على مواردها الطبيعية خلال سنوات معدودات وفرضها ارادتها ، ولو لبعض الوقت ، على العالم الصناعي . ان « العالم الثالث » مفهوم جديد لم يكن معروفا حتى بعد نهاية الحرب بسنوات .

● لقد تميزت الحقبة الأخيرة بشواهد واضحة لصحوة ثقافية - حضارية في هذا العالم « الثالث » تستبدل بالنزعة القديمة نحو تقليد « السادة » ومحاكاة نمط حياتهم - برفض أيديولوجياتهم والعودة الى « الجذور » التي قطعت سنوات الاستعمار علاقته بها أو شوهتها ، و « البحث عن الذات » متمثلا في جهد المثقفين في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا للتعرف على تراثهم الحضاري والسعي للارتباط به والاستناد اليه في صنع حياة جديدة . ولعل الصحوة الاسلامية هي أهم هذه الحركات جميعا في عالم اليوم . وهي تنمو يوما بعد يوم ولا شك في أنها ستمر بمراحل مريرة وتقلبات عنيفة حتى تتعرف على الطرق المثلى للوصل بين دوافعها ومنطلقاتها وبين واقع العالم في الداخل وفي الخارج لتحقيق أهدافها في المستقبل .

مرحلة التحول

والحق أن هذه المرحلة بالذات - كما وصفها أنور عبدالملك - تبدو وكأنها مرحلة تحول ، لا مجرد تطور أو انتقال ، يشمل كل أبعاد الحياة الانسانية . والتحول لا يسير سيرا مطردا ولا يمضي في اتجاه واحد متناسق ومرسوم بدقة . وهناك فروق نوعية وكمية كبيرة في معدلات هذا التحول في قطاعات الحياة المختلفة : في الانتاج والاقتصاد ، في أنماط السيطرة والتحكم ، في التماسك الاجتماعي والهوية الثقافية ، في الأيديولوجيات السياسية ، حتى الأديان والفلسفات - أي باختصار في كل ما نسميه البنية التحتية والبنية الفوقية للمجتمع . والتفاوتات أكثر وضوحا بين التكوينات الاجتماعية الاقتصادية البشرية المختلفة وما يتميز به كل منها من أيديولوجيات (سميناها الرأسمالية الليبرالية أو الاحتكارية أو رأسمالية الدولة ، والاشتراكية الديمقراطية أو الوطنية التقدمية ، والشيوعية الستالينية - اللينينية أو الماوية) وبالذات في خصوصياتها الحضارية والثقافية والقومية التي أغفلها الكثيرون حتى الآن وهم ينظرون في السمات الجديدة لعالم اليوم .

ان بدايات هذا التحول ليست حديثة تماما ولا هي ترجع الى السنوات القليلة التي انقضت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . فهي تنبعث من عدة عوامل ، على رأسها عودة القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية) . الى الظهور

على المسرح الجيوبوليتيكي الذي احتكره « الغرب » لعدة قرون خلت . وهذه ظاهرة نستطيع أن نرجع بها الى القرن الماضي ، وإن تعاظم وقعها ففرضت نفسها بوضوح أكثر في ظاهرة « العالم الثالث » بعد عام ١٩٤٥ ، واذا ما كان « الغرب » ، أو « الشمال » بالتسمية الأحدث ، قد تعامل مع هذه الظاهرة من منظور اجتماعي ـ سياسي ، فان الطرف الاخر ـ آسيا وأفريقيا ـ والعالم العربي والاسلامي فيهما ، وأمريكا اللاتينية الى درجة أقل ـ يعتبرها في جوهرها عملية نهضة حضارية وثقافية . أما العامل الهام الثاني فهو تصدع قيم هذا « الشمال » ذاته والذي بدأ بصدور « الاعلان الشيوعي » عام ١٨٤٨ ثم تسارعت معدلاته بعد « ثورة أكتوبر » عام ١٩١٧ وانهيار النظام القيصري في روسيا ، وتعاظم الصراع بين الطبقات في اطار الايديولوجية الاشتراكية والتي يعتنقها ، أو يعيش تحت ظلها اليوم حوالي نصف سكان العالم ، أغلبهم في هذا « العالم الثالث » .

الأزمات تتوالى

ولقد تبلورت مظاهر التحول بوضوح في السنوات الأخيرة في مفهوم « الازمة » في الشمال « السيد » والذي استند حتى الآن في انجاز مشروعه الحضاري الذي ساد العالم في القرون الأخيرة ، على ما تحقق من تقدم في العلم وتطبيقاته ، منذ الاكتشافات البحرية الرائدة لكولمبس وماجيلان وكوك ورالي ، وفي « عصر النهضة » في أوروبا، واثناء الثورة الصناعية ، ووصولا بنا الى تقسيم مناطق النفوذ في العالم في يالتا عام ١٩٤٥ . انها أزمة التدهور المزعج في البيئة العالمية ، وأزمة نضوب الموارد الطبيعية ؛ وأزمة الرعب النووي . والأهم من هذا كله انها أزمة القيم الحضارية التي دفعته في حماس مجنون لاتخاذ الانتاجية و « النمو » و « المتعة الحسية » و « الاستهلاكية » مقاييس للتقدم . وهكذا بدأ الحديث في أواخر الخمسينيات ومطلع الستينيات عن مشاكل « عالمية » مثل معدلات الزيادة المزعجة في عدد سكان هذه الأرض والتغير الدرامي المتوقع في المناخ على ظهرها خلال عقود معدودات والعمر القصير للموارد الطبيعية التي قام عليها هذا المشروع الى آخر قائمة الموضوعات التي جاءت سلسلة مؤتمرات الأمم المتحدة في العقد الماضي وكأنها لائحة برؤوس أقلام عناصر هذه الأزمة .

لقد بدت « الأزمة » من منظور « المركز » المهيمن ، أزمة عالمية لا أزمة لمشروع الشمال الحضاري نفسه . ومن خلال هذا المنظور ، فان انهيار هذا المشروع الذي ساد حتى الآن يعني نهاية الحضارة الانسانية ، ولا مفر من أن نعترف بأن كثيرا منا في « التخوم » (أي بلاد « الجنوب » المتخلف ماديا والذي مازال يعاني وبحدة من مشاكل جوهرية تغلب عليها المشروع الحضاري الآخر منذ زمن بعيد) منساق وراء هذا الخطر ويرى في محاكاته سبيلا للخروج من دائرة التخلف .

من هنا نشأ الحديث عن التنمية البديلة وشارك فيه رواد من « المركز » ومن « التخوم » في محاولات شجاعة مازالت حتى يومنا هذا تخطو خطواتها المتعثرة الأولى ، فهي بعد لا تقف على أرض راسخة من المنجزات النظرية ولا تسير بخطى راسخة نحو تحقيق تطبيقات عملية مقنعة . ومن هنا ثار الجدل حول التقنيات « الملائمة » و « الوسيطة أو المتوسطة » وحول معايير الملائمة وحول « الحاجات الانسانية الأساسية » وحول طرق تحديدها . وفي هذه المرحلة الحبلى باحتمالات التحول برزت بوضوح أكثر صحوة العودة الى الجذور في العالم الثالث والتي تمثلت في الوطن العربي في ظهور القومية العربية كمدخل لادارة الصراع في المنطقة على الصعيد الاجتماعي ـ السياسي،وفي تعاظم وقع الحركات الاسلامية الرافضة للنمط

ريغان — تشرنيكو

السائد من أساسه ، على الصعيد الحضاري - الثقافي .

التقدمات التكنولوجية

يقتضي الأمر هنا أن ندخل تحت دائرة الضوء عاملا جديدا ظهر بوضوح في أوائل العقد الماضي وأصبح يشغل بال الطرفين عند النظر في هذا التحول ومحاولة التعرف على اتجاهاته المتوقعة ، الا وهو ما يسمونه عادة التقدمات التكنولوجية التي تحققت منذ مطلع السبعينات متمثلة بالحاسبات والألكترونيات الدقيقة والاتصالات والفضاء والبيولوجيا الوراثية ولا شك أن كلا منا قد سمع ورأى الكثير من عجائب تطبيق هذه التقدمات والحاسبات تقوم بالبلايين من العمليات الحسابية في الثانية الواحدة ، وشريحة السليكون التي لا تتجاوز مساحتها ظفر اصبع تقوم بمهام حاسب مما كان يشغل مبنى كبيرا قائما بذاته منذ أقل من عشرين عاما مضت ، والألياف الضوئية وتوابع الاتصالات تنقل مئات الألوف من الرسائل حول العالم بدقة وبكلفة لا تذكر ومركبات الفضاء يعيش فيها البشر شهورا طويلة ويجرون فيها أبحاثا علمية لا سابق عهد لنا بها في الفضاء ، وهي ترصد كل كبيرة وصغيرة على سطح الأرض ، والكائنات الدقيقة تدمج في جيناتها عناصر وراثية جديدة . ولا يعنينا هنا الخوض في المزيد من مثل هذا السرد وان كان الالمام بشيء منه أمرا لازما لفهم حقيقة القوى الفاعلة في العالم المعاصر . وانما يعنينا هنا أن نتعرف بشكل مبدئي على ما تأتي به هذه التقدمات من فرص لقيام مشروع حضاري بديل للمشروع الغربي لا يعاني من سلبياته ويخرج بالعالم ، شماله وجنوبه ، من مأزق أزمنه الراهنة ، وسنكتفي هنا بسرد أعمق هذه الفرص دلالة وأكثرها امتلاء بالاحتمالات .

الشواهد والدلالات

(١) ان هيمنة « الأخ الكبير » على فكر الانسان تسقط تدريجيا بفعل هذه التقنيات ، ان ثورة الاتصالات التي بدأت بالترانزستور ثم الكاسيت حتى وصلنا الى شبكات نقل المعلومات . وبكل ما يخطر على البال من أنواع لها ، عن طريق الهاتف والتلفزيون في المنزل ، تتيح للفرد منابع متباينة للمعلومات وفرصا لم يعرفها من قبل ،للتعرف على وجهات النظر المتصارعة والروايات المتناقضة عن نفس الحدث . بنفس القدر الذي تتيح به « للأخ الكبير » فرص رؤيته على المواطن ، أي أن احتكار « الأخ الكبير » قد كسر وأن للمواطن الآن فرصا أفضل لكسر حاجز الخوف وتكوين آرائه الخاصة به

(٢) ويرتبط بهذا اليسر الذي يتم به اليوم التواصل بين الناس . سواء بالانتقال في ساعات معدودات عبر مسافات كان قطعها يستغرق حتى زمن غير بعيد أياما وأسابيع ، أو عن طريق الاتصالات الهاتفية . ان التواصل بين الناس لم يعد مقصورا على فئة الموسرين ولا على« الشمال» ولنا أن نتخيل القفزة التي سيحققها اطلاق قمر

الاتصالات العربي في أواخر هذا العام من تيسير التواصل بين الأقطار العربية .

(٣) عندما اقترح خروشوف مازحا على كنيدي أن يتبادلا المعلومات والأسرار التي يحصل عليها كل منهما من أجهزة مخابراته فانما كان يشير الى تحول جذري خطير اخر ، هو « الشفافية » المتزايدة لأفعال النظم المتنافسة واستحالة اخفاء أفعال لها كانت حتى زمن قريب أسرارا يحافظ عليها باصرار . ان من المستحيل اليوم أن يجري أي نشاط مدني أو عسكري ذي قيمة في الخفاء في أي مكان في الأرض أو البحر أو السماء . وهذا التطور التقني هو الأساس الذي أخرج العالم من مأزق الحرب الباردة الى مفهوم التوازن الذي تقوم عليه اتفاقيات الحد من انتشار الأسلحة النووية أو الاستراتيجية .

(٤) وقد نربط بين هذا وبين ما أتاحته الحاسبات المنزلية الصغيرة من فرصة لغلمان صغار في ولاية ميلووكي الأمريكية لاقتحام بنوك معلومات بالغة الحساسية في هيئات مالية عملاقة ومؤسسات حكومية مدنية وعسكرية في الصيف الماضي وهم قابعون في عقر دارهم يتعاملون مع لوحة مفاتيح ويحملقون في شاشة تلفزيونية . ان هذه بادرة لطفرة نوعية في ذكاء الفرد وقدراته يتيحها له الحاسب الألكتروني ووسائل الاتصال . ولست أعني بالفرد هنا المتخصص من رجال العلم أو الصناعة أو الادارة أو الاقتصاد أو السياسة أو الحرب ، وانما اعني المواطن العادي ايا كان عمله . ان نشأة ظاهرة « المعرفة » كقوة وانتشارها في المجتمع يكسب جهد التنمية من العالم الثالث بعدا جديدا تماما يصرفه عن اقتناء المعدات والمنتجات من الشمال المتقدم الى ادراك ان المعرفة و « الذكاء الاجتماعي » هما لب عملية التنمية وجوهرها الحقيقي وينبهه الى ان اكتسابها أمر متاح فعلا اليوم بفضل تطبيقات التقنيات الحديثة وشفافية النظم العملاقة ، سواء أكانت دولة أو شركة متعددة الجنسيات،ويضعه أمام واجب اقامة التنظيم الاجتماعي الذي يستغل هذه الفرصة الفريدة .

(٥) ان هذه التقنيات التي كسرت احتكار « الأخ الكبير » على الفكر تفتح أيضا أمام العالم الثالث مسالك جديدة تماما يتوقع لها أن تؤدي بها الى الوفاء بكل الحاجات الأساسية لمواطنيه من الغذاء ومصادر الطاقة ومواد التشييد والبناء والتصنيع ، والى تدوير المخلفات الملوثة للبيئة وتحويلها الى موارد جديدة .

(٦) واخيرا ـ وبالقطع ليس آخرا ـ أشير الى ما طلع علينا به الرئيس ريجان منذ بضعة أشهر من حديث عن سياسة دفاعية جديدة تنتقل بالولايات المتحدة من الردع النووي القائم على « الدمار المؤكد المتبادل » (MAD) الى ما سمي « حروب الكواكب » أو المدخل الدفاعي ، لا الهجومي ، القائم على تدمير القذائف النووية في اللحظات الأولى من اطلاقها وفوق ارض مطلقيها بوسائل متعددة بواسطة مركبات تسبح في الفضاء الخارجي . ولعلنا نذكر هنا ايضا ما تواتر من أنباء على امتداد السنوات الأخيرة عن أقمار سوفيتية قاتلة تدمر الأقمار المعادية ، وعن تجارب لاشعاعات تصيب الأجسام الطائرة وتقضي عليها . ولست ممن يهللون لهذا التطور الجديد الذي يعني المزيد من الإنفاق العسكري والذي يصل الان في العام الواحد الى ما يساوي مجمل ديون العالم الثالث التي اعتبرت في العام الماضي مصدر خطر حقيقي قد يؤدي الى انهيار مأساوي للنظام النقدي والمصرفي العالمي . وانما اردت ان أشير الى مثال آخر من أمثلة تغير المفاهيم تحت تأثير التقدمات العلمية .

ولست بغافل وانا اورد هذه الشواهد التي تناقض تماما نبوءة اورويل عن ان الصراع حول كل واحد منها محتدم بضراوة ولم يحسم بعد ، فمعركة النظام الاعلامي الدولي الجديد ، والجدل حول انتقال المعلومات عبر الحدود ، ومخاطر الهندسة الوراثية ، وتزايد احتمالات

اندلاع الحرب النووية عن غير قصد . كل هذا وارد تماما وماثل بوضوح أمام أعيننا .

الأمن العالمي

يقودنا هذا الى المسألة الاخيرة والجامعة في نبوءة اورويل . فقد كان مجتمعه البغيض مجتمعا يعيش في استقرار وأمن عالمي دائمين . فلننظر الان في ما طرأ على مفهوم الاستقرار والأمن العالمي من تغير عبر السنين . ان المنظور الشمالي السائد حتى الان يرى ان استقرار وأمن القوتين العظميين يعني استقرار وأمن البشرية جمعاء . وهي نتيجة منطقية لمنطلق « الهيمنة » التي لا تكف الصين عن التنديد به . وهناك شواهد كثيرة تشير الى ان الغالبية العظمى منا كانت حتى وقت قريب تسلم ، صراحة او ضمنا ، بهذا المنظور للاستقرار والأمن في العالم بأسره . وان كنت لا أتجاهل هنا اصرار الصين منذ عدة سنوات على انها لا ترهبها القوة النووية وان العملاق الامريكي « نمر من الورق » . واذا ما كانت هناك فروق بين النظامين السائدين في الشمال فان بينهما بنفس القدر أوجه شبه غريبة ، لا من حيث اتساع الرقعة وعدد السكان والقدرات التكنولوجية وادعاء العمل من أجل رخاء البشر وتقدمهم ، وانما من حيث اتخاذ العدوانية ستارا يخفي حاجة كل منهما الى قيام تهديد الآخر له كقوة حافزة لتماسك مجتمعه وتأكيد شرعيته .

ولقد ظهرت مؤخرا دعوة جديدة للبحث عن نظام بديل للأمن والاستقرار في العالم من أمثلتها دعوة اولاف بالم ، رئيس وزراء السويد ، الى « الأمن المشترك » والتي تعقد الامال في وقف سباق التسلح المجنون على الارادة السياسية للشعوب في كل ربوع العالم . الا ان الحقيقة المرة التي لا مفر من مواجهتها هي اننا ، شمالا وجنوبا ، أبعد ما نكون عن قيام مثل هذه الارادة العالمية . ويكفينا أن نستعرض السجل الحزين لأداء المجتمع الدولي في مواجهه المشاكل العالمية التي تحدثنا عنها في مطلع هذا العرض والتي تكشف بوضوح عن أن البشرية لم تنشىء بعد أداة قادرة على حل هذه المشاكل ، وحلولها معروفة وممكنة ، لأنها لا تملك الارادة الواعية والالتزام بالقيام بهذه المهمة .

ويحلو لي ، وربما أكون ممعنا في التفاؤل ان اتصور ان « التحول » الذي نشهد بوادره قد يكون فيه خلاصنا من هذا المأزق الذي أوقعنا فيه انهيار المشروع الحضاري الشمالي . إني أتصور أن الثورة التي نرى بداياتها في ميادين المعلومات والاتصال تعني ان امام الجنوب الآن فرصة لتحول حضاري ـ ثناني يبيح له امتلاك ناصية المعرفة واستخدامها كقوة في اعادة التوازن لميزان العلاقات الدولية المختل . واذا ما كان قطاع المعلومات يعامل الآن كقطاع رابع منفصل عن قطاع الخدمات في توصيف الاقتصاد في دول الشمال . واذا ما كان حجمه واسهامه في اجمالي الناتج القومي والقيمة المضافة كبير حقا ، فان هذا التوجه يجري أيضا في الجنوب . ولقد تكشف لي مؤخرا من دراسة سريعة لحجم هذا القطاع في الاقتصاد المصري انه أكبر كثيرا مما كان يظن البعض،وأنه آخذ في الازدياد بفعل التبادل الثقافي والفكري الذي يجري بين الشمال والجنوب .

وأضيف الى هذا ظهور الدعوة الى « المشاركة » في اتخاذ القرار والالحاح المتزايد على ضرورتها اذا ما أريد للتنمية أن يصحح مسارها، بعد أن ظهر الفشل الذريع لنمط المحاكاة التي سارت فيه حتى الآن . وهنا يجيء دور « البحث عن الذات » و « العودة الى الجذور » والسعي الجاد لشق طريق جديد لمشروع حضاري بديل للمشروع الغربي الذي وصل الآن الى مأزق لا يعرف كيف يخرج منه ، بل لعله في حسابات الزمن البعيد يلفظ اليوم أنفاسه الأخيرة ويحملنا آلام تشنجات اللحظات الباقية في حياته .□□

عاصفة على اليونسكو

زمان الشعوب بين الضغوط والآمال

بقلم الدكتور : عبد العزيز كامل

☐ مدينة النور - باريس - تسبح في بحر من النور ، وتستعد لاستقبال العام الجديد . أشجار أعياد الميلاد تمد فروعها ، وتحمل مصابيحها كأنها تعانق المستقبل . أنهار من الناس تفيض بهم الطرقات ، ويفيض منهم الفرح .

وفي الحي السابع مبنى يبدو أنه على حافة العيد ، ولايشارك فيه .. هنا الأمانة العامة لليونسكو ، القلب الثقافي لعالمنا المعاصر .

الدور الخامس . مكتب المدير العام : أحمد مختار أمبو . وبين يديه خطاب من وزير خارجية الولايات المتحدة - جورج شولتز - يبلغه فيه - يوم ٢٨ ديسمبر / كانون الاول ١٩٨٣ - بقرار انسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو . ويصبح القرار نافذا في نهاية عام ١٩٨٤ - كما تنص على ذلك الفقرة السادسة من المادة الثانية من الميثاق التأسيسي (صدر عام ١٩٤٥ ، وعدّله المؤتمر العام في دورات تالية ، وكان اعتماد هذه الفقرة في دورته الثامنة عام ١٩٥٤) .

وانسحاب الولايات المتحدة يعني فقدان ٢٥٪ من ميزانية اليونسكو ، وصدعا واسعا في عالمية المنظمة وقدراتها ، وادانة لها ، وضوءا أخضر لمزيد من الانسحاب ، وضوءا أحمر وانذارا للمنظمات الاخرى ، واصابة مباشرة في حصن الفكر بصاروخ سياسي أمريكي .

أكثر من مرة زرت د . أحمد مختار أمبو في مكتبه ، وفي أكثر من عاصمة قابلته .

في مكتبه لاتكاد ترى الحوائط . الكتب تغطي كل مكان . لوحات فنية . تماثيل . ثقافة العالم في حجرة . ثقافة طولها الزمان ، وعرضها المكان ، ومحتواها آفاق الفكر وابداع الانسان .

من أفريقيا جاء . السنغال موطنه ، الاسلام عقيدته،الاخاء الانساني سبيله ، الثقافة - في أوسع مدلولاتها - هدفه .

شق طريقه بنور العلم وشرف الكلمة ليكون المسئول الاول في أكبر منظمة ثقافية في العالم . دخل المكتب عام ١٩٧٤ يحمل مواريثه من الاصالة والعالمية . وفي عام ١٩٨٠ تقرر تجديد

احمد مختار امبو

انتخابه ليتابع المسيرة سبع سنوات أخرى . كان القرار اجماعيا ، شاركت فيه الألوان والالسنة ومستويات التقدم والتنمية من شمال وجنوب . .

اسماء مؤلفاته تحمل الامل والعمل ، منها : منابع المستقبل . زمان الشعوب .

من الميثاق التأسيسي

ولكن من أين نبدأ ؟ وكيف هبت العاصفة ؟

نعود الى الميثاق التأسيسي نقرأ منه سطورا . . فهذا الميثاق استند اليه الذين دافعوا عن اليونسكو ، والذين هاجموه معا :

« ان حكومات الدول الاطراف في هذا الميثاق التأسيسي تعلن باسم شعوبها أنه : لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر ، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام .

ولما كان جهل الشعوب بعضها ببعض مصدر الريبة والشك بين الامم على مرّ التاريخ ، وسبب تحول خلافاتها الى حروب في كثير من الاحيان .

ولما كانت الحرب العظمى المروعة التي انتهت مؤخرا قد نشبت بسبب التنكر للمثل العليا الديمقراطية التي تنادي بالكرامة والمساواة والاحترام للذات الانسانية ، وبسبب العزم على احلال مذهب عدم المساواة بين الاجناس محل هذه المثل العليا عن طريق استغلال الجهل والانحياز .

ولما كانت كرامة الانسان تقتضي نشر الثقافة . وتنشئة الناس جميعا على مبادىء العدالة والحرية والسلام ، كان هذا العمل بالنسبة لجميع الامم واجبا مقدسا ينبغي القيام به في روح من التعاون المتبادل » . .

ثم نقرأ في السطور التالية للديباجة عن مكانة التضامن الفكري والمعنوي بين بني البشر . . ثم اعتزام الدول الموقعة على الميثاق تأمين فرص التعليم تأمينا كاملا متكافئا لجميع الناس ، وضمان حرية الانصراف الى الحقيقة الموضوعية والتبادل الحر للأفكار والمعارف ، وتنمية العلاقات ومضاعفتها بين الشعوب تحقيقا لتفاهم أفضل بينها ، ولوقوف كل شعب منها بصورة أدق وأصدق على عادات الشعوب الاخرى .

وكانت الاهداف التي حددتها المادة الاولى تعزيزا للتعارف والتفاهم بين الامم ، وعملا على تنشيط التربية الشعبية ونشر الثقافة ، ومساعدة على حفظ المعرفة وعلى تقدمها وانتشارها ، وتأمين استقلال الثقافات والنظم التربوية وسلامتها وتنوعها المثمر .

خطاب الانسحاب الامريكي

ونقرأ معا سطورا من خطاب شولتز الى المدير العام ، ونستعين مع تحليله باضافة أرقام وخطوط :

في مقدمة الخطاب : ايمان الولايات المتحدة والشعب الامريكي بالمبادىء الواردة في الميثاق التأسيسي لليونسكو ، وما تخصصه الولايات المتحدة من موارد كبيرة لبلوغ هذه الغايات ، وأن عليها أن تتخير بعناية الأساليب والوسائل الدقيقة لبلوغها ، وتقرأ تقديرا شخصيا للمدير العام وجهوده . . ثم يقول :

« وقد أعربنا طوال سنين عديدة عن (١) قلقنا ازاء بعض اتجاهات سياسة اليونسكو (٢) والجوانب الايديولوجية التي تؤكد عليها

(٣) وميزانيتها (٤) وادارتها . وهي أمور تؤدي الى (٥) الانتقاص من فعالية المنظمة . وتعتقد أن هذه الاتجاهات (٦) قد حادت باليونسكو عن المبادىء الاصلية لميثاقها التأسيسي (٧) ونرى أنها خدمت المقاصد السياسية لبعض الدول الاعضاء ، بدلا من خدمة الرسالة الدولية المنوطة باليونسكو (٨) وقد عملنا بعزم على تشجيع المنظمة على العدول عن هذه الاتجاهات بحيث تتجه من جديد صوب مقاصدها الاساسية (٩) وتتحاشى بحزم أن تتحول الى خادمة لسياسة دولة أخرى (١٠) وتدير شئونها بكيفية تجاري فيها الفعالية . . وتتبع أولويات ترتكز على القيمة البرناجية لاعلى عادات الماضي أو الملاءمة السياسية أو غير ذلك من الاعتيادات الدخيلة » .

ثم تذكر الرسالة « أن بعض جهودكم وجهودنا قد أثمرت » ثم تعود لتعلق على المؤتمر الاخير (نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٨٣) فتقول :

« فلو كانت النتائج التي خلص اليها المؤتمر العام تمثل أفضل مايمكن أن نتوقعه من المنظمة بتشكيلها الحالي وبالكيفية التي تدير بها شئونها في الوقت الراهن ، فان الأمل ضئيل في عودة المنظمة الى مبادئها الاساسية بصدق واخلاص »

هذه هي الادانات العشر وحيثياتها ، والتي خلص بها وزير الخارجية الى قرار الانسحاب ، ثم اشار الى توجيه الولايات المتحدة لمواردها الى وسائل أخرى غير اليونسكو وفي اطار مبادئه . .

وفي الفقرة الاخيرة يضع الخطاب على رأس المنظمة تاج الشوك يدمغها بأنها تساهلت في غايات مثل حقوق الانسان الفردية وحرية تداول المعلومات « ولعله يجيء وقت يتبين فيه أنه كان بالامكان بلوغ غاياتنا المشتركة ، لو روعي مبدأ : أن انجاز بضعه أمور على نحو جيد أبعد أثرا من تناول مصائب العالم تناولا سطحيا » .

وتترك الفقرة الباب مفتوحا لتعاون من الخارج تخصص له الموارد التي كانت تخصصها الولايات المتحدة لليونسكو « وان أية برامج بديلة تضعها الولايات المتحدة ، يمكن أن تستخدم ، من حيث المبدأ ، كأساس للتعاون بين الولايات المتحدة واليونسكو في المستقبل ، اذا مارأى الطرفان نفعا في ذلك،وسيكون من دواعي سرورنا أن ننظر في هذه الامكانية في الوقت المناسب » ولنتأمل قليلا في هذه الكلمات « اذا مارأى الطرفان النظر في الامكانية . . الوقت المناسب . . » لتتبين سهولة اغلاق الباب أمام أي تعاون أو فتحه ومدى هذا الفتح حين ترغب الولايات المتحدة . .

الجزء المغمور من جبل الثلج

كان هذا هو الجزء الظاهر من جبل الثلج الذى اصطدم بسفينة اليونسكو مع أعياد الميلاد ، وهي في ذروة أفراحها بعد المؤتمر الثاني والعشرين في باريس (نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٨٣) وماسبقه في المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية الذي شهدته مدينة مكسيكو (في ٢٦ يوليو / تموز ـ ٦ اغسطس/ آب ١٩٨٢) وماصدر عنه من التقارير والتوصيات و « اعلان مكسيكو بشأن السياسات الثقافية » وقبل هذا سجل طويل من المواقف سنعرض أهم معالمه . .

قطاع من الخارجية الامريكية لم يكن راضيا عن اليونسكو ، بينما أعداد كبيرة من صفوة علمائها يتعاونون معه ، وللولايات المتحدة في هذه المؤتمرات واللقاءات والمشروعات والندوات حضور ايجابي دائم . .

والجذور قديمة : ففي عام ١٩٧٤ أوقف الكونجرس مدفوعات الولايات المتحدة لليونسكو من أجل مواقفه من اسرائيل ، وحرص اليونسكو على مدينة القدس ، وآثارها التاريخية.ثم عاد التعاون . .

وأخذ هذا القطاع ، وقد اتخذ سياسة الولايات المتحدة مقياسا يزن تصرفات اليونسكو ، وهو منظمة عالمية . بدأت أول أمرها بثمان وعشرين دولة وتضم الآن مائة واحدى وستين . .

وليس في سلطاتها التشريعية ـ وهي المجلس التنفيذي والمؤتمر العام ـ حق النقض (الفيتو) الذي تتمتع به الدول الكبرى الخمس في مجلس الامن ، وتستطيع كل دولة منها أن توقف أي قرار لا توافق عليه . ومن هذه الزاوية اختلف منبر اليونسكو عن منبر مجلس الامن ، وبالتالي اختلفت طبيعة القرارات بين الجهازين ، ووجدت الدول ، وبخاصة الناشئة منها في العالم

الثالث مجالا رحبا للقول واتخاذ القرارات لا تجده في منظمة أخرى . . وما اعتبرته دول العالم الثالث والمنصفون في العالم المتقدم من حسنات اليونسكو ، كان من سيئاته عند بعض أجهزة الخارجية في الولايات المتحدة .

ونقرأ فيما وجد الى النور طريقة من تقارير هذه الاجهزة :

« ان سياسات اليونسكو ، منذ سنوات تعمل ضد الاهداف السياسية للولايات المتحدة . وقد نصحت هذه الادارة ـ اليونسكو ـ أكثر في مرة ـ وبينت لها حدود تحمل الولايات (وتحمل الغرب) لسياسات وبرامج وأحوال اليونسكو التي أسيء توجيهها . . ولقد ظللنا ثلاث سنوات نقدم الى اليونسكو الاولويات والاطار الذي يقود علاقاتنا مع كل المنظمات المتعددة الاطراف . وكانت اليونسكو وحدها بين هذه المنظمات التي لم تكن استجابتها بناءة . .

ثم يحدد التقرير أهم ملامح سياسات اليونسكو فيما يلي :

١ ـ التسييس الواضح لكل موضوع تتناوله : اسرائيل . جنوب افريقية . حقوق الانسان . نزع السلاح . الاتصال .

٢ ـ عداوة متوطنة نحو المؤسسات الاساسية في المجتمع الحر وبخاصة السوق الحرة والصحافة الحرة .

٣ ـ في ميزانية اليونسكو أكبر توسع غير مسئول وغير مفيد في نظام الامم المتحدة .

ثم يعقب على هذا بقوله : كان هذا هو الجانب السلبي الظاهر في اليونسكو ، الذي لانستطيع أن نتقبله بعد الآن ، ولكن هناك جوانب ايجابية في أنشطة اليونسكو . . وبعد أن سرد هذه الجوانب ، والمشروعات التي تستطيع أن تستمر الولايات المتحدة في التعاون عليها ، وبين هذا في ملحق قانوني بالتقرير خلص الى النتائج الآتية :

١ ـ أن عضوية الولايات المتحدة في اليونسكو تحطم وتشوه وجهات نظر وقيم ومصالح الولايات المتحدة .

٢ ـ برهنت التجربة على أن الولايات المتحدة لاتستطيع أن تغير اليونسكو من الداخل ، اذا ظلت عضوا فيها .

٣ ـ قد يقوى مركزها في منظمات الامم المتحدة اذا انسحبت من اليونسكو . .

٤ ـ ان الثمن الذي ستدفعه سياستنا الخارجية في الانسحاب ، لايبدو كبيرا . فالكثيرون ـ وان لم يقولوا ـ يؤيدوننا . ذلك لأنهم يعتمدون على الولايات المتحدة كقدوة وقيادة وحامية لمصالحهم .

٥ ـ ان احترامهم لنا سيزداد ويؤخذ بجدية أكثر .

٦ ـ وان الاشارة التي سيرسلها انسحابنا من اليونسكو ، الى المنظمات الاخرى الدولية المتعددة الجنسيات ، هذه الاشارة لاتعني انسحابا مماثلا ، ولكننا نود عملا غير سياسي ووسائل محددة في التعاون والعمل

ثم درس التقرير بعد هذا تأثير الانسحاب على مجموعات الدول في العالم والمواقف المتوقعة من كل منها ، واقترح أساليب مقابلتها . .

هذه أهم ملامح الجزء الغائر من جبل الثلج الذي اصطدم باليونسكو قبيل العام الجديد . . وفي التوقيت المرسوم في شهر ديسمبر ١٩٨٣ .

مع ربان السفينة

ومن حق أحمد مختار أمبو ـ ربان سفينة اليونسكو ـ منذ عام ١٩٧٤ أن يشرح وجهة نظره . هذا حق وواجب ومسئولية عالمية .

ولقد أرسل الى وزير خارجية الولايات المتحدة ردا على خطابه بتاريخ ١٨ يناير/ كانون الثاني ١٩٨٤ جاء فيه :

« ولم يفتني أن أحيط رئيس المؤتمر العام ورئيس المجلس التنفيذي علما برسالتكم . وقد طلبت علاوة على ذلك أن يدرج ضمن جدول الاعمال المؤقت للدورة التاسعة عشرة بعد المائة

للمجلس التنفيذي التي ستبدأ في ٩ مايو/ آيار ١٩٨٤ الموضوع التالي « رسالة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بشأن انسحاب الولايات المتحدة الامريكية ..» ويهمني أن أعرب لكم عما أحس به من أسف بالغ ازاء انسحاب عضو مؤسس من المنظمة تعاونت سلطاته كما تعاون مربوه وعلماؤه ومثقفوه بوجه عام في أنشطة اليونسكو حتى اليوم تعاونا بارزا مطردا ، ووسعهم هم أيضا ولاشك أن يستفيدوا من هذا التعاون .. ولقد أكدت دائما على ضرورة الحفاظ على عالمية المنظمة ... »

ويشير الخطاب بعد هذا التقدير المتبادل بين المدير العام وخارجية الولايات المتحدة ، ووفدها لدى اليونسكو . والنتائج التي أوصل اليها تعاون الدول الاعضاء .. والى تكوين لجنة دائمة للصياغة منذ عام ١٩٧٦ في المؤتمر العام استطاعت أن تقرب بين وجهات النظر ، وأن تضع نصوصا تحظى بموافقة اجماعية . والى النزول بالحد الاقصى للميزانية في الدورة الثانية والعشرين (١٩٨٣) والذي سبق أن اعتمده المجلس التنفيذي بمقدار ٥٦,٢ مليون دولار . وبهذا أصبحت الميزانية المعتمدة لفترة ١٩٨٤ - ١٩٨٥ قدرها ٣٧٤,٤ مليون دولار . وسيؤدي هذا الى نقص ماتدفعه الولايات المتحدة بنحو ٦,٧ مليون دولار ..

ويمضي الخطاب يبين ماسيرد الى الولايات المتحدة من احتياطي الميزانية وأن مجموع ماسيطلب من الولايات المتحدة في فترة عامي ١٩٨٤ - ١٩٨٥ هو ٢٥,٤ مليون دولار بينما كانت الدفعة السنوية للفترة ١٩٨١ - ١٩٨٣ هي ٤٩,٨ مليون دولار (والارقام مقربة لتيسير المقارنة) .

ومضى الخطاب يشرح نظام التخطيط المتوسط الأجل للاعوام ١٩٨٤ - ١٩٨٩ والحوار الديمقراطي الذي يدور بشأنها بين الدول الاعضاء ، وتأييد الدول لهذه الخطط والبرنامج ، وشرح جوانب فنية من الميزانية وقرارات أجهزة المراجعة في سلامتها .

وانتقل الى مناقشة ما جاء في خطاب الخارجية الامريكية عن « اتجاهات تحيد باليونسكو عن أهدافها . واليونسكو منظمة دولية يحدد ميثاقها التأسيسي قواعد عملها وأساليب اتخاذ قراراتها » .

وكان النص يقضي بأنه عندما يباشر المؤتمر العام انتخاب أعضاء المجلس التنفيذي فعليه أن يحرص على أن يضم المجلس اشخاصاً من ذوي الكفاية في الفنون والآداب والعلوم والتربية ونشر الأفكار ، وممن تتوافر لديهم الخبرة والمقدرة اللازمتان للقيام بالمهام الادارية والتنفيذية الملقاة على عاتق المجلس . ثم يشير المدير العام الى نص كان له مكانة في حرية اليونسكو وهو أن اعضاء المجلس التنفيذي « يمارسون السلطات التي فوضهم في ممارستها المؤتمر العام باسم المؤتمر العام كله وليس بوصفهم ممثلين لحكوماتهم ».

وبناء على مبادرة من حكومة الولايات المتحدة بوجه خاص ، تقرر في عام ١٩٥٤ ، أن يصبح كل عضو من أعضاء المجلس التنفيذي ابتداء من ذلك الوقت « ممثلا لحكومة الدولة التي ينتمي اليها » ، وهكذا فقد المجلس - الذي كان يتكون حتى ذلك الوقت من شخصيات مستقلة في عالم الفكر ، أراد مؤسسو اليونسكو أن يكفلوا له أكبر قدر من حرية الرأي ازاء حكوماتها ، وهذه احدى خصائصه الاساسية ..

واشار التقرير الى التحقيقات التي أجراها « مجلس الولاء » بالولايات المتحدة حول الموظفين الامريكيين العاملين باليونسكو .. ثم يقول :

« وينبغي التمييز بين وجهات النظر التي تبديها هذه الدولة أو هذه المجموعة من الدول الاعضاء في اليونسكو ، وبين أنشطة المنظمة ذاتها التي تحتم عليها رسالتها الاخلاقية تجاوز الايديولوجيات المختلفة دون تجاهلها - وقد ذكر

منابع المستقبل

اليونسكو

بذلك السيد أدموند ب . هينلي رئيس وفد الولايات المتحدة الامريكية . في الدورة الثانية والعشرين للمؤتمر العام (نوفمبر ١٩٨٣) في الكلمة التي ألقاها في اثناء مناقشة السياسة العامة ، فقال : « ان الفارق بين مانناقشه نحن كحكومات وبين مانتوقع من المنظمة أن تفعله لينطوي على أهمية حاسمة ، ولكننا نغفل هذا الفارق في كثير من الاحيان » .

ويعقب المدير العام في خطابه على هذه العبارة بقوله : « والواقع انها مسألة كثيرا مايغفلها هؤلاء الذين ينحون باللائمة على اليونسكو ، والذين ينسبون الى المنظمة ذاتها مواقف يبديها هذا المندوب أو ذاك باسم هذه الحكومة أو تلك » .

ثم انتقل الخطاب الى نمو المنظمة من ٢٨ دولة عند التوقيع الى ١٦١ عند ارسال الخطاب ، وعلاقة النمو واتساع مجال العمل وآمال الشعوب مع التنوع الشديد الممثل في اليونسكو والذي يعكس واقعا عالميا ، وايمان اليونسكو بالحرية والتعليم والثقافة للجميع دون تمييز،كما ينص على هذا الميثاق التأسيسي ، وما قالته السيدة جيرارد (سفيرة الولايات المتحدة لدى اليونسكو) باسم مجموعة الدول الغربية في ختام الدورة الاخيرة . « وكثيرا ما توصلنا الى قرارتنا في هذا المؤتمر من خلال توافق الآراء . . وانه لانجاز عظيم جدا ان تتمكن هذه الدول الكثيرة من التوصل الى اتفاق مشترك حول القضايا المطروحة عن طريق نقاش طابعه الاعتدال والاتزان » .

وفي ختام الخطاب يأمل المدير العام أن تراجع الولايات المتحدة الوضع برمته ، وتقرر البقاء في اليونسكو ، وبهذا تصون لها طابعها العالمي ، وتواصل التعاون معها بصورة كاملة تامة .

منابع المستقبل

ونعود الى جملة في خطاب شولتز الى المدير العام يقول فيها : ـ ان انجاز بضعة أمور على نحو جيد أبعد أثرا من تناول جميع مصائب العالم تناولا سطحيا .

نعود الى هذه الجملة لنسأل : ماهي هذه المصائب ؟ وما التناول السطحي ؟ ونطالع معا كتاب المدير العام : منابع المستقبل ، وقد صدر عن اليونسكو (١٩٨٢) في هذه المرحلة التي اطلق عليها المدير العام . « زمان الشعوب » وهو عنوان لأحدث كتبه ، وقد أشاد بهذا التعبير مؤتمر مكسيكو عن السياسات الثقافية (١٩٨٢) .

بعد المقدمة نقرأ عناوين الفصول التالية : كوكب واحد ، ألوان من التباين والتفاوت ، النظام الاقتصادي الدولي ، السلام وسباق التسلح ، حقوق الانسان ، البيئة والموارد الطبيعية ، الاتصال بين الناس والثقافات . العلم والتكنولوجيا والمجتمع ، النمو والتساؤلات المطروحة بصدده ، الذاتية الثقافية ، التربية والمجتمع ، ظواهر التشكك وتجديد القيم ، التحديات ، مهام اليونسكو في السنوات ١٩٨٤ ـ ١٩٨٩ ـ

ويعرض الكتاب المهام الرئيسية الخمس والبرامج الثلاثة عشر وقد أضيف اليها البرنامج الرابع عشر عن المرأة،الذى درسه المؤتمر العام (نوفمبر ١٩٨٣) .

وهذه المهام الخمس متسلسلة ومترابطة ومتدرجة . ولكل منها برنامج أو أكثر . والبرامج بدورها حلقات متماسكة ، يصورها العرض الموجز الآتي ، وفيه ارقام المهمات والبرامج :

أولا ـ الاسهام في دراسة مشكلات العالم الراهن ، ذلك لأن اليونسكو « مرصد » و « مختبر أفكار » ويقابلها برنامج :

(١) تأمل في المشكلات العالمية ودراسات مستقبلية .

ثانيا ـ الاسهام في توفير الظروف المواتية للمشاركة . ويقابلها برنامجان :
(٢) التعليم للجميع
(٣) الاتصال في خدمة الانسان .

ثالثا ـ تنمية قدرات استخدام المعارف وتنمية المعارف ذاتها . ويقابله أربعة برامج :
(٤) وضع سياسات التربية وتنفيذها .
(٥) التعليم والتدريب والمجتمع .
(٦) العلوم وتطبيقاتها في مجالات التنمية .
(٧) نظم المعلومات والانتفاع بالمعرفة .

رابعا ـ الاسهام في تيسير التطورات والتحولات ، ويقابلها ثلاثة برامج :
(٨) مبادىء العمل من أجل التنمية واساليبه واستراتيجياته .
(٩) العلم والتكنولوجيا والمجتمع .
(١٠) بيئة الانسان والموارد الارضية والبحرية .

خامسا ـ تجديد القيم والتفاهم بين الشعوب . ويقابله ثلاثة برامج :
(١١) الثقافة والمستقبل .
(١٢) القضاء على التحيز والتعصب والعنصرية والفصل العنصري .
(١٣) السلام والتفاهم الدولي وحرية الشعوب وحقوق الانسان .

يأتي بعد هذا البرنامج المضاف وهو :
(١٤) أوضاع المرأة .

فالمهام تبدأ من المساهمة في الدراسة وتنتقل الى توفير الظروف المواتية فمواجهة المشكلات ، فالابداع ، فتجديد القيم .. والبرامج تتوازي معها وتترابط وتتكامل .

هذا ماتدارسه المؤتمر العام في دورته الثانية والعشرين ، وماصطدم بجبل الثلج ، والعام الجديد على الابواب .

الثقافة أصبحت عقبة

ولنتصور الثقافة شجرة على جانب طريق لها ظل محدود .. ثم نمت وضربت بجذورها في الارض وفروعها في الفضاء ومدت وجودها حتى فرضته على العابرين .. فمنهم من رضى به وسعد ، ومنهم من ضاق بالشجرة واعتبرها عقبة على الطريق الممتد . ولعل هذا ماكان من أمر الثقافة في المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية (مكسيكو ٢٦ يوليو / تموز ـ ٦ اغسطس / آب ١٩٨٢) .

لقد مد المؤتمر فروع الثقافة ورأت أمم الارض فيها فيئا وظلا وقال المؤتمر :

« ان الثقافة ، بمعناها الواسع ، يمكن ان ينظر اليها اليوم على أنها جماع السمات الروحية ، والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والاداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الاساسية للانسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات .

وان الثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته وهي التي تجعل منا كائنات تتميز بالانسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الاخلاقي ، وعن طريقها نهتدي الى القيم ونمارس الاختيار ، وهي وسيلة الانسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل والى اعادة النظر في انجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وابداع اعمال يتفوق فيها على نفسه ».

ومن هذه القاعدة العريضة ينطلق اعلان مكسيكو عن الثقافة الى الحديث عن الذاتية الثقافية والبعد الثقافي للتنمية،والثقافة والديمقراطية،والتراث الثقافي والابداع الفني والتربية الفنية والعلاقة بين الثقافة وبين التربية والعلوم والاتصال وتخطيط الانشطة الثقافية وادارتها وتمويلها والتعاون الثقافي الدولي ودور اليونسكو في ذلك .

أرأيت كيف امتدت الشجرة ، وحملت هذه الفروع أوراقا تتنفس هواء الحرية،متطلعة الى مزيد من النور ضاربة بجذورها في أرض الحياة ؟

ارتبطت الثقافة بالحرية السياسية والاقتصادية والفكرية وحقوق الشعب في تقرير المصير ومشروعية الدفاع عن التراث الثقافي .. والتراث أرض وفكر وأجيال .. والتراث ماض وحاضر ومستقبل ، فالزمان في حركة دائمة . وكما نسمع أحيانا عن مذابح الاشجار لإفساح الطريق ، اتجهت بعض الأقطار الى شجرة

الثقافة ، وضاقت بساحتها في اعلان مكسيكو ، ورأت فيها عقبة على الطريق .. ولم تشفع لها الخضرة ، ولا أمل الشعوب في زمان الشعوب فماذا تصنع فأس السياسة بغصون الثقافه الخضراء ؟

أصوات متعددة وعام واحد

وهذا عنوان كتاب هو حصيلة أعمال لجنة دولية برئاسة السيد شون ماكبرايد (ايرلندا - والحائز على جائزة نوبل) وهو من اصدار اليونسكو عام ١٩٨١ (الطبعة العربية) . وهو وثيقة على درجة عالية من الخطورة ومما أشار اليه خطاب وزير الخارجية وتقارير الوزارة .

وتقرأ على غلاف الكتاب أهم الاسئلة التي قدم التقرير عنها مقترحاته .

كيف نعالج عدم التوازن والتحريف في نشر الأنباء ، ولاسيما العالمية منها ؟

ماهي الشروط التي يمكن تهيئتها لكي تتحول عملية الانباء ذات الأتجاه الواحد ، والمحتكرة من طرف الاقوياء - سواء كان مصدر قوتهم العلم أو المال أو القوة المطلقة - الى عملية واسعة ديمقراطية تشمل كل القضايا وتعتمد على الحوار الذي يشترك فيه الجميع ؟

ماهي المبادىء التي يجب اعتمادها لخلق نظام عالمي جديد للاعلام والاتصال يتميز بالعدالة والنفع العميم ؟

تلك بعض الاسئلة التي حاولت اللجنة العالمية لدراسة مشاكل الاتصال الاجابة عنها في تقريرها هذا ..

ومن التقرير - وكنموذج لوضوحه وقوته وتعبيره عن آمال الشعوب - أقتبس الفقرة الآتية (ص ٥٤٦ من الطبعة العربية)

ان حرية الكلام وحرية الصحافة وحرية الإعلام وحرية التجمع من الحريات الاساسية لممارسة حقوق الانسان . ويعد توسيع هذه الحريات المتعلقة بالاتصال بحيث تصبح حقا رديا جماعيا أوسع للاتصال بين الناس ، مبدأ من المبادىء التي تسود الآن عملية تحقيق الديمقراطية ، والمساواة بين الاجناس . ويعد الدفاع عن حقوق الانسان واجبا من الواجبات الاساسية لوسائل الاعلام .

والآن : بين من الخلاف ؟

لقد فتحت اليونسكو ابوابها أمام أي حوار ، وملفاتها أمام أي محقق ، وميزانيتها أمام أي مراجعة . فماذا حدث ؟

في مساء الاربعاء ٢١ مارس ١٩٨٤ تعرض مقر منظمة اليونسكو العالمي في باريس لحريق اندلعت فيه النيران في أكثر من مكان في وقت واحد .

وهكذا انتقل الصراع من النور الى الظلام .. ومن الكلمة الى الحريق ومن الفكر الى التآمر ..

أكثر من وفد ومن مجموعة وفود ، قالت كلمتها في مسيرة اليونسكو ، مؤتمر القمة الاسلامي الرابع في الرباط (يناير ١٩٨٤) ناشد الولايات المتحدة الامريكية أن تبقى في اليونسكو ، وان تعدل عن قرار الانسحاب . وتتساءل : ما اليونسكو ؟

انه قلم يكتب ، ولسان ينطق ، وقلب يشعر ، وفكر يدعو الى مستقبل أفضل .. أنه أمل أخضر التقت عنده الآمال .. وأملنا أن نتعاون جميعا على أن تمر هذه العاصفة ، وتتغلب الحكمة ، وتعود الى اليونسكو عالميتها لتكون منبر العالم ، ومدرسة الحوار الديمقراطي .. وتطويرا من الداخل ، دون انسحاب ولا مقاطعة .

ففي عقول البشر ، كما يقول الميثاق التأسيسي - يجب أن تبنى حصون السلام . □□

ملامح الهوية العربية

بقلم : الدكتور محمد عمارة

☐ العروبة . . هل هى بناء فوقى قابل للتغيير . . أم جوهر ثابت له صفة الاستمرار ؟ وهل هى مجرد تراث . . ام هوية ثابتة القسمات ؟

ان هذه هى القضية التى نبحث عن ملامحها . . مع محاولة استكمال مقومات الاستقلال الحضارى .

عندما تكون الامة مالكة لتراث حضارى غنى وعريق ، وعندما تكون حضارتها من الحضارات التى تألقت يوما فتخطت بعطائها الحدود القومية لهذه الامة - كما هو حال أمتنا العربية الاسلامية - عندما يكون هذا هو حال الامة ، فمن الصعب - بل المستحيل - عليها أن تقف بنضالها فى سبيل الاستقلال ، عند « الاستقلال السياسى » أو « الاستقلال الاقتصادى » ، ولا بد لها أن تواصل مسعاها كى تحقق « الاستقلال الحضارى » الذى يعيد لها شخصيتها القومية ، ويزيل آثار التشوه الفكرى التى لحقت بها عندما فقدت الاستقلال وخضعت لتأثيرات الغزاة ! . .

وفى البحث عن استكمال مقومات هذا « الاستقلال الحضارى » يثور التساؤل عن « الهوية » الخاصة بالأمة . . وأين نلتمس معالمها ؟ . . أفى تراث الامة وموروثها ؟ . . أم فى الوافد الفكرى الذى وفد الينا منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة ، والذى مازال يفد الينا من خلال ما يتم على أرضنا من « تحديث » مطبوع بالطابع الغربى والتغريبى ؟ . . كما يثور التساؤل كذلك عن ماهية القسمات التى تُكون « هوية » الامة الحضارية ؟ . . وهل « الهوية » هى كل « التراث » ؟ . . والى أى مدى يصيب التطور والتغير « الهُوية » الحضارية للامة فى مجرى التطور العام ؟؟ . .

وبادىء ذى بدء ، لا بد من تحديد مضامين المصطلحات . .

فـ « الهوية » ـ بضم الهاء ـ مصطلح استعمله العرب والمسلمون القدماء . . وهو منسوب الى « هو » . . وهذه النسبة تشير الى ما يحمله من مضمون . . فهى تعنى ـ كما يقول « الجرجانى » فى (التعريفات) : « الحقيقة المطلقة ، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة فى الغيب المطلق » .

أما معاجمنا الحديثة فانها لم تخرج عن هذا المضمون ، عندما قالت عن الهوية : انها « حقيقة الشىء أو الشخص المطلقة ، المشتملة على صفاته الجوهرية ، والتى تميزه عن غيره . . » . . وتسمى ، أيضا : « وحدة الذات » . .

وبعبارات أدخل فى موضوعنا ، فاننا نستطيع أن نقول : ان الهوية الحضارية لأمة من الامم ، هى القدر الثابت ، والجوهرى ، والمشترك من السمات والقسمات العامة ، التى تميز حضارة هذه الامة عن غيرها من الحضارات ، والتى تجعل للشخصية القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات القومية الاخرى . .

العروبة كهوية

واذا شئنا أن نضرب بعض الامثلة للقسمات الجوهرية التى غدت ، لعمومها واستمراريتها ، جزءا أصيلا فى « هوية » أمتنا العربية الاسلامية فاننا سنجد مثلا :

■ العروبة : ـ بالمعنى الحضارى والفكرى ـ وليس بالمعنى العرقى والعنصرى ـ فلقد غدت العروبة هوية لهذه الجماعة البشرية التى تعربت بعد الفتح العربى الاسلامى ، والتى أصبح ولاؤها وانتماؤها لكل ما هو عربى ، وليس للاطوار الحضارية غير العربية التى سبقت ، فى تاريخها ، طور التعريب . . ولقد استوت فى هذا الولاء والانتماء للعروبة بأولئك الذين انحدروا من اصلاب عربية بالمعنى العرقى . .

وكما أصاب التعريب البشر ، فجعلهم جزءا من نسيج الامة الجديدة ، كذلك اصاب المواريث الحضارية لشعوب البلاد التى أصابها التعريب . . فلقد أحيا الاسلام الصالح من هذه المواريث ، بعد أن كادت تموت فى ظل القهر البيزنطى القديم ، ولم يمارس الاسلام ضدها

حرب « المسخ والنسخ » التى مارستها الحضارة الاوروبية ضد المواريث الحضارية لأهل البلاد التى ابتليت بالاستعمار الحديث . . فكما دخلت شعوب البلاد - بعد الفتح - الى نسيج الجماعة العربية ، كذلك غدت هذه المواريث الحضارية القديمة جزءا أصيلا فى الحضارة التى تبلورت على أرض هذه الأمة ، كمحصلة لتفاعل الاسلام ، بروحه الشابة وافقه العقلانى ، مع الصالح من هذه المواريث . . واذا كان « الاسلام الدين » الذى هو وضع الهى ، والذى يجب أن ننزهه عن الاضافات والبدع البشرية . . اذا كان هذا « الاسلام الدين » قد اختص به الذين تدينوا به من المسلمين . . فان « الحضارة العربية الاسلامية » بعلومها وفنونها الدنيوية ، قد جاءت ثمرة للاسلام الدين وللمسلمين المؤمنين به ، مع تلك الاسهامات والاضافات التى دخلت نسيج هذه الحضارة من المواريث التى سبقت ظهور الاسلام ، وتلك التى أبدعها الذين تعربوا مع بقائهم على الشرائع الدينية التى سبقت ظهور الاسلام . .

فعروبة البشر . . وعروبة الحضارة ، هى سمة من السمات الثوابت ، التى غدت جزءا من « الهوية » التى تميز أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الامم والحضارات . .

واذا كان « عموم » العروبة فى الامة - كجماعة بشرية - وفى حضارتها - بعلومها وفنونها وآدابها - هو مما لا يحتاج الى اثبات أو ايضاح . . فان البعض قد يرتاب فى « ثبات » هذه القسمة فى وجه عوامل التطوير والتغير ، داخلية كانت أو خارجية ، ومن ثم فان هذا البعض قد يرتاب فى كون هذه « العروبة » واحدة من القسمات التى تمثل « هوية » لهذه الامة ، فى المستقبل ، كما كانت فى ماضيها وحاضرها ! . . فهذا البعض قد يحلو له النظر الى « العروبة » كمجرد قسمة من قسمات « البناء الفكرى الفوقى » ، الذى يصيبه التطور والتغير عندما يتطور ويتغير « البناء المادى التحتى » للمجتمع ، كما هو الحال مع بعض « الافكار » التى تتبع فى البقاء أو الذهاب الظروف المادية التى تبعثها وتستدعيها ! . .

ونحن نعتقد أن نظرة متأملة للتحديات التى جوبهت بها عروبة الامة وعروبة حضارتها عبر تاريخنا الملىء بالتحديات ، ستجعلنا على يقين من أن « العروبة » هى « هوية » . . وليست مجرد « بناء فوقى » يتغير بما يصيب « البناء المادى التحتى » من تطور وتغير . .

لقد سيطر « الترك - المماليك » و « الترك - العثمانيون » على مقدرات هذه الامة العربية أغلب قرون تاريخها الاسلامى . . وسيطر الاستعمار الغربى وهيمن على حياتنا قرابة القرنين من الزمان . . وخلال هذه القرون الطويلة امتحنت « عروبة الأمة . . وعروبة الحضارة » أقسى الامتحانات ! . .

ففى ظل « الترك المماليك » ، الذين كانوا فرسان العصر الوسيط ، وحماة الديار من الخطر الخارجى لقاء أن تصبح هذه الديار اقطاعا حربيا لامرائهم وأجنادهم ! . . فى ظل هذا التسلط المملوكى ظهرت دعوى عدم ارتباط العروبة بالاسلام ! فلقد كان الحاكم غريبا عن الروح القومية للأمة ، تجمعه بها وحدة الدين فقط ، فشاعت المقولة التى تغض من شأن العروبة ، حتى لقد زعم البعض تناقضها مع الاسلام ! . .

وفى ظل سلطان « الترك - العثمانيين » بلغ التحدى للعروبة حد محاولة تتريك العرب ، كى يتحولوا الى « أتراك » ! . .

أما فى ظل الهيمنة الاستعمارية الغربية فان محاولات « فرنسة الجزائر » و « تغريب » فكرة الامة ، ومحاربة العربية ، بمشاريع كتابتها بالحرف اللاتينى مرة . . واستبدال العامية بها مرة ثانية . . والتخطيط لسيادة الجهل بها فى كل الأحايين ! . . ان هذه المحاولات وأمثالها شواهد على ما جابه العروبة فى تلك الحقبة من التحديات . .

لكن « العروبة » رغم هذه التحديات التى تمثل عوامل وتحولات قامت فى أرض الواقع ، ظلت صامدة شامخة مستعصية على التحرك من موقعها الحصين .. فليست هى اذن « بالبناء الفوقى » الذى يصيبه التغير بتغير الظروف .. وانما هى « جوهر - ثابت » ، كما هى « عام وشامل » له صفة « الاستمرار » .. انها « هوية » وليست مجرد تراث ! ..

روح التوحيد

■ والتدين : هو الآخر قسمة من القسمات الجوهرية والثوابت التى تكون جزءا من « هوية » هذه الامة ! ..

ونحن بالطبع ، لا نزعم ان أمتنا وحدها هى المتدينة من بين الامم الاخرى .. لكننا نقول : ان مما يمزها - كهوية لها - هو عموم روح التدين بين ابنائها - وروح التدين غير شعائره ومظاهره - فجمال الدين الافغانى يحدثنا عن أن التدين هو طبيعة وجبلة فى الانسان المسلم ، حتى لتستعصى هذه الروح الايمانية على الاقتلاع حتى عند الذين يتوهمون أنهم قد اقتلعوها بالزندقة والمروق من الدين والالحاد فيه .. انها تبقى طابعاً لهم ، وأثرها فيهم باق كأثر الجرح بعد أن يندمل ؟ !

■ وهذه الروح المتدينة محورها ومزاجها هو « التوحيد » .. وهو مميز آخر ، يجعل التدين بهذا المعنى وبهذه الروح التوحيدية « هوية » تتميز بها أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الامم والحضارات .

ان « التوحيد » الذى بلغ فى تراث مصر القديمة - عند اخناتون (١٣٦٩ - ١٣٥٣ ق م) الى الحد الذى تحدثت فيه أناشيده عن الله ، سبحانه ، كاله للكون كله .. هذا التوحيد هو جزء من مواريث حضارتنا ، جاءها من بقايا الشرائع الالهية القديمة .. وبه تميزت عن صورة التوحيد فى (العهد القديم) ، تلك التى جعلت « التوحيد » أقرب ما يكون الى الوثنية ، فالله فيها هو اله لبنى اسرائيل وحدهم ، أما الشعوب الاخرى فلها آلهتها الخاصة بها ؟ ! ..

وحتى وثنية العرب القديمة ، فى جاهليتهم التى سبقت الاسلام ، كانت « انحرافا » عن جوهر ونقاء هذا « التوحيد » (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض؟ ليقولن : الله ..) - لقمان : ٢٥ - .. (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى -) - الزمر : ٣ - ..

وهذه الروح « التوحيدية » بلغت فى روح الحضارة الشرقية مبلغ « الهوية » والثوابت من القسمات . فكان دخول شعوب الشرق فى دين الله - الاسلام - أفواجا ، دونما اكراه ، بالترغيب أو الترهيب ، رغم حرية الاعتقاد التى أبقت المؤسسات الكنسية ومالها من تراث فى الجدل وخبرات فى التبشير .. فلقد كان التوحيد الاسلامى ، الذى بلغ الذروة فى النقاء ، والذى أعاد الى هذه العقيدة - التى هى جوهر الدين - صفاءها ونقاءها الذى أرادها عليه الواحد ، سبحانه وتعالى .. كان هذا التوحيد الاسلامى « الهوية » التى أعادت شريعة الاسلام والكشف عن جوهرها ، بعد أن طمستها تعقيدات التثليث والتجسد والحلول !

واذا كان الباحثون فى تراث الغرب الفلسفى ، يرصدون فى ذلك التراث تيارا « ماديا - ملحدا » منذ اليونان وحتى عصرنا الراهن .. فلا بد ان يلفت نظر هؤلاء الباحثين خلو تراثنا الفلسفى من هذا التيار « المادى - الملحد » عبر تاريخنا الحضارى الطويل ! .. وما تلك الشبهات والمقولات والاجتهادات التى يحسبها البعض « شكا » أو « زندقة » أو « الحادا » ، الا « وافد » غريب عن روح حضارتنا وفكرها الفلسفى ، لم يتعد مكان « النتوء - النشاز » ، ولم يبلغ يوما حجم « التيار » أو ما يشبه « التيار » ! ..

أما الاجتهادات الاصيلة التى حسبها

« النصوصيون » « الحادا » فان النهج « العقلانى - الاسلامى - الوسطى » الذي تآخت فيه « الحكمة » و « الشريعة » - يضعها فى اطار « العقلانية الاسلامية » ، وينفى عنها أن تكون « مادية » أو « الحادا » كذلك الذى تميز به التراث الغربي منذ اليونان وحتى العصر الحديث . .

فهو اذن - التدين . . والتدين بروح التوحيد - من القسمات الثوابت ، التى غدت فى حضارتنا العربية الاسلامية « هوية » تتميز بها هذه الحضارة عن غيرها من الحضارات .

الوسطية الاسلامية

■ والاعتدال : الذى جعل هذه الحضارة - وأمتها - ترفض « الغلو » ، بكل صوره ، وفى كل الميادين . . هو الآخر من القسمات التى غدت « هوية » نتميز بها عبر تاريخنا الحضارى الطويل . . فهذا الاعتدال هو الذى جعلنا أمة وسطا ، نقف موقف الشاهد ، الذى هو « عدل » بين ظلمين ، و « حق » بين باطلين ، و « اعتدال » بيت تطرفين . . الخ . . الخ . .

انها « الوسطية الاسلامية » - ليس بالمعنى السوقى الذى شاع في مجتمعاتنا لمصطلح « الوسطية » ! . . بل انها لتتميز عن « الوسطية الأرسطية » . . فهى تعنى « الاعتدال » و « التوازن - والموازنة » . . انها لا تقف وسطا بين « قطبي » الظاهرة . . ولكنها تجمع وتؤلف بين ما يمكن الجمع والتأليف بينه من بين سماتها وعناصرها ، بواسطة النظرة الشمولية والشاملة ، والموقف المعتدل والمتوازن . .

انها لا تقف بين « العقل » و « النقل » . . وانما تؤلف بينهما . . وكذلك موقفها ازاء « المادة » و « الروح » . . « الدنيا » و « الآخرة » . . و « الدين » و« الدولة » . . و« الفرد » و« المجموع ».و« الذات » و « الموضوع » و « الاصالة » و « التحديد » . . و « الثبات » و « التطور » .

وهى - بهذا المعنى - من القسمات الثوابت فى شخصيتنا القومية وطابعنا الحضارى . . بها تميزت أمتنا وتتميز - ويجب أن تظل متميزة - عن غيرها من الامم ذات الطابع الحضارى المتميز والعريق . .

وصدق الله العظيم اذ يقول : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) - البقرة : ١٤٣

* * *

تلك بعض من قسمات « الهوية » الحضارية لأمتنا العربية الاسلامية . . انها « البصمة » الحضارية التي لا يطمسها « التفاعل الحضارى » الخلاق - عندما يكون رشيدا ينهض به المستقلون الاصحاء الراشدون ! - . . كما أنها لا تحتاج فى حفظها والمحافظة عليها الى « الانغلاق » « الحضارى » والسعى لاقامة الاسوار الصينية بين حضارتنا وغيرها من الحضارات . . بل ربما أصابها هذا « الانغلاق » بما يصيبها به الذوبان فى « هويات » الآخرين من تشوه وذبول . .

فهنا - أيضا - لا بد من « الوسطية . . والتوازن . . والاعتدال » ! . . □□

■ أخ لك كلما لقيك أخبرك بعيب فيك ، خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارا .

« بلال بن سعد »

لوحة .. وفنّان

على شواطيء عكا ، في عام ١٩٣٨ حفرت اقدامه الطفولية الرمال ، خطت أنامله خطوطا تنبيء بمولد فنان ، نحت في الرمال أحلامه ، ثم تركها لتغمرها الأمواج ، وحمل الفنان والنحات الفلسطيني (توفيق عبدالعال) أحزانه وذكرياته في رحلة هجرة طويلة ، مشردا في بلاد الله الواسعة .

وكبقية أفراد الشعب الفلسطيني ، الذي كتب عليه هذا المصير المظلم ، كان سلاحه الريشة ، والأزميل ، وأتيحت له الظروف فيقيم عشرين معرضا شخصيا في بلدان عربية مختلفة كذلك شارك في معارض جماعية متعددة ، وأصبح عضوا لاتحاد التشكليين الفلسطينيين فرع لبنان ، وعضو الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، وعضو جماعة البعد الواحد ، ومعظم موضوعاته مكرسة لخدمة القضية الفلسطينية ، فالجرح كبير ، وأصعب من أن يندمل .

ومن معرض الفنانين الفلسطينيين بمناسبة (يوم الأرض) الذي أقيم في الكويت ، اخترنا هذه اللوحة الزيتية ، تحمل عنوان (نحو النور) وتمثل طفلة فلسطينية ووالدتها ، والقاسم المشترك بينهما حيرة تطل من العيون ، ووجهان يتقمصهما الخوف من شيء مجهول وان قبضة الأم القوية على المصباح ، تبين اصرارها على متابعة المسيرة . ورغم بحيرة الضوء السابحة فيها جزئيات اللوحة فان الحزن ينبع من الوجوه ليجتاح كالطوفان كل ما في اللوحة من بهجة لونية .

ثريا البقصمي

النص والاجتهاد والحكم في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

□ هل الحكم في الاسلام من اجتهادات العقل البشري . . أم أنه تحدد قطعيا في نصوص شرعية لا تقبل الاجتهاد . . ؟.

الدكتور محمد أحمد خلف الله . . يطرح رأيا في هذا الموضوع .

جذب انتباهي ، وحاز اعجابي ما سمعته من أحد الدعاة البارزين كي يؤكد صحة الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتحقق الحكومة الاسلامية ، بمثل ضربه ، أعتقد أنه قد أصاب به كبد الحقيقة .

كان المثل مستعارا من الحضارة الأوروبية التي تنكرها الجماعات الدينية وتراها الشر الذي يجب الوقوف في وجهه والتخلص منه مهما تكن الظروف والمناسبات من حيث اننا نملك من التراث الاسلامي ما يمدنا بالحلول لما نعانيه من مشكلات .

كان المثل الذي ضربه العضو البارز ، والمقولة التي قال بها ، هي : إن مخترع الآلة إنما يبين للناس كيفية تشغيل هذه الآلة ، وإن المؤسسات التي تتولى بيع هذه الآلة تضع نسخة من هذا البيان مع كل آلة معروضة للبيع ، وان كل مشتر لهذه الآلة يلتزم بهذا البيان عند تشغيله لهذه الآلة ـ وإلا فسد الأمر وعجزت الآلة عن أن تقوم بوظيفتها التي أعدت من أجلها .

البيان والعقل

ثم قال : والله سبحانه وتعالى هو الخالق لهذا الكون بمن فيه وما فيه ، وقد وضع البيان الذي يبين للناس كيفية ممارسة الحياة ، وبعث في شأن ذلك بالانبياء المرسلين .

انه يجب علينا أن نلتزم بهذا البيان ، والا نتخلى عنه والا فسدت الحياة وانحرف الناس عن الطريق المستقيم .

ثم أردف ذلك بالآية القرآنية الكريمة : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » آية ١٤ الملك .

وما قاله الرجل هو عندي من المسلمات ، ولست أخالفه في شيء مما قال ما دام البيان الذي يدعونا اليه هو البيان الذي جاء من عند الله ، وبلّغه الى الناس الأنبياء المرسلون .

اننا نخالف الرجل عندما نراه ، أو نرى غيره من الدعاة يدعونا الى الالتزام دينيا ببيانات أخرى هي من صنع العقل البشري ، ومن اجتهادات المجتهدين من رجال الفكر الديني .

اننا نؤمن بأن الدين لا يكون الا من عند الله ، تحمله الأنبياء المرسلون للناس ، وتبينه لهم . أما ما يجيء به العقل البشري عن طريق اجتهادات المجتهدين فيما لا نص فيه ، فلا يمكن أن يكون دينا بحال من الأحوال .

والالتزام بما يقول المجتهدون هو التزام أدبي من حيث انه من أمجاد أسلافنا أو مما لا تزال فيه مصلحة لنا .

ان كل ما لم يرد فيه نص قد ترك أمره للعقل البشري .... عقل من سبقونا ، وعقولنا نحن .

وان من حقنا أن نجتهد في مشكلات عصرنا كما اجتهد القدامى في مشكلات حياتهم ، وما وصلوا اليه ، وما نصل نحن اليه ، هو من أدبياتهم وأدبياتنا . وليس من الدين في شيء .

والمعيار الوحيد الذي توزن به الاجتهادات البشرية ، القديمة والحديثة ، هو ألا تأتي بما يخالف النص ... وبخاصة عندما يكون النص واضحا وصريحا وقطعي الدلالة وواردا مورد التكليف .

وهنا نعود الى هذا المثل الذي ضربه الداعية لقد استعار مثله من الحضارة الأوروبية ومن مسائل العلم والتكنولوجيا ... أي من هذا الميدان الذي يصنع فيه التقدم ، وتيسر فيه سبل ممارسة الحياة على كل انسان .

والقواعد العلمية التي قامت استنادا اليها كل التطبيقات في ميادين التكنولوجيا والالكترونات ، هي حقائق عالمية تجمع على صحتها كل المجتمعات البشرية ، وتمارس حياتها على أساس منها .

العلم والتكنولوجيا

والمجتمعات الاسلامية اليوم تمارس حياتها على أساس من العلم والتكنولوجيا ، وبدون جدل أو حوار .. تفعل ذلك في الماديات . في ميادين : المعمار ، والسيارات ، والطائرات ، وكل أدوات الحرب والقتال . وفي ميادين الطب والصيدلة وكل ما يتعلق بجسم الانسان . ولا يطالبنا أحد من الجماعات الدينية بأن نعود الى التراث في شيء من ذلك .

لا يطالبنا أحد بأن نعالج أمراضنا بالشكل الذي كان يعالج به كل من الرازي وابن سينا ، مرضاه .

ان الصراع الذي يدور اليوم بين الجماعات الدينية وغيرها انما يدور في الواقع حول المعنويات ، ويدور في الأعم الأغلب حول الفكر السياسي ، وحول قيام الحكومة الاسلامية التي تحكم بما أنزل الله .

والفكر السياسي الذي يدور حول نظام
كم هو عند غير الجماعات الدينية معرفة
رية . معرفة قد صدرت عن التجربة البشرية
س عن الوحي الالهي . وانه من هنا كانت
ياسة علما تتوفر على دراسته المؤسسات
لمية من أمثال كليات الاقتصاد والعلوم
ياسية .

السياسة عند هؤلاء علم من العلوم ، وشأنها
ذلك شأن علوم : الطب والصيدلة والهندسة
لزراعة والتجارة ، وما أشبه .

ولا أريد في هذا الموقف أن أتعجل القارىء ،
اخذ به الى حيث أريد ، وانما أريد أن أتوقف
مه عند مسائل بعينها من قضية نظام الحكم كي
بين أي الموقفين أصح ، موقف الجماعات
دينية أو موقف المؤسسات العلمية . ؟ .

وهذه القضايا هي :

كيف يولى رئيس الدولة في المجتمع
لاسلامي ، وكيف يعزل ؟

كيف يمارس رئيس الدولة في المجتمع
الاسلامي سلطاته ، ومن أين يستمد هذه
السلطات ؟

ان الاجابة هي التي سوف تنير أمامنا السبيل
الى الوصول ، الى وجه الحق في قضية نظام
الحكم في المجتمع الاسلامي .

وهذه الاجابة سوف نستمدها من الواقع
العملي الذي تحقق في هذه القضية عند النشأة
الأولى للمجتمع الاسلامي .

وسوف نقف من هذه النشأة عند رئاستين
للمجتمع الاسلامي ، الواحدة منهما رئاسة النبي
العربي محمد بن عبدالله عليه السلام ،
نستطيع أن نسميها بنظام النبوة والرسالة .
والثانية منهما رئاسة أبي بكر الصديق رضي الله
عنه ، نستطيع أن نسميها بنظام الخلافة .

نظام النبوة

ونظام النبوة والرسالة ديني اقتضته حكمة
الله ، ونفذته ارادته .

ويقوم هذا النظام على اختيار المولى سبحانه
وتعالى واحدا من عباده ، يصطفيه من دون
الناس ويحمله رسالة منه الى الناس . ويقوم من
يحمل هذه الرسالة بتبليغها للناس وتوضيحها
لهم ، ثم قيادتهم في تحقيق مضمون هذه
الرسالة .

ومضمون هذه الرسائل مضمون تثقيفي من
حيث ان مهمة هؤلاء الرسل قد كانت بنص
القرآن الكريم : تعليم الناس الكتاب والحكمة
لاخراج الناس من الظلمات الى النور وهداية
الناس الى الحق والى الطريق المستقيم .

ومثل هذا النظام لا يمكن أن يكون نظام حكم
بأي حال من الأحوال . . لا سيما ونحن جميعا
نعلم أن القرآن الكريم لم يجعل النبي العربي
محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ملكا أو
رئيس دولة ، وظل ينعته بالنبي الرسول . .
وليس من حقنا بأي حال من الأحوال أن نلتزم
بغير ما جاء به القرآن الكريم ، ونستبدله
بغيره .

لم يكن نبي الاسلام في أي وقت من الأوقات
ملكا أو رئيس دولة ، وإنما ظل دائما النبي
الرسول .

والقرآن الكريم يجعل محمدا عليه السلام
رسول الله وخاتم النبيين ، وقضى بهذا على نظام
النبوة وأسلم بهذا شؤون البشرية للعقل ليجتهد
هذا العقل فيما لا نص فيه .

على أن المسألة لا تقف عند هذا الحد ، وانما
تتجاوزه الى غيره من الأبعاد التي تجعل خصائص
النبوة والرسالة بعيدة كل البعد عن أن تكون من
خصائص نظام الحكم التي تدعونا الجماعات
الدينية اليها ، وتلزمنا بها الزاما دينيا . ومن
ذلك :

أولا : السلطة في نظام النبوة والرسالة مستمدة من المولى سبحانه وتعالى ، بينما هي في نظم الحكم مستمدة من الناس .

والأمور التي ترتبت على هذا بنصوص القرآن الكريم ، ان بيعة الناس للنبي عليه السلام تعتبر بيعة لله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم . . .) ـ آية ١٠ الفتح ـ .

وتعتبر طاعة النبي عليه السلام في نظام النبوة والرسالة طاعة لله ، وليست لشخص النبي عليه السلام : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) ـ آية ٨٠ النساء ـ (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله . . .) ـ آية ٦٤ النساء ـ .

ثانيا : أن القرآن الكريم كان يلفت ذهن النبي عليه السلام أنه ليس على الناس بوكيل أو مسيطر أو جبار أو ما الى ذلك . . من كل ما هو من شؤون الحكم والرياسة .

وعلى أساس من هذا كان القرآن الكريم أيضا يطلب اليه أن يترك أمر عقاب الناس على مخالفتهم تعاليم الله الى الله نفسه : (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) ـ آية ٢٥ ، ٢٦ الغاشية ـ . وكان يطلب اليه أيضا أن يتحمل كل ما يصدر عنهم من مخالفات : (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون . . .) ـ آية ٣٣ الأنعام ـ .

ان القرآن الكريم لم يعامل النبي عليه السلام الا على أساس أنه النبي الرسول ، وليس أبدا على أساس أنه رئيس دولة ، وواضع نظام للحكم تستمد منه فكرا سياسيا لكيفية تحقيق دولة اسلامية .

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ـ آية ١٤٤ آل عمران ـ .

يجب أن نلتزم بما التزم به القرآن الكريم . ونقف عند حدود النبوة والرسالة من أمر محمد عليه السلام .

نظام الخلافة

أما نظام الخلافة فهو الذي يمكن أن نسميه نظام حكم ، وأن نأخذ منه الأفكار السياسية التي يمكن أن نستند اليها عند صنع نظام حكم يليق بنا في أيامنا هذه . . نهاية القرن العشرين .

ونظام الخلافة لا يمكن أن يكون نظاما دينيا من حيث انه لم يكن هناك نص فيه ، وانه من هنا . . . أي من حالة غياب النص اختلف الصحابة رضي الله عنهم في كيفية اقامة هذا النظام ، وفي اختيار الخليفة باعتباره رئيس الدولة .

وغياب النص في هذه القضية هو الذي جعل كيفية اختيار أبي بكر رضي الله عنه غير كيفية اختيار عمر رضي الله عنه ، وجعل كيفية اختيار عثمان مختلفة عن طرق اختيار سابقيه .

أما اختيار علي كرم الله وجهه فلم يتحقق عن طريق اجماع المسلمين . وكان اختيار معاوية بحد السيف .

ان التاريخ الاسلامي يكشف لنا عن حقيقة أن نظام الخلافة ليس مصدره النص ، وانما مصدره الاجتهاد . ونحن حين نقول بالاجتهاد في هذه القضية انما نعني أن العقل البشري هو الواضع لنظام الخلافة .

وهنا حقيقة لا بد من لفت الذهن اليها هي أن ما كان من اجتهاد العقل البشري لا يكون دينا ، وانما يكون تشريعا مدنيا

الخلافة نظام مدني للحكم ، وليست نظاما دينيا للحكم .

والسلطة في الخلافة مستمدة من الناس ، وليست من الله كما هو الأمر في نظام النبوة والرسالة .

والناس يستطيعون عزل الخليفة ، وليس ذلك من حقهم في شأن النبوة والرسالة .

يبدأ نظام الحكم في الاسلام بنظام الخلافة وليس بنظام النبوة والرسالة .

وكلمة الحق التي يجب أن تقال ان الجماعات الدينية انما تطالب بنظام الخلافة . وبهذا النظام على أيام الخلفاء الراشدين .

والأمر الذي نختلف وإياهم فيه أننا نعتبر نظام الخلافة نظام حكم مدني وليس نظام حكم ديني . ولا نقف معهم عند الخلفاء الراشدين وانما نعتمد النظام كله منذ نشأته على أيام أبي بكر رضي الله عنه والى نهاية الخلافة العثمانية تجارب متصلة في مسيرة هذا النظام .

ان الوقوف عند الخلفاء الراشدين انما يعني أن نظام الحكم في المجتمع الاسلامي قد كان لمدة أربعة عشر قرنا وتزيد نظاما غير راشد ، وغير صالح للحياة في أيامنا هذه .

ان تجربتنا في نظام الحكم يجب أن تؤخذ بكاملها ، وأن تدرس الأفكار السياسية التي جاءت بها هذه التجربة مع اختلافها وتنوعها .

أما الوقوف عند عصر الراشدين فهو بتر للتجربة . وكأن المسلمين لم يكونوا في نظام حكم صالح للحياة الا على أيام الراشدين . . أي مدة نصف قرن من تجربة عاشت أربعة عشر قرنا .

الاجتهاد

والذي نريد أن نختتم به هذا المقال هو أن نظام الخلافة لم يكن فيه نص ، وليس يصلح فيه القياس .

ليس يصلح القياس لأن المولى سبحانه وتعالى قد أنهى نظام المقيس عليه وهو نظام النبوة والرسالة . وليس يصح القياس على أمر انتهى العمل به ، وكان الانتهاء على يد المنشىء له ، وهو المولى سبحانه وتعالى .

نظام الحكم في الاسلام نظام مصدره الاجتهاد وليس النص ، وما جاء عن اجتهاد يمكن أن يستبدل به حتى يأتي الاجتهاد الجديد بما يحقق المصلحة .

والجماعة الدينية يجب أن تترك هذه القضية لتكون محل اجتهاد جديد .

ان الفكر السياسي في نظام الحكم هو فكر بشري خالص . وتستطيع المؤسسات العلمية من أمثال كليات العلوم السياسية أن تجتهد فيه .

يجب أن نقف حسب المثل الذي أورده ذلك العضو البارز في الجماعات الدينية عند حدود بيان الله لكيفية ممارسة الحياة في هذا الكون بمن فيه وما فيه .

ويجب أن نجتهد فيما ليس فيه نص . . أي بيان من عند الله . واجتهادات المجتهدين هي فكر بشري خالص ، وليست من الدين في قليل أو كثير .

وهنا لا بد من التمييز بين الدين والتشريع .

ان مصادر التشريع أربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . أما مصدر الدين فهو الله سبحانه وتعالى . ومن هنا لا يكون الالتزام دينيا الا اذا كان عن النص .

يجب ألا نخلط بين الأمرين . ويجب أن يكون واضحا أن ما كان مصدره الاجتهاد عند غيبة النص هو فكر بشري خالص .

ويجب أن نعلم أن من حقنا اعادة النظر في المسلمات التي مصدرها الاجتهاد . . أي أعمال العقل البشري .

وعلى أساس من كل ما تقدم يكون معنى الحكومة الاسلامية هو الحكومة التي أنشئت عن اجتهادات العقل البشري .

والحكومة الاسلامية حكومة مدنية . وليست حكومة دينية . الأساس فيها الاجتهاد وليس النص .

وكل هذا الذي ذكرنا مرتبط بالحكومة من حيث هي سلطة تنفيذية فقط . أما الجانب التشريعى من نشاط الحكومة فى المجتمع الاسلامى فانه يثير قضايا أخرى بالغة الاهمية تتعلق بمصادر التشريع والاجتهاد وشروطه ووسائل ممارسته فى المجتمعات المعاصرة ولهذه القضايا مقام غير هذا المقام . □□

ضروب الأدباء

بقلم : عبدالله زكريا الأنصاري

□ سأل سائل عن ضروب الأدباء ، وهل منهم من يموت حيا ويحيا ميتا ؟ أم أن ذلك قول مبالغ فيه ؟

والسؤال يحتاج الى تفكير في المعنى المقصود ، ذلك أن بعض السائلين أحيانا يريدون شيئا من خلال سؤال عن شيء آخر ، أعني أنهم يريدون توضيح فكرة محددة عن طريق سؤال غير مباشر عن الفكرة ذاتها .

فماذا يعني هذا السؤال ؟ أحسب أنه يعني بالأدباء الذين يموتون أحياء أولئك الأدباء الذين لا تحس بوجودهم وهم أحياء يتنسمون هواء الحياة ، وبالأدباء الذين يحيون أمواتاً أولئك الأدباء الذين تحس وتشعر بوجودهم وهم يرقدون تحت الثرى .

ان إطلاق السؤال على علاته هو الذي يحتاج إلى تمعن وتمحيص ، فليس كل الأدباء على حال سواء ، وليسوا على مستوى واحد من الفهم والادراك ، إذن فالسؤال فيه شيء من الواقع وشيء من المبالغة ، وليس كل أديب يموت حيا ويحيا ميتاً ، فهناك أديب يحيا بعدما يموت ، وأديب يموت في حياته .

هناك أديب يظلمه مجتمعه الذي يعيش فيه ، وينصفه منه مجتمع يأتي بعد حين . وفي نفس الوقت هناك أديب يجعجع ، ويجعجع له مجتمعه وهو لا يساوي شروى نقير .

وهناك أديب يملأ الجو دخاناً فيمضي ويتلاشى دخانه في الفضاء لا يترك أي أثر ، وأديب لا تكاد تشعر به وهو ينسج خيوطا دقيقة من المعاني ، فيمضي وتبقى معانيه باقية ما بقيت الحياة . إذن هناك أدباء يظلمهم المجتمع ، ويقسو عليهم الزمان ، وأدباء يطبل لهم المجتمع ويضحك لهم الحظ في حياتهم ، هؤلاء يموتون ولا يبقى لهم أثر ، وأولئك يموتون ويحيا أثرهم .

الأموات الأحياء

لا بد في هذا الحال من الاجابة على سؤال السائل ، ولا بد من تصنيف الأدباء الذين يلاقون في حياتهم الاضطهاد ، أو الذين يلاقون في حياتهم التطبيل والتزمير .

إن بعض الأدباء عاشوا أحياء وماتوا أحياء ، وهؤلاء هم المبدعون الذين فرضوا أنفسهم فرضاً على المجتمع ، عاشوا فيه ، وتحسسوا

مشاكله وعالجوا أموره ، وأعطوه كل إبداعهم ، وملأوا ضميره . فعاشوا معه أحياء ، وماتوا لكنهم ظلوا أحياء في وجدانه ، حقا إنهم هم المبدعون ذوو الرأي الحر والكلمة الصادقة ، الذين لم تستطع سيوف الارهاب أن ترهبهم ، ولم يستطع ضجيج التطبيل والتزمير للتافهين أن يكون له أثر فيهم .

وبعض الأدباء عاشوا أمواتاً وماتوا أمواتاً أيضاً ، وهم التافهون الذين يحاولون أن يكونوا شيئاً وهم لا شيء ، وبالرغم من الدعاية التي تثار حولهم ، والمحاولات التي تحاول فرضهم على الأدباء وفرض نتاجهم فقد عاشوا بيننا عيشة الأموات لتفاهة ما يأتون به من أدب ، أو شبه أدب ، فليس كل أدب أدباً ، فهناك أدب ينفع الناس وأدب لا يفيد منه الناس ، بل هناك أدب يضر الناس ، لأنه أدب مغشوش بالكذب والحقد والنفاق ، أي أنه أدب صادر عن أهواء لغرض شخصي معنوي أو مادي، وليس صادراً عن معاناة لخدمة المجتمع ، إذن فصاحب هذا الأدب يعيش ميتاً ويموت ميتاً أيضاً ، لا أدبه ينفع الناس ، ولا يبقى منه شيء بعد موته . فهذا هو الأدب التافه إن حق لنا أن نسميه أدباً .
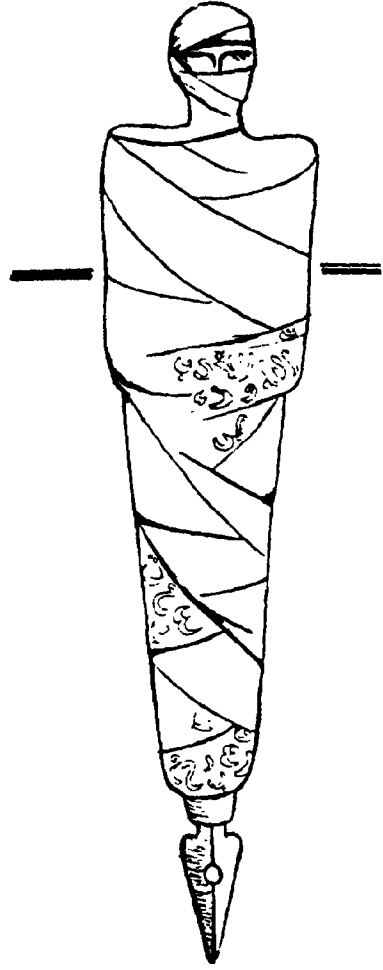
وبعض الأدباء عاشوا أمواتاً وماتوا أحياء ، وهؤلاء هم المظلومون الذين حوربوا في حياتهم ، وحورب أدبهم ، وطاردتهم سيوف الارهاب ، ولم تدع أفكارهم وآراءهم تأخذ طريقها الى المجتمع خشية التأثير عليه ، وخشية إيقاظه من سباته ، لكن أفكارهم الحية وآراءهم الخالدة ظلت راقدة في بطون الكتب ، أو مسطرة على الورق ، أو محفورة في وجدان الأحرار إلى أن تحين ساعة خروجها فتخرج ويستفيد منها الناس ، لهذا تجد صاحبها عاش عيشة تشبه عيشة الأموات الذين ظلمهم الزمن ولم يخدمهم الحظ ، لكنهم حيوا بعدما ماتوا ، إذ ظلت أجسامهم في التراب لكن ظلت أرواحهم حية ترفرف على العقول والأفكار . إذن فهؤلاء هم المظلومون الذين عاشوا أمواتا وماتوا أحياء .

المنافقون

وبعض الأدباء عاشوا أحياء وماتوا أمواتاً وهم المنافقون الذين لم يخل منهم عصر من العصور ، والذين يأتون في كل زمان ومكان يتقلبون على أعتاب السلاطين وذوي الجاه ، يسبحون بحمدهم ، ويعيشون على فتات نعمهم ، يطبلون ويزمرون ويرقصون على أشلاء الضحايا من الشعب ، يقولون ما يرضي ذوي النعم ،

وينعمون بما تبثه دعاية أهل النعم عنهم ، انهم يعيشون ملء أسماعهم ، لا يردعهم رادع من ضمير ، ولا يتورعون عن قول الكذب ، ولا يبالون بالآثار السيئة التي تنعكس على نفوس الناس من جراء ما يأتون به من أضاليل وأباطيل وأكاذيب يصدقونها ، وقد يصدقها السذج من الناس ، لكنها مرفوضة من قبل ذوي الأفكار والآراء الحرة ، ومرفوضة من قبل ذوي الضمائر الحية ، ومرفوضة من قبل الواعين الذين يدركون معنى الكلمة ، ويقدرون قيمتها ولا يزنونها إلا بميزان العقل والفهم والادراك ، إذن فهؤلاء هم المنافقون الذين يعيشون أحياء على فتات الموائد ، لكنهم يموتون ويموت معهم نفاقهم ، ولا يبقى لهم أي أثر بعدما تنصب عليهم لعنات الحرية والحق ، بل لعنات الأدب الرفيع .

تلك هي صنوف الأدباء ، منهم من يسمو بأدبه فيلامس به الثريا ، ومنهم من ينحط بأدبه فيدفن في التراب .

إن المسألة تتعلق بالنشأة وبالتكوين وبالبيئة ، بل إنها تتعلق بأصل النبات والتربة التي خرج منها ، أي أن هناك عوامل متعددة لا بد أن تتوفر في الأديب ، منها ما يرتفع به الى الأعلى ، ومنها ما ينحط بـه الى الحضيض . ولكـلٍ سبب أو أسباب

إنك لو أجلت نظرك بين الأدباء لوجدت عجباً أي عجب ، والأدباء على كل حال ليسوا بدعة في الحياة غريبة ، فهناك ضروب من الناس في مختلف الفنون والأعمال ، لكن هذا الحديث يدور حول الأدباء وحدهم ، ولعل خطورة الأدباء تأتي في درجة مميزة ، لأنهم أصحاب الكلمة ، ولأنهم في طليعة الذين يتعاملون مع الحرف ، فالحرف ديدنهم والكلمة بضاعتهم ، والجملة وما تحتوي عليه من معان خبزهم اليومي ، أعني أنهم هم الذين يتحملون مسؤولية التوعية ، ومسؤولية الحفاظ على إيصال المعنى المؤدي الى هذه التوعية ، ومسؤولية عدم الاعتداء على الناس في عقولهم وأفكارهم ، ذلك أن الكذب والغش وعدم قول الحق اعتداء على الناس في عقولهم وأفكارهم واعتداء على كرامتهم .

صكوك الغفران

نعم هناك منهم من يحاول استغفال بعض العقول ، ومحاولة الظهور بالمظهر الذي يضفي عليه هالة من المعرفة ، وهو لا يصل بتكوينه الى أية مرتبة من العلم والادراك ، ولعل منهم من توصلوا إلى فرض أنفسهم فرضاً على العلم والمعرفة ، فحصلوا على الاسم دون المعنى ، وراحوا يزهون بصكوك لا تختلف عن صكوك الغفران التي كانت تصدرها بعض الكنائس استغلالاً لعقول الناس ، خداعاً بالدين الذين يؤمنون به .

هؤلاء يصدرون صكوكاً من الغفران حتى لأولئك الذين قد لا يستحقون الرحمة والمغفرة ، وأولئك يلوحون بصكوك لا تساوي الورق الذي كتبت عليه .

إن سؤال السائل لا بد وأن يعني ما نراه ونشاهده اليوم من عبث بالأدب ، وتهاون بقدسية الحرف واستخفاف بسدى الأدب ولحمته ، هذا العبث الذي تطفح به أنهار الصحف والمجلات ، وتلفظه المطابع على شكل كتب أو كتيبات . . . والسؤال يأتي من معاناة السائل أحياناً .

ولعل هذا السيل الجارف من الأدب الضعيف سبب من أسباب التهاون بطهارة الحرف وقدسية الكلمة .

الخلاصة أن الأدباء شتى مختلفون ، وهم لايختلفون عن غيرهم من الناس ، منهم الصالح ومنهم الطالح ، إلا أن مسؤوليتهم أكبر ، وخطأهم أعظم ، وحسابهم أشد وأعسر ، وهذا ما كان وما يجب أن يكون . □□

العربي الصغير

مجلة أشبال العرب

نادي العربي الصغير يفتح أبوابه لكل أصدقائه ، ويعتبر كل صديق في أي جزء من أجزاء الوطن العربي عضوا مؤسسا فيه . لا تحتاج العضوية لأي شروط . فقط ارسل اسمك وعنوانك وبعض المعلومات عن المكان الذي تعيش فيه .

الاسم : محمود محمد صديق
الهوايات . . المراسلة باللغتين العربية والانجليزية ـ ممارسة الرياضة وخاصة كرة القدم .
العنوان : شبرا ـ مصر

تقع جمهورية مصر في أقصى الشمال الشرقي من قارة أفريقيا . القاهرة هي العاصمة ، وقد بناها القائد جوهر الصقلي قائد جيوش الدولة الفاطمية في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي . وبها العديد من المراكز الاسلامية كالأزهر . . بالإضافة الى الآثار الفرعونية .

الاسم : عبد الله علي الموتان
العنوان : الرياض ـ السعودية ـ ص. ب (٧٨٤٤) السعودية وأعظم ما تعرف به المملكة العربية السعودية هو وجود بيت الله الحرام فيها .

الاسم . . احمد خيري النواوي
الهوايات . . المراسلة ـ القراءة ـ

الرياضـة ـ حل وتـأليف الكلمـات المتقاطعة .

العنـوان . . بهتيم ، مصر العـربيـة ٢٠ شارع محمود الساعاتي .

وبهتيم هي احـدى مـدن محـافـظة القليـوبية وتشتهـر بالصناعة والـزراعة وشركات النسيج وانتاج الخضر .

الاسم : محمد الجفـا .

العمر : ٨ سنوات .

العنـوان : سوريـا ـ الرقـة . . ص.ب (٣١) يسلم ليد مصطفى الجفا .

ماهذا

هذه الصورة ليست لنـوع من أنواع الـرخام . وهي أيضـاً ليست من لوحـة زيتية من عمل فنان كبير . انها صورة تمثل فجوة اكليلية واسعة . التقطت بـواسطة سكـاي لاب ، بأشعـة أقصى مـا فـوق البنفسجية ، والاكليل هـو ضوء سـاطع واسع الانتشار يحيط بالشمس . ولذلك فالألوان التي تراها في هذه الصورة ألوان كـاذبـة . . واللون الأسـود فقط هـو الاكليل ، ويمكن مراقبة الاكليل عنـدما يحدث الكسوف الكـلي للشمس ، لكن بالرغم من التقدم الكبير في معرفة اسرار الشمس الا انـه ما زال هنـاك كثير من الفحـوص ، فقـد أشـارت اختبـارات الأشعة ما فوق البنفسجية على بناء اكليلي أكثر تعقيداً مما كان معروفاً في الماضي . كـما كشفت الصـور الملتقـطة بـالأشعـة السينيـة عن مناطق اكليلية ذات كثافـة منخفضـة . . أو عن فجـوات اكليليـة تسبب الاضطرابات في الريح الشمسية .

بقلم : ثريا البقصمي

كالحلم الملفوف بالسحائب ، وكاليقظة المبهورة بنور الصباح ، سقطت من كبد السماء ، سحابة زرقاء ، مرصعة بالنجوم ، تكورت السحابة وتدحرجت على الحشائش الخضراء ، ليخرج من وسط السحابة التي بلون البحر ، طفل صغير يرتدي جلباباً واسعاً ، تحيط برأسه هالة من الضوء ، تزيد وجهه حلاوة .

أخرج من جيب جلبابه ، مزماراً ، وأخذ يعزف الحاناً حلوة ، هادئة ، فأخذت السحابة ، تزداد تكوراً ، لتتحول بالتدريج الى شجرة كبيرة ، زرقاء ، موشاة بالنجوم اللامعة ، تتوسطها نافذة صغيرة ، لها تاج من الزجاج الملون الجميل ، وجذع تركوازي ، تلفه الحشائش الملونة ، انتهى الطفل من عزفة ليدخل في جذع الشجرة ، من باب خلفي ثم أطل من النافذة ، المزينة بالنباتات ليعيد عزف الحانه الرائعة الهادئة ، التي وصلت الى مسامع أهل القرية المجاورة ، وما ان تناهت الى مسامع الأطفال ، حتى هبوا من أسرتهم ، متتبعين مصدرها ، وبعد لحظات كانت هناك حلقة رائعة من الأيادي الصغيرة المتشابكة تدور في حركات ايقاعية حول جذع الشجرة ، والعيون الطفولية ، تحملق مبهورة ، بحلاوة وجه عازف الناي ، الذي ما ان انتهى من عزفه حتى سأله الأطفال : من أنت ؟ أجاب : أنا ابن القمر ، بعثني أبي لكي أجلب السلوى الى صغار هذا العالم ، فعندما تأوون الى أسرتكم ، وفي قلوبكم خوف من شيء مجهول ، فانني بألحاني الرائعة ، سأبعث الطمأنينية في نفوسكم ، وسأدعكم تحلمون أحلاماً حلوة . . تابع الطفل القمري عزفه الرائع ، وعاد الأطفال الى أسرتهم وابتسامة حلوة تتراقص على شفاههم ، وعزف ابن القمر يذكرهم بأنه لا داعي للخوف ، فليس هناك ما يخاف منه ، فالليل طمأنينة ، وقمر ونجوم ، وأحلام جميلة تمتد حتى الصباح .
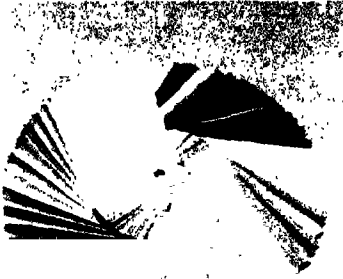
من الحشرات صنع الإنسان الجمال

عرف الانسان الألوان منذ أقدم العصور .

كان الانسان البدائي يستعمل المواد الطبيعية لتلوين الصور ، تشهد بذلك جدران الكهوف في أوروبا ومعابد قدماء المصريين .

من النباتات والحيوانات والحشرات استخرج الانسان الأصباغ الحيوانية والنباتية ليدهن بها جسده . . ثم ليلون ثيابه بعد ذلك .

لكنه لم يكن يدري كيف يتم التركيب الكيميائي للأصباغ والألوان . من قطران الفحم استخرج المصريون القدماء صبغة اللون الأحمر . ومن نبات (العظلم) حضروا الصبغة الزرقاء ، كذلك كانوا يستخرجون أصباغهم من الصدفات والحشرات . كان ذلك باهظ الثمن . فمن أجل انتاج جرام واحد من صبغة اللون الأرجواني كان لا بد من قتل تسعة آلاف حيوان من نوع (الرخويات) . كذلك الأمر يحتاج الى ألفي حشرة حتى يمكن الحصول على جرام واحد من صبغة اللون القرمزي .

حتى القرن الماضي لم يكن الانسان يعلم حقيقة ما يكونه من أصباغ .. لكن ما لبث أن اكتشف أن هذه الأصباغ ليست الا مواد عضوية معقدة ، مرتبطة كيميائياً بالألياف .. بعكس الخضاب الذي هو مجرد جسيمات كبيرة تغطي سطح النسيج .

وعرف أيضاً أن اللون الذي نراه انما يتوقف على طول موجة الضوء الذي تمتصه الصبغة أو الخضاب . فعندما يقع الضوء على جسم ما فهو يقرر التركيب الكيميائي .. فنحن لا نرى الألوان التي يمتصها هذا الجسم .. وانما نرى الألوان التي يعكسها الضوء المعكوس .

وبتطور علم الكيمياء .. شهد القرن التاسع عشر نهاية الكثير من الصبغات الطبيعية .. فقد تم اكتشاف أول صباغة صناعية في عام ١٧٣٨ ثم ما لبث أن تلاها اكتشاف كيميائي هام على يد عالم الماني في الفترة ما بين ١٨٢٩ و ١٨٨٨ حيث تمكن (بيتر جريس) من اكتشاف التفاعل الديازوتي الذي أدى الى تحضير أصباغ آزوتية انطلاقاً من عدد كبير من المواد الوسيطة ، كذلك أدت التطورات الهائلة في علم الكيمياء الى تحديد نوع الجزئيات التي تعطي الألوان ..

وفي الفترة الأخيرة أحدثت التكنولوجيا الحديثة ثورة في صناعة الأصباغ الحديثة ، فأصبح أكثرها مركبات صناعية مشتقة في الدرجة الأولى من مواد كيميائية عضوية عطرية يتم الحصول عليها من تقطير قطران الفحم الحجري والنفط الخام ، ويمكن استعمال الأصباغ الآزوتية في جميع الألوان ، كما تستعمل في حبر الطباعة ، فصبغة الأنتراكينون تعطي لوناً أزرق محمرا ويستعمل في الدهانات والطلاء بالميناء .. وفي الصابون والأقمشة .. وتستعمل الألوان الزرقاء والحمراء في صباغة الأقمشة .

وتعطي الميثانات الفيتيلية الثلاثية التكافؤ لوناً أخضر ذا لمعة وظلال خضراء .. وتستعمل في الورق وحبر الطباعة وأقلام التلوين ومستحضرات التجميل والأغذية المحفوظة . أما فيتالوسيانين النحاس فهو صبغة تستعمل في حبر الطباعة والطلاء ومستحلبات الدهان والطلاء المائي والمطاط ودهان أجسام السيارات .

وهكذا تطورت صناعة الألوان واثبت الانسان قدرته على التعامل مع أفضل ما في بيئته حتى استخرج من الحشرات لوناً يضيف البهجة الى حياته .

عندما يتحدث المكان

القاهرة

عندما يتحدث المكان . . ويتحرك التاريخ عبر الزمان ليحكي لأجيال جديدة حكايات قديمة عن الوطن العربي فماذا يقول ؟

● أنا مدينة القاهرة . . .

على أرضي يتعانق الزمان والمكان يصفونني بأني مدينة الألف مئذنة . لكن حكايتي أكبر من ذلك بكثير .

في الأصل كنت (الفسطاط) العاصمة القديمة التي أقيمت حيثما خربت خيمة عمرو بن العاصي وعندما جاء جوهر الصقلي وضعت على يديه اولى لبناتي . . القاهرة شمال الفسطاط المدينة المغلقة أمام العامة . . المفتوحة الأبواب للحكام والاتباع فقط .

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي تحولت الى عاصمة كاملة لامبراطورية واسعة بعد أن سمح للشعب بطرق أبوابي فمارس الحياة بين أحيائي التي ضمت العواصم الثلاث . . الفسطاط . . المعسكر . . والقطائع . وشيد حول كل ذلك سور دفاعي جديد ثم توج هذا السور بقلعة في أعلى جبل المقطم .

أنا مدينة القاهرة . . أرض الفنون والعمارة وعجائب الدنيا السبع الهرم . . والحارس الأسطورة الرابض على أبواب مصر . . أبو الهول الذي احتار الناس في تفسير لغزه .

لن اتحدث كثيراً عن تاريخي هو في المتاحف الاسلامية والفرعونية . . لكني سأتكلم عن الناس والحياة اليوم (اليوم رمضان . . والليالي الساهرة في الأزهر وحي الحسين . . في هذا الحي يفتح التاريخ عيونه حتى الصباح . . ساهرا يمتص العقيدة والتقاليد فالأزهر الجامعة . . للعلم والعبادة . . والأزهر الحي بما فيه من مبانٍ عريقة وسهرات رمضان على نغمات الذكر . . والأناشيد الدينية والتواشيح وقراءة القرآن الكريم .

أنا القاهرة . .

مدينة الخمسمائة أثر اسلامي . . الرابضة على ضفاف النيل . . المقيمة للطقوس الدينية التي تحولت مع الأيام الى جزء من تقاليد شعب مصر .

حيــوان

تعتبـر (البيرانيـا) الحمـراء من أكثر الأسماك شراسة ، وهي تعيش في مياه أمريكا الجنوبية ، ولها فكان قويان ، وأسنـان غايـة في الحدةِ ، وطولها لا يزيد عن ٢٥ سنتيمتراً . وعنـدما تهـاجم عـدواً تقف في مجموعات متراصة بعضهـا بجوار البعض علـى شكل رفـوف ، ولهـا حاسة شم قوية تدفعها لاقتفـاء أثر من تـطارده . . وتعيش علـى أكـل اللحوم الميتة .

اختراعات
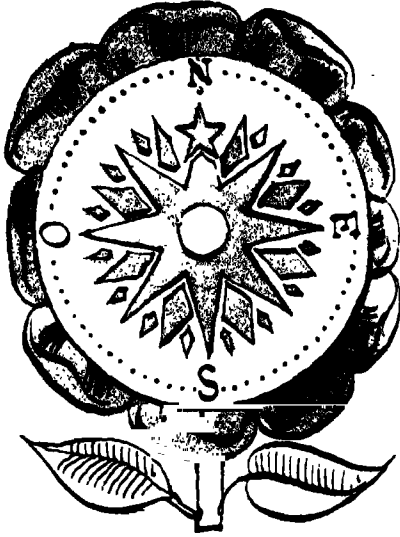
يوجد على البوصلة رسم يشبه الوردة يـطلق عليه اسم وردة الـرياح . . وهي تشـير الى الجهات الأربـع الرئيسيـة . . الشمــال . . الجنوب . . الشــرق . . الغرب .

وتتألف وردة الرياح من عدة اتجاهات مرسومة على البوصلة . . وهي :
التـوجـه ، وهي إكتشــاف الجهـات الأربع الرئيسية ، أما تحديد وجهة السير في سفر فهو اعتماد وجهة دقيقة معينة تحدد بـواسـطة الجهـات الأربـع الـرئيسيـة ، وتعرف بالجهات الفرعيـة . أو الجهات الفرعية الثانوية .
ويمكن الحصول على مزيد من الدقة في الاتجاه باعتماد الدرجـات الـ ٣٦٠ التي تنقسم اليها دائرة وردة الرياح .

لغات

توجد مجموعتان من اللغات . .

الأولى وتنتمي الى الفصيلة السامية والحامية واليها تنسب اللغات الآتية : العربية . . واللغة التي كان يتكلم بها الآشوريون . . البابليون . . الكنعانيون . . الفينيقيون . . الآراميون . . العبرانيون . . الفراعنة . . هذا بالاضافة الى بعض اللغات الأفريقية .

والمجموعة الثانية هي المجموعة الهندوأوربية . . واليها تنسب لغات سكان الهند . . أفغانستان . . أرمينية . . كردستان ، بلاد الاغريق وايران .

وتوجد خارج هذه اللغات بعض اللغات الأخرى كاليابانية . . الصينية . . التركية والمنغولية والفنلندية .

طيور

في عالم الطيور توجد أنواع تعيش على جهد غيرها . فطائر (الوقواق) لا يحتضن بيضه بل تقوم الأم بتوزيعه على عدة أعشاش لطيور أخرى ، وتضع بيضة واحدة في كل عش الى جانب بيض الطائر الحقيقي ، فيحتضنه صاحب العش على أساس أنه يخصه .

وكما يفعل (الوقواق) تفعل دجاجة الغابة ، فهي أم بلا حنان بمجرد أن تضع البيض تقوم بدفنه في أكوام النبات المتعفن الذي يمدها بالحرارة اللازمة حتى تفقس وبعد أن يخرج الكتكوت من البيض يكون كامل النمو ، وقادراً على الحياة بدون رعاية من أحد ! !

■ شخصيات من التاريخ

هو .. ابو عمرو بن العلاء زيان بن عمار ولد بمكة عام ٦٨٩ هجرية
عاش بالبصرة ، وزار البادية ودمشق عني بقراءة القرآن الكريم في مسجد الجامع بالبصرة .
وهو أحد قراء القرآن السبعة المشهورين .

عني بلغات العرب .. وأشعارها وكتب في تاريخ العرب ووقائع حياتهم .
لغوي .. كانت له بعض نظريات نحوية ، ولكنه اشتهر بالقراءة والرواية واللغة .

توفي بالكوفة عام ٧٧٠ هجرية .

إن كنتم أذكياء

بقلم : ايمان حتاتة

هذه مجموعة من الاسئلة تنتظر منكم الاجابة عليها ، قد يكون بعضها صعبا لكن لا بأس من الرجوع الى من هم أكبر منكم لمساعدتكم ، وستنشر اسم الفائزين الاول والثاني ، مع جائزة مجلد لاعداد العربي الصغير لمدة عام للفائز الاول ، واشتراك مجاني لمدة ستة شهور للفائز الثاني .
يكتب على الظرف ، مسابقة إن كنتم اذكياء .

من أين ؟

١ ـ المسك والعنبر عطران ذكيان ..
من أين يستخرج كل منهما ؟

اسماء ذات معنى

ـ الحبشة اسم عربي أصيل ..
وسميت بذلك لأن قبيلة عربية اسمها حبشت هاجرت من الجزيرة عبر البحر الأحمر واستقرت هناك الا أن الأحباش يفضلون اسم اثيوبيا .. لبلادهم فما هو أصل هذا الاسم وماذا يعني ؟

ـ ما معنى كلمة الكويت ؟

ـ انشأ الصهاينة المهاجرون الى فلسطين مدينة قرب يافا أطلقوا عليها اسم (تل ابيب) فما معنى هذا الاسم ؟

متى ؟ ولمن .. ؟

تعتبر جائزة نوبل من أشهر الجوائز العالمية ، وهي تمنح كل سنة للمتفوقين في مواضيع علمية وانسانية مختلفة ... متى منحت أول جائزة نوبل في العالم ؟ ولمن ؟

لماذا ؟

عادة اذا ما انتخب رئيس لجمهورية أو دولة فانه يتولى سلطانه اثر انتخابه مباشرة الا أن رئيس الولايات المتحدة يتم انتخابه في شهر نوفمبر ويتسلم سلطاته في ٢٠ يناير اي بعد عشرة اسابيع من انتخابه .. فلماذا هذا التأخير ؟

المدينة العائمة

(فينيسيا) أغرب مدن العالم وأجملها وهي عاصمة مقاطعة (فينتو) في شرق ايطاليا ـ يسميها الايطاليون (ملكة البحار) . . ويطلق عليها العرب اسم (البندقية) . عمرها الآن ١٥٠٠ سنة تقوم المدينة على مجموعة من الجزر تقطعها ١٦٠ قناة . في الماضي لم تكن مدينة لدولة ولكنها كانت دولة مستقلة تشتهر بقوة أسطولها البحري حتى سيطرت على التجارة في البحر الأدرياتي بين الشاطيء الغربي لايطاليا وشاطيء يوغوسلافيا ، حاربت العثمانيين وهزمتهم وسيطرت على ما حولها ثم انضمت الى ايطاليا عام ١٨٦٦ ميلادية .

لطفي عمر محمد
اليمن ـ عدن

أول مـــن . .

أول من خاط ولبس الثياب هو ادريس عليه السلام .
أول اضراب عرفه العالم هو . . اضراب روما سنة ٤٩٠ قبل الميلاد .
أول دولة اخترعت الطوابع البريدية هي انجلترا عام ١٨٤٠ .

رشيد أشرفي
المغرب ـ الدار البيضاء

مصابيح تأكل وتشرب

مصابيح تأكل وتشرب . . تمشي وتقف على أرجلها ولها عيون . انها مصابيح من الكائنات الحية . . نورها رباني ينير الطريق في الظلمات . . هذه

المصابيح الحية هي نوع من الجعران تسمى الخنافس المضيئة .. وهي ذات أجسام تبعث ضوءاً في الليل .. وتوجد في أفريقيا الاستوائية و جزر الهند الغربية .. وتوضع هذه الجعارين في أوعية زجاجية صغيرة ثم تعلق في سقف الحجرة . وقد يحملها السائق لتنير له ظلام الطريق .

ماجدة نور الدين
جمهورية مصر العربية

أقدم وثيقة طلاق

تم العثور على وثيقة طلاق قديمة ترجع الى الأسرة الرابعة في مصر ، كتب الوثيقة (امنحتب) وعثر عليها بين الأوراق والبرقيات بمدينة طيبة - الأقصر الآن - ص الوثيقة ..
« لقد هجرتك ولم تعد لي حقوق عليك كزوج .. ابحثي عن زوج آخر لأنني لا استطيع الوقوف الى جانبك في أي منزل تذهبين اليه ، ولا حق لي عليك منذ اليوم باعتبارك زوجتي وشريكة حياتي اذهبي في الحال وبلا ابطاء » .

محمد عامر محمد
الجيزة - جهورية مصر العربية

ما رأيك .. ؟

رب صدفة خير من ألف ميعاد .
رب إشارة أوضح من عبارة .
رب أخ لك لم تلده أمك .
رب كلمة أسقطت عروشاً .

كاتب هذه المعلومات صديق من البصرة لم يوضح اسمه ، وعنوانه .

البصرة - صندوق بريد ٤٤٠

«ممنوع لصق
الإعلانات»

ممنوع لصق
الإعلانات

؟!
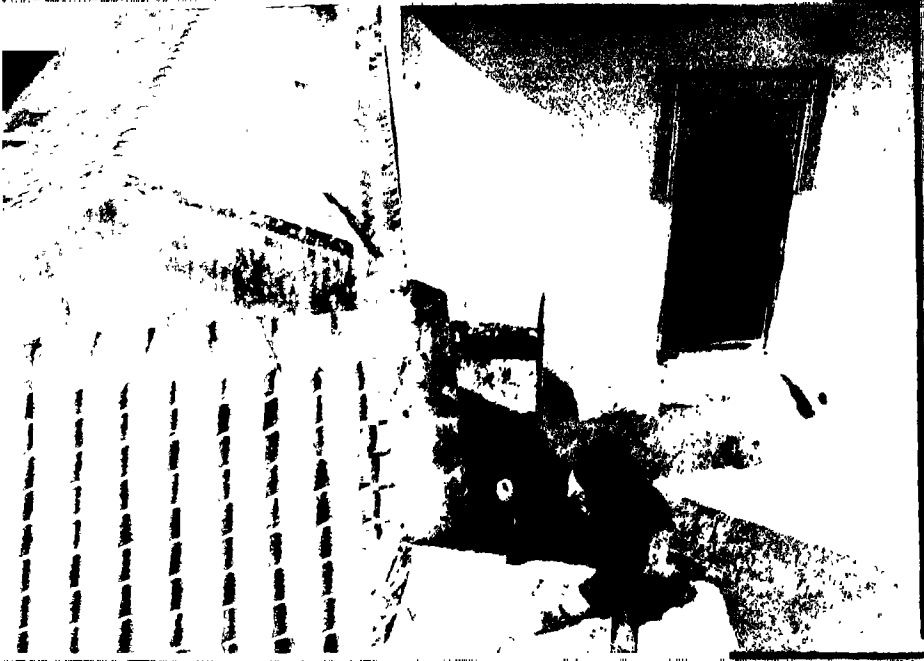
● مغربي يقيس الوقت من ساعة شمسية حسب الظل .

البحث عن الزمن

موسيقا الزمن والانسان ؟

اعداد : ريم الكيلاني

الساعة التي تحكم مواعيدك . . وتحدد طريقك . وتسيطر على مواقيتك وترسم ... حياتك . . وتقرر مستقبلك وتكتب ... ما هي قصتها من الألف ...

أنت تجلس مع أسرتك ، تعد الدقائق ، وتنتظر لحظة الغروب ، لتختتم ساعات صومك . وتجتمع معهم مرة أخرى في السحور ، على نية الصوم قبل الفجر لتمسك بعدها عن المفطرات ساعات يوم بطوله .

أنت تصحو وتنام ، تصلي وتصوم ، تفطر وتمسك ، تأكل وتجوع ، تذهب الى عملك ، وتعود الى بيتك ، وتنظم مواعيدك ، وتتسابق بسيارتك أو على قدميك لتلحق بعملك ، وتضمن احترامك لنفسك وثقة الآخرين بانتظامك ، كل ذلك على دقات الساعة .. وحركة عقارب الثواني والدقائق والساعات ..

وقد لا يخطر ببالك وأنت تلقي نظرة سريعة الى ساعتك .. ان وراء هذه الساعة الصغيرة تاريخا طويلا ... فكم تحكمت في مصائر شعوب ، ووضعت نهايات حروب ، وحددت لحظة الصفر لانقلابات ، وحسمت في ساحة النصر معارك ، وكم قررت مصائر زعماء ، وأدت الى انهيار قيادات ، وأسقطت طائرات وأغرقت سفنا وغواصات وأطلقت صواريخ وأقمارا وسفن فضاء .

كل شيء في الحياة .. كل شيء من لحظة الميلاد الى لحظة الممات وحتى الساعة التي لا ريب فيها .. تحسب بالثواني والدقائق والساعات .. وصدق شوقي إذا .. ان الحياة دقائق وثوان ..

المواقيت في الاسلام

كل شيء بميقات ..

يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم « انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر » .

بين كل العقائد الحية والديانات السماوية في هذا العالم لا يوجد غير الاسلام والمسلمين من يعتبرون التوقيت أساسا من أسس العقيدة . فعلى أساسه فرضت مواقيت الصلوات الخمس كل يوم . وعلى مدى رمضان الشهر الفضيل تحددت مواقيت الصوم والافطار والسحور والامساك . بل ان للزكاة والحج الى بيت الله مواقيت وأزمنة وساعات لا تعديل فيها ولا تبديل .

واذا تتبعنا هذه المواقيت في الاسلام ، فسنجد أن الصلاة لها أوقات محددة لا بد أن تؤدى فيها لقوله تعالى « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » . وأشار القرآن الى هذه الأوقات فقال « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل » وصلاة طرفي النهار هي الفجر والعصر ، وأما زلف الليل فصلاة المغرب وصلاة العشاء .

والصيام في الاسلام له مواقيته ، فهي محددة ترتبط برؤية الهلال . يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .

وللصيام ركنان موقتان : الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، يقول تعالى « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل » . والركن الثاني هو النية وهي موقتة أيضا ولا بد أن تكون النية قبل الفجر من كل ليلة من ليالي شهر رمضان . بل ان الصيام في غير رمضان أيضا له مواقيته . وقد جاءت أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الصيام في مواقيت محددة . فقد نهى عن صيام يومي العيدين وعن صوم أيام التشريق وعن صيام يوم الجمعة منفردا وعن إفراد يوم السبت بصيام . كما نهى عن صيام يوم الشك وصوم الدهر أي أيام السنة كلها . كما نهى عن صيام يوم الوقوف بعرفات .

للزكاة ـ كركن من أركان الاسلام ـ مواقيتها . وهي واجبة في جميع أنواعها على أن تؤدى عندما يحول عليها الحول وهو سنة . وزكاة الفطر واجبة على كل فرد من المسلمين . وتوقيت زكاة الفطر بآخر رمضان ، ويقول الامام مالك : ان وقت وجوبها غروب الشمس ليلة الفطر ولا يجوز تأخيرها الى وقت طلوع الفجر من يوم العيد .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال : « من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » .

وللحج مواقيته . وهي مواقيت زمانية ومواقيت مكانية . فالمواقيت الزمنية هي الأوقات التي لا يصح شيء من أعمال الحج الا فيها . يقول تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » .

ويقول سبحانه « الحج أشهر معلومات » والاحرام بالحج لا يصح الا في أوقات الحج وهي شهر شوال وشهر ذي القعدة وعشر من ذي الحجة . والمواقيت المكانية هي الأماكن التي يحرم منها من يريد الحج أو العمرة ... ولا يجوز لحاج أو معتمر أن يتجاوزها دون أن يحرم .

فللاحرام مواقيته . وللتلبية في الحج مواقيتها . ويبدأ المحرم بالتلبية من وقت الاحرام الى رمي جمرة العقبة يوم النحر . وللتوجه الى منى مواقيته حيث يكون يوم التروية أي يوم الثامن من ذي الحجة . والتوجه الى عرفات له مواقيته وهو بعد طلوع شمس يوم التاسع . ووقت الوقوف بعرفة يبدأ من أول اليوم التاسع الى طلوع فجر يوم العاشر » وللرمي ولأيام التشريق وللمبيت بمنى وللرجوع الى مكة مواقيت محددة .

ساعة شمسية بجوار مشربية

وكانت المواقيت والأزمنة مما كان يهتم به المسلمون ومؤرخوهم وفلاسفتهم منذ العصور الأولى .. نسمع القزويني يتحدث عن الزمان في كتابه « عجائب المخلوقات » فيقول : انه مقدار حركة الفلك ومرور الأيام والليالي . واليوم هو الزمان بين طلوع الفجر وغروب الشمس . وأما الليل فهو الزمان بين غروب الشمس وطلوع الفجر ومجموعهما أربع وعشرون ساعة لا تزيد ولا تنقص . وكل ما نقص من النهار زاد من الليل . وكلما نقص من الليل زاد من النهار

ويفهم الطبري الزمان فهم الحواري في إيمانه .. فالزمان عنده ساعات الليل والنهار . يعرف عباد الله من ذلك عدد السنين والحساب فيعبدونه وفق مواقيت معينة ؟

ولا ينسى الطبري أن يحدد مقدار هذا الزمان الذي عاشه الانسان منذ بدء خلقه .وهو يتكلم عن مقدار الزمان فيقدره بسبعة آلاف سنة من بدئه حتى الهجرة . وهو يورد أقوال الآخرين حيث قدره كعب الأحبار بستة آلاف سنة حتى الهجرة . وهو يذكر رأي اليهود في قدر الزمان اعتمادا على توراتهم ، وأنهم يقدرونه حتى الهجرة بسنوات قدرها ٤٦٤٠ سنة . ويذكر أيضا في كتابه « تاريخ الأمم والملوك » ان اليونان من النصارى يرون بطلان تقدير اليهود ويرفضونه وأنهم يقدرون هذه الفترة بسنوات تبلغ ٥٠٩٢ اعتمادا على التوراة التي في أيديهم .

● موسيقا الزمن والانسان

ثم يذكر حدوث الزمان ، وأن له بداية ونهاية . وان وجود الله قبله وبعده دائم . ويفرق بين وجود الله بغير زمان ووجود الخلق مع الزمان .

ومن أجمل ما تحدث به الفارابي في كتابه « الموسيقا الكبير » هو رابطة بين الأزمنة والأنغام ، فحتى الموسيقا عنده لها دورها مع الأزمنة . وهو يتكلم عن أصناف الأزمنة في الايقاع الموسيقي ويقسمها الى قسمين : موصل الايقاع ومفصل الايقاع ، فالايقاع الموصل هو المتوالي بأزمنة متساوية ويسميه « الهزج » والمفصل من الايقاع هو ما تتفاضل فيه الأزمنة .

وعن علاقة الايقاع بالأزمنة يذكر وصف آلة قديمة مستطيلة الشكل عليها مسطرة مقسمة متحركة يمكن بواسطتها استخراج جميع الأنغام التي يمكن أن تحدث من جميع الأجناس المختلفة الأبعاد والأزمنة .

والفارابي يقيس النغم وترددات الأوتار بالزمن . وهو يتكلم عن الأعراض التي تلحق اتفاقات النغم في الأجسام والآلات ومنها ما يعرف في علم الصوت بالتردد الاضطراري . وهو يقيس هذا التردد بالأزمنة الدقيقة التي يستغرقها .
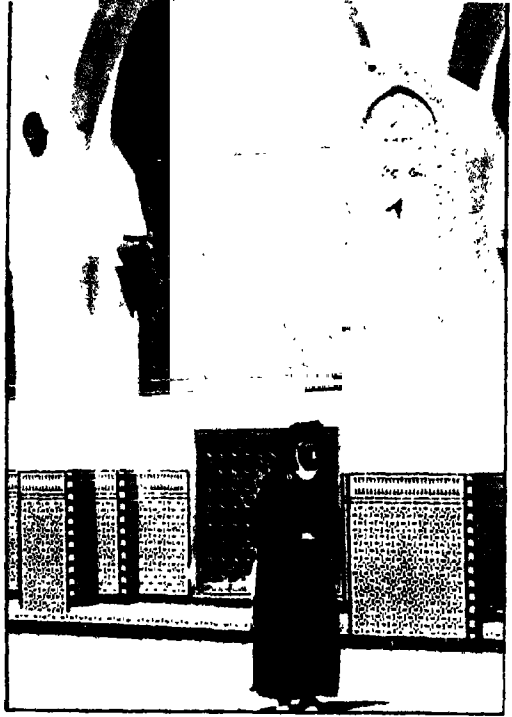
من نقطة البدء

ولنعد الى نقطة البدء .. مع قصة الانسان والبحث عن الزمن .. لقد قسم الانسان البدائي حركة الظلال بادىء ذي بدء الى أقسام معينة تتناسب وحياته البدائية البسيطة كما يلاحظ ذلك في مسلة معبد الكرنك واستخدامها ساعة للظل . وليس بعجيب أن يستمر هذا المبدأ أساسا لقياس الوقت طوال أجيال متعاقبة .

كانت مصر أول دولة استعملت الأعمدة الحجرية المرصوفة بأبعاد متساوية لمعرفة الوقت من حركة ظلالها على الأرض وذلك قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة .

ولا شك أن الشرق العريق في المدنية ، الزاخر بالاختراعات هو أول من ابتكر ساعة الماء التي لعبت دورا مهما في قياس الوقت ليلا ونهارا ، بينما كانت ساعة الشمس تنتهي مهمتها بانتهاء شروقها . وقد نسب ذلك الى المصريين بدليل الساعة المائية التي عثر عليها أيضا في معبد الكرنك . ونطالع في كتب التاريخ ما يروى عن « منارة الاسكندرية » المشهورة والتي تعتبر من المباني العجيبة وقد بناها الاسكندر وقيل انها كانت مبنية بحجارة مغموسة في الرصاص تضم نحو ٣٠٠ بيت ، وللبيوت طاقات على البحر ، ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل

● الساعة المائية بفاس المغربية . . من آثار القرن الرابع عشر الميلادي تعطي فكرة عن طريقة تشغيلها . . فبحركة ميكانيكية من أعلى الجدار تنطلق كرة حجرية في الميزاب الخشبي الأعلى . تنسقط مرة كل ساعة فوق ناقوس نحاسي يقع على مسافة ٢٠ قدماً . وتظل البوابة الصغيرة فوق الناقوس مفتوحة ولا تغلق الا بعد سقوط الكرة التالية بعد ساعة أخرى .

ساعة رملية

● ساعة الظل . . صنعها المصريون القدامى في القرن الثامن قبل الميلاد . توضع في مواجهة الشمس فيسقط ظل العمود الأفقي على المقياس المرسوم على العمود الرأسي . .

● ساعة شمسية متحركة من الذهب والفضة من القرن العاشر الميلادي يمكن حملها باليد ، يوضع العمود الذهبي في إحدى الفتحات الثلاث من كل من الجانبين . . وتجرى قياس الظل كل ساعتين كما يجري نفس الحساب كل شهرين من شهور السنة .

من نحاس منها تمثال رجل يشير بيده الى البحر ، فاذا صار العدو على بعد نحو ليلة منه يسمع لأصواته صدى يعلم به أهل المدينة بمجيء العدو فيستعدون له .

ونسب كذلك للبابليين تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة حيث ان العراقيين الأقدمين عنوا بملاحظة الأجرام السماوية منذ أقدم الأزمان ، وقسموا اليوم الفلكي الى ١٢ قسما كل قسم يساوي ساعة مضاعفة من ساعاتنا ، والساعة الى ٣٠ جزءا أي أن يومهم الفلكي كان مقسما الى ٣٦٠ قسما متساويا ، كما أن السنة الواحدة ٣٦٠ يوما . فكانت الدقيقة تساوي ٤ دقائق من دقائقنا .

كانت هذه هي البدايات الأولى لقياس الوقت .

ثم كان بعد ذلك اهتمام العرب والمسلمين بالمواقيت والأزمنة ، اذ كان لا بد من تحديد واضح لمعرفة المواقيت ومتابعة الزمن .

فبعد أن كانت البداية عندهم هي قياس الظلال ثم المزولة . الا أنهم استطاعوا بعد ذلك أن يبرعوا في تطوير قياس الوقت . ومن الثابت علميا ان الساعة الرملية كانت المثال التقليدي لقياس الوقت . وعملية استغلال الرمل الموجود تحت يدهم باستمرار سهلت هم التركيز على الساعة الرملية . . وكانت عملية انسياب الرمل بسرعة وخفة تسحر المتطلع اليها وتلفت انتباهه لأنها تكاد تشعر الانسان بإن دقائق عمره تتسارع مع انسياب الرمال.

وكانت ساعة النار أيضا هي أبسط الوسائل وأكثرها فائدة لقياس الوقت كما أنها زهيدة الثمن .

وفكرة ساعة النار مستنتجة من الاحتراق البطيء للشمعة . إذ توضع الشمعة بشكل أفقي وتحزم بخيوط متوازية ومتساوية الأبعاد عن بعضها البعض ويتدلى من رأس الخيط ثقلان كرويان معدنيان . فاذا ما أخذت الشمعة بالاحتراق وذاب جزء من البعد المعين ، عندها يحترق الخيط الذي يحزم الشمعة فيسقط الثقل المعدني المتدلي الى الحوض النحاسي .

وبسقوط الثقل يحدث صوت يسمعه الناس ليهتدوا الى الوقت المعين الذي استغرقه ذوبان جزء من الشمعة المشتعل ، ومن البديهي ان قوة الصوت تتباين انخفاضا وارتفاعا بالنسبة إلى سعة الحوض النحاسي وبالنسبة الى الثقل الساقط وارتفاعه .

ساعة الشمس

كان إنسان ما قبل التاريخ يقيس الوقت بواسطة تقسيمه الى ٤ تقسيمات طبيعية ، فيبدأ منذ شروق الشمس حتى تتوسط قبة السماء وهي أعلى نقطة للشمس وتدعى ظهرا ، وبعده الغسق ثم الغروب فالليل .

ومن الثابت علميا ان أحدا لا يستطيع أن يقرر من هو أول انسان لاحظ الظلال التي تحدث بواسطة حركة الشمس المنظمة . فقد ثبت علميا أن المزولة المصرية التي لا تزال موجودة في متحف برلين هي أقدم ساعة شمسية عثر عليها ، ولابد لساعة الشمس أن توضع في مكان مشمس إما على قاعدة قليلة الارتفاع أو على قمة بناية مرتفعة . أو تنصب متجهة نحو الجنوب بحيث تطل عليها الشمس من أول النهار الى آخره ويوضع في وسطها وتد أو عمود محكم الوضع تصيبه الشمس بأشعتها فيقع ظله على وجه الساعة مؤشرا على أحد أرقامها كأنه العقرب .

وكما ينتقل العقرب من رقم الى آخر كذلك ينتقل الظل من خط الى آخر مشيرا الى موقع الشمس من الأرض .

وتطورت ساعة الشمس عند المسلمين ومن بين عباقرتهم الأفذاذ العلامة العربي الألمعي أبو الحسن الملقب ببديع الزمان الاسطرلابي الذي تضلع بعلم قياس الوقت ووضع أسلوبا عجيبا لحساب الساعات في كل ساعة من ساعات الشمس . وقد أجمع العلماء بأن أقدم مزولة شيدت على طريقة القمر كانت من قبل العرب الذين وضعوا أسسها على دراسة حركة الأرض حول المحور .

تقول زيجريد هنكة المؤرخة في ذلك ، ان العرب امتازوا بمهارة فائقة في اختراع ساعات الشمس وأعطوها شكلا دائريا يتوسطه محور ظاهر . وتمكنوا بواسطتها من تحديد موضع الشمس في كل حين . . ومن تحديد وضع التقاويم الزمنية ، وكانت الساعة الشمسية النقالة الاسطوانية أكثر اختراعاتهم أصالة وفنا في هذا المجال . وقد وصلت هذه الساعة التي سموها « ساعة الرحلة » الى حد من الاتقان بحيث انها كانت رفيقتهم في رحلاتهم القصيرة والطويلة .

وقد انفتحت آفاق عديدة أمام المسلمين فصنعوا الساعات التي تسير على الماء والزئبق . . . ثم كان أن توصلوا الى الساعات الشمسية الرقاصة التي كانت تعلن ساعة الغداء بصوت رنان . كما توصلوا الى الساعات المائية التي كانت تقذف كل ساعة كرة في قدح معدني وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان .

كان لاكتشاف فكرة الساعة المائية أثر كبير في سير ركب المدنية نحو التقدم .

فكرة ساعة الماء فكرة بدائية تماما اذا ما قيست بعصرنا الحاضر ، ولكنها اكتشاف عجيب إذا ما قيست بالأزمان القديمة ، فساعة الماء عبارة عن وعاء من حجر مثقوب من الاسفل يطفو عائما على سطح الماء . وعندما يتصاعد الماء مترشحا الى داخل الوعاء فان النسبة التي يستوعبها الوعاء حتى أول إشارة تعتبر ساعة ، وإذا ارتفع الماء الى الاشارة الثانية تعتبر ساعتين . . . . وهكذا . وقد تباينت أشكال الساعة المائية فمنها ما وجد على شكل مخروط مقلوب ومنها ما صور على هيئة قارب يعوم فوق سطح الماء وفي أسفله ثقب يتصاعد خلاله الماء الى القارب ومجاديفه تشير الى علامات الساعة المؤشرة داخل القارب .

هدية الرشيد لشارلمان

وللمسلمين في عصر الدولة العباسية أياد بيضاء في تطور فن صناعة ساعة الماء . وقد بلغت بغداد أوج عزها ومجدها ولم يكن بغريب أن تصل الساعة التي صنعت في زمن هارون الرشيد حد الابداع في الفن والدقة .

ففي عام ٨٠٧ م قدم عبدالله رسول هارون الرشيد الخليفة العباسي الى القيصر شارلمان في مدينة ،آخن من أعمال المانيا هدية عبارة عن ساعة من هذا النمط . وقد أعجب شارلمان عجبا عظيما بهذه الساعة كما دهش رجاله حتى انه يقال ان بعضهم هرب من المجلس عند سماع دقاتها وقد ظنوا أنها دقات الشيطان .

وقد علق مؤرخ القيصر « اينارد » على هذا الحدث في يومياته قائلا :

وفي حين إتمامها لذلك ، كانت تسقط الى الأسفل اثنتا عشرة كرة صغيرة محدثة دويا ايقاعيا جيلا ، بالاضافة الى عدد مماثل من الافراس الصغيرة التي كلما دارت الساعة دورتها الكاملة قفزت من فتحات اثنتي عشرة بوابة وأغلقتها بقفزاتها . وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعي الانتباه في هذه الساعة تدعو الى العجب » .

ومن أجمل الساعات المائية التي تعتبر تحفة نادرة « الساعة التي زينت بها مدينة دمشق في جامعها الأموي الذي بناه الوليد بن عبدالملك . ويصف ابن جبير هذه الساعة فيقول : « عن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير ، فيه طيقان من نحاس أصفر فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ، ودبرت تدبيرا هندسيا ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من نحاس من فمي بازين مصورين من نحاس أصفر قائمين على طاستين من نحاس تحت كل واحد منها ، أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثاني تحت آخرها . والطاستان منقوبتان ، فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدران الى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحرا ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لها دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من النحاس ، لا يزال عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها ، وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر .

الفلك والاسطرلاب

أبدع العرب في علم الفلك وتطوير وصنع الاسطرلاب لتعيين أماكن النجوم وضبط حركاتها ، فبنوا مرصدا في الاسكندرية في القرن الثالث الهجري ظل وحيدا الى أن أنشأوا المراصد في بغداد ودمشق والأندلس وسمرقند .

وللمسلمين طرق جديدة أدخلوها في الرصد واخترعوا الكثير من آلاته مثل ذات السمت والارتفاع وذات الأوتار حتى انتشر صيت الفلكيين المسلمين في أقطار العالم وأصبح عليهم تحقيق وحل كافة المسائل الفلكية .

ويعترف الغرب ان العرب علموهم « الرقاص » وهو البندول لقياس الزمن ، ولا يخفى ما بني على الرقاص من الآلات الفلكية وغيرها .

ولا نستطيع أن ننسى في هذه المناسبة أنه في مجال قياس الزمن برز في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن في الاندلس ، العالم أبو القاسم عباس بن فرناس (ت ٢٦٠ هـ - ٨٧٣) وكان بالاضافة الى أنه شاعر وأديب عالما بالفلك والكيمياء والطبيعة . وقد توصل الى صنع زجاج من الرمال والأحجار . كما اخترع عددا من الآلات الفلكية واخترع آلة لقياس الزمن اسمها الميقاتة .

البندول والساعة الآلية

أما عن رقاص الساعة (البندول) فقد كان العرب هم أول من اخترعوه . وأول من اخترعه هو أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس المصري (ت ٣٩٩ هـ ١٠٠٩ م) ثم جاء بعده كمال الدين موسى بن يونس بن محمد العقيلي الموصلي (ت ٦٣٩ هـ ١٢٤٢ م) فعرف أشياء كثيرة من قوانين تذبذب الرقاص . وكان الفلكيون يستخدمونه لحساب الفترات الزمنية في أثناء رصد النجوم .

يتناسى علماء الغرب كل ذلك وهم يتحدثون عن جاليليو وتوصله الى اختراع البندول . ولا يذكرون أن بحوث كمال الدين بن يونس في البندول كانت في متناول الدارسين في عالم الغرب . . . وفي ايطاليا بالذات حيث كانت على اتصال دائم بالسواحل السورية والمصرية ولاسيما أثناء الحروب الصليبية ومنها انتقل الكثير من علوم المسلمين .

ولا شك أن جاليليو قد درس كل ذلك قبل أن يتوصل الى معرفة البندول . . وان كان المؤرخون الغربيون يقولون ان مصباحا ضخما من البرونز شاهده العالم جاليليو في احدى الكنائس وهو يتذبذب مرات ومرات فشرد ذهنه وقاس ذبذبات المصباح وهي تتناقص رويدا رويدا ، قاسها بنبضات قلبه . فدهش عندما وجد أن زمن ذبذبة صغيرة هو نفس زمن ذبذبة كبيرة ، ومن ثم استلهم من هذه الظاهرة آلة لقياس سرعة النبض وتغيره . وكانت دراساته عن البندول التي تلقفها من بعده العالم كريستيان هيجيز عام ١٦٥٦ م . وأدرك ان هذا المصباح المعلق يرشده الى دراسة لحقيقة البندول الذي أمسى بعد ذلك أساسا لقياس الوقت .

هكذا بمرور الوقت نجح الأوروبيون في قياس الزمن بالساعة الشمسية أو الرملية أو المائية . وفي القرنين ١٤ ، ١٥ م ظهرت أولى الساعات الآلية ذات الأجراس ثم تلتها ساعات الجيب . وقد كان لاكتشاف قانون الذبذبة ان سمح باستكمال الدقة التي افتقرت اليها الساعات القديمة ، كما كان لتطبيق قانون البندول بمعرفة العالم الهولندي هيجنز على الساعات وما تبع ذلك من ابتكار

شهر رمضان في المدينة الإسلامية

بقلم الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور

■ ويهل هلال رمضان .. ويشرق الايمان مع استقبال شهر
الصيام و عالم الاسلام ... [illegible]

كيف كانت المدن والمجتمعات الاسلامية تحتفل بشهر رمضان وتحيي لياليه وكيف انتقلت من البساطة الى الاسراف والتعقيد ؟

تلك نظرة سريعة على ايام وليالي رمضان كما وصفها الرحالة والمؤرخون المعاصرون

بدأت الحياة في المدينة الاسلامية بداية بسيطة تتفق وبساطة الاسلام ونقاوة المجتمع الاسلامي ، ومنذ البداية كان المسجد الجامع في وسط المدينة يمثل قلبها النابض ، وينطلق منه صوت المؤذن خمس مرات في اليوم لينظم لأهل المدينة برنامج حياتهم اليومي في شئون الدين والدنيا جميعا ، من قيام وسجود ، وصحوة ونوم ، وعمل وراحة . فاذا ظهرت للمسجد في ذلك الدور وظائف اخرى غير العبادة ، فان هذه الوظائف ارتبطت غالبا ـ بشكل أو بآخر ـ بالناحية الدينية ، كأن يتخذ مكانا للعلم ، يلتقي في رحابه المعلمون والمتعلمون ليتفقهوا في أصول الدين ، أو كأن يختار القاضي المسجد مكانا يجلس فيه ليحكم بين الناس بما أنزل الله .

وفي هذا المجتمع المتسم بالبساطة احتفل المسلمون بشهر رمضان المبارك ، واحياء لياليه في حدود الطابع الديني لهذا الشهر ، متبعين آثار السنة النبوية الشريفة ، بحيث لم يتعد هذا الاحتفال العكوف في المساجد ، والاكثار من ذكر الله والتوبة اليه ، والتوسع في الاحسان والصدقة ، مع مزيد من تلاوة القرآن الكريم .

رمضان في الليل

ولاشك في أن طبيعة الحياة في هذا الشهر تطلبت قدرا من الهدوء أثناء النهار ، يقابله قدر من النشاط أثناء الليل . ففي فترة الصيام نهارا لايقوى الانسان على النهوض بكثير من أعباء الحياة ومطالبها ، وانما يفضل أن يركن الى الراحة . ولكن بغروب الشمس تنشط الأبدان وينصرف الناس الى الوفاء بمطالب الدين والدنيا ، فتدب الحياة في المدينة ، ويهرع كثيرون الى المسجد حيث يمتد بهم المقام حتى صلاة الفجر . هذا في حين يخرج اصحاب الحاجات الى الاسواق لابتياع مايلزمهم من زاد وطعام ، أما شوارع المدينة وطرقاتها فلا تهدأ ليلا ، اذ تفتح الحوانيت ابوابها طوال الليل ، وكذلك المرافق العامة من حمامات وسبل وغيرها . وهذا كله يخالف ماكان عليه الوضع في غير شهر رمضان ، عندما تتوقف الحياة في طرقات المدينة ، ويكف النشاط في اسواقها بعد صلاة المغرب . ومن سار في الليل لغير سبب قاهر قبض عليه وعوقب .

وقد تطلب هذا النشاط في المدينة الاسلامية أثناء ليالي شهر رمضان توفير الاضاءة في الطرقات والاسواق ، مما جعل كثرة الأضواء من سمات المدينة الاسلامية في شهر رمضان ، ومع أن الرحالة الأوروبيين ذكروا انه من سمات المدينة الاسلامية في العصور الوسطى كثرة المصابيح العامة التي تضيء طرقاتها ليلا ، الا ان كثرة الحركة طوال الليل في شهر رمضان تطلبت من كل عابر سبيل أن يحمل مصباحه معه في يده . ولعل هذا هو السر في ارتباط شهر رمضان بظاهرة المصابيح ، اذ لم تكن هذه الفوانيس في أول الأمر اداة للترف والزينة بقدر ماكانت ضرورة للرؤية وكشف الطريق .

حرص سلاطين المماليك على التوسع في الاحسان والصدقة طوال شهر رمضان على أهل الجوامع والخوانق في قاهرة المعز

ومع تطور المجتمع الاسلامي ونموه ، بدأت ملامح الحياة في المدينة الاسلامية تفقد بساطتها الاولى ، وتتخذ تدريجيا مسحة من الاسراف والمبالغة والتعقيد نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة ووفرة الأموال من ناحية ، ونتيجة للمؤثرات التي زحفت على هذا المجتمع من الشعوب ذات الحضارات القديمة التي دخل أهلها في الاسلام محتفظين بكثير من عناصر تراثهم وتقاليدهم ، من ناحية أخرى .

ولم يكن منتظرا أن تظل الاحتفالات ببعض المناسبات الدينية ، كالاحتفال بالعيدين ، أو الاحتفال بشهر رمضان ، بعيدة عن هذا التطور . وكان أن أخذت هذه الاحتفالات تكتسب تدريجيا بعض مظاهر المجتمع الجديد من الاسراف والمبالغة ، مع الاحتفاظ بطابعها الديني العام الذي يتفق وجلال هذه المناسبات .

وتبدو هذه الحقيقة بالقاء نظرة عامة سريعة على الاحتفال بشهر رمضان في بعض المدن والمجتمعات الاسلامية في أواخر العصور الوسطى ، وذلك في ضوء الاشارات العابرة المقتضبة التي وردت متناثرة في كتابات بعض الرحالة والمؤرخين المعاصرين .

فمن المعروف أن شهر رمضان يوصف دائما بأنه كريم ، بمعنى انه تستحب فيه التوسعة على الاهل والاقارب ، والاحسان الى الفقراء والمساكين وابناء السبيل . يحكي الرحالة ابن بطوطة أن زيارته لدمشق سنة ٧٢٦ هـ صادفت شهر رمضان ، فرأى الكثير من ضروب الكرم في هذا الشهر وقال ان فضائل أهل دمشق ألا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده ، فمن كان من الأمراء والقضاة والكبراء ، فانه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من

كلما ارتفع صوت الاذان . وقوفا بكل الخشوع والايمان ثم عكوفا في المساجد ومزيدا من تلاوة القرآن

السابع الهجري - خمسة آلاف نفس في كل يوم من ايام شهر رمضان على قول المقريزي .

كذلك اعتاد هؤلاء السلاطين أن يعتق الواحد منهم في شهر رمضان ثلاثين رأسا من الرقيق ، أي بعدد أيام الشهر . يضاف الى هذا كله التوسعة على العلماء وطلاب العلم ، اذ تصرف لهم رواتب اضافية في شهر رمضان ، وبخاصة من السكر الذي تتضاعف كمية المستهلك منه هذا الشهر بسبب الاكثار من عمل الحلوى . وقد بلغ راتب السكر في شهر رمضان أيام السلطان الناصر محمد بن قلاون ثلاثة آلاف قنطار ، قيمتها ثلاثون الف دينار ، منها ستون قنطارا كل يوم من أيام رمضان برسم الدور السلطانية .

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري طريقة احتفال المصريين في احدى المدن المصرية - وهي مدينة أبيار - برؤية هلال رمضان ، فقال انه في يوم الركبة - وهو يوم الركوب لرؤية هلال رمضان ، ويوافق التاسع والعشرين من شعبان - أجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر بدار القاضي الشافعي . ووقف على باب الدار نقيب المتعممين فاذا وصل أحد الفقهاء أو الأعيان ، تلقاه ذلك النقيب ومضى بين يديه قائلا « باسم الله سيدنا فلان الدين » فيقوم له القاضي ومن معه ، ويجلسه النقيب في موضع يليق به . فاذا تكاملوا هناك ، ركبوا جميعا - وعلى رأسهم القاضي - وتبعهم من بالمدينة من الرجال والصبيان ، حتى اذا ماانتهوا الى موضع خارج المدينة - هو مرتقب الهلال عندهم - ينزل القاضي ومن معه يرتقبون الهلال .

فاذا عادوا بعد صلاة المغرب وبين ايديهم الشموع والمشاعل والمصابيح مضاءة ، كان ذلك دليلا على ثبوت رؤية الهلال . وعندئذ يوقد التجار الشموع بحوانيتهم ، وتكثر الأنوار في الطرقات والدروب والمساجد ، حتى يتحول الليل نهارا .

السحور في مكة

أما طريقة التسحير فقد تباينت في المدن الاسلامية . ففي مكة يذكر ابن بطوطة أن المؤذن الزمزمي في الحرم الشريف كان في وقت السحور يقوم في الصومعة - أي المئذنة - التي بالركن الشرقي من الحرم ، داعيا ومذكرا ومحرضا على السحور ، فيردد ذلك باقي المؤذنين في بقية الصوامع . وقد نصبت في أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عمود أفقي الوضع ، يُعلق فيه قنديلان مضيئان من الزجاج ، فاذا قرب الفجر واوشك أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وقع الايذان بالقطع - أي الامتناع عن الطعام والشراب وعندئذ يُسحب القنديلان ، ويشرع المؤذنون في الاذان لصلاة الفجر . يقول ابن بطوطة ان دور مكة تميزت بأسطح ، فمن بعدت داره بحيث لايسمع الاذان يبصر القنديلين المذكورين فيتسحر . فاذا لم يبصرهما أقلع عن الأكل والشرب .

ولكن ابن الحاج يذكر ان العادة جرت في القاهرة بأن يطوف اصحاب الأرباع وغيرهم بالطبلة على البيوت ، وهم يضربون عليها ، هذا في حين اعتاد أهل الاسكندرية أن يكون التسحير بدق الأبواب على اصحاب البيوت والمناداة عليهم بأسمائهم .

واذا كانت ثمة ظاهرة مشتركة بين كافة بلاد الاسلام ومدنه في شهر رمضان ، فان هذه الظاهرة كانت الحرص على احياء شعائر الدين . وقد قضى ابن جبير شهر رمضان من عام ٥٧٩ هـ في مكة المكرمة ، فقال « ان القائمين على الحرم استعدوا لهذا الشهر بتجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى تلألأ الحرم نورا وسطع ضياء » وطوال ليالي رمضان تتفرق الأئمة في نواحي المسجد لاقامة صلاة التراويح ، فالشافعية في ناحية ، والحنفية في ناحية أخرى ، والحنبلية في ناحية ثالثة ، والزيدية في جهة

وينطلق الاذان من مئذنة الركن في ساحة الكعبة المشرفة .. حيث تحيط بها الأعمدة المسقوفة للحرم .. والتي تجددت في العهد المجيدي قبل التجديد السعودي

رابعة . أما المالكية ، فكان لهم ثلاثة قراء يتناوبون القراءة ، بحيث لم يبق في المسجد زاوية ولا ناحية الا وفيها قارىء يصلي بجماعة خلفه ، « فيرتج المسجد لاصوات القراء من كل ناحية ، فتعاين الأبصار وتشاهد الأسماع من ذلك مرأى ومستمعا تتخلع له النفوس خشية ورقة » .

ويذكر ابن جبير أن كل وتر من الليالي العشر الأواخر من رمضان كان يختم فيه القرآن الكريم في الحرم المكي الشريف . وقد أفاض هذا الرحالة في وصف ما حدث في ليلة الثالث والعشرين من رمضان سنة ٥٧٩ هـ ، وفيها اختتم القرآن أحد أبناء سراة مكة ، وكان غلاما لما يبلغ الخامسة عشرة من عمره وقد احتفل أبوه احتفالا كبيرا لهذه الليلة ، فأعد له ثريا متعددة الفروع ، كما أعد شمعا كثيرا ، ووضع في وسط الحرم ما يشبه المحراب على قوائم أربع نزلت منها قناديل ، وأسرجت في أعلاها مصابيح ، في حين وضع على مقربة من المحراب منبر مجلل بكسوة مجزعة مختلفة الألوان . وحضر « الامام الطفل » على حد تعبير ابن جبير ، فصلى التراويح وختم ، وسط حشد ضخم من الرجال والنساء الذين حضروا لرؤيته « وهو في محرابه لا يكاد يبصر من كثرة شعاع الشمع المحدق به » . ثم برز من محرابه ، رافلا في أفخر ثيابه ، مكحل العينين ، مخضوب الكفين ، واتجه الى منبره حيث استوى مسلما على الحاضرين وجلس بين يديه قراء شرعوا في القرآن على لسان واحد ، حتى اذا ما أكملوا عشرا من القرآن الكريم ، قام الغلام خطيبا ،

■ ويلتقي المعلمون والمتعلمون ليتفقهوا في أصول الدين . . ويختار القاضي المسجد مكانا يجلس فيه للحكم بين الناس بما أنزل الله .

ومن حوله على درجات المنبر نفر يمسكون الشموع في أيديهم ، ويرفعون أصواتهم عند كل فصل من فصول الخطبة « يا رب ! يا رب » واختتم خطبته بتوديع الشهر المبارك وترديد السلام عليه ، والدعاء للخليفة ، ومن جرت العادة بالدعاء له من الأمراء . ثم نزل ، وانفض الجمع . وفي تلك الليلة وزعت الحلوى والطعام على الجمع . وخاصة القاضي ومن هم في مكانته ، فقد خصوا بطعام حفيل وحلوى ، على عادتهم في مثل هذا المجتمع » .

ليلة القدر

وتكون أعظم الاحتفالات بالليالي العشر الأواخر من رمضان في ليلة السابع والعشرين منه ـ وهي ليلة القدر ـ فتكثر الأضواء والأنوار حتى « يتوهم المتوهم هول ما يعانيه من ذلك أن تلك الليلة المباركة نزهت لشرفها عن لباس الظلماء فزينت بمصابيح السماء » .

وكان الاستعداد هذه الليلة المباركة يجري في الحرم الشريف قبل حلولها بثلاثة أيام . فتنصب أعمدة من الخشب تمتد في بينها الواح أفقية على شكل ثلاث طبقات . وتوضع عليها زجاجات المصابيح وتتدلى من جوانبها القناديل . وفي ليلة القدر توقد الشموع والمصابيح والقناديل . وتنصب عن يمين المقام ويساره شموع كبيرة الحجم . في حين تحيط المشاعل بالحرم « فجاءت كأنها دائرة نور ساطع » .

■ [illegible] الإسلامية في شهر رمضان [illegible]
[illegible]
[illegible]
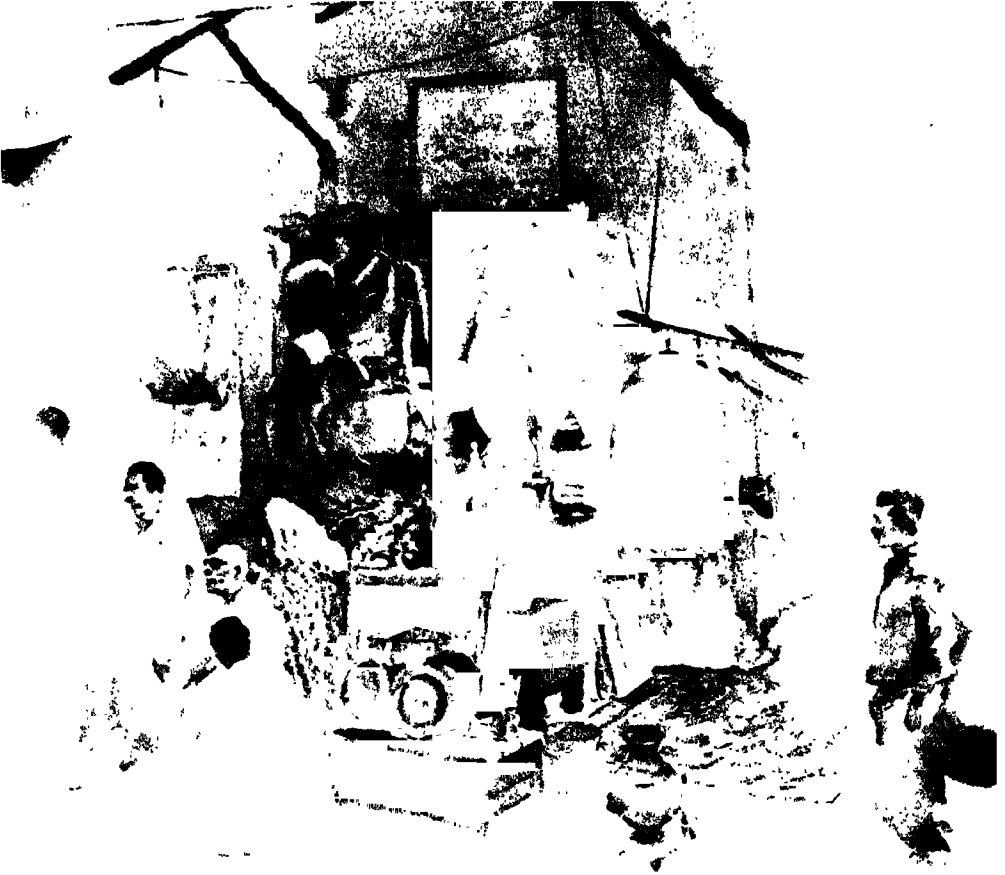
كل شيء في لاسواق حلال نهار رمضان — من رسم الفنان محمد فريد الحديدي

أما صبيان مكة فقد أحدقوا بكافة شرفات الحرم، وبأيديهم المشاعل والمصابيح، فوضعوها مضاءة في رؤوس الشرفات، وهم يرفعون أصواتهم « يا رب! يا رب! » على نسق واحد. فيرتج الحرم لأصواتهم. ثم تقدم القاضي فصلى فريضة العشاء الآخرة. ثم قام يبتدأ سورة القدر. وكان أئمة الحرم في الليلة السابقة قد انتهوا من القراءة اليها. وتوقف عندئذ سائر الأئمة من قراءة التراويح. تعظيما لختمة المقام. وحضروا متبركين بمشاهدتها [illegible] ختم القاضي بتسليمتين [illegible] خطيبا [illegible] المقام [illegible]

انفض الجمع « وأعينهم قد سالت دموعا، والأنفس قد أشعرت من فضل تلك الليلة المباركة رجاء مبشرا من الله تعالى بالقبول ».

وبعد ذلك يستمر الأئمة والخطباء بقية ليالي رمضان في « التذكير والتحذير والتبشير » الى أن تنتهي ليالي هذا الشهر الكريم بسلام.

وفي نهاية رمضان يستعد المسلمون لاستقبال عيد الفطر. فيسهرون حتى ساعة متأخرة من الليل في اعداد الملابس وصقلها. وتجهيز الحلوى والكعك والفطائر ليتبادلوها [illegible] التهنئة في العيد. [illegible] الأضواء تضاعف في ليلة استهلال شوال [illegible] مسجد [illegible] في مكة [illegible]
[illegible]

في تلك الليلة من الطواف والصلاة والتهليل والتكبير .

العمرة في رمضان

ولايفوتنا أن نشير الى انه من العوامل التي ضاعفت من بريق الحياة الدينية في مكة المكرمة طوال شهر رمضان كثرة المترددين عليها في هذا الشهر المبارك لأداء العمرة . وقد أكد هذه الحقيقة ابن بطوطة في رحلته ، اذ أشار الى فضائل الاعتمار في رمضان ، مستشهدا « بالحديث الشريف : « عمرة في رمضان تعدل حجة معي » .

ولاشك في أن هذه الصورة التي ذكرها كل من ابن جبير وابن بطوطة عن ليالي شهر رمضان في مكة ، كانت تتكرر على مقياس أو آخر في معظم المدن الاسلامية ، مع تقرير ما كان لمكة من وضع خاص بوصفها أم القرى ، فيها بيت الله الحرام ، قبلة المسلمين ، ومركز حجهم واعتمارهم .

ومن امثلة ماكان يجري في المدن الاسلامية في شهر رمضان ماذكره ابن بطوطة في زيارته لمدينة دولة اباد بالهند ، اذ أشاد بما فيها من مسجد للصلاة « يصلي فيها الأئمة التراويح في شهر رمضان » كذلك ذكر ابن بطوطة في رحلاته أنه عندما سافر الى مدينة بلغار وصلها في رمضان . « فلما صلينا المغرب افطرنا وأذن بالعشاء في اثناء افطارنا فصليناها ، وصلينا التراويح والشفع والوتر . . »

أما مؤرخو مصر الاسلامية ، فقد ذكروا اشارات عابرة الى كيفية احتفال أهل القاهرة - على المستويين الرسمي والشعبي - بشهر رمضان ولياليه ، من ذلك أن الخلفاء الفاطميين كانوا كعاداتهم - يقيمون سماطا كبيرا في غرة رمضان . ومن مواكب هؤلاء الخلفاء موكب أول رمضان ، ومواكب الجمع الثلاث الأخيرة من هذا الشهر .

وفي هذه المواكب كانت تزدان الدور والحوانيت والأسواق التي يمر بها الخليفة يحف به رجال الدولة ، يحمل أحدهم المظلة فوق رأسه في حين يطلق الخصيان البخور على جانبي الطريق .

ولاشك في أن اوضاع المدينة الاسلامية في شهر رمضان شدت انتباه الرحالة والسفراء الأوروبيين الذين ترددوا عليها ، وخاصة في مرحلة نشاط التبادل التجاري في اواخر العصور الوسطى .

ومن ذلك أن « برنارد دي بريدنباخ » استرعى نظره أن القاهرة التي كانت هادئة بالنهار اشتدت فيها الجلبة بالليل . وقد ظن أن التواشيح الدينية التي تردد صداها بين أرجاء المدينة نوع من الغناء ، وان طبول التسحير ضرب من الموسيقا والايقاع ، فقال ان مظاهر الافراح والغناء ، ودق الطبول استمرت طوال الليالي التي قضاها في القاهرة ، مما جعل النوم متعذرا عليه . أما « فابر » الذي زار مصر في اواخر القرن التاسع الهجري - الخامس عشر للميلاد - فقد صادف دخوله القاهرة شهر رمضان ، فتعجب لكثرة الأضواء ليلا في الطرقات ، والمصابيح المختلفة الاشكال والألوان التي يحملها الكبار والصغار . ولما استفسر عن السر في هذه الحياة الصاخبة اثناء الليل ، قيل له ان الشهر رمضان ، وان الناس يخرجون ليلا لقضاء حوائجهم . كذلك لاحظ الرحالة « سيمون سيجولي » أن الحوانيت لاسيما محلات الطعام والمطابخ تظل ابوابها مفتوحة حتى مطلع الفجر طوال ليالي شهر رمضان ، فوصف هذا الشهر المبارك حسب فهمه - بأنه الشهر الذي ينام فيه المسلمون بالنهار ويصحون بالليل .

وهكذا ظل رمضان - وسيظل دائما - شهر الصوم والعبادة ، شهر القرآن والتوبة ، شهر الكرم والاحسان ، شهر البشر والفرح الذي تطمئن فيه القلوب وتنشرح الصدور . □□

من تجارب الشعوب

بقلم : عثمان سعدي

ان نجاح العلم والتقنية المفتنمين في فييتنام الشمالية ، يكمن في انهما استطاعا التلاؤم مع ظروف تاريخ الفييتنام تلاؤما مكن الجماهير من مواجهة أشد أنواع الحروب ضراوة وشراسة شنت ضد أمة من الأمم . والخروج منها منتصرة . ان العلم الصحيح هو العلم النافع للانسان ، العلم الذي يمكنه من حل مشاكله المباشرة ، العلم الذي يملك الانسان تطويعه وتكييفه ليتلاءم مع نضاله ضد الطبيعة ، ونضاله ضد قوى الشر ، نضاله لتحقيق طموحات أمته . وقد قام العلم والتقنية في فييتنام بهذا الدور ، لانهما التصقا بالشعب منذ نشأتهما وتطورا معه . لان لغة هذا العلم كانت هي لغة الأمة الفييتنامية .

ان سبب هذه المعجزة الفييتنامية ، راجع الى ان قادة الفييتنام الكبار وعلى رأسهم (هوشي مينه) ، أوجدوا الحل الحاسم للمسألة الثقافية ، من خلال تطبيقهم الفتنمة الشاملة وصاغوا بذلك المواطن الفييتنامي الجديد .

الفتنمة والارادة السياسية

منذ اليوم الأول للاستقلال شن الفيتناميون حملة واسعة من أجل تطبيق فتنمة شاملة ، وركزوا على نشر وعي لغوي بين الناس ورغم أن الفيتناميين شيوعيون ماديون ، لا يؤمنون بالمقدسات ، الا أن لغتهم في نظرهم مقدسة . فالاستاذ تران هيوتيوك يقول « ان اللغة القومية مقدسة »

وهم لا يتصورون مواطنا يزعم أنه يحب وطنه ، ويتصف بالكبرياء الوطني ، يضع أولاده في مدارس أجنبية ، يقول نغويين فان هوبن « كيف يمكن لمواطنين يعيشون في بلد واحد ، ويقولون بأنهم يحبون الأرض التي ولدوا فيها ، ويتحدثون عن كبريائهم الوطني ، في نفس الوقت الذي يتكلمون فيما بينهم بلغة أجنبية ، بلغة ليس لها أية علاقة لا بتقاليد الثقافة الوطنية ، ولا بخصائصها ، ولا بأفكار الشعب ومشاعره » .

ولا يمكن لأمة أن تنهض اذا لم توحد صفوفها . فاللغة القومية هي أقوى أداة لتحقيق هذه الوحدة . يقول خان تران : « ان اللغة تساهم مساهمة كبيرة في توحيد واتحاد صفوف الأمة . لقد كانت الفيتنامية في جميع العصور وعلى امتداد التاريخ أداة فعالة لتوحيد أمتنا ، وكتلة متراصة في الحياة اليومية ، وفي بناء الوطن » .

بل ان الفيتناميين الذين هزموا الجيش الفرنسي والجيش الامريكي ، يعتبرون أن أعظم انجاز حققوه هو انتصار الوطنية ، ونجاح الفتنمة الشاملة . يقول فان توان : « يعتبر الشعب الفيتنامي أحد الشعوب التي مرت عليها حياة مكفهرة عاصفة منذ آلاف السنين . ويعتبر أعظم شيء تحقق في هذه الحياة هو انتصار اللغة الفيتنامية » .

كانت اللغة الفيتنامية في الاربعينيات لغة قريبة من البدائية . فخلال الثمانين سنة من الاستعمار الفرنسي ، لم تتح لها الفرصة للتطور . بل تركت في مرحلة الجمود والتخلف . فقد فرض الفرنسيون لغتهم في الادارة وفي التعليم بسائر مراحله . ويروي الكاتب دانغ تهاي ماي « أنه في الاربعينيات كان البعض يقول بأن اللغة الفيتنامية لغة عامة جدا وغامضة . تستطيع أن نعبر عن القضايا العامة والمجملة لكن طاقتها التحليلية ضعيفة . ويصعب عليها أن تتحول إلى لغة دقيقة للعلوم » .

لكن عندما أعلن استقلال الفيتنام لم يستسلم الفيتناميون لهذا الوضع ، فيستمروا عليه تاركين بلادهم تحت سيطرة اللغة الفرنسية ، التي ورثوها عن العهد الاستعماري متطورة جاهزة ، تستعملها سائر المعاهد العلمية والتقنية ، حتى الادارة ، وانما اختاروا الطريق الصعب . أسسوا لجانا لغوية وعلمية تقوم بنحت المصطلحات بالفيتنامية ، وبترجمة أمهات الكتب اليها ، جاعلين توصية قائدهم المعلم (هوشي مينه) ، نصب أعينهم ، عندما يقول : « اسهروا على صفاء اللغة الفيتنامية كما تسهرون على صفاء عيونكم . تجنبوا ـ وبعناد ـ ان تستعملوا كلمة أجنبية ، في مكان باستطاعتكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية » .

ربع مليون كلمة

عملت اللجان المختصة على ابتكار المصطلحات ، ضمن خطة علمية ترتكز على قواعد ، تضمن عدم خروج المصطلح عن روح اللغة : « كنا في صياغتنا للمصطلحات ـ كما يقول مدير كلية الهندسة آنذاك الاستاذ فام دونغ دين ـ نبحث في لغتنا اولا ، فان لم نجد مادة لذلك بحثنا عنها في كلمات اللغة الصينية » .

اعترضت المشرفين على الفتنمة عقبات كبيرة ، واستطاعوا بإرادتهم وبإخلاصهم

للغتهم تذليلها عقبة عقبة . وتمكنوا بجهود كبيرة من ان يبتكروا من منطلقات متواضعة بل فقيرة - لغة علمية حديثة ، بحيث نحتوا خلال عشرين سنة من ١٩٤٦ الى ١٩٦٦ ربع مليون كلمة ومصطلح . ومن غير شك فان لغة يدخل قاموسها ربع مليون كلمة في عشرين سنة ، كانت في البداية لغة بسيطة جدا تقارب اللغة البدائية . يقول نغويين فان هوين ، وزير التربية الاسبق : « بفضل مساعدة لجنة الدولة للعلوم ، ومختلف معاهد البحث العلمي ، استطاعت الاطارات التي تعمل في ميدان البحث ، او التي تعلم مادة العلوم في المعاهد العليا ، او التي تعمل في مصالح اخرى ، ان تبتكر ربع مليون مصطلح علمي ، وتقني ، وكان المقياس الذي يصوغون على ضوئه المصطلح كالاتي : ان يكون دقيقا ، قريبا من لغة التخاطب وسهلا ، وعمليا » .

وقد تبين ، من خلال تجربة العلماء الفيتناميين ، ان المصطلح المبتكر يتمتع بدقة في المدلول ، أكثر مما يتمتع به المصطلح المنقول عنه ، لان المصطلح الجديد المبتكر المترجم ، يكون قد استفاد من عامل الزمن ، وما أحدثه من تطور في العلم الذي يقوم المصطلح بالتعبير عنه .

كانت عملية ابتكار المصطلحات العلمية والتقنية لا تتم في اطار نظري منعزل جامد ، وانما كانت تنجز ميدانيا ، ضمن التدريس والبحث ، فقد اعدت الهيئات المختصة قائمة بامهات المراجع والكتب التي تقرر فتنمتها ، سواء بالترجمة أو بالتأليف . وكانت حصيلة ذلك ترجمة ثلاثمائة (٣٠٠) كتاب ومرجع ، وتأليف مائتين ، في اثناء عشرين سنة (١٩٤٦ - ١٩٦٦) . يقول الاستاذ نغوي نهو كونتوم : « حسب احصائية غير كاملة ، فان عدد هذه المطبوعات (المفتنمة) بلغ خمسمائة مجموعة تضم مائتي الف (٢٠٠,٠٠٠) صفحة ، وخمسين مليون كلمة . ثلاثمائة مجموعة منها عبارة عن مطبوعات مترجمة من مختلف اللغات الأجنبية ، والمائتان الباقية من تحرير اطارات الجامعة » .

كان المشرفون على تعليم العلوم بالفيتنام مقتنعين بأن تقدم اي بلد في الميدان العلمي ، لا يمكن أن يتحقق الا اذا استطاع نشر العلم والوعي بالعلم نشرا واسعا بين الجماهير الشعبية بالبلد . ولا يمكن لهذا النشر أن يتم افقيا وعموديا ، الا اذا كان هذا العلم يتم - تدريسا وبحثا - بلغة البلد الوطنية . ويرفع في السنة الأولى لاستقلال الفيتنام الشعار التالي : « ان اكبر فرصة لنشر العلوم بسرعة وفي ظروف أفضل ، أن تكون اللغة الوطنية هي لغة تدريس العلوم ولغة البحث العلمي » .

يقول الاستاذ نغويان خان توان : « حتى بالنسبة للعلوم والتقنية الراقية ، تبقى اللغة الوطنية أفضل وسيلة تعبيرية لنشرها » .

فتنمة الطب

عندما أصدر هوشي مينه قراره السياسي بالفتنمة الشاملة لم يلق قبولا لدى أساتذة معهد الطب ، فطلبوا مقابلته ، وأوضحوا له استحالة فتنمة الدراسات الطبية ، بسبب عدم معرفتهم هم وطلبتهم للغة الفيتنامية ، ومن عادة هوشي مينه أن يستمع أكثر مما يتحدث . فاستمع لوفد أساتذة الطب مدة ساعات ، طلبوا فيها تأجيل فتنمة الدراسات الطبية ، وجعلها تطبق تدريجيا ، وفق برنامج يستغرق سنوات . وفي نهاية الاجتماع حسم القائد الفيتنامي الموقف بما يلي : « يسمح لكم استثنائيا هذه السنة - بالتدريس باللغة الفرنسية ، مع ضرورة تعلمكم انتم وطلبتكم اللغة الفيتنامية ، على أن تجرى الامتحانات في نهاية السنة الدراسية باللغة الفيتنامية » . وانصرف الاساتذة ، ليطبقوا القرار الذي اتخذته القيادة السياسية بحسم .

يقول الاستاذ نغوي نهو كونتوم : « انني اذكر

في السنة الاولى لتأسيس مدرسة الطب والصيدلة ، ومدرسة العلوم ومدرسة الفنون الجميلة ، والمدرسة العليا للاشغال العمومية وغيرها من المعاهد العليا وهي سنة ١٩٤٥ ، وفي نهايتها ـ ونحن ما زلنا في عهد ثورة ضد الاحتلال الفرنسي ـ كنا نحن الاساتذة الجامعيين ، الذين تخرجنا جميعا في المعاهد الفرنسية العليا ، نختار الاسئلة ونحررها بالفرنسية ، ثم نترجمها من هذه اللغة ـ التي اعتدنا على التحدث والتفكير بها منذ عشرات السنوات ـ الى اللغة الفيتنامية التي اجبرنا حديثا على تعلمها وتعلم كتابتها . كان بعضنا يقضي نصف يوم أو يوما . لاعداد الاسئلة بالفرنسية ، لكنه يقضي أياما كاملة لكي يتمكن من ترجمتها الى الفيتنامية »

ويروي الاستاذ تران هوي تيوك الصعوبات التي تجشمها من أجل تعلم اللغة الفيتنامية : « لقد قضيت خمس عشرة سنة خارج الفيتنام ، تعلمت خلالها وعلمت باللغة الفرنسية ـ كان استاذا بكلية الطب بجامعة باريس لمدة سنوات ـ ثم عدت الى الفيتنامية في سنة ١٩٤٦ ، واسند الي كرسي الانف والاذن والحنجرة في معهد الطب والصيدلة بهانوي . وقمت منذ الوهلة الاولى بالتعليم باللغة الفيتنامية . اذكر انني القيت اول درس في مدرج المعهد باللغة الوطنية . وبطبيعة الحال فقد وجدت صعوبة في أول الأمر ، لكن نجحت ، وأنا راض عن نفسي لأنني استطعت أن اعبر عن اعتزازي بصفة المواطن المستقل الحر ، وذلك بالقاء دروسي بالفيتنامية » .

وهكذا نجد أن اساتذة الجامعة الفيتنامية كانوا يبذلون جهودا مضنية في تعلمهم اللغة الفيتنامية عن كبر واتقانهم لها ، والقيام بفتنمة معلوماتهم الطبية ونقلها بلغتهم الى طلبتهم . كانوا يقومون ـ وهم يعلّمون ـ بعدة عمليات : عملية متابعة التطور العلمي في العالم واكتسابه باللغة الفرنسية التي يتقنونها ، وعملية فتنمة المصطلحات الطبية الفرنسية ، وذلك بنحت وابتكار مصطلحات بلغتهم ، وعملية نقل هذه المعلومات بلغتهم الى طلبتهم ، والى مكتبة اللغة الفيتنامية . انهم لا يقومون بعملية اجترار كسول لما يتلقونه من الطب الفرنسي ، وبنقله نقلا فوتغرافيا . وانما يقومون بعملية خلق وابداع ، وهم يؤدون مهنة التدريس الجامعي ، اقتناعا منهم « بأنه لكي يكون الطبيب الفيتنامي جيدا ـ كما يقول الاستاذ تيوك ـ ينبغي أن يعرف الحقيقة الفيتنامية . وهذا يقتضي ضرورة معرفة الطبيب للغة الفيتنامية . واستعماله لها عمليا في مهنته »

وفتنمة الطب وتعليمه بالفيتنامية لا يقتصر فقط على الجانب الشكلي لنقل المعلومات ، وانما يتعداه الى ايجاد طب فيتنامي . فاساتذة الطب الفيتناميون يرون أن غايتهم ليست ترجمة برامج كليات الطب الغربية الى لغتهم ، أي ترجمة الطب الغربي وكفى ، وانما لابد وان تمتد الى احياء الطب الشرقي المتوارث عن حضارات الشرق العريقة وتلقيحه بأساليب الطب الغربي . وهكذا نرى أن اساتذة الطب الفيتنامي اهتموا بطبهم التقليدي ، فدرسوه واستنبطوا منه أساليب وطرقا ، صاروا يدرسونها في كليات الطب عندهم . وهذا هو سبب وجود كرسي خاص للطب الشرقي ، في كليات الطب الفيتنامية والكورية والصينية ، هذا الطب الذي يسميه اساتذة الطب بالبلدان العربية بالشعوذة . مع أن العرب يعتبرون من أعرق الشعوب التي ورثت طبا تقليديا عن عهود ازدهار حضارتهم . الا ان اطباءنا بسبب تكوينهم بلغات أجنبية ، صاروا يحتقرون تراث الطب العربي القديم ، وهذا هو الذي يفسر لنا لماذا ينعدم وجود مادة الطب العربي القديم في كليات الطب العربية التي تدرس باللغة الاجنبية . يقول الدكتور تيوك : « ان تعليم الطب بالفيتنامية ، هو وسيلة طبيعية لتحقيق الربط بين الطب الحديث والطب التقليدي ، بين الطب الغربي والطب الشرقي » .

ولا يمكن لمهنة الطب أن تنجح وتأتي بثمارها في بلد ، الا اذا ارتكزت على الطب الوقائي . ولا يمكن للطب الوقائي ان ينتشر بين الجماهير الا اذا كان الطب يدرس بلغتها القومية . يقول الاستاذ تيوك : « ان الطب الطلائعي ينبغي أن يكون قبل كل شيء طبا وفنا . وهذا يتطلب من الجماهير حد ادنى من معرفة الامراض ووسائل النظافة والصحة . والطب الوقائي لا ينجح الا بمبادرة الجماهير . وبدون استعمال اللغة الوطنية ، كيف يتوصل الى نشر هذا الحد الادنى من المعرفة بين الجماهير وجعلها تطبقه ، .

الخلاصة والعبرة

(أولا) قام الفييتناميون منذ اعلان استقلال بلادهم في الاربعينيات ، بتطبيق الفتنمة الشاملة على التعليم والادارة وسائر مرافق حياتهم التي كانت تسيطر عليها سيطرة كاملة اللغة الفرنسية ، ولمدة ثمانين سنة .

(ثانيا) بهذه الفتنمة الشاملة استطاعوا تكييف اقتصادهم وطبهم وبحثهم العلمي ، مع وضع الحرب الذي دام قرابة نصف قرن . وتحقيق وحدة الشعب الفييتنامي جنوبا وشمالا ، وتأسيس الدولة الفييتنامية الموحدة ، على طريق الوحدة الكبرى لأمة الهند الصينية .

(ثالثا) أوجدوا بفضل الفتنمة الشاملة طبا فييتناميا ، حل مشاكل الانسان الفييتنامي الصحية ، وطوروا الطب الشرقي بحيث احتفظوا بالجوانب الايجابية فيه ، مسخرين في ذلك أساليب الطب الغربي الحديثة .

(رابعا) برهن الفييتناميون بتجربتهم ، ان أقرب طريق لبناء صرح تنموي اقتصادي واجتماعي وثقافي ، هو ان تكون اللغة الوطنية هي الاداة لذلك فتعليم العلوم والتقنية باللغة الوطنية في سائر مراحل التعليم ، واستعمالها في مراكز البحث العلمي ، من شأنه ان يوجد علما قوميا ، وتقنية قومية ، تبني التنمية القومية على الانتاج والامكانيات الذاتية ، وتربط حاضر الأمة بماضيها الذي تستفيد من تجاربه ، وتجعل هذا العلم الذي اكتسب الهوية القومية بفضل اللغة ، قابلا لتلاؤمه مع حاجات المجتمع ، ومتطلبات المرحلة النضالية التي تخوضها الأمة .

(خامسا) بالعلم والطب المفتنمين ، استطاع الفييتناميون خلال سنوات قليلة ، حل أخطر مشكلة واجهتهم بعد تحرير سايغون سنة ١٩٧٥ وتوحيد شطري الفييتنام . وهذه المشكلة تتمثل في أكثر من ستمائة ألف (٦٠٠.٠٠٠) بين مومس رشد ومدمن على المخدرات ، تركها لهم الوجود العسكري الامريكي بجنوبي الفييتنام . تنهش أجسادهم أخطر الامراض التناسلية والمخدرانية . وفي الوقت الذي نشاهد فيه أقطارنا العربية المسلمة تنفذ لمجتمعاتها من خلال انفتاحها غير المسحوب ، على لغات الغرب وثقافات الغرب ، هذه الانحرافات التي نراها تتسع وتكبر في كل يوم .

(سادسا) بالفتنمة الشاملة ، أوجد علماء ولغويو الفييتنام المناخ الميداني لابتكار المصطلح العلمي . بينما ما زال المصطلح العلمي العربي عندنا يتم في معظم الحالات ، في اطار نظري ، بعيدا عن التجربة الميدانية ، بسبب تطبيقنا للتعريب الجزئي .

(سابعا) تعامل الفييتناميون مع لغتهم على أنها لغة مقدسة ، وطبقوا ذلك عمليا ، فجعلوها تسيطر على سائر مرافق حياتهم . بينما لا يملكون قرآنا كما نملك في الوقت الذي نجد فيه أن لغتنا هي لغة القرآن الكريم ، فنرفع من شعار العودة للاسلام ، ونجعل لغتنا القومية التي هي لغة القرآن تعيش على هامش حياتنا ، ونترك ثمانين بالمائة من جامعيينا وهم خريجو كلياتنا العلمية والتقنية وباحثو مراكز البحث العلمي ، تسيطر عليهم اللغة الاجنبية ، وتصوغ تفكيرهم ، وتستلب شخصياتهم ، ألسنا نعيش في عصر يسيطر عليه العلم وتتحكم فيه التقنية ؟!! □□

انقذوا تراثنا المبعثر

منذ ربع قرن أطلقت الدكتورة عائشة عبدالرحمن دعوتها في مجلة العربي لجمع المخطوطات العربية المبعثرة ، وتوثيقها وضبطها وتصنيفها وتحريرها ، لكي يوضع بين أيدي الدارسين مادة تصلهم بتراثهم .. فإلى اي مدى استجابت المؤسسات الثقافية العربية لهذه الدعوة ..؟

هناك خطأ في مناهج درسنا يجب أن يصحح ، وقصور لا يجوز الصبر عليه ذلك أننا نقيم الدرس الأدبي والتاريخي على غير أساسه الصحيح ، اذ تعوزنا فيه مادة البحث ، وهي المخطوطات المبعثرة في شتى البقاع ، لا ندري عنها إلا القليل .

ندرس الأدب العربي ونؤرخ لأعلامه . وليس بين أيدينا إلا قدر ضئيل من نصوصه المحققة ، ودواوينه الأصلية .

وندرس تاريخ العرب والاسلام ، الديني منه والسياسي والاجتماعي ، واكثر أصوله ومواده ، بعيدة عنا مجهولة منا .

ونطلق القضايا والأحكام ، ناسين أن كنوزنا الفكرية قد تسربت إلى أوربا على أيدي الدول الاستعمارية ، وتجار الكتب وهواة جمع المخطوطات الشرقية ، وما تزال هناك تملأ خزائن لا يحصيها عد ، ونحن هنا ننتظر ما يجود به علينا المستشرقون مما ينشرون من هذه الذخائر ، ونعتمد في دراستنا المتخصصة العليا على مطبوعات ليدن وليبتزج واكسفورد وروما و .. و .. دون أن يعنينا ما بقي هناك بلا نشر !

وإلا فماذا نعرف عن ألوف الذخائر التي حملها سلاطين آل عثمان فيما حملوا من كنوز الأقطار العربية أيام العصر العثماني ، والتي ما تزال هناك تملأ الخزائن التركية ، ولسنا نعرف أسماء كثير منها ، وأنى لنا ذاك وقد سجل كتاب « المحكم » لابن سيده ، باسم كتاب « المحاسم في اللغة »!؟

وأنها والله لحاسمة قاصمة !

ولماذا أذكر تركيا ، وهنا في مصر ، وجدت مخطوطة من « رسالة الغفران » في مكتبة سوهاج الأميرية ، مفهرسة بعنوان « مخطوط في الأدب ، مجهول اسمه واسم المؤلف » !

وأخرى في مكتبة الاسكندرية ، وجدت مفهرسة بعنوان « كتاب في الأدب ، نادر الوجود جدا ، لعلي بن منصور - رحمه الله »!

بل رحمنا الله نحن ، في ضيعة تراثنا وضيعتنا به !

ان المخطوطات العربية هي في تقديري حجر الأساس في بناء الوطن العربي الجديد الذي تتآزر قوانا لاقامته ، وهي الخطوة الأولى في الطريق الطويل الذي صممنا على اجتيازه ، سعيا وراء هدفنا الأسمى ، وهو معرفة ذواتنا ، واستكمال مقومات شخصيتنا ، وأدراك مكاننا الصحيح في عالم اليوم .

ويخطىء من يحسب أن موضوع المخطوطات العربية ، لا يعني سوى المتخصصين في الدراسات الأدبية والاسلامية ، فالحق أن هذه المخطوطات ، هي تراثنا القومي الذي نعرف به ذاتيتنا ونميز مراحل سيرنا على مدار الزمن ، ونستبين ملامح كياننا الأصيل الذي ضرب بيننا وبينه بسور بناه أعداء الشرق العربي كيما يحُولوا دون وعينا لماضينا وفهمنا لأصولنا ، ويحجبوا عنا أمجاد آباء لنا وأجداد ، شاركوا في صنع تاريخ الانسانية وبناء الحضارة .

وما أقول هذا صنعة كلام ، أو عن فتنة وادعاء ، فهذا تاريخ الاستعمار يشهد بأن أعداء الشرق والعرب والاسلام ، قد جندوا قواهم لحربنا بأسلحة من الغزو الفكري والروحي ، ابتلتنا بعقدة الشعور بالنقص ، بما بترت من أصولنا العريقة ، وبما باعدت بيننا وبين ماضينا

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

« يريد أعداء الوطن العربي أن يضربوا حجابا بيننا وبين ماضينا ، ويطمسوا آثار آبائنا ، وأمجاد أجداد شاركوا في تقدم الانسانية وبناء حضارتها . ليقولوا لنا بعد ذلك اننا لا نصلح للحياة ما لم نتكيء على حضارة الغرب وحده . »

في أرجاء الأرض

الأغر ، وبما ألقت في روع أجيال منا ، أننا لا نصلح للحياة ما لم نتكيء على حضارة الغرب وحدها ، ونلتمس منها أسباب نهضتنا ومقومات وجودنا .

وقد جدوا ، أو ما جدوا ، في الاستيلاء على تراثنا الفكري والأدبي وبثوا رسلهم في انحاء هذا الشرق الكبير ، يحملون الى الغرب ذخائر مخطوطاته ، حيث عكفوا على دراستها لكي يفهموها أولا ، ولكي يلتمسوا فيها - ثانيا - ثغرات ينفذون منها الى عقولنا ونفوسنا ، رجاء أن يشوهوا في عيوننا صورة أمسنا ، ويطفئوا نورا لنا اضاء للبشرية طريقها وسط الظلمات . وحتى نقتنع أخيرا بأن بقاءنا في عالم اليوم ، رهن بتنكرنا لشرقيتنا وعروبتنا ، وتعلقنا بركاب « رسل الحضارة وسادة العصر » واذ ذاك يهون علينا ان نراهم يستبيحون حمانا ، ويقومون أوصياء علينا ، يأخذون بأيدينا نحو التمدن .

وأنتقل بعد هذا الى الجانب القريب للموضوع ، فأذكر فيما أذكر ، ان الشرق العربي في تاريخه الحديث ، قد جد في استدراك ما فاته من أسباب الاستنارة والثقافة ، ابان عصور الظلمات التي حيل فيها بينه وبين العلم . فمنذ أدرك حرص أعدائه على أن يظل في غفلة من الجهل ، بدأ يكافح في سبيل نشر الثقافة وتيسير سبل العلم وموارد المعرفة ، فكانت نهضته تعليمية باهرة ، لا أغلو اذا قلت أنها أمضى أسلحتنا في نضالنا الظافر ضد الاستعمار والطغيان . وقد تخلص الشرق ، أو كاد ، من السياسة التعليمية التي رسمها له المستعمرون ، وانطلقت الأفواج من شبابنا نحو الجامعات والمعاهد العليا ، تنهل من مورد العلم وتستكمل مكونات انسانيتها ، في هذه الصروح القومية التي يعتز بها وطننا ويعقد عليها الأمل الكبير في أجيال من الشباب الواعي المستنير .

ولا يروعن القاريء أن أشير هنا الى نقص وخطأ ، فهذا - فيما أعرف وتعرف الدنيا - آية وعي ، ورمز حيوية ، ودليل طموح واصرار . وقد قال سلفنا : القناعة عجز ، ثم جاء الاستعمار يهدهد نعاسنا وغفلتنا بمثل : القناعة كنز ، والصبر طيب ، ومن رضي بقليله عاش !!

وفي الحق ، ان جهودا بذلت لاستدراك هذا النقص الفادح في جمع تراثنا القديم ، وكان قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، هو - فيما أعرف - أول من تنبه لهذا ونبه إليه ، وحمل طلاب الدراسات العليا ، على ان يرفقوا برسائلهم للماجستير والدكتوراه ، نصا محققا لمخطوط عربي .

وظهرت ثمار دعوته - وقد بدأت منذ عشرين عاما على وجه التحديد - في قيام دار المعارف بمصر ، بنشر سلسلة من الذخائر العربية في طبعات محققة .

ثم انشيء معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، واخذ يسعى جهده الى معرفة تراثنا المضيع ، ونشر بعض ذخائره .

وأدركت دار الكتب المصرية أخيرا حقيقة مهمتها في أن تتولى جمع التراث العربي ، ولعلها جادة في هذا المجال .

وللمجمع العلمي بدمشق . عناية خاصة بنشر ذخائر المخطوطات العربية ، وبخاصة تلك التي في المكتبة الظاهرية بالعاصمة الفيحاء .

وقامت الى جانب ذلك جهود فردية ، حالف التوفيق بعضها وخان اكثرها لأسباب لا يتسع المجال هنا لبيانها ، ولكن ليس من العار أن نخطيء ، وانما العار أن ندعي العصمة من الخطأ وأن نبرأ مما يجوز على البشر من سهو ونقص وقصور .

وما أشك في أن هذه الجهود المتفرقة سوف ينضجها الزمن ، وتهذبها المرانة والتجربة ، ويرشدها شعورنا بالحاجة الى تجريد حملة من العلماء بالنصوص ، الفقهاء بالعربية ، تهيأ لهم الأسباب كيما يفرغوا لجمع تراثنا المبعثر ، ثم توثيقه وضبطه وتحريره ، لكي يضعوا بين أيدي الدارسين مادة درسهم ، ويتيحوا للواعين من أبناء هذا الشرق العربي ، سبل الاتصال بأصولهم ، وادراك ذاتيتهم ، وفهم مكنوناتهم ومقوماتها .

عائشة عبدالرحمن

بقلم الدكتور/ أسامة عبدالرحمن*

☐ تواجه الثقافة تحديا مصيريا أمام بريق الذهب النفطي . وإذا كانت الثقافة رافدا من روافد الحضارة . . فكيف يمكن للترف النفطي أن يكون واجهة حضارية . . دون أن يكون له مردود سلبي على الفكر ؟

سأل سائل . لقد كان جيل ما قبل النفط يتلهف الى الثقافة ، وان كانت مشاربها ومواردها محدودة . وكان التعليم نادرا يصعب السبيل اليه . وكان المستعمر سببا رئيسيا . . والفاقة من بين الاسباب . . فلماذا ـ بعد رحيل المستعمر وتعدد مشارب التعليم وموارده ومجيء الترف النفطي ـ يبقى المجتمع متخلفا وخصوصا في الجانب الثقافي ؟

لقد انغمس المجتمع النفطي في كل شيء الا الثقافة . . وسعى المجتمع النفطي الى احتضان كل شيء الا الثقافة . . والمجتمع النفطي في غمرة الانكباب على الترف المادي . . وفي التيه بين زخارفه لم يجد متسعا من الوقت للثقافة . . وربما تلاشى عنده الاقتناع بأهمية الثقافة . . وربما أصبحت الثقافة بالنسبة له قضية لا تتواءم مع واقعه . . أو كبريق من سراب . . قد يكون لها بريق وما جدوى بريق السراب . . أمام بريق الذهب النفطي . . الذي جذب اليه كل شيء حتى الزمان والمكان . .

والثقافة أمام بريق الذهب النفطي واجهت وتواجه تحديا مصيريا لم تواجهه عبر كل عصور التاريخ . . ومامن منكر أن التاريخ ما عرف هذا

* عميد كلية الدراسات العليا ـ جامعة الملك سعود الرياض .

البريق بهذا الوهج الأخاذ في أي فترة أخرى . . وما من منكر أن الثقافة واجهت تحديات مصيرية تجاه طوفان من الجهل . . أو مد من الغزو الفكري السيء النوايا . أو سدود حالت بينها وبين قومها . . أو حراب غرزت على صفحاتها . . أو ضربات كادت أن تكون عليها قاضية . ولكن القضية أن الثقافة مع بريق الذهب النفطي مازالت تواجه تحديات جمة لعل أبرزها الترف النفطي ذاته .

أمية المتعلمين

لقد أصبح الفكر غريبا . . وأصبح المفكرون غرباء . . وازدادت الهوة بين المفكرين في جانب والقاعدة المجتمعية في الجانب الآخر . . كما ازدادت الهوة بين الفكر في جانب والقيم الممارسة في الجانب الآخر . . وليست المسألة مسألة ازدياد في مساحة الهوة فحسب . ولكن في طبيعة هذه الهوة . وفي أسبابها . . فلقد كان من أبرز أسبابها الأمية التي تسربل القاعدة المجتمعية الكبيرة . أما الآن ـ ومع بقاء الأمية سببا ـ فان العلم المقدم في طبق نفطي برز سببا أقوى من الامية . في وجود مثل تلك الهوة . .

ولعل البؤس المعيشي . أفضل من الترف النفطي من وجهة نظر الثقافة . . التي يندر أن يناصرها في وجهة نظرها هذه . المجتمع اللاهث وراء بريق الترف النفطي متعة أو عناء في سبيل المتعة . . ووجهة نظر الثقافة قد تدعمها أدلة تاريخية . . ولكن هناك أدلة تاريخية أخرى تدعم وجهة نظر معارضة . وهي ان الأزدهار المجتمعي في جوانبه الاقتصادية وغير الاقتصادية يتلاحم ويتقابل معه عادة الازدهار الثقافي .

ان الازدهار المجتمعي الراسخ الأركان . . المتكامل الجوانب . القادر على التطوير والعطاء الذاتي . . هو المعنى الأقرب لمفهوم الحضارة ، وليس ثمة منكراً أن الثقافة جزء أساسي في الحضارة . . وان الحضارة والثقافة لا يمكن أن يتضادا بل العكس هو الصحيح . . اذ أن الثقافة ـ وهي رافد من روافد الحضارة ـ تلقى من الازدهار الحضاري التربة الخصبة التي ←

تهيأ لها كل أسباب النجاح .. والنمو والانتشار .. والترف النفطي في نظر الكثيرين « حضارة » ولو كان الأمر كذلك لما كان للثقافة جمود أو اضمحلال .. بل على العكس من ذلك .. لوجدت الثقافة فيه المرتع الخصب .. ووجدت منه النصير الظهير .

الترف النفطي وأزمة الفكر

لو كان الترف النفطي « حضارة » لكانت أي حجة على أنه سبب جمودها أو اضمحلالها حجة داحضة . ان الترف النفطي واجهة حضارية .. أما ما خلف الواجهة فليس بينه وبين الحضارة عروة .. ولذا فان تلك الواجهة الحضارية مضللة .. اذ أن الترف النفطي قد خلخل حتى القيم الأصيلة التي كانت تقدر الثقافة .. وان حال بينها وبين الثقافة حائل بين فترة وأخرى .. فلقد تلاشت تلك القيم أو كادت .. واتخذت القيم الجديدة من الواجهة مظهرا لها يقدر الثقافة ولكنها خلف الواجهة تضرب بمفهوم الثقافة عرض الحائط .. وتسخر من أي معترف بالثقافة .. أو مغترف منها .. والواجهة الحضارية للترف تعطي مثلها مثل الواجهة الحضارية للقيم الجديدة كلاهما يقترف باسم الثقافة .. آثاما تتبرأ منها الثقافة .. وكلاهما يشيد بالثقافة علنا .. ويطعنها سرا .. وكلاهما يأخذ من الثقافة الغلاف .. ويطمس كل الحروف والكلمات والصفحات الناصعة .

انه لا يمكن جحود ما أسبغه النفط على المجتمع من رفاهية وترف .. فلولاه .. لما تيسر استخدام أحدث الأجهزة والوسائل والاستمتاع بأرقى السلع الاستهلاكية .. والحصول على أحسن الخدمات .. ولولاه لما كان الرصيد الكبير من حملة الدرجات العلمية .. ولولاه لما كان هذا السيل الوفير من الكتب والمجلات والصحف .. صحيح أن عددا ليس باليسير من ذلك الرصيد وروافد عديدة من ذلك السيل .. قد تقف من الثقافة على الهامش .. وربما تقف خارج هامش الثقافة .. ان الانغماس الترفي من مظاهره الانكباب على التمثيليات والاغاني .. مع أن معظم هذه التمثيليات والأغاني تكاد تكون خاوية المحتوى .. ثم ان معظم الكتب والمجلات والصحف .. قد لا تمت الى أي جانب من جوانب الفكر بصلة .. كم هي الكتب ذات المحتوى الفكري التي تجد طريقها الى هذه القاعدة العريضة اللاهية .. وكم هي المجلات الفكرية التي تستطيع الوقوف على أقدامها أو تستطيع الحفاظ على بقائها .. وكم في الصحف من الصفحات .. ما يمت الى الفكر .. وحتى ان كان هناك من الكتب أو المجلات أو الصحف ما يمت الى الفكر .. فأيها يجد الى القارىء الواعي سبيلا وأين هو القارىء الواعي .. في غمرة الترف النفطي .. فهو اما منغمس فيه .. واما لاهث وراءه وهو في الحالين .. لا يكترث بالمحتوى الفكري .. ولا يجد وقتا .. أو لا يجد رغبة في استيعاب المحتوى الفكري .. وهو في الحالين لا يميل الى استنزاف وقته في جهد فكري .. لا يشعر بمردود سريع له .. فهو أميل الى استنزاف وقته في جهد يأتيه بمردود مادي سريع .. ومتى كان للفكر مثل ذلك المردود ؟؟ وهو من بعد ذلك أميل الى الاستمتاع بوقته وقد أعطته الواجهة الحضارية من الاسباب ما يحقق له ذلك حتى لو كان غثاء .. ما عرفته الثقافة من قبل .. وما اعترف به الفكر .. فهل يبقى بعد المنين متسع من الوقت أو الرغبة في الاجهاد الفكري ؟

المظهر حضاري والغلاف فكري

وليس القارىء هو وحده المنغمس غالبا في الترف النفطي أو اللاهث وراءه .. فقد يكون الكاتب في هذه الواجهة هو أيضا منغمسا في الترف النفطي أو لاهثا وراءه .. ولذلك فان

توجهه يتفق مع توجه القارىء . . ولهذا فهو لا يفرز في أغلب الأحيان الا غثاء . . ويلقى هذا الغثاء من القارىء الاستجابة . . ويلقى الكاتب الثناء العاطر . . على غثائه . . وهو ما بذل في سبيله عناء . . وما سهر الليالي مسطرا ومختبرا . . ولا سافر بين الكلمات والصفحات الناصعة . . سفرا مضنيا . . ومن قبل ذلك وبعده ربما ليس لديه القدرة الا في الخوض في الغثاء . . فلقد فتح الترف النفطي الباب على مصراعيه . . لحشد كبير من الكتاب الذين ماهم بكتاب . . ما عرفوا قيمة الكلمة . . فأساؤوا استخدامها أو حرفوا معناها .

ان الكاتب غالبا في ظلال الواجهة الحضارية التي شيدها الترف النفطي يسعى ما وسعه الجهد ان يكون له اسم على الواجهة . . ويسعى أن يكون له أي كتاب أو مقال في هذه الواجهة . . وهو نفسه يتعامل كما يتعامل الترف النفطي براجهة مظهرها حضاري . . وما بعد الواجهة تفصل بينه وبين الحضارة أميال شاسعة . . اذ يتعامل بواجهة مظهرها ثقافي وتأخذ من الفكر غلافا سطحيا . . أما ما خلف الواجهة وما بين دفتي الغلاف . . فغثاء . . أو شبه غثاء . . والقارىء غالبا أيضا في ظل هذه الظاهرة التي أوجدها الترف النفطي يستقبل برحابة صدر أكثر الغثاء . . طالما أن المظهر حضاري والغلاف فكري . . اذ لا يهمه المحتوى كثيرا . . طالما أنه ليس لديه الوقت لتحليل هذا المحتوى . . أو ربما حتى قراءته . .

ان مجتمع الترف النفطي بين انغماس أو تطلع لم تتخلخل فيه أكثر القيم الأصيلة خلخلة أساءت الى الثقافة فقط ولكنها أساءت الى غير الثقافة أيضا . . وشتان بين مجتمع يضع القشور موضع اللباب . . ولا يجد اللباب في أكثر الاحيان له موضعا . . وبين مجتمع يضع كلا منها في موضعه . . وان حال بينه وبين اللباب حائل . . أو تكالبت عليه القشور . .

لقد كان المجتمع قبل الترف النفطي معذورا للجهل الذي كان يعيث فيه . . ويحكم نواصيه . . في ظل هيمنة استعمارية مجحفة . . لم تدعم الجهل لكي يرسخ أقدامه فحسب . . ولكنها هيأت له كل الأسباب لممارسة دوره في تأطير الفرد ضمن اطار لا يدرك فيه مشكلته . . ولا يعي واقعه . . ولا يدرك مشكلة مجتمعه . . ولا يعي واقع مجتمعه . . والهيمنة الاستعمارية المجحفة لم تفعل ذلك فحسب . . ولكنها أجهضت حتى القدرة الذاتية . . لو بدت قدرة ذاتية . . يمكنها أن تبحر حتى في بحار الجهل المتلاطمة الامواج . . الى مرافىء ترتفع عليها رايات الثقافة خفاقة .

الغثاء الثقافي

لقد أعلن المستعمر منذ مدة رحيله كرها لا طوعا . . وانفرجت أسارير المجتمع العربي اذ بدا له أن الاهتمام بالعلم واجب ولكن يبدو أن الاهتمام كان قاصرا . . أو صاحبه خلل . . أو غلب عليه السعي نحو الشهادات فبقيت الأمية حتى بعد سنوات طويلة في بعضها . . تمثل نسبة لا يستهان بها . . وطفح الكيل بالشهادات العليا . . وبقيت الثقافة في أكثر الاحيان . . غريبة في القطاع الأمي . . وربما غريبة أيضا في قطاع حملة الشهادات العليا . . فما أتيح لها أن تنمو وتزدهر . . وكانت المحصلة لما يسمى بالثقافة في أكثر الاحيان غثاء . . وليس هنا مجال الخوض في تفاصيل أسباب الغثاء الثقافي . . ولكن الواقع يقرر أن هناك ثمة سبب أو أسباب وراء ذلك . . ويستطيع المتتبع لواقع المجتمع العربي النفطي منه وغير النفطي أن يدرك أن المستعمر بقوته الحضارية الجديدة وبتعمقه في معرفة السلوك المجتمعي والفردي في هذه الدول استطاع أن يظل متحكما الى حد ما في تحديد الكثير من المدخلات والمخرجات التعليمية والثقافية وفي العديد من التوجهات التعليمية

والثقافية . .

ولعل الرافد الأدبي من روافد الثقافة يعزى طغيان الغثاء فيه الى طغيان الغثاء في القيم المجتمعية ممارسة وفعلا . . وان بقيت الواجهة تحمل رموز القيم المحمودة .

لقد غلب الغثاء على القيم المجتمعية . . وتحالف ماهو غير محمود من القيم المجتمعية المحلية . . مع غثاء القيم الوافدة . . حتى كادت أن تتلاشى من قاموس القيم . . معظم ملامح القيم المحمودة . . لقد أصبح من المألوف أن يشار الى « النزيه » كعملة نادرة ولكن حتى هذه الاشارة التي تحمل الثناء العاطر ظاهرا هي من وراء الكواليس تعتبره « مغفلا » أذ يصبح انتهاز الفرص في سبيل تحقيق المصالح الفردية الآنية . ولو حتى على حساب المصلحة العامة في القطاعين العام والخاص « شطارة » أولم يفرض الكثير من مظاهر السلوك المجتمعي والفردي المنحرفين وجودهما . ويحظى بالقبول والرضا . أولم يلبس الباطل ثياب الحق ويتهك حرمته . . ويستبيح داره ويلقي به خارج الأسوار . أم يصبح الرياء والنفاق صفتين يظهر المجتمع في بعض الأحيان غضبته عليهما ظاهرا وهو يباركهما باطنا .

ويبارك من يباركهما ؟ وما قيمة المفكرين والعلماء فعلا في مثل هذه المجتمعات ؟ وهل هناك مناخ مجتمعي ينمو فيه الفكر ويبرز فيه عطاء المفكرين ؟ وأين هم المفكرون وهل كانت لهم ريادة مجتمعية ؟ والكاتب والقارىء صنوان في هذا المجتمع الذي كادت أن تمسخ فيه كل القيم المحمودة على محك الممارسة . ولذا فليس بمستنكر ان كان مسلكهما متوائما مع الغثاء من القيم وليس بمستنكر أن يكون توجههما كتابة وقراءة نحو الغثاء . .

والمجتمع بهذه الصورة يندر أن يجد فيه كاتب أو قارىء لم يسلك سبيلهما ضالته فيه . . وكيف يجد ضالته . . والمجتمع بقيمه قد قتل الضالة . . وكيف يفتح مثل هذا المجتمع ذراعيه لكاتب أو قارىء لا يتبنى ما يتبناه هذا المجتمع حتى لو كان غثاء . .

الرافد العلمي في الثقافة

أما الرافد العلمي في الثقافة وهو الرافد القوي في الحضارة الجديدة بكل أبعادها فان دول العالم الثالث تكاد كلها تكون بمعزل عن هذا الرافد . أو على الأقل لا يكاد بعضها يحظى الا بقطرات لا تروي غليلا ولا تيسر وحدها خلق رافد حي قادر على العطاء . . وعلى تنمية القدرات الذاتية المبدعة . ويحاول المستعمر ألا ينكشف الرافد العلمي في الثقافة للمجتمع في الدول النامية ولذلك فهو يضرب حوله حصارا شديدا وكما يريد الطين بلة أن المجتمع في الدول النامية ، يحاول أن يجد الى ذلك الرافد سبيلا . ولم يحاول أن يوجد رافدا ذاتيا ويعطيه من فكره وجهده وعرقه ما يمكنه من التطور والاستمرار .

ان دول العالم الثالث ـ وخصوصا ما يتمتع منها بوفرة مالية ـ انغمست في الاستمتاع بالجانب المادي الاستهلاكي من نتاج الفكر العلمي في الدول المتقدمة وذلك من بسهولة بمكان . غير أن هذا الانغماس الاستهلاكي يحقق للدول المتقدمة ما ترجوه . وطالما ظلت الدول النامية مستهلكة وغير قادرة على العطاء من خلال القدرة والمعرفة الذاتية فانها ستستمر معتمدة على الدول المتقدمة ويظل هذا الاستمرار لان الحصار المضروب حول المعرفة العلمية . قوي ومستمر . . ومسألة الحصار المضروب يجب ألا تكون بمثابة المشجب الذي تعلق عليه كل أسباب التخلف العلمي في أكثر الدول النامية ذلك أن الأقطار العربية ـ شأنها شأن أكثر دول العالم الثالث ـ لم تعن كثيرا بالبحث العلمي . .

ان انفاق الدول النامية على البحث لا يشكل نسبة تذكر من ناتجها القومي الاجمالي . . وقد تكون هذه النسبة كافية لبناء الواجهة . . أما

البحث العلمي فيكاد يكون من الندرة بمكان . وقد يكون التوجه المجتمعي من أسباب هذا القصور . . وقد يكون من أسبابه أيضا الشعور بالاحباط وعدم القدرة على الخوض فيه مقارنة بالدول المتقدمة وهذا جزء من تأثير « الاستعمار الفكري » (ومثل هذا الموضوع يستحق تحليلا مفصلا ومنفصلا) . والقضية ليست قضية انفاق فحسب . . ان العديد من الكتب والمجلات ينفق عليها الكثير ولكن ماهو العطاء الفكري في هده الكتب والمجلات . . والقضية ليست قضية انشاء نوادٍ ثقافية أو ادارات للثقافة والعلوم والفنون . . أو هيئات للبحث العلمي . وربما وزارات لبحث العلمي . صحيح ان انشاء مثل هذه الكيانات مرغوب لو توفرت لها أسباب النجاح ولكن حين تكون هذه الكيانات واجهات . . فليس ثمة نجاح يتوقع من ورائها . .

انحراف القيم المجتمعية

لو أحصيت الكتب والمجلات التي غمرت الأسواق في الأقطار العربية سواء ما كان منها صناعة محلية . . أو صناعة مستوردة خلال العشرة أعوام الأخيرة لجاء الرقم أكبر بكثير مما نتوقع ورغم ضآلة الانفاق على البحث العلمي . فان أي احصاء للبحوث التي تمت خلال العشر أعوام الأخيرة سيجيء رقما أكبر بكثير مما نتوقع أيضا . ولو أحصينا عدد الأندية والهيئات . . التي تم انشاؤها خلال العشرة أعوام الأخيرة لكان الرقم أيضا أكبر بكثير مما نتوقع . واذا كان الأمر كذلك فأين تأثير ذلك في تقدم هذه المجتمعات ؟ قد تكون هناك أسباب متعددة وراء ضآلة التأثير أو جموده أو انعدامه . . ربما كان من أبرزها غلبة الغثاء على المعين الأصيل . . وغلبة المظهر على المخبر . . وغلبة القيم المجتمعية والتوجه المجتمعي المنصرف الى غير ذلك . على القيم المجتمعية والتوجه المجتمعي المنصرف اليه . . والنتيجة أيا كانت الأسباب واحدة . وهي انحسار الفكر . . او انحرافه مع انحراف القيم المجتمعية . . للضغوط المفروضة عليه والسدود الحائلة دون امتداد عطائه وتغلغل غير أهله . . وربما تغلبهم على أهله وعدم اعتراف المجتمع بأهل الفكر في بناء اختلط فيه عدم التقدير بعدم الاكتراث بعدم المبالاة . .

والترف النفطي ليس مسئولا وحده عن كل هذه الامور ذلك أن الاقطار العربية غير النفطية لا يكاد يختلف فيها واقع الفكر وممارسته ومحيطه اختلافا بينا عن واقع الفكر وممارسته ومحيطه في الاقطار النفطية صحيح أن الترف النفطي ربما لم يقف أثره عند الاقطار العربية النفطية ولكن كان له أثر ممتد وان كان أقل عموما في الأقطار العربية غير النفطية . ولهذا فان مع الترف النفطي أسبابا أخرى بعضها بين وبعضها غير بين . لكنها مجتمعة مسئولة عن انحسار الروافد الثقافية بشتى ألوانها ومشاربها أو غلبة الغثاء فيها عن المعين النقي

ان المجتمع العربي مازال فيه مفكرون ومازال فيه نفر يقدرون الفكر حق قدره وفيه من يستطيعون حمل روافد . . او اثراء روافد . وفيه من أهل الأدب من يعتز بهم الادب . . وفيهم من أهل العلم من يفخر بهم العلم . ولكنهم اما قلة لم تقدرها الكثرة واما قلة ما وجدت لها مناخا مناسبا . ولذلك فان الاصلاح ممكن وليس مستحيلا . . وممكن ولكنه صعب . . والمجتمع في الأقطار العربية ان أراد أن يأخذ من التنمية الثقافية الحقيقية بأسبابها . . ويمتلك نواصيها . ويضع قدميه على بداية الطريق القويم للوصول الى أهدافها المرجوة فان عليه أن يصحح مساره . . ويعدل مسلكه وينكب على اللباب . . ويدوس على القشور . . وأرجو أن يكرس جهده لذلك . . فان فعل فقد أفلح . . □□

أرقام!

نملك الأدوات ويستخدمها الآخرون

« نحن والغرب » قضية قديمة

واذا كانت جيوش المسلمين قد عبرت البحر لتصل الى أطراف أوروبا بحثا عن بقعة جغرافية جديدة تنشر فيها دعوة الاسلام ، فان جيوش الغرب قد عبرت البحر نفسه ولكن في اتجاه مضاد لعشرات المرات ولأغراض اخرى لا تتصل بالعقيدة .

قديما كان الاستعمار المباشر ، بجيوشه وأساطيله .

حديثا . . كان الاستعمار الاقتصادي .

وحديثا جدا . . كانت تلك القضية الشائكة : تواصل فكري وثقافي وحضاري . . أم استعمار جديد وتبعية من نوع آخر ؟

وربما كان الخيط دقيقا بين التفاعل الضروري بين الحضارات ، والانتقال اللازم للأفكار . . وبين ما يسمى تبعية فكرية يسيطر فيها أحد الاطراف على أنماط وسلوكيات الفكر عند طرف آخر ، وبما يؤثر في عملية اتخاذ القرارات في مجتمع ما .

الهيمنة هي القضية وليس الانفتاح على العصر ، والاستزادة من أفكار الاخرين . فالانفتاح والاستزادة أداتان ضروريتان للتقدم

ولكن . . كيف تحدث الهيمنة ؟ . . بنوعية الرسالة الفكرية أو الثقافية أو الاعلامية التي تنتقل عبر الحدود لتغزو عقول الآخرين ؟ . . أم بكمية هذه الرسائل ومدى احتلالها لمساحة من العقل والوجدان ؟ أم بالا . . . سما .

ولسنا بحاجة الى أن نقول أن الاثنين معا يصنعان ذلك الوجدان المرتبط غربا ، والمتأثر بأسلوب تفكير ونمط حياة وظروف حضارة . . غير عربية في النهاية .

وفي هذا الاطار واذا تتبعنا خيطا واحدا في أداة واحدة . اذا تتبعنا كم من المواد التلفزيونية التي تدخل البيت العربي أو بيت الانسان الذي يعيش في العالم الثالث بشكل عام . . اذا فعلنا ذلك فاننا سوف ندرك ذلك الفرق الهائل بين صياغة العقل في الجنوب ، وصياغة العقل في الشمال . . بشرقه وغربه .

في دراسة لمنظمة اليونسكو عام ١٩٨٣ تأتي بعض المؤشرات الهامة . الدراسة تحت عنوان تدفق التليفزيون ـ شارع في اتجاه واحد . والنتائج الرئيسية تقول ان الغرب يصدر المواد التليفزيونية . . وشرق اوروبا يستورد ويصدر . . أما الجنوب ـ وهو العالم الثالث ـ فهو يستورد فقط وبنسب هائلة تلفت النظر ، ووفقا للأرقام التي جاءت في الدراسة فان أميركا اللاتينية تستورد نصف ما تعرضه في التليفزيون من برامج غير اخبارية . . وآسيا تستورد ثلث ما تعرضه . أما الدول العربية فانها تستورد ما بين ٣١٪ الى ٥٧٪ مما تعرضه محطات التليفزيون بها ، وأكبر المصدرين لكل هؤلاء : الولايات المتحدة الأميركية .

وقد تناولت الدراسة ست دول عربية فقط هي :

السعودية واليمن الديمقراطية والكويت ومصر ولبنان والعراق . ورغم أن الدول الست تدخل فيما يسمى (المشرق العربي) فان المغرب العربي لن يكون على الأرجح أفضل حالا .

المهم ـ وفي تحليل هذه الأرقام ـ يمكن القول ان الفروق قد سقطت في معظم الأحوال .

فالدول ذات الأعداد السكانية الكبيرة وذات الامكانات البشرية قد تساوت أو اقتربت في استخدام

بقلم : محمود المراغي

المواد الاجنبية من دول قليلة السكان أو قليلة الموارد .

أيضا . . فان الدول ذات النظام السياسي القريب من الليبرالي قد تساوت في موقفها مع تلك التي تأخذ بالنظام الاشتراكي . وبينما اختارت بعض الدول نظام الاقتصاد الموجه فانها لم تفعل نفس الشيء وبنفس الدرجة وهي تستقبل برامج غربية بنسبة تزيد عن نصف ما تعرضه . .

. دليل ذلك أن نسبة ما تستورده اليمن الديمقراطية من بر ج قد بلغ ٥٧٪ مما تعرضه في التليفزيون، بينما هبط الرقم الى ٤٠٪ في محطة لبنان والمشرق و ٣١٪ في المملكة السعودية .

الاختلافات السياسية والثقافية واختلاف التوجهات لم تكن اذن فيصلا في الانفتاح أو الانغلاق على (الغرب التليفزيوني) .

وربما كان القاسم المشترك والمؤثر أنها جميعا دول حديثة العهد بتلك الاداة الاعلامية الخطيرة : التليفزيون . . وربما كانت حداثة الخبرة أو ضعف الامكانات في بعض الحالات سببا للتوسع في استقبال البرامج الاجنبية على هذا النحو .

على أي حال وأيا كان سبب التوسع في الاستيراد ـ ولانقول التبادل الاعلامي أو المعرفي ـ فان السؤال الرئيسي : ما هو تأثير ذلك القرار غير المعلن . . المقصود أو غير المقصود . . بأن تخاطب البرامج الاجنبية (والاميركية في الاساس) عقول شعوبنا بما يزيد عن نصف المساحة الزمنية المتاحة ؟ . . وما هو تأثير ذلك بالنسبة لشرائح تزداد فترات مشاهدتها كالنساء والشباب والاطفال ؟ أي قيم تحملها تلك البرامج ؟ وأي عادات وتقاليد تبثها في عقول مشاهدينا ؟ . . ثم . . واذا انتقلنا الى الأداة التكميلية للتليفزيون وهي (الفيديو) فأي مساحة يحتلها ذلك الجهاز الحديث . . وبأي برامج وأفلام ، خاصة أن دراسة اليونسكو تشير الى أن نسبة الافلام والمسلسلات المستوردة تصل في بعض المحطات العربية الى ١٠٠٪ مما تعرضه ؟ . أي أن نسبة الانتاج المحلي صفر،والمستورد وفي فترات الافلام والمسلسلات يحتل الزمن كاملا .

هل نقول انه التطور الطبيعي . . والتفاعل اللازم ؟ . . ولكن . . من قال ان القيم تتوافق والحاجة لأنماط من السلوك والاستهلاك العربية تتفق مع ما يفرزه الغرب وتفرضه واشنطن ؟ من قال ان شعوبا تتطلع الى اشباع الحاجات الاساسية بحاجة الى أنماط دول وشعوب وصلت الى مرحلة الرفاهية ؟ . . من قال ان الشعوب التي تعلي قدر القيم الروحية والانسانية بحاجة ان تنتقل لذلك الطراز من القيم المادية الذي يسيطر على الغرب ؟

الأمر بحاجة الى دراسة تتجاوز البحوث المتعجلة ، فالأمر يتعلق بعقل الانسان العربي ، وأخشى ما أخشاه أن يكون المنطق السائد . . أننا نمتلك أدوات العصر ثم نبحث لها عن وظيفة . واذا كان التليفزيون نموذجا بارزا أوجدناه ليحتله غيرنا ، فان النماذج الأخرى كثيرة . .

والمنطق واحد : عربيا أو في العالم الثالث . . فنحن جزء من هذا العالم بايجابياته وسلبياته ومشاكله . . والتجربة هنا لا تختلف عن التجربة هناك . . والقضية : أي قدر من الاهتمام والتخطيط نوليه لقضية العقل . . وأي قدر من ذلك الاهتمام والتخطيط نوليه للركن المادي من الحضارة : امتلاك الأدوات وبناء الا صاديات والتوسع في الاستهلاك ؟

وربما يكون اختلاف ... الاهتمام نقطة الخلل وبيت الداء . . ومن ... نفذ (البرنامج التليفزيوني الغربي) الى داخل كل بيت . . وبهذه النسب الهائلة . .

ماذا أعددنا لمواجهة :

بقلم : حمدى قنديل

□ بعد سنوات قليلة سوف تهبط علينا من الفضاء برامج تلفزيونية واذاعية ، من قبَل الأقمار الصناعية . ولن نتمكن من صدها !

وسنواجه تحدى اجتياح الثقافات الأجنبية - وبالتحديد الثقافة الغربية - للثقافة العربية ، فماذا أعددنا لمواجهة هذا التحدى ، قبل فوات الأوان !

ان "العربي" تطرح هذه القضية ، وتفتح صفحاتها لكل صاحب رأى . .

من ابرز المشكلات التى تواجه العالم فى الثمانينيات مشكلة أقمار الاذاعة المباشرة Direct Broadcast Satellites وهى مشكلة لاتهم رجال الاتصال وحدهم ، وانما تهم الأوساط الثقافية والسياسية والقانونية وغيرها . كما أنها لا تهم الدول الصناعية وحدها ، ولكنها تهم الدول النامية أيضا ، وسوف تكون الدول العربية فى مقدمة الدول النامية التى ستتأثر بهذا التطور ، وذلك بحكم قربها من الدول الأوروبية ، ووقوع بعضها - خاصة دول شمال أفريقيا - فى مجال تغطية البث التلفزيوني للأقمار الأوروبية التى ينتظر أن يبدأ اطلاقها فى العام القادم ١٩٨٥ .

ومن ناحية أخرى سوف تتعرض الدول العربية للبث التلفزيونى المباشر من القمر الصناعى الذى أفصحت اسرائيل مؤخرا عن أنها

تنوي اطلاقه في السنوات القليلة القادمة

وبالرغم من أن هناك خططا لاطلاق عدد من أقمار الاذاعة المباشرة في بلدان مختلفة في منتصف الثمانينيات ، الا أن البعض مازال يتنبأ بأن هذه الأقمار لن يروج استخدامها الا في نهاية هذا القرن . ويعزو بعض هؤلاء السبب في ذلك الى أنه مهما تقدمت التجارب التي تجرى في هذا الشأن ، الا أننا نجد أن الانتقال في التكنولوجيا من مرحلة انتاج النماذج الى مرحلة « الانتاج بالجملة » يأخذ عادة وقتا أطول من المتوقع ولكن المشكلات الصعبة حقا ليست هي المشكلات المتعلقة بالتكنولوجيا ، بقدر ما هي تلك التي تتعلق بالسياسة والقانون والثقافة ، والتي ستنشأ عندما يتعدى البث الفضائي حدود دول ليغطي دولا أخرى .

وتكمن المشكلة هنا في أن مجال التغطية لقمر تطلقه دولة ما لا يمكن أن يتطابق مع حدود تلك الدولة ، ولكنه يتعدى تلك الحدود ليصل بالبث الى الدول المجاورة . وهذا التجاوز Spillover هو الذي يزعج تلك الدول التي قد لا تكون راغبة في تلقي البرامج الوافدة . وقد يكون تطفل مثل هذه البرامج مقصودا ، بمعنى أن الدولة التي تقوم بالبث تقوم به عمدا وباصرار لإيصال رسالة معينة الى المشاهدين في دولة مجاورة رغم أنف حكامها ، أو تحت أنف حكامها . وقد لا يكون هذا لبث مقصودا كما يحدث الآن بالنسبة للبث التلفزيوني الذي يتم بالشبكات الأرضية .

ولكن أقمار الاذاعة المباشرة سوف تجعل هذا البث يغطي مناطق أوسع ، بل يغمر دولا بكاملها . وربما جعلت تلفزيون في يوم ليس ببعيد أقرب ما يكون الى اذاعات الراديو الموجه في يومنا هذا . لكن البث التلفزيوني سوف يكون أعمق تأثيرا فيمن يتلقاه من ذلك الذي أحدثه الراديو . ذلك أن المادة السمعية البصرية - كما هو معروف - أقوى تأثيرا من المادة الصوتية وحدها

وبالطبع فان هذا سوف يزعج كثيرا من الدول التي تختلف في نظمها السياسية مع تلك الدول التي تبث البرامج التلفزيونية بأقمار الاذاعة المباشرة . ولكن مثل هذا الارسال في الوقت ذاته لا يريح حتى تلك الدول التي تتشابه في ثقافتها وعقائدها السياسية

ونستطيع أن نرى هذا في وقتنا الحالي حتى قبل أن يبدأ الارسال التلفزيوني المباشر بالأقمار الصناعية . فقد رفضت هيئة الاذاعة البريطانية BBC بث برنامج « شارع السمسم » Sesame Street الذي أنتجته الولايات المتحدة ، لأنها تعتقد أنه يحمل الى أطفالها قيما غريبة عنهم وبدأت الهيئة منذ عام ١٩٨١ خطة يتم تنفيذها على مدى ثلاث سنوات لخفض نسبة البرامج المستوردة التي تذيعها . وينطبق هذا الأمر على كثير من الدول الأوروبية ، خاصة تلك الدول التي لا يوجد بها تلفزيون غير تجاري لا يستهدف الربح . ولذلك لا يلهث بالضرورة وراء البرامج الأمريكية وما فيها من عنف وإثارة وجريمة وجنس يجتذب المشاهدين والمعلنين من

ورائهم . وفي فرنسا على سبيل المثال ظهر إعلان في صحيفة « لوموند » في سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ نشرته جماعة جديدة سمت نفسها باسم « لجنة الهوية الوطنية » Comit d'identite nationale قالت فيه ان الأفلام السينمائية الأمريكية تمثل ٤٠ في المائة من الأفلام التي بثها التليفزيون الفرنسي و ٣٥ في المائة من تلك التي تعرضها دور السينما ، وان السينما صورة حقيقية من صور الهوية الوطنية ، فاذا ما خضعت للمصالح الأجنبية فسوف تؤدي الى اجتثاث الثقافة الوطنية من جذورها .

التحكم فى البرامج

وفي كندا يعتبر الموقف أكثر سوءا ، وذلك نتيجة لمتاخمتها للولايات المتحدة ، أكبر مصدر للانتاج التلفزيوني في العالم ، حيث يستطيع نحو ٦٠ في المائة من سكان البلاد أن يشاهدوا بانتظام وبوضوح برامج المحطات الأمريكية للحدود ، أو البرامج التي تنقل اليهم بواسطة شركات للتلفزيون السلكي . ولكن المشكلة تفاقمت في السنوات الأخيرة مع بدء استخدام الأقمار الصناعية في الولايات المتحدة . ويقول باحث كندي : « انه بعد أن تعرض الكنديون لآلاف الساعات من المسلسلات البوليسية الأمريكية ، فان كثيرين منهم لا يستطيعون تمييز رجال الشرطة الفيدرالية ، وكثيراً ما يخلطون بين الجندرمة الملكية وبين المباحث الأمريكية FBI أو وكالة المخابرات المركزية CIAكذلك فان نظام القضاء الكندي يعاني من الشيء نفسه ، وكثيرا ما يختلط الأمر على المواطنين في التمييز بينه وبين نظام القضاء الأمريكي . يضاف الى ذلك النفوذ الأمريكي على عوامل أكثر حساسية في المجتمع

ولكن نفوذ التلفزيون الامريكى لن يكون مقصورا على كندا وحدها عندما يبدأ فى استخدام أقمار البث المباشر ، بل سيتعداها ليشمل أيضا مناطق كبيرة من أمريكا اللاتينية ، وليعم العالم كله من خلال بث البرامج الامريكية بواسطة الشبكات الفضائية التجارية التى سيتوالى انشاؤها .

ولا يقتصر الأمر على البرامج وحدها ، وانما يشمل الاعلانات أيضا ، إذ بامكان الاعلانات أيضا أن تنقل قيما غربية كتلك التى تنقلها البرامج تماما ، كما أنها قد تحمل رسائل تتعارض والنظم القائمة فى بلدان أخرى . فهناك بلدان كثيرة ، من بينها فرنسا على سبيل المثال ، تمنع الاعلان عن السجائر وكذلك عن المشروبات الكحولية ، فما الذى سيكون عليه الموقف عندئذ اذا تطفل على البلاد بث تلفزيونى يحمل اعلانات عن هذه السلع ؟

ان الحل الذى لجأت اليه بعض البلدان فى أحوال مماثلة عندما يصلها ارسال تلفزيونى من بلد مجاور هو اللجوء الى بيع أجهزة استقبال تلفزيونى تقتصر على التقاط ترددات معينة هى ترددات محطة التلفزيون المحلية ، ومنع استيراد أجهزة أخرى . وبعض البلدان يلجأ الى التشويش على هذا الارسال ، تماما كما يتم التشويش على موجات الراديو الأجنبية الموجهة . وهناك البعض الآخر الذى يسلم بالأمر الواقع ، سواء عن رضا أو عن كراهية ، كما سلمت الدول العربية المواجهة لاسرائيل بالارسال التلفزيونى الاسرائيلي .

التضارب مع حقوق الانسان

والواقع أن المشكلة فى صميمها هى انعكاس

لتضارب عميق بين حقين من حقوق الانسان ثم التذكير بهما فى كل الاعلانات الرسمية والدولية ، وهما من جهة الحق فى الاتصال وحرية التعبير ، ومن جهة اخرى حق الثقافات فى حماية اصالتها وهويتها ، ومن العسير طبعا قبول أى تضارب بين هذين الحقين ، وان كان من العسير أيضا التوفيق بينهما .

ولكنه مهما كان الأمر ، فيجب أن نسلم بحقيقة لا مناص من الاعتراف بها ، تلك أنه لا ردة فيما حققته التكنولوجيا من تقدم ، وان هذه التكنولوجيا - وخاصة تكنولوجيا الفضاء - أصبحت على أبواب الوطن العربي ، وانه خلال سنوات قليلة سوف تهبط علينا من الفضاء برامج لن يمكننا صدها عن سمائنا . ولن يمكننا أن « نسد » قنوات التلفزيون الاجنبية لأن بعض برامجها قد تحدث مثل هذا الأثر السلبي أو ذاك ، فربما كان البعض يتذرع بذلك حتى يحجب عن الجمهور مصادر اعلام جديدة . كما اننا لا نستطيع أن نمنع أجهزة تسجيل الفيديو - وهى آخر تكنولوجيات الاتصال التى دخلت البيت العربي - لمجرد أن بعض الناس يستخدمونه فى مشاهدة برامج خارجة على الاخلاق واللياقة ، أو أن بعض الموزعين لأشرطته يتاجرون بمواد لايملكونها .

وقد بدأ المجتمع الدولى يتنبه الى هذه المشكلات منذ بداية السبعينيات ، وأدت المناقشات التى جرت فى عدة دوائر دولية ، وخاصة فى اطار منظمة اليونسكو ، الى وضع « اعلان بالمبادىء الرائدة لاستخدام الاذاعة عن طريق التوابع الصناعية من أجل حرية تداول المعلومات ونشر التعليم وتعزيز التبادل الثقافى فى عام ١٩٧٢ » . ودعا الاعلان الى أنه « مراعاة لمبدأ حرية الاعلام ، يجب على الدول أن تبادر الى عقد اتفاقيات بشأن الاذاعة المباشرة من التوابع الى غير مكان البلد الذى تصدر عنه البرامج » . كما ورد بالاعلان نص آخر يقول انه « تراعى فى اعداد البرامج لاذاعتها مباشرة على بلاد اخرى أوجه الاختلاف فى القوانين الوطنية للبلاد المستقبلة للاذاعة » .

وفى العام السابق كان الاتحاد الدولى للاتصالات ITU قد أضاف الى « قواعد الراديو » الدولية فقرة (٤٢٨/أ) تقول انه « عند وضع المواصفات الخاصة بمحطة فضائية فى خدمة الاذاعة الفضائية ، سوف تستخدم كل الوسائل الفنية المتاحة كى تقلل - الى أكبر حد عملى - الاشعاع الى أراضى البلدان الأخرى ، الا اذا تم اتفاق مسبق مع مثل هذه البلدان » وقد فسرت معظم الدول هذا النص على أنه تثبيت لضرورة الموافقة على تجاوز البث التلفزيونى الفضائى للحدود الدولية ، واعتبار ذلك مبدأ جديدا من مبادىء القانون الدولى . ولكن الولايات المتحدة ومعظم دول أوروبا الغربية كانت تعارض هذا المبدأ .

وظلت هذه الدول على موقفها عندما اتخذت الجمعية العالمية للأمم المتحدة فى عام ١٩٨٢ قرارا (٩٢/٣٧) تضمن أنه « على كل دولة مرسلة أو مستقبلة فى اطار خدمة الارسال التلفزيون الدولى المباشر بواسطة التوابع الاصطناعية تطلب اليها ذلك دولة اخرى مرسلة أو مستقبلة فى اطار الخدمة نفسها ، أن تدخل فورا فى مشاورات بشأن أنشطتها فى ميدان الارسال التلفزيوني الدولى المباشر بواسطة التوابع الاصطناعية مع الدول التى طلبت المشاورات ، وذلك دون الاخلال بأية مشاورات أخرى قد تجريها هاتان الدولتان مع أية دولة أخرى في هذا الموضوع » .

وتحاول الدول العربية في الوقت الحالي أن تستخدم هذه المبادىء حتى تحول دون اطلاق القمر الصناعي الاسرائيلي ، أو دون استخدامه لبث برامج التلفزيون الاسرائيلية مباشرة الى بيوت المشاهدين العرب . ولكن الدول العربية لم تثر اعتراضا على أي من الأقمار الصناعية الاوروبية التي سيبدأ اطلاقها بعد عام أو عامين على الأكثر .

وفي الواقع تبدو الدول العربية كما لو كانت في حيرة ازاء البث التلفزيوني الفضائي الذي سيأتيها من الخارج . وقد لاحظت هذا بعثة خبراء كان قد استعان بها اتحاد اذاعات الدول العربية في عام ١٩٨٣ . اذ قال هؤلاء انه « في حين رأى بعض هؤلاء الذين التقت بهم البعثة أن مسألة الغزو الثقافي الاجنبي مسألة مبالغ فيها . وأنه شعار تتدرع به الحكومات التي لا تطمئن لشعوبها ، فقد رأت الغالبية أن هناك خطرا من اجتياح الثقافات الغربية للمقومات الثقافية العربية . وان هذا الخطر قائم في الوقت الحالي قبل أن ندخل عصر الفضاء ، نتيجة لنوعية البرامج التي تستوردها وتبثها محطات التلفزيون العربية » .

مواقف متباينة

واذا ما حللنا وجهات النظر المطروحة الآن في الساحة العربية بهذا الشأن لأمكننا أن نميز بين أربعة مواقف مختلفة . فهناك أولا المؤيدون للانفتاح التلفزيوني لأسباب متعددة منها أن المواطنين العرب يمكنهم بالفعل الاستماع الى الاذاعات الأجنبية . ويمكنهم مشاهدة بعض محطات التلفزيون الأجنبية بما في ذلك التلفزيون الاسرائيلي ، وانه لا يمكن الوقوف في مواجهة التقدم التكنولوجي ، وانه يجب الثقة بوعي المواطن العربي . وبقدرات محطات التلفزيون العربية .

وهناك ثانيا المتحوفون من « الغزو الثقافي » لأسباب مختلفة . من بينها أن البث الأجنبي سيحمل قيما مخالفة لقيم المجتمع العربي . وانه سيروج لدعايات كاذبة وقد يهدد الأمن القومي ذاته . وانه سيشيع انماط السلوك الاستهلاكي بالاعلانات التي يبثها مما يؤدي الى تخريب الاقتصاد الوطني ، وأن القبول بالبث الاسرائيلي خاصة انما هو بمثابة تطبيع للعلاقات التلفزيونية والثقافية والسياسية مع اسرائيل .

وهناك ثالثا المؤيدون للمنع والسماح الانتقائي . كأن نسمح باستقبال البث الموجه من الدول الصديقة ونمنع ذلك الموجه من الدول المعادية ، أو كأن نسلم بأن القادرين دون غيرهم سوف يستطيعون شراء الأجهزة التي تمكنهم من التقاط البث « اذ أنه خلال السنوات القليلة القادمة لن يمكن الالتقاط بجهاز الاستقبال العادي . وانما سيكون من الضروري شراء هوائي معقد نسبيا ليلتقط الاشارة التلفزيونية من القمر الصناعي مباشرة » .

وهناك رابعا كثيرون حائرون بين ايمانهم بحرية الاتصال وحرية المواطن في تلقي الارسال الذي يريده من ناحية . ومن ناحية أخرى رغبتهم في صون ذاتيتهم الثقافية وحماية مواطنيهم من المخاطر المختلفة

ويؤكد هذا التضارب بين وجهات النظر المختلفة الحاجة لدراسة شاملة تشارك فيها أوساط عديدة بشأن المواقف التي يمكن اتخاذها حيال الارسال التلفزيوني الأجنبي بالأقمار الصناعية : الآفاق التي نفتحها ، والتحديات التي نجلبها ◻◻

نحو سياسة
عربية قومية للاتصال

بقلم : الدكتور احمد حسين الصاوي

اكتسب الاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين بعدا عالميا عميق الجذور متعدد الجوانب وكان ذلك نتيجة حتمية لعدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، بالاضافة الى الثورة التقنية التي أدت الى عدة مظاهر نشهدها ونحسها جميعا ونعني في مقدمة هذه المظاهر السرعة الفائقة التي تمارس بها وسائل الاعلام الحصول على المادة الاعلامية ثم بثها ونشرها ، وقيام شبكة معقدة من العلاقات مختلفة الأنماط والاشكال امتدت عبر العالم كله وتأثر بها الانسان في كل مكان فلم يعد من الممكن لأي شعب ان يعيش بمعزل عن العالم واصبحت كل امة ، بل كل مجموعة بشرية ، تمثل جزءا من الواقع اليومي لسائر البشر

كان طبيعيا ان يؤدي هذا الوضع الاعلامي المتميز الى بروز عدد من المتناقضات التي اسفرت عن عدة مشكلات شائكة :

- لقد اصبحت شعوب كثيرة - تضمها أساسا مجموعة دول العالم الثالث - تمثل « المستهلك الاعلامي » ، بينما تمثل الدول الصناعية المتقدمة في الغرب « المنتج الاعلامي »

- وبالرغم من تحرر أكثر من بليونين من الناس - يكونون بضعا وثمانين أمة - من ربقة الاستعمار في هذه الحقبة ، فان ظروف العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية وغيرها أدت الى أن تقع هذه المجموعة الضخمة من البشر - مع غيرها من الامم النامية - تحت سيطرة العالم المتقدم سياسيا واقتصاديا . والأخطر من هذا أنها وقعت ، من خلال الاعلام ، تحت سيطرته الثقافية والفكرية

- واتضح قصور استقلال دول العالم الثالث ازاء التبعية الاعلامية الواضحة . وأصبح لابد من « الاستقلال الاعلامي » مع كل من « الاستقلال الاقتصادي » و « الاستقلال السياسي » لكي يصبح مدلول الاستقلال كاملا غير منقوص .

- وأدت الهيمنة الاعلامية ، من خلال مؤسسات الدول المتقدمة ، الى احكام نفوذها على الهياكل الاعلامية في الدول النامية . وأثر ذلك بوضوح على عملية التدفق الاعلامي ، فأصبحت في معظمها فيضا غامرا من جانب واحد . ومن هنا أصبح الاختلال الكبير والتفاوت الصارخ من أبرز سمات الاتصال الدولي بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية ، أو - كما يقولون - بين الشمال والجنوب .

ـ كان لهذا الاختلال في عمليات الاتصال الاعلامي آثار بعيدة على انسان المجتمعات النامية سياسيا واقتصاديا وثقافيا . وفي الوقت نفسه تعاظم شعور الانسان الغربي بتفوقه الحضاري ، مع تزايد نصيبه من الجهل بالحقائق الضرورية عن البلاد النامية .

نظام عالمي للأعلام

غير ان ردود الفعل لم تلبث أن تفجرت ، وعلت الأصوات المعترضة على هذا الوضع الرافضة له ، والداعية الى اقامة « نظام عالمي جديد للاعلام » يساعد دول العالم الثالث على تحقيق شيء من « التوازن » في عملية الاتصال على المستوى الدولي .

وأسهمت منظمة اليونسكو اسهاما مباشرا وقويا في بلورة ردود فعل العالم الثالث ، فتتابعت جهودها في السنوات الاخيرة لتأكيد ضرورة تداول المعلومات بصورة اكثر توازنا على المستوى العالمي أو في داخل كل مجتمع وكثفت المنظمة الدولية نشاطها لمحاولة الوصول الى تخطيط عملي يتفق ورسالتها التي آمنت بها واعلنتها في أكثر من مناسبة ، وهي تستهدف تأكيد حرية البحث عن الحقيقة ، وحرية تبادل الافكار والمعلومات ، وتنمية وسائل الاتصال بين الشعوب لتحقيق تفاهم افضل ، على أساس أن ممارسة حرية الرأي وحرية التعبير وحرية الاعلام ، ـ وهي من حقوق الانسان الاساسية ـ عامل جوهري في دعم السلام والتفاهم الدوليين . ومن ثم تتابعت الملتقيات والمؤتمرات التي سعت اليونسكو الى عقدها ، والتي انتهت الى عدد من التوصيات البناءة ، وبقدر ما كان لهذه الجهود من اثر طيب بين أبناء العالم الثالث ، فانها أثارت تيارا من الغضب وردود الفعل المضادة في الاوساط الاعلامية الغربية ، ووصفت احتجاجات العالم الثالث ومحاولاته بأنها تمثل اتجاها يتعارض وحرية تدفق المعلومات وعلى هذا بلغ النقاش العالمي الدائر حول الاتصال درجة حادة من المواجهة في أكثر من مجال .

ونحن في العالم العربي جزء من العالم الثالث ، نعاني مما يعانيه من تناقضات الاتصال ومشكلاته . ولكن لا شك أن لنا ظروفنا الخاصة التي تجعل لما نعانيه أبعادا معينة قد لا تهيئها ظروف دول أمريكا اللاتينية أو كثير من الدول الافريقية والآسيوية مثلا .

ان الدول العربية تعاني من الاختلال الواضح في عملية الاتصال بينها وبين الغرب ، وتعاني من عدد من مظاهر التبعية الاعلامية ، وان كانت صور هذه التبعية تتفاوت بتفاوت ظروف كل دول وبنيتها الاعلامية . فهناك اختلافات واضحة في نظم الحكم بين دولة عربية وأخرى . وهناك تفاوت في الموارد الطبيعية ومستوى التعليم ونسبته وفي الكثافة السكانية وغير ذلك . ولكن الذي لا جدال فيه أن العالم العربي يمثل مجموعة متميزة من الشعوب ترتبط فيما بينها بعرى لا تنفصم ، اذ تجمعها وحدة اللغة والتاريخ والحضارة والمصلحة والمصير المشترك .

وهذا العالم العربي سوف يشهد في القريب العاجل ثورة تقنية تتمثل في اطلاق أول تابع (قمر) صناعي يستخدم في الأتصال . ولهذا الحدث آثار لا تحصى . . فسوف يضاعف من مرونة الحركة الإعلامية ، ويزيد حجم الاتصال بين العالم العربي وسائر بلدان العالم ، ويؤثر بالتالي في حياة الانسان العربي بشكل مباشر وغير مباشر .

سياسة قومية موحدة

ومن هنا ينبغي أن تكون للعالم العربي - من حيث هو وحدة تمثل كيانا اقليميا متميزا تربط بين أجزائه تلك الوشائج القوية - سياسة اتصال قومية موحدة تقوم على دعامتين :

أولا : ان العالم العربي جزء من العالم الثالث . وعلى هذا فان إسهام الدول العربية في جهود العالم الثالث الرامية الى كفالة اتصال افضل فيما بين اجزائه ، والى الحد من حجم الاعلام ذي الاتجاه الواحد ، والى تحقيق مبدأ حرية الاعلام والمبادلة الاعلامية بين الدول ، والى أن يكون التدفق الاعلامي حرا ومتوازنا - يغدو أمرا حتميا .

ثانيا : ان تنسق الدول العربية بين سياساتها الوطنية الاعلامية وسياستها القومية الموحدة التي تسعى الى تحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقلال والاعتماد على النفس في المجال الاعلامي ، وذلك على اساس الوحدة في اطار التنوع الذي تفرضه المقتضيات الوطنية المحلية . وبالرغم من اختلاف الانماط الاعلامية ، ونظم ملكية وسائل الاعلام ، والتفاوت في مدى علاقة الدولة بالسياسة الإعلامية من حيث الصياغة والاشراف والممارسة والتطبيق والتوجيه والدعم . . الخ ، فهناك غايات مشتركة يمكن تحقيقها لمجابهة شتى مساوىء الوضع الاتصالي الدولي وتناقضاته .

قضايا لها أهميتها

ومن أهم القضايا التي تحتاج الى اقرار سياسة اعلامية عربية موحدة بشأنها :

١ - مواجهة الغزو الفكري من خلال ذلك الحشد من البرامج الثقافية والترفيهية ، وذلك بتنويع مصادر الحصول على تلك البرامج ومراقبتها مراقبة دقيقة وفحصها بعناية بواسطة متخصصين على أعلى مستوى فكري وقومي قبل اقرار بثها .

٢ - مواجهة الخطر الذي يتمثل في فيض الاعلانات التجارية وغير التجارية في عدد من وسائل الاعلام التي تغرينا أرباحها فلا نتنبه الى ما تمثله من ترابط عضوي وثيق بين النفوذ الاقتصادي والنفوذ الاعلامي ، وما يتسلل من خلال هذا النفوذ الى نفوس قراء الصحف ومشاهدي التليفزيون من مؤثرات تستهدف غايات معينة .

٣ - دعم الذاتية الثقافية العربية ، ويحتاج ذلك الى وضع سياسة اعلامية متبصرة وواسعة النطاق تؤكد هذه الذاتية والقدرة الابداعية وتمتد الى شتى الموضوعات والبرامج في الصحافة والاذاعة والتليفزيون وبخاصة ما يوجه منها الى الناشئة .

٤ - مواجهة احتكار الانباء بمزيد من التعاون الاعلامي بين الدول العربية ، وهنا يبرز مشروعان عربيان لا جدال في أنهما على قدر كبير من الاهمية في هذا الصدد ، وهما انشاء شبكة قومية للاذاعة ، وانشاء وكالة أنباء عربية . وكذلك مواجهة احتكار الافلام أو عدم كفايتها بانشاء مركز عربي لانتاج الافلام وتوزيعها . ان هذا كله سوف يساعد لا على تقليل
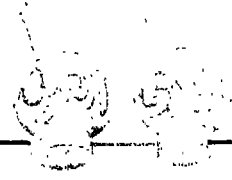
الاعتماد على المصادر الاجنبية بقدر الامكان وعلى تحسين ميزان التبادل الاعلامي فحسب ، وانما سوف يقلل كذلك الى أقصى حد من اذاعة وكالات الانباء العالمية لمعلومات مجزأة أو مبسطة أو محرفة عن العالم العربي

٥ ـ وضع سياسة طويلة الأمد للدراسة الاعلامية والتدريب المهني لمواجهة التطورات المتلاحقة في تقنيات وسائل الاعلام ، فآلات الطباعة الحديثة التي استوردتها معظم المؤسسات الصحفية في العالم العربي ، والقمر الصناعي المزمع اطلاقه ، والاجهزة الالكترونية التي بدأت وكالات الانباء الوطنية العربية في استخدامها . كل هذا يقتضي استعدادا ودربة لن توفرهما الا برامج مدروسة للتدريب المهني على مختلف المستويات ، وكذلك تطوير برامج التعليم الاعلامي وتخطيطها بما يجعل الدارسين أقدر على التعامل مع المستحدثات المتلاحقة في مختلف وسائل الاعلام .

٦ ـ اعادة النظر في العلاقة بين السلطة والاتصال في كل قطر عربي . فاذا كانت الاذاعة المسموعة والمسموعة المرئية تعتبران من المرافق العامة ، وبالتالي تخضعان لاشراف الدولة ، فان هذا لا يعني أن يخدم الجهازان اغراضا محددة وأن يدورا في فلك معين تحدده السلطة وترضى عنه . وأمثلة الاذاعات التي تشرف عليها الدولة وتمولها ، مع اقل قدر من التدخل في سياستها ، كثيرة في غير العالم العربي ، ويمكن أن نقتبس من نظمها ما يلائم ظروفنا . واذا كان نظام الحكم في دولة ما مثلا يسمح بالممارسة الديمقراطية ، فمن التناقض أن تملك هذه الدولة المؤسسات الصحفية وتتصرف في مقدراتها بمفهوم المالك المتحكم . ومن جهة أخرى فان دعم دولة ما للصحف ، لمواجهة تزايد نفقاتها وحمايتها من سيطرة السوق التجارية أو بعض قوى الضغط . قضية لا علاقة لها بتدخل الدولة في شئون هذه الصحف . وفي أوروبا الآن سبع دول ديمقراطية متقدمة تدعم صحفها العاجزة عن الوفاء بمتطلبات بقائها واستمرارها ، ولا شك أن تحقيق أكبر قدر من الديمقراطية الاعلامية في البلاد العربية سوف يكون عاملا جوهريا في التنمية الذاتية اللازمة لمواجهة تلك التحديات.

ان بعض الدول العربية ـ مثلها في ذلك مثل سائر دول العالم الثالث ـ تحتاج الى مساعدة فنية من الدول المتقدمة لكي تدعم نظمها الاعلامية ، وبعضها الآخر يحتاج الى المساعدة المادية كذلك . ولكن العالم العربي في مجموعه يحتاج أكثر من هذا الى التطوير الذاتي لنظمه الاعلامية لكي تكون له سياسة قومية موحدة يستطيع بها أن يسهم اسهاما فعالا في اقامة « النظام العالمي الجديد للاعلام » الذي يتيح التخلص من ربقة التبعية الاعلامية ، ويحقق العدل والتوازن والمساواة في تبادل المعلومات ، ويدعم الاعتماد على النفس ، ويؤكد الذاتية الثقافية ، ويؤدي بالتالي الى مزيد من المكاسب للبشرية جمعاء □□
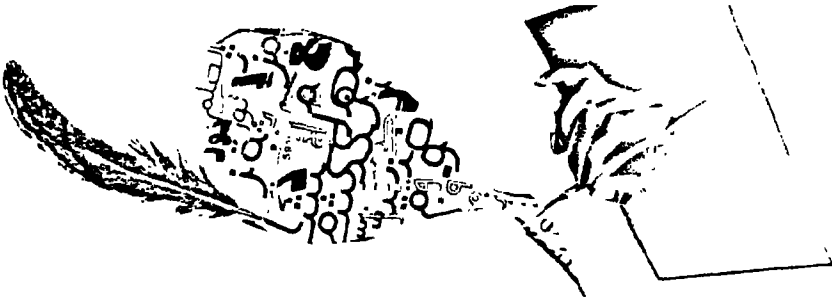
بقلم : عبد الرزاق البصير

□ للغة العربية علاقتها باتساع الحضارة الاسلامية . . ومستوى أي أمة له علاقة بمفردات لغتها . . واللغة ترتقي باعتناء أصحابها وما يبذلون في سبيلها من جهد وطاقة . . فما هي صلة كل ذلك بالترجمة من العربية وإليها ؟

يتضح للمتأمل في تاريخ لغة القرآن أنها سلكت نهج الأخذ والعطاء منذ أقدم عصورها ، شأنها في ذلك شأن اللغات الحية القوية ، التي تملك قابلية للبقاء . ذلك أن لديها استعدادا لتقبل ما يجد في الحياة من تغيّر وتطور . فنحن ندرك جميعا بأنها أخذت من اليونان والفرس والهند كثيرا من المفردات ، فعرّبتها تعريبا مكينا حتى أصبحت مفردات عربية لا يكاد يتنبه لها الا العلماء : كالاستبرق والدمقس والفردوس وقسطاس وقرطاس وصلاة ودسر ، وقد جاء ذكر الكثير منها في القرآن الكريم ، وتتبعها كثير من العلماء والمفسرين وأعادوا كل واحد منها الى أصله ، نذكر منهم « أبو المنصور الجواليقي » مؤلف كتاب المعرّب ، والسيوطي مؤلف كتاب « المهذّب ، فيما في القرآن من المعرب ، » كما نجد قبل الاسلام مفردات اجنبية في شعر حسّان بن ثابت والأعشى والمنخل اليشكري وعدي بن زيد العبادي .

فلما نزل القرآن الكريم على الرسول وانتشر نور الاسلام وانبسط سلطانه على العالم المتمدن ، في ذلك العصر اتسعت حضارة العرب .

اللغة واتساع الحضارة

لا بدّ للغة من أن تواكب اتساع الحضارة ، لأنها هي الوعاء الذي يشتمل على ما يدخل في اللغة من مفردات جديدة ، ويبدو أنها اتخذت في مبدأ الأمر طريق الترجمة العلمية أيام خالد بن يزيد بن معاوية ، وذلك أنه كان مغرما

بالكيمياء ، ثم تلاه سالم مولى هشام بن عبدالملك فترجم كتاب رسائل أرسطو الى الاسكندر ، وترجم ديوان المحاسبة في تلك الفترة . ومن الملاحظ أن الترجمة كانت فردية أو شبه فردية أيام الأمويين .

وقد بقيت على هذا النسق حتى جاء العصر العباسي فانفتحت الأبواب على مصاريعها للترجمة فتدفقت كما يتدفق النهر العظيم ، وقد شملت الترجمة علم الفلسفة والهندسة والطب وعلم الاجتماع والجغرافيا ، كما نجد ذلك فيما نقل من كتب ارسطو وكتاب كليلة ودمنة وكتاب المجسطي الى غير ذلك من الكتب التي لا تحصى . ولقد تتبع كثير من الباحثين مسيرة الترجمة ودرسوا أسبابها ، ولعل محمد بن اسحق المعروف بابن النديم ، صاحب كتاب الفهرست المشهور ، أول من قام بذلك ثم نهج العلماء هذا النهج وتحدثوا عن ذلك أحاديث مفصلة وليس من قصدنا الآن أن نفصّل الحديث عن سبب النقل ، فقد أشرنا الى ذلك فيما سبق حيث قلنا ان اتساع الحضارة لا بد له من اتساع اللغة ، والذي يهمنا الآن هو أن نتذكر بأن هذه الترجمة الواسعة لا يمكن أن تتم لو لم تكن اللغة العربية لغة تملك من الغنى والقوة مالا يملكه الا القليل من اللغات .

عظمة اللغة العربية

يقول المرحوم الدكتور أحمد أمين : « في الحق ان اللغة العربية أرقى اللغات السامية كما يقرر دارسو تلك اللغات فلا تعادلها اللغة الآرامية ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي . وهي كذلك من أرقى لغات العالم فهي تمتاز عن اللغات الآرية بكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها فاذا قيس ما اشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص بما يقابلها من كلمة أفرنجية وما يشتق منها-كانت اللغة العربية في ذلك غالبا أوفر وأغنى » . [١]

واللغة كسائر الكائنات الحية لا يمكن أن ترتقي وحدها ، وانما ترتقي حين يعنى بها أصحابها فيبذلون في سبيلها ما ينبغي أن يبذل من جهد وطاقة ، وهذا البذل لا يمكن أن يقوم به الا العلماء الذين يعرفون ما تعنيه اللغة من مكانة ، هي في الواقع ركن من أركان حياة الأمة لأنها هي المرآة التي ينعكس فيها ما توصل اليه افرادها من مستوى اجتماعي واقتصادي وعلمي وفكري وسياسي ، فنحن اذا اردنا ان نعرف مستوى اي امة ، فان اول ما ينبغي ان نفعله هو ان ننظر في مفردات لغتها ، فاننا - اذا فعلنا ذلك - سنجد في معاني تلك المفردات صورة متكاملة للمستوى الحضاري لتلك الامة .

عناية علمائنا بنحو اللغة العربية

من ذلك يتبين لنا تنبّه علمائنا كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري والكسائي وغيرهم من العلماء الذين بذلوا ما يملكون من جهد في التوجه الى منابع اللغة ليجمعوا شتاتها من تلك المنابع،حتى قيل عن الكسائي بأنه أنفق خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه . وقيل عن أبي عمرو بن العلاء بأن كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف . أما الأصمعي فان تاريخه مملوء بالقصص عن الأعراب في البادية ، وما سمع منهم من لغة وشعر وقصص[٢] .

ويعود سبب هذه العناية الشديدة باللغة

---

(١) ضحى الاسلام ،ج ١ ، ص ٢٨٩

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، ج ١ .

العربية الى أمرين أحدهما أن العربي يعتز بلغته أشد الاعتزاز لاعتقاده أنها أفضل لغات العالم ، كما نجد ذلك في بعض ما قاله الجاحظ عن سائر اللغات ، ثم ازداد العربي اعتزازاً بلغته بعد نزول القرآن وانتشار لغة العرب بين كثير من الأمم . والأمر الثاني شيوع اللحن الشديد بين الناس لكثرة امتزاج العرب بغيرهم من الأمم ومصاهرتهم للأجانب ، فنجد الأشراف يأخذون أبناءهم الى البادية يتربون بها لينشأوا على الفصاحة ، فقول الرسول عليه السلام : أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش ، واني نشأت في بني سعد بن بكر[٣] ، يؤيد ما ذكرناه ، وليس الرسول وحده الذي نشأ في البادية ، وانما هي عادة درج عليها الكبراء والأشراف ، وقد زادت هذه العناية حتى اختلطوا بالأعاجم . . لذلك نجد الخلفاء يتخذون العلماء كالأصمعي وغيره لتربية أبنائهم على حفظ الشعر وروايته والالمام بأيام العرب ومآثرها ويسمونهم المؤدبين ، وذكر أخبارهم يطول به المقام لأنها كثيرة مفصلة .

وقد سمّى مؤرخو الأدب بعض هؤلاء المؤدبين ، فالضحاك بن مزاحم وعامر الشعبي ، مربيا أولاد عبد الملك بن مروان ومحمد بن مسلم الزهري مربي أبناء هشام بن عبد الملك[٤] . وقد كان عبدالملك مشغوفا بحب ابنه الوليد حتى منعه حبه من ارسال ابنه الوليد الى من يؤدبه ، فكان كثير اللحن في كلامه ، فقال فيه أبوه : أضرّ بنا حبنا للوليد فلم نرسله للبادية . من هنا نستطيع أن نفهم تحذير عبدالملك بن مروان لأبنائه من اللحن فيقول لهم ان اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه ، وأقبح من الشق في الثوب النفيس[٥] ، بل كان اللحن عندهم من أفحش عيوب الملك ، ويرون أنه لا يولّى على العرب الا من يحسن كلامهم . وقد عبر عن ذلك أبو الطيب المتنبي خير تعبير حيث يقول :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

ولعله لا يقصد الفصاحة فقط ، وانما يقصد بأن على العرب بأن يرفضوا ولاية الأجنبي مهما

---

(٣) السيوطي : المزهر ، ج ١ .

(٤) المعجم العربي : ج ١ .

(٥) الجاحظ : البيان ، ج ٢ ، والمعجم العربي : ج ١ ص ٢٥ .

كان شكل تلك الولاية . وكان الخلفاء والأشراف يتحفظون من اللحن كل التحفظ ويكرهونه ويبتعدون عن قائله ؛ فقد قيل لعبدالملك : لقد أسرع اليك الشيب . فقال : «شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن» وقد نشأت من هذه العناية خصلة جديدة اصبحت فخرا من المفاخر . استحقت التنويه من الشعراء .

وكانت هذه الوسيلة الوحيدة التي حفظوا بها لغة القرآن وصانوا أنفسهم من اللحن في مبدأ الأمر ولكنهم تنبهوا الى أن هذه الوسيلة ليست كافية ، فلا بد من جمعها بصورة منسقة،لذلك نجدهم يؤلفون الكتب فيما جاء عن العرب عن أسماء الحيوانات كالابل والخيل وأسماء النبات .

ثم رأوا أن ذلك ليس بكاف لصون اللغة وحمايتها ، لهذا أخذوا يؤلفون المعاجم . . ومما يتصل بالعناية باللغة وتقويتها أن كثيرا من الخلفاء كانوا مشغوفين بحب الشعر والشعراء فكانوا يدعون الرواة اليهم كمعاوية بن أبي سفيان وعبدالملك بن مروان ، وظلت هذه الخصلة متصلة حتى آخر خلفاء بني العباس ، فكان الأديب يهيء نفسه اذا دعاه الخليفة للقائه وذلك بأن ينظر في كتب الأدب ورواية الأشعار ليحفظ منها ما يستعذب ويستملح ويستغرب ليكون أثيرا لدى الخلفاء ، وكم من مناظرة جرت بين لغويين في مجلس الخلفاء كانت لها شهرتها في الكتب الأدبية كمناظرة الكسائي وسيبويه عند هارون الرشيد[٦] . ولعل قصة أبي عثمان المازني وما جرى له مع الواثق من أطرف ما يروى في هذا الصدد ، فانك حين تقرأ هذه القصة ، تجد فيها عناية الخلفاء بالشعر وتقديرهم للأدباء وارتياحهم للغناء ، كما تجد في هذه القصة لباقة هذا الشيخ الجليل وتهذيبه في محادثته مع الخليفة . . ومؤدى هذه القصة أن الخليفة الواثق جلس ذات يوم مع ندمائه فأخذت جارية تغني بقول العرجي :

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

وحينما انتهت من غنائها أخذ الجلساء يتذاكرون في اعراب هذا البيت وكادوا يتفقون على رفع اسم (رجل) الوارد في البيت الذى تغنت به ، ولكن الجارية أصرت على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب ، وينبغي أن نتنبه هنا الى أن مؤرخى حياة المازني قالوا عنه بأنه في غاية الورع ، لكن ورعه هذا لم يمنعه من أن يلقن جارية مغنية أبياتا رقيقة بصورة متقنة ، مما جعل الجارية المغنية لا ترضى بأن يخطأ شيخها ، وهو امام من أئمة اللغة ، فما كان من الواثق الا أن أمر بإشخاصه من البصرة الى بغداد . قال المازني : فلما مثلت بين يديه ، قال : ممن الرجل ؟ قلت من بنى مازن . قال : أى الموازن ؟ أمازن تميم أم مازن قيس ، أم مازن ربيعة ؟ قلت . من مازن ربيعة ، فكلمني بكلام قومي ، وقال : باسمك ؟ لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال : فكرهت أن أجيبه على لغة قومي كي لا أواجه بالمكر ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين . ففطن لما قصدته ، وأعجب به ، ثم قال : ما تقول في قول الشاعر (أظلوم ان مصابكم رجلا) أترفع رجلا أم تنصبه ؟ . فقلت : بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين وبذلك أثبت صواب قول تلك الجارية ، قال ذلك بعد أن جاء بالأدلة النحوية التي تثبت قوله ، فأعجب الخليفة بقوة حجته ، ثم قال له : هل لك من ولد ؟ فرد عليه : نعم ، بنية يا أمير المؤمنين ، فقال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ فأجابه : أنشدت قول الأعشى :

أيا أبتا لا ترم عندنا
فانا بخير اذا لم ترم

---

(٦) المعجم اللغوى : ج ١

ارانــا اذا أضــمــرتــك الــبــلاد
تجـفـى ونـقـطـع منـا الـرحـم

فقال له : فما قلت لها ؟ رد عليه المازنى . . قلت قول جرير :

تـعـقـي بـالله لـيـس لـه شـريـك
ومـن عـنـد الخـليفـة بـالـنـجـاح

قال : على النجاح ان شاء الله ، ثم أمر له بألف دينار ورده مكرما [٧] . وقد تعمدت أن أطيل في رواية هذه القصة لما فيها من دلائل مختلفة ، أعتقد أنها لا تخفى على القارىء . وقد وجد رواة الشعر وعلماء اللغة من الخير أن يكتبوا الكتب يجمعون فيها آثار الشعراء المشهورين لأنها لا بد أن تجد سوقا رائجة لدى العلماء والخلفاء ، بالاضافة الى أن هذه الكتب تخلق منزلة لأصحابها في قلوب العلماء والخلفاء .

وهناك أمر آخر يعد في الواقع ركنا قويا في تنمية اللغة وجمعها ، ونعني به تفسير القرآن والحديث النبوى الشريف،لأن في هذين المنبعين الدينيين بعض المفردات التي تحتاج الى تفسير وتوضيح ، لا سيما بعد أن بعد الناس عن زمن حياة الرسول الذى يستطيع أن يفسر آيات الله وأحاديثه،فقد كانت الصحابة اذا أشكل عليهم شيء من القرآن أو الحديث يرجعون اليه فيجدون عنده المنبع الصافي ، ثم انهم كانوا أقرب الى الفهم من أولئك الذين جاءوا بعد الرسول بقرن أو قرنين ، ولقد وجد علماء اللغة ورواة الأشعار ميدانا فسيحا ومادة غزيرة يستقونها من تفسير القرآن الكريم فصنفوا فيها الكتب الكثيرة ، مثل كتاب غريب الحديث وغريب القرآن والغريب المصنف وغيره من الكتب [٨] .

النهج القديم في عناية اللغة

وهناك مجهود آخر أعتقد أنه أعظم خطرا من جمع الأشعار وروايتها وأعني به جمع المفردات ، التي نطلق عليها المعاجم بأنواع مختلفة ، فقد جمعت من القرآن الكريم أول الأمر ، ثم جمعت من الأحاديث النبوية ، ثم من بحوث الفقهاء ، ثم جمعت حسب معانيها اللغوية ، ثم أخذت في التطور والترتيب حتى أصبحت على ما انتهى اليه ابن منظور في موسوعته لسان العرب والزبيدي في كتابه تاج العروس ، وغيرهما من العلماء اللغويين الذين جمعوا مفردات اللغة بصور مختلفة يسرت للباحثين طرق البحث حين يحتاجون . . الى أى نوع من الأنواع التي يحتاجون اليها في بحثهم ، أولئك مصابيح أناروا الطريق وحفظوا اللغة لمن بعدهم ، جزاهم الله عن لغة القرآن أحسن الجزاء .

تطور الأسلوب في العناية باللغة

فقد كانت الحياة تقتضي أن يسلك النشاط اللغوى هذا الأسلوب الذى أشرت اليه ، أما في هذا العصر الذي اتصل فيه العالم من مشرقه الى مغربه اتصالا وثيقا وانثالت علينا سيول المخترعات والمكتشفات وأصبح التعليم واسعا يتضمن علوما جديدة لم تكن معروفة من قبل ، لهذا ولغيره من الأمورفان تنمية اللغة وتقويتها لا بد لها من أن تتخذ نهجا ملائما لهذا التطور الخطير ، وقد اقتضى الحال في هذا العصر أن يكون هذا الطريق هو انشاء مجامع اللغة العربية التي تضم صفوة من العلماء الذين تخصصوا في

---

(٧) المعجم اللغوي : ج ١

(٨) كشف الظنون : الجزء الثاني ـ ص ١٢٠٢

مختلف ميادين العلوم النظرية والتطبيقية ، اذ أن هذا هو السبيل الملائم لما طرأ على حياة الأمة العربية ، بل حياة البشرية كلها من تغير متسارع . ولقد أحدث هذا النهج الذى اقتضاه ما أشرنا اليه من تطور في الحياة ، انماء للغة القرآن وتعزيزا لها ، فليس من المبالغة في شيء اذا قلت بأنه لولا هذا النهج لأصبح وجود الأمة العربية بصفة خاصة والأمة الاسلامية بصفة عامة في خطر ما بعده من خطر . فقد عربت مصطلحات في مختلف العلوم النظرية والتطبيقية لا تحصى عددا ، الأمر الذي مكن لهذه اللغة من أن تواكب هذه التغيرات الكثيرة المختلفة . وليس من شك أن هذه الجهود المضنية المحمودة قد ساهمت ، وما تزال تساهم مساهمة فعالة في يقظة هذه الأمة وتفهمها الحياة . ولولا جهود مجامع اللغة العربية لظلت هذه الأمة تتخبط في حيرة ظلماء ، فان تعريب المصطلحات قد جاء الينا من ثقافات انجليزية وفرنسية وايطالية ، مما جعل لكثير من المصطلحات مفردات تختلف في مبانيها وفي معانيها ، الأمر الذي كاد أن يدخل اليأس في بعض النفوس من قدرة اللغة العربية على مواكبة الحياة الجديدة ، فجاءت جهود المجامع موحدة للمصطلحات العلمية ومنظمة لها بما تقيمه من مؤتمرات سنوية نافعة ، وبما تنشره من آثار قيمة تتمثل فيما تصدره من مجلات ومعاجم في مختلف العلوم والميادين . ولست أشك بأن هذا النهج كان وما يزال له أكبر الأثر في التقارب بين أقطار وطننا العربي الكبير وفي تقوية ديننا الاسلامي الحنيف ، لأن انماء لغة القرآن وتعزيزها تقوية للاسلام ، والذي أتمناه أن تصبح هذه الجهود منتشرة أكثر مما هي عليه لتصبح في متناول الجماهير ، ومن المحقق أن مجامع اللغة العربية تبذل كل مافي وسعها لتحقيق هذه الأمنية التي تعمر قلب كل مخلص لهذه الأمة ، وانها لبالغة ما يصبو اليه المخلصون بفضل ما يبذله مجمع اللغة العربية في القاهرة ، لأن لمصر أكبر الأثر في تثقيف الأمة العربية والأمم الاسلامية ، فكل ما يحدث من نشاط في الساحة الفكرية في مصر لا يلبث أن ينتشر بسرعة هائلة في أقطار وطننا العربي الكبير ، فان للمؤتمر السنوي الذي يقيمه مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والذي تتلاقى فيه صفوة مختارة من علماء هذه اللغة ومفكريها ـ اكبر النفع ، اذ أن هؤلاء العلماء يقفون على ما انتهى اليه مجمع اللغة العربية في القاهرة من تعريب للمصطلحات ، وما توصل اليه من قرارات في شتى ميادين الحياة ، مما يجعلهم قادرين على ابداء الرأي وعرض ما توصلت اليه مجامع اللغة العربية الأخرى للمصطلحات العلمية ، لتصبح هذه الجهود متحدة . . والله وحده هو العالم بما يبذله علماؤنا من جهود في تعزيز لغة القرآن ، على أن هذه الجهود كلها لن تؤتي ثمارها المطلوبة الا اذا أصبح التعليم باللغة العربية في جميع المراحل وفي كل الميادين . □□

العدو العاقل :

* قيل لكسرى : أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا ؟
قال كسرى : عدوي . .
قيل له : وكيف ذلك ؟
قال : لأنه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن .

الجديد في العلم والطب

اعـداد : يـوسـف زعبلاوي

الجديد في علاج مرض السكري
مضخة الأنسولين

يسمونها البنكرياس الاصطناعي بقدر ما تكبح جماح مرض السكري وتحد من تقلباته وتتحكم بمحتويات السكر في الدم على مستوى شبه ثابت وقريب جداً من مستوى تلك المحتويات في الاسوياء المعافين ... كانت موضع تطوير منذ أكثر من خمس سنين .. وقد تحدثنا عنها في هذا الباب قبل حين [1] ولكنها بلغت حالياً مرحلة التجارب الميدانية البشرية وستغزو الأسواق عما قريب لتصبح في متناول الجميع .

ولعل أهم ما يذكر عن هذه المضخة كثرة طُرُزها والشركات التي طورتها وتهم بتسويقها . وبعض هذه الشركات بريطانية أو فرنسية أو اسكندنافية أو يابانية ، وأكثرها أمريكية . وبالرغم من هذه الكثرة فان مضخة الأنسولين المرتقبة متشابهة شكلاً وحجماً وأداءً ..

فهي اما مستطيلة أو مستديرة كالشكل المرافق ... ولا تزيد أبعادها على ٣٫٥ بوصة ، طولاً أو قطراً ، وبوصة واحدة سُمكاً .. وهي معدّة للتثبيت

على الخصر أو الصدر بحيث تنغرس ابرتها الدقيقة في الجسم فتخترق الجلد لتستقر تحته .. وهي مجهزة بمخزن للأنسولين صغير ، قد يفي بحاجة الجسم من هذا الهرمون لمدة اسبوعين .. أوتزيد ، حتى تبلغ ستة أسابيع .. فالمخزون اذن بحاجة الى استبدال او ملء بالأنسولين بين حين وحين ...

وتختلف مضخات الأنسولين قليلاً من حيث القوة الدافعة التي تعتمدها لدفع الهرمون الى الجسم .. فبعضها يعتمد القوة الكيماوية ، ضغط بخار الفلوروكربون الذي في المضخة مثلاً . فحرارة الجسم كفيلة بتصاعد هذا البخار ليضغط بدوره على الأنسولين .. فيندفع هذا الى الجسم عبر الابرة الدقيقة المنغرسة فيه .. ولكن بعض المضخات مجهزة ببطارية صغيرة (من نوع الليثيوم) وكمبيوتر صغير .. ومحرك صغير .. ومضخة صغيرة .. كل ذلك في المضخة الصغيرة التي تفرز الأنسولين بقوة الدفع الميكانيكية .

أضف الى ذلك أن مضخات الأنسولين قابلة للتحكم بما تفرزه من الهرمون .. تزيده او تنقصه حسب الحاجة .. وذلك اما من قبل الطبيب أو من قبل المريض نفسه ... فقد يدل تحليل دم المريض على انه بحاجة الى مزيد من الأنسولين أو خلاف ذلك .. عندئذ تعاد برمجة المضخة حسب الطلب ...

ومعنى هذا أن مضخات الأنسولين المرتقبة تفترض تحليل الدم مرة في اليوم أو أكثر .. وتفترض أيضاً وجود جهاز تحليل

(١) راجع أنباء الطب والعلم في عدد يونية سنة ١٩٧٩ .

الدم الأوتوماتيكي في حوزة المريض . . . والا تعرّض المريض لمضايقة دون مبرر . فيضطر للذهاب الى المستوصف للتحليل،لا لأخذ حقنة الأنسولين . . فالمضخة اذن تضمن للمريض الراحة وتعفيه من المضايقة . . وهذه ميزة طيّبة . . . ولا بد من وجود جهاز تحليل أوتوماتيكي في متناول المريض ، لاستكمالها . . ولكنها ليست ميزة المضخة الأولى أو الغاية الأساسية التي من أجلها صنعت المضخة . .

فهذه الغاية إنما تتمثل في مدّ جسم المريض بالانسولين على نحو متواصل وبمقادير ضئيلة محددة . . فهذا الافراز المقنن البطيء المستمر هو بيت القصيد في مضخات الأنسولين ، أو إن شئت ، البنكرياس الاصطناعي . فقد اثبتت الدراسات والتجارب العديدة ان هذا الأسلوب أكثر فاعلية وأسلم عاقبةً من حقن الأنسولين اليومية . . فهو كفيل بالحد من التقلبات المفاجئة والخطيرة في نسبة السكري في الدم . . . وهي التقلبات التي غالباً ما تحدث عقب وجبات الطعام أو قبلها . . . أو تبعاً لمدى الدسم في ألوان الطعام التي يتناولها المريض ، فالمضخة تتجنب هذه التقلبات الخطيرة الى حد كبير . . .

ولكن المضخة كفيلة بافرازها البطيء أيضاً بمزيد من التحكم بنسبة السكري في الدم وبالحفاظ على مستوى لتلك النسبة شبه ثابت وقريب جداً من مستوى الأصحاء المعافين من مرض السكري . (انظر الرسم البياني) .

وتجدر الاشارة الى أن منظمة الصحة العالمية قد احتضنت مضخة الأنسولين هذه ، وهي تقوم حالياً في اجراء التجارب الميدانية الواسعة النطاق عليها ، وذلك وفق برنامج سيستغرق سنتين (ابتداءً من مطلع هذه السنة) . ويشرف على تنفيذ البرنامج الدكتورة كيرستن جوهانسن - Kirsten Johansen الدانمركية والرئيسة المسؤولة لقسم التكنولوجيا الطبية التابع للمنظمة العالمية .

بقي أن نذكر أن الهدف من البرنامج الذي رصد له مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ دولار ليس تحري الجدوى الطبية أو الفاعلية العملية للمضخة . فهذا ما أثبتته البحوث والتجارب طوال السنوات الماضية . . ولكن الغاية من البرنامج انما هي دراسة أثر المضخة في نمط الحياة . . حياة مرضى السكري . . أو ، ان شئت ، التغيرات التي يمكن أن تحدثها في حياتهم . . ويحرص البرنامج على تحديد مدى تقبل مرضى السكري للمضخة ونسبة إقبالهم على استعمالها وقد بلغت هذه النسبة وفق الاحصاءات التي اجريت حتى الآن ٦٠٪ في بريطانيا ولم تزد على ٣٠٪ في فرنسا . . أما البلاد التي تشملها تجارب البرنامج فهي فنلندة والنرويج وفرنسا والمجر ، والمانيا الشرقية . وربما بريطانيا أيضاً .

ومهما يكن من أمر مضخات الأنسولين التي ذكرنا ، ومهما بلغت مزاياها وفوائدها . فانها بعيدة جداً عن الكمال . حقاً انها تحد كثيراً من احتمالات الافراط والتفريط في نسبة السكر في الدم . ولكنها لا تقضي على هذه الاحتمالات قضاءً تاماً . . . ولا تضمن للمريض الحصانة او المناعة ضد الحالتين النقيضتين الخطيرتين . . ولا تكفل له الحماية من النتائج الوخيمة التي قد تترتب عليها .

من هنا كان اتجاه بعض العلماء في أمريكا وأوروبا واليابان الى تطوير مضخة للأنسولين كفيلة بالقضاء على تلك الاحتمالات جميعاً ، وبتجنيب المريض مخاطر الافراط أو التفريط المفاجئين في نسبة السكر في الدم . ولكن علماء اليابان سبقوا سائر زملائهم ونجحوا بالفعل في تطوير تلك المضخة شبه المثالية . . ونجحوا كذلك في التجارب المخبرية التي أجروها لها . . . ونخص بالذكر من هؤلاء العلماء اليابانيين الدكتور موتواكي شيشيري Dr. Motoaki Shichiri أحد كبار اساتذة جامعة أوزاكا .

وتحتوي مضخة الدكتور موتواكي على مجسمات (Sen-sors) تحلل دم المريض أولاً بأول وترصد نسبة السكري في دمه باستمرار على مدار الساعة

أي أن هذه المجسّات تكتشف ما قد يحدث لنسبة السكر من ارتفاع أو هبوط فوراً لدى حدوثه .. وتحتوي المضخة اليابانية أيضاً على كمبيوتر صغير ، يتلقى من المجسّات نتائج تحليلها للدم ... ويصدر الكمبيوتر بدوره أوامره الى جهاز الضخ .. ليفرز الأنسولين بالمقادير المناسبة التي تستوجبها تلك النتائج ... فيأمر بزيادة إفرازه إن ارتفعت نسبة السكر في الدم .. أو بالحد من إفرازه اذا هبطت تلك النسبة ... كل ذلك اتوماتيكياً ومن حيث لا يدري المريض ...

أما التجارب التي أجراها الدكتور شيشيري فقد أجراها على كلاب استأصل من أجسامها غدة البنكرياس ، وراح يطعمها المواد الغذائية النشوية بمقادير عادية ... وفرض على الكلاب البقاء في معازلها دون سير أو عدو ... ودلت الفحوص والتحاليل المتوالية على أن تلك الكلاب نعمت بالمستوى السوي لمحتويات السكر في دمها .. تماماً كما نعمت به سابقاً قبل انتزاع البنكرياس من أجسامها ..

ولا بد من الاشارة هنا الى ما اكتشفه أطباء وعلماء اسكندنافيون من فوائد للأنسولين اخرى غير فوائده الخاصة بمرض السكري ... فقد ثبت لهؤلاء العلماء ان هذا الهرمون ذو أثر كبير في تنشيط القلب والحد من التلف الذي يصيبه في حالة النوبات التي قد يتعرض لها ، أو العمليات الجراحية التي قد تجرى له ... فمن شأن الأنسولين أن يقوي ضربات القلب ، كما عرف سابقاً ، دون أن يزيد سرعة تلك الضربات .. فهو اذن خير من العقاقير المألوفة التي درج الأطباء على اعطائها للمريض في تلك الحالات .. فهذه العقاقير لا تقوي ضربات القلب فحسب ، ولكنها تزيد من سرعة تلك الضربات أيضاً ، فتضاعف حاجة القلب الى الأوكسجين .. ولكن القلب المريض أضعف من أن يستوعب المزيد من الأوكسجين تلبية لحاجته .. وهكذا تزداد حال المريض سوءاً .

والسؤال الذي يطرحه المرء هنا لا محالة هو : هل في الامكان مضاعفة الأنسولين في الدم بالمقادير الكبيرة التي قد يتطلبها مريض القلب ... دون أن يتعرض هذا المريض لمخاطر أخرى جديدة قد تضاهي مخاطر مرضه الأولى نفسها .. ؟

ويرد على هذا السؤال الطبيبان الدكتور رولف أكروث **Dr. R. Ekroth** في مستشفى سالجرنسكا **(Sahlgrenska)** في جوتنبرغ في السويد والبروفسور أوله ميوس **Ole Mjos** في مستشفى ترومسو في النرويج ... يردان على السؤال بكلمة (نعم) ! ولكنهما يشترطان في هذا الصدد الاعتماد على جهاز جديد طورته لهذه الغاية شركة جامبرو **(Gambro)** السويدية ، ويشترطان كذلك شروطاً أخرى لا يتسع المجال لشرحها في حديث عن الجديد في علاج مرضى السكري ، لا سيما أن هذا الحديث لما يكتمل بعد .

عندما تغرب شمس رمضان وراء ..

مآذن القاهرة القديمة

استطلاع : منير نصيف   تصوير : محمد يوسف

يؤدون الصلاة في مسجد سيدنا الحسين من أكبر مساجد مصر وأفخمها . . والى اليسار شيخ جاء من صعيد مصر ليزور أجداده ووقف يقرأ الفاتحة أمام مسجد عمرو بن العاص أقدم مسجد في مصر .

.. ويوشك قرص الشمس على الغوص وراء الافق البعيد ، معلنا نهاية الرحلة مع الصوم في هذا الشهر الكريم .. ويبدأ الظلام يلف المكان في انتظار بداية يوم جديد ... وتشرق الشمس .. ولكنها ابدا رحيمة بالصائمين ... ان الشمس في رمضان لها وجه خاص ، فهي تحنو على العباد الصالحين وتترفق بهم في اقسى ساعات الصيف قيظا . هنا في القاهرة القديمة تشرق شمس رمضان وتغيب .. ترى كيف قامت هذه المدينة كيف قامت بمآذنها ومساجدها وقلبها النابض بالحب والحياة ..؟

لم نكن نعرف على وجه التحديد من أين نبدأ . . كل شيء أمامنا ومن حولنا يصور لنا عظمة اجدادنا الذين عاشوا قريبين من الله . . وانتابنا احساس غريب لم نشعر به في اي بقعة اخرى من هذه المدينة الكبيرة التي قال عنها ابن خلدون : « من لم يزر القاهرة ، فلا يمكن ان يدرك عظمة الاسلام » .

كان الرجل على حق ، فقد كان كل شيء أمامنا ومن حولنا ينبض بالحياة رغم القرون الطويلة التي عاش معها . . . ولكن أي قاهرة تلك التي تحدث عنها ابن خلدون ؟ انها ليست العاصمة الكبيرة بأضوائها ومبانيها الحديثة بطبيعة الحال ، فلم يكن هناك شيء من هذا عندما اراد ان يصفها . . كان ابن خلدون يتحدث عن قاهرة المسلمين التي عاشت بمساجدها ومآذنها ومبانيها الاسلامية القديمة عدة قرون . . هي هي لم تتغير . . ولكن كيف لنا ان نعرف ان كل شيء بقي على ما كان عليه . ونحن لم نر منه الا الذي عاصرناه . .

كتب التاريخ تؤكد لنا ما ذهب اليه الراوي وهو يصحبنا في جولة بين آثار القاهرة الاسلامية . . وتذكرنا حديث المستشرق الفرنسي الذي تحدث في كتابه (مساجد القاهرة) : حضارة المسلمين ، حضارة حية دائما . . لا تموت ابدا . . لانها حضارة قامت فوق الأرض . . فهي ليست في المدن التي تندثر ويدفنها التراب ثم تقوم فوقها مدن اخرى وثانية وثالثة . . كما حدث لطيبة ، وكما حدث لمدينة اوغاريت في الشام وللمسارح الرومانية التي غطتها الرمال ، والمقابر الفرعونية التي دفنوا فيها موتاهم تحت جبال من الرمال والصخور . . . حضارة المسلمين بقيت دائما عالية شامخة تعانق السماء . . !

ولم نكن في حاجة لأن نكمل وصف المستشرق الفرنسي لما رأى . . فقد جاء صوت المؤذن (الله اكبر) . . . ورفعنا عيوننا الى اقرب مئذنة في الشارع الضيق الذي امتلأ ببيوت الله ، وتعلقت أبصارنا بها ، وكأننا نبحث عن صاحب هذا الصوت الملائكي الذي كان يدعو الناس الى الصلاة . . . ويسرع المؤمنون معه في هدوء الى بيت الله . .

بلا زيف ولا رياء

هذا ما عناه صاحب (مساجد القاهرة) . . . المآذن . . انها هي التي قامت فوق الارض تحكي قصة انتشار الاسلام في كل بقعة من الارض العربية ، وخارج حدود ارض العرب . . ما من مسلم رأى مئذنة غلبها الزمن او بدأت تظهر عليها آثار الشيخوخة الا سارع الى اصلاحها وترميمها او الاضافة اليها واعادتها الى ما كانت عليه . . . حتى لو تهدم الجامع الذي تطل عليه المئذنة . . كانوا يبدأون بالمئذنة اول ما يبدأون ، ثم يتجهون الى المسجد الذي كان ويعيدون اليه ما كان عليه .

لم نفقد طريقنا في قلب القاهرة القديمة للحظة واحدة . . فالزائر هنا في بيته ووسط اهله . . . هنا يستطيع المرء ان يجد نفسه ويجد نوعا من الناس يختلف تماما عن هؤلاء الذين يلتقي بهم في زحام المدن العربية التي ترك فيها المسلمون بصماتهم واضحة . . كل شخص تلتقي به مستعد لمعاونتك وارشادك ودعوتك الى تناول طعام الافطار معه اذا كنت صائما في شهر رمضان او حتى في غير ايام هذا الشهر المبارك . . ولو كنت تزورها لأول مرة . . فأنت تحس على الفور انك في قلب مدينة صديقة . . وان شيئا ما في طابعها الاصيل قريب منك ربما كان اسلوب الحياة البسيط الذي يعيشه اهل القاهرة في هذه الاحياء القديمة حيث تمتليء قلوبهم بالايمان بالله ورسله انهم هنا لا يبحثون عن زخرف هذه الحياة الفانية ولا يهتمون به . . إنهم يعيشون على طبيعتهم بلا قناع ولا زيف او رياء . .

جامع محمد علي والقلعة

قصة انتشار الاسلام

في قصة السائح الاجنبي الذي تصادف وصوله الى القاهرة خلال شهر رمضان الكريم واختار العيش في فندق متواضع في حي سيدنا الحسين وفضله على افخم فنادق القاهرة ، قد نجد بعض ما ذهبنا اليه في وصف الحياة البسيطة البعيدة عن الصورة الزائفة والتعقيدات الثقيلة التي يهرب منها كل من اراد ان يرى الحقيقة على وجوه الناس وفي عيونهم وفي احاديثهم التي تترفع عن الرياء والنفاق . .

قال الراوي يحدثنا عنه : « وجدته يقف حائرا امام الباب الخارجي لأحد فنادق القاهرة الكبرى . . . واقتربت منه اسأله اذا كنت استطيع أن أساعده . واجاب بأنه حجز لنفسه حجرة في هذا الفندق ، ولكن عندما وصل قالوا له انه تأخر ، وأن الحجرة خصصت لغيره . . وأنه لا يدري أين يبيت ليلته ، وهو لا يعرف أحدا في هذه المدينة الكبيرة .

وقلت انني اعرف فندقا متواضعا في حي قديم بالقاهرة القديمة . . . انه فندق صغير ولكنه نظيف ، وقد نزل فيه من قبله كثيرون واستمتعوا باقامتهم وكانت مفاجأة عندما طلب

مسجد السلطان محمد بن قلاوون ومسجد ابنه الناصر محمد في الوسط ثم مسجد السلطان برقوق في العهد المملوكي .. وهي تعود الى القرن الهجري الثامن .. من أجمل مساجد القاهرة القديمة .

رغيف رمضان تقدمه الفلاحة القادمة من الريف .. انها تخبزه في فرنها الريفي الذي تحرص فنادق القاهرة الكبرى على بنائه في المطبخ وتقدمه للصائمين من نزلائها على مأدبة الافطار .

أطباق الطعام الرمضانية يحملها « ابن البلد » في طريقها الى الصائمين .. هي أيضاً أطباق تخصص في صنعها أمهر الطهاة في فنادق الدرجة الأولى تماماً كما يصنعوها في الأحياء الشعبية في القاهرة القديمة .

اليَّ الرجل ان اصطحبه فورا اليه .

وكان فندقا في حي سيدنا الحسين .. ونزل الضيف الغريب القادم من الخارج في احدى الغرف المطلة على الشارع المزدحم دائما بالمصلين والزائرين والسائحين والتجار وطلاب العلم .. فهي منطقة سياحية الآن كما تعلمون !

وترددت على الفندق مرتين .. كنت اخشى ان يكون ضيفنا غير مرتاح .. ولكنني فوجئت به في المرتين وهو يستقبلني مرحبا عاجزا عن التعبير لي عن شكره لما قدمته له من خدمة لا ينساها . ولم يتركني الا بعد ان وعدته بقبول دعوته لي بتناول طعام الافطار في مطعم اشتهر بتقديم اطباق لحم الضأن المشوي (الكباب) ..

لقد رأى الناس صائمين عن الطعام ، فصام مثلهم لينعم بالأطباق الشهية في الأفطار !

... ويسافر ليعود !

وينهي الراوي قصته : لم يترك صاحبنا القاهرة الجديدة التي نقلته اليها لحظة واحدة .. لقد امضى الاسبوعين في زيارة كل معالمها .. مساجدها ومتاحفها وقبور الاولياء فيها . وعلى مدى ست سنوات متصلة بعد هذه الزيارة ، ظل الضيف الغريب يأتي الى نفس المكان وينزل في نفس الفندق .. عائدا الى بلده في كل مرة محملا بالهدايا من خان الخليلي والغورية والتربيعة وكان يقول لي : « ليس غريبا ان اكتشف هذا الصفاء والنقاء في مدينتكم التاريخية ، ثم هذا الجمال في ليلها الهادىء ونهارها النابض بالحياة في وسط هذه الاحياء الأثرية القديمة التي كانت تقول لي كل يوم شيئا جديدا كلما لقيتها مع اشراقة الشمس ، وعند الغروب .. انني لن انسى صلاتكم فقد كنت اقف معكم خاشعا،الى اللقاء يا صديقي في العام المقبل !! ويسافر ليعود !

ـ وهل تنتظره ايضا هذا العام ؟

ـ نعم .. انني انتظره دائما مع حلول شهر رمضان الكريم .. ثم هو لم يعد يأتي وحده ! في العام الماضي ، جاء ومعه اربعة من اصدقائه .

وكرم الضيافة وحسن معاملة الزائرين والسائحين طبيعة متأصلة في اهل مصر ... فقد كان مجتمع القاهرة خلال العصور الوسطى ، مجتمعا مفتوحا امام الشرق والغرب ، يألف الغرباء ويكرمهم ، ويجتهد في حسن معاملتهم وفتح الابواب في وجوههم .

أقدم نشرة سياحية

قال مرافقنا يكمل حديثه معنا ويمضي بنا في رحلته هذه المرة مع التاريخ : « كان السلطان قلاوون حريصا على فتح ابواب مصر لكل زائر وتاجر يجيء اليها مادا يد الصداقة لاهلها ، فأصدر اوامره الى نوابه في كل ثغر من ثغور مصر باستقبال الزوار والتجار الوافدين احسن استقبال ومعاملتهم بالود والحسنى وترغيبهم في الاقامة ، ومراعاة العدالة فيما يجبونه منهم من اموال بحيث لا يأخذون منهم سوى الحقوق السلطانية ، وقد قال في امره هذا : انهم ـ اي السياح والتجار ـ هدايا البحور ودوالبة الثغور ، ومن السنتهم ما تجنّه الصدور ، واذا بذر لهم حب الاحسان ، نشروا له اجنحة مراكبهم كالطيور .

ولم يكتف السلاطين بالحرص على حسن معاملة الوافدين ، بل بعثوا بمنشورات الى التجار في المشرق والمغرب لترغيبهم في المجيء الى مصر . وكانت هذه المنشورات اقدم ما كتب في فن الدعاية والسياحة في العالم في ذلك الوقت المبكر من القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) .

ومضينا نكمل رحلتنا بين آثار الحضارة الاسلامية في القاهرة القديمة .. كنا نمشي في

جامع ابن طولون ومئذنته الشهيرة

الشوارع الضيقة التي انتشرت المساجد على جوانبها بمآذنها الشامخة.. جوامع كبيرة ومساجد صغيرة . . كل مسجد وكل جامع منها يحكي لنا قصة من بعيد او من قريب . . بعضها او الكثير منها مازال يحتفظ ببهائه ورونقه كما لو كان قد شيد بالامس القريب . . لقد توقفت عندها عقارب الزمن فبقيت على ما كانت عليه . . مسجد سيدنا الحسين ، ومسجد السيدة زينب ، ومسجد ابن طولون ، ثم اقدم مساجد مصر اطلاقا . . مسجد عمرو بن العاص اول قائد مسلم جاء لفتح مصر وانتشر الاسلام في عهده . . أي مساحة تلك التي نحتاج اليها لنتحدث عن كل هذه الاثار ؟ ولم تطل وقفتنا ، فقد ادركنا على الفور ان أية محاولة قد نقوم بها ستكون أشبه بمن جلس على شاطيء البحر محاولا ان يجمع مياهه في فنجان !

مجد المسلمين العرب

لقد كانت هناك عدة محاولات،قامت بآخر محاولة منها سيدة كريمة ، هي الدكتورة سعاد ماهر . . راحت تكتب عن مساجد مصر وتحاول ان تجمعها في كتاب فاذا بها تخرج بموسوعة تقع في عدة اجزاء . . كل جزء منها يحوي مئات الصفحات ومع ذلك قال بعض الذين قرأوه : « لقد جاء الكتاب ناقصا ، رغم المجهود الكبير الذي بذلته الكاتبة في جمع كل ما يتصل بمساجد مصر من قريب او من بعيد » . .

ومضينا نمشي مع التاريخ . . لقد اقتنعنا الآن بأن هذه الرحلة السريعة لن تكون اكثر من محاولة للاقتراب من تلك الايام التي شهدت مجد المسلمين العرب في فارس والشام ومصر

بـاب زويلة . أ
بوابات القاهرة القد
باب ضخم كـان أ
بوابات السور الذي
حـول الـعـاصـ
لحمايتها .
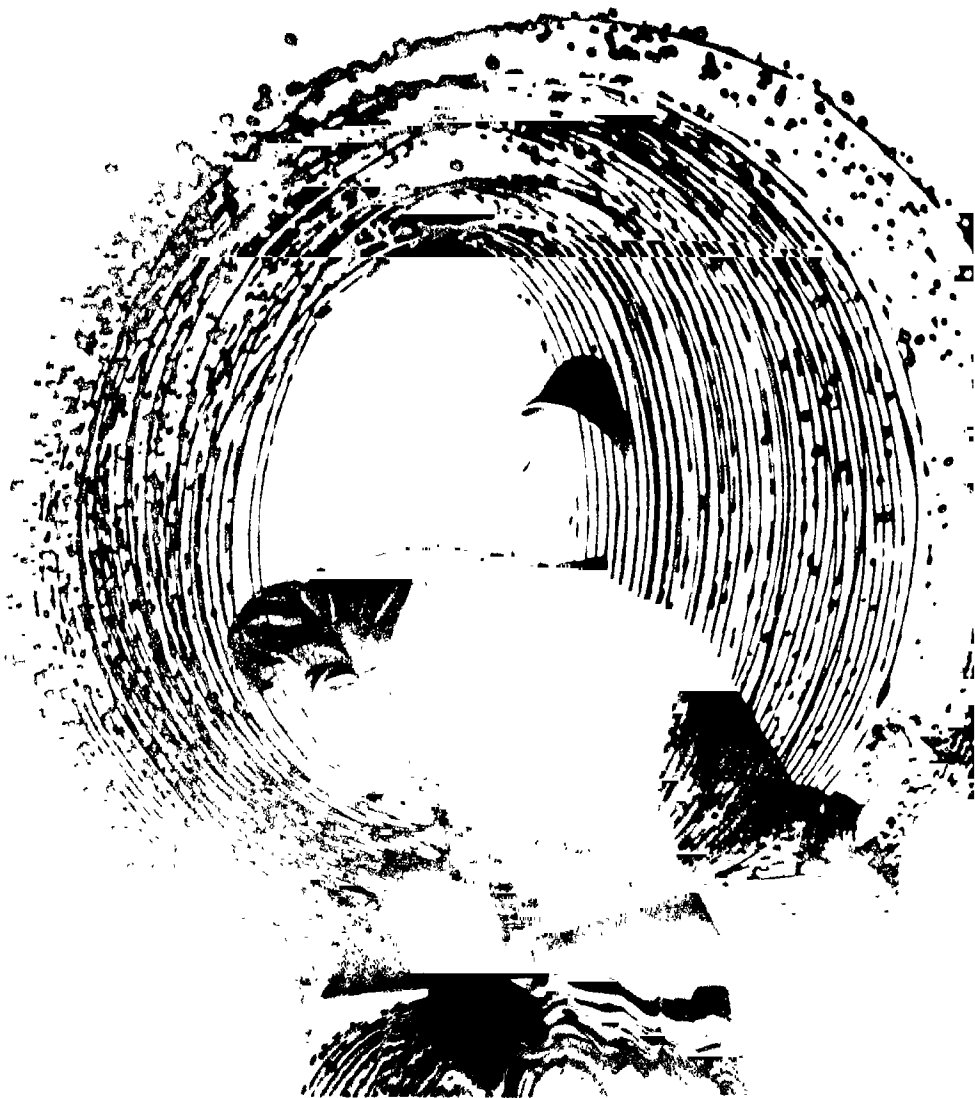
كنافة رمضان قبل أن تدخل الآلة في صنعها .. طبق حلو شهي في ليالي رمضان .
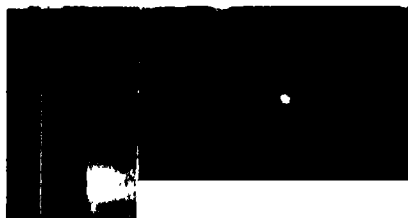
طبق الفول المدمس على مائدة الافطار دوماً في كل مكان حتى مطاعم فنادق الدرجة الأولى .

والعراق وبلاد المغرب ولكن ثمة شعور كان يتتابنا ونحن نخطو فوق هذه الارض التي مر الاجداد من فوقها . . اجيال من بعد اجيال من بعد اجيال . . هنا فوق هذا التراب كانت مسيرتهم وكانت رحلتهم مع الحياة . . وكانت رحلة مليئة حافلة بالخير والعمل الطيب والتسامح الديني . . وذهب الأولون ، ولكن آثارهم بقيت تدل عليهم .

وتذكرنا المعري وهو يقول في قصيدته الرائعة :

سر ان اسطعت في الهواء رويدا . .
لا اختيالا على رفات العباد
خفف الوطء ما اظن اديم الا
رض الا من هذه الاجساد

بداية القصة

ولكل قصة بداية . . . ترى كيف بدأت قصة القاهرة ، ومتى ؟
هل جاء الاسلام بعدها ام قبلها ؟ اسئلة لا يجد المرء مفراً من الوقوف عندها ما دام قد صمم على الغوص في اعماقها . . ولنبدأ القصة من حيث يعنينا الحديث.كانت ارض مصر التي شهدت الاديان السماوية السابقة . . . اليهودية ثم المسيحية قد استعدت لاستقبال الاسلام . . ففي عام ٦٤١م (٢٠ هجرية) جاء العرب الى مصر وفتحوها ، وكان عليهم بعد هذا ان يختاروا عاصمة لها ، واتجه الرأي في البداية الى مدينة الاسكندرية التي بناها الاسكندر المقدوني . . ولكن الاقتراح ما لبث ان استبعد ، فالاسكندرية مدينة تشرف على البحر وكان عرب الجزيرة يخشون ركوب البحر . . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر قواده بألا يجعلوا بينهم وبينه ماء . . كان يقول لهم : « إن شئت ان آتيكم ركبت جملي فأدركتكم من غير ركوب ماء !»

وفي موقعة ذات السواري بين الاسطول الاسلامي والاسطول الرومي بالاسكندرية ربط المسلمون بين سفنهم فصارت قطعة واحدة يمشي عليها الجنود كما لو كانت ارضا . . وحاربوا الروم وانتصروا عليهم . .

جامع عمرو بن العاص

حضارة المسلمين العرب كانت اذن في اول امرها حضارة برية . . . ومن هنا ابتعدوا عن البحر في البداية . . وكانت العاصمة الاسلامية العربية الأولى هي التي اسسها عمرو بن العاص سنة احدى وعشرين هجرية (٦٤١م) في المكان الفسيح الذي يقع الى جانب حصن بابليون ، حيث عسكرت قوات المسلمين للمرة الأولى . وأسموها (الفسطاط) . . . وتبحث عن العاصمة الاسلامية القديمة الآن ، فيشيرون لك بأصابعهم الى المنطقة التي يقوم فيها مسجد عمرو بن العاص . . هنا كانت الفسطاط (مصر القديمة) التي اقام عمرو فيها مسجده العتيق الذي يحمل اسمه « إمام المساجد ومطلع الانوار اللوامع . . طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه ، وواظب على القيام بنواحيه ». ثم اتسع المسجد حتى بلغ مساحته الحالية في العصر الاموي . . ووسط هذا الحقل من الاعمدة والاروقة كانت تعقد حلقات التدريس ، كما كانت تقام ايضا حلقات الوعظ والارشاد تصدرتها يوما واعظة زمانها ام الخير الحجازية في الدولة الفاطمية . . وقد كانت ترى الشمس تغرب مرتين في شهر رمضان ، فلا تقرب الصلاة والطعام الا مع الغروب الثاني .

وكان المسلمون يحتفظون بأموال اليتامى والمساكين في حرم المساجد لما فيها من قدسية وحرمة . . وكانوا يوزعونها عليهم بعد صلاة المغرب . ويدخرون قسما منها لليلة القدر في رمضان .

مسجد عمرو بن العاص من الداخل

ولم يكن مسجد عمرو مقصورا على الفرائض الدينية وحلقات التدريس ، بل كانت تعقد فيه ايضا محكمة لفض المنازعات . . وكانت تنتهي دائما بالصلح والسلام .

وعرفت الفسطاط الازدهار خلال القرون الثلاثة التي اعقبت انشاءها ، وقد اسهب المؤرخون في وصفها فقالوا ان شوارعها كانت مرصوفة ومنازلها فسيحة تتألف أحيانا من خمس او ست طبقات ، وكانت المدينة تحوي كل المرافق الصحية وفيها عدد كبير من الحمامات العامة .

ربما تكون وقفتنا قد طالت بعض الشيء عند الفسطاط ، ولكن لنا عذرنا،فلكل قصة بداية كما ذكرنا.وقد كانت هذه المدينة الاسلامية التاريخية التي لم يبق منها غير ما يجده المرء في بطون الكتب . . هي بداية القصة في هذه العجالة . . قصة دخول الاسلام وانتشاره في مصر .

الأضواء تزين مآذن القاهرة وكأنها في عرس .. كل شوارع المدينة القديمة تتحول الى نهار في رمضان ..
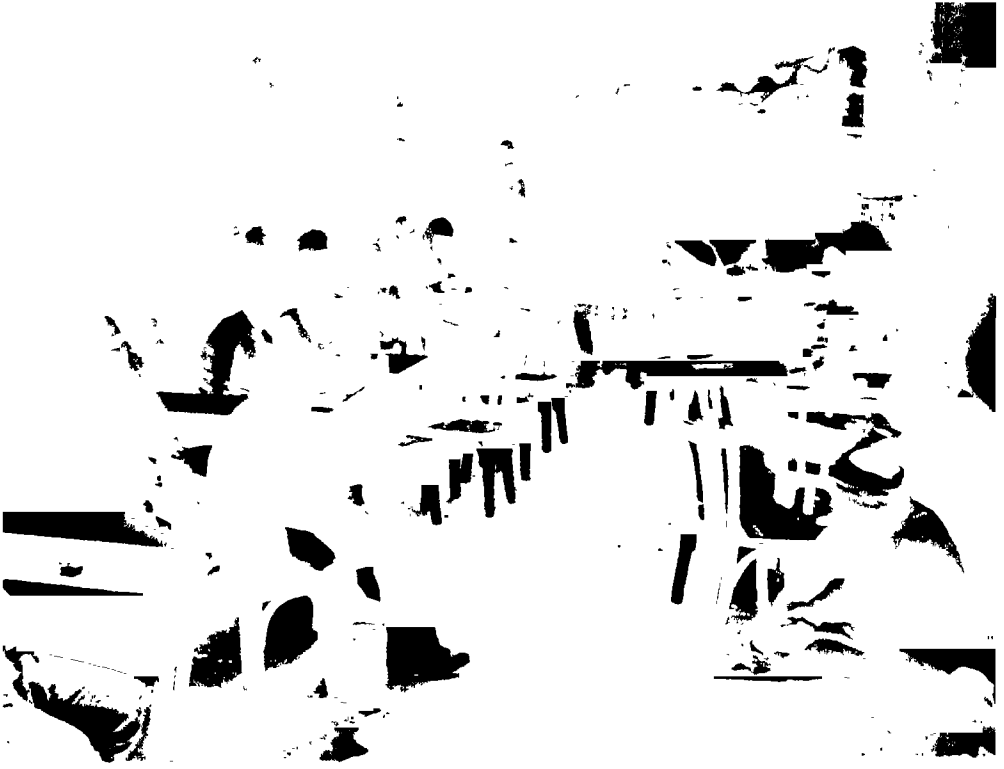
قهوة الفيشاوي في حي سيدنا الحسين . . وهي أحد معالمه المشهورة كم شهدت من أمسيات الفكر والفن والأدب . . وشرب فيها كبار رجالات مصر الشاي الأخضر وهم يتسامرون . . تماماً كما يفعل اليوم أهل الريف (تحت) بعد أن رحل روادها الأولون .

مسجد السلطان قلاوون من الخارج حيث تظهر المئذنة والقبة

رسالة الاسلام ومبادئه

انها قصة سجل التاريخ تفاصيلها بأحرف من نور .. فلم يأت عمرو بن العاص القائد العسكري المسلم الى مصر حاملا رسالة الاسلام فحسب ، ولكنه جاء يحمل المثل والمبادىء والقيم التي تنبع من هذا الدين الحنيف على مر العصور .. فقد بسط عمرو حمايته على اقباط مصر وانقذهم من المذابح التي راح عشرات الالوف ضحية لها في عهد روما الوثنية ثم روما المسيحية . وحافظ عمرو على كنائسهم وعلى اديرة الرهبان الاقباط في مصر وسمح لهم باعادة بناء ما هدمه الفرس منها وكل الآثار القبطية التي يجمعها اليوم متحف خاص بها تحكي هذه القصة ويزوره المسلمون والمسيحيون على السواء .. تماما مثل المتحف الاسلامي الذي يحوي اقدم وأروع آثار المسلمين .

ولم يفته الاهتمام بنيل مصر العظيم ، فأقام له مقياسا في جزيرة الروضة ، اما عمرو نفسه فقد وصف مصر بقوله : تربة غبراء وشجرة خضراء يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات يجري بالزيادة والنقصان. شروق الشمس على صفحته سلاسل من ذهب وغروبها لآلىء تسبح بحمد الله » .

واخيرا قامت القاهرة

ثم تقوم القاهرة او « المنتصرة » ، اخيرا في عام ٩٦٩م (٣٥٨هـ) . . أسسها جوهر الصقلي وبنى حولها سورا من اللبن على شكل مربع طول كل ضلع فيه لا يزيد على ألف ومائتي ياردة ، ولم تكن مساحة الأرض التي حددها السور تزيد على ٣٤٠ فدانا ، وفي وسط هذه المساحة شيد جوهر قصرا كبيراً بلغت مساحته وحده اكثر من سبعين فدانا . . وعلى مقربة من القصر انشأ جوهر الجامع الأزهر الشريف ، أول مسجد ومدرسة واقدم جامعة في العالم .

ترى اين قامت القاهرة على وجه التحديد ، واين كان موقع اسوار تلك المدينة الناشئة الصغيرة . . التي مضى على انشائها اليوم خمسة عشر والف عام .

من الجهة الشرقية كان يحدها جبل المقطم ، وغربا الخليج الذي كان يخرج من النيل الى الجنوب قليلا من فم الخليج ، وينتهي عند خليج السويس ، ومكانه اليوم (شارع بورسعيد) .

اما الجهة الجنوبية فكان يحدها خط يمتد من ميدان باب الخلق ويتجه شرقا مارا بباب زويلة (بوابة المتولي) وينتهي عند جبل المقطم ، وفي الشمال تبدأ حدودها عند الجهة الغربية من ميدان باب الشعرية متجهة شرقا الى باب الفتوح فباب النصر ثم تنتهي عند جبل المقطم .

عاصمة الفاطميين

ولم يكن هدف جوهر الصقلي من انشاء القاهرة ان تكون قاعدة او دارا للخلافة ، بل مجرد سكن للخليفة وحريمه وجنوده وخواصه ، فنشأت مدينة متواضعة محدودة المساحة معدودة المباني والمنشآت ، واستمرت بعد قيامها مدينة عسكرية لفترة من الوقت وكانت تحوي قصور الخلفاء ومساكن الامراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح ، ولكنها ما لبثت ان اصبحت بعد انشائها بأربع سنوات عاصمة الخلافة الفاطمية عندما انتقل اليها المعز لدين الله الفاطمي من المغرب حيث اتخذ منها مقرا له ، واصبحت مصر موطنا لاسرته . . واصبحت مصر موطنا لكل العرب . .

وما حدث للقاهرة التي راحت تنمو وتكبر وتتسع حتى اصبحت اليوم اكبر عاصمة في الوطن العربي . . . حدث للجامع الازهر الذي كان اول عمل فني معماري اقامه الفاطميون . . لم ينل الازهر شهرته العالمية ومركزه المرموق في العالم الاسلامي اعتمادا على صفته الدينية فحسب بل على ما قام به ايضا من اعمال مدنية وخدمات اجتماعية وسياسية . . وتمضي القرون ويصبح الازهر اقدم جامعة عالمية .

والحديث طويل اذا مضينا مع التاريخ . . لقد كان العصر الفاطمي هو العصر الذهبي للقاهرة ولكثير من ارجاء مصر . . ثم جاء الايوبيون ، وإلى صلاح الدين الايوبي يرجع الفضل فيما آلت اليه القاهرة اليوم . . انها لمحة سريعة عن الرواد الذين أثروا الحياة في مصر بعد ظهور الاسلام . . لأننا لو توغلنا في تاريخ مصر ومضينا معه وتوقفنا عند كل حقباته لاستمرت مسيرتنا لاكثر من سبعة آلاف سنة !

ونقف في مواجهة المدفع القديم بجوار القلعة . . انه مدفع رمضان . . لا احد يعرف على وجه التحديد متى انطلق لأول مرة ، ولا الى

(الى اليمين) بيت الكريدلية أحد المعالم القديمة في القاهرة اشتراه رجل انجليزي أشهر اسلامه .. انه نموذج للبيت العربي بأثاثه الذي جمعه صاحبه من مختلف العواصم الاسلامية .. وقبل أن يموت أوصى به للدولة فحولته الى متحف .

ملابس العيد بألوانها الزاهية وزخارفها التي صنعتها الأيدي الماهرة .. إنها في كل بلد اسلامي طوال شهر الصوم المبارك الى أن يجيء عيد الفطر . (الى اليسار) .

(فوق) صانع السبح .. بدأت قصته مع المسبحة منذ عقود طويلة .. وهو يحتفظ في محله الصغير بحي سيدنا الحسين بصور له مع الملوك والرؤساء الذين كانوا يقصدونه لشراء مسابحهم من الأحجار الثمينة .

في بيت السحيمي الذي سمي باسم آخر سكانه وكان شيخاً من شيوخ الأزهر الشريف ، وقفت طالبة كلية الفنون
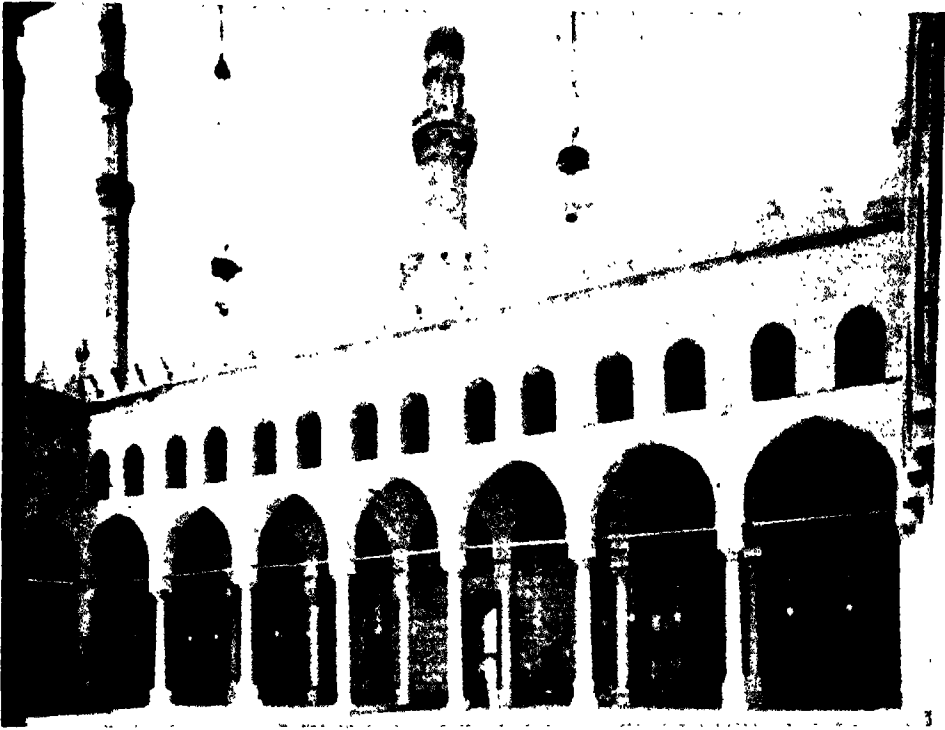
مسجد السلطان محمد بن قلاوون من الداخل

اي عهد يرجع تاريخه .. ولو ان البعض يؤكد انه جاء مع محمد علي الجندي الالباني الذي استقل بمصر عن النفوذ العثماني واعلن العصيان على الباب العالي وانتصر .. وقد كان يقول : سأجعل شمس مصر تقف عند باب قلعتي ولا تغيب عنها ابدا .

لا نريد ان نتعرض لهذه الفترة من التاريخ فليس هذا موضوعنا ، ولو ان هذا السلطان هو باني مصر الحديثة .. وقد اشرقت الشمس طويلا في سماء مصر في عهد أبنائه .

شمس رمضان

وأوشك قرص الشمس على الغوص وراء الافق .. وقال مرافقنا : نحن نقول ان الشمس في رمضان لها وجه خاص ، فهي تحنو علينا وتترفق بنا في اشد ساعات الصيف حرا . !

وقبل ان ينهي حديثه ارتفع صوت المؤذن يكبر .. وعدنا الى حيث كنا في شوارع القاهرة القديمة ، وامام قبر السيدة زينب رضي الله عنها ، وقف مرافقنا فجأة ، وقال : هنا في هذا المكان كانت تأتي كل يوم .. سيدة عجوز فقدت الزوج والابناء .. تهدم البيت الذي كانوا يعيشون فيه بمنطقة القنال احرقه الاسرائيليون ونجت هي من الموت .. كانت تأتي الى قبر السيدة زينب كل يوم وتصلي وهي صائمة وترفع يديها الى السماء ... واستبد بها التعب في احد ايام شهر رمضان الكريم منذ خمسة اعوام ... فنامت حيث كانت تجلس ، وبقيت حيث هي حتى طلع الفجر .. وادت الصلاة ، ولكنها كانت في صلاتها هذه المرة سعيدة فرحة .. ولم

تكتم سر سعادتها فقد راحت تحكي للناس ما رأته في منامها .. يد ملاك نزل من السماء تمتد اليها وتضع في يدها هي قصاصة صغيرة من الورق .. وقال الملاك يحدثها : في هذه الورقة عنوان .. اذهبي اليه وسوف تجدين شقيقتك التي كنت تبحثين عنها !

في القاهرة القديمة التي قضينا بين مساجدها ومآذنها بضعة ايام تستطيع ان تعرف السبب .. لماذا يأتي الالوف من المسلمين وغير المسلمين من شتى انحاء الوطن العربي لقضاء شهر رمضان المبارك .. فبين هذه الآثار الاسلامية يستطيع المرء ان يلمس روحا خاصة لا يشاركها فيها اي مكان آخر .. ربما جاءت من عراقة التاريخ الذي عاشته هذه البقعة من الارض .. وربما كانت من نبضات قلبها الكبير الذي يخفق بالحب لكل الناس ولكل عمل طيب يمت الى الله بصلة .. في هذا المكان الذي تعلو فيه المآذن والقباب لا يفقد الانسان ... اي انسان طريقه الى الله ابدا ..

ووراء هذه المآذن الشامخة عاشت القاهرة عهودا حافلة بالانتصارات .. وهي ايضا لم تسلم من الهزائم والانتكاسات .. ولكنها كانت تخرج في كل مرة وبعد كل هزيمة مرفوعة الرأس شامخة شموخ مآذنها التي تقف شاهدا على الحضارة التي عرفت طريقها اليها حتى في تاريخ ما قبل التاريخ .. □□

من وصايا لقمان

* « يا بني من حمل مالا يطيق عجز ، ومن أعجب بنفسه هلك ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن لم يشاور ندم . ومن جالس العلماء علم ، ومن قل كلامه دامت عافيته » .

* * *

منه ... واليه !

* جاء في كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي ما يأتي : « من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدام نائب المدينة غاب عن خدمته زمنا . ففي بعض الأيام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر ، والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يسير الماشي فيه قائما ، فما زال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة ... فطلع منه ، فاذا البئر في دار النائب . فلما طلع أمسكه وأدبه .

قصة قصيرة

غيبوبة حلوة

بقلم: عباس خضر

□ كل يوم يصحو مبكرا عند الفجر ، وينظر من خلال زجاج النافذة الى نوافذ المستشفى القريب ، فيبعث ذلك في نفسه مشاعر متباينة .. يتخيل وراءها خيالات متباينة .. ياترى كيف حال المرضى هناك ؟ منهم من لايزال يغط في نومه ، ومن استيقظ بدافع الألم ، ومن لم ينم ليله ، ومن اعتاد مثله على الاستيقاظ مبكرا .. الخ .

عالم عجيب مسكين .. يتخيله فيشعر بالراحة في معظم الاحيان ،وأحيانا يتذكر فيأسى ! يتذكر اشياء كثيرة رآها وعاذها في المستشفيات ، وتمتع ببعضها ولا يزال كذلك كلما تذكرها !

ومن عجيب مشاعره انه يحب الحياة ويتشبث بها . ويذهب عنه ملل رتابتها ، عندما يكون مريضا . يشعر بالأمل في مباهجها بعد الشفاء .. وما مباهجها عندئذ الا ان يغدو ويروح .. يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، يعطي ويأخذ ، يفرح ويأسى .. الخ .

ولكن حدث مرة ان كان مريضا في المستشفى وهجم عليه الاشمئزاز من كل شيء ، وداخله اليأس اذ أظلم في وجهه كل شيء ، ولم يكفه ما يعانيه من آلام المرض حتى جاءته تلك الممرضة الشرسة .. قبيحة النظر ، دميمة الوجه ، يدل تضخم جسمها في أماكن غير متناسبة على انها تأكل وترعى كما يرعى الجاموس ! ولا بد انها تجور على طعام المرضى .

دلت التجارب على ان المرأة الدميمة الخَلْق تكون غالبا دميمة الخُلُق ، يعلل هذا بأن الناس ينظرون اليها فلا يستريحون لنظرها ، فيعبسون في وجهها ، فتستقر في نفسها كراهية الناس لأنهم يكرهونها .

وعلى عكس ذلك المرأة الجميلة الصبوحة المشرقة ، لاترى الناس الا مشرقين في وجهها فتحبهم وتبادلهم اشراقا باشراق .

احتار في امره .. ماذا يفعل ازاء تلك الممرضة المبرحة ... ؟ اذا احتاج الى شيء يناديها فلا تتحرك ، واذا تحركت فعلى دفعات بطيئة .. وياويل نفسه اذا استدارت ورأى أحد ردفيها يعلو ، والآخر يهبط ، تقول له في شبه تأنيب : ماذا تريد ؟ ألاتنتهي لك طلبات ؟ اذا كان راغبا في شربة ماء انسدت نفسه وذهب عنه العطش مع حنانف الريق .

على ان مسألة القبول في « الوجه الصبوح » قد تنعكس على سبيل الشذوذ ، ولكل قاعدة شواذ ، فتكون الدميمة خفيفة الظل لما يكون في طبعها من الرقة والانسانية المهذبة ، وعلى العكس قد تكون الجميلة ثقيلة الظل .. والمثل العامي يقول : « ياوحشة كوني نغشة » أى كوني ظريفة مداعبة ضحوكا بحيث تعوضين ما فاتك من جمال بحسن الكلام وحلاوة اللسان .

احتار صاحبنا المريض في أمر تلك الممرضة ولم تسعفه الحيلة في التخلص منها ، فاستشعر الالم النفسي ، مضافا الى الألم الجسمي ، وتضاءل امله في الحياة وضعف تشبثه بها .. وجعلت الغيبوبة تنتابه في فترات قصيرة أولا ، ثم تزداد شيئا فشيئا حتى طالت في احدى المرات ، فانزعج اهله الذين يزورونه يوميا ، وأحضروا له طبيبا مختصا في الامراض العصبية وجعل هذا يعالجه بمختلف الوسائل .

لايزال يذكر حوارا جرى بينه وبين الطبيب ، وهو بين اليقظة والغيبوبة ... لم يكن قد أفاق تماما والطبيب يجسه

ويمسك بيده متلطفا قائلا :
ـ أفق يا استاذ أحمد ، أفق .
ـ لماذا تريدني ان أعيش ؟
ـ أهلك في حاجة اليك .
ـ أنا لا أريد . . .
ـ الحياة حلوة يا استاذ أحمد .
ـ لا أجد فيها الا المرارة .
ـ لا ، لا ، يا استاذ احمد .
قال الطبيب ذلك وهو يداعب خده وذقنه برفق . . ثم قال وهو يلتفت الى الحاضرين من أهل المريض كأنه ينبههم الى ما فعله وما يستحق عليه الأجر الكبير : ـ
ـ هذا أنت يا استاذ أحمد قد صرت على مايرام .
قال أحمد لأخيه المهتم به :
ـ انقلني من هنا ، لا أريد ان أرى هذه المرأة . . . يقصد الممرضة .
ـ أين تريد ؟
ـ انقلني الى أي مكان ، الى الدرجة الاولى ، نعم سيكون اجرها مرتفعا ، ولكن قاطعه الشقيق قائلا : ـ
ـ لا بأس ياأخي ، كل شيء يهون في سبيل راحتك وشفائك .
ونقلوه الى قسم الدرجة الاولى ، ولم يكن هناك مكان خال ، وازاء الالحاح وضعوا له سريرا اضافيا في حجرة مع مريض آخر : رجل مسن طيب ، وقبل ذلك .
استقبلته هناك ممرضة رقيقة حسناء ذات وجه سمح يجود بالبشاشة ، قال في نفسه أول ما رآها : الحمد لله لقد عوضني الله خيرا ، يظهر انهم يضعون تلك الممرضة الشرسة في الدرجة الثانية لكي (تطفش) الزبائن الى الدرجة الاولى ليستفيدوا من ذلك فرق الاجر ، عادت اليه طمأنينته ، واستراحت نفسه ، وانتعشت معنويته .
التقط اسمها « فاطمة » من فم جاره وهو يناديها ويحادثها .
وجد فكره يقرن فاطمة الرقيقة الى تلك الممرضة الشرسة ، حضر اسم « فاطمة » في ذهنه ، وصار له في سمعه وقع جميل ، على حين رفضت ذاكرته اسم تلك الممرضة التي « لاتسمى » كما يقال في الحديث العادى عمن يبغضه المتحدث .
جاءت اليه فاطمة تصلح وضعه في الفراش ، تلمسه في خلال ذلك برقة وعلى شفتيها ابتسامة لم ير أعذب منها .
اقترب من تمام الشفاء ، لم تواته غيبوبة ، وبالتالي لم يحتج الى طبيب الامراض العصبية ، وأراد اخوه في احدى الزيارات ان يستشف حالته النفسية ، قال له :
ـ كيف حالك الآن يا أحمد ؟
ـ بخير والحمد لله .
ودخلت فاطمة في هذه اللحظة ، فلحظ الأخ على وجه أخيه الاشراق لقدومها ، وأعطته الحقنة،وكأنما أعطته حلوى،وتبسم لها شاكرا ، ثم انصرفت . قال الأخ :
ـ لم تعد تنتابك الغيبوبة ؟
لم يسمع جوابا من أخيه ، لأنه كان شارد النظرات ، كأن ليس معه احد يكلمه . . . .
ـ أين ذهب عقلك ؟
ـ لا ، لم يذهب ، اني معك ، ماذا قلت ؟
ـ ان الغيبوبة هذه المرة من نوع آخر . . غيبوبة حلوة ؟
ـ ماذا تقصد ؟
ـ لا شيء ، المهم صحتك ، متى تخرج من المستشفى ؟
ـ عندما يقرر الطبيب .
قال ذلك وقد تنبه على حقيقة كانت بعيدة عن وعيه . هل سيخرج من هنا ؟ طبعا سيخرج . .سيخرج مهما طال الوقت . . وفاطمة ، ألن يراها بعد ؟ كيف يصبر على فراقها ؟ وانتبه لنفسه فسأل نفسه : أتحبها ؟ وأجاب : ولم لا ؟ قال له الرجل الكبير المريض الذى يقاسمه الغرفة وقد انفردا يسمران :
ـ لا تنشغل بها يا ولدى . . .
ـ من هي ؟
ـ فاطمة . . أتظن ان ولعك بها يخفى عليّ . . ؟
واضاف :
ـ ان هي ألا أيام وتخرج من هنا ويذهب كل الى حاله .
ـ لا أريد ان أذهب وأدعها .
ضحك المسن وهو يقول :
ـ أتأخذها معك ام تبقى هنا الى الأبد ؟
ـ ما رأيك ؟
ـ فيماذا ؟
ـ ان أفاتحها في الزواج ؟
ـ يبدو لي أنك جاد في حبها . . .
ـ أليست جديرة بالحب ؟
ـ اسمع ياسيد أحمد ، انها تؤدى عملها كممرضة ،تؤديه على احسن وجه ، معك ومعي ومع كل مريض . ويبدو أنها تحب عملها وتنهمك فيه . ويظن الواحد منا ـ نحن المرضى الذين تعاملهم برقة ـ يظن انها تحبه وتؤثره وتخصه .
كان أحمد شاردا لا يعي ما يقول الشيخ .
ـ الحب شيء والزواج يا ولدى شيء آخر .
ـ أنا أريد هذا الشيء الآخر . .
ـ قد أراده مريض آخر وناله .
ـ ماذا تقول ؟ ماذا تعني ؟
ـ لا تؤاخذني ياولدى اني أعلم ما لا تعلم . .
ـ ماذا تعلم ؟ وأنى لك ؟
ـ علمت منها هي . . حدثتني ، أفضت الي كوالد .

شده أحمد وأصغى يريد ان يقف على ماعند الشيخ ، وقال الشيخ :

فتن بها ذلك المريض ، وكان من أصحاب الملايين ، أغراها بمعسول كلامه ووعوده حتى قبلت ان تتزوجه . ولما خرج من المستشفى دخلا في حياة زوجية لم تكن للأسف سعيدة ، انطفأت النشوة الأولى من جانبه ، رأى انشغالها عنه بعملها ، ولم ير العناية التي كان ينشدها ، والتي كانت تبذلها له مريضا،وهي تبذلها لكل مريض بدافع حبها لفن التمريض الذي حذقته في المعهد وكرست جهدها عليه .

ومن جانبها علمت انه متزوج وله اولاد ، ولم يقل لها ذلك ، رأت انه خدعها فكرهته ، وانتهى الامر بالطلاق . اسمع ياولدي،خذها مني نصيحة : نصيحة رجل كبير السن عركته الحياة ، انها ممرضة تختلف عنها زوجة .

- ولكني أحببتها ومستعد أن آخذها على علاتها .

- انت تقول هذا لأنك في سكرة الحب . . . وعندما تفيق ستعرف الحقيقة .

- لن أفيق .

قال هذا ثم تذكر ما قاله أخوه : انك في غيبوبة حلوة . . .

وقال في نفسه : سكرة الحب أو غيبوبة حلوة . . فليكن أي شيء . . أريدها والسلام .

جاءت فاطمة ، وأعطت احمد الحقنة ، وابتسمت وهي تقول له : بالشفاء ، تلك الابتسامة الدائمة الفاتنة ، ليته يستطيع ان يقبل هذا الفم الجميل . . كيف يسمع الى نصح ذلك الرجل المسن المخرف الذي برد قلبه ؟ قال لها مستجمعا شجاعته :

- فاطمة .

- نعم يا استاذ أحمد .

- لا تقولي استاذ ، أنا أحبك وأريد ان أتزوجك .

فوجئت ، تذكرت ماضيا أليما سكتت ، قال :

- أفهم من سكوتك انك موافقة ؟

غابت الابتسامة من وجهها وهي تقول :

- لا .

- لماذا يا فاطمة ؟ أنا أحبك .

- كلكم تقولون هذا ، وأنا لا أريد ان أكرر التجربة .

- أية تجربة ؟

- اسأل الحاج . . .

واشارت الى صاحبه في الحجرة ، وأضافت :

- يبدو نائما ، يتظاهر بالنوم . . . .

فتح الحاج عينيه ، وقال ضاحكا :

ألم أقل لك ؟

أما هي فقد ظلت على عبوسها الطارىء وانسحبت .

والآن ينظر من النافذة الزجاجية عند الفجر الى نوافذ المستشفى الزجاجية المضيئة ، ويتخيل ما وراءها ومن وراءها . . . ويود ان يكون هو هناك ولو مريضا . . وان تكون هي هناك ايضا ممرضة . ما أجمل ذكرها ! . .

لن ينساها أبدا ، ولن ينسى فضلها اذ لم تتزوجه ، فبقيت في اعماقه طيفا حبيبا ، ومن يدري كيف كانت تكون لو تزوجها .

■ الغضب ريح تهب فتطفىء سراج العقل .

« انجرسول »

■ يتروح العليل بنسيم أرضه ، كما تتروح الارض الجدبة ببل المطر .

« جالينوس »

■ جيش من الوعول يقوده أسد خير من جيش من الأسود يقوده وعل . .

« نابليون »

بارباروسا
سيّد البحار وحامي العقيدة

بقلم : سليمان مظهر

□ كان مكافحا لا تلين عريكته قادرا على مواجهة النصر والهزيمة كل بما يستحقه من عناية وثاقب نظر .. ونفذ من الأساليب في البحر ما لم يسبقه اليها الآخرون .. فما هو سره الحقيقي ؟

احدى قطع الأسطول العثماني راسية في خليج القرن الذهبي

خير الدين بارباروسا . . فى ردائه القومى . .

كيف يكون الثأر . . ؟!

كان هذا هو السؤال الذي راح يدور في رأسه صاخبا كدوامة . . منذ خرج من متجر أبيه قبل ذلك بساعات .

وفي الحق . . انه لم يكن من قبل ، قد أدرك شيئا من أمر ذلك الصراع بين المسلمين والصليبيين في الاندلس . ولم يكن في الأعماق منه اهتمام كبير بشئون العقيدة ، بل كان يجهل من أمور الدين كل شيء . فهنا . على سواحل ليسبوس في غربي آسيا الصغرى . . حيث يعيش أبوه الجندي الانكشاري على تجارة الخزف والفخار بعد أن تقاعد من خدمة السلطان . . وحيث لا يجوب الطرقات غير رجال البحر وفتيانه . . لم تكن الدولة العثمانية قد بذلت أي جهد لغرس أصول الايمان في أعماق من دخل الاسلام من سكان الجزر . ولكن الفتى خير الدين ـ التركي المسلم ـ كان مع ذلك شابا شجاعا عفا . . بلا مغامرة ولا خمر ولا متاع . . بالرغم من أنه كان يعيش في جزيرة زاخرة بالمغامرات الصاخبة والشراب الرخيص الذي يكرعه البحارة كلما عادت سفنهم التجارية ومراكبهم الشراعية بعد جولات طويلة في خضم البحر الأبيض المتوسط . . يتقلون التجارة من ميناء الى ميناء . . ويستولون على ما تحمله سفن أخرى من البضائع والثروات .

ولكن . . مابالك ياخير الدين وتلك الرغبة في الثأر التي تأججت في صدرك الصغير . . ؟!

أتكون هذه النار قد أحرقت أعماقك بعد أن ضرب أذنيك ذلك الخبر الذي جاء به البحارة العائدون من سواحل الشمال الافريقي . . ؟!

ألا ما كان أبشعه من خبر . . وما أسوأها من أنباء : لقد سقطت غرناطة . . !!

انهار عهد المسلمين في الاندلس بعد أكثر من سبعة قرون طوال ، أقاموا خلالها حضارة اسلامية رائعة . . ثم أصابهم الهزال عندما ثارت بين حكامهم وأمرائهم الأحقاد والمحن . . فما اجتمعت لهم كلمة ولا توحد لهم جيش ، وهم يواجهون الهجمة الصليبية الشرسة التي انقضت تستولي على كل شيء وتمزق كل إمارات الاسلام . . حتى لم يبق منها سوى غرناطة . . وحكامها من بني الأحمر . .

وماذا بعد السقوط ؟

ولكن . . ها هي غرناطة أيضا تسلم زمامها للزحف الصليبي . . وها هو الملك الصغير أبو عبدالله يضيع آخر معقل من معاقل المسلمين في الاندلس . . ويستسلم للملكين الصليبيين فردناند وايزابيلا . . وها هو يسلم مفاتيح الحمراء وغرناطة كلها في يوم أسود من ربيع الأول من عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) .

وها هم المسلمون الباقون في الاندلس يقعون بين شقي الرحى . . !

أما الفتى خير الدين ـ أو خيضر كما يسميه الغربيون ـ فقد وجد نفسه ـ وهو بعد في الرابعة عشرة ـ يتابع الانباء كلها وهو قابع في دكان أبيه ، يستمع كل يوم الى ما يحكيه البحارة من مظاهر الاذلال التي حلت بالمسلمين .

وما كان أقساها من أنباء على الفتى . وهو يفتح عينيه واذنيه يستمع من أخيه البحار عروج الى قصص المذابح الرهيبة التي أنزلها الصليبيون بمن بقي من المسلمين على أرض الأندلس .

. . . ومحاكم التفتيش

كان الفتى ينصت في ذهول الى ماتفعله محاكم التفتيش بالمسلمين . . وكم كان الأمر مرعبا وهو يسمع الى واحد ممن استطاعوا الهرب من سجون محاكم التفتيش ، اذ يصف آلات التعذيب في القاعات المظلمة الرطبة بجدرانها السوداء . « لقد ثبتت فيها مسامير ناتئة قد صدئت ، يغلق عليها بباب من الحديد السميك ، وفي أرضها سلاسل ضخمة مشدودة الى حلقات في الأرض ، وهي سلاسل لربط من يجري تعذيبهم . . والى جانب ذلك توجد مجالد من الجلد المعقود على رصاص ودواليب وسحابات ذات مسامير صدئة حادة لتمزيق الأجساد ، وعضاضات حديدية لعض اللحم ، ثم أكاليل حديدية ذات مسامير حادة ناتئة من الداخل تطوق بها جبهة المعذب ، ثم يأخذ السجان في تضييقها شيئا فشيئا بواسطة مفتاح يدور بلولب حتى تغرز المسامير في الرأس ، وهناك الكلاليب ذات الرءوس الحادة لسحب أثداء النساء من الصدور ، والآلات الخاصة بسل اللسان من أصله ، وتكسير الأسنان ، الى جانب أحذية تحمى لدرجة الاحمرار يلبسونها لمن ساء حظه ووقع في يد أولئك الوحوش ، ثم أحذية أخرى حديدية ذات مسامير من الداخل يضعون فيها قدم السجين ، ثم يأخذ الموكل بالتعذيب في تضييقها شيئا فشيئا . كما توجد سفافيد حديدية متباينة الأشكال لتحمى في النار ثم يكوى بها المعذب . . وهناك خزانة حديدية يقف فيها المعذب وفي بابها ست حراب قصيرة مثبتة . . فاذا أغلق الباب بقوة دخلت حربتان في عيني المسكين لتنفذا من مؤخرة جمجمته ، وتدخل حربة في قلبه وأخرى في معدته وأخريان في بطنه .

لا . . لا . . ألا ما أبشع كل ذلك وهو ينزل بمن بقي

لوحة تمثل الأخوين .. عروج وباربـاروسا وهما يصنعان النصر ويحققان السيطرة على كل سواحل البحر المتوسط

من المسلمين على أيدي الصليبيين في الاندلس المفقود .

وكيف لا يكون نداء الثأر هو الرد على كل ما يجري هناك ؟!

عروج وخير الدين

على أن خير الدين لم يكن وحده من تحرقه حمى الغضب .. بل كان أخوه الأكبر عروج ـ وهو من يخوض البحر وينقذ من يستطيع من الهاربين من الموت ـ الأكثر غضبا والأشد حقدا .

وكان يستطيع أن يفعل الكثير ...

ولم يرفض طلب أخيه الأصغر خير الدين وهو يتمنى عليه أن يشركه في مسيراته في البحر .. لعله يستطيع أن يفعل معه شيئا بعد ..

وهكذا انضم خير الدين ليكون ضمن البحارة المحاربين على سفن أخيه المسلحة ذات الأشرعة والمجاديف .. التي تجوب غمار البحر المتوسط .. لانزال النقمة بسفن الأسبان والصليبيين .

وقد كان مقدرا للأخ الأكبر عروج أن يلعب أهم دور في حياة خير الدين منذ التحق معه لركوب البحر .. اذ كان على الاثنين أن يوطدا موضع قدم للدولة العثمانية على الساحل الافريقي الشمالي .. لتبدأ من بعد ، مرحلة طويلة من الصراع بين المسلمين والصليبيين .. ولتتأكد سيطرة السفن الاسلامية على طرق التجارة في البحر المتوسط ، حيث كانت السفن الاوروبية تمر حاملة لتجارة الشرق والغرب . وفجأة وجدت هذه السفن نفسها ـ خلال صراع طويل حول المصالح التجارية بين الشرق والغرب في البحر المتوسط ـ في مواجهة هجمات مستمرة من رجال البحر المسلمين ، الذين كان لابد أن يلعبوا أدوارا في ضرب التجارة الاوروبية على ما تحمله سفنها ، ردا على العدوان المستمر على الثغور والموانىء والتجارة الاسلامية في الشمال الافريقي ، كما كان لابد من رد على المطاردات المسيحية للعرب المهاجرين من الأندلس بعد سقوط غرناطة ، وللمغاربة الذين استعبدهم الأسبان في غزواتهم المستمرة على السواحل الافريقية . ليجعلوا منهم عبيدا أرقاء .

لم يكونوا قراصنة

في ذلك الوقت عرف التاريخ (عروج) مسئولا عن التجارة الساحلية في الجزر اليونانية التابعة للدولة العثمانية . وكان يعاونه في ذلك الأمر أخوه خير الدين .. ومن المؤكد أن الأخوين بالاضافة الى والدهما الانكشاري المتقاعد كانوا رجال أعمال ناجحين . وحتى عام ١٥٠٤ ـ ونتيجة لتجارتهم الناجحة ومعاركهم الموفقة ـ كانوا قد كسبوا سفينتين كبيرتين .. وكان ذلك بعض أسباب تسمية المؤرخين الاوربيين لعروج وخير الدين ورجالهما « بالقراصنة » .

والحق ، ان ما كان يفعله رجال البحر المسلمون من هجوم على التجارة ، والسفن الاوروبية ، لم يكن قط من قبيل القرصنة كما ادعى المؤرخون والكتاب الاوروبيون والصليبيون .. وما كان (عروج) قرصانا ، ولا كان أيضا خير الدين الذي أصبح من بعدها تحت اسم باربـاروسا مصدر الرعب للسفن الاسبانية . فلو كانت هذه هي القرصنة ، فكيف نسمي هؤلاء الذين كانوا يضربون التجارة الاسلامية ويستولون عليها في عرض البحر ، ويهاجمون الثغور الاسلامية ويسرقون خيراتها ، ويحولون من يقع في أيديهم من أهلها عبيدا يسترقونهم في السفن والمزارع ، ويكلفونهم بأدنى الأعمال وأشقها على الاطلاق ؟

ألا كذب المؤرخون الأوروبيون ولم ينصفوا . .
انه الرد على العدوان بالعدوان . . والثأر من اللصوص والسفاحين والطغاة والمتعصبين ، بالضرب الموجع في البر والبحر .

الصفقة مع الحفصيين

كان الناس في الثغور الاسلامية ، والمضطهدون من المغاربة المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم الاستبدادي الأسباني ، يستغيثون بأصحاب السفن والقباطنة المسلمين لانقاذهم ، ويحثونهم على تكثيف عملياتهم البحرية ضد الأسبان بصفة خاصة وضد التجارة الاوروبية بوجه عام .

وكان الناس يتطلعون الى شخصية مقاتلة شديدة البأس تستطيع أن تدفع عنهم الأذى وتنزل بأعدائهم الانتقام ، ووجد الناس في (عروج) وأخيه خير الدين هذه الشخصية الشجاعة النادرة . وكان لابد للرجلين ومقاتليهما من أن يجدوا المكان الذي يستقرون فيه ويلجأون إليه ، لمواصلة شن الحملات على السفن الاسبانية . وإذ وجد الأخوان أن الأسرة الحفصية في تونس قد وضعت إمكاناتها كلها لخدمة قضية منكوبي الأندلس ، فقد اتجها اليها . وكان الالتقاء بين عروج ورجاله وبين السلطان الحفصي مولاي محمد بن الحسن عام ١٤٩٤ الذي رحب برجال البحر ، ومنحهم جزيرة جربة ، مع حرية في اتخاذ وسائل الجهاد التي يريدون ، وشراء احتياجاتهم من أراضيه . . وفي المقابل وافق الاخوان على أن يقتسما مع السلطان ما يحصلان عليه من أسلاب خلال غاراتهما على سفن الاعداء .

خلال سنوات قليلة وحتى عام ١٥١٢م كان رجال البحر الأتراك والمغاربة تحت قيادة عروج وخير الدين قد أخذوا طريقهم على طول سواحل الشمال الافريقي لينقضوا من هناك على سفن الأعداء . . ومن جَنْوا الى أسبانيا كانت الدول الاوروبية المطلة على البحر المتوسط في حالة كبيرة من الرعب والفزع لدرجة أن اسطولا اسبانيا ضخما يحمل أكثر من عشرة آلاف مقاتل راح يجوب البحر لمطاردة الأخوين .

في ذلك الوقت كان الاخوان يعملان على تلبية نداءات كل من يستنجد بهما ممن يتعرضون للتهديد الأسباني . وحين استجابا لنداء حاكم بجاته ، اتجها للاستيلاء على جيجل لتصبح قاعدة لهما بدلا من جربة ، بسبب تصاعد خلافاتهما مع السلطان الحفصي . . ومن هناك انطلقا لنجدة أهل الجزائر عام ١٥١٦م .

الا أن الأخوين واجها مقاومة عنيفة من الحامية الأسبانية القوية التي كانت تسيطر على القلعة المشرفة على الميناء . وحين عجزا عن الاستيلاء على القلعة دب الخلاف بينهما وبين سالم التومي حاكم الجزائر ، الذي أصر على أن يغادر الأتراك اراضيه التي كانوا قد نزلوا بها . وأصبح الموقف لا يحتمل الا واحدا من اثنين : إما أن يغادر عروج ورجاله البلاد فاقدا الكثير من مكانته وآماله ، وإما أن يبقى في الجزائر لتصبح قاعدة قوية له .

وأصر عروج على البقاء في الجزائر . فانقض برجاله على الأراضي الساحلية متفاديا القلعة التي يسيطر عليها الأسبان ، واستطاع أن ينتصر على قوات سالم التومي . . ونصب نفسه حاكما على الجزائر .

ضربة للأسطول الاسباني

بدأ عروج وخير الدين يعملان للسيطرة على رأس من الساحل يواجه القلعة . ودارت معركة رهيبة كان النصر أخيراً فيها للأخوين . . ولم ينج من السفن الاسبانية الا القليل .

يا للكارثة على الأسبان . وهل كان يمكن أن يحدث أكثر من ذلك ؟!

لقد كان لانتصار عروج أثره في تثبيت حكمه في الجزائر . وبدأ يمد سلطانه الى ما وراءها . . وبدأ عدد رجاله يتزايد بانضمام المئات ممن تحرروا من الاستعباد الأسباني اليه .

ولكن . . كما كانت هي العادة دائما حين تنشق القوى الاسلامية على نفسها ، ويتصارع أعضاء الاسرة الواحدة الحاكمة . . استنجد بعض زعماء تلمسان ـ مقر حكم الاسرة الزيانية ـ بعروج حاكم الجزائر . ولبى عروج الدعوة تاركا خير الدين نائبا عنه ، ونزل برجاله الى المدينة عام ١٥١٧ . ولكن بقية الأسرة من الزيانيين لم يتورعوا عن التحالف مع الأسبان ومحاصرة عروج في تلمسان ، واتفقوا عليه حتى اضطر الى مغادرة المدينة . ولم يكد يمضي بسفنه الى أكثر من مائتي ميل حتى انقض عليه الأسبان .

وكتبت النهاية لعروج . . ضحية الخيانة والانشقاق . . وكان فقده ضربة قاسية للمسلمين . .

بار باروسّا يقود

قتل عروج عام ١٥١٨ بينما خير الدين في نهاية الثلاثينيات من عمره . ولم يكن هناك خلاف قط على من يكون الحاكم الجديد على بلاد الشمال الافريقي الذي يقع

معركة بين سفينتين من الأسطول الأسلامي والأسطول المسيحي .

رسميا تحت التبعية العثمانية . وكان خير الدين يتمتع بذكاء وبراعة نادرة في الحكم كما في الحرب . وكان في مظهره ومخبره شخصية قيادية . . مغامرا بطبعه . . ملكي الملامح . . متين البنيان . . كثيف شعر الرأس والذقن . . ذا حواجب ورموش طويلة كثة . . وقبل أن يشيب شعر رأسه وذقنه كان يميل الى الاحمرار . . ومن هنا سمي « باربا روسا » . . وهي تعني ذا اللحية الحمراء . . »

لم يلبث خير الدين باربا روسا اذن أن تابع الكفاح ضد القوى الصليبية والتجارة الاوروبية في البحر المتوسط . وكان لابد له منذ البداية أن يوطد سيطرته على طول الساحل الافريقي . وكان يدرك أن الصراع بين مسلمي شمال افريقيا والقوى الاوروبية صراع مصالح بين قوى كبرى . . وان الدخول في الدولة العثمانية والافادة من امكاناتها الكبرى في الدفاع عن شمال افريقيا سيتيح له فرصة أكبر للنصر .

الولاء للسلطـــان

كان كل من السلطان سليم وخير الدين باربا روسا ينظر الى الموقف من وجهة نظره . وقد أدرك سليم وهو يعمل على إقرار حكمه في كل من الشام ومصر ، مدى أهمية بقاء باربا روسا متنفذا على الجناح الغربي لدولته في شمال أفريقيا ، ومهددا للثغور الاسبانية لضمان المصالح التجارية للدولة العثمانية .

وهكذا تم التلاقي بين الرجلين . فقد أعلن خير الدين ولاءه للسلطان العثماني الذي أقره بالتالي واليا على الجزائر من قبل السلطان . وكان ذلك يعني للوهلة الاولى أن الامبراطورية العثمانية قد أصبحت صاحبة الولاية والنفوذ الفعلي على كل الشمال الافريقي بعد أن كان تبعية رسمية فحسب ، باعتبار أن السلطان العثماني هو خليفة المسلمين . وأصبح باربا روسا بذلك رجلا من كبار قواد الدولة العثمانية في البحر المتوسط .

وفي عام ١٥١٩م أول أعوام حكم باربا روسا للجزائر ، قرر شارل الخامس ملك أسبانيا ، ضرورة تدمير هذه القوة الاسلامية الواقعة جنوبي بلاده . وتجمع اسطول أسباني ضخم من خمسين سفينة حربية تكون ستارا للمواجهة ، يتبعها ثلاثمائة من حاملات المقاتلين ، يضاف اليهم فرسان القديس جون والبابا وممالك نابولي وموناكو والأمراء الصليبيين بقيادة « فرناندو ديمونزاجا » والقائد الجنوي اندريا دوريا . وأصبح واضحا أن العملية الصليبية الضخمة ستنطلق في وحدة متضامنة بدعوى حماية الحركة التجارية في البحر المتوسط .

واستعد باربا روسا للمواجهة . ودعا المغاربة الذين استعبدتهم أوروبا المسيحية والاسبانية للدفاع عن حريتهم ومواجهة مستقبلهم . وساند السلطان واليه فأمدّه بقوة تضم ألفين من مقاتليه الانكشارية ، كما أعلن مراسيم خاصة للبلاد التابعة للدولة لتوجيه مساعداتها الى الجزائر لمساندة الوالي المسلم في مواجهة للغزو الصليبي .

الكارثة على الصليبيين

في يوم عيد سانت بارتلوميو ٢٤ أغسطس ، وصل الاسطول الاسباني الى مياه الميناء الجزائري . . وهناك وقعت الكارثة . .

فبعد أن نزلت بعض القوات الى الشاطىء . . انقضت عاصفة رهيبة على الأرمادا . . الأسطول الاسباني . . أفلتت السفن من المراسي ، وتلاعبت الريح الهوجاء بالسفن فانفك عقدها ، وتحطمت حاملات المجاديف تحت ثقل الماء ، والناقلات الثقيلة اندفعت لتتكسر على صخور الشاطىء ، بينما تسابقت السفن الحربية لتبتعد عن السواحل الى عرض البحر ، وأصبحت ناقلات الجنود عاجزة وهي تتحطم على الصخور ، وغرق مئات الرجال ، ودمرت أكثر من عشرين سفينة ، والذين استطاعوا النجاة من الغرق وقعوا أسرى . . وكانت الحصيلة كما حددها المؤرخ الأسباني ساند أكثر من ثلاثة آلاف قتيل الى جانب أربعمائة أسير .

وقد بدت الأخلاقيات الكريمة لخير الدين باربا روسا وما يتمتع به من كرم وبطولة ، حين نزل بنفسه ليمنع رجاله المغاربة المنقضين على من نجا من الغرق ليقتلوهم . وسجل التاريخ حوارا رائعا بين خير الدين وأحد قادة الأسبان الاسرى .

قال خير الدين للقائد الأسباني : ألست ترى أن على القادة دائما أن يحافظوا على كلمتهم ومواثيقهم ؟

وأجاب الضابط : انه أمر لا شك فيه

وتساءل باربا روسا : فلماذا حدث أنه بعد موقعة تلمسان التي قتل فيها أخي ، وبعد أن استسلم المقاتلون المسلمون . . لجأ الأسبان الى قتلهم . . لماذا لم يحافظ القائد على اتفاقه مع الترك الذين وعدهم الحياة والحرية والذهاب الى حيث يشاءون . . ثم أمر بقتلهم جميعا ؟

وأجاب القائد : لم يقتلهم الأسبان بل قتلهم العرب .

وقال باربا روسا : هؤلاء العرب كانوا من المغاربة الذين استعبدتم وكانوا ينفذون أوامركم بقتل الأسرى . . أليس من قبيل المعاملة بالمثل أن أصدر أوامري بقتلكم ؟

السلطان سليمــان القانــوني وقد ســار خلفه خيـرالـدين بــاربــاروســا قــائــد البحــريــة العـثمـــانيــة والى جــانبــه قــائــد القــوات البـريــة في أحــد شــوارع استــانبــول

ولم يجد القائد الأسباني ما يقوله .. وقال باربا روسا : ومع ذلك فقد أصدرت أوامر مشددة بعكس ما فعلتم أنتم .. ولكى أؤكد لك أننى رجل مسلم شريف ـ بعكس قائدكم الذى لم يكن أهلا للثقة .. وانني سأحترم كلمتى خيرا منه . وقد وعدتكم بالحياة والحرية .. فأما الأولى فها أنتم تحظون بها الآن .. وأما الثانية فانكم ستتمتعون بها . وبرغم أن كل ثرواتكم لن تعيد الحياة الى مئات القتلى من رجالى فان ماستفتدون به أنفسكم من مال لن يكون إلا تعويضا بسيطا عن فقدانهم .

وقال القائد الأسباني : أنتم أقوياء ومنتصرون ، وتستطيعون أن تقرروا ماتريدون .

أجاب خير الدين : لقد كنتم أقوياء وانتصرتم على المسلمين . وبعد انتصاركم اضطهدتم المسلمين في الاندلس بكل لون من ألوان العذاب ، وأخرجتموهم من دينهم بعد أن سلمت لكم غرناطة ، ولم ترعوا عهودكم ومواثيقكم التى عاهدتم عليها ملكهم ، أليس من حقنا الآن أن نفعل مثل ما فعلتم ، وان نكرهكم على اعتناق الاسلام وإلا أنزلنا بكم العذاب ؟ ولكننا مع ذلك لن نفعل وان كنا قادرين على ذلك .

وتغير وجه التاريخ

هكذا كان الرجل الذى أصبح الآن الرجل الأول في الشـمال الأفريقـي .. وهكذا تغير وجه البحر المتوسط على يد باربا روسا ورجاله المسلمين . وقامت الحصون وأبراج المراقبة على طول سواحل المتوسط وثغوره للتصدى والحماية من نشاطات وحملات خير الدين ورجاله . وتشهد مدن التلال على امتداد الساحل من اليونان الى ايطاليا الى صقلية الى سردينيا والبليار على الرعب الذى عاشت فيه القوى الصليبية والأوروبية في هذه المدن من باربا روسا ، كما تشهد أن جريمة الملكين الأسبانيين فردناند وايزابيللا ضد المسلمين في الاندلس ، وفي نفس الوقت وصول الأخوين عروج وباربا روسا الى غرب البحر المتوسط . كان لها تأثيرهما الكبير على مجرى التاريخ .

في ذلك الوقت كانت القوتان الوحيدتان اللتان تسيطران على طرق التجارة في المتوسط .. هما الأسبان وأساطيل باربا روسا . وكما يقول أحد معجبيه : « كانت اساطيله تتزايد شهرا بعد شهر حتى أصبح لديه ٣٦ من

السفن القوية . وكانت الهدايا التى ترسل اليه لا تكاد تحصى . . وكانت قواته تتزايد باستمرار بوفود المقاتلين الذين أنقذهم خلال حملاته من الاستعباد الاسباني . فردوا له الجميل بأن أبلوا أحسن البلاء في حروبه ضد الأسطول الاسباني » .

المدينة التى لا تقهر

ألا ما أروع ما أنجزت يا خير الدين . .

والواقع أن الجهود التى كان يبذلها خير الدين لدعم قوته وتوطيد حكمه كان لا بد لها أن تثمر . وقد استطاع أن يجعل من مدينة الجزائر التى اشترك معه لتقويتها المئات من بناة السفن ورجال البحر والعمال والفنيين والحرفيين في كل ميدان ـ مدينة من أقوى المدن الحصينة في العالم ، حتى أطلق عليها اسم « المدينة التى لا تقهر » .

وقد استطاع خير الدين أن يوطد نفوذه في الجزائر بعد أن تمكن عام ١٥٢٩ من الاستيلاء على القلعة التى كانت لا تزال في يد الأسبان . . الأمر الذى جعل الملك الاسباني يوجه ضده عام ١٥٣١ م . حملة بحرية كبيرة بقيادة اندريا دوريا القائد الجنوى . ولكن المقاومة القوية والدفاعات الصامدة التى واجهه بها خير الدين جعلت (دوريا) يفشل في تحقيق هدفه . ولا شك أن هذا الفشل كان مؤثرا . وكان لابد من لقاء آخر فيها بعد بينه وبين غريمه خير الدين . .

بارباروسا في استانبول

كانت انتصارات بارباروسا من العظمة حتى أن ابراهيم الوزير الأول للسلطان العثماني سليمان القانونى أغرى السلطان باستدعاء هذا القائد العملاق الى استانبول لاعادة تنظيم اسطول الدولة العثمانية . و لفرط اعجاب الوزير ابراهيم به كتب في رسالة الى السلطان « لقد وضعنا أيدينا على رجل بحر أصيل . لا تتردد في أن تمنحه لقب باشا ، وان تجعله عضوا في الديوان ، وان تنصبه قائدا أكبر للبحرية العثمانية » .

وكان تأثر السلطان سليمان لا يقل عن وزيره . وكما يقول القنصل الفرنسى في استانبول في رسالة الى حكومته : « ان القمة التى بلغها العثمانيون في البحر تؤرخ منذ أول انتصارات خير الدين بعد أن حطت قدماه على ميناء استانبول » .

والحق أن خير الدين ، من خلال معرفته بالبحر

القائد الجنوي أندريا دوريا . .
الخصم اللدود لخير الدين . .

ومعاركه ومتطلبات سفنه ومؤثرات أسلحته وقيمة الرجال والمقاتلين على صفحته ، كان قادرا تماما على إقامة أقوى أسطول للامبراطورية . . ودوى اسمه في كل مكان بارباروسا . . سيد البحار . .

عودة الى تونس

في يوليو ١٥٣٤م أبحر الاسطول التركى الجديد من القرن الذهبي ليرسو في منطقة استراتيجية رئيسية في البحر المتوسط . وثار فزع أوروبا كلها . فقد كان الأسطول يضم ٨٤ سفينة حربية بقيادة خير الدين بارباروسا . وبعد أن استدار الأسطول حول خليج مانابان وصل كالزلزال الى مضيق مسينا واضعا تحت رحمته طريق التجارة بين ايطاليا وصقلية .

وكانت تلك أول حملة من العديد من الحملات المتتالية التى أثارت فزع أوروبا . وتحرك بارباروسا صوب الساحل الايطالي الغربي عاصفا بالموانىء آسرا كل السفن المبحرة على طول السواحل .

وفجأة حول بارباروسا سفنه ليتجه جنوبا الى تونس حيث كان حاكمها مولاى حسن من الأسرة الحفصية قد أعلن الاستقلال عن الدولة العثمانية ، وأقام علاقات مع الملك الاسباني شارل الخامس . ولم يكد مولاى حسن يشهد تقدم الاسطول التركى واقترابه من الميناء حتى أسرع الى جمع ثرواته وكنوزه ورحل مع نسائه وأولاده هاربا الى حلفائه عرب الداخل .

وباستيلاء خير الدين على تونس تحولت مثل الجزائر الى ولاية عثمانية . وبعد أن كان خيرالدين قائدا أعلى للأسطول العثماني ، فقد اصبح أيضا واليا على تونس

والجزائر معا ، وعرف في كل مكان في حوض المتوسط كأعظم رجال البحر . . ولم يكن له من منافس على ذلك سوى الجنوى « اندريا دوريا » .

معركة العمالقة

في خريف ١٥٣٨ وقعت المعركة الكبرى والأخيرة التي استمرت لسنوات في مواجهة حاسمة بين باربـاروسا والقوى الأوروبية . تلك كانت معركة بيرفازا في مدخل خليج اكتيوم . . نفس المكان الذي دارت فيه الدائرة على انطونيوس وكليوباترا على يد أوكتافيوس قبل ذلك بقرون . وفي هذا المكان أيضا حققت قوات الشرق انتصارها الكبير على الايطاليين وحلفائهم الأسبان .

فقد تجمعت سفن البندقية الثمانون ومعها ٤١ سفينة تحت قيادة أندريا دوريا بالاضافة الى خمسين سفينة اسبانية . والتحم هذا التجمع الضخم بسفن باربروسا البالغة ١٥٠ سفينة . وكان الأخير عائدا من غزوة قام بها على جزر بحر ايجه . وعندما التقى بالمهاجمين صمم أن يلقن الأوروبيين هذه المرة درسا يتعلمون منه أن العثمانيين وحدهم سادة هذا البحر .

كان واضحا أنها معركة بين العمالقة . فباربـاروسا ووراءه السواحل التركية وأراضي الممتلكات العثمانية يتستر بأحضان الخليج حيث موقع استراتيجي متميز . وعجز أعداؤه عن اختراق المضيق الضيق الذي يسيطر عليه الأتراك برا وبحرا . . . بينما باربروسا على الجانب الآخر يستطيع الخروج في الوقت الذي يشاء معتمدا على مجريات الرياح محددا اللحظة المناسبة للهجوم .

وفي ليلة ٢٦ سبتمبر قرر دوريا أن ينسحب من موقعه الى خارج بريفيزا في محاولة لخداع باربـاروسا . وكان متأكدا أن تحركات أسطوله في اتجاه اليونان التي أصبحت جزءا من أراضي الدولة العثمانية سيجعل باربـاروسا يتحرك لملاحقته وعندها يستطيع أن يخرجه من المضيق الذي يتحصن به . وقد كان . . ولكن خيرالدين لم يكن بالغافل عن هذه الخدعة . . ومع هذا فبالرغم من معارضة ضباطه فقد قرر أن يخرج متابعا عدوه ببطء ولكن بالسرعة التي يريدها .

وفجأة عند اكتيوم أسرع باربا روسا في جنح الليل ليلحق بأسطول أندريا ولتبدأ المعركة . وقد استغل باربا روسا خفة حركة سفنه لتحقيق هدفه وراح ينقض على أسطول أندريا . الذي كانت سفنه الثقيلة بطيئة الحركة . . وكان الريح الشمالي الذي أبحر فيه أندريا دوريا قد انقلب ليعرض سفنه وهو يواجه عدوه لمخاطر جمة . وبدا واضحا أن الموقف أصبح لا مهرب منه .

وفي ٢٨ سبتمبر - برغم الجو الخريفي السيء - قرر باربروسا بدء هجوم النصر . . ولم يكن أمام أندريا دوريا الا أن ينسحب تاركا سبع سفن أسيرة في أيدي الأتراك . . واتخذ طريقه نحو كورفو تاركا لباربروسا أن يحول البحر المتوسط بحق . . الى بحيرة عثمانية .

النهــاية

استطاع باربروسا بعد ذلك وعلى مدى سنوات أخرى أن يحقق انتصارات جديدة على شارل الخامس ملك الاسبان الذي فقد خلال المعارك أغلب سفن أسطوله . وقد نجح خيرالدين أيضا أن يتعاقد مع فرانسيس الأول ملك فرنسا لاضعاف القوة الاسبانية فيما سماه الاسبان « بحلف الكفار » وأصبح الأسطول العثماني من بعد ذلك ملتقى أنظار كل المراقبين الأوروبيين .

وكـانت الأعوام الأخيرة من حياة بـاربروسـا كلها السعادة . . وكانت ثقة السلطان الكبيرة في قائده قد جعلته موضع التكريم في كل مكان . . . وأقيم باسمه مسجد من أجمل مساجد استانبول كما أقيم بالقرب منه ضريح يطل على البحر الذي عرفه طويلا كأعظم بحار في عالمه .

ثم كان اليوم الذي لا بد منه . .

وسجل التاريخ على صفحة من صفحات سنة ١٥٤٦ م تلك العبارة القليلة الكلمات :

" اليـوم . . مـات خير الـدين بـاربـاروسـا . . ملك البحار . . وحامي العقيدة . . ومرعب الصليبيين". □□

■ كم من امرأة جميلة تراها أصفى من أديم السماء . . . ثم تثور يوما فلا تدل ثورتها على شيء الا كما يدل المستنقع على أن الوحل في قاعه . . فاغضب المرأة تعرفها .

(مصطفى صادق الرافعي)

رئيس و رئيسي

بقلم : محمد خليفة التونسي

☐ في القاموس (وشرحه : تاج العروس) ما نصه :
« الأعضاء الرئيسة القلب والدماغ والقلب » وفيها « الرأس أعلى كل شيء... وسيد القوم كالريس .. والرئيس » ولهذا يجوز أن نقول مثلا « السيدة مرجريت تاتشر رئيسة مجلس الوزراء في بريطانيا » والسيد ميتران رئيس جمهورية فرنسا .

ونقول تشبيها : « القلب عضو رئيسيٌ في كل حيوان » .

فهل يجوز أن نستعمل هنا كلمة « رئيسي » بدلا من « رئيس » في أمثال هذه العبارة ؟ وما الحجة في رفض ذلك أو قبوله ؟ ..

ظهرت هذه المسألة بين الباحثين اللغويين حديثا منذ نحو ثلاثين سنة ، فأجاز بعضهم استعمال رئيسي وأنكره آخرون ، ونلاحظ فيما نسمع ونقرأ للمتحدثين والكتاب في أحد أقطارنا العربية انهم لا يستعملون في أمثال هذا التعبير الا كلمة « رئيس » وقد أصابوا في استعمال هذه الكلمة ، ولكن نرى أنه لا جناح على غيرهم في استعمال كلمة « رئيسي » .

ونرى أن الباحثين لو دخلوا الى المسألة من أبوابها لاتفقوا أو قاربوا الاتفاق . وقد أحسن بعض علمائنا السابقين حين اعتبروا ياء النسب في آخر المنسوب (مثل : عربي ، مصري ، هاشمي) تشبه تاء التأنيث في آخر المؤنث (مثل : امرأة ،طبيبة ، حمزة) وقد قسموا المؤنث الى حقيقي ولفظي ، فالحقيقي ما يقابله مذكر من جنسه ، مثل : خالة ، عمة ، عمرة ، خديجة ، طبيبة ، واللفظي مالا يقابله مذكر من جنسه مثل تجارة وصحيفة ومكتبة ، ومن المؤنث اللفظي ما يدل على مذكر حقيقي ، مثل حمزة وطلحة ، وربيعة .

وهكذا قسموا المنسوب قسمين ، فمنه حقيقي ، مثل : حجازي ، فني ، قومي ، ومنه لفظي لا ينتسب الى شيء وان جاء في صورة المنسوب مثل : كرسي ، سخري ، قمري ، دردي ، كُرْكِيٌ ، دهمي ، دري .

ويلاحظ في بعض الأسماء التي لا تدل على جنس حقيقي أن مذكرها ومؤنثها يأتيان بمعنى واحد ، مثل حماس وحماسة ، سماح وسماحة ، نقاء ونقاوة ، وهكذا :

جلال ووسام وملال ، وخسار ، ولجاج ، وبراء ورضاع ، الى عشرات من هذه الأمثلة .

وهكذا نجد كثيرا من الكلمات التي جاءت في صورة المنسوب بالياء تؤدي كل منها المعنى الذي يؤديه ما نسبت اليه ، وهي تبلغ في تراثنا الأدبي عشرات وعشرات منذ العصر الجاهلي كما سنرى .

وليس من همنا هنا أن نلم بقواعد النسب أو النسبة في لغتنا ، ويكفينا أن نشير الى أن الغالب أن المنسوب يختلف معنى عن المنسوب اليه ، مثل بغداد وبغدادي ، فكلمة « بغداد » تدل على مدينة ، وكلمة بغدادي تدل على شخص أو شيء منسوب الى بغداد ، وكذلك الكلمات : مغرب ومغربي ، أو طب وطبي ، أو قلم وقلمي .

ولكن هذه القاعدة غير مطردة كما أسلفنا ، وهذا ما فات المنكرين لاستعمال كلمة رئيسي بدلا من كلمة رئيس ، فقرروا أن النسب يوجب أن يكون المنسوب مختلفا عن المنسوب اليه في معناه ، كما قرروا اجماع العلماء على ذلك ، وأن ما جاء خلاف ذلك من دلالة المنسوب والمنسوب اليه على معنى واحد يعتبر شاذا أو يقتصر منه على السماع . سواء كانت زيادة الياء لازمة كما في « دردي » أو غير لازمة كما في « أعجمي » وفاتهم أن كثيرا بين علمائنا من يخالفهم في هذا الرأي . جاء في « المخصص » لابن سيده ، مثلا : « فأما قولهم ، فاعجم وأعجمي كأحمر وأحمري ، وأنت تريد الأحمر الذي هو صفة ولا تريد النسب ، كما لا تريد بكرسي الاضافة الى شيء وهذا مأخوذ من رواة اللغة » (المخصص ٢/ ١٢٠) .

وفي لسان « العرب » لابن منظور : « الأريح الواسع من كل شيء » والأريحي الواسع الخلق المنبسط الى المعروف ، والعرب تحمل كثيرا من النعت على أفعلي كأريحي وأحمري » (ربح) .

فابن سيده يرى أن ذلك مأخوذ عن « رواة اللغة » وابن منظور يرى أن العرب تحمل كثيرا من النعت على « أفعلي » ونزيد نحن أن العرب تحمل كثيرا من النعت على أوزان أخرى كثيرة متنوعة كما سنرى .

ويقول ابن سيده أيضا « ان الاسم اذا كان غير وصف صار بالنسب اليه وصفا » (مثل زيد وزيدي) ثم يقول :

« فاذا ألحقت الوصف نفسه ياء الاضافة ولم يكن تحتها حقيقة إضافة فانما أردت بذلك توكيد الصفة .

وقد أحصينا نحن مما مر بنا من النصوص ، ومما مر بنا في المعاجم أكثر من مائة مثال للمنسوب الذي يتفق فيه المنسوب والمنسوب اليه في المعنى ، ومن المنسوب الذي لا يقصد منه النسب .

فاذا بلغت الأمثلة هذا العدد مع أننا لم نستقرئها في معجم ملخص كالقاموس ، فكيف نحكم بشذوذ هذه الأمثلة ؟ وهل يلزم أكثر من هذا العدد لاثبات قاعدة لغوية ، ولو كانت خارجة عن قاعدة أشيع وأكثر منها أمثلة ؟

ولسنا نريد هنا أن نورد قائمة بكل ما لدينا من الأمثلة ، فإنه يطول ، ولسنا هنا بصدد وضع معجم لها ، ويكفي أن نذكر نماذج من هذه الأمثلة ، معتذرين عما في بعضها من الغرابة علينا :

١ ـ أسود وأسودي في قول النابغة الذبياني :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسودي

وقول دريد بن الصمة في قصيدته التي يرثى بها أخاه عبدالله :

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست
وحتى علاني حالك اللون أسودي

والروى في كل من القصيدتين مكسور ، وكلا الشاعرين جاهلي :

٢ ـ جَيْدَر وجيدري (أي القصير) مثل قول أبي ذؤيب :

كـيـف المرادي ، لاناكلاً
جبانا ، ولا جيدريا قبيحا

٣ ـ دوّار ودواري ، كما في قول العجاج :

أطربا وأنت قنسرى
والدهر بالانسان دواري

٤ ـ الألمع والألمعي (واليلمعي) كقول أوس بن حجر:

الالمعي الذي يظن بك الظن
كأن قد رأى وقد سمعا

٥ ـ القُفاخِر والقفاخري : الناعم الضخم الجثة :

كقول الراجز :
معدلُجٌ بَطن قفاعري

٦ ـ جعظر وجعظري : المتكبر ، أو الغليظ الجسم ، أو الفظ أو الأكول الضخم كما جاء في الحديث « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل جَعْظَري جَوَّاظ مناع جماع » .

٧ ـ الأريح والاريحي كما في قول زهير بن أبي سلمى :

مهذبُ السَّجيِ أريحيٌّ
ثالُ جِفْنٍ مُّ الكفِّ عبقريُّ

٨ ـ القعسر والقعسري : الضخم الشديد كقول العجاج الراجز :

والدهر بالانسان دواري
أفنى القرون وهو قعسري

٩ ـ العَصلب والعَصلبي : الشديد ، كقول الراجز (وقد استشهد به الحجاج في بعض خطبه) :

قد حسها الليل بعصلبيٍّ
أروعَ خراجٍ من الدويٍّ

١٠ ـ الشمشعان والشمشماني (الطويل) كما في قول العجاج يصف مشفر ناقته :

تبادر الحوض اذا الحوض شغل
بشمشعاني صُهابي هدل

(وهنا في مادة « شمع » يقول ابن منظور في اللسان تعقيبا على « الشمشعاني :

« ياء النسب فيه لغير علة ، انما هو من باب : أحمر وأحمري ، ودوّار ودوّاري ») .

١١ ـ أجنب وأجنبي : الغريب .

١٢ ـ واللوذع واللوذعي : الخفيف الذكي كما في قول الشاعر يصف حركة النبي في بلاد العرب :

وعرْبَة أرض ما يُحل حرامها
من الناس الا اللوذعيُّ الحلاحلُ

١٣ ـ ١٤ ـ اللخلخاني والطمطماني : الأعجم

١٥ ـ ألمع وألمعي : الذكي المتوقد

١٦ ـ البحر والبحري ، الداهية ، أو الشر العظيم .

١٧ ـ ١٨ ـ الكُنتي والكنتني : الشديد

١٩ ـ الشرمح والشرمحي : القوي الطويل .

٢٠ ـ اليلنجوج واليلنجوجي : عود للبخور .

٢١ ـ الصماح والصماحي : العرق المنتن .

٢٢ ـ الأملدان والأملداني : الانسان الناعم .

٢٣ ـ الجخدر ، والجخدري : الضخم .

٢٤ ـ الخنسر والخنسري : الخاسر .

٢٥ ـ السحَر والسحَري : قبيل الصباح .

٢٦ ـ عيسران وعيسراني : العسير .

٢٧ ـ الصممر والصممري : الشديد .

٢٨ ـ نصران ونصراني .

٢٩ ـ القهاب والقهابي : الأبيض .

٣٠ ـ البطاحي والبطاحي : مرض يعقب الحمى .

٣١ ـ ٤٠ ـ الصُّهابي (الشديد) ، القُمري (طائر) والهبرزي (الذهب ، الجميل ، الوسيم ، الأسد) ، البَخْبَخي (الواسع الثقفة والواسع الدار) دَجُوجي (مظلم) دَجاجي (أسود) ، الوَقبي (المولع بصحبة الحمقى) الخِطمي (نبات طبي) الدُّهوري (الرجل الصلب) .

٤١ ـ ٥٠ ـ القمدي (الكثير القمود) ، الضجعمي (الكثير الاضطجاع) الحُوذي (السائق ، المستحث للسير) الحَواري (الناصر) الحُباكِري (الضخم المجتمع الخلق) الصُّرادحي (الشديد اللين) الهمذاني (الكثير الكلام) الجخدري (الضخم) الرَّدْحي (بقال القرى) اللُّهاني (الكثير الجِيلان الحُمْر في وجهه) .

فما دلالة الياء في هذه المنسوبات ؟

يرى بعض العلماء كما تقدم أنها لم تأت بدلالة جديدة فكأنها واردة للتوسع في العبارة ، فهي : كتاء التأنيث في قولنا : حماسة ، وشقاوة ، وبراءة ، بدلا من : حماس : وشقاء ، وبراء . وربما كان هذا أدنى الى المعقول .

ويرى بعضهم أن الياء زيدت للتوكيد ، ولا بأس بهذا الرأي .

ويرى بعضهم أنها من اضافة الشيء الى نفسه ، وهذا جائز في باب النسب كما هو جائز في باب الاضافة[1] اذا

(١) يسمى بعض العلماء « النسب » بأنه « الاضافة » المعكوسة ، ففي الاضافة يكون المضاف سابقا للمضاف اليه في الرتبة دائما مثل : ديوان السلطان ، فاذا جئنا الى النسب قلنا « السلطاني » وصفا للديوان ، فكلمة السلطان جاءت في النسب متقدمة .

اختلف المضاف والمضاف اليه لفظا ، مثل : مدينة صنعاء ، وقرية الجهراء ، فالمضاف في هذه الكلمات مضاف الى نفسه ، لأن صنعاء مدينة ، والجهراء قرية .
وأيا كان الرأي فالمنسوب والمنسوب اليه في هذه الكلمات بمعنى واحد .

ونلاحظ هنا في هذه الكلمات المنسوبة أنها ليست مقصورة على أفعلي ـ كما سبق القول ـ بل تأتي على أوزان مختلفة ، وهي على اختلافها كثيرة .

واذا رجعنا الى المصطلحات ونحوها في تراثنا ، وجدنا كلمات كثيرة كان المصطلح فيها قد نشأ صفة بمشتق ، أو صفة بجامد يقوم مقام المشتق ، ثم تلحق بها في الحالتين ياء النسب ، ثم يكون هذا المنسوب أشيع استعمالا من المنسوب اليه ، ومن ذلك مثلا في أسماء الفرق الاسلامية : تابعي ، وخارجي ، ورافضي ، ومعتزلي ، فانها أشيع من تابع ، وخارج ، ورافض ، ومعتزل[٢] .

ومن توسعاتنا اليوم أننا نستعمل المنسوبات في الأوصاف أكثر من استعمالنا أصولها ، ومن ذلك مثلا : البنك المركزي ، والبنك الفرعي ، والكتاب الأصلي والأساسي ، والسبب الجوهري والسبب العرضي ، والتعليم الأولي والتعليم الثانوي ، والمرحلة الأولية ، والمرحلة الثانوية في التعليم ، والدهر السرمدي والأزلي والأبدي ، ولا نقول غالبا : البنك المركز أو الفرع ، والكتاب الأصل أو الأساس ، والسبب الجوهر أو العرض ، والتعليم الأول والثاني ، والدهر السرمد أو الأزل أو الأبد .

ولكن الغالب في المنسوب كما قلنا أن يأتي مخالفا للمنسوب اليه ، وهو النسب الحقيقي ، أو النسب على بابه .

وليس من الضروري أن يكون المنسوب اليه في النسب الحقيقي أو اللفظي اسما ، بل قد يكون فعلا ، مثل : البَحجحي ، واليلمعي ، والأدْريُّ ، والأبالِيُّ ، أو أداة ، مثل ، كمي وكيفي ، أو وصفا مشتقا ، مثل : تابعي ، ومهاجري ، ومملوكي ، أو اسم ذات ، مثل : أسدي ، وحجري ، ونباتي ، أو مصدرا (اسم معنى) مثل : السمعي والبصري ، والنقدي ، والاداري ، والوزاري ، والرياسي ، والبطولي ، والتقليدي ، والابتداعي والتطريزي والاشتراكي والوجودي والسبب في شيوعه ما اقتضاه ويقتضيه مجال الحضارة والمعرفة من تقدم وتنوع . □□

(٢) التابعي : الجيل عقب الصحابة ، والخوارج : من خرجوا على الامام على بعد موقعة صفين ، والروافض من خرجوا مع زيد بن علي بن الحسين ، ثم رفضوا متابعته في القتال حين خالفهم في التبرؤ من أبي بكر وعمر ، والمعتزلة واصل بن عطاء وعمر بن عبيد وأتباعهما .

الناس . . . والكلام

* قد ندمت على ما قلت ، ولم أندم على ما لم أقل .
* أنا على رد ما لم أقل ، أقدر مني على رد ما قلت .
* ما حاجتي الى أن أتكلم بكلمة ، ان وقعت علي ضرتني ، وان لم تقع علي لم تنفعني .

□ كان رائدا من رواد حركة الشعر الجديد . . ووضع أساسا لشكل القصيدة العربية الجديدة . . واتسمت محاولاته بالتحدي . ثم فجأة . . عاد الى موقف مغاير . . . فكيف تم هذا التغيير ؟ .

تقتضي الأمانة الموضوعية الاشارة في مدخل هذا الحديث عن باكثير الشاعر ، الى أن باكثير رائد الجديد الشعري قد اختفى وانكسرت صورته الثائرة المغامرة تحت ضربات الاحباط والقلق والتردد ، بين ماض شعري قائم في النفوس ومألوف لها ، ومستقبل شعري يتراءى له في ظل عوامل اليأس أكثر بعدا من نجوم السماء . ويمكن الاشارة في هذا المدخل أيضا الى أن نجاح التجربة الشعرية الجديدة التي بدأها في أواخر الثلاثينيات بقدر ما عكست في نفسه من الفخر والرضا قد عكست قدرا من الحزن والألم ، فهو لم يتابع التجربة الى أن يتكامل وجودها ، ولم يشارك في إغنائها ، واكتفى بوضع معالمها الأولى ثم انفصل عنها في وقت مبكر ، وعاد الى موقف مغاير ، وهو إن لم يكن موقف الشاعر المتشدد في المحافظة على القديم فهو ليس بحال موقف الشاعر الرائد المجدد .

ويمكن للدارس أن يقرأ في شعر باكثير ملامح ثلاث مراحل ، عبرت عن ثلاثة مقومات جمالية ، وعكست ثقافة الشاعر وردود أفعال الواقع الذي ترجمت عنه ، وكانت تعبيرا عن ظواهره المتقدمة والمتخلفة والمراحل الثلاث هي :

أولا : مرحلة البدايات .
ثانيا : مرحلة جامعة القاهرة .
ثالثا : مرحلة انكسار التجديد .

ولأن مرحلة البدايات غير ذات أهمية ، ولم تقدم من النتاج الشعري شيئا يذكر سوى مسرحية « همام أو في بلاد الأحقاف » وهي مما قد نعرض له في مجال المسرح ، فاننا سوف نتخطاها الى المرحلة الثانية ، وهي مرحلة تتجلى فيها أهم ملامح التجديد عند باكثير ، ويظهر الأساس الأول الذي قامت عليه الحركة الشعرية الجديدة .. هذه الحركة الشامخة التي استقرت وأخذت مكانتها وصارت جزءا من واقع حياتنا الثقافية والفنية .

كان باكثير قد وصل الى القاهرة في منتصف الثلاثينيات ، وقاهرة الثلاثينات ـ كما يحدثنا التاريخ الأدبي لتلك الفترة ـ كانت تحاول أن تستشرف ـ أكثر من أي عاصمة عربية أخرى ـ آفاقا جديدة للحياة وللآداب والفنون ، وكانت تسعى الى امتلاك مفاتيح العصر من خلال أعنف الصراعات ، صراع من أجل انهاء الاحتلال ، وصراع من أجل الدستور والحرية والبرلمان ، صراع ضد الملك والوزارة ، وصراع من أجل تطوير شكل الأدب والثقافة وتطوير الفنون . لم يكن باكثير عندما دخل القاهرة مراهقا فتبهره المظاهر أو تخدعه الأضواء ، كان صاحب قضية ، وهو لا ينسى أوضاع البلاد التي طوف بها والتي ينتمي اليها ، وهو لم يدخل القاهرة زائرا أو سائحا ، ولكنه دخلها مسكونا بهاجس الثورة والتجديد ، كان موقفه قد تحدد مبكرا من قضايا التخلف الفكري والاجتماعي ، فهو في مقدمة مسرحيته أو بالأصح محاولته الأولى في مجال المسرح الشعري "همام أو في بلاد الأحقاف" يبشر بروح العصر الجديد وروح التفاعل مع الحياة الجديدة ، كما يدين بعنف وبفهم عال الصراعات الميتة القائمة على تقديس الأحساب والأنساب والتشيع للعائلات ، وقد أعرب عن ذلك الشعور قبل أن يدخل مصر ويقع تحت تأثير ما يصطرع في جنباتها من مواقف وأفكار .

(كلنا يعلم أن في حضرموت بدعا في الدين يجب أن تنكر وتزال ، مافي ذلك من شك ، وجهلا يجب أن ينار بمصباح العلم ، مافي ذلك مرية ، وجمودا يجب أن يدك صرحه ..) .

وحين كانت البدع والخرافات تغطي على أهداف التحرير وتمنع الرؤية الواضحة للعصر ، فإن المقدمة لم تخل من اشارات تهاجم تخلف الشعر وما يلقاه من عناكيب القوافي والعاجزين عن التعامل مع عصرهم ، وكانت قراءاته المفاجئة لمسرح شوقي بداية الثورة على القصيدة الغنائية ذات الصوت المفرد ، وقد أجاد استيعاب الأسلوب وأجاد التقليد في « همام أو في بلاد الأحقاف » لكن أخطر ما صنعه مسرح شوقي في ذلك الشاب الحالم المتعطش الى التغيير أن قاده الى القاهرة والى كلية الآداب ، والى قسم اللغة الانجليزية على وجه الخصوص ، فلم يمض سوى وقت قصير على دخوله الى مصر والتحاقه بكلية الآداب حتى وجد أن نظام القصيدة العربية هو المحتاج إلى تغيير وليس موضوعها فحسب ، لقد أحدث مسرح شوقي أثراً كبيرا في نفسه ، وهزه ـ كما يقول ـ من الأعماق ، وأراه لأول مرة في حياته كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع في الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله ، لكن الدراسة في الجامعة ودراسة الأدب الانجليزي بخاصة قد غيرت نظرته لمفهوم الأدب كله ـ كما يقول أيضا ـ وغيرت مجرى حياته الأدبية وتحولت أحلامه من البحث عن الشاعر الكبير في نفسه الى البحث عن المسرحي ثم الروائي أو القصصي الكبير .

إعادة النظر في المقاييس

لقد تغيرت المقاييس الأدبية في نظر الطالب الجامعي القادم من جنوب الجزيرة العربية ، وصار الشعر في الدرجة العاشرة من اهتمامه . بل لقد توقف عن نظمه حتى يتبين موقفه من هذه الأشكال التي تموج في نفسه ، وحتى تستقر البلبلة التي أحدثها هذا الانفتاح المفاجيء ، على الآداب الأخرى . وفي الصفحات الأولى من
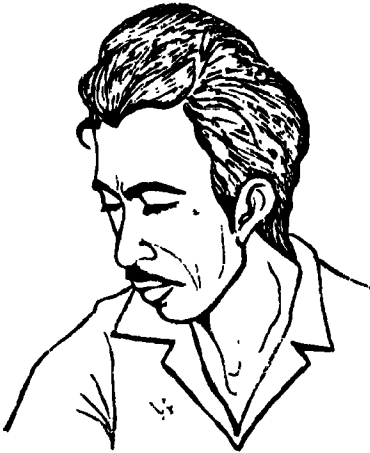
كتابه (فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية)يتوقف طويلا ليروي للقارىء قصة أول خروج على وحدة البيت في القصيدة العربية ، واكتشافه لما يسمى بالشعر المرسل : (كانت ثقافتي الأولى عربية خالصة وظلت كذلك حتى حضرت الى مصر فعزمت على أن أدرس الأدب الانجليزي لما بلغني انه غني بالشعر الرفيع .

فأخذت أعيد النظر في المقاييس الأدبية التي كانت عندي من أثر ثقافتي العربية،ويهمني هنا أن أخص بالذكر ما يتعلق بدراسة المسرحية . فقد انجذب قلبي اليها أكثر من انجذابي الى غيرها من فنون الأدب الأخرى كالقصة والأقصوصة والملاحم والشعر القصصي ، وكان يستهويني بوجه أخص أعمال شكسبير . فلا غرو أن أفتتن به باعتباره يجمع بين الفن القديم الذي أحبه وهو الشعر وبين هذا الفن الجديد الذي بدأت أكتشف في نفسي الاستجابة اليه وهو فن المسرحية .

وقد نتج عن هذه الأزمة النفسية التي عانيتها من جراء تغير مقاييسي الأدبية ـ كما أشرت ـ أن انقطعت برهة عن نظم الشعر ، ثم تمت في خلالها تجربة جديدة بالنسبة اليّ . ثم تبين انها جديدة بالنسبة الى مستقبل الشعر العربي الحديث وأعني بها محاولة ايجاد الشعر المرسل في اللغة العربية . واتفق في ذلك الحين أن حدث حادث في مقاعد الدرس كان له أثر كبير في دفعي الى التعجيل بهذه المحاولة وخلاصته أن أحد مدرسينا الانجليز تحدث ذات يوم عن الشعر المرسل وكيف أن اللغة الانجليزية اختصت بالبراعة فيه ، والتفوق على سائر اللغات ، وكيف أن الفرنسيين حاولوا محاكاته في لغتهم فكان نجاحهم محدودا ، ثم قال : ومن المؤكد ألا وجود له في لغتكم العربية ولا يمكن أن ينجح فيها ، فاعترضت عليه قائلا : أما أنه لا وجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح لأن لكل أمة

بدر شاكر السياب

تقاليدها الفنية،وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية ، لكن ليس ما يحول دون ايجاده الى اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر . . فاكتفى بأن أعرض عني ، وشعرت عندئذ بأن عليّ أن أتحدى هذا الزعم وأدحضه بالبرهان العلمي ، وانصرفت من الدرس وقد ملك عليّ هذا التحدي كل أمري ، فبدا لي أن خير ما أبدأ به في هذا السبيل هو أن أترجم فصلا من شكسبير على هذه الطريقة ، فذلك أجدر أن ييسر لي هذه التجربة وأعون على النجاح فيها

وكنا في تلك السنة ندرس مسرحية (روميو وجولييت) فلا غرو أن وقع اختياري عليها فاخترت مشهدا من مشاهدها وبدأت أفكر في ترجمته،فاتفق أن جاء الوزن في بحر المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعول) دون ان أعني ما ينطوي عليه ذلك من الدلالة . ثم مضيت في عملي مرسلا نفسي على سجيتها في اختيار ما يناسب المقام من البحور والأوزان ، فاكتشفت بعد لأي ان البحور التي تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هي تلك التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل ، لا تلك التي تتألف من تفعيلتين مختلفتين كالسريع والخفيف والبسيط

نازك الملائكة

والطويل فانها لا تصلح.(فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ص٨) .

من الريبة الى الثورة

ذلك هو الاكتشاف الخطير والمثير الذي تسبب بعد عشرة أعوام في ايجاد هذا المنحنى الشعري الجديد الذي أحدث انقلابا في تاريخ القصيدة العربية ، ودفع بأهم المواهب الشعرية العربية المعاصرة الى اختياره طريقا حديثا ومتميزا وأصيلا ومتفاعلا مع حداثة الواقع العربي ومعبرا عنه ، غير منعزل أو سجين في القوالب التاريخية الجامدة ، ولم تكن ثقافة باكثير التقليدية في منأى عن هذا الاكتشاف المثير ، فقد أمدته معرفته العميقة بالشعر العربي ، وامتلاكه لخصائصه وأدواته الفنية امتلاك معرفة وممارسة - وبقدرة على التجاوز والتفكير في امكانيات الخروج على القافية اولا ثم على وحدة البيت ثانيا .

وقد ظلت هذه التجربة أكثر من عشر سنوات موضع ريبة وخوف قبل ان تتحول الى ثورة في شكل الشعر العربي ، فلا أحد يستطيع أن يتصور شعرا يقوم على التفعيلة لا على الشطر ، وان تكون القصيدة منفصلة عن الصورة التي تشكلت بها تراثيا ، وعلى مدى ستة عشر قرنا ،

وقد أشار باكثير الى هذه الحقيقة قائلا : (ولكنّ هذا الشعر المرسل لم يستقبل عند ظهوره بالترحيب أو الاستحسان الا من قبل المرحوم الأستاذ عبدالقادر المازني الذي - تفضل رحمه الله فكتب مقدمة للمسرحية (اخناتون ونفرتيتي) اشاد فيها بهذه التجربة في الشعر المرسل وصلاحيته للمسرحية ، وكنت اظن انني سأتابع كتابة المسرحيات بهذا الشعر ، غير أن تجاربي جملتني بعد ذلك أقطع بأن النثر هو الأداة المثلى للمسرحية ، ولا سيما اذا اريد بها أن تكون واقعية ، وان الشعر لا ينبغي أن يكتب به غير المسرحية الغنائية التي يراد بها أن تلحن وتغنى ، أي الاوبرا) .

وقبل الحديث عن الاستجابة المتأخرة لهذه التجربة في مجال الكتابة الشعرية القائمة على التفعيلة ، والخارجة على وحدة البيت الشعري كما كان عليه في القصيدة التقليدية قبل ذلك ، أرغب في أن استطرد بملاحظتين قصيرتين : الملاحظة الأولى حول ما أورده باكثير من أن البحور التي تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هي تلك التي تكون من تفعيلة واحدة مكررة . والملاحظة الثانية حول ما ذهب اليه من أن النثر هو الأداة المثلى للمسرحية ولا سيما اذا اريد بها أن تكون واقعية . وعن الملاحظة الأولى فان الأيام قد أثبتت خطأ ما ذهب اليه باكثير من أن بحور التفعيلة المكررة هي الصالحة لكتابة القصيدة الجديدة ، وقد أيدته في هذا الخطأ الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة التي تقصر كتابة هذا النوع من الشعر على ماتسميه بالبحور الصافية ، وقد استطاع الشعراء الشبان أن يؤكدوا من خلال الممارسة ان تفعيلات كل البحور ومجزوءاتها صالحة لكتابة الشعر الجديد ، وقد أثبت الشاعر أحمد دحبور في ديوانه (واحد وعشرون بحرا) صدق المقولة الجديدة - كما أكدت قصائد اخرى جديدة من بحر الطويل ، وقصائد اخرى جديدة من بحر البسيط ، وقصائد من البحور غير المتماثلة

التفاعيل .. صدق المقولة الجديدة ايضا . أما الملاحظة الثانية وهي حول ما ذهب اليه باكثير من أن النثر هو الأداة المثلى للمسرحية فذلك صحيح ، وهو ما أثبتته التجارب المسرحية في السنوات الأخيرة . واذا كان الفن المسرحي ضربا من الايهام فان الافتعال الشعري في الحوار يكسر حدة هذا الايهام ، ويجعل المشاهد يدرك من أول لحظة ان هذا الذي يراه على المسرح لا يمت بصلة الى واقع الحياة ، فالناس يتحدثون شعرا ولا يجيدون استخدام الشعر بمثل هذه السهولة التي تحدث أمامهم على المسرح .

نازك الملائكة وشروط الريادة

ونعتذر عن هذا الاستطراد لكي نعود الى الموضوع الرئيسي في هذا الجانب من البحث وهو ريادة باكثير لحركة الشعر الجديد وللانقلاب الجذري الذي شهدته القصيدة العربية في أواخر الأربعينيات ، فقد أثار بوضعه أساسا جديدا لشكل القصيدة العربية الجديدة ردود أفعال متباينة وتأثيرات مختلفة ، وان كانت الاستجابة قد جاءت متأخرة ، وبدأت من بغداد ثم امتدت الى بقية الأقطار العربية دون استثناء . وقد اعترفت الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة كما اعترف زميلها في الريادة للجديد الشاعر الكبير بدر شاكر السياب بالأثر الذي تركته محاولات باكثير ، وبدوره الواضح على التجربة الشعرية الجديدة ، وإن كانت الشاعرة الكبيرة قد عادت فقصرت التأثير العام والشامل على دورها ودور زميلها السياب ، وهي لكي تحقق لنفسها ولزميلها هذا الدور تضع شروطا أربعة ينبغي ـ كما تقول ـ ان تتوافر لكي تعتبر قصيدة ما أو قصائد هي بداية هذه الحركة ، والشروط الأربعة هي :

١ ـ أن يكون ناظم القصيدة واعيا الى أنه قد استحدث بقصيدته اسلوبا وزنيا جديدا سيكون مثيرا أشد الاثارة حين يظهر للجمهور .

٢ ـ ان يقدم الشاعر قصيدته تلك (أو قصائده) مصحوبة بدعوة الى الشعراء يدعوهم فيها الى استعمال هذا اللون في جرأة واثقة ، شارحا الأساس العروضي لما يدعو اليه .

٣ ـ ان تستثير دعوته صدى بعيدا لدى النقاد والقراء فيضجون فورا ، سواء أكان ذلك ضجيج اعجاب أم استنكار ـ ويكتبون مقالات كبيرة يناقشون فيها هذه الدعوة .

٤ ـ ان يستجيب الشعراء للدعوة ويبدأون فورا باستعمال اللون الجديد ، وتكون الاستجابة على نطاق واسع يشمل العالم العربي كله . (نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر : ص ١٦) .

ولن أتردد عن القول بأن هذه الشروط الأربعة لا تنطبق على أحد الرواد ، أو على من اصطلح على تسميتهم برواد القصيدة الجديدة ، كما تنطبق على الشاعر علي أحمد باكثير ، وبغض النظر عن الضجة والاستجابة الفورية ، وكتابة المقالات المؤيدة أو المستنكرة ، فان تجربة باكثير رائدة ومثيرة بكل المقاييس وتحت كل الشروط ، وهي لم تكن مقصورة على قصيدة أو قصيدتين أو حتى على ديوان من الشعر يضم بعض القصائد ، وانما هي تجربة كبيرة تتمثل في عملين فنيين كبيرين احدهما مترجم وهو « روميو وجولييت » والآخر عمل ابداعي وهو « اخناتون ونفرتيتي » وهما من حيث الحجم وكم الشعر يزيدان عن كل ما قدمه السياب ونازك من قصائد جديدة منذ بدأت ريادتهما في سنة ١٩٤٧م الى أوائل الخمسينيات .

ضرورة الابداع

ولم تتسم المحاولة عند باكثير بالوعي بأهمية الاستحداث فحسب وانما اتسمت كذلك بالتحدي لمن يقول ان الشعر المنطلق من قيود

القوالب القديمة للقصيدة العربية لا يكتب له النجاح،وفي مقدمة ترجمته لمسرحية « روميو وجولييت » يقول باكثير شارحا الأساس العروضي الذي يدعو اليه : (والنظم الذي تراه في هذا الكتاب هو مزيج من النظم المرسل المنطلق بالنظم الحر ، فهو مرسل من القافية ، وهو منطلق لا يشابه بين السطور ، فالبيت هنا ليس وحدة وانما الوحدة هي الجملة التامة المعنى التي قد تستغرق بيتين أو ثلاثة أو أكثر ، دون أن يقف القارىء الا عند نهايتها . وهو ـ أعني النظم ـ كذلك لعدم التزام عدد معين من التفعيلات في البيت الواحد . ولست أقصد بهذا البيان التحديد الاصطلاحي لهذا الضرب الجديد من النظم ، وانما قصدي ان أعطي القارىء فكرة عامة عنه قد تساعده على تذوقه).(روميو وجولييت : المقدمة) .

ماذا تعني هذه المحاولة الواعية ، وهذا الاعتراف المسبق بضرورة الابتداع ، ثم هذه الأوصاف الثلاثة التي تبعت كلمة«النظم»،وهي « مرسل » ، « ومنطلق » وحر ؟ هل ما تزال الاستاذة نازك الملائكة على اصرارها بالأسبقية وبأنها الرائدة الأولى أو أنها مع الشاعر بدر شاكر السياب أول رائدين في هذا المضمار ؟ ان لنا مع الاستاذة الجليلة حديثا آخر في فصل قادم من هذا البحث سوف يتضمن بعض النصوص المختارة من مسرح باكثير الشعري المترجم الذي استطاع باقتدار تام أن يجعله مختلفا ومغايرا لمسرح شوقي ، الذي وصفه بأنه مجموعة من المقطوعات الشعرية المتنافرة النظام . وعلينا قبل ذلك أن نقرأ سطورا اخرى من مقدمة مسرحية اخرى قال عنها نقاد الشعر بأنها من أنجح المحاولات التجديدية في مجال الشعر الجديد او الشعر الحر ـ كما يحلو لبعضهم ان يسميه ، وهذه التسمية من التسميات التي اطلقها باكثير نفسه على محاولاته الشعرية ، والمسرحية المشار اليها هي « اخناتون ونفرتيتي » وقد ظهرت في عام ١٩٤٠م ، وتقول مقدمتها الثانية : « هذه مسرحية اخناتون *ونفرتيتي اعود اليها بعد تسعة وعشرين عاما منذ* عايشتها وكتبتها في سنة ١٩٣٨ ، فأقدمها اليوم للقراء العرب كما خرجت للناس في طبعتها الأولى سنة ١٩٤٠ أقدمها متأسيا مما أجد في سطورها من أنفاس شبابي الأول ، ومغتبطا لما أصابت من حظ عظيم . اذ صارت نقطة انقلاب في تاريخ الشعر العربي الحديث كله . فقد قدر لها ان تكون التجربة الأم فيما شاع اليوم وسميته أنا قديما الشعر المرسل المنطلق . .

تجربة انطلقت في منيل الروضة على ضفاف النيل بالقاهرة . ثم ظهر صداها أول ما ظهر في العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، بعد انطلاقها بعشرة أعوام،ثم ما لبث ان شاع هذا الشعر الجديد في العالم العربي كله (اخناتون ونفرتيتي : مقدمة الطبعة الثانية ص ٥) ولا يتسع المجال بعد كل هذا لايراد سطور من مقدمة الأستاذ المازني رحمه الله للطبعة الأولى من مسرحية (اخناتون ونفرتيتي) وهي مقدمة صادرة عن ناقد كبير له مكانته في عالم الأدب العربي ، مع رفيقيه العقاد وشكري ، فقد تلمس ثلاثتهم أساليب التجديد المختلفة ، وقرعوا أبواب الشرق والغرب بحثا عن طرائق لتجديد الشكل دون جدوى ، ان المازني يكاد يصرخ وهو يقدم للمسرحية أن هذا هو الأسلوب الذي ظللنا نبحث عنه ثم أدركه هذا الشاب اليماني القادم من أرض « دمون » ارض أقدم اشكال التجديد .

في تاريخ الشعر العربي القديم :

تطاول الليل علينا دمون
دمون إنّا معشر يمانون
واننا لأهلنا محبون

أجل : لقد تطاول علينا ليل العصر الحديث ، لكننا مانزال لأهلنا محبين وبهم مشفقين ، الا أننا نحب الحق ونكره التعصب ، وحبنا للجديد ضارب في جذور التراث ومتغلغل في أعماق العصور . . □□

سمفونيّة البحر .. والبحّار

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

□ بصدور رواية « المرفأ البعيد » سنة ١٩٨٣ للكاتب العربي الكبير « حنا مينا » تكتمل ثلاثية « حكاية بحار » التي صدر الجزء الأول منها بهذا العنوان سنة ١٩٨١ . ثم صدر الجزء الثاني بعنوان « الدقل » سنة ١٩٨٢ .

مع أن هناك شواهد كثيرة توحي بأن رواية « المرفأ البعيد » يمكن أن تكون هي النهاية الطبيعية لهذه الثلاثية ، فان الطريقة التي ينتهي بها هذا الجزء . وبعض وقائعه الأخيرة تحمل إمكانات النمو والتطور ، وقد يعني ذلك نوعاً من النهايات المفتوحة . لكنه بأي حال لا يعني أن علينا أن ننتظر موت البحار أو عودته فالبحارة - كما يقول : « سيد الاسكندراني » أحد شخصيات هذه الرواية - لا يموتون ، يفقدون غالباً ، كل زوجة تنتظر عودة زوجها ، لكن انتظارها يطول . . . . » .

●●●

تبدأ هذه الرواية من نقطة النهاية ، بعد أن بلغ « سعيد حزوم » الشخصية المحورية فيها الخمسين من عمره ، وحط رحاله على شاطيء مدينة « طرطوس » مجرد مشرف يرعى بعض المصطافين ، إثر حادثة صغيرة اضطره فيها عناده وكبرياؤه الى قبول التحدي من شاب في العشرين من عمره للدخول في مسابقة للغوص ، تغلب فيها على الشباب بخبرته الطويلة ولكنه لم يسعد بهذا الفوز الذي أدرك من خلاله حقيقة ما فعل به الزمن « لقد وصل الى النقطة التي تتساوى عندها الأشياء ، وليس يحس حقداً ولا عتباً ولا يرغب إلا في النوم » وبين اليقظة والنوم والسير على الشاطيء ينثال تيار الذكريات في إضاءات قوية على مراحل من حياته تروى بصوت « سعيد حزوم » ، حيث يمتزج تاريخه الشخصي بأحداث هامة في تاريخ وطنه وأمته والعالم ، ومن خلال هذا الصوت الذي يتردد عبر أزمنة الرواية وأمكنتها يكتسب هذا العمل الضخم وحدته ، ويمتد هذا الصوت كنغمة أساسية في سمفونية عن البحر ومعها ، ومن خلالها تنبعث وتلتقي وتتحاور أصوات الشخصيات الأخرى في تنوع خصب . وتناغم فريد ، يمنح هذا العمل طابعه السيمفوني ، وتوتره الدائم عبر صفحاته التي تربو على الألف صفحة من الحكمة والجنون والأسى والإحباط والتوهج والأمل والفكاهة الحلوة والمرة .

ملامح من رحلة حياة

كان « سعيد حزوم » طفلاً حين سمع بتلك القصة العجيبة عن بطولة أبيه « صالح حزوم » في إنقاذ المراكب من عاصفة نهرية عاتية ظل الناس يتحدثون عنها طويلاً في « مرسين » ببلاد الأناضول . وبعيني الطفل وعقله رأى وعايش أحداث اضطهاد الاتراك للعرب ، ومقاومة أبيه لهذا الاضطهاد ، ودخوله السجن بسبب هذه المقاومة . ولم يكن قد غادر طفولته بعد ، حين عاش أول هجرة للأسرة من ميناء « مرسين » في إقليم الأناضول الى ميناء « الاسكندرونة » في سورية ، ويومها قالوا له : إننا عائدون الى أرض الوطن .

في « الاسكندرونة » عاش « سعيد حزوم » مرحلة الصبا وبدايات الشباب ، ومع أنه كان في أرض الوطن فقد وجد أباه « صالح حزوم » يقاوم اضطهاد الفرنسيين للأهالي حين عصفت بهم البطالة إبان الأزمة الاقتصادية ، فخرجوا في مظاهرة أمام قصر الحاكم الفرنسي ، الذي لم يجد ما يقدمه لهؤلاء الجوعى سوى طلقات الرصاص . . . من يومها لم يعد يبصر أباه . . . الا في الليل . . . وأدرك أن خطراً كبيراً يحدق بأبيه وبالأسرة ، وبأن الخطر يكون في الوطن كما يكون في الغربة وأدرك على نحو غامض أن ثمة علاقة بين مقتل بعض الجنود الفرنسيين هنا أو هناك وبين اختفاء أبيه في الجبل ، لم يكن أبوه يقول له شيئاً واضحاً بشأن اختفائه ، ولا بشأن الناس الذين يقدمون لهم في غيابه بعض المعونات ، وفي تلك الليلة التي طرقوا فيها بابهم على غير موعد ، كاد أن يطلب منهم أن يوضحوا له الأشياء ، وبدوا وكأنهم سيفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم فقد أخذوه الى شاطىء البحر ، وأشاروا الى سفينة فرنسية غارقة بقرب الشاطىء كانت محملة في داخلها بصفائح الغاز ، وأخبروه بأن أباه كان يأتي في الليل ويغوص الى قلب هذه السفينة ويخرج منها صفائح الغاز ، ويبيعونها سراً للمحال التجارية ، وبثمنها كانوا يشترون الخبز للأهالي الذين تعصف بهم الأزمة ، وأن أباه لم يخرج من السفينة بعد آخر مرة غاص فيها ، وأنهم بحثوا عنه وانتظروه دون طائل ، ويجد سعيد حزوم نفسه يقوم بأول مخاطرة كبرى في حياته ، يغوص مرات داخل عنابر السفينة ، متحدياً الخوف والموت والوهن والمجهول في كل مرة للبحث عن جثة أبيه . وحين نجح في الخروج العسير بها من أشداق السفينة الغارقة ، وجد أنها لم تكن جثة والده بل هي لجندي فرنسي ضمن طاقم السفينة الغارقة وبقدر ما شعر هو ومن معه بالاحباط العظيم بعد هذه المخاطرة . . . انبثق من قلب هذا الاحباط أمل . . . فما دام لم يعثر على جثة أبيه في هذه السفينة فهناك أمل في أن والده لا يزال على قيد الحياة .

البحث عن الأب

منذ تلك اللحظة تبدأ في حياة الابن « سعيد » ومع بدايات الشباب مهمة البحث عن الأب « صالح حزوم » على نحو غير محدد ، ولكنه ملح ودائم وهو بحث عن شخص الأب الغائب ، وهو اكتشاف للمعاني التي يمثلها .

إن وقائع حياة الأب التي قدمها المؤلف في الجزء الأول « حكاية بحار » قدم بعضها من خلال وعي الطفل ، وبعضها الآخر من خلال الوعي الناضج « لسعيد حزوم » ، بعد أن يسمع أجزاء جديدة منها من رفاق والده ، هذه الوقائع يعاد اكتشافها من جديد في ضوء التجارب التي يمر بها سعيد حزوم ، ويختلط ذلك الاكتشاف باكتشاف سعيد حزوم لذاته وللناس وللدنيا من حوله في البر والبحر .

إن العلاقة بين الابن والأب في هذه الرواية محور من أهم محاورها . . . والعصب الممتد بين أجزائها عبر رحلة حياة « سعيد حزوم » ، والبحث عن الأب هو من بعض الوجوه ، بحث عن الذات . فالأب هو الأنا الأعلى أو المثل الأعلى ، لشخصية سعيد حزوم ، والرحلة الممتدة لسعيد حزوم في البر والبحر هي محاولة مستمرة لاكتشاف أبعاد هذا الأنا الأعلى ومحاولة لترسم خطاه والوصول اليه ، وهي محاولة بالغة الصعوبة ، فالأب الذي اختفى في ظروف غامضة في غبش الصبا يسفر عن وجهه أو وجوهه المتعددة عبر الأحداث والشخصيات الجديدة التي يتعرف عليها ويتفاعل معها سعيد حزوم ، بعضها يرفع الأب الى مستوى الأبطال ، وبعضها يؤكد أنه كان بطلاً في بعض المواقف ومجرد بحار محدود الامكانات في مواقف أخرى ، وبعضها يكشف عن جوانب ضعف

ربما كانت عظمته الوحيدة هي في قدرته على تجاوزها عند اللزوم . ومع تطور أحداث الرواية يلوح أن المثل الأعلى في هذه الحياة القاسية المتغيرة يبدو هو الآخر مراوغاً وقابلاً للتغير . . . وأن فيه من المراوغة بقدر ما فيه من السحر والجاذبية . . . فهل تنتهي رحلة البحث عن الأب بمحاولة لصياغة جديدة له ؟ ووقتها يصبح اكتشاف الأب هو اكتشاف الذات وتلتحم شخصية الابن بشخصية الأب في كل جديد عند الوصول الى ذلك « المرفأ البعيد » الذي يبحر اليه الابن في نهاية الرواية ؟ ؟

لماذا لا نعود الى قراءة متأنية لهذه الرواية ؟

ملامح جديدة

لقد أدى اكتشاف سعيد حزوم لجثة الجندي الفرنسي في السفينة الغارقة الى دخوله السجن لمدة ثلاث سنوات لأنه لم يبلغ السلطات الفرنسية عن عثوره على الجثة في حينها . . . كان الحكم في حقيقته نوعاً من عقاب الأب الغائب الذي عجزت السلطات الفرنسية عن القبض عليه ، وكانت تجربة السجن كلها خطوة أولى على طريق البحث عن الأب ، ففي السجن التقى سعيد حزوم - رغم البشاعات التي عايشها - بمن أكرموه وعنوا به عندما عرفوا بأنه ابن صالح حزوم ، وخارج السجن - رغم الأزمة الطاحنة - سمع من أمموهي تزوره - أن هناك من كان يهتم بالأسرة وأن من بينهم جارة قديمة لهم من « مارسين » عادت الى الاسكندرونة اسمها « كاترين الحلوة » . كان قد سمع من أحد البحارة قصة مثيرة عن علاقة بين أبيه وبين كاترين الحلوة التي لم تكن حسنة السمعة . كان ذلك جزءا من الماضي فما معنى أن تعود تلك المرأة لتساعد أسرة الرجل الذي كانت تحبه بعد أن اختفى ودخل ابنها السجن ، هل نسيت كيف طردها أبوه من مرسين بعد خروجه من السجن لأنها كانت على علاقة بالأتراك وهو في السجن ؟

ما معنى أنها لا تزال تذكر أباه بعد خمسة عشر عاماً من طرده لها ؟ أم تراها عادت هي الأخرى للبحث عن الأب ؟

● ● ●

بعد أن خرج « سعيد حزوم » من السجن كان هو الذي يقود أسرته هذه المرة في هجرة جديدة من الاسكندرونة الى اللاذقية ، فقد سلم الفرنسيون لواء الاسكندرونة الى تركيا ، وها هو يتراجع أمام نفس القوى التي كان يحاربها أبوه . . . لقد اختفى أبوه ، ولكن هذه القوى تتعاظم ، وهو وقومه يتراجعون أمامها ، وهو مسئول عن الأسرة التي تركها له أبوه ، بلا تجربة ولا تعليم ، سوى سنوات قليلة في المدرسة ، وسنوات أقل في السجن ، وها هو يجد نفسه وحيداً غريباً في ميناء اللاذقية ، الميناء مكان غامض يحفل بالأسرار والغرائب والمخاطر التي تحيط بالكهوف والأقبية . . . . لقد سكن في واحد منها الى أن يجد مسكناً ولكن الوقت يطول

دون أن يجد المسكن المأمول ، ويتعرف على نوعيات مختلفة من الشخصيات ... « العجوز » الذي يعمل معه على زورقه كبحار ، ... « قاسم العبد » الموظف بالسكك الحديدية ذي الرقاقة اللحمية بين أصابعه ، والذي لا يتكلم الا في السياسة ويغرق في الدهشة حين يكتشف أنه كان على صلة بوالده « صالح حزوم » ، وتتحول دهشته الى نوع من الحيرة أمام طريقة قاسم في فهم الوطنية ، فهو يتشكك في رجال الكتلة الوطنية ، ويكتفي بتأييدهم في الثورة ضد فرنسا . ولكنه بعد ذلك لا يضع ثقته الا في عمال الميناء ، وفي دفعهم لتأليف نقابة للدفاع عن مصالحهم ، يتكلم معه في حذر ووضوح وحسم . ولكنه يعامله أحياناً كطفل عديم الخبرة . وفي حديثه عن أبيه « صالح حزوم » لا يحيطه بهالة البطولة التي تتبدى في أحاديث البحار العجوز (الذي يعمل معه) عن والده . والريس عبد الحميد الذي ما كاد يعرف أنه ابن صالح حزوم حتى أكرمه ووعده بالبحث له عن فرصة عمل تحقق له طموحه في أن يكون بحاراً كوالده ، والى جوار هؤلاء يتعرف أيضاً على شخصيات من نوع آخر ... « توفيق » صاحب الخمارة التي تضم حثالة الميناء من اللصوص والصعاليك والمدمنين ، ويلتقي في هذه الخمارة « براغب درويش » المهرب الدولي الذي خرج لتوه من السجن . ويتحدث عن حياته ومغامراته بلا تحفظ وكأنه لا يعمل حساباً لقيمة . أو لشخص أو لشيء . ولا يجد معنى لبحث « سعيد حزوم » عن أبيه ، ولا لبطولة أبيه أو أي بطولة .

ذلك هو عالم الميناء الصاخب بالمتناقضات حيث تبدو أسطورة أبيه كزورق في بحر عاصف ، موجة ترفعها ، وموجة تعصف بها وهو يبحر خلف الأسطورة في البحر ذاته ، محاولاً أن ينقذها ، أن يكتشف حقيقتها ، ولكنه يكتشف لدهشته أنها هي التي تنقذه في أحيان كثيرة ، ففي الليلة ذاتها التي التقى فيها براغب درويش ، وفي نهاية السهرة يلتقي في ذات الخمارة « بالريس عبدوش » الذي لا يكاد يعرف انه ابن"صالح حزوم"حتى يعرض عليه أن يعمل على مركبه كبحار ، وكان توفيق صاحب الخمارة قد أخبره منذ لحظات أن الريس عبدوش قد تزوج من امرأة اسمها « كاترين الحلوة » وهكذا يجد نفسه في لحظة واحدة ، لعلها إحدى غرائب الميناء ، يجد فرصة العمل التي كان يحلم بها ، بحاراً على مركب مثل والده لا على زورق في ميناء .

والده هو الذي كان يوصيه دائماً بأن يكون بحاراً ومناضلاً ، وها هو يوشك أن يصبح بحاراً . أما كيف يصبح مناضلاً فهذا ما لا يعرف بعد طريقاً واضحاً اليه ... ؟ وكيف يا ترى يكون النضال ؟ على طريقة قاسم العبد أم على طريقة أبيه ؟ الذي لا يزال يبحث عنه ، أهو الذي يبحث عن أبيه أم أن أباه هو الذي يبحث عنه . فها هو يقترب فجأة من العمل مع زوج كاترين الحلوة التي تمثل واحداً من أهم أسرار والده ؟ ومن أقصر الطرق اليه ... الى حقيقته ؟ وحين يعود في تلك الليلة منتشياً بما حدث في المقهى ، حين يروى لأمه بعض ما حدث له ، لا تجد أمه في كل ما سمعته منه سوى معنى واحد ، هو أن البحر الذي اخذ الأب يريد أن يأخذ الابن أيضاً ، وحين يقول لها سعيد مداعباً :

ـ ان الريس عبدوش متزوج من كاترين الحلوة ...

لا تجد في هذا الخبر سوى أنه فرصة لتذهب الى كاترين جارتها القديمة في « مارسين » لعلها تقنع زوجها الريس عبدوش ألا يأخذ ابنها معه الى البحر ، وهكذا تقوم الأم الطيبة بتقديم ابنها بنفسها الى المرأة التي أخذت الأب من قبل .

ويلتقي سعيد بكاترين الأسطورة ... أيمكن أن تكون هذه المرأة هي دليله الى أبيه ... أن يصل الى حقيقته من الأبواب الخلفية ؟ ويكتشف

لدهشته أن الواقع دائماً يفوق كل الأساطير . . . وهل كان يتخيل سعيد حزوم يوماً في عمق أحلامه أو خيالاته أو مغامراته أن يصبح عاشقاً لكاترين الحلوة ، وبحاراً على مركب زوجها . خائناً لريسه ولأبيه ، ولما سمعه من قاسم العبد متدنياً الى درك أسفل من ذلك الدرك الذي ظن أن راغب درويش وحده هو الذي انتهى اليه .

لا ماء البحر ولا دموع المطر ، ولا جنون العاصفة ، لا شيء من هذا كله بقادر على تطهيره من دنسه ، وشفائه من جنونه ، كان يبحث عن أبيه وهو الآن يبحث عن نفسه ، شيء من أبيه يجري في دمه ، أبوه نفسه أحبها ، هي نفسها قالت له : لو عاد أبوك اليوم لتركت الريس عبدوش من أجل أبيك ، رغم ما فعله معي ، رغم أنه طردني ذات ليلة مطيرة من مارسين ؟ أي خفايا ينطوي عليها ذلك الأب ؟ أتراها تحبه هو ؟ أم تبحث عن أبيه فيه ؟ تبحث عنه حباً أو انتقاماً ؟ أهو يقترب من أبيه أم يبتعد عنه ؟ أبوه في ساعة الحسم قال لا ، لهذا الجمال . . . أما هو فماذا قال وماذا يفعل ؟ .

في داخله تتصارع لا ونعم ، يتصارع قاسم العبد وراغب درويش ، الأب والابن . . . أبوه طلب منه أن يكون بحاراً ومناضلاً فهل ينتهي به الأمر وقبل أن يبدأ بالنضال ضد أبيه ؟ ، واذا ترك سعيد حزوم الحساب المؤجل مع أبيه فماذا عن الحساب العاجل مع الريس عبدوش ؟ هل بدأ يشك في علاقته بزوجته . . . أبوه هو الذي حكى له يوماً قصة معناها أن البحار يتنابه إحساس داخلي حين تخونه امرأته في غيابه حتى لو لم يكن هناك دليل واحد على خيانتها . حتى في هذه المعركة القذرة يمد له أبوه يد العون ، أشياء كثيرة تؤكد أن بذرة الشك السامة تنمو في قلب الريس عبدوش ، أهمها أنه لأول مرة يرفض طلباً لكاترين الحلوة حين رجته الا يأخذ سعيدا معه على المركب رحمة بأمه التي طلبت منها ذلك ، كأنما أدرك أنها تريده أن يتركه لها هي . . . وأين تتم تصفية الحساب بين الرجلين في البر أم في البحر ؟

عاصفة في البحر

في البحر ، في أول سفرة له مع الريس عبدوش ، أدرك سعيد حزوم الوجه البارد للحقائق التي كان يحدثه عنها العبد على البر ، الريس ريس ، هو صاحب المركب وسيد البحارة ، والفروق التي كانت تختفي على البر في ليالي السمر تظهر على سطح المركب حادة وصارمة ، على ظهر المركب لكل دور ومكان لا يتجاوزه ، وأصبح هو سعيد حزوم مجرد بحار صغير تابع يقف في نهاية صف طويل من الأتباع ، يتلقى الأوامر والتعليمات من أصغر بحار قبله . . . أين هو من الريس عبدوش الذي يلوذ بقمرته في ترفع ؟ يفصل بينهما - الى جوار الشكوك - عشرات البحارة القدامى ؟ ؟ .

وذات ليلة تهب العاصفة ، أول عاصفة يراها سعيد حزوم في أول رحلة بحرية . . . هذا هو الوجه الآخر للبحر . . . الوجه الذي كان يراه في أحاديث أبيه وفي أحاديث البحارة ، ومعه يظهر الوجه الآخر للريس عبدوش . . . فحين تهب العاصفة تكتسح كل ما يقف في طريقها ، تكتسح حتى الفروق بين الريس والبحارة ، بين من يملك المركب ومن يعمل عليها ، المركب في تلك اللحظات لم تعد ملكاً لأحد سوى الموج العاصف يتلاعب بها وبهم ، وعليهم جميعاً أن يستردوها من الموج العاصف ، من قبضة الريح العاتية ، أن يصبحوا جميعاً قبضة واحدة لأن السفينة هي وسيلة نجاتهم ، هيا أيها الرجال . . . أيها الأخوة ، هكذا يتكلم الريس عبدوش ، أمام العاصفة ، أما قبلها ، وحين تقذف الريح بأحد البحارة من أحد الصواري الى قلب اللجة ، وحين لا يكون هناك معنى

لاستمرار المحاولة لانقاذ فرد واحد ، وحتى لا يضيع الجميع ، فان الريس وحده ، وهو الذي يأمر بالكف عن المحاولة ، ويمتزج الاعجاب بالحقد بالخوف في قلب سعيد حزوم وهو يطالع الوجه الآخر لريسه وغريمه . الرؤساء في البحر لا يتوارثون اللقب كما يتوارث الاقطاعيون الثروات ، الريس يصبح ريساً بالجدارة ، بتحدي العاصفة ، بمواجهة الخطر لانقاذ الركاب والمركب ، فاذا جاءت لحظة الاختيار فان الريس ينزل الركاب في قوارب النجاة ، وقد يختار أن يغوص في اللجة مع مركبه ، تلك هي عدالة البحر الوحيدة التي لم يعرفها قاسم العبد ، ولم يعترف بها ، ولعلها العدالة التي تأسر قلب البحارة وتجعلهم يستسلمون الى ليل حياتهم الطويل ، العاصفة تشتد وتكسر الصارى الذي يرتبط بالدقل فيختل نظام الأشرعة ، فاذا لم يفصل عن شبكة الأعمدة المترابطة بحبال ثخينة تحطم الدقل ووقعت الكارثة ، تبرز المخاطرة الكبرى الى الوجود ، لا بد أن يصعد أحد لقطع الحبال التي تربط الصارى بالدقل ، يصعد الى المكان الذي قذفت منه العاصفة بأحد البحارة الى البحر المائج منذ قليل فمن الذي يلبي نداء المهمة المانحة للموت والحياة ؟ ؟

هذه لحظة سقوط الأقنعة ، ويسفر الوجه الحقيقي للريس عبدوش حين يتقدم لإنجاز المهمة ، ويتوسل اليه البحارة أن يبقى وأن يختار واحداً منهم ، فلا ينبغي في لحظة كهذه أن تتعرض المركب لفقدان الريس ، الريس يجب أن يبقى حتى النهاية ، ولكن الريس يعلن أن هذا هو قراره واختياره . . . أهذا ما كان يقصده صالح حزوم حين طلب من سعيد أن يصبح مثله بحاراً . . . أهذا هو الموقف الذي واجهه أبوه يوم العاصفة النهرية ؟ ويتقدم سعيد حزوم في تصميم ليقوم بالمهمة بدلاً من الريس عبدوش بعد حوار يلغي المسافات بين الريس والبحار ، لكن لمن كان سعيد يقدم عمله ؟

لأبيه . . ؟ للريس عبدوش الذي تجاهله منذ دفع قدمه على المركب ؟ للبحر الذي يواجهه لأول مرة ؟ لعمق شعوره بالخطيئة ؟ لعمق رغبته في أن يعرف حقيقة أبيه وحقيقة نفسه ؟ أم أن « كاترين » كانت في الأعماق البعيدة،في كل الأحوال يريد أن يترك لها رسالة تصلها مع من يبقى من هذه المهلكة يروي القصة .

ومن مِنْ كل هؤلاء تقبل عمله ؟ لا العاصفة هدأت ، ولا المركب نجا رغم فصل الصارى عن الدقل ، ولا الريس عبدوش قابل فعله بالعرفان وكيف يغفر له الريس عبدوش أن ينجح وحده في إنجاز العمل الخطير ؟ ربما تغرق المركب ، ولكن بحار العالم لا تنجح في إغراق مثل هذا الانجاز .

« لو كنت جباناً لاحتملني ، لكنه هو المجروح الكرامة ، المنتهك الحرمة لم يشأ أن ينجو منافسه » .

هكذا كان سعيد حزوم يحدث نفسه بعد أيام عصيبة وهو يتذكر أحداث اللحظة المرعبة ، فبعد أن نجح سعيد في مهمته ، لم يسفر هذا النجاح الا عن تأجيل الكارثة ، ريثما ينزل الركاب الى قارب النجاة ، وحين لم يبق على ظهر المركب سوى رجلين اثنين ينزان فجيعة وألماً ، الريس عبدوش وسعيد حزوم ، لم يبق أمام الريس عبدوش ما يمكن أن ينقذه سوى شرفه كريس ، أن يغرق مع مركبه ، وأن يأمر سعيد بالنزول الى قارب النجاة بالحبل الذي كان لا يزال يربط المركب بالقارب .

وفي اللحظة التي كان سعيد في منتصف المسافة بين المركب والزورق أخرج الريس عبدوش سكيناً وقطع به الحبل وهو يصرخ في ظلام العاصفة :

لنغرق معاً يا سعيد ، أنت في البحر ، وأنا في المركب ، وهكذا لا تكون كاترين لك ولا لي .

□□

بيني وبين السّياسة الأسبوعيّة

ذكريات نصف قرن .. أي ذكريات !

بقلم : الدكتور نقولا زيادة

□ كانت غذاء فكريا .. كانت تنقلنا الى العالم ، وتنقل العالم الينا .. ربطت بيننا وبين وطننا العربي ، ونقلت الينا صورا لأهل الفكر .. كانت مدرسة متنوعة الفصول والأهداف .. في الأدب والعلم والتاريخ والرواية والفكر .. انها « السياسة الأسبوعية » عشنا معها وعاشت معنا بين الحربين العالميتين ..

« وهذه قصتي معها وذكرياتي عنها » .

أنا من أبناء الحرب العالمية الأولى .

ولدت في الشهر الأخير من سنة ١٩٠٧ في عهد عبد الحميد الثاني العثماني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) خادم الحرمين الشريفين وسلطان البرين وخاقان البحرين .

أرومتي عميقة الجذور في الناصرة (فلسطين) لكنني ولدت (مصادفة) في دمشق لأن والدي كان يعمل موظفا في سكة حديد الحجاز (المكاتب الرئيسية) وقد كنت بعد طفلا لما وصل أول قطار الى المدينة المنورة (أيلول/سبتمبر ١٩٠٨) ولما خلع عبد الحميد (تموز/يوليو ١٩٠٩) .

توفي والدي في دمشق جنديا عثمانيا غير محارب . وبعد وفاته عادت أسرتنا الصغيرة الى الناصرة . كنت في الثامنة من عمري . وفي السنوات التي قضيناها في دمشق أدخلت مدرسة للفرير (Fraire) ، لكن دخول الدولة العثمانية الى جانب المانية في الحرب أدى الى

اغلاق المدرسة (الفرنسية) . فأرسلت الى مدرسة أهلية في حيفا . فكان لي من ذلك التعلم المتنقل حصيلة تعلم القراءة العربية .

في سنة ١٩١٧ انتقلت أسرتنا الى جنين (في فلسطين) . وهناك لم يكن ثمة مدرسة ! فصف الضباط من الفرقة الجوية (الالمانية) التي كانت تقيم في البلدة اختاروا مبنى المدرسة لاقامتهم .

الا أنني كنت قد أصبحت أتقن القراءة ، لذلك قرأت كل ما وقعت عليه يدي . (ولنذكر انني أتحدث عن السنوات ١٩١٦ ـ ١٩١٩) والكتب التي وقعت عليها يدي كانت ألف ليلة وليلة وقصة عنتر وتغريبة بني هلال وقصة الملك سيف بن ذي يزن . قرأتها ، وقرأت أجزاء منها أكثر من مرة .

وأخيرا فتحت المدرسة في جنين (مطلع ١٩١٩) ، وقضيت فيها سنتين . لكنها كانت مدرسة قامت على أنقاض متنوعة ، فالتلاميذ كانوا فيها من أعمار مختلفة حتى في السنة الواحدة (الصف الواحد) . ففي سنتي أنا ، وكانت أعلى سنة في المدرسة ، كنت أنا أصغر الطلاب ، وكان في الصف نفسه طالب في العشرين من عمره . وكما كان الطلاب منوعين في الأعمار والخلفيات ، كان المدرسون منوعين . ويمكن القول أن فتح المدرسة وسيرها في السنة الأولى كان عملية ترقيع ، وفي السنة الثانية كانت عملية تجبير .

وقضيت السنوات ١٩٢١ ـ ١٩٢٤ طالبا في دار المعلمين في القدس . والوضع هنا كان أيضا في بداءة الأوضاع . فالطلاب متنوعو المشارب والخلفيات والأعمار . أما الأساتذة فقد كانوا مجموعة طيبة ، وأصحاب كفاءات جيدة . وقد تأثرت أنا (وأنا معني بنفسي الآن) باثنين منهم هما خليل طوطح مدير الدار ودرويش المقدادي . وقد عمل في دائرة المعارف بالكويت ، كان تأثير هذين منوعا ، لكن أهم ما يمكن أن أذكره هو أنهما حببا إلي المطالعة وأثارا في نفسي الهمة الى الاستمرار في طلب المعرفة .

محمد حسين هيكل

في ميدان العمل

في دار المعلمين تعودنا على القراءة . وكانت تصلنا من الصحف المصرية ـ الأهرام والمقطم ـ والمجلات مثل المقتطف والهلال ـ فكانت هي الزاد الذي نمتع به أذهاننا وأفكارنا .

وبعد عملي سنة واحدة معلما في مدرسة قرية (ترشيحا) نقلت الى مدرسة عكا الثانوية (وقد كانت في واقع الأمر ، مدرسة متوسطة فيها السنوات الأربع العليا من الدراسة الابتدائية ، والسنتان الأوليان من الدراسة الثانوية . . وفي هذه المدرسة وهذه المدينة قضيت عشر سنوات (١٩٢٥ ـ ١٩٣٥) .

لم يكن في المدينة حانوت واحد لبيع أي نوع من الكتب ، (وحتى الكتب المدرسية كانت تبعث بها ادارة المعارف لتباع للطلاب) . فكان يتحتم علي أن أبتاع كل كتاب أحتاجه ، وأكثر ما كنا نحصل على كتبنا من القدس أو من القاهرة .

الا أن المشكلة كانت ، بالنسبة لي ، ذات ناحية أخرى . فأنا أحصل على الكتاب أقرؤه ولو تأخر الأمر بعض الوقت . وأنا أحصل على المقتطف والهلال وأقرؤهما . لكن المجلة الشهرية تطلعك على الأشياء بعد صدورها بمدة .

وكانت الصحف الفلسطينية (الكرمل وفلسطين والجامعة العربية والجامعة الاسلامية ـ

أحمد أمين

عبدالعزيز البشري

على سبيل المثال) تصلنا يوميا الى عكّا . لكن أكثر هذه الصحف ـ خاصة الى أوائل الثلاثينيات ـ كانت أخبارها محلية الصبغة ، مع بعض برقيات للأخبار العالمية (من رويتر وهافاس) . لا الأخبار العالمية الكبرى والمهمة ولم تكن ثمة محطات اذاعة ولا راديات تمكن الواحد منا الاطلاع على ما يجري في العالم .

هذه المشكلة حللتها بأن طلبت من بائع الصحف المتجول ـ ولم يكن هناك بائع صحف ثابت بادىء الأمر ـ أن يأتيني بالاهرام ، والاهرام مثل غيرها من الصحف والسلع وحتى الأشخاص ـ كانت تحمل في قطار المساء من القاهرة الى حيفا (فيصلها في منتصف الساعة العاشرة صباحا) ثم تحمل الى عكا فتصلني حول الظهر .

المحنة الشهرية كانت تزودني بالغذاء الفكري ، والصحيفة اليومية كانت توصلني بالعالم . لكن تلك تأتي مرة في الشهر . وهذه كانت تتنقل يوميا بين مراكز النشاطات السياسية المتنوعة . لذلك كان ثمة فجوة في نفسي وأحب أن تمتلىء الفجوة التي هي بين الشهر واليوم .

وكان أن صدرت السياسة الأسبوعية في آذار/مارس ١٩٢٦ . ولعلي لم أتعرف اليها الا بعد شهور .

السياسة الأسبوعية

كانت مصر ، في أعقاب ثورة ١٩١٩ ووضع الدستور (١٩٢٣) ، قد قامت فيها الأحزاب السياسية التي كانت تتنافس وتتطاحن فيما بينها . وكان حزب الأحرار الدستوريين من الأحزاب القليلة عددا ، لكنه كان حزب فيه عدد لا يستهان به من أهل الفكر في مصر . وأراد هذا الحزب ـ على صغره ـ أهمية وجود صحيفة تعبر عن آرائه وتدافع عن وجوده . لذلك أنشأ ـ في سنة ١٩٢٢ ـ جريدة السياسة ، وعهد برئاسة تحريرها الى الدكتور محمد حسين هيكل . وكان هيكل قد تخرج في معهد الحقوق في مصر . ثم ذهب الى باريس حيث درس علم الاقتصاد والسياسة . وكان ليبراليا ، منفتح الذهن . لكنه كان مصريا لم يتحرر عن مصريته وهو في باريس .

وجريدة السياسة (اليومية) كانت تتميز لا بالأسلوب الرصين فحسب . ولكن بالترفع عن المهاترات التي كانت شائعة في الصحف السياسية يومها . ولا يمكن القول عنها أنها كانت واسعة الانتشار ، حتى في مصر نفسها ، لأنها جريدة حزبية . وكان الانفاق عليها يأتي من مموليها ومؤسسيها الذين دفعوا نفقاتها من جيوبهم الخاصة .

وبعد سنوات من العمل في السياسة أنشأ الدكتور محمد حسين هيكل جريدة السياسة الأسبوعية ، وهي التي كان الغرض منها أن تكون لسان حال مصر « الفكري » الى العالم العربي . وهي لذلك كانت فتحا جديدا .

وقبل أن يتولى الدكتور هيكل رئاسة تحرير السياسة اليومية ، كان قد عمل في «الجريدة» محررا ، وكان قد أصدر السفور ، كما أنه اشتغل بالمحاماة بعض الوقت . لذلك كان مهيأ للاشراف على السياسة اليومية .

واذا كانت السياسة (اليومية) ذات صبغة ولون وطابع سياسي حزبي ، فان السياسة

الاسبوعية كانت حاجة تثقيفية اجتماعية فكرية . (ولو أنه في الواقع كان ثمة رد فعل حزبي في مصر على صدور السياسة الأسبوعية ، اذ صدر البلاغ الأسبوعي) .

ولست معنيا الآن فيما اذا كانت « السياسة الأسبوعية » قد سدت حاجة ملحة في مصر . فذلك أمر يحتاج الى بحث وتقص ليس هنا موضعها ، ولا أنا أصلح للقيام بذلك . ولكن الذي أود أن أؤكد عليه هو أن السياسة الأسبوعية سدت ـ بالنسبة لي شخصيا ـ الفجوة التي كنت أشعر بها بين المجلة الشهرية والصحيفة اليومية .

السياسة الأسبوعية ، أولا ، ربطتني بالعالم الخارجي السياسي المتطور يومها (في عقود ما بعد الحرب العالمية الأولى) على أساس وضع أخبار الأسبوع المهمة أمامي مع التحليل الذي يقوم بكتابته أصحاب أقلام خبيرة وعقول نيرة .

والسياسة الأسبوعية ربطتني ، ثانيا ، بالبلاد العربية . فبعد أن كنت أقرأ الأخبار متلاحقة في الصحيفة اليومية ، على أنها أمور متناثرة،رأيتها في السياسة الأسبوعية منتظمة على أيدي مراسلين للمجلة في أكثر الأقطار العربية . وكان هؤلاء المراسلون يبعثون بالحصاد الأسبوعي للمجلة . وبسبب بطء المواصلات في تلك الأيام ، كانت الرسالة الاسبوعية تنشر متأخرة نسبيا في السياسة الاسبوعية ، لكنها كانت تعطي الأخبار وحدة محلية ، والقارىء يستطيع أن يضم ما يكتبه المراسلون وعندها تتكون عنده الفكرة الجامعة .

والسياسة الأسبوعية ، ثالثا ، عرفتني بأهل الفكر من المصريين . وليس من اليسير تعداد الأسماء جميعها . فذلك أمر يستعصي الآن على الباحث الأخصائي (وكدت أقول على الكومبيوتر) . ولكنني أذكر على سبيل المثال بعض أولئك الذين لولا السياسة الأسبوعية لبقوا ـ بالنسبة الي ـ أسماء شاحبة .

أود أن أذكر بين الذين تعرفت اليهم عن طريق السياسة الأسبوعية (على غير ترتيب معنى) هيكل نفسه وطه عبد الحميد الوكيل ومحمود عزمي ومنصور فهمي وعبدالحميد العبادي ونقولا يوسف ومصطفى عبد اللطيف السحرتي وأحمد زكي أبو شادي ومحمد الهلباوي وزكي مبارك وعبد الحميد حمدي وابراهيم ناجي وحسين ولي وحسن صادق وعلي باشا ابراهيم وأحمد أمين وأحمد زكي ومحمد عوض محمد .

أما من الذين كنت قد قرأت لهم ، ولكن الصلة توثقت بيننا عن طريق السياسة الأسبوعية فطه حسين .

وكان في السياسة الأسبوعية (لمدة طويلة) حديث متزن واضح عن واحد من رجال التاريخ المصري الحديث . وهذه الأحاديث كانت تحيط بجميع الرجال لا رجال الحزب منهم فقط .

وكانت السياسة الأسبوعية تنشر قصة الأسبوع . والذي قد قر في نفسي أن تلك القصص كانت ممتعة لذيذة ، دون أن تكون وعظية .

على أن المقال الذي كان يثير في اعجابا خاصا ، هو « في المرآة » في هذا الباب كان الشيخ عبدالعزيز البشري يرسم في كل أسبوع صورة قلمية (مصحوبة بكاريكاتور) لواحد من رجال السياسة المصرية . وأشهد أن البشري قد بلغ غاية البراعة في الكثير من هذه الصور التي رسمها . قرأتها وهي تنشر ، فكنت أطرب لها أيما طرب . وقد كنت أقرؤها على زملائي أحيانا ، لكن لما نُشرت هذه فيما بعد كتابا ، وقرأته بعد سنوات ، لم يكن للمقالات الوقع السابق في نفسي . ان المناسبة كانت تحملنا على كثير من المتعة . لكن فن البشري في هذه الصور بلغ خير ما يمكن . (وقد حاول البعض تقليده فيما بعد ، فلم يكتب لهم التوفيق) .

كنت ـ في أثناء عملي في عكا ـ بحاجة الى أكثر من مدرسة كي أزداد معرفة وأستفيد علما ، وكان كل ذلك يجب أن يأتي من خارج الميدان . وأحسب أنني نجحت الى حد كبير . فقد كنت

أحس بهذا النمو ـ لا أقول اليومي أو الأسبوعي ـ ولكنه كان نموا فحسب .

أنا والسياسة الأسبوعية

وكانت السياسة الأسبوعية واحدة من هذه المدارس ، اذا جاز التعبير . فالمقتطف والهلال والسياسة الأسبوعية كانت في الواقع المثلث الذي كنت أتلقى منه الضغوط ـ وما ألذها ـ الفكرية ، والمعرفة ـ وما أيسرها ـ العلمية .

وأود أن أذكر حادثة واحدة جرت لي مع « السياسة الاسبوعية » في شتاء سنة ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ . في تلك المواسم انتشر في المنطقة العربية الشرقية (مصر وبلاد الشام) مرض عرف باسم الضنك أو الدنج . وعملا بالدور الذي كانت تقوم به في تثقيف قرائها ، نشرت السياسة الاسبوعية مقالا عرض فيه كاتبه (لا اذكره) اعراض المرض والعلاج اللازم له . وقرأت أنا المقال للمعرفة . وحدث أن أصيب أخي بالضنك . واستدعيت الطبيب (هذا في عكا) لزيارته .

فلما فحصه قلت له انه مصاب « بالضنك » ولما سألني كيف عرفت قلت له من الاعراض . وأضفت ـ وأنا اعتمد على مقال السياسة الاسبوعية ـ وليس لهذا المرض علاج . وكل مايحتاجه المريض الغذاء والتدفئة والراحة ، فهو مرض مضن لكنه لاينتشر في انحاء الجسم ، ويحدث مضاعفات .

نظر الى الدكتور . وقال ومن أين لك كل هذه المعرفة ؟ فأحضرت له المقال (وكان قريبا مني) فبدأ بقراءته ثم طلب مني أن أعيره العدد ليقرأه في البيت (فعلت واعاده الى فيما بعد) . لكن قبل أن يبتعد عن فراش أخي قال لى مادمت تعرف العلاج ، فلن أكتب لاخيك روشتة (وصفة طبية) . لو لم تكن تعرف لاعطيته ماء نقيا مصبوغا ، لان الناس يحبون أن يشربوا الادوية .

(وأضاف الى فضله أن أخذ مني نصف أجرة الزيارة التي يتقاضاه عادة) .

وكان اشتراك « السياسة الاسبوعية » السنوى في مصر ستين قرشا مصريا . أما في الخارج فكان عشرين شلنا (أي مايعادل جنيها استرلينيا) . أما نحن فكنا ندفع ثمنها في عكا قرشين ونصف القرش بالعملة المصرية التي ظلت نقد فلسطين الرسمي الى ١٩٢٨ . ولما تغير النقد اغتنم البائع الفرصة وأخذ يتقاضي ثلاثة قروش ثمن العدد الواحد .

بقي أن أذكر أن السياسة الاسبوعية لم يكن لها كثير من الزبائن في عكا ـ في الفترة الاولى كانت تبيع عددين (الواحد كنت ابتاعه أنا والثاني مدير المدرسة عارف البديري ١٩٢٦ ـ ١٩٢٩) وفيما بعد ارتفع العدد (المبيع) الى نحو ستة اعداد ، لكن المهم هو عدد الذين يقرأونها منا مستعارة !

وفي أحد الايام (أظن في أواخر ١٩٣٢) لم تصل السياسة الاسبوعية . وعرفنا بعد ذلك انها لم تتمكن من السير بسبب النفقات الباهظة .

والذي أعرفه انه لما زرت القاهرة لاول مرة في شتاء ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ كانت الندوة الفكرية التي حملت اليها (وتمتعت بذلك) في لجنة التأليف والترجمة والنشر . وهناك تعرفت شخصيا الى أحمد أمين وأحمد زكي ومحمد عوض محمد وأحمد حسن الزيات وعبد الحميد العبادي وآخرين .

وكانت الرسالة » هي المجلة الاسبوعية التي يكتبون لها ، وأصبحنا نقرؤها . لكن السياسة الاسبوعية كانت شيئا اخر ، مدرسة متنوعة الفصول والغايات ـ في الادب والعلم والتاريخ والرواية والفكر والقصة ـ والذي في ذهني هو أن الاسبوعيات التي عاصرتها أو لحقت بها (وأنا أتحدث عن فترة ما بين الحربين) لم تكن من نوعها ولاسدت الفراغ الذي شعرت أو (شعرنا) به بعد اختفاء السياسة الاسبوعية . انها ذكريات تعود الى نصف قرن ويزيد من السنين ! □□

الصدفية Psotiasis

● أصبت منذ ما يزيد عن ثلاث سنوات بمرض جلدي في مناطق الكوعين والركبتين والرأس ، شخصه الأطباء على أنه مرض الصدفية . فهل لي أن أعرف شيئا عن هذا المرض ؟

كرم . ش . ش . - دمشق - سوريا

الصدفية أو ما يعرف باسم مرض الصدف من أمراض الجلد الشائعة الانتشار بين مختلف طبقات البشر وفئات العمر والجنس ، اذ قيل ان نسبة الاصابة بالمرض قد تصل الى حد ٦٪ من مجموع السكان .

والاسم في الواقع ينسب الى وصف المرض ، اذ تظهر على جلد المريض حبيبات حمراء يعلوها قشور بيضاء فضية اللون تتراكم فوق بعضها البعض لتعطي شكل الصدفة .

ثم تمضي أيام لتتساقط القشرة على هيئة النخالة بكثرة وسهولة عند حكّها أو الاحتكاك بها .

هذه القشور الصدفية الهيئة أشكال وأنواع ، منها ما يكون بقعا صغيرة قد تخطئها العين ويصعب تشخيصها ، ومنها ما ينتشر ويتلاحم حتى يعم أغلب مواضع الجلد .

غير أن أكثر مواقع الجلد اصابة بالقشور الصدفية هي مناطق الاحتكاك مثل الكوع والركبة وأسفل الظهر ، هذا بالاضافة الى فروة الرأس التي تبدو مغطاة وكأنها القشرة ، كما أن الصدفية كثيرا ما تصيب الاظافر بنسبة قد تصل ٢٥ ٪ من عدد المصابين مما ينتهي بها الى التشوه .

ان الصدفية تستقطب اهتمام الاطباء المختصين الذين يعكفون على دراستها وتقصي أسبابها ، وبالرغم من فشل الاطباء في العثور على السبب الجوهري في الاصابة فان هناك ملامح كثيرة واجتهادات متعددة لتفسير السبب ، لم ينته الجدل العلمي الى اتفاق جامع حول أحدها .

ويقال فيما يقال مثلا ان الصدفية لها جذور عائلية أو وراثية بنسبة ٢٥ ٪ .

بعض آخر يقول بوجود بؤر صديدية كامنة ، بينما آخرون يؤكدون على عامل الاحتكاك والضغط كعامل مهيج للصدفية لهذا تكثر الاصابة في مواقع الكوع والركبة وأسفل الظهر .

فريق آخر يعزو السبب الى اختلال هرموني أو ربما اضطراب عصبي ، أو لعله خلل في أنزيمات التمثيل الغذائي المختصة بالدهنيات مما ينعكس على جفاف بشرة الجلد وتصلبها . على أي حال فبالرغم من عدم اتفاق

الاطباء على سبب معين واضح الا أن هناك قناعة تامة أن المرض لا عدوى منه اطلاقا ، كما أنه لا يسبب اضطرابا عاما للجسم أو لأحد أعضائه باستثناء الجلد .

ولما كان السبب في مرض الصدفية لم يتضح بعد ، يصبح العلاج بالتالي أمرا اجتهاديا يقصد به تخفيف وطأة القشور والاصداف التي تداهم أحيانا وتختفي أحيانا أخرى وأهم هذه الاجتهادات العلاجية ما يلي :

أولا : استعمال الدهانات الموضعية الخارجية من أمثال القار والكورتيزون مما يصفه طبيب الجلد المختص .

ثانيا : التعرض لأشعة الشمس وما تحويه من أشعة فوق بنفسجية ، لما لوحظ من ظهور طفرات الطفح الجلدي في غياب أشعة الشمس ، فاذا لم تتوفر فقد هيأ الاطباء أجهزة الأشعة فوق البنفسجية مما يدعونها بالأشعة السوداء .

استئصال اللوزتين
Tonsillectomy
ما لها وما عليها

● منذ ثلاث سنوات أجريت لي عملية استئصال اللوزتين ولكنني بدأت أشعر بعدها بالتهاب متواصل في البلعوم وربما الحنجرة أيضا .

ما فائدة اللوزتين وهل في ازالتهما ضرر ومشاكل صحية ؟

اللوزتان في الحلق تعتبران ضرورة من ضرورات الوقاية من عدوى الجراثيم والميكروبات التي تهدد الجهاز التنفسي ، حيث تعملان كحارسين يتصيدان كل ما فيه خطر او منه مرض .

ويشارك شريط لمفاوي خلف الانف في عملية الدفاع والوقاية التي تقوم بها اللوزتان وهذا النسيج يدعونه لوزة الانف أو الأدينويدز Adenoids أو لوزة البلعوم .

غير أن هناك أسبابا معينة تدفع بالطبيب أحيانا الى النصيحة باستئصال اللوزتين أو الأدينويدز جراحيا اذا أصبح واحد منهما مصدر ضرر أو كان عائقا أمام الصحة وتناسق وظيفة الجسم الطبيعية ومن هذه الاسباب الرئيسية : -

أولا : - تضخم اللوزتين لدرجة تسد معها الحلق وتحول بين سهولة التنفس أو التهام الطعام .

ثانيا : - التهاب متكرر حاد يتهدد حياة الانسان بمضاعفات خطيرة أبرزها الحمى الروماتيزمية والتهاب الكلى والضعف العام .

ان وجود احد هذين السببين قد يبرر التنازل عن فائدة اللوزتين أو لوزة البلعوم ، ومع هذا فيفضل الانتظار حتى يتجاوز الطفل سن الثالثة أو الرابعة من العمر ، بل لقد لوحظ أن كثيرا من الاطفال تعود اللوزتان عندهم الى الانكماش والضمور فيما بين سن ٣ - ١٠ سنوات ، أما قبلها فيخشى من عودة اللوزتين الى التوالد لو اجريت عملية الاستئصال وبهذا تسترجع اللوزتان قصتهما الأولى .

على أي حال فان استئصال اللوزتين قد أدى عند البعض الى نهاية المطاف لمشاكل الالتهاب أو الانسداد ، بينما عند البعض الآخر بما يقدر ٥٠ ٪ تقريبا فقد انتقل العبء في الدفاع عن مدخل الحلق ضد الجراثيم من اللوزتين الى العقد والأنسجة اللمفاوية التي تتوفر في جدار الحلق لهذا نجد أن نسبة من المرضى يشكون من التهاب مزمن في الحلق لا حيلة لعلاجه ويتعين على من يعاني من هذا الالتهاب عقب استئصال اللوزتين أن يراعي الحيطة والحذر من نزلات البرد والمشروبات الباردة أو التعرض لاختلاف حاد في درجات الحرارة ، ومعالجة اية اصابة وهي ما زالت في المهد .

التستوستيرون Testosterone

● مما يقلقني أنني بلغت العشرين من العمر ولم ينبت بعد شيء من الشعر في وجهي مما ألحظه على أقراني من الشباب ، ونظرا لدراستي في الطب فاني أدرك أن الأمر ليس وراثيا وانما هو نقص في هرمون التستوستيرون فهل لكم أن تدلوني على أفضل التراكيب الدوائية المناسبة .

ج . خ - حلب

هرمونات الذكر الجنسية التي تتحكم في سلوكه الجنسي وشكله المميز يدعونها أندروجينات Androgens وهذه تفرزها خلايا خاصة في الخصية يدعونها خلايا ليدج Leydig وهي مسئولة عن تطور الأعضاء الخارجية والداخلية وعن ظهور الخواص المميزة للرجل مثل خشونة الصوت ونمو شعر الوجه أو توزيعه على أنحاء الجسم وعن شكل جسم الرجل العضلي .

ان أهم هذه الاندروجينات الطبيعية هو هرمون التستوستيرون TESTOS-TERONE الذي تفرزه خلايا الخصية تحت تأثير من غدة في الدماغ يدعونها الغدة النخامية Pituitary Gland وعلى وجه التحديد نصفها الأمامي .

لقد صنع العلماء بديلا صناعيا للتستوستيرون الطبيعي أطلقوا عليه اسم الميثايل تستوستيرون Methyl Testosterone والذي حل محل التستوستيرون الطبيعي الا فيما ندر من استعمالات .

ان هناك اليوم عددا من املاح التستوستيرون التي تستعمل بدائل للتستوستيرون الحر الطبيعي بل تتفوق عليه ولكنها في مجملها تستعمل في ثلاث مجالات محددة :

أولا : علاج تعويضي في أحوال نقص افراز الاندروجين عند الرجل وخاصة عند ضعف نشاط الخصية أو الخصوانية enuchoidism أو عند تغير المزاج الجنسي عند الذكر أو تخلف ظهور أعراض الرجولة عليه .

ثانيا : أدوية بناءة anabolic لعلاج النحول والهزال لأنها تشجع تركيب الزلاليات في الجسم وبناء الانسجة .

ثالثا : معالجة بعض الأحوال النسائية ، مثل عسر الحيض أو النزيف أو احتقان الثدي .

هناك استعمالات محددة وبجرعات معروفة متناسبة مع حاجة الجسم ودرجة المرض يعرفها الأطباء المختصون في أمور الغدد الصم ، كما أن للتستوستيرون أشكالا شتى في تعاطيه ، منها ما يزرع أقراص منه تحت الجلد مدة طويلة ، ومنه ما يعطي حقنا في العضل وبعضه قد يؤخذ استحلابا في الفم أو ربما ابتلاعها ولكل مريض ما يناسبه ، ولا حيلة أن يتعاطاه المريض من تلقاء ذاته أو بتقدير منه والا أدى الى مضاعفات ومحاذير قد تؤثر على نمو الجسم وتركيبه أو اختلال الكفاءة الجنسية عند الرجال ، كما تؤدي الى أعراض الاسترجال عند النساء ، لهذا فلا بد من التزام الحذر والدقة عند تعاطي هذه الاندروجينات وهو أمر لايتوفر الا للمختصين من الأطباء .

شخصيات رمضانية

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

☐ دعوة مفتوحة أمدها لقرائى فمن شاء منهم صحبني في سهرة رمضانية ، نطوف خلالها بعدد من أصحابي للتعارف ، واثقا أننا سنجد لدى كل منهم فكرة نقف عندها أو لفتة نتعلم منها شيئا ، أو مرآة نرى فيها لمحة من أنفسنا ، وقديما قيل معرفة الرجال كنوز . . ولعل رمضان ببركاته خير كاشف عن كنوز الناس ومعادن الرجال . ولما كنت لا آمن أن يتألم منهم أحد ان أذعت باسمه جهرا على هذه الصفحات ، فلعل القارىء يأذن أن أكنى فلا أصرح بالاسماء وان صدقت المعانى والأوصاف .

الاستاذ كاظم

وهو كاظم فعلا . . لا تخطىء العين من قسمات وجهه أنه يكظم شيئا ، وبصعوبة بالغة طول نهار رمضان . فان كان الثواب على قدر المشقة فملامحة توحى الينا أنه ولا شك اكبرنا ثوابا ، ولا يفوت نظرتى الطبية اليه أن تقرأ معالم الحرمان من الادمان . وهو ليس مدمن تدخين فحسب ، بل هو مدمن طعام كذلك فيما أعلمه عنه ، وفيما يذيع به قوامه السمين وشحمه السميك وكرشه الكبير . . ولولا أن الدين عنده جد لا هزل لما أمنت عليه ان يفرط في صيام رمضان فلا يصوم . وأسوأ أوقاته قرب المغرب فهو لا يكاد يتماسك وكأنه حاقن بالبول لا تطيق مثانته أن تصبر . . حتى اذا انطلق مدفع الافطار انطلق الرجل وكأنه سهم يطير عن قوس مشدودة . . وسلك مسلك من يجعل ليله انتقاما من نهاره ، وفطره انتفاضا على صومه ، وأكل وكأن له عشر معدات لا معدة واحدة ، وهو في غير رمضان يدخن ثلاثين سيجارة في اليوم وفي رمضان يدخن خمسين سيجارة في الليل . . ويحار فكرى في أمر الاستاذ كاظم ، فهو من وجهة النظر قد أدى الصيام تماما فليس من مطعن شرعي على صيامه ، وهو في المساء لم يأكل الا مباحا فليس من طعن شرعى على طعامه وشرابه فاذا حاكمت الرجل الى حكمة الصوم ودرسه

←

وموعظته لم تملك الا الشعور بأنها فاتت على الرجل ، أو فوتها على نفسه ، فأين ما استفاده من درس كبح جماح النفس والسيطرة عليها ، وأين هو من الحديث الذى يقول « ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه » فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » وأين هو في تدخينه من الآية التي تقول « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » . . واذ يريدنا رمضان أن نكسر شهوتنا أرى الاستاذ كاظما يدخر شهواته ولا يكسرها ، ولا يحاول أن يروض الوحش ولكنه يحبسه ويجيعه ليجعله ساعة يطلقه من حبسه أشد انقضاضا وأفتك افتراسا ، وياليت الاستاذ كاظما خرج من رمضان بالصوم وبالدرس معا !

الدكتور محمد

وهو من زملائى النجباء . . متين في مهنته الطبية ، محبوب من مرضاه وزملائه، حسن العشرة حلو الطبع . . فيه كل الصفات التى تحب ، الا انه ولا أدرى لماذا كان خالى الوفاض في باب العبادة ، فلم تكن الصلاة على جدوله اليومى ولا الصيام على جدوله السنوى ، ولم يكن منكرا ولا كافرا ، ولكن لعلها النشأة أو الجو المحيط أو صعوبة تكوين عادات جديدة فى حياة وجدها مستمرة ومستقرة ولا تنهدم ولا تنهار لغياب الصلاة أو الصيام .

هكذا كان حين انضم الى فريقنا في العمل . . والواقع العجيب أن ذلك زادنا التفافا حوله ولصوقا به وليس العكس . . فقد رجونا لهذا الزميل الحبيب أن يكرمه الله بالتزام سبيله ، كما رجونا للاسلام أن يكسب عنصرا غنيا بالخير ، والناس كما قال النبى عليه السلام معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، وقديما دعا النبي فقال اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين وكانا كافرين . . ولعل هذه المحبة الغامرة التي استشعرها منا مع حسن الصحبة والوداعة في النقاش هى التي هيأت له أن يدير فكرة في الامر في لحظات صفاء النفس ، واذا بنا نفاجأ في مطلع رمضان جديد أن محمدا صائم ! كانت الفرحة لا توصف ، ووجدتها فرصة خصبة لاسألة في مودة : فهل شرعت في الصلاة كذلك ؟ قال ليس بعد ، خطوة خطوة ، والصوم كل عام والصلاة كل يوم . قلت : فلا بأس ولكن هل صومك ياترى صوم اجتماعي استجابة للمحيط الذى حولك ؟ أم لعله صوم صحى على غرار ما نسمعه من حشد الاطباء الذين يجمعهم لنا الاعلام مع كل رمضان ؟ قال لا والله بل استجابة لأمر الله . قلت : الا ترى معى مدى سوء معاملتك لله . فأن قال صم قلت نعم وان قال صل قلت لا ؟ أهكذا يعامل الانسان ربه يا محمد ؟ وكان محمد يحترم ، نفسه ويحترم عقله . ومن ساعتها انتظمت صلاته ، ومر زمان فأخبرني كيف امتلأت حياته بعد أن أسلمها لله ، وكيف شعر أن الانسان - كل انسان - ان لم يعبد الله عبد غيره من الأرباب سواء كان ذلك حجرا أو بشرا أو هوى أو غاية . ومحمد الآن من العاملين الأكفاء للاسلام وقضاياه على نطاق عالمي .

الشيخ راضي

وقد عرفته راضيا مرضيا وشهدت فيه أخلاق رمضان فى رمضان وفي غير رمضان . وانما أذكره

حين أذكر الدكتور محمدا لأنني أدين للشيخ بتعلم « أدب الأختلاف » .. ما رأيته مرة يقابل خاطئا بزجر أو نهر ، وانما كان على الدوام يمهد له سبيل التوبة ويفرشه أمامه بالورود والريحان .. وفي زمننا هذا الذي يقتتل فيه المسلمون ويسب بعضهم بعضا ، بل يغالون الى حد التكفير ، أذكر أن الرجل ما خانته مرة الحكمة والموعظة الحسنة ، حتى عندما كان الملحدون يناقشونه في وجود الله .. فكانت سماحة نفسه ربما له وبالتالي ربما للأسلام . وشهدته وأحد زملائنا يعترف له بأنه زنى فاذا هو يسأله في طمأنينة « فهل استغفرت ؟ » ... ولا أنسى يوم قصد اليه أحد أنداده من المسلمين المتشددين فقال له « اني أكرهك ! .. وأجابه الشيخ بابتسامته الهادئة « وأنا والله أحبك .. » ويرد الرجل في سخونة : ولكني أكرهك في الله .. » وفي سلاسة يجيب الشيخ « هذا يزيدني حبا فيك . » وكلما اشتكى اليه تلامذته من فساد الناس وضلال الحكام وسطوة الاعداء وجور السلطات قال لهم « أتراكم تكونون سعداء لو طلع الصبح على كل هؤلاء وقد تابوا الى الله وأنابوا اليه واهتدوا بهداه ؟ .. ويقولون نعم ، فيقول فأنتم اذن تحبونهم ما دام يسعدكم أن ينالوا هذا الخير .. فتذكروا دائما أنكم تحبونهم وتذكروا أننا في جهادنا لا نقاتل الا بالحب .. طراز فائق لو اقتدى به المسلمون لعم الخير .

سيادة المدير

وهو مدير لأحدى المؤسسات الصحية الحكومية ، وهو كذلك طبيب اداري ناجح ، ان كان مقياس النجاح ، أن ترسم لنفسك بما تشخط وتنطر وتتنرفز وتعبث وتعاقب شخصية مرهوبة يعمل لها ألف حساب ، ويتكهرب الجو اذا حضرت.فاذا السعاة والفراشون كأن على رؤوسهم الطير وتدرك من هدوئهم وحذرهم ان سيادة المدير في الادارة .. وسيادة المدير يساري النزعة ومن المؤمنين بتلقائية الكون وحتمية التاريخ والعلم التجريبي ، فما لم يره العلم فهو غير موجود .. لا غرو اذن ان كان رمضان في رأيه سخافة .. ولكن سيادة المدير يريد أن يكون ايجابيا فما يكاد يصل الى الادارة صباحا حتى يأمر بالقهوة ، وهو يتظاهر في ذلك بالعفوية ، ولكن عين البصير تدرك أنه يفعل ذلك على سبيل رد الفعل لصيام الصائمين من حوله ، خاصة ان كانوا يشعرون انهم مستضعفون ازاء سيادته ، ولئن تنكر سيادة المدير لضعف الضعفاء لقد عجزت أن أدرك كيف تنكر لأصول العلم الذي تعلمه وأصول الذوق السليم الذي تربى عليه ، وأصول اللياقة واللباقة وهو يتحدى مجتمعا بأسره ويجرح شعوره ولا يعجب منه الا بنفسه ، ومرت الأيام فاذا ابنة سيادة المدير تمرض ويشتد عليها المرض وعالجها أمهر الاطباء ولكن تبين أن الأمر أخطر مما توقعوا وتطامنت غلواء سيادة المدير ، وانتابه

الهم لابنته الوحيدة ، وبدا رجلا غلبان مسكينا . . وفي ظلمة اليأس نادى به واحد من الموظفين « لاتيأس يا سيادة المدير وقل يارب » ويدعو المدير في حرارة «يارب» ولا أتمالك الا أن أقول له : ولكنك يا فلان لا تؤمن بوجود رب ، واذا به يقول في استسلام : « من أجل فيفي لابد أن يكون هناك رب » . وأجاب الله المضطر حين دعاه ، وتماثلت فيفي للشفاء ، ولكن سيادة المدير لم يعد كما كان أبدا . . تغير فيه شيء . . وهو الآن كذلك يتماثل للشفاء ! كانت فيفي نعمة الله عليه في صحتها وفي مرضها ، ولله في أزجاء نعمته وسائل وأساليب . . وفيفي الآن فتاة جامعية ، تؤدي صلاتها ، وتصوم شهرها ، وتتلو مصحفها ، وتحترم مظهرها ومخبرها . . والبيت معها يتحول من اليسار الى الوسط ، وسعادة المدير قد تغير من حال الى حال . . وهو الآن صائم في رمضان لأول مرة في حياته .

الاستاذ أبو الهوى

وهو رجل مشهور في بلده وخارج حدودها لأنه مسئول كبير عن جهاز التلفزيون ، ولن أسمى بلده وحسبي أن أقول أنه بلد « اسلامي » . . رمضان عنده مهنيا موسم خطير بطبيعة الحال ، يستأدي منه ومن الجهاز الوظيفي الذي يرأسه جهدا مضنيا من قبل أن يحل رمضان بوقت طويل . . والرجل كفء في عمله ، وهو مخلص له ، وقد أتيح لي أن أعاين ذلك نظرا لصلتي الشخصية به . . وهي صلة أحرص عليها وأقدرها ، وقد سمحت وثاقة الصلة أن أصارحه باستغرابي لخطة البرامج التي أعدها لرمضان . . وان رمضان شهر الطاعات والعبادات والجام الشهوات والتوبة عن السيئات ، وهو ما ينسجم تماما مع الحشد الطيب من الاحاديث الدينية والندوات المواعظ والفنون التي تدعو للاسلام وتحض عليه . . ولكن ذلك في نظري لا يتسق على الاطلاق مع حشد مماثل من الانتاج العكسي الذي لايمكن أن يوصف بأنه اسلامي ولا رمضاني . . ويخيل لي أن شاشة التلفزيون قد أصيبت بمرض فصام الشخصية ، والشاشة ذاتها تريك في آن حديث الشيخ الشعراوي بما فيه من نور وروحانية ، ثم تنتقل فجأة فتعرض اللحم العارى والردف الهزاز واللفظ الجرىء ، سواء في برامج حرة أو روايات أو مسلسلات . وأنا لا أعتقد أنني من المتزمتين ، ولكن فقط احترت في أي اتجاه يحب التلفزيون أن يسير بالامة الجالسة لمشاهدته ؟ أجابني صاحبي في غير احراج : أن أمزجة الناس تختلف ، ورمضان كريم يحلو فيه السمر والسهر ، وأنهم يرون من واجبهم أن يرضوا جميع الأذواق ! وبدا له هذا الكلام طبيعيا ، أما أنا فالحق أنني ما زلت مندهشا لهذه القدرة العجيبة على الحياد بين ما يرضي الله وما يسخطه ،

وبعد . . فهذه شخصيات من أصحابي تشد تفكيري في رمضان ، ولعل القاريء يرى أن بين أصحابه هذه الشخصيات بذاتها وأن اختلفت الاسماء . . أولعلي وضعت المرآة أمام وجوه لتأخذ زينتها وتنفض غبرتها وتصلح هيئاتها وانما المؤمن كما قال النبي مرآة أخيه ، مع دعوة محب حريص أن يرزقنا الله هداه ورضاه وكل عام أنتم بخير .

الصّيام والصّحة

بقلم : الدكتور نبيل سليم

□ الصيام كركن من اركان الدين ليس مقصودا به الجوع والحرمان فى حد ذاته وانما المقصود هو ما وراء هاتين الظاهرتين من اهداف،اهمها صحة وتربية الانسان الفرد التى تؤدى بدورها الى تربية المجتمع ككل .

لو تأملنا الصوم لوجدنا انه محاولة للحد من الرغبات والنزوات الانسانية مع تعددها في مجالات اساسية كعملية الغذاء والرى .

واذا فهم الصائم الحكمة من صومه فانه يزداد تحكما فى غرائزه ودوافعه،وهكذا يصل الى قوة نفسية تحقق له السعادة والتكيُّف .

التربية الجسدية

وللصيام والحرمان من الطعام آثاره الجسدية مثل انخفاض مستوى السكر فى الدم لدرجة ما ، وجفاف الحلق مع قلة الماء الموجود بالجسم ، وانخفاض مستوى المواد المحدثة للعادة كالنيكوتين عند المدخنين . . ولكنها آثار مفيدة فى تربية الجسد واجهزته التى تعمل للحفاظ على بقائه حيا . . ان ما يذكره البعض من ان الصوم يسبب الامراض ، ما هو الا هراء وافتراء على الشهر المبارك . فان كان فيه تعذيب او ضرر ما سنه الشارع الحكيم سبحانه وتعالى . ففى كل الشرائع السماوية معان سامية وفوائد كثيرة تعود على البشرية بالخير والبركة .

وليطمئن جميع الصائمين بان الابحاث ←

العلمية التي اجريت على الصائمين كانت جميعها تؤدى الى نتائج مطمئنة ، فلم يحدث اي خلل في الميتابولزم Metabolism أي عمليات التمثيل الغذائي او العمليات الانزيمية المختلفة داخل الجسم . اللهم الا تغييرا في مواعيدعملهـاطبقا لمواعيد الصيام مع حفظ توازنها دون ادنى خلل . وان ما يضر الصائم ليس الصيام نفسه ولكنه عدم اتباع التعاليم الصحية والغذائية السليمة ، التي تحدث نفس الضرر اذا تهاون فيها الشخص في وقت آخر غير شهر الصيام .

ولهذا يجب على الصائم ان يتعاطى احتياجاته الغذائية كاملة ويوزعها ما بين الغروب ووقت الامساك .

اتهام باطل

ويكتفي بعض الناس بوجبة واحدة عند الافطار فيملأون بطونهم بالماء والطعام بقسوة بحجة تعويضهم عن فترة الصيام فيحدث لهم ضيق في التنفس وسرعة في ضربات القلب بعد الاكل نتيجة لضغط المعدة على الحجاب الحاجز والقلب ، علاوة على ما تسببه من عسر في الهضم Dyspepsia واضطرابات معدية ، ويصومون اليوم كله دون سحور ظنا منهم ان في وجبة الافطار كفايتهم وهذا غير صحيح . حيث ان المعدة لها طاقاتها حسب ما تعودت عليه طوال العام .

فمهما يأكل أحدهم من طعام في الوجبة فلن يأخذ كل احتياجاته اليومية ، وينتهي به شهر الصيام منهك القوى ناقص الوزن او يصاحبه نقص في بعض العناصر الغذائية ويلوم الشهر المبارك على انه السبب وهو من هذا الاتهام براء .

ومنهم من يكثر من تناول الحلويات والسكريات والاطباق الشهية المختلفة مثل الكنافة والقطايف التي يكثر تواجدها اثناء هذا الشهر ، فيلتهم منها طوال الليل اكثر مما تتسع له معدته ، فبالاضافة لما تحتويه من دهون قد تسبب له اضطرابا في عمليات الهضم فان الاكثار من السكريات والمواد النشوية شأنه شأن الدهون يؤدى الى السمنة وما يصاحبها من اضرار ، وقد اثبت علم التغذية ما للسكريات من اثر في تصلب الشرايين Arterio sclerosis

ويستحسن ان يفطر الصائم على مشروب دافىء مثل شوربة الخضار او منقوع البلح في اللبن الدافىء ثم يأخذ قسطا من الراحة لمدة نصف ساعة حيث يمكنه تأدية فريضة المغرب اثناء فترة الراحة ، يتناول بعدها وجبة الافطار . ويجب ان يكون الطعام منوعا ليعطي الجسم احتياجاته الغذائية،ولا يفوته ان تشتمل هذه الوجبة على طبق السلطة الخضراء الطازجة لما تحتويه من املاح معدنية وفيتامينات تدرأ عنه كثيرا من الامراض . وان يتجنب المخللات ما امكن لما فيها من نسبة كبيرة من املاح الصوديوم ، وما ينتج عنها من اضرار نتيجة لاحتجازها لكمية كبيرة من الماء داخل الجسم . وكذلك تفقد بعض العناصر الغذائية نتيجة لعملية التخليل . وعليه ان يمضغ الطعام جيدا والا يملأ معدته بالماء لان كثرة الماء تخفف العصارة الهاضمة مما يؤدى الى صعوبة الهضم .

مرض السكر . . والصيام

من المعروف عند الجميع ان مرض السكر له علاقة وثيقة جدا بالطعام وكمياته ونوعه وطريقة طهيه ولقد كانت الطريقة المتبعة في علاج مرض السكر قبل اكتشاف الانسولين والأدوية الحديثة التي تستعمل في الفم هو الاقلال من تعاطي المواد النشوية ، وقد اتبع في المانيا وامريكا في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن طريقة السيطرة على مرض السكر في الحالات المتوسطة عن طريق الصوم ويشبه الصوم الكامل عن الطعام لمدة يومين او اسبوعين .

وقد اوصى البروفيسور « نوفن » (ابو لسكر فى العصر الحديث) المرضى ان يصوموا ماما عن الطعام ما عدا تناول عصير بكميات ليله لمدة يومين .

من هنا يتضح اهمية الصيام على شريطة ان يأخذ لطابع الديني الاصيل ، وهو لذة الحرمان من تناول الطعام المغذى الدسم .

ان جميع الابحاث الحديثة قد اثبتت ان ٣٠٪ او اكثر من مرضى السكر يمكن السيطرة على مرضهم بواسطة اتباع نظام فى التغذية دون استعمال اى شيء آخر سواء عن طريق الفم او الحقن . ومعظم هؤلاء يستطيعون ان يعيشوا حياة طويلة اذا اتبعوا هذا النظام فى الغذاء ، وهذا متبع فى الدول التى يرضخ فيها المريض للنظام الذى يضعه الطبيب .

والطب يحسب بمنتهى الدقة الكمية اللازمة لكى يعيش المريض حياة عادية ، وهذه الكميات فى الغالب لا ترضى المريض فيتجاوزها سواء قل ذلك او كثر ، فينتج عن ذلك تزايد حدة المرض فيلجأ الطب الى استعمال الاقراص او الانسولين **Insulin** ومن هذا يتضح قيمة صيام ١٠٪ من ايام السنة تقريبا باتباع نظام خاص فى الاكل .

فالصوم قطعا ـ كما اثبت العلماء فى القرنين الماضى والحالى ـ ذو فائدة كبرى فى السيطرة على مرض السكر مهما كانت نسبة ارتفاع السكر فى الدم فى بدء اكتشاف المرض .

ان الحالات الخفيفة فى مرض السكر والحالات المتوسطة يمكن التغلب عليها بالصيام . اما الحالات المتقدمة والحالات التى ينقص فيها وزن المريض عن المعدلات الدولية بالنسبة للسن والطول والجنس ، او التى يظهر فيها أسيتون **Acetone** فى البول والدم بعد فترة من الصيام ، او حالات مرض السكر التى يصحبها مضاعفات كالاصابة بأمراض صدرية أو بتصلب شديد فى شرايين القلب والجهاز العصبى ـ فان الصوم فى شهور الصيف يكاد يكون ممنوعا لانه يستمر حوالى ١٧ ساعة خصوصا فى الجو الحار لذا لا ننصحهم بالصيام .

اما فى شهور الصيام التى تقع فى الشتاء فان مدة الصيام لا تزيد عن ١٢ ساعة والصوم فيها محتمل بل يعتبر مفروضا على الحالات المتوسطة والحالات الخفيفة .

ومرضى الكلى

ان انتشار امراض الكلى المختلفة ببلادنا وتنوع الاطعمة ودسامتها فى شهر الصيام المبارك يجعل من الواجب علينا وضع النقط فوق الحروف حتى لا يضار مريض الكلى بسبب ادائه للفريضة المقدسة ، سواء باتباع تعليمات خاصة اثناء الصيام او بالامتناع عن الصيام عامة .

ويمكن ايجاز امراض الكلى التى تتأثر بالصيام فى نوعين على الاخص :

اولا : املاح البول وحصوات المجارى البولية .

ان المرضى الذين يشكون من ارتفاع نسبة بعض الاملاح فى البول مما يعرضهم لتراكمها وتكوين حصوات بالمجارى البولية ، او المرضى الذين يشكون فعلا من وجود حصوات بهذه المجارى لا بد ان ينتبهوا الى حقيقتين .

الحقيقة الاولى

هي ان تركيز الاملاح في البول يزداد فى حالة الامتناع مدة طويلة عن شرب السوائل وعلى ذلك ننصح الصائم بتعويض ما فاته اثناء الصيام من الشراب بعد الافطار مباشرة او الاكثار من السوائل فى فترة الافطار وخصوصا قبل الرفع عن الطعام .. ويستحسن فى مرضى الحصوات بالذات الامتناع عن الصيام فى الايام الشديدة

الحرارة حيث تقل نسبة البول بدرجة ملحوظة مما يساعد على زيادة حجم الحصوات وتكوين حصوات جديدة فى هذه الفترة .

الحقيقة الثانية

هى ان بعض مأكولات شهر رمضان مثل التين والمشمش وقمر الدين مليئة بـأملاح الاكسلات oxalate وهى من الاملاح المسببة لحصوات المجارى البولية فى كثير من الحالات . كما ان عادة الاكثار من اللحوم فى هذا الشهر يرفع من نسبة املاح احماض البوليك Uric Acids and Urates وهى ايضا قد تسبب تكوين بعض الحصوات ولكن بنسبة اقل من الاولى .

ثانيا : ـ التهاب الكليتين ومضاعفاتها :

ان التهابات الكليتين مما يشكو منه المريض عادة بظهور زلال او صديد فى البول وبعض الآلام فى الجنب او الظهر . اذا ازمنت وجب الحذر من الاقلال من السوائل وخصوصا اذا ظهرت مضاعفاتها على شكل تسمم البولينا المزمن Chronio Uremia (ارتفاع نسبة البولينا فى الدم مع ظهور اعراضها مثل الدوخة والغثيان والصداع والاضطرابات الهضمية) .

وفى الحالة الاخيرة يجب على المريض ان يمتنع كلية عن الصيام،حيث ان حالته تستلزم الاكثار من السوائل بصفة منتظمة مع الاقلال من اللحوم والبروتينات بشكل عام .

وعلى اى الاحوال فمريض الكلى يجب ان يعلم ان الاكثار من السوائل بشكل عام مع الاقلال من البروتينات بالذات وبعض المأكولات الغنية بالاملاح ـ يجب ان تكون نصب عينيه سواء صام أو أفطر حتى يقى نفسه شر مضاعفاتها البسيطة والخطيرة على حد سواء .

الصيام والقلب

أثبتت الدراسات العلمية انه كلما تقدمت الدول اقتصاديا وزاد فيها الرخاء وبدأ اهلها يزيدون من نسبة المواد الدهنية الغالية الثمن فى غذائهم ، زادت فيهم الامراض ، ومن اهمها امراض شرايين القلب ، وانه كلما ارتفع دخل الانسان واصبح يأنف من تناول الخضروات والجبن القريش والعدس وغيرها من الاطعمة الشعبية واكثر من اكل اللحوم والزبدة ، والقشطة والمأكولات الغالية ـ زاد تعرضه للاصابة بأمراض شرايين القلب .

فهل فى هذا إثبات للحكمة الغالية (ان القناعة كنز لا يفنى) ؟ وأن (الفقراء احباب الله) انه لامر جدير بالتأمل . وانها لحكمة بالغة .

فمن المعروف ان تناول كميات من المواد الدهنية والمواد الغنية بالكولسترول cholesterol تزيد من التعرض للاصابة بأمراض شرايين القلب،وان الاقلال منها يقى من هذه الامراض .

اذن فالصيام ـ وفيه امتناع عن الطعام طوال النهار ـ يعمل على خفض هذه المواد فى الدم وبالتالى يعمل على وقاية شرايين القلب ، بل ان الشرايين المصابة فعلا بتخثر الشرايين يمكن ان « ينصلح » حالها اذا انخفضت نسبة الكولسترول والدهنيات فى الدم .

ولكن يجب الحرص عند تناول الافطار من زيادة كميات المواد الدهنية حتى لا تضيع فائدة الصيام الصحية ويجب التشبه بسنة النبى الكريم والصحابة الابرار وكانوا يصومون النهار ثم لا يسرفون اذا احل لهم الطعام .

ومن امراض القلب الهامة ما ينشأ عن ارتفاع ضغط الدم Hypertension الذى يؤدى الى زيادة العبء على البطين الايسر للقلب ، فيدعوه ذلك الى التضخم ولكن الامر ينتهى بالبطين الى

المبوط Heart Failure . وضغط الدم مثل كثير من امراض القلب هو مرض من امراض المدنية،ثم ان هناك علاقة اكيدة بين الملح وارتفاع الضغط ، وقد اثبت العلماء انه يمكن خفض ضغط الدم المرتفع اذا تناول الشخص غذاء مقصورا على الأرز ، ولكن المرضى قطعا لا يطيقون هذا الغذاء ، كما اثبتوا ايضا ان الادوية المدرة للبول وهى التى تعمل على افراز الصوديوم فى البول تصلح فى نفس الوقت لخفض ضغط الدم المرتفع ، وعلى هذا فان المصابين بارتفاع ضغط الدم يفيدهم الصيام اذ يقلل كمية الملح التى سوف يتناولونها خلال اليوم .

ولا يفوتنى ان اشير الى التدخين واثره الضار على شرايين القلب بالاضافة الى اثره الضار على الرئة فلا شك ان الصيام عن التدخين طوال اليوم سيفيد الشرايين والقلب بشرط الا يعوض المرء ما فاته من تدخين اثناء النهار بعد الافطار،أى لا يكثر من التدخين فى فترة ما بين المغرب والامساك .

... والحمل

البعض يحاول دائما ان يسهل الامور فينصح كل حامل بالا تصوم .. وانا اعتقد ان من يفعل ذلك يخطىء فى حق نفسه وفى حق مريضه .. فهو من جهة قد افتى على غير اساس طبي ، فعليه وزر خطئه ، ومن جهة اخرى فان الحامل اذا لم تصم رمضان فعليها ان تقضى الايام التى افطرت فيها .. وهى مشقة اكثر من الصيام فى شهر الصيام نفسه .

وقد اباح الدين الافطار فى حالتين ؛ المرض والسفر . وكلاهما لا ينطبق على الحامل . فالحمل الطبيعى ظاهرة فسيولوجية وليس حالة مرضية . وليس هناك سند طبى على ان الصيام يضر الحامل طالما كانت فى صحة جيدة . مما يؤكد انه لا تعارض هناك بين الدين والعلم .

على انه ليس معـ[illegible] ان كل حامل يمكنها أن تصوم ، ففى بعض [illegible] يسبب الحمل ـ او يصاحبه ـ ظواهر مرضية [illegible]وجب الافطار .. ففى الاشهر الاولى مثلا قد يحدث للحامل غثيان وقىء يحتاج علاجه لأدوية خاصة مع تناول وجبات صغيرة على فترات متقاربة . كما ان الحامل قد تشعر بدوخة او ضعف اذا صامت وعندئذ يوصى لها بعدم الصيام .

راحة النفس والبدن

ولنوع الغذاء الذى تتناوله الحامل دور كبير فى المحافظة على صحتها وصحة الجنين ، فالحامل تحتاج لكميات من البروتينات والفيتامينات والاملاح اكثر من غير الحامل « الضعف تقريبا » ولذا يجب عليها ان تكثر من شرب اللبن ومنتجاته وان تحصل على كميات كافية من الخضروات والفواكه واللحوم الحمراء وكذلك البيض والسمك ويحسن ان تتناول ما يعادل ثلاثة اكواب او اكثر من السوائل يوميا وان تمتنع عن الاطعمة المحمرة والمواد الحريفة ، واذا كان امتلاء المعدة بعد الصيام من الامور غير المرغوب فيها صحيا فان ذلك اكثر ما ينطبق على الحامل .

وبعد .. فقد شرع الله الصيام لصحة النفس والبدن فقال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. » صدق الله العظيم . ان امر الله لنا بصيام هذا الشهر ووراءه من الحكم ما لا يعد ولا يحصى لان هذا الشهر الذى أنزل فيه اكبر وأعظم دستور سماوى والذى فيه ليلة القدر التى هى خير من الف شهر والتى تنزل الملائكة والروح فيها هو شهر الصحة والعافية شهر البركات والحسنات شهر الخير فى الدنيا والآخرة . □□

مسرح الطفل
وتجربته الجادة في الكويت

استطلاع : صادق يلي — تصوير : طالب الحسيني

□ هل نجح مسرح الطفل في تجربته التي قدمها في الكويت ؟ وهل استطاع ان يعالج مشكلة اللغة المسرحية التي يتقبلها الطفل . . . وهل صحيح ان استخدام اللغة العربية المبسطة يجعل العمل المسرحى أكثر قابلية للتصديق ؟

مجموعة مشاهد مختلفة من مسرحية سندريلا التي أعدها الكاتب العربي سيد حافظ لمؤسسة البدر للانتاج الفني واخرجها الاستاذ منصور المنصور وقامت ببطولتها الفنانة هدى حسين .
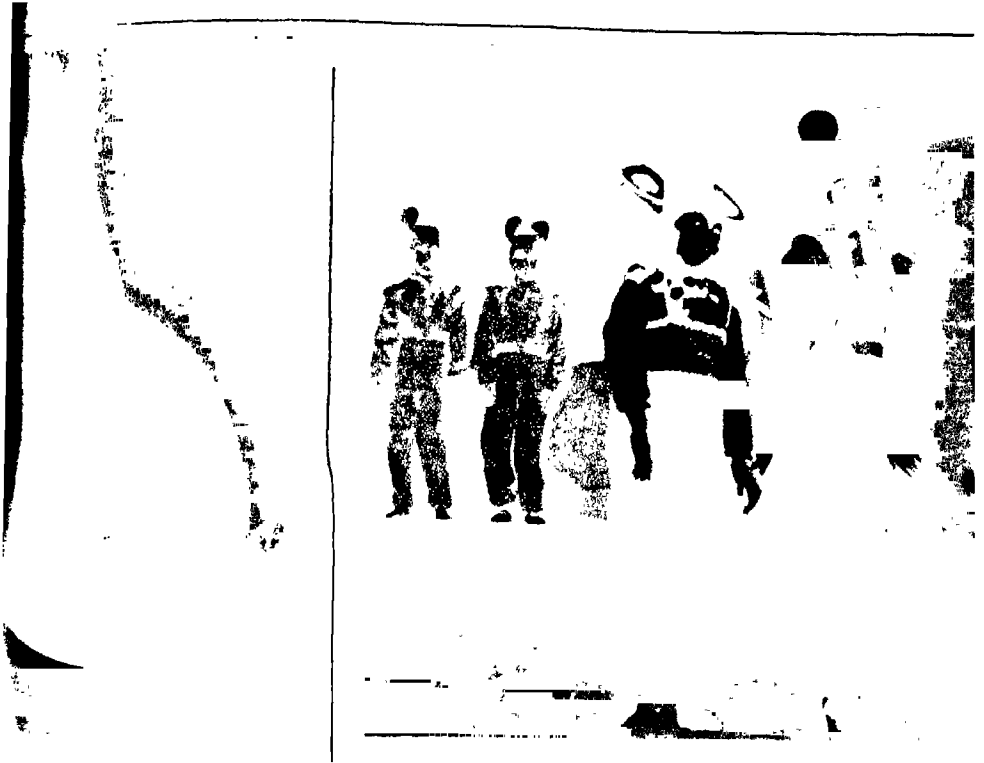
وادي السعادة والمنى وادي القمر ، فيه المحبة والهنا طول العمر

الفنانة اسمهان توفيق :

يقول الكاتب الامريكي الساخر مارك توين في حديث له عن أهمية مسرح الطفل لخلق أجيال مدركة لأهمية هذا المسرح : « ان مسرح الطفل هو خير معلم لأن دروسه تلقى عن طريق الحركة التي تشاهد ، والعبارات التي تنطق ، والحدث الذي يمثل ، وحين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الطفل لاتتوقف عند منتصف الطريق بل تمضي الى غايتها . . . الى عقول أطفالنا »

من هنا كان الحديث عن مسرح الطفل ـ كأداة لخلق جيل قادر على استقبال العروض المسرحية الجادة ـ يحتل مكانة متميزة من تفكير علماء النفس والاجتماع والتربويين ، تقول الدكتورة كافية رمضان : « لقد آن الأوان لوضع خطة جريئة لاعداد جيل من أطفالنا ينمو مشبعا بمفاهيم عصرية ، بعيدا عن الأساليب العشوائية في تثقيفه وتنمية خياله . . ان ما يقدم للطفل العربي لايزال يزخر بالخرافات والمتناقضات ، وما يقدم للطفل لايصلح لبناء جيل واع مدرك لمسؤولياته وطموحاته ، ان أمام الكويت فرصة لتقوم بالتغيير ، فلديها الامكانات المتاحة لخلق جيل يدرك قيمة المسرح في حياتنا .

فالمسرح في مفهومه وسيلة من وسائل الثقافة ، وعندما يتعامل مع الطفل لابد من وجود النظرة التربوية الى جانب تقديم الجرعة الثقافية ، ومن الغريب أن بعض الأعمال المسرحية الخاصة بالطفل تعمل ضد المبادىء التربوية ، فاختيار بعض النماذج البشرية مثل الأقزام مادة للضحك والتسلية عند الطفل ، تهدم ما يحاول التربويون والاجتماعيون خلقه من التآلف الاجتماعي بين الطفل السوي والطفل المعوق . لذلك ينادي خبير اليونسكو العربية الأستاذ زكي خفاجة باقامة مسرح قومي يتحقق من خلاله وجود المسرح الشامل كوسيلة تثقيف وتربية الاجيال مسرحيا ، فالمسرح في

نجحت اللغة العربية في اجتذاب الاطفال .

سندريلا والامير في مشهد من المسرحية

الوقت الحالي تخطى مفهوم وسيلة الاتصال الجماهيري الى نقطة تتلاقى عندها كل التيارات التي يتعرض لها الفرد ، والطفل واحد من أبناء المجتمع ،ويخلق من هذه التيارات فكرا جديدا لتثقيف المشاهد . فلا بد من وجود الكاتب المتخصص في التعامل مع الطفل ، والمخرج المدرك لما يعيشه الأطفال ، والممثل القادر على ايصال المفاهيم لعقلية الصغار ، ويتم ذلك من خلال ادارة مسرحية لديها القدرة على التعامل مع الطفل المتفرج .

للكويت تجربة

لقد بدأ الاهتمام بمسرح الطفل في منطقتنا العربية يأخذ نصيبه في السنوات الأخيرة ، فللعراق تجربة طويلة بدأت على يد الأستاذ قاسم محمد ، اذ قام بتأليف عدة أعمال مسرحية مخصصة للطفل ، كما أن الجماهيرية الليبية لها باع طويل في الاهتمام بهذا المسرح ، اذ أن مادته تدرس كاحدى المواد المقررة في المنهج الدراسي ، والأردن أيضا مهتم بحركة تثقيف الطفل ، فهناك نوادى الأطفال التي تهتم بقراءاتهم وبفنونهم ، ولا شك أن مصر - وهى السباقة دوما في مجالات الثقافة - بدأت الاهتمام بما يسمى بمسرح العرائس الذي قدم مجموعة من الأعمال ، مثل الليلة العظيمة ، بالاضافة الى أن اهتمامهم منصب على قصور ثقافة الطفل وهي مؤسسات تختص بفنون الأطفال ، مثل الفنون التشكيلية وقصص الأطفال وبعض المسرحيات القصيرة ، وهناك مجموعة من الأسماء تخصصت في كتابات الأطفال نذكر منهم المرحوم كامل كيلاني الذي كتب العديد من قصص الأطفال ، والأستاذ عبد التواب يوسف رئيس جمعية كتاب الأطفال ، والسيدة نبيلة راشد وخديجة صفوت وغيرهم .

البطلة محبوبة ، والكلب كلبوب ، والطائر مسرور ، والغراب زرمبيح ابطال مسرحية اصدقاء التي تعد التجربة الاولى في استخدام اللغة العربية المبسطة في مسرح الطفل .

كلبوب يفكر مليا في الطريقة المثلى للتصدي للغربان والرجوع الى حياة التعاون .

الاطفال يتابعون مشاهد المسرحية بشغف واهتمام كبيرين .

(دكوش يغزو وادي القمر) . . . المحاولة الاولى للفنانة اسمهان توفيق في تجربتها الرائدة في الاخراج لمسرح الطفل . وتلاقي العروض المسرحية الخاصة بالطفل اقبالا كبيرا على مختلف المستويات .

الفنانة اسمهان « ان لي تجربتين في الاخراج المسرحي كانت الأولى باللهجة الكويتية المحلية وهي بالطبع أبسط لى كمخرجة في التعامل مع الأطفال ، الا أن الأطفال كانوا يقرأون الكلام المحلي باللغة العربية ، فكنت أقول لهم يجب أن تتكلموا مثلما تتكلمون في بيوتكم مع أمهاتكم وإخوانكم » .

اللغة الثالثة

وتضيف الفنانة اسمهان توفيق « وحينما قدمت تجربتي الثانية باللغة العربية ، لم أجد هذه الصعوبة فكان الأطفال يقدمون التعبير الذي أريده ، كما أنهم كانوا يستوعبون اللغة العربية بشكل أسرع ، انني لا أقدم قوالب جامدة بحكم أو دروس ، بل أقدم اللغة العربية بطريقة بسيطة والتي يسميها البعض باللغة الثالثة في جو مسرحي من الموسيقا والغناء ، فالطفل عنده الاستعداد لتقبل اللغة العربية » .

وتضيف قائلة : « ولما كنا بصدد اقامة مسرح تربوي فان أولى مهماته وأدواته هي اللغة ، لأن الطفل لا يهتم بالاخراج أو الاضاءة أو الزينة ، لأنه جاء ليرى حكاية بسيطة يستوعبها ويفهمها ببساطة ، وعندما تكون اللغة العربية مفهومة بجمل قصيرة وبسيطة لا تعد مشكلة ، أقول ذلك بعد تجربتي في مسرحية « أصدقاء » ونجاح هذه المحاولة » .

العامية والفصحى

ويدلي الدكتور حمدي الجابري أستاذ النقد في المعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت برأيه حول العامية والفصحى في مسرح الطفل قائلا : أعتقد أن الفنانة اسمهان توفيق قد قدمت خدمة لمسرح الطفل في الكويت باصرارها على تقديم عرض باللغة العربية المبسطة وهذا ما كان مفتقدا في معظم العروض التي قدمت على مسرح الطفل ، ويهمني أن أشير الى أن اللهجة المحلية يعاني منها الكبار كما يعاني منها الصغار ، فهناك انفصال بين العربي والعربي بسبب هذه اللهجات المختلفة ، فلا بد أن نحافظ على بعض جماليات حياتنا وأن نقرب طفلنا الى لغة القر آن .

ويستطرد الدكتور الجابرى قائلا : أما مسألة صعوبة اللغة فان هذا أمر مردود عليه ، بمعنى أن هناك تجارب عربية لتقديم عروض بالفصحى المبسطة وخير شاهد على كلامي ما تقدمه مؤسسة الانتاج البراجي المشترك مثل برنامج « افتح يا سمسم » ومجموعة اعماله الأخرى ، ولا شك أننا باستخدامنا اللغة العربية المبسطة نيسر لطفلنا التخاطب ونتخلص من عيب موروث وعيب يؤدى الى التفتت والتشتت ، نحن نشكو مر الشكوى من اللهجات المحلية فنحن عندما نشاهد عملا فنيا من العالم العربي وخاصة من المغرب العربي فاننا لا نفهمه ، وهذه مأساة فناننا العربي ، فاستخدام العربية المبسطة للطفل يؤكد قيما لابد منها ، فاللغة العربية لاتسيء الى المسرح بشيء بل تجعله أكثر قابلية للفهم والتصديق .

مسرحية سندريلا

سندريلا حكاية بسيطة معروفة قرأها معظم الأطفال كما عولجت مسرحيا وتلفزيونيا عدة مرات . كتبها الكاتب العربي سيد حافظ واخرجها منصور المنصور وانتجتها مؤسسة البدر للانتاج الفني .

موضوع المسرحية يدور حول حكاية سندريلا المعروفة ، فتاة يتيمة الأم مضطهدة ، نشأت بين زوجة أبيها وأختيها من والدها في جو من القهر والاذلال ، فقد حملوها مالاتطيق ، ولم يعطوها مقابل ذلك شيئا ، سوى القهر والهوان من الكلمات ، وفي يوم من الأيام يدعو الأمير الى حفل بقصد اختيار عروس له ، وتحضر

سندريلا الحفل بمساعدة امرأة عجوز تسمى «أم الخير» ، فيعجب الامير بها ويراقصها، وفي منتصف الليل تهرب سندريلا تاركة فردة حذائها فيبدأ حراس الأمير بالبحث عن صاحبة الحذاء المفقود فيعثرون على سندريلا ويحضرونها للأمير فتضع ثلاثة شروط لقبول الزواج من الأمير فيوافق عليها ويتزوجها .

الملاحظة التي لابد أن نشير اليها ونحن بصدد الحديث عن مسرح الطفل هو أن معظم مسرحيات الطفل مستوحاة من التراث ، فالمادة التراثية والأسطورة والحكاية الشعبية فيها الكثير من الخيال المحبب للطفل ، ولا يوجد لها مثيل في أدبنا الواقعي مثل جو الأميرات والساحرات والجنية . . فمثل هذه الشخوص المحببة للطفل لاتوجد في أدبنا المعاصر . لذلك اتجه كتاب مسرح الطفل الى التراث يبحثون فيه عن ضالتهم ، ولكن التشبث بالتراث والأساطير قد يعد قصورا من الكتاب . . فتقديم موضوع جيد وهادف بشخوص حقيقية يعالج مشاكل الطفولة أو يقدم جانبا تربويا هو الأجدى بأن يقدمه كتاب مسرح الطفل .

يقول الدكتور حمدي الجابرى : ان التوجه الى التراث العربي اذا تم بشكل مدروس فانه مفيد جدا ، فهناك الكثير من القضايا التي يستطيع المسرح أن يقدمها ، وبالتالي فاننا نقدم لطفلنا خدمة جليلة ، اني لاأخفي الحقيقة حين أقول : ان الكتابة للمسرح شيء صعب ويحتاج الى مران وتجارب وخبرة طويلة واذا كان تراثنا يوفر لنا القصة فنحن بذلك نوفر على الكاتب مجهودا كبيرا ، فلا يبقى أمامه الا صياغة الموضوع ، وبالطبع فان الصياغة تكون أسهل كثيرا ، وفي هذه الحالة نستطيع أن نقدم مسرحا أهم وأجدى وأقرب الى الطفل .

ولكن هل لمسرح الطفل أن يقدم موعظة أو قيمة أخلاقية بشكل مباشر . . أم يفضل أن تكون هذه القيمة بأسلوب غير مباشر ؟

طرحنا هذا السؤال على الكاتب المسرحي سيد حافظ الذي ساهم في الكتابة لمسرح الطفل فقال : « التربويون هم السبب ، فهم دائما يريدون الأهداف التربوية المباشرة . . يجب في نهاية كل درس أن نسأل التلاميذ ماذا استفدنا يا اولاد . . ؟ في الاتحاد قوة . . القناعة كنز لايفنى . . وهكذا . . الشيء نفسه انتقل الى المسرح المباشر . . حتى الوسائل التعليمية سقطت في نفس التكرار الشائع ولا أقول في الخطأ الشائع ، والمسرح كوسيلة تعليمية مارس الشيء نفسه ، وبدلا من أن يكون سنبلة متميزة أصبح جرعة متكررة للحكم والمواعظ . . اننا نفترض أن طفلنا العربي يحتاج الى التوجيه المباشر مع أننا نقول باستخدام الطرق غير المباشرة وهذا لايحدث إطلاقا » .

ويستطرد سيد حافظ قائلا : «ان فن الأطفال في وطننا العربي يجب أن يحمل قيما ومواعظ أخلاقية مباشرة والا أطلقت عليه رصاصة التربويين الأكاديميين مدهونة بالاتهام الكبير (تدمير القيم والمباديء والأخلاق) لأننا نفرض مسبقا أن طفلنا العربي لارأي له وأنه شجرة لاظل لها . . . وأنه تاريخ لم يأت بعد .

انني ضد المباشرةومع ذلك لابد أن أفعلها حتى أرحم جلدي من سياط الاتهامات الاكاديمية ، ان الكاتب المسرحي للطفل يجب أن يدرك عدة نقاط وهي أن الطفل شاعر وأن الطفل ناعم الأحاسيس وأن الطفل يملك شهية لكل جديد ، ان الطفل جزيرة لم يكتشفها احد » .

وأخيرا نورد جانبا من حديث لألفريد هتشكوك المخرج الذي تربع على عرش الاخراج السينمائي عن سبب عزوفه عن تقديم أعمال للأطفال يقول :

«ان عالم الطفل سهل في أفكاره . . . صعب في تعامله . . وانني لم أصل الى خبرة تؤهلني للعمل مع عالم قاس في حكمه . . انه عالم الطفل » . □□

قاموس من مفردات المكتوبة والمنطوقة

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

□ كلما تعمق الانسان في دراسة الكائنات ، زاد شغفه ، وتفتح عقله ، ونضجت مداركه ، ووقف مذهولا امام أسرار عميقة عمق البحار ، أو حتى فيما وراء هذه الأعماق .. اذ كلما اكتشف سرا ، قاده ذلك الى أسرار اعمق واغزر ، وكأنما العقل لايريد أن يشبع منها ابدا ، أو كأنما يردد بخضوع : هل من جديد ؟ .. هل من مزيد ؟ .. فالمعرفة ليس لها من حدود او قرار ، وهي ـ بلا شك ـ تجذب ذوي العقول الناضجة ، ولا شأن لها بالعقول اللاهية ، ومن أجل هذا تقدم الذين اتخذوا العلم سبيلا ، وتخلف الذين أشاحوا عنه بعقولهم ، ولكل ماسعى .

نود أن نمهد لموضوعنا بكلمة نستقيها من الحديث الشريف ! « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » .. وطبيعي أن مايرمي اليه الحديث معروف ، فالناس أمم ، ولهم لغاتهم ولهجاتهم وسلوكهم وعاداتهم ، واللغات منطوقة او مكتوبة او مقروءة ولها مفرداتها وقواميسها .. الى آخر هذه الأمور التي نعرفها تمام المعرفة .

لكن مجموعة كبيرة من العلماء التجريبيين قد ذهبوا الى ابعد من ذلك بكثير ، وبدأوا يعيشون مع اقوام وأمم اخرى تتحدث لغات غير لغاتنا ، ولكل قوم لغتهم ، ومع ان هذه اللغات تنتشر حولنا في كل آن وحين ، الا اننا لانستطيع استيعابها ، لسبب بسيط ، ذلك ان تلك اللغات غير مكتوبة ولامنطوقة ولا مقروءة ، .ومع ذلك فلها مفرداتها التي لوجمعت وكتبت ، لما وسعتها مجلدات من فوق مجلدات ، او قواميس تلو قواميس ، وعندئذ ستبدو قواميس البشر شيئا متواضعا من حيث الكم والنوع ، وكأننا لسنا وحدنا في الكون !

نعود لنقول : ان جيشا متكاملا من العلماء قد وقع على كنز ثمين من لغات تعمل في الخفاء ، وبدأوا في ترجمة مفرداتها ، ومعرفة تكوينها ، وادراك معانيها ، وبهذه المعرفة ، يمكن التوجيه والسيطرة ، وكأنما هؤلاء العلماء قد اصبحوا

شكل (١) معركة بين نوعين مختلفين من النمل الأسود والأحمر ، وفي مثل هذه المعارك تنطلق فيرومونات الانذار . لتجذب مزيداً من القوات الى ساحة القتال ، كما أن هذه الفيرومونات تؤثر في النمل المحارب ، وتكسبه جرأة وشراسة واقداماً على مقابلة الأعداء (راجع المقال) .

بمثابة « سليمان » العصر والأوان ، رغم اننا لم نعرف كيف كان يعرف الملك سليمان لغة النمل والطير والحيوان ، لكن « سليمانات » هذا الزمان قد قدموا لنا قاموس مفردات فيه دستور يتحكم في هذا العالم الصامت الأخرس ، وينظم مجتمعاته ، ويسيطر على سلوكه .. وبماذا ؟.. بما قل ودل .. « وخير الكلام ما قل ودل » .. « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

النجدة .. النجدة !

ولقد تعرض كاتب هذا المقال وهو فتى غر ، لحادثة لن ينساها مدى العمر ، فبينما كان يقف بجوار خلية نحل ، ليتطلع اليها ، ويحكم لها او عليها ، لدغته نحلة ، فلطمها بيده لطمة ، وبينما كان يستعد للانصراف ، فوجىء بنحلة من وراء نحلة ، وقد هجمت عليه لتحدث فيه لدغة من وراء لدغة ، وصاح صارخا ومستنجدا : النجدة النجدة ، ثم اطلق ساقيه للريح ، والنحل من ورائه ينطلق كسرب هائج ، وانتهى الاشكال ، بعد ان اغلق بينها وبينه الابواب ، وظل يومين طريح الفراش ، وهو يجتر آلامه ، ويعزم الأمر على الا يعود الى خلية نحل ابدا .

ولقد ظلت هذه الحادثة تشغل بالي ، وتثير سؤالي : لماذا هجم على النحل بمثل هذه الضراوة ، ولم أكن اضمر له شرا ؟

ولم أهتد الى جواب مقنع الا بعد ان كبرت ، ودرست وتخصصت في علوم الحياة عامة (البيولوجي) ، وكيمياء الكائنات الدقيقة خاصة ، وعرفت ان لكل شيء في الكون والحياة لغة خاصة ، وكان من سر تقدم العلوم معرفة مفردات هذه اللغة على مستوى الموجة والجسيم والذرة والجزيء والخلية والكائن الحي .. الخ .

فيوم ان صرخت طالبا النجدة من قومي ، سبقتني النحلة ايضا بطلب النجدة من قومها ،

فأجابوها بأسرع مما أجابني قومي . . لم تصرخ النحلة كما صرخت ، ولا نادت كما ناديت ، بل ارسلت رسالة سريعة ومقتضبة ، حملها الهواء في التو واللحظة ، وتفهّمها النحل الذي يحلق كحرس شديد حول الخلية ، ففعل بي ما فعل !

ان مفردات الرسالة التي تطلب النجدة قد حل جزءا من شفرتها كل من « بوش » ، و« شيرر » ، و« ستون » في بحث نشروه عام ١٩٦٢ في مجلة نيتشر (الطبيعة) الشهيرة ، والجزء الآخر جاء في رسالة للدكتوراه تقدم بها جانيسون للحصول على الدرجة في عام ١٩٦٧ ، ثم « مورس » وزملاؤه الذين عزلوا كلمة سر أخرى من غدد موجودة في فكوك شغالة النحل .

أي ان شفرة رسالة طلب النجدة عند النحل عبارة عن « جملة » مركبة ومختصرة ، تعرف كيميائيا بأربعة مركبات محددة ، وهي ـ لمن يهمه الأمر ـ من املاح حامضين اسمهما بروبيونيك وبوتيريك ، وخلات كحول اسمه ايزواميايل ، ومركب اسيتوني يعرف باسم٢ ـ هبتانون !

وطبيعي ان هذه اللغة قد لا تعني بالنسبة لنا شيئا مذكورا ، لكنها تخرج من النحلة عند اللدغة ، وتستقبلها ـ عن طريق الهواء ـ كل نحلة أخرى قريبة من المجال ، ولو استطاعت النحلة ان تتحدث ، فربما يجيء حديثها هكذا : هناك عدو ، وقد هوجم ولدغ . . فالى الحرب يارفاق . . وفي التو واللحظة تنطلق كل نحلة نحو الهدف بما استقبلت على قرني استشعارها ، وكأنما هي سهام سامة موجهة بدقة بالغة ، فمن حيث تصلها المواد المنذرة مع النسمات التي تهب نحوها ، تنطلق الى الضحية الذي هو « أنا » . . او كل ضحية تقترب من مستعمراتها ، سواء كان انسانا او حيوانا ، ذلك ان بعض الحيوانات تستطعم عسلها كما يستطعمه الانسان ، ولقد ظهر النحل والحيوان قبل ان يوجد الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من الأعوام ، ولابد للنحل من لغة يتفاهم بها ، ويعرف العدو من الصديق ، ولابد ايضا من سلاح يدافع به عن الأوطان . . وقد كان !

ثروة من المعلومات

هذه ـ اذن ـ بضع مواد كيميائية قد كونت في حياة نوع واحد من النحل كلمة مركبة مفيدة ، والعلماء الذين يفكون شفرتها ، ويعرفون تكوين جزيئاتها ، بل أحيانا يقومون بتخليق هذه الجزيئات ثم تجربتها على النحل ، ليعرفوا ان كانوا قد اصابوا او اخطأوا ، كل هذا وغيره يشير الينا من طرف خفي ان علماء هذا الزمان قد بدأوا في ترجمة جديدة لمفردات لغة صعبة ، ربما اصعب من فك لغة حجر رشيد الذي عرفنا به سر لغة الفراعنة .

ولاشك أن مفردات قاموس تلك الكائنات كثيرة جدا ، لدرجة أن واحدا من العلماء قد قدر عدد هذه المفردات في الحشرات فقط بأكثر من نصف مليون مركب كيميائي ، ودعك اذن من الكائنات الأخرى ، فلها أيضا لغتها الكيميائية التي تستخدمها في أغراض شتى ، وهذا يعني أننا لو كتبناها بلغتنا فلن تكفيها قواميس من فوق قواميس ، من الحجم الكبير !

وعندما تصبح حصيلة المعلومات كبيرة ، فان الانسان يحتار ، فأيها يترك وأيها يختار ، لكن دعنا نركز هنا فقط على بضعة مركبات اتخذتها الأنواع المختلفة من الكائنات لتترجمها في حياتها ، وتصبح لها بمثابة كلمات تعني الانذار والخطر والشغب وماشابه ذلك . . ذلك أن لكل نوع منها « لهجته » التي لايدركها نوع آخر سواه ، فكلمة مثل (الخطر) في لغتنا ، لايفهمها الا الناطقون بالضاد ، لكن أن تنطق هذه الكلمة أمام انجليزي أو فرنسي او كل من لاينطق ولايتكلم لغتنا فلاشك أنه لن يدرك ماذا تقصد ، فله مفردات لغته كما لنا مفردات لغتنا وكذلك تكون الانواع المختلفة من الكائنات ، عدا أنها تتخاطب بعضها مع بعض بلغة الكيمياء

، وتفهمها بسهولة ، حيث لانستطيع نحن ذلك ، اللهم الا اذا تعلمنا اصول هذه اللغة السرية .

فلو ان انسانا قد وقف في الخلاء على ارض مزروعة ، أو في أحراش وغابات ممتدة ، فقد يسمع زقزقة عصفور ، او صرير صرصور ، أو مواء قطة ، أو زئير أسد . . الخ ، وكل هذا وغيره بمثابة لغة مسموعة يدركها أربابها ، لكن هناك لغات كيميائية اخرى كثيرة تنتشر حوله في الهواء ، كما تنتشر مثلا موجات محطات الاذاعة أو التلفزيون ، فلا هو يستطيع ان يشم هذه بأنفه ، ولا أن يسمع تلك باذنه ، لان حواسه قاصرة عن أن تتعامل معها ، فاذا ظهر جهاز الاستقبال المناسب ، ممثلا في قرون الاستشعار ، استطاع ان يلتقط الروائح التي يطلقها هذا العالم الأخرس ، وطبيعي أن لكل نوع رائحته التي يفهمها افراده دون سواه . . فكأنما هذه القرون بمثابة هوائيات دقيقة تستقبل تلك الروائح ، كما تستقبل هوائيات الاجهزة المختلفة الموجات المختلفة كذلك ، ولكل عالم مايناسبه . . موجة كان ذلك أو رائحة أو صوتا . . الخ .

بين هرمونات وفيرومونات

لقد وقع العلماء على غابة كثيفة من مفردات كيميائية ، تشكل لغة سرية ، فكان أن اطلقوا عليها اسم الفيرومونات Pheromones(مفردها فيرومون) . . وهي ـ كما يشير اسمها ـ أقرب شيء شبها بالهرمونات (Hormones) . . وهي فعلا كذلك ، لكن مع فرق جوهري وهام ، ذلك أن الهرمونات تنظم حياة الكائن من الداخل لأنها تفرز من غدده ، وتنطلق في دمه ، في حين أن الفيرومونات تؤثر عليه من الخارج ، لأنه يستقبلها على اجهزة استقبال خاصة (مثل الشعيرات الحساسة للروائح في الأنف أو قرون الاستشعار في الحشرات) ، فتؤثر فيها ، وتوجه سلوك الكائن بحسب ما تمليه عليه حياة الفرد والجماعة ، فيكون الانضباط الموجه ، والتنظيم المذهل الذي لانراه في كثير من مجتمعات البشر ، رغم أنهم قد امتلكوا أسمى مافي هذه الأرض جميعا ـ نعني عقلا مدركا ـ لكن ماأكثر مايمتهن أصحاب العقول قوانينهم التي أريد بها تنظيم حياتهم ، لكن ماعلينا من كل ذلك ، فالحديث فيه يدعو الى الهم والنكد ، وحالنا خير شاهد على مانقول .

والواقع ان معظم هذه الفيرومونات تتكون اساسا من ذرات الكربون والايدروجين والاوكسيجين ، ومن التوافيق والتباديل بين هذه العناصر الثلاثة يمكن انتاج عائلة ضخمة من المركبات ، وكل مركب منها له تأثير يختلف عن أي مركب آخر ، ولكي يؤدي وظيفته ، فلابد أن يلبس في مراكز استقبال كيميائية على قرون الاستشعار ، مثله في ذلك كمثل القفل والمفتاح ، فكما أن لكل قفل مفتاحه الذي يلبس فيه ويفتحه ، كذلك كان لكل مركز استقبال مركبه الذي يركب فيه او عليه في وضع مناسب تماما ، ويثير فيه نهايات عصبية محددة ، والاثارة تنطلق على هيئة نبضات خاصة ، فيستقبلها المخ البدائي ، ويحل شفراتها ، ويعرف مضمونها ، ويوجه الكائن الى سواء السبيل .

ولاشك أن دراسة هذه التفاعلات الحيوية على مستواها الدقيق ، سوف تمكن العلماء من استنباط مركبات كيميائية محورة قليلا ، أو قريبة الشبه بالمركبات الطبيعية التي تتخذها هذه الكائنات أداة للتخاطب ، وعندما تنحشر هذه المركبات المحورة في مراكز الاستقبال ، كما تنحشر المفاتيح غير المناسبة في اقفالها ، فان ذلك يؤدي الى تضليل كالذي نعرفه نحن مثلا في لغاتنا لو وضع حرف بطريق الخطأ مكان حرف آخر في جملة مفيدة ، كأن يقال مثلا في برقية : نحن قادمون للعزاء ، فتكون : نحن قادمون للعزال ، فهذه تعني شيئا غير ذلك ، كذلك لو حلت ذرة او شق كيميائي في مركب محل ذرة أو

شكل (٢) حشرة ابن العبد أو الدعسوقة التي تعيش على المن النباتي ، وقد أمسكت منها واحدة بين فكيها لتحطمها وتأكلها . وفي هذه الأثناء تطلق الضحية فيرومونا تحذر به أخواتها من هذا (الديناصور) السفاح ، وبالفعل تبدأ الحشرات في الحركة بعيداً عن ساحة الاغتيال .

شق كيميائي آخر ، فان ذلك كفيل بتضليل مراكز الاستقبال العصبي ، فيشوش على المخ بمعلومات خاطئة فلا يدرك المطلوب !

عود على بدء

ولقد اكتشف العلماء من لغة الانذار الكيميائية الكثير .. من ذلك مثلا انك لو سحقت نملة بين اصابعك ، لخرجت منها بعض الفيرومونات التي لو وصلت رائحتها الى ابناء مستعمرتها ، فان ذلك يعني عندها انذارا بارتكاب جريمة قتل ، وعندئذ يستعد النمل لملاقاة الخطر ، وتثور فيه حمية القتال ، لكن سلوكه يختلف باختلاف الانواع ، بمعنى ان نوعا كبيرا منه قد لوحظ وهو يبدأ في « تسخين » نفسه ، فيقف ملوحا بقرني استشعاره ، يريد بذلك تحديد مكان الجريمة ، ثم ينطلق فاتحا فكيه ، ويضرب احدهما بالآخر لدرجة أنه يمكن سماع اصطكاك الفكوك ، وكأنما هي سيوف تتلاقي مع سيوف ، ولو تصادف ومست هذه الفكوك أرجل أو أجنحة حشرات اخرى ، لكانت كفيلة ببترها .. المهم ان هذه الفيرومونات المنطلقة تثير في النمل هياجا ، وكأنما هي تؤهله لدخول المعركة غير هياب ولامتراخيا دفاعا عن الوطن أو أبنائه !

وطبيعي أن هذه الفيرومونات المنذرة بحدوث شغب أو هجوم أو عملية قتل لفرد أو أكثر من أفراد المستعمرة قد وجدت لحكمة ، وليس فقط لأن انسانا قد سحق نملة أو أكثر ، ذلك أن هذه المستعمرات قد عرفت الحروب المنظمة قبل أن يظهر الانسان على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، فأحيانا ما تقوم الحروب بين مستعمرات متجاورة للنوع الواحد ، أو بين الانواع المختلفة ، ولا بد أن تحمي كل مستعمرة نفسها بما يعرف الآن بنظام الانذار المبكر ، حتى لا يفاجأ النمل المعتدى عليه

شكل (٣) لكي يحدث التفاهم في هذا العالم الصامت ، لا بد من وجود وسيلة للارسال وأخرى للاستقبال ، والارسال يعتمد على غدد خاصة تطلق عدداً من الفيرومونات التي يحملها الهواء الى محطات أو أجهزة استقبال على درجة عالية من الحساسية ، والصورة توضح هوائيين طويلين جداً (أطول من الخنفسة ذاتها) وهما ما نعرفهما بقرني الاستشعار اللذين يختلفان في الترتيب بين الأنواع المختلفة .

بالمعركة ، ويداهمه العدو داخل مساكنه على حين بغتة .

ولنفرض هنا أن هجوما قد بدأ حول مستعمرة ، عندئذ ستكون الحرب في البداية محدودة ، لأن بعض أفراد النمل المعتدى عليه قليل ، وهو الذي كان يتجول كالعادة بالقرب من المستعمرة ، أو للبحث عن الطعام ، ثم فوجىء بنمل غريب ، ولا بد أن يشتبك معه رغم عدم تكافؤ العدد ، وطبيعي أن الكثرة تغلب القلة ، لكن الأمور لن تستمر طويلا على هذا الحال ، اذ عندما يهتاج النمل أو يصاب أو يقتل ، تنطلق منه فيرومونات الانذار ، وعندئذ يعرف من في المستعمرة المعتدى عليها أن هناك شغبا ، ليس هذا فحسب ، بل ان بعض أفراد المستعمرة يسرعون الى الداخل ، ويطلقون صيحة الحرب . . أيضا من خلال نوع خاص من الفيرومونات ، وعندئذ تهب المستعمرة عن بكرة أبيها ، ويندفع كل من تلقى الانذار الى الخارج ، ويحدد الاتجاه الذي يدور فيه القتال من خلال استقبال رائحة المعركة على قرون الاستشعار ، وتحدث حرب طاحنة ، يكون فيها المنتصر والمهزوم . . كل هذا يتوقف على الشجاعة والجرأة والكثرة العددية .

ويبرز هنا سؤال هام : اذا كان المعتدى والمعتدى عليه يتبعان نوعا واحدا من النمل ، فكيف ـ اذن ـ يتعرف النمل على العدو من الصديق ، رغم أن هذا يشبه ذاك تماما ؟

أيضا من خلال الفيرومونات التي تفرزها الغدد المكلفة بتصنيعها ، لأنها تتحدد بنوع التربة والغذاء والمناخ العام داخل المستعمرة ، اذ ليست حياة كل مستعمرة صورة طبق الأصل من حياة مستعمرة أخرى ، حتى ولو كانت تتبع نفس النوع ، فكأنما كل فرد في أية مستعمرة يحمل معه هويته أو بطاقة تحقيق شخصيته التي سجلت بفيرومونات هي أشبه بماركة مسجلة لكل أفراد المستعمرة ، ولهذا فان النملة لا تقف

لتتأمل في نملة أخرى بعينيها ، ثم تحدد شخصيتها أو شكلها بالنظر ، بل بما يفوح منها ، فان تطابقت الرائحة ، كان ذلك دليلا على أنها من نفس المستعمرة ، وان اختلفت ، قامت المعركة .

أي أنها أمم منظمة أعظم تنظيم ، ولها شرائعها وأحكامها ولغاتها التي تتحدد بأنواع خاصة من الفيرومونات وهي في حياتها أبلغ من خطب الخطباء ، ومواعظ الحكماء ، وتوجيهات القادة في دنيا البشر !

شهادة الوفاة

ورب سائل يتساءل : كيف يميز النمل بين رعاياه الذين قتلوا في ساحة المعركة والذين ماتوا داخل المستعمرة ميتة طبيعية ؟ . . وما دام الموت في أي صورة من صوره يؤدي الى اطلاق الفيرومونات ، أفلا يعني ذلك ارباكا في حياة النمل ، فيختلط عليه الأمر ، ويحسب أن كل ميتة ـ بما فاح منها ـ بمثابة انذار بهجوم تسبب في هذا الموت ، وعلى ذلك الأساس يستعد لمعركة وهمية ؟

وهذا تساؤل وجيه . . لكن ليس كل فرمون ينطلق من الجرحى أو الأموات ، سواء في معركة حربية ، أو نتيجة لميتة طبيعية ، هو نذير بالخطر . . بل هناك فرق في التركيب الكيميائى بين فرومونات الانذار ، والفيرومونات التي تنطلق من نملة ميتة ، لتنذر قومها بموتها ، ليشيعوها الى الدار الآخرة !

وقد يبدو ذلك خيالا ، لكن التجربة المثيرة التي قام بها البروفيسور ادوارد ويلسون الاستاذ بجامعة هارفارد الشهيرة ، تضع حدا لهذه الظنون ، لأنه تساءل أيضا نفس الاسئلة السابقة . . اذ قام باستخلاص مادة الفيرومون (الواقع أنها عدة مواد متراكبة) التي ينعي بها أموات النمل لأترابهم الأحياء موتهم ، ليحملوهم بعيدا عن المستعمرة الى مدافن الأسرة ، أي الى كومة صغيرة قريبة من المستعمرة ، حيث يلقون فيها كل ما يقابلهم في مستعمرتهم من نفايات غير مرغوب فيها ، ذلك أن النمل مخلوق يحب النظافة ، ومن أجل هذا « تمشط » النملة نملة مثلها ، طالما كان لديها وقت فراغ ، وتنظف أيضا كل ما يصادفها في مستعمرتها من أدران أو قمامة .

والتجربة ببساطة واختصار تتركز في دهان بعض أحياء النمل « بعطر » الموت المستخلص ، ثم تركها لحالها لتدخل مستعمرتها ، وعندئذ حدث شيء غريب ، اذ حمل النمل عنوة كل نملة تحمل فيرومونات الموت على جسدها ، والى خارج المستعمرة يلقونها ، فيعود النمل « الميت » الحي الى مستعمرته ، فيحمل من جديد الى مدافن الاسرة ، وتكررت العملية حوالي ثلاثين مرة ، عدها ويلسون عدا ، وأخيرا اعتبر النمل رفاقه الأموات من الأحياء ، وسمح لهم بالبقاء ، لكن بعد أن تطايرت فيرومونات الموت ، وفقدت أثرها في الاعلان .

والنمل في ذلك معذور ، فلا الذي كتب له ويلسون شهادة الوفاة على جسده ، يدرك لماذا حمله الرفاق الى قبره ، رغم أنه يتمتع بالصحة والعافية ، ولا كذلك النمل المشيع يستطيع أن يتغاضى عن النداء الذي حمله الأحياء كشهادة وفاة معلنة بالرائحة ، فالقانون هو القانون ، ولا استثناءات فيه ـ على الأقل ـ في ممالك النمل ، ولا شأن لنا هنا بممالك البشر !

ابتعد . . لاتقترب !

لكن مما لا شك فيه أن الفيرومونات المنذرة بحدوث الشغب والحروب والمآسي التي تتعرض لها أفراد النوع الواحد ، لا تقتصر فقط على النحل والنمل ، بل يبدو أنها واسعة الانتشار بين كثير من الأنواع ، وهي تحتاج في اكتشافها الى علم وجهد وصبر ، لأن هذه الفيرومونات توجد وتؤثر بتركيزات ضئيلة غاية الضآلة ، ثم لابد

من عـزلهـا بحـالـة نقيـة ، ودراسـة تكـوينهـا الكيمـائي ، ثم تخليقها في أنـابيب الاختبار اذا دعت الضرورة لذلك .

يكفينا هنا أن نقدم عدة أمثلة قليلة ، وعلى حسب ما يسمح به المجال . . فلقـد لوحظ ان حشرة المن النباتي الدقيق الحجم ، الذي يعيش على امتصاص عصارة النبات ، ويسبب خسارة في المحـاصيل . . لـوحظ ان هـذه الحشـرة اذا هوجمت بحشرة أكبر منها ، مثل حشرة ابي العيد او الدعسوقة ، فانها تفرز قطرة جد صغيرة قبل أن تغيب في بطن الحشرة المهـاجمة ، وليس في ذلـك ما يثير ، بـل ان الشيء المثير حقـاً ان الحشرات القريبة من ميدان الجريمة تظهر عليها علامات تدل على الخـوف والفزع ، فتبـدأ في حركة نشطة ، وتسرع زاحفة بعيداً عن السفاح الذي حل بأرضها ، وهي ـ بطبيعة الحال ـ لم تر الجـريمة رؤيـة العين ، لكنهـا تعرف ذلـك من الرائحة التي أطلقتها الضحية في القطرة ، ولقد حقق بعض العلماء هــذه الـظاهــرة المثيــرة ، واكتشفوا ان المن اذا هوجم ، يسارع باطـلاق فيرومونـات الانذار التي تعني عنـدهـا : هنـاك سفاح شرير لا قبل لكم بـه ، ومن الحكمة ان تهربوا قبل ان يحل بكم ما حل بي !

إن هـذا الانـذار يـدعـو للتفـرق والتشتت والهرب ، وهو يختلف عن انذار النحل والنمل الـذي يـدعـو الى الهجـوم اذا حـل بـأرضهـــا دخيل . . لكن المن قد اختار طريق السـلامة ، فليس له من حيلة يدافع بها عن نفسه ، أو يهجم بها على غيره ، وخير له ان يتفرق قبل ان تحل به كارثة لا تبقي ولا تذر .

وفي المركز الزراعي للبحوث والتنمية بولاية أوهـايو الأمـريكية ، اكتشف كـل من ك. ر. نولت ، ا. م. جولف ان الحشرة المعروفة باسم نـطاط الشجر ، اذا داهمهـا الخطر ، أو جُـرح الجسد ، أو تمزق البدن ، نتيجة لهجوم مباغت من عدو أكبر يريد التهامها ، فما أسرع ما ينط كل نطاط كان موجوداً في الساحة ، ويقفز من ورقة الى ورقة ، أو من غصن لآخر ، وهي ـ أي الحشرات الهاربة ـ لم تفعل ذلك لأنها سمعت أو رأت الجريمة وهي ترتكب ، بل لأن أحـد أبناء نوعها قد اغتيل . . لكن قبل ان يودع دنياه ، فلا أقل من تحذير فيروموني ينـطلق منه أثنـاء موته ، لينذر به قـومه . . وكـأنما لسـان حالـه يقول : اهربوا . . ولقد أعذر من أنذر !

ومثلنا الأخير يأتينا من الدراسة التي قام بها في كـاليفورنيـا كـل من نـاثـان هـوي ، ويـونس الشيخ ، على أحد شقائق النعمـان البحريـة ، وهي حيـوانات هـلامية ذات لـوامس كثيرة ، وتنتشر على الصخور . . اذ عندما دمرا واحداً منهـا ، لاحظا ان الشقـائق الأخـرى من نفس النوع ، والتي تنتشر حولها ، سارعت بسحب اذرعها ، والانكماش ثم الانطواء على نفسها ، وكـأنما هي قـد استقبلت أنباء مـزعجة ، وهي بالفعل كذلك ، لأن الكائن المصاب قـد أطلق فيرومونا انتشر في المـاء ، ليحذر من يسكنـون حوله بوقوع الاعتداء . . ولقد قام العالمان بعزل الفيرومون ، واستطاعا تحديد تركيبه الكيميائي بـطرق طـويلة ومضنيـة ، لا تهمنـا هنـا في موضوعنا .

والواقع ان مفردات هذا القاموس الكيميائي للكائنات تعني في حياتها أموراً أخرى كثيـرة ، ونحن لم نقدم منها هنا الا ما يعني لغة الانذار ، اما للاستعداد لصد هجوم وشيك ، أو بقصـد التشتت والتفـرق ، وأحيانـاً لـلانـطواء عـلى النفس ، حتى يزول الخطر .

ويبقى بعد ذلك مفردات أخرى كثيرة لها شأن يذكر في تنظيم الجماعات ، فمنها الفيرومونات التي تجمع شمل الذكور بالأناث ، او التي تحدد النسـل ، أو التي تـرسم الحـدود للملكيـات الخاصة ، الى آخر هذه الموضوعات الشيقة التي تستحق ان نعرضها في دراسات أخرى قادمة ، لندرك ان هذا الكوكب لم يخلق لنا وحدنا ، بل تشاركنا فيه أمم أمثالنا ، لكن أكثر الناس عنها غافلون . □□

فى سلامة البيئة

السرطان من أخطر أمراض البيئة

كان السرطان ، وما زال ، المرض المستعصي العضال في أكثر حالاته ، ان لم نقل كلها .... وكانت الأبحاث والدراسات تجري على قدم وساق في كافة مراكز البحث العلمي في العالم بأمل الوقوف على حقيقة هذا المرض الفتاك ، ناهيك بالعثور على العلاج الناجع له ..... ولكن بلا طائل .... حتى كانت الشهور الأولى من هذه السنة ، فظهرت أبحاث مختلفة ذات قيمة وخطورة كبيرة وتبشر بامكانية التغلب على السرطان في مستقبل غير بعيد .

وأهم هذه الابحاث تلك التي تركز على الخلايا والجينات Genes ونخص بالذكر منها البحث الذي أجراه باحثون أمريكيون بالتعاون مع باحثين آخرين ايطاليين . .

وقد اعتمد هذا البحث بعض الخلايا التي انتزعت من رئة أحد المدخنين (٦٦ سنة) وكان مصابا بسرطان الرئة . .

ولا يخفى أن كل خلية من خلايا الجسم تحتوي على ٢٣ زوجا من الكروموزومات . . وان كل واحد من هذه الكروموزومات يحتوي على آلاف الجينات . . . وأن كل واحدة من هذه الجينات تحتوي على سلم مدرج يبلغ عدد درجاته ٤٠٫٠٠٠ درجة . . . فالذي اكتشفه الباحثون هو أن السرطان انما هو خطأ ما يصيب واحدة فقط من هذه الدرجات الاربعين ألفا وان كل ما يرافق السرطان من فتك وبطش انما يترتب على ذلك الخطأ . .

على أن الذي يهمنا هنا ليس البحث المتصل بالجينات والكروموزومات وانما الابحاث العديدة المتصلة بالمأكولات والمشروبات وعلاقتها بالسرطان . .

من تلك الأبحاث ما نشرته جمعية السرطان الوطنية (الأمريكية) ACS في شهر فبراير الماضي وقد أكد أن القرنبيط والملفوف والكرنب تحتوي على مواد تقي المرء من الاصابة بالسرطان . .

وأكد التقرير أيضا أن المواد الدهنية والكحول وكذلك اللحوم المدخنة أو المخللة تمهد السبيل لاصابة الجهاز الهضمي بالأورام السرطانية .

وينصح التقرير ذوي الاجسام البدينة بتخسيس وزنهم . . ويوصي الناس جميعا بأكل الأطعمة الليفية . . أما الخضروات والفواكه الغنية بفتامين أ و جـ (A + C) كالحمضيات والخضرة التي ترى في الصورة فمن شأنها الحد كثيرا من سرطان الجهاز الهضمي وسرطان الجهاز التنفسي .
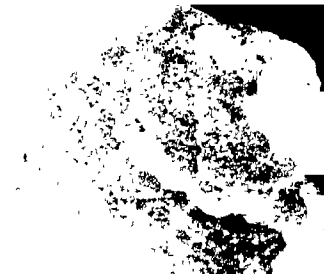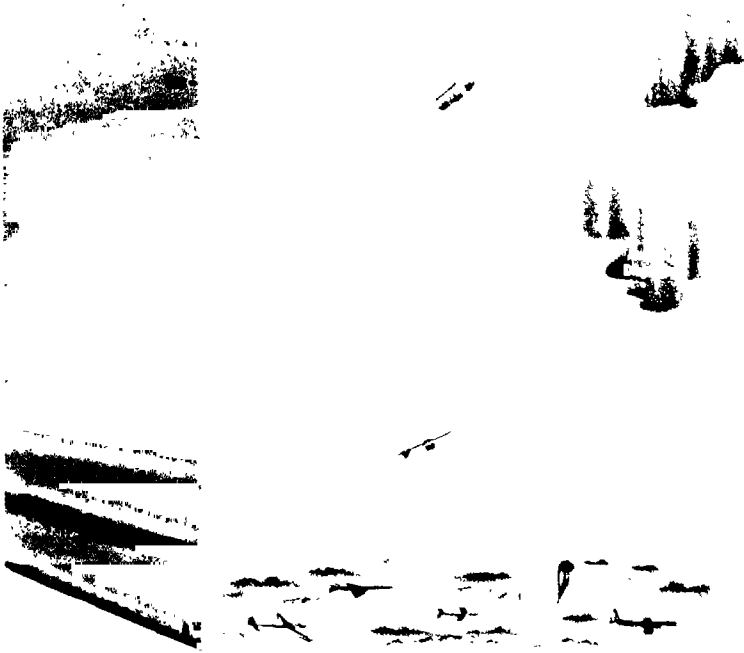
هذا هو الغلاف الجوي

رسم ايضاحي جميل للغلاف الجوي الذي يلف الكرة الارضية .. فهذا الغلاف مكون من عـدة طبقات .. الواحدة فوق الأخرى .. وهي كالتالي :

طبقة تروبوسفير .... من سطح الأرض الى ارتفاع ٨ أميال تقريبا .

طبقة ستراتوسفير .... ٨ أميال ـ ٣٠ ميلا تقريبا .

طبقة ميزوسفير .... ٣٠ ميلا ـ ٤٠ ميلا تقريبا

طبقة الاوزون (الخط البنفسجي) ٤٠ ميلا ـ ٥٠ ميلا تقريبا .

طبقة أيونوسفير ٥٠ ميلا ـ ٤٠٠ ميل تقريبا .

لاحظ الأرقام على هامش الرسم المقابل ليسارك وهي قائمتان .. داخلية تحدد الارتفاع بالأميال .. وخارجية تحدد درجات الحرارة المختلفة التي تلقاها في طبقات الجو المختلفة ، كما تظهر لك ذلك ألوان الرسم

أما الأضواء الغامرة في أواسط الجو فهي التي تعرف باسم الشفق القطبي .. وأما الطائرات والأقمار الصناعية فضلا عن الغيوم .. ليظهرها الرسم في طبقات الجو التي غالبا ما تظهر فيها أو ترتادها .

٢

التلوث الجوي والأوزون

تحدثنا في عدد سابق عن تلوث الجو أو الهواء من حيث تراكم غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو وتشكيله حزاما يلف الكرة الأرضية ويزيد مناخها حرارة على نحو ما يفعل بيت النبات الزجاجي ، وتحدثنا في عدد أسبق عن التلوث الذري ، بل انتشار الغبار الذري تبعا للتفجيرات النووية التي لا مفر من وقوعها في حرب نووية شاملة باتت قاب قوسين أو أدنى .. وذكرنا الدمار الهائل الذي سيحدثه هذا الغبار الذري والذي سينتهي ان عاجلا أو آجلا الى القضاء على الحياة بكافة صورها .. وأشرنا أيضا الى التلف الذي سيحدث لطبقة الأوزون بتأثير الغبار الذري والتفجيرات النووية .. فما هي طبقة الأوزون هذه ؟ .. وما هي قيمتها .. بالنسبة الى الانسان والحيوان .. وسائر أشكال الحياة ؟.

سموها طبقة .. لأنها توجد بين طبقات الجو العليا .. على ارتفاع يتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ كيلو مترا ! . وأكثر من ذلك في بعض الأحيان .. أنها حزام يلف الكرة الأرضية لفا قوامه الأوزون .. أو ان شئت الأوكسجين الثلاثي الذرات .. فهو اذن غاز .. ولكن لونه مائل للزرقة ويتكون من جراء تعرض الهواء ، بما فيه من أكسجين عادي ، الى شحنة كهربائية صامتة .. ولا يلبث هذا الأوزون أن يتصاعد في الجو حتى يصل الى الحزام ، حزام الأوزون ، الذي يلف الكرة الارضية على ارتفاع ١٥ كيلو مترا أو يزيد .. ويستقر فيه ..

على أن حزام الأوزون هذا ذو قيمة كبيرة وخطورة بالغة .. فهو الحزام الواقي الذي يحمي حياة الانسان والحيوان والنبات من شر الأشعة الضارة التي توجد ضمن أشعة الشمس .. كالأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء .. فحزام الأوزون يمتص أكثر هذه الأشعة ويحول دون تسربها الى سطح الأرض .. ودون بطشها بالكائنات الحية التي تعيش عليه .. من ثم كان هذا الحزام بحكم الحزام الواقي ..

ولكن هذا الحزام تعرض لبعض التلف في السنوات الأخيرة .. وذلك بتأثير عدد من المواد والأسمدة الكيماوية .. ولما يقدمه عادم الطائرات النفاثة ، لا سيما اذا انطلقت بسرعة تفوق سرعة الصوت ... ناهيك بالتفجيرات النووية التي قد تقضي على طبقة الأوزون قضاء تاما في حرب نووية شاملة .. وقد أوجزنا ذلك في الرسم الايضاحي المرافق ..

على أننا أوجزنا في الرسم نفسه الأضرار والمخاطر التي تترتب على تلف حزام الأوزون .. حزام الحياة الواقي ..

وتجدر الاشارة الى شتى البحوث والدراسات التي تقوم بها مختلف الدول بقصد تحديد التلف الذي لحق وما زال يلحق طبقة الأوزون الواقية .. فقد دلت احدى تلك الدراسات على أن كمية الأوزون الموجودة في الحزام الواقي قد نقصت بنسبة ٥٪ فيما بين سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ .. وذلك تبعا لتكاثر المواد الكيماوية المعروفة : الايروزول والفلوروكربون (١٢) .. فقد تضاعفت كميات هذه المواد ثلاثة أضعاف في الفترة المذكورة .. فتناقصت كمية الأوزون الواقي بالنسبة المذكورة أيضا .. والمواد المذكورة تدخل في صنع كثير من المستحضرات الكيماوية كمبيدات الحشرات ومستحضرات التجميل ..

وتجدر الاشارة أيضا الى أن بعض الدول التي تولي حماية البيئة الاهتمام اللائق بها قد حظرت صنع واستعمال الايروزول والفلوروكربون (١٢) .. وذلك من أجل حماية حزام الاوزون الواقي .. ونذكر من تلك الدول الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والسويد والنرويج والدانمرك .

بقي أن نشير الى أن غاز الأوزون أو الأكسجين الثلاثي الذرات (٣) Allotropic وهو ذو فوائد كثيرة ، يمكن انتاجه صناعيا وذلك من أجل تبييض المركبات العضوية .. وابادة الجراثيم وازالة الرائحة الكريهة والطعم الرديء ناهيك بتعقيم مياه الشرب .. وهذا لا يمنع طبعا أن غاز الأوزون سام وقابل للانفجار ..

الملوثات التي تتلف الأوزون

١ ـ التفجيرات النووية كفيلة باتلاف الأوزون بنسبة ٢٠ ـ ٧٠٪ .
٢ ـ الايروزول والفلوروكربون (١١) و (١٢) يتلفان الأوزون بنسبة ملحوظة وقد أقدمت بعض الدول على حظر صناعتها واستعمالها .
٣ ـ الطائرات النفاثة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت تقذف من عادمها أكاسيد الآزوت التي تتلف الاوزون .
٤ ـ الاسمدة الآزوتية يتصاعد منها أكسيد الآزوت الذي يتسبب بتلف الأوزون بنسبة لا تقل عن ١٥٪
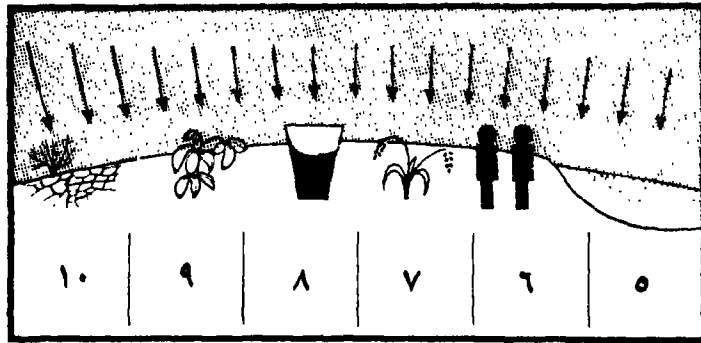
الدمار الذي يحدثه الاوزون اذا تلف

٥ ـ يلحق الدمار بالبلانكتون . . تلك الكائنات البحرية الدقيقة التي تعتبر أساسا في بقاء الأحياء المائية .
٦ ـ تكثر الاصابات بسرطان الجلد وتكثر الأمراض التي تصيب الانسان في صميم خلاياه . .
٧ ـ وتتناقص المحاصيل وتتعرض النباتات لأمراض وراثية مستعصية . .
٨ ـ ويصبح من الصعب تكرير المياه وتصفيتها بالقدر الكافي .
٩ ـ تلف الاوزون يتسبب في تحطيم خلايا الكائنات الدقيقة من الحيوان والنبات .
١٠ ـ ويؤدي أيضا الى احداث تغييرات جذرية في المناخ .

یادنامۂ وحید

الدايم

المماليك يصومون رمضان

بقلم : الدكتور محمد المنسى . قنديل .

ولم يوحد (الدايم) اشتات من البشر كما وحده المماليك ، فمنذ أن تجمعوا من سهوب (التركمان) الباردة ، وجبال البلغار الوعرة ، وفجاج (الصقالبة)المنعزلة ، وقد وهبهم الله الدين واللسان والهوية وسلطان الارض والخيل العتاق والجواري الحسان ، والغلمان المرد والقصور والخانات ، فعلوا وبغوا وحكموا وحاربوا وانتصروا وانكسروا ثم زالت دولتهم كأن لم تكن . . وسبحان من له الدوام . .

سماء مظلمة . . وهلال وحيد . .

لقد هجروا الذاكرة القديمة ، وعاشوا حلمهم الزاهي فلم يفيقوا منه الا على الموت ، إما بالاغتيال او الخنق او السم او السجن مدى الحياة ـ ولكن أي منهم لم يندم على هذا المصير .

كانت بداية كل شهر بالنسبة لهم حدثا يستحق التهنئة والاحتفال . . ولا بد أن يصعد القادة والمشايخ والاعيان الى القلعة لتهنئة السلطان . . كانت شهورهم بالغة العذوبة والقصر . .

لذا فقد أحبوا شهر رمضان ، أحبوه يوماً يوماً . . أحبوا لياليه ودورة هلاله ، أحبوا درجة الاحساس العالية بكل لحظة من لحظاته ، احساس الجوع والشبع ، والري والعطش ، والابتهال والخوف .

في بداية كل رمضان . . وسواء ظهر الهلال أو لم يظهر . . يجلس السلطان على كرسيه بالقلعة ويأتي الوزير والمحتسب وخلفهما صفوف طويلة من الحمالين . يمرون امام السلطان ومعهم الغنم واكياس السكر والارز والدقيق والزبيب والجوز واللوز والتوابل والبقول . يأتون في صف طويل كالنمل صعودا من اسفل الى اعلى . ويغيبون في باب القلعة كأنهم يغيبون في بطن السلطان . يأتون من الحقول والبراري والارض الجافة والقرى الصغيرة والدساكر الى مخازن السلطان استعدادا لصومه العظيم . . ولا بد انه كان يمد يده ويتحسس كل هذه الاشياء والا ما حرص كل السلاطين على اقامة هذا المشهد من كل عام . . بعد ذلك ينسحب الى غرفته، ويترك رؤية الهلال مسألة يقررها شيوخ الأزهر . . لقد بدأ هو شهر رمضان بطريقته الخاصة .

ورؤية الهلال مشكلة اخرى . فالهلال يجب أن يرى وشيوخ الازهر عليهم أن يروه بالعين المجردة ويعانون من ضعف في الابصار ، وغالبا ما تهب من (المقطم) ريح رملية قائمة تجعل الرؤيا متعذرة حتى من أعلى المآذن .

احيانا كان الهلال يظهر واضحا كأنه سن ضاحك ، وأحيانا يبقى غائبا ، ويمضي اليوم التاسع والعشرون ويحل اليوم الثلاثون . . ولكن قد تحدث المفاجأة في منتصفه . . ففي عصر السلطان برقوق اضطربت القاهرة اضطرابا كبيرا عندما ثبت ظهور الهلال في منتصف النهار تقريبا ، ونادى قاضي (الشافعية) بالامساك بعد أن كان الغداء قد وضع على الموائد ، واسرع السلطان فطرد مدعويه وأمر برفع الصحاف وتجشأ وأعلن الصيام ولم يكن باقيا على المغرب الا عدة ساعات .

الصراع من أجل الرؤية

ولان الصراعات كانت كثيرة بين من يحكم . . ومن يعلم . . فقد كانت مسألة رؤية الهلال تخضع احيانا لوجهات النظر فقد حدث في ليلة الرؤية بأن أعلن القضاة الاربعة ومشايخ الازهر ان الهلال لم يظهر وأعلن الوالي وأنصاره من الجراكسة انهم قد رأوا الهلال من فوق مآذن مسجد المتولي . وكبر الناس وأضاءوا المشاعل واستعدوا للسهر . . ولكن أحد المشايخ هبط غاضبا وهو يصيح . . « اطفئوا المصابيح

ياحرافيش .. أتصدقون الجراكسة وتكذبون العمائم ؟ «فأطفأ الناس المشاعل . ولكن الجراكسة عادوا ومعهم مزيد من الجند .. واصروا على أن يوم الغد هو الاول من رمضان فأوقد الناس المشاعل .. وتوافد المشايخ من كل الاروقة .. « أيعنمنا الجراكسة مور ديننا » فأطفأ الناس المشاعل وأمسك احد الحراس بذقن احد المشايخ فضربه الشيخ بالمركوب ، واشتبكت الايدي وأوقد الناس المشاعل وأطفئوها عدة مرات . ثم صعدوا جميعا الى القلعة يحتكمون بين يدي السلطان

وننظر السلطان للجراكسة الغاضبين ، وللشيوخ الممزقي العباءات .. وللسماء الخاليه من أي أثر . وكان الموقف حرجا لا يوجد هلال . ولكن لو خذل الجراكسة فسوف يخذلونه . والمشايخ مقدور عليهم . لذلك قر قراره واعلن أنه أيضا قد لمح الهلال .. وباتت القاهرة مقسومة .. صائمة .. ومفطرة .

فتوى .. من اجل الافطار ..

على أي حال فالرؤية يجب أن تثبت ، ويجب أن يصعد القضاة والمشايخ للتهنئة .. وأن يصعد ايضا الخليفة العباسي لابسا زيه الأسود .. كأنه يذكر الجميع أنه في الارض ما زال هناك « امير للمؤمنين » .. لم يبق له من الخلافة الا اسمها وشارتها السوداء . ولا يخلو الامر خلال هذه التهنئة من شكاية لرفع مظلمة .. أو محاولة للتخفف من ضريبة فادحة .. والسلطان يوافق احيانا .. ويماطل في أحايين كثيرة .. السلطان الغوري كان يتذمر دائما وهو يقول : « الخزائن فارغه يا مشايخ والجند طلباتهم كثيرة » ..

ويتوسل اليه المشايخ قائلين :« والناس مساكين يامولانا السلطان وعيالهم كثيرة » ..

فيهمهم السلطان كأنه يشكو ذات نفسه : « العيال لا يملكون الا البكاء .. ولكن الجند يلعبون بالسيوف والمكاحل يا مشايخ .. »

أما السلطان برقوق فقد أعلن في اول ليلة من ليالي رمضان .. « من كانت له ظلامة او خصومة فليحضر بين يدي السلطان » . ولم يقع الامر لسلطان من قبله وهو من احدث ذلك بين سلاطين المماليك .. ففتحت القصور ابوابها ودخلت حكايا العامة والحرافيش وصغار التجار . ومن الغريب أن القصص تتباين ولكن الظلم واحد ..

وقد حير السلطان اشرف أبو المعالي العلماء والمشايخ اكثر مما حيرهم هلال رمضان ففي صبيحة اليوم الاول استدعاهم على عجل .. ودخلوا فوجدوه جالسا متجهما فوق العرش . ووزيره (منجك) بجانبه .. وأحسوا بالخوف والحيرة ، فظلوا صامتين .. وأخيرا تكلم الوزير بهدوء ورزانة .. « السلطان يريد فتوى لافطار رمضان »

ونظر القضاة بعضهم الى بعض : وهل يحتاج المفطر الى فتوى ؟ .. لم يتكلم احد ، خيم الصمت كأن الوزير لم يقل شيئا . واحتقن وجه السلطان غضبا وهو يصيح .. « هيه .. ماذا تقولون ؟ » ..

وتنحنح المشايخ .. وبدأ القاضي المالكي يسرد احكام الصوم ومبيحات الافطار بصورة عامة .. ولكن يفهم منها انه لا يوجد في حالة السلطان ما يبيح الافطار ، وهتف السلطان في قوة .. « انا مريض يا مشايخ .. ضعيف » .. وتدخل الوزير ليحاورهم .. لكن أحدا منهم لم يستطع أن يقتنع بجدوى حاجة السلطان الى فتوى كاذبة .. اذا كان يريد أن يفطر فليفطر .. ولكن السلطان ظل مصرا .. كان يريد أن يفطر . ولم يلن أحد منهم رغم أنهم كانوا يرتعدون خوفا . فوعدهم السلطان ، واغراهم الوزير ، وزجر الحرس واقتادوهم الى السجن .. وجلس السلطان ووزيره يفكران في هذه الورطة ثم اهتديا الى حل .. فليسافر

السلطان .. وفي السفر عذر شرعي للافطار .. وهكذا اعلن في نفس اليوم ان السلطان سوف يسافر لتفقد قلاع الاسكندرية ودمياط ثم يرحل بعد ذلك الى الشام .

ولكن السلطان قلاوون كان يطلب فتوى من نوع مختلف .. ففي ليلة التهتئة بالرؤية كانت المناقشة محتدمة بينه وبين المشايخ حول مسألة كنيسة اليهود في القدس . كانت الكنيسة قديمة وآيلة للسقوط ، وكانت المشكلة .. « هل يجوز هدمها في هذه الحالة دون أن يعد ذلك اعتداء على اهل الكتاب .. أم يعاد بناؤها كما كانت من قبل » ..

وانقسم المشايخ .. بعضهم أفتى بجواز هدمها ما دام وجودها في هذه الحالة قد أصبح خطرا ، وبعضهم حبذ اعادة تجديدها .. وظل السلطان يوازن بين الأمرين .. ولانه كان يميل للعمران .. لكل ما هو محسوس فقد امر باعادة بنائها وترتيبها على أحسن وجه .. ولو كان قلاوون يعرف الغيب ما كان هذا اختياره ..

ياأيتها الادعية .. طهرينا ..

ثم يصعد العلماء ؟ والمجاورون والقراء والمؤذنون الى حوش القلعة حيث يبدأون في تلاوة البخاري ، ولعلها المناسبة الوحيدة التي ترتفع فيها الادعية من القلعة .. صافية .. فيها شيء من الانكسار .. ومن الرهبة « يارب ياذا الجلال .. اغفر لنا .. ذنوبنا » ..

كانوا يطلبون التوبة في هذه الليالي عن كل ذنوب المماليك منذ أن خطفوا واسترقوا وبيعوا وأسلموا وترقوا وملكوا وحكموا واستعبدوا مالكيهم كانوا يطلبون التوبة عن ايام طويلة من النهب والتآمر وخيانة الأهل والغدر والزهو والملق والرفعة والانحطاط . والمشايخ يداومون القراءة والدعاء حتى الليلة الثامنة والعشرين من الشهر ، فيختمون الختمة في اجتماع حافل يحضره السلطان والأمراء .. ويخلع فيها عليهم الخلع .. ويفرق صرر المال .. ويطمئن أن عبق البخاري والادعية الطيبة سوف تبقيه على العرش عاما جديدا ..

وكان قلاوون هو أول من زاد في أعطية شهر رمضان .. فقد أمر أن يفرق على الفقهاء والعلماء (توسعة) اي مبلغا اضافيا من المال لعيالهم .. واستمر ذلك طول فترة حكمه .. ولا بد أن السلطان الأشرف شعبان قد فكر في شيء من هذا القبيل لولا أنه اكتشف ان الخزينة السلطانية قد سرقت واختفت منها عشرون الفا من الدنانير الذهبية .. وارتج القصر .. فقد كانت الخزانة في غرفة نوم السلطان .. والسلطان قد تسحر ونام .. والجميع قد حذروا السلطان من النوم بعد السحور بما فيهم الاطباء . ولكنه نام واختفت العشرون ألف دينار .. ولم يكن أمامه الا الشك في خدمه وفي عبيده المقربين .. وكانت المفاجأة عندما اعترف الجميع على (خوند سوارباي) محظيته الاثيرة ..

الى من يأمن المرء في هذا الزمان ؟ ..

وضع السلطان محظيته في السجن فلم تعترف ، أمر بضربها بالسياط فتحملت وخرجت بعد سنوات طويلة من سجن (العرقانة) وهي كهلة .. وفاقدة السمع تهمهم بكلمات غامضة تحكي عن تجربة السجن الطويلة ولا أحد يدري ان كانت قد سرقت النقود أم لا ؟

ولعل « خوند سوار » كان عقابها قاسيا .. ولكن العقاب لم يكن يقل قسوة بالنسبة للمفطرين .. ففي عهد السلطان الغوري قبض على رجل وهو سكران في عز النهار فضرب بالمقارع وجرس بالقاهرة . وفي حادثة اخرى كبس الوالي بنفسه جماعة من الاروام والجراكسة يشربون الخمر .. وقبضوا عليهم ووقع السلطان في حرج بالغ لانه كان بينهم بعض أولاد الاعيان . وفي حديقة الازبكية في وسط المدينة القى القبض على رجلين وامرأة كانوا يشربون

الخمر في منتصف النهار . . وكانت المرأة من الذكاء بحيث فرت من يد الحرس وطيف بالرجلين مقيدين في المدينة وهما يبكيان . .

وفي عهد قايتباي بدأ رمضان بداية حزينة ، فقد ثارت ريح عاصفة من جهة الغرب ، وساد الظلام ثم بدأ المطر يتواصل في الهطول في غير أوانه . . وعانت مدينة دمياط من قلع الاشجار وتهدم البيوت ، ولكن الخبر المفزع جاء من المدينة المنورة ـ على ساكنها افضل الصلاة والسلام ـ فقد هبطت صاعقة عظيمة في آخر الليل . . فأحرقت منارة المسجد الشريف . . والسقوف والحيطان والاعمدة والابواب ولم ينج الا القبة الشريفة . . وقد رأى الحادث مؤذن المسجد فهبط وقد أصابه الخرس من هول ما رأى ولم يلبث ساعة حتى مات .

وعندما سمع السلطان هذا الخبر لم يتمالك نفسه فأجهش في البكاء ، وبكى الوزراء والامراء ومقدمو الجند . . وتعالت التكبيرات في الازهر وخرج العوام هائمين في الشوارع واعولت النساء في البيوت . . وسادت المدينة كآبة الندم . . وأخذ كل منهم يعزي الاخر . . لقد حفظ الله القبة الشريفة وساكنها عليه السلام . . ولكن كان للافطار طعم الحنظل . . وكان في الصوم العزاء . . وأي عزاء . .

وأفاق السلطان من الصدمة فشرع في تجديد المسجد الشريف ووجه للمدينة البنائين . . وصانعي الرخام وعلى رأسهم اشهر بناء في هذا الوقت (ابن الزمن) وشرع في بناء الجدران والمحراب ، وهدم القبة القديمة ـ وكانت من الخشب ـ وبنى بدلا منها قبة من الحديد المخرم . ولم تهدأ النفوس الا بعد عامين من العمل حين اكتمل بناء المسجد ليصبح من اعظمها وأشرفها ، حتى قيل أن السلطان قد صرف على بنائه نحو مائة ألف دينار . .

واذا كانت بداية رمضان حزينة بالنسبة للسلطان قايتباي . . فان نهايته كانت غامضة بالنسبة للسلطان الناصر أبي السعادات . . ففي اليوم التاسع والعشرين اشتد الحر ، وعز وجـ السقائين ، وتكالب الناس على الزوايـ والجمال ، حتى تعاركوا بالعصي . وفي وسـ هذا التوتر امر السلطان أن تدق (الكئوسات في القلعة وصاح فيمن حوله « انا اعمل العيد الغد من هذا الشهر سواء رأوا الهلال أم يروه » . .

واشيع هذا التهديد بين الناس ، فركـ قاضي القضاة الشافعية بغلته وصعد الى القلعة وعرفه أن العيد لا يجوز الا اذا رأى الهلال تلك الليلة .

ولكن السلطان كان مصرا حتى أنه هم بعز القاضي ، لم يكن يريد للشهر أن يتم لانه لو ـ فسوف يكون الجمعة هو أول أيام العيد . وسوف يدعي للخليفة من فوق المنابر مرتين . مرة في خطبة صلاة العيد . . ومرة في خطـ صلاة الجمعة . . والدعاء للخليفة مرتين علا على نهاية السلطان . هكذا يعتقد كل الناس ويعتقد الناصر أبو السعادات نفسه . . ففـ دورة الزمن المملوكي هذه يتقلب الحـ سريعا . . وأيام ابي السعادات لم تكن رضية يكفي أنه كان يتزيا بزي المغاربة ، وينـز للصلاة في الازهر متنكرا ، ثم يجاذب الناـ اطراف الحديث . . وكان دائم السؤال عن سيـ السلطان . . ودائما يسمع مالا يسره . .

صاح السلطان وماج . . « لا عيد يـ الجمعة » . .

ولكن القاضي كان مصمما أن لا بد من رؤ الهلال ، وصعدوا جميعا الى أعلى جزء القلعة ، وانتقى السلطان من رجاله أحدهـ بصرا وبثهم في كل مكان . . ؟ فوق مآذ الأزهر وجامع المؤيد والمقطم وجلسوا يترقبو والسلطان يقضم أظافره والليلة مظلمة داكنة ، ولم يظهر الهلال . . وصام الناـ الخميس وعيدوا الجمعة ودعوا للخليفة مرتـ ودعوا على السلطان مرتين فاستجاب ا للدعاء .

من يوقظ الغوري ؟ . .

في الليل تهدأ القاهرة على تكبيرات صلاة التراويح في جامع سيدنا الحسين ، ثم تسود ساعات من السلام الجميل ، ساعات هادئة بلا خوف من مداهمة الوالي أو الحارس او المحتسب . ففي ليل رمضان تغل الشياطين بسلاسل من جهنم . ويسعى المجاذيب والدراويش بين الازقة يتلمسون أطباق الحلوى . تقدمها لهم فتاة محجبة . ولكن عيونها ساجية تنظر اليهم فتزيد القلب المجذوب انجذابا . . ويطوف اصحاب النذور بقرب الماء المخلوط برائحة الورد . . يسقون عطاشى الصوم ، وفي منتصف الشهر ، في منتصف ختمة البخاري يمرد القمر جسده وينام على البوابات العتيقة ، وتتفتح أزهار (ست الحسن) وفي منتصف الليل يمر « المسحراتي » ويدق الطبلة كأنه وجيب قلب هذه المدينة الغافية .

(يانايم . . وحد الدايم) . .

كأنه يضع بلسماً على كل شقاء الشهور الماضية . .

في صباح منتصف الشهر يبدأ موكب الكسوة الشريفة . بلونها الاخضر الزاهي من الحرير الدمشقي وخيوط الذهب والفضة ترسم الآيات الكريمة . والجمل يحملها على ظهره ، ويعبر الشوارع والدروب مختالا كأنه يعرف أي مكرمة يحملها فوق ظهره ، هذا هو موكب الراحة الاخير . كأنه وداع لحلم مزدهر طال أمده . .

الاحداث الصغيرة تتجمع وفلول بني عثمان تتجمع أيضا في الشمال . والسلطان الغوري علق على أبواب القلعة مدفعا قديما يطلق كل يوم من أيام رمضان طلقتين ، واحدة للافطار وأخرى للامساك . ولكنه هو نفسه كان بحاجة لمن يوقظه ، بحاجة لمن يقول له : ان هذا المدفع بالغ القدم لا يصدر الا صوتا عاليا مزعجا . . أما مدافع بني عثمان فهي مهلكة . سوف يحصدون بها حلم الدولة الزاهر التي هزمت التتار والصليبيين وسادت البر والبحر ، وكان الغوري يعاني من اضمحلال في بصره ، وكان كل يوم يقف في النافذة ويطل على المدينة التي تدين له بالخوف دون أن يراها جيدا ويردد (يا بصير . . يا بصير) كان مشغولا بخنق الاصدقاء في (انعرقانة) وتسليط أعوان « الزيني بركات » على الناس ، ومغالطة تجار القوافل في الحساب . واحتكار صناعة السكر . . وعندما وقعت اول معركة صغيرة بين جنوده على حدود الشام وبين جند العثمانيين في أحد ايام رمضان . لم يتبصر ، وظل يردد (يا بصير . . يا بصير . .) ويتحسس الدنانير ويكدسها في خزائنه لعلها تعطيه احساسا بالحرية بدلا من هواجس ذلك المملوك المشترى الراقد في اعماقه .

وفي آخر رمضان رآه لم يجد بدا من الخروج ، رفع الأعلام وأرضى الأمراء والأتابكة . . وأخذ الجيوش الجوانية وضمها الى الجيوش البرانية ، وسار الى (مرج دابق) بعد أن كان بصره قد زال تقريبا . . وخاض معركته الاخيرة بشجاعة تليق بوغد عجوز لم ير حشود بني عثمان ، لم ير بيارقهم ولا أسلحتهم المصقولة الحديثة . ولكنه فقط سمع دوى مدافعهم كانه يوم القيامة . وجمح به الحصان فألقاه على الارض وداسته الخيول المنهزمة ، لم يعرف له طريق جسد . ولم يبك له احد على قبر ، وزالت دوله الغوري كأن لم تكن . فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير على طول المدى . .

ومثلما اختفى جسده . . اختفى ماله . . ففي اليوم الرابع عشر من الشهر نفسه وصل الخبر فجرا الى القاهرة . وكان الدوادار طومان باي يصلي بالناس في الازهر فأغرورقت عيناه بالدموع . . الهزيمة قاسية ، وبقية الثمن لم يدفع بعد ، وكانت القاهرة كلها قد استيقظت واجفة . ترقب طومانوهو يسير بثوبه الخفيف الابيض ، خلفه الأمراء المقدمون وأمامه

المصابيح والمشاعل ، وهو يخترق الطرق والحارات كأنه يبحث عن مخرج فترتفع له الاصوات بالدعاء ، جاء اليوم ياطومان ، كان محبا للعوام ، لين الجانب ، قليل الاذى ، غير متكبر ولا متجبر ، جاءه ميراث طويل من الملك مطعم بالدم دون أن يسعى اليه . وعندما جلس على العرش خطب له الائمة من فوق كل المنابر ، وهي المرة الاولى والاخيرة التي يخطب فيها للسلطان . . فلم يكن يخطب الا للخليفة . . وفتح خزائن مصر . . فوجدهاخالية . .

وكان اليوم التاسع من الشهر حزينا ، فقد استولى سليم شاه بن عثمان على دمشق ، وملك قلعتها وقتل ستة وثلاثين من امرائها . واختتم المشايخ البخاري في القلعة ، وحضره السلطان فلم يخلع خلعة ولم يفرق صرة . . كانت الجيوش الزاحفة تتقدم . والحرب الضروس تناديه والمصير التعس يمد خيطا من الدم . . من هزيمة (الريدانية) . . الى تعليق جسده مشنوقا على باب (زويلة) . . ولم يأت عيد الاضحى الا وقد نصر الله السلطان ابن السلطان . ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين ، وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سلطان شاه .

نهاية ليست مأساوية . .

وجاء رمضان التالي على مدينة مهزومة ، يحكمها وال بعد أن كان يحكمها سلطان ، احد المماليك الذي أمنهم طومان باي فخانوه . . خاير بك الذي أصبح باشا . . وأطلق الناس عليه خاين باشا . . في الثامن من الشهر تزوج من خوند مصر باي زوجة طومان باي المقتول . كأنه أراد أن يرثه في كل شيء . وغاض النيل حنقا وغضبا ، فلم يزد ارتفاع منسوب مياهه اصبعا ، وهدد العطش البلاد . . وأشهروا في القاهرة اربعة نسوة وهن على حمير ووجوههن ملطخة بالسواد ، قيل أنهم يجمعن عندهن الاجانب من الاتراك في شهر رمضان ، وبلغ حنق الناس مداه ، فأخذوا يرجوهن بالطين والاحجار ، كأنهم ينتقمون لكل مرارات الهزيمة . والسخط والاحلام المجهضة ، وظل النيل يغيض ، اربعة اعوام كاملة حكمها (خاين باشا) والنيل الذي يفي دائما في شهر رمضان . . لا يفي . . أخلف مواعيده تماما مثلما اخلف خاين باشا مواثيقه . . وعانى الناس من الجوع والعطش والقهر . .

وكانت النهاية . . مهينة وليست مأساوية . . اللمسة الاخيرة على الجرح المليء بالملح . . جلس خاين باشا فتكاثر عليه المماليك والامراء والمقدمون السابقون . . كانوا يطلبون أعطية شهر رمضان . . ولا بد أنه لمح في وجوههم زهو رفاق السلاح القدامى . . ولعله لمح في وجوههم بعضا من عزة النفس التي لم تقتلها الهزيمة . . وصرخ الباشا فيهم : « يا كلاب يازرابين . . أنتم بقى لكم وجه حتى تتكلموا . . بيضتم وجوهكم في ايش . . ؟ »

وأمر الانكشارية من حوله أن يضربوهم ويطردوهم من حول مقصده ، فأسرع الانكشارية بالعصيان وضربوهم ضربا فاحشا . . وجاءت ضربة على كتف جاني بك الدوادار فخلعته ، وبهدلوهم غاية البهدلة ونزلوا من القلعة على أقبح وجه ، وقال الشاعر المصري :

لما تكبرت الجراكسة التي
كانت بمصر . . أذلهم رب الورى . .

هبطوا مكسوري الخاطر ، وسط الناس الذين ظلموهم كثيرا . . فلم يدر أحد اهم احق بالرثاء ام بالشماتة ، وكان الجو حارا والارض جافة والغلاء عاما وانتظر الجميع حتى يأتي المساء وتهب نسمة عذبة من ناحية النيل ، فترتعش القلوب ، وتسود السكينة ، وتدق الطبلة كالوجيب :

(ياناايم . . وحد الدايم) . . □□

من قصص الخيال العلمي

للكاتب السوفيتي المعاصر
فارلين سترونجن

ترجمة : أشرف فتحي

☐ كنا ـ ابني وأنا ـ نلعب « لعبة الاستخفاء » في البيت ، وجاء دوري لأغمض عيني .

« مستعد ، سوف أمسك بك اينما كنت مختبئا ، قريبا أو بعيدا » هكذا صحت وأنا مغمض العينين ، ثم استدرت وبدأت البحث . نظرت تحت المائدة وبحثت تحت السرير ، لكن . . . لا اثر للولد ، فتحت الصوان . . . لا شيء سوى الملابس ، ولم يكن ايضا خلف المقعد الكبير ، كما كان الحمام خاليا .

ان شقتنا مكونة من غرفتين فقط ، فأين يمكن ان يكون قد اختبأ ؟ أيكون قد خرج من الشقة ؟ . . . لكن السلسلة كانت على الباب .

بدأت أشعر بالقلق ، واشتركت زوجتي معي في البحث ، فتشت جميع أرجاء الشقة غير واثقة من نتيجة تفتيشي ، بل انها نظرت في ادراج المكتب . . . ثم أخذت تنادي :

« اليوشا ، اظهر أرجوك »

صمت !

« اظهر ، فأنا سأخرج لشراء بعض الأيس كريم »

لا اجابة !

بدأنا نحن الاثنين نتصايح . . . كادت تنتاب زوجتي نوبة هستيريا . . . وأخيرا ظهر ابننا

« أين كنت ؟؟»

« هنـــاك »

« أيـــن ؟»

« هنـاك ، في البعد الرابـع »

« ماذا ؟ أي بعد ؟!»

« الرابع ، هناك أبعاد ثلاثة وأنا اكتشفت الرابع »

انفغر فوهانا على اتساعيهما . . . قالت زوجتي بصوت ملاطف :

« أرنا هذا الـ . . . البعد الرابع يا حبيبي ، خذنا معك »

رد ابننا قائلا : « لا . . فسوف تكتشفون كل شيء ،؟ لكني سآخذ « يوركا » و « ايجور » و « فاسيا » معي ، وهناك نستطيع ان نلعب الهوكي ، اثنان ضد اثنين ، ولأي وقت نشاء . ولن يستطيع واحد منكما أن يضايقنا »

كان تفكيري قد بدأ يضطرب ، فأسرعت الى

« معهد البحث العلمي » . . . صحت بعصبية :
« هذا ما حدث ، صدق أو لا تصدق ، لكن هذا ما حدث ، اكتشف ابني البعد الرابع .
« . . . هل يقرأ الأفكار ؟ »
« الأفكار ؟ لا ، لم ألحظ ذلك » .
« هل يستطيع ان يقرأ بأطراف أصابعه ؟ »
« لا » .
« كم هو شاذ . . . كنت أعتقد أنه يملك كل العلامات المميزة للخارقين »
« لكنه فعلا اكتشف البعد الرابع ودخل فيه وخرج منه أمام عيني »
« هل رأيت ذلك فعلا ؟ »
« في الحقيقة لم أره وهو يذهب ، فقد كنت مغمض العينين ، لكنه كان « هناك » بالفعل ، فليس بالشقة أي مكان يستطيع الاختباء فيه . وقد بحثنا في كل ركن في الشقة . . . ثم رأيته يعود » .
« كيــف ؟ »
« ظهر من تحت الأرض »
« من تحت أي أرض ؟ »

« حسنا . . . أرضية الشقة »
« هل لديكم قبو ؟ »
« كلا ، نحن نسكن في الطابق الرابع ، فكيف يكون لنا قبو ؟ »
« يابا . . . . اتعرف كيف يسكت المخرفون المزعجون ؟ انك هنا في معهد للأبحاث العلمية ، وأنا ليس لديّ وقت لسماع قصص خيالية » .
« لكني أعرف هذا . وبناء عليه حضرت ، من أجل العلم ، ومن جهة أخرى فان ابني سيبقى مختفيا في « البعد » .

« من الصعب تصديقك ، فمن المتوقع أن يكتشف البعد الرابع عام ١٩٩٥ ، بل اننا حتى الآن غير واثقين من نجاحنا في اكتشافه » .
لزمت الصمت مفحما . . . أخيرا قال ببطء :
« حسنا ، أحضر ابنك هذا ودعه يثبت لنا أنه اكتشفه » .
عدت الى المنزل سعيدا .
« اليوشا . . . أسرع يا عزيزي ، لدينا موعد في « معهد الابحاث العلمية » لمناقشة اكتشافك » .
قال ابني بهدوء : « يستطيعون الانتظار ، وعندما أنهي دراستي في المدرسة والجامعة سوف أذهب لأراهم » .
« ولم لاتذهب الآن »
« لأن . . . أنت لا تقرأ الصحف جيدا ، لقد قالوا ان التطور السابق لأوانه واجراء التجارب على مهارات الأطفال يعوق النمو الطبيعي » .
« لكنك لن تختفي ؟هــه »
قال جادا وهو يحك رأسه : « هذا يتوقف على سلوككم ، لكن هذا أكثر من أن يحتمل ، فمنذ وقت طويل لم أتناول اي قدر من الآيس كريم » .
يا للصبي المسكين . . .

أسرعت خارجا لاحضار بعض الآيس كريم . . . عندما عدت رأيت المشهد الآتي :
زوجتي تجري عبر الشقة باحثة عن ابننا . □□

كتاب الشهر
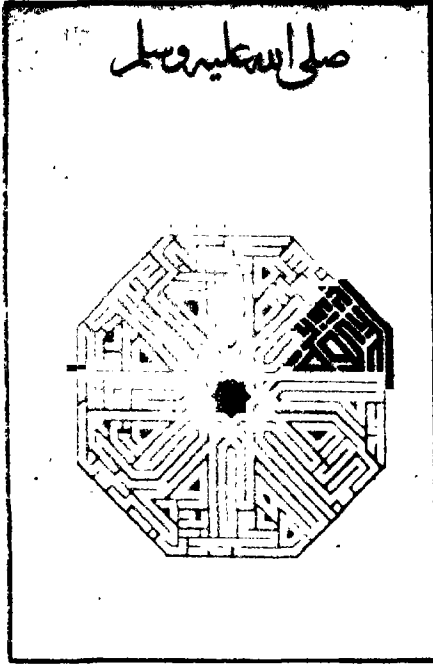
بقلم : الدكتور محمد الموافي

□ أيهما أجدى عند كتابة السيرة . . أن تقدم الأحداث التاريخية جامدة محددة . . أم يكون ذلك بطريقة روائية يعاد فيها تشكيل الأحداث لتأتي السيرة خلقا جديدا يعرف لأول مرة ؟

وكيف كان اختيار الكاتب « د . مارتن لنجز » في عرض كتابه الأخير « سيرة محمد » ؟

لاشك أن قارىء سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) لمؤلفها د . مارتن لنجز ـ القارىء العارف بالامور ـ سوف يدهش ويتساءل . . سيرة محمد ، في الغرب لها تاريخ طويل عريض؟ طويل لأنه يرجع الى العصور الوسطى وما قبلها ، وعريض لأنه لا توجد ثقافة يعتد بها لم يبذل المؤلفون فيها جهودا كبيرة للتعريف بهذه الشخصية البارزة على مستوى العالم كله منذ ظهوره تاريخيا في القرن السادس الميلادي حتى يومنا هذا ، أي طيلة أربعة عشر قرنا وتزيد .

أما دهشة قارىء محمد (صلى الله عليه وسلم) لكاتبها لنجز فلأن المؤلف ، بالرغم من هذا الثراء النادر في معالجة هذا الموضوع باقلام غربية ، غير مسلمة وغير عربية ، لم يشر الى أية معالجة من هذه المعالجات السابقة عليه في مقدمة أو فاتحة أو ذيلة أو تنويه بفضل أو رد على مزاعم . . الخ . لقد عودنا المؤلفون ، لا سيما في الغرب ، ان الواحد منهم اذا تناول موضوعا مطروقا سارع فأعطى القارىء نبذة عنه ، أو خلاصة ما وصل اليه البحث والاجتهاد من علم بهذا الموضوع . فاذا انتهى من هذه الخلاصة سارع فاثبت بأن ما قدمه في كتابه لايعدو أن يكون جهدا متواضعا يرجو به اضافة متواضعة للموضوع ، لم يقصد بها أن تكون الكلمة الأخيرة فيه ، خاصة اذا كان الموضوع ينطوي على مشكلات تاريخية أو جدلية تثير الخلاف عليها ، كما هو الحال في سير العظماء ، خاصة في العصور القديمة .

فما بال د . لنجز يصرف النظر تماما عن هذا التقليد ، ويكتفي بأن يضيف في صفحة العنوان عبارة « من أقدم المصادر » (العربية) . وهذه العبارة يفصلها المؤلف في الصفحة الأخيرة من الكتاب (رقم ٣٤٩ ـ وهو غير مطبوع) قبل فهرس الاعلام . فيذكر اشتمال هذه المصادر ، بالاضافة الى القرآن والسنة ، على كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ، وعلى سيرة رسول الله لابن اسحق ، وعلى كتاب المغازي للواقدي ، تضاف الى ذلك اشارات عابرة من أخبار مكة للأزرقي ، ومن تاريخ الرسل والملوك للطبري ، والروض الآنف وفيه يعلق عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي على ابن اسحق .

أقدم السير

لقد اعتدنا من المؤلفين الغربيين أن يشيروا الى أحدث البحوث تاريخا ، لاالى أقدمها ، وأن يحتجوا بالمعاصر والحديث من الكتب والمؤلفات ، لا الى الدراسات التي مرت عليها قرون . فمثلا اذا عنّ لأحد النقاد الآن ، أن يكتب عن شكسبير فانه لا يرجع الى ما كتبه عنه نقاد القرن السابع عشر ، ولا نقاد القرن الذي يليه من أمثال فولتير وصمويل جونسون،والذي غلب فيه العقل على العاطفة ، في الحكم على الأعمال الأدبية . أنه يرجع في المقام الأول الى أحدث نقاد القرن العشرين والى ابرز نقاد عصر الرومنتيكية .

لكن هاهو مارتن لنجز يعكس الآية فلا يشير الا الى أقدم السير . وللاجابة على التساؤلات التي تثور في نفس القارىء نذكر أنه حتى عهد قريب نسبيا في الغرب لم يخضع التأليف في سيرة الرسول محمد لما يخضع له التأليف عادة من اعتبارات أكاديمية ومناهج علمية ، حيث يبدأ الموضوع بحسبها على شكل نقطة أو نقاط صغيرة ، ثم لا يلبث بفضل البحث والدراسة أن تنكشف غوامضه وترتسم له أبعاد جديدة وتتسع حدوده . لكن سيرة محمد في الغرب ظلت قرونا مرتعا للمباراة في التعصب ومثارا للجدل الديني . ان الاصل في السيرة ، أي

سيرة ، أن تقدم بيانات عن شخص ما وعن ظروف حياته بقصد التعريف بها ، ويرجع كاتب السيرة ـ وان لم يكن مسلما ـ بأن البيانات التي يقدمها صحيحة ، اعتمادا على ما وصل الى يده من مصادر موثوق بها .

غير أن سيرة محمد في الغرب بدأت تقليدا مضادا ومعوقا لوظيفة السيرة . فبدأت باشاعة خرافات وترهات وأباطيل عن شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) وعن حياته ـ اشاعات تأبى الحشمة أن تردد مجرد أمثلة منها في هذا المقام المهيب ـ اشاعات وترهات أقلها كفيلة بالاساءة الى سمعة أي انسان ، فما البال بنبي الاسلام ،

لكن هذه الحملة الظالمة ، والحق يقال لم تكن تقصد لذاتها لأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) كان قد انتقل الى الرفيق الاعلى قبل بدء هذه الحملة بقرن ، بمثل ما كان يقصد بها أن تنعكس على الديانة التي أسسها محمد رسول الله ونبيه عليه الصلاة والسلام ـ هذه الديانة التي أحست

أوروبا بخطرها مذ نجحت في مد نفوذها بل فرض سيطرتها على الامصار التي كانت تحتلها الامبراطورية الرومانية : من بلاد الاناضول والشام ومصر الى بلدان شمال أفريقيا حتى المحيط الاطلسي وأسبانيا ، هذا الاسلوب في

التشهير لاشك أسلوب فعال ، فليس أفتك بالنظم من مهاجمة منظميها ، ولا بالنظريات بمنظريها . واذن فالغرب لم يكتف في حروبه الصليبية بتجييش الجيوش واحتلال المواقع . بل

قرن ذلك بحرب دعائية . فاذا كانت الوقائع العسكرية استمرت ثلاثمائة عام فالحرب الدعائية سبقت هذه الثلاثمائة عام ورافقتها واستمرت بعدها مئات من السنين . حتى الوقت الحاضر ، إن لم يكن في أوروبا وامريكا ، ففي اصقاع واسعة من أفريقيا وشرق آسيا حيث الجهالة العمياء والجوع الكافر الذى يسهل على المبشرين مهمتهم في تشويه الديانات الأخرى .

وتتركز هذه الحرب في تزييف صورة نبي الاسلام وتزييف آي القرآن ، كتاب المسلمين المقدس .

اسلوب الوحدة الآرسطية

يعود لنجز للمصادر العربية القديمة لا لينقلها بنصها وفصها ، ولا باستطراداتها وتشعباتها ، وانما ليعرف منها الحقائق وينقل زبدتها الى القارىء الغربي المعاصر بأسلوب يعالج الموضوع كله ، وهو هنا سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) كوحدة عضوية أو شبه عضوية ، كل واحد متكامل تخضع فيه جميع الاجزاء ، وهي هنا وقائع حياة الرسول ، لكيان واحد هو سيرة محمد ، حيث تجد أنه مهما تعددت الفصول ،واختلفت عناوينها ، فلا أحد منها يشطح أو يبعد بأخباره ومحتوياته كثيرا عن الموضوع الرئيسي المجمع لهذه الأجزاء . واذا تسرع القارىء وحكم من عنوان فصل ببعد مادته أو صلتها بمحمد لم يلبث أن يغير حكمه اذا بلغ نهاية الفصل .

هذا الاسلوب في التأليف أو التركيب الذي يمكن أن نسميه اسلوب الوحدة الأرسطية يتجلى على أتمه في الادب الانشائي من مسرح ورواية . فالمسرحية أو الرواية الأرسطية كل متكامل لايقبل الزيادة أو النقصان . وقد اصطبغ بهذا المفهوم لوحدة الموضوع أيضا الكتابات الوصفية مثل أدب السير . وقد تمخض هذا الاسلوب في الكتابة الانشائية والوصفية على السواء عن مفهوم الفلسفة اليونانية للكون كما يقرر الباحث .

وهو مفهوم ورثه عنهم الرومان ، ثم العصور الوسطى في أوروبا . أما العرب والمسلمون حتى العصر الحديث ، كما يؤكد نفس الباحث ، فقد كان لهم تصور للجمال ـ أيضا ناتج عن تصورهم الخاص للكون ـ يختلف عن تصور اليونان له .

العمل العربي الفني القديم مفتوح النهاية عبر سدودها ولا محدودها . بعبارة أخرى عمل فني ترى له بداية ، ولكنك لا ترى له وسطا ولا نهاية ، واذن فأنت لا تنتظر نهاية ـ كما تفعل في الفنون الغربية ـ حتى يكتمل لك معنى العمل ويتحقق لك الاحساس بجماله . بل أن هذه التجربة الجمالية لتتحقق في كل جزء أو فقرة أو مرحلة أو واقعة ، على حدة . . فاذا كان العمل الفني من الزخارف الاسلامية كان قصيدة جاهلية أو أي شعر على غرارها جاء التأكيد فيها على كل بيت على حدة ، ومثل ذلك في قصة الاطار في كليلة ودمنة أو في الف ليلة وليلة . تبدأ ويمكن أن تستمر حلقاتها الى مالا نهاية . وهذا غير نظرية الجمال الارسطية ، وفيها نعيب العمل الفني الزيادة كما يعيبه النقص ، ويخضع فيه تقييم الجزء للدور الذي يلعبه هذا الجزء في تحقيق المعنى الكلي للعمل ومن ثم حدوث التجربة الجمالية التي تتوقف على المعنى العام لا على المعاني الجزئية كل على حدة .

الخلق الروائي للسيرة

وبعد فقد أسلفنا أن هذا التصور الأخير قد تأثرت به المؤلفات غير الانشائية ومنها كتابة السيرة ، وان لنجز في كتابه محمد سار في هذا الطريق وحقق منه ما تسمح به طبيعة الموضوع ، فدمج مصادره القديمة في كيان واحد أقرب الى مفهوم الوحدة الارسطية الذي لايطغى فيه جزء على كل . بل يخضع له في التأثير العام .

هذا من حيث الاسلوب أما من حيث الموضوع فقد نجح مارتن لنجز في تجنب ثلاثة أنواع من السير ، الأول يركز على الجدل الديني ، وهو الذي طغى على سيرة محمد في الغرب في الماضي . لكن هذا النوع لم يعد يجد طلبا عليه في عصرنا هذا الذي انصرف عن الدين انصرافا يكاد أن يكون تماما ، والنوع الثاني وهو السير الاكاديمية من مثل المجلدين (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) تأليف مونتجمري زات Montgomery zatt وهو أدنى الى روح العصر الذي نعيش فيه ، والذي تهمه اكتشاف الحقيقة تاريخية كانت أو عملية بصرف النظر عن مساس ذلك الاكتشاف بالاصول الموروثة ، وبصرف النظر عن تأثيرها أو عدم تأثيرها على العقائد الدينية ، وهذا الجنس من السير صغير الجمهور لأنه لا يستمد جمهوره من عامة المثقفين وانما يستمده من العلماء المختصين ومن الدارسين الاكاديميين . أما النوع الثالث من السير فهو وليد النوع الثاني بمعنى أنه يعتمد تمام الاعتماد على نتائج البحوث والدراسات الاكاديمية . فهو سرد لما توصلت اليه هذه الأخيرة من حقائق . لكن لا يشترط فيه كما يشترط في البحوث الاكاديمية باثارة قضايا لمحاولة اثباتها أو بنفيها ، كما لا يشترط فيه أحداث تأثير فني ما في القارىء كما نجد مثلا في سيرة محمد ، ضمن كتاب « الابطال وعبادة الابطال » لكارليل ، انما المقصود به مجرد الاخبار والاعلام وهذا النوع من السير هو الذي نجده عادة في الموسوعات وأشباه الموسوعات ، وأود أن أثبت هنا أن النوعين الثاني والثالث من سيرة محمد ، أي السير الاكاديمية والسير الاخبارية شيء معمول به في كل الثقافات ولا تختص بها سيرة محمد في الغرب بالذات .

أما مارتن لنجز فقد استهدف في سيرته لمحمد ﷺ هدفا يستفيد فيه بنتائج النوعين الثاني والثالث ويضيف اليهما غرضا جماليا لا يتحقق في أيهما والحاصل هو خلق جديد للسيرة النبوية بالانجليزية أشبه ما يكون بالخلق الروائي الذي يستحوذ على حواس القارىء فلا يكاد يدع الكتاب قبل أن يكون قد اتمه . وأرجو الا يسيء القارىء فهمي فيظن خطأ أنني أقصد أن مارتن لنجز اعتمد على خياله فأضاف من عنده أشياء لأحكام حبكة الرواية . حاشا لله أن يفعل شيئا من ذلك وهو الذي يعامل مصادره العربية بما

يشبه التقديس . وانما استخدم لنجز خيال روائي مدرب في ترتيب الأحداث التي تنطوي عليها سيرة الرسول ﷺ فقدم وأخر ، وأطال وأقصر حتى تحولت روايته لكل حادثة الى قطعة فنية تضافرت فيما بينها في فصول الكتاب البالغة خمسة وثمانين لتتألف من مجموعها سيرة الرسول .

هذه الروائية ، كما قلت وأكرر هنا ، صفة لم تأت نتيجة لاضافة أحداث بل لاعادة تشكيل الأحداث التاريخية بحيث تبدو كالروايات الفنية المحكمة الحبكة . . انها أيضا نتيجة للنظر الى تلك الاحداث والوقائع التاريخية من منظور فنان روائي يعرف كيف يؤثر في انسانية القارىء ويثير مشاعره . لقد علمنا عبد الرحمن الشرقاوي في سيره الأخيرة للخلفاء الراشدين وبخاصة « على امام المتقين » ، كيف يحول التاريخ الجامد الى رواية حية وذلك اعتمادا على مبدأين هما : أولا اختيار نوع التفاصيل التي تكشف عن الانسان وليس فقط خطوط السيرة الرسمية التي يعتمدها المقدمون . وثانيا دمج هذه التفاصيل الانسانية في كيان جديد لا تتباعد فيه ولا تتنافر بل تتفاعل وتتماسك . فاذا السيرة كأنها خلق جديد نعرفه لأول مرة

اعادة تشكيل الأحداث

وهذا تقريبا ما فعله لنجز في سيرة الرسول . انه لم ينس فيما اختاره من تفاصيل أن يدمج تلك التي تكشف عن أغوار النفس البشرية مع الروايات التاريخية الجامدة وبذلك يحولها الى لوحة تموج بالحياة وتنبض بالحركة والعاطفة وفيما يلي قصة لمت شملها من فصول متفرقة من السيرة الراهنة ، وهي تثبت ما لاحظته من عناية المؤلف بتفاصيل قد لا يعيرها المؤرخ التفاتا . ولكن كاتب سيرة حية يهمه ما يدور بخلد النفوس أكثر مما تهمه أخبار المعارك العسكرية لا يسعه أن يستغني عن هذه التفاصيل وسوف يتبين قارىء هذه القصة - ومثيلات لها في السيرة الراهنة - أنه لولا الرجعية العقيمة لأقبل عليها الشعراء والروائيون وكتاب المسرح وصنعوا منها روائع في هذه الفنون تعمق تأثير الدين في القلوب أكثر مما تفعل الخطب المنبرية والوعظ الساذج .

قصة زينب وأبي العاص

كانت هالة قريبة الى قلب أختها خديجة زوج رسول الله ﷺ . وكان ولد هالة أبو العاص بن الربيع أثيرا لدى خالته خديجة فخطبته - وشجعها الرسول ﷺ على ذلك - الى ابنتيها زينب . فكان أبو العاص أحب أزواج بنات خديجة اليها . لكن أبا العاص لم يدخل الاسلام حتى بعد أن دخلته زوجته زينب وقد تعرض أبو العاص لضغوط كثيرة وكبيرة من قبل عبد شمس القبيلة التي انتمى اليها أبو سفيان بن حرب ، لكي يطلق ابو العاص زينب ، ووعدوه ان هو طلقها أن يجدوا له زوجة أخرى هي أجمل وأغنى من بمكة من النساء . غير أن حبه لزينب وحب زينب له حالا دون هذا الاغراء (ص٧١)

ثم أسر أبو العاص في بدر واحتجز في كنف الرسول ﷺ . وجاء الى المدينة أخوه عمرو بن العاص بمال ارسلته معه من مكة زينب لتفتدي به زوجها ، ومع المال أرسلت عقدا من العقيق اليماني كانت أمها خديجة قد اهدتها اياه بمناسبة زواجها من أبي العاص . فلما رأى رسول الله ﷺ العقد امتقع لونه وقد تعرف فيه على عقد خديجة ، فاهتزت جوانحه وقال لكل من كان يستحق من فدية الأسير - قال رسول الله ﷺ ما معناه : « اذا شئتم أن تطلقوا سراح الزوج الأسير وتردوا فديته الى زوجته فالشأن شأنكم» ففعلوا ورجع المال والعقد مع ابي العاص نفسه . وحتى مع هذا لم يدخل أبو العاص الاسلام .

فطلب منه الرسول لما تهيأ أبو العاص للعودةالى مكة أن يرسل بزينب الى المدينة لأن آية من القرآن نزلت تحرم بقاء زوجة مسلمة على ذمة زوج مشرك .

وبعد غزوة الخندق كان أبو العاص في طريقه الى مكة عائدا من الشام على رأس قافلة غنية بحمولتها لا سيما من الفضة . فاغارت عليها فرقة فرسان بقيادة زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، فاستولت على القافلة كلها بما في ذلك رجالها وساقتهم أسرى الى المدينة . الا أبا العاص نفسه الذي نجا من الأسر . فسعى وقد جمح به الشوق الى أمرأته زينب وابنتيها أمامه يريد زيارتها . وسار متخفيا تحت جنح الليل وطرق عليها الباب وأدخلته زينب . ولما لم يكن الوقت بعيدا عن مطلع الفجر فقد هرعت الى المسجد وأخذت مكانها مع أخواتها ومع هواتهن في الصف الأول وراء صفوف المصلين . وكبر الرسول لدخوله الصلاة وردد الجمع من ورائه التكبير . وفي الهنيهة التي أعقبت ذلك صاحت زينب بأعلى صوتها : « أيها الناس ، اعلموا أنى قد أجرت أبا العاص في بيتي » ثم دخلت الصلاة بعد التكبير . فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة خاطب المصلين قائلا ما معناه : « هل سمعتم ما سمعت ؟ »فسمعت همهمة ايجاب ترددت في المسجد . فقال : « والذي نفسي بيده ما علمت شيئا من هذا الأمر حتى سمعت ما سمعنا . وان أضعف مسلم ليستطيع أن يجير ويكون عمله ملزما لسائر المسلمين » . ثم قام الى ابنته وقال ما معناه : « أحسني استقباله ولكن لا يقربنك كزوج ، فأنت لست حلاله » ثم اطلعت زينب أباها على ما يكابده أبو العاص من هم بسبب فقده التجارة التي اجتلبها من الشام بالمقايضة نيابة عن العديد من تجار قريش الذين ائتمنوه على تجارتهم لأنه كان من أكثر أهل مكة استحقاقا لهذه الثقة والائتمان . فارسل النبي الى أفراد الحملة الذين استولوا على المال وقال لهم ما معناه : « هذا الرجل ، كما تعلمون قريب لنا ، وأنتم قد استوليتم على مال له ، فاذا شئتم أن تحسنوا فتردوا عليه المال ، فذلك مما يرضيني ، واذا أمسكتم عليها المال فانه غنيمة أفاءها الله عليكم أنتم أحق بها (ص ٢١٥) . فوعدوا الرسول خيرا . بل ذهبوا الى حد أن ردوا له كل شيء بما في ذلك قرب الماء والقوارير الصغيرة من الجلد . ولما كانت هناك دلائل تدل على أن أبا العاص يفكر في دخول الاسلام قال له أحدهم : « لم لا تدخل الاسلام فيحق لك الاستيلاء على هذه التجارة التي هي ملك للمشركين؟» فقال أبو العاص : « لبئسها بداية لاسلامي . تريدني أن أخون الأمانة ؟ » وأخذ البضاعة الى مكة وسلمها لذويها . ثم عاد الى المدينة ودخل الاسلام .

ومؤلف هذه السيرة النبوية قديم العهد بالاسلام متخرج من جامعة اكسفورد في الثلاثينيات الأولى بعد أن درس الادب الانجليزي ، وربما تعلم فيها أيضا مبادىء العربية . وجاء الى مصر في أخريات الثلاثينيات وقد اعتنق الاسلام واختار لنفسه الاسم : أبو بكر سراج الدين . وعكف في أوقات فراغه على قراءة النصوص العربية في التصوف وكتب رسالة فيه وبقي يعمل استاذا للادب الانجليزي بجامعة القاهرة الى عام ١٩٥٢ حين عاد الى انجلترا وعمل أمينا على الكتب والمخطوطات العربية بمكتبة المتحف البريطاني بلندن (الآن : المكتبة البريطانية) الى أن أحيل الى التقاعد ، فأسهم في الاعداد لمهرجان الاسلام الذي عقد في لندن فى أواسط السبعينيات . ومن ذلك أنه سافر الى كثير من العواصم الشرقية ليجمع التحف القرآنيةوغيرها . كما اشترك فيما انبثق عن هذا المهرجان من مؤلفات فى الاسلام وفي الفن العربي . وله قبل ذلك كتب في الاصول الدينية وفي التصوف كما أن له ديوانين قصيرين من الشعر .

□□

اتجاهات فى التربية العربية

الكاتب : د . منير بشور .
الناشر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس
سنة النشر : ١٩٨٢ م .

يتناول هذا الكتاب ثلاثة موضوعات أساسية تتعلق بسياسة التربية والتعليم فى الاقطار العربية هى :
- التعليم الاساسى بما فيه تعليم الكبار ومكافحة الأمية .
- تنويع التعليم الثانوى .
- تطوير الادارة التربوية .

ويقارن المؤلف بين هذه السياسات التطبيقية وبين الاستراتيجية التربوية التى وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٧٩ ليستكشف مدى التطابق أو الاختلاف بين ما أوصت به الاستراتيجية وبين ما يحدث على أرض الواقع . ويخرج بنتيجة مؤداها

« لا يمكن تحقيق التعليم الاساسى فى غياب الالتزام الاعمق بتغيير البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، واطلاق هذا التغيير على أرض الواقع ، والتوق الى تحقيق ديمقراطية التعليم ، ورفع وتحسين مستواه ومحو الامية وتعليم الكبار وغير ذلك ، مما لا يمكن أن يكون لها تأثير الا بالقدر الذى تنجح فى استيعاب حركة الواقع داخل بنية النظام التربوى » .

علماء وادباء ومفكرون

الكاتب : د . عبد العظيم أنيس .
دار النشر : مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٣ م .

أصبح التراث ـ بقضه وقضيضه ـ يحمل صفة التقديس عند بعض الفئات .
مع أن فيه الكثير مما عفا عليه الزمن ودرسته الايام . وفيه أيضا المشرق والوضاء والذى يمكن احياؤه والبناء عليه .
يقول المؤلف فى مجال « احياء التراث العلمى العربى »

« ما من عمل يجل في مجال احياء تراثنا قدر احياء تراثنا العلمي العربي . ان هذا العلم هو احياء لأروع أعمال الفكر العربي في أزهى عصوره ، وهو ضرورة لازمة ونحن نحاول من جديد أن نبني حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعملية على أسس عقلية رشيدة ونحن بهذا نصل الماضي بالحاضر ، وننفض الغبار عن القاعدة التاريخية التي يقوم عليها بناؤنا المجيد اليوم ، وندس الاساس المعنوي الفكري للقومية العربية » .

ولم يكتف الكاتب في كتابه بطرق المعارف العلمية فقط ، بل « تجوب بين صفوف من المعارف الانسانية قد نراها متباعدة بعضها عن بعض أو غير متجانسة ، وقد نرى نوعا من المفارقة ، مثلا ، بين ذكريات عن طه حسين ، والبحث في « التكنولوجيا الجديدة » والدراسات عن اينشتاين وافرست غالواه أحد كبار علماء الجبر في القرن التاسع عشر وغاليليو وأرسطو وابن الهيثم ، وعن الفلسفة الوضعية المنطقية . وعن « مستقبل البحث العلمي في وطننا العربي » ثم عن شاعر الالمان العظيم غوته . . الخ

هذا ويمكن القول بأن الكتاب ما هو الا مجموعة مقالات متنوعة الاهتمامات والمعالجات كان الكاتب قد نشر بعضها في الصحف والمجلات من قبل وبعضها نشر في مجلة « العربي » بالذات .

مجالس التذكير

- من كلام الحكيم الخبير
- ومن حديث البشير النذير

الكاتب : الشيخ عبد الحميد بن باديس .
الناشر : وزارة الشئون الدينية - الجزائر

سمعنا وقرأنا كثيرا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس وعن دوره في مواجهة محاولات فرنسة الجزائر في بدايات هذا القرن .

لكننا لم نقرأ كتاباته واجتهاداته التي لم تخل مجلة « الشهاب » الجزائرية منها طوال فترة صدورها في مدينة قسنطينة التي شهدت جل نشاطه وكانت قاعدته وملاذه ومركز حركته الاصلاحية والتربوية .

وقد جمعت وزارة الشئون الدينية في الجزائر مقالاته وتفسيراته وشروحه للآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة في كتابين تسد ثغرة عدم وصول مجلة « الشهاب » الى الكثير من المناطق والاقطار .

خاصة وانها صدرت في عشرينيات هذا القرن . وقد جاء في المقدمة التي كتبها السيد عبد الرحمن شيبان - وزير الشؤون الدينية ما يلي : -

« وفسر الامام ابن باديس بقلمه مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة ، والاحاديث النبوية الشريفة ونشرها افتتاحيات في مجلة « الشهاب » تحت عنوان « مجالس التذكير ، من كلام الحكيم الخبير ، وحديث البشير النذير »

كتاب التجليات

الكاتب : جمال الغيطاني
الناشر : دار المستقبل العربي - بيروت
سنة النشر : ١٩٨٣ م .

عبر ما يزيد على ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، يضعنا جمال الغيطاني في أجواء تجلياته التي استعار لها العبارات النثرية الملفوفة بالشحنات الصوفية والمرفودة بأفضل ما قيل من شعر صوفي لكبار شعراء الصوفية كابن عربي وغيره .

فما هي حقيقة هذه التجليات ؟

انها رواية . صاغها المؤلف بهذا الاسلوب المتفرد الذى سبق وان جاء مشوبا في بعض رواياته وقصصه السابقة ، الا أنه أجاد سكه وتنقيته في روايته الاخيرة هذه

وقد وزع جهده على صب تجلياته ضمن الاسلوب المشار اليه ، لكنه لم يغفل عن مزاوجتها بالأحداث الدرامية التي يحاكم من خلالها مشاكل الزمان وقضايا العصر

وقد جاء في الرواية .

« انتبهت فاذا بنور ساطع يشرق في نبض نفسي ، ونور ليس مثله مثل حتى ظننت انني عدت الى مركز الديوان البهي ، ثم رأيت في بؤرته ثلاثة وعلى مسافة خلفهم ثلاثة . وفي منتصف المسافة بينهم واحد . أما الثلاثة الأول فيتوسطهم حبيبي وقرة عيني ورفيق تجلياتي وملاذ همومي ومقيل عثراتي أمامي الحسين سيد الشهداء ، الى يمينه أبي والى يساره عبد الناصر

ديوان الشوكاني

« أسلاك الجوهر »

والحياة الفكرية والسياسية في عصره

تحقيق ودراسة ونشر : د حسين عبدالله العمري ـ صنعاء .

من هو الشوكاني ، وفي أي عصر عاش . وما هو دوره في الحياة العامة ؟

يقول المحقق هو محمد بن محمد بن عبدالله الشوكاني الصنعاني . ولد سنة ١٧٥٨ م وتوفي سنة ١٨٣٤ م . علامة ، فقيه ، أصولي ، محدث ، مفسر ، محقق ، ناقد لغوي ، مؤرخ ، أديب ، قاض ، مصلح ، سياسي .

ويضيف نعم ..هو هذا كله ، له ما يربو على مائة كتاب وبحث ورسالة لا مجال لبسطها أو الحديث عن اي منها . والذي يهمنا الآن من كل صفات الرجل هو الشوكاني الاديب والشاعر ، لكننا في واقع الامر لا نستطيع فصل هاتين الصفتين عن سائر صفاته التي ذكرناها . فهو وان قال شعرا يبث فيه أشواقه . يجد أو يهزل ، يمدح أو يرثي ، فمعظم شعره الآخر ، شعر العالم والناقد واللغوي والمصلح ، والمجتهد المحارب للجهالة والتعصب ، الداعي الى الحرية والتحرير من ربقة المذهبية الضيقة والتقليد الاعمى ، وفساد الموظفين ، ويضيف في مكان آخر : ان الشوكاني الشاعر الذى نقدمه اليوم ـ والذي نستطيع أن نفرده عن بقية صفاته ـ شاعر ملتزم بآرائه ومواقفه وقضايا مجتمعه ، وكانت حياته وأدبه وعلمه رجعا صادقا للظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي كانت تعيش فيها اليمن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والثلث الاول من القرن التاسع عشر للميلاد .

ومن أجوائه الشعرية :

وليس يزول الضر الا بكلفة
ومن رام اذهاب القذى خضّ عينه

حوار القراء

الانسان اليمني

نشر في العدد (٢٩٨) مقالة عنوانها « محمد عبد الولي » وبداية القصة القصيرة في اليمن ، وقد وردت فيها بعض العبارات لم اعرف ماذا يقصد الكاتب منها مثل . .

« لقد خانوا تربيتهم لانهم لم يدفنوا فيها » و « والقاص لا يحرم المهاجرين من عطفه وحسب وانما يتهم كل من يترك بلاده بالجبن والتخاذل . . »

ومثل هذه العبارات فيها تهكم وسخرية لذلك الانسان الذي خرج بحثا عن لقمة العيش بشرف وكرامة ، والانسان اليمني لم يعرف عنه انه كان جبانا أو متخاذلا . .

واذا كان الكاتب قد اخطأ فكيف نوافقه ـ لقد عاش الكاتب أياما غلب عليها السواد وحتمت

العربي . . والحرية

كان لكتاب « الحرية » الذي قدمتموه لقراء العربي ، أطيب الاثر في نفوسنا وحينما فرغت من قراءته شعرت ان الروح الفكرية للمرحوم الدكتور أحمد زكي لا تزال تعيش بيننا ، ولا يزال قراء العربي ينهلون من هذا الفيض الواسع الذي عودنا عليه الدكتور زكي رحمه الله . .

وقد صنعت العربي خيرا حينما خطت الخطوة الاولى باصدار مثل هذا الكتاب ليضيف خدمة ثقافية جديدة الى جانب الخدمات الجليلة التي تقدمها العربي لكل ابناء العروبة . .

محمد عبد المحسن المبارك ـ الرياض
المملكة العربية السعودية

العربي :

شكرا لقارئنا العزيز ولكل من ارسل الينا مشيدا بالكتاب الاول للعربي ـ وما قمنا به هو جزء من رسالة هذه المجلة تجاه كل قارىء للعربي

الاستطلاع . . بدايتي مع العربي

هذه أول رسالة اكتبها الى مجلتنا الحبيبة « العربي » وكم أشعر بنشوة عارمة وانا أخط لكم سطور هذه الرسالة ـ فالحمد لله الذي اعزنا بالاسلام وربط قلوبنا به وبالعروبة .

واني اذ اكتب لكم هذه الرسالة فان ذاكرتي تعود الى الوراء حيث ذكرياتي الحلوة مع العربي حين وقعت عليها عيناي لاول مرة وانا لا ازال صغيرا فهي اول مجلة بدأت بقراءتها ، وكنت اتسلى بالصور الملونة التي توضع

إعـــداد : يـــوسف شهاب

عليه القساوه . .
والانسان اليمني هو الذي رفع نهضة بلاده وعزز من مكانتها بين دول العالم ـ وكل هذا كان بالعزيمة والعلم وتحدي الصعاب . .

مسعد علي احمد صالح ـ البحرين

مع الاستطلاع المصور ـ وبعد نمو ثقافي بدأت بقراءة ما يحويه الاستطلاع من كلام وشرح وافهم الكثير منه .
وهكذا فمن هذا الاستطلاع بدأت قصة حبي مع المجلة ـ هذا الى جانب ما أقرؤه من ابواب وشخصيات عربية وغير عربية وطرائف عربية وغير ذلك من الابواب ذات الثقافة الواسعة للقارىء ، واعترف ان الفضل في تنمية ثقافتي العامة واتساع مداركي يعود اولا واخيرا الى مجلتنا العربي التي كانت ولا تزال أنيس كل قارىء في وحدته .

عبد الرحمن ناصر اليهري
حضرموت ـ اليمن الديمقراطي

المستقبل . . آفة العصر

تعقيبا على مقال الدكتور محمد علي الفرا . . المستقبل . . الى أين ؟ لي الشرف بعرض النقاط التالية التي وجدتها فرصة لابداء الرأي فيما تناوله الكاتب .
وما من شك بأن ما كتبه الدكتور الفرا ، هو حقيقة عقلانية تعتمد على منطق سوى قائم على المعرفة العلمية والاجتماعية .
ان الخوف من المستقبل هو آفة العصر ونتيجة حتمية للتطورات والمخترعات التي ابتكرها الانسان لتكون وبالا على نفسه ، ولكن هناك مشكلة لا بد من طرحها والتعمق في تفسيرها ، وهي الانسان وبمعنى أدق دور الانسان في المستقبل . . أناقش في هذا المجال ، ـ مع احترامي لرأي الدكتور الفرا ـ نقطتين هامتين احداهما ذكرت والاخرى لابد من ذكرها . .
وكما ورد في المقال . ان المستقبل شيء لا يتفق مع الكم والكيف ولا يخضع لقوانين ثابتة ، ولا يفسر بالاستقراء أو بالاستدلال انه الشيء الوحيد الذي يدفعنا للاستمرار في الحياة ، فليس هناك حاجز ملموس يفصل بين مستقبل المنظور وغير المنظور . وليس هناك علاقة سببية بينهما على الاطلاق ، فما هو مستقبل فهو مطلق وليس ذا منظور قريب أو بعيد ، فهل نخطط لخمس سنوات او لعشر سنوات ؟ وهل هذا هو « المستقبل القريب » ؟ .
ولو افترضنا جدلا بأن هناك مستقبلا منظورا ، فما هو ؟ ومتى ؟ وما احكامه وقوانينه ؟ وما علاقة النفس البشرية به؟
كل تلك الاسئلة بحاجة الى تفسيرات مقنعة تضع النقاط على الحروف ولا يمكن ذلك الا بقدوم ذلك المستقبل الغامض الذي قد يخيب آمالنا ويقضي على احلامنا ويعيد الشقاء والتعاسة من جديد . . ان مجلة العربي « لكل العرب » فأنيروا دروبنا باقلامكم .

محمد الحسين . . كلية الآداب ـ دمشق

حوار القراء

الفصحى والعامية

قرأت في العدد (٣٠٤)من مجلتنا العربي للدكتور أحمد حطاب تحت عنوان « دعوة مقنعه الى العامية » رغم نفيه ذلك في بداية المقال ، والحقيقة ـ أن الفصحى تعاني في زماننا هذا من محنة حقيقية تتمثل في قلة عدد الناطقين بها وهذا يعود في جزء منه الى عهد الانحطاط الثقافي الذي ابتليت به الامة العربية . وفي جزء منه الى محاولات الاستعمار لتفريق أمة الضاد التي كرمها الله وانزل القرآن بلغتها ، ويرجع السبب الآخر في ذلك الى محاولات بعض الكتاب العرب الذين أوحوا الى الناس بصعوبة اتقان الفصحى ودراستها حتى انك لتجد بعض الذين يحملون الدكتوراه وهم يعتبرون في الوطن العربي من المثقفين ، ومع هذا يعجزون عن التحدث بالفصحى لفترة قصيرة

محمد سالم السعاشي ـ
الاسكندرية ـ
جمهورية مصر العربيه

عندما يحسم المختبر قضايا المواريث

شد انتباهي ما أورده الدكتور سبوت حنيم دوس في الصفحة ٧٤ (عدد يونيو ' ٨٢) من مقاله (عندما يحسم المختبر قضايا المواريث) فالميراث وأنصبة الورثة تتحدد في الآيتين التاليتين من سورة النساء وذكر الآيتين ١١ و ١٢

ولما كانت آيات المواريث ثلاثا وردت في سورة النساء فيكون عدم ذكر الآية ١٧٦ مخالفاً للحقيقة واليك نص هذه الآية :

(يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين)

ويقول الدكتور في مقاله انه استخلص من هاتين الآيتين

ثالثاً ـ للزوجة التي لم تنجب ربع التركة فاذا انجبت فلها الثمن أما الزوج فيكون له النصف فان أنجب فله ربع التركة

وأقول ان الدكتور لم يوفق فيما استخلصه أعلاه والصحيح كما يبدو لي

١ ـ إن للزوجة المتوفى عنها زوجها ربع التركة إن لم يكن له فرع وارث ذكراً كان أو أنثى منها أو من غيرها . فلو مات عن زوجة وأختين شقيقتين وجدّ مثلا فللزوجة ربع التركة وللأختين الشقيقتين الثلثان وللجد السدس

أما لو مات عن زوجة وكان له من زوجته هي أو المتوفاه أو المطلقة منه طلاقاً بائناً أولاد فلها (للزوجة أو الزوجات التي في عصمته) ثمن التركة والباقي للأولاد بالتعصيب(للذكر مثل حظ الأنثيين)

٢ ـ للزوج من تركة زوجته المتوفاة نصف التركة ان لم يكن لها فرع وارث ذكراً كان أو أنثى منه أو من غيره . فلو ماتت الزوجة عن زوج وأب فلزوجها نصف التركة والباقي لأبيها ويأخذ الزوج ربع التركة من زوجته المتوفاة إن كان لها فرع وارث ذكراً كان أو أنثى منه أو من غيره . فلو ماتت عن زوج وأب وابن فللزوج الربع وللأب السدس والباقي للابن .

غانم سعيد السماك
دمشق

حل مسابقة العدد
(رقم ٣٠٤)

المنشورة في عدد مارس ١٩٨٤م

١ ـ صواب . . فمساحة المنطقة أو القارة القطبية الجنوبية تبلغ ١٣٫٧٢٧٫٠٠٠ كم٢ ، ومساحة استراليا لا تزيد على ٧٫٧٠٤٫٤٤١ كم٢ .

٢ ـ منغوليا شطران . منغوليا الداخلية ، وهي اقليم تابع للصين ويتمتع بالحكم الذاتي ، ومنغوليا الخارجية وهي جمهورية مستقلة تربطها بالاتحاد السوفياتي اتفاقية العون المتبادل ، علماً بأنها احتضنت نظام الحكم السوفياتي سنة ١٩٢٤ واعترفت الصين باستقلالها سنة ١٩٤٦ .

٣ ـ صواب . فطارق بن زياد لم يحظ بما استحقه من تقدير ، بل عوقب وعذب كالمجرمين .

٤ ـ صواب . فأحجار الساعات أحجار كريمة .

٥ ـ خطأ . فالضوء فيها يعتمد على مواد وأساليب مختلفة . .

٦ ـ خطأ . فهو ينقر الخشب طلباً للطعام . . وبحثاً عن الكائنات الدقيقة التي تعيش في الخشب وعليه .

٧ ـ صواب . فالدبّور يعتبر أول صانع للورق في التاريخ .

٨ ـ صواب . فالحوت هو أكبر الحيوانات جميعاً بما في ذلك الديناصورات . .

٩ ـ صواب . فكلا من الوطواط والحوت من الحيوانات اللبونة .

١٠ ـ خطأ . فالاخوان رايت اشتهرا بصنع أول طائرة أقلعت وطارت بمحرك

١١ ـ خطأ . فالمثل (تمخض الجبل فولد فأراً) منسوب الى الشاعر الروماني هوارس .

١٢ ـ خطأ . . فقد سميت (بيج بن) نسبة الى السير بنجامين هول . . .
الذي تولى الاشراف على بناء البرج وساعته والذي تحمس للمشروع كثيراً في مناقشات البرلمان له .
وكان الرجل ضخم الجثة . من هنا كان لفظ بيج . . أما بن فاختصار لاسم بنجامين . .

الفائزون فى المسابقة

الجائزة الاولى . رشدى محمد مرشدى زهدان/ ابها ـ المجاردة/ المجمع القروى ـ المملكة العربية السعودية

الجائزة الثانية فوزية عبد الجليل عماشة/ مساكن الكويت ـ جمهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة يسرى جميل كامل/ جامعة دمشق/ دمشق/ سوريا

الجوائز التشجيعية الثمانية

عبد القادر عثمان البنا/ ص . ب ٤٤٧٥/ كريه ـ عدن/ اليمن الديمقراطية
نوال يعقوب جاسم/ الكويت
اغتاج عزيزة/ مراكش المغرب
السيد بن حصير عماد بن عيسى/ بلدية عين جاسر/ دائرة مروانه ـ ولاية باتنه/ الجزائر
بدر الدين أحمد حسب الرسول/ الخرطوم/ السودان
وفاء امين الشيخ/ كفر الزيات/ مصر
لطيفة ابراهيم الشعبان/ دولة البحرين
ايمن منذر قاسم عبد المالك/ اربد/ الاردن

يونيه ١٩٨٤

أكثر اسئلة هذه المسابقة ذات طابع رياضي . . فالألعاب الأولمبية التى تقام مرة كل أربع سنوات والتى تشمل العالم بأسره وتشمل ايضا الالعاب الرياضية كلها تقريبا لمناسبة جديرة باهتمام الناس جميعا لا سيما الشباب . واننا اذ نتمنى لكم التوفيق في الاجابة على (١٠) اسئلة من الاسئلة التالية اجابة صحيحه لتفوزوا باحدى الجوائز القيمة لنرجو ان تتقيدوا بشروط المسابقة الثقافية الخاصة بوصول اجوبتكم في غضون شهرين وذكر عناوينكم بوضوح داخل رسائلكم .

١ ـ الالعاب الاولمبية . . . لم سموها بهذا الاسم ؟

* نسبة الى جبل اولمبوس الموجود في اليونان قرب أثينا العاصمة ، وكان الجبل مقر الآلهة في اعتقاد الاغريق .
* نسبة الى بلدة أولمبيا في اليونان وكانت قديما مقر عرافة شهيرة .
* نظرا لضخامة المهرجانات الاولمبية . . فاللفظ لاتينى ويرمز الى الضخامة .

٢ ـ مباراة ركض المراثون . . ما المسافة التى يقطعها المتبارون فيها ؟

* ٥ر١٥ ميلا
* ٥ر٢٢ ميلا
* ٢٦ ميلا و ٥ر٣٨ ياردة .

٣ـ التنس وكرة السلة وكرة القدم . . . ما أصل هذه الالعاب . . ؟
انجليزية او فرنسية أو امريكية . . ؟

٤ ـ الملاكمة رياضة قديمة جدا وعنيفة . . ويقال انها كانت تمارس بقبضات عارية . وكانت مباريات بطولتها تستمر ساعات وساعات حتى يطرح احد المتبارين خصمه ارضا ويحرز النصر الحاسم عليه . . فهل هذا القول صحيح أم خطأ ؟

٥ ـ شعار الألعاب الاولمبية عبارة عن خمس دوائر مختلفة الالوان ومتشابكة . . ما المعنى الذى يرمز اليه هذا الشعار ؟

٦ ـ بقيت الالعاب الاولمبية معطلة طوال ١٥ قرنا . . من سنة ٣٩٤ ـ ١٨٩٤
ترى هل كان صاحب الفضل في احيائها انجليزيا ام فرنسيا ام امريكيا . . . ؟

جوائز العربي لقرائها أكثر من

ألفي دينار سنويًا

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا

و ٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

٧ ـ هناك لعبة كرة القدم التي نعرفها .. ولعبة الرجبي العنيفة التي يسمح فيها بلمس الكرة بل وبحملها والانطلاق بها الى مرمى الخصم ، كما يسمح فيها بالعمل على انتزاع الكرة من حاملها بشتى الوسائل .. ترى ما الاسم الذى يطلقه الامريكيون على هذه اللعبة ..؟

* يسمونها رجبي كما يسميها الانجليز ..
* يسميها الامريكان وكثيرون غيرهم كرة القدم
* الاسم الذى يطلقه الامريكيون على هذه اللعبة هو (سَكَرْ)

٨ ـ من الذي اطلق سراح الأمام احمد بن حنبل من السجن ؟

٩ ـ هل هناك مباريات دولية أخرى لكرة القدم غير المباريات الاولمبية ..!
ما هي هذه المباريات ، ان كان ثمة مباريات ..؟

١٠ ـ من القائل : لسان الفتى نصف ونصف فؤادة فلم يبق صورة الا اللحم والدم .؟

١١ ـ من هو الشاعر الذى اشتهر بلقبه : حَيص بَيص الشاعر .. علما بأنه توفى سنة ١١٧٩م .؟

١٢ ـ من هو العالم العربي الذى ولد سنة ٩٧٣ في غزنه (أفغانستان) والذى عرف لغات عديدة أخرى غير العربية ، نذكر منها العبرية والتركية والفارسية .. وقد امتدت حياة هذا العالم نحو ٧٥ سنة . اذ توفى سنة ١٠٤٨م ؟

كوبون مسابقة
العدد ٣٠٧

معركة بلا سلاح

تَسْمير القطع

تسْمير القطع (**the pin**) من الأسلوب الهامّة التي تَسْتحِقّ عناية خاصّة من اللاعب المبتدىء واللاعب المحترف على حدٍّ سواء فهو يشلّ قطع اللاعب ويجعل منها فريسة سهلة لقطع الخصم الأصغر والأقلّ قيمة . فالقطعة المسمّرة تعجز كليّة عن الحركة بسبب التهديد المُسْتتر الموجّه لقطعة أخرى تفوقها قيمة ففي الشكل التالي

يُسمّر الفيل الأبيض الحصان الأسود الذي لا يملك حراكاً حماية لوزيره من تهديد الفيل فيصبح بذلك فريسة سهلة لبيدق الأبيض الذي يهدّد بأخذه في النّقلة القادمة

ويبرز الشكل التالي ضرباً آخر من ضروب التّسْمير يقع فيه وزير الأبيض فريسة سهلة لفيل الأسود لوقوعه هو والملك على وتر واحد .

أما هذا الشكْل فينطوي على مثال متقدم على التّسْمير والكشفة المزدوجة في آن واحد إذ لا مناص لوزير الأسود من أخذ الفيل وبالتالي الوقوع فريسة سائغة للحصان الذي يكش الملك وبكتسه في آن واحد في النقلة التالية

وفي كثير من الأحيان يكون التسمير هو العامل الرئيسي في إماتة الملك كما هو الحال في الشّكل التالي .

مسألة رقم (١٨)

الأبيض يلعب ويضرب مات في نقلتين
تقبل الردود حتى نهاية هذا الشّهر
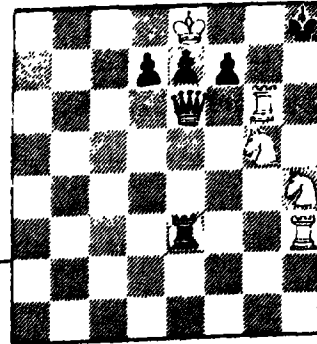
١٠ جوائز للمتسابقين

ابتداء من العدد القادم ـ يوليو ـ ١٩٨٤ تنشر (العربي) أسماء عشرة فائزين باشتراك مجاني بالمجلة ممن استطاعوا الوصول الى حل « المسألة الشطرنجية » . . وسوف يمنح الخمسة الأوائل منهم اشتراكا مجانيا بالمجلة لمدة عام . . ومن السادس الى العاشر يمنح الفائز اشتراك مجاني لمدة ستة أشهر . .

حيث يكش حصان الأسود ملك الأبيض فيضطر للأخذ بالبيدق لكَوْن الرّخ مُسَمّراً حمايةً للملك والذي يتيح للأسود إنْهاء الدّوْر بكش الملك من المربع ر ٣ (او ح٣ بالطريقة الجبرية) .

ويمكن أن يُؤدّي التّسْمير في كثير من الأحيان الى ضرب كش مات في المراحل الأولى من الدور كما يَتبيّن من الدّوْر التّالي الذي نكتبه بالطريقة الجَبْرية[١]

١	د ٤	ح - و٦
٢	ج ٤	هـ ٥
٣	د×هـ ٥	ح - هـ ٤
٤	ح - د٢	ح - ج٥
٥	ح - و٣	ح - ج٦
٦	أ ٣	و - هـ ٧
٧	ز ٣	د ٦
٨	هـ × د٦ ؟؟	ح - د٣ ‡

ويتضح من هذا الدور ان علينا ان نكون في منتهى اليقظة عندما يضع الخصم وزيره على نفس الخط (أو الوَتر) الذي يحتَلّه الملك .

(١) انظر شرح هذه الطريقة فى عدد يناير ١٩٨٤

حـل المسألة رقـم (١٦)

الحـل بالطريقـة الجبريـة :

مفتاح الحل هو

١ . م ـ د٦ . . . . .

فاذا لعب الاسود :

١ . . . . . ر ـ ز٦ ±

٢ . ف ـ هـ ٦ ‡ بالكشف

اما إذا لعب :

١ . . . . . . ر ـ د٣+

٢ . ف ـ د ٥ ‡ بالكشف

وفي حالة محاولة الأسود للهرب الى :

١ . . . . . . م ـ ب٤

٢ . م×ج٦ ‡

أو الى :

١ . . . . م ـ ب٦

٢ . ف ـ ج٣ ‡

أول يونيو ١٩٨٤

١٧٧

خاتمان من أجل سيدة

تأليف : انطونيو جالا

ترجمة وتقديم : عبد اللطيف عبد الحليم

[illegible]

كتاب العربي

الثالث
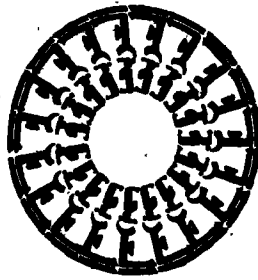
ندوة العربي في يوبيلها الفضي

المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة

دراسات شارك فيها نخبة من المفكرين العرب

د. فؤاد زكريا
د. محمد جابر الأنصاري
د. عبدالله العمر
الأستاذ كامل زهيري

يصدر في ١٥ يوليو القادم

KFAS
بسم الله الرحمن الرحيم
مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
جائزة الكويت
تمشيا مع أهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لاغراضها في تدعيم الانتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين ، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والاداب والفنون والتراث وذلك وفق برامجها السنوية . وتسجل المؤسسة من خلال هذه الجوائز اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين .
وموضوعات جائزة الكويت لعام ١٩٨٤ في المجالات الخمسة هي كما يأتي : –
١ – العلوم الاساسية : بيولوجيا البحار
Marine Biology
٢ – العلوم التطبيقية : تنمية مصادر المياه
Water Resources Development
٣ – العلوم الاقتصادية والاجتماعية : الزراعة والتنمية الاقتصادية في الوطن العربي .
Agriculture and Economic Development in the Arab World
٤ – الفنون والاداب : المأثورات الشعبية .. (الفلكلور)
Folklore
٥ – احياء التراث العربي والاسلامي : الملاحة عند العرب
Navigation in Arab Heritage
وتخصص المؤسسة سنويا جائزتين مقدار كل منهما عشرة آلاف دينار كويتي (١٠٫٠٠٠ د.ك.) في كل مجال من المجالات المذكورة ، جائزة لواحد (أو اكثر) من الكويتيين وأخرى لواحد أو (أو اكثر) من أبناء البلاد العربية الاخرى . كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية ذهبية وشهادة تقديرية تبين مميزات الانتاج بصورة مختصرة .
ويتم منح جائزة الكويت وفق الشروط الاتية : –
١ – يجب أن يكون الانتاج المقدم قد نشر خلال العشر سنوات الماضية وأن يكون مبتكرا وذا أهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه .
٢ – تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للافراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها . ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية .
٣ – يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وانتاجه ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة .
٤ – لا يعاد الانتاج المقدم الى مرسله سواء فاز المرشح أو لم يفز .
٥ – لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين .
٦ – على الفائز أن يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة بسببه .
٧ – تقبل الترشيحات ابتداء من ١٩٨٤/٣/١ ولغاية ١٩٨٤/١٠/٣١ .
٨ – ترفق مع الترشيحات أربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل على العنوان الاتي :
السيد مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
ص.ب. (٢٥٢٦٣ – الصفاة – الكويت)

تصدر
جامعة
الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الابحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية .

رئيس التحرير : د . خلدون حسن النقيب
مدير التحرير : عبد الرحمن فايز المصري

منبر بارز للأكاديميين العرب .
توزيع أكثر من (٨٠٠٠) نسخة .

الاشتراكات

للمؤسسات : ١٢ ديناراً في الكويت .
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد : ٢ دينار في الكويت ، ١ دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي .

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج .

الموزع في الكويت والخارج : مجلة العلوم الاجتماعية

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ « مباشر » ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

تصل اعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٠٠٠ قارئ

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ويشتمل على

مجموعة من الأبحاث تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون

عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في النواحي المختلفة للمنطقة

أبواب ثابتة : تقارير ، وثائق ، يوميات ، ببليوغرافيا

ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد ... فلس كويتي ، [illegible] في الخارج

الاشتراكات [illegible] كويتية في الكويت . ١٥ دولار امريكي في الخارج (بالبريد الجوي)

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

منشورات المجلة

تصدر المجلة ايضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة صدر منها

١ - كتاب التكامل الاقتصادي في الخليج العربي (د . محمد هشام خواجكية) ١٩٧٩

٢ - كتاب آفاق التنمية الصناعية في دول الخليج العربي (د . عبد الاله ابو عياش) . ١٩٧٩

٣ - كتاب حقوق الطفل في دولة الكويت (د . بدرية العوضي) ١٩٧٩

٤ - كتاب الاحصاءات الاقتصادية في المملكة العربية السعودية (بدوي خليل) ١٩٨٠

٥ - دور جريدة فتاة الجزيرة في أحداث عام ١٩٤٨ بصنعاء (سلطان ناجي) ١٩٨٠

سلسلة وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام صدر منها

الكتاب الاول وثائق الخليج والجزيرة العربية لعام ١٩٧٧ ١٩٧٩

العنوان : جامعة الكويت - كلية الآداب والتربية - الشويخ - دولة الكويت .

ص . ب ١٧٠٧٣ - الخالدية

الهاتف : ٨١٦٨٠٧ - ٨١٦٧٩٩ - ٨١٦٨٢

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

مــاهــوَ الجَــديْــد؟

أفكــار ومِـنـتجَــات أفضــل مـن TOSHIBA

ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي ' ن في" GR 333FSV تقدم لكم اليوم جهاز التبريد المباشر - "دايركت كولنغ سيستم" - الذي يؤمّن تجليدا سريعا. بمجرد كبس زر التجليد السريع الموجود على اللوحة تنخفض الحرارة في حجرة التجليد "الفريزر" بسرعة إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر. وهذه الحرارة أقل من الحرارة التي تعطيها حجر التجليد العادية. والنتيجة هي أن الطعام يتجلد بسرعة وفعالية أكبر. كما تضمن هذه الثلاجة المحافظة على الطعام الطازج، ونكهته وفائدته الغذائية الأصلية

إن ثلاجة Toshiba الجديدة "جي آر - ٣٣٣ إي اس في" هي مثال آخر على أفكار Toshiba الخلاقة في صناعة إنتاج الأجهزة المنزلية.

وحدة تبريد حجرة التجليد

وحدة تبريد الثلاجة

أنبوب التنظيف

ضاغط

تذويب أوتوماتيكي كامل للثلج مع جهاز لتصريف الماء
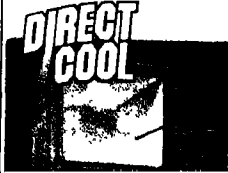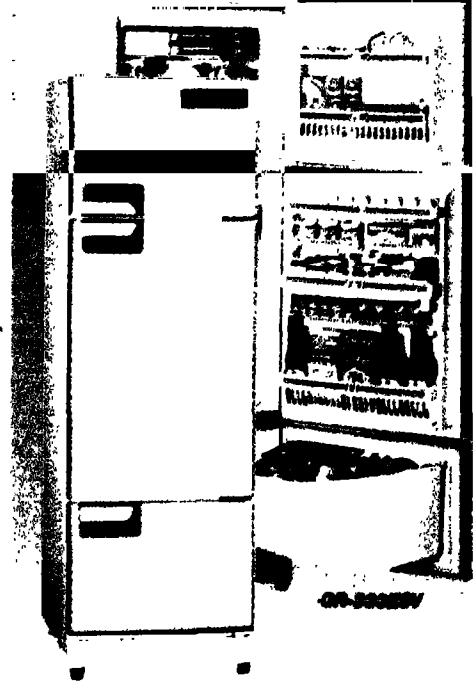
VH-1400
- غسالة بخصائص جديد كبير
- جهاز لاختيار كمية الماء المناسبة، (دوائر لتوفير الوقت والماء)

VC-1010EJ/810E
- مكنسة كهربائية ١٢٠٠واط ذات قوة كهربائية عالية

TA-1000AY
- مكواة قوية الإحتمال

RAC-46JE
- مكيف هواء بضاغط دائري هادئ الصوت
- قوة ١٨٠٠٠ بي تي يو

TOSHIBA | توشيبا

TOKYO, JAPA